الاول من البداية والنهاية [illegible] ابن كثير

وقف سعيد

عدد ٥

اوراق

عدد ٥ . .

٢٩٩٩

2999

هو المعز

هذه القطعة اللطيفة واللمعة المنيفة من اوقاف سلطان ما
اعظم السلاطين العظام اكرم الخواقين الفخام ناشر الشريعة الغراء
وارث الخلافة الكبرى السلطان ابن السلطان السلطان
الغازي محمود خان لا زالت [illegible] سعيدة
الى اخر الزمان وانا [illegible]
[illegible] المفتش باوقاف [illegible]
[illegible] عفي له

ترجمة مصنف هذا الكتاب

هو ابن كثير الشيخ الامام العالم الحافظ المفيد البارع عماد الدين ابو الفدا اسماعيل
ابن عمر بن كثير بن ضو بن كثير بن درع البصري الاصل الدمشقي الشافعي ولد بمجدل
القرية من اعمال مدينة بصرى في سنة احدى وسبعمائة اذ كان ابوه خطيبا بها ثم انتقل
الى دمشق في سنة ست وسبعمائة وتفقه بالشيخ برهان الدين الفزاري وغيره
وسمع ابن الشيرازي وابا القسم بن عساكر وخلقا وصاهر شيخنا الحافظ المزي فاكثر عنه
وافتى ودرس وناظر وبرع في الفقه والتفسير والنحو وامعن النظر في الرجال والعلل
وولي مشيخة ام الصالح والتنكزية بعد الذهبي وذكره الذهبي في شيوخه وطبقات
الحفاظ وقال في المعجم المختص هو فقيه متقن ومحدث محقق ومفسر نقال
قال وله تصانيف مفيدة قلت من تصانيفه كتاب التكميل في معرفة
الثقات والضعفاء والمجاهيل جمع بين كتاب التهذيب والميزان وهو خمسة مجلدات
وكتاب البداية والنهاية في اربعين او بضعة وخمسين جزءا وكتاب التفسير في عشر
مجلدات وكتاب الهدي والسنن في احاديث المسانيد والسنن جمع فيه بين مسند
الامام احمد والبزار وابي يعلى وابن ابي شيبة الى الكتب الستة وله غير ذلك اخبرنا
الحافظ عماد الدين بن كثير بقراتي عليه قال انا ابو العباس احمد بن ابي طالب وقد
اجاز لي ايضا احمد المذكور قال انا ابو المنجا ابن اللتي قال انا ابو الوقت الصوفي
قال انا محمد الفارسي قال انا ابو محمد بن ابي شريح قال انا ابو القاسم البغوي
قال انا ابو الجهم الباهلي قال ثنا الليث بن سعد عن ابي الزبير عن جابر رضي
الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يدخل احد ممن بايع تحت
الشجرة النار رواه ابو داود والترمذي والنسائي عن قتيبة عن الليث
نقلت من ذيل كتاب طبقات الحفاظ للذهبي رحمنا الله واياه لشيخنا العلامة الحافظ
ابي المحاسن محمد بن علي بن الحسن الحسيني الدمشقي الشافعي رحمه الله ٥

بسم الله الرحمن الرحيم وبه ثقتي ورجائي

الحمد لله الاول والاخر الباطن الظاهر الذي هو بكل شي عليم الاول فليس قبله شي الاخر
فليس بعده شي الظاهر فليس فوقه شي الباطن فليس دونه شي الازلي القديم الذي لم يزل
موجودا بصفات الكمال ولا يزال دايما مستمرا باقيا سرمديا بلا انقضا ولا انفصال
ولا زوال يعلم دبيب النملة على الصخرة في الليلة الظلما وعدد الرمال وهو العلي
الكبير المتعال العلي العظيم الذي خلق كل شي فقدره تقديرا ورفع السموات بغير عمد
وزينها بالكواكب الزاهرات وجعل فيها سراجا وقمرا منيرا وسوى فوقهن سريرا شرجعا عاليا
منيفا متسعا مقببا مستديرا هو العرش العظيم له قوايم عظام تحمله الملايكة الكرام
وتحفه الكروبيون عليهم الصلاة والسلام ولهم زجل بالتقديس والتعظيم وكذا ارجاء
السموات مشحونة بالملايكة ويفد منهم في كل يوم سبعون الفا الى البيت المعمور بالسما
الرابعة لا يعودون اليه اخر ما عليهم في تهليل وتحميد وتكبير وصلاة وتسليم ووضع
الارض للانام على تيار الما وجعل فيها رواسي من فوقها وبارك فيها وقدر فيها اقواتها
في اربعة ايام قبل خلق السما واثبت فيها من كل زوجين اثنين دلالة للالبا من جميع
ما يحتاج العباد اليه في شتايهم وصيفهم ولكل ما يحتاجون اليه ويملكونه من حيوان بهيم
وبدا خلق الانسان من طين وجعل نسله من سلالة من ما مهين في قرار مكين فجعله
سميعا بصيرا بعد ان لم يكن شيا مذكورا وشرفه بالعلم والتعليم خلق بيده الكريمة
ادم ابا البشر وصور جثته ونفخ فيه من روحه واسجد له ملايكته وخلق منه زوجه حوا
ام البشر فانس بها وحدته واسكنهما جنته واسبغ عليهما نعمته ثم اهبطهما الى الارض لما
سبق في ذلك من حكمة الحكيم وبث منهما رجالا كثيرا ونسا وقسمهم بقدره العظيم ملوكا ورعاة
وفقرا واغنيا واحرارا وعبيدا وحراير واما واسكنهم ارجا الارض طولها وعرضها والعرض
وجعلهم خلايف فيها يخلف البعض منهم البعض الى يوم الحساب والعرض على العليم الحكيم وسخر
لهم الانهار من ساير الاقطار تشق الاقاليم الى الامصار ما بين صغار وكبار على مقدار الحاجات والاوطار
وانبع لهم العيون والابار وارسل عليهم السحايب بالامطار فانبت لهم ساير صنوف الزرع
والثمار واتاهم من كل ما سالوه بلسان حالهم وقالهم وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها ان الانسان
لظلوم كفار فسبحان الكريم العظيم الحليم وكان من اعظم نعمه عليهم واحسانه اليهم بعد ان خلقهم
ورزقهم ويسر لهم السبيل وانطقهم ان ارسل رسله اليهم وانزل كتبه عليهم مبينة حلاله وحرامه
واخباره واحكامه وتفصيل كل شي في المبدا والمعاد يوم القيامة فالسعيد من قابل الاخبار
بالتصديق والتسليم والاوامر بالانقياد والنواهي بالتعظيم ففاز بالنعيم المقيم وزحزح عن

مقام

مقام المكذبين في الجحيم ذات الزقوم والحميم والعذاب الاليم **احمده** حمدا كثيرا طيبا مباركا
فيه يملا ارجا السموات والارضين دايما ابد الابدين ودهر الداهرين الى يوم الدين في كل ساعة
وان ووقت وحين كما ينبغي لجلاله العظيم وسلطانه القديم ووجهه الكريم **واشهد**
ان لا اله الا الله وحده لا شريك له ولا ولد له ولا والد له ولا صاحبة له ولا نظير ولا وزير له
ولا مشير له ولا عديد ولا نديد ولا قسيم **واشهد** ان محمدا عبده ورسوله وحبيبه وخليله
المصطفى من خلاصة العرب العربا من الصميم خاتم الانبيا وصاحب الحوض الاكبر الروا
صاحب الشفاعة العظمى يوم القيامة وحامل اللوا الذي يبعثه الله المقام المحمود الذي
يرغب اليه فيه الخلق كلهم حتى الخليل ابراهيم صلى الله عليه وعلى اخوانه من النبيين والمرسلين
وسلم وشرف وكرم ازكى صلاة وتسليم واعلى تشريف وتكريم ورضي الله عن جميع اصحابه الغر
الكرام السادة النجبا الاعلام خلاصة العالم بعد الانبيا ما اختلط الظلام بالضيا واعلن
الداعي بالندا وما نسخ النهار ظلام الليل البهيم **اما بعد** فهذا كتاب اذكر فيه بعون الله
وحسن توفيقه ما يسره الله تعالى بحوله وقوته من ذكر مبدا المخلوقات من خلق العرش
والكرسي والسموات والارضين وما فيهن وما بينهن من الملايكة والجان والشياطين وكيفية
خلق ادم عليه السلام وقصص النبيين وما جرى مجرى ذلك الى ايام بني اسرايل وايام الجاهلية
حتى تنتهي النبوة الى ايام نبينا محمد صلوات الله وسلامه عليه فنذكر سيرته كما ينبغي
فتشفى الصدور والغليل وتزيح الدا عن العليل ثم نذكر ما بعد ذلك الى زماننا ونذكر
الفتن والملاحم واشراط الساعة ثم البعث والنشور واهوال القيامة ثم صفة ذلك
وما في ذلك اليوم وما يقع فيه من الامور الهايلة ثم صفة النار ثم صفة الجنان وما فيها
من الخيرات الحسان وغير ذلك وما يتعلق به وما ورد في ذلك من الكتاب والسنة والاثار والاخبار
المنقولة المقبولة عند العلما وورثة الانبيا الاخذين من مشكاة النبوة المصطفوية
المحمدية على من جا بها افضل الصلاة والسلام ولسنا نذكر من الاسراييليات الا ما اذن الشارع
في نقله مما لا يخالف كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وهو القسم الذي لا يصدق
ولا يكذب مما فيه بسط لمختصر عندنا او تسمية لمبهم ورد به شرعنا مما لا فايدة في تعيينه
لنا فنذكره على سبيل التحلي به لا على سبيل الاحتياج اليه والاعتماد عليه وانما الاعتماد
والاستناد على كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ما صح نقله او حسن وما كان
فيه ضعف نبينه وبالله المستعان وعليه التكلان ولا حول ولا قوة الا بالله العزيز
الحكيم العلي العظيم فقد قال الله تعالى في كتابه كذلك نقص عليك من انباء ما قد
سبق وقد اتيناك من لدنا ذكرا وقد قص الله على نبيه صلى الله عليه وسلم خبر ما مضى من
خلق المخلوقات وذكر الامم الماضين وكيف فعل باوليايه وماذا احل باعدايه وبين ذلك
رسول الله صلى الله عليه وسلم لامته بيانا شافيا سنورد عند كل فصل ما وصل الينا عنه
صلوات الله وسلامه عليه من ذلك تلو الايات الواردات في ذلك فاخبرنا بما يحتاج اليه
من ذلك وترك ما لا فايدة فيه مما قد يتزاحم على علمه ويتراجم في فهمه طوايف من علما اهل الكتاب
مما لا فايدة فيه لكثير من الناس اليه وقد يستوعب نقله طايفة من علماينا ولسنا
نحذو حذوهم ولا ننحو نحوهم ولا نذكر منها الا القليل على سبيل الاختصار ونبين ما فيه حق
منها مما وافق ما عندنا وما خالفه فوقع فيه الانكار فاما الحديث الذي رواه البخاري رحمه الله

في صحيحه عن عمرو بن العاص رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بلغوا
عني ولو اية وحدثوا عن بني اسرائيل ولا حرج وحدثوا عني ولا تكذبوا علي ومن كذب علي متعمدا فليتبوا
مقعده من النار فهو محمول على الاسرائيليات المسكوت عنها عندنا فليس عندنا ما يصدقها
ولا يكذبها فيجوز روايتها للاعتبار وهذا هو الذي نستعمله في كتابنا هذا منها فاما ما شهد
له شرعنا بالصدق فلا حاجة بنا اليه استغناء بما عندنا وما شهد له شرعنا منه بالبطلان
فذاك مردود لا يجوز حكايته الا على سبيل الانكار والابطال فاذا كان الله سبحانه وله الحمد
قد اغنانا برسولنا محمد صلى الله عليه وسلم عن سائر الشرائع وبكتابه عن سائر الكتب فلسنا
نترامى على ما بايديهم مما وقع فيه خبط وغلط وكذب ووضع وتحريف وتبديل وبعد ذلك كله
نسخ وتغيير فالمحتاج اليه قد بينه لنا رسولنا وشرحه واوضحه عرفه من عرفه وجهله من
جهله كما قال علي بن ابي طالب كتاب الله فيه خبر ما قبلكم ونبا ما بعدكم وحكم ما بينكم
وهو الفصل ليس بالهزل من تركه من جبار قصمه الله ومن ابتغى الهدى في غيره اضله الله وقال
ابو ذر رضي الله عنه لقد توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وما طائر يطير بجناحيه الا اذكرنا
منه علما وقال البخاري في كتاب بدء الخلق وروي عن عيسى بن موسى غنجار عن رقبة
عن قيس بن مسلم عن طارق بن شهاب قال سمعت عمر بن الخطاب يقول قام فينا رسول
الله صلى الله عليه وسلم مقاما فاخبرنا عن بدء الخلق حتى دخل اهل الجنة منازلهم واهل
النار منازلهم حفظ ذلك من حفظه ونسيه من نسيه قال ابو مسعود الدمشقي
في اطرافه هكذا قال البخاري وانما رواه عيسى غنجار عن ابي حمزة عن رقبة وقال
الامام احمد بن حنبل رح في مسنده ثنا ابو عاصم ثنا عزرة بن ثابت ثنا علباء بن احمد
اليشكري ثنا ابو زيد الانصاري قال صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة الصبح
ثم صعد المنبر فخطبنا حتى حضرت الظهر ثم نزل فصلى الظهر ثم صعد المنبر فخطبنا حتى
حضرت العصر ثم نزل فصلى العصر ثم صعد المنبر فخطبنا حتى حضرت المغرب غابت الشمس فحدثنا
بما كان وما هو كائن فاعلمنا احفظنا انفرد باخراجه مسلم فرواه في كتاب الفتن من صحيحه
عن يعقوب بن ابراهيم الدورقي وحجاج بن الشاعر كلاهما عن ابي عاصم الضحاك بن مخلد النبيل
عن عزرة بن علباء عن ابي زيد عمرو بن اخطب بن رفاعة الانصاري رضي الله عنه عن النبي صلى
الله عليه وسلم نحوه **فصل** قال الله تعالى في كتابه العزيز الله خالق كل شيء وهو على
كل شيء وكيل فكل ما سواه تعالى فهو مخلوق له مربوب مدبر مكون بعد ان لم يكن محدث بعد عدمه
فالعرش الذي هو سقف المخلوقات الى ما تحت الثرى وما بين ذلك من جامد وناطق الجميع خلقه
وملكه وعبيده وتحت قهره وقدرته وتحت تصريفه ومشيئته خلق السموات والارض وما
بينهما في ستة ايام ثم استوى على العرش يعلم ما يلج في الارض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما
يعرج فيها وهو معكم اينما كنتم والله بما تعملون بصير وقد اجمع علماء الاسلام قاطبة لا يشك
في ذلك مسلم ان الله خلق السموات والارض وما بينهما في ستة ايام كما دل عليه القران العظيم
واختلفوا في هذه الايام اهي كايامنا هذه او كل يوم كالف سنة مما تعدون على قولين كما بينا
ذلك في التفسير وسنتعرض لايراده في موضعه واختلفوا هل كان قبل خلق السموات والارض
شيء مخلوق قبلهما فذهب طوايف من المتكلمين الى انه لم يكن قبلهما شيء وانهما خلقتا من العدم
المحض وقال اخرون بل كان قبل السموات والارض مخلوقات اخر لقوله تعالى وهو الذي خلق

السموات والارض في ستة ايام وكان عرشه على الماء الاية وفي حديث عمران بن حصين كما سياتي
كان الله ولم يكن قبله شيء وكان عرشه على الماء وكتب في الذكر كل شيء ثم خلق السموات
والارض وقال الامام احمد ثنا بهز ثنا حماد بن سلمة ثنا يعلى بن عطا عن وكيع بن حدس
عن عمه ابي رزين لقيط بن عامر العقيلي انه قال يا رسول الله اين كان ربنا قبل ان يخلق السموات
والارض قال في عماء ما فوقه هواء وما تحته هواء ثم خلق عرشه على الماء ورواه عن يزيد
بن هارون عن حماد بن سلمة به ولفظه اين كان ربنا قبل ان يخلق خلقه وباقيه سواء واخرجه
الترمذي عن احمد بن منيع وابن ماجه عن ابي بكر بن ابي شيبة ومحمد بن الصباح ثلاثتهم
عن يزيد بن هارون وقال الترمذي حسن واختلف هؤلاء في ايها خلق اولا فقال
قايلون خلق القلم قبل هذه الاشياء كلها وهذا هو اختيار ابن جرير وابن الجوزي وغيرهما
قال ابن جرير وبعد القلم السحاب الرقيق واحتجوا بالحديث الذي رواه الامام احمد وابو
داود والترمذي عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم ان اول ما خلق الله القلم ثم قال له اكتب فجرى في تلك الساعة بما هو كائن
الى يوم القيامة لفظ احمد وقال الترمذي حديث حسن صحيح غريب والذي عليه الجمهور
فيما نقله الحافظ ابو العلا الهمداني وغيره ان العرش مخلوق قبل ذلك وهذا هو الذي رواه
ابن جرير من طريق الضحاك عن ابن عباس كما دل على ذلك الحديث الذي رواه مسلم في صحيحه
حيث قال حدثني ابو الطاهر احمد بن عمرو بن السرح ثنا ابن وهب اخبرني ابو هاني الخولاني
عن ابي عبد الرحمن الحبلي عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال سمعت رسول الله صلى الله
عليه وسلم يقول كتب الله مقادير الخلايق قبل ان يخلق السموات والارض بخمسين الف
سنة قال وعرشه على الماء قالوا فهذا التقدير هو كتابته بالقلم المقادير وقد دل
هذا الحديث ان ذلك بعد خلق العرش فثبت تقدم العرش على القلم الذي كتب به
المقادير كما ذهب الى ذلك الجماهير ويحمل حديث القلم على انه اول المخلوقات من هذا العالم
ويؤيد هذا ما رواه البخاري عن عمران بن حصين قال قال اهل اليمن لرسول الله صلى
الله عليه وسلم جئناك لنتفقه في الدين ولنسالك عن اول هذا الامر فقال
كان الله ولم يكن شيء قبله وفي رواية معه وفي رواية غيره وكان عرشه على الماء وكتب
في الذكر كل شيء وخلق السموات والارض وفي لفظ ثم خلق السموات والارض فسالوه
عن ابتداء خلق السموات والارض ولهذا قالوا جئناك نسالك عن اول هذا الامر
فاجابهم عما سالوا فقط ولهذا لم يخبرهم بخلق العرش كما اخبر به في حديث ابي رزين المتقدم
قال ابن جرير وقال اخرون بل خلق الله الماء قبل العرش رواه السدي عن ابي مالك
وعن ابي صالح عن ابن عباس وعن مرة عن ابن مسعود وعن ناس من اصحاب رسول الله صلى
الله عليه وسلم قالوا ان الله كان عرشه على الماء ولم يخلق شيئا غير ما خلق قبل الماء
وحكى ابن جرير عن محمد بن اسحاق انه قال اول ما خلق الله النور والظلمة ثم ميز بينهما
فجعل الظلمة ليلا اسود مظلما وجعل النور نهارا مضيئا مبصرا قال
ابن جرير وقد قيل ان الذي خلق ربنا بعد القلم الكرسي ثم خلق بعد الكرسي العرش ثم
بعد ذلك خلق الهواء والظلمة ثم خلق الماء فوضع عرشه على الماء **فصل**
فيما ورد في صفة خلق العرش والكرسي قال الله تعالى رفيع الدرجات ذو العرش

وقال تعالى فتعالى الله الملك الحق لا إله إلا هو رب العرش الكريم وقال لا إله إلا الله هو رب العرش العظيم وقال وهو الغفور الودود ذو العرش المجيد وقال تعالى الرحمن على العرش استوى وقال ثم استوى على العرش في غير ما آية من القرآن وقال تعالى الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم ويؤمنون به ويستغفرون للذين آمنوا ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلما وقال تعالى ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية وقال تعالى وترى الملائكة حافين من حول العرش يسبحون بحمد ربهم وقضي بينهم بالحق وقيل الحمد لله رب العالمين وفي الدعاء المروي في الصحيح في دعاء الكرب لا إله إلا الله الحليم العظيم لا إله إلا الله رب العرش الكريم وقال الإمام أحمد ثنا عبد الرزاق ثنا يحيى بن العلاء عن عمه شعيب بن خالد حدثني سماك بن حرب عن عبد الله بن عميرة عن الأحنف بن قيس عن عباس ابن عبد المطلب قال كنا جلوسا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بالبطحاء فمرت سحابة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أتدرون ما هذا قال قلنا السحاب قال والمزن قلنا والمزن قال والعنان قال فسكتنا فقال هل تدرون كم بين السماء والأرض قال قلنا الله ورسوله أعلم قال بينهما مسيرة خمسمائة سنة ومن كل سماء إلى سماء مسيرة خمسمائة سنة وكثف كل سماء مسيرة خمسمائة سنة وفوق السماء السابعة بحر بين أسفله وأعلاه كما بين السماء والأرض ثم فوق ذلك ثمانية أوعال بين ركبهن وأظلافهن كما بين السماء والأرض ثم فوق ذلك العرش بين أسفله وأعلاه كما بين السماء والأرض والله فوق ذلك وليس يخفى عليه من أعمال بني آدم شيء هذا لفظ الإمام أحمد ورواه أبو داود والترمذي وابن ماجه من حديث سماك بإسناده نحوه وقال الترمذي هذا حديث حسن وروى شريك بعض هذا الحديث عن سماك ووقفه ولفظ أبي داود وهل تدرون بعد ما بين السماء والأرض قالوا لا ندري قال بعد ما بينهما إما واحدة أو اثنتين أو ثلاثة وسبعون سنة والباقي نحوه وقال أبو داود ثنا عبد الأعلى بن حماد ومحمد بن المثنى ومحمد بن بشار وأحمد بن سعيد الرباطي قالوا ثنا وهب بن جرير قال أحمد كتبناه من نسخته وهذا لفظه قال ثنا أبي قال سمعت محمد بن إسحاق يحدث عن يعقوب بن عتبة عن جبير بن محمد بن جبير بن مطعم عن أبيه عن جده قال أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم أعرابي فقال يا رسول الله جهدت الأنفس وجاعت العيال ونهكت الأموال وهلكت الأنعام فاستسق الله لنا فإنا نستشفع بك إلى الله ونستشفع بالله عليك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ويحك أتدري ما تقول وسبح رسول الله صلى الله عليه وسلم فما زال يسبح حتى عرف ذلك في وجوه أصحابه ثم قال ويحك إنه لا يستشفع بالله على أحد إن شأن الله أعظم من ذلك ويحك أتدري ما الله إن عرشه على سمواته لهكذا وقال بأصابعه مثل القبة عليه وإنه ليئط به أطيط الرحل بالراكب قال ابن بشار في حديثه إن الله فوق عرشه وعرشه على سمواته وساق الحديث وقال عبد الأعلى وابن المثنى وابن بشار عن يعقوب بن عتبة وجبير بن محمد بن جبير عن أبيه عن جده والحديث بإسناد أحمد بن سعيد أيضا وكان سماع عبد الأعلى وابن بشار وابن المثنى من نسخة واحدة فيما بلغني تفرد بإخراجه أبو داود وقد صنف الحافظ أبو القاسم بن عساكر الدمشقي جزءا في الرد على هذا الحديث سماه بيان الوهم

والتخليط الواقع في حديث الأطيط واستفرغ وسعه في الطعن على محمد بن إسحاق بن يسار راويه وذكر كلام الناس فيه ولكن قد روي هذا اللفظ من طريق أخرى عن غير محمد ابن إسحاق فرواه عبد بن حميد وابن جرير في تفسيريهما وابن أبي عاصم والطبراني في كتابي السنة لهما والبزار في مسنده والحافظ الضياء المقدسي في مختارته من طريق أبي إسحاق السبيعي عن عبد الله بن خليفة عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال أتت امرأة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت ادع الله أن يدخلني الجنة قال فعظم الرب تبارك وتعالى وقال إن كرسيه وسع السموات والأرض وإن له أطيطا كأطيط الرحل الجديد من ثقله عبد الله بن خليفة هذا ليس بذاك المشهور وفي سماعه من عمر نظر ثم منهم من يرويه موقوفا ومرسلا ومنهم من يزيد فيه زيادة غريبة والله أعلم وثبت في صحيح البخاري عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال إذا سألتم الله الجنة فسلوه الفردوس فإنه أعلى الجنة وأوسط الجنة وفوقه عرش الرحمن يروى وفوقه بالفتح على الظرفية وبالضم قال شيخنا الحافظ المزي وهو أحسن أي وأعلاها عرش الرحمن وقد جاء في بعض الآثار أن أهل الفردوس يسمعون أطيط العرش وهو تسبيحه وتعظيمه وما ذاك إلا لقربهم منه وفي الصحيح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لقد اهتز عرش الرحمن لموت سعد بن معاذ وذكر الحافظ ابن الحافظ محمد بن عثمان بن أبي شيبة في كتاب صفة العرش عن بعض السلف أن العرش مخلوق من ياقوتة حمراء بعد ما بين قطريه مسيرة خمسين ألف سنة وذكرنا عند قوله تعالى تعرج الملائكة والروح إليه في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة أنه بعد ما بين العرش إلى الأرض السابعة مسيرة خمسين ألف سنة واتساعه خمسون ألف سنة وقد ذهب طائفة من أهل الكلام إلى أن العرش فلك مستدير من جميع جوانبه محيط بالعالم من كل جهة ولذا سموه الفلك التاسع والفلك الأطلس والأثير وهذا ليس بجيد لأنه قد ثبت في الشرع أن له قوائم تحمله الملائكة والفلك لا يكون له قوائم ولا يحمل وأيضا فإنه فوق الجنة والجنة فوق السموات وفيها مائة درجة ما بين كل درجتين كما بين السماء والأرض فالبعد الذي بينه وبين الكرسي ليس هو نسبة فلك إلى فلك وأيضا فإن العرش في اللغة عبارة عن السرير الذي للملك كما قال تعالى ولها عرش عظيم وليس هو فلكا ولا يفهم منه العرب ذلك والقرآن إنما نزل بلغة العرب فهو سرير ذو قوائم تحمله الملائكة وهو كالقبة على العالم وهو سقف المخلوقات قال الله تعالى الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم ويؤمنون به ويستغفرون للذين آمنوا وقد تقدم في حديث الأوعال أنهم ثمانية وفوق ظهورهن العرش وقال تعالى ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية وقال شهر بن حوشب حملة العرش ثمانية أربعة منهم يقولون سبحانك اللهم وبحمدك لك الحمد على حلمك بعد علمك وأربعة يقولون سبحانك اللهم وبحمدك لك الحمد على عفوك بعد قدرتك فأما الحديث الذي رواه الإمام أحمد حدثنا عبد الله بن محمد هو أبو بكر بن أبي شيبة ثنا عبدة بن سليمان عن محمد بن إسحاق عن يعقوب بن عتبة عن عكرمة عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صدق أمية بن أبي الصلت في شيء من شعره فقال

رجل وثور تحت رجل يمينه ... والنسر للأخرى وليث مرصد

فقال له رسول الله صدق فقال

والشمس تطلع كل آخر ليلة • حمراء يصبح لونها يتورد
تأبى فما تطلع لنا في رسلها • إلا معذبة وإلا تجلد

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم صدق فإنه حديث صحيح الإسناد رجاله ثقات وهو يقتضي أن حملة العرش اليوم أربعة فيعارضه حديث الأوعال اللهم إلا أن يقال إن إثبات هؤلاء الأربعة على هذه الصفات لا ينفي ما عداهم والله أعلم ومن شعر أمية بن أبي الصلت في العرش قوله

مجدوا الله فهو للمجد أهل • ربنا في السماء أمسى كبيرا
بالبناء العالي الذي بهر الناس • وسوى فوق السماء سريرا
شرجعا لا يناله بصر العين • ترى حوله الملائك صورا

صور جمع أصور وهو المائل العنق لنظره إلى العلو والشرجع هو العالي المنيف والسرير هو العرش في اللغة ومن شعر عبد الله بن رواحة رضي الله عنه الذي عرض به عن القراءة لامرأته حين اتهمته بجاريته

شهدت بأن وعد الله حق • وأن النار مثوى الكافرينا
وأن العرش فوق الماء طاف • وفوق العرش رب العالمينا
وتحمله ملائكة كرام • ملائكة الإله مسومينا

ذكره ابن عبد البر وغير واحد من الأئمة وقال أبو داود ثنا أحمد بن حفص بن عبد الله حدثني أبي ثنا إبراهيم بن طهمان عن موسى بن عقبة عن محمد بن المنكدر عن جابر بن عبد الله أن النبي صلى الله عليه وسلم قال أذن لي أن أحدث عن ملك من ملائكة الله عز وجل من حملة العرش أن ما بين شحمة أذنه إلى عاتقه مسيرة سبعمائة عام ورواه ابن أبي حاتم ولفظه مخفق الطير سبعمائة عام **وأما الكرسي** فروى ابن جرير من طريق جويبر وهو ضعيف عن الحسن البصري أنه كان يقول الكرسي هو العرش وهذا لا يصح عن الحسن بل الصحيح عنه وعن غيره من الصحابة والتابعين أنه غيره وعن ابن عباس وسعيد بن جبير أنهما قالا في قوله تعالى وسع كرسيه السموات والأرض أي علمه والمحفوظ عن ابن عباس كما رواه الحاكم في مستدركه وقال إنه على شرط الشيخين ولم يخرجاه من طريق سفيان الثوري عن عمار الدهني عن مسلم البطين عن سعيد بن جبير عن ابن عباس أنه قال الكرسي موضع القدمين والعرش لا يقدر قدره إلا الله عز وجل وقد رواه شجاع بن مخلد الفلاس في تفسيره عن أبي عاصم النبيل عن الثوري فجعله مرفوعا والصواب أنه موقوف على ابن عباس وحكاه ابن جرير عن أبي موسى الأشعري والضحاك بن مزاحم وإسماعيل بن عبد الرحمن السدي الكبير ومسلم البطين وقال السدي عن أبي مالك الكرسي تحت العرش وقال السدي السموات والأرض في جوف الكرسي والكرسي بين يدي العرش وروى ابن جرير وابن أبي حاتم من طريق الضحاك عن ابن عباس أنه قال لو أن السموات السبع والأرضين السبع بسطن ثم وصلن بعضهن إلى بعض ما كن في سعة الكرسي إلا بمنزلة الحلقة في المفازة وقال ابن جرير حدثني يونس ثنا ابن وهب قال قال ابن زيد حدثني أبي قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما السموات السبع في الكرسي إلا كدراهم سبعة ألقيت في ترس قال وقال أبو ذر سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم

يقول

يقول ما الكرسي في العرش إلا كحلقة من حديد ألقيت بين ظهري فلاة من الأرض وهذا الحديث مرسل وعن أبي ذر منقطع وقد روي عنه من طريق أخرى موصولا فقال الحافظ أبو بكر بن مردويه في تفسيره أخبرنا سليمان بن أحمد الطبراني أنا عبد الله بن وهيب المغربي أنا محمد بن أبي السري العسقلاني أنا محمد بن عبد الله التميمي عن القاسم بن محمد الثقفي عن أبي إدريس الخولاني عن أبي ذر الغفاري أنه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الكرسي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده ما السموات السبع والأرضون السبع عند الكرسي إلا كحلقة ملقاة بأرض فلاة وإن فضل العرش على الكرسي كفضل الفلاة على تلك الحلقة وقال ابن جرير في تاريخه ثنا ابن وكيع ثنا أبي عن سفيان عن الأعمش عن المنهال بن عمرو عن سعيد بن جبير قال سئل ابن عباس عن قوله وكان عرشه على الماء على أي شيء كان الماء قال على متن الريح والسموات والأرضون وكل ما فيهن من شيء يحيط بها البحار ويحيط بذلك كله الهيكل ويحيط بالهيكل الكرسي وروي عن وهب بن منبه نحوه وفسر وهب الهيكل فقال هو من أطراف السموات محدق بالأرضين والبحار كأطناب الفسطاط وقد زعم بعض من ينتسب إلى علم الهيئة أن الكرسي عبارة عن الفلك الثامن الذي يسمونه فلك الكواكب الثوابت وفيما زعموه نظر لأنه قد ثبت أنه أعظم من السموات السبع بشيء كثير ورد الحديث المتقدم بأن نسبتها إليه كنسبة حلقة ملقاة بأرض فلاة وهذا ليس نسبة فلك إلى فلك فإن قال قائلهم فنحن نعترف بذلك ونسميه مع ذلك فلكا فنقول الكرسي ليس في اللغة عبارة عن الفلك وإنما هو كما قال غير واحد من السلف بين يدي العرش كالمرقاة إليه ومثل هذا لا يكون فلكا وزعمهم أن الكواكب الثوابت مرصعة فيه لا دليل لهم عليه هذا مع اختلافهم في ذلك أيضا كما هو مقرر في كتبهم والله أعلم

ذكر اللوح المحفوظ

قال الحافظ أبو القاسم الطبراني ثنا محمد بن عثمان بن أبي شيبة ثنا منجاب بن الحارث ثنا إبراهيم بن يوسف ثنا زياد بن عبد الله عن ليث عن عبد الملك بن سعيد بن جبير عن أبيه عن ابن عباس أن نبي الله صلى الله عليه وسلم قال إن الله خلق لوحا محفوظا من درة بيضاء صفحاتها من ياقوتة حمراء قلمه نور وكتابه نور لله فيه في كل يوم ستون وثلثمائة لحظة يخلق ويرزق ويميت ويحيي ويعز ويذل ويفعل ما يشاء وقال إسحاق بن بشر أخبرني مقاتل وابن جريج عن مجاهد عن ابن عباس قال إن في صدر اللوح لا إله إلا الله وحده دينه الإسلام ومحمد عبده ورسوله فمن آمن بالله وصدق بوعده واتبع رسله أدخله الجنة قال واللوح المحفوظ لوح من درة بيضاء طوله ما بين السماء والأرض وعرضه ما بين المشرق والمغرب وحافتاه الدر والياقوت ودفتاه ياقوتة حمراء وقلمه نور وكلامه معقود بالعرش وأصله في حجر ملك وقال أنس بن مالك وغيره من السلف اللوح المحفوظ في جبهة إسرافيل وقال مقاتل هو عن يمين العرش

باب ما ورد في خلق السموات والأرض وما بينهما

قال الله تعالى الحمد لله الذي خلق السموات والأرض وجعل الظلمات والنور ثم الذين كفروا بربهم يعدلون وقال تعالى خلق السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام غير ما آية من القرآن وقد اختلف المفسرون في مقدار هذه

الستة الايام على قولين فالجمهور على انها كايامنا هذه وعن ابن عباس ومجاهد والضحاك
وكعب الاحبار ان كل يوم منها كالف سنة مما تعدون رواهن ابن جرير وابن ابي حاتم
واختار هذا القول الامام احمد بن حنبل في كتابه الذي رد فيه على الجهمية وابن جرير
وطايفة من المتاخرين والله اعلم وسياتي ما يدل على هذا القول وروى ابن جرير عن
الضحاك بن مزاحم وغيره ان اسما الايام الستة ابجد هوز حطي كلمن سعفص
قرشت وحكى ابن جرير في اول الايام ثلاثة اقوال فروى عن محمد بن اسحاق انه
قال يقول اهل التورية ابتدا الله الخلق يوم الاحد ويقول اهل الانجيل ابتدا الله
الخلق يوم الاثنين ونقول نحن المسلمون فيما انتهى الينا عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم ابتدا الله الخلق يوم السبت وهذا القول الذي حكاه ابن اسحاق عن المسلمين
مال اليه طايفة من الفقها من الشافعية وغيرهم وسياتي فيه حديث ابي هريرة
خلق الله التربة يوم السبت والقول بانه الاحد رواه ابن جرير عن السدي عن ابي
مالك وابي صالح عن ابن عباس وعن مرة عن ابن مسعود وعن جماعة من الصحابة ورواه
ايضا عن عبد الله بن سلام واختاره ابن جرير وهو نص التورية ومال اليه طايفة
اخرون من الفقها وهو اشبه بلفظ الاحد ولهذا كمل الخلق في ستة ايام فكان اخرهن
الجمعة فاتخذه المسلمون عيدهم في الاسبوع وهو اليوم الذي اضل الله عنه اهل الكتاب
قبلنا كما سياتي بيانه ان شا الله وقال تعالى هو الذي خلق لكم ما في الارض جميعا
ثم استوى الى السما فسواهن سبع سموات وهو بكل شي عليم وقال تعالى قل اينكم
لتكفرون بالذي خلق الارض في يومين وتجعلون له اندادا ذلك رب العالمين وجعل
فيها رواسي من فوقها وبارك فيها وقدر فيها اقواتها في اربعة ايام سوا للسايلين
ثم استوى الى السما وهي دخان فقال لها وللارض ايتيا طوعا او كرها قالتا اتينا
طايعين فقضاهن سبع سموات في يومين واوحى في كل سما امرها وزينا السما الدنيا
بمصابيح وحفظا ذلك تقدير العزيز العليم فهذا يدل على ان الارض خلقت قبل السما
لانها كالاساس للبنا كما قال تعالى الله الذي جعل لكم الارض قرارا والسما بنا وصوركم
فاحسن صوركم ورزقكم من الطيبات ذلكم الله ربكم فتبارك الله رب العالمين قال
تعالى الم نجعل الارض مهادا والجبال اوتادا الى ان قال وبنينا فوقكم سبعا شدادا
وجعلنا سراجا وهاجا وقال تعالى اولم ير الذين كفروا ان السموات والارض كانتا رتقا
ففتقناهما وجعلنا من الما كل شي حي افلا يومنون اي فصلنا ما بين السما والارض
حتى هبت الرياح ونزلت الامطار وجرت العيون والانهار وانتعش الحيوان ثم قال
وجعلنا السما سقفا محفوظا وهم عن اياتها معرضون اي عما خلق فيها من الكواكب
الثوابت والسيارات والنجوم الزاهرات والاجرام النيرات وما في ذلك من الدلالات
على حكمة خالق الارض والسموات كما قال تعالى وكاين من اية في السموات والارض يمرون
عليها وهم عنها معرضون وما يومن اكثرهم بالله الا وهم مشركون فاما قوله تعالى اانتم
اشد خلقا ام السما بناها رفع سمكها فسواها واغطش ليلها واخرج ضحاها والارض
بعد ذلك دحاها اخرج منها ماها ومرعاها والجبال ارساها متاعا لكم ولانعامكم فقد
تمسك بعض الناس بهذه الاية على تقدم خلق السما على خلق الارض فخالفوا صريح

الايتين المتقدمتين ولم يفهموا هذه الاية الكريمة فان مقتضى هذه الاية ان دحي الارض
واخراج الماء والمرعى منها بالفعل بعد خلق السما وقد كان ذلك مقدرا فيها بالقوة كما
قال تعالى وبارك فيها وقدر فيها اقواتها اي مهد اماكن الزرع ومواضع العيون والانهار
ثم لما اكمل خلق صورة العالم السفلي والعلوي دحا الارض فاخرج منها ما كان مودعا فيها
فخرجت العيون وجرت الانهار ونبتت الزروع والثمار ولهذا فسر الدحي باخراج الما والمرعى
منها وارسا الجبال فقال والارض بعد ذلك دحاها اخرج منها ماها ومرعاها وقوله
والجبال ارساها اي قررها في اماكنها التي وضعها فيها وثبتها واكدها واطدها وقوله
والسما بنيناها بايد وانا لموسعون والارض فرشناها فنعم الماهدون ومن كل شي خلقنا
زوجين لعلكم تذكرون بايد اي بقوة وانا لموسعون وذلك ان كل ما علا اتسع فكل سما
اعلى من التي تحتها فهي اوسع منها ولهذا كان الكرسي اعلا من السموات وهو اوسع منهن كلهن
والعرش اعظم من ذلك كله بكثير وقوله بعد هذا والارض فرشناها اي بسطناها وجعلناها
مهدا اي قارة ساكنة غير مضطربة ولا مايدة بكم ولهذا قال فنعم الماهدون والواو
لا تقتضي الترتيب في الوقوع وانما يقتضي الاخبار المطلق في اللغة والله اعلم وقال
البخاري ثنا عمر بن حفص بن غياث ثنا ابي ثنا الاعمش ثنا جامع بن شداد عن صفوان
ابن محرز انه حدثه عن عمران بن حصين قال دخلت على النبي صلى الله عليه وسلم وعقلت
ناقتي بالباب فاتاه ناس من بني تميم فقال اقبلوا البشرى يا بني تميم قالوا قد بشرتنا
فاعطنا مرتين ثم دخل عليه ناس من اليمن فقال اقبلوا البشرى يا اهل اليمن اذ لم يقبلها
بنو تميم قالوا قد قبلنا يا رسول الله قالوا جينا لنسالك عن هذا الامر قال كان الله
ولم يكن شي غيره وكان عرشه على الما وكتب في الذكر كل شي وخلق السموات والارض فنادى
مناد ذهبت ناقتك يا ابن الحصين فانطلقت فاذا هي تقطع دونها السراب فوالله
لوددت اني كنت تركتها هكذا رواه هاهنا وقد رواه في كتاب المغازي وكتاب التوحيد
وفي بعض الفاظه ثم خلق السموات والارض وهو لفظ النسائي ايضا وقال الامام احمد
حدثنا حجاج حدثني ابن جريج اخبرني اسماعيل بن امية عن ايوب بن خالد عن عبد الله بن رافع
مولى ام سلمة عن ابي هريرة قال اخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بيدي فقال خلق الله
التربة يوم السبت وخلق الجبال فيها يوم الاحد وخلق الشجر فيها يوم الاثنين وخلق
المكروه يوم الثلثا وخلق النور يوم الاربعا وبث الدواب يوم الخميس وخلق ادم بعد
العصر يوم الجمعة اخر الخلق في اخر ساعة من ساعات الجمعة فيما بين العصر الى الليل وهكذا
رواه مسلم عن سريج بن يونس وهرون بن عبد الله والنسائي عن هرون ويوسف بن سعيد
ثلاثتهم عن حجاج بن محمد المصيصي الاعور عن ابن جريج به مثله سوا وقد رواه النسائي
في التفسير عن ابراهيم بن يعقوب الجوزجاني عن محمد بن الصباح عن ابي عبيدة الحداد عن
الاخضر بن عجلان عن ابن جريج عن عطا بن ابي رباح عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم اخذ بيده فقال يا ابا هريرة ان الله خلق السموات والارض وما بينهما
في ستة ايام ثم استوى على العرش يوم السابع وخلق التربة يوم السبت وذكر تمامه بنحوه
فقد اختلف فيه على ابن جريج وقد تكلم في هذا الحديث علي بن المديني والبخاري والبيهقي
وغيرهم من الحفاظ قال البخاري في التاريخ وقال بعضهم عن كعب وهو اصح يعني ان هذا

الحديث مما سمعه ابو هريرة وتلقاه من كعب الاحبار فانهما كانا يصطحبان ويتجاذبان
الحديث فهذا يحدثه عن صحفه وهذا يحدثه بما يصدقه عن النبي صلى الله عليه وسلم فكان
هذا الحديث مما تلقاه ابو هريرة عن كعب عن صحفه فوهم بعض الرواة فجعله مرفوعا الى
النبي صلى الله عليه وسلم واكد رفعه بقوله اخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بيدي ثم
في متنه غرابة شديدة فمن ذلك انه ليس فيه ذكر خلق السموات وفيه ذكر خلق الارض
وما فيها في سبعة ايام وهذا خلاف القرآن لان الارض خلقت في اربعة ايام ثم خلقت
السموات في يومين من دخان وهو بخار الماء الذي ارتفع حين اضطرب الماء العظيم الذي
خلق من ربدة الارض بالقدرة العظيمة البالغة كما قال اسماعيل بن عبد الرحمن السدي
الكبير في خبر ذكره عن ابي مالك وعن ابي صالح عن ابن عباس وعن مرة الهمداني عن ابن مسعود
وعن ناس من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الذي خلق لكم ما في الارض جميعا ثم
استوى الى السماء فسواهن سبع سموات قال ان الله كان عرشه على الماء ولم يخلق شيئا مما
خلق قبل الماء فلما اراد ان يخلق الخلق اخرج من الماء دخانا فارتفع فوق الماء
فسما عليه فسماه سماء ثم ايبس الماء فجعله ارضا واحدة ثم فتقها فجعل سبع ارضين
في يومين الاحد والاثنين وخلق الارض على حوت وهو النون الذي قال الله تعالى ن
والقلم وما يسطرون والحوت في الماء والماء على صفاة والصفاة على ظهر ملك والملك
على صخرة والصخرة في الريح وهي الصخرة التي ذكر لقمان ليست في السماء ولا في الارض
فتحرك الحوت فاضطرب فتزلزلت الارض فارسى عليها الجبال فقرت فجعل الله يوم
الثلاثاء الجبال وما فيهن من المنافع وخلق يوم الاربعاء الشجر والماء والمداين والعمران
والخراب وفتق السماء وكانت رتقا فجعلها سبع سموات في يومين الخميس والجمعة
وانما سمي يوم الجمعة لانه جمع فيه خلق السموات والارض واوحى في كل سماء امرها قال
خلق في كل سماء خلقها من الملائكة والبحار وجبال البرد وما لا يعلمه غيره ثم
زين السماء بالكواكب فجعلها زينة وحفظا تحفظ من الشياطين فلما فرغ من خلق
ما احب استوى على العرش بهذا الاسناد يذكر به السدي اشياء كثيرة فيها غرابة وكان
كثير منها متلقى من الاسرائيليات فان كعب الاحبار لما اسلم في زمن عمر كان يتحدث بين
يدي عمر بن الخطاب رضي الله عنه باشياء من علوم اهل الكتاب فيستمع له عمر تاليفا له
وتعجبا مما عنده مما يوافق كثير منه الحق الذي ورد به الشرع المطهر فاستجاز كثير من الناس
نقل ما يورده كعب الاحبار لهذا ولما جاء من الاذن في التحديث عن بني اسرائيل لكن
كثيرا ما يقع فيما يرويه غلط كبير وخطا كثير وقد روى البخاري في صحيحه عن معاوية
انه كان يقول في كعب الاحبار وان كنا لنبلو عليه الكذب فيما ينقله لا انه يتعمد ذلك والله
اعلم ونحن نورد ما نورده من الذي يسوقه كثير من كبار الايمة المتقدمين عنهم ثم نتبع
ذلك من الاحاديث بما يشهد له بالصحة او يكذبه ويبقى الباقي مما لا يصدق ولا يكذب
وبالله المستعان وعليه التكلان قال البخاري ثنا قتيبة ثنا مغيرة بن عبد الرحمن
القرشي عن ابي الزناد عن الاعرج عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لما قضى الله الخلق كتب في كتابه فهو عنده فوق العرش ان رحمتي غلبت غضبي وكذا رواه
مسلم والنسائي عن قتيبة به ثم قال البخاري **باب** ما جاء في سبع ارضين

وقوله تعالى الله الذي خلق سبع سموات ومن الارض مثلهن يتنزل الامر بينهن لتعلموا ان
الله على كل شيء قدير وان الله قد احاط بكل شيء علما ثم قال حدثنا علي بن عبد الله ثنا
ابن علية عن علي بن المبارك ثنا يحيى بن ابي كثير عن محمد بن ابراهيم بن الحرث عن ابي سلمة بن
عبد الرحمن وكانت بينه وبين ناس خصومة في ارض فدخل على عايشة فذكر لها ذلك
فقالت يا ابا سلمة اجتنب الارض فان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من ظلم قيد
شبر طوقه من سبع ارضين ورواه ايضا في كتاب المظالم ومسلم من طرق عن يحيى بن ابي
كثير به ورواه احمد من حديث محمد بن ابراهيم عن ابي سلمة به ورواه ايضا عن يونس عن
ابان عن يحيى بن ابي كثير عن ابي سلمة عن عايشة بمثله ثم قال البخاري ثنا بشر بن محمد
ثنا عبد الله عن موسى بن عقبة عن سالم عن ابيه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
من اخذ شيئا من الارض بغير حقه خسف به يوم القيامة الى سبع ارضين ورواه في المظالم
ايضا عن مسلم بن ابراهيم عن عبد الله هو ابن المبارك عن موسى بن عقبة به وهو من افراده
وذكر البخاري ههنا حديث محمد بن سيرين عن عبد الرحمن بن ابي بكرة عن ابيه قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات
والارض السنة اثنا عشر شهرا الحديث ومراده والله اعلم تقرير قوله تعالى الله الذي
خلق سبع سموات ومن الارض مثلهن يعني في العدد كما ان عدة الشهور الان اثنا
عشر مطابقة لعدة الشهور عند الله في كتابه الاول فهذه مطابقة في الزمان كما
ان تلك مطابقة في المكان ثم قال البخاري ثنا عبيد بن اسماعيل ثنا ابو اسامة
عن هشام عن ابيه عن سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل انه خاصمته اروى في حق زعمت انه
انتقصه لها الى مروان فقال سعيد رضي الله عنه انا انتقص من حقها شيئا اشهد
لسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من اخذ شبرا من الارض ظلما فانه يطوقه
يوم القيمة من سبع ارضين ورواه   وقال الامام احمد ثنا حسن   بياض اصل
وابو سعيد مولى بني هاشم ثنا عبد الله بن لهيعة ثنا عبد الله بن ابي جعفر عن ابي عبد
الرحمن الحبلي عن ابن مسعود قال قلت اي الظلم اعظم قال ذراع من الارض ينتقصه
المرء المسلم من حق اخيه فليس حصاة من الارض ياخذها الا طوقها يوم القيامة الى قعر
الارض ولا يعلم قعرها الا الذي خلقها تفرد به احمد وهذا اسناد لا باس به وقال الامام
احمد ثنا عفان ثنا وهيب ثنا سهيل عن ابيه عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال من اخذ شبرا من الارض بغير حقه طوقه من سبع ارضين تفرد به من هذا الوجه وهو على شرط
مسلم وقال احمد ثنا يحيى عن ابن عجلان حدثني ابي عن ابي هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم
قال من اقتطع شبرا من الارض بغير حقه طوقه الى سبع ارضين تفرد به ايضا وهو على شرط
مسلم وقال احمد ايضا ثنا عفان ثنا ابو عوانة عن عمر بن ابي سلمة عن ابيه عن ابي هريرة
عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من اخذ من الارض شبرا بغير حقه طوقه من سبع ارضين تفرد
به ايضا وقد رواه الطبراني من حديث معاوية بن قرة عن ابن عباس مرفوعا مثله فهذه
الاحاديث كالمتواترة في اثبات سبع ارضين والمراد بذلك ان كل واحدة فوق الاخرى والتي
تحتها في وسطها عند اهل الهيئة حتى ينتهي الامر الى السابعة وهي صماء لا جوف لها وفي
وسطها المركز وهو نقطة مقدرة متوهمة وهو محط الاثقال اليه ينتهي ما يهبط من كل جانب

اختلفوا هل الارضين متراكمات او متباينات خلا
٩

اذ لم يبق وقد ساغ واختلفوا هل هن متراكمات بلا تفاصل او بين كل واحدة والتي تليها
خلا على قولين ومثل هذا الخلاف جار في الافلاك ايضا والظاهر ان بين كل واحدة منهن وبين
الاخرى مسافة لظاهر قوله تعالى الله الذي خلق سبع سموات ومن الارض مثلهن يتنزل الامر
بينهن الاية وقال الامام احمد ثنا شريح ثنا الحكم بن عبد الملك عن قتادة عن الحسن
عن ابي هريرة قال بينا نحن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ مرت سحابة فقال
اتدرون ما هذه قال قلنا الله ورسوله اعلم قال العنان وزوايا الارض تسوقه الى من
لا يشكرونه من عباده ولا يدعونه اتدرون ما هذه فوقكم قلنا الله ورسوله اعلم قال
الرقيع موج مكفوف وسقف محفوظ اتدرون كم بينكم وبينها قلنا الله ورسوله اعلم
قال مسيرة خمسمائة سنة ثم قال اتدرون ما الذي فوقها قلنا الله ورسوله اعلم
قال مسيرة خمسمائة عام حتى عد سبع سموات ثم قال اتدرون ما فوق ذلك قلنا الله
ورسوله اعلم قال العرش اتدرون كم بينه وبين السماء السابعة قلنا الله ورسوله اعلم
قال مسيرة خمسمائة عام ثم قال اتدرون ما هذه تحتكم قلنا الله ورسوله اعلم قال
ارض تدرون ما تحتها قلنا الله ورسوله اعلم قال ارض اخرى اتدرون كم بينهما
قلنا الله ورسوله اعلم قال مسيرة سبعمائة عام حتى عد سبع ارضين ثم قال وايم الله
لو دليتم احدكم الى الارض السفلى السابعة لهبط ثم قرا هو الاول والاخر والظاهر
والباطن وهو بكل شي عليم ورواه الترمذي عن عبد بن حميد وغير واحد عن يونس
بن محمد المودب عن شيبان بن عبد الرحمن عن قتادة قال حدث الحسن عن ابي هريرة وذكر
الا انه ذكر ان بعد ما بين كل ارضين خمسمائة عام وذكر في اخره كلمة ذكرناها عند تفسير
هذه الاية من سورة الحديد ثم قال الترمذي هذا حديث غريب من هذا الوجه ويروى
عن ايوب ويونس بن عبيد وعلي بن زيد انهم قالوا لم يسمع الحسن من ابي هريرة ورواه
ابو محمد عبد الرحمن بن ابي حاتم في تفسيره من حديث ابي جعفر الرازي عن قتادة عن الحسن
عن ابي هريرة فذكر مثل لفظ الترمذي سوا بدون الزيادة في اخره ورواه ابن جرير
في تفسيره عن بشر عن يزيد عن سعيد بن ابي عروبة عن قتادة مرسلا وقد يكون هذا
اشبه والله اعلم ورواه الحافظ ابو بكر البزار والبيهقي من حديث ابي ذر الغفاري
عن النبي صلى الله عليه وسلم ولكن لا يصح اسناده والله اعلم وقد تقدم عند صفة العرش
في حديث الاوعال ما يخالف هذا في ارتفاع العرش عن السماء السابعة وما يشهد له وفيه
وبعد ما بين كل سماءين خمسمائة عام وكثفها اي سمكها خمسمائة عام واما ما ذهب اليه
بعض المتكلمين على حديث طوقه من سبع ارضين انها سبعة اقاليم فهو قول يخالف ظاهر
الاية والحديث الصحيح وصريح كثير من الفاظه مما يعتمد من الحديث الذي اوردناه من طريق
الحسن عن ابي هريرة ثم انه حمل الحديث والاية على خلاف ظاهرهما بلا مستند ولا دليل والله
اعلم وهكذا ما يذكره كثير من اهل الكتاب وتلقاه عنهم طايفة من علماينا من ان هذه الارض
من تراب والتي تحتها من حديد والاخرى من حجارة من كبريت والاخرى من كذا فكل هذا اذا لم يخبر
ويصح سنده الى معصوم فهو مردود على قايله وهكذا الاثر المروي عن ابن عباس انه قال في كل
ارض من الخلق مثل ما في هذه حتى ادم كادمكم وابراهيم كابراهيمكم فهذا ذكره ابن جرير مختصرا
واستقصاه البيهقي في الاسماء والصفات وهو محمول ان صح نقله عنه على انه اخذه ابن عباس

رضي الله عنه عن الاسرائيليات والله اعلم وقال الامام احمد ثنا يزيد ثنا العوام بن
حوشب عن سليمان بن ابي سليمان عن انس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم قال
لما خلق الله الارض جعلت تميد فخلق الجبال فالقاها عليها فاستقرت فتعجبت الملايكة
من خلق الجبال فقالت يا رب هل من خلقك شي اشد من الجبال قال نعم الحديد قالت يا رب
فهل من خلقك شي اشد من الحديد قال نعم النار قال نعم الريح قالت يا رب فهل من خلقك
شي اشد من الريح قال نعم ابن ادم يتصدق بيمينه يخفيها من شماله تفرد به احمد وقد ذكر اصحاب
الهيية اعداد جبال الارض في ساير بقاعها غربا وشرقا وذكروا طولها وبعد امتدادها
وارتفاعها واوسعوا القول في ذلك بما يطول شرحه هاهنا وقد قال الله تعالى ومن الجبال
جدد بيض وحمر مختلف الوانها وغرابيب سود قال ابن عباس وغير واحد الجدد الطرايق
وقال عكرمة وغيره الغرابيب الجبال الطوال السود وهذا هو المشاهد من الجبال في ساير
الارض تختلف باختلاف بقاعها والوانها وقد ذكر الله تعالى في كتابه الجودي على التعيين
وهو جبل عظيم شرقي جزيرة ابن عمر الى جانب دجلة عند الموصل امتداده من الجنوب الى
الشمال مسيرة ثلاثة ايام وارتفاعه مسيرة نصف يوم وهو اخضر لان فيه شجر من البلوط
والى جانبه قرية يقال لها قرية الثمانين لسكنى الذين نجوا في السفينة مع نوح عليه السلام
في موضعها فيما ذكره غير واحد من المفسرين والله اعلم وذكر تعالى طور سينا

فصل في البحار والانهار

قال الله تعالى وهو الذي سخر البحر لتاكلوا منه لحما طريا وتستخرجوا منه
حلية تلبسونها وترى الفلك مواخر فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون والقى في الارض
رواسي ان تميد بكم وانهارا وسبلا لعلكم تهتدون وعلامات وبالنجم هم يهتدون افمن يخلق
كمن لا يخلق افلا تذكرون وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها ان الله لغفور رحيم وقال
تعالى وما يستوي البحران هذا عذب فرات سايغ شرابه وهذا ملح اجاج ومن كل تاكلون لحما
طريا وتستخرجون حلية تلبسونها وترى الفلك فيه مواخر لتبتغوا من فضله ولعلكم
تشكرون وقال تعالى وهو الذي مرج البحرين هذا عذب فرات وهذا ملح اجاج وجعل بينهما
برزخا وحجرا محجورا وقال تعالى مرج البحرين يلتقيان بينهما برزخ لا يبغيان فالمراد
بالبحرين البحر الملح المر وهو الاجاج والبحر العذب هو هذه الانهار السارحة بين اقطار
الامصار لمصالح العباد قاله ابن جريج وغير واحد من الايمة وقال تعالى ومن اياته الجوار
في البحر كالاعلام ان يشا يسكن الريح فيظللن رواكد على ظهره ان في ذلك لايات لكل صبار
شكور او يوبقهن بما كسبوا ويعف عن كثير وقال تعالى الم تر ان الفلك تجري في البحر
بنعمة الله ليريكم من اياته ان في ذلك لايات لكل صبار شكور واذا غشيهم موج كالظلل
دعوا الله مخلصين له الدين فلما نجاهم الى البر فمنهم مقتصد وما يجحد باياتنا الا كل ختار
كفور وقال تعالى ان في خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار والفلك التي تجري
في البحر بما ينفع الناس وما انزل الله من السماء من ماء فاحيا به الارض بعد موتها وبث فيها
من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والارض لايات لقوم يعقلون فامتن
تعالى على عباده بما خلق لهم من البحار والانهار فالبحر المحيط بساير ارجاء الارض وما ينبث
منه في جوانبها الجميع مالح الطعم مر وفي هذا حكمة عظيمة لصحة الهوا اذ لو كان حلوا لانتن
الجو وفسد الهوا بسبب ما يموت فيه من الحيوانات فكان يودي الى تفاني بني ادم ولكن اقتضت

الحكمة لنا لعلنا ان نكون على هذه الصفة لهذه المصلحة ولهذا لما سئل رسول الله صلى
الله عليه وسلم عن البحر قال هو الطهور ماؤه الحل ميتته واما الانهار فمنها ما هو عذب
فرات سائغ شرابها لمن اراده لكن جعلها جارية سارحة ينبعها تعالى في ارض ويسوقها
الى اخرى رزقا للعباد ومنها كبار ومنها صغار بحسب الحاجة والمصلحة وقد تكلم اصحاب
علم الهيئة والتسيير على تعداد البحار والانهار الكبار واصولها ومنابعها والى اين ينتهي
سيرها بكلام فيه حكم ودلالات على قدرة الخالق تعالى وانه فاعل بالاختيار والحكمة وقوله تعالى
والبحر المسجور فيه قولان احدهما ان المراد به البحر الذي تحت العرش المذكور في حديث الاوعال
وانه فوق السموات السبع بين اسفله واعلاه كما بين سماء الى سماء وهو الذي ينزل منه المطر
قبل البعث فتحيى منه الاجساد في قبورها وهذا القول هو اختيار الربيع بن انس والثاني
ان البحر اسم جنس يعم سائر البحار التي في الارض وهو قول الجمهور واختلفوا في معنى المسجور
فقيل المملوء وقيل الذي يصير يوم القيامة نارا تأجج فيحيط باهل الموقف
كما ذكرناه في التفسير عن علي وابن عباس وسعيد بن جبير وابن مجاهد وغيرهم وقيل المراد به
الممنوع المكفوف المحروس عن ان يطغى فيغمر الارض ومن عليها فيغرقوا رواه الوالبي
عن ابن عباس وهو قول السدي وغيره ويؤيده الحديث الذي رواه الامام احمد ثنا يزيد
ثنا العوام حدثني شيخ كان مرابطا بالساحل قال لقيت ابا صالح مولى عمر بن الخطاب
فقال حدثنا عمر بن الخطاب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ليس من ليلة الا
والبحر يشرف فيها ثلاث مرات يستأذن الله عز وجل ان ينفضح عليهم فيكفه الله عز وجل
ورواه اسحاق بن راهويه عن يزيد بن هارون عن العوام بن حوشب حدثني شيخ مرابط
قال خرجت ليلة لمحرسي لم يخرج احد من الحرس غيري فاتيت الميناء فصعدت فجعل يخيل
الي ان البحر يشرف يحاذي برؤوس الجبال فعل ذلك مرارا وانا مستيقظ فلقيت ابا صالح
فقال حدثنا عمر بن الخطاب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما من ليلة الا والبحر
يشرف ثلاث مرات يستأذن الله ان ينفضح عليهم فيكفه الله عز وجل في اسناده رجل مبهم
والله اعلم ومن نعمه تعالى على عباده ان كف شر البحر ان يطغى عليهم وسخره لهم يحمل
مراكبهم ليبلغوا عليها الى الاقاليم النائية بالتجارات وغيرها وهداهم فيه بما خلقه
في السماء والارض من النجوم والجبال التي جعلها لهم علامات يهتدون بها في سيرهم وبما
خلق لهم فيه من اللآلئ والجواهر النفيسة العزيزة الحسنة الثمينة التي لا توجد الا فيه
وبما خلق فيه من الدواب الغريبة واحلها لهم حتى ميتتها كما قال تعالى احل لكم صيد البحر وطعامه
وقال النبي صلى الله عليه وسلم هو الطهور ماؤه الحل ميتته وفي الحديث الاخر احلت
لنا ميتتان ودمان السمك والجراد والكبد والطحال رواه احمد وابن ماجه وفي اسناده
نظر وقد قال الحافظ ابو بكر البزار في مسنده وجدت في كتابي عن محمد بن معاوية
البغدادي ثنا عبد الرحمن بن عبد الله بن عمر عن سهيل بن ابي صالح عن ابيه عن ابي هريرة
رفعه قال كلم الله هذا البحر الغربي وكلم البحر الشرقي فقال للغربي اني حامل فيك عبادا
من عبادي فكيف انت صانع بهم قال اغرقهم قال بأسك في نواحيك وحرمه الحلية والصيد
وكلم هذا البحر الشرقي فقال اني حامل فيك عبادا من عبادي فما انت صانع بهم قال احملهم
على يدي واكون لهم كالوالدة لولدها فاثابه الحلية والصيد ثم قال لا نعلم احدا رواه

عن سهيل الا عبد الرحمن بن عبد الله بن عمر وهو منكر الحديث قال وقد رواه سهيل عن
عبد الرحمن بن ابي عياش عن عبد الله بن عمرو موقوفا قلت الموقوف على عبد الله بن عمرو
بن العاص اشبه فانه قد كان وجد يوم اليرموك زاملتين مملوءتين كتبا من علوم
اهل الكتاب فكان يحدث منهما اشياء كثيرة من الاسرائيليات منها المعروف والمشهور
والمنكور والمردود واما المرفوع فتفرد به عبد الرحمن بن عبد الله بن عمر بن حفص بن عاصم
ابن عمر بن الخطاب ابو القاسم المدني قاضيها قال فيه الامام احمد ليس بشيء قد سمعت منه
ثم مزقت حديثه كان كذابا واحاديثه مناكير وكذا ضعفه ابن معين وابو زرعة وابو حاتم
والجوزجاني والبخاري وابو داود والنسائي وقال ابن عدي عامة حديثه مناكير وافظعها
حديث البحر قال علماء التسيير المتكلمون على العروض والاطوال والبحار والانهار والجبال
والمساحات وما في الارض من المدن والخراب والعمارات والاقاليم السبعة الحقيقية في
اصطلاحهم والاقاليم المتعددة العرفية وما في البلدان والاقاليم من الخواص والنباتات
وما يوجد في كل قطر من صنوف المعادن والتجارات قالوا الارض مغمورة بالماء العظيم
الا مقدار الربع منها وهو تسعون درجة والعناية الالهية اقتضت انحسار الماء عن هذا
القدر منها لتعيش الحيوانات عليها وتنبت الزرع والثمار منها كما قال تعالى والارض
وضعها للانام فيها فاكهة والنخل ذات الاكمام والحب ذو العصف والريحان فباي آلاء ربكما
تكذبان قالوا والمعمور من هذا البادي منها قريب الثلثين منه او اكثر قليلا وهو خمس وستون
درجة قالوا فالبحر المحيط الغربي ويقال له اوقيانوس وهو الذي يتاخم بلاد المغرب وفيه
الجزائر الخالدات وبينها وبين ساحله عشر درج مسافة شهر تقريبا وهو بحر لا يمكن سلوكه ولا
ركوبه لكثرة موجه واغتلامه وما فيه من الرياح والامواج وليس فيه صيد ولا يستخرج
منه شيء ولا يسافر فيه لمتجر ولا لغيره وهو آخذ في ناحية الجنوب حتى يسامت الجبال القمر ويقال
جبال القمر التي منها اصل منبع نيل مصر ويتجاوز خط الاستواء ثم يمتد شرقا ويصير جنوبي
الارض وفيه هناك الجزائر الزابج وعلى سواحله خراب كثير ثم يمتد شرقا وشمالا حتى يتصل
ببحر الصين والهند ثم يمتد شرقا حتى يسامت نهاية الارض الشرقية المكشوفة وهناك
بلاد الصين ثم ينعطف في شرقي الصين الى جهة الشمال حتى يجاوز بلاد الصين ويسامت
سد ياجوج وماجوج ثم ينعطف ويستدير على اراض غير معلومة الاحوال ثم يمتد مغربا في شمالي
الارض ويسامت بلاد الروس ويتجاوزها ويعطف مغربا وجنوبا ويستدير على الارض ويعود
الى جهة الغرب وينبثق من الغربي الى متن الارض الزقاق الذي ينتهي اقصاه الى اطراف
الشام من الغرب ثم ياخذ في بلاد الروم حتى يتصل بالقسطنطينية وغيرها من بلادهم
وينبعث من المحيط الشرقي بحار اخر فيها جزائر كثيرة حتى انه يقال ان في بحر الهند الف
جزيرة وسبعمائة جزيرة فيها مدن وعمارات سوى الجزائر العاطلة ويقال لهذا البحر
الاخضر فشرقيه بحر الصين وغربيه بحر اليمن وشماليه بحر الهند وجنوبيه غير معلوم وذكروا
ان بين بحر الهند وبحر الصين جبالا فاصلة بينهما وفيها فجاج يسلك المراكب بينها يسرها
لهم الذي خلقها كما جعل مثلها في البر ايضا قال الله تعالى وجعلنا في الارض رواسي ان تميد بهم
وجعلنا فيها فجاجا سبلا لعلهم يهتدون وقد ذكر بطليموس احد ملوك الهند في كتابه المسمى
بالمجسطي الذي عرب في زمان المأمون وهو اصل هذه العلوم ان البحار المتفرعة من المحيط

الغربي والشرقي والجنوبي والشمالي كثيرة جدا ومنها ما هو واحد ولكن يسمى بحسب البلاد
المتاخمة له فمن ذلك بحر القلزم والقلزم قرية على ساحله قريب من ايلة وبحر فارس وبحر
الخزر وبحر ورنك وبحر الروم وبحر بنطس وهو بحر الازرق مدينة على ساحله وهو بحر
القرم ايضا ويتضايق حتى يصب في بحر الروم عند جنوبي القسطنطينية وهو الخليج
القسطنطيني ولهذا تسرع المراكب في سيرها من القرم الى بحر الروم وتبطى اذا جاءت من
الاسكندرية الى القرم لاستقبالها جريان الماء وهذا من العجائب في الدنيا فان كل ما جار
فهو حلو الا هذا وكل بحر راكد فهو ملح اجاج الا ما يذكر عن بحر الخزر وهو بحر جرجان وبحر
طبرستان ان فيه قطعة كبيرة ماء حلوا فراتا على ما اخبر به المسافرون عنه قال
اهل الهيئة وهو بحر مستدير الشكل الى الطول ما هو وقيل انه مثلث كالقلع وليس هو
متصل بشيء من البحر المحيط بل منفرد وحده طوله ثمانمائة ميل وعرضه ستمائة وقيل اكثر من
ذلك والله اعلم ومن ذلك البحر الذي يخرج منه المد والجزر عند البصرة وفي بلاد المغرب
نظيره ايضا يتزايد الماء من اول الشهر ولا يزال في زيادة الى تمام الليلة الرابعة عشرة
منه وهو المد ثم يشرع في النقص وهو الجزر الى اخر الشهر وقد ذكروا تحديد هذه البحار
ومسافاتها ومنتهاها وذكروا ما في الارض من البحيرات المجتمعة من الانهار وغيرها من السيول وهي
البطائح وذكروا ما في الارض من الانهار المشهورة الكبار وذكروا ابتداءها وانتهاءها ولسنا
بصدد بسط ذلك والتطويل فيه وانما نتكلم على ما يتعلق بالانهار الوارد ذكرها في الحديث
وقد قال الله تعالى الله الذي خلق السموات والارض وانزل من السماء ماء فاخرج به من الثمرات
رزقا لكم وسخر لكم الفلك لتجري في البحر بامره وسخر لكم الانهار وسخر لكم الشمس والقمر دائبين
وسخر لكم الليل والنهار واتاكم من كل ما سالتموه وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها ان الانسان
لظلوم كفار ففي الصحيحين من طريق قتادة عن انس عن مالك بن صعصعة ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم لما ذكر سدرة المنتهى قال فاذا يخرج من اصلها نهران باطنان ونهران
ظاهران فاما الباطنان ففي الجنة واما الظاهران فالنيل والفرات وفي لفظ في البخاري
وعنصرهما اي مادتهما او شكلهما وعلى صفتهما ونعتهما وليس في الدنيا مما في الجنة الا الاسماء
وفي صحيح مسلم من حديث عبيد الله بن عمر عن خبيب بن عبد الرحمن عن حفص بن عاصم عن
ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال سيحان وجيحان والفرات والنيل كل من
انهار الجنة وقال الامام احمد حدثنا ابن نمير ويزيد انا محمد بن عمرو عن ابي سلمة عن ابي
هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فجرت اربعة انهار من الجنة الفرات والنيل
وسيحان وجيحان وهذا اسناد صحيح على شرط مسلم وكان المراد والله اعلم من هذا ان هذه
الانهار تشبه انهار الجنة في صفائها وعذوبتها وجريانها ومن جنس تلك في هذه الصفات
ونحوها كما قال في الحديث الاخر الذي رواه الترمذي وصححه من طريق سعيد بن عامر عن محمد
ابن عمرو عن ابي سلمة عن ابي هريرة ان رسول الله قال العجوة من الجنة وفيها شفاء من السم
اي تشبه ثمر الجنة لا انها مجتناة من الجنة فان الحس يشهد بخلاف ذلك فتعين ان المراد
غيره وكذا قوله صلى الله عليه وسلم الحمى من فيح جهنم فابردوها بالماء وكذا قوله اذا اشتد
الحر فابردوا عن الصلاة فان شدة الحر من فيح جهنم وهكذا هذه الانهار اصل منبعها مشاهد
من الارض اما النيل وهو النهر الذي ليس في انهار الدنيا له نظير في خفته ولطافته وبعد مسراه

فيما بين مبتداه الى منتهاه ومبتداه من الجبال القمر اي البيض ومنهم من يقول جبال القمر
بالاضافة الى الكوكب وهي غربي الارض وراء خط الاستواء الى الجانب الجنوبي ويقال انها حمر
ينبع من بينها عيون ثم يجتمع من عشر مسيلات متباعدة ثم يجتمع كل خمسة منها في بحيرة
ثم يخرج منها انهار ستة ثم يجتمع كلها في بحيرة اخرى ثم يخرج منها نهر واحد هو النيل فيمر على بلاد
السودان بالحبشة ثم على النوبة ومدينتها العظمى دنقلة ثم على اسوان ثم يفد على ديار مصر
وقد تحمل اليها من بلاد الحبشة زيادات امطارها واجترف من ترابها وهي محتاجة اليهما معا لان
مطرها قليل لا يكفي زروعها واشجارها وتربتها رمال لا تنبت شيا حتى يجي النيل بزيادته وطينه
فينبت فيه ما يحتاجون اليه وهي من احق الاراضي بدخولها في قوله تعالى اولم يروا انا نسوق
الماء الى الارض الجرز فنخرج به زرعا تاكل منه انعامهم وانفسهم افلا يبصرون ثم يجاوز النيل مصر
قليلا فيفترق شطرين عند قرية على شاطئه يقال لها شطنوف فيمر الغربي منه على رشيد ويصب
في البحر المالح واما الشرقي فيفترق ايضا عند جوجر فرقتين تمر الغربية منهما على دمياط من
غربيها ويصب في البحر والشرقي منهما يمر على اشموم طناح فيصب هناك في بحيرة شرقي دمياط
يقال لها بحيرة تنيس وبحيرة دمياط وهذا بعد عظيم فيما بين مبتداه الى منتهاه ولهذا كان
الطف المياه قال ابن سينا له خصوصيات دون سائر مياه الارض فمنها انه ابعدها مسافة
من مجراه الى اقصاه ومنها انه يجري على صخور ورمال ليس فيه خز ولا طحلب ولا وحل ومنها
انه لا يخضر فيه حجر ولا حصاة وما ذاك الا لصحة مزاجه وحلاوته ولطافته ومنها ان زيادته
في ايام نقصان سائر الانهار ونقصانه في ايام زيادتها وكثرتها واما ما يذكره بعضهم من ان اصل
منبع النيل من مكان مرتفع اطلع عليه بعض الناس فرای هناك هولا عظيما وجواري حسانا
واشياء غريبة وان الذي اطلع على ذلك لا يمكنه الكلام بعد هذا فهو من خرافات المورخين
وهذيانات الافاكين وقد قال عبد الله بن لهيعة عن قيس بن الحجاج عمن حدثه قال
لما فتحت مصر اتى اهلها عمرو بن العاص حين دخل بؤونة من اشهر العجم فقالوا ايها الامير ان
لنيلنا هذا سنة لا يجري الا بها قال وما ذاك قالوا اذا كانت ثنتي عشرة ليلة خلت من
هذا الشهر عمدنا الى جارية بكر بين ابويها فارضينا ابويها وجعلنا عليها من الحلي والثياب
افضل ما يكون ثم القيناها في هذا النيل فقال لهم عمرو ان هذا لا يكون في الاسلام ان الاسلام
يهدم ما كان قبله فاقاموا بؤونة والنيل لا يجري لا قليلا ولا كثيرا وفي رواية فاقاموا بؤونة
وابيب ومسرى وهو لا يجري حتى هموا بالجلا فكتب عمرو الى عمر بن الخطاب بذلك فكتب اليه انك
قد اصبت بالذي فعلت واني قد بعثت اليك ببطاقة داخل كتابي هذا فالقها في النيل
فلما قدم كتابه اخذ عمرو البطاقة ففتحها فاذا فيها من عبد الله عمر امير المومنين الى نيل اهل
مصر اما بعد فان كنت انما تجري من قبلك فلا تجر وان كان الله الواحد القهار هو الذي يجريك
فنسال الله ان يجريك قال فالقى البطاقة في النيل فاصبحوا يوم السبت وقد اجرى الله النيل
ستة عشر ذراعا في ليلة واحدة وقطع الله تلك السنة عن اهل مصر الى اليوم واما الفرات
فاصلها من شمالي ارزن الروم فتمر الى قرب ملطية ثم تمر على شميساط ثم على البيرة قبليها
ثم تشرق الى بالس وقلعة جعبر ثم الرقة ثم الى الرحبة شماليها ثم الى عانة ثم الى هيت ثم
الى الكوفة ثم تخرج الى فضاء العراق وتصب في بطائح كبار اي بحيرات وترد اليها ويخرج منها
انهار كبار معروفة واما سيحان ويقال له سيحون ايضا فاوله من بلاد الروم ويجري من

الشمال والغرب الى الجنوب والشرق وهو غير مجرى جيحان ودونه في القدر وهو ببلاد الارض
التي تعرف اليوم ببلاد سيس وقد كانت في اول الدولة الاسلامية في ايدي المسلمين فلما تغلب
الفاطميون على الديار المصرية وملكوا الشام واعمالها عجزوا عن صونها عن الاعدا فتغلب
التقفور الارمني على هذه البلاد اعني بلاد سيس في حدود الثلثمائة والى يومنا هذا والله
المسئول عودها الينا بحوله وقوته ثم يجتمع سيحان وجيحان عند اذنه فيصيران نهرا واحدا
ثم يصبان في بحر الروم بين اياس وطرسوس واما جيحان ويقال له جيحون ايضا وتسميه
العامة جاهان واصله في بلاد الروم ويسير في بلاد سيس من الشمال الى الجنوب وهو يقارب
الفرات في القدر ثم يجتمع هو وسيحان عند اذنه فيصيران نهرا واحدا ثم يصبان في البحر
عند اياس وطرسوس والله اعلم **فصل** قال الله تعالى الله الذي رفع السموات
بغير عمد ترونها ثم استوى على العرش وسخر الشمس والقمر كل يجري لاجل مسمى يدبر الامر يفصل
الايات لعلكم بلقاء ربكم توقنون وهو الذي مد الارض وجعل فيها رواسي وانهارا ومن كل الثمرات
جعل فيها زوجين اثنين يغشي الليل النهار ان في ذلك لايات لقوم يتفكرون وفي الارض
قطع متجاورات وجنات من اعناب وزرع ونخيل صنوان وغير صنوان تسقى بماء واحد ونفضل
بعضها على بعض في الاكل ان في ذلك لايات لقوم يعقلون وقال تعالى امن خلق السموات
والارض وانزل لكم من السماء ماء فانبتنا به حدائق ذات بهجة ما كان لكم ان تنبتوا شجرها االه
مع الله بل هم قوم يعدلون امن جعل الارض قرارا وجعل خلالها انهارا وجعل لها رواسي وجعل
بين البحرين حاجزا االه مع الله بل اكثرهم لا يعلمون وقال تعالى هو الذي انزل من السماء ماء لكم
منه شراب ومنه شجر فيه تسيمون ينبت لكم به الزرع والزيتون والنخيل والاعناب ومن كل
الثمرات ان في ذلك لاية لقوم يتفكرون وسخر لكم الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم مسخرات
بامره ان في ذلك لاية لقوم يذكرون فذكر تعالى ما خلق في الارض من الجبال والاشجار والثمار
والسهول والاوعار وما خلق من صنوف المخلوقات من الجمادات والحيوانات في البر والقفار
والبر والبحار ما يدل على عظمته وقدرته وحكمته ورحمته بخلقه وما سهل لكل دابة من الرزق
الذي هي محتاجة اليه في ليلها ونهارها وصيفها وشتائها وصباحها ومسائها كما قال تعالى
وما من دابة في الارض الا على الله رزقها ويعلم مستقرها ومستودعها كل في كتاب مبين وقد
روى الحافظ ابو يعلى عن محمد بن المثنى عن عبيد بن واقد عن محمد بن عيسى بن كيسان عن محمد بن
المنكدر عن جابر عن عمر بن الخطاب قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول خلق الله
الف امة منها ستمائة في البحر واربعمائة في البر واول شي يهلك من هذه الامم الجراد فاذا
هلك تتابعت مثل النظام اذا قطع سلكه عبيد بن واقد ابو عباد البصري ضعفه ابو حاتم
وقال ابن عدي عامة ما يرويه لا يتابع عليه وشيخه اضعف منه قال الفلاس والبخاري
منكر الحديث وقال ابو زرعة لا ينبغي ان يحدث عنه وضعفه ابن حبان والدارقطني وانكر عليه
ابن عدي هذا الحديث بعينه وغيره والله اعلم وقال تعالى وما من دابة في الارض ولا طائر
يطير بجناحيه الا امم امثالكم ما فرطنا في الكتاب من شيء ثم الى ربهم يحشرون

باب ذكر ما يتعلق بخلق السموات وما فيهن من الايات

قد قدمنا ان خلق الارض قبل خلق السماء كما قال تعالى هو الذي خلق لكم ما في الارض
جميعا ثم استوى الى السماء فسواهن سبع سموات وهو بكل شيء عليم وقال تعالى قل ائنكم لتكفرون

بالذي خلق الارض في يومين وتجعلون له اندادا ذلك رب العالمين وجعل فيها رواسي من
فوقها وبارك فيها وقدر فيها اقواتها في اربعة ايام سواء للسائلين ثم استوى الى السماء
وهي دخان فقال لها وللارض ائتيا طوعا او كرها قالتا اتينا طائعين فقضاهن سبع
سموات في يومين واوحى في كل سماء امرها وزينا السماء الدنيا بمصابيح وحفظا ذلك
تقدير العزيز العليم وقال تعالى ءانتم اشد خلقا ام السماء بناها رفع سمكها فسواها
واغطش ليلها واخرج ضحاها والارض بعد ذلك دحاها بان الدحي غير الخلق وهو بعد خلق
السماء وقال تعالى تبارك الذي بيده الملك وهو على كل شيء قدير الذي خلق الموت
والحياة ليبلوكم ايكم احسن عملا وهو العزيز الغفور الذي خلق سبع سموات طباقا ما ترى
في خلق الرحمن من تفاوت فارجع البصر هل ترى من فطور ثم ارجع البصر كرتين ينقلب
اليك البصر خاسئا وهو حسير ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوما
للشياطين واعتدنا لهم عذاب السعير وقال تعالى وبنينا فوقكم سبعا شدادا وجعلنا
سراجا وهاجا وانزلنا من المعصرات وقال تعالى الم تروا كيف خلق الله سبع سموات طباقا
وجعل القمر فيهن نورا وجعل الشمس سراجا وقال تعالى الله الذي خلق سبع سموات ومن
الارض مثلهن يتنزل الامر بينهن لتعلموا ان الله على كل شيء قدير وان الله قد احاط بكل شيء علما
وقال تعالى تبارك الذي جعل في السماء بروجا وجعل فيها سراجا وقمرا منيرا وهو الذي
جعل الليل والنهار خلفة لمن اراد ان يذكر او اراد شكورا وقال تعالى انا زينا السماء الدنيا
بزينة الكواكب وحفظا من كل شيطان مارد لا يسمعون الى الملا الاعلى ويقذفون
من كل جانب دحورا ولهم عذاب واصب الا من خطف الخطفة فاتبعه شهاب ثاقب وقال
ولقد جعلنا في السماء بروجا وزيناها للناظرين وحفظناها من كل شيطان رجيم الا من
استرق السمع فاتبعه شهاب مبين وقال تعالى والسماء بنيناها بايد وانا لموسعون
وقال تعالى وجعلنا السماء سقفا محفوظا وهم عن اياتها معرضون وهو الذي خلق
الليل والنهار والشمس والقمر كل في فلك يسبحون وقال تعالى واية لهم الليل نسلخ
منه النهار فاذا هم مظلمون والشمس تجري لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم والقمر
قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم لا الشمس ينبغي لها ان تدرك القمر ولا الليل
سابق النهار وكل في فلك يسبحون وقال تعالى فالق الاصباح وجاعل الليل سكنا
والشمس والقمر حسبانا ذلك تقدير العزيز العليم وهو الذي جعل لكم النجوم لتهتدوا بها
في ظلمات البر والبحر قد فصلنا الايات لقوم يعلمون وقال تعالى ان ربكم الله الذي
خلق السموات والارض في ستة ايام ثم استوى على العرش يغشي الليل النهار يطلبه حثيثا
والشمس والقمر والنجوم مسخرات بامره الا له الخلق والامر تبارك الله رب العالمين والايات
في هذا كثيرة جدا وقد تكلمنا على كل منها في التفسير والمقصود انه تعالى يخبر عن خلق السموات
وعظمة اتساعها وارتفاعها وانها في غاية الحسن والبهاء والكمال والسناء كما قال
والسماء ذات الحبك اي الخلق الحسن وقال فارجع البصر هل ترى من فطور ثم ارجع البصر
كرتين ينقلب اليك البصر خاسئا وهو حسير اي خاسئا عن ان يرى فيها نقصا او خللا
وهو حسير اي كليل ضعيف ولو نظر حتى يعيى ويكل ويضعف لما اطلع على نقص فيها ولا
عيب لانه تعالى قد احكم خلقها وزينها بالكواكب فيها كما قال والسماء ذات البروج

اي النجوم وقيل محال الحرس التي يرمى منها بالشهب لمسترقي السمع ولا منافاة بين القولين
وقال تعالى ولقد جعلنا في السما بروجا وزيناها للناظرين وحفظناها من كل شيطان
رجيم فذكر انه زين منظرها بالكواكب الثوابت والسيارات الشمس والقمر والنجوم
الزاهرات وانه صان حوزتها عن حلول الشياطين بها وهذا زينة معنوية فقال
وحفظناها من كل شيطان رجيم كما قال انا زينا السما الدنيا بزينة الكواكب وحفظا من
كل شيطان مارد لا يسمعون الى الملا الاعلى قال البخاري في كتاب بدء الخلق قال قتادة
ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح خلق هذه النجوم الثلاث جعلها زينة للسماء
ورجوما للشياطين وعلامات يهتدى بها فمن تاولها بغير ذلك فقد اخطا واضاع
نصيبه وتكلف ما لا علم له به وهذا الذي قاله قتادة مصرح به في قوله ولقد زينا
السما الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوما للشياطين وقال تعالى وهو الذي جعل
لكم النجوم لتهتدوا بها في ظلمات البر والبحر فمن تكلف غير هذه الثلاث اي من علم احكام
ما يدل عليه حركاتها ومقارباتها في سيرها وان ذلك يدل على حوادث ارضية فقد اخطا
وذلك ان اكثر كلامهم في هذا الباب ليس فيه الا حدس وظنون كاذبة ودعاوى باطلة
وذكر تعالى انه خلق سبع سموات طباقا اي واحدة فوق واحدة واختلف اصحاب الهيئة
هل هن متراكمات او متفاصلات بينهن خلا على قولين والصحيح الثاني لما قدمنا من
حديث عبد الله بن عميرة عن الاحنف عن العباس في حديث الاوعال ان رسول الله قال
اتدرون كم بين السما والارض قلنا الله ورسوله اعلم قال بينهما مسيرة خمسماية عام
ومن كل سما الى سما خمسماية سنة وكثف كل سما خمسماية سنة الحديث بتمامه رواه احمد
وابو داود وابن ماجه والترمذي وحسنه وفي الصحيحين من حديث انس في حديث
الاسرا قال فيه فوجد في السما الدنيا آدم فقال له جبريل هذا ابوك آدم فسلم عليه
فرد عليه السلام وقال مرحبا واهلا بابني نعم الابن انت الى ان قال ثم عرج الى السما
الثانية وكذا ذكر في الثالثة والرابعة والخامسة والسادسة والسابعة فدل على
التفاصل بينها لقوله ثم عرج بنا حتى اتينا السما الثانية فاستفتح فقيل من هذا
الحديث وهذا يدل على ما قلناه والله اعلم وقد حكى ابن حزم وابن المنادي وابو الفرج
ابن الجوزي وغير واحد من العلماء الاجماع على ان السموات كرة مستديرة واستدل على
ذلك بقوله كل في فلك يسبحون قال الحسن يدورون وقال ابن عباس في فلكة مثل
فلكة المغزل قالوا ويدل على ذلك ان الشمس تغرب كل ليلة من المغرب ثم تطلع في
آخرها من المشرق كما قال امية بن ابي الصلت

والشمس تبدو كل آخر ليلة • حمراء يصبح لونها يتورد
تأبى فما تبدو لنا في رسلها • الا معذبة والا تجلد

فاما الحديث الذي رواه البخاري حيث قال حدثنا محمد بن يوسف ثنا سفيان عن
الاعمش عن ابراهيم التيمي عن ابيه عن ابي ذر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لابي
ذر حين غربت الشمس تدري اين تذهب قلت الله ورسوله اعلم قال فانها تذهب حتى
تسجد تحت العرش فتستاذن فيؤذن لها ويوشك ان تسجد فلا يقبل منها وتستاذن
فلا يؤذن لها ويقال لها ارجعي من حيث جئت فتطلع من مغربها فذلك قوله والشمس

تجري لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم هذا لفظه في بدء الخلق ورواه في التفسير
وفي التوحيد من حديث الاعمش ايضا ورواه مسلم في الايمان من طريق الاعمش ومن طريق
يونس بن عبيد وابو داود من طريق الحكم بن عتيبة كلهم عن ابراهيم بن يزيد بن شريك عن
ابيه عن ابي ذر به نحوه وقال الترمذي حسن صحيح اذا علم هذا فانه حديث لا يعارض
ما ذكرناه من استدارة الافلاك التي هي السموات على اشهر القولين ولا يدل على كرية
العرش كما زعمه زاعمون قد ابطلنا قولهم فيما سلف ولا يدل على انها تصعد الى فوق السموات
من جهتنا حتى تسجد تحت العرش بل هي تغرب عن اعيننا وهي مستمرة في فلكها الذي هي
فيه وهو الرابع فيما قاله غير واحد من علما التسيير وليس في الشرع ما ينفيه بل في الحس
وهو الكسوفات ما يدل عليه ويقتضيه فاذا ذهبت فيه حتى تتوسط وهو وقت نصف
الليل مثلا في اعتدال الزمان بحيث يكون بين القطبين الجنوبي والشمالي فانها تكون
ابعد ما يكون من العرش لانه مقبب من جهة وجه العالم وهذا محل سجودها كما يناسبها كما انها
اقرب ما يكون من العرش وقت الزوال من جهتنا فاذا كانت في محل سجودها استاذنت الرب
جل جلاله في طلوعها من المشرق فيؤذن لها فتبدو من جهة المشرق وهي مع ذلك كارهة
لعصاة بني آدم ان تطلع عليهم ولهذا قال امية

تأبى فما تبدو لنا في رسلها • الا معذبة والا تجلد

فاذا كان الوقت الذي يريد الله طلوعها من جهة مغربها تسجد على عادتها وتستاذن
في الطلوع من عادتها فلا يؤذن لها فجا انها تسجد ايضا ثم تستاذن فلا يؤذن لها
٩ لعله بينهما
ثم تسجد فلا يؤذن لها٩ وتطول تلك الليلة كما ذكرنا في التفسير فتقول يا رب ان الفجر قد
اقترب وان المدى بعيد فيقال لها ارجعي من حيث جئت فتطلع من مغربها فاذا رآها
الناس آمنوا جميعا وذلك حين لا ينفع نفسا ايمانها لم تكن آمنت من قبل او كسبت في ايمانها
خيرا وفسروا بذلك قوله تعالى والشمس تجري لمستقر لها قيل لوقتها الذي تؤمر فيه
ان تطلع من مغربها وقيل مستقرها موضعها الذي تسجد فيه تحت العرش وقيل
منتهى سيرها وهو آخر الدنيا وعن ابن عباس انه قرا والشمس تجري لا مستقر لها اي
ليست تستقر فعلى هذا تسجد وهي سائرة ولهذا قال تعالى لا الشمس ينبغي لها
ان تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل في فلك يسبحون اي لا تدرك الشمس القمر
فتطلع في سلطانه ودولته ولا هو ايضا ولا الليل سابق النهار اي ليس سبقه بمسافة
يتاخر ذاك عنه فيها بل اذا ذهب الليل جا النهار في اثره متعقبا له واذا ذهب النهار
جا الليل في اثره متعقبا له كما قال في الاية الاخرى يغشي الليل النهار يطلبه حثيثا
والشمس والقمر والنجوم مسخرات بامره الا له الخلق والامر تبارك الله رب العالمين وقال
تعالى وهو الذي جعل الليل والنهار خلفة لمن اراد ان يذكر او اراد شكورا اي يخلف هذا
لهذا وهذا لهذا كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا اقبل الليل من هاهنا وادبر
النهار من هاهنا وغربت الشمس فقد افطر الصايم فالزمان المحقق ينقسم الى ليل
ونهار ليس بينهما غيرهما ولهذا قال تعالى يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل
وسخر الشمس والقمر كل يجري لاجل مسمى فيولج من هذا في هذا اي ياخذ من طول هذا في قصر
هذا فيعتدلان كما في اول فصل الربيع يكون الليل قبل ذلك طويلا والنهار قصيرا فلا يزال

الليل ينقص والنهار يتزايد حتى يعتدلا وهو اول الربيع ثم يشرع النهار يطول ويتزايد
والليل يتناقص الى اخر فصل الربيع ثم يتراجع الامر وينعكس الحال فيشرع النهار
يتناقص والليل في ازدياد حتى يعتدلا ايضا في اول فصل الخريف ثم يشرع الليل
يطول ويقصر النهار الى اخر فصل الخريف ثم يترجح النهار قليلا قليلا ويتناقص الليل
شيا فشيا حتى يعتدلا في اول فصل الربيع كما قدمنا وهكذا في كل عام ولهذا قال تعالى
وله اختلاف الليل والنهار اي هو المتصرف في ذلك كله الحاكم الذي لا يخالف ولا يمانع ولهذا
يقول في ثلاث ايات عند ذكر السموات والنجوم والليل والنهار ذلك تقدير العزيز
العليم اي العزيز الذي قد قهر كل شي ودان له كل شي فلا يمانع ولا يغالب العليم بكل شي
فقدر كل شي تقديرا على نظام لا يختلف ولا يضطرب وقد ثبت في الصحيحين من حديث
سفيان بن عيينة عن الزهري عن سعيد بن المسيب عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم قال الله يوذيني ابن ادم يسب الدهر وانا الدهر بيدي الامر اقلب الليل
والنهار وفي رواية وانا الدهر اقلب ليله ونهاره قال العلما كالشافعي وابي عبيد القسم
ابن سلام وغيرهما يسب الدهر اي يقول فعل بنا الدهر كذا يا خيبة الدهر ايتم الاولاد ارمل
النسا قال الله تعالى وانا الدهر اي انا الدهر الذي يعنيه فانه فاعل ذلك الذي
اسنده الى الدهر والدهر مخلوق وانما فعل هذا هو الله فهو يسب فاعل ذلك ويعتقده
الدهر والله هو الفاعل لذلك الخالق لكل شي المتصرف في كل شي كما قال وانا الدهر
بيدي الامر اقلب ليله ونهاره وكما قال تعالى قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من
تشا وتنزع الملك ممن تشا وتعز من تشا وتذل من تشا بيدك الخير انك على كل شي
قدير تولج الليل في النهار وتولج النهار في الليل وتخرج الحي من الميت وتخرج الميت من الحي
وترزق من تشا بغير حساب وقال تعالى هو الذي جعل الشمس ضيا والقمر نورا وقدره
منازل لتعلموا عدد السنين والحساب ما خلق الله ذلك الا بالحق يفصل الايات لقوم
يعلمون ان في اختلاف الليل والنهار وما خلق الله في السموات والارض لايات لقوم يتقون
اي فاوت بين الشمس والقمر في نورهما وفي شكلهما وفي وقتهما وفي سيرهما فجعل هذا ضيا
وهو شعاع الشمس برهان ساطع وضوء باهر والقمر نورا اي اضعف من برهان الشمس
وجعله مستفادا من ضوئها وقدره منازل اي يطلع اول ليلة من الشهر صغيرا ضئيلا قليل
النور لقربه من الشمس وقلة مقابلته لها فبقدر مقابلته لها يكون نوره ولهذا في الليلة
الثانية يكون ابعد منها بضعف ما كان في الليلة الاولى ثم يكون نوره بضعف النور
اول ليلة ثم كلما بعد ازداد نوره حتى يتكامل ابداره ليلة مقابلته اياها من المشرق
وذلك ليلة اربع عشرة من الشهر ثم يشرع في النقص لاقترابه اليها من الجهة الاخرى
الى اخر الشهر فيستتر حتى يعود كما بدا في اول الشهر الثاني فبه تعرف الشهور وبالشمس
تعرف الليالي والايام وبذلك تعرف السنين والاعوام ولهذا قال تعالى هو الذي جعل
الشمس ضيا والقمر نورا وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب وقال تعالى
وجعلنا الليل والنهار ايتين فمحونا اية الليل وجعلنا اية النهار مبصرة لتبتغوا فضلا
من ربكم ولتعلموا عدد السنين والحساب وكل شي فصلناه تفصيلا وقال تعالى يسالونك
عن الاهلة قل هي مواقيت للناس والحج وقد بسطنا القول على هذا كله في التفسير والكواكب

التي في السما منها سيارات وهي المتحيرة في اصطلاح علما التسيير وهو علم غالبه
صحيح فاما بخلاف علم الاحكام فان غالبه باطل ودعوى ما لا دليل عليه وهي سبعة القمر في سما
الدنيا وعطارد في الثانية والزهرة في الثالثة والشمس في الرابعة والمريخ في
الخامسة والمشتري في السادسة وزحل في السابعة وبقية الكواكب يسمونها الثوابت
وهي عندهم في الفلك الثامن وهو الكرسي في اصطلاح كثير من المتاخرين وقال اخرون
بل الكواكب كلها في السما الدنيا ولا مانع من كون بعضها فوق بعض وقد يستدل على هذا
بقوله تعالى ولقد زينا السما الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوما للشياطين وبقوله
فقضاهن سبع سموات في يومين واوحى في كل سما امرها وزينا السما الدنيا بمصابيح
وحفظا ذلك تقدير العزيز العليم فخص سما الدنيا من بينهن بزينة الكواكب فان
دل هذا على كونها مرصعة فيها فذاك والا فلا مانع مما قاله الاخرون والله اعلم وعندهم
ان الافلاك السبعة بل الثمانية تدور بما فيها من الكواكب الثوابت والسيارات تدور
على خلاف فلكه من المغرب الى المشرق فالقمر يقطع فلكه في شهر والشمس تقطع فلكها وهو
الرابع في سنة فاذا كان السيران ليس بينهما تفاوت وحركاتهما متقاربة كان قدر السما
الرابعة بقدر السما الدنيا ثنتي عشرة مرة وزحل يقطع فلكه وهو السابع في ثلاثين
سنة فعلى هذا يكون بقدر السما الدنيا ثلثمائة وستين مرة وقد تكلموا على مقادير
اجرام هذه الكواكب وسيرها وحركاتها وتوسعوا في هذه الاشيا حتى تعدوا الى علم الاحكام
وما يترتب على ذلك من الحوادث الارضية بما لا علم لكثير منهم به وقد كان اليونانيون الذين
كانوا يسكنون الشام قبل زمن المسيح عليه السلام بدهور لهم في هذا كلام كثير يطول
بسطه وهم الذين بنوا مدينة دمشق وجعلوا لها ابوابا سبعة وجعلوا على راس كل باب
هيكلا على صفة الكواكب السبعة يعبدون كل واحد في هيكله ويدعونه بدعا ذكره
عنهم غير واحد من اهل التواريخ وغيرهم وذكره صاحب السر المكتوم في مخاطبة الشمس
والقمر والنجوم وغيره من علما الحرانيين فلاسفة حران في قدم الزمان وقد كانوا مشركين
يعبدون الكواكب وهم طائفة من الصابئين ولهذا قال الله تعالى ومن اياته الليل
والنهار والشمس والقمر لا تسجدوا للشمس ولا للقمر واسجدوا لله الذي خلقهن ان كنتم
اياه تعبدون وقال تعالى اخبارا عن الهدهد انه قال لسليمان عليه السلام مخبرا
عن بلقيس وجنودها ملكة سبا في اليمن وما والاها اني وجدت امراة تملكهم واوتيت من
كل شي ولها عرش عظيم وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله وزين لهم
الشيطان اعمالهم فصدهم عن السبيل فهم لا يهتدون الا يسجدوا لله الذي يخرج الخبء
في السموات والارض ويعلم ما يخفون وما يعلنون الله لا اله الا هو رب العرش العظيم وقال
تعالى الم تر ان الله يسجد له من في السموات ومن في الارض والشمس والقمر والنجوم
والجبال والشجر والدواب وكثير من الناس وكثير حق عليه العذاب ومن يهن الله فما له من مكرم
ان الله يفعل ما يشا وقال تعالى اولم يروا الى ما خلق الله من شي يتفيؤ ظلاله عن اليمين
والشمايل سجدا لله وهم داخرون ولله يسجد ما في السموات وما في الارض من دابة والملايكة
وهم لا يستكبرون يخافون ربهم من فوقهم ويفعلون ما يؤمرون وقال تعالى ولله يسجد
من في السموات والارض طوعا وكرها وظلالهم بالغدو والاصال وقال تعالى تسبح له

السموات السبع والارض ومن فيهن وان من شيء الا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم
انه كان حليما غفورا والايات في هذا كثيرة جدا ولما كان اشرف الاجرام المشاهدة في السموات
والارض هي الكواكب واشرفهن منظرا واشرفهن معتبرا الشمس والقمر استدل الخليل على
بطلان الاهية شيء منهن وذلك في قوله تعالى فلما جن عليه الليل راى كوكبا قال هذا ربي
فلما افل قال لا احب الافلين اي الغائبين فلما راى القمر بازغا قال هذا ربي فلما افل
قال لئن لم يهدني ربي لاكونن من القوم الضالين فلما راى الشمس بازغة قال هذا
ربي هذا اكبر فلما افلت قال يا قوم اني بريء مما تشركون اني وجهت وجهي للذي فطر
السموات والارض حنيفا وما انا من المشركين فبين بطريق البرهان القطعي ان هذه الاجرام
المشاهدة من الكواكب والقمر والشمس لا يصلح شيء منها للالاهية لانها كلها مخلوقة
مربوبة مدبرة مسخرة في سيرها لا تحيد عما خلقت له ولا تزيغ عنه الا بتقدير متقن
محرر لا تضطرب ولا تختلف وذلك دليل على كونها مربوبة مصنوعة مسخرة مقهورة
ولهذا قال تعالى ومن اياته الليل والنهار والشمس والقمر لا تسجدوا للشمس ولا
للقمر واسجدوا لله الذي خلقهن ان كنتم اياه تعبدون وثبت في الصحيحين في صلاة
الكسوف من حديث ابن عمر وابن عباس وعايشة وغيرهم من الصحابة ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم قال في خطبته يومئذ ان الشمس والقمر ايتان من ايات الله عز وجل
وانهما لا ينكسفان لموت احد ولا لحياته وقال البخاري في بدء الخلق ثنا مسدد ثنا
عبد العزيز بن المختار ثنا عبد الله الداناج حدثني ابو سلمة عن ابي هريرة عن النبي صلى
الله عليه وسلم قال الشمس والقمر يكوران يوم القيمة تفرد به البخاري وقد رواه
الحافظ ابو بكر البزار باسط من هذا السياق فقال حدثنا ابراهيم بن زياد البغدادي
ثنا يونس بن محمد ثنا عبد العزيز بن المختار عن عبد الله الداناج سمعت ابا سلمة عبد
الرحمن بن خالد بن عبد الله القسري في هذا المسجد مسجد الكوفة وجا الحسن فجلس اليه
فحدث قال حدثنا ابو هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الشمس والقمر
ثوران في النار يوم القيمة فقال الحسن وما ذنبهما فقال احدثك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
وتقول وما ذنبهما ثم قال البزار لا يروى عن ابي هريرة الا من هذا الوجه ولم يرو عبد الله الداناج
عن ابي سلمة سوى هذا الحديث وروى الحافظ ابو يعلى الموصلي من طريق يزيد الرقاشي
وهو ضعيف عن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الشمس والقمر ثوران عقيران
في النار وقال ابن ابي حاتم ثنا ابو سعيد الاشج وعمرو بن عبد الله الازدي ثنا ابو اسامة
عن مجالد عن شيخ من بجيلة عن ابن عباس اذا الشمس كورت قال يكور الله الشمس والقمر
والنجوم يوم القيمة في البحر ويبعث الله ريحا دبورا فتضرمها نارا فدلت هذه الاثار على
ان الشمس والقمر من مخلوقات الله خلقهما الله لما اراد ثم يفعل فيهما ما يشا وله الحجة
الدامغة والحكمة البالغة فلا يسال عما يفعل لعلمه وحكمته وقدرته ومشيئته النافذة وحكمه
الذي لا يرد ولا يمانع ولا يغالب وما احسن ما اورده الامام محمد بن اسحاق بن يسار في كتاب
السيرة من الشعر لزيد بن عمرو بن نفيل في خلق السما والارض والشمس والقمر وغير ذلك
قال ابن هشام هي لامية بن ابي الصلت

الى الله اهدي مدحتي وثنائيا * وقولا رصينا لا يني الدهر باقيا
الى الملك الاعلى الذي ليس فوقه * اله ولا رب يكون مدانيا
الا ايها الانسان اياك والردى * فانك لا تخفي من الله خافيا
واياك لا تجعل مع الله غيره * فان سبيل الرشد اصبح باديا
حنانيك ان الجن كانت رجاءهم * وانت الهي ربنا ورجائيا
رضيت بك اللهم ربا فلن ارى * ادين الها غيرك الله ثانيا
وانت الذي من فضل من ورحمة * بعثت الى موسى رسولا مناديا
فقلت له اذهب وهارون فادعوا * الى الله فرعون الذي كان طاغيا
وقولا له ءانت سويت هذه * بلا وتد حتى اطمانت كما هيا
وقولا له ءانت رفعت هذه * بلا عمد ارفق اذا بك بانيا
وقولا له ءانت سويت وسطها * منيرا اذا ما جنه الليل هاديا
وقولا له من يرسل الشمس غدوة * فيصبح ما مست من الارض ضاحيا
وقولا له من ينبت الحب في الثرى * فيصبح منه البقل يهتز رابيا
ويخرج منه حبه في رءوسه * وفي ذاك ايات لمن كان واعيا
وانت بفضل منك نجيت يونسا * وقد بات في اضعاف حوت لياليا
واني وان سبحت باسمك ربنا * لاكثر الا ما غفرت خطائيا
فرب العباد الق سيبا ورحمة * علي وبارك في بني وماليا

فاذا علم هذا فالكواكب التي في السما من الثوابت والسيارات الجميع مخلوقة خلقها
الله تعالى كما قال واوحى في كل سما امرها وزينا السما الدنيا بمصابيح وحفظا ذلك
تقدير العزيز العليم واما ما يذكره كثير من المفسرين في قصة هاروت وماروت من ان الزهرة
كانت امراة فراوداها على نفسها فابت الا ان يعلماها الاسم الاعظم فعلماها فقالته
فرفعت كوكبا الى السما فهذا اظنه من وضع الاسرائيليين وان كان قد اخرجه كعب الاحبار
وتلقاه عنه طائفة من السلف فذكروه على سبيل الحكاية والتحديث عن بني اسرائيل وقد روى
الامام احمد وابن حبان في صحيحه في ذلك حديثا رواه احمد عن يحيى بن بكير عن زهير
ابن محمد عن موسى بن جبير عن نافع عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم وذكر القصة بطولها
وفيه فمثلت لهما الزهرة امراة من احسن البشر فجاءتهما فسالاها نفسها وذكر القصة وقد
رواه عبد الرزاق في تفسيره عن الثوري عن موسى بن عقبة عن سالم عن كعب الاحبار به وهذا
اصح واثبت وقد روى الحاكم في مستدركه وابن ابي حاتم في تفسيره عن ابن عباس فذكره وقال
فيه وفي ذلك الزمان امراة حسنها في النسا كحسن الزهرة في سائر الكواكب وذكر تمامه
وهذا احسن لفظ روي في هذه القصة والله اعلم وهكذا الحديث الذي رواه الحافظ ابو
بكر البزار حدثنا محمد بن عبد الملك الواسطي حدثنا يزيد بن هارون ثنا مبشر بن عبيد
عن زيد بن اسلم عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم ح وحدثنا عمرو بن عيسى ثنا عبد الاعلى
ثنا ابراهيم بن يزيد عن عمرو بن دينار عن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر سهيلا
فقال كان عشارا ظلوما فمسخه الله شهابا ثم قال لم يروه عن زيد بن اسلم الا مبشر
بن عبيد وهو ضعيف الحديث ولا عن عمرو بن دينار الا ابراهيم بن يزيد وهو لين الحديث وانما
ذكرناه على ما فيه من علة لانا لم نحفظه الا من هذين الوجهين فاما مبشر بن عبيد

الرسعى ابو حفص الحمصي واصله من الكوفة فقد ضعفه الجميع وقال فيه الامام احمد والدارقطني كان يضع الحديث ويكذب واما ابراهيم بن يزيد فهو الجوزي وهو ضعيف باتفاقهم قال فيه احمد والنسائي متروك وقال ابن معين ليس بثقة ليس بشيء وقال البخاري سكتوا عنه وقال ابو حاتم وابو زرعة منكر الحديث ضعيف ومثل هذا الاسناد لا يثبت به شيء بالكلية واذا احسنا الظن قلنا هذا من اخبار بني اسرائيل كما تقدم من رواية ابن عمر عن كعب الاحبار ويكون من خرافاتهم التي لا يعول عليها والله اعلم

الكلام على المجرة وقوس قزح

قال ابو القسم الطبراني ثنا علي بن عبد العزيز ثنا عارم ابو النعمان ثنا ابو عوانة عن ابي بشر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس ان هرقل كتب الى معاوية وقال ان كان بقي فيهم شيء من النبوة فسيخبرني عما اسالهم عنه قال فكتب اليه يساله عن المجرة وعن القوس وعن البقعة لم تصبها الشمس الا ساعة واحدة قال فلما اتى معاوية الكتاب والرسول قال ان هذا الشيء ما كنت آبه له ان اسال عنه الى يومي هذا من لهذا قيل ابن عباس فطوى معاوية كتاب هرقل فبعث به الى ابن عباس فكتب اليه ان القوس امان لاهل الارض من الغرق والمجرة باب السماء الذي ينشق منه واما البقعة التي لم تصبها الشمس الا ساعة من النهار فالبحر الذي افرج عن بني اسرائيل وهذا اسناد صحيح الى ابن عباس رضي الله عنه فاما الحديث الذي رواه الطبراني حدثنا ابو الزنباع روح بن الفرج ثنا ابراهيم بن مخلد ثنا الفضل بن المختار عن محمد بن مسلم الطايفي عن ابن ابي نجيح عن مجاهد عن جابر بن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا معاذ اني مرسلك الى قوم اهل كتاب فاذا سئلت عن المجرة التي في السما فقل هي لعاب حية تحت العرش فانه حديث منكر جدا بل الاشبه انه موضوع وراويه الفضل بن المختار هذا ابو سهل البصري ثم انتقل الى مصر فقال فيه ابو حاتم الرازي هو مجهول تحدث بالاباطيل وقال الحافظ ابو الفتح الازدي منكر الحديث جدا وقال ابن عدي لا يتابع على احاديثه لا متنا ولا اسنادا وقال الله تعالى هو الذي يريكم البرق خوفا وطمعا وينشئ السحاب الثقال ويسبح الرعد بحمده والملائكة من خيفته ويرسل الصواعق فيصيب بها من يشاء وهم يجادلون في الله وهو شديد المحال وقال تعالى ان في خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس وما انزل الله من السما من ما فاحيى به الارض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السما والارض لايات لقوم يعقلون وروى الامام احمد عن يزيد بن هارون عن ابراهيم بن سعد عن ابيه عن شيخ من بني غفار قال سمعت رسول الله يقول ان الله ينشئ السحاب فينطق احسن النطق ويضحك احسن الضحك وروى موسى بن عبيدة عن سعد بن ابراهيم انه قال نطقه الرعد وضحكه البرق وقال ابن ابي حاتم ثنا ابي ثنا هشام عن عبيد الله الرازي عن محمد بن مسلم قال بلغنا ان البرق ملك له اربعة وجوه وجه انسان ووجه ثور ووجه نسر ووجه اسد فاذا مصع بذنبه فذاك البرق وقد روى الامام احمد والترمذي والنسائي والبخاري في كتاب الادب والحاكم في مستدركه من حديث الحجاج بن ارطاة حدثني ابو مطر عن سالم عن ابيه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا سمع الرعد والصواعق قال اللهم لا تقتلنا بغضبك ولا تهلكنا بعذابك وعافنا قبل ذلك وروى ابن جرير من حديث ليث عن رجل عن ابي هريرة رفعه كان اذا سمع الرعد قال سبحان من يسبح الرعد بحمده وعن علي انه كان يقول سبحان من سبحت له وكذا عن ابن

عباس والاسود بن يزيد وطاوس وغيرهم وروينا عن عبد الله بن عمرو انه كان اذا سمع الرعد ترك الحديث وقال سبحان من يسبح الرعد بحمده والملائكة من خيفته ويقول ان هذا وعيد شديد لاهل الارض وروى الامام احمد عن ابي هريرة ان رسول الله قال قال ربكم لو ان عبيدي اطاعوني لاسقيتهم المطر بالليل واطلعت عليهم الشمس بالنهار ولما اسمعتهم صوت الرعد وروى الطبراني عن ابن عباس مرفوعا اذا سمعتم الرعد فاذكروا الله فانه لا يصيب ذاكرا وكل هذا مبسوط في التفسير ولله الحمد والمنة

باب ذكر الملائكة خلقهم وصفاتهم عليهم السلام

قال الله تعالى وقالوا اتخذ الرحمن ولدا سبحانه بل عباد مكرمون لا يسبقونه بالقول وهم بامره يعملون يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم ولا يشفعون الا لمن ارتضى وهم من خشيته مشفقون ومن يقل منهم اني اله من دونه فذلك نجزيه جهنم كذلك نجزي الظالمين وقال تعالى تكاد السموات يتفطرن من فوقهن والملائكة يسبحون بحمد ربهم ويستغفرون لمن في الارض الا ان الله هو الغفور الرحيم وقال تعالى الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم ويؤمنون به ويستغفرون للذين امنوا ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلما فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك وقهم عذاب الجحيم ربنا وادخلهم جنات عدن التي وعدتهم ومن صلح من ابائهم وازواجهم وذرياتهم انك انت العزيز الحكيم وقال تعالى فان استكبروا فالذين عند ربك يسبحون له بالليل والنهار وهم لا يسامون وقال تعالى وله من في السموات والارض ومن عنده لا يستكبرون عن عبادته ولا يستحسرون يسبحون الليل والنهار لا يفترون وقال تعالى وما منا الا له مقام معلوم وانا لنحن الصافون وانا لنحن المسبحون وقال تعالى وما نتنزل الا بامر ربك له ما بين ايدينا وما خلفنا وما بين ذلك وما كان ربك نسيا وقال تعالى وان عليكم لحافظين كراما كاتبين يعلمون ما تفعلون وقال تعالى وما يعلم جنود ربك الا هو وقال تعالى والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار الحمد لله فاطر السموات جاعل الملائكة رسلا اولي اجنحة مثنى وثلاث ورباع يزيد في الخلق ما يشاء ان الله على كل شيء قدير وقال تعالى ويوم تشقق السما بالغمام ونزل الملائكة تنزيلا الملك يومئذ الحق للرحمن وكان يوما على الكافرين عسيرا وقال الذين لا يرجون لقانا لولا انزل علينا الملائكة او نرى ربنا لقد استكبروا في انفسهم وعتوا عتوا كبيرا يوم يرون الملائكة لا بشرى يومئذ للمجرمين ويقولون حجرا محجورا وقال تعالى من كان عدوا لله وملائكته ورسله وجبريل وميكال فان الله عدو للكافرين وقال تعالى يا ايها الذين امنوا قوا انفسكم واهليكم نارا وقودها الناس والحجارة عليها ملائكة غلاظ شداد لا يعصون الله ما امرهم ويفعلون ما يؤمرون والايات في ذكر الملائكة كثيرة جدا يصفهم تعالى بالقوة في العبادة وفي الخلق وحسن المنظر وعظمة الاشكال وقوة التشكل في الصور المتعددة كما قال تعالى ولما جاءت رسلنا لوطا سيء بهم وضاق بهم ذرعا وقال هذا يوم عصيب وجاءه قومه يهرعون اليه ومن قبل كانوا يعملون السيات الايات تذكرنا في التفسير ما ذكره غير واحد من العلما ان الملائكة تبدوا لهم في صورة شباب حسان امتحانا واختبارا حتى قامت على قوم لوط الحجة واخذهم الله اخذ عزيز مقتدر وكذلك كان جبريل ياتي الى النبي صلى الله عليه وسلم في صفات متعددة فتارة

يأتي في صورة دحية بن خليفة الكلبي وتارة في صورة أعرابي وتارة في صورته التي خلق عليها
له ستمائة جناح ما بين كل جناحين كما بين المشرق والمغرب كما رآه على هذه الصفة مرتين
مرة منهبطا من السماء إلى الأرض وتارة عند سدرة المنتهى عندها جنة المأوى وهو قوله
تعالى علمه شديد القوى ذو مرة فاستوى وهو بالأفق الأعلى ثم دنا فتدلى أي جبريل كما ذكرناه
عن غير واحد من الصحابة منهم ابن مسعود وأبو هريرة وأبو ذر وعائشة فكان قاب قوسين
أو أدنى فأوحى إلى عبده ما أوحى أي إلى عبد الله محمد صلى الله عليه وسلم ثم قال ولقد رآه
نزلة أخرى عند سدرة المنتهى عندها جنة المأوى إذ يغشى السدرة ما يغشى ما زاغ البصر
وما طغى وقد ذكرنا في أحاديث الإسراء في سورة سبحان أن سدرة المنتهى في السماء السابعة
وفي رواية في السادسة أي أصلها وفروعها في السابعة فلما غشيها من أمر الله ما غشيها
قيل غشيها نور الرب جل جلاله وقيل غشيها فراش من ذهب وقيل غشيها ألوان متعددة
كثيرة غير منحصرة وقيل غشيها الملائكة مثل الغربان وقيل غشيها من الله أمر فلا
يستطيع أحد أن ينعتها أي من حسنها وبهائها ولا منافاة بين هذه الأقوال إذ الجميع
ممكن حصوله في حال واحدة وذكرنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ثم رفعت لي
سدرة المنتهى فإذا نبقها كالقلال وفي رواية كقلال هجر وإذا ورقها كآذان الفيلة
وإذا يخرج من أصلها نهران باطنان ونهران ظاهران فأما الباطنان ففي الجنة وأما
الظاهران فالنيل والفرات وتقدم الكلام على هذا عند ذكر خلق الأرض وما فيها من البحار والأنهار
وفيه ثم رفع لي البيت المعمور وإذا هو يدخله في كل يوم سبعون ألف ملك ثم لا يعودون إليه
آخر ما عليهم وذكرنا أنه وجد إبراهيم الخليل عليه السلام مسندا ظهره إلى البيت المعمور وذكرنا وجه
المناسبة في هذا أن البيت المعمور هو في السماء السابعة بمنزلة الكعبة في الأرض وقد
روى سفيان الثوري وشعبة وأبو الأحوص عن سماك بن حرب عن خالد بن عرعرة أن ابن الكواء سأل
علي بن أبي طالب عن البيت المعمور فقال هو مسجد في السماء يقال له الضراح وهو بحيال الكعبة
من فوقها حرمته في السماء كحرمة البيت في الأرض يصلي فيه كل يوم سبعون ألفا من الملائكة لا يعودون
إليه أبدا وهكذا روى علي بن ربيعة وأبو الطفيل عن علي مثله وقال الطبراني ثنا الحسن بن
علوية القطان ثنا إسماعيل بن عيسى العطار ثنا إسحاق بن بشر أبو حذيفة ثنا ابن جريج عن
صفوان بن سليم عن كريب عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم البيت المعمور
في السماء يقال له الضراح وهو على مثل البيت الحرام بحياله لو سقط لسقط عليه يدخله
كل يوم سبعون ألف ملك ثم لا يرونه قط وإن له في السماء حرمة على قدر حرمة مكة يعني في الأرض
وهكذا قال العوفي عن ابن عباس ومجاهد وعكرمة والربيع بن أنس والسدي وغير واحد وقال
قتادة ذكر لنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يوما لأصحابه هل تدرون ما البيت
المعمور قالوا الله ورسوله أعلم قال فإنه مسجد في السماء بحيال الكعبة لو خر لخر عليها يصلي فيه
كل يوم سبعون ألف ملك إذا خرجوا منه لم يعودوا آخر ما عليهم وزعم الضحاك أنه تعمره طائفة
من الملائكة يقال لهم الجن من قبيلة إبليس لعنه الله كان يتولى سدنته وخدامته منهم والله
أعلم وقال آخرون في كل سماء بيت يعمره ملائكتها بالعبادة فيه ويفدون إليه بالنوبة
والبدل كما يعمر أهل الأرض البيت العتيق بالحج في كل عام والاعتمار في كل وقت والطواف والصلاة
في كل آن قال سعيد بن يحيى بن سعيد الأموي في أوائل كتابه المغازي ثنا أبو عبيد في حديث

مجاهد

مجاهد إن الحرم حرم مناه يعني قدره من السموات السبع وإنه رابع أربعة عشر بيتا في كل سماء
بيت وفي كل أرض بيت لو سقطت سقط بعضها على بعض ثم روي عن مجاهد قال مناه
أي مقابله وهو حرف مقصور ثم قال ثنا أبو معاوية ثنا الأعمش عن أبي سليمان مؤذن الحجاج
سمعت عبد الله بن عمرو يقول إن الحرم محرم في السموات السبع مقداره من الأرض وإن بيت
المقدس مقدس في السموات السبع مقداره من الأرض وكما قال بعض الشعراء

إن الذي سمك السماء بنى لنا • بيتا دعائمه أشد وأطول

واسم البيت الذي في السماء بيت العزة واسم الملك الذي هو مقدم الملائكة فيها إسماعيل
فعلى هذا يكون السبعون ألفا من الملائكة الذين يدخلون في كل يوم إلى البيت المعمور ثم
لا يعودون إليه آخر ما عليهم أي لا يحصل لهم نوبة فيه إلى آخر الدهر يكونون من سكان السماء
السابعة وحدها ولهذا قال تعالى وما يعلم جنود ربك إلا هو وقال الإمام أحمد ثنا أسود بن
عامر ثنا إسرائيل عن إبراهيم بن مهاجر عن مجاهد عن مورق عن أبي ذر قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم إني أرى ما لا ترون وأسمع ما لا تسمعون أطت السماء وحق لها أن تئط ما فيها
موضع أربع أصابع إلا عليه ملك ساجد لو علمتم ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا ولما تلذذتم
بالنساء على الفرشات ولخرجتم إلى الصعدات تجأرون إلى الله عز وجل فقال أبو ذر والله لوددت
أني شجرة تعضد ورواه الترمذي وابن ماجه من حديث إسرائيل وقال الترمذي حسن غريب
ويروى عن أبي ذر موقوفا وقال الحافظ أبو القاسم الطبراني ثنا حسين بن عرفة المصري
ثنا عروة بن مروان الرقي ثنا عبيد الله بن عمرو عن عبد الكريم بن مالك عن عطاء بن أبي رباح
عن جابر بن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما في السموات السبع موضع قدم
ولا شبر ولا كف إلا وفيه ملك قائم أو ملك ساجد أو ملك راكع فإذا كان يوم القيامة قالوا جميعا
ما عبدناك حق عبادتك إلا أنا لا نشرك بك شيئا فدل هذان الحديثان على أنه ما من موضع
في السموات السبع إلا وهو مشغول بالملائكة وهم في صنوف من العبادة منهم من هو قائم أبدا ومنهم
من هو راكع أبدا ومنهم من هو ساجد أبدا ومنهم من هو في صنوف أخر والله أعلم بها وهم دائبون في عبادتهم
وتسبيحهم وأذكارهم وأعمالهم التي أمرهم الله بها ولهم منازل عند ربهم كما قال تعالى وما منا إلا
له مقام معلوم وإنا لنحن الصافون وإنا لنحن المسبحون وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ألا تصفون كما تصف الملائكة عند ربها قالوا وكيف يصفون عند ربهم قال يكملون الصف
الأول ويتراصون في الصف وقال فضلنا على الناس بثلاث جعلت لنا الأرض مسجدا
وتربتها لنا طهورا وجعلت صفوفنا كصفوف الملائكة وكذلك يأتون يوم القيامة بين
يدي الرب جل جلاله صفوفا كما قال تعالى وجاء ربك والملك صفا صفا ويقفون صفوفا
بين يدي ربهم عز وجل يوم القيامة كما قال تعالى يوم يقوم الروح والملائكة صفا لا يتكلمون
إلا من أذن له الرحمن وقال صوابا والمراد بالروح ههنا بنو آدم قاله ابن عباس ومجاهد وأبو صالح
والأعمش وقيل جبريل قاله الشعبي وسعيد بن جبير والضحاك وقيل ملك يقال له الروح
بقدر جميع المخلوقات قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قوله يوم يقوم الروح قال هو
ملك من أعظم الملائكة خلقا وقال ابن جرير حدثني محمد بن خلف العسقلاني ثنا رواد
ابن الجراح عن أبي حمزة عن الشعبي عن علقمة عن ابن مسعود قال الروح في السماء الرابعة هو
أعظم من السموات والجبال ومن الملائكة يسبح كل يوم اثني عشر ألف تسبيحة يخلق الله من كل

والحسن وقتادة وقيل
صنف من الملائكة يشبهون
بني آدم في الشكل قاله
ابن عباس صح

تسبيحة ملك من الملائكة يجيء يوم القيامة صفا وحده وهذا غريب جدا وقال الطبراني ثنا
محمد بن عبد الله بن عرس المصري ثنا وهب الله بن رزق ابو هبيرة ثنا بشر بن بكر ثنا الاوزاعي
حدثني عطاء عن عبد الله بن عباس قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان لله
ملكا لو قيل له التقم السموات والارضين بلقمة واحدة لفعل تسبيحه سبحانك حيث كنت
وهذا ايضا حديث غريب جدا وقد يكون موقوفا وذكرنا في صفة حملة العرش عن جابر بن عبد
الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذن لي ان احدث عن ملك من ملائكة الله من
حملة العرش ان ما بين شحمة اذنه الى عاتقه مسيرة سبعمائة عام رواه ابو داود وابن ابي
حاتم ولفظه تخفق الطير سبعمائة عام وقد ورد في صفة جبريل عليه السلام امر عظيم قال
الله تعالى علمه شديد القوى قالوا كان من شدة قوته انه رفع مدائن قوم لوط وكن سبعا
بمن فيها من الامم وكانوا قريبا من اربعمائة الف وما معهم من الدواب والحيوانات وما لتلك
المدن من الاراضي والمعتملات والعمارات وغير ذلك رفع ذلك كله على طرف جناحه حتى
بلغ بهن عنان السماء حتى سمعت الملائكة نباح كلابهم وصياح ديكتهم ثم قلبها فجعل عاليها
سافلها فهذا هو شديد القوى وقوله ذو مرة اي خلق حسن وبهاء وسناء كما قال
في الاية الاخرى انه لقول رسول كريم اي جبريل رسول الله كريم اي حسن المنظر ذي قوة اي له قوة وبأس
شديد عند ذي العرش مكين اي له مكانة ومنزلة عالية رفيعة عند الله ذي العرش المجيد
مطاع ثم اي مطاع في الملا الاعلى امين اي ذو امانة عظيمة ولهذا كان هو السفير بين الله
وبين انبيائه عليهم السلام الذي ينزل عليهم بالوحي فيه الاخبار الصادقة والشرايع العادلة
وقد كان ياتي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وينزل عليه في صفات متعددة كما قدمنا وقد رآه
على صفته التي خلقه الله عليها مرتين له ستمائة جناح كما روى البخاري عن طلق بن غنام
عن زائدة عن الشيباني قال سالت زرا عن قوله فكان قاب قوسين او ادنى فاوحى الى عبده
ما اوحى قال حدثنا عبد الله يعني ابن مسعود ان محمدا صلى الله عليه وسلم راى جبريل له ستمائة
جناح وقال الامام احمد ثنا يحيى بن آدم ثنا شريك عن جامع بن ابي راشد عن ابي وايل عن عبد الله
قال راى رسول الله صلى الله عليه وسلم جبريل في صورته وله ستمائة جناح كل جناح منها قد
سد الافق يسقط من جناحه من التهاويل من الدر والياقوت ما الله به عليم وقال احمد
ايضا ثنا حسن بن موسى ثنا حماد بن سلمة عن عاصم بن بهدلة عن زر بن حبيش عن ابن مسعود
في هذه الاية ولقد رآه نزلة اخرى عند سدرة المنتهى قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم رايت جبريل وله ستمائة جناح ينتثر من ريشه التهاويل الدر والياقوت وقال
احمد ثنا زيد بن الحباب ثنا حسين حدثني عاصم بن بهدلة سمعت شقيق بن سلمة يقول
سمعت ابن مسعود يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رايت جبريل على السدرة المنتهى
وله ستمائة جناح فسالت عاصما عن الاجنحة فابى ان يخبرني قال فاخبرني بعض اصحابه
ان الجناح ما بين المشرق والمغرب وهذه اسانيد جيدة قوية انفرد بها احمد وقال احمد
ثنا زيد بن الحباب حدثني حسين حدثني حصين حدثني شقيق سمعت ابن مسعود قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اتاني جبريل في خضر تعلق به الدر اسناد صحيح
وقال ابن جرير ثنا ابن بزيع البغدادي ثنا اسحق بن منصور ثنا اسرائيل عن ابي اسحاق عن
عبد الرحمن بن يزيد عن عبد الله في قوله ما كذب الفؤاد ما راى قال راى رسول الله صلى الله

عليه وسلم جبريل عليه حلتا رفرف قد ملا ما بين السماء والارض اسناد جيد قوي وفي
الصحيحين من حديث عامر الشعبي عن مسروق قال كنت عند عائشة فقلت اليس
الله يقول ولقد رآه بالافق المبين ولقد رآه نزلة اخرى فقالت انا اول هذه الامة
سال رسول الله صلى الله عليه وسلم عنها فقال انما ذاك جبريل لم يره في صورته التي
خلق عليها الا مرتين رآه منهبطا من السماء الى الارض سادا عظم خلقه ما بين السماء
والارض وقال البخاري ثنا ابو نعيم ثنا عمر بن ذر ح وحدثني يحيى ثنا وكيع عن عمر بن ذر
عن ابيه عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لجبريل
الا تزورنا اكثر مما تزورنا فنزلت وما نتنزل الا بامر ربك الاية وروى البخاري من حديث
الزهري عن عبيد الله عن ابن عباس قال كان رسول الله اجود الناس وكان اجود ما يكون
في رمضان حين يلقاه جبريل وكان جبريل يلقاه في كل ليلة من رمضان فيدارسه القران
فلرسول الله صلى الله عليه وسلم اجود بالخير من الريح المرسلة وقال البخاري ثنا قتيبة
ثنا الليث عن ابن شهاب ان عمر بن عبد العزيز اخر العصر شيئا فقال له عروة اما ان
جبريل قد نزل فصلى امام رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عمر اعلم ما تقول يا عروة
قال سمعت بشير بن ابي مسعود يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول نزل
جبريل فامني فصليت معه ثم صليت معه ثم صليت معه ثم صليت معه ثم صليت معه
يحسب باصابعه خمس صلوات ومن صفة اسرافيل عليه السلام وهو احد حملة العرش
وهو الذي ينفخ في الصور بامر ربه نفخات ثلاثا اولاهن نفخة الفزع والثانية نفخة
الصعق والثالثة نفخة البعث كما سياتي بيانه في موضعه من كتابنا هذا بحول
الله وقوته وحسن توفيقه والصور قرن ينفخ فيه كل دارة منه كما بين السماء والارض
وفيه موضع ارواح العباد حين ياذن الله بالنفخ للبعث فاذا نفخ تخرج الارواح تتوهج
فيقول الرب جل جلاله وعزتي وجلالي لترجعن كل روح الى البدن الذي كانت تعمره في الدنيا
فتدخل على الاجساد في قبورها فتدب فيها كما يدب السم في اللديغ فتحيى الاجساد
وتنشق عنهم الاجداث فيخرجون منها سراعا الى مقام المحشر كما سياتي تفصيله
في موضعه ولهذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف انعم وصاحب القرن قد التقم
القرن وحنى جبهته وانتظر ان يؤذن له قالوا كيف نقول يا رسول الله قال قولوا
حسبنا الله ونعم الوكيل على الله توكلنا رواه احمد والترمذي من حديث عطية العوفي
عن ابي سعيد الخدري وقال الامام احمد ثنا ابو معاوية ثنا الاعمش عن سعد الطائي
عن عطية العوفي عن ابي سعيد قال ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم صاحب الصور فقال
عن يمينه جبريل وعن يساره ميكائيل عليهم السلام وقال الحافظ ابو القسم الطبراني
حدثنا محمد بن عبد الله الحضرمي ثنا محمد بن عمران بن ابي ليلى حدثني ابي عن ابن ابي ليلى عن
الحكم عن مقسم عن ابن عباس قال بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه جبريل يناجيه
اذ انشق افق السماء فاقبل اسرافيل يدنو من الارض ويتمايل فاذا ملك قد مثل بين يدي
النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا محمد ان الله يامرك ان تختار بين نبي عبد او ملك
نبي قال فاشار جبريل الي بيده ان تواضع فعرفت انه لي ناصح فقلت عبد نبي فعرج
ذلك الملك الى السماء فقلت يا جبريل قد كنت اردت ان اسألك عن هذا فرأيت من حالك

ما شغلني عن المسألة فمن هذا يا جبريل قال هذا اسرافيل عليه السلام خلقه الله يوم خلقه بين يديه صافا قدميه لا يرفع طرفه بينه وبين الرب سبعون نورا ما منها من نور يكاد يدنو منه الا احترق بين يديه لوح فاذا اذن الله في شيء من السماء او في الارض ارتفع ذلك اللوح فضرب جبهته فينظر فان كان من عملي امرني به وان كان من عمل ميكائيل امره به وان كان من عمل ملك الموت امره به قلت يا جبريل وعلى اي شيء انت قال على الريح والجنود قلت وعلى اي شيء ميكائيل قال على النبات والقطر قلت وعلى اي شيء ملك الموت قال على قبض الانفس وما ظننت انه نزل الا لقيام الساعة وما الذي رايت مني الا خوفا من قيام الساعة هذا حديث غريب من هذا الوجه وفي صحيح مسلم عن عائشة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا قام من الليل يصلي يقول اللهم رب جبريل وميكائيل واسرافيل فاطر السموات والارض عالم الغيب والشهادة انت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون اهدني لما اختلف فيه من الحق باذنك انك تهدي من تشاء الى صراط مستقيم وفي حديث الصور ان اسرافيل اول من يبعثه الله بعد الصعق لينفخ في الصور وذكر محمد بن الحسن النقاش ان اسرافيل اول من سجد من الملائكة فجوزي بولاية اللوح المحفوظ حكاه ابو القسم السهيلي في كتابه التعريف والاعلام بما ابهم في القران من الاعلام وقال تعالى من كان عدوا لله وملائكته ورسله وجبريل وميكال عطفهما على الملائكة لشرفهما فجبريل ملك عظيم قد تقدم ذكره واما ميكائيل فموكل بالقطر والنبات وهو ذو مكانة من ربه عز وجل ومن اشراف الملائكة المقربين وقد قال الامام احمد ثنا ابو اليمان ثنا ابن عياش عن عمارة بن غزية الانصاري انه سمع حميد بن عبيد مولى بني المعلى يقول سمعت ثابتا البناني يحدث عن انس بن مالك انه قال لجبريل ما لي لم ار ميكائيل ضاحكا قط فقال ما ضحك منذ خلقت النار فهؤلاء الملائكة المصرح بذكرهم في القران وفي الصحاح وهم المذكورون في الدعاء النبوي اللهم رب جبريل وميكائيل واسرافيل فجبريل ينزل بالهدى على الرسل لتبليغ الامم وميكائيل موكل بالقطر والنبات اللذين يخلق منهما الارزاق في هذه الدار وله اعوان يفعلون ما يامرهم به بامر ربه يصرفون الرياح والسحاب كما يشاء الرب جل جلاله وقد روينا انه ما من قطرة تنزل من السماء الا ومعها ملك يقررها في موضعها من الارض واسرافيل موكل بالنفخ في الصور للقيام من القبور والحضور يوم البعث والنشور ليفوز الشكور ويجازى الكفور فذاك ذنبه مغفور وسعيه مشكور وهذا قد صار عمله كالهباء المنثور وهو يدعو بالويل والثبور فجبريل عليه السلام يحصل بما نزل به الهدى وميكائيل يحصل بما هو موكل به الرزق واسرافيل يحصل بما هو موكل به النصر والجزاء واما ملك الموت فليس بمصرح باسمه في القران ولا في الاحاديث الصحاح وقد جاء تسميته في بعض الاثار بعزرائيل والله اعلم وقد قال تعالى قل يتوفاكم ملك الموت الذي وكل بكم ثم الى ربكم ترجعون وله اعوان يستخرجون روح العبد من جثته حتى تبلغ الحلقوم فيتناولها ملك الموت بيده فاذا اخذها لم يدعوها في يده طرفة عين حتى ياخذوها منه فيلفونها في اكفان تليق بها كما قد بسط عند قوله يثبت الله الذين امنوا بالقول الثابت في الحيوة الدنيا وفي الاخرة ثم يصعدون بها فان كانت صالحة فتحت لها ابواب السماء والا غلقت دونها والقي بها الى الارض قال

الله تعالى وهو القاهر فوق عباده ويرسل عليكم حفظة حتى اذا جاء احدكم الموت توفته رسلنا وهم لا يفرطون ثم ردوا الى الله مولاهم الحق الا له الحكم وهو اسرع الحاسبين وعن ابن عباس ومجاهد وغير واحد انهم قالوا ان الارض بين يدي الملك مثل الطست يتناول منها حيث يشاء وقد ذكرنا ان ملائكة الموت ياتون الانسان على حسب عمله ان كان مؤمنا اتاه ملائكة بيض الوجوه بيض الثياب طيبة الارواح وان كان كافرا فبالضد من ذلك عياذا بالله العظيم من ذلك وقد قال ابن ابي حاتم ثنا ابي ثنا يحيى بن ابي يحيى المقري ثنا عمرو بن شمر قال سمعت جعفر بن محمد قال سمعت ابي يقول نظر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى ملك الموت عند راس رجل من الانصار فقال له النبي صلى الله عليه وسلم يا ملك الموت ارفق بصاحبي فانه مؤمن فقال ملك الموت يا محمد طب نفسا وقر عينا فاني بكل مؤمن رفيق واعلم ان ما في الارض بيت مدر ولا شعر في بر ولا بحر الا وانا اتصفحهم في كل يوم خمس مرات حتى اني اعرف بصغيرهم وكبيرهم منهم بانفسهم والله يا محمد لو اني اردت ان اقبض روح بعوضة ما قدرت على ذلك حتى يكون الله هو الامر بقبضها قال جعفر بن محمد هو الصادق بلغني انه يتصفحهم عند مواقيت الصلاة فاذا حضر عند الموت فان كان ممن يحافظ على الصلاة دنا منه الملك ودفع عنه الشيطان ولقنه الملك لا اله الا الله محمد رسول الله في تلك الحال العظيمة هذا حديث مرسل وفيه نظر وذكرنا في حديث الصور من طريق اسماعيل بن رافع المدني القاص عن محمد بن زياد عن محمد بن كعب القرظي عن ابي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الحديث بطوله وفيه فيامر الله اسرافيل بنفخة الصعق فينفخ نفخة الصعق فيصعق اهل السموات واهل الارض الا من شاء الله فاذا هم قد خمدوا جاء ملك الموت الى الجبار عز وجل فيقول يا رب قد مات اهل السموات والارض الا من شئت فيقول الله وهو اعلم من بقي فيقول يا رب بقيت انت الحي الذي لا تموت وبقيت حملة عرشك وبقي جبريل وميكائيل فيقول ليمت جبريل وميكائيل فينطق الله العرش فيقول يا رب يموت جبريل وميكائيل فيقول اسكت فاني كتبت الموت على كل من كان تحت عرشي فيموتان ثم ياتي ملك الموت الى الجبار عز وجل فيقول يا رب قد مات جبريل وميكائيل فيقول الله وهو اعلم من بقي فيقول بقيت انت الحي الذي لا يموت وبقيت حملة عرشك وبقيت انا فيقول الله ليمت حملة عرشي فيموتون ويامر الله العرش فيقبض الصور من اسرافيل ثم ياتي ملك الموت فيقول يا رب قد مات حملة عرشك فيقول الله وهو اعلم من بقي فيقول بقيت انت الحي الذي لا يموت وبقيت انا فيقول الله انت خلق من خلقي خلقتك لما اردت فمت فيموت فاذا لم يبق الا الله الواحد القهار الاحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا احد كان اخرا كما كان اولا وذكر تمام الحديث بطوله رواه الطبراني وابن جرير والبيهقي ورواه الحافظ ابو موسى المديني في كتاب الطوالات وعنده زيادة غريبة وهي قوله فيقول الله له انت خلق من خلقي خلقتك لما اردت فمت موتا لا تحيى بعدها ابدا ومن الملائكة المنصوص على اسمائهم في القران هاروت وماروت في قول جماعة كثيرة من السلف وقد ورد في قصتهما وما كان من امرهما اثار كثيرة غالبها اسرائيليات وروى الامام احمد حديثا مرفوعا عن ابن عمر وصححه ابن حبان في تقاسيمه وفي صحته عند

نظر ولا شبهة انه موقوف على عبد الله بن عمرو ويكون مما تلقاه عن كعب الاحبار كما سياتي بيانه
والله اعلم وفيه انه تمثلت لهما الزهرة امراة من احسن البشر وعن علي وابن عباس وابن عمر
ايضا ان الزهرة كانت امراة وانهما لما طلبا منها ما ذكر ابت الا ان يعلماها الاسم الاعظم فعلماها
فقالته فارتفعت الى السما فصارت كوكبا وروى الحاكم في مستدركه عن ابن عباس قال
وفي ذلك الزمان امراة حسنها في النسا كحسن الزهرة في سائر الكواكب وهذا اللفظ احسن
ما ورد في شان الزهرة ثم قيل كان امرهما وقصتهما في زمان ادريس وقيل في زمان سليمان
بن داود كما حررنا في ذلك التفسير وبالجملة فهو خبر اسرائيلي مرجعه الى كعب الاحبار
كما رواه عبد الرزاق في تفسيره عن الثوري عن موسى بن عقبة عن سالم عن ابن عمر عن كعب
الاحبار بالقصة وهذا اصح اسنادا واثبت رجالا والله اعلم ثم قد قيل ان المراد بقوله
وما انزل على الملكين ببابل هاروت وماروت قبيلان من الجان قاله ابن حزم وهذا غريب وبعيد
من اللفظ ومن الناس من قرا وما انزل على الملكين بالكسر ويجعلهما علجين من اهل فارس
قاله الضحاك ومن الناس من يقول هما ملكان من السما ولكن سبق في قدر الله لهما ما ذكر
من امرهما ان صح به الخبر ويكون حكمهما كحكم ابليس ان قيل انه من الملائكة لكن الصحيح انه من
الجن كما سياتي تقريره ومن الملائكة المسمين في الحديث منكر ونكير عليهما السلام وقد
استفاض في الاحاديث ذكرهما في سوال القبر وقد اوردناها عند قوله تعالى يثبت الله
الذين امنوا بالقول الثابت في الحيوة الدنيا وفي الاخرة ويضل الله الظالمين ويفعل الله
ما يشا وهما فتانا القبر موكلان بسوال الميت في قبره عن ربه ودينه ونبيه ويمتحنان
البر والفاجر وهما ازرقان افرقان لهما انياب واشكال مزعجة واصوات مفزعة اجارنا
الله من عذاب القبر وثبتنا بالقول الثابت امين وقال البخاري ثنا عبد الله بن يوسف
ثنا ابن وهب حدثني يونس عن ابن شهاب حدثني عروة ان عايشة زوج النبي صلى الله
عليه وسلم حدثته انها قالت للنبي صلى الله عليه وسلم هل اتى عليك يوم كان اشد من
يوم احد قال لقد لقيت من قومك وكان اشد ما لقيت منهم يوم العقبة اذ عرضت
نفسي على ابن عبد ياليل بن عبد كلال فلم يجبني الى ما اردت فانطلقت وانا مهموم على
وجهي فلم استفق الا وانا بقرن الثعالب فرفعت راسي فاذا انا بسحابة قد اظلتني
فنظرت فاذا فيها جبريل فناداني فقال ان الله قد سمع قول قومك لك وما ردوا عليك
وقد بعث اليك ملك الجبال لتامره بما شيت فيهم فناداني ملك الجبال فسلم علي ثم قال
يا محمد فقال ذلك فما شيت ان شيت ان اطبق عليهم الاخشبين فقال النبي صلى الله
عليه وسلم بل ارجوا ان يخرج الله من اصلابهم من يعبد الله وحده لا يشرك به شيا ورواه
ابن مسلم من حديث ابن وهب به

فصل

ثم الملائكة عليهم السلام بالنسبة
الى ما هياهم الله له اقسام فمنهم حملة العرش كما تقدم ذكرهم ومنهم الكروبيون الذين هم
حول العرش وهم اشرف الملائكة مع حملة العرش وهم الملائكة المقربون كما قال تعالى لن
يستنكف المسيح ان يكون عبدا لله ولا الملائكة المقربون ومنهم جبريل وميكائيل عليهما
السلام وقد ذكر الله عنهم انهم يستغفرون للمومنين بظهر الغيب كما قال تعالى ويستغفرون
للذين امنوا ربنا وسعت كل شي رحمة وعلما فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك وقهم
عذاب الجحيم ربنا وادخلهم جنات عدن التي وعدتهم ومن صلح من ابايهم وازواجهم وذرياتهم

انك انت العزيز الحكيم وقهم السيات ومن تق السيات يومئذ فقد رحمته وذلك
هو الفوز العظيم ولما كانت سجاياهم هذه السجية الطاهرة كانوا يحبون من اتصف
بهذه الصفة فثبت في الحديث عن الصادق المصدوق انه قال اذا دعا العبد
لاخيه بظهر الغيب قال الملك امين ولك بمثل ومنهم سكان السموات السبع يعمرونها
عبادة دايبة ليلا ونهارا صباحا ومساء كما قال تعالى يسبحون الليل والنهار لا يفترون
فمنهم الراكع دايما والقايم دايما والساجد دايما ومنهم الذين يتعاقبون زمرة بعد زمرة
الى البيت المعمور كل يوم سبعون الفا لا يعودون اليه اخر ما عليهم ومنهم الموكلون بالجنان
واعداد الكرامة لاهلها وتهيية الضيافة لساكنيها من ملابس ومصاغ ومساكن
وماكل ومشارب وغير ذلك مما لا عين رات ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر وخازن
الجنة ملك يقال له رضوان جا مصرحا به في بعض الاحاديث ومنهم الموكلون بالنار وهم
الزبانية ومقدموهم تسعة عشر وخازنها مالك وهو مقدم على جميع الخزنة وهم المذكورون
في قوله تعالى وقال الذين في النار لخزنة جهنم ادعوا ربكم يخفف عنا يوما من العذاب
الاية وقال تعالى ونادوا يا مالك ليقض علينا ربك قال انكم ماكثون لقد جيناكم
بالحق ولكن اكثركم للحق كارهون وقال تعالى عليها ملايكة غلاظ شداد لا يعصون الله
ما امرهم ويفعلون ما يومرون وقال تعالى عليها تسعة عشر وما جعلنا اصحاب النار الا
ملايكة وما جعلنا عدتهم الا فتنة للذين كفروا ليستيقن الذين اوتوا الكتاب ويزداد الذين
امنوا ايمانا ولا يرتاب الذين اوتوا الكتاب والمومنون وليقول الذين في قلوبهم مرض والكافرون
ماذا اراد الله بهذا مثلا كذلك يضل الله من يشا ويهدي من يشا وما يعلم جنود ربك الا هو
ومنهم الموكلون بحفظ بني ادم كما قال تعالى سواء منكم من اسر القول ومن جهر به ومن هو
مستخف بالليل وسارب بالنهار له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من امر الله
ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم واذا اراد الله بقوم سوا فلا مرد له وما لهم
من دونه من وال قال الوالبي عن ابن عباس له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه
من امر الله وهي الملايكة وقال عكرمة عن ابن عباس يحفظونه من امر الله قال الملايكة
يحفظونه من بين يديه ومن خلفه فاذا جا قدر الله خلوا عنه وقال مجاهد ما من عبد
الا وملك موكل بحفظه في نومه ويقظته من الجن والانس والهوام فما من شي ياتيه يريده
الا قال وراك الا شي ياذن الله فيه فيصيبه وقال ابو امامة ما من ادمي الا ومعه ملك
يذود عنه حتى يسلمه للذي قدر له وقال ابو مجلز جا رجل الى علي فقال ان نفرا من مراد يريدون
قتلك فقال ان مع كل رجل ملكين يحفظانه مما لم يقدر فاذا جا القدر خليا بينه وبينه
ان الاجل جنة حصينة ومنهم الموكلون بحفظ اعمال العباد كما قال تعالى عن اليمين
وعن الشمال قعيد ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد وقال تعالى وان عليكم لحافظين
كراما كاتبين يعلمون ما تفعلون قال الحافظ ابو محمد عبد الرحمن بن ابي حاتم الرازي
في تفسيره حدثنا ابي ثنا علي بن محمد الطنافسي ثنا وكيع ثنا سفين ومسعر عن علقمة
بن مرثد عن مجاهد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اكرموا الكرام الكاتبين الذين
لا يفارقونكم الا عند احدى حالتين الجنابة والغايط فاذا اغتسل احدكم فليستتر بجذم
حايط او ببعيره او ليستره اخوه وهذا مرسل من هذا الوجه وقد وصله البزار في مسنده

من طريق حفص بن سليمان القارى وفيه كلام عن علقمة عن مجاهد عن ابن عباس قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله ينهاكم عن التعرى فاستحيوا من الله الذين معكم
الكرام الكاتبين الذين لا يفارقونكم الا عند احدى ثلاث حالات الغائط والجنابة والغسل
فاذا اغتسل احدكم بالعراء فليستتر بثوبه او بجذم حائطه او ببعيره ومعنى اكرامهم ان
يستحيى منهم فلا يملى عليهم الاعمال القبيحة التى يكتبونها فان الله خلقهم كراما فى خلقهم
واخلاقهم ومن كرمهم انه قد ثبت فى الحديث المروى فى الصحاح والسنن والمسانيد من حديث
جماعة من الصحابة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال لا يدخل الملائكة بيتا فيه
صورة ولا كلب ولا جنب وفى رواية عن عاصم بن ضمرة عن على ولا بول وفى رواية رافع عن ابى
سعيد مرفوعا لا تدخل الملائكة بيتا فيه صورة ولا تمثال وفى رواية مجاهد عن ابى هريرة
مرفوعا لا تدخل الملائكة بيتا فيه كلب او تمثال وفى رواية ذكوان ابى صالح السمان عن ابى
هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تصحب الملائكة رفقة معهم كلب
او جرس ورواه زرارة بن اوفى عنه لا تصحب الملائكة رفقة معهم جرس وقال البزار ثنا
اسحاق بن سليمان البغدادى المعروف بالقلوسى ثنا بيان بن حمران ثنا سلام عن منصور
بن زاذان عن محمد بن سيرين عن ابى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ملائكة
الله يعرفون بنى ادم واحسبه قال ويعرفون اعمالهم فاذا نظروا الى عبد يعمل بطاعة الله
ذكروه بينهم وسموه وقالوا افلح الليلة فلان نجا الليلة فلان واذا نظروا الى عبد يعمل بمعصية
الله ذكروه بينهم وسموه وقالوا هلك الليلة فلان ثم قال سلام احسبه سلام المدائنى
وهو لين الحديث وقد قال البخارى ثنا ابو اليمان ثنا ابو اليمان شعيب ثنا ابو الزناد
عن الاعرج عن ابى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الملائكة يتعاقبون ملائكة
بالليل وملائكة بالنهار ويجتمعون فى صلاة الفجر وصلاة العصر ثم يعرج اليه الذين باتوا
فيكم فيسألهم وهو اعلم فيقول كيف تركتم عبادى فيقولون تركناهم وهم يصلون واتيناهم
وهم يصلون هذا لفظه فى كتاب بدء الخلق بهذا السياق وهذا اللفظ تفرد به دون
مسلم من هذا الوجه وقد اخرجاه فى الصحيحين من حديث مالك عن ابى الزناد به وقال
البزار ثنا زياد بن ايوب ثنا مبشر بن اسماعيل الحلبى ثنا تمام بن نجيح عن الحسن يعنى
عن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من حافظين يرفعان الى الله عز وجل
ما حفظا فى يوم فيرى فى اول الصحيفة وفى اخرها استغفارا الا قال الله قد غفرت لعبدى
ما بين طرفى الصحيفة ثم قال تفرد به تمام بن نجيح وهو صالح الحديث قلت وقد وثقه
ابن معين وضعفه البخارى وابو حاتم وابو زرعة والنسائى وابن عدى ورماه ابن حبان بالوضع
وقال الامام احمد لا اعرف حقيقة امره والمقصود ان كل انسان له حافظان ملكان اثنان
واحد من بين يديه واخر من خلفه يحفظانه من امر الله بامر الله عز وجل وملكان كاتبان عن يمينه
وعن شماله وكاتب اليمين امير على كاتب الشمال كما ذكرنا ذلك عند قوله تعالى عن اليمين وعن
الشمال قعيد ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد فاما الحديث الذى رواه الامام احمد
ثنا اسود بن عامر ثنا سفيان ثنا منصور عن سالم بن ابى الجعد عن ابيه عن عبد الله هو ابن
مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما منكم من احد الا وقد وكل به قرينه من الجن
وقرينه من الملائكة قالوا واياك يا رسول الله قال واياى ولكن الله اعاننى عليه فلا يامرنى

الا بخير انفرد باخراجه مسلم من حديث منصور به فيحتمل ان هذا القرين من الملائكة غير الذى يحفظ
الانسان وانما هو موكل به ليرشده ويهديه باذن ربه الى سبيل الخير وطريق الرشاد كما انه قد وكل به القرين
من الشياطين لا يالوه جهدا فى الخبال والاضلال والمعصوم من عصمه الله عز وجل وبالله المستعان
وقال البخارى ثنا احمد بن يونس ثنا ابراهيم بن سعد ثنا ابن شهاب عن ابى سلمة بن عبد الرحمن والاغر
عن ابى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا كان يوم الجمعة كان على كل باب من ابواب
المسجد ملائكة يكتبون الاول فالاول فاذا جلس الامام طووا الصحف وجاؤا يستمعون الذكر
وهكذا رواه منفردا به من هذا الوجه وهو فى الصحيحين من وجه اخر وقد قال الله تعالى وقران
الفجر ان قران الفجر كان مشهودا وقال الامام احمد ثنا اسباط ثنا الاعمش عن ابن ابراهيم عن ابن
مسعود عن النبى صلى الله عليه وسلم وحدثنا الاعمش عن ابى صالح عن ابى هريرة عن النبى صلى الله
عليه وسلم فى قوله وقران الفجر ان قران الفجر كان مشهودا قال تشهده ملائكة الليل وملائكة
النهار ورواه الترمذى والنسائى وابن ماجة من حديث اسباط وقال الترمذى حسن صحيح
قلت وهو منقطع وقال البخارى ثنا عبد الله بن محمد ثنا عبد الرزاق انا معمر عن الزهرى عن ابى
سلمة وسعيد بن المسيب عن ابى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال فضل صلاة الجمع على
صلاة الواحد خمس وعشرون درجة ويجتمع ملائكة الليل وملائكة النهار فى صلاة الفجر يقول
ابو هريرة اقروا ان شئتم وقران الفجر ان قران الفجر كان مشهودا وقال البخارى ثنا مسدد ثنا
ابو عوانة عن الاعمش عن ابى حازم عن ابى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا دعا الرجل
امراته الى فراشه فابت فبات غضبان لعنتها الملائكة حتى تصبح تابعه شعبة وابو حمزة وابو
داود وابو معاوية عن الاعمش وثبت فى الصحيحين ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
اذا امن الامام فامنوا فانه من وافق تامينه تامين الملائكة غفر له ما تقدم من ذنبه وفى لفظ
اذا قال الامام امين فان الملائكة تقول فى السماء امين فمن وافق تامينه تامين الملائكة غفر
له ما تقدم من ذنبه وفى صحيح البخارى حدثنا اسماعيل حدثنى مالك عن سمى عن ابى صالح عن
ابى هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا قال الامام سمع الله لمن حمده فقولوا
اللهم ربنا ولك الحمد فانه من وافق قوله قول الملائكة غفر له ما تقدم من ذنبه ورواه بقية
الجماعة الا ابن ماجة من حديث مالك وقال الامام احمد ثنا ابو معاوية ثنا الاعمش عن ابى
صالح عن ابى هريرة او عن ابى سعيد هو شك يعنى الاعمش قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان لله ملائكة سياحين فى الارض فضلا عن كتاب الناس فاذا وجدوا اقواما يذكرون الله تنادوا
هلموا الى بغيتكم فيجيئون فيحفون بهم الى السماء الدنيا فيقول الله اى شئ تركتم عبادى يصنعون فيقولون
تركناهم يحمدونك ويمجدونك ويذكرونك فيقول هل راونى فيقولون لا فيقول فكيف لو راونى
فيقولون لو راوك لكانوا اشد تحميدا وتمجيدا وذكرا قال فيقول فاى شئ يطلبون فيقولون
يطلبون الجنة فيقول وهل راوها فيقولون لا فيقول فكيف لو راوها فيقولون لو راوها لكانوا
اشد عليها حرصا واشد لها طلبا قال فيقول من اى شئ يتعوذون فيقولون من النار فيقول
وهل راوها فيقولون لا فيقول فكيف لو راوها فيقولون لو راوها لكانوا اشد منها هربا
واشد منها خوفا قال فيقول اشهدكم انى قد غفرت لهم قال فيقولون ان فيهم فلانا الخطاء لم
يردهم انما جاء لحاجة فيقول هم القوم لا يشقى بهم جليسهم وهكذا رواه البخارى عن قتيبة
عن جرير بن عبد الحميد عن الاعمش به وقال رواه شعبة عن الاعمش ولم يرفعه ورفعه سهيل

عن ابيه وقد رواه احمد عن عفان عن وهيب عن سهيل عن ابيه عن ابي هريرة عن النبي صلى الله
عليه وسلم بنحوه كما ذكره البخاري معلقا عن سهيل ورواه مسلم عن محمد بن حاتم عن بهز بن اسد
عن وهيب به وقد رواه الامام احمد ايضا عن غندر عن شعبة عن سليمان هو الاعمش عن ابي صالح
عن ابي هريرة كما اشار اليه البخاري رح وقال الامام احمد ثنا ابو معاوية ثنا الاعمش وابن نمير
اخبرنا الاعمش عن ابي صالح عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من نفس عن
مؤمن كربة من كرب الدنيا نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة ومن ستر مسلما ستره الله
في الدنيا والاخرة والله في عون العبد ما كان العبد في عون اخيه ومن سلك طريقا يلتمس فيه
علما سهل الله له به طريقا الى الجنة وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب
الله ويتدارسونه بينهم الا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة وحفتهم الملائكة وذكرهم
الله فيمن عنده ومن بطأ به عمله لم يسرع به نسبه وكذا رواه مسلم من حديث ابي معاوية وقال
الامام احمد ثنا عبد الرزاق ثنا معمر عن ابي اسحاق عن الاغر ابي مسلم عن ابي هريرة وابي سعيد
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما اجتمع قوم يذكرون الله الا حفتهم الملائكة وغشيتهم
الرحمة ونزلت عليهم السكينة وذكرهم الله فيمن عنده وكذا رواه ايضا من حديث اسرائيل
وسفيان الثوري وشعبة عن ابي اسحاق به نحوه ورواه مسلم من حديث شعبة والترمذي
من حديث الثوري وقال حسن صحيح ورواه ابن ماجة عن ابي بكر بن ابي شيبة عن يحيى بن
ادم عن عمار بن رزيق عن ابي اسحاق باسناده نحوه وفي هذا المعنى احاديث كثيرة وفي مسند
الامام احمد والسنن عن ابي الدرداء مرفوعا وان الملائكة لتضع اجنحتها لطالب العلم رضى
بما يصنع اي تتواضع له كما قال تعالى واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقال تعالى واخفض
جناحك لمن اتبعك من المؤمنين وقال الامام احمد ثنا وكيع عن سفيان عن عبد الله بن السائب
عن زاذان عن عبد الله بن مسعود ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان لله ملائكة سياحين
في الارض يبلغوني عن امتي السلام وهكذا رواه النسائي من حديث سفيان الثوري وسليمان الاعمش
كلاهما عن عبد الله بن السائب به وقال الامام احمد ثنا عبد الرزاق ثنا معمر عن الزهري
عن عروة عن عائشة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خلقت الملائكة من نور وخلق
الجان من مارج من نار وخلق ادم مما وصف لكم ورواه مسلم عن محمد بن رافع وعبد بن حميد كلاهما
عن عبد الرزاق به والاحاديث في ذكر الملائكة كثيرة جدا وقد ذكرنا ما يسره الله تعالى وله الحمد

فصل وقد اختلف الناس في تفضيل الملائكة على البشر على اقوال اكثر ما توجد
هذه المسألة في كتب المتكلمين والخلاف فيها مع المعتزلة ومن وافقهم واقدم كلام رأيته
في هذه المسألة ما ذكره الحافظ ابن عساكر في تاريخه في ترجمة امية بن عمرو بن سعيد بن العاص
انه حضر مجلسا لعمر بن عبد العزيز وعنده جماعة فقال عمر ما احد اكرم على الله من كريم بني ادم
واستدل بقوله ان الذين امنوا وعملوا الصالحات اولئك هم خير البرية ووافقه على ذلك
امية بن عمرو بن سعيد وقال عراك بن مالك ما احد اكرم على الله من ملائكته هم خدمة داريه
ورسله الى انبيائه واستدل بقوله ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة الا ان تكونا ملكين او تكونا
من الخالدين فقال عمر بن عبد العزيز لمحمد بن كعب القرظي ما تقول انت يا ابا حمزة فقال
قد اكرم الله ادم فخلقه بيده ونفخ فيه من روحه واسجد له الملائكة وجعل من ذريته الانبياء
والرسل ومن يزوره الملائكة فوافق عمر بن عبد العزيز في الحكم واستدل بغير دليله واضعف

دلالة ما شرع به من الاية وهو قوله ان الذين امنوا وعملوا الصالحات بما مضمونها انها ليست بخاصة
بالبشر فان الله قد وصف الملائكة بالايمان في قوله ويؤمنون به وكذلك الجان وانا لما سمعنا
الهدى امنا به وانا منا المسلمون **قلت** واحسن ما يستدل به في هذه المسألة ما رواه
عثمان بن سعيد الدارمي عن عبد الله بن عمرو مرفوعا وهو اصح قال لما خلق الله الجنة
قالت الملائكة يا ربنا اجعل لنا هذه ناكل منها ونشرب فانك خلقت الدنيا لبني ادم فقال
الله لن اجعل صالح ذرية من خلقت بيدي كمن قلت له كن فكان

باب ذكر خلق الجان وقصة الشيطان

قال الله تعالى خلق الانسان من
صلصال كالفخار وخلق الجان من مارج من نار فباي الاء ربكما تكذبان وقال تعالى
ولقد خلقنا الانسان من صلصال من حمإ مسنون والجان خلقناه من قبل من نار السموم قال
ابن عباس وعكرمة ومجاهد والحسن وغير واحد من مارج من نار قالوا من طرف اللهب وفي رواية
من خالصه واحسنه وقد ذكرنا انفا من طريق الزهري عن عروة عن عائشة قالت قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم خلقت الملائكة من نور وخلق الجان من نار وخلق ادم مما وصف
لكم رواه مسلم قال كثير من علماء التفسير خلقت الجن قبل ادم عليه السلام وكان قبلهم
في الارض الحن والبن فسلط الله الجن عليهم فقتلوهم واجلوهم عنها وابادوهم منها وسكنوها
بعدهم وذكر السدي في تفسيره عن ابي مالك عن ابي صالح عن ابن عباس وعن مرة عن ابن مسعود
وعن ناس من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم لما فرغ الله من خلق ما احب استوى على
العرش فجعل ابليس على ملك سماء الدنيا وكان من قبيلة من الملائكة يقال لهم الجن وانما سموا
الجن لانهم خزان الجنة وكان ابليس مع ملكه خازنا فوقع في صدره انما اعطاني الله هذا لمزية
لي على الملائكة وذكر الضحاك عن ابن عباس ان الجن لما افسدوا في الارض وسفكوا الدماء بعث
الله اليهم ابليس ومعه جند من الملائكة فقتلوهم واجلوهم عن الارض الى جزائر البحور وقال
محمد بن اسحاق عن خلاد عن عطاء عن طاوس عن ابن عباس كان اسم ابليس قبل ان يركب المعصية
عزازيل وكان من سكان الارض وكان من اشد الملائكة اجتهادا واكثرهم علما وكان من حي يقال
لهم الجن وروى ابن ابي حاتم عن سعيد بن جبير عنه كان اسمه عزازيل وكان من اشرف الملائكة
من اولي الاجنحة الاربعة وقال سنيد عن حجاج عن ابن جريج قال ابن عباس كان ابليس من اشرف
الملائكة واكرمهم قبيلة وكان خازنا على الجنان وكان له سلطان سماء الدنيا وكان له سلطان
الارض وقال صالح مولى التوأمة عن ابن عباس كان يسوس ما بين السماء والارض رواه ابن
جرير وقال قتادة عن سعيد بن المسيب كان ابليس رئيس ملائكة سماء الدنيا وقال
الحسن البصري لم يكن من الملائكة طرفة عين وانه لاصل الجن كما ان ادم اصل البشر وقال
شهر بن حوشب وغيره كان ابليس من الجن الذين طردهم الملائكة فاسره بعضهم فذهب به الى
السماء رواه ابن جرير قالوا فلما اراد الله خلق ادم ليكون في الارض هو وذريته من بعده
وصور جثته منها جعل ابليس وهو رئيس الجان واكثرهم عبادة اذ ذاك وكان اسمه عزازيل
يطيف به فلما راه اجوف عرف انه خلق لا يتمالك وقال اما لئن سلطت عليك لاهلكنك
ولئن سلطت علي لاعصينك فلما ان نفخ الله في ادم من روحه كما سياتي وامر الملائكة بالسجود له
دخل ابليس منه حسد عظيم وامتنع من السجود له وقال انا خير منه خلقتني من نار وخلقته
من طين فخالف الامر واعترض على الرب عز وجل واخطا في قوله وابتعد من رحمة ربه وانزل من

ادم من رو

من نيته التي كان عليها قدما بعبادته وكان قد تشبه بالملائكة ولم يكن من جنسهم لانه
مخلوق من نار وهم من نور فخانه طبعه احوج ما كان اليه ورجع الى اصله الناري فسجد الملائكة
كلهم اجمعون الا ابليس استكبر وكان من الكافرين وقال تعالى واذ قلنا للملائكة اسجدوا لادم
فسجدوا الا ابليس كان من الجن ففسق عن امر ربه افتتخذونه وذريته اولياء من دوني وهم
لكم عدو بئس للظالمين بدلا فاهبط ابليس من الملا الاعلى وحرم عليه قدرا ان يسكنه فنزل
الى الارض حقيرا ذليلا مذءوما مدحورا متوعدا بالنار هو ومن اتبعه من الجن والانس الا انه مع
ذلك جاهد كل الجهد على اضلال بني ادم بكل طريق وبكل مرصد كما قال ارايتك هذا الذي
كرمت علي لئن اخرتني الى يوم القيمة لاحتنكن ذريته الا قليلا قال اذهب فمن تبعك منهم فان
جهنم جزاؤكم جزاء موفورا واستفزز من استطعت منهم بصوتك واجلب عليهم بخيلك
ورجلك وشاركهم في الاموال والاولاد وعدهم وما يعدهم الشيطان الا غرورا ان عبادي ليس
لك عليهم سلطان وكفى بربك وكيلا وسنذكر القصة مستقصاة عند ذكر خلق ادم عليه
السلام والمقصود ان الجان خلقوا من النار وهم كبني ادم ياكلون ويشربون ويتناسلون ومنهم
المؤمنون ومنهم الكافرون كما اخبر تعالى عنهم في سورة الجن وفي قوله تعالى واذ صرفنا اليك
نفرا من الجن يستمعون القران فلما حضروه قالوا انصتوا فلما قضي ولوا الى قومهم منذرين
قالوا يا قومنا انا سمعنا كتابا انزل من بعد موسى مصدقا لما بين يديه يهدي الى الحق والى
طريق مستقيم يا قومنا اجيبوا داعي الله وامنوا به يغفر لكم من ذنوبكم ويجركم من عذاب اليم
ومن لا يجب داعي الله فليس بمعجز في الارض وليس له من دونه اولياء اولئك في ضلال مبين
وقال تعالى قل اوحي الي انه استمع نفر من الجن فقالوا انا سمعنا قرانا عجبا يهدي الى الرشد
فامنا به ولن نشرك بربنا احدا وانه تعالى جد ربنا ما اتخذ صاحبة ولا ولدا وانه كان يقول سفيهنا
على الله شططا وانا ظننا ان لن تقول الانس والجن على الله كذبا وانه كان رجال من الانس
يعوذون برجال من الجن فزادوهم رهقا وانهم ظنوا كما ظننتم ان لن يبعث الله احدا وانا
لمسنا السماء فوجدناها ملئت حرسا شديدا وشهبا وانا كنا نقعد منها مقاعد للسمع
فمن يستمع الان يجد له شهابا رصدا وانا لا ندري اشر اريد بمن في الارض ام اراد بهم ربهم
رشدا وانا منا الصالحون ومنا دون ذلك كنا طرائق قددا وانا ظننا ان لن نعجز الله
في الارض ولن نعجزه هربا وانا لما سمعنا الهدى امنا به فمن يؤمن بربه فلا يخاف بخسا ولا رهقا
وانا منا المسلمون ومنا القاسطون فمن اسلم فاولئك تحروا رشدا واما القاسطون
فكانوا لجهنم حطبا وان لو استقاموا على الطريقة لاسقيناهم ماء غدقا لنفتنهم فيه
ومن يعرض عن ذكر ربه يسلكه عذابا صعدا وقد ذكرنا تفسير هذه السورة وتمام القصة
في اخر سورة الاحقاف وذكرنا الاحاديث المتعلقة بذلك هناك وان هؤلاء النفر كانوا
من جن نصيبين وفي بعض الاثار من جن بصرى وانهم مروا برسول الله صلى الله عليه وسلم
وهو قائم يصلي باصحابه ببطن نخلة من ارض مكة فوقفوا فاستمعوا القراءة ثم اجتمع
بهم النبي صلى الله عليه وسلم ليلة كاملة فسالوه عن اشياء امرهم بها ونهاهم عنها وسالوه
الزاد فقال لكم كل عظم ذكر اسم الله عليه تجدونه اوفر ما يكون لحما وكل روث علف لدوابكم
ونهى النبي صلى الله عليه وسلم ان يستنجوا بهما وقال انهما زاد اخوانكم الجن ونهى عن البول
في السرب لانها مساكن الجن وقرا عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم سورة الرحمن فما جعل يمر

بآية فيها فبأي آلاء ربكما تكذبان الا قالوا ولا بشيء من آلائك ربنا نكذب فلك الحمد وقد اثنى
عليهم النبي صلى الله عليه وسلم في ذلك لما قرا هذه السورة على الناس فسكتوا فقال الجن
كانوا احسن منكم ردا منكم ما قرات عليهم فبأي آلاء ربكما تكذبان الا قالوا ولا بشيء من آلائك
ربنا نكذب فلك الحمد رواه الترمذي عن جابر وابن جرير والبزار عن ابن عمر وقد اختلف
العلماء في مؤمني الجن هل يدخلون الجنة او يكون جزاء طائعهم انه لا يعذب في النار فقط
على قولين والصحيح انهم يدخلون الجنة لعمومات القران ولخصوص قوله تعالى ولمن خاف
مقام ربه جنتان فبأي آلاء ربكما تكذبان فامتن تعالى عليهم بذلك فلولا انهم ينالونه لما
ذكره وعده عليهم من النعم وهذا وحده دليل مستقل كاف في المسئلة وحده والله تعالى اعلم
وقال البخاري حدثنا قتيبة عن مالك عن عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الرحمن بن
ابي صعصعة عن ابيه ان ابا سعيد الخدري قال له اني اراك تحب الغنم والبادية فاذا كنت
في غنمك وباديتك فاذنت بالصلاة فارفع صوتك بالنداء فانه لا يسمع مدى صوت المؤذن
جن ولا انس ولا شيء الا شهد له يوم القيمة قال ابو سعيد سمعته من رسول الله صلى الله عليه
وسلم انفرد به البخاري دون مسلم **واما** كافروا الجن فمنهم الشياطين ومقدمهم الاكبر ابليس
عدو ادم ابي البشر وقد سلطه هو وذريته على ادم وذريته وتكفل الله عز وجل بعصمة
من امن به وصدق رسله واتبع شرعه منهم كما قال ان عبادي ليس لك عليهم سلطان
وكفى بربك وكيلا وقال تعالى ولقد صدق عليهم ابليس ظنه فاتبعوه الا فريقا من المؤمنين
وما كان له عليهم من سلطان الا لنعلم من يؤمن بالاخرة ممن هو منها في شك وربك على كل
شيء حفيظ وقال تعالى يا بني ادم لا يفتننكم الشيطان كما اخرج ابويكم من الجنة ينزع
عنهما لباسهما ليريهما سوآتهما انه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم انا جعلنا الشياطين
اولياء للذين لا يؤمنون وقال واذ قال ربك للملائكة اني خالق بشرا من صلصال من حما
مسنون فاذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين فسجد الملائكة كلهم اجمعون
الا ابليس ابى ان يكون مع الساجدين قال يا ابليس ما لك الا تكون مع الساجدين قال
لم اكن لاسجد لبشر خلقته من صلصال من حما مسنون قال فاخرج منها فانك رجيم وان
عليك اللعنة الى يوم الدين قال رب فانظرني الى يوم يبعثون قال فانك من المنظرين
الى يوم الوقت المعلوم قال رب بما اغويتني لازينن لهم في الارض ولاغوينهم اجمعين
الا عبادك منهم المخلصين قال هذا صراط علي مستقيم ان عبادي ليس لك عليهم سلطان
الا من اتبعك من الغاوين وان جهنم لموعدهم اجمعين لها سبعة ابواب لكل باب منهم جزء
مقسوم وقد ذكر تعالى هذه القصة في سورة البقرة وفي الاعراف وههنا وفي سورة
سبحان وفي سورة طه وفي سورة ص وقد تكلمنا على ذلك كله في مواضعه من كتابنا
التفسير ولله الحمد وسنوردها في قصة ادم ان شاء الله والمقصود ان ابليس انظره
الله واخره الى يوم القيمة محنة لعباده واختبارا منه لهم كما قال وما كان له عليهم من
سلطان الا لنعلم من يؤمن بالاخرة ممن هو منها في شك وربك على كل شيء حفيظ وقال
تعالى وقال الشيطان لما قضي الامر ان الله وعدكم وعد الحق ووعدتكم فاخلفتكم وما كان
لي عليكم من سلطان الا ان دعوتكم فاستجبتم لي فلا تلوموني ولوموا انفسكم ما انا بمصرخكم
وما انتم بمصرخي اني كفرت بما اشركتموني من قبل ان الظالمين لهم عذاب اليم وادخل الذين

امنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها باذن ربهم تحيتهم
فيها سلام قال ابليس لعنه الله حتى الان ينتظر الى يوم القيمة ينقل القران ان له عرشا على لجة البحر
وهو جالس عليه ويبعث سراياه يلقون بين الناس الشر والفتن وقد قال تعالى ان كيد
الشيطان كان ضعيفا وكان اسمه قبل معصيته العظيمة عزازيل قال النقاش وكنيته
ابو كردوس ولهذا لما قال النبي صلى الله عليه وسلم لابن صياد ما ترى قال ارى عرشا
على الماء فقال له النبي صلى الله عليه وسلم اخسا فلن تعدو قدرك يعني الخرف ان مادة مكاشفته
التي كاشفها شيطانية مستمدة من ابليس الذي هو يشاهد عرشه على البحر ولهذا قال له
اخسا فلن تعدو قدرك اي لن تجاوز قيمتك الدنية الخسيسة الحقيرة والدليل
على ان عرش ابليس على البحر الذي رواه الامام احمد حدثنا ابو المغيرة ثنا صفوان حدثني
ماعز التميمي عن جابر بن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عرش ابليس
في البحر يبعث سراياه في كل يوم يفتنون الناس فاعظمهم عنده منزلة اعظمهم فتنة
للناس ورواه وقال احمد ثنا روح ثنا ابن جريج اخبرني ابو الزبير انه بياض
سمع جابر بن عبد الله يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول عرش ابليس على البحر
يبعث سراياه فيفتنون الناس فاعظمهم عنده اعظمهم فتنة تفرد به من هذا الوجه ه
وقال احمد ثنا مومل ثنا حماد ثنا علي بن زيد عن ابي نضرة عن جابر بن عبد الله قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لابن صايد ما ترى قال ارى عرشا على الماء او قال على البحر
حوله حيات قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ذاك عرش ابليس هكذا رواه في مسند
جابر وقال في مسند ابي سعيد حدثنا عفان ثنا حماد بن سلمة انا علي بن زيد عن ابي نضرة عن
ابي سعيد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لابن صايد ما ترى قال ارى عرشا على
البحر حوله الحيات فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم صدق وذاك عرش ابليس وروى
الامام احمد من طريق ماعز التميمي وابي الزبير عن جابر بن عبد الله قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم ان الشيطان قد ييس ان يعبده المصلون ولكن في التحريش بينهم
وروى الامام مسلم من حديث الاعمش عن ابي سفيان طلحة بن نافع عن جابر عن النبي صلى الله
عليه وسلم قال ان الشيطان يضع عرشه على الماء ثم يبعث سراياه في الناس فاقربهم
عنده منزلة اعظمهم عنده فتنة يجيء احدهم فيقول ما زلت بفلان حتى تركته وهو يقول
كذا وكذا فيقول ابليس لا والله ما صنعت شيئا ويجيء احدهم فيقول ما تركته حتى فرقت
بينه وبين اهله قال فيقربه ويدنيه ويقول نعم انت يروى بفتح النون يعني نعم
انت ذاك الذي تستحق الاكرام والتكريم اي نعم منك وقد استدل به بعض النحاة على جواز
كون فاعل نعم مضمرا وهو قليل واختار شيخنا الحافظ ابو الحجاج الاول رحمه توجيهه
بما ذكرناه والله اعلم وقد اوردنا هذا الحديث عند قوله تعالى يفرقون به بين المرء وزوجه
يعني ان السحر المتلقى عن الشياطين من الانس والجن يتوصل به الى التفرقة بين المتالفين
غاية التالف المتوادين المتحابين ولهذا يشكر ابليس سعي من كان السبب في ذلك
فالذي ذمه الله يحمده والذي يغضب الله يرضيه عليه لعنة الله وقد انزل الله عز
وجل سورتي المعوذتين مطردة لانواع الشر واسبابه وغاياته ولاسيما فقل سورة قل اعوذ
برب الناس ملك الناس اله الناس من شر الوسواس الخناس الذي يوسوس في صدور الناس من

الجنة والناس وثبت في الصحيحين عن انس وفي صحيح البخاري عن صفية بنت حيي
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الشيطان يجري من ابن ادم مجرى الدم وقال
الحافظ ابو يعلى الموصلي حدثنا محمد بن بحر ثنا عدي بن ابي عمارة ثنا زياد النميري عن انس
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الشيطان واضع خطمه على قلب ابن ادم فان
ذكر الله خنس وان نسي التقم قلبه فذلك الوسواس الخناس ولما كان ذكر الله مطردة
للشيطان عن القلب كان تنبيه تذكار للناسي كما قال تعالى واذكر ربك اذا نسيت وقال
صاحب موسى وما انسانيه الا الشيطان وقال تعالى فانساه الشيطان ذكر ربه يعني
الساقي لما قال له يوسف اذكرني عند ربك نسي الساقي ان يذكره لربه يعني مولاه الملك
وكان هذا النسيان من الشيطان فلبث يوسف في السجن بضع سنين ولهذا قال
بعد هذا وقال الذي نجا منهما وادكر بعد امة اي مدة وقرئ بعد امه اي نسيان وهذا الذي
قلنا من ان الناسي هو الساقي هو الصواب من القولين كما قررناه في التفسير والله اعلم
وقال الامام احمد حدثنا محمد بن جعفر ثنا شعبة عن عاصم سمعت ابا تميمة يحدث عن
رديف رسول الله صلى الله عليه وسلم قال عثر بالنبي صلى الله عليه وسلم حماره فقلت
تعس الشيطان فقال النبي صلى الله عليه وسلم لا تقل تعس الشيطان فانك اذا
قلت تعس الشيطان تعاظم وقال بقوتي صرعته واذا قلت بسم الله تصاغر حتى
يصير مثل الذباب تفرد به احمد وهو اسناد جيد وقال احمد ثنا ابو بكر الحنفي ثنا الضحاك
بن عثمان عن سعيد المقبري عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان
احدكم اذا كان في المسجد جاء الشيطان فابس به كما يبس الرجل بدابته فاذا سكن له زنقه
او الجمه قال ابو هريرة وانتم ترون ذلك اما المزنوق فتراه مائلا كذا لا يذكر الله واما
الملجم ففاتح فاه لا يذكر الله عز وجل تفرد به احمد وقال الامام احمد ثنا ابن نمير ثنا
ثور يعني ابن يزيد عن مكحول عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
العين حق ويحضرها الشيطان وحسد ابن ادم وقال الامام احمد ثنا وكيع عن سفيان
عن منصور عن ذر بن عبد الله الهمداني عن عبد الله بن شداد عن ابن عباس قال
جاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله اني احدث نفسي بالشيء لان اخر
من السماء احب الي من ان اتكلم به فقال النبي صلى الله عليه وسلم الله اكبر الحمد لله الذي رد
كيده الى الوسوسة ورواه ابو داود والنسائي من حديث منصور زاد النسائي والاعمش
كلاهما عن ابي ذر به وقال البخاري ثنا يحيى بن بكير ثنا الليث عن عقيل عن ابن شهاب
قال اخبرني عروة قال قال ابو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ياتي الشيطان
احدكم فيقول من خلق كذا من خلق كذا حتى يقول من خلق ربك فاذا بلغه فليستعذ بالله
ولينته وهكذا رواه مسلم من حديث الليث ومن حديث الزهري وهشام بن عروة
كلاهما عن عروة به وقد قال الله تعالى ان الذين اتقوا اذا مسهم طيف من الشيطان
تذكروا فاذا هم مبصرون وقال وقل رب اعوذ بك من همزات الشياطين واعوذ بك رب
ان يحضرون وقال تعالى واما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله انه سميع عليم
وقال تعالى فاذا قرات القران فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم انه ليس له سلطان
على الذين امنوا وعلى ربهم يتوكلون انما سلطانه على الذين يتولونه والذين هم به مشركون

وروى الامام احمد واهل السنن من حديث ابي المتوكل عن ابي سعيد قال كان رسول الله صلى
الله عليه وسلم يقول اعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم من همزه ونفخه ونفثه
وجاء مثله من رواية جبير بن مطعم وعبد الله بن مسعود وابي امامة الباهلي وتفسيره في
الحديث همزه الموتة وهو الخنق الذي هو الصرع ونفخه الكبر ونفثه الشعر وثبت
في الصحيحين عن انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا دخل الخلا قال
اعوذ بالله من الخبث والخبايث قال كثير من العلما استعاذ من ذكران الشياطين واناثهم
وروى الامام احمد عن شريح عن عيسى بن يونس عن ثور عن الحصين عن ابي سعد الخير وكان
من اصحاب عمر عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن اتى الغايط فليستتر
فان لم يجد الا ان يجمع كثيبا فليستدبره فان الشيطان يلعب بمقاعد بني ادم من فعل
فقد احسن ومن لا فلا حرج ورواه ابو داود وابن ماجه من حديث ثور بن يزيد به وقال البخاري
ثنا عثمان ابن ابي شيبة ثنا جرير عن الاعمش عن عدي بن ثابت قال قال سليمان بن صرد
استب رجلان عند النبي صلى الله عليه وسلم ونحن عنده جلوس فاحدهما يسب صاحبه
مغضبا قد احمر وجهه فقال النبي صلى الله عليه وسلم اني لاعلم كلمة لو قالها لذهب عنه
ما يجد لو قال اعوذ بالله من الشيطان الرجيم فقالوا للرجل الا تسمع ما يقول النبي صلى
الله عليه وسلم فقال اني لست بمجنون ورواه ايضا مسلم وابو داود والنسائي من طرق
عن الاعمش به وقال الامام احمد ثنا محمد بن عبيد بن عمر عن نافع عن ابن عمر ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم قال لا ياكل احدكم بشماله ولا يشرب بشماله فان الشيطان ياكل بشماله
ويشرب بشماله وهذا على شرط الصحيحين بهذا الاسناد وهو في الصحيح من غير هذا الوجه وروى
الامام احمد من حديث اسمعيل بن ابي حكيم عن عروة عن عايشة عن رسول الله انه قال من اكل
بشماله اكل معه الشيطان ومن شرب بشماله شرب معه الشيطان وقال الامام احمد ثنا محمد
ابن جعفر انا شعبة عن ابي زياد الطحان سمعت ابا هريرة يقول عن النبي صلى الله عليه وسلم انه
راى رجلا يشرب قايما فقال له قه قال لمه قال ايسرك ان يشرب معك الهر قال لا قال
فانه قد شرب معك من هو شر منه الشيطان تفرد به احمد من هذا الوجه وقال ايضا ثنا عبد
الرزاق ثنا معمر عن الزهري عن رجل عن ابي هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو يعلم
الذي يشرب وهو قايم ما في بطنه لاستقاء قال وثنا عبد الرزاق عن معمر عن الاعمش عن ابي
صالح عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم مثل حديث الزهري وقال الامام احمد
ثنا موسى ثنا ابن لهيعة عن ابي الزبير انه سال جابرا سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول من
ذكر اسم الله حين يدخل وحين يطعم قال الشيطان لا مبيت لكم ولا عشا ها هنا وان دخل
ولم يذكر اسم الله عند دخوله قال ادركتم المبيت وان لم يذكر اسم الله عند طعامه قال ادركتم المبيت
والعشا قال نعم وقال البخاري ثنا محمد ثنا عبدة ثنا محمد عن هشام بن عروة عن ابيه
عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا طلع حاجب الشمس فدعوا الصلاة
حتى يبرز واذا غاب حاجب الشمس فدعوا الصلاة حتى يغيب ولا تحينوا بصلاتكم طلوع
الشمس ولا غروبها فانها تطلع بين قرني الشيطان او الشياطين لا ادري اي ذلك قال
هشام ورواه مسلم والنسائي من حديث هشام به وقال البخاري ثنا عبد الله بن مسلمة
عن مالك عن عبد الله بن دينار عن ابن عمر قال رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم يشير

الى المشرق فقال ها ان الفتنة ها هنا ان الفتنة ها هنا من حيث يطلع قرن الشيطان
هكذا رواه البخاري منفردا به من هذا الوجه وفي السنن ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
نهى ان يجلس بين الشمس والظل وقال انه مجلس الشيطان وقد ذكروا في معناه اقوالا من
احسنها انه لما كان الجلوس في مثل هذا الموضع فيه تشويه بالخلقة فيما يرى كان يحبه الشيطان
لان خلقته في نفسه مشوهة وهذا مستقر في الاذهان ولهذا قال تعالى طلعها كانه
روس الشياطين والصحيح انهم الشياطين لا ضرب من الحيات كما زعمه من زعمه من المفسرين
والله اعلم فان النفوس مقرر فيها قبح الشياطين وحسن خلق الملايكة وانهم يشاهدوا
ولهذا قال طلعها كانه روس الشياطين وقالت النسوة لما شاهدن جمال الصديق يوسف حاش
لله ما هذا بشرا ان هذا الا ملك كريم وقال البخاري ثنا يحيى بن جعفر ثنا محمد بن عبد
الله الانصاري ثنا ابن جريج اخبرني عطا عن جابر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال
اذا استجنح او كان جنح الليل فكفوا صبيانكم فان الشياطين تنتشر حينيذ فاذا ذهب
ساعة من العشا فخلوهم واغلق بابك واذكر اسم الله واطف مصباحك واذكر اسم الله واوك
سقاك واذكر اسم الله وخمر اناءك واذكر اسم الله ولو ان تعرض عليه عودا ورواه احمد عن
يحيى عن ابن جريج به وعنده فان الشيطان لا يفتح مغلقا وقال الامام احمد ثنا وكيع عن
مطر عن ابي الزبير عن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اغلقوا ابوابكم وخمروا
انيتكم واوكوا اسقيتكم واطفيوا سرجكم فان الشيطان لا يفتح بابا مغلقا ولا يكشف غطا
ولا يحل وكاء وان الفويسقة تضرم البيت على اهله يعني الفارة وقال البخاري ثنا ادم
ثنا شعبة عن منصور عن سالم بن ابي الجعد عن كريب عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم لو ان احدكم اذا اراد ان ياتي اهله قال اللهم جنبني الشيطان وجنب
الشيطان ما رزقتني فان كان بينهما ولد لم يضره الشيطان ولم يسلط عليه وحدثنا
الاعمش عن سالم عن كريب عن ابن عباس مثله ورواه ايضا عن موسى بن اسماعيل عن همام عن
منصور عن سالم عن كريب عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال اما لو ان احدكم
اذا اتى اهله قال بسم الله اللهم جنبنا الشيطان وجنب الشيطان ما رزقتنا فرزقا
ولدا لم يضره الشيطان وقال البخاري ثنا اسماعيل ثنا اخي عن سليمان عن يحيى بن
سعيد عن سعيد بن المسيب عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
يعقد الشيطان على قافية راس احدكم اذا هو نام ثلاث عقد يضرب على كل عقدة مكانها
عليك ليل طويل فارقد فان استيقظ فذكر الله انحلت عقدة فان توضا انحلت عقدة
فان صلى انحلت عقده كلها فاصبح نشيطا طيب النفس والا اصبح خبيث النفس
كسلان هكذا رواه منفردا به من هذا الوجه وقال البخاري ثنا ابراهيم عن حمزة
حدثني ابن ابي حازم عن يزيد يعني ابن الهاد عن محمد بن ابراهيم عن عيسى بن طلحة عن ابي
هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا استيقظ احدكم من منامه فتوضا فليستنثر
ثلاثا فان الشيطان يبيت على خيشومه ورواه مسلم عن بشر بن الحكم عن الدراوردي
والنسائي عن محمد بن زنبور عن عبد العزيز بن ابي حازم كلاهما عن يزيد بن الهاد به وقال
البخاري ثنا عثمان بن ابي شيبة ثنا جرير عن منصور عن ابي وايل عن عبد الله قال
ذكر عند النبي صلى الله عليه وسلم رجل نام ليلة حتى اصبح قال ذاك رجل بال الشيطان

فى اذنيه او قال فى اذنه ورواه مسلم عن عثمان واسحاق كلاهما عن جرير به واخرجه البخارى
ايضا والنسائى وابن ماجة من حديث منصور بن المعتمر به وقال البخارى ثنا محمد بن يوسف
ثنا الاوزاعى عن يحيى بن ابى كثير عن ابى سلمة عن ابى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
اذا نودى بالصلاة ادبر الشيطان وله ضراط فاذا قضى اقبل فاذا ثوب بها ادبر فاذا قضى
اقبل حتى يخطر بين الانسان وقلبه فيقول اذكر كذا وكذا حتى لا يدرى اثلاثا صلى ام اربعا
فاذا لم يدر ثلاثا صلى ام اربعا سجد سجدتى السهو هكذا رواه منفردا به من هذا الوجه وقال
احمد ثنا اسود بن عامر ثنا جعفر يعنى الاحمر عن عطاء بن السائب عن انس قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم راصوا الصفوف فان الشيطان يقوم فى الخلل وقال
احمد ثنا ابان ثنا قتادة عن انس بن مالك ان نبى الله صلى الله عليه وسلم كان يقول
راصوا صفوفكم وقاربوا بينها وحاذوا بين الاعناق فوالذى نفس محمد بيده انى لارى الشيطان
يدخل من خلل الصف كانه الحذف وقال البخارى ثنا ابو معمر ثنا عبد الوارث ثنا يونس
عن حميد بن هلال عن ابى صالح عن ابى سعيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
اذا مر بين احدكم شى فليمنعه فان ابى فليمنعه فان ابى فليقاتله فانما هو شيطان ورواه
ايضا مسلم وابو داود من حديث سليمان بن المغيرة عن حميد بن هلال به وقال الامام احمد
ثنا ابو احمد ثنا مسرة بن معبد ثنا ابو عبيد حاجب سليمان قال رايت عطاء بن يزيد الليثى
قائما يصلى فذهبت امر بين يديه فردنى ثم قال حدثنى ابو سعيد الخدرى ان رسول
الله قام يصلى صلاة الصبح وهو خلفه يقرا فالتبست عليه القراءة فلما فرغ من صلاته
قال لو رايتمونى وابليس فاهويت بيدى فما زلت اخنقه حتى وجدت برد لعابه بين اصبعى
هاتين الابهام والتى تليها ولولا دعوة اخى سليمان لاصبح مربوطا بسارية من سوارى
المسجد يتلاعب به صبيان المدينة فمن استطاع منكم ان لا يحول بينه وبين القبلة
احد فليفعل وروى ابو داود منه فمن استطاع الخ عن احمد بن ابى سريج عن ابى احمد محمد
ابن عبد الله محمد بن الزبير به وقال البخارى ثنا محمود ثنا شبابة ثنا شعبة عن
محمد بن زياد عن ابى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم انه صلى صلاة فقال ان الشيطان
عرض لى فشد على يقطع الصلاة على فامكننى الله منه فذكر الحديث وقد رواه مسلم
والنسائى من حديث شعبة به مطولا ولفظ البخارى عند تفسير قوله تعالى اخبارا عن
سليمان عليه السلام انه قال رب اغفر لى وهب لى ملكا لا ينبغى لاحد من بعدى انك انت
الوهاب من حديث روح وغندر عن شعبة عن محمد بن زياد عن ابى هريرة عن النبى صلى الله
عليه وسلم قال ان عفريتا من الجن تفلت على البارحة او كلمة نحوها ليقطع على الصلاة فامكننى
الله منه فاردت ان اربطه الى سارية من سوارى المسجد حتى تصبحوا وتنظروا اليه كلكم فذكرت
قول اخى سليمان رب اغفر لى وهب لى ملكا لا ينبغى لاحد من بعدى قال روح فرده خاسيا وروى
مسلم من حديث ابى ادريس عن ابى الدرداء قال قام رسول الله يصلى فسمعناه يقول
اعوذ بالله منك ثم قال العنك بلعنة الله ثلاثا وبسط يده كانه يتناول شيئا فلما
فرغ من الصلاة قلنا يا رسول الله قد سمعناك تقول فى الصلاة شيئا لم نسمعك تقوله
قبل ذلك ورايناك بسطت يدك قال ان عدو الله ابليس جاء بشهاب من نار ليجعله فى
وجهى فقلت اعوذ بالله منك ثلاث مرات ثم قلت العنك بلعنة الله التامة فلم يستاخر

ثم اردت اخذه والله لولا دعوة اخينا سليمان لاصبح موثقا يلعب به ولدان اهل
المدينة وقال الله تعالى فلا تغرنكم الحيوة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور يعنى الشيطان
وقال تعالى ان الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا انما يدعوا حزبه ليكونوا من اصحاب
السعير فالشيطان لا يالو الانسان خبالا جهده وطاقته فى جميع احواله وحركاته وسكناته
كما صنف الحافظ ابو بكر بن ابى الدنيا رح كتابا فى ذلك سماه مصايد الشيطان وفيه فوايد
نسخة مكايد
جمة وفى سنن ابى داود ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول فى دعائه واعوذ بك ان
يتخبطنى الشيطان عند الموت وروينا فى بعض الاخبار انه قال يا رب وعزتك وجلالك
لا ازال اغويهم ما دامت ارواحهم فى اجسادهم فقال الله تعالى وعزتى وجلالى لا ازال استغفر
لهم ما استغفرونى وقال الله تعالى الشيطان يعدكم الفقر ويامركم بالفحشاء والله يعدكم
مغفرة منه وفضلا والله واسع عليم فوعد الله هو الحق الصدق ووعد الشيطان هو الباطل
وقد روى الترمذى والنسائى وابن حبان فى صحيحه وابن ابى حاتم فى تفسيره من حديث
عطاء بن السائب عن مرة الهمدانى عن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان للشيطان للمة بابن ادم وللملك لمة فاما لمة الشيطان فايعاد بالشر وتكذيب بالحق
واما لمة الملك فايعاد بالخير وتصديق بالحق فمن وجد ذلك فليعلم انه من الله فليحمد الله ومن
وجد الاخرى فليتعوذ من الشيطان ثم قرا الشيطان يعدكم الفقر ويامركم بالفحشاء والله
يعدكم مغفرة منه وفضلا والله واسع عليم وقد ذكرنا فى فضل سورة البقرة ان الشيطان
يفر من البيت الذى تقرا فيه وذكرنا فى فضل اية الكرسى ان من قراها فى ليلة لا يقربه شيطان
حتى يصبح وقال البخارى ثنا عبد الله بن يوسف انا مالك عن سمى عن ابى صالح عن ابى
هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من قال لا اله الا الله وحده لا شريك له
له الملك وله الحمد وهو على كل شى قدير فى يوم مائة مرة كانت له عدل عشر رقاب وكتبت له
مائة حسنة ومحيت عنه مائة سيئة وكانت له حرزا من الشيطان يومه ذلك حتى يمسى
ولم يات احد بافضل مما جاء به الا احد عمل اكثر من ذلك واخرجه مسلم والترمذى وابن ماجة
من حديث مالك وقال الترمذى حسن صحيح وقال البخارى ثنا ابو اليمان انا شعيب
عن ابى الزناد عن الاعرج عن ابى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كل بنى
ادم يطعن الشيطان فى جنبيه باصبعيه حين يولد غير عيسى بن مريم ذهب يطعن
فطعن فى الحجاب تفرد به من هذا الوجه وقال البخارى ثنا عاصم بن على ثنا ابن ابى ذيب
عن سعيد المقبرى عن ابيه عن ابى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال التثاوب من
الشيطان فاذا تثاءب احدكم فليرده ما استطاع فان احدكم اذا قال ها ضحك الشيطان
ورواه احمد وابو داود والترمذى وصححه والنسائى من حديث ابن ابى ذيب به وفى لفظ
اذا تثاءب احدكم فليكظم ما استطاع فان الشيطان يدخل وقال الامام احمد ثنا عبد
الرزاق انا سفيان عن محمد بن عجلان عن سعيد المقبرى عن ابى هريرة قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ان الله يحب العطاس ويبغض او يكره التثاوب فاذا قال احدكم
هاها فانما ذلكم الشيطان يضحك من جوفه ورواه الترمذى والنسائى من حديث محمد
بن عجلان به وقال البخارى ثنا الحسن بن الربيع ثنا ابو الاحوص عن اشعث عن ابيه عن
مسروق قال قالت عائشة سالت النبى صلى الله عليه وسلم عن التفات الرجل فى الصلاة فقال

هو اختلاس يختلسه الشيطان من صلاة احدكم وكذا رواه ابو داود والنسائي من رواية
اشعث بن ابي الشعثاء سليم بن اسود المحاربي عن ابيه عن مسروق به وروى البخاري من
حديث الاوزاعي عن يحيى بن ابي كثير حدثني عبد الله بن ابي قتادة عن ابيه قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم الرؤيا الصالحة من الله والحلم من الشيطان فاذا حلم احدكم حلما يخافه
فليبصق عن يساره وليتعوذ بالله من الشيطان من شرها فانها لا تضره وقال الامام احمد
ثنا عبد الرزاق ثنا معمر عن همام عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لا يشيرن احدكم الى اخيه بالسلاح فانه لا يدري احدكم لعل الشيطان ان ينزغ في يده فيقع في
حفرة من النار اخرجاه من حديث عبد الرزاق وقال الله تعالى ولقد زينا السماء الدنيا
بمصابيح وجعلناها رجوما للشياطين واعتدنا لهم عذاب السعير وقال انا زينا السماء
الدنيا بزينة الكواكب وحفظا من كل شيطان مارد لا يسمعون الى الملا الاعلى ويقذفون
من كل جانب دحورا ولهم عذاب واصب الا من خطف الخطفة فاتبعه شهاب ثاقب وقال
تعالى ولقد جعلنا في السماء بروجا وزيناها للناظرين وحفظناها من كل شيطان رجيم
الا من استرق السمع فاتبعه شهاب مبين وقال تعالى وما تنزلت به الشياطين وما ينبغي
لهم وما يستطيعون انهم عن السمع لمعزولون وقال تعالى اخبارا عن الجان وانا لمسنا
السماء فوجدناها ملئت حرسا شديدا وشهبا وانا كنا نقعد منها مقاعد للسمع فمن
يستمع الان يجد له شهابا رصدا وقال البخاري وقال الليث حدثني خالد بن يزيد عن سعيد
بن ابي هلال ان ابا الاسود اخبره عن عروة عن عائشة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال
الملائكة تتحدث في العنان والعنان الغمام بالامر يكون في الارض فتسمع الشياطين الكلمة
فتقرها في اذن الكاهن كما تقر القارورة فيزيدون معها مائة كذبة هكذا رواه في صفة
ابليس معلقا عن الليث به ورواه في صفة الملائكة عن سعيد بن ابي مريم عن الليث
عن عبيد الله بن ابي جعفر عن محمد بن عبد الرحمن ابي الاسود عن عروة عن عائشة بنحوه انفرد
بهذين الطريقين دون مسلم وروى البخاري في موضع اخر ومسلم من حديث الزهري
عن يحيى بن عروة بن الزبير عن ابيه قال قالت عائشة سال الناس النبي صلى الله عليه وسلم عن
الكهان فقال انهم ليسوا بشيء قالوا يا رسول الله فانهم يحدثون بالشيء يكون حقا فقال
تلك الكلمة من الحق يخطفها الجني فيقرها في اذن وليه كقرقرة الدجاجة فيخلطون معها
اكثر من مائة كذبة هذا لفظ البخاري وقال البخاري ثنا الحميدي ثنا سفيان ثنا عمرو
سمعت عكرمة يقول سمعت ابا هريرة يقول ان نبي الله صلى الله عليه وسلم قال اذا قضى الله
الامر في السماء ضربت الملائكة باجنحتها خضعانا لقوله كانه سلسلة على صفوان حتى اذا
فزع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم قالوا الحق وهو العلي الكبير فيسمعها مسترقوا السمع
ومسترقوا السمع هكذا بعضهم فوق بعض ووصف سفيان بيده فحرفها وبدد بين اصابعه
فيسمع الكلمة فيلقيها الى من تحته ثم يلقيها الاخر الى من تحته حتى يلقيها على لسان الساحر
او الكاهن فربما ادرك الشهاب قبل ان يلقيها وربما القاها قبل ان يدركه فيكذب معها
مائة كذبة فيقال اليس قد قال لنا يوم كذا وكذا كذا وكذا فيصدق بتلك الكلمة التي سمعت
من السماء انفرد به البخاري وروى مسلم من حديث الزهري عن علي بن الحسين زين العابدين
عن ابن عباس عن رجال من الانصار عن النبي صلى الله عليه وسلم نحو هذا وقال تعالى ومن

يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين وانهم ليصدونهم عن السبيل ويحسبون
انهم مهتدون حتى اذا جاءنا قال يا ليت بيني وبينك بعد المشرقين فبئس القرين وقال
تعالى وقيضنا لهم قرناء فزينوا لهم ما بين ايديهم وما خلفهم الاية وقال تعالى وقال
قرينه ربنا ما اطغيته ولكن كان في ضلال بعيد قال لا تختصموا لدي وقد قدمت
اليكم بالوعيد ما يبدل القول لدي وما انا بظلام للعبيد وقال تعالى وكذلك
جعلنا لكل نبي عدوا شياطين الانس والجن يوحي بعضهم الى بعض زخرف القول غرورا
ولو شاء ربك ما فعلوه فذرهم وما يفترون ولتصغى اليه افئدة الذين لا يؤمنون بالاخرة وليرضوه
وليقترفوا ما هم مقترفون وقد قدمنا في صفة الملائكة ما رواه احمد ومسلم من طريق منصور
عن سالم بن ابي الجعد عن ابيه واسمه رافع عن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم ما منكم من احد الا وقد وكل به قرينه من الملائكة قالوا واياك يا رسول الله قال واياي
ولكن الله اعانني عليه فلا يامرني الا بخير وقال الامام احمد ثنا عثمان بن ابي شيبة ثنا
جرير عن قابوس عن ابيه واسمه حصين بن جندب هو ابن ظبيان الجنبي عن ابن عباس قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس منكم من احد الا وقد وكل به قرينه من الشياطين
قالوا وانت يا رسول الله قال نعم ولكن الله اعانني عليه فاسلم تفرد به احمد وهو على شرط
الصحيح وقال الامام احمد ثنا هارون ثنا عبد الله بن وهب اخبرني ابو صخر عن ابن قسيط
حدثه ان عروة بن الزبير حدثه ان عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم حدثته ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم خرج من عندها ليلا قالت فغرت عليه قالت فجاء فراى ما اصنع
فقال ما لك يا عائشة اغرت قالت فقلت وما لي لا يغار مثلي على مثلك فقال رسول الله صلى
الله عليه وسلم افاخذك شيطانك قالت يا رسول الله اومعي شيطان قال نعم قلت
ومع كل انسان قال نعم قلت ومعك يا رسول الله قال نعم ولكن ربي اعانني عليه حتى اسلم
وهكذا رواه مسلم عن هارون وهو ابن سعيد الايلي باسناده نحوه وقال الامام احمد ثنا
قتيبة بن سعيد ثنا ابن لهيعة عن موسى بن وردان عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال ان المؤمن لينضي شيطانه اي ياخذ بناصيته فيغلبه ويقهره كما يفعل بالبعير
اذا شرد ثم غلبه وقوله تعالى اخبارا عن ابليس قال فبما اغويتني لاقعدن لهم صراطك
المستقيم ثم لاتينهم من بين ايديهم ومن خلفهم وعن ايمانهم وعن شمائلهم ولا تجد اكثرهم
شاكرين قال الامام احمد ثنا هاشم بن القاسم ثنا ابو عقيل هو عبد الله بن عقيل الثقفي
ثنا موسى بن المسيب عن سالم بن ابي الجعد عن سبرة بن ابي فاكه قال سمعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال ان الشيطان قعد لابن ادم باطرقه فقعد له بطريق الاسلام فقال
اتسلم وتذر دينك ودين ابائك قال فعصاه واسلم قال وقعد له بطريق الهجرة فقال
اتهاجر وتذر ارضك وسماءك وانما مثل المهاجر كالفرس في الطول فعصاه وهاجر ثم قعد له
بطريق الجهاد وهو جهد النفس والمال فقال تقاتل فتقتل فتنكح المراة ويقسم المال قال
فعصاه فجاهد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فمن فعل ذلك منهم كان حقا على الله
ان يدخله الجنة وان قتل كان حقا على الله ان يدخله الجنة وان غرق كان حقا على الله
ان يدخله الجنة وقال الامام احمد ثنا وكيع ثنا عبادة بن مسلم الفزاري حدثني جبير بن
ابي سليمان بن جبير بن مطعم سمعت عبد الله بن عمر يقول لم يكن رسول الله يدع هؤلاء

الدعوات حين يصبح وحين يمسي اللهم إني أسألك العافية في الدنيا والآخرة اللهم إني أسألك العفو والعافية في ديني ودنياي وأهلي ومالي اللهم استر عوراتي وآمن روعاتي اللهم احفظني من بين يدي ومن خلفي وعن يميني وعن شمالي ومن فوقي وأعوذ بعظمتك أن أغتال من تحتي قال وكيع يعني الخسف ورواه أبو داود والنسائي وابن ماجه وابن حبان والحاكم من حديث عبادة بن مسلم به وقال الحاكم صحيح الإسناد

باب ما ورد في خلق آدم عليه السلام

قال الله تعالى وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال إني أعلم ما لا تعلمون وعلم آدم الأسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال أنبئوني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين قالوا سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم قال يا آدم أنبئهم بأسمائهم فلما أنبأهم بأسمائهم قال ألم أقل لكم إني أعلم غيب السماوات والأرض وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس أبى واستكبر وكان من الكافرين وقلنا يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة وكلا منها رغدا حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين فأزلهما الشيطان عنها فأخرجهما مما كانا فيه وقلنا اهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم في الأرض مستقر ومتاع إلى حين فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه إنه هو التواب الرحيم قلنا اهبطوا منها جميعا فإما يأتينكم مني هدى فمن تبع هداي فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون وقال تعالى إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون وقال تعالى يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيبا وقال يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير وقال تعالى هو الذي خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها ليسكن إليها الآية وقال تعالى ولقد خلقناكم ثم صورناكم ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس لم يكن من الساجدين قال ما منعك ألا تسجد إذ أمرتك قال أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين قال فاهبط منها فما يكون لك أن تتكبر فيها فاخرج إنك من الصاغرين قال أنظرني إلى يوم يبعثون قال إنك من المنظرين قال فبما أغويتني لأقعدن لهم صراطك المستقيم ثم لآتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم ولا تجد أكثرهم شاكرين قال اخرج منها مذءوما مدحورا لمن تبعك منهم لأملأن جهنم منكم أجمعين ويا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة فكلا من حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين فوسوس لهما الشيطان ليبدي لهما ما ووري عنهما من سوآتهما وقال ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة إلا أن تكونا ملكين أو تكونا من الخالدين وقاسمهما إني لكما لمن الناصحين فدلاهما بغرور فلما ذاقا الشجرة بدت لهما سوآتهما وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة وناداهما ربهما ألم أنهكما عن هذه الشجرة وأقل لكما إن الشيطان لكما عدو مبين قالا ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين قال فيها تحيون وفيها تموتون ومنها تخرجون كما قال في الآية الأخرى منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى وقال تعالى ولقد خلقنا الإنسان من صلصال من حمإ

مسنون والجان خلقناه من قبل من نار السموم وإذ قال ربك للملائكة إني خالق بشرا من صلصال من حمإ مسنون فإذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين فسجد الملائكة كلهم أجمعون إلا إبليس أبى أن يكون مع الساجدين قال لم أكن لأسجد لبشر خلقته من صلصال من حمإ مسنون قال فاخرج منها فإنك رجيم وإن عليك اللعنة إلى يوم الدين قال رب فأنظرني إلى يوم يبعثون قال فإنك من المنظرين إلى يوم الوقت المعلوم قال رب بما أغويتني لأزينن لهم في الأرض ولأغوينهم أجمعين إلا عبادك منهم المخلصين قال هذا صراط علي مستقيم إن عبادي ليس لك عليهم سلطان إلا من اتبعك من الغاوين وإن جهنم لموعدهم أجمعين لها سبعة أبواب لكل باب منهم جزء مقسوم وقال تعالى وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس قال أأسجد لمن خلقت طينا قال أرأيتك هذا الذي كرمت علي لئن أخرتني إلى يوم القيامة لأحتنكن ذريته إلا قليلا قال اذهب فمن تبعك منهم فإن جهنم جزاؤكم جزاء موفورا واستفزز من استطعت منهم بصوتك وأجلب عليهم بخيلك ورجلك وشاركهم في الأموال والأولاد وعدهم وما يعدهم الشيطان إلا غرورا إن عبادي ليس لك عليهم سلطان وكفى بربك وكيلا وقال تعالى وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس كان من الجن ففسق عن أمر ربه أفتتخذونه وذريته أولياء من دوني وهم لكم عدو بئس للظالمين بدلا وقال تعالى ولقد عهدنا إلى آدم من قبل فنسي ولم نجد له عزما وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس أبى فقلنا يا آدم إن هذا عدو لك ولزوجك فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى إن لك ألا تجوع فيها ولا تعرى وأنك لا تظمأ فيها ولا تضحى فوسوس إليه الشيطان قال يا آدم هل أدلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى فأكلا منها فبدت لهما سوآتهما وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة وعصى آدم ربه فغوى ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى قال اهبطا منها جميعا بعضكم لبعض عدو فإما يأتينكم مني هدى فمن اتبع هداي فلا يضل ولا يشقى ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى قال رب لم حشرتني أعمى وقد كنت بصيرا قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى وقال تعالى قل هو نبأ عظيم أنتم عنه معرضون ما كان لي من علم بالملإ الأعلى إذ يختصمون إن يوحى إلي إلا أنما أنا نذير مبين إذ قال ربك للملائكة إني خالق بشرا من طين فإذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين فسجد الملائكة كلهم أجمعون إلا إبليس استكبر وكان من الكافرين قال يا إبليس ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي أستكبرت أم كنت من العالين قال أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين قال فاخرج منها فإنك رجيم وإن عليك اللعنة إلى يوم الدين قال رب فأنظرني إلى يوم يبعثون قال فإنك من المنظرين إلى يوم الوقت المعلوم قال فبعزتك لأغوينهم أجمعين إلا عبادك منهم المخلصين قال فالحق والحق أقول لأملأن جهنم منكم أجمعين قل ما أسألكم عليه من أجر وما أنا من المتكلفين إن هو إلا ذكر للعالمين ولتعلمن نبأه بعد حين فهذا ذكر هذه القصة من مواضع متفرقة من القرآن وقد تكلمنا على ذلك كله في التفسير ولنذكر ما هنا مضمون ما دلت عليه هذه الآيات الكريمات وما يتعلق بها من الأحاديث الواردة في ذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وبالله المستعان فأخبر تعالى أنه خاطب الملائكة قائلا لهم إني جاعل في الأرض خليفة أعلم بما يريد أن يخلق من آدم وذريته الذين يخلف بعضهم بعضا كما قال وهو الذي جعلكم خلائف الأرض وقال ويجعلكم خلفاء

الأرض فأخبرهم بذلك على سبيل التنويه بخلق آدم وذريته كما يخبر بالأمر العظيم قبل كونه فقالت
الملائكة سائلين على وجه الاستكشاف والاستعلام عن وجه الحكمة لا على وجه الاعتراض و
التنقص لبني آدم والحسد لهم كما قد يتوهمه بعض جهلة المفسرين قالوا أتجعل فيها من يفسد
فيها ويسفك الدماء قيل علموا أن ذلك كائن بما رأوا ممن كان قبل آدم من الجن والبن قاله قتادة
وقال عبد الله بن عمرو كانت الجن قبل آدم بألفي عام فسفكوا الدماء فبعث الله إليهم من الملائكة
جندا فطردوهم إلى جزائر البحور وعن ابن عباس نحوه وعن الحسن ألهموا ذلك وقيل
لما اطلعوا عليه من اللوح المحفوظ فقيل أطلعهم عليه هاروت وماروت عن ملك فوقهما
يقال له السجل رواه ابن أبي حاتم عن أبي جعفر الباقر وقيل لأنهم علموا أن الأرض لا يخلق منها
إلا من يكون بهذه المثابة غالبا ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك أي نحن نعبدك دائما لا يعصيك
منا أحد فإن كان المراد بخلق هؤلاء أن يعبدوك فها نحن لا نفتر ليلا ولا نهارا قال إني أعلم
ما لا تعلمون أي أعلم من المصلحة الراجحة في خلق هؤلاء ما لا تعلمون أي سيوجد منهم الأنبياء
والمرسلون والصديقون والشهداء والصالحون ثم بين لهم شرف آدم عليهم في العلم
فقال وعلم آدم الأسماء كلها قال ابن عباس هي هذه الأسماء التي يتعارف بها الناس إنسان
ودابة وأرض وسهل وبحر وجبل وجمل وحمار وأشباه ذلك من الأمم وغيرها وفي رواية علمه اسم
الصحفة والقدر حتى الفسوة والفسية وقال مجاهد علمه اسم كل دابة وكل طير وكل شيء وكذا
قال سعيد بن جبير وقتادة وغير واحد وقال الربيع علمه أسماء الملائكة وقال عبد الرحمن بن
زيد علمه أسماء ذريته والصحيح أنه علمه أسماء الذوات وأفعالها مكبرها ومصغرها كما أشار
إليه ابن عباس رضي الله عنه وذكر البخاري ههنا ما رواه هو ومسلم من طريق سعيد وهشام
عن قتادة عن أنس بن مالك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يجتمع المؤمنون فيقولون
لو استشفعنا إلى ربنا فيأتون آدم فيقولون أنت أبو البشر خلقك الله بيده وأسجد لك
الملائكة وعلمك أسماء كل شيء وذكر تمام الحديث ثم عرضهم على الملائكة فقال أنبئوني بأسماء
هؤلاء إن كنتم صادقين قال الحسن البصري لما أراد الله خلق آدم قالت الملائكة لا يخلق ربنا
خلقا إلا كنا أعلم منه فابتلوا بهذا فذلك قوله إن كنتم صادقين وقيل غير ذلك كما
بسطناه في التفسير قالوا سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم أي سبحانك
أن يحيط أحد بشيء من علمك من غير تعليمك كما قال ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء وسع
ثم قال يا آدم أنبئهم بأسمائهم فلما أنبأهم بأسمائهم قال ألم أقل لكم إني أعلم غيب السموات
والأرض وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون أي أعلم السر كما أعلم العلانية وقيل إن المراد
بقوله أعلم ما تبدون ما قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها وبقوله وما كنتم تكتمون المراد
بهذا الكلام إبليس حين أسر الكبر والنفاسة على آدم عليه السلام قاله سعيد بن جبير ومجاهد
والسدي والضحاك والثوري واختاره ابن جرير وقال أبو العالية والربيع والحسن
وقتادة وما كنتم تكتمون قولهم لن يخلق ربنا خلقا إلا كنا أعلم منه وأكرم عليه منه وقوله
وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس أبى واستكبر هذا إكرام عظيم من الله تعالى
لآدم حين خلقه بيده ونفخ فيه من روحه كما قال فإذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا
له ساجدين فهذه أربع تشريفات خلقه له بيده الكريمة ونفخه فيه من روحه وأمره الملائكة
بالسجود له وتعليمه أسماء الأشياء ولهذا قال له موسى الكليم حين اجتمع هو وإياه في الملأ

الأعلى وتناظرا كما سيأتي أنت آدم أبو البشر الذي خلقك الله بيده ونفخ فيك من روحه
وأسجد لك ملائكته وعلمك أسماء كل شيء وهكذا يقول له أهل المحشر يوم القيامة كما تقدم
وكما سيأتي إن شاء الله وقال في الآية الأخرى ولقد خلقناكم ثم صورناكم ثم قلنا للملائكة
اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس لم يكن من الساجدين قال ما منعك ألا تسجد إذ أمرتك
قال أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين قال الحسن البصري قاس إبليس وهو أول
من قاس وقال محمد بن سيرين أول من قاس إبليس وما عبدت الشمس والقمر إلا بالمقاييس رواهما
ابن جرير ومعنى هذا أنه نظر نفسه بطريق المقايسة بينه وبين آدم فرأى نفسه أشرف من
آدم فامتنع من السجود له مع وجود الأمر له ولسائر الملائكة بالسجود والقياس إذا كان مقابلا
للنص كان فاسد الاعتبار ثم هو فاسد في نفسه فإن الطين أنفع وخير من النار فإن الطين
فيه الرزانة والحلم والأناة والنمو والنار فيها الطيش والخفة والسرعة والإحراق ثم آدم شرفه
الله بخلقه له بيده ونفخه فيه من روحه ولهذا أمر الملائكة بالسجود له كما قال إذ قال
ربك للملائكة إني خالق بشرا من صلصال من حمإ مسنون فإذا سويته ونفخت فيه من روحي
فقعوا له ساجدين فسجد الملائكة كلهم أجمعون إلا إبليس أبى أن يكون مع الساجدين قال
يا إبليس ما لك ألا تكون مع الساجدين قال لم أكن لأسجد لبشر خلقته من صلصال من حمإ
مسنون قال فاخرج منها فإنك رجيم وإن عليك اللعنة إلى يوم الدين استحق هذا من الله
تعالى لأنه استلزم تنقصه لآدم وازدراءه به وترفعه عليه مخالفة الأمر الإلهي ومعاندة
الحق في النص على آدم على التعيين وشرع في الاعتذار بما لا يجدي عنه شيئا وكان اعتذاره
أشد من ذنبه كما قال في سورة سبحان وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس
قال أأسجد لمن خلقت طينا قال أرأيتك هذا الذي كرمت علي لئن أخرتن إلى يوم القيامة
لأحتنكن ذريته إلا قليلا قال اذهب فمن تبعك منهم فإن جهنم جزاؤكم جزاء موفورا واستفزز
من استطعت منهم بصوتك وأجلب عليهم بخيلك ورجلك وشاركهم في الأموال والأولاد
وعدهم وما يعدهم الشيطان إلا غرورا إن عبادي ليس لك عليهم سلطان وكفى بربك وكيلا
وقال في سورة الكهف وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس كان من الجن ففسق
عن أمر ربه أفتتخذونه وذريته أولياء من دوني أي خرج عن طاعة الله تعالى عمدا وعنادا واستكبارا
عن امتثال أمره وما ذاك إلا أنه خانه طبعه ومادته الخبيثة أحوج ما كان إليها فإنه مخلوق
من نار كما قال وكما قدمنا في صحيح مسلم عن عائشة عن رسول الله قال خلقت الملائكة من
نور وخلق الجان من مارج من نار وخلق آدم مما وصف لكم قال الحسن البصري لم يكن إبليس
من الملائكة طرفة عين وقال شهر بن حوشب كان من الجن فلما أفسدوا في الأرض بعث الله
إليهم جندا من الملائكة فقتلوهم وأجلوهم إلى جزائر البحار وكان إبليس ممن أسر فأخذوه معهم
إلى السماء فكان هناك فلما أمرت الملائكة بالسجود امتنع إبليس منه وقال ابن مسعود وابن
عباس وجماعة من الصحابة وسعيد بن المسيب وآخرون كان رئيس الملائكة بالسماء الدنيا
قال ابن عباس وكان اسمه عزازيل وفي رواية عنه الحارث قال النقاش وكنيته أبو كردوس
قال ابن عباس وكان من حي من الملائكة يقال لهم الجن وكانوا خزان الجنان وكان من أشرفهم ومن
أكثرهم علما وعبادة وكان من أولي الأجنحة الأربعة فمسخه الله شيطانا رجيما وقال
في سورة ص إذ قال ربك للملائكة إني خالق بشرا من طين فإذا سويته ونفخت فيه من روحي

فقعوا له ساجدين فسجد الملايكة كلهم اجمعون الا ابليس استكبر وكان من الكافرين قال
يا ابليس ما منعك ان تسجد لما خلقت بيدي استكبرت ام كنت من العالين قال انا خير
منه خلقتني من نار وخلقته من طين قال فاخرج منها فانك رجيم وان عليك اللعنة
الى يوم الدين قال رب فانظرني الى يوم يبعثون قال فانك من المنظرين الى يوم الوقت المعلوم
قال فبعزتك لاغوينهم اجمعين الا عبادك منهم المخلصين قال فالحق والحق اقول لاملان جهنم
منك وممن تبعك منهم اجمعين وقال في سورة الاعراف قال فبما اغويتني لاقعدن لهم صراطك
المستقيم ثم لاتينهم من بين ايديهم ومن خلفهم وعن ايمانهم وعن شمايلهم ولا تجد اكثرهم
شاكرين اي بسبب اغوايك اياي لاقعدن لهم كل مرصد ولاتينهم من كل جهة منهم فالسعيد
من خالفه والشقي من اتبعه وقال الامام احمد ثنا هاشم بن القسم ثنا ابو عقيل هو
عبد الله بن عقيل الثقفي ثنا موسى بن المسيب عن سالم بن ابي الجعد عن سبرة بن ابي فاكه
قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الشيطان قعد لابن ادم باطرقه وذكر
الحديث كما قدمناه في صفة ابليس وقد اختلف المفسرون في الملايكة المامورين بالسجود
لادم اهم جميع الملايكة كما دل عليه عموم الايات وهو قول الجمهور او المراد بهم ملايكة الارض
كما رواه ابن جرير من طريق الضحاك عن ابن عباس وفيه انقطاع وفي السياق نكارة وان كان
بعض المتاخرين قد رجحه ولكن الاظهر من السياق الاول ويدل عليه الحديث واسجد
لك ملايكته وهذا عموم ايضا والله اعلم وقوله تعالى لابليس اهبط منها واخرج منها
دليل على انه كان في السما فامر بالهبوط منها والخروج من المنزلة والمكانة التي كان قد
نالها بعبادته وتشبهه بالملايكة في الطاعة والعبادة ثم سلب ذلك بكبره وحسده
ومخالفته لربه فاهبط الى الارض مذوما مدحورا وامر الله ادم عليه السلام ان يسكن
هو وزوجته الجنة فقال وقلنا يا ادم اسكن انت وزوجك الجنة وكلا منها رغدا حيث
شيتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين وقال في الاعراف قال اخرج منها مذوما
مدحورا لمن تبعك منهم لاملان جهنم منكم اجمعين ويا ادم اسكن انت وزوجك الجنة فكلا
من حيث شيتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين وقال تعالى واذ قلنا
للملايكة اسجدوا لادم فسجدوا الا ابليس ابى فقلنا يا ادم ان هذا عدو لك ولزوجك
فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى ان لك الا تجوع فيها ولا تعرى وانك لا تظما فيها ولا تضحى
وسياق هذه الايات يقتضي ان خلق حوا كان قبل دخول ادم الى الجنة لقوله ويا ادم اسكن
انت وزوجك الجنة وهذا قد صرح به ابن اسحاق ابن يسار وهو ظاهر هذه الايات ولكن حكى
السدي عن ابي صالح وابي مالك عن ابن عباس وعن مرة عن ابن مسعود وعن ناس من الصحابة
انهم قالوا اخرج ابليس من الجنة واسكن ادم الجنة فكان يمشي فيها وحشيا ليس له فيها زوج
يسكن اليها فنام نومة فاستيقظ وعند راسه امراة قاعدة خلقها الله من ضلعه فسالها
ما انت قالت امراة قال ولم خلقت قالت لتسكن الي فقالت له الملايكة ينظرون ما بلغ
من علمه ما اسمها يا ادم قال حوا قالوا ولم كانت حوا قال انها خلقت من شي حي ٢ وذكر محمد
ابن اسحاق عن ابن عباس انها خلقت من ضلعه الايسر وهو نايم ولام مكانه لحما ومصداق
هذا في قوله تعالى يا ايها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث
منهما رجالا كثيرا ونسا الاية وفي قوله تعالى هو الذي خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها

ليسكن اليها فلما تغشاها حملت حملا خفيفا فمرت به الاية وسنتكلم عليها فيما بعد
ان شا الله تعالى وفي الصحيحين من حديث زايدة عن ميسرة الاشجعي عن ابي حازم
عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال استوصوا بالنسا خيرا فان المراة خلقت
من ضلع وان اعوج شي في الضلع اعلاه فان ذهبت تقيمه كسرته وان تركته لم يزل اعوج
فاستوصوا بالنسا خيرا لفظ البخاري وقد اختلف المفسرون في قوله ولا تقربا
هذه الشجرة فقيل هي الكرم وروي عن ابن عباس وسعيد بن جبير والشعبي وجعدة بن
هبيرة ومحمد بن قيس والسدي في رواية عن ابن عباس وابن مسعود وناس من الصحابة
قال وتزعم يهود انها الحنطة وهذا مروي عن ابن عباس والحسن البصري ووهب بن منبه
وعطية العوفي وابي مالك ومحارب بن دثار وعبد الرحمن بن ابي ليلى قال وهب والحبة
منه الين من الزبد واحلى من العسل وقال الثوري عن ابي حصين عن ابي مالك ولا تقربا
هذه الشجرة هي النخلة وقال ابن جريج عن مجاهد هي التينة وبه قال قتادة وابن جريج
وقال ابو العالية كانت شجرة من اكل منها احدث ولا ينبغي في الجنة حدث وهذا الخلاف
قريب وقد ابهم الله ذكرها وتعيينها ولو كان في ذكرها مصلحة تعود الينا لعينها
لنا كما في غيرها من المحال التي تبهم في القران وانما الخلاف الذي ذكروه في ان هذه الجنة
التي دخلها ادم هل هي في السما او في الارض هو الخلاف الذي ينبغي فصله والخروج منه
والجمهور على انها هي التي في السما وهي جنة الماوى لظاهر الايات والاحاديث كقوله تعالى
وقلنا يا ادم اسكن انت وزوجك الجنة والالف واللام ليست للعموم ولا لمعهود لفظي وانما
تعود على معهود ذهني وهو المستقر شرعا من جنة الماوى وكقول موسى عليه السلام
لادم عليه السلام علام اخرجتنا ونفسك من الجنة الحديث كما سياتي الكلام عليه وروى
مسلم في صحيحه من حديث ابي مالك الاشجعي واسمه سعد بن طارق عن ابي حازم سلمة
ابن دينار عن ابي هريرة وابو مالك عن ربعي عن حذيفة قالا قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم يجمع الله الناس فيقوم المومنون حين تزلف لهم الجنة فياتون ادم فيقولون يا ابانا
استفتح لنا الجنة فيقول وهل اخرجكم من الجنة الا خطيية ابيكم وذكر الحديث بطوله
وهذا فيه قوة جيدة ظاهرة على الدلالة على انها جنة الماوى وليست تخلو عن نظر
وقال اخرون بل الجنة التي اسكنها ادم لم تكن جنة الخلد لانه كلف فيها ان لا ياكل من
تلك الشجرة ولانه نام فيها واخرج منها ودخل عليه ابليس فيها وهذا مما ينافي ان
تكون جنة الماوى وهذا القول محكي عن ابي بن كعب وعبد الله بن عباس ووهب بن منبه
وسفيان بن عيينة واختاره ابن قتيبة في المعارف والقاضي منذر بن سعيد
البلوطي في تفسيره وافرد له مصنفا على حدة وحكاه عن ابي حنيفة الامام واصحابه
رحمهم الله ونقله ابو عبد الله محمد بن عمر الرازي ابن خطيب الري في تفسيره عن ابي
القاسم البلخي وابي مسلم الاصبهاني ونقله القرطبي في تفسيره عن المعتزلة والقدرية
وهذا القول هو نص التوراة التي بايدي اهل الكتاب وممن حكى الخلاف في هذه المسالة
ابو محمد بن حزم في الملل والنحل وابو محمد بن عطية في تفسيره وابو عيسى الرماني في تفسيره
وحكى عن الجمهور الاول وابو القاسم الراغب والقاضي الماوردي في تفسيره فقال
واختلف في الجنة التي اسكناها يعني ادم وحوا على قولين احدهما انها جنة الخلد

حاشية ٢
وهذا مستنزع من نص
التوراة التي بايدي
اهل الكتاب
٩

الثاني انها جنة اعدها الله لهما وجعلها دار ابتلاء وليست جنة الخلد التي جعلها
دار جزاء ومن قال بهذا اختلفوا على قولين احدهما انها في السماء لانه اهبطهما منها
وهذا قول الحسن والثاني انها في الارض لانه امتحنهما فيها بالنهي عن الشجرة التي نهيا
عنها دون غيرها من الثمار وهذا قول ابن يحيى وكان ذلك بعد ان امر ابليس بالسجود
لادم والله اعلم بالصواب من ذلك هذا كلامه فقد تضمن كلامه حكاية اقوال ثلاثة
واشعر كلامه انه متوقف في المسئلة ولهذا حكى ابو عبد الله الرازي في تفسيره في هذه
المسئلة اربعة اقوال هذه الثلاثة التي اوردها الماوردي ورابعها الوقف وحكى
القول بانها في السماء وليست جنة المأوى عن ابي علي الجبائي وقد اورد اصحاب
القول الثاني سؤالا يحتاج مثله الى جواب فقالوا لا شك ان الله سبحانه وتعالى طرد
ابليس حين امتنع من السجود عن الحضرة الالهية وامره بالخروج عنها والهبوط منها
وهذا الامر ليس من الاوامر الشرعية بحيث يمكن مخالفته وانما هو امر قدري لا يخالف
ولا يمانع ولهذا قال اخرج منها مذؤوما مدحورا وقال اهبط منها فما يكون لك ان
تتكبر فيها وقال اخرج منها فانك رجيم والضمير عائد على الجنة او السماء او المنزلة
وايا ما كان فمعلوم انه ليس له الكون قدرا في المكان الذي طرد عنه وابعد منه لا على
سبيل الاستقرار ولا على سبيل المرور والاجتياز قالوا ومعلوم من ظاهر سياق القرآن
انه وسوس لادم وخاطبه بقوله له هل ادلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى وبقوله
ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة الا ان تكونا ملكين او تكونا من الخالدين وقاسمهما اني لكما
لمن الناصحين فدلاهما بغرور وهذا ظاهر في اجتماعه معهما في جنتهما وقد اجيبوا
عن هذا بانه لا يمتنع ان يجتمع بهما في الجنة على سبيل المرور فيها لا على سبيل الاستقرار
بها او انه وسوس لهما وهو على باب الجنة او من تحت السماء وفي الثلاثة نظر والله
اعلم ومما احتج به اصحاب هذه المقالة ما رواه عبد الله بن الامام احمد في الزيادات
عن هدبة بن خالد عن حماد بن سلمة عن حميد عن الحسن البصري عن يحيى بن ضمرة السعدي
عن ابي بن كعب قال ان ادم لما احتضر اشتهى قطفا من عنب الجنة فانطلق بنوه ليطلبوه
له فلقيتهم الملائكة فقالوا اين تريدون يا بني ادم فقالوا ان ابانا اشتهى قطفا من
عنب الجنة فقال لهم ارجعوا فقد كفيتموه فانتهوا اليه فقبضوا روحه وغسلوه وحنطوه
وكفنوه وصلى عليه جبريل ومن خلفه الملائكة ودفنوه وقالوا هذه سنتكم في موتاكم
وسياق الحديث بسنده وتمام لفظه عند ذكر وفاة ادم عليه السلام قالوا فلولا انه
كان الوصول الى الجنة التي كان فيها ادم التي اشتهى منها القطف ممكنا لما ذهبوا
يطلبون ذلك فدل على انها في الارض لا في السماء والله تعالى اعلم قالوا والاحتجاج بان
الالف واللام في قوله يا ادم اسكن انت وزوجك لم يتقدم عهد يعود عليه فهو المعهود
الذهني في قوله يا ادم اسكن انت وزوجك الجنة مسلم ولكن هو ما دل عليه سياق الكلام
فان ادم خلق من الارض ولم ينقل انه رفع الى السماء وخلق ليكون في الارض وبهذا اعلم
الرب الملائكة حيث قال اني جاعل في الارض خليفة قالوا وهذا كقوله تعالى انا بلوناهم
كما بلونا اصحاب الجنة فالالف واللام ليس للعموم ولم يتقدم معهود لفظي وانما هي للمعهود
الذهني الذي دل عليه السياق وهو البستان قالوا وذكر الهبوط لا يدل على النزول

من

من السماء قال الله تعالى قيل يا نوح اهبط بسلام منا وبركات عليك وعلى امم ممن معك
الاية وانما كان في السفينة حين استقرت على الجودي ونضب الماء عن وجه الارض امر ان
يهبط اليها هو ومن معه مباركا عليه وعليهم وقال تعالى اهبطوا مصرا فان لكم ما سألتم
الاية وقال تعالى وان منها لما يهبط من خشية الله الاية وفي الاحاديث واللغة من
هذا كثير قالوا ولا مانع بل هو الواقع ان الجنة التي اسكنها ادم كانت مرتفعة على سائر بقاع
الارض ذات اشجار وثمار وظلال ونعيم ونضرة وسرور كما قال تعالى ان لك ان لا تجوع
فيها ولا تعرى اي لا يذل باطنك بالجوع ولا ظاهرك بالعري وانك لا تظمأ فيها ولا تضحى اي
لا يمس باطنك حر الظمأ ولا ظاهرك حر الشمس ولهذا قرن بين هذا وهذا وبين
هذا وهذا لما بينهما من الملابسة فلما كان منهما ما كان من اكل الشجرة التي نهيا عنها اهبطا
الى الارض الشقاء والتعب والنصب والكدر والسعي والنكد والابتلاء والاختبار والامتحان
واختلاف السكان دينا واخلاقا واعمالا وقصودا وارادات واقوالا وافعالا كما قال
ولكم في الارض مستقر ومتاع الى حين ولا يلزم من هذا انهم كانوا في السماء كما قال تعالى وقلنا
من بعده لبني اسرائيل اسكنوا الارض فاذا جاء وعد الاخرة جئنا بكم لفيفا ومعلوم انهم
كانوا فيها لم يكونوا في السماء قالوا وليس هذا القول مفرعا على قول من ينكر وجود الجنة
والنار ولا تلازم بينهما فكل من حكي عنه هذا القول من السلف واكثر الخلف ممن يثبت وجود
الجنة والنار اليوم كما دلت عليه الايات والاحاديث الصحاح كما سيأتي ايرادها في موضعها
والله سبحانه وتعالى اعلم بالصواب وقوله تعالى فازلهما الشيطان عنها اي عن الجنة
فاخرجهما مما كانا فيه من النعيم والنضرة والسرور الى دار التعب والكد والنكد وذلك
بما وسوس لهما وزينه في صدورهما كما قال تعالى فوسوس لهما الشيطان ليبدي لهما
ما ووري عنهما من سوآتهما وقال ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة الا ان تكونا ملكين
او تكونا من الخالدين اي ولو اكلتما منها لصرتما كذلك وقاسمهما اي حلف لهما على ذلك
اني لكما لمن الناصحين كما قال في الاية الاخرى فوسوس اليه الشيطان قال يا ادم هل
ادلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى اي هل ادلك على الشجرة التي اذا اكلت منها حصل لك
الخلد فيما انت فيه من النعيم واستمررت في ملك لا يبيد ولا ينقضي وهذا من التغرير
والاخبار بخلاف الواقع والمقصود ان قوله شجرة الخلد التي اذا اكلت منها خلدت وقد
يكون هي الشجرة التي قال الامام احمد ثنا عبد الرحمن بن مهدي ثنا شعبة عن ابي الضحاك
سمعت ابا هريرة يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان في الجنة شجرة يسير
الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعها شجرة الخلد وكذا رواه ايضا عن غندر وحجاج
عن شعبة ورواه ابو داود الطيالسي في مسنده عن شعبة ايضا به قال غندر قلت
لشعبة هي شجرة الخلد قال ليس فيها هي تفرد به احمد وقوله فدلاهما بغرور فلما ذاقا
الشجرة بدت لهما سوآتهما وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة وكانت حواء اكلت
من الشجرة قبل ادم وهي التي حدته على اكلها والله اعلم وعليه يحمل الحديث الذي رواه
البخاري ثنا بشر بن محمد ثنا عبد الله انا معمر عن همام عن منبه عن ابي هريرة عن النبي
صلى الله عليه وسلم نحوه لولا بنو اسرائيل لم يخنز اللحم ولولا حواء لم تخن انثى زوجها تفرد به
من هذا الوجه واخرجاه في الصحيحين من حديث عبد الرزاق عن معمر عن همام عن ابي هريرة

به ورواه احمد ومسلم عن هرون بن معروف عن ابن وهب عن عمرو بن الحرث عن ابي يونس عن ابي
هريرة وفي كتاب التورية التي بايدي اهل الكتاب ان الذي دل حواء على الاكل من الشجرة هي
الحية وكانت من احسن الاشكال واعظمها فاكلت حواء عن قولها واطعمت ادم عليه السلام
وليس فيها ذكر لابليس فعند ذلك انفتحت اعينهما وعلما انهما عريانان فوصلا من ورق التين
وعملا مثل ازر وفيها انهما كانا عريانين وكذا قال وهب بن منبه كان لباسهما نورا على فرجه
وفرجها وهذا الذي في هذه التورية التي بايديهم غلط منهم وتحريف وخطأ في التعريب فان
نقل الكلام من لغة الى لغة لا يتيسر لكل احد ولا سيما ممن لا يكاد يعرف كلام العرب جيدا
ولا يحيط علما بفهم كلام كتابه ايضا فلهذا وقع في تعريبهم لها خطأ كبير لفظا ومعنى وقد
دل القرآن العظيم على انه كان عليهما لباس في قوله ينزع عنهما لباسهما ليريهما سوآتهما
فهذا لا يرد لغيره من الكلام والله تعالى اعلم وقال ابن ابي حاتم ثنا علي بن الحسن بن
اشكاب ثنا علي بن عاصم عن سعيد بن ابي عروبة عن قتادة عن الحسن عن ابي بن كعب
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله خلق ادم رجلا طوالا كثير شعر الراس
كانه نخلة سحوق فلما ذاق الشجرة سقط عنه لباسه فاول ما بدا منه عورته فلما
نظر الى عورته جعل يشتد في الجنة فاخذت شعره شجرة فنازعها فناداه الرحمن
عز وجل يا ادم مني تفر فلما سمع كلام الرحمن قال يا رب لا ولكن استحياء وقال الثوري
عن ابن ابي ليلى عن المنهال بن عمرو عن سعيد بن جبير عن ابن عباس وطفقا يخصفان عليهما
من ورق الجنة ورق التين وهذا اسناد صحيح اليه وكانه ماخوذ من اهل الكتاب وظاهر
الاية يقتضي اعم من ذلك وبتقدير تسليمه فلا يضر والله تعالى اعلم وروى الحافظ ابن
عساكر من طريق محمد بن اسحاق عن الحسن بن ذكوان عن الحسن البصري عن ابي بن كعب قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان اباكم ادم كان كالنخلة السحوق ستون ذراعا كثير
الشعر مواري العورة فلما اصاب الخطيئة في الجنة بدت له سوأته فخرج من الجنة فلقيته
شجرة فاخذت بناصيته فناداه ربه افرارا مني يا ادم قال بل حياء منك يا رب مما جئت
به ثم رواه من طريق سعيد بن ابي عروبة عن قتادة عن الحسن عن يحيى بن ضمرة عن ابي بن
كعب عن النبي صلى الله عليه وسلم بنحوه وهذا اصح فان الحسن لم يدرك ابيا ثم اورده
ايضا من طريق خيثمة بن سليمان الاطرابلسي عن محمد بن عبد الوهاب ابي قرصافة العسقلاني
عن ادم بن ابي اياس عن شيبان عن قتادة عن انس مرفوعا بنحوه وناداهما ربهما الم انهكما
عن تلكما الشجرة واقل لكما ان الشيطان لكما عدو مبين قالا ربنا ظلمنا انفسنا وان
لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين وهذا اعتراف ورجوع الى الانابة وتذلل وخضوع
واستكانة وافتقار اليه تعالى في الساعة الراهنة وهذا السر ما سرى في احد من ذريته
الا كانت عاقبته الى خير في دنياه واخراه قال اهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم في الارض
مستقر ومتاع الى حين وهذا خطاب لادم وحواء وابليس قيل والحية معهم امروا ان يهبطوا
من الجنة فيها لكونهم متعادين متحاربين وقد يستشهد لذكر الحية معهم بما ثبت
في الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه امر بقتل الحيات وقال ما سالمناهن
منذ حاربناهن وقوله في سورة طه قال اهبطا منها جميعا بعضكم لبعض عدو هو امر
لادم وابليس واستتبع ادم حواء وابليس الحية وقيل هو امر لهم بصيغة التثنية كما

في قوله وداود وسليمان اذ يحكمان في الحرث اذ نفشت فيه غنم القوم وكنا لحكمهم شاهدين
واما تكريره الاهباط في سورة البقرة في قوله قلنا اهبطوا منها جميعا بعضكم لبعض
عدو ولكم في الارض مستقر ومتاع الى حين فتلقى ادم من ربه كلمات فتاب عليه انه هو
التواب الرحيم قلنا اهبطوا منها جميعا فاما ياتينكم مني هدى فمن تبع هداي فلا خوف
عليهم ولا هم يحزنون والذين كفروا وكذبوا باياتنا اولئك اصحاب النار هم فيها خالدون
فقال بعض المفسرين المراد بالاهباط الاول الهبوط من الجنة الى السماء الدنيا وبالثاني
من السماء الدنيا الى الارض وهذا ضعيف لقوله في الاول قلنا اهبطوا منها جميعا بعضكم
لبعض عدو ولكم في الارض مستقر ومتاع الى حين فدل على انهم اهبطوا الى الارض بالاهباط
الاول والله اعلم والصحيح انه كرره لفظا وان كان واحدا وناط مع كل مرة حكما فناط
بالاول عداوتهم فيما بينهم وبالثاني الاشتراط عليهم ان من تبع هداه الذي ينزله عليهم
بعد ذلك فهو السعيد ومن خالفه فهو الشقي وهذا اسلوب في الكلام له نظائر في القران
الحكيم وروى الحافظ ابن عساكر عن مجاهد قال امر الله ملكين ان يخرجا ادم وحواء من جواره
فنزع جبريل التاج عن راسه وحل ميكائيل الاكليل عن جبينه وتعلق به غصن فظن ادم
انه قد عوجل بالعقوبة فنكس راسه يقول العفو العفو فقال الله فرارا مني قال
بل حياء منك يا سيدي وقال الاوزاعي عن حسان هو ابن عطية مكث ادم في الجنة مائة
عام وفي رواية ستين عاما وبكى على الجنة سبعين عاما وعلى خطيئته سبعين عاما وعلى
ولده حين قتل اربعين عاما رواه ابن عساكر وقال ابن ابي حاتم ثنا ابو زرعة ثنا عثمان
ابن ابي شيبة ثنا جرير عن سعيد عن ابن عباس قال اهبط ادم عليه السلام الى ارض يقال
لها دحنا بين مكة والطائف وعن الحسن قال اهبط ادم بالهند وحواء بجدة وابليس
بدستميسان من البصرة على اميال واهبطت الحية باصبهان رواه ابن ابي حاتم
ايضا وقال السدي نزل ادم بالهند ونزل معه بالحجر الاسود وبقبضة من ورق الجنة
فبثه في الهند فنبتت شجرة الطيب هناك وعن ابن عمر قال اهبط ادم بالصفا وحواء
بالمروة رواه ابن ابي حاتم ايضا وقال عبد الرزاق قال معمر اخبرني عوف عن قسامة
ابن زهير عن ابي موسى الاشعري قال ان الله حين اهبط ادم من الجنة الى الارض علمه
صنعة كل شيء وزوده من ثمار الجنة فثماركم هذه من ثمار الجنة غير ان هذه تتغير وتلك
لا تتغير وقال الحاكم في مستدركه انا ابو بكر بن بالويه عن محمد بن احمد بن النضر عن معاوية
ابن عمرو عن زائدة عن عمار بن ابي معاوية البجلي عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال
ما اسكن ادم الجنة الا ما بين صلاة العصر الى غروب الشمس ثم قال على شرط الشيخين
ولم يخرجاه وفي صحيح مسلم من حديث الزهري عن الاعرج عن ابي هريرة قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم خير يوم طلعت فيه الشمس يوم الجمعة فيه خلق ادم وفيه ادخل
الجنة وفيه اخرج منها وفي الصحيح من وجه اخر وفيه تقوم الساعة على شرط مسلم فاما
الحديث الذي رواه ابن عساكر من طريق ابي القسم البغوي ثنا محمد بن جعفر الوركاني ثنا
سعيد بن ميسرة عن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم هبط ادم وحواء
عريانين جميعا عليهما ورق الجنة فاصابه الحر حتى قعد يبكي ويقول لها يا حواء قد اذاني
الحر قال فجاءه جبريل بقطن وامرها ان تغزل وعلمها وامر ادم بالحياكة وعلمه وان

نقف على قوله وكان ادم لم يجامع حتى اذنه

ينبع قال وكان آدم لم يجامع امرأته في الجنة حتى هبط منها للخطيئة التي أصابها بأكلهما الشجرة قال وكان كل واحد منهما ينام على حدة ينام أحدهما في البطحاء والآخر من ناحية أخرى حتى أتاه جبريل فأمره أن يأتي أهله قال وعلمه كيف يأتيها فلما أتاها جاءه جبريل فقال كيف وجدت امرأتك قال صالحة فإنه حديث غريب ورفعه منكر جدا وقد يكون من كلام بعض السلف وسعيد ابن ميسرة هذا هو أبو عمران البكري البصري قال فيه البخاري منكر الحديث وقال ابن حبان يروي الموضوعات وقال ابن عدي مظلم الأمر وقوله فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه إنه هو التواب الرحيم قيل هي قوله ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين روي هذا عن مجاهد وسعيد بن جبير وأبي العالية والربيع بن أنس والحسن وقتادة ومحمد ابن كعب وخالد بن معدان وعطاء الخراساني وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم وقال ابن أبي حاتم ثنا علي بن الحسين بن إشكاب ثنا علي بن عاصم عن سعيد بن أبي عروبة عن قتادة عن الحسن عن أبي بن كعب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال آدم عليه السلام أرأيت يا رب إن تبت ورجعت أعائدي إلى الجنة قال نعم فذلك قوله فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه وهذا غريب من هذا الوجه وفيه انقطاع وقال ابن أبي نجيح عن مجاهد قال الكلمات اللهم لا إله إلا أنت سبحانك وبحمدك رب إني ظلمت نفسي فاغفر لي إنك خير الغافرين اللهم لا إله إلا أنت سبحانك وبحمدك رب إني ظلمت نفسي فاغفر لي إنك خير الراحمين اللهم لا إله إلا أنت سبحانك وبحمدك رب إني ظلمت نفسي فتب علي إنك أنت التواب الرحيم وروى الحاكم في مستدركه من طريق سعيد بن جبير عن ابن عباس فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه قال آدم يا رب ألم تخلقني بيدك قيل له بلى ونفخت في من روحك قيل له بلى وعطست فقلت يرحمك الله وسبقت رحمتك غضبك قيل بلى وكتبت علي أن أعمل هذا قيل له بلى قال أفرأيت إن تبت هل أنت راجعي إلى الجنة قال نعم ثم قال الحاكم صحيح الإسناد ولم يخرجاه وروى الحاكم أيضا والبيهقي وابن عساكر من طريق عبد الرحمن بن زيد بن أسلم عن أبيه عن جده عن عمر بن الخطاب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما اقترف آدم الخطيئة قال يا رب أسألك بحق محمد إلا غفرت لي فقال الله فكيف عرفت محمدا ولم أخلقه بعد فقال يا رب لأنك لما خلقتني بيدك ونفخت في من روحك رفعت رأسي فرأيت على قوائم العرش مكتوبا لا إله إلا الله محمد رسول الله فعلمت أنك لم تضف إلى اسمك إلا أحب الخلق إليك فقال الله صدقت يا آدم إنه لأحب الخلق إلي وإذ سألتني بحقه فقد غفرت لك ولولا محمد ما خلقتك قال البيهقي تفرد به عبد الرحمن بن زيد بن أسلم من هذا الوجه وهو ضعيف والله أعلم وهذه الآية كقوله تعالى وعصى آدم ربه فغوى ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى

ذكر احتجاج آدم على موسى عليهما السلام

قال البخاري ثنا قتيبة ثنا أيوب بن النجار عن يحيى بن أبي كثير عن أبي سلمة عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال حاج آدم موسى عليهما السلام فقال له أنت الذي أخرجت الناس من الجنة بذنبك وأشقيتهم قال آدم يا موسى أنت الذي اصطفاك الله برسالاته وبكلامه أتلومني على أمر كتبه الله علي قبل أن يخلقني أو قدره علي قبل أن يخلقني قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فحج آدم موسى وقد رواه مسلم عن عمرو الناقد والنسائي عن محمد بن عبد الله بن يزيد عن أيوب بن النجار قال أبو مسعود الدمشقي ولم يخرجا عنه في الصحيحين سواه وقد رواه أحمد عن عبد الرزاق عن معمر عن همام عن أبي هريرة ورواه مسلم عن محمد بن رافع عن عبد الرزاق به وقال الإمام أحمد ثنا أبو كامل ثنا إبراهيم ثنا ابن شهاب عن حميد بن عبد الرحمن عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم احتج آدم وموسى فقال له موسى أنت آدم الذي أخرجتك خطيئتك من الجنة فقال له آدم وأنت موسى الذي اصطفاك الله برسالاته وبكلامه تلومني على أمر قدر علي قبل أن أخلق قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فحج آدم موسى مرتين قلت وقد روى هذا الحديث البخاري ومسلم من حديث الزهري عن حميد بن عبد الرحمن عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم بنحوه وقال الإمام أحمد ثنا معاوية بن عمرو ثنا زائدة عن الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال احتج آدم وموسى فقال موسى يا آدم أنت الذي خلقك الله بيده ونفخ فيك من روحه أغويت الناس وأخرجتهم من الجنة قال فقال آدم وأنت موسى الذي اصطفاك الله بكلامه تلومني على عمل أعمله كتبه الله علي قبل أن يخلق السموات والأرض قال فحج آدم موسى وقد رواه الترمذي والنسائي جميعا عن يحيى بن حبيب بن عربي عن معتمر بن سليمان عن أبيه عن الأعمش به قال الترمذي وهو غريب من حديث سليمان التيمي عن الأعمش قال وقد رواه بعضهم عن الأعمش عن أبي صالح عن أبي سعيد قلت هكذا رواه الحافظ أبو بكر البزار في مسنده عن محمد بن مثنى عن معاذ بن أسد عن الفضل بن موسى عن الأعمش عن أبي صالح عن أبي سعيد ورواه البزار أيضا حدثنا عمرو بن علي الفلاس ثنا أبو معاوية ثنا الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة أو أبي سعيد عن النبي صلى الله عليه وسلم فذكر نحوه وقال أحمد ثنا سفيان عن عمرو سمع طاوسا سمع أبا هريرة يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم احتج آدم وموسى فقال موسى يا آدم أنت أبونا خيبتنا وأخرجتنا من الجنة فقال له آدم يا موسى أنت اصطفاك الله بكلامه وقال مرة برسالته وخط لك بيده أتلومني على أمر قدره الله علي قبل أن يخلقني بأربعين سنة قال فحج آدم موسى فحج آدم موسى وهكذا رواه البخاري عن علي بن المديني عن سفيان قال حفظناه من عمرو عن طاوس قال سمعنا أبا هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال احتج آدم وموسى فقال موسى يا آدم أنت أبونا خيبتنا وأخرجتنا من الجنة فقال له آدم يا موسى اصطفاك الله بكلامه وخط لك بيده أتلومني على أمر قدره الله علي قبل أن يخلقني بأربعين سنة فحج آدم موسى فحج آدم موسى ثلاثا قال سفيان ثنا أبو الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم مثله وقد رواه الجماعة إلا ابن ماجه من عشر طرق عن سفيان بن عيينة عن عمرو بن دينار عن عبد الله بن طاوس عن أبيه عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم بنحوه وقال أحمد ثنا عبد الرحمن ثنا حماد عن عمار عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لقي آدم موسى فقال أنت آدم الذي خلقك الله بيده وأسجد لك ملائكته وأسكنك الجنة ثم فعلت فقال أنت موسى الذي كلمك الله واصطفاك برسالته وأنزل عليك التوراة أنا أقدم أم الذكر قال لا بل الذكر فحج آدم موسى قال أحمد وحدثنا عفان ثنا حماد عن عمار بن أبي عمار عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لقي آدم موسى وحميد عن الحسن عن رجل قال حماد أظنه جندب

بن عبد الله البجلي عن النبي صلى الله عليه وسلم قال التقى آدم وموسى فذكر معناه تفرد به أحمد
من هذا الوجه وقال أحمد ثنا حسين ثنا جرير هو ابن حازم عن محمد هو ابن سيرين عن أبي
هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لقي آدم موسى فقال أنت آدم الذي خلقك
الله بيده وأسكنك جنته وأسجد لك ملائكته ثم صنعت ما صنعت قال آدم لموسى
أنت الذي كلمه الله وأنزل عليه التوراة قال نعم قال فهل تجده مكتوبا علي قبل أن أخلق
قال نعم قال فحج آدم موسى وكذا رواه حماد بن زيد وهشام عن محمد بن سيرين عن أبي هريرة رفعه
وكذا رواه علي بن عاصم عن خالد وهشام عن محمد بن سيرين وهذا على شرطهما من هذه الوجوه
وقال ابن أبي حاتم ثنا يونس بن عبد الأعلى أنا ابن وهب أخبرني أنس بن عياض عن الحرث
ابن أبي ذباب عن يزيد بن هرمز سمعت أبا هريرة يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
احتج آدم وموسى عند ربهما فحج آدم موسى قال موسى أنت الذي خلقك الله بيده ونفخ فيك
من روحه وأسجد لك ملائكته وأسكنك جنته ثم أهبطت الناس إلى الأرض بخطيئتك قال
آدم أنت موسى الذي اصطفاك الله برسالته وكلامه وأعطاك الألواح فيها تبيان كل شيء
وقربك نجيا فبكم وجدت الله كتب التوراة قبل أن أخلق قال موسى بأربعين عاما قال آدم فهل وجدت فيها
وعصى آدم ربه فغوى قال نعم قال أفتلومني على أن عملت عملا كتب الله علي أن أعمله قبل أن
يخلقني بأربعين سنة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فحج آدم موسى قال الحرث
وحدثني عبد الرحمن بن هرمز بذلك عن أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد رواه
مسلم عن إسحاق بن موسى الأنصاري عن أنس بن عياض عن الحرث بن عبد الرحمن عن أبي ذباب
عن يزيد بن هرمز والأعرج كلاهما عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم بنحوه وقال
أحمد ثنا عبد الرزاق أنا معمر عن الزهري عن أبي سلمة عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم احتج آدم وموسى فقال موسى يا آدم أنت الذي أدخلت ذريتك النار
فقال آدم يا موسى اصطفاك الله برسالاته وبكلامه وأنزل عليك التوراة فهل وجدت أني أهبط
قال نعم قال فحجه آدم وهذا على شرطهما ولم يخرجاه من هذا الوجه وفي قوله أدخلت ذريتك
النار نكارة فهذه طرق هذا الحديث عن أبي هريرة رواه عنه حميد بن عبد الرحمن وذكوان أبو
صالح السمان وطاوس بن كيسان وعبد الرحمن بن هرمز الأعرج وعمار بن أبي عمار ومحمد بن سيرين
وهمام بن منبه ويزيد بن هرمز وقد رواه الحافظ أبو يعلى الموصلي في مسنده من حديث أمير
المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال حدثنا الحرث بن مسكين المصري ثنا عبد الله بن
وهب أخبرني هشام بن سعد عن زيد بن أسلم عن أبيه عن عمر بن الخطاب عن النبي صلى الله عليه
وسلم قال قال موسى عليه السلام يا رب أبونا آدم الذي أخرجنا ونفسه من الجنة فأراه الله آدم
عليه السلام فقال أنت آدم فقال له آدم نعم قال أنت الذي نفخ الله فيك من روحه وأسجد
لك ملائكته وعلمك الأسماء كلها قال نعم قال فما حملك على أن أخرجتنا ونفسك من الجنة فقال
له آدم من أنت قال أنا موسى قال أنت نبي بني إسرائيل أنت الذي كلمك الله من وراء الحجاب
لم يجعل بينك وبينه رسولا من خلقه قال نعم قال تلومني على أمر قد سبق من الله عز وجل القضاء
قبل قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فحج آدم موسى ورواه أبو داود عن أحمد بن
صالح المصري عن ابن وهب قال أبو يعلى وحدثنا محمد بن المثنى ثنا عبد الملك بن الصباح
المسمعي ثنا عمران عن الرديني بن أبي مجلز عن يحيى بن يعمر عن ابن عمر قال أبو محمد أكبر ظني أنه

رفعه

رفعه قال التقى آدم وموسى فقال موسى لآدم أنت أبو البشر أسكنك الله جنته وأسجد لك
ملائكته فقال آدم يا موسى أما تجده علي مكتوبا قال فحج آدم موسى وهذا الإسناد أيضا
لا بأس به والله أعلم وقد تقدم رواية الفضيل بن عياض لهذا الحديث عن الأعمش عن أبي صالح عن
أبي سعيد ورواية الإمام أحمد له عن عفان عن حماد بن سلمة عن حميد عن الحسن عن رجل قال
حماد أظنه جندب بن عبد الله البجلي عن النبي صلى الله عليه وسلم لقي آدم موسى فذكر معناه
وقد اختلفت مسالك الناس في هذا الحديث فرده قوم من القدرية لما تضمن من إثبات
القدر السابق واحتج به قوم من الجبرية وهو ظاهر لهم بادي الرأي حيث قال فحج آدم موسى لما
احتج عليه بتقدم كتابه وسيأتي الجواب عن هذا وقال آخرون إنما حجه لأنه لامه على ذنب قد
تاب منه والتائب من الذنب كمن لا ذنب له وقيل إنما حجه لأنه أكبر منه وأقدم وقيل لأنه أبوه
وقيل لأنهما في شريعتين متغايرتين وقيل لأنهما في دار البرزخ وقد انقطع التكليف
فيما يزعمونه والتحقيق أن هذا الحديث روي بألفاظ كثيرة بعضها مروي بالمعنى وفيه نظر
ومدار معظمها في الصحيحين وغيرهما على أنه لامه على إخراجه نفسه وذريته من الجنة فقال
له آدم أنا لم أخرجكم وإنما أخرجكم الذي رتب الإخراج على أكلي من الشجرة والذي رتب ذلك
وقدره وكتبه قبل أن أخلق هو الله عز وجل فأنت تلومني على أمر ليس له نسبة إلي أكثر أني
نهيت عن الأكل من الشجرة فأكلت منها وكون الإخراج مترتبا على ذلك ليس من فعلي فأنا لم أخرجكم
ولا نفسي من الجنة وإنما كان هذا من قدر الله وصنعه وله الحكمة في ذلك فلهذا حج آدم موسى
ومن كذب بهذا الحديث فمعاند لأنه متواتر عن أبي هريرة رضي الله عنه وناهيك به عدالة
وحفظا وإتقانا ثم هو مروي عن غيره من الصحابة كما ذكرنا ومن تأوله بتلك التأويلات
المذكورة آنفا فهو بعيد من اللفظ والمعنى وما فيهم من هو أقوى مسلكا من الجبرية وفيما
قالوه نظر من وجوه أحدها أن موسى عليه السلام لا يلوم على أمر قد تاب منه فاعله الثاني أنه
قد قتل نفسا لم يؤمر بقتلها وقد سأل الله في ذلك بقوله رب إني ظلمت نفسي فاغفر لي
فغفر له الآية الثالث أنه لو كان الجواب عن اللوم على الذنب بالقدر المتقدم كتابه
على العبد لانفتح هذا لكل من ليم على أمر قد فعله فيحتج بالقدر السابق به فينسد
باب القصاص والحدود ولو كان القدر حجة لاحتج به كل أحد على الأمر الذي ارتكبه
في الأمور الكبار والصغار وهذا يفضي إلى لوازم فظيعة فلهذا قال من قال من العلماء
بأن جواب آدم إنما كان احتجاجا بالقدر على المصيبة لا المعصية والله تعالى أعلم

ذكر الأحاديث الواردة في خلق آدم عليه السلام

قال الإمام أحمد حدثنا يحيى ومحمد بن جعفر ثنا عوف حدثني قسامة بن زهير عن أبي موسى عن
النبي صلى الله عليه وسلم قال إن الله خلق آدم من قبضة قبضها من جميع الأرض فجاء بنو
آدم على قدر الأرض جاء منهم الأبيض والأحمر والأسود وبين ذلك والخبيث والطيب والسهل
والحزن وبين ذلك ورواه أيضا عن هوذة عن عوف عن قسامة بن زهير سمعت الأشعري
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الله خلق آدم من قبضة قبضها من جميع
الأرض فجاء بنو آدم على قدر الأرض جاء منهم الأبيض والأحمر والأسود وبين ذلك والسهل
والحزن وبين ذلك والخبيث والطيب وبين ذلك وكذا رواه أبو داود والترمذي وابن حبان
في صحيحه من حديث عوف بن أبي جميلة الأعرابي عن قسامة بن زهير المازني البصري عن أبي

كذا بخطه أرنا

أقول ومن احتجاجهم فرق دقيق على الفرق بين أهل السنة والجبرية لا يعرفها إلا من له ذوق وطبع من المحققين والدليل الشرعي على موافقة آدم عليه السلام المنصوص في القرآن في اعترافه ونعت الخطيئة قال [illegible] ربنا ظلمنا أنفسنا الآية وما اعترض له موسى أجاب بتقدم القضاء والكتاب [illegible] احتجاج بالقدر على المصيبة وأما الاحتجاج بالقدر على المعصية فهو المروي عن الشيطان الرجيم في بعض الروايات وهذا بحث شريف يليق أن يجرد له رسالة مخصوصة والمصنف أراد البيان والتحقيق مع شهرة في التفسير والحديث [illegible] فمن أراد التحقيق فليطالع التفاسير وشروح [illegible] الفرق بين أهل السنة والجبرية [illegible]

موسى عبد الله بن قيس الاشعري عن النبي صلى الله عليه وسلم بنحوه وقال الترمذي حسن صحيح
وقد ذكر السدي عن ابي مالك وابي صالح عن ابن عباس وعن مرة عن ابن مسعود وعن ناس من اصحاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا فبعث الله عز وجل جبريل الى الارض ليأتيه بطين منها
فقالت الارض اعوذ بالله منك ان تنقص مني او تشينني فرجع ولم يأخذ وقال رب انها عاذت
بك فاعذتها فبعث ميكائيل فعاذت منه فاعاذها فرجع فقال
كما قال جبريل فبعث ملك الموت فعاذت منه فقال وانا اعوذ بالله ان ارجع ولم انفذ امره
فاخذ من وجه الارض وخلط ولم يأخذ من مكان واحد واخذ من تربة حمراء وبيضاء وسوداء فلذلك
خرج بنو ادم مختلفين فصعد به فبل التراب حتى عاد طينا لازبا واللازب هو الذي يلزق
بعضه على بعض ثم قال للملائكة اني خالق بشرا من طين فاذا سويته ونفخت فيه من روحي
فقعوا له ساجدين فخلقه الله بيده لئلا يتكبر ابليس عنه فخلقه بشرا فكان جسدا من
طين اربعين سنة من مقدار يوم الجمعة فمرت به الملائكة ففزعوا منه لما راوه وكان اشدهم
منه فزعا ابليس فكان يمر به فيضربه فيصوت الجسد كما يصوت الفخار يكون له صلصلة
فذلك حين يقول من صلصال كالفخار ويقول لامر ما خلقت ودخل من فيه وخرج من دبره
وقال للملائكة لا ترهبوا من هذا فان ربكم صمد وهذا اجوف لئن سلطت عليه لاهلكنه
فلما بلغ الحين الذي يريد الله عز وجل ان ينفخ فيه الروح قال للملائكة اذا نفخت فيه من
روحي فاسجدوا له فلما نفخ فيه الروح فدخل الروح في راسه عطس فقالت الملائكة قل الحمد
لله فقال الحمد لله فقال له الله رحمك ربك فلما دخلت الروح في عينيه نظر الى ثمار الجنة
فلما دخلت الروح في جوفه اشتهى الطعام فوثب قبل ان تبلغ الروح الى رجليه عجلان الى
ثمار الجنة وذلك حين يقول الله تعالى خلق الانسان من عجل فسجد الملائكة كلهم اجمعون
الا ابليس ابى ان يكون مع الساجدين وذكر تمام القصة ولبعض هذا السياق شاهد من الاحاديث
وان كان كثير منه متلقى من الاسرائيليات فقال الامام احمد حدثنا عبد الصمد ثنا حماد عن ثابت
عن انس ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لما خلق الله ادم تركه ما شاء ان يدعه فجعل ابليس
يطيف به فلما راه اجوف عرف انه خلق لا يتمالك وقال ابن حبان في صحيحه ثنا الحسن بن
سفيان ثنا احمد بن خلد ثنا حماد بن سلمة عن ثابت عن انس بن مالك ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم قال لما نفخ في ادم فبلغ الروح راسه عطس فقال الحمد لله رب العالمين
فقال له تبارك وتعالى يرحمك الله وقال الحافظ ابو بكر البزار حدثنا يحيى بن محمد بن
السكن ثنا حبان بن هلال ثنا مبارك بن فضالة عن عبيد الله عن خبيب عن حفص
هو ابن عاصم بن عبيد الله بن عمر بن الخطاب عن ابي هريرة رفعه قال لما خلق الله ادم عطس
فقال الحمد لله فقال له ربه رحمك ربك يا ادم وهذا الاسناد لا باس به ولم يخرجوه قال
عمر بن عبد العزيز لما امرت الملائكة بالسجود كان اول من سجد منهم اسرافيل فاثابه الله ان كتب
القران في جبهته رواه ابن عساكر وقال الحافظ ابو يعلى ثنا عقبة بن مكرم ثنا عمر بن
محمد عن اسماعيل بن رافع عن المقبري عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
ان الله خلق ادم من تراب ثم جعله طينا ثم تركه حتى اذا كان حماء مسنونا خلقه وصوره
ثم تركه حتى اذا كان صلصالا كالفخار قال فكان ابليس يمر به فيقول لقد خلقت لامر
عظيم ثم نفخ الله فيه من روحه فكان اول ما جرى فيه الروح بصره وخياشيمه فعطس فلقاه

مطلب
طينة
ادم

الله رحمة ربه فقال الله يرحمك ربك ثم قال الله يا ادم اذهب الى هؤلاء النفر فقل لهم
فانظر ماذا يقولون فجاء فسلم عليهم فقالوا وعليك السلام ورحمة الله فقال يا ادم هذا
تحيتك وتحية ذريتك قال يا رب وما ذريتي قال اختر يدي يا ادم قال اختار يمين ربي
وكلتا يدي ربي يمين فبسط كفه فاذا من هو كائن من ذريته في كف الرحمن فاذا رجال منهم
افواههم النور فاذا رجل يعجب ادم نوره قال يا رب من هذا قال ابنك داود قال يا رب
فكم جعلت له من العمر قال جعلت له ستين قال يا رب فاتم له من عمري حتى يكون عمره مائة
سنة ففعل الله ذلك واشهد على ذلك فلما نفد عمر ادم بعث الله ملك الموت فقال
ادم اولم يبق من عمري اربعون سنة قال له الملك الم تعطها ابنك داود فجحد ذلك فجحدت
ذريته ونسي فنسيت ذريته وقد رواه الحافظ ابو بكر البزار والترمذي والنسائي في
اليوم والليلة من حديث صفوان بن عيسى عن الحرث بن عبد الرحمن بن ابي ذباب عن سعيد
المقبري عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم وقال الترمذي حسن غريب من هذا الوجه
وقال النسائي هذا حديث منكر وقد رواه محمد بن عجلان عن سعيد المقبري عن ابيه عن
عبد الله بن سلام قوله وقال الترمذي ثنا عبد بن حميد ثنا ابو نعيم ثنا هشام بن
سعد عن زيد بن اسلم عن ابي صالح عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لما خلق الله ادم مسح ظهره فسقط من ظهره كل نسمة هو خالقها من ذريته الى يوم القيامة
وجعل بين عيني كل انسان منهم وبيصا من نور ثم عرضهم على ادم فقال اي رب من هؤلاء
قال هؤلاء ذريتك فراى رجلا منهم فاعجبه وبيص ما بين عينيه فقال اي رب من هذا قال
هذا رجل من اخر الامم من ذريتك يقال له داود قال رب وكم جعلت عمره قال ستين سنة
قال اي رب زده من عمري اربعين سنة فلما انقضى عمر ادم جاءه ملك الموت قال اولم يبق من
عمري اربعون سنة قال اولم تعطها ابنك داود قال فجحد فجحدت ذريته ونسي ادم فنسيت
ذريته وخطئ ادم فخطئت ذريته ثم قال الترمذي حسن صحيح وقد روي من غير وجه عن
ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم ورواه الحاكم في مستدركه من حديث ابي نعيم الفضل
ابن دكين وقال صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه وروى ابن ابي حاتم من حديث عبد الرحمن
بن زيد بن اسلم عن ابيه عن عطاء بن يسار عن ابي هريرة مرفوعا فذكره وفيه ثم عرضهم على ادم
فقال يا ادم هؤلاء ذريتك واذا فيهم الاجذم والابرص وانواع الاسقام فقال
ادم يا رب لم فعلت هذا بذريتي قال كي تشكر نعمتي ثم ذكر قصة داود وستاتي من
رواية ابن عباس ايضا وقال الامام احمد في مسنده ثنا الهيثم عن يونس بن ميسرة
عن ابي ادريس عن ابي الدرداء عن النبي صلى الله عليه وسلم قال خلق الله ادم حين خلقه
فضرب كتفه اليمنى فاخرج ذرية بيضاء كانهم الذر وضرب كتفه اليسرى فاخرج
ذرية سوداء كانهم الحمم فقال للذي في يمينه الى الجنة ولا ابالي وقال للذي في كفه اليسرى
الى النار ولا ابالي وقال ابن ابي الدنيا ثنا خلف بن هشام ثنا الحكم بن سنان عن حوشب
عن الحسن قال خلق الله ادم حين خلقه فاخرج اهل الجنة من صفحته اليمنى واخرج
اهل النار من صفحته اليسرى فالقوا على وجه الارض منهم الاعمى والاصم والمبتلى فقال
ادم يا رب الا سويت بين ولدي قال يا ادم اني اردت ان اشكر ورواه عبد الرزاق
عن معمر عن قتادة عن الحسن بنحوه وقد رواه ابو حاتم بن حبان في صحيحه فقال

حدثنا محمد بن اسحاق بن خزيمة ثنا محمد بن بشار ثنا صفوان بن عيسى ثنا الحرث بن
عبد الرحمن بن ابي ذباب عن سعيد المقبري عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم لما خلق الله ادم ونفخ فيه الروح عطس فقال الحمد لله فحمد الله باذن الله فقال
له ربه يرحمك ربك يا ادم اذهب الى اوليك الملايكة الى ملا منهم جلوس فسلم عليهم فقال
السلام عليكم فقالوا وعليكم السلام ورحمة الله ثم رجع الى ربه فقال هذه تحيتك وتحية
بنيك وبينهم وقال الله ويداه مقبوضتان اختر ايهما شيت فقال اخترت يمين ربي
وكلتا يدي ربي يمين مباركة ثم بسطها فاذا فيها ادم وذريته فقال اي رب ما هولا
قال هولا ذريتك واذا كل انسان منهم مكتوب عمره بين عينيه واذا فيهم رجل اضواهم
او من اضوايهم لم يكتب له الا اربعون سنة قال يا رب ما هذا قال هذا ابنك داود وقد كتبت
الله عمره اربعين سنة قال اي رب زد في عمره فقال ذاك الذي كتبت له قال فاني قد جعلت
له من عمري ستين سنة قال انت وذاك اسكن الجنة فسكن الجنة ما شاء فقال له ادم قد
عجلت قد كتب لي الف سنة قال بلى ولكنك جعلت لابنك داود منها ستين سنة فجحد
فجحدت ذريته ونسي فنسيت ذريته فيومئذ امر بالكتاب والشهود هذا لفظه وقد
قال البخاري ثنا عبد الله بن محمد ثنا عبد الرزاق انا معمر عن همام بن منبه عن ابي هريرة
عن النبي صلى الله عليه وسلم قال خلق الله ادم وطوله ستون ذراعا ثم قال اذهب
فسلم على اوليك من الملايكة فاستمع ما يحيونك فانها تحيتك وتحية ذريتك فقال
السلام عليكم فقالوا السلام عليك ورحمة الله فزادوه ورحمة الله فكل من يدخل الجنة
على صورة ادم فلم يزل الخلق ينقص حتى الان وهكذا رواه البخاري في كتاب الاستيذان
عن يحيى بن جعفر ومسلم عن محمد بن رافع كلاهما عن عبد الرزاق به وقال الامام احمد ثنا
روح ثنا حماد بن سلمة عن علي بن زيد عن سعيد بن المسيب عن ابي هريرة ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم قال كان طول ادم ستين ذراعا في سبع اذرع عرضا انفرد به احمد وقال
الامام احمد ثنا عفان ثنا حماد بن سلمة عن علي بن زيد عن يوسف بن مهران عن ابن عباس
قال لما نزلت اية الدين قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان اول من جحد ادم ان اول
من جحد ادم ان اول من جحد ادم ان الله لما خلق ادم مسح ظهره فاخرج منه ما هو ذار
الى يوم القيمة فجعل يعرض ذريته عليه فراى فيهم رجلا يزهر قال اي رب من هذا قال هذا
ابنك داود قال اي رب كم عمره قال ستون عاما قال اي رب زد في عمره قال لا الا ان
ازيده من عمرك وكان عمر ادم الف عام فزاده اربعين عاما فكتب الله عليه بذلك كتابا
واشهد عليه الملايكة فلما احتضر ادم اتته الملايكة لتقبضه قال انه قد بقي من عمري
اربعون عاما فقيل انك قد وهبتها لابنك داود قال ما فعلت وابرز الله عليه الكتاب
وشهدت عليه الملايكة وقال احمد ثنا اسود بن عامر ثنا حماد بن سلمة عن علي بن زيد عن
يوسف بن مهران عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان اول من جحد
ادم قالها ثلاث مرات ان الله عز وجل لما خلقه مسح ظهره فاخرج ذريته فعرضهم عليه
فراى فيهم رجلا يزهر فقال اي رب زد في عمره قال لا الا ان تزيده انت من عمرك فزاده اربعين
سنة من عمره فكتب الله تعالى عليه كتابا واشهد عليه الملايكة فلما اراد ان يقبض روحه
قال بقي من اجلي اربعون سنة فقيل له انك قد جعلتها لابنك داود قال فجحد قال

فاخرج

صوابه ولادم

فاخرج الله الكتاب واقام عليه البينة فاتمها لداود ماية سنة واتمها لادم عمره الف سنة
تفرد به احمد وعلي بن زيد في حديثه نكارة وقد رواه الطبراني عن علي بن عبد العزيز عن حجاج بن
منهال عن حماد بن سلمة عن علي بن زيد عن يوسف بن مهران عن ابن عباس وغير واحد عن الحسن
قال لما نزلت اية الدين قال رسول الله ان اول من جحد ادم ثلاثا وذكره وقال الامام مالك
بن انس في موطاه عن زيد بن ابي انيسة ان عبد الحميد بن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب
اخبره عن مسلم بن يسار الجهني ان عمر بن الخطاب سيل عن هذه الاية واذ اخذ ربك من بني
ادم من ظهورهم ذرياتهم واشهدهم على انفسهم الست بربكم قالوا بلى الاية فقال عمر بن الخطاب
سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم سيل عنها فقال ان الله خلق ادم عليه السلام
ثم مسح ظهره بيمينه فاستخرج منه ذريته قال خلقت هولاء للجنة وبعمل اهل الجنة يعملون
ثم مسح ظهره فاستخرج منه ذرية قال خلقت هولاء للنار وبعمل اهل النار يعملون فقال
رجل يا رسول الله ففيم العمل قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا خلق الله العبد للجنة
استعمله بعمل اهل الجنة حتى يموت على عمل من اعمال اهل الجنة فيدخل به الجنة واذا خلق الله
العبد للنار استعمله بعمل اهل النار حتى يموت على عمل من اعمال اهل النار فيدخل به النار وهكذا
رواه الامام ابو داود والترمذي والنساي وابن جرير وابن ابي حاتم وابو حاتم بن حبان في
صحيحه من طرق عن الامام مالك به وقال الترمذي هذا حديث حسن ومسلم بن يسار لم
يسمع عمر وكذا قال ابو حاتم وابو زرعة زاد ابو حاتم وبينهما نعيم بن ربيعة وقد رواه
ابو داود عن محمد بن مصفى عن بقية عن عمر بن جعثم عن زيد بن ابي انيسة عن عبد الحميد
بن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب عن مسلم بن يسار عن نعيم بن ربيعة قال كنت عند عمر
ابن الخطاب وقد سيل عن هذه الاية فذكر الحديث قال الحافظ الدارقطني وقد تابع عمر
ابن جعثم ابو فروة يزيد بن سنان الرهاوي عن زيد بن ابي انيسة قال وقولهما اولى بالصواب
من قول مالك رح وهذه الاحاديث كلها دالة على استخراجه تعالى ذرية ادم من ظهره
كالذر وقسمتهم قسمين اهل اليمين واهل الشمال وقال هولاء للجنة ولا ابالي وهولاء للنار
ولا ابالي فاما الاشهاد عليهم واستنطاقهم بالاقرار بالوحدانية فلم يجي في الاحاديث الثابتة
وتفسير الاية التي في سورة الاعراف وحملها على هذا فيه نظر كما بيناه هناك وذكرنا الاحاديث
والاثار مستقصاة باسانيدها والفاظ متونها فمن اراد تحريره فليراجعه ثم والله اعلم
فاما الحديث الذي رواه الامام احمد ثنا حسين بن محمد ثنا جرير يعني ابن حازم عن كلثوم
بن جبر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الله اخذ
الميثاق من ظهر ادم عليه السلام بنعمان يوم عرفة فاخرج من صلبه كل ذرية ذراها فنثرهم
بين يديه ثم كلمهم قبلا قال الست بربكم قالوا بلى شهدنا ان تقولوا يوم القيمة انا كنا عن
هذا غافلين او تقولوا الى قوله المبطلون فهو باسناد جيد قوي على شرط مسلم رواه
النساي وابن جرير والحاكم في مستدركه من حديث حسين بن محمد المروزي به وقال
الحاكم صحيح الاسناد ولم يخرجاه الا انه اختلف فيه على كلثوم بن جبر فروي عنه مرفوعا
وموقوفا وكذا روي عن سعيد بن جبير عن ابن عباس موقوفا وهكذا رواه العوفي والوالبي
والضحاك وابو جمرة عن ابن عباس قوله وهذا اكثر واثبت والله اعلم وكذا روي عن عبد الله
بن عمرو موقوفا ومرفوعا والموقوف اصح واستانس القايلون بهذا القول وهو اخذ الميثاق

على الذرية وهم الجمهور بما قال الامام احمد حدثنا حجاج حدثني شعبة عن ابي عمران الجوني
عن انس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم قال يقال للرجل من اهل النار يوم القيمة
لو كان لك ما على الارض من شيء اكنت مفتديا به قال فيقول نعم فيقول قد اردت منك ما هو اهون
من ذلك قد اخذت عليك في ظهر ادم ان لا تشرك بي شيا فابيت الا ان تشرك بي اخرجاه
من حديث شعبة وقال ابو جعفر الرازي عن الربيع بن انس عن ابي العالية عن ابي بن كعب
في قول الله تعالى واذ اخذ ربك من بني ادم من ظهورهم ذرياتهم الاية والتي بعدها قال
فجمعهم له يومئذ جميعا ما هو كاين منه الى يوم القيمة فخلقهم ثم صورهم ثم استنطقهم فتكلموا
واخذ عليهم العهد والميثاق واشهدهم على انفسهم الست بربكم قالوا بلى الاية قال
فاني اشهد عليكم السموات السبع والارضين السبع واشهد عليكم اباكم ادم ان لا تقولوا
يوم القيمة لم نعلم بهذا اعلموا انه لا اله غيري ولا رب غيري ولا تشركوا بي شيا واني سارسل
اليكم رسلا ينذرونكم عهدي وميثاقي وانزل عليكم كتبي قالوا نشهد انك ربنا والهنا
لا رب لنا غيرك ولا اله لنا غيرك فاقروا له يومئذ بالطاعة ورفع ابوهم ادم فنظر
اليهم فراى فيهم الغني والفقير وحسن الصورة ودون ذلك فقال يا رب لو سويت بين عبادك
فقال اني احببت ان اشكر وراى فيهم الانبيا مثل السرج عليهم النور وخصوا بميثاق اخر من
الرسالة والنبوة فهو الذي يقول الله تعالى واذ اخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن
نوح وابراهيم وموسى وعيسى ابن مريم واخذنا منهم ميثاقا غليظا وهو الذي يقول فاقم
وجهك للدين حنيفا فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله وفي ذلك قال
هذا نذير من النذر الاولى وفي ذلك قال وما وجدنا لاكثرهم من عهد وان وجدنا اكثرهم لفاسقين
رواه الايمة عبد الله بن احمد وابن ابي حاتم وابن جرير وابن مردويه في تفاسيرهم من طريق ابي
جعفر وروي عن مجاهد وعكرمة وسعيد بن جبير والحسن البصري وقتادة والسدي وغير
واحد من علماء السلف بسياقات توافق هذه الاحاديث وتقدم انه تعالى لما امر الملايكة
بالسجود لادم امتثلوا كلهم الامر الالهي وامتنع ابليس من السجود له حسدا وعداوة له
فطرده الله وابعده واخرجه من الحضرة الالهية ونفاه عنها واهبطه الى الارض طريدا
ملعونا شيطانا رجيما وقد قال الامام احمد ثنا وكيع ويعلى ومحمد ابنا عبيد قالوا ثنا
الاعمش عن ابي صالح عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا قرا
ابن ادم السجدة اعتزل الشيطان يبكي يقول يا ويله امر ابن ادم بالسجود فسجد فله الجنة
وامرت بالسجود فعصيت فلي النار ورواه مسلم من حديث وكيع وابي معاوية عن
الاعمش به ثم لما اسكن ادم الجنة التي اسكنها سوا كانت في السما او في الارض على ما تقدم
من الخلاف فيه اقام بها هو وزوجته حوا عليهما السلام ياكلان منها رغدا حيث شا
فلما اكلا من الشجرة التي نهيا عنها سلبا ما كانا فيه من اللباس واهبطا الى الارض وقد
ذكرنا الاختلاف في مواضع مهبطه منها واختلفوا في مقدار مقامه في الجنة فقيل
بعض يوم من ايام الدنيا وقد قدمنا ما رواه مسلم عن ابي هريرة مرفوعا وخلق ادم في اخر
ساعة من ساعات يوم الجمعة وتقدم ايضا حديثه عنه وفيه يعني يوم الجمعة خلق
ادم وفيه اخرج منها فان كان اليوم الذي خلق فيه فيه اخرج وقلنا ان الايام الستة كهذه
الايام فقد لبث بعض يوم من هذه وفي هذا نظر وان كان اخراجه في غير اليوم الذي خلق

فيه

فيه او قلنا بان تلك الايام مقدارها ستة الاف سنة كما تقدم عن ابن عباس ومجاهد والضحاك
واختاره ابن جرير فقد لبث هناك مدة طويلة قال ابن جرير ومعلوم انه خلق في اخر
ساعة من يوم الجمعة والساعة منه ثلاث وثمانون سنة واربعة اشهر فمكث مصورا طينا
قبل ان ينفخ فيه الروح اربعين سنة واقام في الجنة قبل ان يهبط ثلاثا واربعين سنة واربعة
اشهر والله تعالى اعلم وقد روى عبد الرزاق عن هشام بن حسان عن سوار ختن عطا بن
رباح انه كان لما اهبط رجلاه في الارض وراسه في السما فحطه الله الى ستين ذراعا وقد روي
عن ابن عباس نحوه وفي هذا نظر لما تقدم من الحديث المتفق على صحته عن ابي هريرة ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله خلق ادم وطوله ستون ذراعا فلم يزل
الخلق ينقص حتى الان وهذا يقتضي انه خلق كذلك لا اطول من ستين ذراعا وان ذريته
لم يزالوا ينقص خلقهم حتى الان وذكر ابن جرير عن ابن عباس ان الله قال يا ادم ان
لي حرما بحيال عرشي فانطلق فابن لي فيه بيتا وطف به كما تطوف ملايكتي بعرشي وارسل
الله له ملكا فعرفه مكانه وعلمه المناسك وذكر ان موضع كل خطوة خطاها ادم صارت
قرية بعد ذلك وعنه ان اول طعام اكله ادم في الارض ان جاءه جبريل بسبع حبات من حنطة
فقال ما هذا قال هذا من الشجرة التي نهيت عنها فاكلتها فقال وما اصنع بهذا قال
ابذره في الارض فبذره وكان كل حبة منها ازيد من مائة الف فنبتت فحصده ثم داسه
ثم ذراه ثم طحنه ثم عجنه ثم خبزه فاكله بعد جهد عظيم وتعب ونكد وذلك قوله تعالى
فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى وكان اول كسوتهما من شعر الضان جزاه ثم غزله فنسج
ادم له جبة ولحوا درعا وخمارا واختلفوا هل ولد لهما شي بالجنة من الاولاد فقيل لم يولد
لهما الا في الارض وقيل بل ولد لهما فيها فكان قابيل واخته ممن ولد بها فالله اعلم
وذكروا انه كان يولد له في كل بطن ذكر وانثى وامر ان يزوج كل ابن اخت اخيه التي ولدت
معه والاخر بالاخرى وهلم جرا ولم يكن يحل له اخته التي ولدت معه

ذكر قصة ابني ادم قابيل وهابيل

قال الله تعالى واتل عليهم نبا ابني ادم بالحق اذ قربا قربانا فتقبل من احدهما ولم يتقبل من
الاخر قال لاقتلنك قال انما يتقبل الله من المتقين لين بسطت الي يدك لتقتلني
ما انا بباسط يدي اليك لاقتلك اني اخاف الله رب العالمين اني اريد ان تبوا باثمي
واثمك فتكون من اصحاب النار وذلك جزا الظالمين فطوعت له نفسه قتل اخيه
فقتله فاصبح من الخاسرين فبعث الله غرابا يبحث في الارض ليريه كيف يواري سواة
اخيه قال يا ويلتا اعجزت ان اكون مثل هذا الغراب فاواري سواة اخي فاصبح من النادمين
قد تكلمنا على هذه القصة في سورة المايدة في التفسير بما فيه كفاية ولله الحمد ولنذكر
ههنا ملخص ما ذكره ايمة السلف في ذلك فذكر السدي عن ابي مالك وابي صالح عن ابن
عباس وعن مرة عن ابن مسعود وعن ناس من الصحابة ان ادم كان يزوج ذكر كل بطن بانثى الاخر
وان هابيل اراد ان يتزوج باخت قابيل وكان اكبر من هابيل واخت قابيل احسن فاراد قابيل ان
يستاثر بها على اخيه وامره ادم عليه السلام ان يزوجه اياها فابى فامرهما ان يقربا قربانا
وذهب ادم ليحج الى مكة واستحفظ السموات على بنيه فابين والارضين والجبال فابين
فتقبل قابيل بحفظ ذلك فلما ذهب قربا قربانهما فقرب هابيل جذعة سمينة وكان صاحب

غنم وقرب قابيل حزمة من زرع من ردي زرعه فنزلت نارا فاكلت قربان هابيل وترك
قربان قابيل فغضب وقال لاقتلنك حتى لا تنكح اختي فقال انما يتقبل الله من المتقين
وروي عن ابن عباس من وجوه اخر وعن عبد الله بن عمرو وقال عبد الله بن عمرو ان كان
المقتول لاشد الرجلين ولكن منعه التحرج ان يبسط اليه يده وذكر ابو جعفر الباقر
ان ادم كان مباشرا لتقربهما القربان والتقبل من هابيل دون قابيل فقال
قابيل لادم انما تقبل منه لانك دعوت له ولم تدع لي وتوعد اخاه فيما بينه وبينه فلما صوابه لقابيل
كان ذات ليلة ابطا هابيل في الرعي فبعث ادم اخاه قابيل لينظر ما ابطا به فلما
ذهب اذا هو به فقال له تقبل منك ولم يتقبل مني فقال انما يتقبل الله من المتقين
فغضب قابيل عندها وضربه بحديدة كانت معه فقتله وقيل انما قتله بصخرة رماها
على راسه وهو نايم فشدخته وقيل بل خنقه خنقا شديدا وعضا كما تفعل السباع فمات
والله اعلم وقوله له لما توعده بالقتل لئن بسطت الي يدك لتقتلني ما انا بباسط
يدي اليك لاقتلك اني اخاف الله رب العالمين دل على خلق حسن وخوف من الله
تعالى وخشية منه وتورع ان يقابل اخاه بالسوء الذي اراد منه اخوه مثله ولهذا
ثبت في الصحيحين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال اذا تواجه المسلمان
بسيفيهما فالقاتل والمقتول في النار قالوا يا رسول الله هذا القاتل فما بال المقتول
قال انه كان حريصا على قتل صاحبه وقوله اني اريد ان تبوء باثمي واثمك فتكون من اصحاب
النار وذلك جزاء الظالمين اي اني اريد ترك مقاتلتك وان كنت اشد منك واقوى
اذ قد عزمت على ما عزمت عليه ان تبوء باثمي واثمك اي تتحمل اثم مقاتلتي مع ما لك من
الاثام المتقدمة قبل ذلك قاله مجاهد والسدي وابن جرير وغير واحد وليس المراد
ان اثام المقتول يتحول بمجرد قتله الى القاتل كما قد يتوهمه بعض الناس فان ابن جرير
حكى الاجماع على خلاف ذلك واما الحديث الذي يورده بعض من لا يعلم عن النبي صلى
الله عليه وسلم انه قال ما ترك القاتل على المقتول من ذنب فلا اصل له ولا يعرف
في شيء من كتب الحديث بسند صحيح ولا ضعيف ولا حسن ايضا ولكن قد يتفق في
بعض الاشخاص يوم القيمة يطالب المقتول القاتل فيكون حسنات القاتل لا تفي
بهذه المظلمة فتحول من سيات المقتول الى القاتل كما ثبت الحديث الصحيح في سائر
المظالم والقتل من اعظمها والله اعلم وقد حررنا هذا كله في التفسير ولله الحمد وقد
روى الامام احمد وابو داود والترمذي عن سعد بن ابي وقاص انه قال عند فتنة عثمان
بن عفان اشهد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال انها ستكون فتنة القاعد فيها
خير من القايم والقايم خير من الماشي والماشي خير من الساعي قال افرايت ان دخل علي
بيتي فبسط يده الي ليقتلني قال كن كابن ادم ورواه ابن مردويه عن حذيفة بن اليمان
مرفوعا وقال فكن كخير ابني ادم وروى مسلم واهل السنن الا النسائي عن ابي ذر نحو
هذا واما الاخر فقد قال الامام احمد ثنا ابو معاوية ووكيع قالا ثنا الاعمش
عن عبد الله بن مرة عن مسروق عن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لا تقتل نفس ظلما الا كان على ابن ادم الاول كفل من دمها لانه كان اول من سن القتل
ورواه الجماعة سوى ابي داود من حديث الاعمش به وهكذا روي عن عبد الله بن عمرو بن

العاص

العاص وابراهيم النخعي انهما قالا مثل هذا سواء وبجبل قاسيون شمالي دمشق مغارة يقال
لها مغارة الدم مشهورة بانها المكان الذي قتل قابيل اخاه هابيل عندها وذلك مما
تلقوه عن اهل الكتاب فالله اعلم بصحة ذلك وقد ذكر الحافظ ابن عساكر في ترجمة
احمد بن كثير وقال انه كان من الصالحين انه راى في المنام رسول الله صلى الله عليه وسلم
وابا بكر وعمر وهابيل وانه استحلف هابيل ان هذا دمه فحلف له وذكر انه سال الله تعالى
ان يجعل هذا المكان يستجاب عنده الدعا فاجابه الى ذلك وصدقه في ذلك رسول الله صلى
الله عليه وسلم وقال انه وابا بكر وعمر يزورون هذا المكان في كل يوم خميس وهذا منام لو
صح عن احمد بن كثير هذا لم يترتب عليه حكم شرعي والله اعلم وقوله تعالى فبعث الله غرابا
يبحث في الارض ليريه كيف يواري سواة اخيه قال يا ويلتي اعجزت ان اكون مثل هذا الغراب
فاواري سواة اخي فاصبح من النادمين ذكر بعضهم انه لما قتله حمله على ظهره سنة وقال
اخرون حمله مائة سنة ولم يزل كذلك حتى بعث الله غرابين قال السدي باسناده عن
الصحابة اخوين فتقاتلا فقتل احدهما الاخر فلما قتله عمد الى الارض يحفر له فيها ثم القاه
ودفنه وواراه فلما راه يصنع ذلك قال يا ويلتي اعجزت ان اكون مثل هذا الغراب فاواري
سواة اخي ففعل مثل ما فعل الغراب فواراه ودفنه وذكر اهل التواريخ والسير ان
ادم حزن على ابنه هابيل حزنا شديدا وانه قال في ذلك شعرا وهو قوله فيما ذكره
ابن جرير عن ابن حميد

تغيرت البلاد ومن عليها • فوجه الارض مغبر قبيح
تغير كل ذي لون وطعم • وقل بشاشة الوجه المليح — فاجيب ادم
ابا قابيل قد قتلا جميعا • وصار الحي بالميت الذبيح
وجا بشوه قد كان منه • على خوف فجا بها يصيح

وهذا الشعر فيه نظر وقد يكون ادم عليه السلام قال كلاما يتحزن به بلغته فالفه بعضهم
الى هذا وفيه اقواء والله اعلم وقد ذكر مجاهد ان قابيل عوجل بالعقوبة يوم قتل اخاه
فعلقت ساقه الى فخذه وجعل وجهه الى الشمس كيفما دارت تنكيلا به وتعجيلا لذنبه
وبغيه وحسده لاخيه لابويه وقد جا في الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
انه قال ما من ذنب اجدر ان يعجل الله عقوبته في الدنيا مع ما يدخر لصاحبه في الاخرة
من البغي وقطيعة الرحم والذي رايته في الكتاب الذي بايدي اهل الكتاب الذي يزعمون
انه التوراة ان الله عز وجل اجله وانظره وانه سكن في ارض نود في شرقي عدن وهم
يسمونه قنين وانه ولد له خنوخ ولخنوخ عندر ولعندر محوايل ولمحوايل متوشيل
ولمتوشيل لامك وتزوج هذا امراتين عدا وصلا فولدت عدا ولدا اسمه ابل وهو اول
من سكن القباب واقتنى المال وولدت ايضا نويل وهو اول من اخذ في ضرب الونج
والصنج وولدت صلا ولدا اسمه توبلقين وهو اول من صنع النحاس والحديد وبنتا
اسمها نعمى وفيها ايضا ان ادم طاف على امراته فولدت غلاما ودعت اسمه شيث وقالت
من اجل انه قد وهب لي خلفا من هابيل الذي قتله قابين وولد لشيث انوش قال وكان
عمر ادم يوم ولد له شيث مائة وثلاثين سنة وعاش بعد ذلك ثمان مائة سنة وكان عمر شيث
يوم ولد له انوش مائة وخمس سنين وعاش بعد ذلك ثمان مائة سنة وسبع سنين وولد

له بنون وبنات عمر انوش حين ولد له قينان تسعون سنة وعاش بعد ذلك
ثمان مائة سنة وخمس عشرة سنة وولد له بنون وبنات فلما كان عمر قينان سبعين سنة
ولد له مهلاييل وعاش بعد ذلك ثمان مائة سنة واربعين سنة وولد له بنون وبنات
فلما كان لمهلاييل من العمر خمس وستون سنة ولد له يرد وعاش بعد ذلك ثمان مائة
وثلثين سنة وولد له بنون وبنات فلما كان ليرد مائة سنة واثنتان وستون سنة
ولد له خنوخ وعاش بعد ذلك ثمان مائة سنة وولد له بنون وبنات فلما كان لخنوخ
خمس وستون سنة ولد له متوشلخ وعاش بعد ذلك ثلثمائة سنة وولد له بنون وبنات
فلما كان لمتوشلخ مائة وسبع وثمانون سنة ولد له لامك وعاش بعد ذلك سبعمائة
واثنتين وثمانين سنة وولد له بنون وبنات فلما كان للامك من العمر مائة واثنتان وثمانون
سنة ولد له نوح وعاش بعد ذلك خمسمائة وخمسا وتسعين سنة وولد له بنون وبنات
فلما كان لنوح خمسمائة سنة ولد له بنون سام وحام ويافث هذا مضمون ما في كتابهم صريحا
وفي كون هذه التواريخ محفوظة فيما نزل من السماء نظر كما ذكره غير واحد من العلماء طاعنين
عليهم في ذلك والظاهر انها مقحمة فيها ذكرها بعضهم على سبيل الزيادة والتفسير
وفيها غلط كثير كما سننبه عليه في مواضعه ان شاء الله تعالى وقد ذكر الامام ابو جعفر
ابن جرير في تاريخه عن بعضهم ان حواء ولدت لادم اربعين ولدا في عشرين بطنا قاله
ابن اسحاق وسماهم والله تعالى اعلم وقيل مائة وعشرين بطنا في كل واحد ذكر وانثى اولهم
قابيل واخته قليما واخرهم عبد المغيث واخته ام المغيث ثم انتشر الناس بعد ذلك
وكثروا وامتدوا في الارض ونموا كما قال الله تعالى يا ايها الناس اتقوا ربكم الذي
خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء الاية وقد
ذكر اهل التاريخ ان ادم عليه السلام لم يمت حتى راى من ذريته من اولاده واولاد اولاده
اربعمائة الف نسمة والله اعلم وقال تعالى هو الذي خلقكم من نفس واحدة وجعل منها
زوجها ليسكن اليها فلما تغشاها حملت حملا خفيفا فمرت به فلما اثقلت دعوا الله
ربهما لئن اتيتنا صالحا لنكونن من الشاكرين فلما اتاهما صالحا جعلا له شركاء فيما اتاهما
فتعالى الله عما يشركون الايات فهذا تنبيه اولا بذكر ادم ثم استطرد الى الجنس وليس
المراد بهذا ذكر ادم وحوا بل لما جرى ذكر الشخص استطرد الى الجنس كما في قوله تعالى
ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين ثم جعلناه نطفة في قرار مكين وقال
تعالى ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوما للشياطين ومعلوم
ان رجوم الشياطين ليست هي اعيان مصابيح السماء وانما استطرد من شخصها الى
جنسها فاما الحديث الذي رواه الامام احمد حدثنا عبد الصمد ثنا عمر بن ابراهيم
ثنا قتادة عن الحسن عن سمرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لما ولدت حواء طاف
بها ابليس وكان لا يعيش لها ولد فقال سميه عبد الحرث فانه يعيش فسمته عبد الحرث
فعاش وكان ذلك من وحي الشيطان وامره وهكذا رواه الترمذي وابن جرير وابن ابي
حاتم وابن مردويه في تفاسيرهم عند هذه الاية واخرجه الحاكم في مستدركه كلهم من
حديث عبد الصمد بن عبد الوارث به وقال الحاكم صحيح الاسناد ولم يخرجاه وقال
الترمذي حسن غريب لا نعرفه الا من حديث عمر بن ابراهيم ورواه بعضهم عن عبد الصمد ولم

يرفعه

يرفعه فهذه علة قادحة في الحديث انه روي موقوفا على الصحابي وهذا اشبه والظاهر
انه تلقاه من الاسرائيليات وهكذا روي موقوفا على ابن عباس والظاهر ان هذا متلقى عن كعب
الاحبار وذويه والله اعلم وقد فسر الحسن البصري هذه الايات بخلاف هذا فلو كان عنده
عن سمرة مرفوعا لما عدل عنه الى غيره والله اعلم وايضا فالله تعالى انما خلق ادم وحوا ليكونا
اصل البشر وليبث منهما رجالا كثيرا ونساء فكيف كانت حوا لا يعيش لها ولد كما ذكر في هذا
الحديث ان كان محفوظا والمظنون بل المقطوع به ان رفعه الى النبي صلى الله عليه وسلم
خطاء والصواب وقفه والله اعلم وقد حررنا هذا في كتابنا التفسير ولله الحمد ثم
قد كان ادم وحوا اتقى لله مما ذكر عنهما في هذا فان ادم ابو البشر الذي خلقه الله بيده ونفخ
فيه من روحه واسجد له ملائكته وعلمه اسماء كل شيء واسكنه جنته وقد روى ابن حبان
في صحيحه عن ابي ذر قال قلت يا رسول الله كم الانبيا قال مائة الف واربعة وعشرون
الفا قلت يا رسول الله كم الرسل منهم قال ثلثمائة وثلاثة عشر جم غفير قلت
يا رسول الله من كان اولهم قال ادم قلت يا رسول الله نبي مرسل قال نعم خلقه الله بيده
ونفخ فيه من روحه ثم سواه قبلا وقال الطبراني ثنا ابراهيم بن نائلة الاصبهاني ثنا
سنان بن فروخ ثنا نافع عن هرمز عن عطا بن ابي رباح عن ابن عباس قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم الا اخبركم بافضل الملائكة جبريل وافضل النبيين ادم وافضل
الايام يوم الجمعة وافضل الشهور شهر الله رمضان وافضل الليالي ليلة القدر وافضل
النساء مريم بنت عمران وهذا اسناد ضعيف فان نافعا ابا هرمز هذا كذبه ابن معين
وضعفه احمد وابو زرعة وابن حبان وغيرهم والله اعلم وقال كعب الاحبار ليس احد
في الجنة له لحية الا ادم لحيته سودا الى سرته وليس احد يكنى في الجنة الا ادم كنيته في
الدنيا ابو البشر وفي الجنة ابو محمد وقد روى ابن عدي من طريق شيخ بن ابي خالد عن حماد
ابن سلمة عن عمرو بن دينار عن جابر بن عبد الله مرفوعا اهل الجنة يدعون باسمائهم الا ادم
فانه يكنى ابا محمد ورواه ابن عدي ايضا من حديث علي بن ابي طالب وهو ضعيف من كل
وجه والله اعلم وفي حديث الاسرا الذي في الصحيحين ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
لما مر بادم وهو في السما الدنيا قال له مرحبا بالابن الصالح والنبي الصالح قال
واذا عن يمينه اسودة وعن يساره اسودة فاذا نظر عن يمينه ضحك واذا نظر عن شماله
بكى فقلت يا جبريل ما هذا قال هولاء نسم بنيه فاذا نظر قبل اهل اليمين وهم
اهل الجنة ضحك واذا نظر قبل اهل الشمال وهم اهل النار بكى هذا معنى الحديث وقال
ابو بكر البزار ثنا محمد بن المثنى ثنا يزيد بن هرون ابا هشام بن حسان عن الحسن قال
كان عقل ادم مثل جميع عقل ولده وقال بعض العلما في قوله صلى الله عليه وسلم
فمررت بيوسف واذا هو قد اعطي شطر الحسن قالوا معناه انه كان على النصف من حسن
ادم عليه السلام وهذا مناسب فان الله خلق ادم وصوره بيده الكريمة ونفخ فيه من
روحه فما كان ليخلق الا احسن الاشيا وقد روينا عن عبد الله بن عمر وابن عمرو ايضا موقوفا
ومرفوعا ان الله تعالى لما خلق الجنة قالت الملائكة يا ربنا اجعل لنا هذه فانك خلقت
لبني ادم الدنيا ياكلون فيها ويشربون فقال الله تعالى وعزتي وجلالي لا اجعل صالح
ذرية من خلقت بيدي كمن قلت له كن فكان وقد ورد الحديث المروي في الصحيحين وغيرهما

ليس احد في الجنة له لحية الا ادم

معنى كون يوسف عليه السلام اعطي شطر الحسن هـ

من طريق ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله خلق ادم على صورته وقد تكلم العلما
على هذا الحديث فذكروا فيه مسالك كثيرة ليس هذا موضع بسطها والله اعلم

ذكر وفاة ادم ووصيته الى ابنه شيث عليه السلام

ومعنى شيث هبة الله سمياه بذلك لانهما رزقاه بعد ان قتل هابيل قال ابو ذر في حديثه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله انزل مائة صحيفة واربع صحف على شيث خمسين صحيفة قال محمد بن اسحاق ولما حضرت ادم الوفاة عهد الى ابنه شيث وعلمه ساعات الليل والنهار وعلمه عبادات تلك الساعات واعلمه بوقوع الطوفان بعد ذلك قال ويقال ان انساب بني ادم اليوم كلها تنتهي الى شيث وسائر اولاد ادم غيره انقرضوا وبادوا والله اعلم ولما توفي ادم عليه السلام وكان ذلك يوم الجمعة جاءته الملائكة بحنوط وكفن من عند الله عز وجل من الجنة وعزوا ابنه ووصيه شيثا عليه السلام قال ابن اسحاق وكسفت الشمس والقمر سبعة ايام بلياليهن وقد قال عبد الله بن الامام احمد حدثنا هدبة بن خلد ثنا حماد بن سلمة عن حميد عن الحسن عن عتي هو ابن ضمرة السعدي قال رايت شيخا بالمدينة يتكلم فسالت عنه فقالوا هذا ابي بن كعب فقال ان ادم لما حضره الموت قال لبنيه اي بني اني اشتهي من ثمار الجنة فذهبوا يطلبون له فاستقبلتهم الملائكة ومعهم اكفانه وحنوطه ومعهم الفوس والمساحي والمكاتل فقالوا لهم يا بني ادم ما تريدون وما تطلبون او ما تريدون واين تطلبون قالوا ابونا مريض واشتهى من ثمار الجنة فقالوا لهم ارجعوا فقد قضي ابوكم فجاوا فلما راتهم حوا عرفتهم فلاذت بادم فقال اليك عني فاني اتيت من قبلك خلي بيني وبين ملائكة ربي عز وجل فقبضوه وغسلوه وكفنوه وحنطوه وحفروا له ولحدوا وصلوا عليه ثم دخلوا قبره فوضعوه في قبره ثم حثوا عليه ثم قالوا يا بني ادم هذه سنتكم اسناد صحيح اليه وروى ابن عساكر من طريق شيبان بن فروخ عن محمد بن زياد عن ميمون بن مهران عن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كبرت الملائكة على ادم وكبر ابو بكر على فاطمة اربعا وكبر عمر على ابي بكر اربعا وكبر صهيب على عمر اربعا قال ابن عساكر ورواه غيره عن ميمون عن ابن عمر واختلفوا في موضع دفنه فالمشهور انه دفن عند الجبل الذي اهبط منه في الهند وقيل بجبل ابي قبيس بمكة ويقال ان نوحا عليه السلام لما كان زمن الطوفان حمله هو وحوا في تابوت فدفنهما ببيت المقدس حكى ذلك ابن جرير وروى ابن عساكر عن بعضهم انه قال راسه عند مسجد ابرهيم ورجلاه عند صخرة بيت المقدس وقد ماتت بعده حوا بسنة واحدة واختلف في مقدار عمره عليه السلام فقدمنا في الحديث عن ابن عباس وابي هريرة مرفوعا ان عمره اكتتب في اللوح المحفوظ الف سنة وهذا لا يعارضه ما في التوراة عن ابن عباس من انه عاش تسعمائة وثلثين سنة لان قولهم هذا مطعون فيه مردود اذا خالف الحق الذي بايدينا مما هو المحفوظ عن المعصوم وايضا فان قولهم هذا يمكن الجمع بينه وبين ما في الحديث فان ما في التوراة ان كان محفوظا محمول على مدة مقامه في الارض بعد الاهباط وذلك تسعمائة سنة وثلاثون سنة شمسية وهي بالقمرية تسعمائة وسبع وخمسين سنة ويضاف الى ذلك ثلاث واربعون سنة مدة مقامه في الجنة قبل الاهباط على ما ذكره ابن جرير وغيره فيكون الجميع الف سنة وقال عطا الخراساني لما مات ادم بكت الخلايق عليه سبعة

علما ان الكتب المنزلة مائة صحيفة واربع صحف

ايام

ايام رواه ابن عساكر فلما مات ادم عليه السلام قام باعباء الامر بعده ولده شيث عليه السلام وكان نبيا بنص الحديث الذي رواه ابن حبان في صحيحه عن ابي ذر مرفوعا انه انزل عليه خمسون صحيفة فلما حانت وفاته اوصى الى ابنه انوش فقام بالامر بعده ثم بعده ولده قينن ثم من بعده ابنه مهلاييل وهو الذي يزعم الاعاجم من الفرس انه ملك الاقاليم السبعة وانه اول من قطع الاشجار وبنى المداين والحصون الكبار وانه هو الذي بنى مدينة بابل ومدينة السوس الاقصى وانه قهر ابليس وجنوده وشردهم عن الارض الى اطرافها وشعاب جبالها وانه قتل خلقا من مردة الجن والغيلان وكان له تاج عظيم وكان يخطب الناس ودامت دولته اربعين سنة فلما مات قام بالامر بعده ولده يرد فلما حضرته الوفاة اوصى الى ولده خنوخ وهو ادريس عليه السلام على المشهور

ذكر ادريس عليه السلام

قال الله تعالى واذكر في الكتاب ادريس انه كان صديقا نبيا ورفعناه مكانا عليا فادريس عليه السلام قد اثنى الله عليه ووصفه بالنبوة والصديقية وهو خنوخ هذا وهو في عمود نسب رسول الله صلى الله عليه وسلم على ما ذكره غير واحد من علماء النسب وكان اول بني ادم اعطي النبوة بعد ادم وشيث عليهما السلام وذكر ابن اسحاق انه اول من خط بالقلم وقد ادرك من حياة ادم ثلثمائة سنة وثماني سنين وقد قال طايفة من الناس انه المشار اليه في حديث معوية بن الحكم السلمي لما سال رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الخط بالرمل فقال انه كان نبي يخط به فمن وافق خطه فذاك ويزعم كثير من علما التفسير والاحكام انه اول من تكلم في ذلك ويسمونه هرمس الهرامسة ويكذبون عليه اشيا كثيرة كما كذبوا على غيره من الانبيا والعلما والحكما والاوليا وقوله تعالى ورفعناه مكانا عليا هو كما ثبت في الصحيحين في حديث الاسرا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم مر به وهو في السما الرابعة وقد روى ابن جرير عن يونس بن عبد الاعلى عن ابن وهب عن جرير بن حازم عن الاعمش عن شمر بن عطية عن هلال بن يساف قال سال ابن عباس كعبا وانا حاضر فقال له ما قول الله تعالى لادريس ورفعناه مكانا عليا فقال كعب اما ادريس فان الله اوحى اليه اني ارفع لك كل يوم مثل جميع عمل بني ادم فاحب ان يزداد عملا فاتاه خليل له من الملائكة فقال ان الله اوحى الي كذا وكذا فكلم ملك الموت حتى ازداد عملا فحمله بين جناحيه ثم صعد به الى السما فلما كان في السما الرابعة تلقاه ملك الموت منحدرا فكلم ملك الموت في الذي كلمه فيه ادريس فقال واين ادريس قال هو ذا على ظهري قال ملك الموت فالعجب بعثت وقيل لي اقبض روح ادريس في السما الرابعة فجعلت اقول كيف اقبض روحه في السما الرابعة وهو في الارض فقبض روحه هناك فذلك قول الله عز وجل ورفعناه مكانا عليا ورواه ابن ابي حاتم عند تفسيرها وعنده فقال لذلك الملك سل لي ملك الموت كم بقي من عمري فساله وهو معه كم بقي من عمره فقال لا ادري حتى انظر فنظر فقال انك لتسالني عن رجل ما بقي من عمره الا طرفة عين فنظر الملك الى تحت جناحه الى ادريس فاذا هو قد قبض وهو لا يشعر وهذا من الاسرائيليات وفي بعضه نكارة وقول ابن ابي نجيح عن مجاهد في قوله ورفعناه مكانا عليا قال ادريس رفع ولم يمت كما رفع عيسى ان اراد انه لم يمت الى الان ففي هذا نظر وان اراد انه رفع حيا الى السما ثم قبض هناك فلا ينافي ما تقدم عن كعب الاحبار والله اعلم وقال العوفي

خ انوش

خ يارد

عن ابن عباس في قوله ورفعناه مكانا عليا رفع الى السما السادسة فمات بها وهكذا قال
الضحاك والحديث المتفق عليه من انه في السما الرابعة اصح وهو قول مجاهد وغير واحد
وقال الحسن البصري ورفعناه مكانا عليا قال الى الجنة وقال قايلون رفع في حيوة ابيه
يرد بن مهلاييل والله اعلم وقد زعم بعضهم ان ادريس لم يكن قبل نوح بل في زمان بني اسرايل
قال البخاري ويذكر عن ابن مسعود وابن عباس ان الياس هو ادريس واستانسوا في ذلك
بما جا في حديث الزهري عن انس في الاسرا انه لما مر به عليه السلام قال له مرحبا بالنبي
الصالح والاخ الصالح ولم يقل كما قال ادم وابراهيم مرحبا بالنبي الصالح والابن الصالح
قالوا فلو كان في عمود نسبه لقال له كما قالا له وهذا لا يدل ولا بد لانه قد يكون الراوي حفظه
جيدا او لعله قاله على سبيل الهضم والتواضع ولم ينتصب له في مقام الابوة كما انتصب
ادم ابو البشر وابرهيم الذي هو خليل الرحمن واكبر اولي العزم بعد محمد صلوات الله عليهم
اجمعين •

قصة نوح عليه السلام

هو نوح بن لمك بن متوشلخ بن خنوخ وهو ادريس بن برد بن مهليل بن قينين بن انوش
بن شيث بن ادم ابي البشر عليه السلام كان مولده بعد وفاة ادم بماية سنة وست وعشرين
سنة فيما ذكره ابن جرير وغيره وعلى تاريخ اهل الكتاب المتقدم يكون بين مولد نوح وموت
ادم ماية سنة وست واربعون سنة وكان بينهما عشرة قرون كما قال الحافظ ابو حاتم
ابن حبان في صحيحه حدثنا محمد بن عمر بن يوسف ثنا محمد بن عبد الملك بن زنجويه ثنا
ابو توبة ثنا معوية بن سلام عن زيد بن سلام سمعت ابا سلام سمعت ابا امامة ان رجلا
قال يا رسول الله انبي كان ادم قال نعم مكلم قال فكم كان بينه وبين نوح قال عشرة قرون
قلت وهذا على شرط مسلم ولم يخرجوه وفي صحيح البخاري عن ابن عباس قال كان بين ادم
ونوح عشرة قرون كلهم على الاسلام فان كان المراد بالقرن ماية سنة كما هو المتبادر عند كثير
من الناس فبينهما الف سنة لا محالة لكن لا ينفي ان يكون اكثر باعتبار ما قيد به ابن عباس بالاسلام
اذ قد يكون بينهما قرون اخر متاخرة لم يكونوا على الاسلام لكن حديث ابي امامة يدل على الحصر
في عشرة قرون وزادنا ابن عباس انهم كلهم كانوا على الاسلام وهذا يرد قول من زعم من اهل
التواريخ وغيرهم من اهل الكتاب ان قابيل وبنيه عبدوا النار والله اعلم وان كان المراد بالقرن
الجيل من الناس كما في قوله تعالى وكم اهلكنا من القرون من بعد نوح وقوله ثم انشانا من بعدهم
قرنا اخرين وقال تعالى وقرونا بين ذلك كثيرا وقال وكم اهلكنا قبلهم من قرن وكقوله عليه
السلام خير القرون قرني الحديث فقد كان الجيل من الناس قبل نوح يعمرون الدهور الطويلة
فعلى هذا يكون بين نوح وادم الوف من السنين والله اعلم وبالجملة فنوح عليه السلام انما
بعثه الله تعالى لما عبدوا الاصنام والطواغيت وشرع الناس في الضلالة والكفر فبعثه
الله رحمة بالعباد فكان اول رسول بعث الى اهل الارض كما يقول له اهل الموقف يوم القيمة
وكان قومه يقال لهم بنوراسب فيما ذكره ابن جرير وغيره واختلفوا في مقدار سنه يوم بعث
فقيل كان ابن خمسين سنة وقيل ابن ثلثماية وخمسين سنة وقيل اربعماية وثمانين سنة
حكاها ابن جرير وعزا الثالث منها الى ابن عباس وقد ذكر الله قصته وما كان من قومه وما
انزل بمن كفر به من العذاب بالطوفان وكيف انجاه واصحاب السفينة في غير ما موضع من كتابه
العزيز ففي الاعراف ويونس وهود والانبيا والمومنون والشعرا والعنكبوت والصافات

نوح
لامك
متوشلخ
خنوخ
يارد
مهلاييل
قينان
انوش

وانزل فيه سورة كاملة فقال تعالى في سورة الاعراف لقد ارسلنا نوحا الى قومه فقال
يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره اني اخاف عليكم عذاب يوم عظيم قال الملا من قومه انا
لنراك في ضلال مبين قال يا قوم ليس بي ضلالة ولكني رسول من رب العالمين ابلغكم رسالات
ربي وانصح لكم واعلم من الله ما لا تعلمون اوعجبتم ان جاكم ذكر من ربكم على رجل منكم لينذركم
ولتتقوا ولعلكم ترحمون فكذبوه فانجيناه والذين معه في الفلك واغرقنا الذين كذبوا
باياتنا انهم كانوا قوما عمين وقال تعالى في سورة يونس واتل عليهم نبا نوح اذ قال
لقومه يا قوم ان كان كبر عليكم مقامي وتذكيري بايات الله فعلى الله توكلت فاجمعوا امركم وشركاكم
ثم لا يكن امركم عليكم غمة ثم اقضوا الي ولا تنظرون فان توليتم فما سالتكم من اجر ان اجري الا على
الله وامرت ان اكون من المسلمين فكذبوه فنجيناه ومن معه في الفلك وجعلناهم خلايف
واغرقنا الذين كذبوا باياتنا فانظر كيف كان عاقبة المنذرين وقال تعالى في سورة هود
ولقد ارسلنا نوحا الى قومه اني لكم نذير مبين ان لا تعبدوا الا الله اني اخاف عليكم عذاب
يوم اليم فقال الملا الذين كفروا من قومه ما نراك الا بشرا مثلنا وما نراك اتبعك الا الذين هم
اراذلنا بادي الراي وما نرى لكم علينا من فضل بل نظنكم كاذبين قال يا قوم ارايتم ان كنت على
بينة من ربي واتاني رحمة من عنده فعميت عليكم انلزمكموها وانتم لها كارهون ويا قوم لا اسالكم
عليه مالا ان اجري الا على الله وما انا بطارد الذين امنوا انهم ملاقوا ربهم ولكني اراكم قوما تجهلون
ويا قوم من ينصرني من الله ان طردتهم افلا تذكرون ولا اقول لكم عندي خزاين الله ولا اعلم
الغيب ولا اقول اني ملك ولا اقول للذين تزدري اعينكم لن يوتيهم الله خيرا الله اعلم بما
في انفسهم اني اذا لمن الظالمين قالوا يا نوح قد جادلتنا فاكثرت جدالنا فاتنا بما تعدنا
ان كنت من الصادقين قال انما ياتيكم به الله ان شا وما انتم بمعجزين ولا ينفعكم نصحي ان اردت
ان انصح لكم ان كان الله يريد ان يغويكم هو ربكم واليه ترجعون ام يقولون افتراه قل ان افتريته
فعلي اجرامي وانا بري مما تجرمون واوحي الى نوح انه لن يومن من قومك الا من قد امن فلا تبتيس
بما كانوا يفعلون واصنع الفلك باعيننا ووحينا ولا تخاطبني في الذين ظلموا انهم
مغرقون ويصنع الفلك وكلما مر عليه ملا من قومه سخروا منه قال ان تسخروا منا فانا نسخر
منكم كما تسخرون فسوف تعلمون من ياتيه عذاب يخزيه ويحل عليه عذاب مقيم حتى اذا جا
امرنا وفار التنور قلنا احمل فيها من كل زوجين اثنين واهلك الا من سبق عليه القول ومن امن
وما امن معه الا قليل وقال اركبوا فيها بسم الله مجريها ومرسيها ان ربي لغفور رحيم
وهي تجري بهم في موج كالجبال ونادى نوح ابنه وكان في معزل يا بني اركب معنا ولا تكن مع الكافرين
قال ساوي الى جبل يعصمني من الما قال لا عاصم اليوم من امر الله الا من رحم وحال بينهما الموج فكان
من المغرقين وقيل يا ارض ابلعي ماءك ويا سما اقلعي وغيض الما وقضي الامر واستوت على الجودي
وقيل بعدا للقوم الظالمين ونادى نوح ربه فقال رب ان ابني من اهلي وان وعدك الحق وانت
احكم الحاكمين قال يا نوح انه ليس من اهلك انه عمل غير صالح فلا تسالن ما ليس لك به علم اني اعظك
ان تكون من الجاهلين قال رب اني اعوذ بك ان اسالك ما ليس لي به علم والا تغفر لي وترحمني
اكن من الخاسرين قيل يا نوح اهبط بسلام منا وبركات عليك وعلى امم ممن معك وامم
سنمتعهم ثم يمسهم منا عذاب اليم تلك من انبا الغيب نوحيها اليك ما كنت تعلمها انت
ولا قومك من قبل هذا فاصبر ان العاقبة للمتقين وقال تعالى في سورة الانبيا ونوحا اذ نادى

من قبل فاستجبنا له ونجيناه واهله من الكرب العظيم ونصرناه من القوم الذين كذبوا انهم
كانوا قوم سوء فاغرقناهم اجمعين وقال تعالى في سورة قد افلح المومنون ولقد ارسلنا نوحا
الى قومه فقال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره افلا تتقون فقال الملا الذين كفروا
من قومه ما هذا الا بشر مثلكم يريد ان يتفضل عليكم ولو شاء الله لانزل ملايكة ما سمعنا
بهذا في اباينا الاولين ان هو الا رجل به جنة فتربصوا به حتى حين قال رب انصرني بما كذبون
فاوحينا اليه ان اصنع الفلك باعيننا ووحينا فاذا جاء امرنا وفار التنور فاسلك فيها
من كل زوجين اثنين واهلك الا من سبق عليه القول منهم ولا تخاطبني في الذين ظلموا
انهم مغرقون فاذا استويت انت ومن معك على الفلك فقل الحمد لله الذي نجانا من القوم
الظالمين وقل رب انزلني منزلا مباركا وانت خير المنزلين ان في ذلك لايات وان كنا لمبتلين
وقال تعالى في سورة الشعرا كذبت قوم نوح المرسلين اذ قال لهم اخوهم نوح الا تتقون
اني لكم رسول امين فاتقوا الله واطيعون وما اسالكم عليه من اجر ان اجري الا على رب
العالمين فاتقوا الله واطيعون وما اسالكم عليه من اجر قالوا انومن لك واتبعك الارذلون
قال وما علمي بما كانوا يعملون ان حسابهم الا على ربي لو تشعرون وما انا بطارد المومنين ان انا
الا نذير مبين قالوا لين لم تنته يا نوح لتكونن من المرجومين قال رب ان قومي كذبون فافتح
بيني وبينهم فتحا ونجني ومن معي من المومنين فانجيناه ومن معه في الفلك المشحون ثم اغرقنا
بعد الباقين ان في ذلك لاية وما كان اكثرهم مومنين وان ربك لهو العزيز الرحيم وقال
تعالى في سورة العنكبوت ولقد ارسلنا نوحا الى قومه فلبث فيهم الف سنة الا خمسين
عاما فاخذهم الطوفان وهم ظالمون فانجيناه واصحاب السفينة وجعلناها اية للعالمين
وقال تعالى في سورة والصافات ولقد نادانا نوح فلنعم المجيبون ونجيناه واهله من
الكرب العظيم وجعلنا ذريته هم الباقين وتركنا عليه في الاخرين سلام على نوح في العالمين
انا كذلك نجزي المحسنين انه من عبادنا المومنين وقال تعالى في سورة اقتربت كذبت قبلهم
قوم نوح فكذبوا عبدنا وقالوا مجنون وازدجر فدعا ربه اني مغلوب فانتصر ففتحنا ابواب
السما بما منهمر وفجرنا الارض عيونا فالتقى الما على امر قد قدر وحملناه على ذات الواح ودسر
تجري باعيننا جزا لمن كان كفر ولقد تركناها اية فهل من مدكر فكيف كان عذابي ونذر ولقد
يسرنا القران للذكر فهل من مدكر وقال تعالى بسم الله الرحمن الرحيم
قل اوحي الي انه استمع نفر من الجن انا ارسلنا نوحا الى قومه ان انذر قومك من قبل ان ياتيهم
عذاب اليم قال يا قوم اني لكم نذير مبين ان اعبدوا الله واتقوه واطيعون يغفر لكم من ذنوبكم
ويوخركم الى اجل مسمى ان اجل الله اذا جا لا يوخر لو كنتم تعلمون قال رب اني دعوت قومي ليلا ونهارا
فلم يزدهم دعاي الا فرارا واني كلما دعوتهم لتغفر لهم جعلوا اصابعهم في اذانهم واستغشوا ثيابهم
واصروا واستكبروا استكبارا ثم اني دعوتهم جهارا ثم اني اعلنت لهم واسررت لهم اسرارا فقلت
استغفروا ربكم انه كان غفارا يرسل السما عليكم مدرارا ويمددكم باموال وبنين ويجعل لكم جنات
ويجعل لكم انهارا ما لكم لا ترجون لله وقارا وقد خلقكم اطوارا الم تروا كيف خلق الله سبع سموات
طباقا وجعل القمر فيهن نورا وجعل الشمس سراجا والله انبتكم من الارض نباتا ثم يعيدكم فيها
ويخرجكم اخراجا والله جعل لكم الارض بساطا لتسلكوا منها سبلا فجاجا قال نوح رب انهم عصوني
واتبعوا من لم يزده ماله وولده الا خسارا ومكروا مكرا كبارا وقالوا لا تذرن الهتكم ولا تذرن

ودا ولا سواعا ولا يغوث ويعوق ونسرا وقد اضلوا كثيرا ولا تزد الظالمين الا ضلالا مما خطاياهم
اغرقوا فادخلوا نارا فلم يجدوا لهم من دون الله انصارا وقال نوح رب لا تذر على الارض من الكافرين
ديارا انك ان تذرهم يضلوا عبادك ولا يلدوا الا فاجرا كفارا رب اغفر لي ولوالدي ولمن دخل
بيتي مومنا وللمومنين والمومنات ولا تزد الظالمين الا تبارا وقد تكلمنا على كل موضع من هذه
في التفسير وسنذكر مضمون القصة مجموعا من هذه الاماكن المتفرقة مما دلت عليه
الاحاديث والاثار وقد ذكره ايضا في مواضع متفرقة من القران فيها مدحه وذم من خالفه
فقال تعالى في سورة النسا انا اوحينا اليك كما اوحينا الى نوح والنبيين من بعده واوحينا
الى ابراهيم واسماعيل واسحاق ويعقوب والاسباط وعيسى وايوب ويونس وهارون وسليمان
واتينا داود زبورا ورسلا قد قصصناهم عليك من قبل ورسلا لم نقصصهم عليك وكلم
الله موسى تكليما رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل وكان
الله عزيزا حكيما وقال في الانعام وتلك حجتنا اتيناها ابراهيم على قومه نرفع درجات
من نشا ان ربك حكيم عليم ووهبنا له اسحاق ويعقوب كلا هدينا ونوحا هدينا من قبل ومن
ذريته داود وسليمان وايوب ويوسف وموسى وهارون وكذلك نجزي المحسنين وزكريا
ويحيى وعيسى والياس كل من الصالحين واسماعيل واليسع ويونس ولوطا وكلا فضلنا على
العالمين ومن ابايهم وذرياتهم واخوانهم واجتبيناهم وهديناهم الى صراط مستقيم الايات
وتقدمت قصة الاعراف وقال في سورة الاعراف براءة الم ياتهم نبا الذين من قبلهم قوم نوح
وعاد وثمود وقوم ابراهيم واصحاب مدين والموتفكات اتتهم رسلهم بالبينات فما كان الله
ليظلمهم ولكن كانوا انفسهم يظلمون وتقدمت قصته في يونس وهود وقال في سورة
ابراهيم الم ياتكم نبا الذين من قبلكم قوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم لا يعلمهم الا الله
جاتهم رسلهم بالبينات فردوا ايديهم في افواههم وقالوا انا كفرنا بما ارسلتم به وانا لفي
شك مما تدعوننا اليه مريب وقال في سورة سبحان ذرية من حملنا مع نوح انه كان عبدا
شكورا وقال فيها ايضا وكم اهلكنا من القرون من بعد نوح وكفى بربك بذنوب عباده خبيرا
بصيرا وتقدمت قصته في الانبيا والمومنون والشعرا والعنكبوت وقال في سورة
الاحزاب واذ اخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وابراهيم وموسى وعيسى ابن مريم
واخذنا منهم ميثاقا غليظا وقال في سورة ص كذبت قبلهم قوم نوح وعاد وفرعون ذو
الاوتاد وثمود وقوم لوط واصحاب الايكة اوليك الاحزاب ان كل الا كذب الرسل فحق عقاب
وما ينظر هولاء الا صيحة واحدة ما لها من فواق وقال في سورة غافر كذبت قبلهم قوم نوح
والاحزاب من بعدهم وهمت كل امة برسولهم لياخذوه وجادلوا بالباطل ليدحضوا به الحق
فاخذتهم فكيف كان عقاب وكذلك حقت كلمة ربك على الذين كفروا انهم اصحاب النار
وقال في سورة الشورى شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي اوحينا اليك وما
وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى ان اقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه كبر على المشركين ما تدعوهم
اليه الله يجتبي اليه من يشا ويهدي اليه من ينيب وقال تعالى في سورة ق كذبت
قبلهم قوم نوح واصحاب الرس وثمود وعاد وفرعون واخوان لوط واصحاب الايكة وقوم تبع
كل كذب الرسل فحق وعيد وقال في الذاريات وقوم نوح من قبل انهم كانوا قوما فاسقين
وقال في النجم وقوم نوح من قبل انهم كانوا هم اظلم واطغى والمؤتفكة

تقدمت في سورة اقتربت الساعة وقال تعالى في سورة الحديد ولقد ارسلنا نوحا وابراهيم
وجعلنا في ذريتهما النبوة والكتاب فمنهم مهتد وكثير منهم فاسقون وقال تعالى في سورة
التحريم ضرب الله مثلا للذين كفروا امراة نوح وامراة لوط كانتا تحت عبدين من عبادنا
صالحين فخانتاهما فلم يغنيا عنهما من الله شيئا وقيل ادخلا النار مع الداخلين واما
مضمون ما جرى له مع قومه ماخوذا من الكتاب والسنة والاثار فقد قدمنا عن ابن عباس انه
كان بين ادم ونوح عشرة قرون كلهم على الاسلام رواه البخاري وذكرنا ان المراد بالقرن الجيل
او المدة على ما سلف ثم بعد تلك القرون الصالحة حدثت امور اقتضت ان آل الحال
باهل ذلك الزمان الى عبادة الاصنام وكان سبب ذلك ما رواه البخاري من حديث ابن
جريج عن عطاء عن ابن عباس عند تفسير قوله تعالى وقالوا لا تذرن الهتكم ولا تذرن
ودا ولا سواعا ولا يغوث ويعوق ونسرا قال هذه اسماء رجال صالحين من قوم نوح
فلما هلكوا اوحى الشيطان الى قومهم ان انصبوا الى مجالسهم التي كانوا يجلسون انصابا وسموها
باسمائهم ففعلوا فلم تعبد حتى اذا هلك اولئك وينسخ العلم عبدت قال ابن عباس وصارت
هذه الاوثان التي كانت في قوم نوح في العرب بعد وهكذا قال عكرمة والضحاك وقتادة
ومحمد بن اسحاق وقال ابن جرير في تفسيره ثنا ابن حميد ثنا مهران عن سفيان عن موسى
عن محمد بن قيس قال وكانوا قوما صالحين بين ادم ونوح وكان لهم اتباع يقتدون بهم
فلما ماتوا قال اصحابهم الذين كانوا يقتدون بهم لو صورناهم كان اشوق لنا الى العبادة
اذا ذكرناهم فصوروهم فلما ماتوا وجاء اخرون دب اليهم ابليس فقال انما كانوا يعبدونهم
وبهم يسقون المطر فعبدوهم وروى ابن ابي حاتم عن عروة بن الزبير انه قال ود
ويغوث ويعوق وسواع ونسر اولاد ادم وكان ود اكبرهم وابرهم به وقال ابن ابي حاتم
ثنا احمد بن منصور ثنا الحسن بن موسى ثنا يعقوب عن ابي المطهر قال ذكروا عند ابي
جعفر هو الباقر وهو قائم يصلي يزيد بن المهلب قال فلما انفتل من صلاته قال ذكرتم
يزيد بن المهلب اما انه قتل في اول ارض عبد فيها غير الله قال ذكر ودا رجلا مسلما وكان
محببا في قومه فلما مات عكفوا حول قبره في ارض بابل وجزعوا عليه فلما راى ابليس جزعهم
عليه تشبه في صورة انسان ثم قال اني ارى جزعكم على هذا الرجل فهل لكم ان اصور لكم
مثله فيكون في ناديكم فتذكرونه قالوا نعم فصور لهم مثله قال ووضعوه في ناديهم
وجعلوا يذكرونه فلما راى ما بهم من ذكره قال هل لكم ان اجعل في منزل كل واحد منكم
تمثالا مثله ليكون له في بيته فتذكرونه قالوا نعم قال فمثل لكل اهل بيت تمثالا
مثله فاقبلوا فجعلوا يذكرونه به قال وادرك ابناؤهم فجعلوا يرون ما يصنعون به قال
وتناسلوا ودرس امر ذكرهم اياه حتى اتخذوه الها يعبدونه من دون الله اولاد اولادهم فكان
اول ما عبد غير الله ود الصنم الذي سموه ودا ومقتضى هذا السياق ان كل صنم من هذه
عبده طائفة من الناس وقد ذكر انه لما تطاولت العهود والازمان جعلوا تلك الصور
تماثيل مجسدة ليكون اثبت لها ثم عبدت بعد ذلك من دون الله عز وجل ولهم في عبادتها
مسالك كثيرة قد ذكرناها في مواضعها من كتابنا التفسير ولله الحمد والمنة وقد ثبت
في الصحيحين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه لما ذكرت عنده ام سلمة وام حبيبة
تلك الكنيسة التي راينها بارض الحبشة يقال لها مارية فذكرتا من حسنها وتصاوير

فيها

فيها قال اولئك اذا مات فيهم الرجل الصالح بنوا على قبره مسجدا ثم صوروا فيه تلك الصورة
اولئك شرار الخلق عند الله عز وجل والمقصود ان الفساد لما انتشر في الارض وعم
البلاء بعبادة الاصنام فيها بعث الله عبده ورسوله نوحا عليه السلام يدعو الى عبادة
الله وحده لا شريك له وينهى عن عبادة ما سواه فكان اول رسول بعثه الله الى اهل الارض
كما ثبت في الصحيحين من حديث ابي حيان عن ابي زرعة بن عمرو بن جرير عن ابي هريرة عن النبي
صلى الله عليه وسلم في حديث الشفاعة قال فياتون ادم فيقولون يا ادم انت ابو البشر
خلقك الله بيده ونفخ فيك من روحه وامر الملائكة فسجدوا لك واسكنك الجنة الا
تشفع لنا الى ربك الا ترى ما نحن فيه وما بلغنا فيقول ربي قد غضب غضبا لم يغضب قبله
مثله ولا يغضب بعده مثله ونهاني عن الشجرة فعصيت نفسي نفسي اذهبوا الى غيري
اذهبوا الى نوح فياتون نوحا فيقولون يا نوح انت اول الرسل الى اهل الارض وسماك الله
عبدا شكورا الا ترى الى ما نحن فيه الا ترى الى ما بلغنا الا تشفع لنا الى ربك عز وجل فيقول
ربي غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله ولا يغضب بعده مثله نفسي نفسي
وذكر تمام الحديث بطوله كما اورده البخاري في قصة نوح فلما بعث الله نوحا عليه السلام
دعاهم الى افراد العبادة لله وحده لا شريك له وان لا يعبدوا معه صنما ولا تمثالا ولا
طاغوتا وان يعترفوا بوحدانيته وانه لا اله غيره ولا رب سواه كما امر الله تعالى من بعده
من الرسل الذين هم كلهم من ذريته كما قال تعالى وجعلنا ذريته هم الباقين وقال فيه
وابراهيم وجعلنا في ذريتهما النبوة والكتاب اي كل نبي بعد نوح فمن ذريته وكذلك
ابرهيم قال الله تعالى ولقد بعثنا في كل امة رسولا ان اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت
وقال تعالى اجعلنا من دون الرحمن الهة يعبدون وقال تعالى وما ارسلنا من قبلك
من رسول الا يوحي اليه انه لا اله الا انا فاعبدون ولهذا قال نوح لقومه اعبدوا الله ما لكم
من اله غيره اني اخاف عليكم عذاب يوم اليم وقال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره افلا
تتقون وقال يا قوم اني لكم نذير مبين ان اعبدوا الله واتقوه واطيعون يغفر لكم من
ذنوبكم ويؤخركم الى اجل مسمى ان اجل الله اذا جاء لا يؤخر لو كنتم تعلمون قال رب اني دعوت
قومي ليلا ونهارا فلم يزدهم دعائي الا فرارا واني كلما دعوتهم لتغفر لهم جعلوا اصابعهم
في اذانهم واستغشوا ثيابهم واصروا واستكبروا استكبارا ثم اني دعوتهم جهارا ثم اني
اعلنت لهم واسررت لهم اسرارا فقلت استغفروا ربكم انه كان غفارا يرسل السماء عليكم
مدرارا ويمددكم باموال وبنين ويجعل لكم جنات ويجعل لكم انهارا ما لكم لا ترجون لله
وقارا وقد خلقكم اطوارا الايات الكريمات فذكر انه دعاهم الى الله بانواع الدعوة في الليل
والنهار والسر والاجهار بالترغيب تارة والترهيب اخرى وكل هذا فلم ينجح فيهم بل استمر
اكثرهم على الضلالة والطغيان وعبادة الاصنام والاوثان ونصبوا له العداوة في كل
وقت واوان وتنقصوه وتنقصوا من امن به وتوعدوهم بالرجم والاخراج ونالوا منهم وبالغوا
في امرهم قال الملأ من قومه اي السادة الكبراء منهم انا لنراك في ضلال مبين قال يا قوم
ليس بي ضلالة ولكني رسول من رب العالمين اي الذي يقول للشيء كن فيكون ابلغكم رسالات
ربي وانصح لكم واعلم من الله ما لا تعلمون وهذا شان الرسول ان يكون بليغا اي فصيحا ناصحا
اعلم الناس بالله عز وجل وقالوا له فيما قالوا ما نراك الا بشرا مثلنا وما نراك اتبعك الا الذين

بهم اراذلنا بادي الراي وما نرى لكم علينا من فضل بل نظنكم كاذبين تعجبوا ان يكون بشر
رسولا وتنقصوا بمن اتبعه وراوهم اراذلهم وقد قيل انهم كانوا من اقياد الناس وضعفايهم
كما قال هرقل وهم اتباع الرسل وما ذاك الا لانه لا مانع لهم من اتباع الحق وقولهم بادي الراي
اي بمجرد ما دعوتهم استجابوا لك من غير نظر ولا روية وهذا الذي ذموهم به هو عين ما يمدحون
بسببه رضي الله عنهم فان الحق الظاهر لا يحتاج الى روية ولا فكر ولا نظر بل يجب اتباعه والانقياد
له متى ظهر ولهذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مادحا للصديق ما دعوت احدا الى
الاسلام الا كانت له كبوة غير ابي بكر فانه لم يتلعثم ولهذا كانت بيعته يوم السقيفة ايضا
سريعة من غير نظر ولا روية لان افضليته على من عداه ظاهرة جلية عند الصحابة رضي
الله عنهم ولهذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما اراد ان يكتب الكتاب الذي اراد
ان ينص فيه على خلافته فتركه وقال يابى الله والمومنون الا ابا بكر رضي الله عنه وقول
كفرة قوم نوح له ولمن امن به وما نرى لكم علينا من فضل اي لم يظهر لكم امر بعد اتصافكم
بالايمان ولا مزية علينا بل نظنكم كاذبين قال يا قوم ارايتم ان كنت على بينة من ربي واتاني
رحمة من عنده فعميت عليكم انلزمكموها وانتم لها كارهون وهذا تلطف في الخطاب
معهم وترفق بهم في الدعوة الى الحق كما قال تعالى فقولا له قولا لينا لعله يتذكر او يخشى
وقال تعالى ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي احسن وهذا
منه يقول لهم ارايتم ان كنت على الحق واتاني رحمة من عنده اي النبوة والرسالة فعميت
عليكم فلم تفهموها ولم تهتدوا اليها انلزمكموها اي نغصبكم بها ونجبركم عليها وانتم
لها كارهون اي ليس لي فيكم حيلة والحالة هذه ويا قوم لا اسالكم عليه مالا ان اجري الا على
الله وما انا بطارد الذين امنوا انهم ملاقوا ربهم ولكني اراكم قوما تجهلون كانهم طلبوا
منه ان يبعد هولاء عنه ووعدوه ان يجتمعوا به اذا هو فعل ذلك فابى عليهم ذلك وقال
انهم ملاقوا ربهم اي فاخاف ان طردتهم ان يشكوني الى الله عز وجل ولهذا قال ويا قوم من
ينصرني من الله ان طردتهم افلا تذكرون ولهذا لما سال كفار قريش من رسول الله صلى
الله عليه وسلم ان يطرد عنه ضعفاء المومنين كعمار وصهيب وبلال وخباب واشباههم
نهاه الله عز وجل عن ذلك كما بيناه في سورتي الانعام والكهف ولا اقول لكم عندي خزاين
الله ولا اعلم الغيب ولا اقول اني ملك بل انا عبد رسول لا اعلم من علم الله الا ما اعلمني الله
به ولا اقدر الا على ما اقدرني عليه ولا املك لنفسي نفعا ولا ضرا الا ما شاء الله ولا اقول
للذين تزدري اعينكم يعني من اتباعه لن يوتيهم الله خيرا الله اعلم بما في انفسهم اني اذا لمن
الظالمين اي لا اشهد عليهم بانهم لا خير لهم عند الله يوم القيمة الله اعلم بهم وسيجازيهم
على ما في نفوسهم ان خيرا فخير وان شرا فشر كما قالوا في الموضع الاخر انومن لك واتبعك الارذلون
قال وما علمي بما كانوا يعملون ان حسابهم الا على ربي لو تشعرون وما انا بطارد المومنين ان انا الا
نذير مبين وقد تطاول الزمان والمجادلة بينه وبينهم كما قال الله تعالى فلبث فيهم
الف سنة الا خمسين عاما فاخذهم الطوفان وهم ظالمون اي ومع هذه المدة الطويلة
فما امن به الا القليل منهم وكان كلما انقرض جيل وصوا من بعدهم بعدم الايمان به ومحاربته
ومخالفته وكان الوالد اذا بلغ ولده وعقل عنه كلامه وصاه فيما بينه وبينه ان لا يومن
بنوح ابدا ما عاش ودايما ما بقي وكانت سجاياهم تابى الايمان واتباع الحق ولهذا قال

ولا يلدوا

ولا يلدوا الا فاجرا كفارا ولهذا قالوا يا نوح قد جادلتنا فاكثرت جدالنا فاتنا بما تعدنا
ان كنت من الصادقين قال انما ياتيكم به الله ان شاء وما انتم بمعجزين اي انما يقدر على ذلك
الله عز وجل فانه الذي لا يعجزه شي بل انما امره اذا اراد شيا ان يقول له كن فيكون ولا
ينفعكم نصحي ان اردت ان انصح لكم ان كان الله يريد ان يغويكم هو ربكم واليه ترجعون اي
من يرد الله فتنته فلن تملك له من الله شيا هو الذي يهدي من يشاء ويضل من يشاء وهو
الفعال لما يريد وهو الحكيم العليم بمن يستحق الهداية ومن يستحق الغواية وله الحكمة
البالغة والحجة الدامغة واوحي الى نوح انه لن يومن من قومك الا من قد امن فلا تبتئس
بما كانوا يفعلون وهذه تعزية لنوح عليه السلام في قومه انه لن يومن منهم الا من قد
امن وتسلية له عما كان منهم اليه فلا تبتئس بما كانوا يفعلون اي لا يسوءنك ما جرى
فان النصر قريب والنبا عجيب عجيب واصنع الفلك باعيننا ووحينا ولا تخاطبني
في الذين ظلموا انهم مغرقون وذلك ان نوحا عليه السلام لما يئس من صلاحهم وفلاحهم وراى
انهم لا خير فيهم وتوصلوا الى اذيته ومخالفته وتكذيبه بكل طريق من فعال ومقال دعا
عليهم دعوة غضب لله عليهم فلبى الله دعوته واجاب طلبته قال تعالى ولقد
نادانا نوح فلنعم المجيبون ونجيناه واهله من الكرب العظيم وقال تعالى ونوحا اذ نادى
من قبل فاستجبنا له فنجيناه واهله من الكرب العظيم وقال تعالى انه قال رب ان قومي كذبون
فافتح بيني وبينهم فتحا ونجني ومن معي من المومنين وقال تعالى فدعا ربه اني مغلوب
فانتصر وقال تعالى قال رب انصرني بما كذبون وقال تعالى مما خطاياهم اغرقوا
فادخلوا نارا فلم يجدوا لهم من دون الله انصارا وقال نوح رب لا تذر على الارض من الكافرين
ديارا انك ان تذرهم يضلوا عبادك ولا يلدوا الا فاجرا كفارا فاجتمع عليهم خطاياهم من
كفرهم وفجورهم ودعوة نبيهم عليهم فعند ذلك امره الله تعالى ان يصنع الفلك وهي
السفينة العظيمة التي لم يكن لها نظير قبلها ولا يكون بعدها مثلها وتقدم الله
تعالى اليه انه اذا جاء امره وحل بهم باسه الذي لا يرد عن القوم المجرمين انه لا يعاوده فيهم
ولا يراجعه فانه لعله قد تدركه رقة على قومه عند معاينة العذاب بهم فانه ليس الخبر
كالمعاينة ولهذا قال ولا تخاطبني في الذين ظلموا انهم مغرقون ويصنع الفلك
وكلما مر عليه ملا من قومه سخروا منه اي يستهزءون به استبعادا لوقوع ما توعدهم
به قال ان تسخروا منا فانا نسخر منكم كما تسخرون اي نحن الذين نسخر منكم ونتعجب
منكم في استمراركم على كفركم وعنادكم الذي يقتضي وقوع العذاب بكم وحلوله عليكم
فسوف تعلمون من ياتيه عذاب يخزيه ويحل عليه عذاب مقيم وقد كانت سجاياهم الكفر
الغليظ والعناد البالغ في الدنيا وهكذا في الاخرة فانهم يجحدون ايضا ان يكون جاءهم
من رسول كما قال البخاري حدثنا موسى بن اسماعيل ثنا عبد الواحد بن زياد ثنا الاعمش
عن ابي صالح عن ابي سعيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يجي نوح عليه السلام
وامته فيقول الله عز وجل هل بلغت فيقول نعم اي رب فيقول لامته هل بلغكم فيقولون
لا ما جاءنا من نبي فيقول لنوح من يشهد لك فيقول محمد وامته فنشهد انه قد بلغ وهو
قوله وكذلك جعلناكم امة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا
والوسط العدل فهذه الامة تشهد على شهادة نبيها الصادق المصدوق بان الله تعالى

قد بعث نوحا عليه السلام بالحق وانزل عليه الحق وامره به وانه بلغه الى امته على اكمل الوجوه
واتمها ولم يدع شيا مما ينفعهم في دينهم الا وقد امرهم به ولا شيا مما قد يضرهم الا وقد نهاهم عنه
وحذرهم منه وهذا شان جميع الرسل حتى انه حذر قومه المسيح الدجال وان كان لا يتوقع خروجه
في زمانهم حذرا عليهم وشفقة ورحمة بهم كما قال البخاري ثنا عبدان ثنا عبد الله عن يونس
عن الزهري قال سالم قال ابن عمر قام رسول الله صلى الله عليه وسلم في الناس فاثنى على الله بما
هو اهله ثم ذكر الدجال فقال اني لانذركموه وما من نبي الا وقد انذره قومه لقد انذره نوح
قومه ولكني اقول لكم فيه قولا لم يقله نبي لقومه تعلمون انه اعور وان الله ليس باعور وهذا
الحديث في الصحيحين ايضا من حديث شيبان بن عبد الرحمن عن يحيى بن ابي كثير عن ابي
سلمة بن عبد الرحمن عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال الا احدثكم عن الدجال
حديثا ما حدث به نبي قومه انه اعور وانه يجي معه بمثال الجنة والنار والتي يقول انها
الجنة هي النار واني انذركم كما انذر به نوح قومه لفظ البخاري وقد قال بعض السلف
لما استجاب الله له امره ان يغرس شجرا ليعمل منه السفينة فغرسه وانتظره مائة سنة
ثم نجره في مائة اخرى وقيل في اربعين سنة والله اعلم قال محمد بن اسحاق عن الثوري وكانت
من خشب الساج وقيل من الصنوبر وهو نص التورية قال الثوري وامره ان يجعل طولها
ثمانين ذراعا وعرضها خمسين ذراعا وان يطلي ظاهرها وباطنها بالقار وان يجعل لها
جؤجؤا ازور يشق الماء وقال قتادة كان طولها ثلثماية ذراع في عرض خمسين ذراعا وهذا
الذي في التورية على ما رايته وقال الحسن البصري ستمائة في عرض ثلثمائة وعن ابن عباس
الف ومائتا ذراع في عرض ستمائة ذراع وقيل كان طولها الفا ذراع وعرضها مائة ذراع
قالوا كلهم وكان ارتفاعها ثلاثين ذراعا وكانت ثلاث طبقات كل واحدة عشرة
اذرع فالسفلى للدواب والوحوش والوسطى للناس والعليا للطيور وكان بابها
في عرضها ولها غطا من فوقها مطبق عليها قال الله تعالى قال رب انصرني بما كذبون
فاوحينا اليه ان اصنع الفلك باعيننا ووحينا اي بامرنا لك وبمراي منا لصنعتك
لها ومشاهدتنا لذلك لنرشدك الى الصواب في صنعتها فاذا جاء امرنا وفار التنور
فاسلك فيها من كل زوجين اثنين واهلك الا من سبق عليه القول منهم ولا تخاطبني
في الذين ظلموا انهم مغرقون فتقدم اليه بامره العظيم العالي انه اذا جاء امره وحل باسه
ان يحمل في هذه السفينة من كل زوجين اثنين من الحيوانات وساير ما فيه روح من الماكولات
وغيرها لبقاء نسلها وان يحمل معه اهله اي اهل بيته الا من سبق عليه القول منهم اي الا من
كان كافرا فانه قد نفذت فيه الدعوة التي لا ترد ووجب عليه حلول الباس الذي لا يرد وامر
انه لا يراجعه فيهم اذا حل بهم ما يعاينه من العذاب الاليم العظيم الذي قد حتمه عليهم
الفعال لما يريد كما قدمنا بيانه قبل والمراد بالتنور عند الجمهور وجه الارض اي نبعت
الارض من ساير ارجائها حتى نبعت التنانير التي هي محال النار وعن ابن عباس التنور
عين في الهند وعن الشعبي بالكوفة وعن قتادة بالجزيرة وقال علي بن ابي طالب
المراد بالتنور فلق الصبح وتنوير الفجر اي اشراقه وضياؤه اي عند ذلك فاحمل فيها
من كل زوجين اثنين وهذا قول غريب وقوله تعالى حتى اذا جاء امرنا وفار التنور
قلنا احمل فيها من كل زوجين اثنين واهلك الا من سبق عليه القول ومن امن وما امن معه

الا قليل

الا قليل هذا امر بان عند حلول النقمة بهم ان يحمل فيها من كل زوجين اثنين وفي كتاب
اهل الكتاب انه امر ان يحمل من كل ما يوكل سبعة ازواج ومما لا يوكل زوجين ذكرا وانثى وهذا
مغاير لمفهوم قوله تعالى في كتابنا الحق اثنين ان جعلنا ذلك مفعولا به واما ان جعلناه
توكيدا لزوجين والمفعول به محذوف فلا ينافي والله اعلم وذكر بعضهم ويروى عن
ابن عباس انه اول ما دخل من الطيور الدرة واخر ما دخل من الحيوانات الحمار ودخل ابليس
متعلقا بذنب الحمار وقال ابن ابي حاتم ثنا ابي ثنا عبد الله بن صالح حدثني الليث حدثني
هشام بن سعد عن زيد بن اسلم عن ابيه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لما حمل
نوح في السفينة من كل زوجين اثنين قال اصحابه وكيف نطمين او تطمين المواشي ومعنا
الاسد فسلط الله عليه الحمى فكانت اول حمى نزلت الارض ثم شكوا الفارة فقالوا الفويسقة
تفسد علينا طعامنا ومتاعنا فاوحى الله الى الاسد فعطس فخرجت الهرة منه فتخبات
الفارة منها هذا مرسل وقوله واهلك الا من سبق عليه القول اي من استجيبت فيهم الدعوة
النافذة ممن كفر فكان منهم ابنه يام الذي غرق كما سياتي بيانه ومن امن اي واحمل فيها من
امن بك من امتك قال الله تعالى وما امن معه الا قليل هذا مع طول المدة والمقام
بين اظهرهم ودعوتهم الاكيدة ليلا ونهارا بضروب المقال وفنون التلطفات والتهديد
والوعيد تارة والترغيب والوعد اخرى وقد اختلف في عدة من كان معه في السفينة
فعن ابن عباس كانوا ثمانين نفسا معهم نساؤهم وعن كعب الاحبار كانوا اثنين وسبعين
نفسا وقيل كانوا عشرة وقيل انما كانوا نوحا وبنيه الثلاثة وكناينه الاربع بامراة
يام الذي انخزل وانعزل وانسل عن طريق النجاة فما عدل اذ عدل وهذا القول فيه
مخالفة لظاهر الاية بل هي نص في انه قد ركب معه من غير اهله طايفة ممن امن به كما قال
ونجني ومن معي من المؤمنين وقيل كانوا سبعة وهي ام اولاده كلهم وسام وحام ويافث
ويام وتسميه اهل الكتاب كنعان وهو الذي غرق وعابر وقد ماتت قبل الطوفان فقيل انها
غرقت مع من غرق وكانت ممن سبق عليه القول لكفرها وعند اهل الكتاب انها كانت في السفينة
فيحتمل انها كفرت بعد ذلك او انها انظرت ليوم القيامة والظاهر الاول لقوله لا تذر على
الارض من الكافرين ديارا قال الله تعالى فاذا استويت انت ومن معك على الفلك
فقل الحمد لله الذي نجانا من القوم الظالمين وقل رب انزلني منزلا مباركا وانت خير المنزلين
امره ان يحمد ربه على ما سخر له من هذه السفينة فنجاه بها وفتح بينه وبين قومه واقر عينه
ممن خالفه وكذبه كما قال تعالى والذي خلق الازواج كلها وجعل لكم من الفلك والانعام
ما تركبون لتستووا على ظهوره ثم تذكروا نعمة ربكم اذا استويتم عليه وتقولوا سبحان
الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين وانا الى ربنا لمنقلبون وهكذا يومر بالدعا في ابتدا
الامور ان يكون على الخير والبركة وان تكون عاقبتها محمودة كما قال تعالى لرسوله صلى
الله عليه وسلم حين هاجر وقل رب ادخلني مدخل صدق واخرجني مخرج صدق واجعل
لي من لدنك سلطانا نصيرا وقد امتثل نوح عليه السلام هذه الوصية وقال
اركبوا فيها بسم الله مجريها ومرسيها ان ربي لغفور رحيم اي على اسم الله ابتدا سيرها
وانتهاوه ان ربي لغفور رحيم اي وذو عقاب اليم مع كونه غفورا رحيما لا يرد باسه عن القوم
المجرمين كما احل باهل الارض الذين كفروا وعبدوا غيره قال الله تعالى وهي تجري

بهم في موج كالجبال وذلك ان الله تعالى ارسل من السماء مطرا لم تعهده الارض قبله
ولا تمطره بعده كان كافواه القرب وامر الله الارض فنبعت من جميع فجاجها وسائر
ارجائها كما قال تعالى فدعا ربه اني مغلوب فانتصر ففتحنا ابواب السماء بماء منهمر
وفجرنا الارض عيونا فالتقى الماء على امر قد قدر وحملناه على ذات الواح ودسر تجري باعيننا
جزاء لمن كان كفر اي بحفظنا وكلائتنا وحراستنا ومشاهدتنا لها وقد ذكر ابن جرير
وغيره ان الطوفان كان في ثالث عشر شهر آب في حماوة القيظ قال الله تعالى انا لما طغى
الماء حملناكم في الجارية اي السفينة لنجعلها لكم تذكرة وتعيها اذن واعية قال
جماعة من المفسرين ارتفع الماء على اعلى جبل بالارض خمسة عشر ذراعا وهو الذي عند
اهل الكتاب وقيل ثمانين ذراعا وعم جميع الارض طولها والعرض سهلها وحزنها وجبالها
وقفارها ورمالها ولم يبق على وجه الارض ممن كان بها من الاحياء عين تطرف ولا صغير ولا كبير
قال الامام مالك عن زيد بن اسلم كان اهل ذلك الزمان قد ملأوا السهل والجبل وقال
عبد الرحمن بن زيد بن اسلم لم تكن بقعة في الارض الا ولها مالك وحائز رواهما ابن ابي حاتم
ونادى نوح ابنه وكان في معزل يا بني اركب معنا ولا تكن مع الكافرين قال ساوي الى جبل
يعصمني من الماء قال لا عاصم اليوم من امر الله الا من رحم وحال بينهما الموج فكان من المغرقين
وهذا الابن هو يام اخو سام وحام ويافث وقيل اسمه كنعان وكان كافرا عمل عملا غير صالح فخالف
اباه في دينه ومذهبه فهلك مع من هلك هذا وقد نجا مع ابيه الاجانب في النسب لما
كانوا مسلمين في الدين والمذهب وقيل يا ارض ابلعي ماءك ويا سماء اقلعي وغيض
الماء وقضي الامر واستوت على الجودي وقيل بعدا للقوم الظالمين اي لما فرغ من اهل
الارض ولم يبق بها احد ممن عبد غير الله عز وجل امر الله الارض ان تبلع ماءها وامر السماء ان
تقلع اي تمسك عن المطر وغيض الماء اي نقص عما كان وقضي الامر اي وقع بهم الذي كان قد
سبق في علمه وقدره من احلاله بهم ما حل بهم وقيل بعدا للقوم الظالمين اي نودي عليهم
بلسان القدرة بعدا لهم من الرحمة والمغفرة كما قال تعالى فكذبوه فانجيناه والذين معه
في الفلك واغرقنا الذين كذبوا باياتنا انهم كانوا قوما عمين وقال تعالى فكذبوه
فنجيناه ومن معه في الفلك وجعلناهم خلائف واغرقنا الذين كذبوا باياتنا
انهم كانوا قوما عمين قوم سوء فاغرقناهم اجمعين وقال تعالى فانجيناه ومن معه
في الفلك المشحون ثم اغرقنا بعد الباقين ان في ذلك لاية وما كان اكثرهم مؤمنين
وان ربك لهو العزيز الرحيم وقال تعالى فلبث فيهم الف سنة الا خمسين عاما فاخذهم
الطوفان وهم ظالمون فانجيناه واصحاب السفينة وجعلناها اية للعالمين وقال
تعالى ثم اغرقنا الاخرين وقال تعالى ولقد تركناها اية فهل من مدكر فكيف كان عذابي
ونذر ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر وقال تعالى مما خطاياهم اغرقوا فادخلوا
نارا فلم يجدوا لهم من دون الله انصارا وقال نوح رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا
وقد استجاب الله تعالى وله الحمد والمنة دعوته فلم يبق منهم عين تطرف وقد روى الامامان
ابو جعفر بن جرير وابو محمد بن ابي حاتم في تفسيرهما من طريق يعقوب بن محمد الزهري عن
قايد مولى عبيد الله بن ابي رافع ان ابراهيم بن عبد الرحمن بن ابي ربيعة اخبره ان عائشة ام المؤمنين
اخبرته ان رسول الله قال فلو رحم الله من قوم نوح احدا لرحم ام الصبي قال رسول الله مكث

نوح عليه السلام في قومه الف سنة وغرس مائة سنة الشجر فعظمت وذهبت كل مذهب
ثم قطعها ثم جعلها سفينة ويمرون عليه ويسخرون منه ويقولون تعمل سفينة في البر فكيف
تجري قال سوف تعلمون فلما فرغ ونبع الماء وصار في السكك خشيت ام الصبي عليه
وكانت تحبه حبا شديدا فخرجت به الى الجبل حتى بلغت ثلثه فلما بلغها الماء خرجت به حتى استوت
على الجبل فلما بلغ الماء رقبتها رفعته بيديها فغرقا فلو رحم الله منهم احدا لرحم ام الصبي
وهذا حديث غريب وقد روي عن كعب الاحبار ومجاهد وغير واحد شبيه بهذه القصة
واحرى بهذا الحديث ان يكون موقوفا متلقى عن مثل كعب الاحبار والله اعلم والمقصود ان
الله لم يبق من الكافرين ديارا فكيف يزعم بعض المفسرين ان عوج بن عنق ويقال
عناق كان موجودا من قبل نوح الى زمان موسى ويقولون كان كافرا متمردا جبارا عنيدا ويقولون
كان لغير رشدة بل ولدته امه عنق بنت آدم من زنا وانه كان ياخذ من طوله السمك من
قرار البحر ويشويه في عين الشمس وانه كان يقول لنوح وهو في السفينة ما هذه القصيعة
التي لك ويستهزئ به ويذكرون انه كان طوله ثلاثة الاف ذراع وثلاثمائة وثلاثة
وثلاثين ذراعا وثلثا الى غير ذلك من الهذيانات التي لولا انها مسطرة في كثير من كتب
التفاسير وغيرها من التواريخ وايام الناس لما تعرضنا لحكايتها لسقاطتها
وركاكتها ثم انها مخالفة للمعقول والمنقول اما المعقول فكيف يسوغ فيه ان يهلك
الله ولد نوح لكفره وابوه نبي الامة وزعيم اهل الايمان ولا يهلك عوج بن عنق ويقال
عناق وهو اظلم واطغى على ما ذكروا وكيف لا يرحم الله منهم احدا ولا ام الصبي ولا الصبي ويترك
هذا المدعي الجبار العنيد الفاجر الشديد الكافر الشيطان المريد على ما ذكروا واما
المنقول فقد قال الله تعالى ثم اغرقنا الاخرين وقال رب لا تذر على الارض من الكافرين
ديارا ثم هذا الطول الذي ذكروه مخالف لما ثبت في الصحيحين عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم انه قال ان الله خلق آدم وطوله ستون ذراعا ثم لم يزل الخلق تنقص حتى الان
فهذا نص الصادق المصدوق الذي لا ينطق عن الهوى ان هو الا وحي يوحى انه لم يزل الخلق
تنقص حتى الان اي لم يزل الناس في نقصان في طولهم من آدم الى يوم اخباره بذلك وهلم
جرا الى يوم القيامة وهذا يقتضي انه لم يوجد من ذرية آدم من كان اطول منه فكيف يترك
هذا ويذهل عنه ويصار الى اقوال الكذبة الكفرة من اهل الكتاب الذين بدلوا كتب الله
المنزلة وحرفوها واولوها ووضعوها على غير مواضعها فما ظنك بما هم يستقلون بنقله
او يؤتمنون عليه وهم الخونة الكذبة عليهم لعائن الله التابعة الى يوم القيامة وما اظن
هذا الخبر عن عوج بن عناق الا اختلاقا من بعض زنادقتهم وفجارهم الذين كانوا اعداء الانبيا
والله اعلم ثم ذكر تعالى مناشدة نوح ربه في ولده وسؤاله له عن غرقه على وجه الاستعلام
والاستكشاف ووجه السؤال انك وعدتني بنجاة اهلي معي وهو منهم وقد غرق فاجيب
بانه ليس من اهلك اي الذين وعدت بنجاتهم اي اما قلنا لك واهلك الا من سبق عليه
القول منهم فكان هذا ممن سبق عليه القول منهم بانه سيغرق بكفره ولهذا ساقته الاقدار
الى ان انحاز عن حوزة اهل الايمان فغرق مع حزبه اهل الكفر والطغيان ثم قال تعالى
ثم قيل يا نوح اهبط بسلام منا وبركات عليك وعلى امم ممن معك وامم سنمتعهم ثم يمسهم منا
عذاب اليم هذا امر لنوح عليه السلام لما نضب الماء عن وجه الارض وامكن السعي فيها

ولا استقرار عليها ان يهبط من السفينة التي كانت فلما استقرت بعد سيرها العظيم على ظهر الجودي وهو جبل بارض الجزيرة مشهور وقد قدمنا ذكره عند خلق الجبال بسلام منا وبركات عليك اي اهبط سالما مباركا عليك وعلى امم ممن سيولد بعد اي من اولادك فان الله لم يجعل لاحد ممن كان معه من المؤمنين نسلا ولا عقبا سوى نوح عليه السلام قال الله تعالى وجعلنا ذريته هم الباقين فكل من على وجه الارض اليوم من سائر اجناس بني آدم ينتسبون الى اولاد نوح الثلاثة وهم سام وحام ويافث قال الامام احمد ثنا عبد الوهاب عن سعيد عن قتادة عن الحسن عن سمرة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال سام ابو العرب وحام ابو الحبش ويافث ابو الروم ورواه الترمذي عن بشر بن معاذ العقدي عن يزيد بن زريع عن سعيد بن ابي عروبة عن قتادة عن الحسن عن سمرة مرفوعا نحوه قال الشيخ ابو عمر بن عبد البر وقد روي عن عمران ابن حصين عن النبي صلى الله عليه وسلم مثله قال والمراد بالروم هاهنا الروم الاول وهم اليونان المنتسبون الى رومي بن لبطي بن يونان بن يافث بن نوح عليه السلام ثم روي من حديث اسماعيل بن عياش عن يحيى بن سعيد عن ابن المسيب انه قال ولد نوح ثلاثة سام ويافث وحام وولد كل واحد من هولاء الثلاثة ثلاثة فولد سام العرب وفارس والروم وولد يافث الترك والصقالبة ويأجوج ومأجوج وولد حام القبط والسودان والبربر قلت وقد قال الحافظ ابو بكر البزار في مسنده حدثنا ابراهيم بن هانئ واحمد بن الحسين بن عباد ابو العباس قالا ثنا محمد بن يزيد بن سنان الرهاوي حدثني ابي عن يحيى ابن سعيد عن سعيد بن المسيب عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ولد لنوح سام وحام ويافث فولد لسام العرب وفارس والروم والخير فيهم وولد ليافث يأجوج ومأجوج والترك والصقالبة ولا خير فيهم وولد لحام القبط والبربر والسودان ثم قال لا نعلمه يروى مرفوعا الا من هذا الوجه تفرد به محمد بن يزيد بن سنان عن ابيه وقد حدث عنه جماعة من اهل العلم واحتملوا حديثه ورواه غيره عن يحيى بن سعيد مرسلا ولم يسنده وانما جعله من قول سعيد قلت وهذا الذي ذكره ابو عمر هو المحفوظ عن سعيد قوله وهكذا روي عن وهب بن منبه مثله والله اعلم ويزيد بن سنان ابو فروة الرهاوي ضعيف بمرة لا يعتمد عليه وقد قيل ان نوحا عليه السلام لم يولد له هولاء الثلاثة الاولاد الا بعد الطوفان وانما ولد له قبل السفينة كنعان الذي غرق وعابر مات قبل الطوفان والصحيح ان الاولاد الثلاثة كانوا معه في السفينة هم ونساؤهم وامهم وهو نص التوراة وقد ذكر ان حاما واقع امرأته في السفينة فدعا عليه نوح ان يشوه خلقة نطفته فولد له ولد اسود وهو كنعان بن حام جد السودان وقيل بل راى اباه نائما وقد بدت عورته فلم يسترها وسترها اخواه فلهذا دعا عليه ان تغير نطفته وان يكون اولاده عبيدا لاخوته وذكر الامام ابو جعفر بن جرير من طريق علي بن زيد بن جدعان عن يوسف بن مهران عن ابن عباس انه قال قال الحواريون لعيسى بن مريم لو بعثت لنا رجلا شهد السفينة فحدثنا عنها قال فانطلق بهم حتى انتهى الى كثيب من تراب فاخذ كفا من ذلك التراب بكفه قال اتدرون من هذا قالوا الله ورسوله اعلم قال هذا كعب حام بن نوح قال وضرب الكثيب بعصاه وقال قم باذن الله فاذا هو قائم ينفض التراب عن راسه قد شاب فقال له عيسى عليه السلام هكذا هلكت قال لا ولكني مت وانا شاب ولكنني ظننت انها الساعة

فمن ثم شبت قال حدثنا عن سفينة نوح قال كان طولها الف ذراع ومائتي ذراع وعرضها ستمائة ذراع وكانت ثلاث طبقات فطبقة فيها الدواب والوحوش وطبقة فيها الانس وطبقة فيها الطير فلما كثر ارواث الدواب اوحى الله عز وجل الى نوح عليه السلام ان اغمز ذنب الفيل فغمزه فوقع منه خنزير وخنزيرة فاقبلا على الروث ولما وقع الفار بخرز السفينة يقرضه اوحى الله عز وجل الى نوح عليه السلام ان اضرب بين عيني الاسد فخرج من منخره سنور وسنورة فاقبلا على الفار فقال له عيسى عليه السلام كيف علم نوح عليه السلام ان البلاد قد غرقت قال بعث الغراب ياتيه بالخبر فوجد جيفة فوقع عليها فدعا عليه بالخوف فلذلك لا يالف البيوت قال ثم بعث الحمامة فجاءت بورق زيتون بمنقارها وطين برجليها فعلم ان البلاد قد غرقت قال فطوقها الخضرة التي في عنقها ودعا لها ان تكون في انس وامان فمن ثم تالف البيوت قال فقالوا يا رسول الله الا ننطلق به الى اهلينا فيجلس معنا ويحدثنا قال كيف يتبعكم من لا رزق له قال فقال له عد باذن الله فعاد ترابا وهذا اثر غريب جدا وروى علباء بن احمر عن عكرمة عن ابن عباس قال كان مع نوح في السفينة ثمانون رجلا معهم اهلوهم وانهم كانوا في السفينة مائة وخمسين يوما وان الله وجه السفينة الى مكة فدارت بالبيت اربعين يوما ثم وجهها الى الجودي فاستقرت عليه فبعث نوح عليه السلام الغراب لياتيه بخبر الارض فذهب فوقع على الجيف فابطا عليه فبعث نوح عليه السلام الحمامة فاتته بورق الزيتون ولطخت رجليها بالطين فعرف نوح ان الماء قد نضب فهبط الى اسفل الجودي فابتنى قرية وسماها ثمانين فاصبحوا ذات يوم وقد تبلبلت السنتهم على ثمانين لغة احداها اللغة العربي فكان بعضهم لا يفقه كلام بعض فكان نوح عليه السلام يعبر عنهم وقال قتادة وغيره ركبوا في السفينة في اليوم العاشر من شهر رجب فساروا مائة وخمسين يوما واستقرت بهم على الجودي شهرا فكان خروجهم من السفينة في يوم عاشوراء من المحرم وقد روى ابن جرير خبرا مرفوعا يوافق هذا وانهم صاموا يومهم ذلك وقال الامام احمد حدثنا ابو جعفر ثنا عبد الصمد بن حبيب الازدي عن ابيه حبيب بن عبد الله عن شبيل عن ابي هريرة قال مر النبي صلى الله عليه وسلم باناس من اليهود وقد صاموا يوم عاشوراء فقال ما هذا من الصوم فقالوا هذا اليوم الذي نجى الله موسى وبني اسرائيل من الغرق وغرق فيه فرعون وهذا يوم استوت فيه السفينة فصامه نوح وموسى عليهما شكرا لله عز وجل فقال النبي صلى الله عليه وسلم انا احق بموسى واحق بصوم هذا اليوم وقال لاصحابه من كان منكم اصبح صائما فليتم صومه ومن كان اصاب من غذاء اهله فليتم بقية يومه وهذا الحديث له شاهد في الصحيح من وجه آخر والمستغرب ذكر نوح ايضا والله اعلم واما ما يذكره كثير من الجهلة انهم اكلوا من فضول ازوادهم ومن حبوب كانت معهم قد استصحبوها واطبخوا الحبوب يومئذ واكتحلوا بالاثمد لتقوية ابصارهم لما انهارت من الضياء بعد ما كانوا في ظلمة السفينة فكل هذا لا يصح فيه شيء وانما يذكر فيه آثار منقطعة عن بني اسرائيل لا يعتمد عليها ولا يقتدى بها والله اعلم وقال محمد بن اسحاق لما اراد الله ان يكف ذلك الطوفان ارسل ريحا على وجه الارض فسكن الماء وانسدت ينابيع الارض فجعل الماء ينقص ويغيض ويدبر وكان استواء الفلك على الجودي فيما يزعم اهل التوراة في الشهر السابع لسبع عشرة ليلة مضت منه وفي اول يوم من الشهر العاشر رؤيت رؤس الجبال فلما

فمضى بعد ذلك اربعون يوما ففتح نوح كوة الفلك التي صنع فيها ثم ارسل الغراب لينظر
له ما فعل الما فلم يرجع اليه فارسل الحمامة فرجعت اليه لم تجد لرجليها موضعا فبسط
يده للحمامة فاخذها فادخلها ثم مضت سبعة ايام ثم ارسلها لتنظر له ما فعل الما
فلم ترجع اليه فارسل الحمامة فرجعت اليه حين امست وفي فيها ورق زيتونة فعلم نوح
ان الما قد قل عن وجه الارض ثم مكث سبعة ايام ثم ارسلها فلم ترجع فعلم نوح ان الارض
قد برزت فلما كملت السنة فيما بين ان ارسل الله الطوفان الى ان ارسل نوح [illegible]
الحمامة ودخل يوم واحد من الشهر الاول من سنة اثنتين برز وجه الارض وظهر البر وكشف
نوح غطا الفلك وهذا الذي ذكره ابن اسحاق هو بعينه مضمون سياق التورية التي بايدي
اهل الكتاب قال ابن اسحاق وفي الشهر الثاني من سنة اثنتين في ست وعشرين ليلة منه قيل
يا نوح اهبط بسلام منا وبركات عليك وعلى امم ممن معك وامم سنمتعهم ثم يمسهم منا عذاب اليم وفيما
ذكر اهل الكتاب ان الله كلم نوحا قايلا له اخرج من الفلك انت وامراتك وبنوك ونسا بنيك
معك وجميع الدواب التي معك ولينموا وليكثروا في الارض فخرجوا وابتنى نوح مذبحا لله عز
وجل واخذ من جميع الدواب الحلال والطير الحلال فذبحها قربانا الى الله عز وجل وعهد الله
اليه ان لا يعيد الطوفان على اهل الارض وجعل تذكارا لميثاقه اليه القوس الذي في الغمام وهو
قوس قزح الذي تقدم عن ابن عباس انه امان من الغرق قال بعضهم فيه اشارة الى انه قوس
بلا وتر اي ان هذا الغمام لا يوجد منه طوفان كاولة وقد انكر طايفة من جهلة الفرس واهل
الهند وقوع الطوفان واعترف به اخرون منهم وقالوا انما كان بارض بابل ولم يصل الينا
قالوا ولم نزل نتوارث الملك كابرا عن كابر من لدن كيومرث يعنون ادم الى زماننا هذا
وهذا قاله من قاله من زنادقة المجوس عباد النيران واتباع الشيطان وهذه سفسطة
منهم وكفر فظيع وجهل بليغ ومكابرة للمحسوسات وتكذيب لرب الارض والسموات وقد اجمع
اهل الاديان الناقلون عن رسل الرحمن مع ما تواتر عند الناس في ساير الازمان على وقوع
الطوفان وانه عم جميع البلاد ولم يبق الله احدا من كفرة العباد استجابة لدعوة نبيه
المويد المعصوم وتنفيذا لما سبق في القدر المحتوم

ذكر شي من اخبار نوح نفسه عليه السلام

قال الله تعالى انه كان عبدا شكورا قيل انه كان يحمد الله على طعامه وشرابه ولباسه وشانه
كله وقال الامام احمد ثنا ابو اسامة ثنا زكريا بن ابي زايدة عن سعيد بن ابي بردة عن
انس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله ليرضى عن العبد ان ياكل
الاكلة فيحمده عليها او يشرب الشربة فيحمده عليها وكذا رواه مسلم والترمذي والنساي
من حديث ابي اسامة والظاهر ان الشكور هو الذي يعمل بجميع الطاعات القلبية والقولية
والعملية فان الشكر يكون بهذا وبهذا وبهذا كما قال الشاعر

افادتكم النعما مني ثلاثة ... يدي ولساني والضمير المحجبا

ذكر صومه عليه السلام

وقال ابن ماجة باب صيام نوح عليه السلام حدثنا سهل بن ابي سهل ثنا سعيد
ابن ابي مريم ثنا ابن لهيعة عن جعفر بن ربيعة عن ابي فراس انه سمع عبد الله بن عمرو يقول سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول صام نوح الدهر الا يوم عيد الفطر ويوم الاضحى هكذا

ورواه ابن ماجة

ورواه ابن ماجة من طريق عبد الله بن لهيعة عن ابي قنان عن يزيد بن رباح ابي فراس انه سمع عبد
الله بن عمرو يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول صام نوح الدهر الا يوم الفطر
والاضحى وصام داود نصف الدهر وصام ابراهيم ثلاثة ايام من كل شهر صام الدهر وافطر الدهر

ذكر حجه عليه السلام

وقال الحافظ ابو يعلى ثنا سفيان بن وكيع ثنا ابي عن زمعة هو ابن صالح عن سلمة بن وهرام
عن عكرمة عن ابن عباس قال حج رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما اتى وادي عسفان قال
يا ابا بكر اي واد هذا قال هذا وادي عسفان قال لقد مر بهذا الوادي نوح وهود وابراهيم على بكرات
لهم حمر خطمهم الليف ازرهم العبا وارديتهم النمار يحجون البيت العتيق فيه غرابة

ذكر وصيته لولده عليه السلام

قال الامام احمد ثنا سليمان بن حرب ثنا حماد بن زيد عن الصقعب بن زهير عن زيد بن اسلم قال
حماد اظنه عن عطا بن يسار عن عبد الله بن عمرو قال كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فجا رجل
من اهل البادية عليه جبة سيجان مزرورة بالديباج فقال ان صاحبكم هذا قد وضع كل فارس بن
فارس او قال يريد ان يضع كل فارس بن فارس ويرفع كل راع بن راع قال فاخذ رسول الله صلى الله
عليه وسلم بمجامع جبته وقال الا ارى عليك لباس من لا يعقل ثم قال ان نبي الله نوحا عليه
السلام لما حضرته الوفاة قال لابنه اني قاص عليك الوصية امرك باثنتين وانهاك عن
اثنتين امرك بلا اله الا الله فان السموات السبع والارضين السبع لو وضعت في كفة
ووضعت لا اله الا الله في كفة رجحت بهن لا اله الا الله ولو ان السموات السبع والارضين
السبع كن حلقة مبهمة قصمتهن لا اله الا الله وسبحان الله وبحمده فانها صلاة كل شي وبها
يرزق الخلق وانهاك عن الشرك والكبر قال قلت او قيل يا رسول الله هذا الشرك قد عرفناه فما
الكبر ان يكون لاحدنا نعلان حسنتان لهما شراكان حسنان قال لا قال هو ان يكون لاحدنا
حلة يلبسها قال لا قال هو ان يكون لاحدنا دابة يركبها قال لا قال هو ان يكون لاحدنا اصحاب
يجلسون اليه قال لا قلت او قيل يا رسول الله فما الكبر قال سفه الحق وغمص الناس وهذا
اسناد صحيح ولم يخرجوه ورواه ابو القسم الطبراني من حديث عبد الرحيم بن سليمان عن محمد بن
اسحاق عن عمرو بن دينار عن عبد الله بن عمرو ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كان في وصية
نوح لابنه اوصيك بخصلتين وانهاك عن خصلتين فذكر نحوه وقد رواه ابو بكر البزار عن ابراهيم
بن سعيد عن ابي معاوية الضرير عن محمد بن اسحاق عن عمرو بن دينار عن عبد الله بن عمر بن الخطاب
عن النبي صلى الله عليه وسلم بنحوه والظاهر انه عن عبد الله بن عمرو بن العاص كما رواه احمد
والطبراني والله اعلم ويزعم اهل الكتاب ان نوحا عليه السلام لما ركب في السفينة كان عمره
ستماية سنة وقدمنا عن ابن عباس مثله وزاد وعاش بعد ذلك ثلثماية وخمسين سنة وفي
هذا القول نظر ثم ان لم يكن الجمع بينه وبين دلالة القران فهو خطا محض فان القران يقتضي
ان نوحا مكث في قومه بعد البعثة وقبل الطوفان الف سنة الا خمسين عاما فاخذهم الطوفان
وهم ظالمون ثم الله اعلم كم عاش بعد ذلك فان كان ما ذكر عن ابن عباس محفوظا من انه بعث وله
اربعماية سنة وثمانون سنة وانه عاش بعد الطوفان ثلثماية وخمسين سنة فيكون قد عاش
على هذا الف سنة وسبعماية وثمانين سنة واما قبره عليه السلام فروى ابن جرير والازرقي عن
قبر نوح
عبد الرحمن بن سابط او غيره من التابعين مرسلا ان قبر نوح بالمسجد الحرام وهذا اقوى واثبت

من الذي يذكره كثير من المتأخرين من انه بيلده با لبقاع تعرف اليوم بكرك نوح وهنالك جامع قد بني
بسبب ذلك فيما ذكر والله اعلم

قصة هود عليه السلام

وهو هود بن شالخ بن ارفخشذ بن سام بن نوح عليه السلام ويقال ان هودا هو عابر بن شالخ بن ارفخشذ
بن سام بن نوح ويقال هود بن عبد الله بن رباح بن الجارود بن عاد بن عوص بن ارم بن سام
بن نوح عليه السلام ذكره ابن جرير وكان من قبيلة يقال لهم عاد بن عوص بن سام بن نوح وكانوا
عربا يسكنون الاحقاف وهي جبال الرمل وكانت باليمن بين عمان وحضرموت بارض مطلة
على البحر يقال لها الشحر واسم واديهم مغيث وكانوا كثيرا ما يسكنون الخيام ذوات الاعمدة الضخام
كما قال تعالى الم تر كيف فعل ربك بعاد ارم ذات العماد وهم عاد الاولى واما عاد الثانية فمتاخرة
كما سياتي بيان ذلك في موضعه واما عاد الاولى فهم عاد ارم ذات العماد التي لم يخلق مثلها في
البلاد اي مثل القبيلة وقيل مثل العمد والصحيح الاول كما بيناه في التفسير ومن زعم ان ارم
مدينة تدور في الارض فتارة في الشام وتارة باليمن وتارة في الحجاز وتارة في غيرها فقد ابعد
النجعة وقال ما لا دليل عليه ولا برهان يعول عليه ولا مستند يركن اليه وفي صحيح ابن حبان عن
ابي ذر في حديثه الطويل في ذكر الانبياء والمرسلين قال فيه منهم اربعة من العرب هود وصالح وشعيب
ونبيك يا ابا ذر ويقال ان هودا عليه السلام اول من تكلم بالعربية وزعم وهب بن منبه ان اباه
اول من تكلم بها وقال غيره اول من تكلم بها نوح وقيل ادم وهو الاشبه وقيل غير ذلك والله تعالى
اعلم ويقال للعرب الذين كانوا قبل اسماعيل عليه السلام العرب العاربة وهم قبائل كثيرة منهم
عاد وثمود وجرهم وطسم وجديس واميم ومدين وعملاق وعبيل وجاسم وقحطان وبنو يقطن
وغيرهم واما العرب المستعربة فهم من ولد اسماعيل بن ابراهيم الخليل وكان اسماعيل بن ابراهيم
عليهما السلام اول من تكلم بالعربية الفصيحة البليغة وكان قد اخذ كلام العرب من جرهم الذين
نزلوا عند امه هاجر بالحرم كما سياتي بيانه في موضعه ان شاء الله ولكن انطقه الله بها في غاية
الفصاحة والبيان وكذلك كان يتلفظ بها رسول الله صلى الله عليه وسلم والمقصود ان عادا
وهم عاد الاولى كانوا اول من عبد الاصنام بعد الطوفان وكان اصنامهم ثلاثة صدا وصمودا
وهرا فبعث الله فيهم اخاهم هودا فدعاهم الى الله كما قال بعد ذكر قوم نوح وما كان من امرهم
في سورة الاعراف والى عاد اخاهم هودا قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره افلا تتقون
قال الملا الذين كفروا من قومه انا لنراك في سفاهة وانا لنظنك من الكاذبين قال يا قوم
ليس بي سفاهة ولكني رسول من رب العالمين ابلغكم رسالات ربي وانا لكم ناصح امين او عجبتم
ان جاءكم ذكر من ربكم على رجل منكم لينذركم واذكروا اذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح وزادكم
في الخلق بسطة فاذكروا الاء الله لعلكم تفلحون قالوا اجئتنا لنعبد الله وحده ونذر
ما كان يعبد اباؤنا فاتنا بما تعدنا ان كنت من الصادقين قال قد وقع عليكم من ربكم
رجس وغضب اتجادلونني في اسماء سميتموها انتم واباؤكم ما نزل الله بها من سلطان فانتظروا
اني معكم من المنتظرين فانجيناه والذين معه برحمة منا وقطعنا دابر الذين كذبوا باياتنا
وما كانوا مؤمنين وقال تعالى بعد ذكر قصة قوم نوح في سورة هود والى عاد اخاهم هودا
قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره ان انتم الا مفترون يا قوم لا اسالكم عليه اجرا
ان اجري الا على الذي فطرني افلا تعقلون ويا قوم استغفروا ربكم ثم توبوا اليه يرسل

قف
على ان من زعم ان ارم
مدينة تدور في الارض
لا اصل له

السما

السماء عليكم مدرارا ويزدكم قوة الى قوتكم ولا تتولوا مجرمين قالوا يا هود ما جئتنا ببينة
وما نحن بتاركي الهتنا عن قولك وما نحن لك بمؤمنين ان نقول الا اعتراك بعض الهتنا بسوء
قال اني اشهد الله واشهدوا اني بريء مما تشركون من دونه فكيدوني جميعا ثم لا تنظرون
اني توكلت على الله ربي وربكم ما من دابة الا هو اخذ بناصيتها ان ربي على صراط مستقيم فان
تولوا فقد ابلغتكم ما ارسلت به اليكم ويستخلف ربي قوما غيركم ولا تضرونه شيئا ان ربي
على كل شيء حفيظ ولما جاء امرنا نجينا هودا والذين امنوا معه برحمة منا ونجيناهم من عذاب غليظ
وتلك عاد جحدوا بايات ربهم وعصوا رسله واتبعوا امر كل جبار عنيد واتبعوا في هذه الدنيا
لعنة ويوم القيامة الا ان عادا كفروا ربهم الا بعدا لعاد قوم هود وقال تعالى في سورة قد افلح
المؤمنون بعد قصة قوم نوح ثم انشانا من بعدهم قرنا اخرين فارسلنا فيهم رسولا منهم ان اعبدوا
الله ما لكم من اله غيره افلا تتقون وقال الملا من قومه الذين كفروا وكذبوا بلقاء الاخرة
واترفناهم في الحياة الدنيا ما هذا الا بشر مثلكم ياكل مما تاكلون منه ويشرب مما تشربون ولئن
اطعتم بشرا مثلكم انكم اذا لخاسرون ايعدكم انكم اذا متم وكنتم ترابا وعظاما انكم مخرجون هيهات
هيهات لما توعدون ان هي الا حياتنا الدنيا نموت ونحيى وما نحن بمبعوثين ان هو الا رجل افترى
على الله كذبا وما نحن له بمؤمنين قال رب انصرني بما كذبون قال عما قليل ليصبحن نادمين
فاخذتهم الصيحة بالحق فجعلناهم غثاء فبعدا للقوم الظالمين وقال تعالى في سورة الشعراء
بعد قصة قوم نوح ايضا كذبت عاد المرسلين اذ قال لهم اخوهم هود الا تتقون اني لكم رسول
امين فاتقوا الله واطيعون وما اسالكم عليه من اجر ان اجري الا على رب العالمين اتبنون بكل ريع
اية تعبثون وتتخذون مصانع لعلكم تخلدون واذا بطشتم بطشتم جبارين فاتقوا الله
واطيعون واتقوا الذي امدكم بما تعلمون امدكم بانعام وبنين وجنات وعيون اني اخاف عليكم
عذاب يوم عظيم قالوا سواء علينا اوعظت ام لم تكن من الواعظين ان هذا الا خلق الاولين وما
نحن بمعذبين فكذبوه فاهلكناهم ان في ذلك لاية وما كان اكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز
الرحيم وقال تعالى في سورة حم السجدة فاما عاد فاستكبروا في الارض بغير الحق وقالوا من
اشد منا قوة اولم يروا ان الله الذي خلقهم هو اشد منهم قوة وكانوا باياتنا يجحدون فارسلنا
عليهم ريحا صرصرا في ايام نحسات لنذيقهم عذاب الخزي في الحياة الدنيا ولعذاب الاخرة اخزى وهم
لا ينصرون وقال تعالى في سورة الاحقاف واذكر اخا عاد اذ انذر قومه بالاحقاف وقد خلت
النذر من بين يديه ومن خلفه الا تعبدوا الا الله اني اخاف عليكم عذاب يوم عظيم قالوا اجئتنا
لتافكنا عن الهتنا فاتنا بما تعدنا ان كنت من الصادقين قال انما العلم عند الله وابلغكم ما ارسلت
به ولكني اراكم قوما تجهلون فلما راوه عارضا مستقبل اوديتهم قالوا هذا عارض ممطرنا بل هو
ما استعجلتم به ريح فيها عذاب اليم تدمر كل شيء بامر ربها فاصبحوا لا يرى الا مساكنهم كذلك نجزي
القوم المجرمين وقال تعالى في الذاريات وفي عاد اذ ارسلنا عليهم الريح العقيم ما تذر من شيء
اتت عليه الا جعلته كالرميم وقال في النجم وانه اهلك عادا الاولى وثمود فما ابقى وقوم نوح من
قبل انهم كانوا هم اظلم واطغى والمؤتفكة اهوى فغشاها ما غشى فباي الاء ربك تتمارى وقال
تعالى في سورة اقتربت كذبت عاد فكيف كان عذابي ونذر انا ارسلنا عليهم ريحا في يوم نحس
مستمر تنزع الناس كانهم اعجاز نخل منقعر فكيف كان عذابي ونذر ولقد يسرنا القران للذكر فهل
من مدكر وقال في الحاقة واما عاد فاهلكوا بريح صرصر عاتية سخرها عليهم سبع ليال

وثمانية ايام حسوما فترى القوم فيها صرعى كانهم اعجاز نخل خاوية فهل ترى لهم من باقية ۵
وقال في سورة الفجر الم تر كيف فعل ربك بعاد ارم ذات العماد التي لم يخلق مثلها في البلاد
وثمود الذين جابوا الصخر بالواد وفرعون ذي الاوتاد الذين طغوا في البلاد فاكثروا فيها
الفساد فصب عليهم ربك سوط عذاب ان ربك لبالمرصاد وقد تكلمنا على كل من هذه القصص
في كتابنا التفسير ولله الحمد والمنة وقد جرى ذكر عاد في سورة براءة وابراهيم والفرقان والعنكبوت
وفي سورة ص وسورة ق ولنذكر مضمون القصة مجموعا من هذه السياقات مع ما يضاف
الى ذلك من الاخبار فقد قدمنا انهم اول الامم عبد الاصنام بعد الطوفان وذلك بين في قوله
لهم واذكروا اذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح وزادكم في الخلق بسطة اي جعلهم اشد اهل زمانهم
في الخلقة والشدة والبطش وقال في المومنون ثم انشانا من بعدهم قرنا اخرين وهم قوم
هود على الصحيح وزعم اخرون انهم ثمود لقوله فاخذتهم الصيحة بالحق فجعلناهم غثاء قالوا
وقوم صالح هم الذين اهلكوا بالصيحة واما عاد فاهلكوا بريح صرصر عاتية وهذا الذي
قالوه لا يمنع من اجتماع الصيحة والريح العاتية عليهم كما سياتي في قصة اهل مدين اصحاب
الايكة فانه اجتمع عليهم انواع من العقوبات ثم لا خلاف ان عادا قبل ثمود والمقصود ان
عادا كانوا عربا جفاة كافرين عتاة متمردين في عبادة الاصنام فارسل الله فيهم رجلا
منهم يدعوهم الى الله والى افراده بالعبادة والاخلاص له فكذبوه وخالفوه وتنقصوه
فاخذهم الله اخذ عزيز مقتدر فلما امرهم بعبادة الله ورغبهم في طاعته واستغفاره ووعدهم
على ذلك خير الدنيا والاخرة وتوعدهم على مخالفة ذلك عقوبة الدنيا والاخرة قال
الملا الذين كفروا من قومه انا لنراك في سفاهة اي هذا الامر الذي تدعونا اليه سفه
بالنسبة الى ما نحن عليه من عبادة هذه الاصنام التي يرتجى منها النصر والرزق ومع هذا نظن
انك تكذب في دعواك ان الله ارسلك قال يا قوم ليس بي سفاهة ولكني رسول من رب العالمين
اي ليس الامر كما تظنون ولا كما تعتقدون ابلغكم رسالات ربي وانا لكم ناصح امين والبلاغ
يستلزم عدم الكذب في اصل المبلغ وعدم الزيادة فيه والنقص منه ويستلزم اداءه بعبارة
فصيحة وجيزة جامعة مانعة لا لبس فيها ولا اختلاف ولا اضطراب وهو مع هذا البلاغ على
هذه الصفة في غاية النصح لقومه والشفقة عليهم والحرص على هدايتهم لا يبتغي منهم اجرا
ولا يطلب منهم جعلا بل هو مخلص لله عز وجل في الدعوة اليهم والنصح لخلقه لا يطلب اجره
الا من الذي ارسله فان خير الدنيا والاخرة كله في يديه وامره اليه ولهذا قال يا قوم لا اسالكم
عليه اجرا ان اجري الا على الذي فطرني افلا تعقلون اي اما لكم عقل تميزون به وتفهمون اني ادعوكم
الى الحق المبين الذي تشهد به فطركم التي خلقتم عليها وهو دين الحق الذي بعث الله به نوحا
واهلك من خالفه من الخلق وها انا ادعوكم اليه ولا اسالكم اجرا عليه بل ابتغي ذلك عند الله
مالك الضر والنفع ولهذا قال مومن يس اتبعوا من لا يسالكم اجرا وهم مهتدون وقال
لا اعبد الذي فطرني واليه ترجعون وقال قوم هود له فيما قالوا يا هود ما جئتنا ببينة
وما نحن بتاركي الهتنا عن قولك وما نحن لك بمومنين ان نقول الا اعتراك بعض الهتنا
بسوء اي انهم يقولون ما جئتنا بخارق يشهد لك بصدق ما جئت به وما نحن بالذين
نترك عبادة اصنامنا عن مجرد قولك بلا دليل اقمته ولا برهان نصبته وما نظن الا انك
مجنون فيما تزعمه وعندنا انما اصابك هذا ان بعض الهتنا غضب عليك فاصابك في عقلك

فاعتزال

فاعتراك جنون بسبب ذلك وهو قولهم ان نقول الا اعتراك بعض الهتنا بسوء قال اني اشهد
الله واشهدوا اني بريء مما تشركون من دونه فكيدوني جميعا ثم لا تنظرون وهذا تحد منه
لهم وتبرؤ من الهتهم وتنقص منه لها وبيان انها لا تنفع شيئا ولا تضر وانها جماد حكمها حكمه
وفعلها فعله فان كانت كما تزعمون من انها تنصر وتنفع وتضر فها انا بريء منها لاعن لها فكيدوني
انتم وهي جميعا بجميع ما يمكنكم ان تصلوا اليه وتقدروا عليه ولا تؤخروني ساعة واحدة
ولا طرفة عين فاني لا ابالي بكم ولا افكر فيكم ولا انظر اليكم اني توكلت على الله ربي وربكم ما من
دابة الا هو اخذ بناصيتها ان ربي على صراط مستقيم اي انا متوكل على الله ومتايد به وواثق
بجنابه الذي لا يضيع من لاذ به واستند اليه فلست ابالي مخلوقا سواه ولست اتوكل
الا عليه ولا اعبد الا اياه وهذا وحده برهان قاطع على ان هودا عبد الله ورسوله وانهم على
جهل وضلال في عبادتهم غير الله لانهم لم يصلوا اليه بسوء ولا نالوا منه مكروها فدل على صدقه
فيما جاءهم به وبطلان ما هم عليه وفساد ما ذهبوا اليه وهذا الدليل بعينه قد استدل به
نوح عليه السلام قبله في قوله يا قوم ان كان كبر عليكم مقامي وتذكيري بايات الله فعلى الله توكلت
فاجمعوا امركم وشركاءكم ثم لا يكن امركم عليكم غمة ثم اقضوا الي ولا تنظرون وهكذا قال
الخليل عليه السلام ولا اخاف ما تشركون به الا ان يشاء ربي شيئا وسع ربي كل شيء علما افلا
تتذكرون وكيف اخاف ما اشركتم ولا تخافون انكم اشركتم بالله ما لم ينزل به عليكم سلطانا
فاي الفريقين احق بالامن ان كنتم تعلمون الذين امنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم اولئك
لهم الامن وهم مهتدون وتلك حجتنا اتيناها ابراهيم على قومه نرفع درجات من نشاء ان
ربك حكيم عليم وقال الملا من قومه الذين كفروا وكذبوا بلقاء الاخرة واترفناهم في الحيوة
الدنيا ما هذا الا بشر مثلكم ياكل مما تاكلون منه ويشرب مما تشربون ولئن اطعتم بشرا مثلكم
انكم اذا لخاسرون استبعدوا ان يبعث الله رسولا بشريا وهذه الشبهة ادلى بها كثير
من جهلة الكفرة قديما وحديثا كما قال تعالى اكان للناس عجبا ان اوحينا الى رجل منهم ان
انذر الناس وبشر وقال تعالى وما منع الناس ان يومنوا اذ جاءهم الهدى الا ان قالوا ابعث
الله بشرا رسولا قل لو كان في الارض ملائكة يمشون مطمئنين لنزلنا عليهم من السماء ملكا
رسولا ولهذا قال لهم هود عليه السلام اوعجبتم ان جاءكم ذكر من ربكم على رجل منكم لينذركم
اي ليس هذا بعجيب فان الله اعلم حيث يجعل رسالته وقولهم ايعدكم انكم اذا متم وكنتم
ترابا وعظاما انكم مخرجون هيهات هيهات لما توعدون ان هي الا حياتنا الدنيا نموت
ونحيى وما نحن بمبعوثين ان هو الا رجل افترى على الله كذبا وما نحن له بمومنين استبعدوا
المعاد وانكروا قيام الاجساد بعد صيرورتها ترابا وعظاما وقالوا هيهات هيهات اي بعيد
بعيد هذا الوعد ان هي الا حياتنا الدنيا نموت ونحيى وما نحن بمبعوثين اي يموت
قوم ويحيى اخرون وهذا هو اعتقاد الدهرية كما يقول بعض الجهلة من الزنادقة ارحام
تدفع وارض تبلع واما الدورية منهم فانهم يعتقدون انهم يعودون الى هذه الدار بعد
كل ستة وثلاثين الف سنة وهذا كله كذب وكفر وجهل وضلال واقوال باطلة وخيال
فاسد بلا برهان ولا دليل يستميل عقل الفجرة الكفرة من بني ادم الذين لا يعقلون ولا يهتدون
كما قال تعالى ولتصغى اليه افئدة الذين لا يومنون بالاخرة وليرضوه وليقترفوا ما هم
مقترفون وقال لهم فيما وعظهم به اتبنون بكل ريع اية تعبثون وتتخذون مصانع لعلكم

تخلدون يقول لهم أتبنون بكل مكان مرتفع بناء عظيما هائلا كالقصور ونحوها تعبثون
ببنائها لأنه لا حاجة لكم فيه وما ذاك إلا لأنهم كانوا يسكنون الخيام كما قال تعالى ألم تر كيف فعل
ربك بعاد إرم ذات العماد التي لم يخلق مثلها في البلاد فعاد إرم هم عاد الأولى الذين كانوا
يسكنون الأعمدة التي تحمل الخيام ومن زعم أن إرم مدينة من ذهب وفضة وهي تنتقل
في البلاد فقد غلط وأخطأ وقال [illegible] عليه وقوله وتتخذون مصانع قيل هي القصور
وقيل هي بروج الحمام وقيل مآخذ الماء لعلكم تخلدون أي رجاء منكم أن تعمروا في هذه الدار أعمارا
طويلة وإذا بطشتم بطشتم جبارين فاتقوا الله وأطيعون واتقوا الذي أمدكم بما تعلمون
أمدكم بأنعام وبنين وجنات وعيون إني أخاف عليكم عذاب يوم عظيم وقالوا له فيما قالوا
أجئتنا لنعبد الله وحده ونذر ما كان يعبد آباؤنا فأتنا بما تعدنا إن كنت من الصادقين
أي أجئتنا لنعبد الله وحده ونخالف آباءنا وأسلافنا وما كانوا عليه فإن كنت صادقا فيما
جئت به فأتنا بما تعدنا من العذاب والنكال فإنا لا نؤمن بك ولا نتبعك ولا نصدقك
كما قالوا سواء علينا أوعظت أم لم تكن من الواعظين إن هذا إلا خلق الأولين وما نحن
بمعذبين أما على قراءة فتح الخاء فالمراد به اختلاق الأولين أي أن هذا الذي جئت به إلا اختلاق
منك وأخذته من كتب الأولين هكذا فسره غير واحد من الصحابة والتابعين وأما على
قراءة ضم الخاء واللام فالمراد به الدين أي أن هذا الدين الذي نحن عليه إلا دين الآباء
والأجداد من الأسلاف ولن نتحول عنه ولا نتغير ولا نزال متمسكين به وفيها سبب كلا القراءتين
الأولى والثانية قولهم وما نحن بمعذبين قال قد وقع عليكم من ربكم رجس وغضب
أتجادلونني في أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم ما نزل الله بها من سلطان فانتظروا إني معكم من
المنتظرين أي قد استحققتم بهذه المقالة الرجس والغضب من الله أتعارضون عبادة
الله وحده لا شريك له بعبادة أصنام أنتم نحتموها وسميتموها آلهة من تلقاء أنفسكم
اصطلحتم عليها أنتم وآباؤكم ما نزل الله بها من سلطان أي لم ينزل على ما ذهبتم إليه
دليلا ولا برهانا وإذ أبيتم قبول الحق وتماديتم في الباطل وسواء عليكم أنهيتكم عما أنتم
فيه أم لا فانتظروا عذاب الله الواقع بكم وبأسه الذي لا يرد ونكاله الذي لا يصد وقال تعالى
قال رب انصرني بما كذبون قال عما قليل ليصبحن نادمين فأخذتهم الصيحة بالحق فجعلناهم
غثاء فبعدا للقوم الظالمين وقال تعالى قالوا أجئتنا لتأفكنا عن آلهتنا فأتنا
بما تعدنا إن كنت من الصادقين قال إنما العلم عند الله وأبلغكم ما أرسلت به ولكني أراكم
قوما تجهلون فلما رأوه عارضا مستقبل أوديتهم قالوا هذا عارض ممطرنا بل هو ما استعجلتم
به ريح فيها عذاب أليم تدمر كل شيء بأمر ربها فأصبحوا لا يرى إلا مساكنهم كذلك نجزي القوم
المجرمين وقد ذكر تعالى خبر إهلاكهم في غير ما آية كما تقدم مجملا ومفصلا كقوله فأنجيناه والذين
معه برحمة منا وقطعنا دابر الذين كذبوا بآياتنا وما كانوا مؤمنين وكقوله ولما جاء أمرنا
نجينا هودا والذين آمنوا معه برحمة منا ونجيناهم من عذاب غليظ وتلك عاد جحدوا بآيات
ربهم وعصوا رسله واتبعوا أمر كل جبار عنيد وأتبعوا في هذه الدنيا لعنة ويوم القيامة
ألا إن عادا كفروا ربهم ألا بعدا لعاد قوم هود وكقوله فأخذتهم الصيحة بالحق فجعلناهم غثاء
فبعدا للقوم الظالمين وقال تعالى فكذبوه فأهلكناهم إن في ذلك لآية وما كان أكثرهم
مؤمنين وإن ربك لهو العزيز الرحيم وأما تفصيل إهلاكهم فكما قال تعالى فلما رأوه

عارضا مستقبل أوديتهم قالوا هذا عارض ممطرنا بل هو ما استعجلتم به ريح فيها عذاب
أليم وهو قولهم فأتنا بما تعدنا إن كنت من الصادقين ومثلها في الأعراف وقد ذكر
المفسرون وغيرهم ههنا الخبر الذي ذكره الإمام محمد بن إسحاق بن يسار قال فلما أبوا إلا الكفر
بالله عز وجل أمسك القطر عنهم ثلاث سنين حتى جهدهم ذلك قال وكان الناس إذا جهدهم
أمر في ذلك الزمان فطلبوا من الله الفرج منه إنما يطلبونه بحرمه ومكان بيته وكان معروفا
عند أهل ذلك الزمان وبه العماليق مقيمون وهم من سلالة عمليق بن لاوذ بن سام بن نوح
وكان سيدهم إذ ذاك رجل يقال له معاوية بن بكر وكانت أمه من قوم عاد واسمها جلهدة
ابنة الخيبري قال فبعث عاد وفدا قريبا من سبعين رجلا ليستسقوا لهم عند الحرم
فمروا بمعاوية بن بكر وكانوا قد وصلوا إليه في شهر فلما طال مقامهم عنده وأخذته شفقة
على قومه واستحيى منهم أن يأمرهم بالانصراف عمل شعرا يعرض لهم بالانصراف وأمر القينتين
أن تغنيهم به فقال

ألا يا قيل ويحك قم فهينم • لعل الله يصبحنا غماما
فيسقي أرض عاد إن عادا • قد امسوا لا يبينون الكلاما
من العطش الشديد فليس نرجو • به الشيخ الكبير ولا الغلاما
وقد كانت نساؤهم بخير • فقد أمست نساؤهم عياما
وإن الوحش يأتيهم جهارا • ولا يخشى لعادي سهاما
وأنتم ههنا فيما اشتهيتم • نهاركم وليلكم التماما
فقبح وفدكم من وفد قوم • ولا لقوا التحية والسلاما

قال فعند ذلك تنبه القوم لما جاءوا له فنهضوا إلى الحرم ودعوا لقومهم فدعا داعيهم
وهو قيل بن عنز فأنشأ الله سحابات ثلاثا بيضاء وحمراء وسوداء ثم ناداه مناد من السماء
اختر لنفسك ولقومك من هذا السحاب فقال اخترت السحابة السوداء فإنها أكثر السحاب
ماء فناداه مناد اخترت رمادا رمددا لا تبقي من عاد أحدا لا والدا تترك ولا ولدا إلا جعلته
همدا إلا بني اللوذية الهمدا قال وهو بطن من عاد كانوا مقيمين بمكة فلم يصبهم ما أصاب
قومهم قال ومن بقي من أنسالهم وأعقابهم هم عاد الآخرة قال وساق الله السحابة
السوداء التي اختارها قيل بن عنز بما فيها من النقمة إلى عاد حتى تخرج عليهم من واد يقال
له المغيث فلما رأوها استبشروا وقالوا هذا عارض ممطرنا يقول تعالى بل هو ما استعجلتم
به ريح فيها عذاب أليم تدمر كل شيء بأمر ربها أي كل شيء أمرت به فكان أول من أبصر ما فيها وعرف
أنها ريح فيما يذكرون امرأة من عاد يقال لها مهد فلما تبينت ما فيها صاحت ثم صعقت
فلما أفاقت قالوا ما رأيت يا مهد قالت ريحا فيها كشهب النار أمامها رجال يقودونها
فسخرها الله عليهم سبع ليال وثمانية أيام حسوما والحسوم الدائمة فلم تدع من عاد أحدا
إلا هلك قال واعتزل هود عليه السلام فيما ذكر لي في حظيرة هو ومن معه من المؤمنين ما يصيبهم
إلا ما يلين عليهم الجلود وتلتذ الأنفس وإنها لتمر على عاد بالظعن فيما بين السماء والأرض وتدمغهم
بالحجارة وذكر تمام القصة وقد روى الإمام أحمد حديثا في مسنده يشبه هذه القصة
فقال حدثنا زيد بن الحباب حدثني أبو المنذر سلام بن سليمان النحوي ثنا عاصم بن أبي
النجود عن أبي وائل عن الحرث وهو ابن حسان ويقال ابن يزيد البكري قال خرجت أشكو العلاء

الحضرمي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فمررت بالربذة فاذا عجوز من بني تميم منقطع بها
فقالت لي يا عبد الله ان لي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم حاجة فهل انت مبلغي اليه
قال فحملتها فاتيت المدينة فاذا المسجد غاص باهله واذا راية سوداء تخفق واذا بلال
متقلد السيف بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت ما شان الناس فقالوا يريد
ان يبعث عمرو بن العاص وجها قال فجلست فدخل منزله او قال رحله فاستاذنت عليه فاذن
لي فدخلت فسلمت فقال هل كان بينكم وبين بني تميم شيء فقلت نعم وكانت لنا الدبرة عليهم
ومررت بعجوز من بني تميم منقطع بها فسالتني ان احملها اليك وها هي بالباب فاذن لها فدخلت
فقلت يا رسول الله ان رايت ان تجعل بيننا وبين بني تميم حاجزا فاجعل الدهناء فحميت
العجوز واستوفزت وقالت يا رسول الله فالى اين تضطر مضرك قال فقلت ان مثلي ما قال
الاول معزى حملت حتفها حملت هذه الامة ولا اشعر انها كانت لي خصما اعوذ بالله ورسوله ان اكون
كوافد عاد قال وما وافد عاد وهو اعلم بالحديث منه ولكن يستطعمه قلت ان عادا قحطوا فبعثوا
وافدا لهم يقال له قيل فمر بمعوية بن بكر فاقام عنده شهرا يسقيه الخمر وتغنيه
جاريتان يقال لهما الجرادتان فلما مضى الشهر خرج الى جبال مهرة فقال اللهم انك تعلم
اني لم اجئ الى مريض فاداويه ولا الى اسير فافاديه اللهم اسق عادا ما كنت تسقيه فمرت
به سحابات سود فنودي منها اختر فاوى الى سحابة منها سوداء فنودي منها خذها رمادا
رمددا لا تبقي من عاد احدا قال فما بلغني انه بعث عليهم من الريح الا كقدر ما يجري في خاتمي
هذا من الريح حتى هلكوا قال ابو وائل وصدق وكانت المراة والرجل اذا بعثوا وافدا لهم
قالوا لا تكن كوافد عاد وهكذا رواه الترمذي عن عبد بن حميد عن زيد بن الحباب به
ورواه النسائي من حديث سلام ابي المنذر عن عاصم بن بهدلة ومن طريقه رواه ابن ماجة
وهكذا اورد هذا الحديث وهذه القصة عند تفسير هذه القصة غير واحد من المفسرين
كابن جرير وغيره وقد يكون هذا السياق لاهلاك عاد الاخرة فان فيما ذكره ابن اسحاق وغيره
ذكر لمكة ولم يبن الا بعد ابراهيم الخليل حين اسكن فيها هاجر وابنها اسماعيل فنزلت جرهم عندهم
كما سياتي وعاد الاولى قبل الخليل وفيه ذكر معاوية بن بكر وشعره وهو من الشعر المتاخر عن زمان
عاد الاولى لا يشبه كلام المتقدمين وفيه ان في تلك السحابة شرر النار وعاد الاولى انما
اهلكوا بريح صرصر وقد قال ابن مسعود وابن عباس وغير واحد من ائمة التابعين هي الباردة
والعاتية الشديدة الهبوب سخرها عليهم سبع ليال وثمانية ايام حسوما اي كوامل متتابعات
قيل كان اولها الجمعة وقيل الاربعاء فترى القوم فيها صرعى كانهم اعجاز نخل خاوية شبههم
باعجاز النخل التي لا رؤس لها وذلك لان الريح كانت تجيء الى احدهم فتحمله فترفعه في الهواء ثم
تنكسه على ام راسه فتشدخه فيبقى جثة بلا راس كما قال انا ارسلنا عليهم ريحا صرصرا
في يوم نحس مستمر اي في يوم نحس مستمر عذابه عليهم تنزع الناس كانهم اعجاز نخل منقعر
ومن قال ان اليوم النحس المستمر يوم الاربعاء وتشاءم به لهذا الفهم فقد اخطا وخالف
القران فانه قال في الاية الاخرى فارسلنا عليهم ريحا صرصرا في ايام نحسات ومعلوم
انها ثمانية ايام متتابعات فلو كانت نحسات في انفسها لكانت جميع الايام السبعة
المندرجة في الثمانية مشومة وهذا لا يقوله احد وانما المراد في ايام نحسات اي عليهم وقال
تعالى وفي عاد اذ ارسلنا عليهم الريح العقيم اي التي لا تنتج خيرا فان الريح المفردة لا تثير سحابا

ولا تلقح

ولا تلقح شجرا بل هي عقيم لا تنتج خيرا ولهذا قال ما تذر من شيء اتت عليه الا جعلته
كالرميم اي كالشيء البالي الفاني الذي لا ينتفع به بالكلية وقد ثبت في الصحيحين
من حديث شعبة عن الحكم عن مجاهد عن ابن عباس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
انه قال نصرت بالصبا واهلكت عاد بالدبور واما قوله تعالى واذكر اخا عاد اذ انذر
قومه بالاحقاف وقد خلت النذر من بين يديه ومن خلفه الا تعبدوا الا الله اني
اخاف عليكم عذاب يوم عظيم فالظاهر ان عادا هؤلاء هم عاد الاولى فان سياقها شبيه
بسياق قوم هود وهم الاولى ويحتمل ان يكون المذكورون في هذه القصة هم عاد الثانية
ويدل عليه ما ذكرنا وما سياتي من الحديث عن عايشة رضي الله عنها واما قوله فلما راوه عارضا
مستقبل اوديتهم قالوا هذا عارض ممطرنا فان عادا لما راوا هذا العارض وهو الناشي
في الجو كالسحاب ظنوه سحاب مطر فاذا هو سحاب عذاب اعتقدوه رحمة فاذا هو نقمة رجوا
فيه الخير فنالوا منه غاية الشر قال الله تعالى بل هو ما استعجلتم به ريح فيها عذاب اليم ويحتمل
ان هو ذلك العذاب هو ما اصابهم من الريح الصرصر العاتية الباردة الشديدة
الهبوب التي استمرت عليهم سبع ليال بايامها الثمانية فلم تبق منهم احدا بل تتبعهم حتى
كانت تدخل عليهم كهوف الجبال والغيران فتلفهم وتخرجهم وتهلكهم وتدمر عليهم البيوت
المحكمة والقصور المشيدة فكما منوا بشدتهم وبقوتهم وقالوا من اشد منا قوة سلط الله
الذي هو اشد منهم قوة عليهم ما هو اشد منهم واقدر عليهم وهو الريح العقيم ويحتمل
ان هذه الريح اثارت في اخر الامر سحابة ظن من بقي منهم انها سحابة فيها رحمة بهم وغياث
لمن بقي منهم فارسلها الله عليهم شررا ونارا كما اصاب اصحاب الظلة من اهل مدين وجمع
لهم بين الريح الباردة وعذاب النار وهو اشد ما يكون من العذاب بالاشياء المختلفة
المتضادة مع الصيحة التي ذكرها في سورة قد افلح المومنون والله اعلم وقد قال
ابن ابي حاتم ثنا ابي ثنا محمد بن يحيى بن الضريس ثنا ابن فضيل عن مسلم عن مجاهد عن ابن عمر
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما فتح الله على عاد من الريح التي هلكوا بها
الا مثل الخاتم فمرت باهل البادية فحملتهم ومواشيهم من السماء والارض فلما راى ذلك
اهل الحاضرة من عاد الريح وما فيها قالوا هذا عارض ممطرنا فالقت اهل البادية
ومواشيهم على اهل الحاضرة وقد رواه الطبراني عن عبدان بن احمد عن اسماعيل بن زكريا
الكوفي عن ابي مالك عن مسلم الملائي عن مجاهد وسعيد بن جبير عن ابن عباس قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما فتح على عاد من الريح الا مثل موضع الخاتم ثم
ارسلت عليهم البدو الى الحضر فلما راها اهل الحضر قالوا هذا عارض ممطرنا مستقبل
اوديتنا وكان اهل البوادي فيها فالقي اهل البادية على اهل الحاضرة حتى هلكوا قال
عتت على خزانها حتى خرجت من خلال الابواب قلت وقال غيره خرجت بغير حساب
والمقصود ان هذا الحديث في رفعه ثم اختلف فيه على مسلم الملائي فيه نوع اضطراب
والله اعلم وظاهر الاية انهم راوا عارضا والمفهوم منه لغة السحاب كما دل عليه
حديث الحرث بن حسان البكري ان جعلناه مفسرا لهذه الاية لا القصة واصرح منه
في ذلك ما رواه مسلم في صحيحه حيث قال ثنا ابو الطاهر انا ابن وهب سمعت
ابن جريج حدثنا عن عطا بن ابي رباح عن عايشة رضي الله عنها قالت كان رسول

الله صلى الله عليه وسلم اذا عصفت الريح قال اللهم اني اسالك خيرها وخير ما فيها
وخير ما ارسلت به واعوذ بك من شرها وشر ما فيها وشر ما ارسلت به قالت واذا تخيلت السما
تغير لونه وخرج ودخل واقبل وادبر فاذا امطرت سري عنه فعرفت عايشة ذلك فسالته
فقال لعله يا عايشة كما قال قوم عاد فلما راوه عارضا مستقبل اوديتهم قالوا هذا
عارض ممطرنا رواه الترمذي والنسائي وابن ماجه من حديث ابن جريج طريق اخرى
قال الامام احمد ثنا هارون بن معروف ابا عمرو عبد الله بن وهب ابا عمرو بن الحرث انا ابا
النضر حدثه عن سليمان بن يسار عن عايشة انها قالت ما رايت رسول الله صلى الله عليه
وسلم مستجمعا ضاحكا قط حتى ارى منه لهواته انما كان يتبسم وقالت كان اذا راى
غيما او ريحا عرف ذلك في وجهه قالت يا رسول الله الناس اذا راوا الغيم فرحوا رجا ان
يكون فيه المطر واراك اذا رايته عرف في وجهك الكراهية فقال يا عايشة ما يومنني
ان يكون فيه عذاب قد عذب قوم بالريح وقد راى قوم العذاب فقالوا هذا عارض ممطرنا
وهكذا رواه مسلم عن هارون بن معروف واخرجه البخاري وابو داود من حديث ابن وهب
بنحو هذا الحديث كالصريح في تغاير القصتين كما اشرنا اليه اولا فعلى هذا تكون القصة
المذكورة في سورة الاحقاف خبرا عن قوم عاد الثانية وتكون بقية السياقات في القران
خبرا عن عاد الاولى والله اعلم بالصواب وقد قدمنا حج هود عليه السلام عند ذكر حج نوح
عليه السلام وروي عن امير المومنين علي بن ابي طالب انه ذكر صفة قبر هود عليه السلام
في بلاد اليمن وذكر اخرون انه بدمشق وبجامعها مكان في حايطه القبلي يزعم بعض
الناس انه قبر هود والله اعلم

قبر هود باليمن

قصة صالح نبي ثمود

وهم قبيلة مشهورة يقال ثمود باسم جدهم ثمود اخي جديس وهما ابنا عاثر بن ارم بن
سام بن نوح وكانوا عربا من العاربة يسكنون الحجر الذي بين الحجاز وتبوك وقد مر به رسول
الله صلى الله عليه وسلم وهو ذاهب الى تبوك بمن معه من المسلمين كما سياتي بيانه وكانوا
بعد قوم عاد وكانوا يعبدون الاصنام كاولايك فبعث الله فيهم رجلا منهم وهو عبد الله
ورسوله صالح بن عبيد بن ماسح بن عبيد بن حاجر بن ثمود بن عاثر بن ارم بن سام بن نوح
فدعاهم الى عبادة الله وحده لا شريك له وان يخلعوا الاصنام والانداد ولا يشركوا
به شيا فامنت به طايفة منهم وكفر جمهورهم ونالوا منه بالمقال والفعال وهموا بقتله
وقتلوا الناقة التي جعلها الله حجة عليهم فاخذهم الله اخذ عزيز مقتدر كما قال
تعالى في سورة الاعراف والى ثمود اخاهم صالحا قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره
قد جاتكم بينة من ربكم هذه ناقة الله لكم اية فذروها تاكل في ارض الله ولا تمسوها بسوء فياخذكم
عذاب اليم واذكروا اذ جعلكم خلفا من بعد عاد وبواكم في الارض تتخذون من سهولها
قصورا وتنحتون الجبال بيوتا فاذكروا الا الله ولا تعثوا في الارض مفسدين قال
الملا الذين استكبروا من قومه للذين استضعفوا لمن امن منهم اتعلمون ان صالحا
مرسل من ربه قالوا انا بما ارسل به مومنون قال الذين استكبروا انا بالذي امنتم
به كافرون فعقروا الناقة وعتوا عن امر ربهم وقالوا يا صالح ايتنا بما تعدنا ان كنت من
المرسلين فاخذتهم الرجفة فاصبحوا في دارهم جاثمين فتولى عنهم وقال يا قوم لقد ابلغتكم

رسالة ربي ونصحت لكم ولكن لا تحبون الناصحين وقال تعالى في سورة هود والى ثمود
اخاهم صالحا قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره هو انشاكم من الارض واستعمركم
فيها فاستغفروه ثم توبوا اليه ان ربي قريب مجيب قالوا يا صالح قد كنت فينا مرجوا
قبل هذا اتنهانا ان نعبد ما يعبد اباونا واننا لفي شك مما تدعونا اليه مريب قال
يا قوم ارايتم ان كنت على بينة من ربي واتاني منه رحمة فمن ينصرني من الله ان عصيته
فما تزيدونني غير تخسير ويا قوم هذه ناقة الله لكم اية فذروها تاكل في ارض الله ولا
تمسوها بسوء فياخذكم عذاب قريب فعقروها فقال تمتعوا في داركم ثلاثة ايام
ذلك وعد غير مكذوب فلما جا امرنا نجينا صالحا والذين امنوا معه برحمة منا ومن خزي
يوميذ ان ربك هو القوي العزيز واخذ الذين ظلموا الصيحة فاصبحوا في ديارهم جاثمين
كان لم يغنوا فيها الا ان ثمود كفروا ربهم الا بعدا لثمود وقال تعالى في سورة الحجر ولقد
كذب اصحاب الحجر المرسلين واتيناهم اياتنا فكانوا عنها معرضين وكانوا ينحتون من الجبال بيوتا
امنين فاخذتهم الصيحة مصبحين فما اغنى عنهم ما كانوا يكسبون وقال سبحانه وتعالى
في سورة سبحان وما منعنا ان نرسل بالايات الا ان كذب بها الاولون واتينا ثمود الناقة
مبصرة فظلموا بها وما نرسل بالايات الا تخويفا وقال تعالى في سورة الشعرا كذبت
ثمود المرسلين اذ قال لهم اخوهم صالح الا تتقون اني لكم رسول امين فاتقوا الله واطيعون
وما اسالكم عليه من اجر ان اجري الا على رب العالمين اتتركون فيما هاهنا امنين في جنات
وعيون وزروع ونخل طلعها هضيم وتنحتون من الجبال بيوتا فرهين فاتقوا الله واطيعون
ولا تطيعوا امر المسرفين الذين يفسدون في الارض ولا يصلحون قالوا انما انت من
المسحرين ما انت الا بشر مثلنا فات باية ان كنت من الصادقين قال هذه ناقة لها
شرب ولكم شرب يوم معلوم ولا تمسوها بسوء فياخذكم عذاب يوم عظيم فعقروها فاصبحوا
نادمين فاخذهم العذاب ان في ذلك لاية وما كان اكثرهم مومنين وان ربك لهو العزيز
الرحيم وقال تعالى في سورة النمل ولقد ارسلنا الى ثمود اخاهم صالحا ان اعبدوا الله
فاذا هم فريقان يختصمون قال يا قوم لم تستعجلون بالسيية قبل الحسنة لولا تستغفرون
الله لعلكم ترحمون قالوا اطيرنا بك وبمن معك قال طايركم عند الله بل انتم
قوم تفتنون وكان في المدينة تسعة رهط يفسدون في الارض ولا يصلحون قالوا
تقاسموا بالله لنبيتنه واهله ثم لنقولن لوليه ما شهدنا مهلك اهله وانا لصادقون
ومكروا مكرا ومكرنا مكرا وهم لا يشعرون فانظر كيف كان عاقبة مكرهم انا دمرناهم وقومهم
اجمعين فتلك بيوتهم خاوية بما ظلموا ان في ذلك لاية لقوم يعلمون وانجينا الذين
امنوا وكانوا يتقون وقال تعالى في سورة حم السجدة واما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى
على الهدى فاخذتهم صاعقة العذاب الهون بما كانوا يكسبون ونجينا الذين امنوا وكانوا
يتقون وقال في سورة اقتربت كذبت ثمود بالنذر فقالوا ابشرا منا واحدا نتبعه
انا اذا لفي ضلال وسعر االقي الذكر عليه من بيننا بل هو كذاب اشر سيعلمون غدا من الكذاب
الاشر انا مرسلوا الناقة فتنة لهم فارتقبهم واصطبر ونبيهم ان الما قسمة بينهم
كل شرب محتضر فنادوا صاحبهم فتعاطى فعقر فكيف كان عذابي ونذر انا ارسلنا عليهم
صيحة واحدة فكانوا كهشيم المحتظر ولقد يسرنا القران للذكر فهل من مدكر وقال

كذبت ثمود بطغواها اذ انبعث اشقاها فقال لهم رسول الله ناقة الله وسقياها فكذبوه فعقروها فدمدم عليهم ربهم بذنبهم فسواها ولا يخاف عقباها وكثيرا ما يقرن الله في كتابه بين ذكر عاد وثمود كما في سورة براءة وابراهيم والفرقان وسورة ص وسورة ق والفجر والنجم ويقال ان هاتين الامتين لا يعرف خبرهما اهل الكتاب وليس لهما ذكر في كتابهم التوراة ولكن في القران ما يدل على ان موسى اخبر عنهما كما قال تعالى في سورة ابراهيم وقال موسى ان تكفروا انتم ومن في الارض جميعا فان الله لغني حميد الم ياتكم نبأ الذين من قبلكم قوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم لا يعلمهم الا الله جاءتهم رسلهم بالبينات الاية والظاهر ان هذا من تمام كلام موسى مع قومه ولكن لما كان هاتان الامتان من العرب لم يضبطوا خبرهما جيدا ولا اعتنوا بحفظه وان كان خبرهما كان مشهورا في زمان موسى عليه السلام وقد تكلمنا على هذا كله في التفسير مستقصى ولله الحمد والمنة والمقصود الان ذكر قصتهم وما كان من امرهم وكيف نجى الله نبيه صالحا عليه السلام ومن امن به وكيف قطع دابر القوم الظالمين لكفرهم وعتوهم ومخالفتهم رسولهم عليه السلام اعبدوا الله ما لكم من اله غيره قد جاءتكم بينة من ربكم هذه ناقة الله لكم اية فذروها تاكل في ارض الله ولا تمسوها بسوء فياخذكم عذاب اليم واذكروا اذ جعلكم خلفاء من بعد عاد وبوأكم في الارض تتخذون من سهولها قصورا وتنحتون الجبال بيوتا فاذكروا الاء الله ولا تعثوا في الارض مفسدين اي انما جعلكم خلفاء من بعدهم لتعتبروا بما كان من امرهم وتعملوا بخلاف عملهم واباح لكم هذه الارض تبنون في سهولها القصور وتنحتون من الجبال بيوتا فرهين اي حاذقين في صنعتها واتقانها واحكامها فقابلوا نعمة الله بالشكر والعمل الصالح والعبادة لله وحده لا شريك له واياكم ومخالفته والعدول عن طاعته فان عاقبة ذلك وخيمة ولهذا وعظهم بقوله اتتركون في ما هاهنا امنين في جنات وعيون وزروع ونخل طلعها هضيم اي متراكم كثير حسن بهي ناضج وتنحتون من الجبال بيوتا فرهين فاتقوا الله واطيعون ولا تطيعوا امر المسرفين الذين يفسدون في الارض ولا يصلحون وقال لهم ايضا يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره هو انشاكم من الارض واستعمركم فيها فاستغفروه اي هو الذي خلقكم فانشاكم من الارض وجعلكم عمارها اي اعطاكموها بما فيها من الزروع والثمار فهو الخالق الرازق وهو الذي يستحق العبادة وحده لا ما سواه فاستغفروه ثم توبوا اليه اي اقلعوا عما انتم فيه واقبلوا على عبادته فانه يقبل منكم ويتجاوز عنكم ان ربي قريب مجيب قالوا يا صالح قد كنت فينا مرجوا قبل هذا اي قد كنا نرجو ان يكون عقلك كاملا قبل هذه المقالة وهي دعاؤك ايانا الى افراد العبادة وترك ما كنا نعبده من الانداد والعدول عن دين الاباء والاجداد ولهذا قالوا اتنهانا ان نعبد ما يعبد اباؤنا واننا لفي شك مما تدعونا اليه مريب قال يا قوم ارايتم ان كنت على بينة من ربي واتاني منه رحمة فمن ينصرني من الله ان عصيته فما تزيدونني غير تخسير وهذا تلطف منه لهم في العبارة ولين الجانب وحسن تأت في الدعوة لهم الى الخير اي فما ظنكم ان كان الامر كما اقول لكم وادعوكم اليه ما عذركم عند الله وماذا يخلصكم بين يديه وانتم تطلبون مني ان اترك دعاءكم الى طاعته وانا لا يمكنني هذا لانه واجب علي ولو تركته لما قدر احد منكم ولا من غيركم ان يجيرني منه ولا ينصرني فانا لا ازال ادعوكم الى الله وحده لا شريك له حتى يحكم الله بيني وبينكم وقالوا له ايضا انما انت

من المسحرين

من المسحرين اي من المسحورين يعنون مسحورا لا يدري ما يقول في دعائك ايانا الى افراد العبادة لله وحده وخلع ما سواه من الانداد وهذا القول عليه الجمهور ان المراد بالمسحرين المسحورين وقيل من المسحرين اي ممن له سحر وهي الرئة كانهم يقولون انما انت بشر له سحر والاول اظهر لقولهم بعد هذا ما انت الا بشر مثلنا وقولهم فات باية ان كنت من الصادقين سالوا منه ان ياتيهم بخارق يدل على صدق ما جاءهم به قال هذه ناقة لها شرب ولكم شرب يوم معلوم ولا تمسوها بسوء فياخذكم عذاب يوم عظيم كما قال ويا قوم هذه ناقة الله لكم اية فذروها تاكل في ارض الله ولا تمسوها بسوء فياخذكم عذاب قريب وقال قد جاءتكم بينة من ربكم هذه ناقة الله لكم اية فذروها تاكل في ارض الله ولا تمسوها بسوء فياخذكم عذاب اليم وقال تعالى واتينا ثمود الناقة مبصرة فظلموا بها وقد ذكر المفسرون ان ثمود اجتمعوا يوما في ناديهم فجاءهم رسول الله صالح فدعاهم الى الله وذكرهم وحذرهم ووعظهم وامرهم فقالوا له ان انت اخرجت لنا من هذه الصخرة واشاروا الى صخرة هناك ناقة من صفتها كيت وكيت فقال لهم النبي صالح عليه السلام ارايتم ان اجبتكم الى ما سالتم على الوجه الذي طلبتم اتؤمنون بما جئتكم به وتصدقوني فيما ارسلت به قالوا نعم فاخذ عهودهم ومواثيقهم على ذلك ثم قام الى مصلاه فصلى لله عز وجل ما قدر له ثم دعا ربه عز وجل ان يجيبهم الى ما طلبوا فامر الله عز وجل تلك الصخرة ان تنفطر عن ناقة عظيمة عشراء على الوجه الذي طلبوا او على الصفة التي نعتوا فلما عاينوها كذلك راوا امرا عظيما ومنظرا هائلا وقدرة باهرة ودليلا قاطعا وبرهانا ساطعا فامن كثير منهم واستمر اكثرهم على كفرهم وضلالهم وعنادهم ولهذا قال فظلموا بها اي جحدوا بها ولم يتبعوا الحق بسببها اي اكثرهم وكان رئيس الذين امنوا جندع بن عمرو بن محلاة بن لبيد بن جواس وكان من رؤسائهم وهم بقيتهم الاشراف بالاسلام فصدهم ذؤاب بن عمرو بن لبيد والحباب صاحب اوثانهم ورباب بن صعر بن جلمس ودعا جندع ابن عمه شهاب بن خليفة وكان من اشرافهم فهم بالاسلام فمنعه اولئك فمال اليهم فقال في ذلك رجل من المسلمين يقال له مهوش بن غنمة بن الدميل رحمه

وكانت عصبة من ال عمرو * الى دين النبي دعوا شهابا
عزيز ثمود كلهم جميعا * فهم بان يجيب ولو اجابا
لاصبح صالح فينا عزيزا * وما عدلوا بصاحبهم ذؤابا
ولكن الغواة من ال حجر * تولوا بعد رشدهم ذئابا

ولهذا قال لهم صالح عليه السلام هذه ناقة الله اضافها اليه تعالى اضافة تشريف وتعظيم كقوله بيت الله وعبد الله لكم اية اي دليلا على صدق ما جئتكم به فذروها تاكل في ارض الله ولا تمسوها بسوء فياخذكم عذاب قريب فاتفق الحال على ان تبقى هذه الناقة بين اظهرهم ترعى حيث شاءت من ارضهم وترد الماء يوما بعد يوم وكانت اذا وردت الماء تشرب ماء البئر يومها ذلك فكانوا يرفعون حاجتهم من الماء في يومهم لغدهم ويقال انهم كانوا يشربون من لبنها كفايتهم ولهذا قال لها شرب ولكم شرب يوم معلوم وقال تعالى انا مرسلوا الناقة فتنة لهم اي اختبارا لهم ايؤمنون بها ام يكفرون والله اعلم بما يفعلون فارتقبهم اي انتظر ما يكون من امرهم واصطبر على اذاهم فسيأتيك الخبر على جلية ونبئهم ان الماء قسمة بينهم كل شرب محتضر فلما طال عليهم هذا الحال اجتمع ملؤهم واتفق رايهم على ان يعقروا هذه الناقة

ليستريحوا منها لتتوفر عليهم مياههم وزين لهم الشيطان أعمالهم قال الله تعالى فعقروا
الناقة وعتوا عن أمر ربهم وقالوا يا صالح ائتنا بما تعدنا إن كنت من المرسلين وكان الذي
تولى قتلها منهم رئيسهم قدار بن سالف بن جندع وكان أحمر أزرق أصهب وكان يقال
إنه ولد زنية ولد على فراش سالف وهو من رجل يقال له صيبان وكان فعله ذلك باتفاق
جميعهم فلهذا نسب الفعل إليهم كلهم وذكر ابن جرير وغيره من علماء المفسرين أن امرأتين من
ثمود اسم إحداهما صدوق ابنة المحيا بن زهير بن المختار وكانت ذات حسب ومال وكانت
تحت رجل من أسلم ففارقته فدعت ابن عم لها يقال له مصرع بن مهرج بن المحيا وعرضت
عليه نفسها إن هو عقر الناقة واسم الأخرى عنيزة بنت غنيم بن مجلز وتكنى أم عثمان
وكانت عجوزا كافرة لها بنات من ذواب بن عمرو أحد الرؤساء فعرضت بناتها الأربع على
قدار بن سالف إن هو عقر الناقة فله أي بناتها شاء فانتدب هذان الشابان لعقرها
وسعوا في قومهم بذلك فاستجاب لهم سبعة آخرون فصاروا تسعة وهم المذكورون في قوله
تعالى وكان في المدينة تسعة رهط يفسدون في الأرض ولا يصلحون وسعوا في بقية القبيلة
وحسنوا لهم عقرها فأجابوهم إلى ذلك وطاوعوهم في ذلك فانطلقوا يرصدون الناقة
فلما صدرت من وردها كمن لها مصدع فرماها بسهم فانتظم عظم ساقها وجاء النساء
يذمرن القبيلة في قتلها وحسرن عن وجوههن ترغيبا لهم في ذلك فابتدرهم قدار بن سالف
فشد عليها بالسيف فكشف عن عرقوبها فخرت ساقطة إلى الأرض ورغت رغاة واحدة عظيمة
تحذر ولدها ثم طعن في لبتها فنحرها وانطلق سقبها وهو فصيلها فصعد جبلا منيعا ورغا
ثلاثا وروى عبد الرزاق عن معمر عمن سمع الحسن أنه قال يا رب أين أمي ثم دخل في صخرة فغاب
ويقال بل اتبعوه فعقروه أيضا قال الله تعالى فنادوا صاحبهم فتعاطى فعقر فكيف كان
عذابي ونذر وقال تعالى إذ انبعث أشقاها فقال لهم رسول الله ناقة الله وسقياها أي احذروها
فكذبوه فعقروها فدمدم عليهم ربهم بذنبهم فسواها ولا يخاف عقباها قال الإمام أحمد ثنا
عبد الله بن نمير ثنا هشام هو ابن عروة عن أبيه عن عبد الله بن زمعة قال خطب رسول الله صلى
الله عليه وسلم فذكر الناقة وذكر الذي عقرها فقال إذ انبعث أشقاها انبعث لها رجل
عارم عزيز منيع في رهطه مثل أبي زمعة أخرجاه من حديث هشام به عارم أي شهم عزيز أي
رئيس منيع أي مطاع في قومه وقال محمد بن إسحاق حدثني يزيد بن محمد بن خثيم عن محمد بن كعب
عن محمد بن خثيم بن يزيد عن عمار بن ياسر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلي ألا
أحدثك بأشقى الناس قال بلى قال رجلان أحيمر ثمود الذي عقر الناقة والذي يضربك يا علي
على هذا يعني قرنه حتى تبتل منه هذه يعني لحيته رواه ابن أبي حاتم وقال تعالى فعقروا
الناقة وعتوا عن أمر ربهم وقالوا يا صالح ائتنا بما تعدنا إن كنت من المرسلين فجمعوا في كلامهم
هذا بين كفر بليغ من وجوه منها أنهم خالفوا الله ورسوله في ارتكابهم النهي الأكيد في عقر الناقة
التي جعلها الله لهم آية ومنها أنهم استعجلوا وقوع العذاب بهم فاستحقوه من وجهين أحدهما
الشرط عليهم في قوله ولا تمسوها بسوء فيأخذكم عذاب قريب وفي آية عظيم وفي الأخرى
أليم والكل حق والثاني استعجالهم ذلك ومنها أنهم كذبوا الرسول الذي قد قام الدليل
القاطع على نبوته وصدقه وهم يعلمون ذلك علما جازما ولكن حملهم الكفر والضلال والعناد
على استبعاد الحق ووقوع العذاب بهم قال الله تعالى فعقروها فقال تمتعوا في داركم

ثلاثة أيام ذلك وعد غير مكذوب وذكروا أنهم لما عقروا الناقة كان أول من سطا عليها قدار
بن سالف لعنه الله فعرقبها فسقطت إلى الأرض ثم ابتدروها بأسيافهم يقطعونها فلما
عاين ذلك سقبها وهو ولدها شرد عنهم فعلا أعلى الجبل هناك ورغا ثلاث مرات فلهذا
قال لهم صالح تمتعوا في داركم ثلاثة أيام أي غير يومهم ذلك فلم يصدقوه أيضا في هذا
الوعيد الأكيد بل لما أمسوا هموا بقتله وأرادوا فيما يزعمون أن يلحقوه بالناقة قالوا
تقاسموا بالله لنبيتنه وأهله أي لنكبسنه في داره مع أهله فلنقتلنه ثم نجحدن قتله ولننكرن
ذلك إن طالبنا أولياؤه بدمه ولهذا قالوا ثم لنقولن لوليه ما شهدنا مهلك أهله
وإنا لصادقون قال الله تعالى ومكروا مكرا ومكرنا مكرا وهم لا يشعرون فانظر كيف كان
عاقبة مكرهم أنا دمرناهم وقومهم أجمعين فتلك بيوتهم خاوية بما ظلموا إن في ذلك لآية لقوم
يعلمون وأنجينا الذين آمنوا وكانوا يتقون وذلك أن الله أرسل على أولئك النفر الذين قصدوا
قتل صالح حجارة رضختهم فأهلكهم سلفا وتعجيلا قبل قومهم وأصبحت ثمود يوم الخميس وهو
اليوم الأول من أيام النظرة ووجوههم مصفرة كما أنذرهم صالح عليه السلام فلما أمسوا نادوا
بأجمعهم ألا قد مضى يوم من الأجل ثم أصبحوا في اليوم الثاني من أيام التأجيل وهو يوم التأجيل
وهو يوم الجمعة ووجوههم محمرة فلما أمسوا نادوا ألا قد مضى يومان من الأجل ثم أصبحوا في اليوم
الثالث من أيام المتاع وهو يوم السبت ووجوههم مسودة فلما أمسوا نادوا ألا قد مضى
الأجل فلما كان صبيحة يوم الأحد تحنطوا وتأهبوا وقعدوا ينتظرون ماذا يحل بهم
من العذاب والنكال والنقمة لا يدرون كيف يفعل بهم ولا من أي جهة يأتيهم العذاب فلما
أشرقت الشمس جاءتهم صيحة من السماء من فوقهم ورجفة شديدة من أسفل منهم ففاضت
الأرواح وزهقت النفوس وسكنت الحركات وخشعت الأصوات وحقت الحقائق فأصبحوا
في دارهم جاثمين جثثا لا أرواح فيها ولا حراك بها قالوا ولم يبق منهم أحد إلا جارية كانت
مقعدة واسمها كلبة ابنة السلق ويقال لها الذريعة وكانت شديدة الكفر والعداوة
لصالح عليه السلام فلما رأت العذاب أطلقت رجلاها فقامت تسعى كأسرع شيء فأتت
حيا من العرب فأخبرتهم بما رأت وما حل بقومها واستسقتهم ماء فلما شربت ماتت قال
الله تعالى كأن لم يغنوا فيها أي لم يقيموا فيها في سعة ورزق وغناء ألا إن ثمود كفروا
ربهم ألا بعدا لثمود أي نادى عليهم لسان القدر بهذا قال الإمام أحمد حدثنا عبد الرزاق
ثنا معمر ثنا عبد الله بن عثمان بن خثيم عن أبي الزبير عن جابر قال لما مر رسول الله صلى
الله عليه وسلم بالحجر قال لا تسألوا الآيات فقد سألها قوم صالح فكانت يعني الناقة
ترد من هذا الفج وتصدر من هذا الفج فعتوا عن أمر ربهم فعقروها وكانت تشرب ماءهم
يوما ويشربون لبنها يوما فعقروها فأخذتهم صيحة أهمد الله من تحت أديم السماء منهم إلا
رجلا واحدا كان في حرم الله فقالوا يا رسول الله من هو قال أبو رغال فلما خرج من الحرم أصابه
ما أصاب قومه وهذا الحديث على شرط مسلم وليس هو في شيء من الكتب الستة والله تعالى
أعلم وقد قال عبد الرزاق أيضا قال معمر أخبرني إسماعيل بن أمية أن النبي صلى الله عليه
وسلم مر بقبر أبي رغال فقال أتدرون من هذا قالوا الله ورسوله أعلم قال هذا قبر
أبي رغال رجل من ثمود كان في حرم الله فمنعه حرم الله عذاب الله فلما خرج أصابه ما أصاب
قومه فدفن ههنا ودفن معه غصن من ذهب فنزل القوم فابتدروه بأسيافهم فبحثوا عنه

فاستخرجوا الغصن قال عبد الرزاق قال معمر قال الزهري ابو رغال ابو ثقيف هذا مرسل
من هذا الوجه وقد جاء من وجه آخر متصلا كما ذكره محمد بن اسحاق في السيرة عن اسماعيل بن
امية عن بجير بن ابي بجير سمعت عبد الله بن عمرو سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول حين خرجنا
معه الى الطائف فمررنا بقبر فقال ان هذا قبر ابي رغال وهو ابو ثقيف وكان من ثمود وكان بهذا
الحرم يدفع عنه فلما خرج منه اصابته النقمة بهذا المكان فدفن فيه وآية ذلك انه دفن
معه غصن من ذهب ان انتم نبشتم عنه اصبتموه معه فابتدره الناس فاستخرجوا منه
الغصن وهكذا رواه ابو داود من طريق محمد بن اسحاق به قال شيخنا الحافظ ابو الحجاج
المزي هذا حديث حسن عزيز قلت تفرد به بجير بن ابي بجير هذا ولا يعرف الا بهذا
الحديث ولم يرو عنه سوى اسماعيل بن امية قال شيخنا فيحتمل انه وهم في رفعه وانما يكون من
كلام عبد الله بن عمرو من زاملتيه والله اعلم قلت لكن في المرسل الذي قبله وفي حديث
جابر ايضا شاهد له والله اعلم وقوله تعالى فتولى عنهم وقال يا قوم لقد ابلغتكم رسالة
ربي ونصحت لكم ولكن لا تحبون الناصحين اخبار عن صالح عليه السلام انه خاطب قومه
بعد هلاكهم وقد اخذ في الذهاب عن محلتهم الى غيرها قائلا لهم يا قوم لقد ابلغتكم رسالة
ربي ونصحت لكم اي جهدت في هدايتكم بكل ما امكنني وحرصت على ذلك بقولي وفعلي ونيتي
ولكن لا تحبون الناصحين اي لم تكن سجاياكم تقبل الحق ولا تريده فلهذا صرتم الى ما انتم
فيه من العذاب الاليم المستمر بكم المتصل الى الابد وليس لي فيكم حيلة ولا لي بالدفع عنكم يدان
والذي وجب علي من اداء الرسالة والنصح لكم قد فعلته وبذلته لكم ولكن الله يفعل ما يريد
وهكذا خاطب النبي صلى الله عليه وسلم اهل قليب بدر بعد ثلاث ليال ووقف عليهم
وقد ركب راحلته وامر بالرحيل من آخر الليل فقال يا اهل القليب هل وجدتم ما وعد ربكم
حقا فاني قد وجدت ما وعدني ربي حقا وقال لهم فيما قال بئس عشيرة النبي كنتم
لنبيكم كذبتموني وصدقني الناس واخرجتموني وآواني الناس وقاتلتموني ونصرني
الناس فبئس عشيرة النبي كنتم لنبيكم فقال له عمر يا رسول الله تخاطب اقواما قد جيفوا
فقال والذي نفسي بيده ما انتم باسمع لما اقول منهم ولكنهم لا يجيبون وسيأتي بيانه
في موضعه ان شاء الله تعالى ويقال ان صالحا عليه السلام انتقل الى حرم الله فاقام به
حتى مات قال الامام احمد ثنا وكيع ثنا زمعة بن صالح عن سلمة بن وهرام عن عكرمة عن ابن عباس
قال لما مر رسول الله صلى الله عليه وسلم بوادي عسفان حين حج قال يا ابا بكر اي
واد هذا قال وادي عسفان قال لقد مر به هود وصالح عليهما السلام على بكرات خطمها
الليف ازرهم العباء وارديتهم النمار يلبون يحجون البيت العتيق اسناده حسن وقد
تقدم في قصة نوح عليه السلام من رواية الطبراني وفيه نوح وهود وابراهيم

ذكر مرور النبي صلى الله عليه وسلم بوادي الحجر من ارض ثمود عام تبوك

قال الامام احمد ثنا عبد الصمد ثنا صخر بن جويرية عن نافع عن ابن عمر قال لما نزل رسول
الله صلى الله عليه وسلم بالناس على تبوك نزل بهم الحجر عند بيوت ثمود فاستسقى الناس
من الآبار التي كانت تشرب منها ثمود فعجنوا منها ونصبوا القدور فامرهم رسول الله فاهراقوا
القدور وعلفوا العجين الابل ثم ارتحل بهم حتى نزل بهم على البئر التي كانت تشرب منها الناقة
ونهاهم ان يدخلوا على القوم الذين عذبوا قال اني اخشى ان يصيبكم مثل ما اصابهم فلا تدخلوا عليهم

وقال احمد ايضا ثنا عفان ثنا عبد العزيز بن مسلم ثنا عبد الله بن دينار عن عبد الله بن عمر
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بالحجر لا تدخلوا على هؤلاء المعذبين الا ان تكونوا
باكين فان لم تكونوا باكين فلا تدخلوا عليهم ان يصيبكم مثل ما اصابهم اخرجاه في الصحيحين
من غير وجه وفي بعض الروايات انه عليه السلام لما مر بمنازلهم قنع رأسه واسرع راحلته
ونهى عن دخول منازلهم الا ان تكونوا باكين وفي رواية فان لم تبكوا فتباكوا خشية ان يصيبكم
مثل ما اصابهم صلوات الله وسلامه عليه وقال الامام احمد ثنا يزيد بن هارون ثنا
المسعودي عن اسماعيل بن اوسط عن محمد بن ابي كبشة الانماري عن ابيه واسمه عمرو بن سعد
ويقال عامر بن سعد رضي الله عنه قال لما كان في غزوة تبوك تسارع الناس الى اهل الحجر
يدخلون عليهم فبلغ ذلك رسول الله فنادى في الناس الصلاة جامعة قال فاتيت النبي
صلى الله عليه وسلم وهو ممسك بعيره وهو يقول ما تدخلون على قوم غضب الله عليهم فناداه
رجل تعجب منهم يا رسول الله قال الا انبئكم باعجب من ذلك رجل من انفسكم ينبئكم بما كان
قبلكم وما هو كائن بعدكم فاستقيموا وسددوا فان الله لا يعبأ بعذابكم شيئا وسيأتي قوم
لا يدفعون عن انفسهم شيئا اسناده حسن ولم يخرجوه وقد ذكر ان قوم صالح كانت اعمارهم
طويلة وكانوا يبنون البيوت من المدر فتخرب قبل موت الواحد منهم فنحتوا لهم بيوتا في الجبال
وذكروا ان صالحا عليه السلام لما سألوه آية فاخرج الله لهم الناقة من الصخرة امرهم
بها وبالولد الذي كان في جوفها وحذرهم باس الله ان هم نالوها بسوء واخبرهم انهم سيعقرونها
ويكون سبب هلاكهم ذلك وذكر لهم صفة عاقرها وانه احمر ازرق اصهب فبعثوا القوابل
في البلد متى وجدوا مولودا بهذه الصفة يقتلنه فكانوا على ذلك دهرا طويلا وانقرض جيل
والجيل الآخر فلما كان في بعض الاعصار خطب رئيس من رؤسائهم على ابنه بنت آخر مثله
في الرفعة والرياسة فزوجه فولد بينهما عاقر الناقة وهو قدار بن سالف فلم يتمكن
القوابل من قتله لشرف ابويه وجديه فيهم فنشأ نشأة سريعة فكان يشب في الجمعة
كما يشب غيره في شهر حتى كان من امره ان خرج مطاعا فيهم رئيسا بينهم فسولت له
نفسه عقر الناقة واتبعه على ذلك ثمانية من اشرافهم وهم التسعة الذين ارادوا قتل صالح
عليه السلام فلما وقع من امرهم ما وقع من عقر الناقة وبلغ ذلك صالحا عليه السلام جاءهم باكيا
عليها فتلقوه يعتذرون اليه ويقولون ان هذا لم يقع عن ملأ منا وانما فعل هذا هؤلاء الاحداث
فينا فيقال انه امرهم باستدراك سقبها حتى يحسنوا اليه عوضا عنها فذهبوا وراءه
فصعد جبلا هناك فلما تصاعدوا اليه وراءه تعالى الجبل حتى ارتفع فلا يناله الطير وبكى
الفصيل حتى سالت دموعه ثم استقبل صالحا عليه السلام ورغى ثلاثا فعندها قال صالح
تمتعوا في داركم ثلاثة ايام ذلك وعد غير مكذوب واخبرهم انهم يصبحون من غدهم
صفرا ثم تحمر وجوههم في الثاني وفي اليوم الثالث تسود وجوههم فلما كان في اليوم الرابع
اتتهم صيحة فيها صوت كل صاعقة فاخذتهم فاصبحوا في دارهم جاثمين وفي بعض هذا السياق
نظر ومخالفة لظاهر ما يفهم من القرآن في شأنهم وقصتهم كما قدمنا والله سبحانه وتعالى
اعلم بالصواب

قصة ابراهيم الخليل عليه السلام

هو ابراهيم بن تارخ بن ناحور بن ساروغ بن راعو بن فالغ بن عابر بن شالخ بن ارفخشذ
بن سام بن نوح عليهم السلام هذا نص اهل الكتاب في كتابهم وقد علمت على اعمارهم تحت

اصحابهم بالهندي كما ذكروه من المدة وقدمنا الكلام على عمر نوح عليه السلام فاغنى عن اعادته
وحكى الحافظ ابن عساكر في ترجمة الخليل من تاريخه عن اسحاق بن بشر الكاهلي صاحب كتاب المبتدا
ان اسم ام ابراهيم اميلة ثم اورد عنه في خبر ولادتها له حكاية طويلة وقال الكلبي اسمها بونا
بنت كربنا بن كوثى من بني ارفخشذ بن سام بن نوح وروى ابن عساكر من غير وجه عن عكرمة انه
قال كان ابراهيم عليه السلام يكنى ابا الضيفان قالوا ولما كان عمر تارخ خمسا وسبعين سنة
ولد له ابراهيم وناحور وهاران وولد لهاران لوط وعندهم ان ابراهيم عليه السلام هو الاوسط
وان هاران مات في حيوة ابيه في ارضه التي ولد فيها وهي ارض الكلدانيين يعنون ارض
بابل وهذا هو الصحيح المشهور عند اهل السير والتواريخ والاخبار وصحح ذلك الحافظ ابن
عساكر بعدما روى من طريق هشام بن عمار عن الوليد عن سعيد بن عبد العزيز عن مكحول عن
ابن عباس قال ولد ابراهيم بغوطة دمشق في قرية يقال لها برزة في جبل يقال له مولد ابراهيم
قاسيون ثم قال والصحيح انه ولد ببابل وانما نسب اليه هذا المقام لانه صلى فيه اذ جا
معينا للوط عليه السلام قالوا فتزوج ابراهيم سارة وناحور ملكا ابنة هاران يعنون
بابنة اخيه قالوا وكانت سارة عاقرا لا تلد قالوا وانطلق تارخ بابنه ابراهيم وامراته
سارة وابن ابنه لوط بن هاران فخرج بهم من ارض الكلدانيين الى ارض الكنعانيين فنزلوا
حران فمات بها تارخ وله مايتان وخمس سنين وهذا يدل على انه لم يولد بحران وانما مولده بارض
الكلدانيين وهي ارض بابل وما والاها ثم ارتحلوا قاصدين ارض الكنعانيين وهي بلاد بيت
المقدس فاقاموا بحران وهي ارض الكشدانيين في ذلك الزمان وكذلك ارض الجزيرة
والشام ايضا وكانوا يعبدون الكواكب السبعة والذين عمروا مدينة دمشق كانوا على هذا
الدين يستقبلون القطب الشمالي ويعبدون الكواكب السبعة بانواع من الفعال والمقال
ولهذا كان على كل باب من ابواب دمشق السبعة القديمة هيكل لكوكب منها ويعملون لها
اعيادا وقرابين وهكذا كان اهل حران يعبدون الكواكب والاصنام وكل من على وجه الارض
كانوا كفارا سوى ابراهيم الخليل وامراته وابن اخيه لوط عليهم السلام وكان الخليل عليه السلام
هو الذي ازال الله به تلك الشرور وابطل به ذاك الضلال فان الله سبحانه وتعالى
اتاه رشده في صغره وابتعثه رسولا واتخذه خليلا في كبره قال الله تعالى ولقد
اتينا ابراهيم رشده من قبل وكنا به عالمين اي وكان اهلا لذلك وقال تعالى وابراهيم
اذ قال لقومه اعبدوا الله واتقوه ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون انما تعبدون من دون
الله اوثانا وتخلقون افكا ان الذين تعبدون من دون الله لا يملكون لكم رزقا فابتغوا
عند الله الرزق واعبدوه واشكروا له اليه ترجعون وان تكذبوا فقد كذب امم من
قبلكم وما على الرسول الا البلاغ المبين اولم يروا كيف يبدي الله الخلق ثم يعيده ان
ذلك على الله يسير قل سيروا في الارض فانظروا كيف بدا الخلق ثم الله ينشئ النشاة
الاخرة ان الله على كل شي قدير يعذب من يشاء ويرحم من يشاء واليه تقلبون وما انتم
بمعجزين في الارض وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير والذين كفروا بايات الله ولقائه
اولئك يئسوا من رحمتي واولئك لهم عذاب اليم فما كان جواب قومه الا ان قالوا اقتلوه او
حرقوه فانجاه الله من النار ان في ذلك لايات لقوم يومنون وقال انما اتخذتم من دون
الله اوثانا مودة بينكم في الحيوة الدنيا ثم يوم القيمة يكفر بعضكم ببعض ويلعن بعضكم

بعضا وماواكم النار وما لكم من ناصرين فامن له لوط وقال اني مهاجر الى ربي انه هو العزيز
الحكيم ووهبنا له اسحاق ويعقوب وجعلنا في ذريته النبوة والكتاب واتيناه اجره
في الدنيا وانه في الاخرة لمن الصالحين ثم ذكر تعالى مناظرته لابيه وقومه كما سنذكره
ان شا الله وكان اول دعوته لابيه وكان ابوه ممن يعبد الاصنام لانه احق الناس باخلاص
النصيحة له كما قال تعالى واذكر في الكتاب ابراهيم انه كان صديقا نبيا اذ قال لابيه
يا ابت لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغني عنك شيا يا ابت اني قد جاني من العلم ما لم
ياتك فاتبعني اهدك صراطا سويا يا ابت لا تعبد الشيطان ان الشيطان كان للرحمن
عصيا يا ابت اني اخاف ان يمسك عذاب من الرحمن فتكون للشيطان وليا قال اراغب
انت عن الهتي يا ابراهيم لئن لم تنته لارجمنك واهجرني مليا قال سلام عليك ساستغفر
لك ربي انه كان بي حفيا واعتزلكم وما تدعون من دون الله وادعو ربي عسى ان لا اكون
بدعا ربي شقيا فذكر تعالى ما كان بينه وبين ابيه من المحاورة والمجادلة وكيف دعا
اباه الى الحق بالطف عبارة واحسن اشارة بين له بطلان ما هو عليه من عبادة الاصنام
التي لا تسمع دعا عابدها ولا تبصر مكانه فكيف تغني عنه شيا او تفعل به خيرا من
رزق او نصر ثم قال له منبها على ما اعطاه الله من الهدى والعلم النافع وان كان اصغر
سنا من ابيه يا ابت اني قد جاني من العلم ما لم ياتك فاتبعني اهدك صراطا سويا اي
مستقيما واضحا سهلا حنيفا يفضي بك الى الخير في دنياك واخراك فلما عرض هذا
الرشد عليه واهدى هذه النصيحة اليه لم يقبلها منه ولا اخذها عنه بل تهدده
وتوعده قال اراغب انت عن الهتي يا ابراهيم لئن لم تنته لارجمنك واهجرني مليا قيل
بالمقال وقيل بالفعال واهجرني مليا اي واقطعني واطل هجراني فعندها قال له
ابراهيم سلام عليك اي لا يصلك مني مكروه ولا ينالك مني اذى بل انت سالم من ناحيتي
وزاده خيرا فقال ساستغفر لك ربي انه كان بي حفيا قال ابن عباس وغيره اي لطيفا
يعني في ان هداني لعبادته والاخلاص له ولهذا قال واعتزلكم وما تدعون من
دون الله وادعو ربي عسى ان لا اكون بدعا ربي شقيا وقد استغفر له ابراهيم عليه السلام
كما وعده في ادعيته فلما تبين له انه عدو لله تبرا منه ان ابراهيم لاواه حليم وقال
البخاري حدثنا اسماعيل بن عبد الله حدثني اخي عبد الحميد عن ابن ابي ذيب عن سعيد
المقبري عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال يلقى ابراهيم اباه ازر يوم القيمة
وعلى وجه ازر قترة وغبرة فيقول له ابراهيم الم اقل لك لا تعصيني فيقول ابوه فاليوم
لا اعصيك فيقول ابراهيم يا رب انك وعدتني ان لا تخزيني يوم يبعثون واي خزي اخزى
من ابي الابعد فيقول الله اني حرمت الجنة على الكافرين ثم يقال يا ابراهيم ما تحت رجليك
فينظر فاذا هو بذيخ متلطخ فيوخذ بقوايمه فيلقى في النار هكذا رواه في قصة ابراهيم
منفردا به وقال في التفسير وقال ابراهيم بن طهمان عن ابن ابي ذيب عن سعيد المقبري
عن ابيه عن ابي هريرة وهكذا رواه النسائي عن احمد بن حفص بن عبد الله عن ابيه عن ابراهيم
ابن طهمان به وقد رواه البزار من حديث حماد بن سلمة عن ايوب عن محمد بن سيرين عن ابي هريرة
عن النبي صلى الله عليه وسلم بنحوه وفي سياقه غرابة ورواه ايضا من حديث قتادة عن عقبة
ابن عبد الغافر عن ابي سعيد عن النبي صلى الله عليه وسلم بنحوه وقال تعالى واذ قال

اسم ابي الخليل تارخ

ابراهيم لابيه آزر اتتخذ اصناما الهة اني اراك وقومك في ضلال مبين هذا يدل على ان
اسم ابي ابراهيم آزر وجمهور اهل النسب منهم ابن عباس على ان اسمه ابيه تارخ واهل الكتاب
يقولون تارخ بالخا المعجمة قال ابن جرير والصواب ان اسمه آزر ولعل له اسمان علمان او
احدهما لقب والاخر علم وهذا الذي قاله محتمل والله اعلم ثم قال تعالى وكذلك نري ابراهيم ملكوت
السموات والارض وليكون من الموقنين فلما جن عليه الليل رأى كوكبا قال هذا ربي فلما افل
قال لا احب الافلين فلما رأى القمر بازغا قال هذا ربي فلما افل قال لئن لم يهدني ربي
لاكونن من القوم الضالين فلما رأى الشمس بازغة قال هذا ربي هذا اكبر فلما افلت قال
يا قوم اني بري مما تشركون اني وجهت وجهي للذي فطر السموات والارض حنيفا
وما انا من المشركين وحاجه قومه قال اتحاجوني في الله وقد هدان ولا اخاف ما تشركون
به الا ان يشاء ربي شيا وسع كل شي علما افلا تتذكرون وكيف اخاف ما اشركتم ولا تخافون
انكم اشركتم بالله ما لم ينزل به عليكم سلطانا فاي الفريقين احق بالامن ان كنتم تعلمون الذين
آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم اولئك لهم الامن وهم مهتدون وتلك حجتنا اتيناها ابراهيم
على قومه نرفع درجات من نشاء ان ربك حكيم عليم وهذا المقام مقام مناظرة لقومه وبيان
لهم ان هذه الاجرام المشاهدة من الكواكب النيرة لا تصلح للالوهية ولا ان تعبد مع الله
عز وجل لانها مخلوقة مربوبة مصنوعة مدبرة مسخرة تطلع تارة وتافل اخرى فتغيب
عن هذا العالم والرب تعالى لا يغيب عنه شي ولا يخفى عليه خافية بل هو الدايم الباقي بلا
زوال لا اله الا هو ولا رب سواه فبين لهم اولا عدم صلاحية الكوكب قيل هو الزهرة
لذلك ثم ترقى منها الى القمر الذي هو اضوا منها وابهى من حسنها ثم ترقى الى الشمس التي
هي اشد الاجرام المشاهدة ضيا وسنا وبها فبين انها مسخرة مسيرة مقدرة مربوبة
كما قال تعالى ومن اياته الليل والنهار والشمس والقمر لا تسجدوا للشمس ولا للقمر
واسجدوا لله الذي خلقهن ان كنتم اياه تعبدون ولهذا قال فلما رأى الشمس
بازغة اي طالعة قال هذا ربي هذا اكبر فلما افلت قال يا قوم اني بري مما تشركون اني
وجهت وجهي للذي فطر السموات والارض حنيفا وما انا من المشركين وحاجه قومه قال
اتحاجوني في الله وقد هدان ولا اخاف ما تشركون به الا ان يشاء ربي شيا وسع ربي كل
شي علما افلا تتذكرون اي لست ابالي من هذه الالهة التي تعبدونها من دون الله فانها
لا تنفع شيا ولا تسمع ولا تعقل بل هي مربوبة مسخرة كالكواكب ونحوها او مصنوعة
منحوتة منجورة والظاهر ان موعظته هذه في الكواكب لاهل حران فانهم كانوا يعبدونها
وهذا يرد قول من زعم انه قال هذا حين خرج من السرب لما كان صغيرا كما ذكره ابن اسحق
وغيره وهو مستند الى اخبار اسرائيلية لا يوثق بها ولا سيما اذا خالفت الحق واما
اهل بابل فكانوا يعبدون الاصنام وهم الذين ناظرهم في عبادتها وكسرها عليهم
واهانها وبين بطلانها كما قال تعالى وقال انما اتخذتم من دون الله اوثانا مودة
بينكم في الحيوة الدنيا ثم يوم القيمة يكفر بعضكم ببعض ويلعن بعضكم بعضا وماواكم
النار وما لكم من ناصرين وقال في سورة الانبيا ولقد اتينا ابراهيم رشده من قبل
وكنا به عالمين اذ قال لابيه وقومه ما هذه التماثيل التي انتم لها عاكفون قالوا
وجدنا اباءنا لها عابدين قال لقد كنتم انتم واباؤكم في ضلال مبين قالوا اجئتنا

بالحق

بالحق ام انت من اللاعبين قال بل ربكم رب السموات والارض الذي فطرهن وانا على ذلكم من
الشاهدين وتالله لاكيدن اصنامكم بعد ان تولوا مدبرين فجعلهم جذاذا الا كبيرا لهم
لعلهم اليه يرجعون قالوا من فعل هذا بالهتنا انه لمن الظالمين قالوا سمعنا فتى
يذكرهم يقال له ابراهيم قالوا فاتوا به على اعين الناس لعلهم يشهدون قالوا اانت
فعلت هذا بالهتنا يا ابراهيم قال بل فعله كبيرهم هذا فاسالوهم ان كانوا ينطقون فرجعوا
الى انفسهم فقالوا انكم انتم الظالمون ثم نكسوا على رؤسهم لقد علمت ما هولا ينطقون
قال افتعبدون من دون الله ما لا ينفعكم شيا ولا يضركم اف لكم ولما تعبدون من دون
الله افلا تعقلون قالوا حرقوه وانصروا الهتكم ان كنتم فاعلين قلنا يا نار كوني بردا
وسلاما على ابراهيم وارادوا به كيدا فجعلناهم الاخسرين وقال تعالى في سورة الشعرا
واتل عليهم نبا ابراهيم اذ قال لابيه وقومه ما تعبدون قالوا نعبد اصناما فنظل لها
عاكفين قال هل يسمعونكم اذ تدعون او ينفعونكم او يضرون قالوا بل وجدنا اباءنا كذلك
يفعلون قال افرايتم ما كنتم تعبدون انتم واباؤكم الاقدمون فانهم عدو لي الا رب
العالمين الذي خلقني فهو يهدين والذي هو يطعمني ويسقين واذا مرضت فهو
يشفين والذي يميتني ثم يحيين والذي اطمع ان يغفر لي خطيئتي يوم الدين رب هب
لي حكما والحقني بالصالحين وقال تعالى في سورة الصافات وان من شيعته لابراهيم
اذ جاء ربه بقلب سليم اذ قال لابيه وقومه ماذا تعبدون ائفكا الهة دون الله تريدون
فما ظنكم برب العالمين فنظر نظرة في النجوم فقال اني سقيم فتولوا عنه مدبرين فراغ
الى الهتهم فقال الا تاكلون ما لكم لا تنطقون فراغ عليهم ضربا باليمين فاقبلوا اليه
يزفون قال اتعبدون ما تنحتون والله خلقكم وما تعملون قالوا ابنوا له بنيانا فالقوه
في الجحيم فارادوا به كيدا فجعلناهم الاسفلين يخبر تعالى عن ابراهيم خليله عليه السلام انه
انكر على قومه عبادة الاوثان وحقرها عندهم وصغرها وتنقصها فقال ما هذه التماثيل
التي انتم لها عاكفون اي معتكفون عندها وخاضعون لها قالوا وجدنا اباءنا لها عابدين
ما كان حجتهم الا صنيع الابا والاجداد وما كانوا عليه من عبادة الانداد قال لقد كنتم
انتم واباؤكم في ضلال مبين كما قال تعالى اذ قال لابيه وقومه ماذا تعبدون ائفكا
الهة دون الله تريدون فما ظنكم برب العالمين قال قتادة فما ظنكم انه فاعل بكم اذا
لقيتموه وقد عبدتم غيره وقال لهم هل يسمعونكم اذ تدعون او ينفعونكم او يضرون
قالوا بل وجدنا اباءنا كذلك يفعلون سلموا له انها لا تسمع داعيا ولا تنفع ولا
تضر شيا وانما الحامل لهم على عبادتها الاقتدا باسلافهم ومن هو مثلهم في الضلال
من الابا الجهال ولهذا قال لهم افرايتم ما كنتم تعبدون انتم واباؤكم الاقدمون فانهم عدو
لي الا رب العالمين وهذا برهان قاطع على بطلان الهية ما ادعوه من الاصنام لانه تبرا
منها وتنقصها فلو كانت تضر لضرته او تؤثر لاثرت فيه قالوا اجئتنا بالحق ام انت من
اللاعبين يقولون هذا الكلام الذي تقوله لنا وتتنقص به الهتنا وتطعن
بسببه على ابائنا تقوله محقا جادا فيه ام لاعبا قال بل ربكم رب السموات والارض الذي
فطرهن وانا على ذلكم من الشاهدين يعني بل اقول لكم ذلك جادا محقا انما الهكم الله الذي
لا اله الا هو ربكم ورب كل شي فاطر السموات والارض الخالق لهما على غير مثال سبق

فهو المستحق للعبادة وحده لا شريك له وانا على ذلكم من الشاهدين وقوله وتالله لاكيدن
اصنامكم بعد ان تولوا مدبرين اقسم ليكيدن هذه الاصنام التي يعبدونها بعد ان تولوا
مدبرين الى العيد ثم قيل انه قال هذا خفية في نفسه وقال ابن مسعود سمعه بعضهم
وكان لهم عيد يذهبون اليه في كل عام مرة الى ظاهر البلد فدعاه ابوه ليحضره فقال
اني سقيم كما قال تعالى فنظر نظرة في النجوم فقال اني سقيم عرض لهم في الكلام
حتى توصل الى مقصوده من اهانة اصنامهم ونصرة دين الله الحق في بطلان ما هم عليه من
عبادة الاصنام التي يستحق ان تكسر وان تهان غاية الاهانة فلما خرجوا الى عيدهم واستقر
هو في بلدهم راغ الى الهتهم اي ذهب اليها مسرعا مستخفيا فوجدها في بهو عظيم وقد
وضعوا بين ايديها انواعا من الاطعمة قربانا اليها فقال لها على سبيل التهكم والازدراء
الا تاكلون ما لكم لا تنطقون فراغ عليهم ضربا باليمين لانها اقوى وابطش واسرع واقهر
فكسرها بقدوم في يده كما قال تعالى فجعلهم جذاذا اي حطاما كسرها كلها الا كبيرا لهم
لعلهم اليه يرجعون قيل انه وضع القدوم في يد الكبير اشارة الى انه غار ان تعبد معه
هذه الصغار فلما رجعوا من عيدهم ووجدوا ما حل بمعبودهم قالوا من فعل هذا بالهتنا
انه لمن الظالمين وهذا فيه دليل ظاهر لهم لو كانوا يعقلون وهو ما حل بالهتهم التي
يعبدون فلو كانت الهة لدفعت عن انفسها من اراد بها سوءا لكنهم قالوا من جهلهم
وقلة عقلهم وكثرة ضلالهم وخبالهم من فعل هذا بالهتنا انه لمن الظالمين قالوا
سمعنا فتى يذكرهم يقال له ابراهيم اي يذكرها بالعيب والتنقص لها والازدراء بها
فهو المقيم عليها والكاسر لها وعلى قول ابن مسعود يذكرهم بقوله وتالله لاكيدن اصنامكم
بعد ان تولوا مدبرين قالوا فاتوا به على اعين الناس لعلهم يشهدون اي في الملا
الاكبر على رؤوس الاشهاد لعلهم يشهدون مقالته ويسمعون كلامه ويعاينون ما يحل
به من الاقتصاص منه وكان هذا من اكبر مقاصد الخليل عليه السلام ان يجتمع الناس
كلهم فيقيم على جميع عباد الاصنام الحجة على بطلان ما هم عليه كما قال موسى عليه السلام
لفرعون موعدكم يوم الزينة وان يحشر الناس ضحى فلما اجتمعوا وجاءوا به كما ذكروا
قالوا أانت فعلت هذا بالهتنا يا ابراهيم قال بل فعله كبيرهم هذا قيل معناه هو
الحامل لي على تكسيرها وانما عرض لهم في القول فاسألوهم ان كانوا ينطقون وانما
اراد بقوله هذا ان يبادروا الى القول بان هذه لا تنطق فيعترفوا بانها جماد كسائر الجمادات
فرجعوا الى انفسهم فقالوا انكم انتم الظالمون اي فعادوا على انفسهم بالملامة فقالوا
انكم انتم الظالمون اي في ترككم لها لا حافظ لها ولا حارس عندها ثم نكسوا على رؤوسهم قال
السدي اي ثم رجعوا الى الفتنة فعلى هذا يكون قولهم انكم انتم الظالمون اي في عبادتها
وقال قتادة ادركت القوم حيرة سوء اي فاطرقوا ثم قالوا لقد علمت ما هؤلاء ينطقون
اي لقد علمت يا ابراهيم ان هذه لا تنطق فكيف تامرنا بسؤالها فعند ذلك قال لهم الخليل
عليه السلام افتعبدون من دون الله ما لا ينفعكم شيئا ولا يضركم اف لكم ولما تعبدون
من دون الله افلا تعقلون كما قال فاقبلوا اليه يزفون قال مجاهد يسرعون قال
اتعبدون ما تنحتون اي كيف تعبدون اصناما انتم تنحتونها من الخشب والحجارة
وتصورونها وتشكلونها كما تريدون والله خلقكم وما تعملون وسواء كانت ما مصدرية

او بمعنى الذي فمقتضى الكلام انكم مخلوقون وهذه الاصنام مخلوقة فكيف يعبد مخلوق
لمخلوق مثله فانه ليس عبادتكم لها باولى من عبادتها لكم وهذا باطل فالاخر باطل للتحكم
فليست العبادة تجب ولا تصلح الا للخالق وحده لا شريك له قالوا ابنوا له بنيانا
فالقوه في الجحيم فارادوا به كيدا فجعلناهم الاسفلين عدلوا عن الجدال والمناظرة
لما انقطعوا وغلبوا ولم تبق لهم حجة ولا شبهة الا استعمال قوتهم وسلطانهم لينصروا
ما هم عليه من سفههم وطغيانهم فكادهم الرب جل جلاله واعلى كلمته ودينه وبرهانه
كما قال تعالى قالوا حرقوه وانصروا الهتكم ان كنتم فاعلين قلنا يا نار كوني بردا وسلاما
على ابراهيم وارادوا به كيدا فجعلناهم الاخسرين وذلك انهم شرعوا يجمعون حطبا
من جميع ما يمكنهم من الاماكن فمكثوا مدة يجمعون له حتى ان المراة منهم كانت اذا مرضت تنذر
لئن عوفيت لتحملن حطبا لحريق ابراهيم ثم عمدوا الى جوبة عظيمة فوضعوا فيها ذلك
الحطب واطلقوا فيه النار فاضطربت وتاججت والتهبت وعلا لها شرر لم ير مثله
قط ثم وضعوا ابراهيم عليه السلام في كفة منجنيق صنعه لهم رجل من الاكراد يقال
له هزن وكان اول من صنع المجانيق فخسف الله به الارض فهو يتجلجل فيها الى يوم القيامة
ثم اخذوا يقيدونه ويكتفونه وهو يقول لا اله الا انت سبحانك لك الحمد ولك الملك
لا شريك لك فلما وضع الخليل عليه السلام في كفة المنجنيق مقيدا مكتوفا ثم القوه
منه الى النار قال حسبنا الله ونعم الوكيل كما روى البخاري عن ابن عباس انه قال
حسبنا الله ونعم الوكيل قالها ابراهيم حين القي في النار وقالها محمد حين قيل له ان
الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم ايمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل فانقلبوا بنعمة
من الله وفضل لم يمسسهم سوء الاية وقال ابو يعلى ثنا ابو هشام الرفاعي ثنا اسحاق بن
سليمان عن ابي جعفر الرازي عن عاصم بن ابي النجود عن ابي صالح عن ابي هريرة قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما القي ابراهيم في النار قال اللهم انك في السماء
واحد وانا في الارض واحد اعبدك وذكر بعض السلف ان جبريل عرض له في الهواء فقال الك
حاجة فقال اما اليك فلا ويروى عن ابن عباس وسعيد بن جبير انه قال جعل ملك
المطر يقول متى اومر فارسل المطر فكان امر الله اسرع قلنا يا نار كوني بردا وسلاما على ابراهيم
قال علي بن ابي طالب اي لا تضره وقال ابن عباس وابو العالية لولا ان الله قال
وسلاما على ابراهيم لاذى ابراهيم بردها وقال كعب الاحبار لم ينتفع اهل الارض يومئذ
بنار ولم تحرق منه سوى وثاقه وقال الضحاك يروى ان جبريل عليه السلام كان معه
يمسح العرق عن وجهه لم يصبه منها شيء غيره وقال السدي كان معه ايضا ملك الظل
وصار ابراهيم عليه السلام في مثل الجوبة حوله النار وهو في روضة خضراء والناس
ينظرون اليه لا يقدرون على الوصول اليه ولا هو يخرج اليهم فعن ابي هريرة انه قال
احسن كلمة قالها ابو ابراهيم اذ قال لما راى ولده على تلك الحال نعم الرب ربك
يا ابراهيم وروى ابن عساكر عن عكرمة ان ام ابراهيم نظرت الى ابنها عليه السلام فنادته
يا بني اني اريد ان اجيء اليك فادع الله ان ينجيني من حر النار حولك فقال نعم فاقبلت
اليه لا يمسها شيء من حر النار فلما وصلت اليه اعتنقته وقبلته ثم عادت وعن المنهال
ابن عمرو انه قال اخبرت ان ابراهيم مكث هناك اما اربعين واما خمسين يوما وانه قال

ما كنا ياما وليالي اطيب عيشا اذ كنت فيها وددت ان عيشي وحياتي كلها اذ كنت
فيها صلوات الله وسلامه عليه فارادوا ان ينتصروا فخذلوا وارادوا ان يرتفعوا
فاتضعوا وارادوا ان يغلبوا فغلبوا قال الله تعالى وارادوا به كيدا فجعلناهم الاخسرين
وفي الاية الاخرى الاسفلين ففازوا بالخسارة والسفال هذا في الدنيا واما في الاخرة
فان نارهم لا تكون عليهم بردا ولا سلاما ولا يلقون فيها تحية ولا سلاما بل هي كما قال
تعالى انها ساءت مستقرا ومقاما قال البخاري ثنا عبيد الله بن موسى او ابن سلام
عنه انا ابن جريج عن عبد الحميد بن جبير عن سعيد بن المسيب عن ام شريك ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم امر بقتل الوزغ وكان ينفخ على ابراهيم ورواه مسلم من حديث
ابن جريج واخرجاه والنسائي وابن ماجه من حديث سفيان بن عيينة كلاهما عن عبد
الحميد بن جبير بن شيبة به وقال احمد ثنا محمد بن بكر ثنا ابن جريج اخبرني عبد الله بن
عبد الرحمن بن ابي امية ان نافعا مولى ابن عمر اخبره ان عائشة اخبرته ان رسول الله قال
اقتلوا الوزغ فانه كان ينفخ على ابراهيم النار قال فكانت عائشة تقتلهن وقال
احمد ثنا اسماعيل ثنا ايوب عن نافع ان امراة دخلت على عائشة فاذا رمح منصوب فقالت
ما هذا الرمح فقالت نقتل به الاوزاغ ثم حدثت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان
ابراهيم لما القي في النار جعلت الدواب كلها تطفي عنه الا الوزغ فانه جعل ينفخها عليه
تفرد به احمد من هذين الوجهين وقال احمد ثنا عفان ثنا جرير ثنا نافع حدثتني سمامة
مولاة الفاكه بن المغيرة قالت دخلت على عائشة فرايت في بيتها رمحا موضوعا فقلت
يا ام المومنين ما تصنعين بهذا الرمح قالت هذا لهذه الاوزاغ نقتلهن به فان رسول
الله حدثنا ان ابراهيم حين القي في النار لم يكن في الارض دابة الا تطفي عنه النار غير الوزغ
كان ينفخ عليه فامرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بقتله ورواه ابن ماجه عن ابي
بكر بن ابي شيبة عن يونس بن محمد عن جرير بن حازم به

ذكر مناظرة ابرهيم الخليل مع من اراد ان ينازع العظيم الجليل

في ازار العظمة ورداء الكبرياء • فادعى الربوبية وهو احد العبيد الضعفاء •

قال الله تعالى الم تر الى الذي حاج ابراهيم في ربه ان اتاه الله الملك اذ قال ابراهيم
ربي الذي يحيي ويميت قال انا احيي واميت قال ابراهيم فان الله ياتي بالشمس من المشرق
فات بها من المغرب فبهت الذي كفر والله لا يهدي القوم الظالمين يذكر تعالى مناظرة خليله
مع هذا الملك الجبار المتمرد الذي ادعى لنفسه الربوبية فابطل الخليل عليه السلام دليله
وبين كثرة جهله وقلة عقله والجمه الحجة واوضح له طريق المحجة قال المفسرون وغيرهم من
علماء النسب والاخبار وهذا الملك هو ملك بابل واسمه النمرود بن كنعان بن كوش بن
سام بن نوح قاله مجاهد وقال غيره نمرود بن فالح بن عابر بن صالح بن ارفخشد بن سام
بن نوح قال مجاهد وغيره وكان احد ملوك الدنيا فانه قد ملك الدنيا اربعة فيما ذكروا
مومنان وكافران فالمومنان ذو القرنين وسليمان والكافران النمرود وبخت نصر وذكروا
ان نمرود هذا استمر في ملكه اربعمائة سنة وكان قد طغى وبغى وتجبر وعتا واثر الحياة الدنيا
ولما دعاه الخليل الى عبادة الله وحده لا شريك له حمله الجهل والضلال وطول الامال
على انكار الصانع فحاج ابراهيم الخليل في ذلك وادعى لنفسه الربوبية فلما قال الخليل

ربي الذي يحيي ويميت قال انا احيي واميت قال قتادة والسدي ومحمد بن اسحاق يعني
انه اذا اتي بالرجلين قد تحتم قتلهما فاذا امر بقتل احدهما وعفى عن الاخر فكانه قد احيى هذا
وامات الاخر وهذا ليس بمعارضة للخليل بل هو كلام خارجي عن مقام المناظرة ليس بمنع ولا
بمعارضة بل هو تشغيب محض وهو انقطاع في الحقيقة فان الخليل استدل على وجود الصانع
بحدوث هذه المشاهدات من احياء الحيوانات وموتها على وجود فاعل ذلك الذي لا بد من
استنادها اليه وجوده ضرورة عدم قيامها بنفسها ولا بد من فاعل لهذه الحوادث المشاهدة
من خلقها وتسخيرها وتسيير هذه الكواكب والرياح والسحاب والمطر وخلق هذه الحيوانات
التي توجد مشاهدة ثم اماتتها ولهذا قال ربي الذي يحيي ويميت فقول هذا الملك الجاهل
انا احيي واميت ان عنى انه الفاعل لهذه المشاهدات فقد كابر وعاند وان عنى ما ذكره قتادة
والسدي ومحمد بن اسحاق فلم يقل شيا يتعلق بكلام الخليل اذ لم يمنع مقدمه ولا عارض الدليل
ولما كان انقطاع مناظرة هذا الملك قد تخفى على كثير من الناس ممن حضره وغيرهم ذكر
دليلا اخر يبين وجود الصانع وبطلان ما ادعاه النمرود وانقطاعه جهرة قال فان الله
ياتي بالشمس من المشرق فات بها من المغرب اي هذه الشمس مسخرة كل يوم تطلع من المشرق كما
سخرها خالقها ومسيرها وقاهرها وهو الله الذي لا اله الا هو خالق كل شيء فان كنت كما زعمت من
انك الذي تحيي وتميت هو الذي يفعل ما يشاء ولا يمانع ولا يغالب بل قد قهر كل شيء ودان له
كل شيء فان كنت كما تزعم فافعل هذا فان لم تفعله كما زعمت وانت تعلم وكل احد انك لا تقدر
على شيء من هذا بل انت اعجز واقل من ان تخلق بعوضة او تنتصر منها تبين ضلاله وجهله وكذبه
فيما ادعاه وبطلان ما سلكه وتبجح به عند جهلة قومه ولم يبق له كلام يجيب الخليل به
بل انقطع وسكت ولهذا قال فبهت الذي كفر والله لا يهدي القوم الظالمين وقد ذكر
السدي ان هذه المناظرة كانت بين ابراهيم وبين النمرود يوم خرج من النار ولم يكن اجتمع
به الا يوميذ فكانت بينهما هذه المناظرة ولم يعط ابراهيم من الطعام كما اعطى الناس
بل خرج وليس معه شيء من الطعام فلما قرب من اهله عمد الى كثيب من التراب فملا منه عدليه وقال
اشغل اهلي اذا قدمت عليهم فلما قدم وضع رحاله وجاء فاتكا فنام فقامت امراته سارة
الى العدلين فوجدتهما ملانين طعاما طيبا فعملت منه طعاما فلما استيقظ ابراهيم
وجد الذي اصلحوه فقال اني لكم هذا قالت من الذي جيت به فعرف انه رزق رزقهموه الله
عز وجل قال زيد بن اسلم وبعث الله الى ذلك الملك الجبار ملكا يامره بالايمان بالله فابى
عليه ثم دعاه الثانية فابى عليه ثم الثالثة فابى عليه وقال اجمع جموعك واجمع جموعي
فجمع النمرود جيشه وجنوده وقت طلوع الشمس فارسل الله عليهم بابا من البعوض بحيث
لم يروا عين الشمس وسلطها الله عليهم فاكلت لحومهم ودماهم وتركتهم عظاما بادية
ودخلت منها واحدة في منخري الملك فمكثت في منخريه اربعمائة سنة عذبه الله تعالى بها فكان
يضرب راسه بالمرازب في هذه المدة كلها حتى اهلكه الله عز وجل بها •

ذكر هجرة الخليل عليه السلام الى بلاد الشام ودخوله

الديار المصرية • واستقراره بالارض المقدسة •

قال الله تعالى فامن له لوط وقال اني مهاجر الى ربي انه هو العزيز الحكيم ووهبنا له اسحاق
ويعقوب وجعلنا في ذريته النبوة والكتاب واتيناه اجره في الدنيا وانه في الاخرة لمن الصالحين

وقال تعالى ونجيناه ولوطا الى الارض التي باركنا فيها للعالمين ووهبنا له اسحاق ويعقوب
نافلة وكلا جعلنا صالحين وجعلناهم ايمة يهدون بامرنا واوحينا اليهم فعل الخيرات واقام
الصلاة وايتاء الزكاة وكانوا لنا عابدين لما هجر قومه في الله وهاجر من بين اظهرهم وكانت
امراته عاقرا لا يولد لها ولم يكن له من الولد احد بل معه ابن اخيه لوط بن هاران بن آزر وهبه
الله تعالى بعد ذلك الاولاد الصالحين وجعل في ذريته النبوة والكتاب فكل نبي بعث
بعده فهو من ذريته وكل كتاب نزل من السما على نبي من الانبيا من بعده فعلى احد نسله وعقبه
خلعة من الله وكرامة له حين ترك بلاده واهله واقرباه وهاجر الى بلد يتمكن فيها من عبادة
الله عز وجل ودعوة الخلق اليه والارض التي قصدها بالهجرة ارض الشام وهي التي قال
الله عز وجل الى الارض التي باركنا فيها للعالمين قاله ابي بن كعب وابو العالية وقتادة
وغيرهم وروى العوفي عن ابن عباس قوله الى الارض التي باركنا فيها للعالمين مكة الم تسمع
الى قوله ان اول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركا وهدى للعالمين وزعم كعب الاحبار
انها حران وقد قدمنا عن نقل اهل الكتاب انه خرج من ارض بابل هو وابن اخيه لوط واخوه
ناحور وامراة ابراهيم سارة وامراة اخيه ملكا فنزلوا حران فمات تارح ابو ابراهيم بها وقال
السدي انطلق ابراهيم ولوط قبل الشام فلقي ابراهيم سارة وهي ابنة ملك حران وقد
طعنت على قومها في دينهم فتزوجها على ان لا يغيرها رواه ابن جرير وهو غريب والمشهور
انها ابنة عمه هاران الذي تنسب اليه حران ومن زعم انها ابنة اخيه هاران اخت
لوط كما حكاه السهيلي عن القتيبي والنقاش فقد ابعد النجعة وقال بلا علم وادعى ان
تزويج بنت الاخ كان اذ ذاك مشروعا فليس له على ذلك دليل ولو فرض ان هذا كان
مشروعا في وقت كما هو منقول عن الربانيين من اليهود فان الانبيا لا تتعاطاه والله اعلم
ثم المشهور ان ابراهيم عليه السلام لما هاجر من بابل خرج بسارة مهاجرا من بلاده كما
تقدم والله اعلم وذكر اهل الكتاب انه لما قدم الشام اوحى الله اليه اني جاعل هذه الارض
لخلفك من بعدك فابتنى ابراهيم مذبحا لله شكرا على هذه النعمة وضرب قبته شرقي
بيت المقدس ثم انطلق مرتحلا الى التيمن وانه كان جوع اي قحط وشدة وغلا فارتحلوا الى
مصر وذكروا قصة سارة مع ملكها وان ابراهيم قال لها قولي انا اخته وذكروا اخدام
الملك اياها هاجر ثم اخرجهم منها فرجعوا الى بلاد التيمن يعني ارض بيت المقدس وما والاها
ومعه دواب وعبيد واموال وقد قال البخاري ثنا محمد بن محبوب ثنا حماد بن زيد عن
ايوب عن محمد عن ابي هريرة قال لم يكذب ابراهيم الا ثلاث كذبات ثنتان منهن في ذات
الله قوله اني سقيم وقوله بل فعله كبيرهم هذا وقال بينا هو ذات يوم وسارة اذ اتى
على جبار من الجبابرة فقيل له ههنا رجل معه امراة من احسن الناس فارسل اليه وساله عنها
فقال من هذه قال اختي فاتى سارة وقال يا سارة ليس على وجه الارض مومن غيري وغيرك
وان هذا سالني فاخبرته انك اختي فلا تكذبيني فارسل اليها فلما دخلت عليه ذهب
يتناولها بيده فاخذ فقال ادعي الله لي ولا اضرك فدعت الله فاطلق ثم تناولها
الثانية فاخذ مثلها او اشد فقال ادعي الله لي ولا اضرك فدعت فاطلق فدعا بعض حجبته فقال انك
لم تاتني بانسان انما اتيتني بشيطان فاخدمها هاجر فاتته وهو قائم يصلي فاومى
بيده مهيم فقالت رد الله كيد الكافر او الفاجر في نحره واخدم هاجر قال ابو هريرة

فتلك

فتلك امكم يا بني ماء السماء تفرد به من هذا الوجه موقوفا وقد رواه الحافظ ابو بكر البزار عن
عمرو بن علي الفلاس عن عبد الوهاب الثقفي عن هشام بن حسان عن محمد بن سيرين عن ابي هريرة
عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان ابراهيم لم يكذب قط الا ثلاث كذبات كل ذلك في ذات
الله قوله اني سقيم وقوله بل فعله كبيرهم هذا وبينما هو يسير في ارض جبار من الجبابرة اذ
نزل منزلا فاتى الجبار فقيل له انه قد نزل ههنا رجل معه امراة من احسن الناس فارسل اليه
فساله عنها فقال انها اختي فلما رجع اليها قال ان هذا سالني عنك فقلت انك اختي وانه
ليس اليوم مسلم غيري وغيرك وانك اختي فلا تكذبيني عنده فانطلق بها فلما ذهب يتناولها اخذ
فقال ادعي الله لي ولا اضرك فدعت له فارسل فذهب يتناولها فاخذ مثلها او اشد منها فقال
ادعي الله لي ولا اضرك فدعت فارسل ثلاث مرات فدعا ادنى حشمه فقال انك لم تاتني بانسان
ولكن اتيتني بشيطان اخرجها واعطها هاجر فجاءت وابراهيم قائم يصلي فلما احس بها انفتل
فقال مهيم فقالت كفى الله كيد الظالم واخدمني هاجر واخرجاه من حديث هشام ثم قال البزار
لا نعلم اسنده عن محمد عن ابي هريرة الا هشام ورواه غيره موقوفا وقال الامام احمد ثنا علي
ابن حفص عن ورقا هو ابو عمر اليشكري عن ابي الزناد عن الاعرج عن ابي هريرة قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكذب ابراهيم الا ثلاث كذبات قوله حين دعي الى الهتهم اني سقيم
وقوله بل فعله كبيرهم هذا وقوله لسارة انها اختي قال ودخل ابراهيم قرية فيها ملك من
الملوك او جبار من الجبابرة فقيل دخل ابراهيم الليلة بامراة من احسن الناس قال فارسل اليه
الملك او الجبار من هذه معك قال اختي قال فارسل بها اليه وقال لها لا تكذبي قولي فاني قد
اخبرته انك اختي ان على الارض مومن غيري وغيرك فلما دخلت اليه قام اليها فاقبلت
توضا وتصلي وتقول اللهم ان كنت تعلم اني امنت بك وبرسولك واحصنت فرجي
الا على زوجي فلا تسلط علي الكافر قال فغط حتى ركض برجله قال ابو الزناد قال
ابو سلمة بن عبد الرحمن عن ابي هريرة انها قالت اللهم ان كنت تعلم اني امنت بك وبرسولك
واحصنت فرجي الا على زوجي فلا تسلط علي الكافر قال فغط حتى ركض برجله قال
ابو الزناد قال ابو سلمة عن ابي هريرة انها قالت اللهم ان يمت يقل هي قتلته قال فارسل
قال فقال في الثالثة او الرابعة ما ارسلتم الي الا شيطانا ارجعوها الى ابراهيم واعطوها
هاجر قال فرجعت فقالت لابراهيم اشعرت ان الله رد كيد الكافر واخدم وليدة تفرد به
احمد من هذا الوجه وهو على شرط الصحيح وقد رواه البخاري عن ابي اليمان عن شعيب
ابن ابي حمزة عن ابي الزناد عن الاعرج عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم به مختصرا
وقال ابن ابي حاتم ثنا ابي ثنا سفيان عن علي بن زيد بن جدعان عن ابي نضرة عن ابي سعيد
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في كلمات ابراهيم الثلاث التي قال ما منها كلمة
الا ما حل بها عن دين الله فقال اني سقيم وقال بل فعله كبيرهم هذا وقال للملك حين اراد
امراته هي اختي فقوله في الحديث هي اختي اي في دين الله وقوله لها انه ليس على وجه الارض مومن
غيري وغيرك يعني زوجين مومنين غيري وغيرك ويتعين حمله على هذا لان لوطا كان معهم وهو
نبي عليه السلام وقوله لها لما رجعت اليه مهيم معناه ما الخبر فقالت ان الله رد كيد الكافر
وفي رواية الفاجر وهو الملك واخدم جارية وكان ابراهيم عليه السلام من وقت ذهب بها الى
الملك قام يصلي لله عز وجل ويساله ان يدفع عن اهله وان يرد باس هذا الذي اراد اهله

بنو، وهكذا فعلت ايضا كلما اراد رعده والده ان ينال منها قامت الى وضوئها وصلاتها ودعت
الله عز وجل بما تقدم من الدعا العظيم ولهذا قال الله تعالى واستعينوا بالصبر والصلاة
فعصمها الله وصانها لعصمة عبده ورسوله وحبيبه وخليله ابراهيم عليه السلام وقد
ذهب بعض العلما الى نبوة ثلاث نسوة سارة وام موسى ومريم عليهن السلام والذى
عليه الجمهور انهن صديقات رضى الله عنهن وارضاهن ورايت فى بعض الاثار ان الله عز
وجل كشف الحجاب فيما بين ابراهيم عليه السلام وبينها فلم يزل يراها منذ خرجت من عنده
الى ان رجعت اليه وكان مشاهدا لها وهى عند الملك وكيف عصمها الله منه ليكون ذلك
اطيب لقلبه واقر لعينه واشد لطمانينته فانه كان يحبها حبا شديدا لدينها وقرابتها
منه وحسنها الباهر فانه قد قيل انه لم يكن امراة بعد حوا الى زمانها احسن منها رضى الله
عنها ولله الحمد والمنة وذكر بعض اهل التاريخ ان فرعون مصر هذا كان اخا للضحاك الملك
المشهور بالظلم وكان عاملا لاخيه على مصر ويقال كان اسمه سنان بن علوان بن عبيد بن
عويج بن عملاق بن لاود بن سام بن نوح وذكر ابن هشام فى التيجان ان الذى اراده عمرو
ابن امرى القيس بن مايلون بن سبا وكان على مصر نقله السهيلى والله اعلم ثم ان الخليل
عليه السلام رجع من بلاد مصر الى ارض التيمن وهى الارض المقدسة التى كان فيها ومعه انعام
وعبيد ومال جزيل وصحبتهم هاجر القبطية المصرية ثم ان لوطا عليه السلام نزح بماله
من الاموال الجزيلة بامر الخليل له فى ذلك الى ارض الغور المعروف بغور زغر فنزل بمدينة
سدوم وهى ام تلك البلاد فى ذلك الزمان وكان اهلها اشرارا كفارا فجارا واوحى الله تعالى
الى ابراهيم الخليل فامره ان يمد بصره وينظر شمالا وجنوبا وشرقا وغربا وبشره بان هذه
الارض كلها سأجعلها لك ولخلفك الى اخر الدهر وسأكثر ذريتك حتى يصيروا بعدد تراب
الارض وهذه البشارة اتصلت بهذه الامة بل ما كملت ولا كانت اعظم منها فى هذه الامة
المحمدية يؤيد ذلك قول رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله زوى لى الارض فرايت
مشارقها ومغاربها وسيبلغ ملك امتى ما زوى لى منها قالوا ثم ان طايفة من الجبابرة
تسلطوا على لوط عليه السلام فاسروه واخذوا امواله واستاقوا انعامه فلما بلغ الخبر
ابراهيم الخليل سار اليهم فى ثلثماية وثمانية عشر رجلا فاستنقذ لوطا عليه السلام
واسترجع امواله وقتل من اعدا الله ورسوله خلقا كثيرا وهزمهم وساق فى اثارهم حتى
وصل الى شمالى دمشق وعسكر بظاهرها عند برزه واظن مقام ابراهيم انما سمى لانه كان
موضع موقف جيش الخليل والله اعلم ثم رجع مؤيدا منصورا الى بلاده وتلقاه ملوك
بلاد بيت المقدس معظمين له مكرمين خاضعين واستقر ببلاده صلوات الله وسلامه عليه

ذكر مولد اسماعيل عليه السلام من هاجر

قال اهل الكتاب ان ابراهيم عليه السلام سأل الله ذرية طيبة وان الله بشره بذلك
وانه لما كان لابراهيم ببلاد بيت المقدس عشرون سنين قالت سارة لابراهيم عليه السلام ان الرب
قد حرمنى الولد فادخل على امتى هذه لعل الله يرزقنى منها ولدا فلما وهبتها له دخل بها ابرهيم
عليه السلام فحين دخل بها حملت منه قالوا فلما حملت ارتفعت نفسها وتعاظمت
على سيدتها فغارت منها سارة فشكت ذلك الى ابراهيم فقال لها افعلى بها ما شئت فخافت هاجر
فهربت فنزلت عند عين هناك فقال لها ملك من الملائكة فامرها بالرجوع وبشرها

بانها ستلد ولدا ابنا وتسميه اسماعيل ويكون وحش الناس يده على الكل ويد الكل به ويملك
جميع بلاد اخوته فشكرت الله عز وجل وهذه البشارة انما انطبقت على ولده محمد صلوات
الله وسلامه عليه فانه الذى به سادت العرب وملكت جميع البلاد شرقا وغربا واتاه الله من
العلم النافع والعمل الصالح ما لم يؤت امة من الامم وما ذاك الا بشرف رسولها على ساير
الرسل وبركة رسالته ويمن سفارته وكماله فيما جاء به وعموم بعثته لجميع اهل الارض ولما وضعت
هاجر وضعت اسماعيل عليه السلام قالوا وولدته ولابراهيم من العمر ست وثمانون سنة قبل
مولد اسحاق بثلاث عشرة سنة ولما ولد اسماعيل اوحى الله الى ابراهيم يبشره باسحاق من
سارة فخر لله ساجدا وقال له قد استجبت لك فى اسماعيل وباركت عليه وكثرته ونميته
جدا كبيرا ويولد له اثنا عشر عظيما واجعله رئيسا لشعب عظيم وهذه ايضا بشارة
بهذه الامة العظيمة وهؤلا الاثنى عشر عظيما هم الخلفا الاثنى عشر المبشر بهم فى حديث عبد
الملك بن عمير عن جابر بن سمرة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال يكون اثنى عشر اميرا ثم قال
كلمة لم افهمها فسالت ابى ما قال قال كلهم من قريش اخرجاه فى الصحيحين وفى رواية
لا يزال هذا الامر قايما وفى رواية عزيزا حتى يكون اثنى عشر خليفة كلهم من قريش فهؤلا منهم
الايمة الاربعة ابو بكر وعمر وعثمان وعلى ومنهم عمر بن عبد العزيز ايضا ومنهم بعض بنى العباس
وليس المراد انهم يكونون اثنى عشر نسقا بل لا بد من وجودهم وليس المراد الايمة الاثنى عشر الذين
يعتقدون فيهم الرافضة الذين اولهم على بن ابى طالب واخرهم المنتظر بسرداب سامرا فان
اولئك لم يكن فيهم انفع من على وابنه الحسن بن على حين ترك القتال وسلم الامر لمعاوية واخمد
نار الفتنة وسكن رحى الحرب بين المسلمين والباقون من جملة الرعايا لم يكن لهم حكم على الامة
فى امر من الامور واما ما يعتقدونه بسرداب سامرا فذاك هوس فى الرؤوس وهذيان فى النفوس
لا حقيقة له ولا عين ولا اثر والمقصود ان هاجر عليها السلام لما ولدت اسماعيل اشتدت
غيرة سارة منها وطلبت من الخليل ان يغيب وجهها عنها فذهب بها وبولدها فسار بهما
حتى وضعهما حيث مكة اليوم ويقال ان ولدها كان اذ ذاك رضيعا فلما تركهما هناك
وولى ظهره عنهما قامت اليه هاجر فتعلقت بثيابه وقالت يا ابراهيم اين تذهب وتدعنا
ها هنا وليس معنا ما يكفينا فلم يجبها فلما الحت عليه وهو لا يجيبها قالت آلله امرك بهذا
قال نعم قالت فاذا لا يضيعنا وقد ذكر الشيخ ابو محمد بن ابى زيد رحمه الله فى كتاب النوادر
ان سارة تغضبت على هاجر فحلفت لتقطعن ثلاثة اعضا منها فامرها الخليل ان تثقب
اذنيها وان تخفضها فتبر قسمها قال السهيلى فكانت اول من اختتن من النسا واول
من ثقبت اذنها منهن واول من طولت ذيلها

ذكر مهاجرة ابرهيم بابنه اسمعيل وامه هاجر الى جبال فاران وهى

ارض مكة وبناؤه البيت العتيق. قال البخارى قال عبد الله بن محمد هو ابو بكر بن ابى
شيبة ثنا عبد الرزاق ثنا معمر عن ايوب السختيانى وكثير بن كثير بن المطلب بن ابى وداعة
يزيد احدهما على الاخر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال اول ما اتخذ النسا المنطق
من قبل ام اسماعيل اتخذت منطقا لتعفى اثرها على سارة ثم جا بها ابراهيم وبابنها اسماعيل
وهى ترضعه حتى وضعهما عند البيت عند دوحة فوق زمزم فى اعلى المسجد وليس بمكة
يومئذ احد وليس بها ماء فوضعهما هنالك ووضع عندهما جرابا فيه تمر وسقاء فيه ما ثم قفى

ابراهيم منطلقا فتبعته ام اسماعيل فقالت يا ابراهيم اين تذهب وتتركنا بهذا الوادي
الذي ليس فيه انيس ولا شيء فقالت له ذلك مرارا وجعل لا يلتفت اليها فقالت له الله امرك
بهذا قال نعم قالت اذا لا يضيعنا ثم رجعت فانطلق ابراهيم حتى اذا كان عند الثنية
حيث لا يرونه استقبل بوجهه ثم دعا بهولاء الدعوات ورفع يديه فقال رب اني اسكنت
من ذريتي بواد غير ذي زرع عند بيتك المحرم ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل افئدة
من الناس تهوي اليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون وجعلت ام اسماعيل ترضع
اسماعيل وتشرب من ذلك الماء حتى اذا نفد ما في السقا عطشت وعطش ابنها وجعلت
تنظر اليه يتلوى او قال يتلبط فانطلقت كراهية ان تنظر اليه فوجدت الصفا اقرب
جبل في الارض يليها فقامت عليه ثم استقبلت الوادي تنظر هل ترى احدا فلم ترا حدا
فهبطت من الصفا حتى اذا بلغت الوادي رفعت طرف درعها ثم سعت سعي الانسان المجهود
حتى اذا جاوزت الوادي ثم اتت المروة فقامت عليها ونظرت هل ترى احدا فلم ترا حدا ○
ففعلت ذلك سبع مرات قال ابن عباس قال النبي صلى الله عليه وسلم فلذلك سعي الناس
بينهما فلما اشرفت على المروة سمعت صوتا فقالت صه تريد نفسها ثم تسمعت فسمعت
ايضا فقالت قد اسمعت ان كان عندك غواث فاذا هي بالملك عند موضع زمزم فبحث
بعقبه او قال بجناحه حتى ظهر الماء فجعلت تحوضه وتقول بيدها هكذا وجعلت
تغرف من الماء في سقايها وهو يفور بعدما تغرف قال ابن عباس قال النبي صلى الله عليه
وسلم يرحم الله ام اسماعيل لو تركت زمزم او قال لو لم تغرف من الماء لكانت زمزم عينا
معينا فشربت وارضعت ولدها فقال لها الملك لا تخافي الضيعة فان هاهنا بيت
الله يبني هذا الغلام وابوه وان الله لا يضيع اهله وكان البيت مرتفعا من الارض كالرابية
تاتيه السيول فتاخذ عن يمينه وعن شماله فكانت كذلك حتى مرت بهم رفقة من جرهم
او اهل بيت من جرهم مقبلين من طريق كدا فنزلوا في اسفل مكة فراوا طايرا عايفا فقالوا
ان هذا الطاير ليدور على الماء لعهدنا بهذا الوادي وما فيه ماء فارسلوا جريا او جريين
فاذا هم بالماء فرجعوا فاخبروهم بالماء فاقبلوا قال وام اسماعيل عند الماء فقالوا
اتاذنين لنا ان ننزل عندك قالت نعم ولكن لا حق لكم في الماء قالوا نعم قال
عبد الله بن عباس قال النبي صلى الله عليه وسلم فالفى ذلك ام اسماعيل وهي تحب
الانس فنزلوا وارسلوا الى اهليهم فنزلوا معهم حتى اذا كان بها اهل ابيات منهم وشب الغلام
وتعلم العربية منهم وانفسهم واعجبهم حين شب فلما ادرك زوجوه امراة منهم وماتت
ام اسماعيل فجا ابراهيم بعدما تزوج اسماعيل يطالع تركته فلم يجد اسماعيل فسال
امراته فقالت خرج يبتغي لنا ثم سالها عن عيشهم وهيتهم فقالت نحن بشر في ضيق
وشدة فشكت اليه قال فاذا جاء زوجك اقري عليه السلام وقولي له يغير عتبة بابه
فلما جا اسماعيل كانه انس شيا فقال هل جاكم من احد قالت نعم جانا شيخ كذا وكذا
فسالنا عنك فاخبرته وسالني كيف عيشنا فاخبرته انا في جهد وشدة قال فهل اوصاك
بشي قالت نعم امرني ان اقرا عليك السلام ويقول غير عتبة بابك قال ذاك ابي وقد امرني
ان افارقك فالحقي باهلك فطلقها وتزوج منهم اخرى فلبث عنهم ابراهيم ما شا الله
ثم اتاهم بعد فلم يجده فدخل على امراته فسالها عنه فقالت خرج يبتغي لنا قال كيف

بيناه

حاشية
قيل كانا تشربه من هذه المياه
حوا ايت ...ذكره
السهيلي
٩

انتم وسالها عن عيشهم وهيتهم فقالت نحن بخير وسعة واثنت على الله فقال
ما طعامكم قالت اللحم قال فما شرابكم قالت الماء قال اللهم بارك لهم في اللحم والماء قال
النبي صلى الله عليه وسلم ولم يكن لهم يومئذ حب ولو كان لهم لدعا لهم فيه فهما لا يخلو
عليهما احد بغير مكة الا لم يوافقاه قال فاذا جاء زوجك فاقري عليه السلام ومريه
يثبت عتبة بابه فلما جاء اسماعيل قال هل اتاكم من احد قالت نعم اتانا شيخ حسن
الهيية واثنت عليه فسالني عنك فاخبرته فسالني كيف عيشنا فاخبرته انا بخير قال
فاوصاك بشي قالت نعم هو يقرا عليك السلام ويامرك ان تثبت عتبة بابك قال ذاك
ابي وانت العتبة امرني ان امسكك ثم لبث عنهم ما شا الله ثم جاء بعد ذلك واسماعيل يبري نبلا له
تحت دوحة قريبا من زمزم فلما راه قام اليه فصنعا كما يصنع الولد بالوالد والوالد
بالولد ثم قال يا اسماعيل ان الله امرني بامر قال فاصنع ما امرك به ربك قال وتعينني
قال واعينك قال فان الله امرني ان ابني هاهنا بيتا واشار الى اكمة مرتفعة على ما حولها
قال فعند ذلك رفعا القواعد من البيت فجعل اسماعيل ياتي بالحجارة وابراهيم يبني
حتى اذا ارتفع البنا جاء بهذا الحجر فوضعه له فقام عليه وهو يبني واسماعيل يناوله
الحجارة وهما يقولان ربنا تقبل منا انك انت السميع العليم قال فجعلا يبنيان حتى يدورا
حول البيت وهما يقولان ربنا تقبل منا انك انت السميع العليم ثم قال ثنا عبد الله
بن محمد ثنا ابو عامر عبد الملك بن عمرو ثنا ابراهيم بن نافع عن كثير بن كثير عن سعيد
ابن جبير عن ابن عباس قال لما كان بين ابراهيم واهله ما كان خرج باسماعيل وام اسماعيل ومعهم
شنة فيها ماء وذكر تمامه بنحو ما تقدم وهذا الكلام الحديث من كلام ابن عباس وموشح
برفع بعضه وفي بعضه غرابة وكانه مما تلقاه ابن عباس عن الاسرائيليات وفيه ان اسماعيل
كان رضيعا اذ ذاك وعند اهل التورية ان ابراهيم امره الله بان يختن ولده اسماعيل
وكل من عنده من العبيد وغيرهم فختنهم وذلك بعد مضي تسع وتسعين سنة من عمره
فيكون عمر اسماعيل يومئذ ثلاث عشرة سنة وهذا امتثال لامر الله عز وجل في اهله
فيدل على انه فعله على وجه الوجوب ولهذا كان الصحيح من اقوال العلما انه واجب
على الرجال كما هو مقرر في موضعه وقد ثبت في الصحيح الحديث الذي رواه البخاري
حدثنا قتيبة بن سعيد ثنا مغيرة بن عبد الرحمن القرشي عن ابي الزناد عن الاعرج
عن ابي هريرة قال قال النبي صلى الله عليه وسلم اختتن ابراهيم النبي عليه
السلام وهو ابن ثمانين سنة بالقدوم تابعه عبد الرحمن بن اسحاق عن ابي الزناد
وتابعه عجلان عن ابي هريرة ورواه محمد بن عمرو عن ابي سلمة عن ابي هريرة وهكذا رواه
مسلم عن قتيبة به وفي بعض الالفاظ اختتن ابراهيم بعدما اتت عليه ثمانون
سنة واختتن بالقدوم والقدوم هو الالة وقيل موضع وهذا اللفظ لا ينافي الزيادة
على الثمانين والله اعلم لما سياتي من الحديث عند ذكر وفاته عن ابي هريرة عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم انه قال اختتن ابرهيم وهو ابن مائة وعشرين سنة وعاش
بعد ذلك ثمانين سنة رواه ابن حبان في صحيحه وليس في هذا السياق ذكر قصة
الذبيح وانه اسماعيل ولم يذكر في قدمات ابراهيم عليه السلام الا ثلاث مرات اولاهن بعد
ان تزوج اسماعيل بعد موت هاجر وكيف تركهم من حين صغر الولد على ما ذكر الى حين

ثم وجيء لا يقطرون كالمهم وقد ذكر ان الارض كانت تطوى له وقيل انه كان يركب البراق اذا سار اليهم فكيف يتخلف عن سطها لعنتها وهم في غاية الضرورة الشديدة والحاجة الاكيدة وكان بعض هذا السياق متلقى من الاسرائيليات ومطرز بشيء من الدعوات ولم يذكر فيه قصة الذبيح وقد دللنا على ان الذبيح هو اسماعيل على الصحيح في سورة الصافات

قصة الذبيح

قال الله تعالى وقال اني ذاهب الى ربي سيهدين رب هب لي من الصالحين فبشرناه بغلام حليم فلما بلغ معه السعي قال يا بني اني ارى في المنام اني اذبحك فانظر ماذا ترى قال يا ابت افعل ما تؤمر ستجدني ان شاء الله من الصابرين فلما اسلما وتله للجبين وناديناه ان يا ابراهيم قد صدقت الرويا انا كذلك نجزي المحسنين ان هذا لهو البلاء المبين وفديناه بذبح عظيم وتركنا عليه في الاخرين سلام على ابراهيم كذلك نجزي المحسنين انه من عبادنا المومنين وبشرناه باسحاق نبيا من الصالحين وباركنا عليه وعلى اسحاق ومن ذريتهما محسن وظالم لنفسه مبين يذكر تعالى عن خليله انه لما هاجر من بلاد قومه سال ربه ان يهب له ولدا صالحا فبشره الله بغلام حليم وهو اسماعيل عليه السلام لانه اول من ولد له على راس ست وثمانين سنة من عمر الخليل وهذا ما لا خلاف فيه بين اهل الملل انه اول ولده وبكره وقوله فلما بلغ معه السعي اي شب وصار يسعى في مصالحه كابيه قال مجاهد فلما بلغ معه السعي اي شب وارتحل واطاق ما يفعله ابوه من السعي والعمل فلما كان هذا راى ابراهيم عليه السلام في المنام انه يومر بذبح ولده هذا وفي الحديث عن ابن عباس مرفوعا رويا الانبيا وحي وقاله عبيد بن عمير ايضا وهذا اختبار من الله عز وجل لخليله في ان يذبح هذا الولد العزيز الذي جاءه على كبر وقد طعن في السن بعدما امر بان يسكنه هو وامه في بلاد قفر وواد ليس به حسيس ولا انيس ولا زرع ولا ضرع فامتثل امر الله في ذلك وتركهما هناك ثقة بالله وتوكلا عليه فجعل الله لهما فرجا ومخرجا ورزقهما من حيث لا يحتسبان ثم لما امر بعد هذا كله بذبح ولده هذا الذي قد افرده عن امر ربه وهو بكره ووحيده الذي ليس له غيره اجاب ربه وامتثل امره وسارع الى طاعته ثم عرض ذلك على ولده ليكون اطيب لقلبه واهون عليه من ان ياخذه قسرا ويذبحه قهرا قال يا بني اني ارى في المنام اني اذبحك فانظر ماذا ترى فبادر الغلام الحليم سر والده الخليل ابراهيم فقال يا ابت افعل ما تؤمر ستجدني ان شاء الله من الصابرين وهذا الجواب في غاية السداد والطاعة للوالد ولرب العباد قال الله تعالى فلما اسلما وتله للجبين قيل اسلما اي استسلما لامر الله وعزما على ذلك وقيل هذا من المقدم والموخر والمعنى تله للجبين اي القاه على وجهه قيل اراد ان يذبحه من قفاه لئلا يشاهده في حال ذبحه قاله ابن عباس ومجاهد وسعيد بن جبير وقتادة والضحاك وقيل بل اضجعه كما تضجع الذبايح وبقي طرف جبينه لاصقا بالارض واسلما اي سمى ابراهيم وكبر وتشهد الولد للموت قال السدي وغيره امر السكين على حلقه فلم تقطع شيا ويقال جعل بينها وبين حلقه صفيحة من نحاس والله اعلم فعند ذلك نودي من الله عز وجل ان يا ابراهيم قد صدقت الرويا اي قد حصل المقصود من اختبارك وطاعتك ومبادرتك الى امر ربك وبذلك ولدك للقربان كما سمحت ببدنك للنيران وكما مالك مبذول للضيفان ولهذا قال تعالى

ان هذا

ان هذا لهو البلاء المبين اي الاختبار الظاهر البين وقوله وفديناه بذبح عظيم اي وجعلنا فداء ذبح ولده ما يسره الله تعالى له من العوض عنه والمشهور عن الجمهور انه كبش ابيض اعين اقرن راه مربوطا بسمرة في ثبير قال الثوري عن عبد الله بن عثمان بن خثيم عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال كبش قد رعى في الجنة اربعين خريفا وقال سعيد بن جبير كان يرتع في الجنة حتى تشقق عنه ثبير وكان عليه عهن احمر وعن ابن عباس هبط عليه من ثبير كبش اعين اقرن له ثغا فذبحه وهو الكبش الذي قربه ابن ادم فتقبل منه رواه ابن ابي حاتم قال مجاهد فذبحه بمنى وقال عبيد بن عمير ذبحه بالمقام فاما ما روي عن ابن عباس انه كان وعلا وعن الحسن انه كان تيسا من الاروى واسمه جرير فلا يكاد يصح عنهما ثم غالب ما ههنا من الاثار ماخوذ من الاسرائيليات وفي القران كفاية عما جرى من الامر العظيم والاختبار الباهر وانه فدي بذبح عظيم وقد ورد في الحديث انه كان كبشا قال الامام احمد ثنا سفيان ثنا منصور عن خاله مسافع عن صفية بنت شيبة قالت اخبرتني امراة من بني سليم ولدت عامة اهل دارنا قالت ارسل رسول الله صلى الله عليه وسلم الى عثمان بن طلحة وقال مرة انها سالت عثمان لم دعاك رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قال اني كنت رايت قرني الكبش حين دخلت البيت فنسيت ان امرك ان تخمرهما فخمرهما فانه لا ينبغي ان يكون في البيت شي يشغل المصلي قال سفيان لم تزل قرنا الكبش في البيت حتى احترق البيت فاحترقا وكذا روي عن ابن عباس ان راس الكبش لم يزل معلقا عند ميزاب الكعبة قد يبس وهذا وحده دليل على ان الذبيح اسماعيل لانه كان هو المقيم بمكة واسحاق لا يعلم انه قدمها في حال صغره والله اعلم وهذا هو الظاهر من القران بل كانه نص على ان الذبيح هو اسماعيل لانه ذكر قصة الذبيح ثم قال بعده وبشرناه باسحاق نبيا من الصالحين ومن جعله حالا فقد تكلف ومستنده في انه اسحاق انما هو اسرائيليات وكتابهم فيه تحريف ولا سيما ههنا قطعا لا محيد عنه فان عندهم ان الله امر ابراهيم ان يذبح ابنه وحيده وفي نسخة من المعربة بكره اسحاق فلفظة اسحاق ههنا مقحمة مكذوبة مفتراة لانه ليس هو الوحيد ولا البكر ذاك اسماعيل وانما حملهم على هذا حسد العرب فان اسماعيل ابو العرب الذين يسكنون الحجاز الذين منهم رسول الله صلى الله عليه وسلم واسحاق والد يعقوب وهو اسرائيل الذي ينتسبون اليه فارادوا ان يجروا هذا الشرف اليهم فحرفوا كلام الله وزادوا فيه وهم قوم بهت ولم يقروا بان الفضل بيد الله يوتيه من يشاء وقد قال بانه اسحاق طايفة كثيرة من السلف وغيرهم وانما اخذوه والله اعلم من كعب الاحبار او صحف اهل الكتاب وليس في ذلك حديث صحيح عن المعصوم حتى نترك لاجله ظاهر الكتاب العزيز ولا يفهم هذا من القران بل المفهوم بل المنطوق بل النص عند التامل على انه اسماعيل وما احسن ما استدل محمد بن كعب القرظي على انه اسماعيل وليس باسحاق من قوله فبشرناها باسحاق ومن وراء اسحاق يعقوب قال فكيف تقع البشارة باسحاق وانه سيولد له يعقوب ثم يومر بذبح اسحاق وهو صغير قبل ان يولد له هذا لا يكون لانه يناقض البشارة المتقدمة والله اعلم وقد اعترض السهيلي على هذا الاستدلال بما حاصله ان قوله فبشرناها باسحاق جملة تامة وقوله ومن وراء اسحاق يعقوب جملة اخرى ليست

في خبر البشارة قال لانه لا يجوز من حيث العربية ان يكون مخفوضا الا ان يعاد معه حرف
الجر فلا يجوز ان يقال مررت بزيد ومن بعده عمرو حتى يقال ومن بعده بعمرو قال
فقوله ومن وراء اسحاق يعقوب منصوب بفعل مضمر تقديره ووهبنا لاسحاق يعقوب
وفي هذا الذي قاله نظر ورجح انه اسحاق واحتج بقوله فلما بلغ معه السعي قال واسماعيل
لم يكن عنده انما كان في حال صغره هو وامه بجبال مكة فكيف يبلغ معه السعي وهذا ايضا
فيه نظر لانه قد روي ان الخليل كان يذهب في كثير من الاوقات راكبا البراق الى مكة يطلع
على ولده وابنه ثم يرجع والله تعالى اعلم فممن حكي عنه القول بانه اسحاق كعب الاحبار وروي
عن عمر والعباس وعلي وابن مسعود ومسروق وعكرمة وسعيد بن جبير ومجاهد وعطا
والشعبي ومقاتل وعبيد بن عمير وابي ميسرة وزيد بن اسلم وعبد الله بن شقيق والزهري
والقسم بن ابي بزه ومكحول وعثمان بن حاضر والسدي والحسن وقتادة وابي الهذيل
وابن سابط وهو اختيار جرير وهذا عجب منه وهو احدى الروايتين عن ابن عباس لكن
الصحيح عنه وعن اكثرهم انه اسماعيل عليه السلام قال مجاهد وسعيد والشعبي
ويوسف بن مهران وعطا وغير واحد عن ابن عباس هو اسماعيل عليه السلام وقال ابن جرير
حدثني يونس انا ابن وهب اخبرني عمرو بن قيس عن عطا بن ابي رباح عن ابن عباس انه قال
المفدى اسماعيل وزعمت اليهود انه اسحاق وكذبت اليهود وقال عبد الله بن الامام احمد
عن ابيه هو اسماعيل وقال ابن ابي حاتم سالت ابي عن الذبيح فقال الصحيح انه اسماعيل
عليه السلام قال ابن ابي حاتم وروي عن علي وابن عمر وابي هريرة وابي الطفيل وسعيد
بن المسيب وسعيد بن جبير والحسن ومجاهد والشعبي ومحمد بن كعب وابي جعفر محمد بن
علي وابي صالح انهم قالوا الذبيح هو اسماعيل عليه السلام وحكاه البغوي ايضا عن الربيع
ابن انس والكلبي وابي عمرو بن العلا قلت وروي عن معاوية وجاء عنه ان رجلا قال
لرسول الله صلى الله عليه وسلم يا ابن الذبيحين فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم
واليه ذهب عمر بن عبد العزيز ومحمد بن اسحاق بن يسار وكان الحسن البصري يقول لا يشك
في هذا وقال محمد بن اسحاق عن بريدة بن سفيان بن فروة الاسلمي عن محمد بن كعب انه
حدثهم انه ذكر ذلك لعمر بن عبد العزيز وهو خليفة اذ كان معه بالشام يعني استدلاله
بقوله بعد القصة وبشرناه باسحاق ومن وراء اسحاق يعقوب فقال له عمر ان هذا الشي
ما كنت انظر فيه واني لاراه كما قلت ثم ارسل الى رجل كان عنده بالشام كان يهوديا
فاسلم وحسن اسلامه وكان يرى انه من علمائهم قال فسأله عمر بن عبد العزيز اي ابني ابراهيم
امر بذبحه فقال اسماعيل والله يا امير المومنين وان يهود لتعلم بذلك ولكنهم يحسدونكم
معشر العرب على ان يكون اباكم الذي كان من امر الله فيه والفضل الذي ذكره الله منه
لصبره لما امر به فهم يجحدون ذلك ويزعمون انه اسحاق لان اسحاق ابوهم وقد ذكرنا
هذه المسئلة مستقصاة بادلتها وآثارها في كتابنا التفسير ولله الحمد والمنة •

ذكر مولد اسحاق عليه السلام

قال الله تعالى وبشرناه باسحاق نبيا من الصالحين وباركنا عليه وعلى اسحاق ومن ذريتهما
محسن وظالم لنفسه مبين وقد كانت البشارة به من الملائكة لابراهيم وسارة لما مروا
عليهم مجتازين ذاهبين الى مداين قوم لوط ليدمروا عليهم لكفرهم وفجورهم كما سياتي

بيانه

بيانه في موضعه ان شا الله تعالى قال الله تعالى ولقد جاءت رسلنا ابراهيم بالبشرى
قالوا سلاما قال سلام فما لبث ان جا بعجل حنيذ فلما راى ايديهم لا تصل اليه نكرهم واوجس
منهم خيفة قالوا لا تخف انا ارسلنا الى قوم لوط وامراته قايمة فضحكت فبشرناها
باسحاق ومن ورا اسحاق يعقوب قالت يا ويلتا االد وانا عجوز وهذا بعلي شيخا
ان هذا لشي عجيب قالوا اتعجبين من امر الله رحمة الله وبركاته عليكم اهل البيت انه
حميد مجيد وقال ونبيهم عن ضيف ابراهيم اذ دخلوا عليه فقالوا سلاما قال انا
منكم وجلون قالوا لا توجل انا نبشرك بغلام عليم قال ابشرتموني على ان مسني الكبر فبم
تبشرون قالوا بشرناك بالحق فلا تكن من القانطين قال ومن يقنط من رحمة ربه
الا الضالون وقال تعالى هل اتاك حديث ضيف ابراهيم المكرمين اذ دخلوا عليه
فقالوا سلاما قال سلام قوم منكرون فراغ الى اهله فجاء بعجل حنيذ سمين فقربه اليهم
قال الا تاكلون فاوجس منهم خيفة قالوا لا تخف وبشروه بغلام عليم فاقبلت
امراته في صرة فصكت وجهها وقالت عجوز عقيم قالوا كذلك قال ربك انه هو الحكيم
العليم يذكر تعالى ان الملايكة قالوا وكانوا ثلاثة جبريل وميكائيل واسرافيل لما
وردوا على الخليل حسبهم اولا اضيافا فعاملهم معاملة الضيوف شوى لهم عجلا سمينا
من خيار بقره فلما قربه اليهم وعرض عليهم لم ير لهم همة الى الاكل بالكلية وذلك لان
الملايكة ليس فيهم قوة الحاجة الى الطعام فنكرهم ابراهيم واوجس منهم خيفة قالوا لا تخف
انا ارسلنا الى قوم لوط وامراته قايمة فضحكت فبشرناها باسحاق ومن ورا اسحاق يعقوب
قالت يا ويلتا االد وانا عجوز وهذا بعلي شيخا ان هذا لشي عجيب قالوا اتعجبين من امر
الله رحمة الله وبركاته عليكم اهل البيت انه حميد مجيد وقال ونبيهم عن ضيف ابراهيم
اذ دخلوا عليه فقالوا سلاما قال انا منكم وجلون قالوا لا توجل انا نبشرك بغلام عليم
قال ابشرتموني على ان مسني الكبر فبم تبشرون قالوا بشرناك بالحق فلا تكن من القانطين
قال ومن يقنط من رحمة ربه الا الضالون وقال تعالى هل اتاك حديث ضيف ابراهيم
المكرمين اذ دخلوا عليه فقالوا سلاما قال سلام قوم منكرون فراغ الى اهله فجاء بعجل اي
لندمر عليهم فاستبشرت عند ذلك سارة غضبا لله عليهم وكانت قايمة على رؤوس الاضياف
كما جرت به عادة الناس من العرب وغيرهم فلما ضحكت استبشارا بذلك قال الله تعالى
فبشرناها باسحاق ومن وراء اسحاق يعقوب اي بشرتها الملايكة بذلك فاقبلت
امراته في صرة اي في صرخة وصكت وجهها اي كما يفعل النسا عند التعجب وقالت يا ويلتا
االد وانا عجوز وهذا بعلي شيخا اي كيف يلد مثلي وانا كبيرة وعقيم ايضا وهذا بعلي اي
زوجي شيخا تعجبت من وجود ولد والحالة هذه ولهذا قالت ان هذا لشي عجيب قالوا اتعجبين
من امر الله رحمة الله وبركاته عليكم اهل البيت انه حميد مجيد وكذلك تعجب ابراهيم عليه
السلام استبشارا بهذه البشارة وتثبيتا لها وفرحا بها قال ابشرتموني على ان مسني
الكبر فبم تبشرون قالوا بشرناك بالحق فلا تكن من القانطين اكدوا الخبر بهذه البشارة
وقرروه معه فبشروهما بغلام عليم وهو اسحاق واخوه اسماعيل غلام حليم مناسب لمقامه
وصبره وهكذا وصفه ربه بصدق الوعد والصبر وقال في الاية الاخرى فبشرناها
باسحاق ومن وراء اسحاق يعقوب وهذا مما استدل به محمد بن كعب القرظي وغيره على ان

الذبيح هو إسماعيل وأن إسحاق لا يجوز أن يؤمر بذبحه بعد أن وقعت البشارة بوجوده ووجود ولده يعقوب المشتق من العقب من بعده وعند أهل الكتاب أنه أحضر مع العجل الحنيذ وهو المشوي رغيفا من مكة فيه ثلاثة أكيال وسمن ولبن وعندهم أنهم أكلوا وهذا غلط محض وقيل كانوا يرون أنهم يأكلون والطعام يتلاشى في الهواء وعندهم أن الله قال لإبراهيم أما ساراي امرأتك فلا يدعى اسمها ساراي ولكن اسمها سارة وأبارك عليها وأعطيك منها ابنا وأباركه ويكون للشعوب وملوك الشعوب منه فخر إبراهيم ساجدا وضحك قائلا في نفسه أبعد مائة سنة يولد لي غلام أو سارة تلد وقد أتت عليها تسعون سنة وقال إبراهيم لله تعالى ليت إسماعيل يعيش قدامك فقال الله لإبراهيم بحق إن امرأتك سارة تلد لك غلاما وتدعو اسمه إسحاق إلى مثل هذا الحين من قابل وأثبت ميثاقي إلى الدهر ولخلفه من بعده وقد استجبت لك في إسماعيل وباركت عليه وكثرته ونميته جدا كثيرا ويولد له اثنا عشر عظيما وأجعله رئيسا لشعب عظيم وقد تكلمنا على هذا بما تقدم والله أعلم فقوله تعالى فبشرناها بإسحاق ومن وراء إسحاق يعقوب دليل على أنها تستمتع بوجود ولدها إسحاق ثم من بعده يولد ولده يعقوب أي يولد في حياتهما لتقر أعينهما به كما قرت بولده ولو لم يرد هذا لم يكن لذكر يعقوب وتخصيص التنصيص عليه من دون سائر نسل إسحاق فائدة ولما عين بالذكر دل على أنهما يتمتعان به ويسران بمولده كما سرا بولده من قبله وقال تعالى فلما اعتزلهم وما يعبدون من دون الله وهبنا له إسحاق ويعقوب وهذا إن شاء الله ظاهر قوي ويؤيده قوة ما ثبت في الصحيحين من حديث سليمان بن مهران الأعمش عن إبراهيم بن يزيد التيمي عن أبيه عن أبي ذر قال قلت يا رسول الله أي مسجد وضع أول قال المسجد الحرام قلت ثم أي قال المسجد الأقصى قلت كم بينهما قال أربعون سنة قلت ثم أي قال ثم حيث أدركت الصلاة فصل فكلها مسجد وعند أهل الكتاب أن يعقوب عليه السلام هو الذي أسس المسجد الأقصى وهو مسجد إيليا وهو مسجد بيت المقدس شرفه الله وهذا متجه ويشهد له ما ذكرناه من الحديث فعلى هذا يكون بناء يعقوب عليه السلام وهو إسرائيل بعد بناء الخليل وابنه إسماعيل المسجد الحرام بأربعين سنة سواء وقد كان بناؤهما ذلك بعد وجود إسحاق لأن إبراهيم عليه السلام لما دعا قال في دعائه كما قال تعالى وإذ قال إبراهيم رب اجعل هذا البلد آمنا واجنبني وبني أن نعبد الأصنام رب إنهن أضللن كثيرا من الناس فمن تبعني فإنه مني ومن عصاني فإنك غفور رحيم ربنا إني أسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع عند بيتك المحرم ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل أفئدة من الناس تهوي إليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون ربنا إنك تعلم ما نخفي وما نعلن وما يخفى على الله من شيء في الأرض ولا في السماء الحمد لله الذي وهب لي على الكبر إسماعيل وإسحاق إن ربي لسميع الدعاء رب اجعلني مقيم الصلاة ومن ذريتي ربنا وتقبل دعاء ربنا اغفر لي ولوالدي وللمؤمنين يوم يقوم الحساب وما جاء في الحديث من أن سليمان بن داود عليه السلام لما بنى بيت المقدس سأل الله خلالا ثلاثا كما ذكرناه عند قوله رب اغفر لي وهب لي ملكا لا ينبغي لأحد من بعدي وكما سنورده في قصته فالمراد من ذلك والله أعلم أنه جدد بناءه لما تقدم من أن بينهما أربعين سنة ولم يقل أحد أن بين سليمان وإبراهيم أربعين سنة سوى ابن حبان في تقاسيمه وأنواعه وهذا القول لم يوافق عليه ولا سبق إليه

على وجهه سجد

ذكر بناء البيت العتيق

قال الله تعالى وإذ بوأنا لإبراهيم مكان البيت أن لا تشرك بي شيئا وطهر بيتي للطائفين والقائمين والركع السجود وأذن في الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق وقال تعالى إن أول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركا وهدى للعالمين فيه آيات بينات مقام إبراهيم ومن دخله كان آمنا ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا ومن كفر فإن الله غني عن العالمين وقال تعالى وإذ ابتلى إبراهيم ربه بكلمات فأتمهن قال إني جاعلك للناس إماما قال ومن ذريتي قال لا ينال عهدي الظالمين وإذ جعلنا البيت مثابة للناس وأمنا واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى وعهدنا إلى إبراهيم وإسماعيل أن طهرا بيتي للطائفين والعاكفين والركع السجود وإذ قال إبراهيم رب اجعل هذا بلدا آمنا وارزق أهله من الثمرات من آمن منهم بالله واليوم الآخر قال ومن كفر فأمتعه قليلا ثم أضطره إلى عذاب النار وبئس المصير وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم فلما وضعتها قالت رب إني وضعتها أنثى والله أعلم بما وضعت ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك وأرنا مناسكنا وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم إنك أنت العزيز الحكيم يذكر تعالى عن عبده ورسوله وصفيه وخليله إمام الحنفاء ووالد الأنبياء إبراهيم عليه السلام أنه بنى البيت العتيق الذي هو أول مسجد وضع لعموم الناس يعبدون الله فيه وبوأه الله مكانه أي أرشده إليه ودله عليه وقد روينا عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب وغيره أنه أرشد إليه بوحي من الله عز وجل وقد قدمنا في صفة خلق السموات أن الكعبة بحيال البيت المعمور بحيث إنه لو سقط لسقط عليها وكذلك معابد السموات السبع كما قال بعض السلف إن في كل سماء بيتا يعبد الله فيه أهل كل سماء وهو فيها كالكعبة لأهل الأرض فأمر الله تعالى إبراهيم عليه السلام أن يبني له بيتا يكون لأهل الأرض كتلك المعابد لملائكة السموات وأرشده إلى مكان البيت المهيأ له المعين لذلك منذ خلق السموات والأرض كما ثبت في الصحيحين أن هذا البلد حرمه الله يوم خلق السموات والأرض فهو حرام بحرمة الله إلى يوم القيامة ولم يجئ في خبر صحيح عن معصوم أن البيت كان مبنيا قبل الخليل عليه السلام ومن تمسك في هذا بقوله مكان البيت فليس بناهض ولا ظاهر لأن المراد مكانه المقدر في علم الله المقرر في قدره المعظم عند الأنبياء موضعه من لدن آدم إلى زمان إبراهيم وقد ذكرنا أن آدم نصب عليه قبة وأن الملائكة قالوا له قد طفنا قبلك بهذا البيت وأن السفينة طافت به أربعين يوما أو نحو ذلك ولكن كل هذه أخبار عن بني إسرائيل وقد قررنا أنها لا تصدق ولا تكذب فلا يحتج بها فأما إن ردها الحق فهي مردودة وقد قال الله إن أول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركا وهدى للعالمين أي أول بيت وضع لعموم الناس للبركة والهدى البيت الذي ببكة قيل مكة وقيل محل الكعبة فيه آيات بينات أي على أنه بناء الخليل والد الأنبياء من بعده وإمام الحنفاء من ولده الذين يقتدون به ويتمسكون بسنته ولهذا قال مقام إبراهيم أي الحجر الذي كان يقف عليه قائما لما ارتفع البناء عن قامته فوضع له ولده هذا الحجر المشهور ليرتفع عليه لما تعالى البناء وعظم الفناء كما تقدم في حديث ابن عباس الطويل وقد كان هذا الحجر ملصقا بحائط الكعبة على ما كان عليه من قديم الزمان إلى أيام عمر بن الخطاب رضي الله عنه فأخره عن البيت قليلا لئلا يشغل المصلون عنده الطائفين

بالبيت وابتع عمر بن الخطاب رضي الله عنه في هذا فانه قد وافق ربه في اشيا منها في قوله صلى الله عليه وسلم لو اتخذنا من مقام ابراهيم مصلى فانزل الله واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى وقد كانت اثار قدمي الخليل باقية في الصخرة الى اول الاسلام وقد قال ابو طالب في قصيدته اللامية المشهورة

وثور ومن ارسى ثبيرا مكانه • وراق لبر في حرا ونازل
وبالبيت حق البيت من بطن مكة • وبالله ان الله ليس بغافل
وبالحجر المسود اذ يمسحونه • اذا اكتنفوه بالضحى والاصايل
وموطئ ابراهيم في الصخر رطبة • على قدميه حافيا غير ناعل

يعني ان رجله الكريمة غاصت في الصخرة فصارت على قدر قدمه حافية لا منتعلة ولهذا قال تعالى واذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت واسماعيل اي في حال قولهما ربنا تقبل منا انك انت السميع العليم فهما في غاية الاخلاص والطاعة لله عز وجل وهما يسألان من الله عز وجل السميع العليم ان يتقبل منهما ما هما فيه من الطاعة العظيمة والسعي المشكور ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا امة مسلمة لك وارنا مناسكنا وتب علينا انك انت التواب الرحيم والمقصود ان الخليل بنى اشرف المساجد في افضل البقاع في واد غير ذي زرع ودعا لاهلها بالبركة وان يرزقوا من الثمرات مع قلة المياه وعدم الاشجار والزروع والثمار وان يجعله حرما محرما وامنا محتما فاستجاب الله وله الحمد له مسألته ولبى دعوته واتاه طلبته فقال تعالى اولم يروا انا جعلنا حرما امنا ويتخطف الناس من حولهم وقال تعالى اولم نمكن لهم حرما امنا يجبى اليه ثمرات كل شيء رزقا من لدنا وسأل الله ان يبعث فيهم رسولا منهم اي من جنسهم وعلى لغتهم الفصيحة البليغة النصيحة لتتم عليهم النعمتان الدنيوية والدينية سعادة الاولى والاخرة وقد استجاب الله له فبعث فيهم رسولا واي رسول ختم به انبياءه ورسله واكمل له من الدين ما لم يؤت احدا قبله وعم بدعوته اهل الارض على اختلاف اجناسهم ولغاتهم وصفاتهم في سائر الاقطار والامصار والاعصار الى يوم القيامة وكان هذا من خصائصه من بين سائر الانبيا لشرفه في نفسه وكمال ما ارسل به وشرف بقعته وفصاحة لغته وكمال شفقته على امته ولطفه ورحمته وكريم محتده وعظيم مولده وطيب مصدره ومورده ولهذا استحق ابراهيم الخليل عليه السلام اذ كان باني الكعبة لاهل الارض ان يكون منصبه ومحله وموضعه في منازل السموات ورفيع الدرجات عند البيت المعمور الذي هو كعبة اهل السماء السابعة المبارك المبرور الذي يدخله كل يوم سبعون الفا من الملائكة يتعبدون فيه ثم لا يعودون اليه الى يوم البعث والنشور وقد ذكرنا في التفسير من سورة البقرة صفة بنايه للبيت وما ورد في ذلك من الاثار والاخبار بما فيه كفاية فمن اراده فليراجعه ثم ولله الحمد فمن ذلك ما قال السدي لما امر الله ابراهيم واسماعيل ان يبنيا البيت لم يدريا اين مكانه حتى بعث الله ريحا يقال لها الخجوج لها جناحان وراس في صورة حية فكنست لهما ما حول الكعبة عن اساس البيت الاول واتبعاها بالمعاول يحفران حتى وضعا الاساس وذلك حين يقول تعالى واذ بوانا لابراهيم مكان البيت فلما بلغا القواعد بنيا الركن قال ابراهيم لاسماعيل يا بني اطلب لي حجرا حسنا اضعه ههنا قال يا ابت اني كسلان لغب قال علي ذلك فانطلق فجاءه جبريل بالحجر الاسود من الهند وكان ابيض ياقوتة بيضاء مثل

الثغامة وكان ادم هبط به من الجنة فاسود من خطايا الناس فجاءه اسماعيل بحجر فوجده عند الركن فقال يا ابت من جاءك بهذا قال جاء به من هو انشط منك فبنيا وهما يدعوان الله ربنا تقبل منا انك انت السميع العليم وذكر ابن ابي حاتم انه بناه من خمسة اجبل وان ذا القرنين وكان ملك اهل الارض اذ ذاك مر بهما وهما يبنيانه فقال من امركما بهذا فقال ابراهيم الله امرنا به فقال وما يدريني بما تقول فشهدت خمسة اكبش انه امره بذلك فامن وصدق وذكر الازرقي انه طاف مع الخليل بالبيت وقد كانت على بنا الخليل مدة طويلة ثم بعد ذلك بنتها قريش فقصرت بها عن قواعد ابراهيم من جهة الشمال مما يلي الشام على ما هي عليه اليوم وفي الصحيحين من حديث مالك عن ابن شهاب عن سالم ان عبد الله بن محمد بن ابي بكر اخبر ابن عمر عن عايشة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الم تري ان قومك حين بنوا الكعبة اقتصروا عن قواعد ابراهيم فقلت يا رسول الله الا تردها على قواعد ابراهيم فقال لولا حدثان قومك وفي رواية لولا ان قومك حديث عهد بجاهلية او قال بكفر لانفقت كنز الكعبة في سبيل الله ولجعلت بابها بالارض وادخلت فيها الحجر وقد بناها ابن الزبير في ايامه على ما اخبرته به خالته عايشة ام المؤمنين عنه فلما قتله الحجاج في سنة ثلاث وسبعين كتب الى عبد الملك بن مروان الخليفة اذ ذاك فاعتقدوا ان ابن الزبير انما صنع ذلك من تلقا نفسه فامر بردها الى ما كانت عليه فنقضوا الحايط الشامي واخرجوا منها الحجر ثم سدوا الحايط وردموا الاحجار في جوف الكعبة فارتفع بابها الشرقي وسدوا الغربي بالكلية كما هو مشاهد الى اليوم ثم لما بلغهم ان ابن الزبير انما فعل هذا لما اخبرته عايشة ام المؤمنين ندموا على ما فعلوا وتاسفوا ان لو كانوا تركوه وما تولى من ذلك ثم لما كان في زمن المهدي بن المنصور استشار الامام مالك بن انس في ردها على الصفة التي بناها ابن الزبير فقال اني اخشى ان تتخذها الملوك لعبة يعني كلما جاء ملك بناها على الصفة التي يريد فاستقر الامر على ما هو عليه اليوم

ذكر ثناء الله ورسوله الكريم على عبده وخليله ابراهيم

قال الله تعالى واذ ابتلى ابراهيم ربه بكلمات فاتمهن قال اني جاعلك للناس اماما قال ومن ذريتي قال لا ينال عهدي الظالمين لما وفى ما امره به ربه من التكاليف العظيمة جعله للناس اماما يقتدون به ويأتمون بهديه وسأل الله ان تكون هذه الامامة متصلة بسببه وباقية في نسبه وخالدة في عقبه فاجيب الى ما سأل ورام وسلمت اليه الامامة بزمام واستثني من نيلها الظالمون واختص بها من ذريته العلما العاملون كما قال تعالى ووهبنا له اسحق ويعقوب وجعلنا في ذريته النبوة والكتاب واتيناه اجره في الدنيا وانه في الاخرة لمن الصالحين وقال تعالى ووهبنا له اسحاق ويعقوب كلا هدينا ونوحا هدينا من قبل ومن ذريته داود وسليمان وايوب ويوسف وموسى وهارون وكذلك نجزي المحسنين وزكريا ويحيى وعيسى والياس كل من الصالحين واسماعيل واليسع ويونس ولوطا وكلا فضلنا على العالمين ومن ابايهم وذرياتهم واخوانهم واجتبيناهم وهديناهم الى صراط مستقيم فالضمير في قوله ومن ذريته عايد على ابراهيم على المشهور ولوط وان كان ابن اخيه الا انه دخل في الذرية تغليبا وهذا هو الحامل للقايل الاخر ان الضمير على نوح كما قدمنا في قصته وقال تعالى ولقد ارسلنا نوحا وابراهيم وجعلنا في ذريتهما النبوة والكتاب الاية فكل كتاب انزل من السماء على نبي من الانبيا

بعد ابراهيم الخليل فمن ذريته وشيعته وهذه خلعة سنية لا تضاهى ومرتبة علية لا تباهى
وذلك انه ولد لصلبه ذكران عظيمان اسماعيل من هاجر ثم اسحاق من سارة وولد له يعقوب
وهو اسرائيل الذي ينتسب سائر اسباطهم فكانت فيهم النبوة وكثروا جدا بحيث لا يعلم
عددهم الا الذي بعثهم واختصهم بالرسالة والنبوة حتى ختموا بعيسى بن مريم من بني اسرائيل
واما اسماعيل عليه السلام فكانت منه العرب على اختلاف قبائلها كما سنبينه فيما بعد ان شاء
الله تعالى ولم يوجد من سلالته من الانبياء سوى خاتمهم على الاطلاق وسيدهم وفخر بني آدم في
الدنيا والاخرة محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم القرشي الهاشمي المكي ثم المدني
صلوات الله وسلامه عليه فلم يوجد من هذا الفرع الشريف والغصن المنيف سوى هذه
الجوهرة الباهرة والدرة الزاهرة وواسطة العقد الفاخرة وهو السيد الذي يفتخر به
اهل الجمع ويغبطه الاولون والاخرون يوم القيامة وقد ثبت عنه في صحيح مسلم كما
سنورده انه قال سأقوم مقاما يرغب الي الخلق كلهم حتى ابراهيم فمدح ابراهيم اباه مدحة
عظيمة في هذا السياق ودل كلامه على انه افضل الخلائق بعده عند الخلاق في هذه الحياة
ويوم يكشف عن ساق وقال البخاري ثنا عثمان بن ابي شيبة ثنا جرير عن منصور عن المنهال
عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال كان رسول الله يعوذ الحسن والحسين ويقول ان اباكما
كان يعوذ بها اسماعيل واسحاق اعوذ بكلمات الله التامة من كل شيطان وهامة ومن
كل عين لامة ورواه اهل السنن من حديث منصور به وقال تعالى واذ قال ابراهيم رب ارني
كيف تحيي الموتى قال اولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي قال فخذ اربعة من الطير فصرهن
اليك ثم اجعل على كل جبل منهن جزءا ثم ادعهن يأتينك سعيا واعلم ان الله عزيز حكيم ذكر
المفسرون لهذا اسبابا بسطناها في التفسير وقررناها باتم تقرير والحاصل ان الله عز
وجل اجابه الى ما سأل وامره ان يعمد الى اربعة من الطيور واختلفوا في تعيينها على اقوال
والمقصود حاصل على كل تقدير فامره ان يمزق لحومهن وريشهن ويخلط ذلك بعضه
في بعض ثم يقسمه قسما ويجعل على كل جبل منهن جزءا ففعل ما امر به ثم امر ان يدعوهن
باذن ربهن فلما دعاهن جعل كل عضو يطير الى صاحبه وكل ريشة تأتي الى اختها حتى اجتمع بدن
كل طائر على ما كان عليه وهو ينظر الى قدرة الذي يقول للشيء كن فيكون فاتين اليه سعيا ليكون
ابين له واوضح لمشاهدته من ان يأتين طيرانا ويقال انه امر ان يأخذ رؤوسهن في يده فجعل كل طير
يأتي فيلقيه رأسه فيتركب على جثته كما كان فلا اله الا الله وقد كان ابراهيم عليه السلام يعلم
قدرة الله على احياء الموتى علما يقينا لا يحتمل النقيض ولكن احب ان يشاهد ذلك عيانا ويترقى
من علم اليقين الى عين اليقين فاجابه الله الى سؤاله واعطاه غاية مأموله وقال تعالى يا اهل
الكتاب لم تحاجون في ابراهيم وما انزلت التوراة والانجيل الا من بعده افلا تعقلون ها انتم
هؤلاء حاججتم فيما لكم به علم فلم تحاجون فيما ليس لكم به علم والله يعلم وانتم لا تعلمون ما كان ابراهيم
يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما وما كان من المشركين ان اولى الناس بابراهيم للذين
اتبعوه وهذا النبي والذين امنوا والله ولي المؤمنين ينكر تعالى على اهل الكتاب من اليهود والنصارى
في دعوى كل من الفريقين كون الخليل على ملتهم وطريقتهم فبرأه الله منهم وبين كثرة جهلهم
وقلة عقلهم في قوله وما انزلت التوراة والانجيل الا من بعده اي فكيف يكون على دينكم وانتم
انما شرع لكم ما شرع بعده بمدد متطاولة ولهذا قال افلا تعقلون الى ان قال

ماكان

ما كان ابراهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما وما كان من المشركين فبين انه كان
على دين الله الحنيف وهو القصد الى الاخلاص والانحراف عمدا عن الباطل الى الحق الذي هو مخالف
لليهودية والنصرانية والمشركية كما قال تعالى ومن يرغب عن ملة ابراهيم الا من سفه نفسه
ولقد اصطفيناه في الدنيا وانه في الاخرة لمن الصالحين اذ قال له ربه اسلم قال اسلمت
لرب العالمين ووصى بها ابراهيم بنيه ويعقوب يا بني ان الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن
الا وانتم مسلمون ام كنتم شهداء اذ حضر يعقوب الموت اذ قال لبنيه ما تعبدون من بعدي
قالوا نعبد الهك واله ابائك ابراهيم واسماعيل واسحاق الها واحدا ونحن له مسلمون تلك
امة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا تسألون عما كانوا يعملون وقالوا كونوا
هودا او نصارى تهتدوا قل بل ملة ابراهيم حنيفا وما كان من المشركين قولوا امنا بالله وما انزل
الينا وما انزل الى ابراهيم واسماعيل واسحاق ويعقوب والاسباط وما اوتي موسى وعيسى وما
النبيون من ربهم لا نفرق بين احد منهم ونحن له مسلمون فان امنوا بمثل ما امنتم به فقد
اهتدوا وان تولوا فانما هم في شقاق فسيكفيكهم الله وهو السميع العليم صبغة الله ومن
احسن من الله صبغة ونحن له عابدون قل اتحاجوننا في الله وهو ربنا وربكم ولنا اعمالنا
ولكم اعمالكم ونحن له مخلصون ام يقولون ان ابراهيم واسماعيل واسحاق ويعقوب والاسباط
كانوا هودا او نصارى قل ءانتم اعلم ام الله ومن اظلم ممن كتم شهادة عنده من الله وما
الله بغافل عما تعملون تلك امة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا تسألون عما كانوا
يعملون فنزه الله عز وجل خليله عليه السلام عن ان يكون يهوديا او نصرانيا وبين انه انما
كان حنيفا مسلما ولم يك من المشركين ولهذا قال تعالى ان اولى الناس بابراهيم للذين
اتبعوه يعني الذين كانوا على ملته من اتباعه في زمانه ومن تمسك بدينه من بعدهم
وهذا النبي يعني محمدا صلى الله عليه وسلم فان الله شرع له الدين الحنيف الذي شرعه
للخليل وكمله الله تعالى له واعطاه ما لم يعط نبيا ولا رسولا قبله كما قال تعالى قل انني
هداني ربي الى صراط مستقيم دينا قيما ملة ابراهيم حنيفا وما كان من المشركين قل ان صلاتي
ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين لا شريك له وبذلك امرت وانا اول المسلمين وقال
تعالى ان ابراهيم كان امة قانتا لله حنيفا ولم يك من المشركين شاكرا لانعمه اجتباه وهداه
الى صراط مستقيم وآتيناه في الدنيا حسنة وانه في الاخرة لمن الصالحين ثم اوحينا اليك
ان اتبع ملة ابراهيم حنيفا وما كان من المشركين وقال البخاري حدثنا ابراهيم بن موسى ثنا
هشام عن معمر عن ايوب عن عكرمة عن ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم لما رأى الصور
في البيت لم يدخل حتى امر بها فمحيت ورأى ابراهيم واسماعيل بايديهما الازلام فقال
قاتلهم الله والله ان استقسما بالازلام قط لم يخرجه مسلم وفي بعض الفاظ البخاري
قاتلهم الله لقد علموا ان شيخنا لم يستقسم بها قط فقوله امة اي قدوة اماما مهتديا
داعيا الى الخير يقتدى به فيه قانتا لله اي خاشعا له في جميع حالاته وحركاته وسكناته
حنيفا اي مخلصا على بصيرة ولم يك من المشركين شاكرا لانعمه اي قائما بشكر ربه بجميع
جوارحه من قلبه ولسانه واعماله اجتباه اي اختاره الله لنفسه واصطفاه لرسالته
واتخذه خليلا وجمع له بين خيري الدنيا والاخرة وقال تعالى ومن احسن دينا ممن اسلم وجهه
لله وهو محسن واتبع ملة ابراهيم حنيفا واتخذ الله ابراهيم خليلا يرغب تعالى في اتباع

ابراهيم عليه السلام لانه كان على الدين القويم والصراط المستقيم وقد قام بجميع ما امره به
ربه ومدحه تعالى بذلك فقال وابراهيم الذي وفى ولهذا اتخذه الله خليلا والخلة هي غاية
المحبة كما قال بعضهم

قد تخللت مسلك الروح مني ٭ وبذا سمي الخليل خليلا

وهكذا نال هذه المرتبة خاتم الانبياء وسيد الرسل محمد صلوات الله وسلامه عليه كما ثبت
في الصحيحين وغيرهما من حديث جندب البجلي وعبد الله بن عمرو وابن مسعود عن رسول الله
انه قال ايها الناس ان الله اتخذني خليلا كما اتخذ ابراهيم خليلا وقال ايضا في اخر
خطبة خطبها ايها الناس لو كنت متخذا من اهل الارض خليلا لاتخذت ابا بكر خليلا ولكن
صاحبكم خليل الله اخرجاه من حديث ابي سعيد وثبت ايضا من حديث عبد الله بن الزبير
وابن عباس وابن مسعود وروى البخاري في صحيحه حدثنا سليمان بن حرب ثنا شعبة
عن حبيب بن ابي ثابت عن سعيد بن جبير عن عمرو بن ميمون قال ان معاذا لما قدم اليمن
صلى بهم الصبح فقرا واتخذ الله ابراهيم خليلا فقال رجل من القوم لقد قرت عين ام ابراهيم
وقال ابن مردويه ثنا عبد الرحيم بن محمد بن مسلم ثنا اسماعيل بن احمد بن اسيد ثنا ابراهيم
ابن يعقوب الجوزجاني بمكة ثنا عبد الله الحنفي ثنا زمعة بن صالح عن سلمة بن وهرام عن
عكرمة عن ابن عباس قال جلس ناس من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ينتظرونه
فخرج حتى اذا دنا منهم سمعهم يتذاكرون فسمع حديثهم واذا بعضهم يقول عجبا ان الله اتخذ
من خلقه خليلا فابراهيم خليله وقال اخر ماذا باعجب من ان الله كلم موسى تكليما وقال
اخر فعيسى روح الله وكلمته وقال اخر وادم اصطفاه الله فخرج عليهم فسلم وقال
قد سمعت كلامكم وعجبكم ان ابراهيم خليل الله وهو كذلك وموسى كليمه وهو كذلك وعيسى روحه
وكلمته وهو كذلك وادم اصطفاه الله وهو كذلك الا واني حبيب الله ولا فخر الا واني
اول شافع واول مشفع ولا فخر وانا اول من يحرك حلقة الجنة فيفتح الله فيدخلنيها
ومعي فقراء المؤمنين ولا فخر انا اكرم الاولين والاخرين يوم القيامة ولا فخر هذا حديث
غريب من هذا الوجه وله شواهد من وجوه اخر وروى الحاكم في مستدركه من حديث
قتادة عن عكرمة عن ابن عباس قال اتنكرون ان تكون الخلة لابراهيم والكلام لموسى والرؤية
لمحمد صلوات الله عليهم اجمعين وقال ابن ابي حاتم ثنا ابي ثنا محمود بن خالد السلمي حدثنا
الوليد عن اسحاق بن يسار قال لما اتخذ الله ابراهيم خليلا القى في قلبه الوجل حتى ان كان
خفقان قلبه ليسمع من بعيد كما يسمع خفقان الطير في الهواء وقال عبيد بن عمير كان
ابراهيم عليه السلام يضيف الناس فخرج يوما يلتمس انسانا يضيفه فلم يجد احدا يضيفه
فرجع الى داره فوجد فيها رجلا قائما فقال يا عبد الله ما ادخلك داري بغير اذني قال
دخلتها باذن ربها قال ومن انت قال انا ملك الموت ارسلني ربي الى عبد من عباده ابشره
بان الله قد اتخذه خليلا قال من هو فوالله ان اخبرتني به ثم كان باقصى البلاد لاتينه
ثم لا ابرح له جارا حتى يفرق بيننا الموت قال ذلك العبد انت قال انا قال نعم قال
فبم اتخذني خليلا قال انك تعطي الناس ولا تسالهم رواه ابن ابي حاتم وقد ذكره الله
تعالى في القران كثيرا في غير ما موضع بالثناء عليه والمدح له فقيل انه مذكور في خمسة
وثلاثين موضعا منها خمسة عشر في البقرة وحدها وهو احد اولي العزم الخمسة المنصوص

على اسمائهم

على اسمائهم تخصيصا من بين سائر الانبياء في ايتي الاحزاب والشورى وهما قوله تعالى
واذ اخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وابراهيم وموسى وعيسى ابن مريم واخذنا منهم
ميثاقا غليظا وقوله شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي اوحينا اليك وما وصينا
به ابراهيم وموسى وعيسى ان اقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه الاية ثم هو اشرف اولي العزم بعد
محمد صلى الله عليه وسلم وهو الذي وجده عليه السلام في السماء السابعة مسندا ظهره
بالبيت المعمور الذي يدخله كل يوم سبعون الفا من الملائكة ثم لا يعودون اليه اخر
ما عليهم وما وقع في حديث شريك بن ابي نمر عن انس في حديث الاسراء ان ابراهيم في السماء
السادسة وموسى في السابعة فمما انتقد على شريك في هذا الحديث والصحيح الاول
وقال احمد ثنا محمد بن بشر ثنا محمد بن عمرو ثنا ابو سلمة عن ابي هريرة قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ان الكريم ابن الكريم ابن الكريم ابن الكريم يوسف بن يعقوب بن اسحاق بن
ابراهيم خليل الرحمن تفرد به احمد وقال البخاري ثنا علي بن عبد الله ثنا يحيى بن سعيد
ثنا عبيد الله حدثني سعيد عن ابيه عن ابي هريرة قال قيل يا رسول الله من اكرم الناس
قال اتقاهم قالوا ليس عن هذا نسالك قال فيوسف نبي الله ابن نبي الله ابن نبي الله ابن خليل
الله قالوا ليس عن هذا نسالك قال فعن معادن العرب تسالوني خيارهم في الجاهلية
خيارهم في الاسلام اذا فقهوا وهكذا رواه البخاري في مواضع اخر ومسلم والنسائي من طرق
عن يحيى بن سعيد القطان عن عبيد الله وهو ابن عمر العمري به ثم قال البخاري قال ابو اسامة
ومعتمر عن عبيد الله عن سعيد عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قلت وقد اسنده
في موضع اخر من حديثهما ومن حديث عبدة بن سليمان والنسائي من حديث محمد بن بشر اربعتهم
عن عبيد الله بن عمر عن سعيد عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم ولم يذكروا اباه وقال
البخاري ثنا عبدة ثنا عبد الصمد بن عبد الرحمن عن ابيه عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم
قال الكريم ابن الكريم ابن الكريم يوسف بن يعقوب بن اسحاق بن ابراهيم تفرد به من طريق عبد
الرحمن بن عبد الله بن دينار عن ابيه عن ابن عمر به ثم مما يدل على ان ابراهيم افضل من موسى
على الحديث الصحيح الذي قال فيه واخرت الثالثة ليوم يرغب الي الخلق كلهم حتى ابراهيم
رواه مسلم من حديث ابي بن كعب رضي الله عنه وهذا هو المقام المحمود الذي اخبر عنه صلوات
الله وسلامه عليه بقوله انا سيد ولد ادم ولا فخر ثم ذكر استشفاع الناس بادم ثم بنوح
ثم ابراهيم ثم موسى ثم عيسى فكلهم يحيد عنها حتى ياتوا محمدا صلى الله عليه وسلم فيقول
انا لها انا لها الحديث بتمامه فاما الحديث الذي رواه الامام احمد ثنا يحيى عن سفيان
حدثني مغيرة بن النعمان عن سعيد بن جبير عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم يحشر
الناس حفاة عراة غرلا فاول من يكسى ابراهيم عليه السلام ثم قرا كما بدانا اول خلق نعيده
فاخرجاه في الصحيحين من حديث سفيان الثوري وشعبة بن الحجاج كلاهما عن مغيرة
بن النعمان النخعي الكوفي عن سعيد بن جبير عن ابن عباس نحوه عن النبي صلى الله عليه وسلم يحشر
الناس حفاة عراة وهذه الفضيلة المعينة لا تقتضي الافضلية بالنسبة الى ما قابلها
وما ثبت لصاحب المقام المحمود الذي يغبطه به الاولون والاخرون واما الحديث الاخر
الذي قال الامام احمد حدثنا وكيع وابو نعيم حدثنا سفيان هو الثوري عن مختار بن
بن فلفل عن انس بن مالك قال قال رجل للنبي صلى الله عليه وسلم يا خير البرية فقال

ذاك ابراهيم تفرد به مسلم من حديث الثوري وعبد الله بن ادريس وعلي بن مسهر ومحمد بن فضيل اربعتهم عن المختار بن فلفل وقال الترمذي حسن صحيح وهذا من باب الهضم والتواضع مع والده الخليل عليه السلام كما قال لا تفضلوني على الانبيا وقال لا تفضلوني على موسى فان الناس يصعقون يوم القيامة فاكون اول من يفيق فاجد موسى باطشا بقايمة العرش فلا ادري افاق قبلي ام جوزي بصعقة الطور وهذا كله لا ينافي ما ثبت بالتواتر عنه صلوات الله وسلامه عليه من انه سيد ولد ادم يوم القيامة وكذلك حديث ابي بن كعب في صحيح مسلم واخرت الثالثة ليوم يرغب الي الخلق كلهم حتى ابراهيم ولما كان ابراهيم عليه السلام افضل الرسل واولي العزم بعد محمد صلوات الله وسلامه عليهم اجمعين امر المصلي ان يقول في تشهده ما ثبت في الصحيحين من حديث كعب بن عجرة وغيره قال قلنا يا رسول الله هذا السلام عليك قد عرفناه فكيف الصلوة عليك قال قولوا اللهم صل على محمد كما صليت على ابراهيم وال ابراهيم وبارك على محمد وعلى ال محمد كما باركت على ابراهيم وال ابراهيم انك حميد مجيد وقال الله تعالى وابراهيم الذي وفى قالوا وفى جميع ما امر به وقام بجميع خصال الايمان وشعبه وكان لا يشغله مراعاة الامر الجليل عن القيام بمصلحة الامر القليل ولا ينسيه القيام باعبا المصالح الكبار عن الصغار قال عبد الرزاق انا معمر عن ابن طاوس عن ابيه عن ابن عباس واذ ابتلى ابرهيم ربه بكلمات فاتمهن قال ابتلاه الله بالطهارة خمس في الراس وخمس في الجسد في الراس قص الشارب والمضمضة والاستنشاق والسواك وفرق الراس وفي الجسد تقليم الاظفار وحلق العانة والختان ونتف الابط وغسل اثر الغايط والبول بالما رواه ابن ابي حاتم قال وروي عن سعيد بن المسيب ومجاهد والشعبي والنخعي وابي صالح وابي الخلد نحو ذلك قلت وفي الصحيحين عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال الفطرة خمس الختان والاستحداد وقص الشارب وتقليم الاظفار ونتف الابط وفي صحيح مسلم واهل السنن من حديث وكيع عن زكريا بن ابي زايدة عن مصعب بن شيبة العبدي المكي الحجبي عن طلق بن حبيب العنزي عن عبد الله بن الزبير عن عايشة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عشر من الفطرة قص الشارب واعفا اللحية والسواك واستنشاق الما وقص الاظفار وغسل البراجم ونتف الابط وحلق العانة وانتقاص الما قال مصعب ونسيت العاشرة الا ان تكون المضمضة قال وكيع انتقاص الما يعني الاستنجا وسياتي في ذكر مقدار عمره الكلام على الختان والمقصود انه عليه الصلاة والسلام كان لا يشغله القيام بالاخلاص لله عز وجل وخشوع العبادة العظيمة عن مراعاة مصلحة بدنه واعطا كل عضو ما يستحقه من الاصلاح والتحسين وازالة ما يشين من زيادة شعر او ظفر او وجود قلح او وسخ فهذا من جملة قوله تعالى في حقه من المدح العظيم وابراهيم الذي وفى

ذكر قصره في الجنة

قال الحافظ ابو بكر البزار ثنا احمد بن سنان القطان الواسطي ومحمد بن موسى القطان قالا ثنا يزيد بن هارون ثنا حماد بن سلمة عن سماك عن عكرمة عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بنحوه ثم قال وهذا الحديث لا نعلم رواه عن حماد بن سلمة مسندا

الا يزيد

الا يزيد بن هارون والنضر بن شميل وغيرهما يرويه موقوفا قلت لولا هذه العلة لكان على شرط الصحيح ولم يخرجوه

ذكر صفة ابراهيم عليه السلام

قال الامام احمد ثنا يونس وحجين قالا ثنا الليث عن ابي الزبير عن جابر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال عرض علي الانبيا فاذا موسى ضرب من الرجال كانه من رجال شنوة ورايت عيسى بن مريم فاذا اقرب من رايت به شبها عروة بن مسعود ورايت ابراهيم فاذا اقرب من رايت به شبها دحية تفرد به الامام احمد من هذا الوجه وبهذا اللفظ وقال احمد ثنا اسود بن عامر ثنا اسرايل عن عثمان يعني ابن المغيرة عن مجاهد عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رايت عيسى بن مريم وموسى وابراهيم فاما عيسى فاحمر جعد عريض الصدر واما موسى فادم جسيم قالوا له فابراهيم قال انظروا الى صاحبكم يعني نفسه وقال البخاري ثنا بيان بن عمرو ثنا النضر انا ابن عون عن مجاهد انه سمع ابن عباس وذكروا له الدجال بين عينيه كافر او ك ف ر فقال لم اسمعه ولكنه قال النبي صلى الله عليه وسلم اما ابراهيم فانظروا الى صاحبكم واما موسى فجعد ادم على جمل احمر مخطوم بخلبة كاني انظر اليه اذا انحدر في الوادي ورواه البخاري ايضا ومسلم عن محمد بن المثنى عن ابن ابي عدي عن عبد الله بن عون به وهكذا رواه البخاري ايضا في كتاب الحج وفي اللباس ومسلم جميعا عن محمد بن المثنى عن ابن ابي عدي عن عبد الله بن عون به

ذكر وفاة ابراهيم الخليل وما قيل في عمره

ذكر ابن جرير في تاريخه ان مولده كان في زمن النمرود بن كنعان وهو فيما قال الضحاك الملك المشهور الذي يقال انه ملك الف سنة وكان في غاية الغشم والظلم وذكر بعضهم انه من بني راسب الذين بعث اليهم نوح عليه السلام وانه كان اذ ذاك ملك الدنيا وذكروا انه طلع نجم اخفى ضوء الشمس والقمر فهال ذلك اهل ذلك الزمان وفزع النمرود فجمع الكهنة والمنجمين فسالهم عن ذلك فقالوا يولد مولود في رعيتك يكون زوال ملكك على يديه فامر عند ذلك بمنع الرجال عن النسا وان يقتل المولود من منذ ذلك الحين فكان مولد ابراهيم الخليل في ذلك الحين فحماه الله وصانه من كيد الفجار وشب شبابا باهرا وانبته الله نباتا حسنا حتى كان من امره ما تقدم وكان مولده بالسوس وقيل ببابل وقيل بالسواد من ناحية كوثى وتقدم عن ابن عباس انه ولد ببرزة شرقي دمشق فلما اهلك الله نمرود على يديه وهاجر الى حران ثم الى ارض الشام واقام ببلاد ايليا كما ذكرنا وولد له اسماعيل واسحاق وماتت سارة قبله بقرية حبرون التي في ارض كنعان ولها من العمر ماية وسبع وعشرون سنة فيما ذكر اهل الكتاب فحزن عليها ابراهيم عليه السلام ورثاها رحمها الله واشترى من رجل من بني حيث يقال له عفرون بن صخر مغارة باربعماية مثقال فضة ودفن فيها سارة هنالك قالوا ثم خطب ابراهيم على ابنه اسحاق فزوجه رفقا بنت بتويل بن ناحور بن تارح وبعث مولاه فحملها من بلادها ومعها مرضعتها وجواريها على الابل قالوا ثم تزوج ابراهيم عليه السلام قنطورا فولدت له زمران ويقشان ومادان ومدين وشياق وشوح وذكر ما ولد كل واحد من هولا الاولاد قنطورا وقد روى ابن عساكر عن غير واحد من السلف عن اخبار اهل الكتاب في صفة مجي ملك الموت الى ابراهيم عليه السلام اخبارا كثيرا الله

اعلم بصحتها وقد قيل ان السماة تجاه وكذا داود وسليمان والذي ذكره اهل الكتاب وغيرهم
خلاف ذلك قالوا ثم مرض ابراهيم عليه السلام ومات عن مائة وخمس وسبعين وقيل
وتسعين سنة ودفن في المغارة المذكورة التي كانت بحبرون الحيثي عند امرأته سارة التي
في مزرعة عفرون الحيثي وتولى دفنه اسماعيل عليه السلام واسحاق صلوات الله وسلامه
عليهم اجمعين وقد رواه الحافظ ابن عساكر من طريق عكرمة بن ابراهيم وجعفر بن عون العمري
عن يحيى بن سعيد عن سعيد عن ابي هريرة موقوفا وقد ورد انه عاش مائتي سنة
كما قاله ابن الكلبي فقال ابو حاتم بن حبان في صحيحه انا المفضل بن محمد الجندي بمكة
ثنا علي بن زياد اللحجي ثنا ابو قرة عن ابن جريج عن يحيى بن سعيد عن سعيد بن المسيب
عن ابي هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم اختتن بالقدوم وهو ابن عشرين ومائة سنة
وعاش بعد ذلك ثمانين سنة وقد رواه الحافظ ابن عساكر من طريق عكرمة بن ابراهيم
وجعفر بن عون العمري عن يحيى بن سعيد عن سعيد عن ابي هريرة موقوفا ثم قال
ابن حبان ذكر الخبر المدحض قول من زعم ان هذا الخبر وهم اخبرنا محمد بن عبد الله بن
الجنيد ببست ثنا قتيبة بن سعيد ثنا الليث عن ابن عجلان عن ابيه عن ابي هريرة
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اختتن ابراهيم حين بلغ عشرين ومائة سنة وعاش
بعد ذلك ثمانين سنة واختتن بالقدوم وقد رواه الحافظ ابن عساكر من طريق يحيى بن
سعيد عن ابن عجلان عن ابيه عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم وقد اتت عليه
ثمانون سنة ثم روى ابن حبان عن عبد الرزاق انه قال القدوم اسم القرية قلت
الذي في الصحيح انه اختتن وقد اتت عليه ثمانون سنة وفي رواية وهو ابن ثمانين
سنة وليس فيهما تعرض لما عاش بعد ذلك والله اعلم وقال محمد بن اسماعيل الحساني
الواسطي راوي تفسير وكيع عنه مما ذكره من الزيادات حدثنا ابو معاوية عن يحيى بن سعيد
عن سعيد بن المسيب عن ابي هريرة قال كان ابراهيم اول من تسرول واول من فرق
واول من استحد واول من اختتن بالقدوم وهو ابن عشرين ومائة سنة وعاش بعد
ذلك ثمانين سنة واول من قرى الضيف واول من شاب هكذا رواه موقوفا وهو اشبه
من المرفوع خلافا لابن حبان والله اعلم وقال مالك عن يحيى بن سعيد عن سعيد بن
المسيب قال كان ابراهيم اول من اضاف الضيف واول الناس اختتن واول الناس
قص شاربه واول الناس رأى الشيب فقال يا رب ما هذا فقال الله وقار فقال
يا رب زدني وقارا وزاد غيرهما واول من قص شاربه واول من استحد واول من لبس
السراويل فقبره وقبر ولده اسحاق وقبر ولد ولده يعقوب في المربعة التي بناها سليمان
بن داود عليه السلام ببلد حبرون وهو البلد المعروف بالخليل اليوم وهذا متلقى
بالتواتر امة بعد امة وجيلا بعد جيل من زمن بني اسرائيل والى زماننا هذا ان قبره في المربعة
تحقيقا فاما تعيينه منها فليس فيه خبر صحيح عن معصوم فينبغي ان تراعى تلك المحلة
وان تحترم احترام مثلها وان تبجل وان تجل ان يداس في ارجائها خشية ان يكون قبر
الخليل او احد اولاده الانبياء عليهم السلام تحتها وروى ابن عساكر بسنده الى وهب بن
منبه قال وجد عند قبر ابراهيم الخليل على حجر كتابة خلقة الهي جهل امله يموت من جاء اجله
ومن ذا من حتفه لم تغن عنه حيلته وكيف يبقى آخر من مات عنه اوله والمرء لا يصحبه في القبر

الا عمله

ذكر اولاد الخليل ابراهيم

اول من ولد له اسماعيل
من هاجر القبطية المصرية ثم ولد له اسحاق من سارة بنت عم الخليل ثم تزوج بعدهما قنطورا
بنت يقطن الكنعانية فولدت له ستة مدين وزمران وسرج ويقشان ونشق ولم
يسم السادس ثم تزوج بعدها حجون بنت امين فولدت له خمسة كيسان وسورج واميم
ولوطان ونافس هكذا ذكره ابو القاسم السهيلي في كتابه التعريف والاعلام

وما وقع في حياة ابراهيم الخليل من الامور العظيمة قصة قوم

لوط عليه السلام وما حل بهم من النقمة العميمة وذلك ان لوط بن هاران بن تارح وهو
آزر كما تقدم ولوط ابن اخي ابراهيم الخليل فابراهيم وهاران وناحور اخوة كما قدمنا ويقال
ان هاران هذا هو الذي بنى حران وهذا ضعيف لمخالفته ما بايدي اهل الكتاب والله
تعالى اعلم وكان لوط قد نزح عن محلة عمه الخليل عليهما السلام بامره له واذنه فنزل
بمدينة سدوم من ارض غور زغر وكانت ام تلك المحلة ولها اراض ومعتملات وقرى مضافة
اليها ولها اهل من افجر الناس واكفرهم واسوئهم طوية وارداهم سريرة وسيرة يقطعون
السبيل ويأتون في ناديهم المنكر ولا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون ابتدعوا
فاحشة لم يسبقهم اليها احد من بني آدم وهي اتيان الذكران من العالمين وترك ما خلق
الله من النسوان لعباده الصالحين فدعاهم لوط الى عبادة الله تعالى وحده لا شريك
له ونهاهم عن تعاطي هذه المحرمات والفواحش المنكرات والافاعيل المستقبحات فتمادوا
على ضلالهم وطغيانهم واستمروا على فجورهم وكفرانهم فاحل الله بهم من البأس الذي لا يرد
ما لم يكن في خلدهم وحسبانهم وجعلهم مثلة في العالمين وعبرة يتعظ بها الالباء من
العالمين ولهذا ذكر الله تعالى قصتهم في غير ما موضع من كتابه المبين فقال تعالى
في سورة الاعراف ولوطا اذ قال لقومه اتأتون الفاحشة ما سبقكم بها من احد من
العالمين انكم لتأتون الرجال شهوة من دون النساء بل انتم قوم مسرفون وما كان جواب
قومه الا ان قالوا اخرجوا آل لوط من قريتكم انهم اناس يتطهرون فانجيناه واهله الا امرأته
كانت من الغابرين وامطرنا عليهم مطرا فانظر كيف كان عاقبة المجرمين وقال تعالى
في سورة هود ولقد جاءت رسلنا ابراهيم بالبشرى قالوا سلاما قال سلام فما لبث
ان جاء بعجل حنيذ فلما رأى ايديهم لا تصل اليه نكرهم واوجس منهم خيفة قالوا لا تخف
انا ارسلنا الى قوم لوط وامرأته قائمة فضحكت فبشرناها باسحاق ومن وراء اسحاق يعقوب
قالت يا ويلتا أألد وانا عجوز وهذا بعلي شيخا ان هذا لشيء عجيب قالوا اتعجبين من
امر الله رحمة الله وبركاته عليكم اهل البيت انه حميد مجيد فلما ذهب عن ابراهيم الروع
وجاءته البشرى يجادلنا في قوم لوط ان ابراهيم لحليم اواه منيب يا ابراهيم اعرض عن هذا
انه قد جاء امر ربك وانهم آتيهم عذاب غير مردود ولما جاءت رسلنا لوطا سيء بهم
وضاق بهم ذرعا وقال هذا يوم عصيب وجاءه قومه يهرعون اليه ومن قبل
كانوا يعملون السيئات قال يا قوم هؤلاء بناتي هن اطهر لكم فاتقوا الله ولا تخزون في
ضيفي أليس منكم رجل رشيد قالوا لقد علمت ما لنا في بناتك من حق وانك لتعلم
ما نريد قال لو ان لي بكم قوة او آوي الى ركن شديد قالوا يا لوط انا رسل ربك لن يصلوا
اليك فاسر باهلك بقطع من الليل ولا يلتفت منكم احد الا امرأتك انه مصيبها ما اصابهم

انّ موعدهم الصبح أليس الصبح بقريب فلما جاء أمرنا جعلنا عاليها سافلها وأمطرنا
عليها حجارة من سجيل منضود مسوّمة عند ربك وما هي من الظالمين ببعيد وقال تعالى
في سورة الحجر ونبئهم عن ضيف ابراهيم اذ دخلوا عليه فقالوا سلاما قال انا منكم وجلون
قالوا لا توجل انا نبشرك بغلام عليم قال أبشرتموني على ان مسني الكبر فبم تبشرون قالوا
بشرناك بالحق فلا تكن من القانطين قال ومن يقنط من رحمة ربه الا الضالون
قال فما خطبكم ايها المرسلون قالوا انا ارسلنا الى قوم مجرمين الا آل لوط انا لمنجوهم
اجمعين الا امرأته قدرنا انها لمن الغابرين فلما جاء آل لوط المرسلون قال انكم قوم منكرون
قالوا بل جئناك بما كانوا فيه يمترون وأتيناك بالحق وانا لصادقون فأسر بأهلك
بقطع من الليل ولا يلتفت منكم احد وامضوا حيث تؤمرون وقضينا اليه ذلك الامر
(واتبع ادبارهم)
ان دابر هؤلاء مقطوع مصبحين وجاء اهل المدينة يستبشرون قال ان هؤلاء ضيفي
فلا تفضحون واتقوا الله ولا تخزون قالوا اولم ننهك عن العالمين قال هؤلاء بناتي
ان كنتم فاعلين لعمرك انهم لفي سكرتهم يعمهون فأخذتهم الصيحة مشرقين فجعلنا
عاليها سافلها وأمطرنا عليهم حجارة من سجيل ان في ذلك لآيات للمتوسمين وانها لبسبيل
مقيم ان في ذلك لآية للمؤمنين وقال تعالى في سورة الشعراء كذبت قوم لوط المرسلين
اذ قال لهم اخوهم لوط الا تتقون اني لكم رسول امين فاتقوا الله واطيعون وما اسألكم
عليه من اجر ان اجري الا على رب العالمين اتأتون الذكران من العالمين وتذرون ما خلق
لكم ربكم من ازواجكم بل انتم قوم عادون قالوا لئن لم تنته يا لوط لتكونن من المخرجين
قال اني لعملكم من القالين رب نجني واهلي مما يعملون فنجيناه واهله اجمعين الا عجوزا
في الغابرين ثم دمرنا الآخرين وأمطرنا عليهم مطرا فساء مطر المنذرين ان في ذلك لآية
وما كان اكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم وقال تعالى في سورة النمل ولوطا
اذ قال لقومه أتأتون الفاحشة وانتم تبصرون أئنكم لتأتون الرجال شهوة من دون
النساء بل انتم قوم تجهلون فما كان جواب قومه الا ان قالوا اخرجوا آل لوط من قريتكم
انهم اناس يتطهرون فأنجيناه واهله الا امرأته قدرناها من الغابرين وأمطرنا
عليهم مطرا فساء مطر المنذرين وقال تعالى في سورة العنكبوت ولوطا اذ قال لقومه
انكم لتأتون الفاحشة ما سبقكم بها من احد من العالمين أئنكم لتأتون الرجال
وتقطعون السبيل وتأتون في ناديكم المنكر فما كان جواب قومه الا ان قالوا ائتنا بعذاب
الله ان كنت من الصادقين قال رب انصرني على القوم المفسدين ولما جاءت رسلنا
ابراهيم بالبشرى قالوا انا مهلكوا اهل هذه القرية ان اهلها كانوا ظالمين قال ان فيها
لوطا قالوا نحن اعلم بمن فيها لننجينه واهله الا امرأته كانت من الغابرين ولما ان جاءت
رسلنا لوطا سيء بهم وضاق بهم ذرعا وقالوا لا تخف ولا تحزن انا
منجوك واهلك الا امرأتك كانت من الغابرين انا منزلون على اهل هذه القرية رجزا
من السماء بما كانوا يفسقون ولقد تركنا منها آية بينة لقوم يعقلون والى مدين اخاهم
شعيبا فقال يا قوم اعبدوا الله وارجوا اليوم الآخر ولا تعثوا في الارض مفسدين
وقد قال في سورة والصافات وان لوطا لمن المرسلين اذ نجيناه واهله اجمعين
الا عجوزا في الغابرين ثم دمرنا الآخرين وانكم لتمرون عليهم مصبحين وبالليل افلا تعقلون

وقال تعالى

وقال تعالى في الذاريات بعد قصة ضيف ابراهيم وبشارتهم اياه بغلام عليم قال فما خطبكم
ايها المرسلون قالوا انا ارسلنا الى قوم مجرمين لنرسل عليهم حجارة من طين مسومة عند
ربك للمسرفين فأخرجنا من كان فيها من المؤمنين فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين
وتركنا فيها آية للذين يخافون العذاب الاليم وقال في سورة الانشقاق كذبت قوم لوط
بالنذر انا ارسلنا عليهم حاصبا الا آل لوط نجيناهم بسحر نعمة من عندنا كذلك نجزي من شكر
ولقد انذرهم بطشتنا فتماروا بالنذر ولقد راودوه عن ضيفه فطمسنا اعينهم فذوقوا
عذابي ونذر ولقد صبحهم بكرة عذاب مستقر فذوقوا عذابي ونذر ولقد يسرنا القرآن
للذكر فهل من مدكر وقد تكلمنا على هذه القصص في اماكنها من هذه السور في التفسير
وقد ذكر الله لوطا وقومه في مواضع اخر من القرآن تقدم ذكرها مع قوم نوح وعاد وثمود
والمقصود الآن ايراد ما كان من امرهم وما احل الله بهم مجموعا من الآيات والآثار وبالله المستعان
وذلك ان لوطا عليه السلام لما دعاهم الى عبادة الله وحده لا شريك له ونهاهم عن تعاطي
ما ذكر الله عنهم من الفواحش فلم يستجيبوا له ولم يؤمنوا به حتى ولا رجل واحد منهم ولم
يتركوا ما عنه نهوا بل استمروا على حالهم فلم يرعووا عن غيهم وضلالهم وهموا باخراج رسولهم
من بين ظهرانيهم وما كان حاصل جوابهم عن خطابهم اذ كانوا لا يعقلون الا ان قالوا اخرجوا
آل لوط من قريتكم انهم اناس يتطهرون فجعلوا غاية المدح ذما يقتضي الاخراج وما حملهم
على مقالتهم هذه الا العناد واللجاج فطهره الله واهله الا امرأته واخرجهم منها احسن
الاخراج وتركهم في محلتهم خالدين لكن بعدما صيرها عليهم بحرة منتنة ذات امواج لكنها
عليهم في الحقيقة نار تأجج وحر يتوهج وماؤها ملح اجاج وما كان هذا جوابهم الا لما نهاهم
عن ارتكاب الطامة العظمى والفاحشة الكبرى التي لم يسبقهم اليها احد من العالمين اهل الدنيا
ولهذا صاروا مثلة فيها وعبرة لمن عليها وكانوا مع ذلك يقطعون الطريق ويخونون الرفيق
ويأتون في ناديهم وهو مجتمعهم ومحل حديثهم وسمرهم المنكر من الاقوال والافعال على اختلاف
اصنافهم حتى قيل انهم كانوا يتضارطون في مجالسهم ولا يستحيون من مجالسيهم وربما وقع
منهم الفعلة العظيمة في المحافل ولا يستنكفون ولا يرعوون لوعظ واعظ ولا نصيحة
من عاقل وكانوا في ذلك وغيره كالانعام بل اضل سبيلا ولم يقلعوا عما كانوا عليه في الحاضر
ولا ندموا على ما سلف من الماضي ولا راموا في المستقبل تحويلا فأخذهم الله اخذا وبيلا
وقالوا له فيما قالوا ائتنا بعذاب الله ان كنت من الصادقين فطلبوا منه وقوع ما حذرهم
عنه من العذاب الاليم وحلول البأس العظيم فعند ذلك دعا عليهم نبيهم الكريم فسأل رب
العالمين واله المرسلين ان ينصره على القوم المفسدين فغار الله لغيرته وغضب لغضبته
واستجاب لدعوته واجابه الى طلبته وبعث رسله الكرام وملائكته العظام فمروا على الخليل
ابراهيم وبشروه بالغلام العليم واخبروه بما جاءوا له من الامر الجسيم والخطب العظيم قال فما خطبكم
ايها المرسلون قالوا انا ارسلنا الى قوم مجرمين لنرسل عليهم حجارة من طين مسومة عند
ربك للمسرفين وقال ولما جاءت رسلنا ابراهيم بالبشرى قالوا انا مهلكوا اهل هذه القرية
ان اهلها كانوا ظالمين قال ان فيها لوطا قالوا نحن اعلم بمن فيها لننجينه واهله الا امرأته
كانت من الغابرين وقال الله تعالى فلما ذهب عن ابراهيم الروع وجاءته البشرى يجادلنا في قوم
لوط وذلك انه كان يرجو ان يجيبوا او ينيبوا او يسلموا او يقلعوا او يرجعوا ولهذا قال تعالى

ان ابراهيم لحليم اواه منيب يا ابراهيم اعرض عن هذا انه قد جاء امر ربك وانهم آتيهم عذاب غير مردود
اي اعرض عن هذا وتكلم في غيره فانه قد حتم امرهم ووجب عذابهم وتدميرهم وهلاكهم انه قد جاء
امر ربك اي قد امر به من لا يرد امره ولا يرد بأسه ولا معقب لحكمه وانهم آتيهم عذاب غير مردود وذكر
سعيد بن جبير والسدي وقتادة ومحمد بن اسحاق ان ابراهيم عليه السلام جعل يقول اتهلكون
قرية فيها ثلثمائة مؤمن قالوا لا قال فمائتا مؤمن قالوا لا قال فاربعون مؤمنا قالوا لا قال
فاربعة عشر مؤمنا قالوا لا قال ابن اسحاق الى ان قال قال افرأيتم ان كان فيها مؤمن واحد
قالوا لا قال فان فيها لوطا قالوا نحن اعلم بمن فيها الآية وعند اهل الكتاب انه قال
يا رب اتهلكهم وفيهم خمسون رجلا صالحا فقال الله لا اهلكهم وفيهم خمسون صالحون ثم
تنازل الى عشرة فقال الله لا اهلكهم وفيهم عشرة صالحون قال الله تعالى ولما جاءت رسلنا
لوطا سيء بهم وضاق بهم ذرعا وقال هذا يوم عصيب قال المفسرون لما فصلت الملائكة
من عند ابراهيم وهم جبريل وميكائيل واسرافيل اقبلوا حتى اتوا ارض سدوم في صور شباب
حسان اختبارا من الله تعالى لقوم لوط واقامة الحجة عليهم فاستضافوا لوطا عليه السلام
وذلك عند غروب الشمس فخشي ان لم يضيفهم ان يضيفهم غيره وحسبهم بشرا من الناس وسيء
بهم وضاق بهم ذرعا وقال هذا يوم عصيب قال ابن عباس ومجاهد وقتادة ومحمد بن اسحق
شديد بلاؤه وذلك لما يعلم من مدافعته الليلة عنهم كما كان يصنع بهم في غيرهم وكانوا قد
اشترطوا عليه ان لا يضيف احدا ولكن رأى من لا يمكن المحيد عنه وذكر قتادة انهم وردوا
عليه وهو في ارض له يعمل فيها فتضيفوه فاستحيا منهم وانطلق امامهم وجعل يعرض لهم
في الكلام لعلهم ينصرفون عن هذه القرية وينزلوا في غيرها فقال لهم فيما قال والله
يا هؤلاء ما اعلم على وجه الارض اهل بلد اخبث من هؤلاء ثم مشى قليلا ثم اعاد ذلك عليهم
حتى كرره اربع مرات قال وكانوا قد امروا ان لا يهلكوهم حتى يشهد عليهم نبيهم بذلك وقال
السدي خرجت الملائكة من عند ابراهيم نحو قرية لوط فاتوها نصف النهار فلما بلغوا سدوم
لقوا ابنة لوط تستقي من الماء لاهلها وكانت له ابنتان اسم الكبرى ريثا والصغرى ذعرتا
فقالوا لها يا جارية هل من منزل فقالت لهم مكانكم لا تدخلوا حتى آتيكم خوفة عليهم من
قومها فاتت اباها فقالت يا ابتاه ارادك فتيان على باب المدينة ما رأيت وجوه
قوم هي احسن منهم لا يأخذهم قومك فيفضحوهم وقد كان قومه نهوه ان يضيف رجلا
فجاء بهم فلم يعلم احد الا اهل البيت فخرجت امرأته فاخبرت قومها فقالت ان في بيت لوط
رجالا ما رأيت مثل وجوههم قط فجاءه قومه يهرعون اليه وقوله ومن قبل كانوا يعملون
السيئات اي هذا مع ما سلف لهم من الذنوب العظيمة الكبيرة الكثيرة قال يا قوم هؤلاء بناتي
هن اطهر لكم يرشدهم الى غشيان نسائهم وهن بناته شرعا لان النبي للامة بمنزلة الوالد كما
ورد في الحديث وكما قال تعالى النبي اولى بالمؤمنين من انفسهم وازواجه امهاتهم وفي قراءة
بعض الصحابة والسلف وهو اب لهم وهذا كقوله اتأتون الذكران من العالمين وتذرون
ما خلق لكم ربكم من ازواجكم بل انتم قوم عادون وهذا هو الذي نص عليه مجاهد وسعيد
ابن جبير والربيع بن انس وقتادة والسدي ومحمد بن اسحاق وهو الصواب والقول
الآخر خطأ ماخوذ من اهل الكتاب وقد تصحف عليهم كما اخطأوا في قولهم ان الملائكة كانوا
اثنين وانهم تعشوا عنده وقد خبط اهل الكتاب في هذه القصة تخبيطا عظيما وقوله

فاتقوا الله

واتقوا الله ولا تخزون في ضيفي أليس منكم رجل رشيد نهي لهم عن تعاطي ما لا يليق من
الفاحشة وشهادة عليهم بانه ليس فيهم رجل له مسكة ولا فيه خير بل الجميع سفهاء فجرة
اقوياء كفرة اغبياء وكان هذا من جملة ما اراد الملائكة ان يسمعوه منه من قبل ان يسألوه عنه
فقال قومه عليهم لعنة الله الحميد المجيد مجيبين لنبيهم فيما امرهم به من الامر السديد
لقد علمت ما لنا في بناتك من حق وانك لتعلم ما نريد يقولون عليهم لعائن الله لقد
علمت يا لوط انه لا ارب لنا في نسائنا وانك لتعلم مرادنا وغرضنا واجهوا بهذا الكلام
القبيح رسولهم الكريم ولم يخافوا سطوة العظيم ذي العذاب الاليم ولهذا قال عليه السلام
لو ان لي بكم قوة او آوي الى ركن شديد ود ان لو كان له بهم قوة او له منعة وعشيرة ينصرونه
عليهم ليحل بهم ما يستحقونه من العذاب على هذا الخطاب وقد قال الزهري عن سعيد
بن المسيب وابي سلمة عن ابي هريرة مرفوعا نحن احق بالشك من ابراهيم ويرحم الله لوطا لقد
كان يأوي الى ركن شديد ولو لبثت في السجن لبث يوسف لاجبت الداعي ورواه ابن
ابي الدنيا عن الاعرج عن ابي هريرة وقال محمد بن عمرو بن علقمة عن ابي سلمة عن ابي هريرة
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال رحمة الله على لوط لقد كان يأوي الى ركن شديد
يعني الله عز وجل فما بعث الله بعده من نبي الا في ثروة من قومه وقال تعالى وجاء اهل
المدينة يستبشرون قال ان هؤلاء ضيفي فلا تفضحون واتقوا الله ولا تخزون
قالوا اولم ننهك عن العالمين قال هؤلاء بناتي ان كنتم فاعلين فامرهم بقربان نسائهم
وحذرهم الاستمرار على طريقتهم وسيئاتهم هذا وهم في ذلك لا ينتهون ولا يرعوون بل
كلما نهاهم يبالغون في تحصيل هؤلاء الضيفان ويحرصون ولم يعلموا ما حم به القدر
مما هم اليه صائرون وصبيحة ليلتهم اليه منقلبون ولهذا قال تعالى مقسما بحياة
نبيه محمد صلوات الله وسلامه عليه لعمرك انهم لفي سكرتهم يعمهون وقال تعالى ولقد
انذرهم بطشتنا فتماروا بالنذر ولقد راودوه عن ضيفه فطمسنا اعينهم فذوقوا عذابي
ونذر ولقد صبحهم بكرة عذاب مستقر ذكر المفسرون وغيرهم ان نبي الله لوطا عليه السلام
جعل يمانع قومه الدخول ويدافعهم والباب مغلق وهم يرومون فتحه وولوجه وهو
يعظهم وينهاهم من وراء الباب وكلما لهم في الحاح والحاح فلما ضاق الامر وعسر الحال
وقال ما قال لو ان لي بكم قوة او آوي الى ركن شديد لاحللت بكم النكال قالت
الملائكة يا لوط انا رسل ربك لن يصلوا اليك وذكروا ان جبريل عليه السلام خرج عليهم
فضرب وجوههم خفقة بطرف جناحه فطمست اعينهم حتى قيل انها غارت بالكلية ولم يبق
لها محل ولا عين ولا اثر فرجعوا يتحسسون مع الحيطان ويتوعدون رسول الرحمان
ويقولون اذا كان الغد كان لنا وله شأن قال الله تعالى ولقد راودوه عن ضيفه
فطمسنا اعينهم فذوقوا عذابي ونذر ولقد صبحهم بكرة عذاب مستقر وذلك ان الملائكة
تقدمت الى لوط عليه السلام آمرين له بان يسري هو واهله من آخر الليل ولا يلتفت منكم
احد يعني عند سماع صوت العذاب اذا حل بقومه وامروه ان يكون سيره في آخرهم كالساقة
لهم وقوله الا امرأتك على قراءة النصب يحتمل ان يكون مستثنى من قوله فأسر باهلك كأنه
يقول الا امرأتك فلا تسر بها ويحتمل ان يكون من قوله ولا يلتفت منكم احد الا امرأتك اي فانها
ستلتفت فيصيبها ما اصابهم ويقوي هذا الاحتمال قراءة الرفع ولكن الاول اظهر في المعنى

والله اعلم قال التمثيل واسم امراة لوط والهة واسم امراة نوح والغة وقالوا له مبشرة
له بهلاك هولاء البغاة العتاة الملعوس المنظراء والاشباه الذين جعلهم الله سلفا لكل
خاين مريب ان موعدهم الصبح اليس الصبح بقريب فلما خرج لوط عليه السلام باهله وهما
ابنتاه ولم يتبعه منهم رجل واحد ويقال ان امراته خرجت معهم والله اعلم فلما خلصوا من
بلادهم وطلعت الشمس فكان عند شروقها جاءهم من امر الله ما لا يرد ومن الباس الشديد ما لا
يمكن ان يصد وعند اهل الكتاب ان الملايكة امروه ان يصعد الى راس الجبل الذي هناك
فاستبعده وسال منهم ان يذهب الى قرية قريبة منهم فقالوا اذهب فانا ننتظرك حتى
تصير اليها وتستقر فيها ثم نحل بهم العذاب فذكروا انه ذهب الى قرية صغر التي يقول
الناس عور زغر فلما اشرقت الشمس نزل بهم العذاب قال الله تعالى فلما جاء امرنا جعلنا عاليها
سافلها وامطرنا عليها حجارة من سجيل منضود مسومة عند ربك وما هي من الظالمين ببعيد
قالوا اقتلعهن جبريل بطرف جناحه من قرارهن وكن سبع مدن بمن فيهم من الامم يقال
انهم كانوا اربعماية الف نسمة وقيل اربعة الاف الف نسمة وما معهم من الحيوانات وما يتبع
تلك المدن من الاراضي والاماكن والمعتملات فرفع الجميع حتى بلغ بهن عنان السما حتى سمعت
الملايكة اصوات ديكتهم ونباح كلابهم ثم قلبها عليهم فجعل عاليها سافلها قال مجاهد
فكان اول ما سقط منها شرفاتها وامطرنا عليها حجارة من سجيل فارسي معرب وهو الشديد
الصلب القوي منضود اي يتبع بعضها بعضا في نزولها عليهم من السما مسومة اي معلمة
مكتوب على كل حجر اسم صاحبه الذي يهبط عليه فيدمغه كما قال مسومة عند ربك للمسرفين
وكما قال تعالى وامطرنا عليهم مطرا فسا مطر المنذرين وقال تعالى والموتفكة اهوى
فغشاها ما غشى فباي الا ربك تتمارى اي قلبها فاهوى بها منكسة عاليها سافلها وغشاها
بمطر من حجارة من سجيل متتابعة مسومة مرقومة على كل حجر اسم صاحبه الذي سقط عليه
من الحاضرين منهم في بلدهم والغايبين عنها من المسافرين والنازحين والشاذين منها ويقال
ان امراة لوط مكثت مع قومها ويقال انها خرجت مع زوجها وبنتيها ولكنها لما سمعت الصيحة
وسقوط البلدة التفتت الى قومها وخالفت امر ربها قديما وحديثا وقالت واقوماه فسقط
عليها حجر فدمغها والحقها بقومها اذ كانت على دينهم وكانت عينا لهم على من يكون عند لوط من
الضيفان كما قال تعالى ضرب الله مثلا للذين كفروا امراة نوح وامراة لوط كانتا تحت
عبدين من عبادنا صالحين فخانتاهما فلم يغنيا عنهما من الله شيا وقيل ادخلا النار مع
الداخلين اي خانتاهما في الدين فلم يتبعاهما فيه وليس المراد انهما كانتا على فاحشة حاشا
وكلا فان الله لا يقدر على نبيه ان يبغي امراته كما قال ابن عباس وغيره من ايمة السلف
والخلف ما بغت امراة نبي قط ومن قال خلاف هذا فقد اخطا خطا كبيرا قال الله تعالى
في قصة الافك لما انزل براءة ام المومنين عايشة بنت الصديق زوج رسول الله صلى الله
عليه وسلم حين قال لها اهل الافك ما قالوا فعاتب الله المومنين وانب وزجر ووعظ وحذر
وقال فيما قال اذ تلقونه بالسنتكم وتقولون بافواهكم ما ليس لكم به علم وتحسبونه هينا
وهو عند الله عظيم ولولا اذ سمعتموه قلتم ما يكون لنا ان نتكلم بهذا سبحانك هذا بهتان
عظيم اي سبحانك ان تكون زوجة نبيك بهذه المثابة وقوله وما هي من الظالمين
ببعيد اي وما هذه العقوبة ببعيدة ممن اشبههم في فعالهم ولهذا ذهب من ذهب

العلما الى ان اللايط يرجم سواء كان محصنا او لا نص عليه الشافعي واحمد بن حنبل وطايفة
كثيرة من الايمة واحتجوا ايضا بما رواه الامام احمد واهل السنن من حديث عمرو بن ابي عمرو
عن عكرمة عن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من وجدتموه يعمل عمل قوم
لوط فاقتلوا الفاعل والمفعول به وذهب ابو حنيفة الى ان اللايط يلقى من شاهق ويتبع
بالحجارة كما فعل بقوم لوط لقوله تعالى وما هي من الظالمين ببعيد وجعل الله مكان تلك
البلاد بحرة منتنة لا ينتفع بمايها ولا بما حولها من الاراضي المتاخمة لفنايها لرداءتها
ودناءتها فصارت عبرة ومثلة وعظة واية على قدرة الله تعالى وعظمته وعزته في انتقامه
ممن خالف امره وكذب رسله واتبع هواه وعصى مولاه ودليلا على رحمته بعباده المومنين
في انجايه اياهم من المهلكات واخراجه اياهم من النور من الظلمات كما قال تعالى ان في ذلك
لاية وما كان اكثرهم مومنين وان ربك لهو العزيز الرحيم وقال الله تعالى فاخذتهم
الصيحة مشرقين فجعلنا عاليها سافلها وامطرنا عليهم حجارة من سجيل ان في ذلك
لايات للمتوسمين وانها لبسبيل مقيم ان في ذلك لاية للمومنين اي من نظر بعين الفراسة
والتوسم فيهم كيف غير الله تلك البلاد واهلها وكيف جعلها بعد ما كانت اهلة عامرة
هالكة غامرة كما روى الترمذي وغيره مرفوعا اتقوا فراسة المومن فانه ينظر بنور الله
ثم قرا ان في ذلك لايات للمتوسمين وقوله وانها لبسبيل مقيم اي لبطريق مهيع مسلوك
الى الان كما قال وانكم لتمرون عليهم مصبحين وبالليل افلا تعقلون وقال تعالى
ولقد تركنا منها اية بينة لقوم يعقلون وقال تعالى فاخرجنا من كان فيها من المومنين
فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين وتركنا فيها اية للذين يخافون العذاب الاليم اي
تركناها عبرة وعظة لمن خاف عذاب الاخرة وخشي الرحمن بالغيب وخاف مقام ربه
ونهى النفس عن الهوى فانزجر عن محارم الله وترك معاصيه وخاف ان يشابه قوم لوط

بياض باصله

ومن تشبه بقوم فهو منهم وان لم يكن من كل وجه فمن بعض الوجوه كما قال بعضهم فان لم تكونوا
قوم لوط بعينهم
فما قوم لوط منكم ببعيد
فالعاقل اللبيب الخايف من ربه يمتثل ما امره به الله عز وجل ويقبل ما ارشده
اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم من اتيان ما خلق له من الزوجات الحلال والجواري من السراري ذوات
الجمال واياه ان يتبع كل شيطان مريد فيحق عليه الوعيد ويدخل في قوله تعالى وما
هي من الظالمين ببعيد

قصة مدين قوم شعيب عليه السلام

قال الله تعالى في سورة الاعراف بعد قصة قوم لوط والى مدين اخاهم شعيبا قال
يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره قد جاءتكم بينة من ربكم فاوفوا الكيل والميزان ولا
تبخسوا الناس اشياءهم ولا تفسدوا في الارض بعد اصلاحها ذلكم خير لكم ان كنتم مومنين
ولا تقعدوا بكل صراط توعدون وتصدون عن سبيل الله من امن به وتبغونها عوجا
واذكروا اذ كنتم قليلا فكثركم وانظروا كيف كان عاقبة المفسدين وان كان طايفة منكم
امنوا بالذي ارسلت به وطايفة لم يومنوا فاصبروا حتى يحكم الله بيننا وهو خير الحاكمين
قال الملا الذين استكبروا من قومه لنخرجنك يا شعيب والذين امنوا معك من قريتنا
او لتعودن في ملتنا قال اولو كنا كارهين قد افترينا على الله كذبا ان عدنا في ملتكم
بعد اذ نجانا الله منها وما يكون لنا ان نعود فيها الا ان يشاء الله ربنا وسع ربنا كل شي علما على

الله توكلنا ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق وانت خير الفاتحين وقال الملأ الذين
كفروا من قومه لئن اتبعتم شعيبا انكم اذا لخاسرون فاخذتهم الرجفة فاصبحوا في دارهم
جاثمين الذين كذبوا شعيبا كان لم يغنوا فيها الذين كذبوا شعيبا كانوا هم الخاسرين فتولى عنهم
وقال يا قوم لقد ابلغتكم رسالات ربي ونصحت لكم فكيف آسى على قوم كافرين وقال في سورة هود
بعد قصة قوم لوط ايضا والى مدين اخاهم شعيبا قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره
ولا تنقصوا المكيال والميزان اني اراكم بخير واني اخاف عليكم عذاب يوم محيط ويا قوم
اوفوا المكيال والميزان بالقسط ولا تبخسوا الناس اشياءهم ولا تعثوا في الارض مفسدين
بقية الله خير لكم ان كنتم مؤمنين وما انا عليكم بحفيظ قالوا يا شعيب اصلواتك تامرك
ان نترك ما يعبد آباؤنا او ان نفعل في اموالنا ما نشاء انك لانت الحليم الرشيد قال
يا قوم ارايتم ان كنت على بينة من ربي ورزقني منه رزقا حسنا وما اريد ان اخالفكم الى ما انهاكم
عنه ان اريد الا الاصلاح ما استطعت وما توفيقي الا بالله عليه توكلت واليه انيب ويا قوم
لا يجرمنكم شقاقي ان يصيبكم مثل ما اصاب قوم نوح او قوم هود او قوم صالح وما قوم
لوط منكم ببعيد واستغفروا ربكم ثم توبوا اليه ان ربي رحيم ودود قالوا يا شعيب ما نفقه
كثيرا مما تقول وانا لنراك فينا ضعيفا ولولا رهطك لرجمناك وما انت علينا بعزيز
قال يا قوم ارهطي اعز عليكم من الله واتخذتموه وراءكم ظهريا ان ربي بما تعملون محيط ويا قوم
اعملوا على مكانتكم اني عامل سوف تعلمون من ياتيه عذاب يخزيه ومن هو كاذب وارتقبوا
اني معكم رقيب ولما جاء امرنا نجينا شعيبا والذين آمنوا معه برحمة منا واخذت الذين
ظلموا الصيحة فاصبحوا في ديارهم جاثمين كان لم يغنوا فيها الا بعدا لمدين كما بعدت
ثمود وقال في الحجر بعد قصة قوم لوط ايضا وان كان اصحاب الايكة لظالمين فانتقمنا
منهم وانهما لبامام مبين وقال تعالى في سورة الشعراء بعد قصتهم كذب اصحاب الايكة
المرسلين اذ قال لهم شعيب الا تتقون اني لكم رسول امين فاتقوا الله واطيعون وما
اسالكم عليه من اجر ان اجري الا على رب العالمين اوفوا الكيل ولا تكونوا من المخسرين وزنوا
بالقسطاس المستقيم ولا تبخسوا الناس اشياءهم ولا تعثوا في الارض مفسدين واتقوا
الذي خلقكم والجبلة الاولين قالوا انما انت من المسحرين وما انت الا بشر مثلنا وان نظنك
لمن الكاذبين فاسقط علينا كسفا من السماء ان كنت من الصادقين قال ربي اعلم بما تعملون
فكذبوه فاخذهم عذاب يوم الظلة انه كان عذاب يوم عظيم ان في ذلك لآية وما كان اكثرهم
مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم كان اهل مدين قوما عربا يسكنون مدينتهم مدين التي
هي قرية من ارض معان من اطراف الشام مما يلي ناحية الحجاز قريبا من بحيرة قوم لوط وكانوا
بعدهم بمدة قريبة ومدين قبيلة عرفت بهم المدينة وهم من بني مدين بن مديان بن ابراهيم
الخليل وشعيب نبيهم هو ابن ميكيل بن يشجن ذكره ابن اسحاق قال ويقال له
بالسريانية يثرون وفي هذا نظر ويقال شعيب بن يشخر بن لاوي بن يعقوب ويقال
شعيب بن نويب بن عيفا بن مدين بن ابراهيم ويقال شعيب بن صيفور بن عيفا
بن ثابت بن مدين بن ابراهيم وقيل غير ذلك في نسبه قال ابن عساكر ويقال جدته
ويقال امه بنت لوط وكان ممن آمن بابراهيم وهاجر معه ودخل معه دمشق وعن وهب
ابن منبه انه قال كان شعيب وملغم ممن آمن بابراهيم يوم احرق بالنار وهاجر معه الى الشام

وتزوجهما بنتي لوط عليه السلام ذكره ابن قتيبة وفي هذا كله نظر والله تعالى اعلم وذكر
ابو عمر بن عبد البر في الاستيعاب بلا اسناد في ترجمة سلمة بن سعيد العنزي قدم على رسول
الله فاسلم وانتسب الى عنزة فقال نعم الحي عنزة مبغي عليهم منصورون رهط شعيب
واختان موسى فلو صح هذا لدل على ان شعيبا صهر موسى وانه من قبيلة من العرب العاربة
يقال لهم عنزة لا انهم من عنزة بن اسد بن ربيعة بن نزار بن معد بن عدنان فان هؤلاء بعده
بدهر طويل والله اعلم وكان اهل مدين كفارا يقطعون السبيل ويخيفون المارة ويعبدون
الايكة وهي شجرة من الايك حولها غيضة ملتفة بها وكانوا من اسوا الناس معاملة يبخسون
المكيال والميزان ويطففون فيهما ياخذون بالزائد ويدفعون بالناقص فبعث الله
فيهم رجلا منهم وهو رسول الله شعيب عليه السلام فدعاهم الى عبادة الله وحده لا شريك
له ونهاهم عن تعاطي هذه الافعال القبيحة من بخس الناس اشياءهم واخافتهم
لهم في سبلهم وطرقاتهم فآمن به بعضهم وكفر اكثرهم حتى احل الله بهم الباس الشديد
وهو الولي الحميد كما قال تعالى والى مدين اخاهم شعيبا قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم
من اله غيره قد جاءتكم بينة من ربكم اي دلالة وحجة واضحة وبرهان قاطع على صدق ما جئتكم
به وانه ارسلني وهو ما اجرى الله على يديه من المعجزات التي لم ينقل الينا تفصيلها وان
كان هذا اللفظ قد دل عليها اجمالا فاوفوا الكيل والميزان بالقسط ولا تبخسوا الناس
اشياءهم ولا تفسدوا في الارض بعد اصلاحها امرهم بالعدل ونهاهم عن الظلم وتوعدهم
على خلاف ذلك فقال ذلكم خير لكم ان كنتم مؤمنين ولا تقعدوا بكل صراط توعدون
وتصدون عن سبيل الله من آمن به وتبغونها عوجا واذكروا اذ كنتم قليلا فكثركم نهاهم
عن قطع الطريق الحسية الدنيوية والمعنوية الدينية واذكروا اذ كنتم قليلا فكثركم
وانظروا كيف كان عاقبة المفسدين ذكرهم بنعمة الله عليهم في تكثيرهم بعد القلة وحذرهم
نقمة الله عليهم ان خالفوا ما ارشدهم اليه ودلهم عليه كما قال لهم في القصة الاخرى
ولا تنقصوا المكيال والميزان اني اراكم بخير واني اخاف عليكم عذاب يوم محيط اي لا تركبوا
ما انتم عليه وتستمروا فيه فيمحق الله بركة ما بايديكم ويفقركم ويذهب ما به يغنيكم وهذا
مضاف الى عذاب الآخرة ومن جمع له هذا وهذا فقد باء بالصفقة الخاسرة فنهاهم اولا عن
تعاطي ما لا يليق من التطفيف وحذرهم سلب نعمة الله عليهم في دنياهم وعذابه الاليم
في اخراهم وعنفهم اشد تعنيف ثم قال لهم آمرا بعد ما كان عن ضده زاجرا ويا قوم اوفوا
المكيال والميزان بالقسط ولا تبخسوا الناس اشياءهم ولا تعثوا في الارض مفسدين بقية
الله خير لكم ان كنتم مؤمنين وما انا عليكم بحفيظ قال ابن عباس والحسن البصري بقية
الله خير لكم اي رزق الله خير لكم من اخذ اموال الناس وقال ابن جرير ما يفضل لكم من الربح
بعد وفاء الكيل والميزان خير لكم من اخذ اموال الناس بالتطفيف قال وقد روي هذا عن
ابن عباس وهذا الذي قاله وحكاه حسن وهو شبيه بقوله تعالى قل لا يستوي الخبيث
والطيب ولو اعجبك كثرة الخبيث فاتقوا الله يعني ان القليل من الحلال خير من كثير من الحرام
فان الحلال مبارك وان قل والحرام ممحوق وان كثر كما قال تعالى يمحق الله الربا ويربي
الصدقات وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الربا وان كثر فان مصيره الى رواه احمد
قل اي الى قلة وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم البيعان بالخيار ما لم يتفرقا فان

صدقا وبينا بورك لهما في بيعهما وان كتما وكذبا محقت بركة بيعهما والمقصود ان الربح
الحلال المبارك فيه وان قل خير من الحرام الماحق وان كثر ولهذا قال نبي الله شعيب بقية الله
خير لكم ان كنتم مؤمنين وقوله وما انا عليكم بحفيظ اي افعلوا ما امركم به ابتغاء وجه الله
ورجاء ثوابه لا لاراكم انا وغيري قالوا يا شعيب اصلوتك تامرك ان نترك ما يعبد اباؤنا
او ان نفعل في اموالنا ما نشاء انك لانت الحليم الرشيد يقولون هذا على سبيل الاستهزاء
والتنقص والتهكم اصلوتك هذه التي تصليها هي الامرة لك بان تحجر علينا فلا نعبد
الا الاهك ونترك ما كان يعبد اباؤنا الاقدمون واسلافنا الاولون او ان لا نتعامل
الا على الوجه الذي ترتضيه انت ونترك المعاملات التي تاباها وان كنا نحن نرضاها انك
لانت الحليم الرشيد قال ابن عباس وميمون بن مهران وابن جريج وزيد بن اسلم وابن جرير
يقولون ذلك اعداء الله على سبيل الاستهزاء قال يا قوم ارايتم ان كنت على بينة من ربي
ورزقني منه رزقا حسنا وما اريد ان اخالفكم الى ما انهاكم عنه ان اريد الا الاصلاح ما استطعت
وما توفيقي الا بالله عليه توكلت واليه انيب هذا تلطف معهم في العبارة ودعوة لهم الى
الحق بابين اشارة يقول لهم ارايتم ايها المكذبون ان كنت على بينة من ربي اي على امر بين من
الله تعالى انه ارسلني اليكم ورزقني منه رزقا حسنا وما اريد ان اخالفكم الى ما انهاكم عنه ان
اريد الا الاصلاح ما استطعت وما توفيقي الا بالله عليه توكلت واليه انيب يعني النبوة
والرسالة يعني وعمي عليكم معرفتها فاي حيلة لي بكم وهذا كما تقدم عن نوح عليه السلام انه
قال لقومه سواء وقوله وما اريد ان اخالفكم الى ما انهاكم عنه اي لست امركم بالامر الا وانا
اول فاعل له واذا نهيتكم عن الشيء فانا اول من يتركه وهذه هي الصفة المحمودة العظيمة
وضدها هي المردودة الذميمة كما تلبس بها علماء بني اسرائيل في اخر زمانهم وخطباؤهم
الجاهلون كما قال تعالى اتامرون الناس بالبر وتنسون انفسكم وانتم تتلون الكتاب
افلا تعقلون وذكرنا عندها في الصحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال
يؤتى بالرجل فيلقى في النار فتندلق اقتاب بطنه اي تخرج امعاؤه من بطنه فيدور كما
يدور الحمار برحاه فيجتمع اليه اهل النار فيقولون يا فلان ما لك الم تكن تامر بالمعروف
وتنهى عن المنكر فيقول بلى كنت امر بالمعروف ولا اتيه وانهى عن المنكر واتيه فهذه صفة مخالفي
الانبياء من الفجار والاشقياء فاما السادة من النجباء والالباء من العلماء الذين يخشون ربهم
بالغيب فحالهم كما قال نبي الله شعيب وما اريد ان اخالفكم الى ما انهاكم عنه ان اريد الا
الاصلاح ما استطعت اي ما اريد في جميع امري الا الاصلاح في الفعال والمقال بجهدي
وطاقتي وما توفيقي اي في جميع احوالي الا بالله عليه توكلت واليه انيب اي عليه اتوكل في سائر
الامور واليه مرجعي ومصيري في كل امري وهذا مقام ترغيب ثم انتقل الى نوع من الترهيب
فقال ويا قوم لا يجرمنكم شقاقي ان يصيبكم مثل ما اصاب قوم نوح او قوم هود او قوم
صالح وما قوم لوط منكم ببعيد اي لا يحملنكم مخالفتي وبغضكم ما جئتكم به على الاستمرار
على ضلالكم وجهلكم ومخالفتكم فيحل الله بكم من العذاب والنكال نظير ما احله الله بنظرائكم
واشباهكم من قوم نوح وقوم هود وقوم صالح من المكذبين المخالفين وقوله وما قوم لوط منكم
ببعيد قيل معناه في الزمان اي ما بالعهد من قدم مما قد بلغكم ما احل بهم على كفرهم وعتوهم
وقيل معناه وهم منكم ببعيد في المحلة والمكان وقيل في الصفات والافعال المستقبحة

من قطع

من قطع الطريق واخذ اموال الناس جهرة وخفية بانواع الحيل والشبهات والجمع بين
هذه الاقوال ممكن فانهم لم يكونوا بعيدين منهم لا زمانا ولا مكانا ولا صفات ثم مزج الترهيب
بالترغيب فقال واستغفروا ربكم ثم توبوا اليه ان ربي رحيم ودود اي اقلعوا عما انتم
فيه وتوبوا الى ربكم الرحيم الودود فانه من تاب اليه تاب عليه فانه رحيم بعباده ارحم
بهم من الوالدة بولدها ودود وهو الحبيب ولو بعد التوبة على عبده ولو من الموبقات
العظام قالوا يا شعيب ما نفقه كثيرا مما تقول وانا لنراك فينا ضعيفا روي عن ابن
عباس وسعيد بن جبير والثوري انهم قالوا كان ضرير البصر وقد روي في حديث مرفوع
انه بكى من حب الله حتى عمي فرد الله عليه بصره وقال يا شعيب اتبكي خوفا من النار او
شوقا الى الجنة فقال بل محبتك فاذا نظرت اليك فلا ابالي ماذا تصنع بي فاوحى الله اليه
هنيئا لك يا شعيب لقائي فلذلك اخدمتك موسى بن عمران كليمي رواه الواحدي
عن ابي الفتح محمد بن علي الكوفي عن علي بن الحسن بن بندار عن ابي عبد الله محمد بن
اسحاق الرملي عن هشام بن عمار عن اسماعيل بن عياش عن يحيى بن سعيد عن شداد بن
اوس عن النبي صلى الله عليه وسلم بنحوه وهو غريب جدا وقد ضعفه الخطيب البغدادي
وقولهم ولولا رهطك لرجمناك وما انت علينا بعزيز وهذا من كفرهم البليغ وعنادهم
الشنيع حيث قالوا ما نفقه كثيرا مما تقول اي ما نفهمه ولا نعقله لانا لا نحبه ولا نريده
وليس لنا همة اليه ولا اقبال عليه وهو كما قال كفار قريش لرسول الله صلى الله عليه
وسلم وقالوا قلوبنا في اكنة مما تدعونا اليه وفي اذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب
فاعمل اننا عاملون وقولهم وانا لنراك فينا ضعيفا اي مضطهدا مهجورا ولولا رهطك
اي قبيلتك وعشيرتك فينا لرجمناك وما انت علينا بعزيز قال يا قوم ارهطي اعز
عليكم من الله اي جعلتم جانب الله وراء ظهوركم واتخذتموه وراءكم ظهريا ان ربي بما تعملون
محيط اي هو عليم بما تعملونه وما تصنعونه محيط بذلك كله وسيجزيكم عليه يوم ترجعون
اليه ويا قوم اعملوا على مكانتكم اني عامل سوف تعلمون من ياتيه عذاب يخزيه ومن
هو كاذب وارتقبوا اني معكم رقيب وهذا امر تهديد شديد ووعيد اكيد بان يستمروا
على طريقتهم ومنهجهم وشاكلتهم فسوف تعلمون من تكون له عاقبة الدار ومن يحل
عليه الهلاك والبوار من ياتيه عذاب يخزيه اي في هذه الحيوة الدنيا ويحل عليه
عذاب مقيم اي في الاخرى ومن هو كاذب اي مني ومنكم فيما اخبر وبشر وحذر وارتقبوا اني
معكم رقيب وهذا كقوله وان كان طائفة منكم امنوا بالذي ارسلت به وطائفة لم يؤمنوا
فاصبروا حتى يحكم الله بيننا وهو خير الحاكمين قال الملا الذين استكبروا من قومه لنخرجنك
يا شعيب والذين امنوا معك من قريتنا او لتعودن في ملتنا قال اولو كنا كارهين قد افترينا
على الله كذبا ان عدنا في ملتكم بعد اذ نجانا الله منها وما كان لنا ان نعود فيها الا ان يشاء
الله ربنا وسع ربنا كل شيء علما على الله توكلنا ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق وانت
خير الفاتحين طلبوا بزعمهم ان يردوا من امن منهم الى ملتهم فانتصب شعيب للمحاجة عن
قومه فقال اولو كنا كارهين اي هؤلاء لا يعودون اليكم اختيارا وانما يعودون اليكم ان
عادوا اضطرارا مكرهين وذلك لان الايمان اذا خالطت بشاشته القلوب لا يسخطه
احد ولا يرتد احد عنه ولا محيد لاحد عنه ولهذا قال قد افترينا على الله كذبا ان عدنا

في ملتكم بعد إذ نجانا الله منها وما يكون لنا أن نعود فيها إلا أن يشاء الله ربنا وسع ربنا كل شيء علما على الله توكلنا ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق وأنت خير الفاتحين أي فهو كافينا وهو العاصم لنا وإليه ملجأنا في جميع أمرنا ثم استفتح على قومه واستنصر ربه عليهم في تعجيل ما يستحقونه إليهم فقال ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق وأنت خير الفاتحين أي الحاكمين فدعا عليهم والله لا يرد دعاء رسله إذا استنصروه على الذين جحدوه وكفروه ورسوله خالفوه ومع هذا صمموا على ما هم عليه مشتملون وبه متلبسون وقال الملأ الذين كفروا من قومه لئن اتبعتم شعيبا إنكم إذا لخاسرون قال الله تعالى فأخذتهم الرجفة فأصبحوا في دارهم جاثمين ذكر في سورة الأعراف أنهم أخذتهم رجفة أي رجفت بهم أرضهم وزلزلت زلزالا شديدا أزهقت أرواحهم من أجسادها وصيرت حيوانات أرضهم كجمادها وأصبحت جثثهم جاثية لا أرواح فيها ولا حركات بها ولا حواس لها وقد جمع الله عليهم أنواعا من العقوبات وصنوفا من المثلات وأشكالا من البليات وذلك لما اتصفوا به من قبيح الصفات سلط عليهم رجفة شديدة أسكنت الحركات وصيحة عظيمة أخمدت الأصوات وظلة أرسل عليهم منها شرر النار من سائر أرجائها والجهات ولكنه تعالى أخبر عنهم في كل سورة بما يناسب سياقها ويوافق طباقها في سياق قصة الأعراف أرجفوا نبي الله وأصحابه وتوعدوهم بالإخراج من قريتهم أو ليعودن في ملتهم راجعين فقال تعالى فأخذتهم الرجفة فأصبحوا في دارهم جاثمين وذلك لأنهم قالوا لنبي الله على سبيل التهكم والاستهزاء أصلاتك تأمرك أن نترك ما يعبد آباؤنا أو أن نفعل في أموالنا ما نشاء إنك لأنت الحليم الرشيد فكان أنسب ذكر الصيحة التي كالزجر عن تعاطي هذا الكلام القبيح الذي واجهوا به هذا الرسول الكريم الأمين الفصيح فجاءتهم صيحة أسكتتهم مع رجفة أسكنتهم وأما في سورة الشعراء فذكر أنه أخذهم عذاب يوم الظلة وكان ذلك إجابة لما طلبوا وتقريبا لما إليه رغبوا فإنهم قالوا إنما أنت من المسحرين وما أنت إلا بشر مثلنا وإن نظنك لمن الكاذبين فأسقط علينا كسفا من السماء إن كنت من الصادقين قال ربي أعلم بما تعملون قال الله وهو السميع العليم فكذبوه فأخذهم عذاب يوم الظلة إنه كان عذاب يوم عظيم ومن زعم من المفسرين كقتادة وغيره أن أصحاب الأيكة أمة أخرى غير أهل مدين فقوله ضعيف وإنما عمدتهم شيئان أحدهما أنه قال كذب أصحاب الأيكة المرسلين إذ قال لهم شعيب ولم يقل أخوهم كما قال وإلى مدين أخاهم شعيبا والثاني أنه ذكر عذابهم بيوم الظلة وذكر في أولئك الرجفة أو الصيحة والجواب عن الأول أنه لم يذكر الأخوة بعد قوله كذب أصحاب الأيكة المرسلين لأنه وصفهم بعبادة الأيكة فلا يناسب ذكر الأخوة ههنا ولما نسبهم إلى القبيلة ساغ ذكر شعيب أخوهم وهذا الفرق من النفائس اللطيفة العزيزة الشريفة وأما احتجاجهم بيوم الظلة فإن كان دليلا بمجرده على أن هؤلاء أمة أخرى فليكن تعداد الانتقام بالرجفة والصيحة دليلا على أنهما أمتان أخريان وهذا لا يقوله أحد يفهم شيئا من هذا الشأن ثم قد ذكر الله عن أهل الأيكة من المذمة ما ذكره عن أهل مدين من التطفيف في المكيال والميزان فدل على أنهم أمة واحدة أهلكوا بأنواع من العذاب وذكر في كل موضع ما يناسب ذلك الخطاب وقوله فأخذهم عذاب يوم الظلة إنه كان عذاب يوم عظيم

ذكروا

ذكروا أنهم أصابهم حر شديد وأسكن الله هبوب الهواء عنهم سبعة أيام فكان لا ينفعهم مع ذلك ماء ولا ظل ولا دخولهم في الأسراب فهربوا من محلتهم إلى البرية فأظلتهم سحابة فاجتمعوا تحتها ليستظلوا بظلها فلما تكاملوا فيه أرسلها الله ترميهم بشرر وشهب ورجفت بهم الأرض وجاءتهم صيحة من السماء فأزهقت الأرواح وخربت الأشباح فأصبحوا في ديارهم جاثمين الذين كذبوا شعيبا كأن لم يغنوا فيها الذين كذبوا شعيبا كانوا هم الخاسرين ونجى الله شعيبا ومن معه من المؤمنين كما قال تعالى وهو أصدق القائلين ولما جاء أمرنا نجينا شعيبا والذين آمنوا معه برحمة منا وأخذت الذين ظلموا الصيحة فأصبحوا في ديارهم جاثمين كأن لم يغنوا فيها ألا بعدا لمدين كما بعدت ثمود وقال تعالى وقال الملأ من قومه لئن اتبعتم شعيبا إنكم إذا لخاسرون فأخذتهم الرجفة فأصبحوا في دارهم جاثمين الذين كذبوا شعيبا كأن لم يغنوا فيها الذين كذبوا شعيبا كانوا هم الخاسرين وهذا في مقابلة قولهم لئن اتبعتم شعيبا إنكم إذا لخاسرون ثم ذكر تعالى عن نبيهم أنه نعاهم إلى أنفسهم موبخا ومؤنبا ومقرعا فقال تعالى فتولى عنهم وقال يا قوم لقد أبلغتكم رسالات ربي ونصحت لكم فكيف آسى على قوم كافرين أي أعرض عنهم موليا عن محلتهم بعد هلكتهم قائلا يا قوم لقد أبلغتكم رسالات ربي ونصحت لكم أي قد أديت ما كان واجبا علي من البلاغ التام والنصح الكامل وحرصت على هدايتكم بكل ما أقدر عليه وأتوصل إليه فلم ينفعكم ذلك لأن الله لا يهدي من يضل وما لهم من ناصرين فلست آسف بعد هذا عليكم لأنكم لم تكونوا تقبلون النصيحة ولا تخافون يوم الفضيحة ولهذا قال فكيف آسى على قوم كافرين أي لا يقبلون الحق ولا يرجعون إليه ولا يلتفتون عليه فحل بهم من بأس الله الذي لا يرد ما لا يدافع ولا يمانع ولا محيد لأحد أريد به عنه ولا مناص عنه

باب ذكر ذرية إبراهيم عليه الصلاة والتسليم

قد قدمنا قصته مع قومه وما كان من أمرهم وما آل إليه أمره عليه السلام والتحية والإكرام وذكرنا ما وقع في زمانه من قصة قوم لوط وأتبعنا ذلك بقصة مدين قوم شعيب عليه السلام لأنها قرينتها في كتاب الله عز وجل في مواضع متعددة فذكر تعالى بعد قصة قوم لوط قصة مدين وهم أصحاب الأيكة على الصحيح كما قدمنا فذكرناها تبعا لما اقتدى بالقرآن العظيم ثم نشرع الآن في الكلام على تفصيل ذرية إبراهيم عليه السلام لأن الله جعل في ذريته النبوة والكتاب فكل نبي أرسل بعده فمن ذريته

ذكر إسماعيل عليه السلام

وقد كان للخليل بنون كما ذكرنا ولكن أشهرهم الأخوان العظيمان النبيان الرسولان أسنهما وأجلهما الذي هو الذبيح على الصحيح إسماعيل بكر إبراهيم الخليل من هاجر القبطية المصرية عليها السلام من العظيم الجليل ومن قال أن الذبيح هو إسحق فإنما تلقاه من نقلة بني إسرائيل الذين بدلوا وحرفوا وأولوا التوراة والإنجيل وخالفوا ما بأيديهم في هذا من التنزيل فإن إبراهيم أمر بذبح ولده البكر وفي رواية الوحيد وأيا ما كان فهو إسماعيل بنص الدليل فنقول في نص كتابهم أن إسماعيل ولد لإبراهيم من العمر ست وثمانون سنة وإنما ولد إسحق بعد مضي مائة سنة من عمر الخليل فإسماعيل هو البكر لا محالة وهو الوحيد صورة ومعنى على كل حال لأنما في التوراة فلأنه كان وحده ولده

الذبيح على الصحيح
إسماعيل عليه السلام

ابن ثلاث عشرة سنة وأما أنه وحيد في المعنى فإنه هو الذي هاجر به أبوه ومعه
أمه هاجر وكان صغيرا رضيعا فيما قيل فوضعهما في وهاد جبال فاران وهي الجبال التي
حول مكة نعم المقيل وتركهما هنالك ليس معهما من الزاد والماء إلا القليل وذلك ثقة
بالله وتوكلا عليه فحاطهما الله بعنايته وكفايته فنعم الحسيب والكافي والوكيل
والكفيل فهذا هو الولد الوحيد في الصورة والمعنى ولكن أين من يتفطن لهذا السر
وأين من يحل بهذا المحل والمعنى لا يدركه ويحيط بعلمه إلا كل نبيه نبيل وقد أثنى الله
تعالى عليه ووصفه بالحلم والصبر وصدق الوعد والمحافظة على الصلاة والأمر بها
لأهله ليقيهم العذاب مع ما كان يدعو إليه من عبادة رب الأرباب قال الله فبشرناه بغلام
حليم فلما بلغ معه السعي قال يا بني إني أرى في المنام أني أذبحك فانظر ماذا ترى قال
يا أبت افعل ما تؤمر ستجدني إن شاء الله من الصابرين فطاوع أباه على ما إليه دعاه ووعده
بأن سيصبر فوفى بذلك وصبر على ذلك وقال تعالى واذكر في الكتاب إسماعيل إنه كان
صادق الوعد وكان رسولا نبيا وكان يأمر أهله بالصلاة والزكاة وكان عند ربه مرضيا وقال
تعالى واذكر عبادنا إبراهيم وإسحاق ويعقوب أولي الأيدي والأبصار إنا أخلصناهم
بخالصة ذكرى الدار وإنهم عندنا لمن المصطفين الأخيار واذكر إسماعيل واليسع وذا
الكفل وكل من الأخيار وقال تعالى وإسماعيل وإدريس وذا الكفل كل من الصابرين وأدخلناهم
في رحمتنا إنهم من الصالحين وقال تعالى إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح والنبيين
من بعده وأوحينا إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط الآية ونظيرتها
في السورة الأخرى وقال تعالى أم يقولون إن إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب
والأسباط كانوا هودا أو نصارى قل أأنتم أعلم أم الله الآية فذكر الله عنه كل صفة
جميلة وجعله نبيه ورسوله وبرأه من كل ما نسب إليه الجاهلون وأمر بأن يؤمن بما
أنزل عليه عباده المؤمنون وذكر علماء النسب وأيام الناس أنه أول من ركب الخيل
وكانت قبل ذلك وحوشا فآنسها وركبها وقد قال سعيد بن يحيى الأموي في مغازيه
ثنا شيخ من قريش ثنا عبد الملك بن عبد العزيز عن عبد الله بن عمر أن رسول الله صلى
الله عليه وسلم قال اتخذوا الخيل واعتبقوها فإنها ميراث أبيكم إسماعيل وكانت
هذه العراب وحشا فدعا لها بدعوته التي كان أعطي فأجابته وإنه أول من تكلم
بالعربية الفصيحة البليغة وكان قد تعلمها من العرب العاربة الذين نزلوا عندهم
بمكة من جرهم والعماليق وأهل اليمن من الأمم المتقدمين من العرب قبل الخليل قال
الأموي حدثني علي بن المغيرة ثنا أبو عبيدة ثنا مسمع بن مالك عن محمد بن علي بن
الحسين عن آبائه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال أول من فتق لسانه بالعربية
البينة إسماعيل وهو ابن أربع عشرة سنة فقال له يونس صدقت يا أبا سيار هكذا
أبو جري حدثني وقد قدمنا أنه تزوج لما شب من العماليق امرأة وأن أباه أمره بفراقها
قال الأموي عمارة بنت سعد بن أكيل العماليقي ثم نكح غيرها فأمره أن يستمر بها فاستمر
بها وهي السيدة بنت مضاض بن عمرو الجرهمي وقيل هذه ثالثة فولدت له اثني
خ ومنشا — عشر ولدا ذكرا وقد سماهم محمد بن إسحاق رحمه الله وهم نابت وقيذر وأذبل وميشا ومسمع
وماش ودوما وآذر ويطور ونبش وطيما وقيذما وهكذا ذكرهم أهل الكتاب في كتابهم

خ وادر خ وطوح
خ وقيما خ تيمار

وعندهم

وعندهم أنهم الاثنا عشر عظيما المبشر بهم المتقدم ذكرهم وكذبوا في تأويلهم ذلك وكان
إسماعيل عليه السلام رسولا إلى أهل تلك الناحية وما والاها من قبائل جرهم والعماليق
وأهل اليمن صلوات الله وسلامه عليه ولما حضرته الوفاة أوصى إلى أخيه إسحاق وزوج
ابنته نسمة من العيص بن إسحاق ابن أخيه فولدت له الروم ويقال لهم بنو الأصفر
لصفرة كانت في العيص وولدت له اليونان في أحد الأقوال ومن ولد العيص الأشبان
قيل منهما أيضا وتوقف ابن جرير ودفن نبي الله إسماعيل بالحجر مع أمه هاجر وكان
عمره يوم مات مائة وسبعا وثلاثين سنة وروي عن عمر بن عبد العزيز أنه قال شكى إسماعيل
عليه السلام إلى ربه عز وجل حر مكة فأوحى الله إليه إني سأفتح لك بابا إلى الجنة إلى الموضع
الذي تدفن فيه يجري عليك روحها إلى يوم القيامة وعرب الحجاز كلهم ينتسبون
إلى ولديه نابت وقيذار وسنتكلم على أحياء العرب وبطونها وعمائرها وقبائلها وعشائرها
من لدن إسماعيل عليه السلام إلى زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك إذا انتهينا
إلى أيام السيرة الشريفة وسيرته المنيفة بعد الفراغ من أخبار أنبياء بني إسرائيل إلى زمان
عيسى بن مريم ختام أنبيائهم ومحقق أنبائهم ثم نذكر ما كان في زمن بني إسرائيل ثم ما وقع
في أيام الجاهلية ثم ينتهي الكلام إلى سيرة نبينا رسول الله إلى العرب والعجم وسائر
صنوف بني آدم من الأمم إن شاء الله وبه الثقة وعليه التكلان ولا حول ولا قوة إلا
بالله العلي العظيم العزيز الحكيم

ذكر إسحاق بن إبراهيم الكريم بن الكريم عليهما السلام

قد قدمنا أنه ولد ولأبيه مائة سنة بعد أخيه إسماعيل بأربع عشرة سنة وكان عمر أمه سارة
حين بشرت به تسعين سنة قال الله تعالى وبشرناه بإسحاق نبيا من الصالحين
وباركنا عليه وعلى إسحاق ومن ذريتهما محسن وظالم لنفسه مبين وقد ذكره الله تعالى
بالثناء عليه في غير ما آية من كتابه العزيز وقدمنا في حديث أبي هريرة عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم أن الكريم بن الكريم بن الكريم بن الكريم يوسف بن يعقوب بن
إسحاق بن إبراهيم وذكر أهل الكتاب أن إسحاق لما تزوج رفقا بنت بتوايل في حياة أبيه
كان عمره أربعين سنة وأنها كانت عاقرا فدعا الله لها فحملت فولدت غلامين توأمين
أولهما اسمه عيصو وهو الذي تسميه العرب العيص وهو والد الروم والثاني
خرج وهو آخذ بعقب أخيه فسموه يعقوب وهو إسرائيل الذي ينتسب إليه بنو إسرائيل
قالوا وكان إسحاق يحب العيصو أكثر من يعقوب لأنه بكره وكانت أمهما رفقا تحب يعقوب
أكثر لأنه الأصغر قالوا فلما كبر إسحاق وضعف بصره اشتهى على ابنه العيص طعاما
وأمره أن يذهب فيصطاد له صيدا ويطبخه له ليبارك عليه ويدعو له وكان العيص
صاحب صيد فذهب يبتغي ذلك فأمرت رفقا ابنها يعقوب أن يذبح جديين من خيار
غنمه ويصنع منهما طعاما كما اشتهاه أبوه ويأتي إليه به قبل أخيه ليدعو له فقامت
فألبسته ثياب أخيه وجعلت على ذراعيه وعنقه من جلد الجديين لأن العيص كان أشعر
الجسد ويعقوب ليس كذلك فلما جاءه به وقربه إليه قال من أنت قال ولدك فضمه
إليه وجسه وجعل يقول أما الصوت فصوت يعقوب وأما الجس والثياب فالعيص
فلما أكل وفرغ دعا له أن يكون أكبر إخوته قدرا وكلمته عليهم وعلى الشعوب بعده وأن يكثر

ورزقه وولده فلما خرج من عنده جاء اخوه العيص بما امره به والده فقربه اليه فقال
له ما هذا يا بني قال له الطعام الذي اشتهيته فقال له اما جئتني به قبل الساعة واكلت
منه ودعوت لك فقال لا والله وعرف ان اخاه قد سبقه الى ذلك فوجد في نفسه عليه
وجدا كثيرا وذكروا انه تواعده بالقتل اذا مات ابوهما وسال اباه فدعا له بدعوة اخرى
وان يجعل لذريته غليظ الارض وان يكثر ارزاقهم وثمارهم فلما سمعت امهما ما يتواعد به
العيص اخاه يعقوب امرت ابنها يعقوب ان يذهب الى اخيها لابان الذي بارض حران وان
يكون عنده الى حين يسكن غضب اخيه عليه وان يتزوج من بناته وقالت لزوجها اسحاق
ان يامره بذلك ويوصيه ويدعو له ففعل فخرج يعقوب عليه السلام من عندهم من اخر
ذلك اليوم فادركه المسا في موضع فنام فيه اخذ حجرا فوضعه تحت راسه ونام فراى
في نومه ذلك معراجا منصوبا من السما الى الارض واذا الملائكة يصعدون فيه وينزلون
والرب تبارك وتعالى يخاطبه ويقول له اني سابارك عليك واكثر ذريتك واجعل لك
هذه الارض ولعقبك من بعدك فلما هب من نومه فرح بما راى ونذر لله لين رجع الى اهله
سالما ليبنين في هذا الموضع معبدا لله عز وجل وان جميع ما يرزقه من شي يكون لله عشره
ثم عمد الى ذلك الحجر فجعل عليه دهنا يتعرفه به وسمى ذلك الموضع بيت ايل اي بيت الله
وهو موضع بيت المقدس اليوم الذي بناه يعقوب بعد ذلك على ما سياتي قالوا
فلما قدم يعقوب على خاله ارض حران اذا له ابنتان اسم الكبرى ليا واسم الصغرى راحيل
فخطب اليه راحيل وكانت احسنهما واجملهما فاجابه الى ذلك بشرط ان يرعى على غنمه
سبع سنين فلما مضت المدة عمل خاله لابان طعاما وجمع الناس عليه وزف اليه
ابنته الكبرى ليا وكانت ضعيفة العينين قبيحة المنظر فلما اصبح يعقوب اذا هي
ليا فقال لخاله لم غدرت بي وانما خطبت اليك راحيل فقال انه ليس من سنتنا
ان نزوج الصغرى قبل الكبرى فان احببت اختها فاعمل سبع سنين اخرى وازوجكها فعمل
سبع سنين وادخلها عليه مع اختها وكان ذلك سايغا في ملتهم ثم نسخ في شريعتنا التورية
وهذا وحده دليل كاف على النسخ لان فعل يعقوب عليه السلام دليل على جواز هذا واباحته
لانه معصوم ووهب لابان لكل واحدة من ابنتيه جارية فوهب لليا جارية اسمها
زلفا ووهب لراحيل جارية اسمها بلها وجبر الله تعالى ضعف ليا بان وهب لها اولادا
فكان اول من ولدت ليعقوب روبيل ثم شمعون ثم لاوي ثم يهودا فغارت عند ذلك
راحيل وكانت لا تحبل فوهبت ليعقوب جاريتها بلها فوطيها فحملت وولدت له غلاما سمته
دان وحملت وولدت غلاما اخر سمته نفتالي فعمدت عند ذلك ليا فوهبت جاريتها
زلفا من يعقوب عليه السلام فولدت له جادا واشير غلامين ذكرين ثم حملت ليا ايضا
فولدت غلاما خامسا منها وسمته ايسا خر ثم حملت وولدت غلاما سادسا سمته
زابلون وولدت بنتا سمتها دنيا فصار لها سبعة من يعقوب ثم دعت الله تعالى
راحيل وسالته ان يهب لها غلاما من يعقوب فسمع الله نداها واجاب دعاها فحملت
من نبي الله يعقوب فولدت له غلاما عظيما شريفا حسنا جميلا سمته يوسف كل هذا وهم
مقيمون بارض حران وهو يرعى على خاله غنمه بعد دخوله على البنتين ست سنين اخرى
اخرى فصارت مدة مقامه عشرين سنة فطلب يعقوب من خاله لابان ان يسرحه ليمر

الحامل

الحامل فقال له خاله لابان قد بورك لي بسببك فسلني من مالي ما شيت فقال تعطيني
كل حمل يولد من غنمك هذه السنة ابقع وكل حمل يلمع ابيض بسواد وكل املح ببياض وكل اجلح
ابيض من المعز فقال نعم فعمد بنوه فابرزوا من غنم ابيهم ما كان على هذه الصفات من
التيوس ليلا يولد شي من الحملان على هذه الصفات وساروا بها مسيرة ثلاثة ايام عن غنم
ابيهم قالوا فعمد يعقوب عليه السلام الى قضبان رطبة بيض من لوز ودلب فكان يقشرها
بلقا وينصبها في سقي الغنم من المياه لينظر الغنم اليها فتفزع وتتحرك اولادها في بطونها
فتصير الوان حملانها كذلك وهذا يكون من باب خوارق العادات وينتظم في سلك المعجزات
فصار ليعقوب عليه السلام اغنام كثيرة ودواب وعبيد وتغير له وجه خاله وبنيه وكانهم
انحصروا منه واوحى الله الى يعقوب ان يرجع الى بلاد ابيه وقومه ووعده بان يكون معه فعرض
ذلك على اهله فاجابوه مبادرين الى طاعته فتحمل باهله وسرقت راحيل اصنام ابيها فلما جاوزوا
وتحيزوا عن بلادهم لحقهم لابان وقومه فلما اجتمع لابان بيعقوب عاتبه في خروجه بغير علمه
وهلا اعلمه فيخرجهم في فرح ومزاهر وطبول وحتى يودع بناته واولاده ومن ولم اخذوا اصنامه
معهم ولم يكن عند يعقوب علم من اصنامه فانكر ان يكون اخذوا له اصناما فدخل بيوت
بناته واماتهن يفتش فلم يجد شيا وكانت راحيل قد جعلتهن في برذعة الجمل وهي تحتها
فلم تقم واعتذرت بانها طامث فلم تقدر عليهن فعند ذلك تواثقوا على رابية هناك
يقال لها جلعاد على انه لا يهين بناته ولا يتزوج عليهن ولا يجاوز هذه الرابية الى بلاد
الاخر لا لابان ولا يعقوب وعملا طعاما واكل القوم معهم وودع كل منهما الاخر وتفارقوا
راجعين الى بلادهم فلما اقترب يعقوب من ارض ساعير تلقته الملائكة يبشرونه
وبعث يعقوب البرد الى اخيه العيص يترفق له ويتواضع له فرجعت البرد واخبرت يعقوب
بان العيص قد ركب اليك في اربعماية راجل فخشي يعقوب من ذلك ودعا الله عز وجل
وصلى له وتضرع اليه وتمسكن لديه وناشده عهده ووعده الذي وعده به وسال ان
يكف عنه شر اخيه العيص واعد لاخيه هدية عظيمة وهي مايتا شاة وعشرون تيسا وعشرون
اتانا وعشرة من الحمر وامر عبيده ان يسوقوا كلا من هذه الاصناف وحده وليكن بين كل
قطيع وقطيع مسافة فاذا لقيهم العيص فقال للاول لمن انت ولمن هذه معك فليقل
لعبدك يعقوب اهداها لسيدي العيص وليقل الذي بعده كذلك وكذا الذي بعده
وكذا الذي بعده ويقول كل منهم وهو جاي بعدنا وتاخر يعقوب بزوجتيه وامتيه
وبنيه الاحد عشر بعد الكل بليلتين وجعل يسير فيهما ليلا ويكمن نهارا فلما كان وقت
الفجر من الليلة الثانية تبدا له ملك من الملائكة في صورة رجل فظنه يعقوب رجلا
من الناس فاتاه ليصارعه ويغالبه فظهر عليه يعقوب فيما يرى الا ان الملك اصاب
وركه فعرج يعقوب فلما اضاء الفجر قال له الملك ما اسمك قال يعقوب قال لا ينبغي
ان تدعى بعد اليوم الا اسرائيل فقال له يعقوب ومن انت وما اسمك فذهب عنه فعلم
انه ملك من الملائكة واصبح يعقوب وهو يعرج من رجله فلذلك لا ياكل بنوا اسرائيل
عرق النسا ورفع يعقوب عينيه فاذا اخوه عيصو قد اقبل في اربعمائة راجل فتقدم امام
اهله فلما راى اخاه العيص سجد له سبع مرات وكانت هذه تحيتهم في ذلك الزمان وكان
مشروعا لهم كما سجدت الملائكة لادم تحية وكما سجد اخوة يوسف وابواه له كما سياتي فلما

وأما العيص فتقدم إليه واحتضنه وقبله وبكى ورفع العيص عينيه ونظر إلى النساء
والصبيان فقال من أين لك هؤلاء فقال هؤلاء الذين وهب الله لعبدك فدنت الأمتان
وبنوهما فسجدوا له ودنت ليا وبنوها فسجدوا له ودنت راحيل وابنها يوسف فخرا سجدا
له وعرض عليه أن يقبل هديته وألح عليه فقبلها ورجع العيص فتقدم أمامه ولحقه يعقوب
بأهله وما معه من الأنعام والمواشي والعبيد قاصدين جبال ساعير فلما مر بساحور ابتنى له
بيتا ولدوابه ظلالا ثم مر على أورشليم قرية شخيم فنزل قبل القرية واشترى مزرعة بني
جمور أبي شخيم بمائة نعجة فضرب هنالك فسطاطه وابتنى مذبحا فسماه إيل إله إسرائيل
وأمره الله ببنائه ليستعلن له فيه وهو بيت المقدس اليوم الذي جدده بعد ذلك سليمان
بن داود عليه السلام وهو مكان الصخرة التي أعلمها بوضع الدهن عليها قبل ذلك كما ذكرنا
أولا وذكر أهل الكتاب ههنا قصة دينا بنت يعقوب بن ليا وما كان من أمرها مع شخيم بن
جمور الذي قهرها على نفسها وأدخلها منزله ثم خطبها من أبيها وإخوتها فقال إخوتها
إلا أن تختتنوا كلكم فنصاهركم وتصاهرونا فإنا لا نصاهر قوما غلفا فأجابوهم إلى
ذلك واختتنوا كلهم فلما كان اليوم الثالث واشتد وجعهم من ألم الختان مال عليهم بنو
يعقوب فقتلوهم عن آخرهم وقتلوا شخيما وأباه جمورا لقبيح ما صنعوا إليهم مضافا إلى
كفرهم وما كانوا يعبدونه من أصنامهم فلهذا قتلهم بنو يعقوب وأخذوا أموالهم غنيمة
ثم حملت راحيل فولدت غلاما وهو بنيامين إلا أنها جهدت في طلقها به جهدا وماتت
عقيبه فدفنها يعقوب في أفراث وهي بيت لحم وصنع يعقوب على قبرها حجرا وهي الحجارة
المعروفة بقبر راحيل إلى اليوم وكان أولاد يعقوب الذكور اثني عشر رجلا فمن ليا روبيل
وشمعون ولاوي ويهوذا وإيساخر وزابلون ومن راحيل يوسف وبنيامين ومن أمة راحيل
دان ونفتالي ومن أمة ليا حاذ وأشير عليهم السلام وجاء يعقوب إلى أبيه إسحاق فأقام
عنده بقرية حبرون التي في أرض كنعان حيث كان يسكن إبراهيم ثم مرض إسحاق ومات
عن مائة وثمانين سنة ودفنه ابناه العيص ويعقوب مع أبيه إبراهيم الخليل في المغارة التي
اشتراها كما قدمنا

ذكر ما وقع من الأمور العجيبة في حياة إسرائيل
فمن ذلك قصة يوسف بن راحيل

وقد أنزل الله عز وجل في شأنه وما كان من أمره سورة من القرآن العظيم ليتدبر ما فيها من
الحكم والمواعظ والآداب والأمر الحكيم أعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم
الر تلك آيات الكتاب المبين إنا أنزلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون نحن نقص
عليك أحسن القصص بما أوحينا إليك هذا القرآن وإن كنت من قبله لمن الغافلين
قد تكلمنا على الحروف المقطعة في أوائل تفسير سورة البقرة فمن أراد تحقيقه فلينظر
ثم وتكلمنا على هذه السورة مستقصى في موضعها من التفسير ونحن نذكر ههنا نبذا مما
هنالك على وجه الإيجاز والنجاز وجملة القول في هذا المقام أنه تعالى يمدح كتابه العظيم
الذي أنزله على عبده ورسوله الكريم بلسان عربي فصيح واضح بين جلي يفهمه كل عاقل ذكي
زكي فهو أشرف زمان ومكان بأفصح لغة وأظهر بيان فإن كان السياق في الأخبار الماضية
أو الآتية ذكر أحسنها وأبينها وأظهر الحق مما اختلف الناس فيه ودمغ الباطل وزيفه
ورده وإن كان في الأوامر والنواهي فأعدل الشرائع وأوضح المناهج وأبين حكما وأعدل حكما

فهو كما قال

فهو كما قال وتمت كلمات ربك صدقا وعدلا يعني صدقا في الأخبار عدلا في الأوامر
والنواهي ولهذا قال تعالى نحن نقص عليك أحسن القصص بما أوحينا إليك هذا
القرآن وإن كنت من قبله لمن الغافلين أي بالنسبة إلى ما أوحي إليك فيه كما قال
تعالى وكذلك أوحينا إليك روحا من أمرنا ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان ولكن جعلناه
نورا نهدي به من نشاء من عبادنا وإنك لتهدي إلى صراط مستقيم صراط الله الذي له ما في
السموات وما في الأرض ألا إلى الله تصير الأمور وقال تعالى كذلك نقص عليك من أنباء
ما قد سبق وقد آتيناك من لدنا ذكرا من أعرض عنه فإنه يحمل يوم القيامة وزرا خالدين فيه
وساء لهم يوم القيامة حملا يعني من أعرض عن هذا القرآن واتبع غيره من الكتب فإنه يناله
هذا الوعيد كما قال في الحديث المروي في المسند والترمذي عن أمير المؤمنين علي مرفوعا
وموقوفا من ابتغى الهدى في غيره أضله الله وقال الإمام أحمد ثنا سريج بن النعمان أنا
هشيم أنا مجالد عن الشعبي عن جابر أن عمر بن الخطاب أتى النبي صلى الله عليه وسلم بكتاب
أصابه من بعض أهل الكتاب فقرأه على النبي صلى الله عليه وسلم قال فغضب وقال
أمتهوكون فيها يا ابن الخطاب والذي نفسي بيده لقد جئتكم بها بيضاء نقية لا تسألوهم
عن شيء فيخبروكم بحق فتكذبوا به أو بباطل فتصدقوه والذي نفسي بيده لو أن موسى
كان حيا ما وسعه إلا أن يتبعني إسناد صحيح ورواه أحمد من وجه آخر عن عمر وفيه فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده لو أصبح فيكم موسى ثم اتبعتموه وتركتموني
لضللتم إنكم حظي من الأمم وأنا حظكم من النبيين وقد أوردت طرق هذا الحديث وألفاظه
في أول سورة يوسف وفي بعضها أن رسول الله خطب الناس فقال في خطبته أيها الناس
إني قد أوتيت جوامع الكلم وخواتيمه واختصر لي اختصارا ولقد أتيتكم بها بيضاء نقية
فلا تتهوكوا ولا يغرنكم المتهوكون ثم أمر بتلك الصحيفة فمحيت حرفا حرفا

إذ قال يوسف لأبيه يا أبت إني رأيت أحد عشر كوكبا والشمس والقمر رأيتهم لي
ساجدين قال يا بني لا تقصص رؤياك على إخوتك فيكيدوا لك كيدا
إن الشيطان للإنسان عدو مبين وكذلك يجتبيك ربك ويعلمك
من تأويل الأحاديث ويتم نعمته عليك وعلى آل يعقوب كما أتمها على أبويك
من قبل إبراهيم وإسحاق إن ربك عليم حكيم

قد قدمنا أن يعقوب كان له من البنين اثنا عشر ولدا وسميناهم وإليهم تنسب أسباط
بني إسرائيل كلهم وكان أشرفهم وأجلهم وأعظمهم يوسف عليه السلام وقد ذهب طائفة
من العلماء إلى أنه لم يكن فيهم نبي غيره وباقي إخوته لم يوح إليهم وظاهر ما ذكر من فعالهم
ومقالهم في هذه القصة يدل على هذا القول ومن استدل على نبوتهم بقوله قولوا آمنا
بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وزعم
أن هؤلاء هم الأسباط فليس استدلاله بقوي لأن المراد بالأسباط شعوب بني إسرائيل وما كان
يوجد فيهم من الأنبياء الذين ينزل عليهم الوحي من السماء والله أعلم ومما يؤيد أن يوسف
عليه السلام هو المختص من بين إخوته بالرسالة والنبوة أنه ما نص على واحد من إخوته
سواه فدل على ما ذكرناه ويستأنس لهذا بما قال الإمام أحمد ثنا عبد الصمد ثنا عبد الرحمن
عن عبد الله بن دينار عن أبيه عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الكريم

ابن الكريم بن الكريم يوسف بن يعقوب بن اسحق بن ابراهيم انفرد به البخاري فرواه
عن عبد الله بن محمد وعبده عن عبد الصمد بن عبد الوارث به وقد ذكرنا طرفا في قصة
ابراهيم بما اغنى عن اعادته ههنا ولله الحمد والمنة قال المفسرون وغيرهم راى يوسف
عليه السلام وهو صغير قبل ان يحتلم احد عشر كوكبا وهم اشارة الى بقية اخوته والشمس
والقمر وهما عبارة عن ابويه قد سجدوا له فهاله ذلك فلما استيقظ قصها على ابيه فعرف
ابوه انه سينال منزلة عالية ورفعة عظيمة في الدنيا والاخرة بحيث يخضع له ابواه واخوته
فيها فامره بكتمانها وان لا يقصها على اخوته لئلا يحسدوه ويبغوا له الغوائل ويكيدوه
بانواع الحيل والمكر وهذا يدل على ما ذكرناه ولهذا جا في بعض الاثار استعينوا على قضاء حوائجكم
بكتمانها فان كل ذي نعمة محسود وعند اهل الكتاب انه قصها على ابيه واخوته معا وهو غلط
وكذلك يجتبيك ربك اي وكما اراك هذه الرؤيا العظيمة فاذا كتمتها يجتبيك ربك
اي يخصك بانواع اللطف والرحمة ويعلمك من تاويل الاحاديث اي يفهمك من معاني الكلام
وتعبير المنام ما لا يفهمه غيرك ويتم نعمته عليك اي بالوحي اليك وعلى آل يعقوب اي بسببك
ويحصل لهم بك خير الدنيا والاخرة كما اتمها على ابويك من قبل ابراهيم واسحاق اي ينعم عليك
ويحسن اليك بالنبوة كما اعطاها اباك يعقوب وجدك اسحاق ووالد جدك ابراهيم
الخليل ان ربك عليم حكيم كما قال تعالى الله اعلم حيث يجعل رسالته ولهذا قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم لما سئل اي الناس اكرم قال يوسف نبي الله بن نبي الله بن نبي الله بن نبي الله
ابن خليل الله وقد روى ابن جرير وابن ابي حاتم في تفسيريهما وابو يعلى والبزار في مسنديهما
من حديث الحكم بن ظهير وقد ضعفه الائمة عن السدي عن عبد الرحمن بن سابط عن جابر
قال اتى النبي صلى الله عليه وسلم رجل من يهود يقال له بستانة اليهودي فقال له يا محمد
اخبرني عن الكواكب التي راها يوسف انها ساجدة له ما اسماؤها قال فسكت النبي صلى الله
عليه وسلم فلم يجبه بشيء ونزل جبريل عليه السلام باسمائها قال فبعث اليه رسول الله فقال
هل انت مؤمن ان اخبرتك باسمائها قال نعم قال جريان والطارق والذيال وذو الكتفان
وقابس ووثاب وعمودان والفيلق والمصبح والضروح وذو الفرع والضيا والنور فقال
اليهودي واي والله انها لاسماؤها وعند ابي يعلى فلما قصها على ابيه قال هذا امر مشتت يجمعه
الله والشمس ابوه والقمر امه لقد كان في يوسف واخوته ايات للسائلين اذ قالوا ليوسف
واخوه احب الى ابينا منا ونحن عصبة ان ابانا لفي ضلال مبين اقتلوا يوسف او اطرحوه
ارضا يخل لكم وجه ابيكم وتكونوا من بعده قوما صالحين قال قائل منهم لا تقتلوا يوسف
والقوه في غيابة الجب يلتقطه بعض السيارة ان كنتم فاعلين ينبه تعالى على ما في هذه
القصة من الايات والحكم والدلالات والمواعظ والبينات ثم ذكر حسد اخوة يوسف
له على محبة ابيه له ولاخيه يعنون شقيقه لامه بنيامين اكثر منهم وهم عصبة اي جماعة
يقولون فكنا نحن احق بالمحبة من هذين ان ابانا لفي ضلال مبين اي بتقديمه حبهما علينا
ثم اشتوروا فيما بينهم في قتل يوسف او ابعاده الى ارض لا يرجع منها ليخلو لهم وجه
ابيهم اي لتتمحض محبته لهم وتتوفر عليهم واضمروا التوبة بعد ذلك فلما تمالوا على ذلك
وتوافقوا عليه قال قائل منهم قال مجاهد وهو شمعون وقال السدي يهودا وقال قتادة
ومحمد بن اسحق هو اكبرهم روبيل لا تقتلوا يوسف والقوه في غيابة الجب يلتقطه بعض

اي المارة من المسافرين ح

السيارة ان كنتم فاعلين ما تقولون لا محالة فليكن هذا الذي اقول لكم فهو اقرب حالا من
قتله او نفيه وتغريبه فاجمعوا رايهم على هذا فعند ذلك قالوا يا ابانا ما لك لا تامنا على
يوسف وانا له لناصحون ارسله معنا غدا يرتع ويلعب وانا له لحافظون قال اني ليحزنني
ان تذهبوا به واخاف ان ياكله الذئب وانتم عنه غافلون قالوا لئن اكله الذئب ونحن
عصبة انا اذا لخاسرون طلبوا من ابيهم ان يرسل معهم اخاهم يوسف واظهروا له انهم
يريدون ان يرعى معهم وان يلعب وينبسط وقد اضمروا له ما الله به عليم فاجابهم الشيخ
عليه من الله افضل الصلاة والتسليم يا بني يشق علي ان افارقه ساعة من النهار ومع هذا
اخشى ان تشتغلوا في لعبكم وما انتم فيه فياتي الذئب فياكله ولا يقدر على دفعه عنه
لصغره وغفلتكم عنه قالوا لئن اكله الذئب ونحن عصبة انا اذا لخاسرون اي لئن عدا
عليه الذئب فاكله من بيننا او اشتغلنا عنه حتى وقع هذا ونحن جماعة انا اذا لخاسرون
اي عاجزون هالكون وعند اهل الكتاب انه ارسله وراءهم يتبعهم فضل عن الطريق حتى ارشده
رجل اليهم وهذا ايضا من غلطهم وخطائهم في التعريب فان يعقوب عليه السلام كان احرص
عليه من ان يبعثه معهم فكيف يبعثه وحده

فلما ذهبوا به واجمعوا ان يجعلوه في غيابة الجب واوحينا اليه لتنبئنهم
بامرهم هذا وهم لا يشعرون وجاؤوا اباهم عشاء يبكون قالوا يا ابانا انا
ذهبنا نستبق وتركنا يوسف عند متاعنا فاكله الذئب وما انت
بمؤمن لنا ولو كنا صادقين وجاؤوا على قميصه بدم كذب قال
بل سولت لكم انفسكم امرا فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون

لم يزالوا بابيهم حتى بعثه معهم فما كان الا ان غابوا عن عينيه فجعلوا يشتمونه ويهينونه
بالفعال والمقال واجمعوا على القائه في غيابة الجب اي في قعره على راعوفته وهي الصخرة
التي تكون في وسطه يقف عليها المائح وهو الذي ينزل ليملأ الدلاء اذا قل الماء والذي يرفعها
بالحبل يسمى الماتح فلما القوه فيه اوحى الله اليه انه لا بد لك من فرج ومخرج من هذه الشدة
التي انت فيها ولتخبرن اخوتك بصنيعهم هذا في حال انت فيها عزيز وهم محتاجون اليك
خائفون منك وهم لا يشعرون قال مجاهد وقتادة وهم لا يشعرون بايحاء الله اليه ذلك
وعن ابن عباس وهم لا يشعرون اي لتخبرنهم بامرهم هذا في حال لا يعرفونك فيها رواه ابن جرير
عنه فلما وضعوه فيه ورجعوا عنه اخذوا قميصه فلطخوه بشيء من دم ورجعوا الى ابيهم عشاء
وهم يبكون اي على اخيهم ولهذا قال بعض السلف لا يغرنك بكاء المتظلم فرب ظالم وهو
باك وذكر بكاء اخوة يوسف وقد جاؤوا اباهم عشاء يبكون اي في ظلمة الليل ليكون امشى
لغدرهم لا لعذرهم قالوا يا ابانا انا ذهبنا نستبق وتركنا يوسف عند متاعنا اي ثيابنا
فاكله الذئب اي في غيبتنا عنه في استباقنا وقولهم وما انت بمؤمن لنا ولو كنا صادقين
اي وما انت بمصدق لنا في الذي اخبرناك من اكل الذئب له ولو كنا غير متهمين عندك
فكيف وانت تتهمنا في هذا فانك خشيت ان ياكله الذئب وضمنا لك ان لا ياكله لكثرتنا
حوله فصرنا غير مصدقين عندك فمعذور انت في عدم تصديقك لنا والحالة هذه
وجاؤوا على قميصه بدم كذب اي مكذوب مفتعل لانهم عمدوا الى سخلة ذبحوها فاخذوا من
دمها فوضعوه على قميصه ليوهموا انه اكله الذئب قالوا ونسوا ان يخرقوه وافة الكذب

النسيان ولما ظهرت عليهم علائم الريبة لم يرج صنيعهم على أبيهم فإنه كان يفهم عداوتهم
له وحسدهم إياه على محبته له من بينهم أكثر منهم لما كان يتوسم فيه من الجلالة والمهابة التي كانت
عليه في صغره لما يريد الله أن يخصه به من نبوته ولما راودوه عن أخذه فبمجرد ما أخذوه
أعدموه وغيبوه عن عينيه وجاءوا وهم يتباكون وعلى ما تمالؤوا عليه يتواطؤون ولهذا قال
بل سولت لكم أنفسكم أمرا فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون وعند أهل الكتاب أن
روبيل أشار بوضعه في الجب ليأخذه من حيث لا يشعرون ويرده إلى أبيه فغافلوه وباعوه
لتلك القافلة فلما جاء روبيل من آخر النهار ليخرج يوسف لم يجده فصاح وشق ثيابه
وعمدوا إلى جدي فذبحوه ولطخوا من دمه جبة يوسف فلما علم يعقوب شق ثيابه
ولبس مئزرا أسود وحزن على ابنه أياما كثيرة وهذه الركاكة جاءت من خطئهم في التعبير
والتصوير

وجاءت سيارة فأرسلوا واردهم فأدلى دلوه قال يا بشراي هذا غلام
وأسروه بضاعة والله عليم بما يعملون وشروه بثمن بخس
دراهم معدودة وكانوا فيه من الزاهدين وقال الذي اشتراه من
مصر لامرأته أكرمي مثواه عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولدا وكذلك
مكنا ليوسف في الأرض ولنعلمه من تأويل الأحاديث والله غالب
على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون ولما بلغ أشده آتيناه حكما
وعلما وكذلك نجزي المحسنين

يخبر تعالى عن قصة يوسف حين وضع في الجب أنه جلس ينتظر فرج الله ولطفه به فجاءت
سيارة أي مسافرون قال أهل الكتاب كانت بضاعتهم من الفستق والصنوبر والبطم
قاصدين ديار مصر من الشام فأرسلوا بعضهم ليستقوا من ذلك البئر فلما أدلى أحدهم
دلوه تعلق فيه يوسف فلما رآه ذلك الرجل قال يا بشراي أي يا بشارتي هذا غلام وأسروه
بضاعة أي وأوهموا أنه معهم غلام من جملة متجرهم والله عليم بما يعملون أي هو عالم بما
تمالأ عليه إخوته وبما يسره واجدوه من أنه بضاعة لهم ومع هذا لا يغيره تعالى لما له
في ذلك من الحكمة العظيمة والقدر السابق والرحمة بأهل مصر بما يجري الله على يدي هذا
الغلام الذي يدخلها في صورة أسير رقيق ثم بعد هذا يملكه أزمة الأمور وينفعهم الله
به في دنياهم وأخراهم بما لا يحد ولا يوصف ولما استشعر إخوة يوسف بأخذ السيارة له
لحقوهم وقالوا هذا غلامنا أبق منا فاشتروه منهم بثمن بخس أي قليل نزر وقيل هو الزيف
دراهم معدودة وكانوا فيه من الزاهدين قال ابن مسعود وابن عباس ونوف البكالي والسدي
وقتادة وعطية العوفي باعوه بعشرين درهما اقتسموها درهمين درهمين وقال
مجاهد اثنان وعشرون درهما وقال عكرمة ومحمد بن إسحاق أربعون درهما والله أعلم
وقال الذي اشتراه من مصر لامرأته أكرمي مثواه أي أحسني إليه عسى أن ينفعنا أو نتخذه
ولدا وهذا من لطف الله به ورحمته وإحسانه إليه بما يريد أن يؤهله له ويعطيه
من خيري الدنيا والآخرة قالوا وكان الذي اشتراه من مصر عزيزها وهو الوزير بها الذي الخزائن
مسلمة إليه قال ابن إسحاق واسمه أطفير بن روحيب قال وكان ملك مصر يومئذ الريان غ قطفير
بن الوليد رجل من العماليق قال واسم امرأة العزيز راعيل بنت رعاييل وقال غيره
كان اسمها زليخا والظاهر أنه لقبها وقيل فكا بنت ينوس رواه الثعلبي عن أبي هشام الرفاعي

وقال محمد بن إسحاق عن محمد بن السائب عن أبي صالح عن ابن عباس كان اسم الذي باعه بمصر يعني
الذي جلبه إليها مالك بن ذعر بن نويب بن عفقا بن مديان بن إبراهيم والله أعلم وقال
ابن إسحاق عن أبي عبيدة عن ابن مسعود قال أفرس الناس ثلاثة عزيز مصر حين قال
لامرأته أكرمي مثواه والمرأة التي قالت لأبيها يا أبت استأجره إن خير من استأجرت القوي
الأمين وأبو بكر الصديق حين استخلف عمر بن الخطاب رضي الله عنهما ثم قيل اشتراه
العزيز بعشرين دينارا وقيل بوزنه مسكا ووزنه حريرا ووزنه ورقا والله أعلم وقوله
وكذلك مكنا ليوسف في الأرض أي وكما قيضنا هذا العزيز وامرأته يحسنان إليه ويعتنيان
به مكنا له في أرض مصر ولنعلمه من تأويل الأحاديث أي فهمها وتعبير الرؤيا من ذلك والله
غالب على أمره أي إذا أراد شيئا فيقيض له أسبابا وأمورا لا يهتدي إليها العباد ولهذا قال
ولكن أكثر الناس لا يعلمون فدل على أن هذا كله كان وهو قبل بلوغ الأشد وهو حد الأربعين
الذي يوحي الله فيه إلى عباده من النبيين عليهم الصلاة والسلام من رب العالمين وقد اختلفوا
في مدة العمر الذي هو بلوغ الأشد فقال مالك وربيعة وزيد بن أسلم والشعبي هو الحلم
وقال سعيد بن جبير ثماني عشرة سنة وقال الضحاك عشرون سنة وقال عكرمة خمس
وعشرون سنة وقال السدي ثلاثون سنة وقال ابن عباس ومجاهد وقتادة ثلاث وثلاثون
سنة وقال الحسن أربعون سنة ويشهد له قوله تعالى حتى إذا بلغ أشده وبلغ أربعين
سنة

وراودته التي هو في بيتها عن نفسه وغلقت الأبواب وقالت هيت لك
قال معاذ الله إنه ربي أحسن مثواي إنه لا يفلح الظالمون ولقد همت
به وهم بها لولا أن رأى برهان ربه كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء
إنه من عبادنا المخلصين واستبقا الباب وقدت قميصه من دبر
وألفيا سيدها لدى الباب قالت ما جزاء من أراد بأهلك سوءا إلا
أن يسجن أو عذاب أليم قال هي راودتني عن نفسي وشهد شاهد من أهلها
إن كان قميصه قد من قبل فصدقت وهو من الكاذبين وإن كان قميصه
قد من دبر فكذبت وهو من الصادقين فلما رأى قميصه قد من دبر
قال إنه من كيدكن إن كيدكن عظيم يوسف أعرض عن هذا واستغفري
لذنبك إنك كنت من الخاطئين

يذكر تعالى ما كان من مراودة امرأة العزيز ليوسف عليه السلام عن نفسه وطلبها منه
ما لا يليق بحاله ومقامه وهي في غاية الجمال والمال والمنصب والشباب وكيف غلقت
الأبواب عليها وعليه وتهيأت له وتصنعت ولبست أحسن ثيابها وأفخر لباسها
وهي مع هذا كله امرأة الوزير قال ابن إسحاق وبنت أخي الملك الريان بن الوليد صاحب مصر
وهذا كله مع أن يوسف عليه السلام شاب بديع الجمال والبهاء إلا أنه نبي من سلالة الأنبياء فعصمه
ربه عن الفحشاء وحماه عن مكر النساء فهو سيد السادة النجباء السبعة الأتقياء المذكورين
في الصحيحين عن خاتم الأنبياء في قوله عليه الصلاة والسلام من رب الأرض والسماء سبعة
يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله إمام عادل ورجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه
ورجل قلبه معلق بالمسجد إذا خرج منه حتى يعود إليه ورجلان تحابا في الله اجتمعا عليه
وتفرقا عليه ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه ورجل

تشاء في عبادة الله ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال فقال اني اخاف الله وامّا المقصود
انها دعته اليها وحرصت على ذلك اشد الحرص فقال معاذ الله انه ربي يعني زوجها صاحب
المنزل سيدي احسن مثواي اي احسن الي واكرم مقامي عنده انه لا يفلح الظالمون وقد
تكلمنا على قوله تعالى ولقد همت به وهم بها لولا ان رأى برهان ربه بما فيه كفاية ومقنع في
التفسير واكثر اقوال المفسرين ها هنا متلقى من كتب اهل الكتاب فالاعراض عنه اولى بنا
والذي يجب ان يعتقد ان الله عصمه وبرأه ونزهه عن الفاحشة وحماه عنها وصانه
منها ولهذا قال تعالى كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء انه من عبادنا المخلصين
واستبقا الباب وقدّت قميصه من دبر والفيا سيدها لدى الباب اي هرب منها طالبا
الى الباب ليخرج منه فرارا منها فاتبعته في اثره فالفيا اي وجدا سيدها اي زوجها لدى
الباب فبدرته بالكلام وحرضته عليه قالت ما جزاء من اراد باهلك سوءا الا ان يسجن
او عذاب اليم اتهمته وهي المتهمة وبرأت عرضها ونزهت ساحتها فلهذا قال يوسف
عليه السلام هي راودتني عن نفسي احتاج ان يقول الحق عند الحاجة وشهد شاهد من اهلها
قيل كان صغيرا في المهد قاله ابن عباس وروي عن ابي هريرة وهلال بن يساف والحسن
البصري وسعيد بن جبير والضحاك واختاره ابن جرير وروى فيه حديثا مرفوعا عن
ابن عباس ووقفه غيره عنه وقيل كان رجلا قريبا الى اطفير بعلها وقيل قريبا اليها
وممن قال انه كان رجلا ابن عباس وعكرمة ومجاهد والحسن وقتادة والسدي ومحمد بن
اسحق وزيد بن اسلم فقال ان كان قميصه قد من قبل فصدقت وهو من الكاذبين اي لانه
يكون قد راودها فدافعته حتى قدت مقدم قميصه وان كان قميصه قد من دبر فكذبت
وهو من الصادقين لانه يكون قد هرب منها فاتبعته وتعلقت فيه فانشق قميصه
لذلك وكذلك كان ولهذا قال تعالى فلما رأى قميصه قد من دبر قال انه من كيدكن ان كيدكن
عظيم اي هذا الذي جرى من مكركن انت راودته عن نفسه ثم اتهمته بالباطل ثم اضرب
بعلها صفحا عن هذا فقال يوسف اعرض عن هذا اي لا تذكره لاحد لان كتمان مثل هذه
الامور هو الاليق والاحسن وامرها بالاستغفار لذنبها الذي صدر منها والتوبة الى ربها
فان العبد اذا تاب الى الله تاب الله عليه واهل مصر وان كانوا يعبدون الاصنام الا انهم
يعلمون ان الذي يغفر الذنوب ويؤاخذ بها هو الله وحده لا شريك له في ذلك ولهذا قال لها
بعلها وعذرها من بعض الوجوه لانها رأت ما لا صبر لها على مثله الا انه عفيف نزيه بري
العرض سليم الناحية فقال واستغفري لذنبك انك كنت من الخاطئين

وقال نسوة في المدينة امرأة العزيز تراود فتاها عن نفسه قد
شغفها حبا انا لنراها في ضلال مبين فلما سمعت بمكرهن ارسلت
اليهن واعتدت لهن متكأ واتت كل واحدة منهن سكينا وقالت
اخرج عليهن فلما رأينه اكبرنه وقطعن ايديهن وقلن حاش لله ما هذا
بشرا ان هذا الا ملك كريم قالت فذلكن الذي لمتنني فيه ولقد راودته
عن نفسه فاستعصم ولئن لم يفعل ما آمره ليسجنن وليكونن من
الصاغرين قال رب السجن احب الي مما يدعونني اليه والا تصرف عني
كيدهن اصب اليهن واكن من الجاهلين فاستجاب له ربه فصرف عنه كيدهن انه هو السميع العليم

يذكر تعالى ما كان من قبل نساء المدينة من نساء الامراء وبنات الكبراء في الطعن على امرأة العزيز
وعيبها والتشنيع عليها في مراودتها فتاها وحبها الشديد له وهو لا يساوي
هذا لانه مولى من الموالي وليس مثله اهلا لهذا ولهذا قلن انا لنراها في ضلال مبين اي
في وضعها الشيء في غير محله فلما سمعت بمكرهن اي بتشنيعهن عليها والتنقص لها والاشارة
اليها بالعيب والمذمة بحب مولاها وعشق فتاها فاظهرن ذمها وهي معذورة في نفس
الامر فلهذا احبت ان تبسط عذرها عندهن وتبين ان هذا الفتى ليس كما حسبن ولا من
قبيل ما لديهن فارسلت اليهن فجمعتهن في منزلها واعتدت لهن ضيافة مثلهن واحضرت
في جملة ذلك شيئا مما يقطع بالسكاكين كالاترج ونحوه واتت كل واحدة منهن
سكينا وكانت قد هيأت يوسف عليه السلام والبسته احسن الثياب وهو في غاية
طراوة الشباب وامرته بالخروج عليهن في هذه الحالة فخرج وهو احسن من البدر لا محالة
فلما رأينه اكبرنه اي اعظمنه واجللنه وهبنه وما ظنن ان يكون مثل هذا في بني آدم وبهرهن
حسنه حتى اشتغلن عن انفسهن وجعلن يحززن في ايديهن بتلك السكاكين ولا يشعرن
بالجراح وقلن حاش لله ما هذا بشرا ان هذا الا ملك كريم وقد جاء في حديث الاسراء فمررت بيوسف
واذا هو قد اعطي شطر الحسن قال السهيلي وغيره من الائمة معناه انه كان على النصف
من حسن آدم لان الله خلق آدم بيده ونفخ فيه من روحه فكان في غاية نهايات الحسن
البشري ولهذا يدخل اهل الجنة الجنة على طول آدم وحسنه ويوسف كان على النصف
من حسن آدم ولم يكن بينهما احسن منهما كما انه لم تكن انثى بعد حوا اشبه بها من سارة زوجة
الخليل عليه السلام قال ابن مسعود وكان وجه يوسف مثل البرق وكان اذا اتته امرأة
لحاجة غطى وجهه وقال غيره كان في الغالب مبرقعا لئلا يراه الناس ولهذا لما قام عذر
امرأة العزيز في محبتها لهذا المعنى المذكور وجرى لهن وعليهن ما جرى من تقطيع ايديهن
بجراح السكاكين وما ركبهن من المهابة والدهش عند رؤيته ومعاينته قالت فذلكن
الذي لمتنني فيه ثم مدحته بالعفة التامة فقالت ولقد راودته عن نفسه فاستعصم
اي امتنع ولئن لم يفعل ما آمره ليسجنن وليكونا من الصاغرين وكان بقية النساء حرضنه
على السمع والطاعة لسيدته فابى اشد الاباء ونأى لانه من سلالة الانبيا ودعا فقال
في دعائه لرب العالمين رب السجن احب الي مما يدعونني اليه والا تصرف عني كيدهن اصب
اليهن واكن من الجاهلين يعني ان وكلتني الى نفسي فليس لي من نفسي الا العجز والضعف
ولا املك لنفسي نفعا ولا ضرا الا ما شاء الله فانا ضعيف الا ما قويتني وعصمتني
وحفظتني وحطتني بحولك وقوتك ولهذا قال تعالى

فاستجاب له ربه فصرف عنه كيدهن انه هو السميع العليم ثم بدا لهم
من بعد ما رأوا الآيات ليسجننه حتى حين ودخل معه السجن فتيان قال
احدهما اني اراني اعصر خمرا وقال الآخر اني اراني احمل فوق رأسي خبزا تأكل الطير
منه نبئنا بتأويله انا نراك من المحسنين قال لا يأتيكما طعام ترزقانه الا نبأتكما
بتأويله قبل ان يأتيكما ذلكما مما علمني ربي اني تركت ملة قوم لا يؤمنون بالله وهم
بالآخرة هم كافرون واتبعت ملة آبائي ابراهيم واسحاق ويعقوب ما كان لنا
ان نشرك بالله من شيء ذلك من فضل الله علينا وعلى الناس ولكن اكثر الناس

لا يشكرون يا صاحبي السجن أأرباب متفرقون خير أم الله الواحد القهار ما تعبدون من دونه
إلا أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان إن الحكم إلا لله أمر ألا تعبدوا
إلا إياه ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون يا صاحبي السجن أما أحدكما فيسقي
ربه خمرا وأما الآخر فيصلب فتأكل الطير من رأسه قضي الأمر الذي فيه تستفتيان يذكر
تعالى عن العزيز وامرأته أنهم بدا لهم أي ظهر لهم من الرأي بعد ما علموا براءة يوسف أن يسجنوه
إلى وقت ليكون ذلك أقل لكلام الناس في تلك القضية وأخمد لأمرها وليظهروا أنه راودها
عن نفسها فسجن بسببها فسجنوه ظلما وعدوانا وكان هذا مما قدر الله له ومن جملة ما عصمه
به فإنه أبعد له عن معاشرتهم ومخالطتهم ومن ههنا استنبط بعض الصوفية ما حكاه عنهم
الشافعي أن من العصمة أن لا تجد قال الله ودخل معه السجن فتيان قيل كان أحدهما ساقي
الملك واسمه فيما قيل نبو والآخر خبازه يعني الذي يلي طعامه وهو ما يقول له الترك
الجاشنكير واسمه فيما قيل مجلث كان الملك قد اتهمهما في بعض الأمور فسجنهما فلما
رأيا يوسف في السجن أعجبهما سمته وهديه ودله وطريقته وقوله وفعله وكثرة عبادته
ربه وإحسانه إلى خلقه فرأى كل واحد منهما رؤيا تناسبه قال أهل التفسير رأيا في ليلة
واحدة أما الساقي فرأى كأن ثلاث قضبان من حبلة قد أورقت وأينعت عناقيد
العنب فأخذها فاعتصرها في كأس الملك وسقاه ورأى الخباز كأن على رأسه ثلاث
سلال من خبز وضواري الطيور تأكل من السل الأعلى فقصاها عليه وطلبا منه أن
يعبرها لهما وقالا إنا نراك من المحسنين فأخبرهما أنه عليم بتعبيرها خبير بأمرها
وقال لا يأتيكما طعام ترزقانه إلا نبأتكما بتأويله قبل أن يأتيكما قيل معناه مهما رأيتما
من حلم فإني أعبره لكما قبل وقوعه فيكون كما أقول وقيل معناه إني أخبركما بما يأتيكما من
الطعام قبل مجيئه حلوا أو حامضا كما قال عيسى وأنبئكم بما تأكلون وما تدخرون في
بيوتكم وقال لهما إن هذا من تعليم الله إياي لأني مؤمن به موحد له متبع ملة آبائي الكرام
إبراهيم الخليل وإسحاق ويعقوب ما كان لنا أن نشرك بالله من شيء ذلك من فضل الله
علينا أي بأن هدانا لهذا وعلى الناس أي بأن أمرنا أن ندعوهم إليه ونرشدهم وندلهم
عليه وهو في فطرهم مركوز وفي جبلتهم مغروز ولكن أكثر الناس لا يشكرون ثم دعاهم
إلى التوحيد وذم عبادة ما سوى الله عز وجل وصغر أمر الأصنام وحقرها وضعف
أمرها فقال يا صاحبي السجن أأرباب متفرقون خير أم الله الواحد القهار ما تعبدون
من دونه إلا أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان إن الحكم إلا لله أمر
أن لا تعبدوا إلا إياه ذلك الدين القيم أي المستقيم والصراط القويم ولكن أكثر الناس
لا يعلمون أي فلهذا لا يهتدون إليه مع وضوحه وظهوره وكانت دعوته لهما في هذا الحال
في غاية الكمال لأن نفوسهما معظمة له منبعثة على تلقي ما يقول بالقبول فناسب أن
يدعوهما إلى ما هو الأنفع لهما مما سألا عنه وطلبا منه ثم لما قام بما وجب عليه وأرشد
إلى ما أرشد إليه قال يا صاحبي السجن أما أحدكما فيسقي ربه خمرا وأما الآخر فيصلب
فتأكل الطير من رأسه قضي الأمر الذي فيه تستفتيان أي وقع هذا لا محالة ووجب كونه
على كل حالة ولهذا جاء في الحديث الرؤيا على رجل طائر ما لم تعبر فإذا عبرت وقعت
وقد روي عن ابن مسعود ومجاهد وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم أنهما قالا لم يريا شيئا فقال

لهما

لهما قضي الأمر الذي فيه تستفتيان وقال للذي ظن أنه ناج منهما اذكرني عند ربك فأنساه
الشيطان ذكر ربه فلبث في السجن بضع سنين يخبر تعالى أن يوسف عليه السلام قال
للذي ظنه ناجيا منهما وهو الساقي اذكرني عند ربك يعني اذكر أمري وما أنا فيه من السجن
بغير جرم عند الملك وفي هذا دليل على جواز السعي في الأسباب ولا ينافي ذلك التوكل
على رب الأرباب وقوله فأنساه الشيطان ذكر ربه أي فأنسى الناجي منهما الشيطان أن
يذكر ما وصاه به يوسف عليه السلام قاله مجاهد ومحمد بن إسحاق وغير واحد وهو
الصواب وهو منصوص أهل الكتاب فلبث يوسف في السجن بضع سنين والبضع
ما بين الثلاث إلى التسع وقيل إلى السبع وقيل إلى الخمس وقيل ما دون العشرة حكاها
الثعلبي ويقال بضع نسوة وبضعة رجال ومنع الفراء استعمال البضع فيما دون العشر
قال وإنما يقال نيف وقال الله تعالى فلبث في السجن بضع سنين وقال
تعالى في بضع سنين وهذا رد لقوله قال الفراء يقال بضعة عشر وبضعة
وعشرين إلى التسعين ولا يقال بضع ومائة وبضع وألف وخالف الجوهري فيما زاد
على بضعة عشر فمنع أن يقال بضعة وعشرين إلى التسعين وفي الصحيح الإيمان بضع
وستون وفي رواية وسبعون شعبة أرفعها قول لا إله إلا الله وأدناها إماطة الأذى
عن الطريق ومن قال إن الضمير في قوله فأنساه الشيطان ذكر ربه عائد على يوسف
فقد ضعف ما قاله وإن كان قد روي عن ابن عباس وعكرمة والحديث الذي رواه ابن
جرير في هذا الموضع ضعيف من كل وجه تفرد بإسناده إبراهيم بن يزيد الخوزي
المكي وهو متروك ومرسل الحسن وقتادة لا يقبل ولا ههنا بطريق الأولى فأما
قول ابن حبان في صحيحه ذكر السبب الذي من أجله لبث يوسف في السجن ما لبث
أخبرنا الفضل بن الحباب الجمحي ثنا مسدد بن مسرهد ثنا خالد بن عبد الله ثنا محمد
بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رحم
الله يوسف لولا الكلمة التي قالها اذكرني عند ربك ما لبث في السجن ما لبث ورحم
الله لوطا إذ كان ليأوي إلى ركن شديد إذ قال لقومه لو أن لي بكم قوة أو آوي
إلى ركن شديد قال فما بعث الله نبيا بعده إلا في ثروة من قومه فإنه حديث
منكر من هذا الوجه ومحمد بن عمرو بن علقمة له أشياء ينفرد بها وفيها نكارة وهذه
اللفظة من أنكرها وأشدها والذي في الصحيحين يشهد بغلطها والله أعلم وقال
الملك إني أرى سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر وأخر
يابسات يا أيها الملأ أفتوني في رؤياي إن كنتم للرؤيا تعبرون قالوا أضغاث
أحلام وما نحن بتأويل الأحلام بعالمين وقال الذي نجا منهما وادكر بعد أمة أنا أنبئكم
بتأويله فأرسلون يوسف أيها الصديق أفتنا في سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف
وسبع سنبلات خضر وأخر يابسات لعلي أرجع إلى الناس لعلهم يعلمون قال تزرعون
سبع سنين دأبا فما حصدتم فذروه في سنبله إلا قليلا مما تأكلون ثم يأتي من بعد ذلك
سبع شداد يأكلن ما قدمتم لهن إلا قليلا مما تحصنون ثم يأتي من بعد ذلك عام فيه
يغاث الناس وفيه يعصرون وهذا كان من جملة أسباب خروج يوسف عليه السلام
من السجن على وجه الاحترام والإكرام وذلك أن ملك مصر وهو الريان بن الوليد بن ثروان

وهو الخوزي والله أعلم

ابن اراشه بن فاران بن عمرو بن عملاق بن لاوذ بن سام بن نوح رأى هذه الرؤيا قال
اهل الكتاب رأى كأنه على شاطئ نهر وكأنه قد خرج منه سبع بقرات سمان فجعلهن يرتعن
في روضة هناك فخرجت سبع من العجاف من ذلك النهر فرتعن معهن ثم ملن عليهن
فأكلهن فاستيقظ مذعورا ثم نام فرأى سبع سنبلات خضر في قصبة واحدة واذا سبع
اخر دقاق يابسات فأكلهن فاستيقظ مذعورا فلما قصها على ملائه وقومه لم يكن فيهم
من يحسن تعبيرها بل قالوا اضغاث احلام اي اخلاط احلام من الليل لعلها لا تعبير
لها ومع هذا فلا خبرة لنا بذلك ولهذا قالوا وما نحن بتأويل الاحلام بعالمين فعند ذلك
تذكر الناجي منهما الذي وصاه يوسف بان يذكره عند ربه فنسيه الى حينه هذا وذلك
عن تقدير الله عز وجل وله الحكمة في ذلك فلما سمع رؤيا الملك ورأى عجز الناس عن
تعبيرها تذكر امر يوسف وما كان اوصاه به من التذكار ولهذا قال تعالى وقال
الذي نجا منهما وادكر اي تذكر بعد امة اي بعد مدة من الزمان وهو بضع سنين وقرأ بعضهم
كما حكي عن ابن عباس وعكرمة والضحاك وادكر بعد امه اي بعد نسيان وقرأ مجاهد بعد امه
باسكان الميم وهو النسيان يقال امه الرجل يأمه امها وامها اذا نسي قال الشاعر
امهت وكنت لا انسى حديثا   كذاك الدهر يودي بالعقول
فقال لقومه وللملك انا انبئكم بتأويله فارسلون اي فارسلوني الى يوسف فجاءه فقال
يوسف ايها الصديق افتنا في سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات
خضر واخر يابسات لعلي ارجع الى الناس لعلهم يعلمون وعند اهل الكتاب ان الملك لما
ذكره له الساقي استدعاه الى حضرته وقص عليه ما رآه ففسره له وهذا غلط والصواب
ما قصه الله في كتابه القرآن لا ما عربه هؤلاء الجهلة الثيران من فرا وربان فبذل
يوسف عليه السلام ما عنده من العلم بلا تأخر ولا شرط ولا طلب الخروج سريعا بل اجابهم
الى ما سألوا وعبر لهم ما كان من منام الملك الدال على وقوع سبع سنين من الخصب ويعقبها
سبع جدب ثم يأتي بعد ذلك عام فيه يغاث الناس يعني يأتيهم الغيث والخصب
والرفاهية وفيه يعصرون يعني ما كانوا يعصرونه من الاقصاب والاعناب والزيتون
والسمسم وغيرها فعبر لهم وعلى الخير دلهم وارشدهم الى ما يعتمدونه في حالتي خصبهم
وجدبهم وما يفعلونه من ادخار حبوب سني الخصب في السبع الاول في سنبله الا ما يرصد
الا بسبب الاكل ومن تقليل البذر في سني الجدب في السبع الثانية اذ الغالب على الظن
انه لا يرد البذر من الحقل وهذا يدل على كمال العلم وكمال الرأي والفهم
وقال الملك ائتوني به فلما جاءه الرسول قال ارجع الى ربك فاسأله ما بال النسوة
اللاتي قطعن ايديهن ان ربي بكيدهن عليم قال ما خطبكن اذ راودتن يوسف
عن نفسه قلن حاش لله ما علمنا عليه من سوء قالت امرأة العزيز الآن حصحص
الحق انا راودته عن نفسه وانه لمن الصادقين ذلك ليعلم اني لم اخنه بالغيب
وان الله لا يهدي كيد الخائنين وما ابرئ نفسي ان النفس لامارة بالسوء الا ما رحم ربي ان ربي غفور رحيم
لما احاط الملك علما بكمال علم يوسف عليه الصلاة والسلام وتمام عقله ورأيه
السديد والفهم امر باحضاره الى حضرته ليكون من جملة خاصته فلما جاءه الرسول بذلك
احب ان لا يخرج حتى يتبين لكل احد انه حبس ظلما وعدوانا وانه بريء الساحة مما نسبوا

اليه

اليه بهتانا قال ارجع الى ربك يعني الملك فاسأله ما بال النسوة اللاتي قطعن ايديهن
ان ربي بكيدهن عليم قيل معناه ان سيدي العزيز عليم ببراءتي مما نسب الي اي فمر
الملك فليسألهن كيف امتناعي الشديد عند مراودتهن اياي وحثهن على الامر الذي
ليس برشيد ولا سديد فلما سئلن عن ذلك اعترفن بما وقع من الامر وما كان منه من الامر
الحميد وقلن حاش لله ما علمنا عليه من سوء فعند ذلك قالت امرأة العزيز وهي زليخا
الآن حصحص الحق اي ظهر وتبين ووضح والحق احق ان يتبع انا راودته عن نفسه وانه
لمن الصادقين اي فيما يقوله من انه بريء وانه لم يراودني وانه حبس ظلما وعدوانا وزورا
وبهتانا وقوله ذلك ليعلم اني لم اخنه بالغيب وان الله لا يهدي كيد الخائنين قيل انه
من كلام يوسف اي انما طلبت تحقيق هذا ليعلم العزيز اني لم اخنه بظهر الغيب وقيل
انه من تمام كلام زليخا اي اعترفت بهذا ليعلم زوجي اني لم اخنه في نفس الامر انما كان مراودة
لم يقع معها فعل فاحشة وهذا القول هو الذي نصره طائفة كثيرة من ائمة المتأخرين
وغيرهم ولم يحك ابن جرير وابن ابي حاتم سوى الاول وما ابرئ نفسي ان النفس لامارة بالسوء
الا ما رحم ربي ان ربي غفور رحيم قيل انه من كلام يوسف وقيل من كلام زليخا وهو مفرع
على القولين وكونه من تمام كلام زليخا اظهر وانسب واقوى والله اعلم
وقال الملك ائتوني به استخلصه لنفسي فلما كلمه قال انك اليوم لدينا
مكين امين قال اجعلني على خزائن الارض اني حفيظ عليم وكذلك مكنا ليوسف
في الارض يتبوأ منها حيث يشاء نصيب برحمتنا من نشاء ولا نضيع اجر
المحسنين ولاجر الآخرة خير للذين آمنوا وكانوا يتقون
لما ظهر للملك براءة عرضه ونزاهة ساحته عما كانوا اظهروا عنه مما نسبوه اليه قال
ائتوني به استخلصه لنفسي اي اجعله من خاصتي ومن اكابر دولتي واعيان حاشيتي فلما
كلمه وسمع مقاله وتبين حاله قال انك اليوم لدينا مكين امين اي ذو مكانة وامانة
قال اجعلني على خزائن الارض اني حفيظ عليم طلب ان يوليه النظر فيما يتعلق بالاهراء لما
يتوقع من حصول الخلل فيها بعد مضي سبع سنين الخصب لينظر فيها بما يرضي الله
في خلقه من الاحتياط لهم والرفق بهم واخبر الملك انه حفيظ اي قوي على حفظ ما لديه
امين عليه عليم بضبط الاشياء ومصالح الاهراء وفي هذا دليل على جواز طلب الولاية لمن علم
من نفسه الامانة والكفاية وعند اهل الكتاب ان فرعون عظم يوسف عليه السلام
جدا وسلطه على جميع ارض مصر والبسه خاتمه والبسه الحرير وطوقه الذهب وحمله
على مركبه الثاني ونودي بين يديه انت رب ومسلط وقال له لست اعظم منك الا بالكرسي
قالوا وكان يوسف اذ ذاك ابن ثلاثين سنة وزوجه امرأة عظيمة الشأن وحكى الثعلبي
انه عزل قطفير عن وظيفته وولاها يوسف وقيل انه لما مات زوجه امرأته زليخا فوجدها
عذراء لان زوجها كان لا يأتي النساء فولدت ليوسف عليه السلام رجلين وهما افرائيم
ومنشا قال واستوثق ليوسف ملك مصر وعمل فيهم بالعدل واحبه الرجال والنساء
وحكي ان يوسف كان يوم دخل على الملك عمره ثلاثين سنة وان الملك خاطبه بسبعين
لغة وكل ذلك يجاوبه بكل لغة منها فاعجبه بذلك مع حداثة سنه والله اعلم قال
الله تعالى وكذلك مكنا ليوسف في الارض يتبوأ منها حيث يشاء الى بعد السجن

والضيق والحصر صار مطلق الركاب بديار مصر يتبوأ منها حيث يشاء اي ينزل حيث شاء ويحل منها مكرما محسودا اعظما نصيب برحمتنا من نشاء ولا نضيع اجر المحسنين اي هذا كله من جزاء الله وثوابه للمؤمن مع ما يدخر له في الاخرة من الخير الجزيل والثواب الجميل لهذا قال ولاجر الاخرة خير للذين امنوا وكانوا يتقون وقال ان اطفير زوج زليخا كان قد مات في هولاء المدة فملكه مكانه وزوجه امراته زليخا فكان وزير صدق وذكر محمد بن اسحاق ان صاحب مصر الوليد بن الريان اسلم على يدي يوسف عليه السلام والله اعلم وقد قال بعضهم

وراء مضيق الخوف متسع الامن   واول مفروح به اخر الحزن
فلا تياسن فالله ملك يوسفا   خزاينه بعد الخلاص من السجن

وجاء اخوة يوسف فدخلوا عليه فعرفهم وهم له منكرون فلما جهزهم بجهازهم قال ايتوني باخ لكم من ابيكم الا ترون اني اوفي الكيل وانا خير المنزلين فان لم تاتوني به فلا كيل لكم عندي ولا تقربون قالوا سنراود عنه اباه وانا لفاعلون وقال لفتيانه اجعلوا بضاعتهم في رحالهم لعلهم يعرفونها اذا انقلبوا الى اهلهم لعلهم يرجعون يخبر تعالى عن قدوم اخوة يوسف عليه السلام الديار المصرية يمتارون طعاما وذلك بعد اتيان سني الجدب وعمومها في ساير البلاد والعباد وكان يوسف اذ ذاك الحاكم في امور الديار المصرية دنيا ودينا فلما دخلوا عليه عرفهم ولم يعرفوه لانهم لم يخطر ببالهم ما صار اليه يوسف عليه السلام من المكانة والعظمة فلهذا عرفهم وهم له منكرون وعند اهل الكتاب انهم لما قدموا عليه سجدوا له فعرفهم واراد ان لا يعرفوه فاغلظ لهم في القول وقال انتم جواسيس جيتم لتاخذوا خير بلادي فقالوا معاذ الله انما جينا نمتار لقومنا من الجهد والجوع الذي اصابنا ونحن بنو اب واحد من كنعان ونحن اثني عشر رجلا ذهب منا واحد وصغيرنا عند ابينا فقال لا بد ان استعلم امركم وعندهم انه حبسهم ثلاثة ايام ثم اخرجهم واحتبس شمعون عنده لياتوه بالاخ الاخر وفي بعض هذا نظر قال الله فلما جهزهم اي اعطاهم من الميرة ما جرت به عادته في اعطاء كل انسان حمل بعير لا يزيده عليه قال ايتوني باخ لكم من ابيكم وكان قد سالهم عن حالهم وكم هم فقالوا كنا اثني عشر رجلا فذهب منا واحد وبقي شقيقه عند ابينا فقال اذا قدمتم من العام المقبل فاتوني به معكم الا ترون اني اوفي الكيل وانا خير المنزلين اي قد احسنت نزلكم وهذا كم ترغيبهم لياتوه به ثم رهبهم ان لم ياتوه به فقال فان لم تاتوني به فلا كيل لكم عندي ولا تقربون اي فلست اعطيكم ميرة ولا اقربكم بالكلية عكس ما اسدى اليهم اولا فاجتهد في احضاره معهم ليبل شوقه منه بالترغيب والترهيب قالوا سنراود عنه اباه اي سنجتهد في مجيئه معنا واتيانه اليك بكل ممكن وانا لفاعلون اي وانا لقادرون على تحصيله ثم امر فتيانه ان يضعوا بضاعتهم وهي ما جاوا به يتعوضون به عن الميرة في امتعتهم من حيث لا يشعرون بها لعلهم يعرفونها اذا انقلبوا الى اهلهم لعلهم يرجعون قيل اراد ان يردوها اذا وجدوها في بلادهم وقيل خشي ان لا يكون عندهم ما يرجعون به مرة ثانية وقيل تذمم ان ياخذ منهم عوضا عن الميرة وقد اختلف المفسرون في بضاعتهم على اقوال سياتي ذكرها وعند اهل الكتاب

انها كانت صررا من ورق وهو اشبه والله اعلم

فلما رجعوا الى ابيهم قالوا يا ابانا منع منا الكيل فارسل معنا اخانا نكتل وانا له لحافظون قال هل امنكم عليه الا كما امنتكم على اخيه من قبل فالله خير حفظا وهو ارحم الراحمين ولما فتحوا متاعهم وجدوا بضاعتهم ردت اليهم قالوا يا ابانا ما نبغي هذه بضاعتنا ردت الينا ونمير اهلنا ونحفظ اخانا ونزداد كيل بعير ذلك كيل يسير قال لن ارسله معكم حتى تؤتون موثقا من الله لتاتنني به الا ان يحاط بكم فلما اتوه موثقهم قال الله على ما نقول وكيل وقال يا بني لا تدخلوا من باب واحد وادخلوا من ابواب متفرقة وما اغني عنكم من الله من شي ان الحكم الا لله عليه توكلت وعليه فليتوكل المتوكلون ولما دخلوا من حيث امرهم ابوهم ما كان يغني عنهم من الله من شي الا حاجة في نفس يعقوب قضاها وانه لذو علم لما علمناه ولكن اكثر الناس لا يعلمون   يذكر تعالى ما كان من امرهم بعد رجوعهم الى ابيهم وقولهم له منع منا الكيل فارسل معنا اخانا فانا ارسلته معنا لم يمنع منا ولما فتحوا متاعهم وجدوا بضاعتهم ردت اليهم قالوا يا ابانا ما نبغي اي اي شي نريد وقد ردت الينا بضاعتنا ونمير اهلنا اي نمتار لهم ونايتهم بما يصلحهم في سنتهم ومحلهم ونحفظ اخانا ونزداد بسببه كيل بعير قال الله تعالى ذلك كيل يسير اي في مقابلة ذهاب ولده الاخر وكان يعقوب عليه السلام اضن شي بولده بنيامين لانه كان يشم فيه رايحة اخيه ويتسلى به عنه ويتعوض بسببه منه فلهذا قال لن ارسله معكم حتى تؤتون موثقا من الله لتاتنني به الا ان يحاط بكم اي الا ان تغلبوا كلكم عن الاتيان به فلما اتوه موثقهم قال الله على ما نقول وكيل اكد المواثيق وقرر العهود واحتاط لنفسه في ولده ولن يغني حذر من قدر ولولا حاجته وحاجة قومه الى الميرة لما بعث الولد العزيز ولكن الاقدار لها احكام والرب تعالى يقدر ما يشاء ويختار ما يريد ويحكم ما يشاء وهو الحكيم العليم ثم امرهم ان لا يدخلوا المدينة من باب واحد ولكن ليدخلوا من ابواب متفرقة قيل اراد ان لا يصيبهم احد بالعين وذلك لانهم كانوا اشكالا حسنة وصورا بديعة قاله ابن عباس ومجاهد ومحمد بن كعب وقتادة والسدي والضحاك وقيل اراد ان يتفرقوا لعلهم يجدوا خبرا ليوسف او يحدثوا عنه باثر قاله ابراهيم النخعي والاول اظهر ولهذا قال وما اغني عنكم من الله من شي وقال تعالى ولما دخلوا من حيث امرهم ابوهم ما كان يغني عنهم من الله من شي الا حاجة في نفس يعقوب قضاها وانه لذو علم لما علمناه ولكن اكثر الناس لا يعلمون وعند اهل الكتاب انه بعث معهم هدية الى العزيز من الفستق واللوز والصنوبر والبطم والعسل واخذوا الدراهم الاولى وعوضا اخر

فلما دخلوا على يوسف اوى اليه اخاه قال اني انا اخوك فلا تبتيس بما كانوا يعملون فلما جهزهم بجهازهم جعل السقاية في رحل اخيه ثم اذن موذن ايتها العير انكم لسارقون قالوا واقبلوا عليهم ماذا تفقدون قالوا نفقد صواع الملك ولمن جاء به حمل بعير وانا به زعيم قالوا تالله لقد علمتم ما جينا لنفسد في الارض وما كنا سارقين قالوا فما جزاوه ان كنتم كاذبين قالوا جزاوه من وجد في رحله فهو جزاوه كذلك

كذلك نجزي الظالمين فبدأ باوعيتهم قبل وعاء اخيه ثم استخرجها من وعاء اخيه
كذلك كدنا ليوسف ما كان ليأخذ اخاه في دين الملك الا ان يشاء الله نرفع درجات من
نشاء وفوق كل ذي علم عليم قالوا ان يسرق فقد سرق اخ له من قبل فاسرها يوسف
في نفسه ولم يبدها لهم قال انتم شر مكانا والله اعلم بما تصفون قالوا يا ايها العزيز
ان له ابا شيخا كبيرا فخذ احدنا مكانه انا نراك من المحسنين قال معاذ الله ان
ناخذ الا من وجدنا متاعنا عنده انا اذا لظالمون

يذكر تعالى ما كان من امرهم حين دخلوا باخيهم بنيامين على شقيقه يوسف وايوائه اليه
واخباره له سرا عنهم بانه اخوه وامره بكتم ذلك عنهم وسلاه عما كان منهم من الاساءة اليه ثم
احتال على اخذه منهم وتركه اياه عنده دونهم فامر فتيانه بوضع سقايته وهي التي كان يشرب
بها ويكيل بها للناس الطعام من عزته في متاع بنيامين ثم اعلمهم بانهم قد سرقوا صواع
الملك ووعدهم جعالة على رده حمل بعير وضمنه المنادي لهم فاقبلوا على من اتهمهم بذلك
فانبوه وهجنوه فيما قاله لهم وقالوا تالله لقد علمتم ما جئنا لنفسد في الارض وما
كنا سارقين قالوا فما جزاؤه ان كنتم كاذبين قالوا جزاؤه من وجد في رحله فهو جزاؤه كذلك
نجزي الظالمين وهكذا كانت شريعتهم ان السارق يدفع الى المسروق منه ولهذا قالوا
كذلك نجزي الظالمين قال الله تعالى فبدأ باوعيتهم قبل وعاء اخيه ثم استخرجها من وعاء
ليكون ابعد للتهمة وابلغ في الحيلة قال الله تعالى كذلك كدنا ليوسف ما كان ليأخذ اخاه
في دين الملك اي لولا اعترافهم بان جزاؤه من وجد في رحله فهو جزاؤه لما كان يقدر يوسف
على اخذه منهم في سياسة ملك مصر الا ان يشاء الله نرفع درجات من نشاء اي في العلم وفوق
كل ذي علم عليم وذلك لان يوسف كان اعلم منهم واتم رأيا واقوى عزما وحزما وانما فعل
ما فعل عن امر الله له في ذلك لانه يترتب على هذا الامر مصلحة عظيمة بعد ذلك من قدوم
ابيه وقومه عليه ووفودهم اليه فلما عاينوا استخراج الصواع من حمل بنيامين قالوا
ان يسرق فقد سرق اخ له من قبل يعنون يوسف قيل كان قد سرق صنما لجده ابي امه فكسره
وقيل كانت عمته قد علقت عليه بين ثيابه وهو صغير منطقة كانت لاسحق ثم استخرجوها
من بين ثيابه وهو لا يشعر بما صنعت وانما ارادت ان يكون عندها وفي حضانتها لمحبتها
له وقيل كان ياخذ الطعام من البيت فيطعمه الفقراء وقيل غير ذلك فلهذا قالوا ان
يسرق فقد سرق اخ له من قبل فاسرها يوسف في نفسه وهي كلمته بعدها وقوله انتم
شر مكانا والله اعلم بما تصفون اجابهم سرا لا جهرا حلما وكرما وصفحا وعفوا فدخلوا معه
في الترفق والتعطف فقالوا يا ايها العزيز ان له ابا شيخا كبيرا فخذ احدنا مكانه انا
نراك من المحسنين قال معاذ الله ان ناخذ الا من وجدنا متاعنا عنده انا اذا لظالمون اي
ان اطلقنا المتهم واخذنا البري هذا ما لا يفعله ولا نسمح به وانما ناخذ من وجدنا متاعنا
عنده وعند اهل الكتاب ان يوسف تعرف اليهم حينئذ وهذا مما غلطوا فيه ولم يفهموه
جدا فلما استيأسوا منه خلصوا نجيا قال كبيرهم الم تعلموا ان اباكم قد اخذ عليكم موثقا
من الله ومن قبل ما فرطتم في يوسف فلن ابرح الارض حتى ياذن لي ابي او يحكم الله لي وهو
خير الحاكمين ارجعوا الى ابيكم فقولوا يا ابانا ان ابنك سرق وما شهدنا الا بما علمنا وما
كنا للغيب حافظين واسأل القرية التي كنا فيها والعير التي اقبلنا فيها وانا لصادقون

يقولون انتم تعلمون خلاف ما رأيتموا من السرقة صح

قال بل سولت لكم انفسكم امرا فصبر جميل عسى الله ان ياتيني بهم جميعا انه هو العليم
الحكيم وتولى عنهم وقال يا اسفى على يوسف وابيضت عيناه من الحزن فهو كظيم قالوا
تالله تفتؤ تذكر يوسف حتى تكون حرضا او تكون من الهالكين قال انما اشكو بثي وحزني
الى الله واعلم من الله ما لا تعلمون يا بني اذهبوا فتحسسوا من يوسف واخيه ولا تيأسوا
من روح الله انه لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون يقول تعالى مخبرا عنهم انهم
لما استيأسوا من اخذه منهم خلصوا يتناجون فيما بينهم قال كبيرهم وهو روبيل
الم تعلموا ان اباكم قد اخذ عليكم موثقا من الله لتأتنني به الا ان يحاط بكم وقد اخلفتم
موعده وفرطتم فيه كما فرطتم في اخيه يوسف من قبله فلم يبق لي وجه اقابله به فلن ابرح
الارض اي لا ازال مقيما هاهنا حتى ياذن لي ابي في القدوم عليه او يحكم الله لي بان يقدرني
على رد اخي الى ابي وهو خير الحاكمين ارجعوا الى ابيكم فقولوا يا ابانا ان ابنك سرق اي اخبروه
بما رأيتم من الامر في ظاهر المشاهدة وما شهدنا الا بما علمنا وما كنا للغيب حافظين
واسأل القرية التي كنا فيها والعير التي اقبلنا فيها اي فان هذا الذي اخبرناك به من اخذهم
اخانا لانه سرق امر اشتهر بمصر وعلمه مع العير التي كنا فيها هنالك وانا لصادقون
قال بل سولت لكم انفسكم امرا فصبر جميل اي ليس الامر كما ذكرتم لم يسرق فانه ليس سجيته
له ولا خلقه وانما سولت لكم انفسكم امرا فصبر جميل قال ابن اسحاق وغيره لما كان التفريط
منهم في بنيامين مترتبا على صنعهم في يوسف قال لهم ما قال وهذا كما قال بعض السلف
ان من جزاء السيئة السيئة بعدها ثم ترجى من الله ان يأتيني بهم جميعا يعني يوسف
وبنيامين وروبيل انه هو العليم اي تعالى وما انا فيه من فاقة الحكمة في جميع ما يقدره
ويفعله له الحكمة البالغة والحجة الدامغة وتولى عنهم اي اعرض عن بنيه وقال يا اسفى
على يوسف ذكره حزنه الجديد بالحزن القديم وحرك ما كان كامنا كما قال بعضهم

نقل فؤادك حيث شئت من الهوى	ما الحب الا للحبيب الاول	وقال الاخر
لقد لامني عند القبور على البكا	رفيقي لتذراف الدموع السوافك	
فقال اتبكي كل قبر رأيته	لقبر ثوى بين اللوى فالدكادك	
فقلت له ان الاسى يبعث الاسى	فدعني فهذا كله قبر مالك	

وقوله وابيضت عيناه من الحزن اي من كثرة البكا فهو كظيم اي مكمد من كثرة حزنه
واسفه وشوقه الى يوسف فلما راى بنوه ما يقاسيه من الوجد والم الفراق قالوا له
على وجه الرحمة له والرأفة به تالله تفتؤ تذكر يوسف حتى تكون حرضا او تكون من الهالكين
يقولون لا تزال تذكره حتى ينحل جسدك وتضعف قوتك فلو رفقت بنفسك كان
اولى بك قال انما اشكو بثي وحزني الى الله واعلم من الله ما لا تعلمون يقول لبنيه لست
اشكو اليكم ولا الى احد من الناس ما انا فيه انما اشكوه الى الله عز وجل واعلم ان الله سيجعل
لي مما انا فيه فرجا ومخرجا واعلم ان رؤيا يوسف لا بد ان تقع ولا بد ان اسجد له انا وانتم حسب
ما رأى ولهذا قال واعلم من الله ما لا تعلمون ثم قال لهم محرضا على تطلب يوسف
واخيه وان يبحثوا عن امرهما يا بني اذهبوا فتحسسوا من يوسف واخيه ولا تيأسوا
من روح الله انه لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون اي لا تيأسوا من الفرج
بعد الشدة فانه لا ييأس من روح الله وفرجه وما يقدره من المخرج في المضايق الا القوم

الكافرون فلما دخلوا عليه قالوا يا ايها العزيز مسنا واهلنا الضر وجئنا ببضاعة مزجاة
فاوف لنا الكيل وتصدق علينا ان الله يجزي المتصدقين قال هل علمتم ما فعلتم بيوسف
واخيه اذ انتم جاهلون قالوا ائنك لانت يوسف قال انا يوسف وهذا اخي قد من الله
علينا انه من يتق ويصبر فان الله لا يضيع اجر المحسنين قالوا تالله لقد آثرك الله علينا
وان كنا لخاطئين قال لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو ارحم الراحمين اذهبوا
بقميصي هذا فالقوه على وجه ابي يأت بصيرا واتوني باهلكم اجمعين يخبر تعالى عن رجوع
اخوة يوسف اليه وقدومهم عليه ورغبتهم فيما لديه من الميرة والصدقة عليهم برد اخيهم
بنيامين اليهم فلما دخلوا عليه قالوا يا ايها العزيز مسنا واهلنا الضر من الجدب وضيق
الحال وكثرة العيال وجئنا ببضاعة مزجاة اي ضعيفة لا يقبل مثلها منا الا ان يتجاوز
عنا وقيل كانت دراهم ردية وقيل قليلة وقيل حب الصنوبر وحب البطم وغير ذلك
وعن ابن عباس كانت خلق الغرائر والحبال ونحو ذلك فاوف لنا الكيل وتصدق علينا
ان الله يجزي المتصدقين قيل بقبولها قاله السدي وقيل برد اخينا الينا قاله
ابن جريج وقال سفيان بن عيينة انما حرمت الصدقة على نبينا محمد صلى الله عليه
وسلم ونزع بهذه الآية رواه ابن جرير فلما رأى ما هم فيه من الحال وما جاءوا به مما لم يبق
عندهم سواه من ضعيف المال تعرف اليهم وعطف عليهم قائلا لهم عن امر ربه وربهم وقد
حسر لهم عن جبينه الشريف وما يحويه من الخال فيه الذي يعرفون هل علمتم ما فعلتم بيوسف
واخيه اذ انتم جاهلون قالوا وتعجبوا كل العجب وقد ترددوا اليه مرارا عديدة وهم
لا يعرفون انه هو ائنك لانت يوسف قال انا يوسف وهذا اخي يعني انا يوسف
الذي صنعتم معه ما صنعتم وسلف من امركم فيه ما فرطتم وقوله وهذا اخي تأكيدا لما
قال وتنبيها على ما كانوا اضمروا لهما من الحسد واعملوا في امرهما من الاحتيال ولهذا قال
قد من الله علينا اي باحسانه الينا وصدقته علينا وايوائه لنا وشده معاقد عزنا
وذلك بما اسلفنا من طاعة ربنا وصبرنا على ما كان منكم الينا وطاعتنا وبرنا لابينا
ومحبته الشديدة لنا وشفقته علينا انه من يتق ويصبر فان الله لا يضيع اجر المحسنين
قالوا تالله لقد آثرك الله علينا اي فضلك واعطاك ما لم يعطنا وان كنا لخاطئين
اي فيما اسدينا اليك وها نحن بين يديك قال لا تثريب عليكم اليوم اي لست اعاتبكم
على ما كان منكم بعد يومكم هذا ثم زادهم على ذلك فقال يغفر الله لكم وهو ارحم الراحمين
ومن زعم ان الوقف على قوله لا تثريب عليكم وابتدأ بقوله اليوم يغفر الله لكم فقوله
ضعيف والصحيح الاول ثم امرهم بان يذهبوا بقميصه وهو الذي يلي جسده فيضعوه
على عيني يعقوب فانه يرجع اليه بصره بعد ما كان ذهب باذن الله وهذا من
خوارق العادات ودلائل النبوات واكبر المعجزات ثم امرهم ان يتحملوا باهلهم اجمعين
الى ديار مصر الى الخير والدعة وجمع الشمل بعد الفرقة على اكمل الوجوه واعلى الامور ولما
فصلت العير قال ابوهم اني لاجد ريح يوسف لولا ان تفندون قالوا تالله انك لفي
ضلالك القديم فلما ان جاء البشير القاه على وجهه فارتد بصيرا قال الم اقل لكم اني
اعلم من الله ما لا تعلمون قالوا يا ابانا استغفر لنا ذنوبنا انا كنا خاطئين قال سوف
استغفر لكم ربي انه هو الغفور الرحيم قال عبد الرزاق انا اسرائيل عن ابي سنان عن

عبد الله بن ابي الهذيل سمعت ابن عباس يقول فلما فصلت العير قال لما خرجت
العير هاجت ريح فجاءت يعقوب بريح قميص يوسف فقال اني لاجد ريح يوسف
لولا ان تفندون قال فوجد ريحه من مسيرة ثلاثة ايام وكذا رواه الثوري وشعبة
وغيرهما عن ابي سنان به وقال الحسن البصري وابن جريج المكي كان بينهما مسيرة
ثمانين فرسخا وكان له عنه منذ فارقه ثمانون سنة وقوله لولا ان تفندون اي
تقولون انما قلت هذا من الفند وهو الخرف وكبر السن قال ابن عباس وعطاء ومجاهد
وسعيد بن جبير وقتادة تفندون تسفهون وقال مجاهد ايضا والحسن تهرمون
قالوا تالله انك لفي ضلالك القديم قال قتادة والسدي قالوا له كلمة غليظة
قال الله تعالى فلما ان جاء البشير القاه على وجهه فارتد بصيرا اي بمجرد ما جاء القى
القميص على وجه يعقوب فرجع من فوره بصيرا بعد ما كان ضريرا وقال لبنيه
بعد ذلك الم اقل لكم اني اعلم من الله ما لا تعلمون اي اعلم ان الله سيجمع شملي بيوسف
وستقر عيني به وسيريني فيه ومنه ما يسرني فعند ذلك قالوا يا ابانا استغفر
لنا ذنوبنا انا كنا خاطئين طلبوا اليه ان يستغفر لهم الله عز وجل عما كانوا
فعلوا ونالوا منه ومن ابنه مما كانوا عليه عزموا ولما كان من نيتهم التوبة قبل الفعل
وفقهم الله للاستغفار عنده فوقع ذلك منهم فاجابهم ابوهم الى ما اليه سألوا وما عليه
عولوا قال سوف استغفر لكم ربي انه هو الغفور الرحيم قال ابن مسعود وابراهيم التيمي
وعمرو بن قيس وابن جريج وغيرهم ارجأهم الى وقت السحر قال ابن جرير حدثني ابو السائب
ثنا ابن ادريس سمعت عبد الرحمن بن اسحاق يذكر عن محارب بن دثار قال كان عمر يأتي
المسجد فسمع انسانا يقول اللهم دعوتني فاجبت وامرتني فاطعت وهذا السحر
فاغفر لي قال فاستمع الصوت فاذا هو من دار عبد الله بن مسعود فسئل عبد الله
عن ذلك فقال ان يعقوب اخر بنيه الى السحر بقوله سوف استغفر لكم ربي وقد
قال الله تعالى والمستغفرين بالاسحار وثبت في الصحيحين عن رسول الله صلى
الله عليه وسلم قال ينزل ربنا كل ليلة الى سماء الدنيا فيقول هل من تائب فاتوب
عليه هل من سائل فاعطيه هل من مستغفر فاغفر له وقد ورد في حديث ان يعقوب
ارجأ بنيه الى ليلة جمعة فقال ابن جرير حدثني المثنى بن سليمان ثنا سليمان بن عبد
الرحمن بن ايوب الدمشقي ثنا الوليد انا ابن جريج عن عطاء وعكرمة عن ابن عباس
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم سوف استغفر لكم ربي يقول حتى تأتي ليلة الجمعة
وهو قول اخي يعقوب لبنيه وهذا غريب من هذا الوجه وفي رفعه نظر والاشبه ان يكون
موقوفا على ابن عباس رضي الله عنه فلما دخلوا على يوسف آوى اليه ابويه وقال
ادخلوا مصر ان شاء الله آمنين ورفع ابويه على العرش وخروا له سجدا وقال يا ابت
هذا تأويل رؤياي من قبل قد جعلها ربي حقا وقد احسن بي اذ اخرجني من السجن وجاء بكم من
البدو من بعد ان نزغ الشيطان بيني وبين اخوتي ان ربي لطيف لما يشاء انه هو العليم
الحكيم رب قد آتيتني من الملك وعلمتني من تأويل الاحاديث فاطر السموات والارض
انت وليي في الدنيا والآخرة توفني مسلما والحقني بالصالحين هذا اخبار عن حال اجتماع
المتحابين بعد الفرقة الطويلة التي قيل انها ثمانون سنة وقيل ثلاث وثمانون

عبدالله

سنة وهما روايتان عن الحسن وقيل خمس وثلاثون سنة قاله قتادة وقال محمد بن
اسحاق ذكروا عنه انه غاب ثماني عشرة سنة قال واهل الكتاب يدعون انه غاب بضعا واربعين
سنة وظاهر سياق القصة يرشد الى تحديد المدة تقريبا فان المراة راودته وهو شاب ابن
سبع عشرة سنة فيما قاله غير واحد فاستعصم فكان في السجن بضع سنين وهي سبع عند عكرمة
وغيره ثم اخرج فكانت سنوات الخصب السبع ثم لما امحل الناس في السبع البواقي جا اخوته
يمتارون في السنة الاولى وحدهم وفي الثانية ومعهم اخوهم بنيامين وفي الثالثة تعرف
اليهم وامرهم باحضار اهلهم اجمعين فجاوا كلهم فلما دخلوا عليه اوى اليه ابويه اجتمع بهما
خصوصا وحدهما دون اخوته وقال ادخلوا مصر ان شا الله امنين قيل هذا من المقدم
والموخر تقديره قال ادخلوا مصر واوى اليه ابويه فلما دخلوا عليه مصر ان شا الله امنين
وضعفه ابن جرير وهو معذور وقيل بل تلقاهما واواهما في منزل الخيام ثم لما اقتربوا
من باب مصر قال ادخلوا مصر ان شا الله امنين قاله السدي ولو قيل ان الامر لا يحتاج
الى هذا ايضا وانه ضمن قوله ادخلوا معنى اسكنوا مصر واقيموا بها ان شا الله امنين
لكان صحيحا مليحا ايضا وعند اهل الكتاب ان يعقوب لما وصل الى ارض جاشر وهي
ارض بلبيس خرج يوسف لتلقيه وكان يعقوب قد بعث ابنه يهودا بين يديه
مبشرا بقدومه وعندهم ان الملك اطلق لهم ارض جاشر يكونون فيها ويقيمون بها
بنعمهم ومواشيهم وقد ذكر جماعة من المفسرين انه لما ازف قدوم نبي الله يعقوب وهو
اسرائيل ان يخرج لتلقيه فركب معه الملك وجنوده خدمة ليوسف وتعظيما لنبي الله اسرائيل
وانه دعا للملك وان الله رفع عن اهل مصر بقية سني الجدب ببركة قدومه اليهم والله
اعلم وكان جملة من قدم مع يعقوب من بنيه واولادهم فيما قاله ابو اسحاق السبيعي عن ابي
عبيدة عن ابن مسعود ثلاثة وستين انسانا وقال موسى بن عبيدة عن محمد بن كعب
عن عبد الله بن شداد كانوا ثلاثة وثمانين انسانا وقال ابو اسحاق عن مسروق
دخلوا وهم ثلثمائة وتسعون انسانا قالوا وخرجوا مع موسى وهم ازيد من ستمائة الف
مقاتل وفي نص اهل الكتاب انهم كانوا سبعين نفسا وسموهم قال الله تعالى ورفع ابويه
على العرش قيل كانت امه قد ماتت كما هو عند علما التوراة قال بعض المفسرين فاحياها
الله تعالى وقال اخرون بل كانت خالته والخالة بمنزلة الام وقال ابن جرير واخرون
بل ظاهر القران يقتضي بقا حياة امه الى يومئذ فلا يعول على نقل اهل الكتاب فيما خالفه
وهذا قوي والله اعلم ورفعهما على العرش اي اجلسهما على سريره وخروا له سجدا اي سجد له
الابوان والاخوة الاحد عشر تعظيما وتكريما وكان هذا مشروعا لهم ولم يزل ذلك معمولا
به في سائر الشرائع حتى حرم في ملتنا وقال يا ابت هذا تاويل رؤياي من قبل اي هذا تعبير
ما كنت قصصته عليك من رؤيتي الاحد عشر كوكبا والشمس والقمر حين رايتهم لي ساجدين
وامرتني بكتمانها ووعدتني ما وعدتني عند ذلك قد جعلها ربي حقا وقد احسن بي اذ اخرجني
من السجن اي بعد الهم والضيق جعلني حاكما نافذ الكلمة في الديار المصرية حيث شئت
وجاء بكم من البدو اي البادية وكانوا يسكنون ارض العربات من بلاد الخليل من
بعد ان نزغ الشيطان بيني وبين اخوتي اي فيما كان منهم الي من الامر الذي تقدم وسبق
ذكره ثم قال ان ربي لطيف لما يشاء اي اذا اراد شيئا هيا اسبابه ويسرها وسهلها

من وجوه لا يهتدي اليها العباد بل يقدرها وييسرها بلطيف صنعه وعظيم قدرته
انه هو العليم اي بجميع الامور الحكيم في خلقه وشرعه وقدره وعند اهل الكتاب ان
يوسف باع اهل مصر وغيرهم من الطعام الذي كان تحت يده باموالهم كلها من الذهب
والفضة والعقار والاثاث وما يملكونه كله حتى باعهم بانفسهم فصاروا ارقا ثم اطلق
لهم ارضهم واعتق رقابهم على ان يعملوا ويكون خمس ما يستغلون من زرعهم وثمارهم
للملك فصارت سنة اهل مصر بعده وحكى الثعلبي انه كان لا يشبع في تلك السنين
حتى لا ينسى الجيعان وانه انما كان ياكل اكلة واحدة نصف النهار قال فمن ثم اقتدى
به الملوك في ذلك قلت وقد كان امير المومنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه لا يشبع
بطنه عام الرمادة حتى ذهب الجدب واتى الخصب قال الشافعي قال رجل من الاعراب
لعمر بعد ما ذهب عام الرمادة لقد انجلت عنك وانك لابن حرة ثم لما راى يوسف
عليه السلام نعمته قد تمت وشمله قد اجتمع عرف ان هذه الدار لا يقر بها قرار وان كل شي
فيها ومن عليها فان وما بعد التمام الا النقصان فعند ذلك اثنى على ربه بما هو اهله
واعترف له بعظيم احسانه وفضله وسال منه وهو خير المسولين ان يتوفاه اي حين يتوفاه
على الاسلام وان يلحقه بعباده الصالحين وهكذا كما يقال في الدعا اللهم احينا مسلمين
وتوفنا اي حين تتوفانا ويحتمل انه سال ذلك عند احتضاره ان يرفع روحه الى الملا
الاعلى والرفقا الصالحين من النبيين والمرسلين كما قال النبي صلعم في الرفيق الاعلى ثلثا
ثم قضى ويحتمل ان يوسف عليه السلام سال الوفاة على الاسلام منجزا في صحة بدنه
وسلامته وان ذلك كان سايغا في ملتهم وشريعتهم كما روي عن ابن عباس انه قال ما تمنى
نبي الموت قبل يوسف فاما في شريعتنا فقد نهي عن الدعا بالموت الا عند الفتن كما
في حديث معاذ في الدعا الذي رواه احمد واذا اردت بقوم فتنة فتوفنا اليك غير
مفتونين وفي الحديث الاخر ابن ادم الموت خير لك من الفتنة وقالت مريم عليها السلام
يا ليتني مت قبل هذا وكنت نسيا منسيا وتمنى الموت علي بن ابي طالب لما تفاقمت
الامور وعظمت الفتن واشتد القتال وكثر القيل والقال وتمنى ذلك البخاري
صاحب الصحيح لما اشتد عليه الحال ولقي من مخالفيه الاهوال فاما في حال الرفاهية
فقد روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث انس بن مالك قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم لا يتمنين احدكم الموت لضر نزل به اما محسنا فيزداد واما مسيا
فلعله يستعتب ولكن ليقل اللهم احيني ما كانت الحياة خيرا لي وتوفني اذا كانت الوفاة
خيرا لي والمراد بالضر ههنا ما يحصل للعبد في بدنه من مرض ونحوه لا في دينه والظاهر
ان نبي الله يوسف عليه السلام سال ربه ذلك اما عند احتضاره او اذا كان ذلك يكون
كذلك وقد ذكر ابن اسحاق عن اهل الكتاب ان يعقوب اقام بديار مصر عند يوسف سبع
عشرة سنة ثم توفي عليه السلام وكان قد اوصى الى يوسف عليه السلام ان يدفن عند
ابويه ابراهيم واسحاق قال السدي فصبره وسيره الى بلاد الشام فدفنه في المغارة
عند ابيه اسحاق وجده الخليل عليه السلام وعند اهل الكتاب ان عمر يعقوب يوم دخل مصر
مائة وثلاثون سنة وعندهم انه اقام بارض مصر سبع عشرة سنة ومع هذا قالوا فكان
جميع عمره مائة واربعين سنة هذا نص كتابهم وهو غلط اما في النسخة او منهم او قد

استنطوا الكنز لبيت بعادتهم فيما هو اكثر من هذا فكيف يستعملون هذه الطريقة
وقد قال الله تعالى ام كنتم شهداء اذ حضر يعقوب الموت اذ قال لبنيه ما تعبدون من بعدي
قالوا نعبد الهك واله ابائك ابراهيم واسماعيل واسحاق الها واحدا ونحن له مسلمون
يوصي بنيه بالاخلاص وهو دين الاسلام الذي بعث الله به الانبياء عليهم السلام وقد ذكر
اهل الكتاب انه وصى بنيه واحدا واحدا واخبرهم بما يكون من امرهم وبشرهم بخروج نبي
عظيم من نسله تطيعه الشعوب وهو عيسى بن مريم والله اعلم وذكروا انه لما مات
يعقوب بكى عليه اهل مصر سبعين يوما وامر يوسف الاطباء فطيبوه بطيب ومكث فيه
اربعين يوما ثم استاذن يوسف لملك مصر في الخروج مع ابيه ليدفنه عند اهله فاذن
له فخرج معه اكابر مصر وشيوخها فلما وصلوا حبرون دفنوه في المغارة التي كان قد
اشتراها ابراهيم الخليل من عفرون بن صخر الحيثي فدفن فيها وعملوا له عزاء سبعة ايام
قالوا ثم رجعوا الى بلادهم وعزى اخوة يوسف ليوسف في ابيهم وترققوا له فاكرمهم
واحسن منقلبهم فاقاموا ببلاد مصر ثم حضرت يوسف عليه السلام الوفاة فاوصى ان يحمل
معهم اذا خرجوا من مصر فيدفن عند ابائه فحنطوه ووضعوه في تابوت فكان بمصر حتى اخرجه
معهم موسى عليه السلام فدفنه عند ابائه كما سيأتي قالوا ومات وهو ابن مائة سنة وعشر سنين
هذا نصهم فيما رأيته وهكذا حكاه ابن جرير ايضا وقال مبارك بن فضالة عن الحسن القي
يوسف في الجب وهو ابن سبع عشرة سنة وغاب عن ابيه ثمانين سنة وعاش بعد ذلك
ثلثا وعشرين سنة ومات وهو ابن مائة سنة وعشرين سنة وقال غيره اوصى الى اخيه
يهوذا عليه السلام

قصة ايوب عليه السلام

قال ابن اسحاق كان رجلا من الروم وهو ايوب بن موص بن رازح بن العيص بن اسحاق بن ابراهيم
الخليل وقال غيره هو ايوب بن موص بن رعويل بن العيص بن اسحاق بن يعقوب وقيل
غير ذلك في نسبه وحكى ابن عساكر ان امه بنت لوط عليه السلام وقيل كان ابوه ممن امن
بابراهيم يوم القي في النار فلم تحرقه والمشهور الاول لانه من ذرية ابراهيم كما قررنا عند
قوله تعالى ومن ذريته داود وسليمان وايوب ويوسف وموسى وهارون الايات من ان
الصحيح ان الضمير عائد على ابراهيم دون نوح عليهما السلام وهو من الانبياء المنصوص
على الايحاء اليهم في سورة النساء في قوله انا اوحينا اليك كما اوحينا الى نوح والنبيين من
بعده واوحينا الى ابراهيم واسماعيل واسحاق ويعقوب والاسباط وعيسى وايوب الاية
فالصحيح انه من سلالة العيص بن اسحاق وامرأته قيل اسمها ليا بنت يعقوب وقيل
رحمة بنت افرائيم وقيل منشا بنت يوسف بن يعقوب وهذا اشهر فلهذا ذكرناه ههنا
ثم نعطف بذكر انبياء بني اسرائيل بعد ذكر قصته ان شاء الله وبه الثقة وعليه التكلان قال
الله تعالى وايوب اذ نادى ربه اني مسني الضر وانت ارحم الراحمين فاستجبنا له فكشفنا
ما به من ضر واتيناه اهله ومثلهم معهم رحمة من عندنا وذكرى للعابدين وقال تعالى في سورة
ص واذكر عبدنا ايوب اذ نادى ربه اني مسني الشيطان بنصب وعذاب اركض برجلك
هذا مغتسل بارد وشراب ووهبنا له اهله ومثلهم معهم رحمة منا وذكرى لاولي الالباب
وخذ بيدك ضغثا فاضرب به ولا تحنث انا وجدناه صابرا نعم العبد انه اواب وروى
ابن عساكر من طريق الكلبي انه قال اول نبي بعث ادريس ثم نوح ثم ابراهيم ثم اسماعيل

واسحاق ثم يعقوب ثم يوسف ثم لوط ثم هود ثم صالح ثم شعيب ثم موسى وهارون ثم
الياس ثم اليسع ثم عرفي بن سويلخ بن افرائيم بن يوسف بن يعقوب ثم يونس بن متى
من بني يعقوب ثم ايوب بن رازح بن اموص بن ليفرز بن العيص بن اسحاق بن ابراهيم
وفي بعض هذا الترتيب نظر فان هودا وصالحا المشهور انهما بعد نوح وقيل ابراهيم
والله اعلم قال علماء التفسير والتاريخ وغيرهم كان ايوب رجلا كثير المال من سائر
صنوفه وانواعه من الانعام والعبيد والمواشي والاراضي المتسعة بارض البثنية من
ارض حوران وحكى ابن عساكر انها كانت له كلها وكان له اولاد واهلون كثير فسلب من ذلك
وابتلي في جسده بانواع من البلاء ولم يبق منه عضو سليم سوى قلبه ولسانه يذكر الله
عز وجل بهما وهو في ذلك كله صابر محتسب ذاكر لله عز وجل في ليله ونهاره وصباحه
ومسائه وطال مرضه حتى عافه الجليس واوحش منه الانيس واخرج من بلده والقي
على مزبلة خارجها وانقطع عنه الناس ولم يبق احد يحنو عليه سوى زوجته كانت ترعى
له حقه وتعرف قديم احسانه اليها وشفقته عليها فكانت تتردد اليه فتصلح من شأنه
وتعينه على قضاء حاجته وتقوم بمصلحته وضعف حالها وقل ما لها حتى كانت تخدم
الناس بالاجر لتطعمه وتقوم باوده رضي الله عنها وارضاها وهي صابرة معه على ما حل بهما
من فراق المال والولد وما يختص بها من المصيبة بالزوج وضيق ذات اليد وخدمة
الناس بعد السعادة والنعمة والخدمة والحرمة فانا لله وانا اليه راجعون وقد ثبت
في الصحيح ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اشد الناس بلاء الانبياء ثم الصالحون ثم
الامثل فالامثل يبتلى الرجل على حسب دينه فان كان في دينه صلابة زيد في بلائه ولم يزد
هذا كله ايوب الا صبرا واحتسابا وحمدا وشكرا حتى ان المثل ليضرب بصبره عليه السلام
ويضرب المثل ايضا بما حصل له من انواع البلايا وقد روي عن وهب بن منبه وغيره من
علماء بني اسرائيل في قصة ايوب خبرا طويلا في كيفية ذهاب ماله وولده وبلائه في جسده
والله اعلم بصحته وعن مجاهد انه قال كان ايوب اول من اصابه الجدري وقد اختلف
في مدة بلواه على اقوال فزعم وهب انه ابتلي ثلاث سنين لا يزيد ولا ينقص وقال
الحسن وقتادة ابتلي سبع سنين واشهرا والقي على مزبلة لبني اسرائيل يختلف
الدواب في جسده حتى فرج الله عنه واعظم له الاجر واحسن الثناء عليه وقال حميد
مكث في بلواه ثماني عشرة سنة وقال السدي تساقط لحمه حتى لم يبق الا العظم
والعصب فكانت امرأته تأتيه بالرماد تفرشه تحته فلما طال عليها قالت يا ايوب
لو دعوت ربك لفرج عنك فقال قد عشت سبعين سنة صحيحا فهو قليل لله ان
اصبر له سبعين سنة فجزعت من هذا الكلام وكانت تخدم الناس بالاجر وتطعم
ايوب عليه السلام ثم ان الناس لم يكونوا يستخدمونها لعلمهم انها امرأة ايوب
خوفا من ان ينالهم من بلائه او تعديهم بمخالطته فلما لم تجد احدا يستخدمها عمدت
فباعت لبعض بنات الاشراف احدى ضفيرتيها بطعام طيب كثير فاتت به ايوب
فقال من اين لك هذا وانكره فقالت خدمت به اناسا فلما كان الغد لم تجد احدا فباعت
الضفيرة الاخرى بطعام فاتته به فانكره ايضا وحلف لا ياكله حتى يخبره من اين لها هذا
الطعام فكشفت عن رأسها خمارها فلما رأى رأسها محلوقا قال في دعائه اني مسني

الضرر وانت ارحم الراحمين وقال ابن ابي حاتم ثنا ابي ثنا ابو سلمة ثنا جرير بن حازم عن عبد الله بن عبيد بن عمير قال كان لايوب اخوان فجاءا يوما فلم يستطيعا ان يدنوا منه من ريحه فقاما من بعيد فقال احدهما لصاحبه لو كان الله علم من ايوب خيرا ما ابتلاه بهذا فجزع ايوب من قولهما جزعا لم يجزع من شيء قط فقال اللهم ان كنت تعلم اني لم ابت ليلة قط شبعانا وانا اعلم مكان جائع فصدقني فصدق من السماء وهما يسمعان ثم قال اللهم ان كنت تعلم اني لم يكن لي قميصان قط وانا اعلم مكان عار فصدقني فصدق من السماء وهما يسمعان ثم قال اللهم بعزتك وخر ساجدا فقال اللهم بعزتك لا ارفع راسي ابدا حتى تكشف عني فما رفع راسه حتى كشف عنه وقال ابن ابي حاتم وابن جرير جميعا ثنا يونس بن عبد الاعلى انا ابن وهب اخبرني نافع بن يزيد عن عقيل عن الزهري عن انس بن مالك ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان نبي الله ايوب لبث به بلاؤه ثماني عشرة سنة فرفضه القريب والبعيد الا رجلين من اخوانه كانا من اخص اخوانه له كانا يغدوان اليه ويروحان فقال احدهما لصاحبه تعلم والله لقد اذنب ايوب ذنبا ما اذنبه احد من العالمين قال له صاحبه وما ذاك قال منذ ثماني عشرة سنة لم يرحمه ربه فيكشف ما به فلما راحا اليه لم يصبر الرجل حتى ذكر ذلك له فقال ايوب لا ادري ما تقول غير ان الله عز وجل يعلم اني كنت امر على الرجلين يتنازعان فيذكران الله فارجع الى بيتي فاكفر عنهما كراهية ان يذكر الله الا في حق قال وكان يخرج في حاجته فاذا قضاها امسكت امراته بيده حتى يرجع فلما كان ذات يوم ابطات عليه فاوحى الى ايوب في مكانه ان اركض برجلك هذا مغتسل بارد وشراب فاستبطاته فتلقته تنظر واقبل عليها قد اذهب الله ما به من البلاء وهو على احسن ما كان فلما راته قالت اي بارك الله فيك هل رايت نبي الله هذا المبتلى والله على ذلك ما رايت رجلا اشبه به منك اذ كان صحيحا قال فاني انا هو قال وكان له اندران اندر للقمح واندر للشعير فبعث الله سحابتين فلما كانت احداهما على اندر القمح افرغت فيه الذهب حتى فاض وافرغت الاخرى في اندر الشعير الورق حتى فاض لفظ ابن جرير وهكذا رواه بتمامه ابن حبان في صحيحه عن محمد بن الحسن بن قتيبة عن وهب وهذا غريب رفعه جدا والاشبه ان يكون موقوفا وقال ابن ابي حاتم ثنا ابي ثنا موسى بن اسماعيل ثنا حماد انا علي بن زيد عن يوسف بن مهران عن ابن عباس قال والبسه الله حلة من الجنة فتنحى ايوب وجلس في ناحية وجاءت امراته فلم تعرفه فقالت يا عبد الله هذا المبتلى الذي كان ههنا لعل الكلاب ذهبت به او الذئاب وجعلت تكلمه ساعة قال ويحك انا ايوب قالت اتسخر مني يا عبد الله فقال ويحك انا ايوب قد رد الله علي جسدي قال ابن عباس ورد الله عليه ماله وولده باعيانهم ومثلهم معهم وقال وهب بن منبه اوحى الله اليه قد رددت عليك اهلك ومالك ومثلهم معهم فاغتسل بهذا الماء فان فيه شفاءك وقرب عن صحابتك قربانا واستغفر لهم فانهم قد عصوني فيك رواه ابن ابي حاتم وقال ابن ابي حاتم ثنا ابو زرعة ثنا عمرو بن مرزوق ثنا همام عن قتادة عن النضر بن انس عن بشير بن نهيك عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لما عافى الله ايوب عليه السلام امطر عليه جرادا من ذهب فجعل ياخذ بيده ويجعل في ثوبه قال فقيل له يا ايوب اما تشبع قال يا رب ومن يشبع من رحمتك وكذا رواه الامام احمد عن

ابي داود الطيالسي وعبد الصمد عن همام عن قتادة به ورواه ابن حبان في صحيحه عن عبد الله بن محمد الازدي عن اسحاق بن راهويه عن عبد الصمد به ولم يخرجه احد من اصحاب الكتب وهو على شرط الصحيح وقال الامام احمد ثنا سفيان عن ابي الزناد عن الاعرج عن ابي هريرة ارسل على ايوب رجل من جراد من ذهب فجعل يقبضها في ثوبه فقيل يا ايوب الم يكفك ما اعطيناك قال اي رب ومن يستغني عن فضلك هذا موقوف وقد روي عن ابي هريرة من وجه اخر مرفوعا وقال الامام احمد ثنا عبد الرزاق ثنا معمر عن همام بن منبه قال هذا ما حدثنا ابو هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بينما ايوب يغتسل عريانا خر عليه جراد من ذهب فجعل ايوب يحثي في ثوبه فناداه ربه عز وجل الم اكن اغنيتك عما ترى قال بلى يا رب ولكن لا غنى بي عن بركتك رواه البخاري من حديث عبد الرزاق به وقوله اركض برجلك اي اضرب الارض برجلك فامتثل ما امره فانبع الله عينا باردة الماء وامر ان يغتسل فيها ويشرب منها فاذهب الله عنه ما كان يجده من الالم والاذى والسقم والمرض الذي كان في جسده ظاهرا وباطنا وابدله الله بعد ذلك كله صحة ظاهره وباطنه وجمالا تاما ومالا كثيرا حتى صب له من المال صبا مطرا عظيما جرادا من ذهب واخلف الله له اهله كما قال تعالى ووهبنا له اهله ومثلهم معهم فقيل احياهم الله باعيانهم وقيل اجره فيمن سلف وعوضهم عنهم في الدنيا بدلهم وجمع له شمله في الدنيا بكلهم في الدار الاخرة وقوله رحمة من عندنا اي رفعنا عنه شدته وكشفنا ما به من ضر رحمة منا ورافة واحسانا وذكرى للعابدين اي تذكرة لمن ابتلي ببلاء في جسده او ماله او ولده فله اسوة بنبي الله ايوب حيث ابتلاه الله بما هو اعظم من ذلك فصبر واحتسب حتى فرج الله عنه ومن فهم من هذا اسم امراته فقال هي رحمة من هذه الاية فقد ابعد النجعة واغرق في النزع وقال الضحاك عن ابن عباس رد اليها شبابها وزادها حتى ولدت له ستة وعشرين ولدا ذكرا وعاش ايوب بعد ذلك سبعين سنة بارض الروم على دين الحنيفية ثم غيروا بعده دين ابراهيم وقوله وخذ بيدك ضغثا فاضرب به ولا تحنث انا وجدناه صابرا نعم العبد انه اواب وهذه رخصة من الله لعبده ورسوله ايوب عليه السلام فيما كان من حلفه ليضربن امراته مائة سوط فقيل حلف ذلك لبيعها ضفائرها وقيل لانه اعترضها الشيطان في صورة طبيب يصف لها دواء لايوب فاتته فاخبرته فعرف انه الشيطان فحلف ليضربنها مائة سوط فلما عافاه الله عز وجل افتاه ان ياخذ ضغثا وهو كالعثكال الذي يجمع الشماريخ فيجمعها كلها ويضربها به ضربة واحدة ويكون هذا منزلة الضرب بمائة سوط ويبر ولا يحنث وهذا من الفرج والمخرج لمن اتقى الله واطاعه ولا سيما في حق امراته الصابرة المحتسبة المكابدة الصديقة البارة الراشدة رضي الله عنها ولهذا عقب الله هذه الرخصة وعللها بقوله انا وجدناه صابرا نعم العبد انه اواب وقد استعمل كثير من الفقهاء هذه الرخصة في باب الايمان والنذور وتوسع اخرون فيها حتى وضعوا كتاب الحيل في الخلاص من الايمان وصدروه بهذه الاية الكريمة واتوا فيه باشياء من العجائب والغرائب وسنذكر طرفا من ذلك في كتاب الاحكام عند الوصول اليه ان شاء الله وقد ذكر ابن جرير وغيره من علماء التاريخ ان ايوب عليه السلام لما توفي كان عمره ثلاثا وتسعين سنة وقيل انه عاش

أكثر من ذلك وقد روى ليث عن مجاهد ما معناه أن الله يحتج يوم القيامة بسليمان عليه
السلام على الأغنياء وبيوسف عليه السلام على الأرقاء وبأيوب عليه السلام على أهل البلاء
رواه ابن عساكر بمعناه وأنه أوصى إلى ولده حومل وقام بالأمر بعده ولده بشر بن أيوب
وهو الذي يزعم كثير من الناس أنه ذو الكفل والله أعلم ومات ابنه هذا وكان نبيا فيما يزعمون
وكان عمره من السنين خمسا وسبعين ولنذكرها هنا قصة ذي الكفل إذ قد قال بعضهم
إنه ابن أيوب عليه السلام

قصة ذي الكفل

الذي زعم قوم أنه ابن أيوب
قال الله تعالى بعد قصة أيوب في سورة الأنبياء وإسماعيل وإدريس وذا الكفل كل من
الصابرين وأدخلناهم في رحمتنا إنهم من الصالحين وقال تعالى بعد قصة أيوب أيضا
في سورة ص واذكر عبادنا إبراهيم وإسحاق ويعقوب أولي الأيدي والأبصار إنا أخلصناهم
بخالصة ذكرى الدار وإنهم عندنا لمن المصطفين الأخيار واذكر إسماعيل واليسع وذا
الكفل وكل من الأخيار فالظاهر من ذكره في القرآن العظيم بالثناء عليه مقرونا مع هؤلاء
السادة الأنبياء أنه نبي عليه من ربه الصلاة والسلام وهذا هو المشهور وقد زعم
آخرون أنه لم يكن نبيا وإنما كان رجلا صالحا وحكما مقسطا عادلا وكان قد تكفل لبني قومه أن
يكفيهم أمرهم ويقضي بينهم بالعدل فسمي ذا الكفل وروى ابن جرير وابن أبي حاتم
من طريق داود بن أبي هند عن مجاهد أنه قال لما كبر اليسع قال لو أني استخلفت رجلا
على الناس يعمل عليهم في حياتي حتى أنظر كيف يعمل فجمع الناس فقال من يتقبل لي بثلاث
أستخلفه يصوم النهار ويقوم الليل ولا يغضب قال فقام رجل تزدريه العين فقال
أنا فقال أنت تصوم النهار وتقوم الليل ولا تغضب قال نعم قال فردهم ذلك اليوم وقال
مثلها اليوم الآخر فسكت الناس وقام ذلك الرجل فقال أنا فاستخلفه قال فجعل
إبليس يقول للشياطين عليكم بفلان فأعياهم ذلك فقال دعوني وإياه فأتاه
في صورة شيخ كبير فقير وأتاه حين أخذ مضجعه للقائلة وكان لا ينام الليل والنهار
إلا تلك النومة فدق الباب فقال من هذا قال شيخ كبير مظلوم قال فقام ففتح الباب
فجعل يقص عليه فقال إن بيني وبين قومي خصومة وإنهم ظلموني وفعلوا بي وفعلوا
وجعل يطول عليه حتى حضر الرواح وذهبت القائلة وقال إذا رحت فأتني آخذ لك
بحقك فانطلق وراح فكان في مجلسه فجعل ينظر هل يرى الشيخ فلم يره فقام يتبعه
فلما كان الغد جعل يقضي بين الناس وينتظره فلا يراه فلما رجع إلى القائلة فأخذ
مضجعه أتاه فدق الباب فقال من هذا فقال الشيخ الكبير المظلوم ففتح له فقال
ألم أقل لك إذا قعدت فأتني فقال إنهم أخبث قوم إذا عرفوا أنك قاعد قالوا نحن
نعطيك حقك وإذا قمت جحدوني قال فانطلق فإذا رحت فأتني قال ففاتته
القائلة فراح فجعل ينتظر فلا يراه وشق عليه النعاس فقال لبعض أهله لا تدعن
أحدا يقرب هذا الباب حتى أنام فإني قد شق علي النوم فلما كان تلك الساعة جاء فقال
له الرجل وراءك وراءك فقال إني قد أتيته أمس فذكرت له أمري فقال لا والله لقد
أمرنا أن لا ندع أحدا يقربه فلما أعياه نظر فرأى كوة في البيت فتسور منها فإذا هو في البيت
وإذا هو يدق الباب من داخل قال فاستيقظ الرجل فقال يا فلان ألم آمرك قال
أما من قبلي والله فلم تؤت فانظر من أين أتيت قال فقام إلى الباب فإذا هو مغلق

كما أغلقه

كما أغلقه وإذا الرجل معه في البيت فعرفه فقال أعدو الله قال نعم أعييتني في كل
شيء ففعلت ما ترى لأغضبك فسماه الله ذا الكفل لأنه تكفل بأمر فوفى به وقد روى ابن أبي
حاتم أيضا عن ابن عباس قريبا من هذا السياق وهكذا روي عن عبد الله بن الحارث ومحمد بن
قيس وابن حجيرة الأكبر وغيرهم من السلف نحو من هذا وقال ابن أبي حاتم ثنا أبي ثنا أبو الجماهر
أنا سعيد بن بشير ثنا قتادة عن كنانة بن الأخنس قال سمعت الأشعري يعني أبا موسى رضي
الله عنه وهو على هذا المنبر يقول ما كان ذو الكفل بنبي ولكن كان رجل صالح يصلي كل يوم مائة
صلاة فتكفل له ذو الكفل من بعده يصلي كل يوم مائة صلاة فسمي ذا الكفل ورواه ابن
جرير من طريق عبد الرزاق عن معمر عن قتادة قال قال أبو موسى الأشعري فذكره منقطعا
فأما الحديث الذي رواه الإمام أحمد ثنا أسباط بن محمد ثنا الأعمش عن عبد الله بن
عبد الله عن سعد مولى طلحة عن ابن عمر قال سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم
حديثا لو لم أسمعه إلا مرة أو مرتين حتى عد سبع مرار ولكن قد سمعته أكثر من ذلك قال
الكفل من بني إسرائيل لا يتورع من ذنب عمله فأتته امرأة فأعطاها ستين دينارا على أن
يطأها فلما قعد منها مقعد الرجل من امرأته أرعدت وبكت فقال ما يبكيك أكرهتك
قالت لا ولكن هذا عمل لم أعمله قط وإنما حملتني عليه الحاجة قال فتفعلين هذا ولم تفعليه
قط ثم نزل فقال اذهبي بالدنانير لك ثم قال والله لا يعصي الله الكفل أبدا فمات من
ليلته فأصبح مكتوبا على بابه قد غفر الله للكفل ورواه الترمذي من حديث الأعمش
وقال حسن وذكر أن بعضهم رواه فوقفه على ابن عمر فهو حديث غريب جدا وفي
إسناده نظر فإن سعدا هذا قال أبو حاتم لا أعرفه إلا بحديث واحد ووثقه ابن حبان
ولم يرو عنه سوى عبد الله بن عبد الله الرازي هذا والله أعلم وإن كان محفوظا فليس هو
ذا الكفل وإنما لفظ الحديث الكفل من غير إضافة فهو رجل آخر غير المذكور في القرآن والله
تعالى أعلم

باب ذكر أمم أهلكوا بعامة

وذلك قبل نزول التوراة بدليل قوله تعالى ولقد آتينا موسى من بعد ما أهلكنا القرون الأولى
الآية كما رواه ابن جرير وابن أبي حاتم والبزار من حديث عوف الأعرابي عن أبي نضرة
عن أبي سعيد الخدري قال ما أهلك الله قوما بعذاب من السماء أو من الأرض بعد
ما أنزلت التوراة على وجه الأرض غير القرية التي مسخوا قردة ألم تر أن الله تعالى
يقول ولقد آتينا موسى الكتاب من بعد ما أهلكنا القرون الأولى بصائر للناس ورفعه
البزار في رواية له والأشبه والله أعلم وقفه فدل على أن كل أمة أهلكت بعامة قبل موسى
عليه السلام فمنهم أصحاب الرس قال الله تعالى في سورة الفرقان وعادا وثمودا
وأصحاب الرس وقرونا بين ذلك كثيرا وكلا ضربنا له الأمثال وكلا تبرنا تتبيرا
وقال تعالى في سورة ق كذبت قبلهم قوم نوح وأصحاب الرس وثمود وعاد وفرعون
وإخوان لوط وأصحاب الأيكة وقوم تبع كل كذب الرسل فحق وعيد وهذا السياق والذي
قبله يدل على أنهم أهلكوا ودمروا وتبروا وهو الهلاك وهذا اختيار ابن جرير من
أنهم أصحاب الأخدود الذين ذكروا في سورة البروج لأن أولئك عند ابن إسحاق وجماعة
كانوا بعد المسيح عليه السلام وفيه نظر أيضا وروى ابن جرير قال قال ابن عباس
أصحاب الرس أهل قرية من قرى ثمود وقد ذكر الحافظ الكبير أبو القاسم بن عساكر في أول

تاريخه عند ذكر بناء دمشق عن تاريخ ابي القسم عبيد الله بن عبد الله بن خرداذ
وغيره ان اصحاب الرس كانوا بحضور فبعث الله اليهم نبيا يقال له حنظلة بن صفوان
فكذبوه وقتلوه فسار عاد بن عوص بن ارم بن سام بن نوح بولده من الرس فنزل الاحقاف
واهلك الله اصحاب الرس وانتشروا في اليمن كلها وفشوا مع ذلك في الارض كلها
حتى نزل جيرون بن سعد بن عاد بن عوص بن ارم بن سام بن نوح دمشق وبنى مدينتها
وسماها جيرون وهي ارم ذات العماد وليس اعمدة الحجارة في موضع اكثر منها بدمشق فبعث
الله هود بن عبد الله بن رباح بن خالد بن الجلود بن عاد الى عاد يعني اولاد عاد بالاحقاف
فكذبوه فاهلكهم الله عز وجل فهذا يقتضي ان اصحاب الرس قبل عاد بدهور متطاولة
والله تعالى اعلم وروى ابن ابي حاتم عن ابي بكر بن ابي عاصم عن ابيه عن شبيب بن بشر
عن عكرمة عن ابن عباس قال الرس بئر باذربيجان وقال الثوري عن ابي بكير عن عكرمة
قال الرس بئر رسوا فيها نبيهم اي دفنوه فيها وقال ابن جريج قال عكرمة اصحاب
الرس بفلج وهم اصحاب ياسين وقال قتادة فلج من قرى اليمامة قلت فان كانوا
اصحاب يس كما زعمه عكرمة فقد اهلكوا بعامة قال الله تعالى في قصتهم ان كانت الا
صيحة واحدة فاذا هم خامدون وسياتي قصتهم بعد هؤلاء وان كانوا غيرهم وهو الظاهر
فقد اهلكوا ايضا وتبروا وعلى كل تقدير فينبغي ما ذكره ابن جرير وقد ذكر ابو بكر
محمد بن الحسن النقاش ان اصحاب الرس كانت لهم بئر ترويهم وتكفي ارضهم جميعا وكان
لهم ملك عادل حسن السيرة فلما مات وجدوا عليه وجدا عظيما فلما كان بعد ايام
تصور لهم الشيطان في صورته وقال اني لم امت ولكن تغيبت عنكم حتى ارى صنيعكم
ففرحوا اشد الفرح وامر بضرب حجاب بينه وبينهم واخبرهم انه لا يموت ابدا فصدق
به اكثرهم وافتتنوا به وعبدوه فبعث الله فيهم نبيا واخبرهم ان هذا شيطان يخاطبهم
من وراء الحجاب ونهاهم عن عبادته وامرهم بعبادة الله وحده لا شريك له قال
السهيلي وكان يوحى اليه في النوم وكان اسمه حنظلة بن صفوان فعدوا عليه
فقتلوه والقوه في البئر فغار ماؤها وعطشوا بعد ريهم ويبست اشجارهم وانقطعت
ثمارهم وخربت ديارهم وتبدلوا بعد الانس بالوحشة وبعد الاجتماع بالفرقة وهلكوا
عن اخرهم وسكن في مساكنهم الجن والوحوش فلا يسمع ببقاعهم الا عزيف الجن وزئير الاسود
وصوت الضباع فاما ما رواه ابن جرير عن محمد بن اسحاق عن محمد بن كعب القرظي
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان اول الناس يدخل الجنة يوم القيامة العبد
الاسود وذلك ان الله تعالى بعث نبيا الى اهل قرية فلم يؤمن به من اهلها الا ذلك
الاسود ثم ان اهل القرية عدوا على النبي فحفروا له بئرا فالقوه فيها ثم اطبقوا عليه
بحجر اصم قال فكان ذلك العبد يذهب فيحتطب على ظهره ثم ياتي بحطبه فيبيعه
ويشتري به طعاما وشرابا ثم ياتي به الى تلك البئر فيرفع تلك الصخرة ويعينه
الله عليها ويدلي اليه طعامه وشرابه ثم يردها كما كانت قال فكان كذلك ما شاء
الله ان يكون ثم انه ذهب يوما يحتطب كما كان يصنع فجمع حطبه وحزم حزمته وفرغ
منها فلما اراد ان يحتملها وجد سنة فاضطجع فنام فضرب على اذنه سبع سنين نائما
ثم انه هب فتمطى وتحول لشقه الاخر فاضطجع فضرب الله على اذنه سبع سنين اخرى

ثم انه هب واحتمل حزمته ولا يحسب الا انه نام ساعة من نهار فجاء الى القرية فباع حزمته
ثم اشترى طعاما وشرابا كما كان يصنع ثم ذهب الى الحفرة الى موضعها الذي كانت فيه
فالتمسه فلم يجده وقد كان بدا لقومه فيه بدا فاستخرجوه وامنوا به وصدقوه قال
فكان نبيهم يسالهم عن ذلك الاسود ما فعل فيقولون له ما ندري حتى قبض الله
النبي عليه السلام وانتبه الاسود من نومته بعد ذلك فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم ان ذلك الاسود لاول من يدخل الجنة فانه مرسل ومثله فيه نظر ولعل
بسط قصته من كلام محمد بن كعب القرظي والله اعلم ثم قد رده ابن جرير نفسه وقال
لا يجوز ان يحمل هؤلاء على انهم اصحاب الرس المذكورون في القران قال لان الله اخبر
عن اصحاب الرس انه اهلكهم وهؤلاء قد بدا لهم فامنوا بنبيهم اللهم الا ان يكون حدث
لهم احداث امنوا بالنبي بعد هلاك ابائهم والله اعلم ثم اختار انهم اصحاب الاخدود
وهو ضعيف لما تقدم ولما ذكر في قصة اصحاب الاخدود حيث توعدوا بالعذاب
في الاخرة ان لم يتوبوا ولم يذكر هلاكهم وقد صرح بهلاك اصحاب الرس والله تعالى
اعلم

قصة قوم يس

ومنهم اصحاب القرية اصحاب يس قال
الله تعالى واضرب لهم مثلا اصحاب القرية اذ جاءها المرسلون اذ ارسلنا
اليهم اثنين فكذبوهما فعززنا بثالث فقالوا انا اليكم مرسلون قالوا ما انتم
الا بشر مثلنا وما انزل الرحمن من شيء ان انتم الا تكذبون قالوا ربنا يعلم انا اليكم لمرسلون
وما علينا الا البلاغ المبين قالوا انا تطيرنا بكم لئن لم تنتهوا لنرجمنكم وليمسنكم
منا عذاب اليم قالوا طائركم معكم ائن ذكرتم بل انتم قوم مسرفون وجاء من اقصى
المدينة رجل يسعى قال يا قوم اتبعوا المرسلين اتبعوا من لا يسالكم اجرا وهم مهتدون
وما لي لا اعبد الذي فطرني واليه ترجعون ااتخذ من دونه الهة ان يردن الرحمن بضر
لا تغن عني شفاعتهم شيئا ولا ينقذون اني اذا لفي ضلال مبين اني امنت بربكم
فاسمعون قيل ادخل الجنة قال يا ليت قومي يعلمون بما غفر لي ربي وجعلني من المكرمين
وما انزلنا على قومه من بعده من جند من السماء وما كنا منزلين ان كانت الا صيحة
واحدة فاذا هم خامدون اشتهر عن كثير من السلف والخلف ان هذه القرية انطاكية
رواه ابن اسحاق فيما بلغه عن ابن عباس وكعب الاحبار ووهب انهم قالوا وكان لها
ملك اسمه انطيخس بن انطيخس بن انطيخس وكان يعبد الاصنام فبعث الله
اليه ثلاثة من الرسل وهم صادق وصدوق وشلوم فكذبهم وهذا ظاهر انهم رسل
من الله عز وجل وزعم قتادة انهم كانوا رسلا من المسيح وكذا قال ابن جريج عن
وهب بن سليمان عن شعيب الجبائي كان اسم الرسولين الاولين شمعون ويوحنا
واسم الثالث بولص والقرية انطاكية وهذا القول ضعيف جدا لان اهل انطاكية
لما بعث اليهم المسيح ثلاثة من الحواريين كانوا اول مدينة امنت بالمسيح في ذلك
الوقت ولهذا كانت احدى المدن الاربع التي تكون فيها بتاركة النصارى وهن انطاكية
والقدس واسكندرية ورومية ثم بعدها الى القسطنطينية ولم يهلكوا واهل هذه
القرية في القران اهلكوا كما قال في اخر قصتها بعد قتلهم صديق المرسلين ان كانت
الا صيحة واحدة فاذا هم خامدون لكن ان كانت الرسل الثلاثة المذكورون في القران

المذكورون هو

بعثوا الى اهل انطاكية قديما فكذبوهم واهلكهم الله ثم عمرت بعد ذلك فلما كان في زمن
المسيح امنوا برسله اليهم فلا يمنع هذا والله اعلم فاما القول بان هذه القصة المذكورة
في القران هي قصة اصحاب المسيح فضعيف لما تقدم ولان ظاهر سياق القران يقتضي
ان هولاء الرسل من عند الله قال الله تعالى واضرب لهم مثلا يعني لقومك يا محمد اصحاب
القرية يعني المدينة اذ جاءها المرسلون اذ ارسلنا اليهم اثنين فكذبوهما فعززنا
بثالث اي ايدناهما بثالث في الرسالة فقالوا انا اليكم مرسلون فردوا عليهم بانهم
بشر مثلهم كما قالت الامم الكافرة لرسلهم يستبعدون ان يبعث الله نبيا بشريا
فاجابوهم بان الله يعلم انا رسله اليكم ولو كنا كذبنا عليه لعاقبنا وانتقم منا اشد
الانتقام وما علينا الا البلاغ المبين اي انما علينا ان نبلغكم ما ارسلنا به اليكم
والله هو الذي يهدي من يشاء ويضل من يشاء قالوا انا تطيرنا بكم اي تشاءمنا بكم
بما جيتمونا به لئن لم تنتهوا لنرجمنكم قيل بالمقال وقيل بالفعال ويويد الاول قوله
وليمسنكم منا عذاب اليم فتوعدوهم بالقتل والاهانة قالوا طائركم معكم اي مردود عليكم
ائن ذكرتم اي بسبب انا ذكرناكم بالهدى ودعوناكم اليه توعدتمونا بالقتل والاهانة
بل انتم قوم مسرفون اي لا يقبلون الحق ولا يريدونه وقوله تعالى وجاء من اقصى المدينة
رجل يسعى يعني لنصرة الرسل واظهار الايمان بهم قال يا قوم اتبعوا المرسلين اتبعوا
من لا يسالكم اجرا وهم مهتدون اي يدعونكم الى الحق المحض بلا اجرة ولا جعالة ثم
دعاهم الى عبادة الله وحده لا شريك له ونهاهم عن عبادة ما سواه مما لا ينفع
شيا لا في الدنيا ولا في الاخرة اني اذا لفي ضلال مبين اي ان تركت عبادة الله
وعبدت ما سواه ثم قال مخاطبا للرسل اني امنت بربكم فاسمعون قيل فاسمعوا
مقالتي واشهدوا لي بها عند ربكم وقيل معناه فاسمعوا يا قومي ايماني برسل الله جهرة
فعند ذلك قتلوه قيل رجما وقيل عضا وقيل وثبوا اليه وثبة رجل واحد فقتلوه
وحكى ابن اسحاق عن بعض اصحابه عن ابن مسعود قال وطيوه بارجلهم حتى اخرجوا
بارجلهم حتى اخرجوا قصبته وقد روى الثوري عن عاصم الاحول عن ابي مجلز كان اسم
هذا الرجل حبيب بن مري ثم قيل كان نجارا وقيل حبالا وقيل اسكافا وقيل قصارا
وقيل كان يتعبد في غار هناك والله اعلم وكان ابن عباس كان حبيب النجار قد اسرع
فيه الجذام وكان كثير الصدقة فقتله قومه ولهذا قال تعالى قيل ادخل الجنة يعني
لما قتله قومه ادخله الله الجنة فلما راى ما فيها من النضرة والسرور قال يا ليت
قومي يعلمون بما غفر لي ربي وجعلني من المكرمين يعني ليومنوا بما امنت به فيحصل
لهم ما حصل لي قال ابن عباس نصح قومه في حياته يا قوم اتبعوا المرسلين وبعد
مماته يا ليت قومي يعلمون بما غفر لي ربي وجعلني من المكرمين تمنى على الله ان يعلم قومه بما
عاين من كرامة الله وما هم عليه قال قتادة لا والله ما عاتب الله قومه بعد قتله
ان كانت الا صيحة واحدة فاذا هم خامدون وقوله تعالى وما انزلنا على قومه من
بعده من جند من السماء وما كنا منزلين اي وما احتجنا في الانتقام منهم الى انزال
جند من السماء عليهم هذا معنى ما رواه ابن اسحاق عن بعض اصحابه عن ابن مسعود
وقال مجاهد وقتادة وما انزل عليهم جندا اي رسالة اخرى قال ابن جرير والاول

اولى فانه اقوى ولهذا قال وما كنا منزلين اي وما كنا محتاجين في الانتقام
الى هذا حين كذبوا رسلنا وقتلوا ولينا ان كانت الا صيحة واحدة فاذا هم خامدون
قال المفسرون بعث الله اليهم جبريل عليه السلام فاخذ بعضادتي الباب الذي
لبلدهم ثم صاح بهم صيحة واحدة فاذا هم خامدون اي قد اخمدت اصواتهم
وسكنت حركاتهم ولم يبق منهم عين تطرف وهذا كله مما يدل على ان هذه القرية ليست
انطاكية لان هولاء اهلكوا بتكذيبهم رسل الله اليهم واهل انطاكية امنوا واتبعوا رسل المسيح
من الحواريين اليهم فلهذا قيل ان انطاكية اول مدينة امنت بالمسيح فاما الحديث
الذي رواه الطبراني من حديث حسين الاشقر عن سفيان بن عيينة عن ابن ابي
نجيح عن مجاهد عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال السبق ثلاثة فالسابق
الى موسى يوشع بن نون والسابق الى عيسى صاحب يس والسابق الى محمد علي بن ابي طالب
فانه حديث لا يثبت لان حسينا هذا متروك شيعي من الغلاة وتفرده بهذا مما يدل
على ضعفه بالكلية والله اعلم

قصة يونس عليه السلام

قال الله تعالى في سورة يونس فلولا كانت قرية امنت فنفعها ايمانها الا قوم يونس
لما امنوا كشفنا عنهم عذاب الخزي في الحيوة الدنيا ومتعناهم الى حين وقال تعالى
في سورة الانبيا وذا النون اذ ذهب مغاضبا فظن ان لن نقدر عليه فنادى في
الظلمات ان لا اله الا انت سبحانك اني كنت من الظالمين فاستجبنا له ونجيناه
من الغم وكذلك ننجي المومنين وقال تعالى في سورة والصافات وان يونس لمن
المرسلين اذ ابق الى الفلك المشحون فساهم فكان من المدحضين فالتقمه الحوت
وهو مليم فلولا انه كان من المسبحين للبث في بطنه الى يوم يبعثون فنبذناه بالعراء
وهو سقيم وانبتنا عليه شجرة من يقطين وارسلناه الى مائة الف او يزيدون
فامنوا فمتعناهم الى حين وقال تعالى في سورة ن فاصبر لحكم ربك ولا تكن كصاحب
الحوت اذ نادى وهو مكظوم لولا ان تداركه نعمة من ربه لنبذ بالعراء وهو مذموم
فاجتباه ربه فجعله من الصالحين قال علماء التفسير بعث الله يونس عليه السلام
الى اهل نينوى من ارض الموصل فدعاهم الى الله عز وجل فكذبوه وتمردوا على كفرهم وعنادهم
فلما طال عليه ذلك من امرهم خرج من بين اظهرهم ووعدهم حلول العذاب بهم بعد ثلاث
قال ابن مسعود ومجاهد وسعيد بن جبير وقتادة وغير واحد من السلف والخلف
فلما خرج من بين ظهرانيهم وتحققوا نزول العذاب بهم قذف الله في قلوبهم التوبة
والانابة وندموا على ما كان منهم الى نبيهم فلبسوا المسوح وفرقوا بين كل بهيمة وولدها
ثم عجوا الى الله عز وجل وصرخوا وتضرعوا اليه وتمسكنوا لديه وبكى الرجال والنساء والبنين
والبنات والامهات وجارت الانعام والدواب والمواشي فرغت الابل وفصلانها
وجارت البقر واولادها وثغت الغنم وحملانها وكانت ساعة عظيمة هائلة فكشف الله
العظيم بحوله وقوته ورافته ورحمته عنهم العذاب الذي كان قد اتصل بهم سببه ودار
على رووسهم كقطع الليل المظلم ولهذا قال تعالى فلولا كانت قرية امنت فنفعها
ايمانها الا قوم يونس لما امنوا اي هلا وجدت فيما سلف من القرون قرية امنت بكمالها
فدل على انه لم يقع ذلك بل كما قال تعالى وما ارسلنا في قرية من نذير الا قال مترفوها

انا بما ارسلتم به كافرون وقوله الا قوم يونس لما آمنوا كشفنا عنهم عذاب الخزي في الحياة
الدنيا ومتعناهم الى حين اي آمنوا بكمالهم وقد اختلف المفسرون هل ينفعهم هذا الايمان في
الدار الآخرة فينقذهم من العذاب الاخروي كما انقذهم من العذاب الدنيوي على قولين الاظهر
من السياق نعم والله اعلم كما قال تعالى لما آمنوا وقال تعالى وارسلناه الى مائة الف او يزيدون
فآمنوا فمتعناهم الى حين وهذا المتاع الى حين لا ينفي ان يكون معه غيره من رفع العذاب الاخروي
والله اعلم وقد كانوا مائة الف لا محالة واختلفوا في الزيادة فعن مكحول عشرة آلاف وروى
الترمذي وابن جرير وابن ابي حاتم من حديث زهير عمن سمع ابا العالية حدثني ابي بن كعب انه
سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قوله وارسلناه الى مائة الف او يزيدون قال
يزيدون عشرين الفا فلولا هذا الرجل المبهم لكان هذا الحديث فاصلا في هذا الباب وعن
ابن عباس كانوا مائة الف وثلاثين الفا وعنه وبضعة وثلاثين الفا وعنه وبضعة واربعين
الفا وقال سعيد بن جبير كانوا مائة الف وسبعين الفا واختلفوا هل كان ارساله اليهم
قبل الحوت او بعده او هما امتان على ثلاثة اقوال هي مبسوطة في التفسير والمقصود انه
عليه السلام لما ذهب مغاضبا بسبب قومه ركب سفينة في البحر فلججت بهم واضطربت
وماجت بهم وثقلت بما فيها وكادوا يغرقون على ما ذكره المفسرون قالوا فتشاوروا
فيما بينهم على ان يقترعوا فمن وقعت عليه القرعة القوه من السفينة ليتخففوا منه
فلما اقترعوا وقعت القرعة على نبي الله يونس فلم يسمحوا به فاعادوها ثانية فوقعت عليه
ايضا فتشمر ليخلع ثيابه ويلقي بنفسه فابوا عليه ذلك ثم اعادوا القرعة ثالثة فوقعت
عليه ايضا لما يريده الله به من الامر العظيم قال الله تعالى وان يونس لمن المرسلين اذ
ابق الى الفلك المشحون فساهم فكان من المدحضين فالتقمه الحوت وهو مليم وذلك
انه لما وقعت عليه القرعة القي في البحر وبعث الله عز وجل حوتا عظيما من البحر الاخضر
فالتقمه وامره الله تعالى ان لا ياكل له لحما ولا يهشم له عظما فليس لك برزق فاخذه فطاف
به البحار كلها وقيل انه ابتلع ذلك الحوت حوت آخر اكبر منه قالوا ولما استقر في جوف الحوت
حسب انه قد مات فحرك جوارحه فتحركت فاذا هو حي فخر لله ساجدا وقال يا رب اتخذت لك
مسجدا لم يعبدك احد في مثله وقد اختلفوا في مقدار لبثه في بطنه فقال مجالد عن
الشعبي التقمه ضحى ولفظه عشية وقال قتادة مكث فيه ثلاثا وقال جعفر الصادق
سبعة ايام ويشهد له شعر امية بن ابي الصلت •

وانت بفضل منك نجيت يونسا • وقد بات في اضعاف حوت لياليا •

وقال سعيد بن ابي الحسن وابو مالك مكث في جوفه اربعين يوما والله اعلم كم مكث مقدار
ما لبث فيه والمقصود انه لما جعل الحوت يطوف به في قرار البحار اللجية ويقتحم به لجج
الموج الاجاجي فسمع تسبيح الحيتان للرحمن وحتى سمع تسبيح الحصى لفالق الحب والنوى
ورب السموات السبع والارضين السبع وما بينهما وما تحت الثرى فعند ذلك وهنالك
قال ما قال بلسان الحال والمقال كما اخبر عنه ذو العزة والجلال الذي يعلم السر والنجوى
ويكشف الضر والبلوى سامع الاصوات وان ضعفت وعالم الخفيات وان دقت ومجيب
الدعوات وان عظمت حيث قال في كتابه المبين المنزل على رسوله الامين وهو اصدق القائلين
ورب العالمين واله المرسلين وذا النون اذ ذهب مغاضبا فظن ان لن نقدر عليه فنادى

في الظلمات

في الظلمات ان لا اله الا انت سبحانك اني كنت من الظالمين فاستجبنا له ونجيناه
من الغم وكذلك ننجي المؤمنين فظن ان لن نقدر عليه اي نضيق وقيل معناه نقدر من التقدير
وهي لغة مشهورة قدر وقدّر كما قال الشاعر

فلا عائد ذاك الزمان الذي مضى • تباركت ما تقدر يكن فلك الامر

فنادى في الظلمات قال ابن مسعود وابن عباس وعمرو بن ميمون وسعيد بن جبير
ومحمد بن كعب والحسن وقتادة والضحاك ظلمة الحوت وظلمة البحر وظلمة الليل وقال
سالم بن ابي الجعد ابتلع الحوت حوت آخر فصار ظلمة الحوتين مع ظلمة البحر وقوله تعالى فلولا
انه كان من المسبحين للبث في بطنه الى يوم يبعثون قيل معناه فلولا انه سبح الله هنالك
وقال ما قال من التهليل والتسبيح والاعتراف لله بالخضوع والتوبة اليه والرجوع اليه
للبث هنالك الى يوم القيامة هذا معنى ما روي عن سعيد بن جبير في احدى
الروايتين عنه ولبعث من جوف ذلك الحوت وقيل معناه فلولا انه كان من قبل اخذ
الحوت له من المسبحين اي المطيعين المصلين الذاكرين الله كثيرا قاله الضحاك
ابن قيس وابن عباس وابو العالية ووهب بن منبه وسعيد بن جبير والضحاك
والسدي وعطاء بن السائب والحسن البصري وقتادة وغير واحد واختاره ابن جرير
ويشهد له ما رواه الامام احمد وبعض اهل السنن عن ابن عباس ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال له يا غلام اني معلمك كلمات احفظ الله يحفظك احفظ الله تجده
تجاهك تعرف الى الله في الرخاء يعرفك في الشدة وروى ابن جرير في تفسيره والبزار
في مسنده من حديث محمد بن اسحاق عمن حدثه عن عبد الله بن رافع مولى ام سلمة سمعت
ابا هريرة يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما اراد الله حبس يونس في بطن
الحوت اوحى الله الى الحوت ان خذه ولا تخدش لحما ولا تكسر عظما فلما انتهى به الى اسفل البحر
سمع حسا فقال في نفسه ما هذا فاوحى الله اليه وهو في بطن الحوت فسمعت الملائكة تسبيحه
فقالوا يا ربنا انا نسمع صوتا ضعيفا بارض غريبة قال ذلك عبدي يونس عصاني
فحبسته في بطن الحوت في البحر قالوا العبد الصالح الذي كان يصعد اليك منه في كل يوم
وليلة عمل صالح قال نعم قال فشفعوا له عند ذلك فامر الحوت فقذفه في الساحل كما
قال الله وهو سقيم هذا لفظ ابن جرير اسنادا ومتنا ثم قال البزار لا نعلمه يروى عن
النبي صلى الله عليه وسلم الا بهذا الاسناد كذا قال وقد قال ابن ابي حاتم في تفسيره ثنا
ابو عبد الله احمد بن عبد الرحمن اخي ابن وهب ثنا عمي حدثني ابو صخر ان يزيد الرقاشي حدثه
سمعت انس بن مالك ولا اعلم الا ان انسا يرفع الحديث الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان يونس النبي عليه السلام حين بدا له ان يدعو بهذه الكلمات وهو في بطن الحوت قال
اللهم لا اله الا انت سبحانك اني كنت من الظالمين فاقبلت الدعوة تحن بالعرش
فقالت الملائكة يا رب صوت ضعيف معروف من بلاد غريبة فقال اما تعرفون ذلك
قالوا يا رب ومن هو قال عبدي يونس قالوا عبدك يونس الذي لم يزل يرفع له عمل متقبل
ودعوة مجابة قالوا يا رب اولا ترحم ما كان يصنعه في الرخاء فتنجيه من البلاء قال بلى
فامر الحوت فطرحه في العراء ورواه ابن جرير عن يونس عن ابن وهب به زاد ابن ابي حاتم
قال ابو صخر حميد بن زياد فاخبرني ابن قسيط وانا احدثه هذا الحديث انه سمع ابا هريرة

يقول اطرح بالعراء وانبت الله عليه اليقطينة قلنا يا ابا هريرة وما اليقطينة قال
شجرة الدبا قال وهيا الله له اروية وحشية تاكل من خشاش الارض او قال هشاش الارض
قال فتتفشج عليه فترويه من لبنها كل عشية وبكرة حتى نبت وقال امية بن ابي الصلت
في ذلك بيتا من شعره

فانبت يقطينا عليه برحمة من الله لولا الله القي ضاحيا

وهذا غريب ايضا من هذا الوجه ويزيد الرقاشي ضعيف ولكن يتقوى بحديث ابي هريرة
المتقدم والله اعلم وقد قال الله تعالى فنبذناه اي القيناه بالعراء وهو المكان القفر
الذي ليس فيه شي من الاشجار بل هو عار منها وهو سقيم اي ضعيف البدن قال ابن مسعود
كهيئة الفرخ ليس عليه ريش وقال ابن عباس والسدي وابن زيد كهيئة الصبي وهو
المنفوس ليس عليه شي وانبتنا عليه شجرة من يقطين قال ابن مسعود وابن عباس وعكرمة
ومجاهد وسعيد بن جبير ووهب بن منبه وهلال بن يساف وعبد الله بن طاوس والسدي
وقتادة والضحاك وعطا الخراساني وغير واحد هو القرع قال بعض العلما في انبات
القرع عليه حكم جمة منها ان ورقه في غاية النعومة وكثير وظليل ولا يقربه ذباب ويوكل
ثمره من اول طلوعه الى اخره نيا ومطبوخا وبقشره وببزره ايضا وفيه نفع كثير وتقوية
للدماغ وغير ذلك وتقدم كلام ابي هريرة في تسخير الله تعالى له الاروية التي كانت
ترضعه لبنها وترعى في البرية وتاتيه بكرة وعشية وهذا من رحمة الله به ونعمته عليه
واحسانه عليه ولهذا قال تعالى فاستجبنا له ونجيناه من الغم اي الكرب والضيق الذي
كان فيه وكذلك ننجي المومنين اي هذا صنيعنا بكل من دعانا واستجار بنا قال ابن جرير
حدثني عمران بن بكار الكلاعي ثنا يحيى بن صالح ثنا ابو يحيى بن عبد الرحمن حدثني بشر بن
منصور عن علي بن زيد عن سعيد بن المسيب قال سمعت سعيد بن مالك وهو ابن ابي
وقاص يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اسم الله الذي اذا دعي به اجاب
واذا سيل به اعطى دعوة يونس بن متى قال فقلت يا رسول الله هي ليونس خاصة ام لجماعة
المسلمين قال هي ليونس خاصة وللمومنين عامة اذا دعوا بها الم تسمع قول الله تعالى فنادى
في الظلمات ان لا اله الا انت سبحانك اني كنت من الظالمين فاستجبنا له ونجيناه من
الغم وكذلك ننجي المومنين فهو شرط من الله لمن دعاه به وقال ابن ابي حاتم ثنا ابو سعيد
الاشج ثنا ابو خالد الاحمر عن كثير بن زيد عن المطلب بن حنطب قال ابو خالد احسبه
عن مصعب يعني ابن سعد عن سعد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من
دعا بدعا يونس استجيب له قال ابو سعيد الاشج يريد به وكذلك ننجي المومنين وهذان
طريقان عن سعد وثالث احسن منهما قال الامام احمد ثنا اسماعيل بن عمر ثنا يونس
ابن ابي اسحاق الهمداني ثنا ابراهيم بن محمد بن سعد حدثني والدي محمد عن ابيه سعد وهو
ابن ابي وقاص رضي الله عنه قال مررت بعثمان بن عفان في المسجد فسلمت عليه فملا عينيه
مني ثم لم يرد علي السلام قال فارسل عمر الى عثمان فدعاه فقال له ما منعك ان لا تكون رددت
على اخيك السلام قال ما فعلت قال سعد قلت بلى حتى حلف وحلفت قال ثم ان عثمان
ذكر فقال بلى واستغفر الله واتوب اليه انك مررت بي انفا وانا احدث نفسي بكلمة سمعتها
من رسول الله صلى الله عليه وسلم لا والله ما ذكرتها قط الا تغشى بصري وقلبي غشاوة قال

سعد فانا انبيك بها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر لنا اول دعوة ثم جاء اعرابي
فشغله حتى قام رسول الله صلى الله عليه وسلم فاتبعته فلما اشفقت ان يسبقني الى منزله
ضربت بقدمي الارض فالتفت الي رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال من هذا ابو اسحق قال
قلت نعم يا رسول الله قال فمه قلت لا والله الا انك ذكرت لنا اول دعوة ثم جاء هذا
الاعرابي فشغلك قال دعوة ذي النون اذ هو في بطن الحوت لا اله الا انت سبحانك اني
كنت من الظالمين فانه لم يدع بها مسلم في شي قط الا استجاب له ورواه الترمذي والنسائي
من حديث ابراهيم بن محمد بن سعد به

ذكر فضل يونس عليه السلام

قال الله تعالى وان يونس لمن المرسلين وذكره تعالى في جملة الانبيا الكرام في سورتي النسا
والانعام عليهم من الله افضل الصلاة والسلام وقال الامام احمد ثنا وكيع ثنا سفيان عن
الاعمش عن ابي وايل عن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا ينبغي لعبد ان يقول
انا خير من يونس بن متى ورواه البخاري من حديث سفيان الثوري به وقال البخاري ايضا
ثنا حفص بن عمر ثنا شعبة عن قتادة عن ابي العالية عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه
وسلم قال ما ينبغي لعبد ان يقول انا خير من يونس بن متى ونسبه الى ابيه ورواه احمد ومسلم
وابو داود من حديث شعبة به قال شعبة فيما حكاه ابو داود عنه لم يسمع قتادة من
ابي العالية سوى اربعة احاديث هذا احدها وقد رواه الامام احمد عن عفان عن حماد بن سلمة
عن علي بن زيد عن يوسف بن مهران عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال
وما ينبغي لعبد ان يقول انا خير من يونس بن متى تفرد به احمد ورواه الحافظ ابو القسم الطبراني
حدثنا محمد بن الحسن بن كيسان ثنا عبد الله بن رجا انا اسرائيل عن ابي يحيى القتات عن
مجاهد عن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا ينبغي لاحد ان يقول انا عند
الله خير من يونس بن متى اسناده جيد ولم يخرجوه وقال البخاري ثنا ابو الوليد ثنا
شعبة عن سعد بن ابراهيم سمعت حميد بن عبد الرحمن عن ابي هريرة عن النبي صلى الله
عليه وسلم قال لا ينبغي لعبد ان يقول انا خير من يونس بن متى وكذا رواه مسلم من حديث
شعبة به وفي البخاري ومسلم من حديث عبد الله بن الفضل عن عبد الرحمن بن هرمز عن
الاعرج عن ابي هريرة في قصة المسلم الذي لطم وجه اليهودي حين قال لا والذي اصطفى
موسى على العالمين قال البخاري في اخره ولا اقول ان احدا خير من يونس بن متى وهذا اللفظ
يقوي احد القولين من المعنى لا ينبغي لعبد ان يقول انا خير من يونس بن متى اي ليس لاحد ان
يفضل نفسه على يونس والقول الاخر لا ينبغي لاحد ان يفضلني على يونس بن متى كما قد ورد
في بعض الاحاديث لا تفضلوني على الانبيا ولا على يونس بن متى وهذا من باب الهضم والتواضع
منه صلوات الله وسلامه عليه وعلى سائر انبيا الله والمرسلين

ذكر قصة موسى الكليم عليه الصلاة والتسليم

وهو موسى بن عمران بن قاهث بن عازر بن لاوي بن يعقوب بن اسحاق بن ابراهيم عليهم السلام
من الله الكريم قال الله تعالى واذكر في الكتاب موسى انه كان مخلصا وكان رسولا نبيا وناديناه
من جانب الطور الايمن وقربناه نجيا ووهبنا له من رحمتنا اخاه هارون نبيا وقد ذكره الله
تعالى في مواضع كثيرة متفرقة من القران وذكر قصته في اماكن متعددة مبسوطة

مطولة وغير مطولة وقد تكلمنا على ذلك كله في مواضعه من التفسير وسنورد سيرته هنا
من ابتدائها الى آخرها من الكتاب والسنة وما ورد في الآثار المنقولة من الاسرائيليات
التي ذكرها السلف وغيرهم ان شاء الله وبه الثقة وعليه التكلان قال الله تعالى
بسم الله الرحمن الرحيم طسم تلك آيات الكتاب المبين نتلوا عليك من
نبأ موسى وفرعون بالحق لقوم يؤمنون ان فرعون علا في الارض وجعل اهلها شيعا يستضعف
طائفة منهم يذبح ابناءهم ويستحيي نساءهم انه كان من المفسدين ونريد ان نمن على الذين استضعفوا
في الارض ونجعلهم ائمة ونجعلهم الوارثين ونمكن لهم في الارض ونري فرعون وهامان وجنودهما
منهم ما كانوا يحذرون يذكر تعالى ملخص القصة ثم يبسطها بعد هذا فذكر انه يتلو على
نبيه خبر موسى وفرعون بالحق اي بالصدق الذي كان سامعه مشاهد للامر معاين له ان
فرعون علا في الارض وجعل اهلها شيعا يستضعف طائفة منهم اي تجبر وعتى وطغى وبغى
وآثر الحياة الدنيا واعرض عن طاعة الرب الاعلى وجعل اهلها شيعا اي قسم رعيته
الى اقسام وفرق وانواع يستضعف طائفة منهم وهم شعب بني اسرائيل الذين هم من سلالة
نبي الله يعقوب بن اسحاق بن خليل الله وكانوا اذ ذاك خيار اهل الارض وقد سلط عليهم هذا
الملك الظالم الغاشم الكافر الفاجر يستخدمهم في اخس الصنائع والحرف واردئها ومع
هذا يذبح ابناءهم ويستحيي نساءهم انه كان من المفسدين وكان الحامل له على هذا الصنيع الشنيع
ان بني اسرائيل كانوا يتدارسون فيما بينهم ما كانوا يأثرونه عن ابراهيم الخليل عليه السلام من انه
سيخرج من ذريته غلام يكون هلاك ملك مصر على يديه وذلك والله اعلم حين كان جرى على
سارة امرأة الخليل من ملك مصر من ارادته اياها على السوء وعصمة الله لها وكانت هذه
البشارة مشهورة في بني اسرائيل فتحدث بها القبط فيما بينهم ووصلت الى فرعون فذكرها
له بعض امرائه واساورته وهم يسمرون عنده فامر عند ذلك بقتل ابناء بني اسرائيل حذرا من
وجود هذا الغلام ولن يغني حذر من قدر وذكر السدي عن ابي صالح وابي مالك عن ابن عباس
وعن مرة عن ابن مسعود وعن ناس من الصحابة ان فرعون رأى في منامه كان نارا قد اقبلت
من نحو بيت المقدس فاحرقت دور مصر وجميع القبط ولم تضر بني اسرائيل فلما استيقظ هاله
ذلك وجمع الكهنة والحزاة والسحرة وسألهم عن ذلك فقالوا هذا غلام يولد من هؤلاء يكون
سبب هلاك اهل مصر على يديه فلهذا امر بقتل الغلمان وترك النسوان ولهذا قال
تعالى ونريد ان نمن على الذين استضعفوا في الارض وهم بنو اسرائيل ونجعلهم ائمة ونجعلهم
الوارثين اي الذين يؤول ملك مصر وبلادها اليهم ونمكن لهم في الارض ونري فرعون
وهامان وجنودهما منهم ما كانوا يحذرون اي سنجعل الضعيف قويا والمقهور قاهرا
والذليل عزيزا وقد جرى هذا كله لبني اسرائيل كما قال تعالى واورثنا القوم الذين كانوا
يستضعفون مشارق الارض ومغاربها التي باركنا فيها وتمت كلمة ربك الحسنى على بني
اسرائيل بما صبروا الآية وقال تعالى كم تركوا من جنات وعيون وكنوز ومقام كريم كذلك
واورثناها قوما آخرين بني اسرائيل وسيأتي تفصيل ذلك في موضعه ان شاء الله والمقصود
ان فرعون احترز كل الاحتراز ان لا يوجد موسى حتى جعل رجالا وقوابل يدورون على الحبالى
ويعلمون ميقات وضعهن فلا تلد امرأة ذكرا الا ذبحه اولئك الذباحون من ساعته وعند اهل الكتاب
انه انما كان يأمر بقتل الغلمان لتضعف شوكة بني اسرائيل فلا يقاومونهم اذا غالبوهم او قاتلوهم

وهذا فيه نظر بل هو باطل وانما هذا في الامر بقتل الولدان بعد بعثة موسى كما قال تعالى
فلما جاءهم بالحق من عندنا قالوا اقتلوا ابناء الذين آمنوا معه واستحيوا نساءهم ولهذا
قالت بنو اسرائيل لموسى اوذينا من قبل ان تأتينا ومن بعد ما جئتنا فالصحيح ان فرعون
انما امر بقتل الغلمان اولا حذرا من وجود موسى هذا والقدر يقول يا ايها الملك الجبار
المغرور بكثرة جنوده وسلطة باسه واتساع ملكه قد حكم العظيم الذي لا يغالب ولا يمانع
ولا تخالف اقداره ان هذا المولود الذي تحترز منه وقد قتلت بسببه من النفوس ما لا
يعد ولا يحصى لا يكون مرباه الا في دارك وعلى فراشك ولا يغذى الا بطعامك وشرابك
وانت الذي تتبناه وتربيه وتتعداه ولا تطلع على سر معناه ثم يكون هلاك دنياك
واخراك على يديه لمخالفتك ما جاءك به من الحق المبين وتكذيبك ما اوحي اليه لتعلم انت
وسائر الخلق ان رب السموات والارض هو الفعال لما يريد وانه هو القوي الشديد ذو البأس
العظيم والحول والقوة والمشيئة التي لا مرد لها وقد ذكر غير واحد من المفسرين ان القبط
شكوا الى فرعون قلة بني اسرائيل بسبب قتل ولدانهم الذكور وخشي ان تتفانى الكبار مع قتل
الصغار فيصيرون هم الذين يلون ما كان بنو اسرائيل يعالجون فامر فرعون بقتل الابناء
عاما وان يتركوا عاما فذكروا ان هارون ولد في عام المسامحة عن قتل الابناء وان موسى
عليه السلام ولد في عام قتلهم فضاقت به امه ذرعا واحترزت من اول ما حبلت ولم يكن
يظهر عليها مخايل الحبل فلما وضعت الهمت ان اتخذت له تابوتا فربطته في حبل وكانت
دارها متاخمة للنيل فكانت ترضعه فاذا احست من احد وضعته في ذلك التابوت وارسلته
واستمسكت طرف الحبل عندها فاذا ذهبوا استرجعته اليها به قال الله تعالى واوحينا الى
ام موسى ان ارضعيه فاذا خفت عليه فالقيه في اليم ولا تخافي ولا تحزني انا رادوه اليك
وجاعلوه من المرسلين فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا ان فرعون وهامان
وجنودهما كانوا خاطئين وقالت امرأة فرعون قرة عين لي ولك لا تقتلوه عسى ان ينفعنا
او نتخذه ولدا وهم لا يشعرون هذا الوحي وحي الهام وارشاد كما قال تعالى واوحى ربك الى
النحل ان اتخذي من الجبال بيوتا ومن الشجر ومما يعرشون ثم كلي من كل الثمرات فاسلكي سبل
ربك ذللا يخرج من بطونها الآية وليس هو وحي نبوة كما زعمه ابن حزم وغير واحد من المتكلمين
بل الصحيح الاول كما حكاه ابو الحسن الاشعري عن مذهب اهل السنة والجماعة قال
السهيلي واسم ام موسى ايارخا وقيل اياذخت والمقصود انها ارشدت الى هذا الذي
ذكرناه والقي في خلدها وروعها ان لا تخافي ولا تحزني فانه ان ذهب فان الله سيرده اليك
وان الله سيجعله نبيا مرسلا يعلي كلمته في الدنيا والآخرة فكانت تصنع ما امرت به
فارسلته ذات يوم وذهلت ان تربط طرف الحبل عندها فذهب مع النيل فمر على دار فرعون
فالتقطه آل فرعون قال الله تعالى ليكون لهم عدوا وحزنا قال بعضهم هذه لام العاقبة
وهو ظاهر ان كان متعلقا بقوله فالتقطه واما ان جعل متعلقا بمضمون الكلام
وهو ان آل فرعون قيضوا لالتقاطه ليكون لهم عدوا وحزنا صارت اللام معللة كغيرها
والله اعلم ويقوي هذا التقدير الثاني قوله ان فرعون وهامان وجنودهما كانوا خاطئين
اي هم اهل لهذا التقييض ليكون ابلغ في اهانتهم واقوى في حسرتهم ان هو تربى عندهم
في دارهم ولهذا قال ليكون لهم عدوا وحزنا ان فرعون وهامان وهو الوزير السوء وجنودهما

المتابعين لهما كانوا خاطئين اي على خلاف الصواب فاستحقوا هذه العقوبة
والحسرة وذكر المفسرون ان الجواري التقطنه من البحر في تابوت مغلق عليه فلم يتجاسرن
على فتحه حتى وضعنه بين يدي امرأة فرعون آسية بنت مزاحم بن عبيد بن الريان بن
الوليد الذي كان فرعون مصر في زمن يوسف وقيل انها كانت من بني اسرائيل من سبط
موسى وقيل بل كانت عمته حكاه السهيلي والله اعلم وسيأتي في مدحها والثناء عليها
في قصة مريم بنت عمران وانهما يكونان يوم القيامة من ازواج رسول الله صلى الله عليه
وسلم في الجنة فلما فتحت الباب وكشفت الحجاب رأت وجهه يتلألأ بتلك الانوار النبوية
والجلالة الموسوية فلما رأته ووقع نظرها عليه احبته حبا شديدا جدا فلما جاء فرعون
قال ما هذا وامر بذبحه فاستوهبته منه ودفعت عنه وقالت قرة عين لي ولك فقال
لها فرعون اما لك فنعم واما لي فلا اي لا حاجة لي به والبلاء موكل بالمنطق وقولها
عسى ان ينفعنا وقد انالها الله ما رجت منه من النفع اما في الدنيا فهداها الله به واما
في الآخرة فاسكنها جنته بسببه او نتخذه ولدا وذلك انهما تبنياه لانه لم يكن ولد لهما
ولد قال الله تعالى وهم لا يشعرون اي لا يدرون ماذا يريد الله بهم ان قيضهم لالتقاطه
من النقمة العظيمة بفرعون وجنوده وعند اهل الكتاب بان التي التقطت موسى
دربته ابنة فرعون وليس لامرأته ذكر بالكلية وهذا من غلطهم على كتاب الله عز وجل
قال الله تعالى واصبح فؤاد ام موسى فارغا ان كادت لتبدي به لولا ان ربطنا على قلبها
لتكون من المؤمنين وقالت لاخته قصيه فبصرت به عن جنب وهم لا يشعرون وحرمنا
عليه المراضع من قبل فقالت هل ادلكم على اهل بيت يكفلونه لكم وهم له ناصحون فرددناه
الى امه كي تقر عينها ولا تحزن ولتعلم ان وعد الله حق ولكن اكثرهم لا يعلمون قال
ابن عباس ومجاهد وعكرمة وسعيد بن جبير وابو عبيدة والحسن وقتادة والضحاك
وغيرهم واصبح فؤاد ام موسى فارغا اي من كل شيء من امور الدنيا الا من موسى ان كادت لتبدي
به اي لتظهر امره وتسأل عنه جهرة لولا ان ربطنا على قلبها اي صبرناها وثبتناها لتكون
من المؤمنين وقالت لاخته وهي ابنتها الكبيرة قصيه اي اتبعي اثره واطلبي لي خبره
فبصرت به عن جنب قال مجاهد عن بعد وقال قتادة جعلت تنظر اليه وكأنها
لا تريده ولهذا قال وهم لا يشعرون وذلك لان موسى عليه السلام لما استقر
بدار فرعون ارادوا ان يغذوه برضاعة فلم يقبل ثديا ولا اخذ طعاما فحاروا في امره
واجتهدوا على تغذيته بكل ممكن فلم يفعل كما قال تعالى وحرمنا عليه المراضع من قبل
فارسلوه مع القوابل والنساء الى السوق لعل يجدون من يوافق رضاعته فبينما هم
وقوف به والناس عكوف عليه اذ بصرت به اخته فلم تظهر انها تعرفه بل قالت هل ادلكم
على اهل بيت يكفلونه لكم وهم له ناصحون قال ابن عباس لما قالت ذلك قالوا لها
ما يدريك بنصحهم وشفقتهم عليه فقالت رغبة في صهر الملك ورجاء منفعته
فاطلقوها وذهبوا معها الى منزلهم فاخذته امه فلما ارضعته التقم ثديها واخذ
يمتصه ويرتضعه ففرحوا بذلك فرحا شديدا وذهب البشير الى آسية يعلمها بذلك
فاستدعتها الى منزلها وعرضت عليها ان تكون عندها وان تحسن اليها فابت عليها وقالت
ان لي بعلا واولادا ولست اقدر على هذا الا ان ترسليه معي فارسلته معها ورتبت لها

دواب واجرت عليها النفقات والكساوي والهبات فرجعت به تحوزه الى رحلها
وقد جمع الله شمله بشملها قال الله تعالى فرددناه الى امه كي تقر عينها ولا تحزن
ولتعلم ان وعد الله حق اي كما وعدناها برده ورسالته فهذا رده وهو دليل على صدق
البشارة برسالته ولكن اكثرهم لا يعلمون وقد امتن الله تعالى بهذا على موسى ليلة كلمه
فقال له فيما قال ولقد مننا عليك مرة اخرى اذ اوحينا الى امك ما يوحى
ان اقذفيه في التابوت فاقذفيه في اليم فليلقه اليم بالساحل يأخذه عدو لي وعدو
له والقيت عليك محبة مني وذلك انه كان لا يراه احد الا احبه ولتصنع على عيني
قال قتادة وغير واحد من السلف اي تطعم وترفه وتغذى باطيب المآكل وتلبس
احسن الملابس بمرأى مني وذلك كله بحفظي لك وكلائتي لك فيما صنعت بك ولك
وقدرته من الامور التي لا يقدر عليها غيري اذ تمشي اختك فتقول هل ادلكم على من يكفله
فرجعناك الى امك كي تقر عينها ولا تحزن وقتلت نفسا فنجيناك من الغم وفتناك
فتونا وسنورد حديث الفتون في موضعه بعد هذا ان شاء الله ولما بلغ اشده
واستوى آتيناه حكما وعلما وكذلك نجزي المحسنين ودخل المدينة على حين غفلة
من اهلها فوجد فيها رجلين يقتتلان هذا من شيعته وهذا من عدوه فاستغاثه
الذي من شيعته على الذي من عدوه فوكزه موسى فقضى عليه قال هذا من عمل الشيطان
انه عدو مضل مبين قال رب اني ظلمت نفسي فاغفر لي فغفر له انه هو الغفور الرحيم
قال رب بما انعمت علي فلن اكون ظهيرا للمجرمين لما ذكر تعالى انه انعم على امه برده اليها
واحسانه بذلك وامتنانه عليها شرع في ذكر انه لما بلغ اشده واستوى وهو احتكام
الخلق والخلق وهو سن الاربعين في قول الاكثرين آتاه الله حكما وعلما وهو النبوة
والرسالة التي كان بشر بها امه حين قال انا رادوه اليك وجاعلوه من المرسلين
ثم شرع في ذكر سبب خروجه من بلاد مصر وذهابه الى ارض مدين واقامته هنالك حتى
كمل الاجل وانقضى الامد وما كان من كلام الله له واكرامه بما اكرمه به كما سيأتي قال
تعالى ودخل المدينة على حين غفلة من اهلها قال ابن عباس وسعيد بن جبير وعكرمة
وقتادة والسدي وذلك نصف النهار وعن ابن عباس بين العشائين فوجد فيها
رجلين يقتتلان اي يتضاربان ويتهاوشان هذا من شيعته اي
اسرائيلي وهذا من عدوه اي قبطي قاله ابن عباس وقتادة والسدي ومحمد بن اسحاق
فاستغاثه الذي من شيعته على الذي من عدوه وذلك ان موسى عليه السلام كانت
له بديار مصر صولة بسبب نسبته الى تبني فرعون له وتربيته في بيته وكانت
بنو اسرائيل قد عزوا وصارت لهم وجاهة وارتفعت رؤوسهم بسبب انهم ارضعوه
وهم اخواله اي من الرضاعة فلما استغاث ذلك الاسرائيلي موسى عليه السلام على ذلك
القبطي اقبل اليه موسى فوكزه قال مجاهد اي طعنه بجمع كفه وقال قتادة بعصا
كانت معه فقضى عليه اي فمات منها وقد كان ذلك القبطي كافرا مشركا بالله العظيم
ولم يرد موسى قتله بالكلية وانما اراد زجره وردعه ومع هذا قال موسى هذا من عمل
الشيطان انه عدو مضل مبين قال رب اني ظلمت نفسي فاغفر لي فغفر له انه هو
الغفور الرحيم قال رب بما انعمت علي من العز والجاه فلن اكون ظهيرا للمجرمين

فاصبح في المدينة خايفا يترقب فاذا الذي استنصره بالامس يستصرخه قال له
موسى انك لغوي مبين فلما ان اراد ان يبطش بالذي هو عدو لهما قال يا موسى اتريد
ان تقتلني كما قتلت نفسا بالامس ان تريد الا ان تكون جبارا في الارض وما تريد ان تكون
من المصلحين وجاء رجل من اقصى المدينة يسعى قال يا موسى ان الملا ياتمرون بك ليقتلوك
فاخرج اني لك من الناصحين فخرج منها خايفا يترقب قال رب نجني من القوم الظالمين
يخبر تعالى ان موسى اصبح بمدينة مصر خايفا اي من فرعون وملايه ان يعلموا ان هذا القتيل
الذي رفع اليه امره انما قتله موسى في نصرة رجل من بني اسرايل فتقوى ظنونهم ان موسى
منهم ويترتب على ذلك امر عظيم فصار يسير في المدينة في صبيحة ذلك اليوم خايفا
يترقب اي يلتفت فبينما هو كذلك اذا ذلك الرجل الاسرايلي الذي استنصره
بالامس يستصرخه اي يصرخ به ويستغيثه على اخر قد قاتله فعنفه موسى ولامه
على كثرة شره ومخاصمته قال له انك لغوي مبين ثم اراد ان يبطش بذلك القبطي
الذي هو عدو لموسى وللاسرايلي فيردعه عنه ويخلصه منه فلما عزم على ذلك واقبل
على القبطي قال يا موسى اتريد ان تقتلني كما قتلت نفسا بالامس ان تريد الا ان تكون
جبارا في الارض وما تريد ان تكون من المصلحين قال بعضهم انما قال هذا الكلام
الاسرايلي الذي اطلع على ما كان صنع موسى بالامس وكانه لما راى موسى مقبلا الى القبطي
اعتقد انه جاء اليه لما عنفه قبل ذلك بقوله انك لغوي مبين فقال ما قال لموسى
واظهر الامر الذي كان وقع بالامس فذهب القبطي فاستعدى موسى الى فرعون وهذا الذي
لم يذكر كثير من الناس سواه ويحتمل ان قايل هذا هو القبطي وانه لما راه مقبلا عليه خافه
وراى من سجيته انتصارا جيدا للاسرايلي فقال ما قال من باب الظن والفراسة ان
هذا لعله قاتل ذاك القتيل بالامس او لعله فهم من كلام الاسرايلي حين استصرخه
عليه ما دله على هذا والله اعلم والمقصود ان فرعون بلغه ان موسى هو قاتل ذلك
المقتول بالامس فارسل في طلبه وسبقهم رجل ناصح من طريق اقرب وجاء من اقصى
المدينة ساعيا اليه مشفقا عليه فقال يا موسى ان الملا ياتمرون بك ليقتلوك فاخرج
اي من هذه البلدة اني لك من الناصحين اي فيما اقوله لك قال الله تعالى فخرج منها
خايفا يترقب اي فخرج من مدينة مصر من فوره لا يهتدي الطريق ولا يعرفه قايلا رب نجني
من القوم الظالمين ولما توجه تلقاء مدين قال عسى ربي ان يهديني سواء السبيل ولما
ورد ماء مدين وجد عليه امة من الناس يسقون ووجد من دونهم امراتين تذودان قال
ما خطبكما قالتا لا نسقي حتى يصدر الرعاء وابونا شيخ كبير فسقى لهما ثم تولى الى الظل
فقال رب اني لما انزلت الي من خير فقير يخبر تعالى عن خروج عبده ورسوله وكليمه من
مصر خايفا يترقب اي يتلفت خشية ان يدركه احد من قوم فرعون وهو لا يدري اين يتوجه
ولا الى اين يذهب وذلك انه لم يخرج من مصر قبلها ولما توجه تلقاء مدين اي اتجه له
طريق يذهب فيه قال عسى ربي ان يهديني سواء السبيل اي عسى ان يكون هذه الطريق
موصلة الى المقصود وكذا وقع وصلته الى مقصود واي مقصود ولما ورد ماء مدين وكانت
بير يستقون منها ومدين هي المدينة التي اهلك الله فيها اصحاب الايكة وهم قوم شعيب
عليه السلام وقد كان هلاكهم قبل زمن موسى عليه السلام في احد قولي العلماء ولما ورد

الماء المذكور

الماء المذكور وجد عليه امة من الناس يسقون ووجد من دونهم امراتين تذودان اي
تكفكفان غنمهما عن ان تختلط بغنم الناس وعند اهل الكتاب انهن كن سبع بنات
وهذا ايضا من الغلط ولعله كان له سبع ولكن انما كان يسقي اثنتان منهن وهذا الجمع
ممكن ان كان ذاك محفوظا والا فالظاهر انه لم يكن له سوى بنتان قال ما خطبكما
قالتا لا نسقي حتى يصدر الرعاء وابونا شيخ كبير اي لا نقدر على ورود الماء الا بعد صدور
الرعاء لضعفنا وسبب مباشرتنا هذه الرعية ضعف ابينا وكبره قال الله تعالى فسقى
لهما قال المفسرون وذلك ان الرعاء كانوا اذا فرغوا من وردهم وضعوا على فم البير
صخرة عظيمة فيجي هاتان المراتان فيشرعان غنمهما في فضل اغنام الناس فلما كان
ذلك اليوم جاء موسى فرفع تلك الصخرة وحده ثم استقى لهما وسقى غنمهما ثم رد الحجر
كما كان قال امير المومنين عمر وكان لا يرفعه الا عشرة وانما استقى ذنوبا واحدا فكفاهما
ثم تولى الى الظل قالوا وكان ظل شجرة من السمر روى ابن جرير عن ابن مسعود انه راها
خضرا ترف قال رب اني لما انزلت الي من خير فقير قال ابن عباس سار من مصر الى مدين لم
ياكل الا البقل وورق الشجر وكان حافيا فسقطت نعلا قدميه من الحفا وجلس في
الظل وهو صفوة الله من خلقه وان بطنه لاصق بظهره من الجوع وان خضرة البقل
لترى من داخل جوفه وانه لمحتاج الى شق تمرة قال عطا بن السايب لما قال
رب اني لما انزلت الي من خير فقير اسمع المراة فجاءته احداهما تمشي على استحيا قالت
ان ابي يدعوك ليجزيك اجر ما سقيت لنا فلما جاءه وقص عليه القصص قال
لا تخف نجوت من القوم الظالمين قالت احداهما يا ابت استاجره ان خير من
استاجرت القوي الامين قال اني اريد ان انكحك احدى ابنتي هاتين على ان تاجرني
ثماني حجج فان اتممت عشرا فمن عندك وما اريد ان اشق عليك ستجدني ان شاء الله من
الصالحين قال ذلك بيني وبينك ايما الاجلين قضيت فلا عدوان علي والله على
ما نقول وكيل لما جلس موسى عليه السلام في الظل وقال رب اني لما انزلت الي من
خير فقير سمعته المراتان فيما قيل فذهبتا الى ابيهما فيقال انه استنكر سرعة رجوعهما
فاخبرتاه ما كان من امر موسى عليه السلام فامر احداهما ان تذهب اليه فتدعوه فجاءته
احداهما تمشي على استحيا اي مشي الحراير فقالت ان ابي يدعوك ليجزيك اجر ما سقيت
لنا صرحت له بهذا لئلا يوهم كلامها ريبة وهذا من تمام حيايها وصيانتها فلما جاءه وقص
عليه القصص واخبره خبره وما كان من امره في خروجه من بلاد مصر فرارا من
فرعونها قال له ذلك الشيخ لا تخف نجوت من القوم الظالمين اي خرجت من
سلطانهم فلست في دولتهم وقد اختلفوا في هذا الشيخ من هو فقيل هو شعيب عليه
السلام وهذا هو المشهور عند كثيرين وممن نص عليه الحسن البصري ومالك بن انس
وجاء مصرحا به في حديث ولكن في اسناده نظر وصرح طايفة بان شعيبا عليه السلام
عاش عمرا طويلا بعد هلاك قومه حتى ادركه موسى عليه السلام وتزوج بابنته وروى
ابن ابي حاتم وغيره عن الحسن البصري ان صاحب موسى هذا اسمه شعيب وكان سيد
الماء ولكن ليس بالنبي صاحب مدين وقيل انه ابن اخي شعيب وقيل ابن عمه وقيل
رجل مومن من قوم شعيب وقيل رجل اسمه يثرون هكذا هو في كتب اهل الكتاب يثرون

كامن مدين اي كبيرها ادعا لهما قال ابن عباس وابو عبيدة بن عبد الله اسمه يثرون
زاد ابو عبيدة وهو ابن اخي شعيب زاد ابن عباس صاحب مدين والمقصود انه لما
اضافه واكرم مثواه وقص عليه ما كان من امره بشره بانه قد نجا فعند ذلك
قالت احدى البنتين لابيها يا ابت استاجره اي ليرعى غنمك ثم مدحته بانه قوي
امين قال عمر وابن عباس وشريح القاضي وابو مالك وقتادة ومحمد بن اسحاق وغير
واحد لما قالت ذلك قال لها ابوها وما علمك بهذا فقالت انه رفع صخرة لا يطيق
رفعها الا عشرة وانه لما جئت معه تقدمت امامه فقال لي كوني من ورائي فاذا اختلفت
الطريق فاحذفي لي بحصاة اعلم بها كيف الطريق قال ابن مسعود افرس الناس
ثلاثة صاحب يوسف حين قال لامراته اكرمي مثواه وصاحبة موسى حين قالت
يا ابت استاجره ان خير من استاجرت القوي الامين وابو بكر حين استخلف عمر بن الخطاب
قال اني اريد ان انكحك احدى ابنتي هاتين على ان تاجرني ثماني حجج فان اتممت عشرا
فمن عندك وما اريد ان اشق عليك ستجدني ان شاء الله من الصالحين استدل بهذا
جماعة من اصحاب ابي حنيفة رح على صحة ما اذا باعه احد هذين العبدين او الثوبين
ونحو ذلك انه يصح لقوله احدى ابنتي هاتين وفي هذا نظر لان هذه مراوضة لا معاقدة
والله اعلم واستدل اصحاب احمد على صحة الايجار بالطعمة والكسوة كما جرت به العادة
واستانسوا بالحديث الذي رواه ابن ماجه في سننه مترجما عليه في كتابه باب
استيجار الاجير على طعام بطنه حدثنا محمد بن المصفى الحمصي ثنا بقية بن الوليد
عن مسلمة بن علي عن سعيد بن ابي ايوب عن الحرث بن يزيد عن علي بن رباح قال سمعت
عتبة بن المنذر يقول كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقرا طس حتى اذا بلغ
قصة موسى قال ان موسى عليه السلام اجر نفسه ثماني سنين او عشرة على عفة فرجه
وطعام بطنه وهذا من هذا الوجه لا يصح لان مسلمة بن علي الخشني الدمشقي البلاطي ضعيف
عند الائمة لا يحتج بتفرده ولكن قد روي من وجه اخر فقال ابن ابي حاتم ثنا ابو زرعة
ثنا يحيى بن عبد الله بن بكير حدثني ابن لهيعة ح وحدثنا ابو زرعة ثنا صفوان ثنا
الوليد ثنا عبد الله بن لهيعة عن الحرث بن يزيد الحضرمي عن علي بن رباح اللخمي قال
سمعت عتبة بن المنذر السلمي صاحب رسول الله يحدث ان رسول الله قال ان موسى
عليه السلام اجر نفسه لعفة فرجه وطعمة بطنه ثم قال تعالى قال ذلك بيني
وبينك ايما الاجلين قضيت فلا عدوان علي والله على ما نقول وكيل يقول ان موسى
قال لصهره الامر على ما قلت فايهما قضيت فلا عدوان علي والله على مقالتنا سامع شاهد
ووكيل علي وعليك ومع هذا فلم يقض موسى الا اكمل الاجلين واتمهما وهو العشر سنين
كوامل تامة قال البخاري ثنا محمد بن عبد الرحيم ثنا سعيد بن سليمان ثنا مروان
ابن شجاع عن سالم الافطس عن سعيد بن جبير قال سالني يهودي من اهل الحيرة
اي الاجلين قضى موسى قلت لا ادري حتى اقدم على حبر العرب فاساله فقدمت فسالت
ابن عباس فقال قضى اكثرهما واطيبهما ان رسول الله اذا قال فعل تفرد به البخاري من هذا
الوجه وقد رواه النسائي في حديث الفتون كما سياتي من طريق القسم بن ابي ايوب عن
سعيد بن جبير وقد رواه ابن جرير عن احمد بن محمد الطوسي وابن ابي حاتم عن ابيه كلاهما

عن الحميدي عن سفيان بن عيينة حدثني ابراهيم بن يحيى بن ابي يعقوب عن الحكم بن
ابان عن عكرمة عن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال سالت جبريل
اي الاجلين قضى موسى قال اتمهما واكملهما وابراهيم هذا غير معروف الا بهذا الحديث
وقد رواه البزار عن احمد بن ابان القرشي عن سفيان بن عيينة عن ابراهيم بن اعين
عن الحكم بن ابان عن عكرمة عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم فذكره وقد رواه
سنيد عن حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مرسلا ان رسول الله سال عن ذلك جبريل
فسال جبريل اسرافيل فسال اسرافيل الرب عز وجل فقال ابرهما واوفاهما وبنحوه
رواه ابن ابي حاتم من حديث يوسف بن سرج مرسلا ورواه ابن جرير من طريق محمد
ابن كعب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل اي الاجلين قضى موسى قال اوفاهما واتمهما
وقد رواه البزار وابن ابي حاتم من حديث عويد بن ابي عمران الجوني وهو ضعيف عن
ابيه عن عبد الله بن الصامت عن ابي ذر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل اي
الاجلين قضى موسى قال اوفاهما وابرهما قال وان سئلت اي المراتين تزوج فقل
الصغرى منهما وقد رواه البزار وابن ابي حاتم من طريق عبد الله بن لهيعة عن الحرث
بن يزيد الحضرمي عن علي بن رباح عن عتبة بن المنذر ان رسول الله قال ان موسى اجر نفسه
بعفة فرجه وطعام بطنه فلما وفى الاجل قيل يا رسول الله اي الاجلين قال ابرهما
واوفاهما فلما اراد فراق شعيب امر امراته ان تسال اباها ان يعطيها من غنمه ما يعيشون
به فاعطاها ما ولدت من غنمه من قالب لون من ولد ذلك العام وكانت
غنمه سودا حسانا فانطلق موسى عليه السلام بازاء الحوض فلم يصدر منها شاة الا ضرب
جنبها شاة شاة قال فاتامت وانثت ووضعت كلها قوالب الوان الا شاة او شاتين
ليس فيها فشوش ولا ضبوب ولا عزوز ولا ثعول ولا كمشة تفوت الكف قال النبي صلى
الله عليه وسلم لو افتتحتم الشام وجدتم بقايا تلك الغنم وهي السامرية قال
ابن لهيعة الفشوش واسعة الشخب والضبوب طويلة الضرع تجره والعزوز ضيقة
الشخب والثعول الصغيرة الضرع كالحلمتين والكمشة التي لا يحكم الكف على ضرعها
لصغره وفي صحة رفع هذا الحديث نظر وقد يكون موقوفا كما قال ابن جرير ثنا محمد بن
المثنى ثنا معاذ بن هشام ثنا ابي سليمان عن قتادة ثنا انس بن مالك قال لما
دعى نبي الله موسى صاحبه الى الاجل الذي كان بينهما قال له صاحبه كل شاة ولدت على
لونها فلك ولدها فعمد فوضع حبالا على الماء فلما رات الحبال فزعت فجالت جولة فولدت
كلهن بلقا الا شاة واحدة فذهب باولادهن ذلك العام وهذا اسناد جيد رجاله ثقات
والله اعلم وقد تقدم عن نقل اهل الكتاب عن يعقوب عليه السلام حين فارق خاله
لابان انه اطلق له ما يولد من غنمه بلقا ففعل نحو ما ذكر عن موسى عليه السلام والله اعلم
قال الله تعالى فلما قضى موسى الاجل وسار باهله انس من جانب الطور نارا قال
لاهله امكثوا اني انست نارا لعلي اتيكم منها بخبر او جذوة من النار لعلكم تصطلون فلما
اتاها نودي من شاطئ الوادي الايمن في البقعة المباركة من الشجرة المباركة من
الشجرة ان يا موسى اني انا الله رب العالمين وان الق عصاك فلما راها تهتز كانها
جان ولى مدبرا ولم يعقب يا موسى اقبل ولا تخف انك من الامنين اسلك يدك في جيبك

تخرج بيضاء من غير سوء واضمم اليك جناحك من الرهب فذانك برهانان من ربك
الى فرعون وملايه انهم كانوا قوما فاسقين فتقدم ان موسى قضى اتم الاجلين واكملهما
وقد يوجد هذا من قوله فلما قضى موسى الاجل وعن مجاهد انه اكمل عشرا وعشرا بعدها
وقوله وسار باهله اى من عند صهره ذاهبا بهما ذكره غير واحد من المفسرين وغيرهم
انه اشتاق الى اهله فقصد زيارتهم ببلاد مصر فى صورة مختف فلما سار باهله ومعه
ولدان منهم وغنم قد استفادها فى مدة مقامه قالوا واتفق ذلك فى ليلة مظلمة
باردة وتاهوا فى طريقهم فلم يهتد الى السلوك فى الدرب المالوف وجعل يورى زناده
فلا يورى شيا واشتد الظلام والبرد فبينما هو كذلك اذ ابصر عن بعد نارا تاجج
فى جانب الطور وهو الجبل الغربى منه عن يمينه فقال لاهله امكثوا انى انست نارا
وكانه والله اعلم راها دونهم لان هذه النار هى نور فى الحقيقة ولا يصلح رويتها لكل
احد لعلى اتيكم منها بخبر اى استعلم من عندها عن الطريق او جذوة من النار لعلكم
تصطلون فدل على انهم كانوا تاهوا عن الطريق فى ليلة باردة ومظلمة لقوله فى الاية
الاخرى وهل اتاك حديث موسى اذ راى نارا فقال لاهله امكثوا انى انست نارا لعلى
اتيكم منها بقبس او اجد على النار هدى فدل على وجود الظلام وكونهم تاهوا عن الطريق
وجمع الكل فى قوله فى سورة النمل اذ قال موسى لاهله انى انست نارا ساتيكم منها بخبر او اتيكم
بشهاب قبس لعلكم تصطلون وقد اتاهم منها بخبر واى خبر ووجد عندها هدى واى
هدى واقتبس منها نورا واى نور قال الله تعالى فلما اتاها نودى من شاطئ الواد
الايمن فى البقعة المباركة من الشجرة ان يا موسى انى انا الله رب العالمين وقال
فى النمل فلما جاءها نودى ان بورك من فى النار ومن حولها وسبحان الله رب العالمين
اى سبحان الله الذى يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد يا موسى انه انا الله العزيز الحكيم
وقال فى سورة طه فلما اتاها نودى يا موسى انى انا ربك فاخلع نعليك انك بالواد
المقدس طوى وانا اخترتك فاستمع لما يوحى اننى انا الله لا اله الا انا فاعبدنى واقم
الصلاة لذكرى ان الساعة اتية اكاد اخفيها لتجزى كل نفس بما تسعى فلا يصدنك عنها
من لا يومن بها واتبع هواه فتردى قال غير واحد من المفسرين من السلف والخلف
لما قصد موسى الى تلك النار التى راها فانتهى اليها وجدها تاجج فى شجرة خضراء من
العوسج وكلما لتلك النار فى اضطرام وكلما لخضرة الشجرة فى ازدياد فوقف متعجبا
وكانت تلك الشجرة فى لحف جبل غربى منه عن يمينه كما قال تعالى وما كنت بجانب
الغربى اذ قضينا الى موسى الامر وما كنت من الشاهدين وكان موسى فى واد اسمه طوى
فكان موسى مستقبل القبلة وتلك الشجرة عن يمينه من ناحية فناداه ربه بالواد
المقدس طوى فامره اولا بخلع نعليه تعظيما وتكريما وتوقيرا لتلك البقعة المباركة ولا
سيما فى تلك الليلة المباركة وعند اهل الكتاب انه وضع يده على وجهه من شدة ذلك
النور مهابة له خوفا على بصره ثم خاطبه تعالى كما يشاء قائلا له انى انا الله رب
العالمين انى انا الله لا اله الا انا فاعبدنى واقم الصلاة لذكرى اى انا رب العالمين
الذى لا اله الا هو الذى لا تصلح العبادة واقامة الصلاة الا له ثم اخبره ان هذه الدنيا
ليست بدار قرار وانما الدار الباقية يوم القيمة التى لا بد من كونها ووجودها لتجزى

كل نفس

كل نفس بما تسعى اى من خير وشر وحضه وحثه على العمل لها ومجانبة من لا يومن بها ممن عصى
مولاه واتبع هواه ثم قال له مخاطبا ومونسا ومبينا له انه القادر على كل شى الذى يقول للشى
كن فيكون وما تلك بيمينك اى اما هذه عصاك التى تعرفها منذ صحبتها قال هى عصاى اتوكا
عليها واهش بها على غنمى ولى فيها مارب اخرى اى بل هذه عصاى التى اعرفها واتحققها قال
القها يا موسى فالقاها فاذا هى حية تسعى وهذا خارق عظيم وبرهان قاطع على ان الذى يكلمه
هو الذى يقول للشى كن فيكون وانه الفعال بالاختيار وعند اهل الكتاب انه سال برهانا على صدقه
عند من يكذبه من اهل مصر فقال له الرب عز وجل ما هذه التى فى يدك قال
عصى قال القها الى الارض فالقاها فاذا هى حية تسعى فهرب موسى من قدامها فامره الرب
عز وجل ان يبسط يده وياخذها بذنبها فلما استمكن منها ارتدت عصى فى يده وقد قال
الله تعالى فى الاية الاخرى وان الق عصاك فلما راها تهتز كانها جان ولى مدبرا ولم يعقب
اى قد صارت حية عظيمة لها ضخامة وانياب تصطك وهى مع ذلك فى سرعة حركة الجان
وهو ضرب من الحيات يقال له الجان والجنان وهو لطيف لكنه سريع الاضطراب والحركة جدا
فهذه جمعت الضخامة والسرعة الشديدة فلما عاينها موسى عليه السلام ولى مدبرا اى
هاربا منها لان طبيعته البشرية تقتضى ذلك ولم يعقب اى ولم يلتفت فناداه ربه قايلا
له يا موسى اقبل ولا تخف انك من الامنين فلما رجع امره الله تعالى ان يمسكها قال خذها ولا
تخف سنعيدها سيرتها الاولى فيقال انه هابها شديدا فوضع يده فى كم مدرعته ثم
وضع يده فى وسط فمها وعند اهل الكتاب بذنبها فلما استمكن منها اذا هى قد عادت كما كانت
عصى ذات شعبتين فسبحان القدير العظيم رب المشرقين والمغربين ثم امره تعالى
بادخال يده فى جيبه ثم امره بنزعها فاذا هى تتلالا كالقمر بياضا من غير سوء اى من غير برص
ولا بهق ولهذا قال اسلك يدك فى جيبك تخرج بيضاء من غير سوء واضمم اليك
جناحك من الرهب قيل معناه اذا خفت فضع يدك على فوادك يسكن جاشك وهذا
وان كان خاصا به الا ان بركة الايمان به حق بان ينفع من استعمل ذلك على وجه الاقتدا
بالانبياء وقال فى سورة النمل وادخل يدك فى جيبك تخرج بيضاء من غير سوء فى تسع
ايات الى فرعون وقومه انهم كانوا قوما فاسقين اى هاتان الايتان وهما العصى واليد
وهما البرهانان المشار اليهما فى قوله فذانك برهانان من ربك الى فرعون وملايه
انهم كانوا قوما فاسقين ومع ذلك سبع ايات اخر فذلك تسع ايات بينات فاسال بنى
اسرائيل اذ جاءهم فقال له فرعون انى لاظنك يا موسى مسحورا قال لقد علمت ما انزل
هولاء الا رب السموات والارض بصاير وانى لاظنك يا فرعون مثبورا وهى المبسوطة فى سورة
الاعراف فى قوله ولقد اخذنا ال فرعون بالسنين ونقص من الثمرات لعلهم يذكرون
فاذا جاءتهم الحسنة قالوا لنا هذه وان تصبهم سيئة يطيروا بموسى ومن معه الا انما
طايرهم عند الله ولكن اكثرهم لا يعلمون وقالوا مهما تاتنا به من اية لتسحرنا بها فما نحن
لك بمومنين فارسلنا عليهم الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم ايات
مفصلات فاستكبروا وكانوا قوما مجرمين كما سياتى الكلام على ذلك فى موضعه وهذه
التسع الايات غير العشر كلمات فان التسع من ايات الله القدرية والعشر من كلماته
الشرعية وانما نبهنا على هذا لانه قد اشتبه على بعض الرواة فظن ان هذه هى كما قررنا

ذلك في تفسير آخر سورة بني إسرائيل والمقصود أن الله سبحانه لما أمر موسى عليه السلام
بالذهاب إلى فرعون قال رب إني قتلت منهم نفسا فأخاف أن يقتلون وأخي هارون هو
أفصح مني لسانا فأرسله معي ردءا يصدقني إني أخاف أن يكذبون قال سنشد عضدك
بأخيك ونجعل لكما سلطانا فلا يصلون إليكما بآياتنا أنتما ومن اتبعكما الغالبون يقول
تعالى مخبرا عن عبده ورسوله وكليمه موسى عليه السلام في جوابه لربه حين أمره بالذهاب
إلى عدوه الذي خرج من ديار مصر فرارا من سطوته وظلمه حين كان من أمره ما كان في قتل ذلك
القبطي ولهذا قال رب إني قتلت منهم نفسا فأخاف أن يقتلون وأخي هارون هو أفصح مني
لسانا فأرسله معي ردءا يصدقني إني أخاف أن يكذبون أي اجعله معي معينا وردءا ووزيرا
يساعدني ويعينني على أداء رسالتك إليهم فإنه أفصح مني لسانا وأبلغ بيانا قال
الله تعالى له مجيبا له إلى سؤاله سنشد عضدك بأخيك ونجعل لكما سلطانا أي برهانا
فلا يصلون إليكما أي فلا ينالون منكما مكروها بسبب قيامكما بآياتنا وقيل ببركة آياتنا
أنتما ومن اتبعكما الغالبون وقال في سورة طه اذهب إلى فرعون إنه طغى قال رب اشرح
لي صدري ويسر لي أمري واحلل عقدة من لساني يفقهوا قولي قيل إنه أصابه في لسانه
لثغة بسبب تلك الجمرة التي وضعها على لسانه التي كان فرعون أراد اختبار عقله
حين أخذ بلحيته وهو صغير فهم بقتله فخافت عليه آسية وقالت إنه طفل فاختبره بوضع
تمرة وجمرة بين يديه فهم بأخذ التمرة فصرف الملك يده إلى الجمرة فأخذها فوضعها على لسانه
فأصابه لثغة بسببها فسأل زوال بعضها بمقدار ما يفهمون قوله ولم يسأل زوالها
بالكلية قال الحسن البصري والرسل إنما يسألون بحسب الحاجة ولهذا بقيت في لسانه
بقية ولهذا قال فرعون قبحه الله فيما زعم أنه يعيب به الكليم ولا يكاد يبين أي
يفصح عن مراده ويعبر عما في ضميره وفؤاده ثم قال موسى عليه السلام واجعل لي وزيرا
من أهلي هارون أخي اشدد به أزري وأشركه في أمري كي نسبحك كثيرا ونذكرك كثيرا إنك
كنت بنا بصيرا قال قد أوتيت سؤلك يا موسى أي قد أجبناك إلى جميع ما سألت
وأعطيناك الذي طلبت وهذا من وجاهته عند ربه عز وجل حين شفع أن يوحي الله
إلى أخيه فأوحى إليه وهذا جاه عظيم قال الله تعالى وكان عند الله وجيها وقال
تعالى ووهبنا له من رحمتنا أخاه هارون نبيا وقد سمعت أم المؤمنين عائشة
رجلا يقول لأناس وهم سائرون في طريق الحج أي أخ أمن على أخيه فسكت القوم فقالت
عائشة لمن حول هودجها هو موسى بن عمران حين شفع في أخيه هارون فأوحى الله إليه
قال الله تعالى ووهبنا له من رحمتنا أخاه هارون نبيا وقال تعالى في سورة الشعراء
وإذ نادى ربك موسى أن ائت القوم الظالمين قوم فرعون ألا يتقون قال رب إني أخاف أن
يكذبون ويضيق صدري ولا ينطلق لساني فأرسل إلى هارون ولهم علي ذنب فأخاف
أن يقتلون قال كلا فاذهبا بآياتنا إنا معكم مستمعون فأتيا فرعون فقولا إنا رسول
رب العالمين أن أرسل معنا بني إسرائيل قال ألم نربك فينا وليدا ولبثت فينا من عمرك
سنين وفعلت فعلتك التي فعلت وأنت من الكافرين تقدير الكلام فأتياه فقالا له
ذلك وبلغاه ما أرسلا به من دعوته إلى عبادة الله عز وجل وحده لا شريك له وأن يفك
أسارى بني إسرائيل من قبضته وقهره وسطوته ويتركهم يعبدون ربهم حيث شاؤوا ويتفرغوا

لتوحيده ودعائه والتضرع لديه فتكبر فرعون في نفسه وعتا وطغى ونظر إلى موسى
بعين الازدراء والتنقص قائلا له ألم نربك فينا وليدا أي أما أنت الذي ربيناه في منزلنا
وأحسنا إليه وأنعمنا عليه مدة من الدهر وهذا يدل على أن فرعون الذي بعث إليه هو
الذي فر منه خلافا لما عند أهل الكتاب من أن فرعون الذي فر منه مات في مدة مقامه
بمدين وأن الذي بعث إليه فرعون آخر وقوله وفعلت فعلتك التي فعلت وأنت
من الكافرين أي وقتلت ذلك الرجل القبطي وفررت منا وجحدت نعمتنا قال فعلتها
إذا وأنا من الضالين أي قبل أن يوحى إلي وينزل علي فررت منكم لما خفتكم فوهب لي ربي
حكما أي نبوة وجعلني من المرسلين ثم قال مجيبا لفرعون عما امتن به عليه من التربية
والإحسان إليه وتلك نعمة تمنها علي أن عبدت بني إسرائيل أي وهذه النعمة التي ذكرت
من أنك أحسنت إلي وأنا رجل واحد من بني إسرائيل تقابل ما استخدمت هذا الشعب
العظيم بكماله واستعبدتهم في أعمالك وخدمك وأشغالك قال فرعون وما رب
العالمين قال رب السموات والأرض وما بينهما إن كنتم موقنين قال لمن حوله ألا تستمعون
قال ربكم ورب آبائكم الأولين قال إن رسولكم الذي أرسل إليكم لمجنون قال رب المشرق
والمغرب وما بينهما إن كنتم تعقلون يذكر تعالى ما كان بين فرعون وموسى من المقاولة
والمحاجة والمناظرة وما أقامه الكليم على فرعون اللئيم من الحجة العقلية المعنوية
ثم الحسية وذلك أن فرعون قبحه الله أظهر جحد الصانع تبارك وتعالى وزعم أنه الإله
فحشر فنادى فقال أنا ربكم الأعلى وقال يا أيها الملأ ما علمت لكم من إله غيري وهو في هذه
المقالة معاند يعلم أنه عبد مربوب وأن الله هو الخالق البارئ المصور الإله الحق
كما قال تعالى وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلما وعلوا فانظر كيف كان عاقبة
المفسدين ولهذا قال لموسى على سبيل الإنكار لرسالته والإظهار أنه ما ثم رب أرسله
وما رب العالمين لأنهما قالا له إنا رسول رب العالمين فكأنه يقول لهما ومن رب العالمين
الذي تزعمان أنه أرسلكما وابتعثكما فأجابه موسى قائلا رب السموات والأرض وما بينهما
إن كنتم موقنين يعني رب العالمين خالق هذه السموات والأرض المشاهدة وما بينهما
من المخلوقات المتعددة من السحاب والرياح والمطر والنبات والحيوانات التي يعلم
كل موقن أنها لم تحدث بأنفسها ولا بد لها من موجد ومحدث وخالق وهو الله الذي لا إله
إلا هو رب العالمين قال أي فرعون لمن حوله من أمرائه ومرازبته ووزرائه على سبيل
التهكم والتنقص لما قرره موسى عليه السلام ألا تستمعون يعني كلامه هذا قال موسى
مخاطبا له ولهم ربكم ورب آبائكم الأولين أي هو الذي خلقكم والذين من قبلكم من الآباء
والأجداد والقرون السالفة في الآباد فإن كل أحد يعلم أنه لم يخلق نفسه ولا أبوه ولا
أمه ولم يحدث من غير محدث وإنما أوجده وخلقه الله رب العالمين وهذان المقامان
هما المذكوران في قوله تعالى سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه
الحق ومع هذا كله فلم يستفق فرعون من رقدته ولا نزع عن ضلالته بل استمر على طغيانه
وعناده وكفره قال إن رسولكم الذي أرسل إليكم لمجنون قال رب المشرق والمغرب وما
بينهما إن كنتم تعقلون أي هو المسخر لهذه الكواكب النيرة المسيرة للأفلاك الدائرة
خالق الظلام والضياء ورب الأرض والسماء رب الأولين والآخرين خالق الشمس والقمر

والكواكب السايرة والثوابت الحايرة خالق الليل بظلامه والنهار بضيايه والكل تحت قهره وتسخيره وتسييره سايرون وفي ذلك يسبحون يتعاقبون في ساير الاوقات ويدورون فهو تعالى الخالق المالك المتصرف في خلقه بما يشاء فلما قامت الحجج على فرعون وانقطعت شبهته ولم يبق له قول سوى العناد عدل الى استعمال سلطانه وجاهه وسطوته قال لين اتخذت الها غيري لاجعلنك من المسجونين قال اولو جيتك بشي مبين قال فات به ان كنت من الصادقين فالقى عصاه فاذا هي ثعبان مبين ونزع يده فاذا هي بيضاء للناظرين وهذان هما البرهانان اللذان ايده الله بهما وهما العصا واليد وذلك مقام اظهر فيه الخارق العظيم الذي بهر به العقول والابصار حين القى عصاه فاذا هي ثعبان مبين اي عظيم الشكل بديع في الضخامة والهول والمنظر العظيم الفظيع الباهر حتى قيل ان فرعون لما شاهد ذلك وعاينه اخذه رعب شديد وخوف عظيم بحيث انه حصل له اسهال عظيم اكثر من اربعين مرة في يوم وكان لا يبرز في كل اربعين يوما الا مرة فانعكس عليه الحال وهكذا لما ادخل موسى عليه السلام يده في جيبه واستخرجها اخرجها وهي كفلقة القمر تتلالا نورا يبهر به الابصار فاذا اعادها الى جيبه واستخرجها رجعت الى صفتها الاولى ومع هذا كله لم ينتفع فرعون لعنه الله بشي من ذلك بل استمر على ما هو عليه واظهر ان هذا كله سحر واراد معارضته بالسحرة فارسل يجمعهم من ساير مملكته ومن في رعيته وتحت قهره ودولته كما سياتي بسطه وبيانه في موضعه من اظهار الله الحق المبين والحجة الباهرة القاطعة على فرعون وملايه واهل دولته وملته ولله الحمد والمنة وقال تعالى في سورة طه فلبثت سنين في اهل مدين ثم جيت على قدر يا موسى واصطنعتك لنفسي اذهب انت واخوك باياتي ولا تنيا في ذكري اذهبا الى فرعون انه طغى فقولا له قولا لينا لعله يتذكر او يخشى قالا ربنا اننا نخاف ان يفرط علينا او ان يطغى قال لا تخافا انني معكما اسمع وارى يقول تعالى مخاطبا لموسى فيما كلمه به ليلة اوحى اليه وانعم عليه بالنبوة وكلمه منه اليه قد كنت مشاهدا لك وانت في دار فرعون وانت تحت كنفي وحفظي ولطفي ثم اخرجتك من ارض مصر الى ارض مدين بمشيتي وقدرتي وتدبيري فلبثت فيها سنين ثم جيت على قدر اي مني لذلك فوافق ذلك تقديري وتسييري واصطنعتك لنفسي اي اصطفيتك لنفسي برسالتي وبكلامي اذهب انت واخوك باياتي ولا تنيا في ذكري يعني ولا تفترا في ذكري اذا دخلتما عليه ووفدتما عليه فان ذلك عون لكما على مخاطبته ومحاورته واهدا النصيحة اليه واقامة الحجة عليه وقد جا في بعض الاحاديث يقول الله تعالى ان عبدي كل عبدي لمن يذكرني وهو مناجز قرنه وقال الله تعالى يا ايها الذين امنوا اذا لقيتم فية فاثبتوا واذكروا الله كثيرا الاية ثم قال تعالى اذهبا الى فرعون انه طغى فقولا له قولا لينا لعله يتذكر او يخشى وهذا من حلمه تعالى وكرمه ورافته ورحمته بخلقه مع علمه بكفر فرعون وعتوه وتجبره وهو اذ ذاك اردى خلقه وقد بعث اليه صفوته من خلقه في ذلك الزمان ومع هذا يقول لهما ويامرهما ان يدعواه اليه بالتي هي احسن برفق ولين ويعاملاه بمعاملة من يرجو ان يتذكر او يخشى كما قال لرسوله ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي احسن

لعله واداه

وقال

وقال تعالى ولا تجادلوا اهل الكتاب الا بالتي هي احسن الا الذين ظلموا منهم الاية قال الحسن البصري فقولا له قولا لينا اعذرا اليه قولا له ان لك ربا ولك معادا وان بين يديك جنة ونارا وقال وهب بن منبه قولا له اني الى العفو والمغفرة اقرب مني الى الغضب والعقوبة وقال يزيد الرقاشي عند هذه الاية يا من يتحبب الى من يعاديه فكيف بمن يتولاه ويناديه قالا ربنا اننا نخاف ان يفرط علينا او ان يطغى وذلك ان فرعون كان جبارا عنيدا شيطانا مريدا له سلطان في بلاد مصر طويل عريض وجاه وجنود ومملكة وسطوة فهاباه من حيث البشرية وخافا ان يسطو عليهما في بادي الامر فثبتهما تعالى وهو العلي الاعلى فقال لا تخافا انني معكما اسمع وارى كما قال في الاية الاخرى انا معكم مستمعون فاتياه فقولا انا رسولا ربك فارسل معنا بني اسرايل ولا تعذبهم قد جيناك باية من ربك والسلام على من اتبع الهدى انا قد اوحي الينا ان العذاب على من كذب وتولى يذكر تعالى انه امرهما ان يذهبا الى فرعون فيدعواه الى الله تعالى ان يعبده وحده لا شريك له وان يرسل معهم بني اسرايل ويطلقهم من اسره وقهره ولا يعذبهم قد جيناك باية من ربك وهو البرهان العظيم في العصا واليد والسلام على من اتبع الهدى تقييد مفيد بليغ عظيم ثم تهدداه وتوعداه على التكذيب فقالا انا قد اوحي الينا ان العذاب على من كذب وتولى اي كذب بالحق بقلبه وتولى عن العمل بقالبه وقد ذكر السدي وغيره انه لما قدم من بلاد مدين دخل على امه واخيه هرون وهما يتعشيان من طعام فيه الطفشيل وهو اللفت فاكل معهما ثم قال يا هرون ان الله امرني وامرك ان ندعو فرعون الى عبادته فقم معي فقاما فقصدا باب فرعون فاذا هو مغلق فقال موسى للبوابين والحجبة اعلموه ان رسول الله بالباب فجعلوا يسخرون منه ويستهزيون به وقد زعم بعضهم انه لم يوذن لهما الا بعد حين طويل وقال محمد بن اسحاق اذن لهما بعد سنتين لانه لم يكن احد يتجاسر على الاستيذان لهما والله اعلم ويقال ان موسى تقدم الى الباب فطرقه بعصاه فانزعج فرعون وامر باحضاره فوقفا بين يديه فدعواه الى الله عز وجل كما امرهما وعند اهل الكتاب ان الله قال لموسى عليه السلام ان هرون اللاوي يعني الذي من نسل لاوي بن يعقوب سيخرج ويتلقاك وامره ان ياخذ معه مشايخ بني اسرايل الى عند فرعون وامره ان يظهر ما اتاه من الايات وقال له ساقسي قلبه فلا يرسل الشعب واكثر اياتي واعاجيبي بارض مصر واوحى الله الى هرون ان يخرج الى اخيه يتلقاه بالبرية عند جبل حوريب فلما تلقاه اخبره موسى بما امره به ربه فلما دخلا مصر جمعا شيوخ بني اسرايل وذهبا الى فرعون فلما بلغاه رسالة الله قال من هو الله لا اعرفه ولا ارسل بني اسرايل وقال الله مخبرا عن فرعون قال فمن ربكما يا موسى قال ربنا الذي اعطى كل شي خلقه ثم هدى قال فما بال القرون الاولى قال علمها عند ربي في كتاب لا يضل ربي ولا ينسى الذي جعل لكم الارض مهادا وسلك لكم فيها سبلا وانزل من السما ما فاخرجنا به ازواجا من نبات شتى كلوا وارعوا انعامكم ان في ذلك لايات لاولي النهى منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة اخرى يقول تعالى مخبرا عن فرعون انه انكر اثبات الصانع تعالى قايلا فمن ربكما يا موسى قال ربنا الذي اعطى كل شي خلقه ثم هدى اي هو الذي خلق الخلق وقدر لهم اعمالا وارزاقا

واجلا وكتب ذلك عنده في كتابه اللوح المحفوظ ثم هدى كل مخلوق الى ما اقدره له فطابق
علمه فيهم على الوجه الذي قدره وعلمه لكمال علمه وقدرته وتقديره وهذه الاية كقوله
تعالى سبح اسم ربك الاعلى الذي خلق فسوى والذي قدر فهدى اي قدر قدرا وهدى
الخلايق اليه قال فما بال القرون الاولى يقول فرعون لموسى فاذا كان ربك هو الخالق الهادي
الخلايق لما قدره وهو بهذه المثابة من انه لا يستحق العبادة سواه فلم عبد الاولون
غيره واشركوا به من الكواكب والانداد ما قد علمت فهلا اهتدى الى ما ذكرته القرون
الاولى قال علمها عند ربي في كتاب لا يضل ربي ولا ينسى اي هم وان عبدوا غيره فليس
ذلك بحجة لك ولا يدل على خلاف ما اقول فانهم جهلة مثلك وكل شي فعلوه مستطر
عليهم في الزبر من صغير وكبير وسيجزيهم على ذلك ربي عز وجل ولا يظلم احدا مثقال ذرة
لان جميع افعال العباد مكتوبة عنده في كتاب لا يضل عنه شي ولا ينسى ربي شيا ثم ذكر
له عظمة الرب وقدرته على خلق الاشيا وجعله الارض مهادا والسما سقفا محفوظا
وتسخير السحاب والامطار لرزق العباد ودوابهم وانعامهم كما قال كلوا وارعوا
انعامكم ان في ذلك لايات لاولي النهى اي لذوي العقول الصحيحة المستقيمة والفطر
القويمة غير السقيمة فهو تعالى الخالق الرازق كما قال تعالى يا ايها الناس اعبدوا
ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون الذي جعل لكم الارض فراشا والسما
بناء وانزل من السما ماء فاخرج به من الثمرات رزقا لكم فلا تجعلوا لله اندادا وانتم تعلمون
ولما ذكر احياء الارض بالمطر واهتزازها باخراج نباتها نبه به على المعاد فقال منها
خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة اخرى كما قال تعالى كما بداكم تعودون وقال	اى من الارض
تعالى وهو الذي يبدو الخلق ثم يعيده وهو اهون عليه وله المثل الاعلى في السموات
والارض وهو العزيز الحكيم ثم قال تعالى ولقد اريناه اياتنا كلها فكذب وابى
قال اجيتنا لتخرجنا من ارضنا بسحرك يا موسى فلناتينك بسحر مثله فاجعل بيننا
وبينك موعدا لا نخلفه نحن ولا انت مكانا سوى قال موعدكم يوم الزينة وان يحشر
الناس ضحى يخبر تعالى عن شقاء فرعون وكثرة جهله وقلة عقله في تكذيبه
بايات الله واستكباره عن اتباعها وقوله لموسى ان هذا الذي جيتنا به سحر ونحن
نعارضك بمثله ثم طلب من موسى ان يواعده الى وقت معلوم ومكان معلوم وكان هذا
من اكبر مقاصد موسى عليه السلام ان يظهر ايات الله وحججه وبراهينه جهرة
بحضرة الناس قال موعدكم يوم الزينة وكان يوم عيد من اعيادهم ومجتمع لهم
وان يحشر الناس ضحى اي من اول النهار وقت اشتداد ضياء الشمس فيكون الحق
اظهر واجلى ولم يطلب ان يكون ذلك ليلا في ظلام كما يروج عليهم محالا وباطلا بل طلب
ان يكون نهارا جهرة لانه على بصيرة من ربه ويقين ان الله سيظهر كلمته ودينه
وان رغمت انوف القبط قال الله تعالى فتولى فرعون فجمع كيده ثم اتى قال لهم
موسى ويلكم لا تفتروا على الله كذبا فيسحتكم بعذاب وقد خاب من افترى فتنازعوا
امرهم بينهم واسروا النجوى قالوا ان هذان لساحران يريدان ان يخرجاكم من
ارضكم بسحرهما ويذهبا بطريقتكم المثلى فاجمعوا كيدكم ثم ايتوا صفا وقد افلح اليوم
من استعلى يخبر تعالى عن فرعون انه ذهب فجمع من كان في بلاده من السحرة وكانت بلاد

مصر

مصر في ذلك الزمان مملوءة سحرة فضلاء في فنهم غاية فجمعوا له من كل بلد ومن كل
مكان فاجتمع منهم خلق كثير وجم غفير فقيل كانوا ثمانين الفا قاله محمد بن كعب وقيل
سبعين الفا قاله القسم بن ابي بزه وقال السدي بضعة وثمانين الفا وعن ابي امامة
تسعة عشر الفا وقال محمد بن اسحاق خمسة عشر الفا وقال كعب الاحبار كانوا اثني عشر
الفا وروى ابن ابي حاتم عن ابن عباس كانوا سبعين رجلا وروي عنه ايضا انهم كانوا
اربعين غلاما من بني اسرايل امرهم فرعون ان يذهبوا الى العرفا فيتعلموا السحر ولهذا
قالوا وما اكرهتنا عليه من السحر وفي هذا نظر وحضر فرعون وامراوه واهل دولته واهل
بلده عن بكرة ابيهم وذلك ان فرعون نادى فيهم ان يحضروا هذا الموقف العظيم فخرجوا
وهم يقولون لعلنا نتبع السحرة ان كانوا هم الغالبين وتقدم موسى عليه السلام الى
السحرة فوعظهم وزجرهم عن تعاطي السحر الباطل الذي فيه معارضة لايات الله وحججه
قال ويلكم لا تفتروا على الله كذبا فيسحتكم بعذاب وقد خاب من افترى فتنازعوا امرهم
بينهم قيل معناه انهم اختلفوا فيما بينهم فقايل يقول هذا كلام نبي وليس بساحر وقايل
منهم يقول بل هو ساحر والله اعلم واسروا التناجي وهو قالوا ان هذان لساحران
يريدان ان يخرجاكم من ارضكم بسحرهما يقولون ان هذا واخاه هرون ساحران عليمان
مطيقان متقنان لهذه الصناعة ومرادهم ان يجتمع الناس عليهما ويصولا على الملك
وحاشيته ويستاصلاكم عن اخركم ويستمرا عليكم بهذه الصناعة فاجمعوا كيدكم ثم
ايتوا صفا وقد افلح اليوم من استعلى وانما قالوا الكلام الاول ليتدبروا ويتواصوا
وياتوا بجميع ما عندهم من المكيدة والمكر والخديعة والسحر والبهتان وهيهات كذبت
والله الظنون واخطات الاراء اني يعارض البهتان والسحر والهذيان خوارق العادات
التي اجراها الديان على يدي عبده الكليم ورسوله الكريم المويد بالبرهان الذي
يبهر الابصار وتحار فيه العقول والاذهان وقولهم فاجمعوا كيدكم اي جميع ما عندكم
ثم ايتوا اي جملة واحدة ثم حضوا بعضهم بعضا على التقدم في هذا المقام لان فرعون
كان قد وعدهم ومناهم وما يعدهم الشيطان الا غرورا قالوا يا موسى اما ان تلقي
واما ان نكون اول من القى قال بل القوا فاذا حبالهم وعصيهم يخيل اليه من
سحرهم انها تسعى فاوجس في نفسه خيفة موسى قلنا لا تخف انك انت الاعلى والق
ما في يمينك تلقف ما صنعوا انما صنعوا كيد ساحر ولا يفلح الساحر حيث اتى لما
اصطف السحرة ووقف موسى وهرون عليهما السلام تجاههم قالوا اما ان تلقي
قبلنا واما ان نلقي قبلك قال بل القوا انتم وكانوا قد عمدوا الى حبال وعصي
فاودعوها الزيبق والالات التي تضطرب بسببها تلك الحبال والعصي اضطرابا	وعيني من صح
يخيل الى الراي انها تسعى باختيارها وانما تتحرك بسبب ذلك فعند ذلك سحروا
اعين الناس واسترهبوهم والقوا حبالهم وعصيهم وهم يقولون بعزة فرعون
انا لنحن الغالبون قال الله تعالى فلما القوا سحروا اعين الناس واسترهبوهم
وجاوا بسحر عظيم وقال تعالى فاذا حبالهم وعصيهم يخيل اليه من سحرهم انها تسعى
فاوجس في نفسه خيفة اي خاف على الناس ان يفتتنوا بسحرهم ومحالهم قبل
ان يلقي ما في يده فانه لا يصنع شيا قبل ان يومر فاوحى الله اليه في الساعة الراهنة

لا تخف انك انت الاعلى والق ما في يمينك تلقف ما صنعوا انما صنعوا كيد ساحر ولا يفلح
الساحر حيث اتى فعند ذلك القى موسى عصاه وقال ما جئتم به السحر ان الله سيبطله
ان الله لا يصلح عمل المفسدين ويحق الله الحق بكلماته ولو كره المجرمون وقال تعالى
فالقى عصاه فاذا هي تلقف ما يافكون فوقع الحق وبطل ما كانوا يعملون فالقي السحرة
ساجدين قالوا امنا برب العالمين رب موسى وهارون وذلك ان موسى عليه السلام
لما القاها صارت حية عظيمة ذات قوائم فيما ذكره غير واحد من علماء السلف وعنق
عظيم وشكل هائل مزعج بحيث ان الناس انحازوا منها وهربوا سراعا وتاخروا
عن مكانها واقبلت هي على ما القوه من الحبال والعصي فجعلت تلقفه واحدا واحدا
في اسرع ما يكون من الحركة والناس ينظرون اليها ويتعجبون منها واما السحرة
فانهم راوا ما هالهم وحيرهم في امرهم واطلعوا على امر لم يكن في خلدهم ولا بالهم ولا
يدخل تحت صناعتهم واشغالهم فعند ذلك وهنالك تحققوا بما عندهم من العلم
ان هذا ليس بسحر ولا شعبذة ولا محال ولا خيال ولا زور ولا بهتان ولا ضلال بل حق
لا يقدر عليه الا الحق الذي ابتعث هذا المؤيد به بالحق وكشف الله عن قلوبهم غشاوة
الغفلة وانارها بما خلق فيها من الهدى وازاح عنها القسوة وانابوا الى ربهم
وخروا له ساجدين وقالوا جهرة للحاضرين ولم يخشوا عقوبة ولا بلوى امنا برب
هارون وموسى كما قال تعالى فالقي السحرة سجدا قالوا امنا برب هارون وموسى
قال امنتم له قبل ان اذن لكم انه لكبيركم الذي علمكم السحر فلاقطعن ايديكم وارجلكم
من خلاف ولاصلبنكم في جذوع النخل ولتعلمن اينا اشد عذابا وابقى قالوا لن نؤثرك
على ما جاءنا من البينات والذي فطرنا فاقض ما انت قاض انما تقضي هذه الحياة
الدنيا انا امنا بربنا ليغفر لنا خطايانا وما اكرهتنا عليه من السحر والله
خير وابقى انه من يات ربه مجرما فان له جهنم لا يموت فيها ولا يحيى ومن ياته مؤمنا قد عمل
الصالحات فاولئك لهم الدرجات العلى جنات عدن تجري من تحتها الانهار خالدين
فيها وذلك جزاء من تزكى قال سعيد بن جبير وعكرمة والقسم بن ابي بزة والاوزاعي
وغيرهم لما سجد السحرة راوا منازلهم وقصورهم في الجنة تهيا لهم وتزخرف
لقدومهم ولهذا لم يلتفتوا الى تهويل فرعون وتهديده ووعيده وذلك لان فرعون
لما راى هؤلاء السحرة قد اسلموا واشهروا ذكر موسى وهارون في الناس على هذه
الصفة الجميلة افزعه ذلك وراى امرا بهره واعمى بصيرته وبصره وكان فيه كيد
ومكر وخداع وصنعة بليغة في الصد عن سبيل الله فقال مخاطبا للسحرة بحضرة
الناس امنتم له قبل ان اذن لكم اي هلا شاورتموني فيما صنعتم من الامر الفظيع بحضرة
رعيتي ثم تهدد وتوعد وابرق وارعد وكذب فابعد قائلا انه لكبيركم الذي علمكم
السحر وقال في الاية الاخرى ان هذا لمكر مكرتموه في المدينة لتخرجوا منها اهلها
فسوف تعلمون وهذا الذي قاله من البهتان الذي يعلم كل عاقل ما فيه من الكفر والكذب
والهذيان بل لا يروج مثله على الصبيان فان الناس كلهم من اهل دولته وغيرهم يعلمون
ان موسى لم يره هو لا يوما من الدهر فكيف يكون كبيرهم الذي علمهم السحر ثم هو لم يجمعهم
ولا علم باجتماعهم حتى كان فرعون هو الذي استدعاهم واجتباهم من كل فج عميق وواد سحيق

ومن حواضر

ومن حواضر بلاد مصر والاطراف ومن المدن والارياف قال الله تعالى في سورة الاعراف
ثم بعثنا من بعدهم موسى باياتنا الى فرعون وملائه فظلموا بها فانظر كيف كان عاقبة
المفسدين وقال موسى يا فرعون اني رسول من رب العالمين حقيق على ان لا اقول على
الله الا الحق قد جئتكم ببينة من ربكم فارسل معي بني اسرائيل قال ان كنت جئت باية
فات بها ان كنت من الصادقين فالقى عصاه فاذا هي ثعبان مبين ونزع يده فاذا هي
بيضاء للناظرين قال الملا من قوم فرعون ان هذا لساحر عليم يريد ان يخرجكم من ارضكم
فماذا تامرون قالوا ارجه واخاه وارسل في المدائن حاشرين ياتوك بكل ساحر
عليم وجاء السحرة فرعون قالوا ان لنا لاجرا ان كنا نحن الغالبين قالوا يا موسى اما ان
تلقي واما ان نكون نحن الملقين قال القوا فلما القوا سحروا اعين الناس واسترهبوهم
وجاءوا بسحر عظيم واوحينا الى موسى ان الق عصاك فاذا هي تلقف ما يافكون فوقع الحق
وبطل ما كانوا يعملون فغلبوا هنالك وانقلبوا صاغرين والقي السحرة ساجدين قالوا
امنا برب العالمين رب موسى وهارون قال فرعون امنتم به قبل ان اذن لكم انه لكبيركم
الذي علمكم السحر ان هذا لمكر مكرتموه في المدينة لتخرجوا منها اهلها فسوف تعلمون
لاقطعن ايديكم وارجلكم من خلاف ثم لاصلبنكم اجمعين قالوا انا الى ربنا منقلبون وما
تنقم منا الا ان امنا بايات ربنا لما جاءتنا ربنا افرغ علينا صبرا وتوفنا مسلمين وقال
تعالى في سورة يونس ثم بعثنا من بعدهم موسى وهارون الى فرعون وملائه باياتنا فاستكبروا وكانوا
قوما مجرمين فلما جاءهم الحق من عندنا قالوا ان هذا لسحر مبين قال موسى
اتقولون للحق لما جاءكم اسحر هذا ولا يفلح الساحرون قالوا اجئتنا لتلفتنا عما
وجدنا عليه اباءنا وتكون لكما الكبرياء في الارض وما نحن لكما بمؤمنين وقال فرعون
ائتوني بكل ساحر عليم فلما جاء السحرة قال لهم موسى القوا ما انتم ملقون فلما القوا قال
موسى ما جئتم به السحر ان الله سيبطله ان الله لا يصلح عمل المفسدين ويحق الله الحق
بكلماته ولو كره المجرمون وقال تعالى في سورة الشعراء قال لئن اتخذت الها غيري لاجعلنك
من المسجونين قال اولو جئتك بشيء مبين قال فات به ان كنت من الصادقين فالقى عصاه
فاذا هي ثعبان مبين ونزع يده فاذا هي بيضاء للناظرين قال للملا حوله ان هذا لساحر
عليم يريد ان يخرجكم من ارضكم بسحره فماذا تامرون قالوا ارجه واخاه وابعث في المدائن
حاشرين ياتوك بكل سحار عليم فجمع السحرة لميقات يوم معلوم وقيل للناس هل
انتم مجتمعون لعلنا نتبع السحرة ان كانوا هم الغالبين فلما جاء السحرة قالوا لفرعون ائن
لنا لاجرا ان كنا نحن الغالبين قال نعم وانكم اذا لمن المقربين قال لهم موسى القوا ما انتم
ملقون فالقوا حبالهم وعصيهم وقالوا بعزة فرعون انا لنحن الغالبون فالقى موسى
عصاه فاذا هي تلقف ما يافكون فالقي السحرة ساجدين قالوا امنا برب العالمين رب
موسى وهارون قال امنتم له قبل ان اذن لكم انه لكبيركم الذي علمكم السحر فلسوف تعلمون
لاقطعن ايديكم وارجلكم من خلاف ولاصلبنكم اجمعين قالوا لا ضير انا الى ربنا منقلبون
انا نطمع ان يغفر لنا ربنا خطايانا ان كنا اول المؤمنين والمقصود ان فرعون كذب
وافترى وكفر غاية الكفر في قوله انه لكبيركم الذي علمكم السحر واتى ببهتان يعلمه العالمون
بل العالمون في قوله ان هذا لمكر مكرتموه في المدينة لتخرجوا منها اهلها فسوف تعلمون

وقوله لاقطعن ايديكم وارجلكم من خلاف يعني يقطع اليد اليمنى والرجل اليسرى او عكسه
ولاصلبنكم اجمعين اي ليجعلهم مثلة ونكالا لئلا يقتدي بهم احد من رعيته واهل
ملته ولهذا قال ولاصلبنكم في جذوع النخل اي على جذوع النخل لانها اعلى واشهر ولتعلمن
اينا اشد عذابا وابقى يعني في الدنيا قالوا لن نؤثرك على ما جاءنا من البينات اي لن
نطيعك ونترك ما وقر في قلوبنا من البينات والدلائل القاطعات والذي فطرنا قيل
معطوف وقيل قسم فاقض ما انت قاض اي فافعل ما قدرت عليه انما تقضي
هذه الحيوة الدنيا اي انما لك تسلط علينا في هذه الحيوة الدنيا فاذا انتقلنا منها الى
الدار الاخرة صرنا الى حكم الذي اسلمنا له واتبعنا رسله انا امنا بربنا ليغفر لنا خطايانا
وما اكرهتنا عليه من السحر والله خير وابقى اي وثوابه خير مما وعدتنا به من التقريب والترغيب
وابقى اي وادوم من هذه الدار الفانية وفي الاية الاخرى قالوا لا ضير انا الى ربنا منقلبون انا
نطمع ان يغفر لنا ربنا خطايانا اي ما اجترمناه من المآثم والمحارم ان كنا اول المؤمنين
اي من القبط بموسى وهرون عليهما السلام وقالوا له ايضا وما تنقم منا الا ان امنا بايات
ربنا لما جاءتنا اي ليس لنا عندك ذنب الا في ايماننا بما جاءنا به رسولنا واتباعنا
ايات ربنا لما جاءتنا ربنا افرغ علينا صبرا اي ثبتنا على ما ابتلينا به من عقوبة
هذا الجبار العنيد والسلطان الشديد بل الشيطان المريد وتوفنا مسلمين وقالوا
له ايضا يعظونه ويخوفونه باس ربه العظيم انه من يات ربه مجرما فان له جهنم لا يموت فيها ولا يحيى
يقولون له فاياك ان تكون منهم فكان منهم ومن ياته مؤمنا قد عمل الصالحات فاولئك
لهم الدرجات العلى اي المنازل العالية جنات عدن تجري من تحتها الانهار خالدين
فيها وذلك جزاء من تزكى فاحرص ان تكون منهم فحالت بينه وبين ذلك الاقدار
التي لا تغالب ولا تمانع وحكم العلي العظيم بان فرعون لعنه الله من اهل الجحيم ليباشر
العذاب الاليم يصب من فوق راسه الحميم ويقال له على وجه التقريع والتوبيخ
وهو المقبوح المنبوح الذميم اللئيم ذق انك انت العزيز الكريم والظاهر من هذه
السياقات ان فرعون لعنه الله صلبهم وعذبهم رضي الله عنهم قال عبد الله بن عباس
وعبيد بن عمير كانوا اول النهار سحرة فصاروا من اخره شهداء بررة ويؤيد هذا
قولهم ربنا افرغ علينا صبرا وتوفنا مسلمين **فصل** ولما وقع ما وقع
من الامر العظيم وهو الغلب الذي غلبته القبط في ذلك الموقف الهائل واسلم السحرة
الذين استنصروا بهم لم يزدهم ذلك الا كفرا وعنادا وبعدا عن الحق قال الله تعالى
بعد قصص ما تقدم في سورة الاعراف وقال الملا من قوم فرعون اتذر موسى وقومه
ليفسدوا في الارض ويذرك والهتك قال سنقتل ابناءهم ونستحيي نساءهم وانا
فوقهم قاهرون قال موسى لقومه استعينوا بالله واصبروا ان الارض لله يورثها من
يشاء من عباده والعاقبة للمتقين قالوا اوذينا من قبل ان تاتينا ومن بعد ما جئتنا
قال عسى ربكم ان يهلك عدوكم ويستخلفكم في الارض فينظر كيف تعملون يخبر
تعالى عن الملا من قوم فرعون وهم الامراء والكبراء انهم حرضوا ملكهم فرعون على اذية نبي
الله موسى عليه السلام ومقابلته بدل التصديق بما جاء به بالكفر والرد والاذى فقالوا
اتذر موسى وقومه ليفسدوا في الارض ويذرك والهتك يعنون قبحهم الله ان دعوته

الى عبادة الله وحده لا شريك له والنهي عن عبادة ما سواه فسادا بالنسبة الى اعتقاد
القبط لعنهم الله وقرا بعضهم ويذرك والاهتك اي وعبادتك ويحتمل شيئين احدهما ويذر
دينك وتقويه القراءة الاخرى الثاني ويذر ان يعبدك فانه كان يزعم انه اله لعنه
الله قال سنقتل ابناءهم ونستحيي نساءهم اي لئلا يكثر مقاتلتهم وانا فوقهم قاهرون
اي غالبون وقال موسى لقومه استعينوا بالله واصبروا ان الارض لله يورثها من يشاء
من عباده والعاقبة للمتقين اي فكونوا انتم من المتقين ليكون لكم العاقبة كما قال
في الاية الاخرى وقال موسى يا قوم ان كنتم امنتم بالله فعليه توكلوا ان كنتم مؤمنين فقالوا
على الله توكلنا ربنا لا تجعلنا فتنة للقوم الظالمين ونجنا برحمتك من القوم الكافرين
وقولهم اوذينا من قبل ان تاتينا ومن بعد ما جئتنا اي قد كانت ابناؤنا تقتل قبل مجيئك
وبعد مجيئك الينا قال عسى ربكم ان يهلك عدوكم ويستخلفكم في الارض فينظر كيف تعملون
وقال الله تعالى في سورة حم المؤمن ولقد ارسلنا موسى باياتنا وسلطان مبين الى فرعون
وهامان وقارون فقالوا ساحر كذاب وكان فرعون الملك وهامان الوزير وكان قارون
اسرائيليا من قوم موسى الا انه كان على دين فرعون وملائه وكان ذا مال جزيل جدا كما ستاتي
قصته فيما بعد ان شاء الله تعالى فلما جاءهم بالحق من عندنا قالوا اقتلوا ابناء الذين امنوا
معه واستحيوا نساءهم وما كيد الكافرين الا في ضلال وهذا القتل للغلمان بعد بعثة
موسى انما كان على وجه الاهانة والاذلال والتقليل لبني اسرائيل لئلا يكون لهم شوكة يمتنعون
بها او يصولون على القبط بسببها وكانت القبط منهم يحذرون فلم ينفعهم ذلك ولم يرد
عنهم قدر الذي يقول للشيء كن فيكون وقال فرعون ذروني اقتل موسى وليدع ربه اني اخاف
ان يبدل دينكم وان يظهر في الارض الفساد ولهذا يقول الناس على سبيل التهكم صار فرعون
مذكرا وهذا منه فان فرعون في زعمه يخاف على الناس ان يضلهم موسى عليه السلام وقال
موسى اني عذت بربي وربكم من كل متكبر لا يؤمن بيوم الحساب اي عذت بالله ولجات
اليه واستجرت بجنابه من ان يسطو فرعون وغيره علي بسوء وقوله من كل متكبر اي جبار
عنيد لا يرعوي ولا ينتهي ولا يخاف عذاب الله وعقابه لانه لا يعتقد معادا ولا جزاء
ولهذا قال من كل متكبر لا يؤمن بيوم الحساب وقال رجل مؤمن من ال فرعون يكتم ايمانه
اتقتلون رجلا ان يقول ربي الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم وان يك كاذبا فعليه كذبه
وان يك صادقا يصبكم بعض الذي يعدكم ان الله لا يهدي من هو مسرف كذاب
يا قوم لكم الملك اليوم ظاهرين في الارض فمن ينصرنا من باس الله ان جاءنا قال فرعون
ما اريكم الا ما ارى وما اهديكم الا سبيل الرشاد هذا الرجل هو ابن عم فرعون وكان يكتم
ايمانه من قومه خوفا منهم على نفسه وزعم بعض الناس انه كان اسرائيليا وهو بعيد ومخالف
لسياق الكلام لفظا ومعنى والله اعلم قال ابن جريج قال ابن عباس لم يؤمن من القبط بموسى
الا هذا والذي جاء من اقصى المدينة وامراة فرعون رواه ابن ابي حاتم قال الدارقطني
لا يعرف من اسمه شمعان بالشين المعجمة الا مؤمن ال فرعون حكاه السهيلي وفي تاريخ
الطبري ان اسمه خير والله اعلم والمقصود ان هذا الرجل كان يكتم ايمانه فلما هم
فرعون لعنه الله بقتل موسى عليه السلام وعزم على ذلك وشاور ملاه فيه خاف هذا المؤمن
على موسى فتلطف في رد فرعون بكلام جمع فيه الترغيب والترهيب فقال على وجه

المشورة والرأي وقد ثبت في الحديث عن رسول الله أن أفضل الجهاد كلمة عدل عند سلطان
جائر وهذا من أعلى مراتب هذا المقام فإن فرعون لا أشد جورا منه وهذا الكلام لا أعدل
منه فإن فيه عصمة نبي ويحتمل أنه كاشفهم بإظهار إيمانه وصرح لهم بما كان يكتمه والأول
أظهر والله أعلم قال أتقتلون رجلا أن يقول ربي الله أي من أجل أنه قال ربي الله قبيل
منه لا يقابل بهذا بل بالإكرام والاحترام أو بالموادعة وترك الانتقام يعني لأنه قد
جاءكم بالبينات من ربكم أي بالخوارق التي دلت على صدقه فيما جاء به عمن أرسله فهذا
إن وادعتموه كنتم في سلامة لأنه إن يك كاذبا فعليه كذبه ولا يضركم ذلك وإن يك
صادقا وقد تعرضتم له يصبكم بعض الذي يعدكم أي وأنتم تشفقون أن ينالكم أيسر
جزء مما يتوعدكم به فكيف بكم إن حل جميعه عليكم وهذا الكلام في هذا المقام من أعلى مقامات
التلطف والاحتراز والعقل التام وقوله يا قوم لكم الملك اليوم ظاهرين في الأرض
يحذرهم أن يسلبوا هذا الملك العزيز فإنه ما تعرضت الدول للدين إلا سلبوا ملكهم
وذلوا بعد عزهم وهكذا وقع لآل فرعون ما زالوا في شك وريب ومخالفة ومعاندة
لما جاءهم موسى به حتى أخرجهم الله مما كانوا فيه من الملك والأملاك والدور والقصور
والنعمة والحبور ثم حولوا إلى البحر مهانين ونقلت أرواحهم بعد العلو والرفعة
إلى أسفل السافلين ولهذا قال الرجل المؤمن الصادق البار الراشد التابع للحق
الناصح لقومه الكامل العقل يا قوم لكم الملك اليوم ظاهرين في الأرض أي
عالين على الناس حاكمين عليهم فمن ينصرنا من بأس الله إن جاءنا أي لو كنتم
أضعاف ما أنتم فيه من العدد والعدة والقوة والشدة لما نفعنا ذلك
ولا رد عنا بأس مالك الممالك قال فرعون أي في جواب هذا كله ما أريكم إلا ما أرى
أي ما أقول لكم إلا ما عندي وما أهديكم إلا سبيل الرشاد وكذب في كل من هذين القولين
وهاتين المقدمتين فإنه قد كان يتحقق ويعلم في باطنه وفي نفسه أن هذا الذي
جاء به موسى من عند الله لا محالة وإنما كان يظهر خلافه بغيا وعدوانا وعتوا وكفرانا
قال الله تعالى إخبارا عن موسى أنه قال لقد علمت ما أنزل هؤلاء إلا رب السموات
والأرض بصائر وإني لأظنك يا فرعون مثبورا فأراد أن يستفزهم من الأرض فأغرقناه
ومن معه جميعا وقلنا لبني إسرائيل اسكنوا الأرض فإذا جاء وعد الآخرة جئنا بكم لفيفا
وقال تعالى فلما جاءتهم آياتنا مبصرة قالوا هذا سحر مبين وجحدوا بها واستيقنتها
أنفسهم ظلما وعلوا فانظر كيف كان عاقبة المفسدين وأما قوله وما أهديكم إلا سبيل
الرشاد فقد كذب أيضا لأنه لم يكن على رشاد من الأمر بل كان على سفه وضلال وخبل وخيال
فكان أولا ممن يعبد الأصنام والأمثال ثم دعا قومه الجهلة الضلال إلى أن اتبعوه وطاعوه
وصدقوه فيما زعم من الكفر المحال في دعواه أنه رب تعالى الله ذو الجلال قال الله تعالى
ونادى فرعون في قومه قال يا قوم أليس لي ملك مصر وهذه الأنهار تجري من تحتي أفلا تبصرون
أم أنا خير من هذا الذي هو مهين ولا يكاد يبين فلولا ألقي عليه أساورة من ذهب أو جاء معه
الملائكة مقترنين فاستخف قومه فأطاعوه إنهم كانوا قوما فاسقين فلما آسفونا
انتقمنا منهم فأغرقناهم أجمعين فجعلناهم سلفا ومثلا للآخرين وقال تعالى فأراه الآية
الكبرى فكذب وعصى ثم أدبر يسعى فحشر فنادى فقال أنا ربكم الأعلى فأخذه الله نكال

الآخرة

الآخرة والأولى إن في ذلك لعبرة لمن يخشى وقال تعالى ولقد أرسلنا موسى بآياتنا وسلطان
مبين إلى فرعون وملئه فاتبعوا أمر فرعون وما أمر فرعون برشيد يقدم قومه يوم القيامة
فأوردهم النار وبئس الورد المورود وأتبعوا في هذه لعنة ويوم القيامة بئس الرفد المرفود
والمقصود بيان كذبه في قوله ما أريكم إلا ما أرى وفي قوله وما أهديكم إلا سبيل الرشاد وقال
الذي آمن يا قوم إني أخاف عليكم مثل يوم الأحزاب مثل دأب قوم نوح وعاد وثمود والذين من
بعدهم وما الله يريد ظلما للعباد ويا قوم إني أخاف عليكم يوم التناد يوم تولون مدبرين
ما لكم من الله من عاصم ومن يضلل الله فما له من هاد ولقد جاءكم يوسف من قبل بالبينات
فما زلتم في شك مما جاءكم به حتى إذا هلك قلتم لن يبعث الله من بعده رسولا كذلك يضل الله
من هو مسرف مرتاب الذين يجادلون في آيات الله بغير سلطان أتاهم كبر مقتا عند الله وعند
الذين آمنوا كذلك يطبع الله على كل قلب متكبر جبار يحذرهم ولي الله إن كذبوا برسول الله
موسى أن يحل بهم ما حل بالأمم من قبلهم من النقمات والمثلات مما تواتر عندهم وعند غيرهم ما حل
بقوم نوح وعاد وثمود ومن بعدهم إلى زمانهم ذلك مما أقام الله به الحجج على أهل الأرض قاطبة
في صدق ما جاءت به الأنبياء بما أنزل من النقمة بمكذبيهم من الأعداء وما أنجى الله من اتبعهم من
الأولياء وخوفهم من يوم القيامة وهو يوم التناد أي حين ينادي الناس بعضهم بعضا
حين يولون إن قدروا على ذلك ولا إلى ذلك سبيل يقول الإنسان يومئذ أين المفر كلا
لا وزر إلى ربك يومئذ المستقر وقال تعالى يا معشر الجن والإنس إن استطعتم أن تنفذوا
من أقطار السموات والأرض فانفذوا لا تنفذون إلا بسلطان فبأي آلاء ربكما تكذبان
يرسل عليكما شواظ من نار ونحاس فلا تنتصران فبأي آلاء ربكما تكذبان وقرأ بعضهم يوم
التناد بتشديد الدال أي يوم الفرار ويحتمل أن يكون يوم القيامة ويحتمل أن يكون يوم
يحل بهم البأس فيريدون الفرار ولات حين مناص فلما أحسوا بأسنا إذا هم منها يركضون
لا تركضوا وارجعوا إلى ما أترفتم فيه ومساكنكم لعلكم تسألون ثم أخبرهم عن نبوة يوسف
في بلاد مصر وما كان منه من الإحسان إلى الخلق في دنياهم وأخراهم وهذا من سلالته وذريته
ويدعو الناس إلى توحيد الله وعبادته وأن لا يشركوا به أحدا من بريته وأخبر عن أهل الديار
المصرية في ذلك الزمان أن من سجيتهم التكذيب بالحق ومخالفة الرسل ولهذا قال
فما زلتم في شك مما جاءكم به حتى إذا هلك قلتم لن يبعث الله من بعده رسولا أي وكذبتم
في هذا ولهذا قال كذلك يضل الله من هو مسرف مرتاب الذين يجادلون في آيات
الله بغير سلطان أتاهم أي يردون حجج الله وبراهينه ودلائل توحيده بلا حجة ولا دليل
عندهم من الله فإن هذا أمر يمقته الله غاية المقت أي يبغض الله من تلبس به من
الناس ومن اتصف به من الخلق كذلك يطبع الله على كل قلب متكبر جبار قرئ بالإضافة
وبالنعت وكلاهما متلازم أي هكذا إذا خالفت القلوب الحق ولا تخالفه إلا بلا برهان
فإن الله يطبع عليها أي يختم عليها بما فيها وقال فرعون يا هامان ابن لي صرحا لعلي
أبلغ الأسباب أسباب السموات فأطلع إلى إله موسى وإني لأظنه كاذبا وكذلك زين لفرعون
سوء عمله وصد عن السبيل وما كيد فرعون إلا في تباب كذب فرعون موسى عليه السلام في دعواه
أن الله أرسله وزعم فرعون لقومه ما كذبه وافتراه في قوله ما علمت لكم من إله غيري
فأوقد لي يا هامان على الطين فاجعل لي صرحا لعلي أطلع إلى إله موسى وإني لأظنه من الكاذبين

وقال هامان لعلي ابلغ الاسباب اسباب السموات اي طرقها وسبلها فاطلع الى اله موسى واني
لاظنه كاذبا ويحتمل هذا معنيين احدهما واني لاظنه كاذبا في قوله ان للعالم ربا غيري
والثاني في دعواه ان الله ارسله والاول اشبه بظاهر حال فرعون فانه كان ينكر ظاهرا
اثبات الصانع والثاني اقرب الى اللفظ حيث قال فاطلع الى اله موسى اي فاسأله
هل ارسله واني لاظنه كاذبا اي في دعواه ذلك وانما كان مقصود فرعون ان يصد الناس
عن تصديق موسى عليه السلام وان يحثهم على تكذيبه قال الله تعالى وكذلك زين لفرعون
سوء عمله وصد عن السبيل وقرئ وصد عن السبيل وما كيد فرعون الا في تباب قال
ابن عباس ومجاهد يقول الا في خسار اي باطل لا يحصل له شيء من مقصوده الذي رامه فانه
لا سبيل للبشر ان يتوصلوا بقواهم الى نيل السماء ابدا اعني السماء الدنيا فكيف بما بعدها
من السموات العلى وما فوق ذلك من الارتفاع الذي لا يعلمه الا الله عز وجل وذكر غير واحد
من المفسرين ان هذا الصرح وهو القصر الذي بناه وزيره هامان له لم ير بناء اعلى منه
وانه كان مبنيا من الاجر المشوي بالنار ولهذا قال فاوقد لي يا هامان على الطين فاجعل
لي صرحا وعند اهل الكتاب ان بني اسرائيل كانوا يسخرون في ضرب اللبن وكان مما حملوا من
النكال ليبني لفرعون بنية انهم لا يساعدون على شيء مما يحتاجون اليه فيه بل كانوا هم الذين
يجمعون ترابه وتبنه وماءه ويطلب منهم في كل يوم قسط معين ان لم يفعلوه والا ضربوا
واهينوا غاية الاهانة واوذوا غاية الاذية ولهذا قالوا لموسى اوذينا من قبل ان تاتينا
ومن بعد ما جئتنا قال عسى ربكم ان يهلك عدوكم ويستخلفكم في الارض فينظر كيف
تعملون فوعدهم بان العاقبة لهم على القبط وكذلك وقع وهذا من دلائل النبوة ولنرجع
الى نصيحة المؤمن وموعظته واحتجاجه قال الله تعالى وقال الذي امن يا قوم اتبعون
اهدكم سبيل الرشاد يا قوم انما هذه الحيوة الدنيا متاع وان الاخرة هي دار القرار من عمل
سيئة فلا يجزى الا مثلها ومن عمل صالحا من ذكر او انثى وهو مؤمن فاولئك يدخلون الجنة
يرزقون فيها بغير حساب يدعوهم رضي الله عنه الى طريق الرشاد الحق وهي متابعة نبي الله
موسى وتصديقه فيما جاء به من ربه ثم زهدهم في الدنيا الدنية المنقضية لا محالة ورغبهم
في طلب الثواب عند الله الذي لا يضيع عمل عامل لديه القدير الذي ملكوت كل شيء
بيده الذي يعطي على القليل كثيرا ومن عدله لا يجزي على السيئة الا مثلها واخبرهم ان
الاخرة هي دار القرار التي من وافاها مؤمنا قد عمل الصالحات فلهم الدرجات العاليات
والغرف الامنات والخيرات الكثيرة الغاليات والارزاق الدائمة التي لا تبيد والخير
الذي كلما لهم منه في مزيد ثم شرع في بيان بطلان ما هم عليه وتخويفهم بما يصيرون
اليه ويا قوم ما لي ادعوكم الى النجاة وتدعونني الى النار تدعونني لاكفر بالله واشرك به
ما ليس لي به علم وانا ادعوكم الى العزيز الغفار لا جرم انما تدعونني اليه ليس له دعوة
في الدنيا ولا في الاخرة وان مردنا الى الله وان المسرفين هم اصحاب النار فستذكرون
ما اقول لكم وافوض امري الى الله ان الله بصير بالعباد فوقاه الله سيئات ما مكروا وحاق
بال فرعون سوء العذاب النار يعرضون عليها غدوا وعشيا ويوم تقوم الساعة ادخلوا
ال فرعون اشد العذاب كان يدعوهم الى عبادة رب السموات والارض الذي يقول للشيء
كن فيكون وهم يدعونه الى عبادة فرعون الجاهل الضال الملعون ولهذا قال لهم على

سبيل

سبيل الانكار ويا قوم ما لي ادعوكم الى النجاة وتدعونني الى النار تدعونني لاكفر بالله
واشرك به ما ليس لي به علم وانا ادعوكم الى العزيز الغفار ثم بين لهم بطلان ما هم عليه
من عبادة ما سوى الله من الانداد والاوثان وانها لا تملك نفعا ولا ضرا فقال لا جرم
انما تدعونني اليه ليس له دعوة في الدنيا ولا في الاخرة وان مردنا الى الله وان المسرفين
هم اصحاب النار اي لا تملك تصرفا ولا حكما في هذه الدار فكيف تملك يوم القرار واما
الله عز وجل فانه الخالق الرازق للابرار والفجار وهو الذي احيى العباد ويميتهم ويبعثهم
فيدخل طائعهم الجنة وعاصيهم الى النار ثم توعدهم ان استمروا على العناد بقوله فستذكرون
ما اقول لكم وافوض امري الى الله ان الله بصير بالعباد قال الله فوقاه الله سيئات
ما مكروا اي بانكاره سلم مما اصابهم من العقوبة على كفرهم بالله ومكرهم في صدهم عن سبيل
الله مما اظهروا للعامة من الخيالات والمحالات التي لبسوا بها على عوامهم وطغامهم ولهذا
قال وحاق اي احاط بال فرعون سوء العذاب النار يعرضون عليها غدوا وعشيا اي
يعرض ارواحهم في برزخهم صباحا ومساء على النار ويوم القيامة ادخلوا ال فرعون اشد
العذاب وقد تكلمنا على دلالة هذه الاية على عذاب القبر في التفسير ولله الحمد والمقصود
ان الله تعالى لم يهلكهم الا بعدما اقام الحجج عليهم وارسال الرسول اليهم وازاح الشبه عنهم واخذ
الحجة عليهم منهم فبالترهيب تارة والترغيب اخرى كما قال تعالى ولقد اخذنا ال فرعون
بالسنين ونقص من الثمرات لعلهم يذكرون فاذا جاءتهم الحسنة قالوا لنا هذه وان
تصبهم سيئة يطيروا بموسى ومن معه الا انما طائرهم عند الله ولكن اكثرهم لا يعلمون وقالوا
مهما تاتنا به من اية لتسحرنا بها فما نحن لك بمؤمنين فارسلنا عليهم الطوفان والجراد
والقمل والضفادع والدم ايات مفصلات فاستكبروا وكانوا قوما مجرمين يخبر
تعالى انه ابتلى ال فرعون وهم قومه من القبط بالسنين وهي اعوام الجدب التي لا يستغل
فيها زرع ولا ينتفع بضرع وقوله ونقص من الثمرات وهي قلة الثمار من الاشجار لعلهم
يذكرون اي فلم ينتفعوا ولم يرعووا بل تمردوا واستمروا على كفرهم وعنادهم فاذا جاءتهم
الحسنة وهي الخصب ونحوه قالوا لنا هذه اي هذا الذي نستحقه وهذا الذي يليق
بنا وان تصبهم سيئة يطيروا بموسى ومن معه اي يقولون هذا بشؤمهم اصابنا هذا ولا يقولون
في الاول انه ببركتهم وحسن مجاورتهم ولكن قلوبهم منكرة مستكبرة نافرة عن الحق
اذا جاء الشر اسندوه اليه وان رأوا خيرا ادعوه لانفسهم قال الله تعالى الا انما
طائرهم عند الله اي يجزيهم على هذا اوفر الجزاء ولكن اكثرهم لا يعلمون وقالوا مهما تاتنا
به من اية لتسحرنا بها فما نحن لك بمؤمنين اي مهما جئتنا به من الايات وهي الخوارق للعادات
فلسنا نؤمن بك ولا نتبعك ولا نطيعك ولو جئتنا بكل اية وهكذا اخبر الله عنهم في قوله
ان الذين حقت عليهم كلمة ربك لا يؤمنون ولو جاءتهم كل اية حتى يروا العذاب الاليم قال
الله تعالى فارسلنا عليهم الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم ايات مفصلات
فاستكبروا وكانوا قوما مجرمين اما الطوفان فعن ابن عباس هو كثرة الامطار المتلفة
للزروع والثمار وبه قال سعيد بن جبير وقتادة والسدي وعن ابن عباس وعطاء هو
كثرة الموت وقال مجاهد الطوفان الماء والطاعون على كل حال وعن ابن عباس امر طاف
بهم وقد روى ابن جرير وابن مردويه من طريق يحيى بن يمان عن المنهال بن خليفة عن

الحجاج عن الحكم بن ميناء عن عائشة عن النبي صلى الله عليه وسلم الطوفان الموت وهو غريب
واما الجراد فمعروف وقد روى ابو داود عن ابي عثمان عن سلمان الفارسي قال سئل رسول
الله عن الجراد فقال اكثر جنود الله لا آكله ولا احرمه وترك النبي صلى الله عليه وسلم اكله
انما هو على وجه التقذر له كما ترك اكل الضب وتنزه عن اكل البصل والثوم والكراث
لما ثبت في الصحيحين عن عبد الله بن ابي اوفى قال غزونا مع رسول الله صلى الله عليه
وسلم سبع غزوات ناكل الجراد وقد تكلمنا على ما ورد فيه من الاحاديث والآثار في التفسير
والمقصود انه استاف خضراءهم فلم يترك لهم زرعا ولا ثمارا ولا سبدا ولا لبدا واما القمل
فعن ابن عباس انه السوس الذي يخرج في الحنطة وعنه انه الجراد الصغار الذي لا اجنحة له
وبه قال مجاهد وعكرمة وقتادة وقال سعيد بن جبير والحسن هو دواب سود صغار
وقال عبد الرحمن بن زيد بن اسلم هي البراغيث وحكى ابن جرير عن اهل العربية انها
الحمنان وهي صغار القردان فوق القمامة فدخل معهم البيوت والفرش فلم يقر لهم قرار
ولم يمكنهم معه الغمض ولا العيش وفسره عطاء بن السائب بهذا القمل المعروف وقراها
الحسن البصري كذلك بالتخفيف واما الضفادع فمعروفة لبستهم حتى كانت تسقط
في اطعماتهم واوانيهم حتى ان احدهم اذا فتح فاه لطعام او شراب سقطت في فيه ضفدعة
من تلك الضفادع واما الدم فكان قد مزج ماءهم كله فلا يستقون من النيل شيئا الا
وجدوه دما عبيطا ولا من نهر ولا بئر ولا شيء الا كان دما في الساعة الراهنة هذا كله ولم ينل
بني اسرائيل من ذلك شيء بالكلية وهذا من تمام المعجزة الباهرة والحجة القاطعة ان هذا
كله يحصل لهم عن فعل موسى عليه السلام فينالهم عن آخرهم ولا يحصل هذا لاحد من بني اسرائيل
وفي هذا ادل دليل قال محمد بن اسحاق فرجع عدو الله فرعون حين آمنت السحرة مغلوبا
مغلولا ثم ابى الا الاقامة على الكفر والتمادي في الشر فتابع الله عليه بالآيات فاخذه
بالسنين فارسل عليه الطوفان ثم الجراد ثم القمل ثم الضفادع ثم الدم آيات مفصلات
فارسل الطوفان وهو الماء ففاض على وجه الارض ثم ركد لا يقدرون على ان يحرثوا ولا يعملوا
شيئا حتى جهدوا جوعا فلما بلغهم ذلك قالوا يا موسى ادع لنا ربك لئن كشفت عنا الرجز
لنؤمنن لك ولنرسلن معك بني اسرائيل فدعا موسى ربه فكشفه عنهم فلم يفوا له بشيء
فارسل الله عليهم الجراد فاكل الشجر فيما بلغني حتى ان كان لياكل مسامير الابواب من الحديد
حتى تقع دورهم ومساكنهم فقالوا مثل ما قالوا فدعا ربه فكشف عنهم فلم يفوا له بشيء مما
قالوا فارسل الله عليهم القمل فذكر لي ان موسى عليه السلام امر ان يمشي الى كثيب حتى يضربه
بعصاه فمشى الى كثيب اهيل عظيم فضربه بها فانثال عليهم قملا حتى غلب على البيوت
والاطعمة ومنعهم النوم والقرار فلما جهدهم قالوا له مثل ما قالوا له فدعا ربه فكشفه عنهم
فلم يفوا له بشيء مما قالوا فارسل الله عليهم الضفادع فملات البيوت والاطعمة
والآنية فلم يكشف احد ثوبا ولا طعاما الا وجد فيه الضفادع قد غلبت عليه فلما
جهدهم ذلك قالوا له مثل ما قالوا فدعا ربه فكشف عنهم فلم يفوا له بشيء مما قالوا
فارسل الله عليهم الدم فصارت مياه آل فرعون دما لا يستقون من بئر ولا نهر ولا
يغترفون من اناء الا عاد دما عبيطا وقال زيد بن اسلم المراد بالدم الرعاف
رواه ابن ابي حاتم قال الله تعالى ولما وقع عليهم الرجز قالوا يا موسى ادع لنا ربك

بما عهد عندك لئن كشفت عنا الرجز لنؤمنن لك ولنرسلن معك بني اسرائيل فلما كشفنا
عنهم الرجز الى اجل هم بالغوه اذا هم ينكثون فانتقمنا منهم فاغرقناهم في اليم بانهم كذبوا
باياتنا وكانوا عنها غافلين يخبر تعالى عن كفرهم وعتوهم واستمرارهم على الضلال والجهل
والاستكبار عن اتباع آيات الله وتصديق رسوله مع ما أيد به من الآيات العظيمة الباهرة
والحجج البليغة القاهرة التي اراهم الله اياها عيانا وجعلها عليهم دليلا وبرهانا وكلما شاهدوا
آية وعاينوها وجهدتهم واضنكتهم حلفوا وعاهدوا موسى لئن كشفت عنهم هذه ليؤمنن به
وليرسلن معه من هو من حزبه فكلما رفعت عنهم تلك الآية عادوا الى شر مما كانوا عليه
واعرضوا عما جاءهم من الحق ولم يلتفتوا اليه فيرسل الله عليهم آية اخرى هي اشد مما كانت قبلها
واقوى فيقولون فيكذبون ويعدون ولا يفون لئن كشفت عنا الرجز لنؤمنن لك ولنرسلن
معك بني اسرائيل فيكشف عنهم ذلك العذاب الوبيل ثم يعودون الى جهلهم العريض الطويل
هذا والعظيم الحليم القدير ينظرهم ولا يعجل عليهم ويؤخرهم ويتقدم بالوعيد اليهم ثم اخذهم
بعد اقامة الحجة عليهم والاعذار اليهم اخذ عزيز مقتدر فجعلهم عبرة ونكالا وسلفا لمن
اشبههم من الكافرين ومثلا لمن اتعظ بهم من عباده المؤمنين كما قال تبارك وتعالى وهو
اصدق القائلين في سورة حم والكتاب المبين ولقد ارسلنا موسى باياتنا الى فرعون وملايه
فقال اني رسول رب العالمين فلما جاءهم باياتنا اذا هم منها يضحكون وما نريهم من آية الا هي
اكبر من اختها واخذناهم بالعذاب لعلهم يرجعون وقالوا يا ايها الساحر ادع لنا ربك بما عهد
عندك اننا لمهتدون فلما كشفنا عنهم العذاب اذا هم ينكثون ونادى فرعون في قومه
قال يا قوم اليس لي ملك مصر وهذه الانهار تجري من تحتي افلا تبصرون ام انا خير من هذا
الذي هو مهين ولا يكاد يبين فلولا القي عليه اسورة من ذهب او جاء معه الملائكة مقترنين
فاستخف قومه فاطاعوه انهم كانوا قوما فاسقين فلما آسفونا انتقمنا منهم فاغرقناهم
اجمعين فجعلناهم سلفا ومثلا للآخرين يذكر تعالى ارسال عبده الكليم الى فرعون الخبير
اللئيم وانه تعالى ايد رسوله بآيات بينات واضحات تستحق ان تقابل بالتصديق والتعظيم
وان يرتدعوا عما هم فيه من الكفر ويرجعوا الى الحق والصراط المستقيم فاذا هم منها يضحكون
وبها يستهزؤون وعن سبيل الله يصدون وعن الحق يصدفون فارسل الله عليهم الآيات
تترى يتبع بعضها بعضا وكل آية اكبر من التي تتلوها لان التوكيد ابلغ مما قبله واخذناهم
بالعذاب لعلهم يرجعون وقالوا يا ايها الساحر ادع لنا ربك بما عهد عندك اننا لمهتدون
لم يكن لفظ الساحر في زمنهم نقصا ولا عيبا لان علماءهم في ذلك الوقت هم السحرة
ولهذا خاطبوه به في حال احتياجهم اليه وضراعتهم لديه قال الله تعالى فلما كشفنا
عنهم العذاب اذا هم ينكثون اخبر تعالى عن تبجح فرعون بملكه وعظمة بلده وحسنها وتخرق
الانهار فيها وهي الخلجانات التي يكسرونها ايام زيادة النيل ثم تبجح بنفسه وحليته
واخذ ينتقص رسول الله موسى عليه السلام ويزدريه بكونه لا يكاد يبين يعني كلامه
بسبب ما كان في لسانه من تلك اللثغة التي هي شرف له وكمال وجمال ولم تكن مانعة
له ان كلمه الله تعالى واوحى اليه وانزل بعد ذلك التوراة عليه وتنقصه فرعون
لعنه الله لكونه لا اساور في يديه ولا زينة عليه وانما ذلك من حلية النساء لا يليق
بشهامة الرجال فكيف بالرسل الذين هم اكمل عقلا واتم معرفة واعلى همة وازهد في الدنيا

واعلم بما اعد الله لاوليائه في الاخرى وقوله او جاء معه الملائكة مقترنين لا يحتاج الامر الى
ذلك ان كان انما المراد ان تعظمه الملائكة فالملائكة يعظمون ويتواضعون لمن هو دون
موسى عليه السلام بكثير كما جاء في الحديث ان الملائكة لتضع اجنحتها لطالب العلم
رضى بما يصنع فكيف يكون تواضعهم وتعظيمهم لموسى الكليم عليه الصلاة والتسليم والتكريم
وان كان انما المراد شهادتهم له بالرسالة فقد ايد من المعجزات بما يدل قطعا لذوي الالباب
ولمن قصد الى الحق والصواب ويعمى عما جاء به من البينات والحجج الواضحات من نظر الى القشور
وترك لب اللباب وطبع على قلبه رب الارباب وختم عليه بما فيه من الشك والارتياب
كما هو حال فرعون القبطي العمي الكذاب قال الله تعالى فاستخف قومه فاطاعوه انهم
اي استخف عقولهم ودرجهم من حال الى حال الى ان صدقوه في دعواه الربوبية لعنه الله
وقبحهم انهم كانوا قوما فاسقين. فلما آسفونا اي اغضبونا انتقمنا منهم بالاغراق
والاهانة وسلب العز والتبدل بالذل وبالعقاب بعد النعمة والهوان بعد الرفاهية
والنار بعد طيب العيش عياذا بالله العظيم وسلطانه القديم من ذلك فجعلناهم سلفا
اي لمن اتبعهم في الصفات ومثلا اي لمن اتعظ بهم وخاف من وبيل مصرعهم ممن بلغه جلية
خبرهم وما كان من امرهم كما قال تعالى فلما جاءهم موسى باياتنا بينات قالوا ما هذا الا سحر مفترى وما
سمعنا بهذا في ابائنا الاولين وقال موسى ربي اعلم بمن جاء بالهدى من عنده ومن تكون
له عاقبة الدار انه لا يفلح الظالمون وقال فرعون يا ايها الملا ما علمت لكم من اله غيري فاوقد
لي يا هامان على الطين فاجعل لي صرحا لعلي اطلع الى اله موسى واني لاظنه من الكاذبين
واستكبر هو وجنوده في الارض بغير الحق وظنوا انهم الينا لا يرجعون فاخذناه وجنوده
فنبذناهم في اليم فانظر كيف كان عاقبة الظالمين وجعلناهم ائمة يدعون الى النار
ويوم القيامة لا ينصرون واتبعناهم في هذه الدنيا لعنة ويوم القيامة هم من المقبوحين
يخبر تعالى انهم لما استكبروا عن الحق وادعى ملكهم الباطل ووافقوه عليه واطاعوه
فيه اشتد غضب الرب القدير العزيز الذي لا يغالب ولا يمانع عليهم وانتقم منهم اشد
الانتقام واغرقه هو وجنوده في صبيحة واحدة فلم يفلت منهم احد ولم يبق منهم ديار
بل كل قد غرق فدخل النار واتبعوا لعنة في هذه الدار بين العالمين ويوم القيامة بئس
الرفد المرفود ويوم القيامة هم من المقبوحين

ذكر هلاك فرعون وجنوده

لما تمادى قبط مصر على كفرهم وعتوهم وعنادهم متابعة لملكهم فرعون ومخالفة لنبي
الله ورسوله وكليمه موسى بن عمران عليه السلام واقام الله على اهل مصر الحجج العظيمة القاهرة
واراهم من خوارق العادات ما بهر الابصار وحير العقول وهم مع ذلك لا يرعوون ولا
ينتهون ولا ينزعون ولا يرجعون ولم يؤمن منهم الا القليل قيل ثلاثة وهم امراة فرعون
ولا علم لاهل الكتاب بخبرها ومؤمن آل فرعون الذي تقدم حكاية موعظته ومشورته
وحجته عليهم والرجل الناصح الذي جاء يسعى من اقصى المدينة فقال يا موسى ان الملا ياتمرون
بك ليقتلوك فاخرج اني لك من الناصحين قاله ابن عباس فيما رواه ابن ابي حاتم عنه
وقيل بل امن به طائفة من القبط من قوم فرعون والسحرة كلهم ومراده غير السحرة
فانهم كانوا من القبط وجميع شعب بني اسرائيل ويدل على هذا قوله تعالى فما امن لموسى الا ذرية

من قومه

من قومه على خوف من فرعون وملائهم ان يفتنهم وان فرعون لعال في الارض وانه لمن المسرفين
فالضمير في قوله الا ذرية من قومه عائد على فرعون لان السياق يدل عليه وقيل على موسى لقربه
والاول اظهر كما هو مقرر في التفسير وايمانهم كان خفية لمخافتهم من فرعون وسطوته وجبروته
وسلطته ومن ملائهم ان يسعوا عليهم اليه فيفتنهم عن دينهم قال الله تعالى مخبرا عن فرعون
وكفى بالله شهيدا وان فرعون لعال في الارض اي جبار عنيد مستعل بغير الحق وانه لمن
المسرفين اي في جميع اموره وشؤونه واحواله ولكنه جرثومة قد حان انجعافها وثمرة
خبيثة قد آن قطافها ومهجة ملعونة قد حتم اتلافها وعند ذلك قال موسى يا قوم
ان كنتم امنتم بالله فعليه توكلوا ان كنتم مسلمين فقالوا على الله توكلنا ربنا لا تجعلنا
فتنة للقوم الظالمين ونجنا برحمتك من القوم الكافرين فامرهم بالتوكل على الله والاستعانة
به والالتجاء اليه فأتمروا بذلك فجعل الله لهم مما كانوا فيه فرجا ومخرجا واوحينا الى موسى
واخيه ان تبوءا لقومكما بمصر بيوتا واجعلوا بيوتكم قبلة واقيموا الصلاة وبشر المؤمنين
اوحى الله تعالى الى موسى واخيه هارون عليهما السلام ان يتخذا لقومهما بيوتا متميزة فيما
بينهم عن بيوت القبط ليكونوا على اهبة من الرحيل اذا امروا به ليعرف بعضهم بيوت
بعض وقوله واجعلوا بيوتكم قبلة قيل مساجد وقيل معناه كثرة الصلاة فيها قاله
مجاهد وابو مالك وابراهيم النخعي والربيع والضحاك وزيد بن اسلم وابنه عبد الرحمن
وغيرهم ومعناه على هذا الاستعانة على ما هم فيه من الضر والشدة والضيق بكثرة الصلاة
كما قال تعالى واستعينوا بالصبر والصلاة وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا حزبه
امر صلى وقيل معناه انهم لم يكونوا يقدرون على اظهار عبادتهم في مجتمعاتهم ومعابدهم فامروا
ان يصلوا في بيوتهم عوضا عما فاتهم من اظهار شعائر الدين الحق في ذلك الزمان الذي اقتضى
حالهم اخفاءه خوفا من فرعون وملائه والمعنى الاول اقوى لقوله وبشر المؤمنين وان كان
لا ينافي الثاني ايضا والله اعلم وقال سعيد بن جبير واجعلوا بيوتكم قبلة اي متقابلة
وقال موسى ربنا انك اتيت فرعون وملاه زينة واموالا في الحيوة الدنيا ربنا ليضلوا عن
سبيلك ربنا اطمس على اموالهم واشدد على قلوبهم فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الاليم
قال قد اجيبت دعوتكما فاستقيما ولا تتبعان سبيل الذين لا يعلمون هذه دعوة
عظيمة دعا بها كليم الله موسى على عدو الله فرعون غضبا لله لتكبره عن اتباع الحق
وصده عن سبيل الله ومعاندته وعتوه وتمرده واستمراره على الباطل ومكابرته الحق
الواضح الجلي الحسي والمعنوي والبرهان القطعي فقال ربنا انك اتيت فرعون وملاه
زينة واموالا في الحيوة الدنيا ربنا ليضلوا عن سبيلك اي وهذا يغتر به من يعظم امر
الدنيا فيحسب الجاهل انهم على شيء لكون هذه الاموال وهذه الزينة من اللباس والمراكب
الحسنة الهنية والدور الانيقة والقصور المبنية والمآكل الشهية والمناظر البهية
والملك العزيز والتمكين والجاه العريض في الدنيا لا الدين ربنا اطمس على اموالهم قال
ابن عباس ومجاهد اي اهلكها وقال ابو العالية والربيع بن انس والضحاك اجعلها
حجارة منقوشة كهيئة ما كانت وقال قتادة بلغنا ان زروعهم صارت حجارة وقال
محمد بن كعب جعل سكرهم حجارة وقال ايضا صارت اموالهم كلها حجارة ذكر ذلك لعمر بن
عبد العزيز فقال عمر بن عبد العزيز لغلام له ائتني بكيس فجاءه بكيس فاذا فيه حمص

ويبيض فيقطع فيتحول حجارة وزاد ابن ابي حاتم وقوله واشدد على قلوبهم فلا يؤمنوا
حتى يروا العذاب الاليم قال ابن عباس اي اطبع عليها وهذه دعوة غضب لله ولدينه
ولبراهينه فاستجاب الله لها وحققها وتقبلها كما استجاب لنوح في قومه حيث قال
رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا انك ان تذرهم يضلوا عبادك ولا يلدوا الا
فاجرا كفارا ولهذا قال تعالى مخاطبا لموسى حين دعا على فرعون وملايه وامّن اخوه هرون
على دعايه فنزل في ذلك منزلة الداعي ايضا قال قد اجيبت دعوتكما فاستقيما ولا تتبعان
سبيل الذين لا يعلمون قال المفسرون وغيرهم من اهل الكتاب استاذن بنو اسرايل فرعون
في الخروج الى عيد لهم فاذن لهم وهو كاره ولكنهم تجهزوا للخروج وتاهبوا له وانما كان في
نفس الامر مكيدة بفرعون وجنوده ليتخلصوا منهم ويخرجوا عنهم وامرهم الله تعالى فيما
ذكره اهل الكتاب ان يستعيروا حليا منهم فاعاروهم شيا كثيرا فخرجوا بليل فساروا مستمرين
ذاهبين من فورهم طالبين بلاد الشام فلما علم بذهابهم فرعون حنق عليهم كل الحنق واشتد
غضبه عليهم وشرع في استحثاث جيشه وجمع جنوده ليلحقهم ويمحقهم قال
الله تعالى واوحينا الى موسى ان اسر بعبادي انكم متبعون فارسل فرعون في المداين حاشرين
ان هولاء لشرذمة قليلون وانهم لنا لغايظون وانا لجميع حاذرون فاخرجناهم من
جنات وعيون وكنوز ومقام كريم كذلك واورثناها بني اسرايل فاتبعوهم مشرقين
فلما تراءى الجمعان قال اصحاب موسى انا لمدركون قال كلا ان معي ربي سيهدين فاوحينا
الى موسى ان اضرب بعصاك البحر فانفلق فكان كل فرق كالطود العظيم وازلفنا
ثم الاخرين وانجينا موسى ومن معه اجمعين ثم اغرقنا الاخرين ان في ذلك لاية وما
كان اكثرهم مومنين وان ربك لهو العزيز الرحيم قال علماء التفسير لما ركب فرعون
في جنوده طالبا بني اسرايل يقفوا اثرهم كان في جيش كثيف عرمرم حتى قيل
انه كان في خيول دهماء مايه الف فحل ادهم وكانت عدة الجنود تزيد على الف الف وستماية
الف والله اعلم وقيل ان بني اسرايل كانوا نحوا من ستماية الف مقاتل غير الذرية وكان
بين خروجهم من مصر صحبة موسى عليه السلام ودخولهم اليها صحبة ابيهم اسرايل
اربعماية سنة وستا وعشرين سنة شمسية والمقصود ان فرعون لحقهم بالجنود وادركهم
عند شروق الشمس وتراءى الجمعان ولم يبق ثم ريب ولا لبس وعاين كل من
الفريقين صاحبه وتحققه وراه ولم يبق الا المقاتلة والمجاولة والمحاماة فعندها
قال اصحاب موسى وهم خايفون انا لمدركون وذلك لانهم اضطروا في طريقهم الى البحر
فليس لهم طريق ولا محيد الا سلوكه وخوضه وهذا ما لا يستطيعه احد ولا يقدر عليه
والجبال عن يسارهم وعن ايمانهم وهي شاهقة منيفة وفرعون قد غالقهم وواجههم
وعاينوه في جيوشه وجنوده وعدده وعدده وهم منه في غاية الخوف والذعر لما قاسوا
في سلطانه من الاهانة والنكر فشكوا الى نبي الله ما هم فيه مما قد شاهدوه وعاينوه فقال
لهم الرسول الصادق المصدوق كلا ان معي ربي سيهدين وكان في الساقة فتقدم الى
المقدمة ونظر الى البحر وهو يتلاطم بامواجه ويتزايد زبد اجاجه وهو يقول ههنا امرت
ومعه اخاه هرون ويوشع بن نون وهو يوميذ من سادات بني اسرايل وعلمايهم وعبادهم
الكبار وقد اوحى الله اليه وجعله نبيا بعد موسى وهرون عليهما السلام كما سنذكره

فيما بعد

110 115

نبيا بعد ان شاء الله ومعهم مومن ال فرعون وهم وقوف وبنو اسرايل بكمالهم عليهم
عكوف ويقال ان مومن ال فرعون جعل يقتحم بفرسه مرارا في البحر هل يمكن سلوكه فلا
يمكن ويقول لموسى عليه السلام يا نبي الله اههنا امرت فيقول نعم فلما تفاقم الامر وضاق
الحال واشتد الخطب واقترب فرعون وجنوده في جدهم وحديدهم وغضبهم
وحنقهم وزاغت الابصار وبلغت القلوب الحناجر فعند ذلك اوحى الله العظيم الحليم
القدير رب العرش الكريم الى موسى الكليم ان يضرب بعصاه البحر فلما ضربه يقال انه
قال له انفلق باذن الله ويقال انه كناه بابي خالد والله اعلم قال الله تعالى فاوحينا
الى موسى ان اضرب بعصاك البحر فانفلق فكان كل فرق كالطود العظيم ويقال انه
انفلق اثني عشرة طريقا لكل سبط طريق يسيرون فيه حتى قيل انه صار ايضا شبابيك
ليرى بعضهم بعضا وفي هذا نظر لان الماء جرم شفاف اذا كان من وراءه ضياء
حكاه وهكذا كان ماء البحر قايما مثل الجبال مكفوفا بالقدرة العظيمة الصادرة
من الذي يقول للشي كن فيكون وامر الله تعالى ريح الدبور فلفحت حال البحر فاذهبته حتى
صار يابسا لا يعلق في سنابك الخيول والدواب قال الله تعالى ولقد اوحينا الى موسى ان
اسر بعبادي فاضرب لهم طريقا في البحر يبسا لا تخاف دركا ولا تخشى فاتبعهم فرعون
بجنوده فغشيهم من اليم ما غشيهم واضل فرعون قومه وما هدى والمقصود انه لما ال
امر البحر الى هذه الحال باذن الرب العظيم الشديد المحال امر موسى عليه السلام ان يجوز
بني اسرايل فانحدروا فيه مسرعين مستبشرين مبادرين وقد شاهدوا من الامر
العظيم ما يحير الناظرين ويهدي قلوب المومنين فلما جاوزوه وجاوزه وخرج اخرهم
منه وانفصلوا عنه كان ذلك اول قدوم جيش فرعون اليه ووفودهم عليه فاراد موسى
عليه السلام ان يضرب البحر بعصاه ليرجع كما كان لئلا يكون لفرعون وجنوده وصول
اليه ولا سبيل عليه فامره القدير ذو الجلال ان يترك البحر على هذه الحال كما قال وهو الصادق
في المقال ولقد فتنا قبلهم قوم فرعون وجاءهم رسول كريم ان ادوا الي عباد الله اني لكم
رسول امين وان لا تعلوا على الله اني اتيكم بسلطان مبين واني عذت بربي وربكم ان ترجمون
وان لم تومنوا لي فاعتزلون فدعا ربه ان هولاء قوم مجرمون فاسر بعبادي ليلا انكم متبعون
واترك البحر رهوا انهم جند مغرقون كم تركوا من جنات وعيون وزروع ومقام كريم ونعمة
كانوا فيها فاكهين كذلك واورثناها قوما اخرين فما بكت عليهم السماء والارض وما
كانوا منظرين ولقد نجينا بني اسرايل من العذاب المهين من فرعون انه كان عاليا من
المسرفين ولقد اخترناهم على علم على العالمين واتيناهم من الايات ما فيه بلاء مبين
فقوله تعالى واترك البحر رهوا اي ساكنا على هيئته لا تغيره عن هذه الصفة قاله
عبد الله بن عباس ومجاهد وعكرمة والربيع والضحاك وقتادة وكعب الاحبار وسماك
بن حرب وعبد الرحمن بن زيد بن اسلم وغيرهم فلما تركه على هيئته وحالته وانتهى فرعون
فراى ما راى وعاين ما عاين هاله هذا المنظر العظيم وتحقق ما كان يتحققه قبل ذلك
من ان هذا من فعل رب العرش الكريم فاحجم ولم يتقدم وندم في نفسه على خروجه في طلبهم
والحالة هذه حيث لا ينفعه الندم لكنه اظهر لجنوده تجلدا وعاملهم معاملة العدا
وحملته النفس الكافرة والسجية الفاجرة على ان قال لمن استخفهم فاطاعوه وعلى

باطلاً بايعوه انظروا كيف انحسر لى لادرك عبيدى الابقين من يدى الخارجين عن
طاعتى وبلدى وجعل يورى فى نفسه ان يذهب خلفهم ويرجو ان ينجو وهيهات ويقدم
تارة ويحجم تارات فذكروا ان جبريل عليه السلام تبدى فى صورة فارس راكب على رمكة
حائل فمر بين يدى فحل فرعون لعنه الله فحمحم عليها واقبل اليها واسرع جبريل بين
يديه فاقتحم البحر واستبق الجواد وقد اجاد فبادر مسرعا هذا وفرعون لا يملك من
نفسه ضرا ولا نفعا فلما رات الجنود قد سلك البحر اقتحموا وراه مسرعين فحصلوا
فى البحر اجمعين اكتعين ابصعين حتى هم اولهم بالخروج منه فعند ذلك امر الله تعالى
كليمه فيما اوحاه اليه ان يضرب البحر بعصاه فارتطم عليهم البحر كما كان فلم ينج منهم انسان
قال الله تعالى وانجينا موسى ومن معه اجمعين ثم اغرقنا الاخرين ان فى ذلك لاية
وما كان اكثرهم مومنين وان ربك لهو العزيز الرحيم اى فى انجايه اولياءه فلم يغرق
منهم احد واغراقه اعداءه فلم يخلص منهم احد اية عظيمة وبرهان قاطع على قدرته
العظيمة وصدق رسوله فيما جاء به عن ربه من الشريعة الكريمة والمناهج المستقيمة
وقال تعالى وجاوزنا ببنى اسرائيل البحر فاتبعهم فرعون وجنوده بغيا وعدوا
حتى اذا ادركه الغرق قال امنت انه لا اله الا الذى امنت به بنوا اسرائيل وانا من
المسلمين الان وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين فاليوم ننجيك ببدنك
لتكون لمن خلفك اية وان كثيرا من الناس عن اياتنا لغافلون يخبر تعالى عن كيفية
غرق فرعون زعيم كفرة القبط وانه لما جعلت الامواج ترفعه تارة وتخفضه
اخرى وبنوا اسرائيل ينظرون اليه والى جنوده ماذا احل الله به وبهم من الباس
العظيم والخطب الجسيم ليكون اقر لاعين بنى اسرائيل واشفى لنفوسهم فلما عاين
فرعون الهلكة واحيط به وباشر سكرات الموت اناب حينئذ وتاب وامن حين
لا ينفع نفسا ايمانها كما قال تعالى ان الذين حقت عليهم كلمة ربك لا يومنون ولو
جاءتهم كل اية حتى يروا العذاب الاليم وقال تعالى فلما راوا باسنا قالوا امنا بالله
وحده وكفرنا بما كنا به مشركين فلم يك ينفعهم ايمانهم لما راوا باسنا سنة الله
التى قد خلت فى عباده وخسر هنالك الكافرون وهكذا دعا موسى على فرعون
وملايه ان يطمس على اموالهم ويشدد على قلوبهم فلا يومنوا حتى يروا العذاب
الاليم اى حين لا ينفعهم ذلك ويكون حسرة عليهم وقد قال الله تعالى لهما اى لموسى
وهارون حين دعوا بهذا قد اجيبت دعوتكما فهذا من اجابة الله دعوة كليمه
واخيه هرون عليهما السلام ومن ذلك الحديث الذى رواه الامام احمد حدثنا
سليمان بن حرب ثنا حماد بن سلمة عن على بن زيد عن يوسف بن مهران عن ابن عباس
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما قال فرعون امنت انه لا اله الا الذى
امنت به بنوا اسرائيل قال قال لى جبريل لو رايتنى وقد اخذت من حال البحر فدسسته
فى فيه مخافة ان تناله الرحمة ورواه الترمذى وابن جرير وابن ابى حاتم عند هذه
الاية من حديث حماد بن سلمة وقال الترمذى حسن وقال ابو داود الطيالسى ثنا
شعبة عن عدى بن ثابت وعطاء بن السايب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لى جبريل لو رايتنى وانا اخذ من حال البحر

فادسه

فادسه فى فم فرعون مخافة ان تدركه الرحمة ورواه الترمذى وابن جرير من حديث
شعبة وقال الترمذى حديث غريب صحيح واشار ابن جرير فى رواية الى وقفه وقال
ابن ابى حاتم ثنا ابو سعيد الاشج ثنا ابو خالد الاحمر عن عمر بن عبد الله بن يعلى الثقفى
عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال لما اغرق الله فرعون اشار باصبعه ورفع صوته
امنت انه لا اله الا الذى امنت به بنوا اسرائيل قال فخاف جبريل ان تسبق رحمة الله
فيه غضبه فجعل ياخذ الحال بجناحيه فيضرب به وجهه فيرمسه ورواه ابن جرير
من حديث ابى خالد به وقد رواه ابن جرير من طريق كثير بن زاذان وليس بمعروف
عن ابى حازم عن ابى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لى جبريل عليه
السلام يا محمد لو رايتنى وانا اغطه وادس من الحال فى فيه مخافة ان تدركه رحمة الله
فيغفر له يعنى فرعون وقد ارسله غير واحد من السلف كابراهيم التيمى وقتادة وميمون
بن مهران ويقال ان الضحاك بن قيس خطب به الناس وفى بعض
الروايات ان جبريل قال ما ابغضت احدا بغضى لفرعون حين قال انا ربكم الاعلى
ولقد جعلت ادس فى فيه الطين حين قال ما قال وقوله تعالى الان وقد
عصيت قبل وكنت من المفسدين استفهام انكار ونص على عدم قبوله تعالى منه ذلك
لانه والله اعلم لو رد الى الدنيا كما كان لعاد الى ما كان عليه كما اخبر تعالى عن الكفار
اذا عاينوا النار وشاهدوها انهم يقولون يا ليتنا نرد ولا نكذب بايات ربنا
ونكون من المومنين قال الله تعالى بل بدا لهم ما كانوا يخفون من قبل ولو ردوا لعادوا
لما نهوا عنه وانهم لكاذبون وقوله فاليوم ننجيك ببدنك لتكون لمن خلفك اية
قال ابن عباس وغير واحد شك بعض بنى اسرائيل فى موت فرعون حتى قال بعضهم
انه لا يموت فامر الله البحر فرفعه على مرتفع قيل على وجه الماء وقيل على نجوة من الارض
وعليه درعه التى يعرفونها من ملابسه ليتحققوا بذلك هلاكه ويعلموا قدرة الله
عليه ولهذا قال فاليوم ننجيك ببدنك اى مصاحبا درعك المعروفة
بك لتكون اى انت اية لمن خلفك اى من بنى اسرائيل دليلا على قدرة الله الذى اهلكك
ولهذا قرا بعض السلف لتكون لمن خلقك اية ويحتمل ان يكون المراد ننجيك مصاحبا
لتكون درعك علامة لمن وراك من بنى اسرائيل على معرفتك وانك هلكت والله اعلم
وقد كان هلاكه وجنوده فى يوم عاشورا كما قال الامام البخارى فى صحيحه حدثنا
محمد بن بشار ثنا غندر ثنا شعبة عن ابى بشر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس
قال قدم النبى صلى الله عليه وسلم المدينة واليهود تصوم يوم عاشورا فقالوا
هذا يوم ظهر فيه موسى على فرعون قال النبى صلى الله عليه وسلم لاصحابه انتم احق
بموسى منهم فصوموا واصل هذا الحديث فى الصحيحين وغيرهما والله اعلم

فصل فيما كان من امر بنى اسرائيل بعد هلاك فرعون

قال الله تعالى فانتقمنا منهم فاغرقناهم فى اليم بانهم كذبوا باياتنا وكانوا عنها
غافلين واورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الارض ومغاربها
التى باركنا فيها وتمت كلمة ربك الحسنى على بنى اسرائيل بما صبروا ودمرنا ما كان
يصنع فرعون وقومه وما كانوا يعرشون وجاوزنا ببنى اسرائيل البحر فاتوا على قوم

يعكفون على اصنام لهم قالوا يا موسى اجعل لنا الها كما لهم آلهة قال انكم قوم تجهلون
ان هؤلاء متبر ما هم فيه وباطل ما كانوا يعملون قال اغير الله ابغيكم الها وهو فضلكم
على العالمين واذ انجيناكم من آل فرعون يسومونكم سوء العذاب يقتلون ابناءكم
ويستحيون نساءكم وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم يذكر تعالى ما كان من امر فرعون وجنوده
في غرقهم وكيف سلبهم عزهم ومالهم وانفسهم واورث بني اسرائيل جميع اموالهم واملاكهم
كما قال كذلك واورثناها بني اسرائيل وقال ونريد ان نمن على الذين استضعفوا
في الارض ونجعلهم ائمة ونجعلهم الوارثين وقال ههنا واورثنا القوم الذين
كانوا يستضعفون مشارق الارض ومغاربها التي باركنا فيها وتمت كلمة ربك الحسنى
على بني اسرائيل بما صبروا ودمرنا ما كان يصنع فرعون وقومه وما كانوا يعرشون اي
اهلك ذلك جميعه وسلبهم عزهم العزيز العريض في الدنيا وهلك الملك وحاشيته
وجنوده وامراؤه ولم يبق ببلد مصر سوى العامة والرعايا فذكر ابن عبد الحكم في تاريخ
مصر انه من ذلك الزمان تسلط نساء مصر على رجالها بسبب ان نساء الامراء والكبراء تزوجن
بمن دونهن من العامة فكانت لهن السطوة عليهم واستمرت هذه سنة نساء مصر الى
يومك هذا وعند اهل الكتاب ان بني اسرائيل لما امروا بالخروج من مصر جعل الله ذلك
الشهر اول سنتهم وامروا ان يذبح كل اهل بيت حملا من الغنم فان كانوا لا يحتاجون الى حمل
فليشترك الجار وجاره فيه فاذا ذبحوه فلينضحوا من دمه على اعتاب ابوابهم ليكون علامة
لهم على بيوتهم ولا ياكلوه مطبوخا ولكن مشويا براسه واكارعه وبطنه ولا يبقوا منه
شيئا ولا يكسروا له عظما ولا يخرجوا منه شيئا الى الخارج بيوتهم وليكن خبزهم فطيرا سبعة ايام
ابتداؤها من الرابع عشر من الشهر الاول من سنتهم وكان ذلك في فصل الربيع فاذا اكلوا
فلتكن اوساطهم مشدودة وخفافهم في ارجلهم وعصيهم في ايديهم وليأكلوا بسرعة
قياما ومهما فضل عن عشائهم فما بقي الى الغد فليحرقوه بالنار وشرع هذا عيدا
لاعقابهم ما دامت التوراة معمولا بها فاذا نسخت بطل شرعها وقد وقع قالوا وقتل
الله في تلك الليلة ابكار القبط وابكار دوابهم ليشتغلوا عنهم وخرج
بنو اسرائيل حين انتصف النهار واهل مصر في مناحة عظيمة على ابكار اولادهم وابكار
اموالهم ليس من بيت الا وفيه عويل وحين جاء الوحي الى موسى خرجوا مسرعين فحملوا
العجين قبل اختماره وحملوا الازواد في الاردية والقوها على عواتقهم وكانوا قد استعاروا
من اهل مصر حليا كثيرا فخرجوا وهم ستمائة الف رجل سوى الذراري بما معهم من الانعام وكانت
مدة مقامهم بمصر اربعمائة سنة وثلاثين سنة هذا نص كتابهم وهذه السنة عندهم
تسمى سنة الفسخ وهذا العيد عيد الفسخ ولهم عيد الفطر وعيد الحمل وهو السنة
وهذه الاعياد الثلاثة اكد الاعياد وهي منصوص عليها في كتابهم ولما خرجوا من مصر
اخرجوا معهم تابوت يوسف عليه السلام وخرجوا على طريق بحر سوف وكانوا في اول
النهار يسيرون والسحاب بين ايديهم يسير امامهم وفيه عمود نور وبالليل امامهم
عمود نار فانتهى بهم الطريق الى ساحل البحر فنزلوا هنالك وادركهم فرعون وجنوده من
المصريين وهم هنالك حلول على شاطئ اليم فقلق كثير من بني اسرائيل حتى قال قائلهم
كان بقاؤنا بمصر احب الينا من الموت في هذه البرية وقال لموسى عليه السلام من قال

هذه

هذه المقالة لا تخشوا فان فرعون وجنوده لا يرجعون الى بلدهم بعد هذا قالوا وامر الله
موسى عليه السلام ان يضرب البحر بعصاه وان يقسمه ليدخل بنو اسرائيل في البحر
واليبس وصار الماء من ههنا وههنا كالجبلين وصار وسطه يبسا لان الله سلط عليه
ريح الجنوب والسموم فجاز بنو اسرائيل البحر واتبعهم فرعون وجنوده فلما توسطوه امر
الله موسى فضرب البحر بعصاه فرجع الماء كما كان عليهم لكن عند اهل الكتاب ان هذا كان في
الليل وان البحر انطم عليهم عند الصبح وهذا من غلطهم وعدم فهمهم في تعريبهم والله
اعلم قالوا ولما اغرق الله فرعون وجنوده حينئذ سبح موسى وبنو اسرائيل بهذا
التسبيح للرب وقالوا نسبح الرب الذي قهر الجنود ونبذ فرسانها في البحر المنيع المحمود
وهو تسبيح طويل قالوا واخذت مريم النبية اخت هارون دفا بيدها وخرج
النساء في اثرها كلهن بدفوف وطبول وجعلت مريم ترتل لهن وتقول سبحان
الرب القهار الذي قهر الخيول وركبانها القاها في البحر هكذا رايته في كتابهم ولعل هذا
الذي حمل محمد بن كعب القرظي على زعمه ان مريم بنت عمران ام عيسى هي اخت هارون
وموسى مع قوله يا اخت هارون وقد بينا غلطه في ذلك وان هذا لا يمكن ان يقال
ولم يتابعه احد عليه بل كل احد خالفه فيه ولو قدر ان هذا محفوظ فهذه مريم
بنت عمران اخت موسى وهارون عليهما السلام وام عيسى عليهما السلام وافقتها
في الاسم واسم الاب واسم الاخ لانهم كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم للمغيرة بن
شعبة لما سأله اهل نجران عن قوله يا اخت هارون فلم يدر ما يقول لهم حتى سأل رسول
الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك فقال الا اعلمتهم انهم كانوا يسمون باسماء انبيائهم
رواه مسلم وقولهم النبية كما يقال للمرأة من بيت الملك ملكة ومن بيت الا
مرة اميرة وان لم يكن مباشرة شيئا من ذلك فكذا هذه استعارة لها لا انها نبية بوحي
اليها وضربها بالدف في مثل هذا اليوم الذي هو اعظم الاعياد عندهم دليل على انه قد
كان شرع من قبلنا ضرب الدف في العيد وهذا مشروع لنا ايضا في حق النساء لحديث
الجاريتين اللتين كانتا عند عائشة تضربان بالدف في ايام منى ورسول الله ضرب الدف
صلى الله عليه وسلم مضطجع مول ظهره اليهم ووجهه الى الحائط فلما دخل ابو بكر
زجرهن وقال امزمور الشيطان في بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال
دعهن يا ابا بكر فان لكل قوم عيدا وهذا عيدنا وهكذا يشرع عندنا في الاعراس ولقدوم
الغياب كما هو مقرر في موضعه والله اعلم وذكروا انهم لما جاوزوا البحر وذهبوا قاصدين
الى بلاد الشام مكثوا ثلاثة ايام لا يجدون ماء فتكلم من تكلم منهم بسبب ذلك فوجدوا
ماء زعاقا اجاجا لم يستطيعوا شربه فامر الله موسى فاخذ خشبة فوضعها فيه فحلا وساغ
شربه وعلمه الرب هنالك فرائض وسننا ووصاه وصايا كثيرة وقد قال الله تعالى
في كتابه المهيمن على ما عداه من الكتب وجاوزنا ببني اسرائيل البحر فاتوا على قوم يعكفون
على اصنام لهم قالوا يا موسى اجعل لنا الها كما لهم آلهة قال انكم قوم تجهلون ان هؤلاء متبر
ما هم فيه وباطل ما كانوا يعملون قالوا هذا الجهل والضلال وقد عاينوا من آيات الله
وقدرته ما دلهم على صدق ما جاء به رسول ذي الجلال وذلك انهم مروا على قوم يعبدون
اصناما قيل كانت على صور البقر فكانهم سالوهم لم يعبدونها فزعموا انها تنفعهم

ونصرهم ويستنزفونها عند الضرورات فكان بعض الجهال منهم صدقوهم في ذلك فسألوا
نبيهم الكليم الكريم العظيم ان يجعل لهم الهة كما لاوليك الهة فقال لهم مبينا لهم انهم لا يعقلون
ولا يهتدون ان هولاء متبر ما هم فيه وباطل ما كانوا يعملون ثم ذكرهم نعمة الله عليهم في تفضيله
اياهم على عالمي زمانهم بالعلم والشرع والرسول الذي بين اظهرهم وما احسن به اليهم وما امتن
به عليهم من انجايهم من قبضة فرعون الجبار العنيد واهلاكه اياهم وهم ينظرون وتوريثه
اياهم ما كان فرعون وملاوه يجمعونه من الاموال والسعادة وما كانوا يعرشون وبين لهم انه
لا تصلح العبادة الا لله وحده لا شريك له لانه الخالق الرازق القهار وليس كل بني اسرائيل
سال هذا السوال بل الضمير عايد على الجنس في قوله وجاوزنا ببني اسرائيل البحر فاتوا على قوم
يعكفون قالوا يا موسى اجعل لنا الها كما لهم الهة قال بعضهم كما في قوله وحشرناهم فلم
نغادر منهم احدا وعرضوا على ربك صفا لقد جيتمونا كما خلقناكم اول مرة بل زعمتم ان لن نجعل
لكم موعدا فالذين زعموا هذا بعض الناس لا كلهم وقد قال الامام احمد حدثنا عبد الرزاق
ثنا معمر عن الزهري عن سنان بن ابي سنان الديلي عن ابي واقد الليثي قال خرجنا مع رسول
الله صلى الله عليه وسلم قبل حنين فمررنا بسدرة فقلنا يا رسول الله اجعل لنا ذات
انواط كما للكفار ذات انواط وكان الكفار ينوطون سلاحهم بسدرة ويعكفون حولها فقال
النبي صلى الله عليه وسلم الله اكبر هذا كما قالت بنو اسرائيل لموسى اجعل لنا الها كما لهم
الهة انكم تركبون سنن الذين قبلكم ورواه النساي عن محمد بن رافع عن عبد الرزاق ورواه
الترمذي عن سعيد بن عبد الرحمن المخزومي عن سفيان بن عيينة عن الزهري به ثم قال
حسن صحيح وقد روى ابن جرير من حديث محمد بن اسحاق ومعمر وعقيل عن الزهري عن سنان
بن ابي سنان عن ابي واقد الليثي انهم خرجوا من مكة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى
خيبر قال وكان للكفار سدرة يعكفون عندها ويعلقون بها اسلحتهم يقال لها
ذات انواط قال فمررنا بسدرة خضراء عظيمة قال فقلنا يا رسول الله اجعل لنا ذات
انواط كما لهم ذات انواط قال قلتم والذي نفسي بيده كما قال قوم موسى لموسى اجعل لنا الها
كما لهم الهة قال انكم قوم تجهلون ان هولاء متبر ما هم فيه وباطل ما كانوا يعملون والمقصود
ان موسى عليه السلام لما انفصل من بلاد مصر وواجه بيت المقدس وجد فيها قوما من الجبارين
من الحيثانيين والفزاريين والكنعانيين وغيرهم فامرهم موسى عليه السلام بالدخول
عليهم ومقاتلتهم واجلايهم اياهم عن بيت المقدس فان الله كتبه لهم ووعدهم اياه على
لسان ابراهيم الخليل وموسى الكليم الجليل فابوا ونكلوا عن الجهاد فسلط الله عليهم الخوف
والقاهم في التيه يسيرون ويحلون ويرتحلون ويذهبون ويجيئون في مدة من السنين
طويلة هي من العدد اربعون كما قال الله تعالى واذ قال موسى لقومه يا قوم اذكروا نعمة
الله عليكم اذ جعل فيكم انبيا وجعلكم ملوكا واتاكم ما لم يوت احدا من العالمين يا قوم
ادخلوا الارض المقدسة التي كتب الله لكم ولا ترتدوا على ادباركم فتنقلبوا خاسرين قالوا
يا موسى ان فيها قوما جبارين وانا لن ندخلها حتى يخرجوا منها فان يخرجوا منها فانا داخلون
قال رجلان من الذين يخافون انعم الله عليهما ادخلوا عليهم الباب فاذا دخلتموه فانكم
غالبون وعلى الله فتوكلوا ان كنتم مومنين قالوا يا موسى انا لن ندخلها ابدا ما داموا فيها
فاذهب انت وربك فقاتلا انا هاهنا قاعدون قال رب اني لا املك الا نفسي واخي فافرق

بيننا

بيننا وبين القوم الفاسقين قال فانها محرمة عليهم اربعين سنة يتيهون في الارض فلا
تاس على القوم الفاسقين يذكرهم نبي الله نعم الله عليهم واحسانه اليهم بالنعم
الدينية والدنيوية ويامرهم بالجهاد في سبيل الله ومقاتلة اعدايه فقال يا قوم
ادخلوا الارض المقدسة التي كتب الله لكم ولا ترتدوا على اعقابكم اي تنكصوا على اعقابكم
وتنكلوا عن قتال الاعدا اليكم فتنقلبوا خاسرين اي فتخسروا بعد الربح وتنقصوا بعد
الكمال قالوا يا موسى ان فيها قوما جبارين اي عتاة كفرة متمردين وانا لن ندخلها حتى
يخرجوا منها فان يخرجوا منها فانا داخلون خافوا من هولاء الجبارين وقد عاينوا هلاك
فرعون وهو اجبر من هولاء واشد باسا واكثر جمعا واعظم جندا وهذا يدل على انهم
ملومون في هذه المقالة ومذمومون على هذه الحالة من الذلة عن مصاولة الاعدا
ومقاومة المردة الاشقيا وقد ذكر كثير من المفسرين ها هنا اثارا فيها مجازفات كثيرة باطلة
يدل العقل والنقل على خلافها من انهم كانوا اشكالا هايلة ضخاما جدا حتى ذكروا ان رسل
بني اسرائيل لما قدموا عليهم تلقاهم رجل من رسل الجبارين فجعل ياخذهم واحدا واحدا
ويلفهم في اكمامه وحجزة سراويله وهم اثنا عشر رجلا فجا بهم فنثرهم بين يدي ملك
الجبارين فقال ما هولاء ولم يعرف انهم من بني ادم حتى عرفوه وكل هذه هذيانات وخرافات
لا حقيقة لها وان الملك بعث معهم عنبا كل عنبة تكفي الرجل وشيا من ثمارهم ليعلموا
ضخامة اشكالهم وهذا ليس بصحيح وذكروا ها هنا ان عوج بن عنق خرج من عند
الجبارين الى بني اسرائيل ليهلكهم وكان طوله ثلاثة الاف ذراع وثلثماية ذراع وثلاثة
وثلاثين ذراعا وثلث ذراع هكذا ذكره البغوي وغيره وليس بصحيح كما قدمنا بيانه عند
قوله صلى الله عليه وسلم ان الله خلق ادم ستون ذراعا ثم لم يزل الخلق ينقص حتى الان
قالوا فعمد عوج الى قلة جبل فقلعها ثم اخذها بيده ليلقيها على جيش موسى فجا طاير
فنقر تلك الصخرة فخرقها فصارت طوقا في عنق عوج بن عنق ثم عمد موسى اليه فوثب
في الهوا عشرة اذرع وطوله عشرة اذرع وبيده عصاه وطولها عشرة اذرع فوصل
الى كعب قدمه فقتله يروى هذا عن نوف البكالي ونقله ابن جرير عن ابن عباس وفي اسناده
اليه نظر ثم هو مع هذا كله من الاسرايليات وكل هذه من وضع جهال بني اسرائيل فان الاخبار الكذب
قد كثرت عندهم ولا تمييز لهم بين صحيحها وباطلها ثم لو كان هذا صحيحا لكان بنو
اسرايل معذورين في النكول عن قتالهم وقد ذمهم الله على نكولهم وعاقبهم بالتيه
على ترك جهادهم ومخالفتهم رسولهم وقد اشار عليهم رجلان صالحان منهم بالاقدام
ونهاهم عن الاحجام ويقال انهما يوشع بن نون وكالب بن يوفنا قاله ابن عباس ومجاهد
وعكرمة وعطية والسدي والربيع بن انس وغير واحد قال رجلان من الذين يخافون
اي يخافون الله وقرا بعضهم يخافون اي مهابون انعم الله عليهما اي بالاسلام والايمان
والطاعة والشجاعة ادخلوا عليهم الباب فاذا دخلتموه فانكم غالبون وعلى الله فتوكلوا
ان كنتم مومنين اي اذا توكلتم على الله واستعنتم به ولجاتم اليه نصركم على عدوكم واظفركم
بهم قالوا يا موسى انا لن ندخلها ابدا ما داموا فيها فاذهب انت وربك فقاتلا انا هاهنا
قاعدون فعظم ملاوهم على النكول عن الجهاد ووقع امر عظيم ووهن كبير فيقال ان يوشع
وكالب لما سمعا هذا الكلام شقا ثيابهما وان موسى وهرون سجدا اعظاما لهذا الكلام

قصة رجل ثلاثة من بني اسرايل رجل رجل وحطم في قصة

مطلب عوج ابن عنق

وغضب الله عز وجل واشتد غضبه عليهم بسبب هذه المقالة فقال رب اني لا املك الا نفسي واخي
فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين قال ابن عباس اقض بيني وبينهم قال فانها محرمة عليهم
اربعين سنة يتيهون في الارض فلا تأس على القوم الفاسقين عوقبوا على نكولهم
بالتيهان في الارض يسيرون الى غير مقصد ليلا ونهارا وصباحا ومساء ويقال انه لم يخرج
من التيه احد ممن دخله بل ماتوا كلهم في مدة اربعين سنة ولم يبق الا ذراريهم سوى يوشع
وكالب عليهما السلام لكن اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم يوم بدر لم يقولوا له كما قال
موسى بل لما استشارهم في الذهاب الى النفير تكلم الصديق فاحسن وغيره من المهاجرين
ثم جعل يقول اشيروا علي حتى قال سعد بن معاذ كانك تعرض بنا يا رسول الله فوالذي بعثك
بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك ما تخلف منا رجل واحد وما نكره
ان يلقى بنا عدونا غدا انا لصبر في الحرب صدق في اللقا لعل الله يريك منا ما تقر به
عينك فسر بنا على بركة الله فسر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقول سعد وبسطه
ذلك وقال الامام احمد ثنا وكيع ثنا سفيان عن مخارق بن عبد الله الاحمسي عن طارق هو
ابن شهاب ان المقداد قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر يا رسول الله انا
لا نقول لك بنوا اسرائيل لموسى اذهب انت وربك فقاتلا انا هاهنا قاعدون وهذا
اسناد جيد من هذا الوجه وله طريق اخرى قال احمد ثنا اسود بن عامر ثنا اسرائيل عن
مخارق عن طارق بن شهاب قال قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه لقد شهدت
من المقداد مشهدا لان اكون انا صاحبه احب الي مما عدل به اتى رسول الله صلى الله عليه
وسلم وهو يدعو على المشركين قال والله يا رسول الله لا نقول لك كما قالت بنوا اسرائيل
لموسى اذهب انت وربك فقاتلا انا هاهنا قاعدون ولكنا نقاتل عن يمينك وعن يسارك
ومن بين يديك ومن خلفك فرايت وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم يشرق لذلك
وسر بذلك رواه البخاري في التفسير والمغازي من طرق عن مخارق به وقال
الحافظ ابو بكر بن مردويه حدثنا علي بن الحسن بن علي ثنا ابو حاتم الرازي ثنا محمد بن
عبد الله الانصاري ثنا حميد عن انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما سار الى بدر
استشار المسلمين فاشار عليه عمر ثم استشارهم فاشار عليه عمر فقالت الانصار
يا معشر الانصار اياكم يريد رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا اذا لا نقول كما قالت
بنوا اسرائيل لموسى اذهب انت وربك فقاتلا انا هاهنا قاعدون والذي بعثك بالحق لو
ضربت اكبادها الى برك الغماد لاتبعناك ورواه الامام احمد عن عبيدة بن حميد الطويل
عن انس به ورواه النسائي عن محمد بن المثنى عن خالد بن الحارث عن حميد عن انس به نحوه واخرجه
ابن حبان في صحيحه عن ابي يعلى عن عبد الاعلى بن حماد عن معتمر عن حميد عن انس به نحوه

فصل في دخول بني اسرائيل التيه وما جرى لهم فيه من الامور العجيبة

قد ذكرنا نكول بني اسرائيل عن قتال الجبارين وان الله عاقبهم بالتيه وحكم بانهم
لا يخرجون منه الى اربعين سنة ولم ار في كتاب اهل الكتاب قصة نكولهم عن قتال
الجبارين ولكن فيها ان يوشع جهزه موسى لقتال طائفة من الكفار وان موسى وهارون وخور
جلسوا على راس اكمة ورفع موسى عصاه فكلما رفعها انتصر يوشع عليهم وكلما مالت
يده بها من تعب ونحوه غلبهم اولئك وجعل هارون وخور يدعمان يديه من عن يمينه وشماله

ذلك اليوم الى غروب الشمس فانتصر حزب يوشع عليه السلام وعندهم ان يثرون كاهن
مدين وختن موسى عليه السلام بلغه امر موسى وكيف اظفره الله بعدوه فرعون فقدم على موسى
مسلما ومعه ابنته صفورا زوجة موسى وابناها جرشون وعازر فتلقاه موسى واكرمه
واجتمع به شيوخ بني اسرائيل وعظموه واجلوه وذكروا انه راى كثرة اجتماع بني اسرائيل
على موسى في الخصومات التي تقع بينهم فاشار على موسى ان يجعل على الناس رجالا امناء اتقياء اعفاء
يبغضون الرشا والخيانة فيجعلهم على الناس رؤوس الالوف ورؤوس المئين ورؤوس خمسين
ورؤوس عشرة فيقضوا بين الناس فاذا اشكل عليهم امر جاؤوك ففصلت بينهم
ما اشكل عليهم ففعل ذلك موسى عليه السلام قالوا ودخل بنوا اسرائيل البرية عند سينا
في الشهر الثالث من خروجهم من مصر وكان خروجهم في اول السنة التي شرعت لهم وهي اول
فصل الربيع فكانهم دخلوا التيه في اول فصل الصيف والله اعلم قالوا ونزل بنوا
اسرائيل حول طور سينا وصعد موسى الجبل فكلمه ربه وامره ان يذكر بني اسرائيل ما انعم
الله به عليهم من انجائه اياهم من فرعون وقومه وكيف حملهم على مثل جناحي نسر من يده
وقبضته وامره ان يامر بني اسرائيل بان يتطهروا ويغتسلوا ويغسلوا ثيابهم وليستعدوا
الى اليوم الثالث فاذا كان في اليوم الثالث فليجتمعوا حول الجبل ولا يقتربن منهم احد اليه
فمن دنا منه قتل حتى ولا شيء من البهائم ما داموا يسمعون صوت القرن فاذا سكن القرن
فقد حل لكم ان ترتقوه فسمع بنوا اسرائيل ذلك فاطاعوه واغتسلوا وتنظفوا وتطيبوا
فلما كان اليوم الثالث ركب الجبل غمامة عظيمة وفيها اصوات وبروق وصوت الصور
شديد جدا ففزع بنوا اسرائيل من ذلك فزعا شديدا وخرجوا فقاموا في سفح الجبل وغشي
الجبل دخان عظيم في وسطه عمود نار واشتد وموسى عليه السلام فوق الجبل والله يكلمه
ويناجيه وامر الرب عز وجل موسى ان ينزل فيامر بني اسرائيل ان يقتربوا من الجبل ليسمعوا
وصية الله ويامر الاحبار وهم علماؤهم ان يدنوا فيصعدوا الجبل ليتقدموا بالقرب
وهذا نص في كتابهم على وقوع النسخ فقال لموسى يا رب انهم لا يستطيعون ان يصعدوه
وقد نهيتهم عن ذلك فامره الله ان يذهب فياتي معه باخيه هارون وليكن الكهنة وهم
العلماء والشعب وهم بقية بني اسرائيل غير بعيد ففعل موسى وكلمه ربه عز وجل وامره
حينئذ بالعشر كلمات وعندهم ان بني اسرائيل سمعوا كلام الله ولكن لم يفهموا حتى فهمهم
موسى وجعلوا يقولون لموسى بلغنا انت عن الرب عز وجل فانا نخاف ان نموت فبلغهم
عنه فقال هذه العشر كلمات وهي الامر بعبادة الله وحده لا شريك له والنهي عن
الحلف بالله كاذبا والامر بالمحافظة على السبت ومعناه تفرغ يوم من الاسبوع للعبادة
وهذا حاصل بيوم الجمعة الذي نسخ الله به السبت اكرم اباك وامك ليطول عمرك في الارض
الذي يعطيك الله ربك لا تقتل لا تزن لا تسرق لا تشهد على صاحبك شهادة زور
لا تمد عينيك الى بيت صاحبك ولا تشته امراة صاحبك ولا عبده ولا امته ولا ثوره
ولا حماره ولا شيئا من الذي لصاحبك ومعناه النهي عن الحسد وقد قال كثير من العلماء
من السلف وغيرهم مضمون هذه العشر كلمات في ايتين من القران وهما قوله تعالى في
سورة الانعام قل تعالوا اتل ما حرم ربكم عليكم الا تشركوا به شيئا وبالوالدين احسانا
ولا تقتلوا اولادكم من املاق نحن نرزقكم واياهم ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما

بطن ولا تقتلوا النفس التي حرم الله الا بالحق ذلكم وصاكم به لعلكم تعقلون ولا
تقربوا مال اليتيم الا بالتي هي احسن حتى يبلغ اشده واوفوا الكيل والميزان بالقسط لا نكلف
نفسا الا وسعها واذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى وبعهد الله اوفوا ذلكم وصاكم به لعلكم
تذكرون وان هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل الاية وذكروا بعد
العشر كلمات وصايا كثيرة واحكاما متفرقة عزيزة كانت في التوراة وعمل بها حينا من الدهر
ثم طرى عليها عصيان المكلفين بها ثم عمدوا اليها فبدلوها وحرفوها واولوها ثم
بعد ذلك كله سلبوها فصارت منسوخة مبدلة بعدما كانت مشروعة محكمة فلله
الامر من قبل ومن بعد وهو الذي يحكم ما يشاء ويفعل ما يريد الا له الخلق والامر تبارك
الله رب العالمين وقد قال تعالى يا بني اسرائيل قد انجيناكم من عدوكم وواعدناكم جانب
الطور الايمن ونزلنا عليكم المن والسلوى كلوا من طيبات ما رزقناكم ولا تطغوا فيه
فيحل عليكم غضبي ومن يحلل عليه غضبي فقد هوى واني لغفار لمن تاب وامن وعمل
صالحا ثم اهتدى يذكر تعالى منته واحسانه على بني اسرائيل بما انجاهم من اعدائهم وخلصهم
من الضيق والحرج وانه وعدهم صحبة نبيهم كليمه الى جانب الطور الايمن اي منهم لينزل
عليه احكاما عظيمة فيها مصلحة لهم في دنياهم واخراهم وانه تعالى انزل عليهم في حال
شدتهم وضرورتهم وسيرهم في الارض التي ليس فيها زرع ولا ضرع منا من السما يصبحون
فيجدونه خلال بيوتهم فياخذون منه قدر حاجتهم في ذلك اليوم الى مثله من الغد ومن ادخر
منه لاكثر من ذلك فسد ومن اخذ منه قليلا كفاه او كثيرا لم يفضل عنه فيصنعون منه
مثل الخبز وهو في غاية البياض والحلاوة فاذا كان من اخر النهار غشيهم طير السلوى
فيقتنصون منها بلا كلفة ما يحتاجون اليه بحسب كفايتهم لعشائهم واذا كان فصل
الصيف ظلل الله عليهم الغمام وهو السحاب الذي يستر عنهم حر الشمس وضوءها الباهر
كما قال تعالى في سورة البقرة يا بني اسرائيل اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم واوفوا بعهدي
اوف بعهدكم واياي فارهبون وامنوا بما انزلت مصدقا لما معكم ولا تكونوا اول كافر
به ولا تشتروا باياتي ثمنا قليلا واياي فاتقون الى ان قال واذ نجيناكم من ال فرعون
يسومونكم سوء العذاب يذبحون ابناءكم ويستحيون نساءكم وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم
واذ فرقنا بكم البحر فانجيناكم واغرقنا ال فرعون وانتم تنظرون واذ وعدنا موسى
اربعين ليلة ثم اتخذتم العجل من بعده وانتم ظالمون ثم عفونا عنكم من بعد ذلك
لعلكم تشكرون واذ اتينا موسى الكتاب والفرقان لعلكم تهتدون واذ قال
موسى لقومه يا قوم انكم ظلمتم انفسكم باتخاذكم العجل فتوبوا الى بارئكم ذلكم خير لكم عند
بارئكم فتاب عليكم انه هو التواب الرحيم واذ قلتم يا موسى لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة
فاخذتكم الصاعقة وانتم تنظرون ثم بعثناكم من بعد موتكم لعلكم تشكرون وظللنا
عليكم الغمام وانزلنا عليكم المن والسلوى كلوا من طيبات ما رزقناكم وما ظلمونا ولكن
كانوا انفسهم يظلمون الى ان قال واذ استسقى موسى لقومه فقلنا اضرب بعصاك
الحجر فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا قد علم كل اناس مشربهم كلوا واشربوا من رزق
الله ولا تعثوا في الارض مفسدين واذ قلتم يا موسى لن نصبر على طعام واحد فادع لنا
ربك يخرج لنا مما تنبت الارض من بقلها وقثائها وفومها وعدسها وبصلها قال

المستبدلون

اتستبدلون الذي هو ادنى بالذي هو خير اهبطوا مصرا فان لكم ما سألتم وضربت عليهم
الذلة والمسكنة وباءوا بغضب من الله ذلك بانهم كانوا يكفرون بايات الله ويقتلون
النبيين بغير الحق ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون يذكر تعالى انعامه واحسانه اليهم بما
يسر لهم من المن والسلوى طعامين شهيين بلا كلفة ولا سعي لهم فيه بل ينزل الله المن باكرا
ويرسل عليهم طير السلوى عشيا وانبع الماء لهم بضرب موسى عليه السلام حجرا كانوا يحملونه
معهم بالعصى فيتفجر منه اثنتا عشرة عينا لكل سبط عين منه تنبجس ثم تتفجر ماء
زلالا يستقون فيشربون ويسقون دوابهم ويدخرون كفايتهم وظلل عليهم الغمام
من الحر وهذه نعم من الله عظيمة واعطيات جسيمة فما رعوها حق رعايتها ولا قاموا
بشكرها وحق عبادتها ثم ضجر كثير منهم منها وتبرموا بها وسألوا ان يستبدلوا منها ببدلها
مما تنبت الارض من بقلها وقثائها وفومها وعدسها وبصلها فقرعهم الكليم ووبخهم
ونبههم على هذه المقالة وعنفهم قائلا اتستبدلون الذي هو ادنى بالذي هو خير
اهبطوا مصرا فان لكم ما سألتم اي هذا الذي تطلبونه وتريدونه بدل هذه النعم التي
انتم فيها حاصل لاهل الامصار الصغار والكبار موجود بها واذا هبطتم اليها وتنزلتم
عن هذه المرتبة التي لا تصلحون لمنصبها تجدوا بها ما تشتهون وما ترومون مما ذكرتم
من الماكل الدنية والاغذية الردية ولكن لست اجيبكم الى سؤال ذلك هاهنا ولا ابلغكم
ما تعنتم به من المنى وكل هذه الصفات المذكورة عنهم الصادرة منهم تدل على انهم
لم ينتهوا عما نهوا عنه كما قال تعالى ولا تطغوا فيه فيحل عليكم غضبي ومن يحلل عليه غضبي
فقد هوى اي فقد هلك وحق له والله الهلاك والدمار وتحتم عليه غضب الملك الجبار
ولكنه تعالى مزج بهذا الوعيد الشديد بالرجاء لمن اناب وتاب ولم يستمر على متابعة الشيطان
المريد فقال واني لغفار لمن تاب وامن وعمل صالحا ثم اهتدى وقال تعالى وواعدنا موسى
ثلاثين ليلة واتممناها بعشر فتم ميقات ربه اربعين ليلة وقال موسى لاخيه هارون اخلفني
في قومي واصلح ولا تتبع سبيل المفسدين ولما جاء موسى لميقاتنا وكلمه ربه قال رب ارني انظر
اليك قال لن تراني ولكن انظر الى الجبل فان استقر مكانه فسوف تراني فلما تجلى ربه للجبل
جعله دكا وخر موسى صعقا فلما افاق قال سبحانك تبت اليك وانا اول المؤمنين قال
يا موسى اني اصطفيتك على الناس برسالاتي وبكلامي فخذ ما اتيتك وكن من الشاكرين وكتبنا
له في الالواح من كل شيء موعظة وتفصيلا لكل شيء فخذها بقوة وامر قومك ياخذوا باحسنها
ساريكم دار الفاسقين ساصرف عن اياتي الذين يتكبرون في الارض بغير الحق وان يروا كل
اية لا يؤمنوا بها وان يروا سبيل الرشد لا يتخذوه سبيلا وان يروا سبيل الغي يتخذوه
سبيلا ذلك بانهم كذبوا باياتنا وكانوا عنها غافلين والذين كذبوا باياتنا ولقاء الاخرة
حبطت اعمالهم هل يجزون الا ما كانوا يعملون قال جماعة من السلف منهم ابن عباس ومسروق
ومجاهد الثلاثون ليلة هي شهر ذي القعدة واتمت اربعين ليلة بعشر ذي الحجة فعلى
هذا يكون كلامه له يوم عيد النحر وفي مثله اكمل الله عز وجل لمحمد صلى الله عليه وسلم دينه
واقام حججه وبراهينه والمقصود ان موسى عليه السلام لما استكمل الميقات وكان فيه
صائما يقال انه لم يستطعم لطعام فلما كمل الشهر اخذ لحا شجرة فمضغه ليطيب ريح فمه
فامره الله ان يمسك عشرا اخرى فصار اربعين ليلة ولهذا ثبت الحديث في ان خلوف

سؤال الرؤية

من الصائم اطيب عند الله من ريح المسك فلما عزم على الذهاب استخلف على شعب
بني اسرائيل اخاه هرون المحبب المبجل الجليل وهو ابن امه وابيه ووزيره في الدعوة الى
مصطفيه فوصاه وامره ونهاه وليس في هذا لعلو منزلته في نبوته منافاة قال
الله تعالى ولما جاء موسى لميقاتنا اي في الوقت الذي امر بالمجي فيه وكلمه ربه اي كلمه الله
من وراء الحجاب الا انه اسمعه الخطاب فناداه وناجاه وقربه وادناه وهذا مقام رفيع
ومعقل منيع ومنصب شريف ومنزل منيف فصلوات الله عليه تترى وسلامه عليه
في الدنيا والاخرى ولما اعطي هذه المنزلة العلية والمرتبة السنية وسمع الخطاب
سأل رفع الحجاب فقال للعظيم الذي لا تدركه الابصار القوي البرهان رب انظر اليك
قال لن تراني ويبين له تعالى انه لا يستطيع ان يثبت عند تجليه تبارك وتعالى لان
الجبل الذي هو اقوى واكبر ذاتا واشد ثباتا من الانسان لا يثبت عند التجلي من الرحمن
ولهذا قال ولكن انظر الى الجبل فان استقر مكانه فسوف تراني وفي الكتب المتقدمة
ان الله تعالى قال له يا موسى انه لن يراني حي الا مات ولا يابس الا تدهده وفي الصحيحين
عن ابي موسى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال حجابه النور وفي رواية النار
لو كشفه لاحرقت سبحات وجهه ما انتهى اليه بصره من خلقه وقال ابن عباس في قوله
تعالى لا تدركه الابصار ذاك نوره الذي هو نوره اذا تجلى لشيء لا يقوم له شيء ولهذا قال
تعالى فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا وخر موسى صعقا فلما افاق قال سبحانك تبت
اليك وانا اول المؤمنين قال مجاهد ولكن انظر الى الجبل فان استقر مكانه فسوف
تراني فانه اكبر منك واشد خلقا فلما تجلى ربه للجبل فنظر الى الجبل لا يتمالك واقبل
الجبل فدك على اوله ورأى موسى ما يصنع الجبل فخر صعقا وقد ذكرنا في التفسير
ما رواه الامام احمد والترمذي وصححه وابن جرير والحاكم من طريق حماد بن سلمة عن ثابت
زاد ابن جرير وليث عن انس ان رسول الله قرأ فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا قال
هكذا باصبعه ووضع النبي صلى الله عليه وسلم الابهام على المفصل الاعلى من الخنصر
فساخ الجبل لفظ ابن جرير وقال السدي عن عكرمة عن ابن عباس ما تجلى يعني من العظمة
الا قدر الخنصر فجعل الجبل دكا قال ترابا وخر موسى صعقا اي مغشيا عليه وقال
قتادة ميتا والصحيح الاول لقوله فلما افاق فان الافاقة انما تكون عن غشي قال
سبحانك تنزيه وتعظيم واجلال ان يراه بعظمته احد تبت اليك اي فلست بعد
هذا اروم رؤيته وانا اول المؤمنين انه لا يراك احد حي الا مات ولا يابس الا تدهده وقد
ثبت في الصحيحين من طريق عمرو بن يحيى بن عمارة بن ابي حسن المازني الانصاري عن
ابيه عن ابي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تخيروني من
بين الانبيا فان الناس يصعقون يوم القيامة فاكون اول من يفيق فاذا انا بموسى
اخذ بقائمة من قوائم العرش فلا ادري افاق قبلي ام جوزي بصعقة الطور لفظ البخاري
وفي اوله قصة اليهودي الذي لطم وجهه الانصاري حين قال لا والذي اصطفى موسى
على البشر فقال رسول الله لا تخيروني من بين الانبيا وفي الصحيحين من طريق الزهري
عن ابي سلمة وعبد الرحمن الاعرج عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم بنحوه وفيه
لا تخيروني على موسى وذكر تمامه وهذا من باب الهضم والتواضع او نهي عن التفضيل بين

الانبيا

الانبيا على وجه الغضب والعصبية او ليس هذا اليكم بل الله هو الذي رفع بعضهم فوق بعض
درجات وليس ينال هذا بمجرد الراي بل بالتوقيف ومن قال ان هذا قاله قبل ان يعلم انه افضل
ثم نسخ باطلاعه على افضليته عليهم كلهم ففي قوله نظر لان هذا من رواية ابي سعيد وابي
هريرة وما هاجر ابو هريرة الا عام خيبر متاخرا فيبعد انه لم يعلم بهذا الا بعد هذا والله
اعلم ولا شك انه صلوات الله وسلامه عليه افضل البشر بل الخليقة قال الله تعالى كنتم
خير امة اخرجت للناس وما كملوا الا بشرف نبيهم وثبت بالتواتر عنه صلوات الله
وسلامه عليه انه قال انا سيد ولد ادم يوم القيامة ولا فخر ثم ذكر اختصاصه بالمقام
المحمود الذي يغبطه به الاولون والاخرون الذي يحيد عنه الانبيا والمرسلون حتى اولوا
العزم الاكملون نوح وابراهيم وموسى وعيسى بن مريم وقوله صلى الله عليه وسلم فاكون
اول من يفيق فاجد موسى باطشا بقائمة العرش اي اخذا بها فلا ادري افاق قبلي ام جوزي
بصعقة الطور دليل على ان هذا الصعق الذي يحصل للخلائق في عرصات القيامة حين
يتجلى الرب لفصل القضا بين عباده فيصعقون من شدة الهيبة والعظمة
والجلال فيكون اولهم افاقة محمد خاتم الانبيا ومصطفى رب الارض والسما على سائر
الانبيا فيجد موسى باطشا بقائمة العرش قال الصادق المصدوق فلا ادري اصعق
فافاق قبلي ام كانت صعقته خفيفة لانه قد ناله بهذا السبب في الدنيا صعق
او جوزي بصعقة الطور يعني فلم يصعق بالكلية وهذا فيه شرف كبير لموسى عليه السلام
من هذه الحيثية ولا يلزم تفضيله بها مطلقا من كل وجه ولهذا نبه رسول الله صلى الله
عليه وسلم على شرفه وفضله بهذه الصفة لان المسلم لما ضرب وجه اليهودي حين قال
لا والذي اصطفى موسى على البشر قد يحصل في نفوس بعض المشاهدين لذلك هضم لجناب
موسى عليه السلام فبين النبي صلى الله عليه وسلم فضله وشرفه وقوله تعالى قال
يا موسى اني اصطفيتك على الناس برسالاتي وبكلامي اي في ذلك الزمان لا فيما
قبله لان ابراهيم الخليل افضل منه كما تقدم بيان ذلك في قصة ابراهيم ولا فيما بعده
لان محمدا صلى الله عليه وسلم افضل منهما كما ظهر شرفه ليلة الاسرا على جميع المرسلين
والانبيا وكما ثبت انه قال سأقوم مقاما يرغب الي الخلق حتى ابراهيم وقوله تعالى فخذ
ما اتيتك وكن من الشاكرين اي فخذ ما اعطيتك من الرسالة والكلام ولا تسأل زيادة
عليه وكن من الشاكرين على ذلك قال الله تعالى وكتبنا له في الالواح من كل شيء موعظة
وتفصيلا لكل شيء وكانت الالواح من جوهر نفيس ففي الصحيح ان الله كتب له التوراة
بيده وفيها مواعظ عن الآثام وتفصيل لكل ما يحتاجون اليه من الحلال والحرام فخذها
بقوة اي بعزم ونية صادقة وأمر قومك يأخذوا باحسنها اي يضعوها على
احسن وجوهها واجمل محاملها سأريكم دار الفاسقين اي سترون عاقبة الخارجين
عن طاعتي المخالفين لامري المكذبين لرسلي سأصرف اي عن فهمها وتدبرها وتعقل
معناها الذي اريد منها ودل عليه مقتضاها الذين يتكبرون في الارض بغير الحق وان
يروا كل اية لا يؤمنوا بها اي ولو شاهدوا واهما شاهدوه من الخوارق والمعجزات
لا ينقادوا لاتباعها وان يروا سبيل الرشد لا يتخذوه وان يروا سبيل الغي يتخذوه
سبيلا ذلك بانهم كذبوا باياتنا اي صرفناهم عن ذلك لتكذيبهم باياتنا وتغافلهم

عنها واعراضهم عن التصديق بها والتفكر فيها وترك العمل بمقتضاها والذين
كذبوا بآياتنا ولقاء الآخرة حبطت اعمالهم هل يجزون الا ما كانوا يعملون

قصة عبادتهم العجل في غيبة كليم الله عنهم

قال الله تعالى واتخذ قوم موسى من بعده من حليهم عجلا جسدا له خوار الم يروا انه لا يكلمهم
ولا يهديهم سبيلا اتخذوه وكانوا ظالمين ولما سقط في ايديهم وراوا انهم قد ضلوا قالوا
لئن لم يرحمنا ربنا ويغفر لنا لنكونن من الخاسرين ولما رجع موسى الى قومه غضبان اسفا
قال بئسما خلفتموني من بعدي اعجلتم امر ربكم والقى الالواح واخذ براس اخيه يجره اليه
قال ابن ام ان القوم استضعفوني وكادوا يقتلونني فلا تشمت بي الاعداء ولا تجعلني
مع القوم الظالمين قال رب اغفر لي ولاخي وادخلنا في رحمتك وانت ارحم الراحمين ان الذين
اتخذوا العجل سينالهم غضب من ربهم وذلة في الحياة الدنيا وكذلك نجزي المفترين
والذين عملوا السيئات ثم تابوا من بعدها وآمنوا ان ربك من بعدها لغفور رحيم ولما
سكت عن موسى الغضب اخذ الالواح وفي نسختها هدى ورحمة للذين هم لربهم يرهبون
وقال تعالى وما اعجلك عن قومك يا موسى قال هم اولاء على اثري وعجلت اليك رب لترضى
قال فانا قد فتنا قومك من بعدك واضلهم السامري فرجع موسى الى قومه غضبان
اسفا قال يا قوم الم يعدكم ربكم وعدا حسنا افطال عليكم العهد ام اردتم ان يحل عليكم
غضب من ربكم فاخلفتم موعدي قالوا ما اخلفنا موعدك بملكنا ولكنا حملنا اوزارا
من زينة القوم فقذفناها فكذلك القى السامري فاخرج لهم عجلا جسدا له خوار فقالوا
هذا الهكم واله موسى فنسي افلا يرون الا يرجع اليهم قولا ولا يملك لهم ضرا ولا نفعا ولقد
قال لهم هارون من قبل يا قوم انما فتنتم به وان ربكم الرحمن فاتبعوني واطيعوا امري
قالوا لن نبرح عليه عاكفين حتى يرجع الينا موسى قال يا هارون ما منعك اذ رايتهم
ضلوا الا تتبعن افعصيت امري قال يا ابن ام لا تاخذ بلحيتي ولا براسي اني خشيت
ان تقول فرقت بين بني اسرائيل ولم ترقب قولي قال فما خطبك يا سامري قال بصرت
بما لم يبصروا به فقبضت قبضة من اثر الرسول فنبذتها وكذلك سولت لي نفسي
قال فاذهب فان لك في الحياة ان تقول لا مساس وان لك موعدا لن تخلفه وانظر
الى الهك الذي ظلت عليه عاكفا لنحرقنه ثم لننسفنه في اليم نسفا انما الهكم الله
الذي لا اله الا هو وسع كل شيء علما يذكر تعالى ما كان من امر بني اسرائيل حين ذهب موسى
عليه السلام الى ميقات ربه فمكث على الطور يناجيه ربه ويساله موسى عليه السلام عن
اشياء كثيرة ويجيبه عنها فعمد رجل منهم يقال له هارون السامري فاخذ ما كان
استعاروه من الحلي فصاغ منه عجلا والقى فيه قبضة من التراب كان اخذها من اثر
فرس جبريل حين رآه يوم اغرق الله فرعون على يديه فلما القاها فيه خار كما يخور العجل
الحقيقي ويقال انه استحال عجلا جسدا لحما ودما حيا يخور قاله قتادة وغيره
وقيل كانت الريح اذا دخلت من دبره خرجت من فمه فيخور كما تخور البقرة فيرقصون
حوله ويفرحون وقالوا هذا الهكم واله موسى فنسي اي فنسي موسى ربه عندنا وذهب يتطلبه
وهو هاهنا تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا وتقدست اسماؤه وصفاته وتضاعفت
آلاؤه وعطاياه قال الله تعالى مبينا لهم بطلان ما ذهبوا اليه وما عولوا عليه من الهية

هذا الذي

هذا الذي قصاراه ان يكون حيوانا بهيما او شيطانا رجيما افلا يرون الا يرجع اليهم قولا
ولا يملك لهم ضرا ولا نفعا وقال الم يروا انه لا يكلمهم ولا يهديهم سبيلا اتخذوه وكانوا
ظالمين فذكر ان هذا الحيوان لا يتكلم ولا يرد جوابا ولا يملك ضرا ولا نفعا ولا يهدي الى
رشد اتخذوه وهم ظالمون لانفسهم عالمين في انفسهم بطلان ما هم عليه من الجهل
والضلال ولما سقط في ايديهم اي ندموا على ما صنعوا وراوا انهم قد ضلوا قالوا لئن لم
يرحمنا ربنا ويغفر لنا لنكونن من الخاسرين ولما رجع موسى عليه السلام اليهم ورأى ما هم
عليه من الجهل والضلال وما سقط في ايديهم عبادة العجل ومعه الالواح المتضمنة
التوراة القاها فيقال انه كسرها وهكذا هو عند اهل الكتاب وان الله ابدله غيرها
وليس في اللفظ القرآني ما يدل على ذلك الا انه القاها حين عاين ما عاين وعند
اهل الكتاب انهما كانا لوحين وظاهر القرآن انها الواح متعددة ولم يتاثر بمجرد الخبر
عن الله تعالى عن عبادتهم العجل بامره بمعاينة ذلك ولهذا جاء في الحديث الذي رواه
الامام احمد وابن حبان عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس
الخبر كالمعاينة ثم اقبل عليهم فعنفهم ووبخهم وهجنهم في صنيعهم هذا القبيح فاعتذروا
اليه بما ليس بصحيح قالوا انا حملنا اوزارا من زينة القوم فقذفناها فكذلك القى
السامري تحرجوا من تملك حلي آل فرعون وهم اهل حرب وقد امرهم الله باخذه واباحه لهم
ولم يتحرجوا بجهلهم وقلة عقلهم وعلمهم من عبادة العجل الجسد الذي له خوار مع الواحد
الاحد الفرد الصمد القهار ثم اقبل على اخيه هارون عليهما السلام قائلا له يا هارون
ما منعك اذ رايتهم ضلوا الا تتبعن اي هلا لما رايت ما صنعوا اتبعتني فاعلمتني بما
فعلوا فقال اني خشيت ان تقول فرقت بين بني اسرائيل اي تركتهم وجئتني وانت قد
استخلفتني فيهم قال رب اغفر لي ولاخي وادخلنا في رحمتك وانت ارحم الراحمين وقد كان
هارون عليه السلام نهاهم عن هذا الصنيع الفظيع اشد النهي وزجرهم عنه اتم الزجر
قال الله تعالى ولقد قال لهم هارون من قبل يا قوم انما فتنتم به اي انما قدر الله امر
هذا العجل وجعله يخور فتنة واختبارا لكم وان ربكم الرحمن اي لا هذا فاتبعوني اي فيما اقول
لكم واطيعوا امري قالوا لن نبرح عليه عاكفين حتى يرجع الينا موسى يشهد الله وكفى
بالله شهيدا لهارون عليه السلام انه نهاهم وزجرهم عن ذلك فلم يطيعوه ولم يتبعوه
ثم اقبل موسى على السامري قال ما خطبك يا سامري اي ما حملك على ما صنعت قال
بصرت بما لم يبصروا به اي رايت جبريل وهو راكب فرسا فقبضت قبضة من اثر الرسول
اي من اثر فرس جبريل وقد ذكر بعضهم انه رآه وكلما وطئت بحوافرها على موضع اخضر واعشب
فاخذ من اثر حافرها فلما القاه في هذا العجل المصنوع من الذهب كان من امره ما كان ولهذا
قال فنبذتها وكذلك سولت لي نفسي قال فاذهب فان لك في الحياة ان تقول لا مساس
وهذا دعاء عليه بان لا يمس احدا معاقبة له على مسه ما لم يكن له مسه هذا معاقبة له في
الدنيا ثم توعده في الاخرى فقال وان لك موعدا لن تخلفه وقرئ لن نخلفه وانظر
الى الهك الذي ظلت عليه عاكفا لنحرقنه ثم لننسفنه في اليم نسفا قال فعمد
موسى عليه السلام الى هذا العجل فحرقه قيل بالنار وقيل بالمبارد كما قاله قتادة وغيره
كما قاله علي وابن عباس وغيرهما وهو نص اهل الكتاب ثم ذراه في البحر وامر بني اسرائيل فشربوا

فمن كان من عابديه علق على شفاههم من ذلك الرماد منه ما يدل عليه وقيل بل اصفرت
الوانهم ثم قال تعالى اخبارا عن موسى انه قال انما الهكم الله الذي لا اله الا هو وسع كل شيء
علما وقال تعالى ان الذين اتخذوا العجل سينالهم غضب من ربهم وذلة في الحياة الدنيا
وكذلك نجزي المفترين وهكذا وقع وقد قال بعض السلف وكذلك نجزي المفترين
مسجلة لكل صاحب بدعة الى يوم القيامة ثم اخبر تعالى عن حلمه ورحمته بخلقه واحسانه
الى عبيده في قبوله توبة من تاب اليه بتوبته عليه فقال والذين عملوا السيئات ثم
تابوا من بعدها وآمنوا ان ربك من بعدها لغفور رحيم لكن الله لم يقبل توبة عابدي العجل
الا بالقتل كما قال تعالى واذ قال موسى لقومه يا قوم انكم ظلمتم انفسكم باتخاذكم العجل فتوبوا
الى بارئكم فاقتلوا انفسكم ذلكم خير لكم عند بارئكم فتاب عليكم انه هو التواب الرحيم
فيقال انهم اصبحوا يوما وقد اخذ من لم يعبد العجل في ايديهم السيوف والقى الله عليهم
ضبابا حتى لا يعرف القريب قريبه ولا النسيب نسيبه ثم مالوا على عابديه فقتلوهم
وحصدوهم فيقال انهم قتلوا في صبيحة واحدة سبعين الفا ثم قال تعالى ولما سكت
عن موسى الغضب اخذ الالواح وفي نسختها هدى ورحمة للذين هم لربهم يرهبون استدل
بعضهم بقوله وفي نسختها هدى ورحمة للذين هم لربهم يرهبون على انها تكسرت وفي
هذا الاستدلال نظر وليس في اللفظ ما يدل على انها تكسرت والله اعلم وقد ذكر ابن عباس
في حديث الفتون كما سيأتي ان عبادتهم العجل كانت على اثر خروجهم من البحر وما هو ببعيد
لانهم حين خرجوا قالوا يا موسى اجعل لنا الها كما لهم آلهة وهكذا عند اهل الكتاب فان
عبادتهم العجل كانت قبل مجيئهم بلاد بيت المقدس وذلك انهم لما امروا بقتل من عبد العجل
قتلوا في اول يوم ثلاثة آلاف ثم ذهب موسى يستغفر لهم فغفر لهم بشرط ان يدخلوا الارض
المقدسة واختار موسى قومه سبعين رجلا لميقاتنا فلما اخذتهم الرجفة قال رب لو
شئت اهلكتهم من قبل واياي اتهلكنا بما فعل السفهاء منا ان هي الا فتنتك تضل بها من
تشاء وتهدي من تشاء انت ولينا فاغفر لنا وارحمنا وانت خير الغافرين واكتب لنا في هذه
الدنيا حسنة وفي الآخرة انا هدنا اليك قال عذابي اصيب به من اشاء ورحمتي وسعت كل
شيء فسأكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة والذين هم بآياتنا يؤمنون الذين يتبعون
الرسول النبي الامي الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والانجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم
عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم اصرهم والاغلال التي كانت
عليهم فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذي انزل معه اولئك هم المفلحون
ذكر السدي وابن عباس وغيرهما ان هؤلاء السبعين كانوا علماء بني اسرائيل ومعهم موسى
وهارون ويوشع وناداب وابيهو ذهبوا مع موسى عليه السلام ليعتذروا عن بني اسرائيل
في عبادة من عبد منهم وكانوا قد امروا ان يتطهروا ويتطيبوا ويغتسلوا فلما ذهبوا معه
واقتربوا من الجبل وعليه الغمام وعمود النور ساطع وصعد موسى الجبل فذكر بنو اسرائيل
انهم سمعوا كلام الله وهذا قد وافقهم عليه طائفة من المفسرين وحملوا عليه قوله تعالى
وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه وهم يعلمون وليس
هذا بلازم لقوله تعالى فأجره حتى يسمع كلام الله اي مبلغا وهكذا هؤلاء سمعوه مبلغا
عن موسى عليه السلام وزعموا ايضا ان السبعين رأوا الله وهذا غلط منهم لانهم لما سألوا

الرؤية اخذتهم الرجفة كما قال تعالى واذ قلتم يا موسى لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة
فأخذتكم الصاعقة وانتم تنظرون ثم بعثناكم من بعد موتكم وقال ههنا فلما
اخذتهم الرجفة قال رب لو شئت اهلكتهم من قبل واياي اتهلكنا الآية قال محمد بن اسحاق
اختار موسى من بني اسرائيل سبعين رجلا الخير فالخير وقال انطلقوا الى الله فتوبوا اليه
مما صنعتم وسلوه التوبة على من تركتم وراءكم من قومكم صوموا وتطهروا وطهروا ثيابكم
فخرج بهم الى طور سيناء لميقات وقته له ربه وكان لا يأتيه الا باذن منه وعلم فقال له وطلب
منه السبعون ان يسمعوا كلام الله فقال افعل فلما دنا موسى من الجبل وقع عليه عمود الغمام
حتى تغشى الجبل كله ودنا موسى فدخل في الغمام وقال للقوم ادنوا وكان موسى اذا كلمه
الله وقع على جبهته نور ساطع لا يستطيع احد من بني آدم ان ينظر اليه فضرب دونه الحجاب
ودنا القوم حتى اذا دخلوا في الغمام وقعوا سجودا فسمعوه وهو يكلم موسى يأمره وينهاه
افعل ولا تفعل فلما فرغ الله من امره وانكشف عن موسى الغمام واقبل عليهم قالوا لموسى لن نؤمن
لك حتى نرى الله جهرة فأخذتهم الرجفة وهي الصاعقة فالتقت ارواحهم فماتوا جميعا
فقام موسى يناشد ربه ويدعوه ويرغب اليه ويقول رب لو شئت اهلكتهم من قبل واياي
اتهلكنا بما فعل السفهاء منا اي لا تؤاخذنا بما عمل السفهاء الذين عبدوا العجل منا فانا
براء مما عملوا وقال ابن عباس ومجاهد وقتادة وابن جريج انما اخذتهم الرجفة لانهم لم ينهوا
قومهم عن عبادة العجل وقوله ان هي الا فتنتك اي ابتلاؤك واختبارك وامتحانك
قاله ابن عباس وسعيد بن جبير وابو العالية والربيع بن انس وغير واحد من علماء السلف
والخلف يعني انت الذي قدرت هذا وخلقت ما كان من امر العجل اختبارا تختبرهم به كما
قال لهم هارون من قبل يا قوم انما فتنتم به اي اختبرتم به ولهذا قال تضل بها من تشاء
وتهدي من تشاء اي من شئت اضللته باختبارك اياه ومن شئت هديته لك الحكم
والمشيئة ولا رادّ لما حكمت وقضيت انت ولينا فاغفر لنا وارحمنا وانت خير الغافرين
واكتب لنا في هذه الدنيا حسنة وفي الآخرة انا هدنا اليك اي تبنا اليك ورجعنا
وانبنا قاله ابن عباس ومجاهد وسعيد بن جبير وابو العالية وابراهيم التيمي والضحاك
والسدي وقتادة وغير واحد وهو كذلك في اللغة قال عذابي اصيب به من اشاء ورحمتي
وسعت كل شيء اي انا اعذب من شئت بما اشاء من الامور التي اخلقها واقدرها فسأكتبها
للذين يتقون ويؤتون الزكاة والذين هم بآياتنا يؤمنون اي فسأوجبها حتما لمن اتصف
بهذه الصفات الذين يتبعون الرسول النبي الامي الآية وهذا فيه تنويه بذكر محمد صلى
الله عليه وسلم واستيثاق من الله لموسى عليه السلام في جملة ما ناجاه به واعلمه واطلعه عليه
وقد قال ورحمتي وسعت كل شيء كما ثبت في الصحيحين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
انه قال ان الله لما فرغ من خلق السموات والارض كتب كتابا فهو موضوع عنده فوق
العرش وقد تكلمنا على هذه الآية وما يعمها في التفسير بما فيه كفاية ومقنع ولله الحمد
والمنة وقال قتادة قال موسى يا رب اجد في الالواح امة خير امة اخرجت للناس يأمرون
بالمعروف وينهون عن المنكر رب اجعلهم امتي قال تلك امة احمد قال رب اني اجد في الالواح
امة هم الآخرون في الخلق السابقون في دخول الجنة رب اجعلهم امتي قال تلك امة احمد قال
رب اني اجد في الالواح امة اناجيلهم في صدورهم يقرؤونها وكان من قبلهم يقرؤون كتابهم

نظر احدا اذا رفعوها لم يحفظوا شيئا ولم يعرفوه وان الله اعطاكم ايها الامة من الحفظ شيئا لم
يعطه احدا من الامم قال رب اجعلهم امتي قال تلك امة احمد قال رب اني اجد في الالواح امة
يؤمنون بالكتاب الاول وبالكتاب الآخر ويقاتلون فضول الضلالة حتى يقاتلوا الاعور الكذاب
فاجعلهم امتي قال تلك امة احمد قال رب اني اجد في الالواح امة صدقاتهم يأكلونها في بطونهم
ويؤجرون عليها وكان من قبلهم اذا تصدق بصدقة فقبلت منه بعث الله عليها نارا فاكلتها
وان ردت عليه تركت فتأكلها السباع والطير وان الله اخذ صدقاتهم من غنيهم لفقيرهم
قال رب فاجعلهم امتي قال تلك امة احمد قال رب فاني اجد في الالواح امة اذا هم احدهم
بحسنة ثم لم يعملها كتبت له حسنة فان عملها كتبت له عشر امثالها الى سبعمائة ضعف
قال رب اجعلهم امتي قال تلك امة احمد قال رب اني اجد في الالواح امة هم المشفعون المشفوع
لهم فاجعلهم امتي قال تلك امة احمد قال قتادة فذكر لنا ان موسى عليه السلام نبذ الالواح
وقال اللهم اجعلني من امة احمد وقد ذكر كثير من الناس ما كان من مناجاة موسى عليه السلام واوردوا
اشياء كثيرة لا اصل لها ونحن نذكر ما تيسر ذكره من الاحاديث والآثار بعون الله وتوفيقه
وحسن هدايته ومعونته وتأييده قال الحافظ ابو حاتم محمد بن حبان في صحيحه ذكر
سؤال الكليم ربه عز وجل عن ادنى اهل الجنة منزلة وارفعهم منزلة اخبرنا عمر بن سعيد
الطائي بمنبج ثنا حامد بن يحيى البلخي ثنا سفيان ثنا مطرف بن طريف وعبد الملك بن ابجر
شيخان صالحان سمعا الشعبي يقول سمعت المغيرة بن شعبة يقول على المنبر عن النبي صلى
الله عليه وسلم ان موسى عليه السلام سأل ربه عز وجل اي اهل الجنة ادنى منزلة فقال
رجل يجيء بعد ما يدخل اهل الجنة الجنة فيقال له ادخل الجنة فيقول كيف ادخل الجنة وقد نزل
الناس منازلهم واخذوا اخذاتهم فيقال له اترضى ان يكون لك من الجنة مثل ما كان لملك من ملوك
الدنيا فيقول نعم اي رب فيقال لك هذا ومثله معه فيقول اي رب رضيت فيقال
له ان لك هذا وعشرة امثاله فيقول اي رب رضيت فيقال له لك مع هذا ما اشتهت
نفسك ولذت عينك وسأل ربه اي اهل الجنة ارفع منزلة قال سأحدثك عنهم غرست
كرامتهم بيدي وختمت عليها فلا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ومصداق
ذلك في كتاب الله عز وجل فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين الآية وهكذا رواه مسلم
والترمذي كلاهما عن ابن ابي عمر عن سفيان بن عيينة به ولفظ مسلم فيقال له اترضى
ان يكون لك مثل ملك ملك من ملوك الدنيا فيقول رضيت رب فيقول لك ذلك ومثله
ومثله ومثله ومثله فيقول في الخامسة رضيت رب فيقال هذا لك وعشرة امثاله
ولك ما اشتهت نفسك ولذت عينك فيقول رضيت رب قال رب فاعلاهم منزلة قال
اولئك الذين اردت غرست كرامتهم بيدي وختمت عليها فلم تر عين ولم تسمع اذن ولم يخطر
على قلب بشر قال ومصداقه من كتاب الله فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين جزاء
بما كانوا يعملون وقال الترمذي حسن صحيح قال ورواه بعضهم عن الشعبي عن المغيرة
فلم يرفعه والمرفوع اصح وقال ابن حبان ذكر سؤال الكليم ربه عن خصال سبع حدثنا عبد الله
بن محمد بن سلم ببيت المقدس ثنا حرملة بن يحيى ثنا ابن وهب اخبرني عمرو بن الحارث ان ابا
السمح حدثه عن ابي حجيرة عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال سأل موسى ربه
عز وجل عن ست خصال كان يظن انها له خالصة والسابعة لم يكن موسى يحبها قال يا رب

اي عبادك

اي عبادك اتقى قال الذي يذكر ولا ينسى قال فاي عبادك اهدى قال الذي يتبع الهدى قال
فاي عبادك احكم قال الذي يحكم للناس كما يحكم لنفسه قال فاي عبادك اعلم قال
عالم لا يشبع من العلم يجمع علم الناس الى علمه قال فاي عبادك اعز قال الذي اذا قدر غفر
قال فاي عبادك اغنى قال الذي يرضى بما يؤتى قال فاي عبادك افقر قال صاحب منقوص
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس الغنى عن ظهر انما الغنى غنى النفس واذا اراد الله
بعبد خيرا جعل غناه في نفسه وتقاه في قلبه واذا اراد الله بعبد شرا جعل فقره بين عينيه
قال ابن حبان قوله صاحب منقوص يريد به منقوص حاله يستقل ما اوتي ويطلب الفضل
وقد رواه ابن جرير في تاريخه عن ابن حميد عن يعقوب القمي عن هارون بن عنترة عن ابيه
عن ابن عباس قال سأل موسى ربه عز وجل فذكر نحوه وفيه قال اي رب فاي عبادك اعلم
قال الذي اعلم قال الذي يبتغي علم الناس الى علمه عسى ان يصيب كلمة تهديه الى هدى او ترده
عن ردى قال اي رب فهل في الارض احد اعلم مني قال نعم الخضر فسأل السبيل الى لقيه
فكان ما سنذكره ان شاء الله وبه المنة

ذكر حديث آخر في معنى ما ذكره ابن حبان

قال الامام احمد ثنا يحيى بن اسحق ثنا ابن لهيعة عن دراج عن ابي الهيثم عن ابي سعيد
الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان موسى قال اي رب عبدك المؤمن مقتر
عليه في الدنيا قال فيفتح له باب من الجنة فينظر اليها قال يا موسى هذا ما اعددت له فقال
موسى يا رب وعزتك وجلالك لو كان مقطع اليدين والرجلين يسحب على وجهه منذ يوم
خلقته الى يوم القيامة وكان هذا مصيره لم ير بؤسا قط قال ثم قال اي رب عبدك الكافر
موسع عليه في الدنيا قال فيفتح له باب الى النار فيقال يا موسى هذا ما اعددت له فقال
اي رب وعزتك وجلالك لو كانت له الدنيا منذ يوم خلقته الى يوم القيامة وكان هذا مصيره
لم ير خيرا قط تفرد به احمد من هذا الوجه وفي صحته نظر والله اعلم وقال ابن حبان

ذكر سؤال الكليم ربه جل وعلا ان يعلمه شيئا يذكره به

حدثنا ابن سلم ثنا حرملة بن يحيى ثنا ابن وهب اخبرني عمرو بن الحارث ان دراجا حدثه عن
ابي الهيثم عن ابي سعيد عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال قال موسى يا رب علمني شيئا
اذكرك به وادعوك به قال قل يا موسى لا اله الا الله قال يا رب كل عبادك يقول هذا
قال قل لا اله الا الله قال انما اريد شيئا تخصني به قال يا موسى لو ان اهل السموات
والارضين في كفة ولا اله الا الله في كفة مالت بهم لا اله الا الله ويشهد لهذا الحديث
حديث البطاقة واقرب شيء الى معناه الحديث المروي في السنن عن النبي صلى الله عليه
وسلم انه قال افضل الدعاء دعاء عرفة وافضل ما قلت انا والنبيون من قبلي لا اله الا الله
وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير وقال ابن ابي حاتم عند تفسير آية الكرسي
حدثنا احمد بن القسم بن عطية ثنا احمد بن عبد الرحمن الدستكي حدثني ابي عن ابيه ثنا
اشعث بن اسحق عن جعفر بن ابي المغيرة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس ان بني اسرائيل قالوا
لموسى هل ينام ربك قال اتقوا الله فناداه ربه عز وجل يا موسى سألوك هل ينام ربك فخذ
زجاجتين في يديك فقم الليل ففعل موسى فلما ذهب من الليل ثلث نعس فوقع لركبتيه
ثم انتعش فضبطهما حتى اذا كان آخر الليل سقطت الزجاجتان فانكسرتا فقال يا موسى

لو كنت انام لسقطت السموات والارض فهلكن كما هلكت الزجاجتان في يديك قال
وانزل الله على رسوله اية الكرسي وقال ابن جرير ثنا اسحق بن ابي اسرائيل ثنا هشام بن
يوسف عن امية بن شبل عن الحكم بن ابان عن عكرمة عن ابي هريرة قال سمعت رسول الله صلى
الله عليه وسلم يحكي عن موسى عليه السلام على المنبر قال وقع في نفس موسى عليه السلام هل
ينام الله عز وجل فارسل الله اليه ملكا فارقه ثلاثا ثم اعطاه قارورتين في كل يد قارورة
وامره ان يحتفظ بهما قال فجعل ينام وكادت يداه تلتقيان فيستيقظ فيحبس احداهما على
الاخرى حتى نام نومة فاصطفقت يداه فانكسرت القارورتان قال
ضرب الله له مثلا ان لو كان ينام لم تستمسك السماء والارض وهذا حديث غريب رفعه
والاشبه ان يكون موقوفا وان يكون اصله اسرائيليا وقال الله تعالى واذ اخذنا ميثاقكم ورفعنا
فوقكم الطور خذوا ما اتيناكم بقوة واذكروا ما فيه لعلكم تتقون ثم توليتم من بعد ذلك فلولا
فضل الله عليكم ورحمته لكنتم من الخاسرين وقال تعالى واذ نتقنا الجبل فوقهم كانه ظلة
وظنوا انه واقع بهم خذوا ما اتيناكم بقوة واذكروا ما فيه لعلكم تتقون قال ابن عباس
وغير واحد من السلف لما جاءهم موسى بالالواح فيها التوراة امرهم بقبولها والاخذ بها بقوة
وعزم فقالوا انشرها علينا فان كانت اوامرها ونواهيها سهلة قبلناها فقال بل
اقبلوها بما فيها فراجعوه مرارا فامر الله الملائكة فرفعوا الجبل على رؤوسهم حتى صار كانه ظلة
اي غمامة على رؤوسهم وقيل لهم ان لم تقبلوها بما فيها والا سقط ذلك الجبل عليكم وامروا بالسجود
فسجدوا وجعلوا ينظرون الى الجبل بشق وجوههم فصارت سنة لليهود الى اليوم يقولون
لا اعظم من سجدة رفعت عنا العذاب وقال سنيد بن داود عن حجاج بن محمد عن ابي بكر بن
عبد الله قال فلما نشرها لم يبق على وجه الارض جبل ولا شجر ولا حجر الا اهتز فليس على وجه الارض
يهودي صغير ولا كبير تقرا عليه التوراة الا اهتز ونفض لها راسه قال الله تعالى ثم توليتم
من بعد ذلك اي ثم بعد مشاهدة هذا الميثاق العظيم والامر الجسيم نكثتم عهودكم ومواثيقكم
فلولا فضل الله عليكم ورحمته بان تدارككم بالارسال اليكم وانزال الكتب عليكم لكنتم من
الخاسرين

قصة بقرة بني اسرائيل

قال الله تعالى واذ قال موسى لقومه ان الله يامركم ان تذبحوا بقرة قالوا اتتخذنا هزوا قال
اعوذ بالله ان اكون من الجاهلين قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هي قال انه يقول انها بقرة لا فارض
ولا بكر عوان بين ذلك فافعلوا ما تؤمرون قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما لونها قال انه
يقول انها بقرة صفراء فاقع لونها تسر الناظرين قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هي ان البقر
تشابه علينا وانا ان شاء الله لمهتدون قال انه يقول انها بقرة لا ذلول تثير الارض ولا تسقي
الحرث مسلمة لا شية فيها قالوا الان جئت بالحق فذبحوها وما كادوا يفعلون واذ قتلتم
نفسا فادارأتم فيها والله مخرج ما كنتم تكتمون فقلنا اضربوه ببعضها كذلك يحيي الله
الموتى ويريكم اياته لعلكم تعقلون قال ابن عباس وعبيدة السلماني وابو العالية ومجاهد
والسدي وغير واحد من السلف كان رجل في بني اسرائيل كثير المال وكان شيخا كبيرا وله بنو اخ
وكانوا يتمنون موته ليرثوه فعمد احدهم فقتله في الليل وطرحه في مجمع الطرق ويقال على
باب رجل منهم فلما اصبح الناس اختصموا فيه وجاء ابن اخيه فجعل يصرخ ويتظلم فقالوا ما لكم تختصمون
ولا تاتون نبي الله فجاء ابن اخيه فشكى امر عمه الى رسول الله موسى صلى الله عليه وسلم فقال

موسى عليه السلام انشد الله رجلا عنده علم من امر هذا القتيل الا اعلمنا به فلم يكن عند احد علم منه
وسالوه ان يسال في هذه القضية ربه عز وجل في ذلك فامره الله ان يامرهم بذبح بقرة فقال
ان الله يامركم ان تذبحوا بقرة قالوا اتتخذنا هزوا يعنون نحن نسالك عن امر هذا القتيل وانت
تقول لنا هذا قال اعوذ بالله ان اكون من الجاهلين اي اعوذ بالله ان اقول عنه غير ما اوحى الي
وهذا هو الذي اجابني حين سالته عما سالتموني ان اسال له فيه قال ابن عباس وعبيدة ومجاهد
وعكرمة والسدي وابو العالية وغير واحد فلو انهم عمدوا الى اي بقرة فذبحوها لحصل المقصود
منها ولكنهم شددوا فشدد الله عليهم وقد ورد فيه حديث مرفوع وفي اسناده ضعف
فسالوا عن صفتها ثم عن لونها ثم عن سنها فاجيبوا بما عز وجوده عليهم وقد ذكرنا تفسير
ذلك كله في التفسير والمقصود انهم امروا بذبح بقرة عوان وهي الوسط بين النصف
الفارض وهي الكبيرة والبكر وهي الصغيرة قاله ابن عباس وابو العالية ومجاهد وعكرمة والحسن
وقتادة وجماعة ثم شددوا وضيقوا على انفسهم فسالوا عن لونها فامروا بصفراء فاقع لونها
اي مشرب بحمرة تسر الناظرين وهذا اللون عزيز ثم شددوا ايضا فقالوا ادع لنا ربك يبين
لنا ما هي ان البقر تشابه علينا وانا ان شاء الله لمهتدون وفي الحديث المرفوع الذي رواه ابن
ابي حاتم وابن مردويه لولا ان بني اسرائيل استثنوا لما اعطوا وفي صحته نظر والله اعلم قال
انه يقول انها بقرة لا ذلول تثير الارض ولا تسقي الحرث مسلمة لا شية فيها قالوا الان جئت
بالحق فذبحوها وما كادوا يفعلون وهذه الصفات اضيق مما تقدم حيث امروا بذبح بقرة
ليست بالذلول وهي المذللة بالحراثة وسقي الحرث بالساقية مسلمة وهي الصحيحة التي لا عيب
فيها قاله ابو العالية وقتادة وقوله لا شية فيها اي ليس فيها لون يخالف لونها بل هي مسلمة
من العيوب ومن مخالطة سائر الالوان غير لونها فلما حددها بهذه الصفات وحصرها
بهذه النعوت والاوصاف قالوا الان جئت بالحق ويقال انهم لم يجدوا البقرة بهذه الصفة
الا عند رجل منهم كان بارا بابيه فطلبوها منه فابى عليهم فارغبوه في ثمنها حتى اعطوه فيما
ذكره السدي بوزنها ذهبا فابى عليهم حتى اعطوه بوزنها عشر مرات فباعها منهم فامرهم نبي
الله موسى بذبحها فذبحوها وما كادوا يفعلون اي وهم يترددون في امرها ثم امرهم عن الله
ان يضربوا ذلك القتيل ببعضها قيل بلحم فخذها وقيل بالعظم الذي يلي الغضروف
وقيل بالبضعة التي بين الكتفين فلما ضربوه ببعضها احياه الله تعالى فقام وهو
يشخب اوداجه فساله نبي الله موسى من قتلك قال قتلني ابن اخي ثم عاد ميتا كما كان قال
الله تعالى كذلك يحيي الله الموتى ويريكم اياته لعلكم تعقلون اي كما شاهدتم احياء
هذا القتيل عن امر الله كذلك امره في سائر الموتى اذا شاء احياهم في ساعة واحدة
كما قال ما خلقكم ولا بعثكم الا كنفس واحدة

قصة موسى والخضر عليهما السلام

قال الله تعالى واذ قال موسى لفتاه لا ابرح حتى ابلغ مجمع البحرين او امضي حقبا فلما
بلغا مجمع بينهما نسيا حوتهما فاتخذ سبيله في البحر سربا فلما جاوزا قال لفتاه اتنا
غداءنا لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا قال ارايت اذ اوينا الى الصخرة فاني نسيت الحوت
وما انسانيه الا الشيطان ان اذكره واتخذ سبيله في البحر عجبا قال ذلك ما كنا نبغ
فارتدا على اثارهما قصصا فوجدا عبدا من عبادنا اتيناه رحمة من عندنا وعلمناه من

لدنا علما قال له موسى هل اتبعك على ان تعلمن مما علمت رشدا قال انك لن تستطيع معي صبرا
وكيف تصبر على ما لم تحط به خبرا قال ستجدني ان شاء الله صابرا ولا اعصي لك امرا قال فان
اتبعتني فلا تسالني عن شيء حتى احدث لك منه ذكرا فانطلقا حتى اذا ركبا في السفينة خرقها
قال اخرقتها لتغرق اهلها لقد جئت شيئا امرا قال الم اقل انك لن تستطيع معي صبرا
قال لا تؤاخذني بما نسيت ولا ترهقني من امري عسرا فانطلقا حتى اذا لقيا غلاما فقتله قال
اقتلت نفسا زكية بغير نفس لقد جئت شيئا نكرا قال الم اقل لك انك لن تستطيع معي
صبرا قال ان سالتك عن شيء بعدها فلا تصاحبني قد بلغت من لدني عذرا فانطلقا حتى اذا
اتيا اهل قرية استطعما اهلها فابوا ان يضيفوهما فوجدا فيها جدارا يريد ان ينقض فاقامه
قال لو شئت لتخذت عليه اجرا قال هذا فراق بيني وبينك سانبئك بتاويل ما لم تستطع
عليه صبرا اما السفينة فكانت لمساكين يعملون في البحر فاردت ان اعيبها وكان وراءهم ملك
ياخذ كل سفينة غصبا واما الغلام فكان ابواه مؤمنين فخشينا ان يرهقهما طغيانا وكفرا
فاردنا ان يبدلهما ربهما خيرا منه زكاة واقرب رحما واما الجدار فكان لغلامين يتيمين في المدينة
وكان تحته كنز لهما وكان ابوهما صالحا فاراد ربك ان يبلغا اشدهما ويستخرجا كنزهما رحمة
من ربك وما فعلته عن امري ذلك تاويل ما لم تسطع عليه صبرا قال بعض اهل الكتاب
ان موسى هذا الذي رحل الى الخضر هو موسى بن ميشا بن يوسف بن يعقوب بن ابراهيم الخليل
وتابعهم على ذلك بعض من ياخذ عن صحفهم وينقل عن كتبهم منهم نوف بن فضالة الحميري
الشامي ويقال انه دمشقي وكانت امه زوجة كعب الاحبار والصحيح الذي دل عليه ظاهر
سياق القران ونص الحديث الصريح المتفق عليه انه موسى بن عمران صاحب بني اسرائيل قال
البخاري ثنا الحميدي عن سفيان ثنا عمرو بن دينار اخبرني سعيد بن جبير قال قلت لابن عباس
ان نوفا البكالي يزعم ان موسى صاحب الخضر ليس هو موسى صاحب بني اسرائيل قال
ابن عباس كذب عدو الله حدثنا ابي بن كعب انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
ان موسى قام خطيبا في بني اسرائيل فسئل اي الناس اعلم فقال انا فعتب الله عليه اذ لم
يرد العلم اليه فاوحى الله اليه ان لي عبدا بمجمع البحرين هو اعلم منك قال موسى يا رب وكيف
لي به قال تاخذ معك حوتا فتجعله بمكتل فحيثما فقدت الحوت فهو ثم فاخذ حوتا فجعله
بمكتل ثم انطلق وانطلق معه بفتاه يوشع بن نون حتى اذا اتيا الصخرة وضعا رؤسهما
فناما واضطرب الحوت في المكتل فخرج منه فسقط في البحر واتخذ سبيله في البحر سربا وامسك
الله عن الحوت جرية الماء فصار عليه مثل الطاق فلما استيقظ نسي صاحبه ان يخبره
بالحوت فانطلقا بقية يومهما وليلتهما حتى اذا كان من الغد قال موسى لفتاه اتنا غداءنا
لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا ولم يجد موسى النصب حتى جاوز المكان الذي امره الله به قال
له فتاه ارايت اذ اوينا الى الصخرة فاني نسيت الحوت وما انسانيه الا الشيطان ان
اذكره واتخذ سبيله في البحر عجبا قال فكان للحوت سربا ولموسى عجبا فقال ذلك ما كنا
نبغي فارتدا على اثارهما قصصا قال رجعا يقصان اثرهما حتى انتهيا الى الصخرة فاذا
رجل مسجى بثوب فسلم عليه موسى فقال الخضر واني بارضك السلام قال انا موسى قال
موسى بني اسرائيل قال نعم اتيتك لتعلمني مما علمت رشدا قال انك لن تستطيع معي صبرا
يا موسى اني على علم من علم الله علمنيه لا تعلمه انت وانت على علم من علم الله علمكه الله تعالى

موسى

موسى ستجدني ان شاء الله صابرا ولا اعصي لك امرا قال له الخضر فان اتبعتني فلا تسالني
عن شيء حتى احدث لك منه ذكرا فانطلقا يمشيان على ساحل البحر فمرت سفينة فكلموهم ان
يحملوهم فعرفوا الخضر فحملوهما بغير نول فلما ركبا في السفينة لم يفجا الا والخضر قد قلع لوحا
من الواح السفينة بالقدوم فقال له موسى قوم حملونا بغير نول عمدت الى سفينتهم فخرقتها لتغرق
اهلها لقد جئت شيئا امرا قال الم اقل انك لن تستطيع معي صبرا قال لا تؤاخذني بما نسيت
ولا ترهقني من امري عسرا قال وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانت الاولى من موسى
نسيانا قال وجاء عصفور فوقع على حرف السفينة فنقر في البحر نقرة فقال له الخضر ما علمي
وعلمك في علم الله الا مثل ما نقص هذا العصفور من هذا البحر ثم خرجا من السفينة فبينما
هما يمشيان على الساحل اذ ابصر الخضر غلاما يلعب مع الغلمان فاخذ الخضر راسه بيده فاقتلعه
بيده فقتله فقال له موسى اقتلت نفسا زكية بغير نفس لقد جئت شيئا نكرا قال الم اقل
لك انك لن تستطيع معي صبرا قال وهذه اشد من الاولى قال ان سالتك عن شيء بعدها فلا
تصاحبني قد بلغت من لدني عذرا فانطلقا حتى اذا اتيا اهل قرية استطعما اهلها فابوا
ان يضيفوهما فوجدا فيها جدارا يريد ان ينقض فاقامه فقال له موسى قوم اتيناهم فلم
يطعمونا ولم يضيفونا لو شئت لتخذت عليه اجرا قال هذا فراق بيني وبينك سانبئك
بتاويل ما لم تستطع عليه صبرا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وددنا ان موسى كان
صبر حتى يقص الله علينا من خبرهما قال سعيد بن جبير كان ابن عباس يقرا وكان امامهم
ملك ياخذ كل سفينة صالحة غصبا وكان يقرا واما الغلام فكان كافرا وكان ابواه مؤمنين
ثم رواه البخاري ايضا عن قتيبة عن سفيان بن عيينة باسناده نحوه وفيه فخرج موسى
ومعه فتاه يوشع بن نون ومعهما الحوت حتى انتهيا الى الصخرة فنزلا عندها قال
فوضع موسى راسه فنام قال سفيان وفي حديث غير عمرو قال وفي اصل الصخرة عين يقال
لها الحياة لا يصيب من مائها شيء الا حيي فاصاب الحوت من ماء تلك العين قال فتحرك وانسل
من المكتل ودخل البحر فلما استيقظ قال موسى لفتاه اتنا غداءنا الاية قال وساق
الحديث وقال ووقع عصفور على حرف السفينة فغمس منقاره في البحر فقال الخضر
لموسى ما علمي وعلمك وعلم الخلائق في علم الله الا مقدار ما غمس هذا العصفور منقاره وذكر
تمام الحديث وقال البخاري ثنا ابراهيم بن موسى ثنا هشام بن يوسف ان ابن جريج
اخبرهم قال اخبرني يعلى بن مسلم وعمرو بن دينار عن سعيد بن جبير يزيد احدهما على صاحبه
وغيرهما قد سمعته يحدث عن سعيد بن جبير قال انا لعند ابن عباس في بيته اذ قال
سلوني فقلت اي ابا عباس جعلني الله فداك بالكوفة رجل قاص يقال له نوف يزعم
انه ليس بموسى بني اسرائيل اما عمرو فقال لي قال كذب عدو الله واما يعلى فقال لي قال
ابن عباس حدثني ابي بن كعب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم موسى رسول الله ذكر
الناس يوما حتى اذا فاضت العيون ورقت القلوب ولى فادركه رجل فقال اي رسول
الله هل في الارض احد اعلم منك قال لا فعتب الله عليه اذ لم يرد العلم الى الله قيل بلى قال
اي رب فاين قال بمجمع البحرين قال اي رب اجعل لي علما اعلم ذلك به قال لي عمرو
حيث يفارقك الحوت وقال لي يعلى خذ حوتا ميتا حيث ينفخ فيه الروح فاخذ حوتا فجعله
في مكتل فقال لفتاه لا اكلفك الا ان تخبرني بحيث يفارقك الحوت قال ما كلفت

كبيرا انه ذلك نحو له واذ قال موسى لفتاه يوشع بن نون لم يسم عن سعيد بن جبير قال
فبينما موسى في ظل صخرة في مكان ثريان اذ ضرب الحوت وموسى نائم فقال فتاه لا اوقظه
حتى اذا استيقظ نسي ان يخبره وضرب الحوت حتى دخل البحر فامسك الله عنه جرية الماء
حتى كان اثره في حجر قال لي عمرو هكذا كان اثره في حجر وحلق بين ابهاميه والتي
يليهما لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا قال وقد قطع الله عنك النصب ليست هذه
عن سعيد اخبره فرجعا فوجدا خضرا قال لي عثمان بن ابي سليمان على طنفسة خضراء
على كبد البحر قال سعيد مسجى بثوب قد جعل طرفه تحت رجليه وطرفه تحت راسه فسلم
عليه موسى فكشف عن وجهه وقال هل بارضي من سلام من انت قال انا موسى قال موسى بني
اسرائيل قال نعم قال فما شانك قال جئتك لتعلمني مما علمت رشدا قال اما يكفيك ان
التوراة بيديك وان الوحي ياتيك يا موسى ان لي علما لا ينبغي لك ان تعلمه وان لك علما
لا ينبغي لي ان اعلمه فاخذ طائر بمنقاره من البحر فقال والله ما علمي وعلمك في جنب علم
الله الا كما اخذ هذا الطائر بمنقاره من البحر حتى اذا ركبا في السفينة وجدا معابر صغارا تحمل
اهل هذا الساحل الى اهل هذا الساحل الاخر عرفوه فقالوا عبد الله الصالح قال فقلنا
لسعيد خضر قال نعم لا نحمله باجر فخرقها ووتد فيها وتدا قال موسى اخرقتها لتغرق اهلها
لقد جئت شيئا امرا قال مجاهد منكرا قال الم اقل انك لن تستطيع معي صبرا كانت
الاولى نسيانا والوسطى شرطا والثالثة عمدا قال لا تؤاخذني بما نسيت ولا ترهقني
من امري عسرا لقيا غلاما فقتله قال يعلى قال سعيد وجد غلمانا يلعبون فاخذ
غلاما كافرا ظريفا فاضجعه ثم ذبحه بالسكين قال اقتلت نفسا زكية لم تعمل بالحنث
ابن عباس قراها زكية زاكية مسلمة كقولك غلاما زكيا فانطلقا فوجدا جدارا يريد ان
ينقض فاقامه قال بيده هكذا ودفع يده فاستقام قال يعلى حسبت ان سعيدا قال
فمسحه بيده فاستقام قال لو شئت لاتخذت عليه اجرا قال سعيد اجرا ناكله وكان
وراءهم ملك وكان امامهم قراها ابن عباس امامهم ملك يزعمون عن غير سعيد انه هدد بن
بدد والغلام المقتول يزعمون جيسور ملك ياخذ كل سفينة غصبا فاذا هي مرت به ان
يدعها بعيبها فاذا جاوزوا اصلحوها فانتفعوا بها منهم من يقول سدوها بقارورة ومنهم
من يقول بالقار كان ابواه مؤمنين وكان كافرا فخشينا ان يرهقهما طغيانا وكفرا
ان يحملهما حبه على ان يتابعاه على دينه فاردنا ان يبدلهما ربهما خيرا منه زكاة لقوله اقتلت
نفسا زكية واقرب رحما هما به ارحم منهما بالاول الذي قتل الخضر وزعم عن سعيد بن
جبير انهما ابدلا جارية واما داود ابن ابي عاصم فقال عن غير واحد انها جارية وقد رواه
عبد الرزاق عن معمر عن ابي اسحاق عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال خطب موسى بني
اسرائيل فقال ما احد اعلم بالله وبامره مني فامر ان يلقى هذا الرجل فذكر نحو ما تقدم وهكذا
رواه محمد بن اسحق عن الحسن بن عمارة عن الحكم بن عتيبة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس
عن ابي بن كعب عن رسول الله كنحو ما تقدم ورواه العوفي عنه موقوفا وقال الزهري
عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة عن ابن عباس انه تمارى هو والحر بن قيس بن حصن
الفزاري في صاحب موسى فقال ابن عباس هو خضر فمر بهما ابي بن كعب فدعاه ابن عباس
فقال اني تماريت انا وصاحبي هذا في صاحب موسى الذي سال السبيل الى لقيه فهل سمعت

من رسول الله فيه شيئا قال نعم وذكر الحديث وقد تقصينا طرق هذا الحديث والفاظه
في تفسير سورة الكهف ولله الحمد وقوله واما الجدار فكان لغلامين يتيمين في المدينة
قال السهيلي هما اصرم وصريم ابنا كاشح وكان تحته كنز لهما قيل كان ذهبا قاله عكرمة وقيل
علما قاله ابن عباس والاشبه انه كان لوح من ذهب مكتوب فيه علم قال البزار ثنا ابراهيم بن
سعيد الجوهري ثنا بشر بن المنذر ثنا الحرث بن عبد الله اليحصبي عن عياش بن عباس القتباني
عن ابن حجيرة عن ابي ذر رفعه قال ان الكنز الذي ذكر الله في كتابه لوح من ذهب مصمت عجبت
لمن ايقن بالقدر كيف نصب وعجبت لمن ذكر النار ثم ضحك وعجبت لمن ذكر الموت ثم غفل لا اله الا
الله وهكذا روي عن الحسن البصري وعمر مولى غفرة وجعفر الصادق نحو هذا وقوله
وكان ابوهما صالحا وقد قيل انه كان الاب السابع وقيل العاشر وعلى كل تقدير فيه دلالة
على ان الرجل الصالح يحفظ في ذريته فالله المستعان وقوله رحمة من ربك دليل على انه
كان نبيا وانه ما فعل شيئا من تلقاء نفسه بل بامر ربه فهو نبي وقيل رسول واغرب من هذا
من قال كان ملكا والله اعلم تلك وقد اغرب جدا من قال هو ابن فرعون وقيل انه ابن الضحاك
الذي ملك الدنيا الف سنة قال ابن جرير والذي عليه جمهور اهل الكتاب انه كان في زمن
افريدون ويقال انه كان على مقدمة ذي القرنين الذي قيل انه افريدون وذو الفرس هو
الذي كان في زمن الخليل وزعموا انه شرب من ماء الحيوة فخلد وهو باق الى الان قال
وقيل انه من ولد بعض من امن بابراهيم وهاجر معه من ارض بابل وقيل اسمه ملكان وقيل
ارميا بن حلقيا وقيل كان نبيا في زمن سباسب بن لهراسب قال ابن جرير وقد كان بين
افريدون وبين سباسب دهور طويلة لا يجهلها احد من اهل العلم بالانساب قال
ابن جرير والصحيح انه كان في زمن افريدون واستمر حيا الى ان ادرك موسى عليه السلام
وكانت نبوة موسى في زمن منوشهر الذي هو من ولد ايرج بن افريدون احد ملوك الفرس
وكان الية الملك بعد جده افريدون لعهده اليه وكان عادلا وهو اول من خندق الخنادق
واول من جعل في كل قرية دهقانا وكانت مدة ملكه قريبا من مائة وخمسين سنة ويقال
انه كان من سلالة اسحاق بن ابراهيم وقد ذكر عنه من الخطب الحسان والكلام البليغ النافع
الفصيح ما يبهر العقل ويحير السامع وهذا يدل على انه من سلالة الخليل والله اعلم
وقد قال الله تعالى واذ اخذ الله ميثاق النبيين لما اتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم
رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه قال ااقررتم الاية فاخذ الله ميثاق كل نبي على
ان يؤمن بمن يجيء بعده من الانبياء وينصره واستلزم ذلك الايمان واخذ الميثاق لمحمد
صلى الله عليه وسلم لانه خاتم الانبياء فحق على كل نبي ادركه ان يؤمن به وينصره فلو كان الخضر
حيا في زمانه لما وسعه الا اتباعه والاجتماع به والقيام بنصره ولكان من جملة من تحت لوائه
يوم بدر كما كان تحتها جبريل وسادات من الملائكة وقصارى الخضر عليه السلام ان يكون نبيا وهو
الحق او رسولا فيما قيل او ملكا فيما ذكر واياما كان فجبريل رئيس الملائكة وموسى اشرف من
الخضر ولو كان حيا لوجب عليه الايمان بمحمد ونصرته فكيف ان كان الخضر وليا كما يقوله طوائف
كثيرون فاولى ان يدخل في عموم البعثة واحرى ولم ينقل في حديث حسن بل ولا ضعيف
يعتمد انه جاء يوما واحدا الى رسول الله ولا اجتمع به وما ذكر من حديث التعزية فيه نظر
وان كان الحاكم قد رواه فاسناده ضعيف والله اعلم

ذكر الحديث الملقب بحديث الفتون
المتضمن قصة موسى مبسوطة من اولها الى اخرها

قال الامام ابو عبد الرحمن النسائي في كتاب التفسير من سننه عند قوله تعالى في سورة طه
وقتلت نفسا فنجيناك من الغم وفتناك فتونا **حديث الفتون** حدثنا عبد
الله بن محمد ثنا يزيد بن هارون ثنا اصبغ بن زيد ثنا القسم بن ابي ايوب اخبرني سعيد
ابن جبير قال سالت عبد الله بن عباس عن قول الله تعالى لموسى وفتناك فتونا فسالته
عن الفتون ما هو فقال استانف النهار يا ابن جبير فان لها حديثا طويلا فلما اصبحت
غدوت الى ابن عباس لانتجز منه ما وعدني من حديث الفتون فقال تذاكر فرعون وجلساؤه
ما كان الله وعد ابراهيم عليه السلام ان يجعل في ذريته انبياء وملوكا فقال بعضهم ان بني
اسرائيل ينتظرون ذلك ما يشكون فيه وكانوا يظنون انه يوسف بن يعقوب فلما
هلك قالوا ليس هكذا كان وعد ابراهيم فقال فرعون فكيف ترون فائتمروا واجمعوا امرهم
على ان يبعث رجالا معهم الشفار يطوفون في بني اسرائيل فلا يجدون مولودا ذكرا الا ذبحوه
ففعلوا ذلك فلما راوا ان الكبار من بني اسرائيل يموتون باجالهم والصغار يذبحون قالوا
يوشكون ان تفنوا بني اسرائيل فتصيروا الى ان تباشروا من الاعمال والخدمة الذي كانوا يكفونكم
فاقتلوا عاما كل مولود ذكر فيقل نباتهم ودعوا عاما فلا يقتل منهم احد فينشا الصغار
مكان من يموت من الكبار فانهم لن يكثروا بمن يستحيون منهم فيخافوا مكاثرتهم اياكم ولن يفنوا
بمن يقتلون وتحتاجون اليهم فاجمعوا امرهم على ذلك فحملت ام موسى بهرون في العام الذي
لا يذبح فيه الغلمان فولدته علانية آمنة فلما كان من قابل حملت بموسى عليه السلام
فوقع في قلبها الهم والحزن وذلك من الفتون يا ابن جبير ما دخل عليه في بطن امه مما يراد
به فاوحى الله اليها ان لا تخافي ولا تحزني انا رادوه اليك وجاعلوه من المرسلين فامرها
اذا ولدته ان تجعله في تابوت وتلقيه في اليم فلما ولدت فعلت ذلك فلما توارى عنها
ابنها اتاها الشيطان فقالت في نفسها ما فعلت بابني لو ذبح عندي فواريته وكفنته
كان احب الي من ان القيه الى دواب البحر وحيتانه فانتهى الماء به حتى اوفى به عند فرضة
تستقي منها جواري امراة فرعون فلما راينه اخذنه فهممن ان يفتحن التابوت فقال
بعضهن ان في هذا مالا وانا ان فتحناه لم تصدقنا امراة الملك بما وجدنا فيه فحملنه
كهيئته لم يخرجوا منه شيئا حتى دفعنه اليها فلما فتحته رات فيه غلاما فالقي عليه منها
محبة لم يلق منها على احد قط واصبح فؤاد ام موسى فارغا من ذكر كل شيء الا من ذكر موسى فلما
سمع الذباحون بامره اقبلوا بشفارهم الى امراة فرعون ليذبحوه وذلك من الفتون يا ابن
جبير فقالت لهم اقروه فان هذا الواحد لا يزيد في بني اسرائيل حتى آتي فرعون فاستوهبه
منه فان وهبه لي كنتم قد احسنتم واجملتم وان امر بذبحه لم الومكم فاتت فرعون فقالت
قرة عين لي ولك فقال فرعون يكون لك فاما لي فلا حاجة لي فيه فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم والذي يحلف به لو اقر فرعون ان يكون قرة عين كما اقرت امراته لهداه الله كما
هداها ولكن حرمه ذلك فارسلت الى من حولها الى كل امراة لها لان تختار له ظئرا فجعل كلما
اخذته امراة منهن لترضعه لم يقبل على ثديها حتى اشفقت امراة فرعون ان يمتنع من
اللبن فيموت فاحزنها ذلك فامرت به فاخرج الى السوق ومجمع الناس ترجو

ان تجد

ان تجد له ظئرا تاخذه منها فلم يقبل واصبحت ام موسى والها فقالت لاخته قصي اثره
واطلبيه حتى تسمعي له ذكرا احي ابني ام قد اكلته الدواب ونسيت ما كان الله وعدها
فيه فبصرت به اخته عن جنب وهم لا يشعرون والجنب ان يسمو بصر الانسان الى شيء بعيد
وهو الى جنبه لا يشعر به فقالت من الفرح حين اعياهم الظؤورات انا ادلكم على اهل بيت
يكفلونه لكم وهم له ناصحون فاخذوها فقالوا ما يدريك ما نصحهم له هل تعرفونه حتى
شكوا في ذلك وذلك من الفتون يا ابن جبير فقالت نصحهم له وشفقتهم عليه
رغبتهم في صهر الملك ورجاء منفعة الملك فارسلوها فانطلقت الى امها فاخبرتها
الخبر فجاءت امه فلما وضعته في حجرها نزا الى ثديها فمصه حتى امتلا جنباه ريا وانطلق
البشير الى امراة فرعون يبشرونها ان قد وجدنا لابنك ظئرا فارسلت اليها فاتت بها
وبه فلما رات ما يصنع بها قالت امكثي ترضعي ابني هذا فاني لم احب شيئا حبه قط قالت
ام موسى لا استطيع ان اترك بيتي وولدي فيضيع فان طابت نفسك ان تعطينيه
فاذهب به الى بيتي فيكون معي لا آلوه خيرا فعلت فاني غير تاركة بيتي وولدي وذكرت ام
موسى ما كان الله وعدها فتعاسرت على امراة فرعون وايقنت ان الله منجز وعده فرجعت
الى بيتها من يومها وانبته الله نباتا حسنا وحفظ لما قد قضى فيه فلم يزل بنو اسرائيل
وهم في ناحية القرية ممتنعين من السخرة والظلم ما كان فيهم فلما ترعرع قالت امراة
فرعون لام موسى ازيريني ابني فوعدتها يوما تزيرها اياه فيه وقالت امراة فرعون لخزانها
وظؤورها وقهارمتها لا يبقين احد منكم الا استقبل ابني اليوم بهدية وكرامة لارى ذلك فيه
وانا باعثة امينا يحصي ما يصنع كل انسان منكم فلم تزل الهدايا والكرامة والنحل تستقبله
من حين خرج من بيت امه الى ان دخل على امراة فرعون فلما دخل عليها نحلته واكرمته
وفرحت به ونحلت امه لحسن اثرها عليه ثم قالت لآتين به فرعون فلينحلنه وليكرمنه
فلما دخلت به عليه جعله في حجره فتناول موسى لحية فرعون فمدها الى الارض فقال
الغواة من اعداء الله لفرعون الا ترى ما وعد الله ابراهيم نبيه انه زعم ان يرثك ويعلوك
ويصرعك فارسل الى الذباحين ليذبحوه وذلك من الفتون يا ابن جبير بعد كل بلاء ابتلي
به واريد به فجاءت امراة فرعون تسعى الى فرعون فقالت ما بدا لك في هذا الغلام الذي
وهبته لي فقال الا ترينه يزعم انه يصرعني ويعلوني فقالت اجعل بيني وبينك امرا
تعرف فيه الحق ائت بجمرتين ولؤلؤتين فقربهن اليه فان بطش باللؤلؤتين واجتنب
الجمرتين عرفت انه يعقل وان تناول الجمرتين ولم يرد اللؤلؤتين علمت ان احدا لا يؤثر
الجمرتين على اللؤلؤتين وهو يعقل فقرب اليه فتناول الجمرتين فانتزعهما منه مخافة
ان يحرقا يده فقالت المراة الا ترى فصرفه الله عنه بعدما كان قد هم به وكان الله بالغا فيه
امره فلما بلغ اشده وكان من الرجال لم يكن احد من آل فرعون يخلص الى احد من بني اسرائيل
بظلم ولا سخرة حتى امتنعوا كل الامتناع فبينما موسى عليه السلام يمشي في ناحية المدينة
اذا هو برجلين يقتتلان احدهما فرعوني والآخر اسرائيلي فاستغاثه الاسرائيلي على الفرعوني
فغضب موسى غضبا شديدا لانه تناوله وهو يعلم منزلته من بني اسرائيل وحفظه
لهم لا يعلم الناس الا انه من الرضاع الا ام موسى الا ان يكون الله اطلع موسى من ذلك
على ما لم يطلع عليه غيره فوكز موسى الفرعوني فقتله وليس يراهما احد الا الله عز وجل

نتركوها خ
امه خ

والاسرائيلي كتفا لموسى حين قتل الرجل هذا من عمل الشيطان انه عدو مضل مبين ثم
قال رب اني ظلمت نفسي فاغفر لي فغفر له انه هو الغفور الرحيم فاصبح في المدينة خائفا
يترقب الاخبار فاتى فرعون فقيل له ان بني اسرائيل قتلوا رجلا من آل فرعون فخذ
لنا بحقنا ولا ترخص لهم فقال ابغوني قاتله ومن يشهد عليه فان الملك وان كان صفوه
مع قومه لا يستقيم له ان يقيد بغير بينة ولا ثبت فاطلبوا لي علم ذلك آخذ لكم بحقكم
فبينما هم يطوفون لا يجدون بينة اذا موسى من الغد قد رأى ذلك الاسرائيلي يقاتل
رجلا من آل فرعون آخر فاستغاثه الاسرائيلي على الفرعوني فصادف موسى قد ندم على ما كان
منه وكره الذي رأى فغضب الاسرائيلي وهو يريد ان يبطش بالفرعوني فقال
للاسرائيلي لما فعل بالامس واليوم انك لغوي مبين فنظر الاسرائيلي الى موسى بعدما قال
له ما قال فاذا هو غضبان كغضبه بالامس الذي قتل فيه الفرعوني فخاف ان يكون
بعدما قال له انك لغوي مبين ان يكون اياه اراد ولم يكن اراده انما اراد الفرعوني
فخاف الاسرائيلي وقال يا موسى اتريد ان تقتلني كما قتلت نفسا بالامس وانما قال له
مخافة ان يكون اياه اراد موسى ليقتله فتتاركا وانطلق الفرعوني فاخبرهم بما سمع
من الاسرائيلي من الخبر حين يقول اتريد ان تقتلني كما قتلت نفسا بالامس فارسل فرعون
الذباحين ليقتلوا موسى فاخذ رسل فرعون الطريق الاعظم يمشون على هينتهم يطلبون
موسى وهم لا يخافون ان يفوتهم فجاء رجل من شيعة موسى من اقصى المدينة فاختصر طريقا
حتى سبقهم الى موسى فاخبره وذلك من الفتون يا ابن جبير فخرج موسى متوجها نحو مدين
لم يلق بلاء قبل ذلك وليس له بالطريق علم الا حسن ظنه بربه عز وجل فانه قال
عسى ربي ان يهديني سواء السبيل ولما ورد ماء مدين وجد عليه امة من الناس يسقون
ووجد من دونهم امرأتين تذودان يعني بذلك حابستين غنمهما فقال لهما ما خطبكما
معتزلتين لا تسقيان مع الناس قالتا ليس لنا قوة نزاحم القوم وانما ننتظر حبا
منهم فسقى لهما فجعل يغترف من الدلو ماء كثيرا حتى كان اول الرعاء وانصرفتا بغنمهما
الى ابيهما وانصرف موسى فاستظل بشجرة وقال رب اني لما انزلت الي من خير فقير
واستنكر ابوهما سرعة صدورهما بغنمهما حفلا بطانا فقال ان لكما اليوم لشأنا
فاخبرتاه بما صنع موسى فامر احداهما ان تدعوه فاتت علمه فدعته فلما كلمه قال
لا تخف نجوت من القوم الظالمين ليس لفرعون ولا لقومه علينا سلطان ولسنا
في مملكته فقالت احداهما يا ابت استأجره ان خير من استأجرت القوي الامين فاحتملته
الغيرة على ان قال لها ما يدريك ما قوته وما امانته فقالت اما قوته فما رأيت
منه في الدلو حين سقى لنا لم ار رجلا قط اقوى في ذلك السقي منه واما الامانة فانه
نظر الي حين اقبلت اليه وشخصت له فلما علم اني امرأة صوب رأسه فلم يرفعه حتى
بلغته رسالتك ثم قال لي امشي خلفي وانعتي لي الطريق فلم يفعل هذا الا وهو امين فسري
عن ابيها وصدقها وظن به الذي قالت فقال له هل لك ان انكحك احدى ابنتي هاتين
على ان تأجرني ثماني حجج فان اتممت عشرا فمن عندك وما اريد ان اشق عليك ستجدني
ان شاء الله من الصالحين ففعل فكانت على نبي الله موسى ثماني سنين واجبة وكانت
السنتان عدة منه فقضى الله عنه عدته فاتمها عشرا قال سعيد بن جبير فلقيني

رجل

رجل من اهل النصرانية من علمائهم فقال هل تدري اي الاجلين قضى موسى قلت لا وانا
لا ادري فلقيت ابن عباس فذكرت له ذلك فقال اما علمت ان ثمانية كانت على نبي الله
واجبة لم يكن نبي الله لينتقص منها شيئا ويعلم ان الله كان قاضيا عن موسى عدته التي
وعده فانه قضى عشر سنين فلقيت النصراني فاخبرته ذلك فقال الذي سألته
فاخبرك اعلم منك بذلك قلت اجل واولى فلما سار موسى باهله كان من امر النار والعصا
ويده ما قص الله عليك في القرآن فشكى الى الله تعالى ما يتخوف من آل فرعون في القتيل
وعقدة لسانه فانه كان في لسانه عقدة تمنعه من كثير من الكلام وسأل ربه ان يعينه
باخيه هارون يكون له ردءا ويتكلم عنه بكثير مما لا يفصح به لسانه فآتاه الله عز وجل سؤله وحل
عقدة من لسانه واوحى الله الى هارون فامره ان يلقاه فاندفع موسى بعصاه حتى لقي هارون
فانطلقا جميعا الى فرعون فاقاما على بابه حينا لا يؤذن لهما ثم اذن لهما بعد حجاب
شديد فقالا انا رسولا ربك قال فمن ربكما فاخبره بالذي قص الله عليك في القرآن
قال فما تريدان وذكره القتيل فاعتذر بما قد سمعت قال اريد ان تؤمن بالله وترسل معي
بني اسرائيل فابى عليه وقال ائت باية ان كنت من الصادقين فالقى عصاه فاذا هي
حية عظيمة فاغرة فاها مسرعة الى فرعون فلما رآها فرعون قاصدة اليه خافها
واقتحم عن سريره واستغاث بموسى ان يكفها عنه ففعل ثم اخرج يده من جيبه
فرآها بيضاء من غير سوء يعني من غير برص ثم ردها فعادت الى لونها الاول فاستشار
الملأ حوله فيما رأى فقالوا له هذان ساحران يريدان ان يخرجاكم من ارضكم بسحرهما ويذهبا
بطريقتكم المثلى يعني ملككم الذي هم فيه والعيش وابوا على موسى ان يعطوه شيئا مما طلب
وقالوا له اجمع لهما السحرة فانهم بارضك كثير حتى يغلب بسحرك سحرهما فارسل الى المدائن
فحشر له كل ساحر متعالم فلما اتوا فرعون قالوا بما يعمل هذا الساحر قالوا يعمل الحيات
قالوا فلا والله ما احد في الارض يعمل بالسحر والحيات والحبال والعصي الذي نعمل وما
اجرنا ان نحن غلبنا قال لهم انتم اقاربي وخاصتي وانا صانع اليكم كل شيء احببتم فتواعدوا
يوم الزينة وان يحشر الناس ضحى قال سعيد فحدثني ابن عباس ان يوم الزينة اليوم
الذي اظهر الله فيه موسى على فرعون والسحرة هو يوم عاشوراء فلما اجتمعوا في صعيد
قال الناس بعضهم لبعض انطلقوا فلنحضر هذا الامر لعلنا نتبع السحرة ان كانوا
هم الغالبين يعنون موسى وهارون استهزاء بهما فقالوا يا موسى لقدرتهم بسحرهم اما ان
تلقي واما ان نكون نحن الملقين قال بل القوا فالقوا حبالهم وعصيهم وقالوا بعزة
فرعون انا لنحن الغالبون فرأى موسى من سحرهم ما اوجس في نفسه خيفة فاوحى
الله اليه ان الق عصاك فلما القاها صارت ثعبانا عظيمة فاغرة فاها فجعلت
العصي تلتبس بالحبال حتى صارت جرزا على الثعبان تدخل فيه حتى ما ابقت عصا
ولا حبلا الا ابتلعته فلما عرف السحرة ذلك قالوا لو كان هذا سحرا لم يبلغ من سحرنا كل
هذا ولكنه امر من الله تعالى آمنا بالله وبما جاء به موسى ونتوب الى الله مما كنا عليه فكسر
الله ظهر فرعون في ذلك الموطن واشياعه وظهر الحق وبطل ما كانوا يعملون فغلبوا هنالك
وانقلبوا صاغرين وامرأة فرعون بارزة متبذلة تدعو الله بالنصر لموسى على فرعون
واشياعه فمن رآها من آل فرعون ظن انها انما ابتذلت للشفقة على فرعون واشياعه

وانما كان يحزنهما ويهمهما لموسى فلما طال لمكث موسى بمواعيد فرعون الكاذبة كلما جاء باية وعده
عندها ان يرسل معه بني اسرائيل فاذا مضت اخلف من عده وقال هل يستطيع ربك ان
يصنع غير هذا فارسل الله على قومه الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم ايات
مفصلات كل ذلك يشكوا الى موسى ويطلب اليه ان يكفها عنه ويواثقه على ان يرسل
معه بني اسرائيل فاذا الف ذلك عنه اخلف بوعده ونكث عهده حتى امر موسى بالخروج
بقومه فخرج بهم ليلا فلما اصبح فرعون ورأى انهم قد مضوا ارسل في المداين فتبعه
بجنود عظيمة كثيرة واوحى الله الى البحر اذا ضربك عبدي موسى بعصاه فانفلق اثنتي
عشرة فرقة حتى يجوز موسى ومن معه ثم التقي على من بقي بعد من فرعون واشياعه
فنسي موسى ان يضرب البحر بالعصى وانتهى الى البحر وله قصيف مخافة ان يضربه
موسى بعصاه وهو غافل فيصير عاصيا لله عز وجل فلما تراءى الجمعان وتقاربا قال
اصحاب موسى انا لمدركون افعل ما امرك به ربك فانه لم يكذب ولم تكذب قال وعدني ربي
اذا اتيت البحر انفرق اثنتي عشرة فرقة حتى اجاوزه ثم ذكر بعد ذلك العصى فضرب
البحر بعصاه حين دنا اوايل جند فرعون منه واواخر جند موسى فانفرق البحر كما امره ربه
وكما وعد موسى فلما ان جاز موسى واصحابه كلهم البحر ودخل فرعون واصحابه التقى عليهم
البحر كما امر فلما جاز موسى قال اصحابه انا نخاف ان لا يكون فرعون غرق ولا نؤمن بهلاكه
فدعا ربه فاخرجه له ببدنه حتى استيقنوا بهلاكه ثم مروا بعد ذلك على قوم يعكفون
على اصنام لهم قالوا يا موسى اجعل لنا الها كما لهم الهة قال انكم قوم تجهلون ان هؤلاء
متبر ما هم فيه وباطل ما كانوا يعملون قد رايتم من العبر وسمعتم ما يكفيكم ومضى فانزلهم
موسى منزلا وقال اطيعوا هرون فاني قد استخلفته عليكم فاني ذاهب الى ربي واجلهم
ثلاثين يوما ان يرجع اليهم فيها فلما اتى ربه عز وجل واراد ان يكلمه في ثلاثين يوما
وقد صامهن ليلهن ونهارهن وكره ان يكلم ربه وريح فمه ريح فم الصايم فتناول موسى
من نبات الارض شيا فمضغه فقال له ربه حين اتاه لم افطرت وهو اعلم بالذي كان قال
يا رب اني كرهت ان اكلمك الا وفمي طيب الريح قال اوما علمت يا موسى ان ريح فم الصايم
اطيب من ريح المسك ارجع فصم عشرا ثم ايتني ففعل موسى ما امره به ربه فلما راى قوم
موسى انه لم يرجع اليهم في الاجل ساءهم ذلك وكان هرون قد خطبهم وقال انكم خرجتم
من مصر ولقوم فرعون عندكم عواري وودايع ولكم فيها مثل ذلك وانا ارى ان تحتسبوا
ما لكم عندهم ولا احل لكم وديعة استودعتموها ولا عارية ولسنا برادين اليهم شيا من
ذلك ولا ممسكيه لانفسنا فحفر حفيرا وامر كل قوم عندهم من ذلك من متاع او حلية
ان يقذفوه في ذلك الحفير ثم اوقد عليه النار فاحرقه فقال لا يكون لنا ولا لهم
وكان السامري من قوم يعبدون البقر جيران لبني اسرائيل ولم يكن من بني اسرائيل فاحتمل
مع موسى وبني اسرائيل حين احتملوا فقضي له ان راى اثرا فقبض منه قبضة فمر بهرون
فقال له هرون يا سامري الا تلقي ما في يدك وهو قابض عليه لا يراه احد
طوال ذلك فقال هذه قبضة من اثر الرسول الذي جاوز بكم البحر ولا القيها لشي الا
ان تدعو الله اذا القيتها ان يكون ما اريد فالقاها ودعا له هرون فقال اريد
ان يكون عجلا فاجتمع ما كان في الحفيرة من متاع او حلية او نحاس او حديد فصار عجلا

اجوف

اجوف ليس فيه روح له خوار قال ابن عباس لا والله ما كان له صوت قط انما كانت
الريح تدخل في دبره وتخرج من فيه فكان ذلك الصوت من ذلك فتفرق بنو اسرائيل
فرقا فقالت فرقة يا سامري ما هذا وانت اعلم به فقال هذا ربكم ولكن موسى اضل الطريق
وقالت فرقة لا نكذب بهذا حتى يرجع الينا موسى فان كان ربنا لم نكن ضيعناه وعجزنا فيه
حين رايناه وان لم يكن ربنا فانا نتبع قول موسى وقالت فرقة هذا عمل الشيطان وليس
بربنا ولن نؤمن به ولا نصدق واشرب فرقة في قلوبهم التصديق بما قال السامري في العجل
واعلنوا التكذيب به فقال لهم هرون عليه السلام يا قوم انما فتنتم به وان ربكم الرحمن
ليس هذا قالوا فما بال موسى وعدنا ثلاثين يوما ثم اخلفنا هذه اربعون يوما قد مضت
فقال سفهاؤهم اخطا ربه فهو يطلبه ويبتغيه فلما كلم الله موسى وقال له ما قال
اخبره بما لقي قومه من بعده فرجع الى قومه غضبان اسفا فقال لهم ما سمعتم في القران
واخذ براس اخيه يجره اليه والقى الالواح من الغضب ثم انه عذر اخاه بعذره واستغفر
له فانصرف الى السامري فقال له ما حملك على ما صنعت قال قبضت قبضة من
اثر الرسول وفطنت لها وعميت عليكم فقذفتها وكذلك سولت لي نفسي قال
فاذهب فان لك في الحيوة ان تقول لا مساس وان لك موعدا لن تخلفه وانظر الى
الهك الذي ظلت عليه عاكفا لنحرقنه ثم لننسفنه في اليم نسفا ولو كان الها لم يخلص
الى ذلك منه فاستيقن بنو اسرائيل بالفتنة واغتبط الذين كان رايهم فيه مثل راي
هرون فقالوا لجماعتهم يا موسى سل لنا ان يفتح لنا باب توبة نصنعها فيكفر عنا ما عملنا
فاختار موسى قومه سبعين رجلا لذلك لا يالوا الخير خيار بني اسرائيل ومن لم يشرك في الحق
فانطلق بهم يسال لهم التوبة فرجفت بهم الارض فاستحيى نبي الله عليه السلام من قومه
ومن وفده حين فعل بهم ما فعل فقال لو شئت اهلكتهم من قبل واياي اتهلكنا بما فعل
السفهاء منا وفيهم من كان اطلع منه على ما اشرب قلبه من حب العجل وايمان به فلذلك
رجفت بهم الارض فقال رحمتي وسعت كل شي فساكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة
والذين هم باياتنا يؤمنون الذين يتبعون الرسول النبي الامي الذي يجدونه مكتوبا عندهم
في التوراة والانجيل فقال يا رب سالتك التوبة لقومي فقلت ان رحمتي كتبتها لقوم
غير قومي فليتك اخرتني حتى تخرجني في امة ذلك الرجل المرحومة فقال له ان توبتهم
ان يقتل كل رجل من لقي من والد وولد فيقتله بالسيف لا يبالي من قتل في ذلك الموطن
وتاب اولئك الذين كان خفي على موسى وهرون واطلع الله من ذنوبهم فاعترفوا بها وفعلوا
ما امروا وغفر الله للقاتل والمقتول ثم سار بهم موسى عليه السلام متوجها نحو الارض المقدسة
واخذ الالواح بعد ما سكت عنه الغضب فامرهم بالذي امر به من الوظايف فثقل ذلك
عليهم وابوا ان يقروا بها ونتق الله عليهم الجبل كانه ظلة ودنا منهم حتى خافوا ان يقع عليهم
فاخذوا الكتاب بايمانهم وهم مصغون ينظرون الى الجبل والكتاب بايديهم وهم من وراء الجبل
مخافة ان يقع عليهم ثم مضوا حتى اتوا الارض المقدسة فوجدوا مدينة فيها قوم جبارون
خلقهم خلق منكر وذكر من ثمارهم امرا عجيبا من عظمها فقالوا يا موسى ان فيها قوما جبارين
لا طاقة لنا بهم ولا ندخلها ما داموا فيها فان يخرجوا منها فانا داخلون قال رجلان من الذين
يخافون قيل ليزيد هكذا قراه قال نعم من الجبارين امنا بموسى وخرجا اليه فقالوا نحن اعلم

بقوتنا ان كنتم انما تخافون مما رأيتم من اجسامهم وعددهم فانهم لا قلوب لهم ولا منعة
عليهم فادخلوا عليهم الباب فاذا دخلتموه فانكم غالبون ويقول اناس انهما من قوم موسى
فقال الذين يخافون بنو اسرائيل قالوا يا موسى انا لن ندخلها ابدا ما داموا فيها فاذهب
انت وربك فقاتلا انا هاهنا قاعدون فاغضبوا موسى فدعا عليهم وسماهم فاسقين
ولم يدع عليهم قبل ذلك لما رأى منهم من المعصية واساءتهم حتى كان يومئذ فاستجاب
الله له وسماهم كما سماهم فاسقين وحرمها عليهم اربعين سنة يتيهون في الارض يصبحون
كل يوم فيسيرون ليس لهم قرار ثم ظلل عليهم الغمام في التيه وانزل عليهم المن والسلوى
وجعل لهم ثيابا لا تبلى ولا تتسخ وجعل بين ظهرانيهم حجرا مربعا وامر موسى فضربه بعصاه
فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا في كل ناحية ثلاثة اعين واعلم كل سبط عينهم التي
يشربون منها فلا يرتحلون من محلة الا وجدوا ذلك الحجر منهم بالمكان الذي كان فيه بالمنزل
الاول بالامس رفع ابن عباس هذا الحديث الى النبي صلى الله عليه وسلم وصدق ذلك عندي
ان معوية سمع ابن عباس حدث هذا الحديث فانكر عليه ان يكون الفرعوني الذي افشى على
موسى امر القتيل الذي قتل فقال كيف يفشي عليه ولم يكن علم به ولا ظهر عليه الا الاسرائيلي
الذي حضر ذلك فغضب ابن عباس فاخذ بيد معاوية فانطلق به الى سعد بن مالك الزهري
فقال له يا ابا اسحاق هل تذكر يوم حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قتيل موسى
الذي قتل من آل فرعون الاسرائيلي الذي افشى عليه ام الفرعوني قال انما افشى عليه الفرعوني
بما سمع من الاسرائيلي الذي شهد ذلك وحضره هكذا ساق الحديث الامام النسائي
واخرجه ابن جرير وابن ابي حاتم في تفسيرهما من حديث يزيد بن هارون والاشبه والله اعلم
انه موقوف وكونه مرفوعا فيه نظر وهو متلقى من الاسرائيليات وفيه شيء يسير مصرح برفعه
في بعض الكلام وفي بعضه ما فيه نظر ونكارة والاغلب انه من كلام كعب الاحبار وقد سمعت
شيخنا الحافظ ابا الحجاج المزي يقول ذلك والله اعلم

ذكر بناء قبة الزمان

قال اهل الكتاب وقد امر الله تعالى موسى عليه السلام بعمل قبة من خشب الشمشار وجلود
الانعام وشعر الاغنام وامر بزينتها بالحرير المصبغ والذهب والفضة على كيفيات
مفصلة عند اهل الكتاب ولها عشر سرادقات طول كل واحد ثمانية وعشرون ذراعا
وعرضه اربعة اذرع ولها اربعة ابواب واطناب من حرير ودمقس مصبغ وفيها رفوف
وصفائح من ذهب وفضة وفي كل زاوية بابان وابواب اخر كثيرة وستور من حرير مصبغ
وغير ذلك مما يطول ذكره ويعمل تابوت من خشب الشمشار يكون طوله ذراعين ونصفا
وعرضه ذراعين وارتفاعه ذراعا ونصفا ويكون مضببا بذهب خالص من داخله وخارجه
وله اربع حلق في اربع زواياه ويكون على حافتيه كروبان من ذهب يعنون صفة ملكين
باجنحتهما وهما متقابلان صنعه رجل اسمه بصليال وامره ان يعمل مائدة من خشب الشمشار
طولها ذراعان وعرضها ذراعان ونصف لها ضباب ذهب واكليل ذهب بشفة مرتفعة
باكليل من ذهب واربعة حلق من نواحيها من ذهب مغرزة في مثل الرمان من خشب ملبس
ذهبا واعمل صحافا ومصافي وقصاعا على المائدة واصنع منارة من ذهب دلي فيها
ست قصبات من ذهب من كل جانب ثلاث على كل قصبة ثلاث سرج وليكن في المنارة

اربعة قناديل ولتكن هي وجميع هذه الآنية من قنطار من ذهب صنع ذلك بصليال
ايضا وهو الذي عمل المذبح ايضا ونصبت هذه القبة اول يوم من سنتهم وهو اول يوم
من الربيع ونصب تابوت الشهادة وهو والله اعلم المذكور في قوله تعالى ان آية ملكه
ان يأتيكم التابوت فيه سكينة من ربكم وبقية مما ترك آل موسى وآل هارون تحمله الملائكة
ان في ذلك لآية لكم ان كنتم مؤمنين وقد بسط هذا الفصل في كتابهم مطولا جدا وفيه
شرائع لهم واحكام وصفة قربانهم وكيفيته وفيها ان قبة الزمان كانت موجودة قبل
عبادتهم العجل الذي هو متقدم على مجيئهم بيت المقدس وانها كانت لهم كالكعبة يصلون
فيها واليها ويتقربون عندها وان موسى عليه السلام كان اذا دخلها يقفون عندها وينزل
عمود الغمام على بابها فيخرون عند ذلك سجدا لله عز وجل ويكلم الله موسى عليه السلام من
ذلك العمود الغمام الذي هو نور ويخاطبه ويناجيه ويأمره وينهاه وهو واقف عند
التابوت صامد الى ما بين الكروبين فاذا فصل الخطاب يخبر بني اسرائيل بما اوحاه الله
اليه من الاوامر والنواهي واذا تحاكموا اليه في شيء ليس عنده من الله فيه شيء يجيء الى قبة
الزمان ويقف عند التابوت ويصمد لما بين ذلك الكروبين فيأتيه الخطاب بما فيه فصل
تلك الحكومة وقد كان هذا مشروعا لهم في زمانهم اعني استعمال الذهب والحرير
المصبغ واللآلئ في معبدهم وعند مصلاهم فاما في شريعتنا فلا بل قد نهينا عن زخرفة
المساجد وتزيينها لئلا تشغل المصلين كما قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه لما وسع
في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم للذي وكله على عمارته ابن للناس ما يكنهم واياك
ان تحمر او تصفر فتفتن الناس وقال ابن عباس لتزخرفنها كما زخرفت اليهود والنصارى
كنائسهم وهذا من باب التشريف والتكريم والتنزيه فهذه الامة غير مشابهة من
كان قبلهم من الامم اذ جمع الله همهم في صلاتهم على التوجه اليه والاقبال عليه وصان
ابصارهم وخواطرهم عن الاشتغال والتفكر في غير ما هم فيه من العبادة العظيمة فلله الحمد
والمنة وقد كانت قبة الزمان هذه مع بني اسرائيل في التيه يصلون اليها وهي قبلتهم
وكعبتهم وامامهم كليم الله موسى عليه السلام ومقدم القربان اخوه هرون عليه السلام
فلما مات هرون ثم موسى عليهما السلام استمرت بنو هرون في الذي كان يليه ابوهم من امر
القربان وهو فيهم الى الآن وقام باعباء النبوة بعد موسى وتدبير الامور بعده فتاه يوشع
بن نون عليه السلام وهو الذي دخل بهم بيت المقدس فكانوا يصلون اليها فلما باد نصبوها
الى محلها وهي الصخرة فلهذا كانت قبلة الانبياء بعده الى زمان رسول الله صلى الله
عليه وسلم وقد صلى اليها رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل الهجرة وكان يجعل الكعبة
بين يديه فلما هاجر امر بالصلاة الى بيت المقدس فصلى اليها ستة عشر وقيل سبعة
عشر شهرا ثم حولت القبلة الى الكعبة وهي قبلة ابراهيم في شعبان سنة اثنتين في وقت
صلاة العصر وقيل الظهر كما بسطنا ذلك في التفسير عند قوله تعالى سيقول
السفهاء من الناس ما ولاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها الى قوله قد نرى تقلب وجهك
في السماء فلنولينك قبلة ترضاها فول وجهك شطر المسجد الحرام الآيات

قصة قارون مع موسى عليه السلام

قال الله تعالى ان قارون كان من قوم موسى فبغى عليهم وآتيناه من الكنوز ما ان مفاتحه

لتنوء بالعصبة اولى القوة اذ قال له قومه لا تفرح ان الله لا يحب الفرحين وابتغ فيما
اتاك الله الدار الاخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا واحسن كما احسن الله اليك ولا تبغ
الفساد في الارض ان الله لا يحب المفسدين قال انما اوتيته على علم عندي اولم يعلم ان
الله قد اهلك من قبله من القرون من هو اشد منه قوة واكثر جمعا ولا يسأل عن ذنوبهم
المجرمون فخرج على قومه في زينته قال الذين يريدون الحياة الدنيا يا ليت لنا مثل
ما اوتي قارون انه لذو حظ عظيم وقال الذين اوتوا العلم ويلكم ثواب الله خير لمن امن وعمل
صالحا ولا يلقاها الا الصابرون فخسفنا به وبداره الارض فما كان له من فئة ينصرونه
من دون الله وما كان من المنتصرين واصبح الذين تمنوا مكانه بالامس يقولون ويكان
الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر لولا ان من الله علينا لخسف بنا ويكانه
لا يفلح الكافرون تلك الدار الاخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا في الارض ولا فسادا
والعاقبة للمتقين قال الاعمش عن المنهال بن عمرو عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال
كان قارون ابن عم موسى وكذا قال ابراهيم النخعي وعبد الله بن الحرث بن نوفل وسماك بن
حرب وقتادة ومالك بن دينار وابن جريج وزاد فقال هو قارون بن يصهر بن قاهث
وموسى بن عمران بن قاهث قال ابن جرير وهذا قول اكثر اهل العلم انه كان ابن عم موسى
ورد قول ابن اسحاق انه كان عم موسى قال قتادة وكان يسمى المنور لحسن صوته بالتوراة
ولكن عدو الله نافق كما نافق السامري فاهلكه البغي لكثرة ماله وقال شهر بن حوشب
زاد في ثيابه شبرا طولا ترفعا على قومه وقد ذكر الله تعالى كثرة كنوزه حتى ان مفاتحه كان
يثقل حملها على الفئام من الرجال الشداد وقد قيل انها كانت من الجلود وانها كانت تحمل
على ستين بغلا والله اعلم وقد وعظه النصحاء من قومه قائلين لا تفرح اي لا تبطر
بما اعطيت وتفخر على غيرك ان الله لا يحب الفرحين وابتغ فيما اتاك الله الدار الاخرة
يقولون لتكن همتك مصروفة الى تحصيل ثواب الله في الدار الاخرة فانه خير وابقى ومع
هذا لا تنس نصيبك من الدنيا اي وتناول منها بما احل الله لك فتمتع نفسك
بالملاذ الطيبة الحلال واحسن كما احسن الله اليك اي واحسن الى خلق الله كما احسن
الله خالقهم وباريهم اليك ولا تبغ الفساد في الارض اي ولا تسئ اليهم ولا تفسد فيهم
فتقابلهم ضد ما امرت فيهم فيعاقبك ويسلبك ما وهبك ان الله لا يحب المفسدين فما
كان جواب قومه لهذه النصيحة الصحيحة الفصيحة الا ان قال انما اوتيته على علم
عندي يعني انا لا احتاج الى استماع ما ذكرتم ولا الى ما اشرتم فان الله انما اعطاني
هذا لعلمه اني استحقه واني اهل له ولولا اني حبيب اليه وحظي عنده لما اعطاني ما اعطاني
قال الله تعالى رادا عليه فيما ذهب اليه اولم يعلم ان الله قد اهلك من قبله من القرون
من هو اشد منه قوة واكثر جمعا ولا يسأل عن ذنوبهم المجرمون اي قد اهلكنا من الامم
الماضيين بذنوبهم وخطاياهم من هو اشد من قارون قوة واكثر اموالا واولادا فلو كان ما
قال صحيحا لم نعاقب احدا ممن كان اكثر مالا منه ولم يكن ماله دليلا على محبتنا له واعتنائنا
به كما قال تعالى وما اموالكم ولا اولادكم بالتي تقربكم عندنا زلفى الا من امن وعمل صالحا
وقال تعالى ايحسبون انما نمدهم به من مال وبنين نسارع لهم في الخيرات وهذا الرد
عليه يدل على صحة ما ذهبنا اليه من قوله انما اوتيته على علم عندي واما من زعم ان

المراد

المراد من ذلك انه كان يعرف صنعة الكيميا او انه كان يحفظ الاسم الاعظم فاستعمله في جمع
الاموال فليس بصحيح لان الكيميا تخييل وصبغة لا تحيل الحقائق ولا تشابه صنعة
الخالق والاسم الاعظم لا يصعد الدعاء به من كافر به وقارون كان كافرا في الباطن منافقا
في الظاهر ثم لا يصح جوابه لهم بهذا التقدير ولا يبقى بين الكلامين تلازم وقد وضحنا
هذا في كتابنا التفسير ولله الحمد قال الله تعالى فخرج على قومه في زينته ذكر كثير
من المفسرين انه خرج في تجمل عظيم من ملابس ومراكب وخدم وحشم فلما راه من يعظم زهرة الحيوة
الدنيا تمنوا ان لو كانوا مثله وغبطوه بما عليه وله فلما سمع مقالتهم العلماء ذوو الفهم
الصحيح الزهاد الالباء قالوا لهم ويلكم ثواب الله خير لمن امن وعمل صالحا اي ثواب الله في
الدار الاخرة خير وابقى واجل واعلى قال الله تعالى ولا يلقاها الا الصابرون اي وما يلقى
هذه النصيحة وهذه المقالة وهذه الهمة السامية الى الدار الاخرة العلية عند النظر
الى زهرة هذه الدنيا الدنية وما احسن ما قال بعض السلف ان الله يحب البصر
النافذ عند ورود الشبهات والعقل الكامل عند حلول الشهوات قال الله فخسفنا
به وبداره الارض فما كان له من فئة ينصرونه من دون الله وما كان من المنتصرين لما ذكر
تعالى خروجه في زينته واختياله فيها وفخره على قومه بها قال فخسفنا به وبداره الارض
كما روى البخاري من حديث الزهري عن سالم عن ابيه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال
بينا رجل يجر ازاره اذ خسف به فهو يتجلجل في الارض الى يوم القيمة ثم رواه البخاري
من حديث جرير بن زيد عن سالم عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم نحوه وقد
ذكر عن ابن عباس والسدي ان قارون اعطى امراة بغيا مالا على ان تقول لموسى عليه السلام
وهو في ملا من الناس انك فعلت بي كذا وكذا فقالت انها قالت له ذلك فارعد من الفرق
وصلى ركعتين ثم اقبل عليها فاستحلفها من دلك على ذلك وما حملك عليه فذكرت ان
قارون كان هو الذي حملها على ذلك واستغفرت الله وتابت اليه فعند ذلك خر
موسى لله ساجدا ودعا الله على قارون فاوحى الله اليه اني قد امرت الارض ان تطيعك
فيه فامر موسى الارض ان تبتلعه وداره فكان ذلك والله اعلم وقد قيل ان قارون لما خرج
على قومه في زينته مر بجحفله وبغاله وملابسه على مجلس موسى عليه السلام وهو يذكر
قومه بايام الله فلما راه الناس انصرفت وجوه كثير من الناس ينظرون اليه فدعاه موسى
عليه السلام فقال له ما حملك على هذا فقال يا موسى اما لئن كنت فضلت علي بالنبوة فلقد
فضلت عليك بالمال ولئن شئت لتخرجن فلتدعون علي ولادعون عليك فخرج
وخرج قارون في قومه فقال له موسى تدعو او ادعو قال لا انا ادعو فدعا قارون فلم يجب
في موسى فقال موسى ادعو قال نعم فقال موسى اللهم مر الارض فلتطعني اليوم فاوحى الله
اليه اني قد فعلت فقال موسى يا ارض خذيهم فاخذتهم الى اقدامهم ثم قال خذيهم فاخذتهم
الى ركبهم ثم الى مناكبهم ثم قال اقبلي بكنوزهم واموالهم فاقبلت بها حتى نظروا اليها ثم اشار
موسى بيده فقال اذهبوا بني لاوي فاستوت بهم الارض وقد روي عن قتادة انه قال يخسف
بهم كل يوم قامة الى يوم القيامة وعن ابن عباس انه قال خسف بهم الى الارض السابعة وقد
ذكر كثير من المفسرين ها هنا اسرائيليات كثيرة اضربنا عنها صفحا وتركناها قصدا وقوله تعالى
فما كان له من فئة ينصرونه من دون الله وما كان من المنتصرين لم يكن له ناصر من نفسه ولا من

غيره كما قال فما له من قوة ولا ناصر ولما حل به ما حل به من الخسف وذهاب الأموال وخراب الدار وهلاك النفس والأهل والعقار ندم من كان تمنى مثل ما أوتي وشكروا الله تعالى الذي يدبر عباده بما يشاء من حسن التدبير المخزون ولهذا قالوا لولا أن من الله علينا لخسف بنا ويكأنه لا يفلح الكافرون وقد تكلمنا على لفظ ويك في التفسير وقد قال قتادة ويكأن بمعنى ألم تر أن وهذا قول حسن من حيث المعنى والله أعلم ثم أخبر تعالى أن الدار الآخرة وهي دار القرار وهي الدار التي يغبط من أعطيها ويعزى من حرمها إنما هي معدة للذين لا يريدون علوا في الأرض ولا فسادا فالعلو التكبر والفخر والأشر والبطر والفساد وهو عمل المعاصي اللازمة والمتعدية من أخذ أموال الناس وإفساد معايشهم والإساءة إليهم وعدم النصح لهم ثم قال تعالى والعاقبة للمتقين وقصة قارون هذه قد تكون قبل خروجهم من مصر لقوله فخسفنا به وبداره الأرض فإن الدار ظاهرة في البنيان وقد تكون بعد ذلك في التيه وتكون الدار عبارة عن المحلة التي تضرب فيها الخيام كما قال عنترة

يا دار عبلة بالجواء تكلمي • وعمي صباحا دار عبلة واسلمي

وقد ذكر الله مذمة قارون في غير ما آية من القرآن قال الله ولقد أرسلنا موسى بآياتنا وسلطان مبين إلى فرعون وهامان وقارون فقالوا ساحر كذاب وقال تعالى في سورة العنكبوت بعد ذكر عاد وثمود وقارون وفرعون وهامان ولقد جاءهم موسى بالبينات فاستكبروا في الأرض وما كانوا سابقين فكلا أخذنا بذنبه فمنهم من أرسلنا عليه حاصبا ومنهم من أخذته الصيحة ومنهم من خسفنا به الأرض ومنهم من أغرقنا وما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون فالذي خسف الله به الأرض قارون كما تقدم والذي أغرق فرعون وهامان وجنودهما إنهم كانوا خاطئين وقد قال الإمام أحمد ثنا أبو عبد الرحمن ثنا سعيد ثنا كعب بن علقمة عن عيسى بن هلال الصدفي عن عبد الله بن عمرو عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه ذكر الصلاة يوما فقال من حافظ عليها كانت له نورا وبرهانا ونجاة يوم القيامة ومن لم يحافظ عليها لم تكن له نور ولا برهان ولا نجاة وكان يوم القيامة مع قارون وفرعون وهامان وأبي بن خلف انفرد به أحمد رح وهامان

باب ذكر فضائل موسى عليه السلام وشمائله وصفاته

قال الله تعالى واذكر في الكتاب موسى إنه كان مخلصا وكان رسولا نبيا وناديناه من جانب الطور الأيمن وقربناه نجيا ووهبنا له من رحمتنا أخاه هارون نبيا وقال تعالى قال يا موسى إني اصطفيتك على الناس برسالاتي وبكلامي فخذ ما آتيتك وكن من الشاكرين وتقدم في الصحيحين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال لا تفضلوني على موسى فإن الناس يصعقون يوم القيامة فأكون أول من يفيق فأجد موسى باطشا بقائمة العرش فلا أدري أصعق فأفاق قبلي أم جوزي بصعقة الطور وقدمنا أنه من رسول الله صلى الله عليه وسلم من باب الهضم والتواضع وإلا فهو صلوات الله وسلامه عليه خاتم الأنبياء وسيد ولد آدم في الدنيا والآخرة جزما لا يحتمل النقيض وقال تعالى إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح والنبيين من بعده وأوحينا إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط إلى أن قال ورسلا قد قصصناهم عليك من قبل ورسلا لم نقصصهم عليك وكلم الله موسى تكليما وقال تعالى يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين آذوا موسى

فبرأه

اسحق بن

فبرأه الله مما قالوا وكان عند الله وجيها قال الإمام أبو عبد الله البخاري حدثنا إبراهيم حدثنا روح بن عبادة عن عوف عن الحسن ومحمد وخلاس عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن موسى كان رجلا حييا ستيرا لا يرى من جلده شيء استحياء منه فآذاه من آذاه من بني إسرائيل فقالوا ما يستتر هذا التستر إلا من عيب بجلده إما برص وإما أدرة وإما آفة وإن الله عز وجل أراد أن يبرئه مما قالوا لموسى فخلا يوما وحده فوضع ثيابه على الحجر ثم اغتسل فلما فرغ أقبل إلى ثيابه ليأخذها وإن الحجر عدا بثوبه فأخذ موسى عصاه وطلب الحجر فجعل يقول ثوبي حجر ثوبي حجر حتى انتهى إلى ملأ من بني إسرائيل فرأوه عريانا أحسن ما خلق الله وبرأه مما يقولون وقام الحجر فأخذ ثوبه فلبسه وطفق بالحجر ضربا بعصاه فوالله إن بالحجر لندبا من أثر ضربه ثلاثا أو أربعا أو خمسا قال فذلك قوله عز وجل يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين آذوا موسى فبرأه الله مما قالوا وكان عند الله وجيها وقد رواه الإمام من حديث عبد الله بن شقيق وهمام بن منبه عن أبي هريرة وهو في الصحيحين من حديث عبد الرزاق عن همام عنه به ورواه مسلم من حديث عبد الله بن شقيق العقيلي عنه قال بعض السلف كان من وجاهته أنه شفع في أخيه عند الله وطلب أن يكون معه وزيرا فأجابه الله إلى سؤاله وأعطاه طلبته وجعله نبيا كما قال ووهبنا له من رحمتنا أخاه هارون نبيا ثم قال البخاري حدثنا أبو الوليد ثنا شعبة ثنا الأعمش سمعت أبا وائل قال سمعت عبد الله قال قسم رسول الله صلى الله عليه وسلم قسما فقال رجل إن هذه لقسمة ما أريد بها وجه الله فأتيت النبي صلى الله عليه وسلم فأخبرته فغضب حتى رأيت الغضب في وجهه ثم قال يرحم الله موسى لقد أوذي بأكثر من هذا فصبر وكذا رواه مسلم من غير وجه عن سليمان بن مهران الأعمش به وقال الإمام أحمد حدثنا أحمد بن حجاج سمعنا إسرائيل بن يونس عن الوليد بن أبي هاشم مولى همدان عن زيد بن أبي زيد عن عبد الله بن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأصحابه لا يبلغني أحد عن أحد شيئا فإني أحب أن أخرج إليكم وأنا سليم الصدر قال وأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم مال فقسمه قال فمررت برجلين وأحدهما يقول لصاحبه والله ما أراد محمد بقسمته وجه الله ولا الدار الآخرة فتثبت حتى سمعتهما فأتيت رسول الله فقلت يا رسول الله إنك قلت لنا لا يبلغني أحد عن أحد من أصحابي وإني مررت بفلان وفلان وهما يقولان كذا وكذا فاحمر وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم وشق عليه ثم قال دعنا منك فقد أوذي موسى أكثر من ذلك فصبر وهكذا رواه أبو داود والترمذي من حديث إسرائيل عن الوليد بن أبي هاشم به وفي رواية للترمذي ولأبي داود من طريق ابن عبيد عن إسرائيل عن السدي عن الوليد به وقال الترمذي غريب من هذا الوجه وقد ثبت في الصحيحين في أحاديث الإسراء أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مر بموسى وهو قائم يصلي في قبره ورواه مسلم عن أنس وفي الصحيحين من رواية قتادة عن أنس عن مالك بن صعصعة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه مر ليلة أسري به بموسى في السماء السادسة فقال له جبريل هذا موسى فسلم عليه قال فسلمت عليه فقال مرحبا بالنبي الصالح والأخ الصالح فلما تجاوزت بكى فقيل له ما يبكيك قال لأن غلاما بعث بعدي يدخل الجنة من أمته أكثر مما يدخلها من أمتي

ذكر ابراهيم في السابعة وهذا هو المحفوظ وما وقع في حديث شريك بن ابي نمر عن انس من
ان ابراهيم في السادسة وموسى في السابعة بتفضيل كلام الله فقد ذكر غير واحد من الحفاظ
ان الذي عليه الجادة ان موسى في السادسة وابراهيم في السابعة وانه مسند ظهره الى
البيت المعمور الذي يدخله كل يوم سبعون الفا من الملائكة ثم لا يعودون اليه اخر
ما عليهم واتفقت الروايات كلها على ان الله تعالى لما فرض على محمد صلى الله عليه وسلم
وامته خمسين صلاة في اليوم والليلة فمر بموسى قال ارجع الى ربك فسله التخفيف
عن امتك فاني قد عالجت بني اسرائيل قبلك اشد المعالجة وان امتك اضعف اسماعا
وابصارا وافئدة فلم يزل يتردد بين موسى وبين الله ويخفف عنه في كل مرة حتى صارت
الى خمس صلوات في اليوم والليلة وقال الله تعالى هي خمس وهي خمسون اي بالمضاعفة
فجزى الله عنا محمدا صلى الله عليه وسلم خيرا وجزى الله عنا موسى عليه السلام خيرا وقال
البخاري ثنا مسدد ثنا حصين بن نمير عن حصين بن عبد الرحمن عن سعيد بن جبير
عن ابن عباس قال خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عرضت على الامم
ورايت سوادا كثيرا سد الافق فقيل هذا موسى في قومه هكذا روى البخاري هذا الحديث
ههنا مختصرا وقد رواه الامام احمد مطولا فقال ثنا شريح ثنا هشيم ثنا حصين
بن عبد الرحمن قال كنت عند سعيد بن جبير فقال ايكم راى الكوكب الذي انقض البارحة
قلت انا ثم قلت اما اني لم اكن في صلاة ولكن لدغت قال وكيف فعلت قلت استرقيت
قال وما حملك على ذلك قال قلت حديث حدثناه الشعبي عن بريدة الاسلمي انه قال
لا رقية الا من عين او حمة فقال سعيد بن جبير قد احسن من انتهى الى ما سمع ثم قال
حدثنا ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال عرضت على الامم فرايت النبي ومعه
الرهط والنبي ومعه الرجل والرجلان والنبي وليس معه احد اذ رفع لي سواد عظيم فقلت
هذه امتي فقيل هذا موسى وقومه ولكن انظر الى الافق فاذا سواد عظيم ثم قيل انظر
الى هذا الجانب فاذا سواد عظيم فقيل هذه امتك ومعهم سبعون الفا يدخلون الجنة
بغير حساب ولا عذاب ثم نهض رسول الله صلى الله عليه وسلم فدخل فخاض القوم
في ذلك فقالوا من هؤلاء الذين يدخلون الجنة بلا حساب ولا عذاب فقال بعضهم
لعلهم الذين صحبوا النبي صلى الله عليه وسلم وقال بعضهم لعلهم الذين ولدوا في الاسلام
ولم يشركوا بالله شيئا قط وذكروا اشيا فخرج اليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال
ما هذا الذي كنتم تخوضون فيه فاخبروه بمقالتهم فقال هم الذين لا يكتوون ولا يسترقون
ولا يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون فقام عكاشة بن محصن الاسدي فقال انا منهم
يا رسول الله قال انت منهم ثم قام اخر فقال انا منهم يا رسول الله قال سبقك بها
عكاشة وهذا الحديث له طرق كثيرة جدا وهو في الصحاح والحسان وغيرها وسنوردها ان
شا الله في باب صفة الجنة عند ذكر احوال القيامة واهوالها وقد ذكر الله موسى عليه السلام
في القران كثيرا واثنى عليه واورد قصته في كتابه العزيز مرارا كثيرة وكررها مطولة ومبسوطة
ومختصرة واثنى عليه بليغا وكثيرا ما يقرنه الله ويذكره ويذكر كتابه مع محمد صلى الله عليه
وسلم وكتابه كما قال في سورة البقرة ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم نبذ فريق
من الذين اوتوا الكتاب وقال تعالى الم الله لا اله الا هو الحي القيوم نزل عليك بالحق

مصدقا

مصدقا لما بين يديه وانزل التوراة والانجيل من قبل هدى للناس وانزل الفرقان ان الذين
كفروا بايات الله لهم عذاب شديد والله عزيز ذو انتقام وقال تعالى في سورة الانعام
وما قدروا الله حق قدره اذ قالوا ما انزل الله على بشر من شي قل من انزل الكتاب الذي جاء
به موسى نورا وهدى للناس تجعلونه قراطيس تبدونها وتخفون كثيرا وعلمتم ما لم تعلموا
انتم ولا اباؤكم قل الله ثم ذرهم في خوضهم يلعبون وهذا كتاب انزلناه مبارك مصدق الذي
بين يديه ولتنذر ام القرى ومن حولها والذين يؤمنون بالاخرة يؤمنون به وهم على صلاتهم
يحافظون فاثنى تعالى على التوراة ثم مدح القران مدحا عظيما وقال تعالى في اخرها
ثم اتينا موسى الكتاب تماما على الذي احسن وتفصيلا لكل شي وهدى ورحمة لعلهم
بلقاء ربهم يؤمنون وهذا كتاب انزلناه مبارك فاتبعوه واتقوا لعلكم ترحمون وقال
تعالى في سورة المايدة انا انزلنا التوراة فيها هدى ونور يحكم بها النبيون الذين اسلموا
للذين هادوا والربانيون والاحبار بما استحفظوا من كتاب الله وكانوا عليه شهدا
فلا تخشوا الناس واخشوني ولا تشتروا باياتي ثمنا قليلا ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك
هم الكافرون الى ان قال وليحكم اهل الانجيل بما انزل الله فاولئك هم الفاسقون وانزلنا
عليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيمنا عليه الاية فجعل القران
حاكما على سائر الكتب غيره وجعله مصدقا لها ومبينا ما وقع فيها من التحريف والتبديل
فان اهل الكتاب استحفظوا على ما بايديهم من الكتب فلم يقدروا على حفظها ولا ضبطها
فلهذا دخلها ما دخلها من تغييرهم وتبديلهم لسوء فهومهم وقصورهم في علومهم وردائة
قصودهم وخيانتهم لمعبودهم عليهم لعاين الله المتتابعة الى يوم القيامة ولهذا يوجد في
كتبهم من الخطا البين على الله وعلى رسله ما لا يحد ولا يوصف وما لا يوجد مثله ولا يعرف
وقال تعالى في سورة الانبياء ولقد اتينا موسى وهرون الفرقان وضياء وذكرى
للمتقين الذين يخشون ربهم بالغيب وهم من الساعة مشفقون وهذا ذكر مبارك
انزلناه افانتم له منكرون وقال تعالى في سورة القصص فلما جاءهم الحق من عندنا
قالوا لولا اوتي مثل ما اوتي موسى اولم يكفروا بما اوتي موسى من قبل قالوا سحران تظاهرا
وقالوا انا بكل كافرون قل فاتوا بكتاب من عند الله هو اهدى منهما اتبعه ان كنتم
صادقين فان لم يستجيبوا لك فاعلم انما يتبعون اهواءهم فاثنى الله على الكتابين
وعلى الرسولين عليهما السلام وقالت الجن لقومهم انا سمعنا كتابا انزل من بعد
موسى وقال ورقة بن نوفل لما قص عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم خبر ما راى في اول
الوحي وتلا عليه اقرا باسم ربك الذي خلق خلق الانسان من علق اقرا وربك الاكرم الذي علم
بالقلم علم الانسان ما لم يعلم قال سبوح سبوح هذا الناموس الذي انزل على موسى بن
عمران وبالجملة فشريعة موسى عليه السلام كانت شريعة عظيمة وامته كانت امة كبيرة
ووجد فيهم انبياء وعلماء وعباد وزهاد والباء وملوك وامراء وسادات وكبرا ولكنهم كانوا
فبادوا وتبدلوا كما بدلت شريعتهم ومسخوا قردة وخنازير ثم نسخت بعد كل حساب
سلبتهم وجرت عليهم خطوب وامور يطول ذكرها ولكن سنورد ما فيه مقنع لمن اراد ان
يبلغه خبرها ان شا الله وبه الثقة وعليه التكلان

ذكر حج موسى عليه السلام الى البيت العتيق وصفته

قال

ترى بها
ساحران

احمد حدثنا هشام ثنا داود بن ابي هند عن ابي العالية عن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم مر بوادي الازرق فقال اي واد هذا قالوا وادي الازرق قال كاني انظر الى موسى وهو هابط من الثنية له جوار الى الله عز وجل بالتلبية حتى اتى على ثنية هرشا فقال اي ثنية هذه قالوا ثنية هرشا قال كاني انظر الى يونس بن متى على ناقة حمرا عليه جبة من صوف خطام ناقته خلبة قال هشيم يعني ليفا وهو يلبي واخرجه مسلم من حديث داود بن ابي هند به ورواه الطبراني عن ابن عباس نحوه وفيه حاج على ثور احمر وهذا غريب جدا وقال الامام احمد ثنا محمد بن عدي عن ابن عون عن مجاهد قال كنا عند ابن عباس فذكروا الدجال فقال انه مكتوب بين عينيه ك ف ر قال فقالوا يقولون قال يقولون مكتوب بين عينيه ك ف ر فقال ابن عباس لم اسمعه قال ذلك ولكن قال اما ابراهيم فانظروا الى صاحبكم واما موسى فرجل ادم جعد على جمل احمر مخطوم بخلبة كاني انظر اليه اذا انحدر من الوادي يلبي قال هشيم الخلبة الليف ثم رواه الامام احمد عن اسود عن اسرائيل عن عثمان بن المغيرة عن مجاهد عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رايت عيسى بن مريم وموسى وابراهيم فاما عيسى فابيض جعد عريض الصدر واما موسى فادم جسيم قالوا فابراهيم قال انظروا الى صاحبكم وقال الامام احمد ثنا يونس ثنا سنان قال حدث قتادة عن ابي العالية حدثنا ابن عم نبيكم ابن عباس قال قال نبي الله صلى الله عليه وسلم رايت ليلة اسري بي موسى بن عمران رجلا طوالا جعدا كانه من رجال شنوءة ورايت عيسى بن مريم مربوع الخلق الى الحمرة والبياض سبط الراس واخرجاه من حديث قتادة به وقال الامام احمد ثنا عبد الرزاق ثنا معمر قال الزهري واخبرني سعيد بن المسيب عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حين اسري بي لقيت موسى فنعته فقال رجل قال حسبته قال مضطرب رجل الراس كانه من رجال شنوءة ولقيت عيسى فنعته رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ربعة احمر كانما خرج من ديماس يعني حماما قال ورايت ابراهيم وانا اشبه ولده به الحديث وقد تقدم غالب هذه الاحاديث في ترجمة الخليل

ذكر وفاته عليه السلام

قال البخاري في صحيحه وفاة موسى عليه السلام حدثنا يحيى بن موسى ثنا عبد الرزاق انا معمر عن ابن طاوس عن ابيه عن ابي هريرة قال ارسل ملك الموت الى موسى عليه السلام فلما جاءه صكه فرجع الى ربه عز وجل فقال ارسلتني الى عبد لا يريد الموت قال ارجع اليه فقل له يضع يده على متن ثور فله بما غطت يده بكل شعرة سنة قال اي رب ثم ماذا قال ثم الموت قال فالان قال فسال الله عز وجل ان يدنيه من الارض المقدسة رمية بحجر قال ابو هريرة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فلو كنت ثم لاريتكم قبره الى جانب الطريق عند الكثيب الاحمر قال وانا معمر عن همام عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم نحوه وقد رفعه مسلم الطريق الاول من حديث عبد الرزاق به ورواه الامام احمد من حديث حماد بن سلمة عن عمار بن ابي عمار عن ابي هريرة مرفوعا وسيأتي وقال الامام احمد ثنا حسن بن موسى ثنا ابن لهيعة ثنا ابو يونس يعني سليم بن جبير عن ابي هريرة قال الامام احمد لم يرفعه قال جاء ملك الموت الى موسى عليه السلام فقال اجب ربك فلطم موسى عين ملك

الموت

قيل ان موسى عليه السلام مرض فشكى الى الله تعالى فاوحى الله تعالى الى جبريل عليه السلام ان خذ قميص العافية والبسه لموسى عليه السلام ففعل ذلك جبريل عليه السلام فلم يعد يمرض الا مرض الموت ثم لما مات موسى عليه السلام استاذن جبريل عليه السلام ربه عز وجل ما يفعل بقميص العافية فاوحى الله تعالى اليه يا جبريل شي اخرجناه من خزاين كرمنا لا نعيده الينا قال الهي فما افعل به قال البسه للشمس ففعل ذلك لاجل ان الامراض تنتشر بالليل فاذا اطلعت الشمس توجد الراحة فلذا نزع الدواب تستقبل الشمس بوجهها والازهار تدور مع الشمس كيفما دارت واعجب من ذلك النيلوفر فانه يطفو على وجه الما عند اشراق الشمس منفتحا فاذا غربت انضم وانغط في الما وذلك لتاثيرها وسر في حواشيه من كتاب شوارد الملح وموارد المنح من كلام ابن الغوري وابن الجوزي والعبادي رحمهم الله تعالى

الموت ففقاها فرجع الملك الى الله فقال انك بعثتني الى عبد لك لا يريد الموت قال وقد فقا عيني قال فرد الله عينه وقال ارجع الى عبدي فقل الحياة تريد فان كنت تريد الحياة فضع يدك على متن ثور فما وارت يدك من شعره فانك تعيش بها سنة قال ثم مه قال ثم الموت قال فالان يا رب من قريب تفرد به احمد وهو موقوف بهذا اللفظ وقد رواه ابن حبان في صحيحه من طريق معمر عن ابن طاوس عن ابيه عن ابي هريرة قال معمر واخبرني من سمع الحسن عن رسول الله فذكره ثم استشكله ابن حبان واجاب عنه بما حاصله ان ملك الموت لما قال له هذا لم يعرفه لمجيئه له على غير صورة يعرفها موسى عليه السلام كما جاء جبريل في صورة اعرابي وكما وردت الملائكة على ابراهيم ولوط في صورة شباب فلم يعرفهم ابراهيم ولا لوط اولا وكذلك موسى لعله لم يعرفه كذلك ولطمه ففقا عينه لانه دخل داره بغير اذنه وهذا موافق لشريعتنا في جواز فقء عين من نظر اليك في دارك بغير اذن ثم اورد الحديث من طريق عبد الرزاق عن معمر عن همام عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم جاء ملك الموت الى موسى ليقبض روحه فقال له اجب ربك فلطم موسى عين ملك الموت ففقاها وذكر تمام الحديث كما اشار اليه البخاري ثم تاوله على انه لما رفع يده ليلطمه قال له اجب ربك وهذا التاويل لا يمشي على ما ورد به اللفظ من تعقيب قوله اجب ربك بلطمه ولو استمر على الجواب الاول لتمشى له وكانه لم يعرفه في تلك الصورة ولم يحمل قوله على انه مطابق اذ لم يتحقق في الساعة الراهنة انه ملك كريم لانه كان يرجو امورا كثيرة كان يحب وقوعها في حياته من خروجهم من التيه ودخولهم الارض المقدسة وكان قد سبق في قدر الله انه عليه السلام يموت في التيه بعد هرون اخيه كما سنبينه ان شاء الله تعالى وقد زعم بعضهم ان موسى عليه السلام هو الذي خرج بهم من التيه ودخل بهم الارض المقدسة وهذا خلاف ما عليه اهل الكتاب وجمهور المسلمين ومما يدل على ذلك قوله لما اختار الموت رب ادنني الى الارض المقدسة رمية بحجر ولو كان قد دخلها لم يسال ذلك ولكن لما كان مع قومه بالتيه وحانت وفاته عليه السلام احب ان يتقرب الى الارض التي هاجر اليها وحث قومه عليها ولكن حال بينهم وبينها القدر رمية بحجر ولهذا قال سيد البشر ورسول الله الى اهل الوبر والمدر فلو كنت ثم لاريتكم قبره عند الكثيب الاحمر وقال الامام احمد ثنا عفان ثنا حماد ثنا ثابت وسليمان التيمي عن انس بن مالك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لما اسري بي مررت بموسى وهو قائم يصلي في قبره عند الكثيب الاحمر ورواه مسلم من حديث حماد بن سلمة به وقال السدي عن ابي مالك وابي صالح عن ابن عباس وعن مرة عن ابن مسعود وعن ناس من الصحابة قالوا ثم ان الله تعالى اوحى الى موسى اني متوفي هرون فات به جبل كذا وكذا فانطلق موسى وهرون نحو ذلك الجبل فاذا هم بشجرة لم ير شجرة مثلها واذا هم ببيت مبني واذا هم بسرير عليه فرش واذا فيه ريح طيبة فلما نظر هرون الى ذلك الجبل والبيت وما فيه اعجبه قال يا موسى اني احب ان انام على هذا السرير قال له موسى فنم عليه قال اني اخاف ان ياتي رب هذا البيت فيغضب علي قال له لا ترهب انا اكفيك رب هذا البيت فنم قال يا موسى بل نم معي فان جاء رب هذا البيت

غضب علي وعليك جميعا فلما قاما اخذ هرون الموت فلما وجد حسه قال يا موسى خدعتني فلما قبض رفع ذلك البيت وذهبت تلك الشجرة ورفع السرير به الى السماء فلما رجع موسى الى قومه وليس معه هرون قالوا ان موسى قتل هارون وحسده حب بني اسرائيل له وكان هرون الين عنهم والين لهم من موسى وكان في موسى بعض الغلظة عليهم فلما بلغه ذلك قال لهم ويحكم كان اخي افترون اني اقتله فلما اكثروا عليه قام فصلى ركعتين ثم دعا الله فنزل السرير حتى نظروا اليه بين السماء والارض ثم ان موسى عليه السلام بينما هو يمشي ويوشع فتاه اذ اقبلت ريح سوداء فلما نظر اليها يوشع ظن انها الساعة فالتزم موسى وقال تقوم الساعة وانا ملتزم موسى نبي الله فاستل موسى عليه السلام من تحت القميص وترك القميص في يدي يوشع فلما جاء يوشع بالقميص اخذته بنو اسرائيل وقالوا قتلت نبي الله فقال لا والله ما قتلته ولكنه استل مني فلم يصدقوه وارادوا قتله قال فاذا لم تصدقوني فاخروني ثلاثة ايام فدعا الله فاتى كل رجل ممن كان يحرسه في المنام فاخبر ان يوشع لم يقتل موسى وانا قد رفعناه الينا فتركوه ولم يبق احد ممن ابى ان يدخل قرية الجبارين مع موسى الا مات ولم يشهد الفتح وفي بعض هذا السياق نكارة وغرابة والله اعلم وقد قدمنا انه لم يخرج احد من التيه ممن كان مع موسى سوى يوشع بن نون وكالب بن يوفنا وهو زوج مريم اخت موسى وهرون وهما الرجلان المذكوران فيما تقدم اللذان اشارا على ملا بني اسرائيل بالدخول عليهم وذكر وهب ابن منبه ان موسى عليه السلام مر بملا من الملائكة يحفرون قبرا فلم ير احسن منه ولا انضر ولا ابهج فقال يا ملائكة الله لمن تحفرون هذا القبر فقالوا لعبد من عباد الله كريم فان كنت تحب ان تكون هذا العبد فادخل هذا القبر وتمدد فيه وتوجه الى ربك وتنفس اسهل تنفس ففعل ذلك فمات صلوات الله وسلامه عليه فصلت عليه الملائكة ودفنوه وذكر اهل الكتاب وغيرهم انه مات وعمره مائة وعشرون سنة وقال الامام احمد ثنا امية بن خالد ويونس قالا ثنا حماد بن سلمة عن عمار بن ابي عمار عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال يونس رفع الحديث الى النبي صلى الله عليه وسلم قال كان ملك الموت ياتي الناس عيانا قال فاتى موسى عليه السلام فلطمه ففقا عينه فاتى ربه فقال يا رب عبدك موسى فقا عيني ولولا كرامته عليك لعنفت عليه وقال يونس لشققت عليه قال له اذهب الى عبدي فقل له فليضع يده على جلد او مسك ثور فله بكل شعرة وارت يده سنة فاتاه فقال له فقال ما بعد هذا قال الموت قال فالان قال فشمه شمة فقبض روحه قال يونس فرد الله عليه عينه وكان ياتي الناس خفية وكذا رواه ابن جرير عن ابي كريب عن مصعب بن المقدام عن حماد بن سلمة به فرفعه ايضا ۝

ذكر نبوة يوشع وقيامه باعباء بني اسرائيل بعد موسى وهارون عليهما السلام

هو يوشع بن نون بن افرائيم بن يوسف بن يعقوب بن اسحاق بن ابراهيم الخليل عليهم السلام واهل الكتاب يقولون يشع بن عمهود وقد ذكره الله تعالى في القران غير مصرح باسمه في قصة الخضر كما تقدم من قوله واذ قال موسى لفتاه وقدمنا ما ثبت في الصحيح من رواية ابي بن كعب رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم من انه يوشع بن نون وهو متفق على نبوته عند اهل الكتاب فان طائفة منهم وهم السامرة لا تقر بنبوة احد بعد موسى الا يوشع بن نون لانه مصرح به في التوراة ويكفرون بما وراءه وهو الحق من ربهم فعليهم لعائن الله المتتابعة الى يوم القيامة واما ما حكاه ابن جرير وغيره من المفسرين عن محمد بن اسحاق من ان النبوة حولت من موسى الى يوشع في اخر عمر موسى فكان موسى يلقى يوشع فيسأله ما احدث الله اليه من الاوامر والنواهي حتى قال له يا كليم الله اني كنت لا اسألك عما يوحي الله اليك حتى تخبرني انت ابتداء من تلقاء نفسك فعند ذلك كره موسى الحياة واحب الموت ففي هذا نظر لان موسى عليه السلام لم يزل الامر والوحي والتشريع والكلام من الله اليه من جميع احواله حتى توفاه الله عز وجل ولم يزل معززا مكرما مدللا وجيها عند الله كما قدمنا في الصحيح من قصة فقئه عين ملك الموت ثم بعثه الله اليه ان كان يريد الحياة فليضع يده على جلد ثور فله بكل شعرة وارت يده سنة يعيشها قال ثم ماذا يا رب قال الموت قال فالان يا رب وسال الله ان يدنيه الى البيت المقدس رمية بحجر وقد اجيب الى ذلك صلوات الله وسلامه عليه فهذا الذي ذكره محمد ابن اسحاق ان كان انما يقوله من كتب اهل الكتاب ففي كتابهم الذي يسمونه التوراة ان الوحي لم يزل ينزل على موسى في كل احيانا احتاجوا اليه الى اخر مدة موسى كما هو المعلوم من سياق كتابهم عند تابوت الشهادة في قبة الزمان وقد ذكروا في السفر الثالث ان الله امر موسى وهارون ان يعدا بني اسرائيل على اسباطهم وان يجعلا على كل سبط من الاثني عشر اميرا وهو النقيب وما ذاك الا ليتاهبوا للقتال قتال الجبابرة عند الخروج من التيه وكان هذا عند اقتراب انقضاء الاربعين سنة ولهذا قال بعضهم انما فقا موسى عليه السلام عين ملك الموت لانه لم يعرفه في صورته تلك ولانه كان قد امر بامر كان يرتجي وقوعه في زمانه ولم يكن في قدر الله ان يقع ذلك في زمانه بل في زمان فتاه يوشع عليه السلام كما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان قد اراد غزو الروم بالشام فوصل الى تبوك ثم رجع عامه ذلك في سنة تسع ثم حج في سنة عشر ثم رجع فجهز جيش اسامة الى الشام طليعة بين يديه ثم كان على عزم الخروج اليهم امتثالا لقوله تعالى قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الاخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين اوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون ولما جهز رسول الله جيش اسامة توفي عليه الصلاة والسلام واسامة مخيم بالجرف فنفذه صديقه وخليفته ابو بكر الصديق رضي الله عنه ثم لما لم شعث جزيرة العرب وما كان دهى من امر اهلها وعاد الحق الى نصابه جهز الجيوش يمنة ويسرة الى العراق اصحاب كسرى ملك الفرس والى الشام اصحاب قيصر ملك الروم ففتح الله لهم ومكن لهم ومكنهم من نواصي اعدائهم كما سنورده في موضعه اذا انتهينا اليه مفصلا ان شاء الله بعونه وتوفيقه وحسن ارشاده وهكذا كان موسى عليه السلام كان الله تعالى قد امره ان يجند بني اسرائيل وان يجعل عليهم نقباء كما قال تعالى ولقد اخذ الله ميثاق بني اسرائيل وبعثنا منهم اثني عشر نقيبا وقال الله اني معكم لئن اقمتم الصلاة واتيتم الزكاة وامنتم برسلي وعزرتموهم واقرضتم الله قرضا حسنا لاكفرن عنكم سيئاتكم ولادخلنكم جنات تجري من

تحتها الانهار فمن كفر بعد ذلك منكم فقد ضل سواء السبيل يقول لهم لئن اقمتم
ما اوجب عليكم ولم تنكلوا عن القتال كما نكلتم اول مرة لاجعلن ثواب مدنسكرا لما وقع
عليكم من عقاب تلك كما قال تعالى لمن تخلف من الاعراب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
في غزوة الحديبية قل للمخلفين من الاعراب ستدعون الى قوم اولي باس شديد تقاتلونهم
او يسلمون فان تطيعوا يوتكم الله اجرا حسنا وان تتولوا كما توليتم من قبل يعذبكم عذابا
اليما وهكذا قال الله تعالى لبني اسرايل فمن كفر بعد ذلك منكم فقد ضل سوا السبيل
ثم ذمهم تعالى على سوء صنيعهم ونقضهم مواثيقهم كما ذم من بعدهم من النصارى على
اختلافهم في دينهم واديانهم وقد ذكرنا ذلك في التفسير مستقصى ولله الحمد والمقصود
ان الله تعالى امر موسى عليه السلام ان يكتب اسماء المقاتلة من بني اسرايل ممن يحمل السلاح
ويقاتل ممن بلغ عشرين سنة فصاعدا وان يجعل على كل قبيل منهم نقيبا السبط الاول سبط
روبيل لانه بكر يعقوب كانت عدة المقاتلة منه ستة واربعين الفا وخمسماية ونقيبهم منهم
وهو اليصور بن شاذون السبط الثاني سبط شمعون وكانوا تسعة وخمسين
الفا ونقيبهم شالومال بن صورشدى السبط الثالث سبط يهودا وكانوا اربعة وسبعين
الفا وستماية ونقيبهم يحشون بن عمينا ذاب السبط الرابع سبط ايساخر وكانوا
اربعة وخمسين الفا واربعماية ونقيبهم شال بن صاعون الخامس سبط يوسف عليه
السلام وكانوا اربعين الفا وخمسماية ونقيبهم يوشع بن نون السادس سبط ميشا
وكانوا احدى وثلثين الفا واربعماية ونقيبهم ابيدن بن جدعون الثامن سبط جاد وكانوا
خمسة واربعين الفا وستة وخمسين رجلا ونقيبهم اليسف بن دعرايل التاسع سبط
اشير وكانوا احدى واربعين الفا وخمسماية ونقيبهم فجايل بن عجران العاشر سبط دان
وكانوا اثنين وستين الفا وسبعماية ونقيبهم جعيدر بن عميشذى الحادي عشر سبط
نفتالي وكانوا ثلاثة وعشرين الفا واربعماية ونقيبهم اجدع بن عينان الثاني عشر
سبط زايلون وكانوا سبعة وخمسين الفا واربعماية ونقيبهم الياب بن حالون هذا نص
كتابهم الذي بايديهم والله اعلم وليس فيهم بنو لاوي بامر الله موسى ان لا يعدهم معهم لانهم
موكلون بحمل قبة الشهادة وخدمتها ونصبها وحملها اذا ارتحلوا وهم سبط موسى وهرون
عليهما السلام وكانوا اثني وعشرين الفا من ابن شهر فما فوق ذلك وهم في انفسهم
قبايل لكل قبيلة طايفة من قبة الزمان يحرسونها ويحفظونها ويقومون بمصالحها
ونصبها وحملها وهم كلهم حولها ينزلون ويرتحلون امامها ويمنتها وشمالها ووراها
وجملة ما ذكر من المقاتلة غير بني لاوي خمسماية الف واحد وسبعون الفا وستماية وستة
وخمسون لكن قالوا فكان عدد بني اسرايل من عمره عشرون سنة فما فوق ذلك ممن يحمل
السلاح ستماية الف وثلاثة الاف وخمسماية وخمسة وخمسين رجلا سوى بني لاوي
وفي هذا نظر فان جميع الجمل المتقدمة ان كانت كما وجدنا في كتابهم لا يطابق الجملة
التي ذكروها والله اعلم فكان بنو لاوي الموكلون بحفظ قبة الزمان يسيرون في وسط
بني اسرايل وهم القلب وراس الميمنة بنو روبيل وراس الميسرة بنو دان وبنو نفتالي يكونون
ساقة وقرر موسى عليه السلام بامر الله تعالى الكهانة في بني هرون كما كانت
لابيهم من قبلهم وهم ناداب وابيهو والعازر وايثمر والمقصود انه لم يبق من بني اسرايل

سنهم

منهم احد ممن كان نكل عن دخول مدينة الجبارين الذين قالوا اذهب انت وربك
فقاتلا انا هاهنا قاعدون قاله الثوري عن ابي سعد عن عكرمة عن ابن عباس وقاله قتادة
وعكرمة ورواه السدي عن ابن عباس وابن مسعود وناس من الصحابة حتى قال ابن عباس
وغيره من علماء السلف والخلف ومات موسى وهارون قبله كلاهما في التيه جميعا وقد
زعم ابن اسحاق ان الذي فتح بيت المقدس هو موسى وانما كان يوشع على مقدمته وذكر
في مروره اليها قصة بلعام بن باعورا الذي قال تعالى فيه واتل عليهم نبا الذي اتيناه

قصة بلعام بن باعور

اياتنا فانسلخ منها فاتبعه الشيطان فكان من الغاوين ولو شينا لرفعناه بها ولكنه
اخلد الى الارض واتبع هواه فمثله كمثل الكلب ان تحمل عليه يلهث او تتركه يلهث ذلك
مثل القوم الذين كذبوا باياتنا فاقصص القصص لعلهم يتفكرون ساء مثلا القوم
الذين كذبوا باياتنا وانفسهم كانوا يظلمون وقد ذكرنا قصته في التفسير انه كان
فيما قاله ابن عباس وغيره يعلم الاسم الاعظم وان قومه سالوه ان يدعو على موسى
وقومه فامتنع عليهم فلما الحوا عليه ركب حمارة له ثم سار نحو معسكر بني اسرايل فلما
اشرف عليهم ربضت به حمارته فضربها حتى قامت فسارت غير بعيد وربضت فضربها
ضربا اشد من الاول فقامت ثم ربضت فضربها فقالت له يا بلعام اين تذهب
اما ترى الملايكة امامي تردني عن وجهي هذا اتذهب الى نبي الله والمومنين تدعو عليهم فلم
ينزع عنها فضربها حتى سارت به حتى اشرف عليهم من راس جبل حسبان ونظر الى معسكر
موسى وبني اسرايل فاخذ يدعو عليهم فجعل لسانه لا يطيعه الا ان يدعو لموسى وقومه
ويدعو على قوم نفسه فلاموه على ذلك فاعتذر اليهم بانه لا يجري على لسانه الا هذا واندلع
لسانه حتى وقع على صدره وقال لقومه ذهبت الان مني الدنيا والاخرة ولم يبق الا المكر
والحيلة ثم امر قومه ان يزينوا النساء ويبعثوهن بالامتعة يبعن عليهم ويتعرضن
لهم حتى لعلهم يقعون في الزنا فانه متى زنى رجل منهم كفيتموهم ففعلوا وزينوا
نساءهم وبعثوهن الى العسكر فمرت امراة منهم اسمها كستي من عظماء بني اسرايل وهو
زمري بن شلوم يقال انه كان راس سبط بني شمعون بن يعقوب فدخل بها قبته فلما
خلا بها ارسل الله الطاعون على بني اسرايل فجعل يجوس فيهم فلما بلغ الخبر الى فنحاص بن
العيزار بن هرون اخذ حربته وكانت من حديد فدخل عليهما القبة فانتظمهما جميعا ثم
خرج بهما على الناس والحربة في يده وقد اعتمد على خاصرته واسندهما الى لحيته ورفعهما نحو
السما وجعل يقول اللهم هكذا تفعل بمن يعصيك ورفع الطاعون فكان جملة من مات
في تلك الساعة سبعين الفا والمقلل يقول عشرون الفا وكان فنحاص بكر ابيه العيزار
بن هرون فلهذا يجعل بنوا اسرايل لولد فنحاص من الذبيحة اللحية والذراع واللحي ولهم
البكر من كل اموالهم وانفسهم وهذا الذي ذكره ابن اسحاق من قصة بلعام صحيح قد
ذكره غير واحد من علماء السلف لكن لعله لما اراد موسى دخول بيت المقدس اول
مقدمه من الديار المصرية ولعله مراد ابن اسحاق ولكن ما فهمه بعض الناقلين عنه
وقد قدمنا عن نص التورية ما يشهد لبعض هذا والله اعلم او لعل هذه قصة اخرى
كانت في خلال سيرهم في التيه فان في هذا السياق ذكر حسبان وهي بعيدة من ارض
بيت المقدس او لعله كان هذا لجيش موسى الذين عليهم يوشع بن نون حين خرج

بهم من التيه قاصدا بيت المقدس كما صرح به السدي والله اعلم وعلى كل تقدير فالذي
عليه الجمهور ان هارون توفي بالتيه قبل موسى اخيه بنحو من سنتين وبعده موسى في التيه
ايضا كما قدمنا وانه سأل الله ان يقربه الى بيت المقدس فاجيب الى ذلك فكان الذي خرج
بهم من التيه وقصد بهم بيت المقدس هو يوشع بن نون عليه السلام فذكر اهل الكتاب
وغيرهم من اهل التاريخ انه قطع ببني اسرائيل نهر الاردن وانتهى الى اريحا وكانت من
احصن المدائن سورا واعلاها قصورا واكثرها اهلا فحاصرها ستة اشهر ثم
انهم احاطوا بها يوما وضربوا بالقرون يعني الابواق وكبروا تكبيرة رجل واحد فتفسخ
سورها وسقط وجبة واحدة فدخلوها واخذوا ما وجدوا فيها من الغنائم وقتلوا
اثني عشر الفا من الرجال والنساء وحاربوا ملوكا كثيرة ويقال ان يوشع ظهر على
احد وثلاثين ملكا من ملوك الشام وذكروا انه انتهى محاصرته لها الى يوم
جمعة بعد العصر فلما غربت الشمس او كادت تغرب وتدخل عليهم السبت
الذي جعل عليهم وشرع لهم ذلك الزمان قال لها انك مأمورة وانا مأمور اللهم
احبسها علي فحبسها الله عليه حتى تمكن من فتح البلد وامر القمر فوقف عن الطلوع
وهذا يقتضي ان هذه الليلة كانت الليلة الرابعة عشرة من الشهر والاول وهو
قصة الشمس مذكورة في الحديث الذي سأذكره واما قصة القمر فمن عند اهل
الكتاب ولا ينافي الحديث بل فيه زيادة تستفاد فلا يصدق ولا يكذب ولكن ذكرهم
ان هذا في فتح اريحا فيه نظر والاشبه والله اعلم ان هذا كان في فتح بيت المقدس
الذي هو المقصود الاعظم وفتح اريحا كان وسيلة اليه والله اعلم قال الامام
احمد ثنا اسود بن عامر ثنا ابو بكر عن هشام عن ابن سيرين عن ابي هريرة قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الشمس لم تحبس لبشر الا ليوشع ليالي سار الى بيت
المقدس انفرد به احمد من هذا الوجه وهو على شرط البخاري وفيه دلالة على ان الذي
فتح بيت المقدس هو يوشع بن نون لا موسى وان حبس الشمس كان في فتح بيت
المقدس لا اريحا وفيه ان هذا كان من خصائص يوشع عليه السلام فيدل على ضعف
الحديث الذي رويناه ان الشمس رجعت حتى صلى علي بن ابي طالب العصر بعدما فاتته
بسبب نوم النبي صلى الله عليه وسلم على ركبتيه فقال رسول الله ان يردها الله عليه
حتى يصلي العصر فرجعت وقد صححه احمد بن صالح المصري ولكنه منكر ليس في شيء من الصحاح
ولا الحسان وهو مما تتوفر الدواعي على نقله وتفردت بنقله امرأة من اهل البيت
مجهولة لا يعرف حالها والله اعلم وقال الامام احمد ثنا عبد الرزاق ثنا معمر
عن همام عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم غزا نبي من الانبياء فقال
لقومه لا يتبعني رجل قد ملك بضع امرأة وهو يريد ان يبني بها ولما يبن ولا اخر قد بنى
بنيانا ولم يرفع سقفها ولا اخر قد اشترى غنما او خلفات وهو ينتظر اولادها
فغزا فدنا من القرية حين صلى العصر او قريبا فقال للشمس انت مأمورة وانا
مأمور اللهم احبسها علي شيئا فحبست عليه حتى فتح الله عليه فجمعوا ما غنموا فاقبلت
النار لتأكله فأبت ان تطعمه فقال فيكم الغلول فليبايعني من كل قبيلة رجل فبايعوه
فلصقت يد رجل بيده فقال فيكم الغلول فلتبايعني قبيلتك فبايعته قبيلته فلصق

بيده

بيده رجلين او ثلاثة فقال فيكم الغلول انتم غللتم فاخرجوا له مثل رأس بقرة
من ذهب قال فوضعوه بالمال وهو بالصعيد فاقبلت النار فاكلته فلم تحل
الغنائم لاحد من قبلنا ذلك بان الله رأى ضعفنا وعجزنا فطيبها لنا انفرد به مسلم
من هذا الوجه وقد روى البزار من طريق مبارك بن فضالة عن عبيد الله عن سعيد
المقبري عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم نحوه قال ورواه محمد بن عجلان
عن سعيد المقبري قال ورواه قتادة عن سعيد بن المسيب عن ابي هريرة عن
النبي صلى الله عليه وسلم والمقصود انه لما دخل بهم باب المدينة امروا ان يدخلوها
سجدا اي ركعا متواضعين شاكرين لله عز وجل على ما من عليهم من الفتح العظيم
الذي كان الله وعدهم اياه وان يقولوا حال دخولهم حطة اي حط عنا خطايانا
التي سلفت من نكولنا الذي تقدم لنا ولهذا دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم
مكة يوم فتحها دخلها وهو راكب ناقته وهو متواضع حامد شاكر حتى ان عثنونه
وهو طرف لحيته ليمس مورك رحله مما يطأطئ رأسه خضوعا لله عز وجل ومعه الجنود
والجيوش ممن لا يرى منه الا الحدق ولا سيما الكتيبة الخضراء التي فيها رسول الله صلى
الله عليه وسلم ثم لما دخلها اغتسل وصلى ثماني ركعات ثم لما دخلها اغتسل وهي
صلاة الشكر على النصر على المنصور من قولي العلماء وقيل انها صلاة الضحى وما حمل
القائل على قوله هذا الا انها وقعت وقت الضحى واما بنو اسرائيل فانهم خالفوا ما امروا
به قولا وفعلا دخلوا الباب يزحفون على استاههم وهم يقولون حبة في شعرة وفي
رواية حنطة في شعرة وحاصله انهم بدلوا ما امروا به واستهزؤوا به كما قال تعالى
حاكيا عنهم في سورة الاعراف وهي مكية واذ قيل لهم اسكنوا هذه القرية وكلوا منها
حيث شئتم وادخلوا الباب سجدا نغفر لكم خطاياكم سنزيد المحسنين فبدل الذين
وقولوا حطة صح
ظلموا منهم قولا غير الذي قيل لهم فارسلنا عليهم رجزا من السماء بما كانوا يظلمون وقال
تعالى في سورة البقرة وهي مدنية مخاطبا لهم واذ قلنا ادخلوا هذه القرية
فكلوا منها حيث شئتم رغدا وادخلوا الباب سجدا وقولوا حطة نغفر لكم خطاياكم
وسنزيد المحسنين فبدل الذين ظلموا قولا غير الذي قيل لهم فانزلنا على الذين ظلموا
رجزا من السماء بما كانوا يفسقون قال الثوري عن الاعمش عن المنهال بن عمرو عن
سعيد بن جبير عن ابن عباس وادخلوا الباب سجدا قال ركعا من باب صغير رواه الحاكم
وابن جرير وابن ابي حاتم وكذا روى العوفي عن ابن عباس وكذا روى الثوري عن ابي
اسحاق عن البراء قال مجاهد والسدي والضحاك الباب هو باب حطة من
ابواب ايليا بيت المقدس قال ابن مسعود فدخلوا مقنعي رؤوسهم ضد ما امروا
وهذا لا ينافي قول ابن عباس انهم دخلوا يزحفون على استاههم وهكذا في الحديث
الذي سنورده بعد فانهم دخلوا يزحفون وهم مقنعوا رؤوسهم وقوله وقولوا حطة
الواو هاهنا حالية لا عاطفة اي ادخلوا سجدا في حال قولكم حطة قال ابن عباس
وعطاء والحسن وقتادة والربيع امروا ان يستغفروا قال البخاري ثنا محمد
ثنا عبد الرحمن بن مهدي عن ابن المبارك عن معمر عن همام بن منبه عن ابي هريرة
عن النبي صلى الله عليه وسلم قال قيل لبني اسرائيل ادخلوا الباب سجدا وقولوا حطة

فدخلوا يزحفون على استاههم فبدلوا وقالوا حطة حبة في شعرة وكذا رواه النسائي
من حديث ابن المبارك ببعضه ورواه عن محمد بن اسماعيل بن ابراهيم عن ابن مهدي به موقوفا
وقد قال عبد الرزاق انا معمر عن همام بن منبه انه سمع ابا هريرة يقول قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال الله لبني اسرائيل ادخلوا الباب سجدا وقولوا حطة يغفر لكم خطاياكم
فبدلوا فدخلوا الباب يزحفون على استاههم فقالوا حبة في شعرة ورواه البخاري ومسلم
والترمذي من حديث عبد الرزاق وقال الترمذي حسن صحيح وقال محمد بن اسحاق كان
تبديلهم كما حدثني صالح بن كيسان عن صالح مولى التوأمة عن ابي هريرة وعمن لا اتهم
عن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال دخلوا الباب الذي امروا ان
يدخلوا فيه سجدا يزحفون على استاههم وهم يقولون حنطة في شعيرة وقال اسباط عن
السدي عن مرة عن ابن مسعود قال في قوله فبدل الذين ظلموا قولا غير الذي قيل
لهم قال قالوا هطي سمقا ثا ازبه مزبا فهي بالعربية حبة حنطة حمراء مثقوبة فيها شعرة
سوداء وقد ذكر الله تعالى انه عاقبهم على هذه المخالفة بارسال الرجز الذي انزل عليهم
وهو الطاعون كما ثبت في الصحيح من حديث الزهري عن ابن عباس عن عامر بن سعد ومن
حديث مالك عن محمد بن المنكدر وسالم ابي النضر عن عامر بن سعد عن اسامة بن زيد
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ان هذا الوجع او السقم رجز عذب به بعض الامم
قبلكم وروى النسائي وابن ابي حاتم وهذا لفظه من حديث الثوري عن حبيب بن ابي ثابت
عن ابراهيم بن سعد بن ابي وقاص عن ابيه واسامة بن زيد وخزيمة بن ثابت قالوا قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم الطاعون رجز عذاب عذب به من كان قبلكم وقال
الضحاك عن ابن عباس الرجز العذاب وكذا قال مجاهد وابو مالك والسدي والحسن
وقتادة وقال ابو العالية هو الغضب وقال الشعبي الرجز اما الطاعون واما البرد
وقال سعيد بن جبير هو الطاعون ولما استقرت يد بني اسرائيل على بيت المقدس
استمروا فيه وبين اظهرهم نبي الله يوشع يحكم بينهم بكتاب الله التوراة حتى قبضه الله
اليه وهو ابن مائة وسبع وعشرين سنة فكان مدة حياته بعد موسى سبعا وعشرين
سنة

ذكر قصة الخضر والياس عليهما السلام

اما الخضر فقد تقدم ان موسى عليه السلام رحل اليه في طلب ما عنده من العلم وقص الله
خبرهما في كتابه العزيز في سورة الكهف وذكرنا تفسير ذلك هنالك واوردنا هنا
ذكر الحديث المصرح بذكر الخضر عليه السلام وان الذي رحل اليه موسى بن عمران نبي بني اسرائيل
عليه السلام الذي انزلت عليه التوراة وقد اختلف في الخضر في اسمه ونسبه ونبوته
وحياته الى الان على اقوال سأذكرها لك ههنا ان شاء الله بحوله وقوته قال
الحافظ ابن عساكر يقال ان الخضر ابن آدم عليه السلام لصلبه ثم روى من طريق الدارقطني
ثنا محمد بن الفتح القلانسي ثنا العباس بن عبد الله الرومي ثنا رواد بن الجراح ثنا
مقاتل بن سليمان عن الضحاك عن ابن عباس قال الخضر ابن آدم لصلبه ونسئ له في اجله
حتى يكذب الدجال وهذا منقطع وغريب وقال ابو حاتم سهل بن محمد بن عثمان السجستاني
سمعت مشيختنا منهم ابو عبيدة وغيره قالوا ان اطول بني آدم عمرا الخضر واسمه
خضرون بن قابيل بن آدم قال وذكر ابن اسحاق ان آدم عليه السلام لما حضرته

الوفاة اخبر بنيه ان الطوفان سيقع بالناس واوصاهم اذا كان ذلك ان يحملوا جسده
معهم في السفينة وان يدفنوه في مكان عينه لهم فلما كان الطوفان حملوه معهم فلما
هبطوا الى الارض امر نوح بنيه ان يذهبوا ببدنه فيدفنوه حيث اوصى فقالوا ان الارض
ليس بها انيس وعليها وحشة فحرضهم وحثهم على ذلك وقال ان آدم دعا لمن يلي دفنه
بطول العمر فهابوا المسير الى ذلك الموضع في ذلك الوقت فلم يزل جسده عندهم
حتى كان الخضر هو الذي تولى دفنه وانجز الله ما وعده فهو يحيا الى ما شاء الله له
ان يحيى وذكر ابن قتيبة في المعارف عن وهب بن منبه ان اسم الخضر بليا ويقال
ايليا بن ملكان بن فالغ بن عابر بن شالخ بن ارفخشذ بن سام بن نوح عليه السلام وقال (في الهامش: شالخ)
اسماعيل بن ابي اويس اسم الخضر فيما بلغنا والله اعلم المعمر بن مالك بن عبد الله بن
نصر بن الازد وقال غيره هو خضرون بن عمياييل بن اليفز بن العيص بن ابراهيم
الخليل ويقال ارميا بن طبنا والله اعلم وقيل انه كان ابن فرعون صاحب موسى ملك
مصر وهذا غريب جدا قال ابن الجوزي رواه محمد بن ايوب عن ابن لهيعة وهما ضعيفان
وقيل انه ابن مالك وهو اخو الياس قاله السدي كما سيأتي وقيل كان على مقدمة ذي
القرنين وقيل كان ابن بعض من آمن بابراهيم الخليل وهاجر معه وقيل كان نبيا في زمن
بشتاسب بن لهراسب قال ابن جرير والصحيح انه كان متقدما في زمن افريدون
ابن مصر ادركه موسى عليه السلام وروى الحافظ ابن عساكر عن سعيد بن المسيب انه قال
الخضر امه رومية وابوه فارسي وقال بعضهم كنيته ابو العباس والاشهر والله
اعلم ان الخضر لقب غلب عليه قال البخاري حدثنا محمد بن سعيد الاصبهاني ثنا
ابن المبارك عن معمر عن همام عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال انما سمي الخضر
لانه جلس على فروة بيضاء فاذا هي تهتز من خلفه خضراء تفرد به البخاري وكذا رواه
من حديث عبد الرزاق عن معمر به ثم قال عبد الرزاق الفروة الحشيش الابيض وما
اشبهه يعني الهشيم اليابس قال الخطابي وقال ابو عمر الفروة الارض البيضاء التي
لا نبات فيها وقال غيره هو الهشيم اليابس شبهه بالفروة وقيل الفروة الراس وهي
جلدته بما عليها من الشعر كما قال الراعي

ولقد ترى الحبشي حول بيوتنا • جذلا اذا ما نال يوما ماكلا
صعلا اسك كان فروة راسه • بذرت فانبت جانباه فلفلا

قال الخطابي انما سمي الخضر خضرا لحسنه واشراق وجهه قلت وهذا لا ينافي ما ثبت
في الحديث فان كان ولا بد من التعليل باحدهما فما ثبت في الصحيح اولى واقوى بل لا يلتفت
الى ما عداه وقد روى الحافظ ابن عساكر هذا الحديث ايضا من طريق اسماعيل بن حفص
ابن عمر الايلي ثنا عثمان وابو جزي وهمام بن يحيى عن قتادة عن عبد الله بن الحارث بن نوفل
عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال انما سمي الخضر خضرا لانه صلى على فروة بيضاء
فاهتزت خضراء وهذا غريب من هذا الوجه وقال قبيصة عن الثوري عن منصور عن مجاهد
قال انما سمي الخضر لانه كان اذا صلى اخضر ما حوله وتقدم ان موسى ويوشع عليهما السلام
لما رجعا يقصان الاثر وجداه على طنفسة خضراء على كبد البحر وهو مسجى بثوب قد جعل طرفه
من تحت راسه وقدميه فسلم عليه موسى عليه السلام فكشف عن وجهه فرد وقال اني

بارض السلام من انت قال انا موسى قال موسى بني اسرائيل قال نعم فكان من امرهما ما قص الله في كتابه عنهما وقد دل سياق القصة على نبوته من وجوه احدها قوله تعالى فوجدا عبدا من عبادنا اتيناه رحمة من عندنا وعلمناه من لدنا علما الثاني قول موسى له هل اتبعك على ان تعلمني مما علمت رشدا قال انك لن تستطيع معي صبرا وكيف تصبر على ما لم تحط به خبرا قال ستجدني ان شا الله صابرا ولا اعصي لك امرا قال فان اتبعتني فلا تسالني عن شي حتى احدث لك منه ذكرا فلو كان وليا وليس بنبي لم يخاطبه موسى بهذه المخاطبة ولم يرد على موسى هذا الرد بل موسى انما سال صحبته لينال ما عنده من العلم الذي اختصه الله به دونه فلو كان غير نبي لم يكن معصوما ولم يكن لموسى وهو نبي عظيم ورسول كريم واجب العصمة كبير رغبة ولا عظيم طلبة في علم ولي غير واجب العصمة ولما عزم على الذهاب اليه والتفتيش عليه ولو انه يمضي حقبا من الزمان قيل ثمانين سنة ثم لما اجتمع به تواضع له وعظمه واتبعه في صورة مستفيد منه دل على انه نبي مثله يوحى اليه كما يوحى اليه وقد خص من العلوم اللدنية والاسرار النبوية بما لم يطلع عليه موسى الكليم نبي بني اسرائيل الكريم وقد احتج بهذا المسلك بعينه الرماني على نبوة الخضر عليه السلام الثالث ان الخضر اقدم على قتل ذلك الغلام وما ذاك الا للوحي اليه به من الملك العلام وهذا دليل مستقل على نبوته وبرهان ظاهر على عصمته لان الولي لا يجوز له الاقدام على قتل النفوس بمجرد ما يلقى في خلده لان خاطره ليس بواجب العصمة اذ يجوز عليه الخطا بالاتفاق ولما اقدم الخضر على قتل ذلك الغلام الذي لم يبلغ الحلم علما منه بانه اذا بلغ يكفر ويحمل ابويه على الكفر لشدة محبتهما له فيتابعانه عليه ففي قتله مصلحة عظيمة تربو على بقاء مهجته صيانة لابويه عن الوقوع في الكفر وعقوبته دل ذلك على نبوته وانه مؤيد من الله بعصمته وقد رايت الشيخ ابا الفرج بن الجوزي طرق هذا المسلك بعينه في الاحتجاج على نبوة الخضر وصححه وحكى الاحتجاج الرابع انه لما فسر الخضر تاويل تلك الافاعيل لموسى ووضح له عن حقيقة امره وجلى قال بعد ذلك كله رحمة من ربك وما فعلته عن امري يعني ما فعلته من تلقاء نفسي بل امرت به واوحي الي فيه فدلت هذه الوجوه ولا ينافي ذلك حصول الولاية بل والرسالة كما قال اخرون واما كونه ملكا من الملائكة فقول غريب جدا واذا ثبتت نبوته كما ذكرناه لم يبق لمن قال بولايته وان الولي قد يطلع على حقيقة الامور دون ارباب الشرع الظاهر مستند يستندون اليه ولا معتمد يعتمدون عليه واما الخلاف في وجوده الى زماننا هذا فالجمهور على انه باق الى اليوم قيل لانه دفن ادم بعد خروجهم من الطوفان فنالته دعوة ابيه ادم بطول الحيوة وقيل لانه شرب من عين الحيوة فحيي وذكروا اخبارا استشهدوا بها على بقائه الى الان وسنوردها مع غيرها ان شا الله تعالى وبه الثقة وهذه وصيته لموسى حين قال هذا فراق بيني وبينك سانبئك بتاويل ما لم تستطع عليه صبرا روي في ذلك اثار منقطعة كثيرة قال البيهقي انا ابو سعيد بن ابي عمرو ثنا ابو عبد الله الصفار ثنا ابو بكر بن ابي الدنيا ثنا اسحاق بن اسماعيل ثنا جرير حدثنا ابو عبد الله الملطي قال لما اراد موسى ان يفارق الخضر قال له موسى اوصني قال كن نفاعا ولا تكن ضرارا كن بشاشا ولا تكن غضبان ارجع عن اللجاجة ولا تمش في غير حاجة وفي رواية من طريق اخرى زيادة ولا تضحك الا من عجب وقال وهب بن منبه قال الخضر يا موسى ان الناس

معذبون في الدنيا على قدر همومهم بها وقال بشر بن الحارث الحافي قال موسى للخضر اوصني فقال يسر الله عليك طاعته وقد ورد في ذلك حديث مرفوع رواه ابن عساكر من طريق زكريا بن يحيى الوقار الا انه من الكذابين الكبار قال قرات على عبد الله بن وهب وانا اسمع قال الثوري قال مجالد قال ابو الوداك قال ابو سعيد قال عمر بن الخطاب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اخي موسى يا رب ذكر كلمة فاتاه الخضر وهو فتى طيب الريح حسن بياض الثياب مشمرها فقال السلام عليك ورحمة الله يا موسى بن عمران ان ربك يقرا عليك السلام قال موسى هو السلام واليه السلام والحمد لله رب العالمين الذي لا احصي نعمه ولا اقدر على اداء شكره الا بمعونته ثم قال موسى اريد ان توصيني بوصية ينفعني الله بها بعدك فقال الخضر يا طالب العلم ان القائل اقل ملالة من المستمع فلا تمل جلساءك اذا حدثتهم واعلم ان قلبك وعاء فانظر ماذا تحشو به وعاءك واعرف عن الدنيا وانبذها وراءك فانها ليست لك بدار ولا لك فيها محل قرار وانما جعلت بلغة للعباد والتزود منها للمعاد ورض نفسك على الصبر تخلص من الاثم يا موسى تفرغ للعلم ان كنت تريده فان كثرة المنطق تشين العلماء وتبدي مساوي السخفاء ولكن عليك بالاقتصاد فان ذلك من التوفيق والسداد واعرض عن الجهال وباطلهم واحلم عن السفهاء فان ذلك فعل الحكماء وزين العلماء اذا شتمك الجاهل فاسكت عنه حلما وجانبه حزما فان ما بقي من جهله عليك وسبه اياك اكثر واعظم يا ابن عمران ولا ترى انك اوتيت من العلم الا قليلا فان الاندلاث والتعسف من الاقتحام والتكلف يا ابن عمران لا تفتحن بابا لا تدري ما غلقه ولا تغلقن بابا لا تدري ما فتحه يا ابن عمران من لا ينتهي من الدنيا نهمته ولا تنقضي منها رغبته كيف يكون عابدا ومن يحقر حاله ويتهم الله فيما قضى له كيف يكون زاهدا هل يكف عن الشهوات من غلب عليه هواه او ينفعه طلب العلم والجهل قد حواه لان سعيه الى اخرته وهو مقبل على دنياه يا موسى تعلم ما تعلمت لتعمل به ولا تعلمه لتحدث به فيكون عليك بواره ولغيرك نوره يا موسى بن عمران اجعل الزهد والتقوى لباسك والعلم والذكر كلامك واستكثر من الحسنات فانك مصيب السيئات وزعزع بالخوف قلبك فان ذلك يرضي ربك واعمل خيرا فانك لا بد عامل سوءا قد وعظت ان حفظت قال فتولى الخضر وبقي موسى محزونا مكروبا يبكي لا يصح هذا الحديث واظنه من صنعة زكريا ابن يحيى الوقار المصري كذبه غير واحد والعجب ان الحافظ ابن عساكر سكت عليه وقال الحافظ ابو نعيم الاصبهاني ثنا سليمان بن احمد بن ايوب الطبراني ثنا عمرو بن اسحاق بن ابراهيم ابن العلاء الحمصي ثنا محمد بن الفضل بن عمران الكندي ثنا بقية بن الوليد عن محمد بن زياد عن ابي امامة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لاصحابه الا احدثكم عن الخضر قالوا بلى يا رسول الله قال بينما هو ذات يوم يمشي في سوق بني اسرائيل ابصره رجل مكاتب فقال تصدق علي بارك الله فيك فقال الخضر امنت بالله ما شا الله من امر يكون ما عندي من شي اعطيكه فقال المسكين اسالك بوجه الله لما تصدقت علي فاني نظرت الى السما في وجهك ورجوت البركة عندك فقال الخضر امنت بالله ما عندي من شي اعطيكه الا ان تاخذني فتبيعني فقال المسكين وهل يستقيم هذا قال نعم الحق اقول لك لقد سالتني بامر عظيم اما اني لا اخيبك بوجه ربي بعني قال فقدمه الى السوق فباعه باربع مائة

درهم فمكث عند المشتري زمانا لا يستعمله في شيء فقال له انك انما ابتعتني التماس خير
عندي فأوصني بعمل قال اكره ان اشق عليك انك شيخ كبير ضعيف قال ليس يشق علي قال
فانقل هذه الحجارة وكان لا ينقلها دون ستة نفر في يوم فخرج الرجل لبعض حاجته ثم
انصرف وقد نقل الحجارة في ساعة فقال احسنت واجملت واطقت ما لم ارك تطيقه
ثم عرض للرجل سفر فقال اني احسبك امينا فاخلفني في اهلي خلافة حسنة قال فأوصني بعمل
قال اني اكره ان اشق عليك قال ليس يشق علي قال فاضرب من اللبن لبيتي حتى اقدم عليك
فمضى الرجل لسفره فرجع وقد شيد بناءه فقال اسالك بوجه الله ما سببك وما امرك فقال
سالتني بوجه الله والسؤال بوجه الله اوقعني في العبودية سأخبرك من انا انا الخضر الذي
سمعت به سالني مسكين صدقة فلم يكن عندي شيء اعطيه فسالني بوجه الله فامكنته من رقبتي
فباعني واخبرك انه من سئل بوجه الله فرد سائله وهو يقدر وقف يوم القيمة جلده ولا لحم
له ولا عظم يتقعقع فقال الرجل آمنت بالله شققت عليك يا نبي الله ولم اعلم قال
لا بأس احسنت واتقنت فقال الرجل بابي وامي يا نبي الله احكم في اهلي ومالي بما اراك الله
او اخيرك فاخلي سبيلك فقال احب ان تخلي سبيلي فاعبد ربي فخلى سبيله فقال الخضر
الحمد لله الذي اوثقني في العبودية ثم نجاني منها وهذا حديث رفعه خطأ والاشبه ان
يكون موقوفا وفي رجاله من لا يعرف والله اعلم وقد رواه ابن الجوزي في كتابه عجالة المنتظر
في شرح حال الخضر من طريق عبد الوهاب بن الضحاك وهو متروك عن بقية وقد روى الحافظ
ابن عساكر باسناده الى السدي ان الخضر والياس كانا اخوين وكان ابوهما ملكا فقال
الياس لابيه ان اخي الخضر لا رغبة له في الملك فلو انك زوجته لعله يجيء منه ولد يكون الملك
له فزوجه ابوه بامراة حسناء بكر فقال لها الخضر انه لا حاجة لي في النساء فان شئت
اطلقت سراحك وان شئت فتمتعي معي تعبدين الله عز وجل وتكتمين علي سري فقالت نعم
واقامت معه سنة فلما مضت السنة دعاها الملك فقال انك شابة وابني شاب
فاين الولد فقالت انما الولد من عند الله ان شاء كان وان شاء لم يكن فامره ابوه فطلقها
وزوجه اخرى ثيبا قد ولدت فلما زفت اليه قال لها كما قال للتي قبلها فاجابت
الى الاقامة عنده فلما مضت السنة سألها الملك عن الولد فقالت ان ابنك لا حاجة
له في النساء فتطلبه ابوه فهرب من اجل ذلك واطلق سراح الاخرى فاقامت تعبد الله
في بعض نواحي تلك المدينة فمر بها رجل يوما فسمعته يقول بسم الله فقالت اني لك
هذا الاسم فقال اني من اصحاب الخضر فتزوجته فولدت له اولادا ثم صار من امرها ان صارت
ماشطة بنت فرعون فبينما هي يوما تمشطها اذ وقع المشط من يدها فقالت بسم الله
فقالت ابنته فرعون ابي قالت لا ربي وربك ورب ابيك الله فاعلمت اباها فامر ببقرة
من نحاس فاحميت ثم امر بها فالقيت فيه فلما عاينت ذلك تقاعست ان تقع فيها
فقال لها ابن معها صغير يا امه اصبري فانك على الحق فالقت نفسها في النار فماتت
رحمها الله وقد روى ابن عساكر عن ابي داود الاعمى نفيع وهو كذاب وضاع عن انس بن مالك
ومن طريق كثير بن عبد الله بن عمرو بن عوف وهو كذاب ايضا عن ابيه عن جده ان الخضر جاء
ليلة فسمع النبي صلى الله عليه وسلم وهو يدعو ويقول اللهم اعني على ما ينجيني مما
خوفتني وارزقني شوق الصالحين الى ما شوقتهم اليه فبعث اليه رسول الله انس بن

مالك يسلم عليه فرد السلام وقال قل له ان الله فضلك على الانبياء كما فضل رمضان
على سائر الشهور وفضل امتك على الامم كما فضل يوم الجمعة على غيره الحديث وهو مكذوب
لا يصح سندا ولا متنا كيف لا يتمثل بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم ويجيء بنفسه
مسلما ومتعلما وهم يذكرون في حكاياتهم وما يسندونه عن بعض مشايخهم ان الخضر
يأتي اليهم ويسلم عليهم ويعرف اسماءهم ومنازلهم ومحالهم وهو مع هذا لا يعرف موسى بن
عمران كليم الله الذي اصطفاه الله في ذلك الزمان على من سواه حتى يتعرف اليه بانه موسى
بني اسرائيل وقد قال الحافظ ابو الحسين بن المنادي بعد ايراده حديث انس هذا واهل
الحديث متفقون على انه حديث منكر الاسناد سقيم المتن تتبين فيه اثر الصنعة فاما
الحديث الذي رواه ابو بكر البيهقي قائلا اخبرنا ابو عبد الله الحافظ انا ابو بكر بن بالويه
ثنا محمد بن بشر بن مطر ثنا كامل بن طلحة ثنا عباد بن عبد الصمد عن انس بن مالك قال
لما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم احدق به اصحابه فبكوا حوله واجتمعوا فدخل رجل
اشهب اللحية جسيم صبيح فتخطى رقابهم فبكى ثم التفت الى اصحاب رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقال ان في الله عزاء من كل مصيبة وعوضا من كل فائت وخلفا من كل هالك
فالى الله فانيبوا واليه فارغبوا ونظره اليكم في البلاء فانظروا فان المصاب من لم يجبر
وانصرف فقال بعضهم لبعض تعرفون الرجل فقال ابو بكر وعلي هذا اخو رسول الله صلى
الله عليه وسلم الخضر عليه السلام وقد رواه ابو بكر بن ابي الدنيا عن كامل بن طلحة به وفي
متنه مخالفة لسياق البيهقي ثم قال البيهقي عباد بن عبد الصمد ضعيف وهذا منكر بمره
قلت عباد بن عبد الصمد هذا هو ابو معمر البصري روى عن انس نسخة قال ابن حبان والعقيلي
اكثرها موضوع وقال البخاري منكر الحديث وقال ابو حاتم ضعيف الحديث جدا منكره وقال
ابن عدي عامة ما يرويه في فضائل علي وهو ضعيف غال في التشيع وقال الشافعي في
مسنده انا القسم بن عبد الله بن عمر عن جعفر بن محمد عن ابيه عن جده علي بن الحسين قال
لما توفي رسول الله وجاءت التعزية سمعوا قائلا يقول ان في الله عزاء من كل مصيبة وخلفا
من كل هالك ودركا من كل فائت فبالله فثقوا واياه فارجوا فان المصاب من حرم الثواب
قال علي بن الحسين تدرون من هذا هذا الخضر شيخ الشافعي القسم العمري متروك قال
احمد بن حنبل ويحيى بن معين يكذب زاد احمد ويضع الحديث ثم هو مرسل ومثله لا يعتمد
عليه ههنا والله اعلم وقد روي من وجه اخر ضعيف عن جعفر بن محمد عن ابيه عن جده
عن ابيه عن علي ولا يصح وقد روى عبد الله بن وهب عمن حدثه عن محمد بن عجلان عن محمد
بن المنكدر ان عمر بن الخطاب بينما هو يصلي على جنازة اذ سمع هاتفا وهو يقول لا تسبقنا
يرحمك الله فانتظره حتى لحق بالصف فذكر دعاءه للميت ان تعذبه فكثيرا عصاك وان
تغفر له ففقير الى رحمتك ولما دفن قال طوبى لك يا صاحب القبر ان لم تكن عريفا
او جابيا او خازنا او كاتبا او شرطيا فقال عمر خذوا الرجل نسأله عن صلاته وكلامه عمن
هو قال فتوارى عنهم فنظروا فاذا اثر قدمه ذراع فقال عمر هذا والله الخضر الذي حدثنا
عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا الاثر فيه مبهم وفيه انقطاع ولا يصح مثله
وروى الحافظ ابن عساكر عن الثوري عن عبد الله بن المحرز عن يزيد بن الاصم عن علي بن ابي طالب
قال دخلت الطواف في بعض الليل فاذا انا برجل متعلق باستار الكعبة وهو يقول يا من

لا يشغله سمع عن سمع ويا من لا تغلطه المسائل ويا من لا يبرمه الحاح الملحين ولا مسألة السائلين اذقني برد عفوك وحلاوة رحمتك قال فقلت اعد علي ما قلت فقال لي او سمعته قلت نعم فقال لي والذي نفس الخضر بيده قال وكان هو الخضر لا يقولها عبد خلف صلاة مكتوبة الا غفر الله له ذنوبه ولو كانت مثل زبد البحر وورق الشجر وعدد النجوم لغفرها الله له وهذا ضعيف من جهة عبد الله بن المحرر فانه متروك الحديث ويزيد بن الاصم لم يدرك عليا ومثل هذا لا يصح والله اعلم وقد رواه ابو اسماعيل الترمذي ثنا مالك بن اسماعيل ثنا صالح بن ابي الاسود عن محفوظ بن عبد الله الحضرمي عن محمد بن يحيى قال بينما علي بن ابي طالب يطوف بالكعبة اذا هو برجل متعلق باستار الكعبة وهو يقول يا من لا يشغله سمع عن سمع ولا يا من لا يغلطه السائلون ويا من لا يبرمه الحاح الملحين اذقني برد عفوك وحلاوة رحمتك قال فقال له علي يا عبد الله اعد دعاءك هذا قال وقد سمعته قال نعم قال فادع به في دبر كل صلاة فوالذي نفس الخضر بيده لو كان عليك من الذنوب عدد نجوم السماء ومطرها وحصبا الارض وترابها لغفر لك اسرع من طرفة عين وهذا ايضا منقطع وفي اسناده من لا يعرف والله اعلم وقد رواه ابن الجوزي من طريق ابي بكر بن ابي الدنيا ثنا يعقوب بن يوسف ثنا مالك بن اسماعيل فذكر نحوه ثم قال وهذا اسناد مجهول منقطع وليس فيه ما يدل على ان الرجل الخضر وقال الحافظ ابو القسم بن عساكر انا ابو القسم بن الحسن انا ابو طالب محمد بن محمد انا ابو اسحاق المزكي ثنا محمد بن اسحاق بن خزيمة ثنا محمد بن احمد بن زيد املاه علينا ببغداد انا عمرو بن عاصم ثنا الحسن بن رزين عن ابن جريج عن عطا عن ابن عباس قال ولا اعلمه الا مرفوعا الى النبي صلى الله عليه وسلم قال يلتقي الخضر والياس كل عام في الموسم فيحلق كل واحد منهما راس صاحبه ويتفرقان عن هؤلاء الكلمات بسم الله ما شا الله لا يسوق الخير الا الله ما شا الله لا يصرف السوء الا الله ما شا الله ما كان من نعمة فمن الله ما شا الله لا حول ولا قوة الا بالله قال وقال ابن عباس من قالهن حين يصبح وحين يمسي ثلاث مرات آمنه الله من الغرق والحرق والسرق قال واحسبه قال ومن الشيطان والسلطان والحية والعقرب قال الدارقطني في الافراد هذا حديث غريب من حديث ابن جريج لم يحدث به عنه غير هذا الشيخ عنه يعني الحسن بن رزين هذا وقد روي عن محمد بن كثير العبدي ايضا ومع هذا قال فيه الحافظ ابو احمد بن عدي ليس بالمعروف وقال الحافظ ابو جعفر العقيلي مجهول وحديثه غير محفوظ وقال ابو الحسين بن المنادي هو حديث واه بالحسن بن رزين وقد روى ابن عساكر نحوه من طريق علي بن الحسن الجهضمي وهو كذاب عن ضمرة بن حبيب المقدسي عن ابيه عن العلا ابن زياد القشيري عن عبد الله بن الحسن عن ابيه عن جده عن علي بن ابي طالب مرفوعا قال يجتمع كل يوم عرفة بعرفات جبريل وميكائيل واسرافيل والخضر وذكر حديثا طويلا موضوعا تركنا ايراده قصدا ولله الحمد وروى ابن عساكر من طريق هشام بن خالد عن الحسن بن يحيى الخشني عن ابن ابي رواد قال الياس والخضر يصومان شهر رمضان في بيت المقدس ويحجان في كل سنة ويشربان من ماء زمزم شربة تكفيهما الى مثلها من قابل وروى ابن عساكر ان الوليد بن عبد الملك بن مروان باني جامع دمشق احب ان

يتعبد ليلة في المسجد فامر القومة ان يخلوه له ففعلوا فلما كان من الليل جاء من باب الساعات فدخل الجامع فاذا رجل قائم يصلي فيما بينه وبين باب الخضراء فقال للقومة الم امركم ان تخلوه فقالوا يا امير المؤمنين هذا الخضر يجيء كل ليلة يصلي ههنا وقال ابن عساكر ايضا انا ابو القسم اسماعيل بن احمد انا ابو بكر بن الطبري انا ابو الحسين بن الفضل انا عبد الله بن جعفر ثنا يعقوب هو ابن سفيان الفسوي حدثني محمد بن عبد العزيز ثنا ضمرة عن السري بن يحيى عن رياح بن عبيدة قال رايت رجلا يماشي عمر ابن عبد العزيز معتمدا على يديه فقلت في نفسي ان هذا الرجل جافي قال فلما انصرف من الصلاة قلت من الرجل الذي كان معتمدا على يدك آنفا قال وقد رايته يا رياح قلت نعم قال ما احسبك الا رجلا صالحا ذاك اخي الخضر بشرني اني سالي واعدل قال الشيخ ابو الفرج ابن الجوزي الرملي مجروح عند العلما وقد قدح ابو الحسين المنادي في ضمرة والسري ورياح ثم اورد من طرق اخر عن عمر بن عبد العزيز انه اجتمع بالخضر وضعفها كلها وروى ابن عساكر ايضا انه اجتمع بابراهيم التيمي وبسفيان بن عيينة وجماعة يطول ذكرهم وهذه الحكايات والروايات هي عمدة من ذهب الى حيوته الى اليوم وكل من الاحاديث المرفوعة ضعيفة جدا لا يقوم بمثلها حجة في الدين والحكايات لا يخلو اكثرها عن ضعف في الاسناد وقصاراها انها صحيحة الى من ليس بمعصوم من صحابي او غيره لانه يجوز عليه الخطا والله اعلم وقال عبد الرزاق انا معمر عن الزهري اخبرني عبيد الله بن عبد الله بن عتبة ان ابا سعيد قال حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم حديثا طويلا عن الدجال فقال فيما يحدثنا يأتي الدجال وهو محرم عليه ان يدخل نقاب المدينة فيخرج اليه يومئذ رجل هو خير الناس او من خيرهم فيقول اشهد انك انت الدجال الذي حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بحديثه فيقول الدجال ارايتم ان قتلت هذا ثم احييته اتشكون في الامر فيقولون لا فيقتله ثم يحييه فيقول حين يحييه والله ما كنت اشد بصيرة فيك مني الآن قال فيريد قتله الثانية فلا يسلط عليه قال معمر بلغني انه يجعل على حلقه صفيحة من نحاس وبلغني انه الخضر الذي يقتله الدجال ثم يحييه وهذا الحديث مخرج في الصحيحين من حديث الزهري قال ابو اسحاق ابراهيم بن محمد بن سفيان الفقيه الراوي عن مسلم الصحيح يقال ان هذا الرجل الخضر وقول معمر وغيره بلغني ليس فيه حجة وقد ورد في بعض الفاظ الحديث فيأتي بشاب ممتلئ شبابا فيقتله وقوله الذي حدثنا عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يقتضي المشافهة بل يكفي التواتر وقد تصدى الشيخ ابو الفرج ابن الجوزي رح في كتابه عجالة المنتظر في شرح حال الخضر للاحاديث الواردة في ذلك من المرفوعات فبين انها موضوعات ومن الآثار عن الصحابة والتابعين ومن بعدهم فبين ضعف اسانيدها ببيان احوالها وجهالة رجالها وقد اجاد في ذلك واحسن الانتقاد واما الذين ذهبوا الى انه قد مات فمنهم البخاري وابراهيم الحربي وابو الحسين بن المنادي والشيخ ابو الفرج ابن الجوزي وقد انتصر لذلك وصنف فيه كتابا سماه عجالة المنتظر في شرح حال الخضر فيحتج لهم باشيا كثيرة منها قوله تعالى وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد فالخضر ان كان بشرا فقد دخل في هذا العموم لا محالة ولا يجوز تخصيصه منه الا بدليل صحيح والاصل عدمه حتى يثبت ولم يذكر ما فيه

دليل على التخصيص عن معصوم يجب قبوله ومنها ان الله تعالى قال واذ اخذ الله
ميثاق النبيين لما اتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن
به ولتنصرنه قال ااقررتم واخذتم على ذلكم اصري قالوا اقررنا قال فاشهدوا وانا
معكم من الشاهدين قال ابن عباس ما بعث الله نبيا الا اخذ عليه الميثاق لئن بعث
محمد وهو حي ليؤمنن به ولينصرنه وامره ان ياخذ على امته الميثاق لئن بعث محمد وهم
احيا ليؤمنن به ولينصرنه ذكره البخاري عنه فالخضر ان كان نبيا او وليا فقد دخل
في هذا الميثاق فلو كان حيا في زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم فكان اشرف احواله
ان يكون بين يديه يومن بما انزل الله عليه وينصره ان يصل احد من الاعدا اليه لانه
ان كان وليا فالصديق افضل منه وان كان نبيا فموسى افضل منه وقد روى الامام احمد
في مسنده حدثنا شريح بن النعمان ثنا هشيم انا مجالد عن الشعبي عن جابر بن عبد
الله ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال والذي نفسي بيده لو ان موسى كان حيا
ما وسعه الا ان يتبعني وهذا الذي يقطع ويعلم من الدين علم الضرورة وقد دلت عليه
هذه الاية الكريمة ان الانبيا كلهم لو فرض انهم احيا في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم
لكانوا كلهم اتباعا له وتحت اوامره وفي عموم شرعه كما انه صلوات الله وسلامه عليه
لما اجتمع بهم ليلة الاسراء رفع فوقهم كلهم ولما هبطوا معه الى بيت المقدس وحانت
الصلاة امره جبريل عن امر الله ان يؤمهم فصلى بهم في محل ولايتهم ودار اقامتهم فدل
على انه الامام الاعظم والرسول الخاتم المبجل المقدم صلوات الله وسلامه عليهم اجمعين
فاذا علم هذا وهو معلوم لكل مومن علم انه لو كان الخضر حيا لكان من جملة امة محمد صلى
الله عليه وسلم وممن يقتدي بشرعه لا يسعه الا ذلك هذا عيسى ابن مريم عليه السلام
اذا نزل في اخر الزمان يحكم بهذه الشريعة المطهرة لا يخرج منها ولا يحيد عنها وهو
احد اولي العزم الخمسة المرسلين وخاتم انبياء بني اسرائيل ومعلوم ان الخضر لم ينقل
بسند صحيح ولا حسن يسكن النفس اليه انه اجتمع برسول الله صلى الله عليه وسلم في يوم
واحد ولم يشهد معه قتالا في مشهد من المشاهد وهذا يوم بدر يقول الصادق المصدوق
فيما دعا به لربه عز وجل واستنصره واستفتحه على من كفره اللهم ان تهلك هذه العصابة
لا تعبد بعدها في الارض وتلك العصابة كان تحتها سادة المسلمين يومئذ وسادة
الملائكة حتى جبريل عليه السلام كما قال حسان بن ثابت في قصيدة له في بيت يقال
انه افخر بيت قالته العرب

وببدر اذ يرد وجوههم • جبريل تحت لوائنا ومحمد •

فلو كان الخضر حيا لكان وقوفه تحت هذه الراية اشرف مقاماته واعظم غزواته قال
القاضي ابو يعلى محمد بن الحسين بن الفرا الحنبلي سئل بعض اصحابنا عن الخضر هل مات
فقال نعم قال وبلغني مثل هذا عن ابي طاهر العبادي قال وكان يحتج بانه لو كان
حيا لجاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم نقله ابن الجوزي في العجالة فان قيل
فهل يقال انه كان حاضرا في هذه المواطن كلها ولكن لم يكن احد يراه فالجواب
ان الاصل عدم هذا الاحتمال البعيد الذي يلزم منه تخصيص العمومات بمجرد التوهمات
ثم ما الحامل له على هذا الاختفا وظهوره اعظم لاجره واعلى في مرتبته واظهر لمعجزته

ثم لو كان

ثم لو كان باقيا بعده لكان تبليغه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الاحاديث النبوية
والايات القرانية وانكاره لما وقع من الاحاديث المكذوبة والروايات المقلوبة والاراء
البدعية والاهوا العصبية وقتاله مع المسلمين في غزواتهم وشهوده جمعهم وجماعاتهم
ونفعه اياهم ودفعه عنهم الضرر ممن سواهم وتسديده العلما والحكام وتقريره الادلة
والاحكام افضل مما يقال عنه من كونه في الامصار وجوبه الفيافي والاقطار واجتماعه
بعباد لا يعرف احوال كثير منهم وجعله لهم كالنقيب المترجم عنهم وهذا الذي ذكرناه
لا يتوقف احد فيه بعد التفهيم والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم ومن ذلك
ما ثبت في الصحيحين وغيرهما عن عبد الله بن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
صلى ليلة العشاء ثم قال ارايتم ليلتكم هذه فانه الى مائة سنة لا يبقى ممن هو على وجه الارض
اليوم احد وفي رواية عين تطرف قال ابن عمر فوهل الناس في مقالة رسول الله صلى الله
عليه وسلم هذه وانما اراد انخرام قرنه قال الامام احمد ثنا عبد الرزاق انا معمر عن الزهري
قال اخبرني سالم بن عبد الله وابو بكر بن سليمان بن ابي حثمة ان عبد الله بن عمر قال صلى رسول
الله صلى الله عليه وسلم ذات ليلة صلاة العشا في اخر حياته فلما سلم قام فقال ارايتم
ليلتكم هذه فان على راس مائة سنة لا يبقى ممن على ظهر الارض احد واخرجه البخاري ومسلم
من حديث الزهري وقال الامام احمد ثنا محمد بن ابي عدي عن سليمان التيمي عن ابي نضرة
عن جابر بن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل موته بقليل او بشهر
ما من نفس منفوسة او ما منكم من نفس اليوم منفوسة ياتي عليها مائة سنة وهي يومئذ
حية وقال احمد ثنا موسى بن داود ثنا ابن لهيعة عن ابي الزبير عن جابر عن النبي صلى الله
عليه وسلم انه قال قبل ان يموت بشهر تسالوني عن الساعة وانما علمها عند الله اقسم
بالله ما على الارض نفس منفوسة اليوم ياتي عليها مائة سنة وهكذا رواه مسلم من
طريق ابي نضرة وابي الزبير كلاهما عن جابر بن عبد الله بنحوه وقال الترمذي ثنا هناد
ثنا ابو معاوية عن الاعمش عن ابي سفيان عن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ما على الارض نفس منفوسة ياتي عليها مائة سنة وهذا ايضا على شرط مسلم قال ابن الجوزي
فهذه الاحاديث الصحاح تقطع دابر دعوى حياة الخضر قالوا والخضر ان لم يكن قد ادرك
زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم كما هو المظنون الذي يترقى في القوة الى القطع فلا
اشكال وان كان قد ادرك زمانه فهذا الحديث يقتضي انه لم يعش بعده مائة سنة فيكون
الان مفقودا لا موجودا لانه داخل في هذا العموم والاصل عدم المخصص له حتى يثبت بدليل
صحيح يجب قبوله والله اعلم وقد حكى الحافظ ابو القاسم السهيلي في كتابه التعريف والاعلام
عن البخاري وشيخه ابي بكر بن العربي انه ادرك حياة النبي صلى الله عليه وسلم ولكن مات
بعده لهذا الحديث وفي كون البخاري رحمه الله يقول بهذا وانه بقي الى زمان رسول الله صلى الله
عليه وسلم نظر ورجح السهيلي بقاءه وحكاه عن الاكثرين قال واما اجتماعه مع النبي صلى
الله عليه وسلم وتعزيته لاهل البيت بعده فمروي من طرق صحاح ثم ذكر ما تقدم
مما ضعفناه ولم يورد اسانيدها والله اعلم

واما الياس عليه السلام

فقال الله تعالى بعد قصة موسى وهارون من سورة الصافات وان الياس لمن المرسلين

اذ قال لقومه الا تتقون اتدعون بعلا وتذرون احسن الخالقين الله ربكم ورب
الاولين فكذبوه فانهم لمحضرون الا عباد الله المخلصين وتركنا عليه في الاخرين سلام
على الياسين انا كذلك نجزي المحسنين انه من عبادنا المومنين قال علماء النسب
هو الياس بن تشبي ويقال ابن ياسين ابن فنحاص بن العيزار بن هارون وقيل
الياس بن العازر بن العيزار بن هارون بن عمران قالوا وكان ارساله الى اهل بعلبك غربي
دمشق فدعاهم الى الله عز وجل وان يتركوا عبادة صنم لهم كانوا يسمونه بعلا وقيل
كانت امراة اسمها بعل والله اعلم ولهذا قال لهم الا تتقون اتدعون بعلا وتذرون
احسن الخالقين الله ربكم ورب ابايكم الاولين فكذبوه وخالفوه وارادوا قتله
فيقال انه هرب منهم واختفى عنهم قال ابو يعقوب الاذرعي عن يزيد بن عبد الصمد
عن هشام بن عمار قال سمعت من يذكر عن كعب الاحبار انه قال ان الياس اختبا من
ملك قومه في الغار الذي تحت الدم عشر سنين حتى اهلك الله الملك وولي غيره
فاتاه الياس يعرض عليه الاسلام فاسلم واسلم من قومه خلق عظيم غير عشرة الاف
منهم فامر بهم فقتلوا عن اخرهم وقال ابن ابي الدنيا حدثني ابو محمد القسم بن هاشم
ثنا عمر بن سعيد الدمشقي ثنا سعيد بن عبد العزيز عن بعض مشيخة دمشق قال
اقام الياس عليه السلام هاربا من قومه في كهف جبل عشرين ليلة او قال اربعين
ليلة ياتيه الغربان برزقه وقال محمد بن سعد كان اول نبي انا هشام بن محمد بن السايب
الكلبي عن ابيه قال اول نبي بعث ادريس ثم نوح ثم ابراهيم ثم اسمعيل واسحاق ثم يعقوب
ثم يوسف ثم لوط ثم هود ثم صالح ثم شعيب ثم موسى وهارون ابنا عمران ثم الياس
بن تشبين بن العازر بن هرون بن عمران بن فاهث بن لاوي بن يعقوب بن اسحاق بن
ابراهيم عليهم السلام هكذا قال وفي هذا الترتيب نظر وقال مكحول عن كعب
اربعة انبيا احياء اثنان في الارض الياس والخضر واثنان في السما ادريس وعيسى
وقد قدمنا قول من ذكر ان الياس والخضر يجتمعان في كل عام في شهر رمضان ببيت
المقدس وانهما يحجان كل سنة ويشربان من زمزم شربة تكفيهما الى مثلها من العام
المقبل واوردنا الحديث الذي فيه انهما يجتمعان بعرفات كل سنة وبينا انه لم يصح
شي من ذلك وان الذي يقوم عليه الدليل ان الخضر مات وكذلك الياس عليهما
السلام وما ذكره وهب بن منبه وغيره انه لما دعا ربه عز وجل ان يقبضه اليه لما
كذبوه واذوه فجاته دابة لونها لون النار فركبها وجعل الله له ريشا والبسه النور
وقطع عنه لذة المطعم والمشرب وصار ملكيا بشريا سماويا ارضيا واوصى الى
اليسع بن اخطوب ففي هذا نظر وهو من الاسرائيليات التي لا تصدق ولا تكذب بل
الظاهر ان صحتها بعيدة والله تعالى اعلم فاما الحديث الذي رواه الحافظ ابو
بكر البيهقي اخبرنا ابو عبد الله الحافظ حدثني ابو العباس احمد بن سعيد المعداني ببخارا
ثنا عبد الله بن محمود ثنا عبدان بن سنان حدثني احمد بن عبد الله البرقي ثنا يزيد
بن يزيد البلوي ثنا ابو اسحاق الفزاري عن الاوزاعي عن مكحول عن انس بن مالك قال
كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر فنزلنا منزلا فاذا رجل في الوادي يقول
اللهم اجعلني من امة محمد صلى الله عليه وسلم المرحومة المغفورة المثاب لها قال

فاشرفت

فاشرفت على الوادي فاذا رجل طوله اكثر من ثلثماية ذراع فقال لي من انت قلت انس بن
مالك خادم رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فاين هو قلت هو ذا يسمع كلامك
قال فاته فاقره مني السلام وقل له اخوك الياس يقريك السلام قال فاتيت النبي
صلى الله عليه وسلم فاخبرته فجاء حتى لقيه فعانقه وسلم ثم قعدا يتحدثان فقال
له يا رسول الله اني انما اكل في سنة يوما وهذا يوم فطري فاكل انا وانت قال فنزلت
عليهما مايدة من السما عليها خبز وحوت وكرفس فاكلا واطعماني وصليا العصر ثم
ودعه ورايته مر في السحاب نحو السما فقد كفانا البيهقي امره وقال هذا حديث ضعيف
بمرة والعجب ان الحاكم ابا عبد الله النيسابوري اخرجه في مستدركه على الصحيحين
وهذا مما يستدرك به على المستدرك فانه حديث موضوع مخالف للاحاديث الصحاح من
وجوه ومعناه لا يصح ايضا فقد تقدم في الصحيحين ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال ان الله خلق ادم طوله ستون ذراعا في السما الحديث ثم لم يزل الخلق ينتقص
حتى الان وفيه انه لم يات الى رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى كان هو الذي ذهب اليه
وهذا لا يصح لانه كان احق بالسعي الى بين يدي خاتم الانبيا وفيه انه ياكل في السنة مرة
وقد تقدم عن وهب انه سلبه الله لذة المطعم والمشرب وفيما تقدم عن بعضهم انه
يشرب من زمزم كل سنة مرة يكفيه الى مثلها من الحول الاخر وهذه اشيا متعارضة
وكلها باطلة لا يصح شي منها وقد ساق ابن عساكر هذا الحديث من طريق اخرى واعترف
بضعفها وهذا عجب منه كيف تكلم عليه فانه اورده من طريق حصين بن عرفة عن
هانئ بن الحسن عن بقية عن الاوزاعي عن مكحول عن واثلة بن الاسقع فذكر نحو هذا
مطولا وفيه ان ذلك كان في غزوة تبوك وانه بعث اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم
انس بن مالك وحذيفة بن اليمان قالا فاذا هو اعلا جسما منا بذراعين او ثلاثة
واعتذر بعدم قدومه لئلا تنفر الابل وفيه انه لما اجتمع به رسول الله صلى الله عليه
وسلم اكلا من طعام الجنة وقال ان لي في كل اربعين يوما اكلة وفي المايدة خبز
ورمان وعنب وموز ورطب وبقل ما عدا الكراث وفيه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
ساله عن الخضر فقال عهدي به عام اول وقال لي انك ستلقاه قبلي فاقراه مني السلام
وهذا يدل على ان الخضر والياس بتقدير وجودهما وصحة هذا الحديث لم يجتمعا به الى
سنة تسع من الهجرة وهذا لا يسوغ شرعا وهذا موضوع ايضا وقد اورد ابن عساكر
طرقا فيمن اجتمع بالياس من العباد وكلها لا يفرح بها اما لضعف اسنادها
او لجهالة المسند اليه فيها ومن احسنها ما قال ابو بكر بن ابي الدنيا حدثني بشر
ابن معاذ ثنا حماد بن واقد عن ثابت قال كنا مع مصعب بن الزبير بسواد الكوفة
فدخلت حايطا اصلي فيه ركعتين فافتتحت حم تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم
غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ذي الطول فاذا رجل من خلفي على بغلة
شهبا عليه مقطعات يمنية فقال لي اذا قلت غافر الذنب فقل يا غافر الذنب
اغفر لي ذنبي واذا قلت قابل التوب فقل يا قابل التوب تقبل توبتي واذا قلت
شديد العقاب فقل يا شديد العقاب لا تعاقبني واذا قلت ذي الطول فقل يا ذا
الطول تطول علي برحمة قال فالتفت فاذا لا احد وخرجت فسالت مر بكم رجل على بغلة شهبا

عليه مقطعات بجبينه فقالوا امامنا احد وكانوا لا يرون الا انه الياس وقوله تعالى فكذبوه فانهم لمحضرون اى للعذاب اما فى الدنيا والاخرة او فى الاخرة والاول اظهر على ما ذكره المفسرون والمورخون وقوله الا عباد الله المخلصين اى الا من آمن منهم وقوله وتركنا عليه فى الاخرين اى ابقينا له ذكرا حسنا له فى العالمين فلا يذكر الا بخير ولهذا قال سلام على ال ياسين اى سلام على الياس والعرب تلحق النون فى اسما كثيرة وتبدلها من غيرها كما قالوا اسماعيل واسماعين واسرائيل واسرائين والياس والياسين وقرئ سلام على ال ياسين اى على آل محمد وقرا ابن مسعود وغيره سلام على ادراسين ونقل عنه من طريق ابى اسحاق عن عبيدة بن ربيعة عن ابن مسعود انه قال الياس هو ادريس واليه ذهب الضحاك بن مزاحم وحكاه قتادة ومحمد ابن اسحاق والصحيح انه غيره كما تقدم والله اعلم

باب ذكر جماعة من انبيا بنى اسرائيل بعد موسى عليه السلام

ثم نتبعهم بذكر داود وسليمان عليهما السلام قال ابن جرير فى تاريخه لا خلاف بين اهل العلم باخبار الماضيين وامور السالفين من امتنا وغيرهم ان القيم بامور بنى اسرائيل بعد يوشع كالب بن يوفنا يعنى احد اصحاب موسى عليه السلام وهو زوج اخته مريم وهو احد الرجلين اللذين ممن يخافون الله وهما يوشع وكالب وهما القايلان لبنى اسرائيل حين نكلوا عن الجهاد ادخلوا عليهم الباب فاذا دخلتموه فانكم غالبون وعلى الله فتوكلوا ان كنتم مؤمنين قال ابن جرير ثم من بعده كان القايم بامور بنى اسرائيل حزقيل بن بوزى وهو الذى دعا الله فاحيا الذين خرجوا من ديارهم وهم الوف حذر الموت

قصة حزقيل

قال الله تعالى الم تر الى الذين خرجوا من ديارهم وهم الوف حذر الموت فقال لهم الله موتوا ثم احياهم ان الله لذو فضل على الناس ولكن اكثر الناس لا يشكرون قال محمد بن اسحاق عن وهب بن منبه ان كالب بن يوفنا لما قبضه الله اليه خلف فى بنى اسرائيل حزقيل بن بوزى وهو ابن العجوز الذى دعا للقوم الذين ذكرهم الله فى كتابه فيما بلغنا الم تر الى الذين خرجوا من ديارهم وهم الوف حذر الموت قال ابن اسحاق فروا من الوبا فنزلوا بصعيد من الارض فقال لهم الله موتوا فماتوا جميعا فحظروا عليهم حظيرة دون السباع فمضت عليهم دهور طويلة فمر بهم حزقيل عليه السلام فوقف عليهم متفكرا فقيل له اتحب ان يبعثهم الله وانت تنظر فقال نعم فامر ان يدعو تلك العظام ان تكتسى لحما وان يتصل العصب بعضه ببعض فناداهم عن امر الله له بذلك فقام القوم اجمعون وكبروا تكبيرة رجل واحد وقال اسباط عن السدى عن ابى مالك وعن ابى صالح عن ابن عباس وعن مرة عن ابن مسعود وعن ناس من الصحابة فى قوله الم تر الى الذين خرجوا من ديارهم وهم الوف حذر الموت فقال لهم الله موتوا ثم احياهم قالوا كانت قرية يقال لها داوردان قبل واسط وقع بها الطاعون فهرب عامة اهلها فنزلوا ناحية منها فهلك من بقى فى القرية وسلم الاخرون فلم يمت منهم كثير فلما ارتفع الطاعون رجعوا سالمين فقال الذين بقوا اصحابنا هولاء كانوا احزم منا لو صنعنا كما صنعوا بقينا ولين وقع الطاعون ثانية لنخرجن معهم فوقع فى قابل فهربوا وهم بضعة وثلاثون

الفا حتى نزلوا ذلك المكان وهو واد افيح فناداهم ملك من اسفل الوادى وآخر من اعلاه ان موتوا فماتوا حتى اذا هلكوا وبقيت اجسادهم مر بهم نبى يقال له حزقيل فلما رآهم وقف عليهم فجعل يتفكر فيهم ويلوى شدقيه واصابعه فاوحى الله اليه تريد ان اريك كيف احييهم قال نعم وانما كان تفكره انه تعجب من قدرة الله عليهم فقيل له ناد فنادى يا ايتها العظام ان الله يامرك ان تجتمعى فجعلت العظام يطير بعضها الى بعض حتى كانت اجسادا من عظام ثم اوحى الله اليه ان ناد يا ايتها العظام ان الله يامرك ان تكتسى لحما ودما وثيابها التى ماتت فيها ثم قيل له ناد فنادى ايتها الاجساد ان الله يامرك ان تقومى فقاموا قال اسباط فزعم منصور عن مجاهد انهم قالوا حين احيوا سبحانك ربنا وبحمدك لا اله الا انت فرجعوا الى قومهم احيا يعرفون انهم كانوا موتى سحنة الموت على وجوههم لا يلبسون ثوبا الا عاد كفنا دسما حتى ماتوا باجالهم التى كتبت لهم وعن ابن عباس انهم كانوا اربعة الاف وعنه ثمانية الاف وعن ابى صالح تسعة الاف وعن ابن عباس ايضا كانوا اربعين الفا وعن سعيد بن عبد العزيز كانوا من اهل اذرعات وقال ابن جريج عن عطا هذا مثل يعنى انه سيق مثلا مبينا انه لن يغنى حذر من قدر وقول الجمهور ان هذا وقع وقد روى الامام احمد وصاحبا الصحيح من طريق الزهرى عن عبد الحميد بن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب عن عبد الله بن الحارث بن نوفل عن عبد الله بن عباس ان عمر بن الخطاب خرج الى الشام حتى اذا كان بسرغ لقيه امرا الاجناد ابو عبيدة بن الجراح واصحابه فاخبروه ان الوبا قد وقع بالشام فذكر الحديث يعنى فى مشاورته المهاجرين والانصار فاختلفوا عليه فجاءه عبد الرحمن بن عوف وكان متغيبا لبعض حاجته فقال ان عندى من هذا علما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اذا كان بارض وانتم بها فلا تخرجوا فرارا منه واذا سمعتم به بارض فلا تقدموا عليه فحمد الله عمر ثم انصرف وقال الامام حدثنا حجاج ويزيد المعنى قالا ثنا ابن ابى ذيب عن الزهرى عن سالم عن عبد الله بن عامر بن ربيعة ان عبد الرحمن بن عوف اخبر عمر وهو فى الشام عن النبى صلى الله عليه وسلم ان هذا السقم عذب به الامم قبلكم فاذا سمعتم به بارض فلا تدخلوها واذا وقع بارض وانتم بها فلا تخرجوا فرارا منه قال فرجع عمر من الشام واخرجاه من حديث مالك عن الزهرى بنحوه قال ابن اسحاق ولم يذكر لنا مدة لبث حزقيل فى بنى اسرائيل ثم ان الله قبضه اليه فلما قبض نسى بنو اسرائيل عهد الله اليهم وعظمت فيهم الاحداث وعبدوا الاوثان وكان فى جملة ما يعبدونه من الاصنام صنم يسمونه بعلا فبعث الله اليهم الياس بن ياسين بن فنحاص بن العيزار بن هرون بن عمران **قلت** وقد قدمنا قصة الياس تبعا لقصة الخضر لانهما يقرنان فى الذكر غالبا ولاجل انها بعد قصة موسى فى سورة الصافات فتعجلنا قصته لذلك والله اعلم قال محمد بن اسحاق فيما ذكر له عن وهب بن منبه قال ثم تنبا فيهم بعد الياس وصيه اليسع بن اخطوب عليه السلام وهذه قصة اليسع

وقد ذكره الله تعالى مع الانبيا فى سورة الانعام واسماعيل واليسع ويونس ولوطا وكلا فضلنا على العالمين وقال تعالى فى سورة ص واذكر اسماعيل واليسع وذا الكفل وكل من الاخيار قال اسحاق بن بشر ابو حذيفة انبانا سعيد عن قتادة عن الحسن قال كان بعد الياس اليسع عليهما السلام فمكث ما شاء الله ان يمكث يدعوهم الى الله مستمسكا

منهاج الياس وشريعته حتى قبضه الله عز وجل اليه ثم خلف فيهم الخلوف وعظمت فيهم الاحداث والخطايا وكثرت الجبابرة وقتلوا الانبيا وكان فيهم ملك جبار عنيد طاغ ويقال انه الذي تكفل له ذو الكفل ان هو تاب ورجع دخل الجنة فسمى ذا الكفل قال محمد بن اسحاق هو اليسع بن اخطوب وقال الحافظ ابو القسم بن عساكر في حرف اليا من تاريخه اليسع وهو الاسباط بن عدى بن شوتلم بن افرائيم بن يوسف بن يعقوب بن اسحاق بن ابراهيم الخليل ويقال هو ابن عم الياس النبي عليهما السلام ويقال كان مستخفيا معه بجبل قاسيون من ملك بعلبك ثم ذهب معه اليها فلما رفع الياس خلفه اليسع في قومه ونبأه الله بعده ذكر ذلك عبد المنعم بن ادريس بن سنان عن ابيه عن وهب بن منبه قال وقال غيره كان الاسباط ببانياس ثم ذكر ابن عساكر قراة من قرا اليسع بالتخفيف وبالتشديد ومن قرا الليسع وهو اسم واحد لنبي من الانبيا قلت وقد قدمنا قصة ذي الكفل بعد قصة ايوب عليهما السلام لانه قد قيل انه ابن ايوب والله اعلم

فصل

قال ابن جريج وغيره ثم مرج امر بني اسرائيل وعظمت فيهم الاحداث والخطوب والخطايا وقتلوا من قتلوا من الانبيا وسلط الله عليهم بدل الانبيا ملوكا جبابرة يظلمونهم ويسفكون دماهم وسلط الله عليهم الاعدا من غيرهم ايضا وكانوا اذا قاتلوا احدا من الاعدا يكون معهم تابوت الميثاق الذي كان في قبة الزمان كما تقدم ذكره فكانوا ينصرون ببركته وبما جعل الله فيه من السكينة والبقية مما ترك ال موسى وال هرون فلما كان في بعض حروبهم مع اهل غزة وعسقلان غلبوهم عليه وقهروهم على اخذه فانتزعوه من ايديهم فلما علم بذلك ملك بني اسرائيل في ذلك الزمان مالت عنقه ومات كمدا وبقي بنو اسرائيل كالغنم بلا راع حتى بعث الله فيهم نبيا من الانبيا يقال له شمويل فطلبوا منه ان يقيم لهم ملكا ليقاتلوا معه الاعدا فكان من امرهم ما سنذكره مما قص الله في كتابه قال ابن جرير فكان من وفاة يوشع بن نون الى ان بعث الله عز وجل شمويل بن بالي اربعماية سنة وستون سنة ثم ذكر تفصيلها بمدد الملوك الذين ملكوا عليهم وسماهم واحدا واحدا تركنا ذكرهم قصدا

قصة شمويل عليه السلام وفيها بدو امر داود عليه السلام

هو شمويل ويقال اشمويل بن بالي بن علقمة بن حام بن الهو بن تصوب بن علقمة بن ماحب ابن عموصا بن عزريا قال مقاتل وهو من ورثة هارون وقال مجاهد هو اشمويل بن هلعانا ولم يرفع في نسبه اكثر من هذا والله اعلم حكى السدى باسناده عن ابن عباس وابن مسعود واناس من الصحابة والثعلبي وغيرهم انه لما غلبت العمالقة من ارض غزة وعسقلان على بني اسرايل وقتلوا منهم خلقا كثيرا وسبوا من ابنايهم جمعا كثيرا وانقطعت النبوة من سبط لاوى ولم يبق فيهم الا امراة حبلى فجعلت تدعو الله عز وجل ان يرزقها ولدا ذكرا فولدت غلاما فسمته اشمويل ومعناه بالعبرانية اسماعيل اي سمع الله دعاي فلما ترعرع بعثته الى المسجد واسلمته عند رجل صالح فيه يكون عنده ليتعلم من خيره وعبادته فكان عنده فلما بلغ اشده بينما هو ليلة نايم اذا صوت ياتيه من ناحية المسجد فانتبه مذعورا فظنه الشيخ يدعوه فساله ادعوتني فكره ان يفزعه فقال نعم نم فنام ثم ناداه الثانية فكذلك ثم الثالثة فاذا جبريل يدعوه فجاءه فقال ان ربك قد بعثك الى قومك فكان من امره معهم ما قص الله في كتابه قال الله تعالى في كتابه

الم تر الى الملا من بني اسرايل من بعد موسى اذ قالوا لنبي لهم ابعث لنا ملكا نقاتل في سبيل الله قال هل عسيتم ان كتب عليكم القتال الا تقاتلوا قالوا وما لنا الا نقاتل في سبيل الله وقد اخرجنا من ديارنا وابنايناء فلما كتب عليهم القتال تولوا الا قليلا منهم والله عليم بالظالمين وقال لهم نبيهم ان الله قد بعث لكم طالوت ملكا قالوا انى يكون له الملك علينا ونحن احق بالملك منه ولم يوت سعة من المال قال ان الله اصطفاه عليكم وزاده بسطة في العلم والجسم والله يوتي ملكه من يشا والله واسع عليم وقال لهم نبيهم ان اية ملكه ان ياتيكم التابوت فيه سكينة من ربكم وبقية مما ترك ال موسى وال هرون تحمله الملايكة ان في ذلك لاية لكم ان كنتم مومنين فلما فصل طالوت بالجنود قال ان الله مبتليكم بنهر فمن شرب منه فليس مني ومن لم يطعمه فانه مني الا من اغترف غرفة بيده فشربوا منه الا قليلا منهم فلما جاوزه هو والذين امنوا معه قالوا لا طاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده قال الذين يظنون انهم ملاقوا الله كم من فية قليلة غلبت فية كثيرة باذن الله والله مع الصابرين ولما برزوا لجالوت وجنوده قالوا ربنا افرغ علينا صبرا وثبت اقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين فهزموهم باذن الله وقتل داود جالوت واتاه الله الملك والحكمة وعلمه مما يشاء ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الارض ولكن الله ذو فضل على العالمين قال اكثر المفسرين كان نبي هولاء المذكورين في هذه القصة هو شمويل وقيل شمعون وقيل هما واحد وقيل يوشع وهذا بعيد لما ذكره ابن جرير في تاريخه ان بين موت يوشع وبعثة شمويل اربعماية سنة وستين سنة والله اعلم والمقصود ان هولاء القوم لما انهكتهم الحرب وقهرتهم الاعدا سالوا نبي الله في ذلك الزمان وطلبوا منه ان ينصب لهم ملكا يكونون تحت طاعته ليقاتلوا من ورايه ومعه وبين يديه الاعدا فقال لهم هل عسيتم ان كتب عليكم القتال الا تقاتلوا قالوا وما لنا الا نقاتل اي واي شي يمنعنا من القتال وقد اخرجنا من ديارنا وابناينا يقولون نحن محروبون موتورون فحقيق لنا ان نقاتل عن ابناينا المقهورين المستضعفين فيهم الماسورين في قبضتهم قال الله تعالى فلما كتب عليهم القتال تولوا الا قليلا منهم والله عليم بالظالمين كما ذكروا في اخر القصة انه لم يجاوز النهر مع الملك الا القليل والباقون رجعوا ونكلوا عن القتال وقال لهم نبيهم ان الله قد بعث لكم طالوت ملكا قال الثعلبي وهو طالوت بن قيس بن افيل بن صارد بن تحورت بن افيح بن ايش بن بنيامين بن يعقوب بن اسحاق بن ابراهيم الخليل قال عكرمة والسدى كان سقا وقال وهب بن منبه كان دباغا وقيل غير ذلك والله اعلم ولهذا قالوا انى يكون له الملك علينا ونحن احق بالملك منه ولم يوت سعة من المال وقد ذكروا ان النبوة كانت في سبط لاوى وان الملك كان في سبط يهوذا فلما كان هذا من سبط بنيامين نفروا منه وطعنوا في امارته عليهم وقالوا نحن احق بالملك منه وذكروا انه فقير لا سعة له من المال فكيف يكون مثل هذا ملكا قال ان الله اصطفاه عليكم وزاده بسطة في العلم والجسم قيل كان الله اوحى الى شمويل ان اي بني اسرايل كان طوله على طول هذه العصا واذا حضر عندك يفور هذا القرن الذي فيه من دهن القدس فهو

ذكر قصة ذي الكفل غلط ونقله هنا ما عليه الشيخ والله اعلم

ملكهم فجعلوا يتخلون يقيسون انفسهم بتلك العصى فلم يكن منهم احد على طولها سوى
طالوت ولما حضر عنده شمويل قاس ذلك القرن فتدهن منه وعينه للملك عليهم وقال
لهم ان الله قد اصطفاه عليكم وزاده بسطة في العلم والجسم قيل في امر الحروب وقيل
بل مطلقا والجسم قيل الطول وقيل الجمال والظاهر من السياق انه كان اجلهم واعلمهم
بعد نبيهم عليه السلام والله يؤتي ملكه من يشاء فله الحكم وله الخلق والامر والله واسع عليم
وقال لهم نبيهم ان آية ملكه ان يأتيكم التابوت فيه سكينة من ربكم وبقية مما ترك
آل موسى وآل هرون تحمله الملائكة ان في ذلك لآية لكم ان كنتم مؤمنين وهذا ايضا من
بركة ولاية هذا الرجل الصالح عليهم ويمنه عليهم ان يرد الله عليهم التابوت الذي
كان سلب منهم وقهرهم الاعداء عليه وقد كانوا ينصرون على اعدائهم بسببه فيه سكينة من
ربكم قيل طست من ذهب كان يغسل فيه صدور الانبياء وقيل السكينة مثل
الريح الخجوج وقيل صورتها مثل الهرة اذا صرخت في حال الحرب ايقن بنو اسرائيل بالنصر
وبقية مما ترك آل موسى وآل هرون قيل كان فيه رضاض الالواح وشيء من المن الذي
كان ينزل عليهم بالتيه تحمله الملائكة اي تأتيكم به الملائكة يحملونه وانتم ترون ذلك
عيانا ليكون آية لله عليكم وحجة باهرة على صدق ما اقوله لكم وعلى صحة ولاية هذا
الملك الصالح عليكم ولهذا قال ان في ذلك لآية لكم ان كنتم مؤمنين وقيل انه لما
غلب العمالقة على هذا التابوت وكان فيه ما ذكر من السكينة والبقية المباركة وقيل
كان فيه التورية ايضا فلما استقر في ايديهم وضعوه تحت صنم لهم بارضهم فلما
اصبحوا اذا التابوت على راس الصنم فوضعوه تحته فلما كان اليوم الثاني اذا التابوت
فوق الصنم فلما تكرر هذا علموا ان هذا امر من الله تعالى فاخرجوه من بلدهم وجعلوه في
قرية من قراهم فاخذهم داء في رقابهم فلما طال عليهم هذا جعلوه في عجلة وربطوها في
بقرتين وارسلوهما فيقال ان الملائكة ساقتهما حتى جاؤوا بهما ملأ بني اسرائيل وهم
ينظرون كما اخبرهم نبيهم بذلك فالله اعلم على اي صفة جاءت به الملائكة والظاهر
ان الملائكة كانت تحمله بانفسهم كما هو المفهوم من الآية والله اعلم وان كان الاول قد
ذكره كثير من المفسرين واكثرهم فلما فصل طالوت بالجنود قال ان الله مبتليكم بنهر
فمن شرب منه فليس مني ومن لم يطعمه فانه مني الا من اغترف غرفة بيده قال
ابن عباس وكثير من المفسرين هذا النهر هو نهر الاردن وهو المسمى بالشريعة فكان من امر
طالوت بجنوده عند هذا النهر عن امر نبي الله له عن امر الله له اختبارا وامتحانا ان من
شرب من هذا النهر اليوم فلا يصحبني في هذه الغزوة ولا يصحبني الا من لم يطعمه الا غرفة
في يده قال الله تعالى فشربوا منه الا قليلا منهم قال السدي كان الجيش ثمانين الفا
فشرب منه ستة وسبعون الفا فتبقى معه اربعة الاف كذا قال وقد روى البخاري
في صحيحه من حديث اسرائيل وزهير والثوري عن ابي اسحاق عن البراء بن عازب قال كنا
اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم نتحدث ان عدة اصحاب بدر على عدة اصحاب طالوت الذين
جازوا معه النهر ولم يجاوز معه الا مؤمن بضعة عشر وثلثمائة وقول السدي ان عدة
الجيش كانوا ثمانين الفا فالله اعلم قال الله تعالى فلما جاوزه هو والذين آمنوا معه قالوا
لا طاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده اي استقلوا انفسهم واستضعفوها عن مقاومة

اعدائهم

اعدائهم بالنسبة الى قلتهم وكثرة عدد عدوهم قال الذين يظنون انهم ملاقوا الله كم من
فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله والله مع الصابرين يعني ثبتهم الشجعان منهم والفرسان
اهل الايمان والايقان الصابرون على الجلاد والجدال والطعان ولما برزوا لجالوت
وجنوده قالوا ربنا افرغ علينا صبرا وثبت اقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين طلبوا من
الله ان يفرغ عليهم الصبر اي يغمرهم به من فوقهم فتستقر قلوبهم ولا تقلق وان يثبت
اقدامهم في مجال الحرب ومعترك الابطال وحومة الوغى والنزال فسألوا التثبيت
الباطن والظاهر وان ينزل عليهم النصر على اعدائهم واعدائه من الكافرين الجاحدين بآياته
والائه فاجابهم العظيم القدير السميع البصير الحكيم الخبير الى ما طلبوا وانالهم ما اليه رغبوا
ولهذا قال فهزموهم باذن الله اي بحول الله وقوته لا بحولهم وبقوة الله ونصره
لا بقوتهم وعددهم مع كثرة اعدائهم وكمال عددهم كما قال تعالى ولقد نصركم الله ببدر
وانتم اذلة فاتقوا الله لعلكم تشكرون وقوله تعالى وقتل داود جالوت واتاه الله
الملك والحكمة وعلمه مما يشاء فيه دلالة على شجاعة داود عليه السلام وانه قتله قتلا
اذل به جنده وكسر جيشه ولا اعظم من غزوة يقتل فيها ملك العدو وما يغنم بسبب
ذلك الاموال الجزيلة ويؤسر الابطال والشجعان وتعلو كلمة الله على الاوثان ويدال
اولياء الله على اعدائه ويظهر الدين الحق على الباطل واوليائه وقد ذكر السدي فيما
يرويه ان داود عليه السلام كان اصغر اولاد ابيه وكانوا ثلاثة عشر ذكرا كان سمع طالوت
ملك بني اسرائيل وهو يحرض بني اسرائيل على قتل جالوت وجنوده وهو يقول من قتل جالوت
زوجته بابنتي واشركته في ملكي وكان داود عليه السلام يرمي بالقذافة وهو المقلاع رميا
عظيما فبينا هو سائر مع بني اسرائيل اذ ناداه حجر ان خذني فان بي تقتل جالوت فاخذه
ثم حجر اخر كذلك ثم اخر كذلك فاخذ الثلاثة في مخلاته فلما تواجه الصفان برز جالوت
ودعا الى نفسه فتقدم اليه داود فقال له ارجع فاني اكره قتلك فقال لكني احب قتلك
واخذ تلك الاحجار الثلاثة فوضعها في مخلاته فوضعها في القذافة ثم ادارها فصارت
الثلاثة حجرا واحدا ثم رمى بها جالوت ففلق راسه وفر جيشه منهزما فوفى له طالوت
بما وعده فزوجه ابنته واجرى حكمه في ملكه وعظم داود عليه السلام عند بني اسرائيل
واحبوه ومالوا اليه اكثر من طالوت فذكروا ان طالوت حسده واراد قتله واحتال
على ذلك فلم يصل اليه وجعل العلماء ينهون طالوت عن قتل داود فتسلط عليهم فقتلهم
حتى لم يبق منهم الا القليل ثم حصل له ندم وتوبة واقلاع عما سلف منه وجعل يكثر من
البكاء ويخرج الى الجبانة فيبكي حتى يبل الثرى بدموعه فنودي ذات يوم من الجبانة ان
يا طالوت قتلتنا ونحن احياء واذيتنا ونحن اموات فازداد لذلك بكاؤه وخوفه
واشتد وجله ثم جعل يسال عن عالم يسأله عن امره وهل له من توبة فقيل له وهل ابقيت
عالما حتى دل على امرأة من العابدات فاخذته فذهبت به الى قبر يوشع عليه السلام قالوا
فدعت الله فقام يوشع من قبره فقال اقامت القيامة فقالت لا ولكن هذا طالوت
يسالك هل له من توبة فقال نعم ينخلع من الملك ويذهب فيقاتل في سبيل الله حتى
يقتل ثم عاد ميتا فترك الملك لداود وذهب ومعه ثلاثة عشر من اولاده فقاتلوا في
سبيل الله حتى قتلوا قالوا فذلك قوله تعالى واتاه الله الملك والحكمة وعلمه مما يشاء

هكذا ذكره ابن جرير في تاريخه من طريق السدي باسناده وفي بعضه نظر ونكارة والله اعلم وقال محمد بن اسحاق النبي الذي بعث فاخبر طالوت بتوبته هو اليسع بن اخطوب حكاه ابن جرير ايضا وذكر الثعلبي انها اتت به الى قبر اشمويل فعاتبه على ما صنع بعده من الامور وهذا انسب ولعله انما رآه في النوم لا انه قام من القبر حيا فان هذا انما يكون معجزة لنبي وتلك المراة لم تكن نبية والله اعلم قال ابن جرير وزعم اهل التوراة ان مدة ملك طالوت الى ان قتل مع اولاده كانت اربعين سنة والله اعلم

قصة داود عليه السلام وما كان في ايامه وذكر فضائله وشمائله ودلائل نبوته واعلامه

هو داود بن ايشا بن عويد بن عابر بن سلمون بن نحشون بن عوينادب بن ارم بن حصرون بن فارص بن يهوذا بن يعقوب بن اسحاق بن ابراهيم الخليل عبد الله ونبيه وخليفته في ارض بيت المقدس قال محمد بن اسحاق عن بعض اهل العلم عن وهب بن منبه كان داود عليه السلام قصيرا ازرق العينين قليل الشعر طاهر القلب ونقيه تقدم انه لما قتل جالوت وكان قتله له فيما ذكر ابن عساكر عند قصر ام حكيم بقرب مرج الصفر فاحبته بنو اسرائيل ومالوا اليه والى ملكه عليهم فكان من امر طالوت ما كان وصار الملك الى داود عليه السلام وجمع الله له بين الملك والنبوة بين خيري الدنيا والاخرة وكان الملك يكون في سبط والنبوة في اخر فاجتمع في داود هذا وهذا كما قال تعالى وقتل داود جالوت واتاه الله الملك والحكمة وعلمه مما يشاء ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الارض ولكن الله ذو فضل على العالمين اي لولا اقامة الملوك حكاما على الناس لاكل قوي الناس ضعيفهم ولهذا جاء في بعض الاثار السلطان ظل الله في ارضه وقال امير المومنين عثمان بن عفان ان الله ليزع بالسلطان ما لا يزع بالقران وقد ذكر ابن جرير في تاريخه ان جالوت لما بارز طالوت فقال له اخرج الي واخرج اليك فندب طالوت الناس فانتدب داود فقتل جالوت قال وهب بن منبه فمال الناس الى داود حتى لم يكن لطالوت ذكر وخلعوا طالوت وولوا عليهم داود وقيل ان ذلك عن امر اشمويل حتى قال بعضهم انه ولاه قبل الوقعة قال ابن جرير والذي عليه الجمهور انه انما ولي الملك بعد قتل جالوت والله تعالى اعلم وروى ابن عساكر عن سعيد بن عبد العزيز ان قتله جالوت كان عند قصر ام حكيم وان النهر الذي هناك هو المذكور في الاية والله اعلم وقال تعالى ولقد اتينا داود منا فضلا يا جبال اوبي معه والطير والنا له الحديد ان اعمل سابغات وقدر في السرد واعملوا صالحا اني بما تعملون بصير وقال تعالى وسخرنا مع داود الجبال يسبحن والطير وكنا فاعلين وعلمناه صنعة لبوس لكم لتحصنكم من باسكم فهل انتم شاكرون اعانه الله تعالى على عمل الدروع من الحديد ليحصن المقاتلة من الاعداء وارشده الى صنعتها وكيفيتها فقال وقدر في السرد اي لا تدق المسمار فيقلق ولا تغلظه فيفصم قاله مجاهد وقتادة والحكم وعكرمة قال الحسن البصري وقتادة والاعمش كان الله قد الان له الحديد حتى كان يفتله بيده لا يحتاج الى نار ولا مطرقة قال قتادة فكان اول من عمل الدروع من زرد وانما كانت قبل ذلك صفائح قال ابن شوذب كان يعمل كل يوم درعا يبيعها بستة الاف

درهم

درهم وقد ثبت في الحديث الصحيح ان اطيب ما اكل الرجل من كسبه وان نبي الله داود كان ياكل من كسب يده وقال تعالى واذكر عبدنا داود ذا الايد انه اواب انا سخرنا الجبال معه يسبحن بالعشي والاشراق والطير محشورة كل له اواب وشددنا ملكه واتيناه الحكمة وفصل الخطاب قال ابن عباس ومجاهد الايد القوة في الطاعة يعني كان ذا قوة في العبادة والعمل الصالح قال قتادة اعطي قوة في العبادة وفقها في الاسلام قال وقد ذكر لنا انه عليه السلام كان يقوم الليل ويصوم نصف الدهر وقد ثبت في الصحيحين ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال احب الصلاة الى الله صلاة داود واحب الصيام الى الله صيام داود كان ينام نصف الليل ويقوم ثلثه وينام سدسه وكان يصوم يوما ويفطر يوما ولا يفر اذا لاقى وقوله انا سخرنا الجبال معه يسبحن بالعشي والاشراق والطير محشورة كل له اواب كما قال يا جبال اوبي معه والطير اي سبحي معه قاله ابن عباس ومجاهد وغير واحد في تفسير هذه الاية انا سخرنا الجبال معه يسبحن بالعشي والاشراق اي عند اخر النهار واوله وذلك انه كان الله تعالى قد وهبه من الصوت العظيم ما لم يعطه احدا بحيث انه كان اذا ترنم بقراءة كتابه يقف الطير في الهواء يرجع بترجيعه ويسبح بتسبيحه وكذلك الجبال تجيبه وتسبح معه كلما سبح بكرة وعشيا صلوات الله وسلامه عليه وقال الاوزاعي حدثني عبد الله بن عامر قال اعطي داود من حسن الصوت ما لم يعط احد قط حتى ان كان الطير والوحش ينعكف حوله حتى تموت عطشا وجوعا وحتى ان الانهار لتقف وقال وهب كان لا يسمعه احد الا حجل كهيئة الرقص وكان يقرا الزبور بصوت لم تسمع الاذان بمثله فيعتكف الجن والانس والطير والدواب على صوته حتى يهلك بعضها جوعا وقال ابو عوانة الاسفرايني ثنا ابو بكر بن ابي الدنيا ثنا محمد بن منصور الطوسي سمعت صبيحا ابا تراب قال ابو عوانة وحدثني المدني ثنا محمد بن صالح العدوي ثنا سيار هو ابن حاتم عن جعفر عن مالك قال كان داود عليه السلام اذا اخذ في قراءة الزبور تفتقت العذارى وهذا غريب وقال عبد الرزاق عن ابن جريج سالت عطاء عن القراءة على الغناء فقال وما باس بذلك سمعت عبيد بن عمير يقول كان داود عليه السلام ياخذ المعزفة فيضرب بها فيقرا عليها فترد عليه صوته يريد بذلك ان يبكي ويبكي وقال الامام احمد ثنا عبد الرزاق ثنا معمر عن الزهري عن عروة عن عايشة قالت سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم صوت ابي موسى الاشعري وهو يقرا فقال لقد اوتي ابو موسى من مزامير ال داود وهذا على شرط الشيخين ولم يخرجاه من هذا الوجه وقال احمد ثنا حسن بن حماد بن سلمة عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لقد اعطي ابو موسى من مزامير داود وعلى شرط مسلم وقد روينا عن ابي عثمان النهدي انه قال لقد سمعنا البربط والمزمار فما سمعت صوتا احسن من صوت ابي موسى الاشعري وقد كان مع هذا الصوت الرخيم سريع القراءة لكتابه الزبور كما قال الامام احمد ثنا عبد الرزاق ثنا معمر عن همام عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خفف على داود القراءة فكان يامر بدابته تسرج فكان يقرا القران من قبل ان تسرج دابته وكان لا ياكل الا من عمل يديه وكذلك رواه البخاري منفردا به عن عبد الله بن محمد عن عبد الرزاق به ولفظه خفف على داود القران فكان يامر بدوابه فتسرج فيقرا القران قبل ان

لتسرح دوابه ولا يأكل إلا من عمل يديه ثم قال البخاري رواه موسى بن عقبة عن صفوان
هو ابن سليم عن عطاء بن يسار عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم وقد أسنده ابن عساكر
في ترجمة داود عليه السلام من تاريخه من طرق عن إبراهيم بن طهمان عن موسى بن عقبة ومن طريق
أبي عاصم عن أبي بكر السبري عن صفوان بن سليم به والمراد بالقرآن ههنا الزبور الذي أنزله
عليه وأوحاه إليه وذكر رواية أشبه أن يكون محفوظا فإنه كان ملكا له أتباع فكان يقرأ
الزبور بمقدار ما تسرج الدواب وهذا أمر سريع مع التدبر والترنم والتغني به على وجه
التخشع صلوات الله وسلامه عليه وقد قال الله تعالى وآتينا داود زبورا والزبور
كتاب مشهور وذكرنا في التفسير الحديث الذي رواه أحمد وغيره أنه نزل في شهر رمضان
وفيه من المواعظ والحكم ما هو معروف لمن نظر فيه وقوله وشددنا ملكه وآتيناه الحكمة وفصل
الخطاب أي أعطيناه ملكا عظيما وحكما نافذا روى ابن جرير وابن أبي حاتم عن ابن عباس أن
رجلين تداعيا إلى داود عليه السلام في بقر ادعى أحدهما على الآخر أنه اغتصبها منه فأنكر
المدعى عليه فأرجأ أمرهما إلى الليل فلما كان الليل أوحى الله إليه أن يقتل المدعي فلما أصبح
قال له داود إن الله أوحى إلي أن أقتلك فأنا قاتلك لا محالة فما خبرك فيما ادعيته على هذا
فقال والله يا نبي الله إني لمحق فيما ادعيت عليه ولكني كنت اغتلت أباه قبل هذا
فأمر به داود فقتل فعظم أمر داود في بني إسرائيل جدا وخضعوا له خضوعا عظيما قال ابن عباس
وهو قوله تعالى وشددنا ملكه وآتيناه الحكمة وفصل الخطاب قال شريح والشعبي وقتادة
وأبو عبد الرحمن السلمي وغيرهم فصل الخطاب الشهود والأيمان يعنون بذلك البينة
على المدعي واليمين على من أنكر وقال مجاهد والسدي إصابة القضاء وفهمه وقال
مجاهد هو الفصل في الكلام وفي الحكم واختاره ابن جرير وهذا لا ينافي ما روي عن أبي موسى
أنه قول أما بعد وقال وهب بن منبه لما كثر الشر وشهادات الزور في بني إسرائيل
أعطي داود سلسلة لفصل القضاء فكانت ممدودة من السماء إلى صخرة بيت المقدس وكانت
من ذهب فإذا تشاجر الرجلان في حق فأيهما كان محقا نالها والآخر لا يصل إليها فلم تزل
كذلك حتى أودع رجل رجلا لؤلؤة فجحدها منه واتخذ عكازا وأودعها فيه فلما حضرا عند
الصخرة تناولها المدعي فلما قيل للآخر خذها بيدك عمد إلى العكاز فأعطاه المدعي وفيه
تلك اللؤلؤة وقال اللهم إنك تعلم أني دفعتها إليه ثم تناول السلسلة فنالها
فأشكل أمرها على بني إسرائيل ثم رفعت سريعا من بينهم ذكره بمعناه غير واحد من المفسرين
وقد رواه إسحاق بن بشر عن إدريس بن سنان عن وهب به بمعناه وهل أتاك نبأ الخصم
إذ تسوروا المحراب إذ دخلوا على داود ففزع منهم قالوا لا تخف خصمان بغى بعضنا على
بعض فاحكم بيننا بالحق ولا تشطط واهدنا إلى سواء الصراط إن هذا أخي له تسع وتسعون
نعجة ولي نعجة واحدة فقال أكفلنيها وعزني في الخطاب قال لقد ظلمك بسؤال
نعجتك إلى نعاجه وإن كثيرا من الخلطاء ليبغي بعضهم على بعض إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات
وقليل ما هم وظن داود أنما فتناه فاستغفر ربه وخر راكعا وأناب فغفرنا له ذلك وإن له
عندنا لزلفى وحسن مآب قد ذكر كثير من المفسرين من السلف والخلف ههنا قصصا وأخبارا
أكثرها إسرائيليات ومنها ما هو مكذوب لا محالة تركنا إيرادها في كتابنا قصدا اكتفاء
واقتصارا على مجرد تلاوة القصة من القرآن العظيم والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم

وقد اختلف الأئمة في سجدة ص هل هي من عزائم السجود أو إنما هي سجدة شكر ليست من عزائم
السجود على قولين قال البخاري ثنا محمد بن عبد الله ثنا محمد بن عبيد الطنافسي عن
العوام قال سألت مجاهدا عن سجدة ص فقال سألت ابن عباس من أين سجدت فقال
أوما تقرأ ومن ذريته داود وسليمان أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده فكان داود ممن
أمر نبيكم أن يقتدي به فسجدها داود عليه السلام فسجدها رسول الله صلى الله عليه
وسلم وقد قال الإمام أحمد ثنا إسماعيل هو ابن علية عن أيوب عن عكرمة عن ابن عباس
أنه قال في السجود في ص ليست من عزائم السجود وقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يسجد فيها وكذا رواه البخاري وأبو داود والترمذي والنسائي من حديث أيوب وقال
الترمذي حسن صحيح وقال النسائي أخبرني إبراهيم بن الحسن المقسمي ثنا حجاج بن محمد
عن عمر بن ذر عن أبيه عن سعيد بن جبير عن ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم سجد في ص
وقال سجدها داود توبة ونسجدها شكرا تفرد به ورجاله ثقات وقال أبو داود
ثنا أحمد بن صالح ثنا ابن وهب أخبرني عمرو بن الحارث عن سعيد بن أبي هلال عن عياض بن عبد الله
بن سعد بن أبي سرح عن أبي سعيد الخدري قال قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو
على المنبر ص فلما بلغ السجدة نزل فسجد وسجد الناس معه فلما كان يوم آخر قرأها فلما
بلغ السجدة تشزن الناس للسجود فقال إنما هي توبة نبي ولكن رأيتكم تشزنتم فنزل وسجد
تفرد به أبو داود وإسناده على شرط الصحيح وقال الإمام أحمد ثنا عفان ثنا يزيد
بن زريع ثنا حميد ثنا بكر هو ابن عبد الله أبو الصديق الناجي أنه أخبره أن أبا سعيد الخدري
رأى رؤيا أنه يكتب ص فلما بلغ إلى التي يسجد بها رأى الدواة والقلم وكل شيء بحضرته
انقلب ساجدا قال فقصها على النبي صلى الله عليه وسلم فلم يزل يسجد بها بعد تفرد
به أحمد وروى الترمذي وابن ماجه من حديث محمد بن يزيد بن خنيس عن الحسن بن محمد
بن عبيد الله بن أبي يزيد قال قال لي ابن جريج حدثني جدك عبيد الله بن أبي يزيد عن ابن
عباس قال جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله إني رأيت فيما يرى
النائم كأني أصلي خلف شجرة فقرأت السجدة فسجدت فسجدت الشجرة لسجودي
فسمعتها تقول وهي ساجدة اللهم اكتب لي بها عندك أجرا واجعلها لي عندك ذخرا وضع عني
بها وزرا واقبلها مني كما قبلتها من عبدك داود قال ابن عباس فرأيت النبي صلى الله عليه
وسلم قام فقرأ السجدة ثم سجد فسمعته يقول وهو ساجد كما حكى الرجل عن كلام الشجرة
ثم قال الترمذي غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه وقد ذكر بعض المفسرين أنه مكث ساجدا
أربعين يوما وقاله مجاهد والحسن وغيرهما وورد في حديث مرفوع لكنه من رواية يزيد
الرقاشي وهو ضعيف متروك الرواية قال الله تعالى فغفرنا له ذلك وإن له عندنا
لزلفى وحسن مآب أي وإن له يوم القيامة لزلفى وهي القربة التي يقربه الله بها ويدنيه من حظيرة
قدسه بسببها كما ثبت في الحديث المقسطون على منابر من نور عن يمين الرحمن وكلتا يديه يمين
الذين يقسطون في أهليهم وحكمهم وما ولوا وقال الإمام أحمد في مسنده حدثنا يحيى بن آدم
ثنا فضيل عن عطية عن أبي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن أحب
الناس إلى الله يوم القيامة وأقربهم منه مجلسا إمام عادل وإن أبغض الناس إلى الله يوم
القيامة وأشدهم عذابا إمام جائر وهكذا رواه الترمذي من حديث فضيل بن مرزوق الأغر

صلى الله عليه وسلم

به وقال لا نعرفه مرفوعا إلا من هذا الوجه وقال ابن أبي حاتم ثنا أبو زرعة ثنا عبد الله
بن أبي زياد ثنا سيار ثنا جعفر بن سليمان سمعت مالك بن دينار في قوله وإن له عندنا لزلفى
وحسن مآب قال يقام داود عليه السلام يوم القيامة عند ساق العرش ثم يقول يا داود
مجدني اليوم بذلك الصوت الحسن الرخيم الذي كنت تمجدني في الدنيا فيقول وكيف
وقد سلبتنيه فيقول إني أرده عليك اليوم قال فيرفع داود بصوت يستفرغ نعيم أهل
الجنان يا داود إنا جعلناك خليفة في الأرض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى
فيضلك عن سبيل الله إن الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد بما نسوا يوم
الحساب هذا خطاب من الله تعالى مع داود والمراد ولاة الأمور وحكام الناس وأمرهم بالعدل
واتباع الحق المنزل من الله لا ما سواه من الآراء والأهواء وتوعد من سلك غير ذلك وحكم
بغير ذلك وقد كان داود عليه السلام هو المقتدى به في ذلك الزمان في العدل وكثرة
العبادة وأنواع القربات حتى إنه كان لا يمضي ساعة من آناء الليل وأطراف النهار إلا وأهل
بيته في عبادة ليلا ونهارا كما قال تعالى اعملوا آل داود شكرا وقليل من عبادي الشكور
قال أبو بكر بن أبي الدنيا حدثنا إسماعيل بن إبراهيم بن بسام ثنا صالح المري عن أبي عمران
الجوني عن أبي الجلد قال قرأت في مسألة داود عليه السلام أنه قال يا رب كيف لي أن أشكرك
وأنا لا أصل إلى شكرك إلا بنعمتك قال فأتاه الوحي أن يا داود أليس تعلم أن الذي بك من
النعم مني قال بلى يا رب قال فإني أرضى بذلك منك وقال البيهقي أنا أبو عبد الله الحافظ
أنا أبو بكر بن بالويه ثنا محمد بن يونس القرشي ثنا روح بن عبادة حدثني عبد الله بن لاحق
عن ابن شهاب قال قال داود الحمد لله كما ينبغي لكرم وجهه وعز جلاله فأوحى الله إليه إنك أتعبت
الحفظة يا داود ورواه أبو بكر بن أبي الدنيا عن علي بن الجعد عن الثوري مثله وقال
عبد الله بن المبارك في كتاب الزهد أنا سفيان الثوري عن رجل عن وهب بن منبه قال
إن في حكمة آل داود حق على العاقل أن لا يغفل عن أربع ساعات ساعة يناجي فيها ربه
ويحاسب فيها نفسه وساعة يفضي فيها إلى إخوانه الذين يخبرونه بعيوبه ويصدقونه
عن نفسه وساعة يخلي بين نفسه وبين لذاتها فيما يحل ويجمل فإن هذه الساعة عون
على هذه الساعات وإجمام للقلوب وحق على العاقل أن يعرف زمانه ويحفظ لسانه ويقبل
على شأنه وحق على العاقل أن لا يظعن إلا في إحدى ثلاث زاد لمعاده ومرمة لمعاشه ولذة
في غير محرم وقد رواه أبو بكر بن أبي الدنيا عن أبي بكر بن أبي خيثمة عن ابن مهدي عن سفيان
عن أبي الأغر عن وهب بن منبه فذكره ورواه أيضا عن علي بن الجعد عن عمر بن الهيثم
الرقاشي عن وهب بن منبه فذكره وأبو الأغر هذا هو الذي أبهمه ابن المبارك في روايته
قال الحافظ ابن عساكر وقال عبد الرزاق أنا بشر بن رافع ثنا شيخ من أهل صنعاء يقال له
أبو عبد الله قال سمعت وهب بن منبه فذكر مثله وقد أورد الحافظ ابن عساكر في ترجمة
داود عليه السلام أشياء كثيرة مليحة منها قوله كن لليتيم كالأب الرحيم واعلم أنك كما
تزرع كذلك تحصد وروي بسند غريب مرفوعا قال داود يا زارع السيئات أنت
تحصد شوكها وحسكها وعن داود عليه السلام أنه قال مثل الخطيب الأحمق في نادي
القوم كمثل المغني عند رأس الميت وقال أيضا ما أقبح الفقر بعد الغنى وأقبح من ذلك
الضلالة بعد الهدى وقال انظر ما تكره أن يذكر عنك في نادي القوم فلا تفعله إذا خلوت

وقال

وقال لا تعدن أخاك بما لا تنجزه له فإن ذلك عداوة ما بينك وبينه وقال محمد بن
سعد أنا محمد بن عمر الواقدي حدثني هشام بن سعد عن عمر مولى غفرة قال قالت يهود
لما رأت رسول الله صلى الله عليه وسلم يتزوج النساء انظروا إلى هذا الذي لا يشبع
من الطعام ولا والله ما له همة إلا النساء وحسدوه لكثرة نسائه وعابوه بذلك فقالوا
لو كان نبيا ما رغب في النساء وكان أشدهم في ذلك حيي بن أخطب فأكذبهم الله وأخبرهم
بفضل الله وسعته على نبيه صلوات الله وسلامه عليه أم يحسدون الناس على ما آتاهم
من فضله يعني بالناس رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد آتينا آل إبراهيم الكتاب
والحكمة وآتيناهم ملكا عظيما يعني ما آتى الله سليمان بن داود وكانت له ألف امرأة سبعمائة
مهيرة وثلاثمائة سرية وكانت لداود عليه السلام مائة امرأة منهن امرأة أوريا أم سليمان
بن داود التي تزوجها بعد الفتنة هذا أكثر مما لمحمد صلى الله عليه وسلم وقد ذكر
الكلبي نحو هذا وأنه كان لداود عليه السلام مائة امرأة ولسليمان ألف امرأة منهن ثلاثمائة
سرية

ذكر كمية حياته وكيفية وفاته

قد تقدم في ذكر الأحاديث الواردة في خلق آدم أن الله لما استخرج ذريته من ظهره فرأى
فيهم الأنبياء عليهم السلام ورأى فيهم رجلا يزهر فقال أي رب من هذا قال ابنك داود
قال أي رب كم عمره قال ستون عاما فقال أي رب زد في عمره قال
لا إلا أن أزيده من عمرك وكان عمر آدم ألف عام فزاده أربعين عاما فلما انقضى عمر آدم جاءه
ملك الموت فقال بقي من عمري أربعون سنة ونسي آدم ما كان وهبه لولده داود فأتمها
الله لآدم ألف سنة ولداود مائة سنة رواه أحمد عن ابن عباس والترمذي وصححه عن
أبي هريرة وابن خزيمة وابن حبان وقال الحاكم على شرط مسلم وقد تقدم ذكر طرقه وألفاظه
في قصة آدم قال ابن جرير وقد زعم بعض أهل الكتاب أن عمر داود كان سبعا وسبعين
سنة **قلت** وهذا غلط مردود عليهم قالوا وكان مدة ملكه أربعين سنة
وهذا قد يقبل نقله لأنه ليس عندنا ما ينافيه ولا ما يقتضيه وأما وفاته عليه السلام
فقال الإمام أحمد في مسنده حدثنا قتيبة ثنا يعقوب بن عبد الرحمن بن محمد عن
عمرو بن أبي عمرو عن المطلب عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كان
داود عليه السلام فيه غيرة شديدة فكان إذا خرج أغلقت الأبواب فلم يدخل على
أهله أحد حتى يرجع قال فخرج ذات يوم وغلقت الدار فأقبلت امرأته تطلع إلى
الدار فإذا رجل قائم وسط الدار فقالت لمن في البيت من أين دخل هذا الرجل الدار
مغلقة والله لنفتضحن بداود فجاء داود فإذا الرجل قائم وسط الدار فقال
له داود من أنت فقال أنا الذي لا أهاب الملوك ولا يمتنع مني الحجاب فقال داود أنت
والله إذن ملك الموت مرحبا بأمر الله فرمل داود مكانه حيث قبضت نفسه حتى
فرغ من شأنه وطلعت عليه الشمس فقال سليمان للطير أظلي على داود فأظلت
عليه الطير حتى أظلمت عليهم الأرض فقال سليمان للطير اقبضي جناحا جناحا قال
أبو هريرة يرينا رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف فعلت الطير وقبض رسول
الله صلى الله عليه وسلم بيده وغلبت عليه يومئذ المضرحية انفرد بإخراجه الإمام
أحمد وإسناده جيد قوي رجاله ثقات ومعنى قوله وغلبت عليه يومئذ المضرحية أي

وغلبت على التظليل عليه المضرحية وهي الصقور الطوال الاجنحة واحدها مضرحي قال الجوهري وهو الصقر الطويل الجناح وقال السدي عن ابي مالك عن ابن عباس قال مات داود نبي الله عليه السلام فجاة وكان يسبت وكانت الطير تظله وقال السدي ايضا عن ابي مالك وعن سعيد بن جبير قال مات داود عليه السلام يوم السبت فجاة وقال اسحاق ابن بشر عن سعيد بن ابي عروبة عن قتادة عن الحسن قال مات داود عليه السلام وهو ابن مائة سنة ومات يوم الاربعا فجاة وقال ابو السكن الهجري مات ابراهيم الخليل فجاة وابنه سليمان فجاة صلوات الله وسلامه عليهم اجمعين رواه ابن عساكر وروي عن بعضهم ان ملك الموت جاءه وهو نازل من محرابه فقال له دعني انزل او اصعد فقال يا نبي الله قد نفدت السنين والشهور والاثار والارزاق قال فخر ساجدا على مرقاة من تلك المراقي فقبضه وهو ساجد وقال اسحاق بن بشر انا وافر بن سليمان عن ابي سليمان الفلسطيني عن وهب بن منبه قال ان الناس حضروا جنازة داود عليه السلام فجلسوا في الشمس في يوم صايف قال وكان شيع جنازته يومئذ اربعون الف راهب عليهم البرانس سوى غيرهم من الناس ولم يمت في بني اسرائيل بعد موسى وهارون احد كانت بنو اسرائيل اشد جزعا عليه منهم على داود قال فاذاهم الحر فنادوا سليمان عليه السلام ان يعمل عليهم لما اصابهم من الحر فخرج سليمان فنادى الطير فاجابت فامرها فاظلت الناس قال فتراص بعضها الى بعض من كل وجه حتى استمسكت الريح فكاد الناس ان يهلكوا غما فصاحوا الى سليمان عليه السلام من الغم فخرج سليمان فنادى الطير ان اظلي الناس من ناحية الشمس وتنحي عن ناحية الريح ففعلت فكان الناس في ظل وتهب عليهم الريح فكان ذلك اول ما راوا من ملك سليمان وقال الحافظ ابو يعلى ثنا ابو همام ثنا الوليد بن شجاع حدثني الوليد بن مسلم عن الهيثم بن حميد عن الوضين بن عطا عن نصر بن علقمة عن جبير بن نفير عن ابي الدردا قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد قبض الله داود من بين اصحابه فما فتنوا ولا بدلوا ولقد مكث اصحاب المسيح على سنته وهديه مايتي سنة هذا حديث غريب وفي رفعه نظر والوضين بن عطا كان ضعيفا في الحديث والله اعلم

قصة سليمان بن داود عليهما السلام

قال الحافظ ابن عساكر هو سليمان بن داود بن ايشا بن عويد بن باعر بن سلمون بن نحشون بن عمينا داب بن ارم بن حصرون بن فارص بن يهوذا بن يعقوب بن اسحاق بن ابراهيم ابو الربيع نبي الله بن نبي الله جا في الاثار انه دخل دمشق قال ابن ماكولا فارص بالصاد المهملة وذكر نسبه قريبا مما ذكره ابن عساكر قال الله تعالى وورث سليمان داود وقال يا ايها الناس علمنا منطق الطير واوتينا من كل شي ان هذا لهو الفضل المبين اي ورثه في النبوة والملك وليس المراد وراثة المال لانه قد كان له بنون غيره فما كان ليخص بالمال دونهم ولانه قد ثبت في الصحاح من غير وجه عن جماعة من الصحابة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا نورث ما تركنا فهو صدقة وفي لفظ نحن معاشر الانبيا لا نورث فاخبر الصادق المصدوق ان الانبيا لا تورث اموالهم عنهم كما يورث غيرهم بل تكون اموالهم صدقة من بعدهم على الفقرا والمحاويج لا يختصون بها اقرباوهم لان الدنيا كانت اهون

عليهم

[illegible]

عليهم واحقر عندهم من ذلك كما هي عند الذي ارسلهم واصطفاهم وفضلهم وقال يا ايها الناس علمنا منطق الطير واوتينا من كل شي ان هذا لهو الفضل المبين يعني انه عليه السلام كان يعرف ما يتخاطب به الطيور بلغاتها ويعبر للناس عن مقاصدها وارادتها وقد قال الحافظ ابو بكر البيهقي انا ابو عبد الله الحافظ انا علي بن حمشاذ ثنا اسماعيل بن قتيبة ثنا علي بن قدامة ثنا ابو جعفر الاسوائي ليثي محمد بن عبد الرحمن عن ابي يعقوب القمي حدثني ابو مالك قال مر سليمان بن داود بعصفور يدور حول عصفورة فقال لاصحابه اتدرون ما يقول قالوا وما يقول يا نبي الله قال يخطبها الى نفسه ويقول زوجيني اسكنك اي غرف دمشق شئت قال سليمان عليه السلام لان غرف دمشق مبنية بالصخر لا يقدر ان يسكنها احد ولكن كل خاطب كذاب وكذلك ما عداها من الحيوانات من ساير صنوف المخلوقات والدليل على هذا قوله تعالى بعد هذا من الايات واوتينا من كل شي اي من كل ما يحتاج الملك اليه من العدد والالات والجنود والجيوش والجماعات من الجن والانس والطيور والوحوش الشاردات والعلوم والفهوم والتعبير عن ضماير المخلوقات من الناطقات والصامتات ثم قال ان هذا لهو الفضل المبين اي من بارئ البريات وخالق الارض والسموات كما قال تعالى وحشر لسليمان جنوده من الجن والانس والطير فهم يوزعون حتى اذا اتوا على وادي النمل قالت نملة يا ايها النمل ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم سليمان وجنوده وهم لا يشعرون فتبسم ضاحكا من قولها وقال رب اوزعني ان اشكر نعمتك التي انعمت علي وعلى والدي وان اعمل صالحا ترضاه وادخلني برحمتك في عبادك الصالحين يخبر تعالى عن عبده ونبيه وابن نبيه سليمان بن داود عليه السلام انه ركب يوما في جيشه جميعه من الجن والانس والطير فالجن والانس يسيرون معه والطير سايرة معه تظله باجنحتها من الحر وغيره وعلى كل من هذه الجيوش الثلاثة وزعة اي نقبا يردون اوله على اخره فلا يتقدم احد عن موضعه الذي يسير فيه ولا يتاخر قال الله تعالى حتى اذا اتوا على وادي النمل قالت نملة يا ايها النمل ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم سليمان وجنوده وهم لا يشعرون فامرت وحذرت واعتذرت عن سليمان وجنوده بعدم الشعور وقد ذكر وهب انه مر وهو على البساط بواد بالطايف وان هذه النملة كانت اسمها جرس وكانت من قبيلة يقال لهم بنو الشيصبان وكانت عرجا وكانت بقدر الذيب وفي هذا كله نظر وفي هذا السياق دليل على انه كان في موكبه راكبا في خيوله وفرسانه لا كما زعمه بعضهم من انه كان اذ ذاك على البساط لانه لو كان كذلك لم ينل النمل منه شي ولا وطي لان البساط كان يكون عليه جميع ما يحتاجون اليه من الجيوش والخيول والجمال والاثقال والخيام والانعام والطير من فوق ذلك كله كما سنبينه بعد ذلك ان شا الله تعالى والمقصود ان سليمان عليه السلام فهم ما خاطبت به تلك النملة لامتها من الراي السديد والامر الحميد وتبسم من ذلك على وجه الاستبشار والفرح والسرور بما اطلعه الله عليه دون غيره وليس كما يقوله بعض الجهلة من ان الدواب كانت تنطق قبل سليمان وتخاطب الناس حتى اخذ عليهم سليمان بن داود العهد والجمها فلم تتكلم مع الناس بعد ذلك فان هذا لا يقوله الا الذين لا يعلمون ولو كان هذا هكذا لم يكن لسليمان في فهم مقالتها مزية على غيره اذ قد كان الناس

كلهم يفهمون ذلك ولو كان قد اخذ عليها العهد ان لا تتكلم مع غيره وكان من يفهمها
لم يكن في هذا ايضا فائدة يعول عليها ولهذا قال رب اوزعني اوزعني ان اشكر نعمتك
التي انعمت علي وعلى والدي وان اعمل صالحا ترضاه وادخلني برحمتك في عبادك الصالحين
فطلب من الله ان يقيضه للشكر على ما انعم به عليه وعلى ما خصه به من المزية على غيره
وان ييسر عليه العمل الصالح وان يحشره اذا توفاه مع عباده الصالحين وقد استجاب
الله تعالى له والمراد بوالديه داود عليه السلام وامه وكانت من العابدات الصالحات
كما قال سنيد بن داود عن يوسف بن محمد بن المنكدر عن ابيه عن جابر عن النبي صلى الله
عليه وسلم قال قالت ام سليمان بن داود يا بني لا تكثر النوم بالليل فان كثرة النوم
بالليل يدع العبد فقيرا يوم القيامة رواه ابن ماجة عن اربعة من مشايخه عنه بنحوه
وقال الله تعالى وتفقد الطير فقال ما لي لا ارى الهدهد ام كان من الغائبين
لاعذبنه عذابا شديدا او لاذبحنه او لياتيني بسلطان مبين فمكث غير بعيد فقال
احطت بما لم تحط به وجئتك من سبا بنبا يقين اني وجدت امراة تملكهم واوتيت
من كل شيء ولها عرش عظيم وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله وزين لهم
الشيطان اعمالهم فصدهم عن السبيل فهم لا يهتدون الا يسجدوا لله الذي يخرج الخبء
في السموات والارض ويعلم ما يخفون وما يعلنون الله لا اله الا هو رب العرش العظيم قال
سننظر اصدقت ام كنت من الكاذبين اذهب بكتابي هذا فالقه اليهم ثم تول عنهم فانظر
ماذا يرجعون قالت يا ايها الملا اني القي الي كتاب كريم انه من سليمان وانه بسم
الله الرحمن الرحيم الا تعلوا علي واتوني مسلمين قالت يا ايها الملا افتوني في امري ما كنت
قاطعة امرا حتى تشهدون قالوا نحن اولو قوة واولو باس شديد والامر اليك فانظري
ماذا تامرين قالت ان الملوك اذا دخلوا قرية افسدوها وجعلوا اعزة اهلها اذلة وكذلك
يفعلون واني مرسلة اليهم بهدية فناظرة بم يرجع المرسلون فلما جاء سليمان قال
اتمدونن بمال فما اتاني الله خير مما اتاكم بل انتم بهديتكم تفرحون ارجع اليهم فلناتينهم
بجنود لا قبل لهم بها ولنخرجنهم منها اذلة وهم صاغرون يذكر تعالى ما كان من سليمان
والهدهد وذلك ان الطيور كان على كل صنف منهم مقدمون يقومون بما يطلب منهم
ويحضرون عنده بالنوبة كما هي عادة الجنود مع الملوك وكانت وظيفة الهدهد على ما ذكر
ابن عباس وغيره انهم كانوا اذا اعوزوا الماء في القفار في حال الاسفار يجيء فينظر لهم
هل بهذه البقاع من ماء وفيه من القوة التي اودعها الله فيه ان ينظر الى الماء تحت تخوم
الارض فاذا دلهم عليه حفروا عنه واستنبطوه واخرجوه لحاجتهم فلما تطلبه سليمان عليه
السلام ذات يوم فقده ولم يجده في موضعه من محل خدمته فقال ما لي لا ارى الهدهد
ام كان من الغائبين اي ما له مفقود من ههنا او قد غاب عن بصري فلا اراه بحضرتي
لاعذبنه عذابا شديدا توعده بنوع من العذاب اختلف المفسرون فيه والمقصود حاصل
على كل تقدير او لاذبحنه او لياتيني بسلطان مبين اي بحجة تنجيه من هذه الورطة
قال الله تعالى فمكث غير بعيد اي فغاب الهدهد غيبة ليست بطويلة ثم قدم منها فقال
لسليمان احطت بما لم تحط به اي اطلعت على ما لم تطلع عليه وجئتك من سبا بنبا يقين
اي بخبر صادق اني وجدت امراة تملكهم واوتيت من كل شيء ولها عرش عظيم يذكر ما كان

عليه

عليه ملوك سبا في بلاد اليمن من المملكة العظيمة والتبابعة المتوجين وكان الملك قد
آل في ذلك الزمان الى هذه المراة منهم بنت ملكهم لم يخلف غيرها فملكوها عليهم وذكر الثعلبي
ان قومها ملكوا عليهم بعد ابيها رجلا فعم به الفساد فارسلت اليه تخطبه فتزوجها فلما
دخلت عليه اسقته خمرا ثم حزت راسه ونصبته على بابها فاقبل الناس عليها وملكوها
عليهم وهي بلقيس بنت السرح وهو الهدهاد وقيل شراحيل بن ذي جدن بن السرح
بن الحرث بن قيس بن صيفي بن سبا بن يشجب بن يعرب بن قحطان وكان ابوها من اكابر
الملوك وكان قد ابى ان يتزوج من اهل اليمن فيقال انه تزوج بامراة من الجن اسمها
ريحانة بنت السكن فولدت له هذه المراة واسمها تلقمة ويقال لها بلقيس وقد روى
الثعلبي من طريق سعيد بن بشير عن قتادة عن النضر بن انس عن بشير بن نهيك عن ابي
هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال كان احد ابوي بلقيس جنيا وهذا حديث
غريب وفي سنده ضعف وقال الثعلبي اخبرني ابو عبد الله بن فنجويه ثنا ابو بكر بن خرجة
ثنا ابن ابي الليث ثنا ابو كريب ثنا ابو معاوية عن اسماعيل بن مسلم عن الحسن
عن ابي بكرة قال ذكرت بلقيس عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لا يفلح قوم
ولوا امرهم امراة واسماعيل بن مسلم هذا هو المكي ضعيف وقد ثبت في صحيح البخاري
من حديث عوف عن الحسن عن ابي بكرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما بلغه
ان اهل فارس ملكوا عليهم ابنة كسرى قال لن يفلح قوم ولوا امرهم امراة ورواه الترمذي
والنسائي من حديث حميد عن الحسن عن ابي بكرة عن النبي صلى الله عليه وسلم مثله وقال
الترمذي حسن صحيح وقوله واوتيت من كل شيء اي مما شانه ان يؤتاه الملوك ولها
عرش عظيم اي سرير مملكتها كان مزخرفا بانواع الجواهر واللالي والذهب الحلي الباهر
ثم ذكر كفرهم بالله وعبادتهم الشمس من دون الله واضلال الشيطان لهم وصده
اياهم عن عبادة الله تعالى وحده لا شريك له الذي يخرج الخبء في السموات والارض
ويعلم ما يخفون وما يعلنون اي يعلم السرائر والظواهر من المحسوسات والمعنويات
الله لا اله الا هو رب العرش العظيم اي له العرش العظيم الذي لا اعظم منه في المخلوقات
فعند ذلك بعث معه سليمان عليه السلام كتابه يتضمن دعوته لهم الى طاعة الله وطاعة
رسوله والانابة والاذعان الى الدخول في الخضوع لملكه وسلطانه ولهذا قال لهم
الا تعلوا علي اي لا تستكبروا عن طاعتي وامتثال اوامري واتوني مسلمين اي واقدموا
علي سامعين مطيعين بلا معاودة ولا مراودة فلما جاءها الكتاب مع الطير ومن
ثم اتخذ الناس البطائق ولكن اين الثريا من الثرى تلك البطاقة كانت مع طائر
سامع مطيع فاهم عالم بما يقول ويقال له فذكر غير واحد من المفسرين وغيرهم ان الهدهد
حمل الكتاب وجاء الى قصرها فالقاه اليها وهي في خلوة لها ثم وقف ناحية ينتظر
جوابها عن كتابها فجمعت امراءها ووزراءها واكابر دولتها ومشورتها
قالت يا ايها الملا اني القي الي كتاب كريم ثم قرات عليهم عنوانه اولا انه من سليمان
ثم قراته وانه بسم الله الرحمن الرحيم الا تعلوا علي واتوني مسلمين ثم شاورتهم في امرها
وما قد حل بها وتادبت معهم وخاطبتهم وهم يسمعون قالت يا ايها الملا افتوني في امري
ما كنت قاطعة امرا حتى تشهدون اي ما كنت لابت امرا الا وانتم حاضرون قالوا

نحن اولوا قوة واولوا بأس شديد يعنون لنا قوة وقدرة على الجلاد والقتال ومقاومة
الابطال فان اردت منا ذلك فانا عليه من القادرين ومع هذا فالامر اليك فانظري
ماذا تأمرين فنبذل لك الطاعة واخبروها بما عندهم من الاستطاعة وفوضوا اليها
في ذلك الامر لترى فيه ما هو الارشد لها ولهم فكان رأيها اتم واشد من رأيهم وعلمت
ان صاحب هذا الكتاب لا يغالب ولا يمانع ولا يخالف ولا يخادع قالت ان الملوك اذا
دخلوا قرية افسدوها وجعلوا اعزة اهلها اذلة وكذلك يفعلون تقول برأيها
السديد ان هذا الملك لو قد غلب على هذه المملكة لم يخلص الامر بينكم الا الي لم تكن
الحدة الشديدة والسطوة البليغة الاعلى واني مرسلة اليهم بهدية فناظرة
بم يرجع المرسلون ارادت ان تصانع عن نفسها واهل مملكتها بهدية ترسلها وتحف
تبعثها ولم تعلم ان سليمان عليه السلام لا يقبل منهم والحالة هذه صرفا ولا عدلا لانهم
كافرون وهو وجنوده عليهم قادرون ولهذا لما جاء سليمان قال اتمدونني بمال
فما آتاني الله خير مما آتاكم بل انتم بهديتكم تفرحون هذا وقد كانت تلك الهدايا
مشتملة على امور عظيمة كما ذكره المفسرون ثم قال لرسولها اليه ووافدها الذي قدم
عليه والناس حاضرون يسمعون ارجع اليهم فلنأتينهم بجنود لا قبل لهم بها ولنخرجنهم
منها اذلة وهم صاغرون يقول ارجع بهديتك التي قدمت بها الى من قد منّت بها فان عندي
مما انعم به علي واسداه الي من الاموال والتحف والرجال ما هو اضعاف هذا وخير
من هذا الذي انتم تفرحون به وتفخرون على ابناء جنسكم بسببه فلنأتينهم بجنود
لا قبل لهم بها اي فلابعثن اليهم بجنود لا يستطيعون دفاعهم ولا نزالهم ولا ممانعتهم
ولاقاتلنهم ولاخرجنهم من بلدهم وحوزتهم ومعاملتهم ودولتهم اذلة صغرة قمئة وهم
صاغرون عليهم الصغار والدمار فلما بلغهم ذلك عن نبي الله لم يكن لهم بد من السمع
والطاعة فبادروا الى اجابته في تلك الساعة واقبلوا صحبة الملكة اجمعين سامعين
مطيعين خاضعين فلما سمع بقدومهم عليه قال لمن بين يديه ممن هو مسخر له من الجان
ما قصه الله عنه في القرآن قال يا ايها الملأ ايكم يأتيني بعرشها قبل ان يأتوني مسلمين
قال عفريت من الجن انا آتيك به قبل ان تقوم من مقامك واني عليه لقوي امين
قال الذي عنده علم من الكتاب انا آتيك به قبل ان يرتد اليك طرفك فلما رآه
مستقرا عنده قال هذا من فضل ربي ليبلوني أأشكر ام اكفر ومن شكر فانما يشكر
لنفسه ومن كفر فان ربي غني كريم قال نكروا لها عرشها ننظر اتهتدي ام تكون من
الذين لا يهتدون فلما جاءت قيل اهكذا عرشك قالت كأنه هو واوتينا العلم من قبلها
وكنا مسلمين وصدها ما كانت تعبد من دون الله انها كانت من قوم كافرين قيل لها
ادخلي الصرح فلما رأته حسبته لجة وكشفت عن ساقيها قال انه صرح ممرد من قوارير
قالت رب اني ظلمت نفسي واسلمت مع سليمان لله رب العالمين لما طلب سليمان من
الجان ان يحضروا العرش بلقيس وهو سرير مملكتها الذي تجلس عليه وقت
حكمها قبل قدومها عليه قال عفريت من الجن انا آتيك به قبل ان تقوم من مقامك
واني عليه لقوي امين يعني قبل ان ينقضي مجلس حكمك وكان فيما يقال من اول النهار
الى قريب الزوال يتصدى لمهمات بني اسرائيل ويفصل ما لهم من الاشغال واني عليه لقوي

امين

مطلب
آصف ابن برخيا

امين اي واني لذو قوة على احضاره اليك وامانة على ما فيه من الجواهر النفيسة لديك
قال الذي عنده علم من الكتاب المشهور انه آصف بن برخيا وهو ابن خالة سليمان وقيل
هو رجل من مؤمني الجان كان فيما يقال يحفظ الاسم الاعظم وقيل رجل من بني اسرائيل من
علمائهم وقيل انه سليمان وهذا غريب جدا وضعفه السهيلي لانه لا يصلح في سياق الكلام
قال وقد قيل فيه قول رابع انه جبريل انا آتيك به قبل ان يرتد اليك طرفك قيل معناه
قبل ان تبعث رسولا الى اقصى ما ينتهي اليه طرفك من الارض ثم يعود اليك وقيل
قبل ان يصل اليك ابعد من تراه من الناس وقيل قبل ان يكل طرفك اذا ادمت النظر به
قبل ان تطبق جفنك وقيل قبل ان يرجع اليك طرفك اذا نظرت به الى ابعد غاية منك
ثم اغمضته وهذا اقرب ما قيل فلما رآه مستقرا عنده اي فلما رأى عرش بلقيس مستقرا
عنده في هذه المدة القريبة من بلاد اليمن الى بيت المقدس في طرفة عين قال هذا
من فضل ربي ليبلوني أأشكر ام اكفر اي هذا من فضل الله علي وفضله على عبيده ليختبرهم
على الشكر او خلافه ومن شكر فانما يشكر لنفسه اي انما يعود نفع ذلك عليه ومن كفر فان
ربي غني عن شكر الشاكرين ولا يتضرر بكفر الكافرين ثم امر سليمان عليه السلام ان يغير حلي هذا
العرش وينكر ليختبر فهمها وعقلها ولهذا قال ننظر اتهتدي ام تكون من الذين لا يهتدون
فلما جاءت قيل اهكذا عرشك قالت كأنه هو وهذا من فطنتها وغزارة فهمها لانها
استبعدت ان يكون عرشها لانها خلفته وراءها بارض اليمن ولم تكن تعلم ان احدا يقدر
على هذا الصنع العجيب الغريب قال الله تعالى اخبارا عن سليمان وقومه واوتينا
العلم من قبلها وكنا مسلمين وصدها ما كانت تعبد من دون الله انها كانت من قوم كافرين
اي وصدها عبادة الشمس التي كانت تسجد لها هي وقومها من دون الله اتباعا لدين
آبائهم واسلافهم لا لدليل قادهم الى ذلك ولا حداهم على ذلك وكان سليمان قد امر ببناء
صرح من زجاج وعمل في ممره ماء وجعل عليه سقفا من زجاج وجعل فيه من السمك
وغيرها من دواب الماء وامرت بدخول الصرح وسليمان جالس على سريره فلما رأته حسبته
لجة وكشفت عن ساقيها قال انه صرح ممرد من قوارير قالت رب اني ظلمت نفسي واسلمت
مع سليمان لله رب العالمين وقد قيل ان الجن ارادوا ان يبشعوا منظرها عند
سليمان وان تبدي عن ساقيها ليرى ما عليهما من الشعر فينفره ذلك منها وخشوا
ان يتزوجها لان امها من الجان فتتسلط عليهم معه وذكر بعضهم ان حافرها كان كحافر
الدابة وهذا ضعيف وفي الاول ايضا نظر الا ان سليمان قيل انه لما اراد ازالته حين
عزم على تزويجها سأل الانس عن زينة فذكروا له المواسي فامتنعت من ذلك فسأل الجان
فصنعوا له النورة ووضعوا له الحمام فكان اول من دخل الحمام فلما وجد مسه قال
اوه من عذاب اوه اوه قبل ان لا تنفع اوه رواه الطبراني مرفوعا وفيه نظر وقد ذكر
الثعلبي وغيره ان سليمان لما تزوجها اقرها على مملكة اليمن ورده اليها وكان يزورها
في كل شهر مرة فيقيم عندها ثلاثة ايام ثم يعود على البساط وامر الجان فبنوا لها ثلاثة
قصور باليمن غمدان وسالحين وبينون والله اعلم وقد روى ابن اسحق عن بعض
اهل العلم عن وهب بن منبه ان سليمان لم يتزوجها بل زوجها بملك همدان واقرها على
ملك اليمن وسخر زوبعة ملك جن اليمن فبنى لها القصور الثلاثة التي ذكرناها في اليمن

والاول اشهر واظهر والله تعالى اعلم وقال تعالى في سورة ص ووهبنا لداود سليمان
نعم العبد انه اواب اذ عرض عليه بالعشي الصافنات الجياد فقال اني احببت حب
الخير عن ذكر ربي حتى توارت بالحجاب ردوها علي فطفق مسحا بالسوق والاعناق ولقد
فتنا سليمان والقينا على كرسيه جسدا ثم اناب قال رب اغفر لي وهب لي ملكا
لا ينبغي لاحد من بعدي انك انت الوهاب فسخرنا له الريح تجري بامره رخاء حيث اصاب
والشياطين كل بناء وغواص واخرين مقرنين في الاصفاد هذا عطاؤنا فامنن او امسك
بغير حساب يذكر تعالى انه وهب لداود سليمان عليهما السلام ثم اثنى عليه تعالى فقال
نعم العبد انه اواب اي رجاع مطيع لله ثم ذكر تعالى ما كان من امره في الخيل الصافنات
وهي التي تقف على ثلاث وطرف حافر الرابعة الجياد وهي المضمرة السراع فقال
اني احببت حب الخير عن ذكر ربي حتى توارت بالحجاب يعني الشمس وقيل الخيل على ما سنذكره
من القولين ردوها علي فطفق مسحا بالسوق والاعناق قيل مسح عراقيبها واعناقها
بالسيوف وقيل مسح عنها العرق لما اجراها وسابق بينها بين يديه على القول الاخر
والذي عليه اكثر السلف الاول فقالوا اشتغل بعرض تلك الخيول حتى خرج وقت
العصر وغربت الشمس روي هذا عن علي بن ابي طالب وغيره والذي يقطع به انه لم يترك
الصلاة عمدا من غير عذر اللهم الا ان يقال انه كان سائغا في شريعتهم تاخير الصلاة
لاجل اسباب الجهاد وعرض الخيل من ذلك وقد ادعى طائفة من العلماء في تاخير النبي صلى الله
عليه وسلم صلاة العصر يوم الخندق ان هذا كان مشروعا اذ ذاك حتى نسخ بصلاة الخوف
قاله الشافعي وغيره وقال مكحول والاوزاعي بل هو حكم محكم الى اليوم يجوز تاخيرها لعذر القتال
الشديد كما ذكرنا تقرير ذلك في سورة النساء عند صلاة الخوف وقال الاخرون بل كان تاخير
النبي صلى الله عليه وسلم صلاة العصر يوم الخندق نسيانا وعلى هذا فيحمل
فعل سليمان عليه السلام على هذا والله اعلم واما من قال الضمير في قوله حتى توارت
بالحجاب عائد على الخيل وانه لم يفته وقت صلاة وان المراد بقوله ردوها علي فطفق
مسحا بالسوق والاعناق يعني مسح العرق عن عراقيبها واعناقها فهذا القول اختاره
ابن جرير ورواه الوالبي عن ابن عباس في مسح العرق ووجه هذا القول ابن جرير بانه
ما كان ليعذب الحيوان بالعرقبة ويهلك مالا بلا سبب ولا ذنب لها وهذا الذي
قاله فيه نظر لانه قد يكون هذا سائغا في ملتهم وقد ذهب بعض علمائنا الى انه اذا خاف
المسلمون ان يظفر الكفار على شيء من الحيوانات من اغنام ونحوها جاز ذبحها واهلاكها
لئلا يتقووا بها وعليه حمل صنيع جعفر بن ابي طالب يوم عقر فرسه بموتة وقد
قيل انها كانت خيلا عظيمة قيل كانت عشرة الاف فرس وقيل كانت عشرين الف
فرس وقيل كان فيها عشرون فرسا من ذوات الاجنحة وقد روى ابو داود في سننه
حدثنا محمد بن عوف ثنا سعيد بن ابي مريم انا يحيى بن ايوب حدثني عمارة بن غزية
ان محمد بن ابراهيم حدثه عن ابي سلمة بن عبد الرحمن عن عائشة قالت قدم رسول الله صلى
الله عليه وسلم من غزوة تبوك او خيبر وفي سهوتها ستر فهبت الريح فكشفت ناحية
الستر عن بنات لعائشة لعب فقال ما هذا يا عائشة فقالت بناتي ورأى بينهن
فرسا له جناحان من رقاع فقال ما هذا الذي ارى وسطهن قالت فرس قال وما الذي

عليه هذا قالت جناحان قال فرس له جناحان قالت اما سمعت ان لسليمان خيلا لها اجنحة
قالت فضحك حتى رايت نواجذه صلى الله عليه وسلم وذكر بعض العلماء لما ترك
الخيل لله عوضه الله عنها بما هو خير له منها وهو الريح التي كانت غدوها شهر ورواحها شهر
كما سياتي في الكلام عليها كما قال الامام احمد حدثنا اسماعيل ثنا سليمان بن المغيرة عن حميد
بن هلال عن ابي قتادة وابي الدهماء وكانا يكثران السفر نحو البيت قالا اتينا على رجل من
اهل البادية فقال البدوي اخذ بيدي رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعل يعلمني مما علمه
الله عز وجل وقال انك لا تدع شيئا اتقاء الله عز وجل الا اعطاك الله خيرا منه وقوله
تعالى ولقد فتنا سليمان والقينا على كرسيه جسدا ثم اناب ذكر ابن جرير وابن ابي حاتم
وغيرهما من المفسرين هاهنا اثارا كثيرة عن جماعة من السلف واكثرها او كلها متلقاة
من الاسرائيليات وفي كثير منها نكارة شديدة قد نبهنا على ذلك في كتابنا التفسير
واقتصرنا هاهنا على مجرد التلاوة ومضمون ما ذكروه ان سليمان عليه السلام غاب عن
سريره اربعين يوما ثم عاد اليه ولما عاد امر ببناء بيت المقدس فبناه بناء محكما
وقد قدمنا انه جدده وان اول من جعله مسجدا اسرائيل عليه السلام كما ذكرنا ذلك عند
قول ابي ذر قلت يا رسول الله اي مسجد وضع اول قال المسجد الحرام قلت ثم اي قال
مسجد بيت المقدس قلت كم بينهما قال اربعون سنة ومعلوم ان بين ابراهيم الذي
بنى المسجد الحرام وبين سليمان بن داود عليهما السلام ازيد من الف سنة دع اربعين
سنة وكان سؤاله الملك الذي لا ينبغي لاحد من بعده لما كان له بناء البيت المقدس
كما قال الامام احمد والنسائي وابن ماجه وابن خزيمة وابن حبان والحاكم باسانيدهم عن
عبد الله بن فيروز الديلمي عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم ان سليمان لما بنى بيت المقدس سال ربه عز وجل خلالا ثلاثا فاعطاه اثنتين ونحن
نرجو ان يكون لنا الثالثة سأله حكما يصادف حكمه فاعطاه اياه وسأله ملكا لا ينبغي
لاحد من بعده فاعطاه اياه وسأله ايما رجل خرج من بيته لا يريد الا الصلاة في هذا
المسجد خرج من خطيئته مثل يوم ولدته امه فنحن نرجو ان يكون الله قد اعطانا اياها فاما
الحكم الذي يوافق حكم الله فقد اثنى الله تعالى وعلى ابيه في قوله وداود وسليمان اذ يحكمان
في الحرث اذ نفشت فيه غنم القوم وكنا لحكمهم شاهدين ففهمناها سليمان وكلا اتينا
حكما وعلما وقد ذكر شريح القاضي وغير واحد من السلف ان هؤلاء القوم كان لهم كرم فنفشت
فيه غنم قوم اخرين اي رعته بالليل فاكلت شجره بالكلية فتحاكموا الى داود عليه السلام
فحكم لاصحاب الكرم بقيمته فلما خرجوا على سليمان قال بم حكم نبي الله لكم فقالوا بكذا
وكذا فقال اما لو كنت انا لما حكمت الا بتسليم الغنم لاصحاب الكرم فيستغلونها نتاجا
ودرا حتى يصلح اصحاب الغنم كرم اولئك ويردوه الى ما كان عليه ثم يتسلموا غنمهم
فبلغ داود عليه السلام ذلك فحكم به وقريب من هذا ما ثبت في الصحيحين من حديث
ابي الزناد عن الاعرج عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بينما
امراتان معهما ابناهما اذ عدا الذئب فاخذ ابن احداهما فتنازعتا في الاخر فقالت
الكبرى انما ذهب بابنك وقالت الصغرى بل انما ذهب بابنك فتحاكمتا الى داود فحكم به
للكبرى فخرجتا على سليمان فقال ائتوني بالسكين اشقه نصفين لكل واحدة منهما نصفه

فقالت الصغرى لا تفعل يرحمك الله هو ابنها فقضى به لها ولعل كلا من الحكمين كان
سائغا في شريعتهم ولكن ما قاله سليمان عليه السلام ارجح ولهذا اثنى الله عليه بما الهمه
اياه ومدح بعد ذلك اباه فقال وكلا آتينا حكما وعلما وسخرنا مع داود الجبال يسبحن
والطير وكنا فاعلين وعلمناه صنعة لبوس لكم لتحصنكم من باسكم فهل انتم شاكرون
ثم قال ولسليمان الريح عاصفة تجري بامره الى الارض التي باركنا فيها وكنا بكل شيء عالمين
ومن الشياطين من يغوصون له ويعملون عملا دون ذلك وكنا لهم حافظين وقال
في سورة ص فسخرنا له الريح تجري بامره رخاء حيث اصاب والشياطين كل بناء وغواص
وآخرين مقرنين في الاصفاد هذا عطاؤنا فامنن او امسك بغير حساب وان له عندنا لزلفى
وحسن مآب لما ترك الخيل ابتغاء وجه الله تعالى عوضه الله تعالى منها الريح التي هي
اسرع سيرا واقوى واعظم ولا كلفة عليه لها تجري بامره رخاء حيث اصاب اي حيث اراد
من البلاد كان له بساط مركب من اخشاب بحيث انه يسع جميع ما يحتاج اليه من الدور المبنية
والقصور والخيام والامتعة والخيول والجمال والاثقال فاذا اراد سفرا او مستنزها
او قتال ملك او اعداء من اي بلاد الله شاء فاذا حمل هذه الامور المذكورة على البساط
امر الريح فدخلت تحته فاذا استقل بين السماء والارض امر الرخاء فسارت به فان اراد
اسرع من ذلك امر العاصفة اسرع ما يكون فوضعته في اي مكان شاء بحيث انه كان
يرتحل اول النهار من بيت المقدس فتغدو به الريح فتضعه باصطخر مسيرة شهر
فيقيم هناك الى آخر النهار ثم يروح من آخره فترده الى بيت المقدس كما قال تعالى
ولسليمان الريح غدوها شهر ورواحها شهر واسلنا له عين القطر ومن الجن من يعمل
بين يديه باذن ربه ومن يزغ منهم عن امرنا نذقه من عذاب السعير يعملون له ما يشاء من
محاريب وتماثيل وجفان كالجواب وقدور راسيات اعملوا آل داود شكرا وقليل من عبادي
الشكور قال الحسن البصري كان يغدو من دمشق فينزل باصطخر فيتغدى بها
ويذهب رائحا منها فيبيت بكابل وبين دمشق وبين اصطخر مسيرة شهر وبين اصطخر
وكابل مسيرة شهر قلت قد ذكر المتكلمون على العمران والبلدان ان اصطخر بنتها الجان
لسليمان وكان فيها قرار مملكة الترك قديما وكذلك غيرها من بلدان شتى كتدمر
وبيت المقدس وباب جيرون وباب البريد اللذان بدمشق على احد الاقوال واما القطر
فقال ابن عباس ومجاهد وعكرمة وقتادة وغير واحد هو النحاس قال قتادة وكانت
باليمن انبعها الله له قال السدي ثلاثة ايام فقط اخذ منها جميع ما يحتاج اليه
للبنايات وغيرها وقوله ومن الجن من يعمل بين يديه باذن ربه ومن يزغ منهم عن امرنا
نذقه من عذاب السعير اي وسخر الله له من الجن عمالا يعملون بامره ما يشاء لا يفترون ولا
يخرجون عن طاعته ومن خرج منهم عن الامر عذبه ونكل به يعملون له ما يشاء من محاريب
وهي الاماكن الحسنة وصدور المجالس وتماثيل وهي الصور في الجدران وكان هذا سائغا
في شريعتهم وملتهم وجفان كالجواب قال ابن عباس الجفنة كالجوبة من الارض وعنه
كالحياض وكذا قال مجاهد والحسن وقتادة والضحاك وغيرهم وعلى هذه الرواية
يكون الجواب جمع جابية وهي الحوض الذي يجبى فيه الماء كما قال الاعشى

تروح على آل المحلق جفنة * كجابية الشيخ العراقي تفهق

واما القدور الراسيات فقال عكرمة اثافيها منها يعني انهن ثوابت لا يزلن عن اماكنهن
وهكذا قال مجاهد وغير واحد ولما كان هذا بصدد اطعام الطعام والاحسان الى
الخلق من انسان وجان قال تعالى اعملوا آل داود شكرا وقليل من عبادي الشكور وقال
تعالى والشياطين كل بناء وغواص وآخرين مقرنين في الاصفاد يعني ان منهم من قد
سخره في البناء ومنهم من يامره بالغوص في الماء لاستخراج ما هنالك من الجواهر واللآلي
وغير ذلك مما لا يوجد الا هنالك وقوله وآخرين مقرنين في الاصفاد اي قد عصوا فقيدوا
مقرنين اثنين اثنين في الاصفاد وهي القيود وهذا كله من جملة ما هيا الله له وسخر
له من الاشياء التي هي من تمام الملك الذي لا ينبغي لاحد من بعده ولم يكن ايضا لمن كان قبله
وقد قال البخاري حدثنا محمد بن بشار ثنا محمد بن جعفر ثنا شعبة عن محمد بن زياد عن
ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان عفريتا من الجن تفلت البارحة
ليقطع علي صلاتي فامكنني الله منه فاخذته فاردت ان اربطه الى سارية من سواري
المسجد حتى تنظروا اليه كلكم فذكرت دعوة اخي سليمان رب اغفر لي وهب لي ملكا
لا ينبغي لاحد من بعدي فرددته خاسئا وكذا رواه مسلم والنسائي من حديث شعبة
وقال مسلم ثنا محمد بن سلمة المرادي ثنا عبد الله بن وهب عن معاوية بن صالح
حدثني ربيعة بن يزيد عن ابي ادريس الخولاني عن ابي الدرداء قال قام رسول الله صلى
الله عليه وسلم يصلي فسمعناه يقول اعوذ بالله منك ثم قال العنك بلعنة الله ثلاثا
وبسط يده كانه يتناول شيئا فلما فرغنا من الصلاة قلنا يا رسول الله قد سمعناك تقول
في الصلاة شيئا لم نسمعك تقوله قبل ذلك ورايناك بسطت يدك قال ان عدو
الله ابليس جاء بشهاب من نار ليجعله في وجهي فقلت اعوذ بالله منك ثلاث
مرات ثم اردت اخذه والله لولا دعوة اخينا سليمان لاصبح موثقا يلعب به ولدان
اهل المدينة وكذا رواه النسائي عن محمد بن سلمة به وقال احمد ثنا ابو احمد ثنا
ميسرة بن معبد ثنا ابو عبيد حاجب سليمان قال رايت عطاء بن يزيد الليثي
قائما يصلي فذهبت امر بين يديه فردني ثم قال حدثني ابو سعيد الخدري ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم قام فصلى صلاة الصبح وهو خلفه فقرا فالتبست
عليه القراءة فلما فرغ من صلاته قال لو رايتموني وابليس فاهويت بيدي فما زلت
اخنقه حتى وجدت برد لعابه بين اصبعي هاتين الابهام والتي تليها ولولا دعوة اخي
سليمان لاصبح مربوطا بسارية من سواري المسجد يتلاعب به صبيان المدينة
فمن استطاع منكم ان لا يحول بينه وبين القبلة احد فليفعل وروى ابو داود منه
فمن استطاع الى آخره عن احمد بن ابي سريج عن ابي احمد الزبيري به وقد ذكر غير واحد من
السلف انه كانت لسليمان من النساء الف امراة سبعمائة بمهور وثلثمائة سراري
وقيل بالعكس ثلاثمائة حرائر وسبعمائة من الاماء وقد كان يطيق من التمتع بالنساء
امرا عظيما جدا قال البخاري ثنا خالد بن مخلد ثنا مغيرة بن عبد الرحمن عن ابي الزناد
عن الاعرج عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال قال سليمان بن داود
لاطوفن الليلة على سبعين امراة تحمل كل امراة فارسا يجاهد في سبيل الله فقال له
صاحبه ان شاء الله فلم يقل فلم تحمل شيئا الا واحدا ساقطا احد شقيه فقال النبي

صلى الله عليه وسلم لو قالها لجاهدوا في سبيل الله وقال شعيب وابن أبي الزناد تسعين
وهو أصح تفرد به البخاري من هذا الوجه وقال أبو يعلى ثنا زهير ثنا يزيد أنا هشام بن
حسان عن محمد عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال سليمان بن داود
لأطوفن الليلة على مائة امرأة كل امرأة تلد غلاما يضرب بالسيف في سبيل الله ولم يقل
إن شاء الله فطاف تلك الليلة على مائة امرأة فلم تلد منهن امرأة إلا امرأة ولدت نصف
إنسان فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو قال إن شاء الله لولدت كل امرأة منهن
غلاما يضرب بالسيف في سبيل الله عز وجل إسناده على شرط الصحيح ولم يخرجوه من هذا
الوجه وقال الإمام أحمد حدثنا هشيم ثنا هشام عن ابن سيرين عن أبي هريرة قال
قال سليمان بن داود لأطوفن الليلة على مائة امرأة تلد كل واحدة منهن غلاما يقاتل في
سبيل الله ولم يستثن فما ولدت واحدة منهن إلا بشق إنسان قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم لو استثنى لولد له مائة غلام كلهم يقاتل في سبيل الله عز وجل تفرد
به أحمد أيضا وقال الإمام أحمد ثنا عبد الرزاق أنا معمر عن ابن طاوس عن أبيه عن أبي هريرة
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال سليمان بن داود لأطوفن الليلة بمائة
امرأة تلد كل امرأة منهن غلاما يقاتل في سبيل الله قال ونسي أن يقول إن شاء الله فأطاف
بهن قال فلم تلد منهن امرأة إلا واحدة نصف إنسان فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لو قال إن شاء الله لم يحنث وكان دركا لحاجته وهكذا أخرجاه في الصحيحين من حديث
عبد الرزاق به مثله وقال إسحاق بن بشر أنا مقاتل عن أبي الزناد وابن أبي الزناد عن أبيه
عن عبد الرحمن عن أبي هريرة أن سليمان بن داود كان له أربعمائة امرأة وستمائة سرية فقال
يوما لأطوفن الليلة على ألف امرأة فتحمل كل واحدة منهن بفارس يجاهد في سبيل الله ولم
يستثن فطاف عليهن فلم تحمل واحدة منهن إلا امرأة واحدة جاءت بشق إنسان فقال
النبي صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده لو استثنى فقال إن شاء الله لولد له ما قال
فرسان ولجاهدوا في سبيل الله عز وجل وهذا إسناد ضعيف لحال إسحاق بن بشر فإنه
منكر الحديث ولا سيما وقد خالف الروايات الصحاح وقد كان له عليه السلام من أمور
الملك واتساع الدولة وكثرة الجنود وتنوعها ما لم يكن لأحد قبله ولا يعطيه الله أحدا
بعده كما قال وأوتينا من كل شيء وقال رب اغفر لي وهب لي ملكا لا ينبغي لأحد من بعدي
إنك أنت الوهاب وقد أعطاه الله ذلك بنص الصادق المصدوق ولما ذكر تعالى
ما أنعم به عليه وأسداه من النعم الكاملة العظيمة إليه قال هذا عطاؤنا فامنن أو أمسك
بغير حساب أي تصرف في المال كيف شئت فإن الله قد سوغ لك كل ما تفعله من ذلك
ولا يحاسبك على ذلك وهذا شأن النبي الملك بخلاف العبد الرسول فإن من شأنه أن لا يعطي
أحدا ولا يمنع أحدا إلا بإذن الله له في ذلك وقد خير نبينا صلى الله عليه وسلم بين
هذين المقامين فاختار أن يكون عبدا نبيا رسولا وفي بعض الروايات أنه استشار جبريل
في ذلك فأشار إليه أن تواضع فاختار عبدا رسولا صلوات الله وسلامه عليه وقد جعل
الله الخلافة والملك من بعده في أمته إلى يوم القيامة فلا تزال طائفة من أمته ظاهرين
حتى تقوم الساعة ولله الحمد والمنة ولما ذكر تعالى ما وهبه لنبيه سليمان عليه السلام
من خير الدنيا نبه على ما أعده له في الآخرة من الثواب الجزيل والأجر الجميل والقربة

التي تقربه

التي تقربه إليه والفوز العظيم والإكرام بين يديه وذلك يوم المعاد والحساب حيث
يقول تعالى وإن له عندنا لزلفى وحسن مآب

ذكر وفاته وكم كانت مدة ملكه وحياته

قال الله تعالى فلما قضينا عليه الموت ما دلهم على موته إلا دابة الأرض تأكل منسأته
فلما خر تبينت الجن أن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب المهين روى ابن جرير وابن
أبي حاتم وغيرهما من حديث إبراهيم بن طهمان عن عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير عن
ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال كان سليمان نبي الله عليه السلام إذا صلى رأى
شجرة نابتة بين يديه فيقول لها ما اسمك فتقول كذا فيقول لأي شيء أنت فإن كانت لغرس
غرست وإن كانت لدواء كتبت فبينما هو يصلي ذات يوم إذ رأى شجرة بين يديه فقال لها ما اسمك
قالت الخروب قال لأي شيء أنت قالت لخراب هذا البيت فقال سليمان اللهم عم على الجن
موتي حتى تعلم الإنس أن الجن لا يعلمون الغيب فنحتها عصا فتوكأ عليها حولا والجن تعمل
فأكلتها الأرضة فتبينت الجن أن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب المهين قال
وكان ابن عباس يقرؤها هكذا قال فشكرت الجن للأرضة فكانت تأتيها بالماء لفظ
ابن جرير وعطاء الخراساني في حديثه نكارة وقد رواه الحافظ ابن عساكر من طريق
سلمة بن كهيل عن سعيد بن جبير عن ابن عباس موقوفا وهو أشبه بالصواب والله أعلم وقال
السدي في خبر ذكره عن أبي مالك وعن أبي صالح عن ابن عباس وعن مرة عن ابن مسعود وعن
أناس من الصحابة كان سليمان عليه السلام يتجرد في بيت المقدس السنة والسنتين والشهر
والشهرين وأقل من ذلك وأكثر يدخل طعامه وشرابه فأدخله في المرة التي توفي فيها فكان
بدء ذلك أنه لم يكن يوم يصبح فيه إلا نبتت في بيت المقدس شجرة فيأتيها فيسألها ما اسمك
فتقول الشجرة اسمي كذا وكذا فإن كانت لغرس غرسها وإن كانت نبتت دواء لكذا وكذا جعلها
كذلك حتى نبتت شجرة يقال لها الخروبة فسألها ما اسمك فقالت أنا الخروبة فقال
ولأي شيء نبت فقالت نبت لخراب هذا المسجد قال سليمان ما كان الله ليخربه وأنا حي
أنت التي على وجهك هلاكي وخراب بيت المقدس فنزعها وغرسها في حائط له ثم دخل المحراب
فقام يصلي متكئا على عصاه فمات ولم تعلم به الشياطين وهم في ذلك يعملون له يخافون
أن يخرج فيعاقبهم وكانت الشياطين تجتمع حول المحراب وكان المحراب له كوى بين يديه وخلفه
فكان الشيطان الذي يريد أن يخلع يقول ألست جليدا إن دخلت فخرجت من ذلك الجانب
فيدخل حتى يخرج من الجانب الآخر فدخل شيطان من أولئك فمر ولم يكن شيطان ينظر إلى
سليمان عليه السلام وهو في المحراب إلا احترق ولم يسمع صوت سليمان ثم رجع فلم يسمع ثم
رجع فوقع في البيت ولم يحترق ونظر إلى سليمان عليه السلام قد سقط ميتا فخرج فأخبر
الناس أن سليمان قد مات ففتحوا عنه فأخرجوه ووجدوا منسأته وهي العصا بلسان
الحبشة قد أكلتها الأرضة ولم يعلموا منذ كم مات فوضعوا الأرضة على العصا فأكلت
منها يوما وليلة ثم حسبوا على ذلك النحو فوجدوه قد مات منذ سنة وهي قراءة ابن مسعود
فمكثوا يدأبون له من بعد موته حولا كاملا فأيقن الناس عند ذلك أن الجن كانوا يكذبون ولو
أنهم علموا الغيب لعلموا بموت سليمان ولم يلبثوا في العذاب سنة يعملون له وذلك
قول الله عز وجل ما دلهم على موته إلا دابة الأرض تأكل منسأته فلما خر تبينت الجن أن لو

كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب المهين يقول تبينت امرهم للناس انهم كانوا يكذبونهم
ثم ان الشياطين قالوا للارضة لو كنت تاكلين الطعام لاتيناك باطيب الطعام ولو كنت
تشربين الشراب سقيناك اطيب الشراب ولكنا سننقل اليك الماء والطين قال
فهم ينقلون اليها ذلك حيث كانت قال الم تر الى الطين الذي يكون في جوف الخشب
فهو ما ياتيها به الشياطين تشكرا لها وهذا فيه من الاسرائيليات التي لا تصدق ولا تكذب
وقال ابو داود في كتاب القدر ثنا عثمان بن ابي شيبة ثنا قبيصة ثنا سفيان عن الاعمش
عن خيثمة قال قال سليمان بن داود عليهما السلام لملك الموت اذا اردت ان تقبض
روحي فاعلمني قال ما انا اعلم بذلك منك انما هي كتب تلقى الي فيها تسمية من يموت
وقال اصبغ بن الفرج وعبد الله بن وهب عن عبد الرحمن بن زيد بن اسلم قال قال سليمان
لملك الموت اذا امرت بي فاعلمني فاتاه فقال يا سليمان قد امرت بك قد بقيت لك
سويعة فدعا الشياطين فبنوا عليه صرحا من قوارير ليس له باب فقام يصلي فاتكا على
عصاه قال فدخل عليه ملك الموت فقبض روحه وهو متوكئ على عصاه ولم يصنع ذلك
فرارا من ملك الموت قال والجن تعمل بين يديه وينظرون اليه يحسبون انه حي قال
فبعث الله دابة الارض يعني الى منساته فاكلتها حتى اذا اكلت جوف العصا ضعفت
وثقل عليها فخر فلما رات الجن ذلك انفضوا وذهبوا قال فذلك قوله ما دلهم على موته الا
دابة الارض تاكل منساته فلما خر تبينت الجن ان لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب
المهين قال الاصبغ وبلغني عن غيره انها مكثت سنة تاكل في منساته حتى خر وقد روي نحو
هذا عن جماعة من السلف وغيرهم والله تعالى اعلم قال اسحاق بن بشر عن محمد بن اسحاق
عن الزهري وغيره ان سليمان عليه السلام عاش ثنتين وخمسين سنة وكان ملكه اربعين سنة
وقال اسحاق انا ابو روق عن عكرمة عن ابن عباس ان ملكه كان عشرين سنة والله اعلم
وقال ابن جرير فكان جميع عمر سليمان بن داود نيفا وخمسين سنة وفي سنة اربع من ملكه
ابتدا ببناء بيت المقدس فيما ذكر ثم ملك بعده ابنه رحبعم مدة سبع عشرة سنة
فيما ذكره ابن جرير قال ثم تفرقت بعده مملكة بني اسرائيل

باب ذكر جماعة من انبياء بني اسرائيل عليهم السلام ممن لا يعلم وقت

زمانهم على التعيين الا انهم بعد داود وسليمان عليهما السلام وقبل زكريا ويحيى عليهما
السلام فمنهم شعيا بن امصيا قال ابن اسحاق وكان قبل زكريا ويحيى وهو ممن بشر بعيسى
ومحمد عليهما السلام وكان في زمانه ملك اسمه صدقيا على بني اسرائيل ببلاد بيت المقدس
وكان سامعا مطيعا لشعيا فيما يامره به وينهاه عنه من المصالح وكانت الاحداث قد عظمت
في بني اسرائيل فمرض الملك وخرجت في رجله قرحة وقصد بيت المقدس ملك بابل اذ ذاك
الزمان وهو سنحاريب قال ابن اسحاق في ستمائة الف راية وفزع الناس فزعا شديدا
عظيما وقال الملك للنبي شعيا ماذا اوحى الله اليك في امر سنحاريب وجنوده فقال
لم يوح الي فيهم شيء بعد ثم نزل الوحي على شعيا بالامر للملك صدقيا بان يوصي ويستخلف على
ملكه من يشاء فانه قد اقترب اجله فلما اخبره بذلك اقبل الملك على القبلة فصلى وسبح
ودعا وبكى فقال وهو يبكي ويتضرع الى الله عز وجل بقلب مخلص وتوكل وصبر اللهم
رب الارباب واله الالهة يا رحمن يا رحيم يا من لا تاخذه سنة ولا نوم اذكرني بعملي وفعلي

وحسن

وحسن قضائي على بني اسرائيل وذلك كله كان منك فانت اعلم به من نفسي سري واعلاني لك
قال فاستجاب الله له ورحمه واوحى الله الى شعيا ان يبشره بانه قد رحم بكاءه وقد
اخر في اجله خمس عشرة سنة وانجاه من عدوه سنحاريب فلما قال له ذلك ذهب عنه الوجع
وانقطع عنه الشر والحزن وخر ساجدا وقال في سجوده اللهم انت الذي تعطي الملك من
تشاء وتنزعه ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء عالم الغيب والشهادة انت
الاول والاخر والظاهر والباطن وانت ترحم وتستجيب دعوة المضطرين فلما رفع راسه
اوحى الله الى شعيا ان يامره ان ياخذ ماء التين فيجعله على قرحته فيشفى ويصبح قد برئ
ففعل ذلك فشفي وارسل الله على جيش سنحاريب الموت فاصبحوا وقد هلكوا كلهم
سوى سنحاريب وخمسة من اصحابه منهم بختنصر فارسل ملك بني اسرائيل فجاء بهم فجعلهم
في الاغلال وطاف بهم في البلاد على وجه التنكيل بهم والاهانة لهم سبعين يوما ويطعم كل واحد
منهم كل يوم رغيفين من شعير ثم اودعهم السجن واوحى الله تعالى الى شعيا ان يامر الملك
بارسال هؤلاء الى بلادهم لينذروا قومهم ما قد حل بهم فلما رجعوا جمع سنحاريب قومه واخبرهم
بما كان من امرهم فقال له السحرة والكهنة انا اخبرناك عن شان ربهم وانبيائهم فلم تطعنا
وهي امة لا يستطيعها احد من ربهم فكان امر سنحاريب مما خوفهم الله به ثم مات سنحاريب
بعد سبع سنين قال ابن اسحاق ثم لما مات صدقيا ملك بني اسرائيل مرج امرهم واختلطت
احداثهم وكثر شرهم فاوحى الله تعالى الى شعيا فقام فيهم فوعظهم وذكرهم واخبرهم عن الله
بما هو اهله وانذرهم باسه وعقابه ان خالفوه وكذبوه فلما فرغ من مقالته عدوا عليه
وطلبوه ليقتلوه فهرب منهم فمر بشجرة فانفلقت فدخل فيها وادركه الشيطان فاخذ
بهدبة ثوبه فابرزها فلما راوا ذلك جاؤوا بالمنشار فوضعوه على الشجرة فنشروها
ونشروه معها فانا لله وانا اليه راجعون ومنهم ارميا بن حلقيا من سبط لاوي بن يعقوب
وقد قيل انه الخضر عليه السلام رواه الضحاك عن ابن عباس وهو غريب وليس بصحيح
قال ابن عساكر جاء في بعض الاثار انه وقف على دم يحيى بن زكريا وهو يفور بدمشق فقال
ايها الدم فتنت الناس فاسكن فسكن ورسب حتى غاب وقال ابو بكر بن ابي الدنيا حدثني
علي بن ابي مريم عن احمد بن حباب عن عبد الله بن عبد الرحمن قال قال ارميا اي رب اي عبادك احب
اليك قال اكثرهم لي ذكرا الذين يشتغلون بذكري عن ذكر الخلائق الذين لا يعرض لهم وساوس
الفناء ولا يحدثون انفسهم بالبقاء الذين اذا عرض لهم عيش الدنيا قلوه واذا زوي عنهم
سروا بذلك اولئك انحلهم محبتي واعطيهم فوق غاياتهم

ذكر خراب بيت المقدس

وقوله تعالى وآتينا موسى الكتاب وجعلناه هدى لبني اسرائيل الا تتخذوا من دوني وكيلا
ذرية من حملنا مع نوح انه كان عبدا شكورا وقضينا الى بني اسرائيل في الكتاب لتفسدن
في الارض مرتين ولتعلن علوا كبيرا فاذا جاء وعد اولاهما بعثنا عليكم عبادا لنا اولي
باس شديد فجاسوا خلال الديار وكان وعدا مفعولا ثم رددنا لكم الكرة عليهم وامددناكم
باموال وبنين وجعلناكم اكثر نفيرا ان احسنتم احسنتم لانفسكم وان اساتم فلها
فاذا جاء وعد الاخرة ليسوءوا وجوهكم وليدخلوا المسجد كما دخلوه اول مرة وليتبروا ما علوا
تتبيرا عسى ربكم ان يرحمكم وان عدتم عدنا وجعلنا جهنم للكافرين حصيرا وقال

وهب بن منبه اوحى الله الى نبي من انبياء بني اسرائيل يقال له ارميا حين ظهرت فيهم المعاصي
ان قم بين ظهراني قومك فاخبرهم ان لهم قلوبا ولا يفقهون واعينا ولا يبصرون واذانا ولا
يسمعون واني تذكرت صلاح ابائهم فعطفني ذلك على ابنائهم فسلهم كيف وجدوا غب طاعتي
وهل سعد احد ممن عصاني وهل شقي احد ممن اطاعني بطاعتي ان الدواب تذكر اوطانها فتنزع
اليها وان هولاء القوم تركوا الامر الذي اكرمت عليه اباءهم والتمسوا الكرامة من غير وجهها
اما احبارهم فانكروا حقي واما قراؤهم فعبدوا غيري واما نساكهم فلم ينتفعوا بما علموا واما
ولاتهم فكذبوا علي وعلى رسلي خزنوا المكر في قلوبهم وعودوا الكذب السنتهم واني اقسم بجلالي
وعزتي لاهيجن عليهم جيوشا لا يفقهون السنتهم ولا يعرفون وجوههم ولا يرحمون بكاءهم و(لا)
ولابعثن فيهم ملكا جبارا قاسيا له عساكر كقطع السحاب ومراكب كامثال العجاج كان
خفقان راياته طيران النسور وكان حمل فرسانه كر العقبان يعيدون العمران خرابا
ويتركون القرى وحشة فيا ويل ايليا وسكانها كيف اذللهم للقتل واسلط عليهم السبا
واعيد بعد لجب الاعراس صراخا وبعد صهيل الخيل عواء الذئاب وبعد شرفات القصور
مساكن السباع وبعد ضوء السرج وهج العجاج وبالعز الذل وبالنعمة العبودية وابدلن
نساءهم بعد الطيب التراب وبالمشي على الزرابي الخبب ولاجعلن اجسادهم زبلا للارض
وعظامهم ضاحية للشمس ولادوسنهم بالوان العذاب ثم لامرن السماء فلتكونن طبقا
من حديد والارض سبيكة من نحاس فان امطرت لم تنبت الارض وان انبتت شيئا في خلال
ذلك فرحمة للبهائم ثم احبسه في زمان الزرع وارسله في زمان الحصاد فان زرعوا شيئا في
خلال ذلك سلطت عليه الافة فان خلص منه شيء نزعت منه البركة فان دعوني لم اجبهم
وان سالوا لم اعطهم وان بكوا لم ارحمهم وان تضرعوا صرفت وجهي عنهم رواه ابن عساكر
بهذا اللفظ وقال اسحاق بن بشر انا ادريس عن وهب بن منبه قال ان الله تعالى
لما بعث ارميا الى بني اسرائيل وذلك حين عظمت فيهم الاحداث فعملوا بالمعاصي وقتلوا الانبياء
طمع بخت نصر فيهم وقذف الله في قلبه وحدث نفسه بالمسير اليهم لما اراد الله ان ينتقم به
منهم فاوحى الله الى ارميا اني مهلك بني اسرائيل ومنتقم منهم فقم على صخرة بيت المقدس
يأتيك امري ووحيي فقام ارميا فشق ثيابه وجعل الرماد على راسه وخر ساجدا وقال
يا رب وددت ان امي لم تلدني حين جعلتني اخر انبياء بني اسرائيل فيكون خراب بيت المقدس
وبوار بني اسرائيل من اجلي فقيل له ارفع راسك فرفع راسه فبكى ثم قال يا رب من تسلط
عليهم فقال عبدة النيران لا يخافون عقابي ولا يرجون ثوابي قم يا ارميا فاستمع وحيي اخبرك
خبرك وخبر بني اسرائيل من قبل ان اخلقك اخترتك ومن قبل ان اصورك في رحم امك قدستك
ومن قبل ان اخرجك من بطن امك طهرتك ومن قبل ان تبلغ نبأتك ومن قبل ان تبلغ الاشد
اخترتك ولامر عظيم اجتبيتك فقم مع الملك تسدده وترشده فكان مع الملك يرشده ويأتيه
الوحي من الله حتى عظمت الاحداث ونسوا ما نجاهم الله من عدوهم سنحاريب وجنوده فاوحى
الله الى ارميا قم فاقصص عليهم ما امرتك به وذكرهم نعمتي عليهم وعرفهم احداثهم فقال
ارميا يا رب اني ضعيف ان لم تقوني عاجز ان لم تبلغني مخطئ ان لم تسددني مخذول ان
لم تنصرني ذليل ان لم تعزني فقال الله تعالى له اولم تعلم ان الامور كلها تصدر عن مشيئتي
وان الخلق والامر كله لي وان القلوب والالسنة كلها بيدي اقلبها كيف شئت فتطيعني

فانا الله

فانا الله الذي ليس شيء مثلي قامت السموات والارض وما فيهن بكلمتي وانه لا يخلص التوحيد
ولا القدرة الا لي ولا يعلم ما عندي غيري وانا الذي كلمت البحار ففهمت قولي وامرتها ففعلت
امري وحددت عليها حدودا فلا تعدو حدي وتاتي بامواج كالجبال فاذا بلغت حدي
البستها مذلة لطاعتي خوفا واعترافا لامري واني معك ولن يصل اليك شيء معي وانك
بعثتك الى خلق عظيم من خلقي لتبلغهم رسالاتي فتستوجب لذلك اجر من اتبعك ولا
ينتقص ذلك من اجورهم شيئا انطلق الى قومك فقم فيهم وقل لهم ان الله ذكركم بصلاح
ابائكم فلذلك استبقاكم يا معشر ابناء الانبياء كيف وجد اباؤكم مغبة طاعتي وكيف
وجدتم مغبة معصيتي وهل وجدوا احدا عصاني فسعد بمعصيتي وهل علموا احدا اطاعني
فشقي بطاعتي ان الدواب اذا ذكرت اوطانها الصالحة نزعت اليها وان هولاء القوم
رتعوا في مروج الهلكة وتركوا الامر الذي اكرمت به اباءهم وابتغوا الكرامة من غير وجهها
اما احبارهم ورهبانهم فاتخذوا عبادي خولا يتعبدونهم ويحكمون فيهم بغير كتابي حتى
اجهلوهم امري وانسوهم ذكري وغروهم عني فدان لهم عبادي بالطاعة التي لا تنبغي
الا لي فهم يطيعونهم في معصيتي واما ملوكهم وامراؤهم فبطروا نعمتي وامنوا مكري وغرتهم
الدنيا حتى نبذوا كتابي ونسوا عهدي فهم يحرفون كتابي ويفترون على رسلي جراة
منهم علي وغرة بي فسبحان جلالي وعلو مكاني وعظمة شاني هل ينبغي ان يكون لي شريك
في ملكي وهل ينبغي لبشر ان يطاع في معصيتي وهل ينبغي لي ان اخلق عبادا اجعلهم اربابا
من دوني او اذن لاحد بالطاعة لا ينبغي الا لي واما قراؤهم وفقهاؤهم فيتعبدون
بما يتخيرون فيتعبدون للملوك يتبعونهم على البدع التي يبتدعون في ديني ويطيعونهم
في معصيتي ويوفون لهم بالعهود الناقضة لعهدي فهم جهلة بما يعلمون لا ينتفعون
بشيء مما علموا من كتابي واما اولاد الانبياء فمقهورون ومفتونون يخوضون مع
الخائضين يتمنون مثل نصر ابائهم والكرامة التي اكرمتهم بها ويزعمون انه لا احد
اولى بذلك منهم بغير صدق منهم ولا تفكر ولا يذكرون كيف كان صبر ابائهم وكيف كان
جهدهم في امري حين اغتر المغترون وكيف بذلوا انفسهم ودماءهم فصبروا وصدقوا
حتى عز امري وظهر ديني فتانيت بهولاء القوم لعلهم يستحيون مني ويرجعون فتطولت عليهم
وصفحت عنهم فاكثرت ومددت لهم في العمر واعذرت لهم لعلهم يتذكرون وكل ذلك امطر
عليهم السماء وانبت لهم الارض والبستهم العافية واظهرتهم على العدو ولا يزدادون الا
طغيانا وبعدا مني فحتى متى هذا ابي يسخرون ام بي يتمرسون ام اياي يخادعون ام علي
يجترئون فاني اقسم بعزتي لاتيحن لهم فتنة يتحير فيها الحليم ويضل فيها راي ذوي
الراي وحكمة الحكيم ثم لاسلطن عليهم جبارا قاسيا عاتيا البسه الهيبة وانزع من
قلبه الرحمة واليت ان يتبعه عدد وسواد مثل الليل المظلم له فيه عساكر مثل قطع
السحاب ومراكب مثل العجاج وكان حفيف راياته طيران النسور وحمل فرسانه كسرب
العقبان يعيدون العمران خرابا والقرى وحشا ويعيثون في الارض فسادا ويتبرون
ما علوا تتبيرا قاسية قلوبهم لا يكترثون ولا يرقبون ولا يرحمون ولا يبصرون ولا يسمعون
يجولون في الاسواق باصوات مرتفعة مثل زئير الاسد يقشعر من هيبتها الجلود
وتطيش من سمعها الاحلام بالسنة لا يفقهونها ووجوه ظاهر عليها المنكر لا يعرفونها

ثم عز لي لاعطلن بيوتهم من كتبي وقدسي ولاخلين مجالسهم من حديثها ودروسها ولاوحشن
مساجدهم من عمارها وزوارها الذين كانوا يتزينون بعمارتها لغيري ويتهجدون فيها ويتعبدون
لكسب الدنيا بالدين ويتفقهون فيها لغير الدين ويتعلمون فيها لغير العمل لابدلن ملوكها
بالعز الذل وبالامن الخوف وبالغنى الفقر وبالنعمة الجوع وبطول العافية والرخا الوان البلا
وبلباس الديباج والحرير مدارع الوبر والعبا وبالارواح الطيبة والادهان جيف
القتلى وبلباس التيجان اطواق الحديد والسلاسل والاغلال ثم لاعيدن فيهم بعد
القصور الواسعة والحصون الحصينة الخراب وبعد البروج المشيدة مساكن السباع
وبعد صهيل الخيل عوا الذباب وبعد ضوء السراج دخان الحريق وبعد الانس الوحشة
والقفار ثم لابدلن نساءها بالاسورة الاغلال وبقلائد الدر واليواقيت سلاسل الحديد
وبالوان الطيب والادهان النقع والغبار وبالمشي على الزرابي عبور الاسواق والانهار
والخبب الى الليل في بطون الاسواق وبالخدور والستور الحسور على الوجوه والسوق
والاسفار والارواح السموم ثم لادوسنهم بانواع العذاب حتى لو كان الكاين منهم في
حالق لوصل ذلك اليه اني انما اكرم من اكرمني وانما اهين من هان عليه امري ثم لامرن
اي جبل
السما خلال ذلك فلتكونن عليهم طبقا من حديد ولامرن الارض فلتكونن سبيكة
من نحاس فلا السما تمطر ولا الارض تنبت فان مطرت خلال ذلك شيا سلطت عليه
الآفة فان خلص منه شي نزعت منه البركة وان دعوني لم اجبهم وان سالوني لم اعطهم
وان بكوا لم ارحمهم وان تضرعوا الي صرفت وجهي عنهم وان قالوا اللهم انت الذي ابتدأتنا
واباءنا من قبلنا برحمتك وكرامتك وذلك بانك اخترتنا لنفسك وجعلت فينا
نبوتك وكتابك ومساجدك ثم مكنت لنا في البلاد واستخلفتنا فيها وربيتنا
واباءنا من قبلنا بنعمتك صغارا وحفظتنا واياهم برحمتك كبارا فانت اوفى المنعمين
وان غيرنا ولا تبدل وان بدلنا واذيتم نعمتك وفضلك وطولك واحسانك فان قالوا ذلك
قلت لهم اني ابتدي عبادي برحمتي ونعمتي فان قبلوا اتممت وان استزادوا زدت
وان شكروا اضعفت وان بدلوا غيرت واذا غيروا غضبت واذا غضبت عذبت
وليس يقوم شي لغضبي قال كعب فقال ارميا برحمتك اصبحت اتعلم بين يديك
وهل ينبغي ذلك لي وانا اذل واضعف من ان ينبغي لي ان اتكلم بين يديك ولكن
برحمتك ابقيتني لهذا اليوم وليس احد احق ان يخاف هذا العذاب وهذا الوعيد
مني بما رضيت به مني طولا والاقامة في دار الخاطئين وهم يعصونك حولي بغير نكير
ولا تغيير مني فان تعذبني فبذنبي وان ترحمني فذلك ظني بك ثم قال يا رب سبحانك
وبحمدك وتباركت ربنا وتعاليت اتهلك هذه القرية وما حولها وهي مساكن
انبيائك ومنزل وحيك يا رب سبحانك وبحمدك وتباركت ربنا وتعاليت لمخرب
هذا المسجد وما حوله من المساجد ومن البيوت التي رفعت لذكرك يا رب سبحانك
وبحمدك وتباركت ربنا وتعاليت لمقتل هذه الامة وعذابك اياهم وهم من ولد ابراهيم
خليلك وامة موسى نجيك وقوم داود صفيك يا رب اي القرى يامن عقوبتك
بعد وسلم واي العباد يامنون سطوتك بعد ولد خليلك ابراهيم وامة نجيك موسى
وقوم خليفتك تسلط عليهم عبدة النيران قال الله تعالى يا ارميا من عصاني فلا

يستنكر

يستنكر نقمتي فاني انما اكرمت هولاء القوم على طاعتي ولو انهم عصوني لانزلتهم دار
العاصين الا ان اتداركهم برحمتي قال ارميا يا رب اتخذت ابراهيم خليلا وحفظتنا
به وموسى قربته نجيا فنسالك ان تحفظنا ولا تتخطفنا ولا تسلط علينا عدونا
فاوحى الله اليه يا ارميا اني قدستك في بطن امك واخرتك الى هذا اليوم فلو ان
قومك حفظوا اليتامى والارامل والمساكين وابن السبيل لكنت الداعم لهم وكانوا عندي
بمنزلة جنة ناعم شجرها طاهر ماؤها ولا يغور ماؤها ولا تبور ثمارها ولا تنقطع ولكن
ساشكو اليك بني اسرائيل اني كنت لهم بمنزلة الداعي الشفيق اجنبهم كل قحط وكل
عسرة واتبع بهم الخصب حتى صاروا كباشا ينطح بعضهم بعضا فيا ويلهم ثم يا ويلهم
انما اكرم من اكرمني وامين من هان عليه امري ان من كان قبل هولاء القوم من القرون ليستخفون
بمعصيتي وان هولاء القوم يتبرعون بمعصيتي تبرعا فيظهرونها في المساجد والاسواق
وعلى رؤوس الجبال وظلال الاشجار حتى عجت السما الي منهم وعجت الارض والجبال ونفرت
منها الوحوش باطراف الارض واقاصيها وفي كل ذلك لا ينتهون ولا ينتفعون بما
علموا من الكتاب قال فلما بلغهم ارميا رسالة ربهم وسمعوا ما فيها من الوعيد والعذاب
عصوه وكذبوه واتهموه قالوا كذبت وعظمت على الله الفرية فزعمت ان الله معطل
ارضه ومساجده من كتابه وعبادته وتوحيده فمن يعبده حين لا يبقى له في الارض
عابد ولا مسجد ولا كتاب لقد اعظمت الفرية على الله واعتراك الجنون فاخذوه
وقيدوه وسجنوه فعند ذلك بعث الله عليهم بخت نصر فاقبل يسير بجنوده حتى
نزل بساحتهم ثم حاصرهم فكان كما قال الله تعالى فجاسوا خلال الديار قال فلما
طال بهم الحصر نزلوا على حكمه ففتحوا الابواب وتخللوا الازقة وذلك قوله فجاسوا خلال
الديار وحكم فيهم حكم الجاهلية وبطش الجبارين فقتل منهم الثلث وسبا الثلث
وترك الزمنى والشيوخ والعجايز ثم وطيهم بالخيل وهدم بيت المقدس وساق الصبيان
واوقف النسا في الاسواق حاسرات وقتل المقاتلة وخرب الحصون وهدم المساجد
وحرق التورية وسال عن دانيال الذي كتب له الكتاب فوجده قد مات واخرج اهل
بيته الكتاب اليه وكان فيهم دانيال بن حزقيل الاصغر وميشايل وعزاريا وميخاييل فامضى
لهم ذلك الكتاب وكان دانيال بن حزقيل خلفا من دانيال الاكبر ودخل بخت نصر بجنوده
بيت المقدس ووطي الشام كلها وقتل بني اسرائيل حتى افناهم فلما فرغ منها انصرف
راجعا وحمل الاموال التي كانت بها وساق السبايا معه فبلغ عدة صبيانهم من ابنا الاحبار
والملوك تسعين الف غلام وقذفت الكناسات في بيت المقدس وذبح فيه الخنازير وكان
الغلمان سبعة الاف غلام من بيت داود واحد عشر الفا من سبط يوسف بن يعقوب
واخيه بنيامين وثمانية الاف من سبط ايشا بن يعقوب واربعة عشر الفا من
سبط زبالون ونفتالي ابني يعقوب واربعة عشر الفا من سبط دان بن يعقوب
وثمانية الاف من سبط يستاخر بن يعقوب والفين من سبط زبالون بن يعقوب
واربعة الاف من سبط روبيل ولاوي واثني عشر الفا من ساير بني اسرائيل وانطلق حتى
قدم ارض بابل قال اسحاق بن بشر قال وهب بن منبه فلما فعل ما فعل قيل له
كان لهم صاحب يحذرهم ما اصابهم ويصفك وخبرك لهم ويخبرهم انك تقتل مقاتلتهم

ونسبي ذراريهم وتهدم مساجدهم وتحرق كتبهم فكذبوه واتهموه وضربوه وقيدوه و
وحبسوه فامر بخت نصر فاخرج ارميا من السجن فقال له اكنت تحذر هؤلاء القوم ما اصابهم
قال نعم قال فاني علمت ذلك قال ارسلني الله اليهم فكذبوني قال كذبوك وضربوك وسجنوك
قال نعم قال بئس القوم قوم كذبوا نبيهم وكذبوا رسالة ربهم فهل لك ان تلحق بي فاكرمك
واواسيك وان احببت ان تقيم في بلادك فقد امنتك قال له ارميا اني لم ازل
في امان الله منذ كنت لم اخرج منه ساعة قط ولو ان بني اسرائيل لم يخرجوا منه لم يخافوك
ولا غيرك ولم يكن لك عليهم سلطان فلما سمع بخت نصر هذا القول منه تركه فاقام
ارميا مكانه بارض ايليا وهذا سياق غريب وفيه حكم ومواعظ واشيا مليحة وفيه
من جهة التعريب غرابة وقال هشام بن محمد الكلبي كان بخت نصر اصبهبذا
لما بين الاهواز الى الروم للملك على الفرس وهو لهراسب وكان قد بنى مدينة بلخ التي
تلقب بالحسناء وقاتل الترك والجاهم الى اضيق الاماكن وبعث بخت نصر لقتال
بني اسرائيل فلما قدم الشام صالحه اهل دمشق وقد قيل ان الذي بعث بخت
نصر انما هو بهمن ملك الفرس بعد بشتاسب بن لهراسب وذلك لتعدي بني اسرائيل
على رسله اليهم وقد روى ابن جرير عن يونس بن عبد الاعلى عن وهب عن سليمان بن
بلال عن يحيى بن سعيد الانصاري عن سعيد بن المسيب ان بخت نصر لما قدم دمشق
وجد بها دما يغلي على كبا يعني القمامة فسالهم ما هذا الدم فقالوا ادركنا اباءنا
على هذا وكلما ظهر عليه الكبا ظهر قال فقتل على ذلك سبعين الفا من المسلمين
وغيرهم فسكن وهذا اسناد صحيح الى سعيد بن المسيب وقد تقدم من كلام الحافظ
ابن عساكر ما يدل على ان هذا دم يحيى بن زكريا وهذا لا يصح لان يحيى بن زكريا بعد
بخت نصر بمدة والظاهر ان هذا دم نبي متقدم او دم لبعض الصالحين او من
شاء الله ممن الله اعلم به قال هشام بن الكلبي ثم قدم بخت نصر بيت المقدس فصالحه
ملكها وكان من ال داود وصانعه عن بني اسرائيل واخذ منه بخت نصر رهاين ورجع فلما بلغ
طبرية بلغه ان بني اسرائيل ثاروا على ملكهم فقتلوه لاجل انه صالحه فضرب رقاب من معه
من الرهاين ورجع اليهم فاخذ المدينة عنوة وقتل المقاتلة وسبى الذرية قال
وبلغنا انه وجد في السجن ارميا النبي فاخرجه وقص ما كان عليه من امره اياهم
وتحذيره لهم عن ذلك فكذبوه وسجنوه واجتمع اليه من بقي من ضعفاء بني اسرائيل
فقالوا انا قد اسانا وظلمنا ونحن نتوب الى الله عز وجل مما صنعنا فادع الله ان
يقبل توبتنا فدعا ربه فاوحى الله اليه انهم غير فاعلين فان كانوا صادقين فليقيموا معك
بهذه البلدة فاخبرهم بما امرهم الله تعالى به فقالوا كيف نقيم بهذه البلدة وقد
خربت وقد غضب الله على اهلها فابوا ان يقيموا قال ابن الكلبي ومن ذلك الزمان
تفرقت بنو اسرائيل في البلاد فنزل طائفة منهم الحجاز وطائفة يثرب وطائفة
وادي القرى وذهبت طائفة منهم الى مصر فكتب بخت نصر الى ملكها يطلب
منه من شرد منهم اليه فابى عليه فركب في جيشه فقاتله وقهره وغلبه وسبى ذراريهم
ثم ركب الى بلاد المغرب حتى بلغ اقصى تلك الناحية قال ثم انصرف بسبي كثير من ارض
المغرب ومصر واهل بيت المقدس وارض فلسطين والاردن وفيهم النبي دانيال

قلت

قلت والظاهر انه دانيال بن حزقيل الاصغر لا الاكبر على ما ذكره وهب بن منبه والله
اعلم

ذكر شيء من خبر دانيال عليه السلام

قال ابن ابي الدنيا حدثني احمد بن عبد الاعلى الشيباني قال ان لم اكن سمعته من شعيب بن
صفوان فحدثني بعض اصحابنا عنه عن الاجلح الكندي عن عبد الله بن ابي الهذيل
قال ضرا بخت نصر اسدين فالقاهما في جب وجاء بدانيال فالقاه عليهما فلم يهيجاه
فمكث ما شاء الله ثم اشتهى ما يشتهي الادميون من الطعام والشراب فاوحى الله الى
ارميا وهو بالشام ان اعدد طعاما وشرابا لدانيال فقال يا رب انا بالارض المقدسة
ودانيال بارض بابل من ارض العراق فاوحى الله اليه ان اعدد ما امرناك به فانا سنرسل
من يحملك ويحمل ما اعددت ففعل وارسل الله اليه من حمله وحمل ما اعد حتى
وقف على راس الجب فقال دانيال من هذا قال انا ارميا فقال ما جاء بك
فقال ارسلني اليك ربك قال وقد ذكرني ربي قال نعم فقال دانيال الحمد لله
الذي لا ينسى من ذكره والحمد لله الذي لا يخيب من رجاه والحمد لله الذي من وثق
به لم يكله الى غيره والحمد لله الذي يجزي بالاحسان احسانا والحمد لله الذي هو
يكشف ضرنا بعد كربنا والحمد لله الذي هو يقينا حين يسوء ظننا باعمالنا والحمد لله
الذي هو رجاؤنا حين تنقطع الحيل عنا وقال يونس بن بكير عن محمد بن اسحاق عن ابي
خلدة خالد بن دينار حدثنا ابو العالية قال لما افتتحنا تستر وجدنا في مال
بيت الهرمزان سريرا عليه رجل ميت عند راسه مصحف فاخذنا المصحف فحملناه
الى عمر بن الخطاب فدعا له كعبا فنسخه بالعربية فانا اول رجل من العرب قراه
قراءة مثل ما اقرا القران هذا فقلت لابي العالية ما كان فيه قال سيرتكم واموركم
ولحون كلامكم وما هو كائن بعد قلت فما صنعتم بالرجل قال حفرنا بالنهار ثلاثة عشر
قبرا متفرقة فلما كان بالليل دفناه وسوينا القبور كلها لنعميه على الناس فلا
ينبشونه قلت فما يرجون منه قال كانت السماء اذا حبست عليهم برزوا بسريره
فيمطرون قلت من كنتم تظنون الرجل قال رجل يقال له دانيال قلت منذ كم
وجدتموه قد مات قال منذ ثلاثمائة سنة قلت ما تغير منه شيء قال لا الا شعيرات
من قفاه ان لحوم الانبياء لا تبليها الارض ولا تاكلها السباع وهذا اسناد صحيح
الى ابي العالية ولكن ان كان تاريخ وفاته محفوظا من ثلاثمائة سنة فليس بنبي بل هو
رجل صالح لان عيسى ابن مريم ليس بينه وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم نبي
بنص الحديث في البخاري والفترة التي كانت بينهما اربعمائة سنة وقيل ستمائة
وعشرون سنة وقد يكون تاريخ وفاته من ثمانمائة سنة وهو قريب من وقت
دانيال ان كان كونه دانيال هو المطابق لما في نفس الامر فانه قد يكون رجلا اخر اما
من الانبياء او الصالحين ولكن قويت الظنون انه دانيال لان دانيال كان قد اخذه
ملك الفرس فاقام عنده مسجونا كما تقدم وقد روي باسناد صحيح الى ابي العالية
ان طول انفه شبر وعن انس بن مالك باسناد جيد ان طول انفه ذراع والله اعلم
ويحتمل على هذا ان يكون رجلا من الانبياء الاقدمين قبل هذه المدد والله تعالى اعلم
وقد قال ابو بكر بن ابي الدنيا في كتاب احكام القبور حدثنا ابو بلال محمد بن الحرث

ابن عبد الله بن ابي بردة بن ابي موسى الاشعري ثنا ابو محمد القاسم بن عبد الله عن ابي
الاشعث الاحمري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان دانيال دعا ربه عز
وجل ان يدفنه امة محمد فلما افتتح ابو موسى الاشعري تستر وجده في تابوت تضرب
عروقه ووريده وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من دل على دانيال
فبشروه بالجنة فكان الذي دل عليه رجل يقال له حرقوص فكتب ابو موسى الى عمر
يخبره فكتب اليه عمر ان ادفنه وابعث الى حرقوص فان النبي صلى الله عليه وسلم بشره
بالجنة وهذا مرسل من هذا الوجه وفي كونه محفوظا نظر والله اعلم ثم قال ابن ابي
الدنيا حدثنا ابو بلال ثنا قاسم بن عبد الله عن عنبسة بن سعيد وكان عالما
قال وجد ابو موسى مع دانيال مصحفا وجرة فيها ودك ودراهم وخاتمه فكتب ابو موسى
بذلك الى عمر فكتب اليه عمر اما المصحف فابعث به الينا واما الودك فابعث الينا
ومر من قبلك من المسلمين يستشفون به واقسم الدراهم بينهم واما الخاتم فقد
نفلناكه وروى ابن ابي الدنيا من غير وجه ان ابا موسى لما وجده وذكر له انه دانيال
التزمه وعانقه وقبله وكتب الى عمر يذكر له امره وانه وجد عنده مالا موضوعا قريبا
من عشرة الاف درهم وكان من جاء اقترض منها فان ردها والا برص وان عنده ربعة
فامر عمر بان يغسل بماء وسدر ويكفن ويدفن ويخفى قبره فلا يعلم به احد وامر بالمال
ان يرد الى بيت المال وبالربعة فتحمل اليه ونفله خاتمه وروي عن ابي موسى انه امر اربعة
من الاسرى فسكروا نهرا وحفروا في وسطه قبرا فدفنه فيه ثم قدم الاربعة الاسرى فضرب
اعناقهم فلم يعلم مكان موضع قبره غير ابو موسى الاشعري رضي الله عنه وقال
ابن ابي الدنيا حدثني ابراهيم بن عبد الله ثنا احمد بن عمرو بن السرح ثنا وهب عن عبد
الرحمن بن ابي الزناد عن ابيه قال رايت في يد ابي بردة بن ابي موسى الاشعري خاتما
نقش فصه اسدان بينهما رجل يلحسان ذلك الرجل قال ابو بردة هذا خاتم
ذلك الرجل الميت الذي زعم اهل هذه البلدة انه دانيال اخذه ابو موسى يوم دفنه
قال ابو بردة فسال ابو موسى علماء تلك القرية عن نقش ذلك الخاتم فقالوا
ان الملك الذي كان دانيال في سلطانه جاءه المنجمون واصحاب العلم فقالوا له انه
يولد ليلة كذا وكذا غلام يعور ملكك ويفسده فقال الملك والله لا يبقى تلك
الليلة غلام الا قتلته الا انهم اخذوا دانيال فالقوه في اجمة الاسد فبات الاسد
ولبوته يلحسانه ولم يضراه فجاءت امه فوجدتهما يلحسانه فنجاه الله بذلك حتى بلغ
ما بلغ قال ابو بردة قال ابو موسى قال علماء تلك القرية فنقش دانيال صورته
وصورة الاسدين يلحسانه في فص خاتمه لئلا ينسى نعمة الله عليه في ذلك اسناد حسن

ومما ذكر عمارة بيت المقدس بعد خرابها واجتماع الملا من

بني اسرائيل بعد تفرقهم في بقاع الارض شعابها قال الله تعالى في كتابه المبين وهو
اصدق القائلين او كالذي مر على قرية وهي خاوية على عروشها قال انى يحيي هذه
الله بعد موتها فاماته الله مائة عام ثم بعثه قال كم لبثت قال لبثت يوما او بعض يوم قال
بل لبثت مائة عام فانظر الى طعامك وشرابك لم يتسنه وانظر الى حمارك ولنجعلك
اية للناس وانظر الى العظام كيف ننشزها ثم نكسوها لحما فلما تبين له قال اعلم

ان الله على كل شيء قدير قال هشام بن الكلبي ثم اوحى الله تعالى الى ارميا عليه
السلام فيما بلغني اني عامر بيت المقدس فاخرج اليها فانزلها فخرج حتى قدمها وهي خراب فقال
في نفسه سبحان الله امرني الله ان انزل هذه البلدة واخبرني انه عامرها فمتى يعمرها ومتى يحييها
الله بعد موتها ثم وضع راسه فنام ومعه حماره وسلة من طعام فمكث في نومه سبعين
سنة حتى هلك بختنصر والملك الذي فوقه وهو لهراسب وكان ملكه مائة وعشرين
سنة وقام بعده ولده بشتاسب بن لهراسب وكان موت بختنصر في دولته فبلغه
عن بلاد الشام انها خراب وان السباع قد كثرت في ارض فلسطين فلم يبق بها من
الانس احد فنادى في ارض بابل في بني اسرائيل ان من شاء ان يرجع الى الشام فليرجع
وملك عليهم رجلا من ال داود وامره ان يعمر بيت المقدس ويبني مسجدها فرجعوا فعمروها
وفتح الله لارميا عينيه فنظر الى المدينة كيف تبنى وكيف تعمر ومكث في نومه ذلك حتى
تمت له مائة سنة ثم بعثه الله وهو لا يظن انه نام اكثر من ساعة وقد عهد المدينة خرابا
فلما نظر اليها عامرة اهلة قال اعلم ان الله على كل شيء قدير قال فاقام بنو اسرائيل
بها ورد الله عليهم امرهم فمكثوا كذلك حتى غلبت عليهم الروم في زمن ملوك الطوائف
ثم لم يكن لهم جماعة ولا سلطان يعني بعد ظهور النصارى عليهم هكذا حكاه ابن جرير
في تاريخه عنه وذكر ابن جرير ان لهراسب كان ملكا عادلا سايسا للمملكة قد دانت
له العباد والبلاد والملوك والقواد وانه كان ذا راي جيد في عمارة الامصار والانهار
والمعاقل ثم لما ضعف عن تدبير المملكة بعد مائة سنة ونيف نزل عن الملك لولده
بشتاسب فكان في زمانه ظهور دين المجوسية وذلك ان رجلا كان اسمه زرادشت
كان قد صحب ارميا عليه السلام فاغضبه فدعا عليه فبرص زرادشت فذهب فلحق
بارض اذربيجان وصحب بشتاسب فلقنه دين المجوسية الذي اخترعه من تلقاء نفسه
لعنه الله فقبله منه بشتاسب وحمل الناس عليه وقهرهم وقتل منهم خلقا كثيرا ممن
اباه منهم ثم كان بعد بشتاسب بهمن بن بشتاسب وهو من ملوك الفرس المشهورين
والابطال المذكورين وقد ناب بختنصر لكل واحد من هؤلاء الثلاثة وعمر دهرا
طويلا قبحه الله والمقصود ان هذا الذي ذكره ابن جرير من ان هذا المار على هذه القرية
هو ارميا عليه السلام قاله وهب بن منبه وعبد الله بن عبيد بن عمير وغيرهما وهو
قوي من حيث السياق المتقدم وقد روي عن علي وعبد الله بن سلام وابن عباس
والحسن وقتادة والسدي وسليمان بن بريدة وغيرهم انه عزير وهذا اشهر عند كثير
من السلف والخلف والله اعلم

وهذه قصة العزير

قال الحافظ ابو القاسم بن عساكر هو عزير بن جروة ويقال ابن سوريق بن عديا بن
ايوب بن درزنا بن عري بن تقي بن اسبوع بن فنحاص بن العازر بن هارون بن عمران ويقال
عزير بن سروخا جاء في بعض الاثار ان قبره بدمشق ثم ساق من طريق ابي القاسم البغوي
عن داود بن عمرو عن حبان بن علي عن محمد بن كريب عن ابيه عن ابن عباس مرفوعا لا ادري
العن تبع ام لا ولا ادري اعزير كان نبيا ام لا ثم رواه من حديث مومل بن الحسن عن
ابي اسحاق السجزي عن عبد الرزاق عن معمر عن ابن ابي ذيب عن سعيد المقبري عن ابي هر
اي عزيرا كان مرفوعا نحوه ثم روي من طريق اسحاق بن بشر وهو متروك عن جويبر ومقاتل

عن الضحاك عن ابن عباس ان عزيرا كان ممن سباه بخت نصر وهو غلام حدث فلما بلغ اربعين
سنة اعطاه الله الحكمة قال ولم يكن احد احفظ ولا اعلم بالتوراة منه وكان يذكر مع الانبيا
حتى محا الله اسمه من ذلك حين سال ربه عن القدر وهذا ضعيف ومنقطع ومنكر والله اعلم
وقال اسحاق بن بشر عن سعيد بن ابي عروبة عن قتادة عن الحسن عن عبد الله بن سلام ان
عزيرا هو العبد الذي اماته الله مائة عام ثم بعثه وقال اسحاق بن بشر انا سعيد بن
بشير عن قتادة عن كعب وسعيد بن ابي عروبة عن قتادة عن الحسن ومقاتل وجويبر عن
الضحاك عن ابن عباس وعبد الله بن اسماعيل السدي عن ابيه عن مجاهد عن ابن عباس وادريس
عن جده وهب بن منبه قال اسحاق كل هولاء حدثوني عن حديث عزير وزاد بعضهم على
بعض قالوا باسنادهم ان عزيرا كان عبدا صالحا حكيما خرج ذات يوم الى ضيعة له يتعاهدها
فلما انصرف انتهى الى خربة حين قامت الظهيرة واصابه الحر ودخل الخربة وهو على حماره فنزل
عن حماره ومعه سلة فيها تين وسلة فيها عنب فنزل في ظل تلك الخربة واخرج قصعة معه فاعتصر
من العنب الذي كان معه في السلة ثم اخرج خبزا يابسا معه فالقاه في تلك القصعة في العصير
ليبتل ليأكله ثم استلقى على قفاه واسند رجليه الى الحائط فنظر سقف تلك البيوت
ورأى ما فيها وهي قائمة على عروشها وقد باد اهلها ورأى عظاما بالية فقال انى يحيي هذه
الله بعد موتها فلم يشك ان الله يحييها ولكن قالها تعجبا فبعث الله ملك الموت فقبض
روحه فاماته الله مائة عام فلما اتت عليه مائة عام وكانت فيما بين ذلك في بني اسرائيل
امور واحداث قال فبعث الله الى عزير ملكا فخلق قلبه ليعقل به وعينيه لينظر
بهما فيعقل كيف يحيي الله الموتى ثم ركب خلقه وهو ينظر ثم كسى عظامه اللحم والشعر والجلد
ثم نفخ فيه الروح كل ذلك وهو يرى ويعقل فاستوى جالسا فقال له الملك كم لبثت قال
لبثت يوما او بعض يوم وذلك انه كان نام من صدر النهار عند الظهيرة وبعث في اخر
النهار والشمس لم تغب فقال او بعض يوم ولم يتم لي يوم فقال له الملك بل لبثت
مائة عام فانظر الى طعامك وشرابك يعني الطعام الخبز اليابس وشرابه العصير الذي كان
اعتصر في القصعة فاذا هما على حالهما لم يتغير العصير والخبز يابس فذلك قوله لم يتسنه
يعني لم يتغير وكذلك التين والعنب غض لم يتغير عن شي من حالهما فكانه انكر في قلبه ٥
فقال له الملك انكرت ما قلت لك انظر الى حمارك فنظر فاذا حماره قد بليت عظامه
وصارت نخرة فنادى الملك عظام الحمار فاجابت واقبلت من كل ناحية حتى ركبه الملك
وعزير ينظر اليه ثم البسها العروق والعصب ثم كساها اللحم ثم انبت عليها
الجلد والشعر ثم نفخ فيه الملك فقام الحمار رافعا راسه واذنيه الى السماء ناهقا يظن ان
القيامة قد قامت فذلك قوله وانظر الى حمارك ولنجعلك اية للناس وانظر الى العظام
كيف ننشزها ثم نكسوها لحما يعني وانظر الى عظام حمارك كيف يركب بعضها بعضا
في اوصالها حتى اذا صارت عظاما مصورا حمارا بلا لحم ثم انظر كيف نكسوها لحما فلما تبين
له قال اعلم ان الله على كل شي قدير من احياء الموتى وغيره قال فركب حماره حتى اتى محلته فانكره
الناس وانكر منازله فانطلق على وهم منه حتى اتى منزله فاذا هو بعجوز عميا مقعدة قد اتى
عليها مائة وعشرون سنة كانت امة لهم فخرج عنهم عزير وهي بنت عشرين سنة كانت
عرفته وعقلته فلما اصابها الكبر اصابها الزمانة فقال لها عزير يا هذه اهذا منزل عزير

قالت نعم هذا منزل عزير فبكت وقالت ما رايت احدا من كذا وكذا سنة يذكر عزيرا وقد
نسيه الناس قال فاني انا عزير كان الله اماتني مائة سنة ثم بعثني قالت سبحان الله
فان عزيرا قد فقدناه منذ مائة سنة فلم نسمع له بذكر قال فاني انا عزير قالت فان عزيرا
رجل مستجاب الدعوة يدعو للمريض ولصاحب البلاء بالعافية والشفا فادع الله ان يرد
علي بصري حتى اراك فان كنت عزيرا عرفتك قال فدعا ربه ومسح بيده على عينيها
فصحتا واخذ بيدها وقال قومي باذن الله فاطلق الله رجليها فقامت صحيحة كانما
نشطت من عقال فنظرت فقالت اشهد انك عزير وانطلقت الى محلة بني اسرائيل
وهم في انديتهم ومجالسهم وابن لعزير شيخ ابن مائة سنة وثماني عشرة سنة وبني بنيه
شيوخ في المجلس فنادتهم فقالت هذا عزير قد جاكم فكذبوها فقالت انا فلانة مولاتكم
دعا لي ربه فرد علي بصري واطلق رجلي وزعم ان الله اماته مائة سنة ثم بعثه قال فنهض
الناس فاقبلوا اليه فنظروا اليه فقال ابنه كانت لابي شامة سودا بين كتفيه فكشف
عن كتفيه فاذا هو عزير فقالت بنو اسرائيل فانه لم يكن فينا احد حفظ التورية فيما
حدثنا غير عزير وقد حرق بخت نصر التوراة ولم يبق منها شي الا ما حفظت الرجال
فاكتبها لنا وكان ابوه سروخا قد دفن التوراة ايام بخت نصر في موضع لم يعرفه احد
غير عزير فانطلق بهم الى ذلك الموضع فحفره فاستخرج التوراة وكان قد عفن الورق
ودرس الكتاب قال وجلس في ظل شجرة وبنو اسرائيل حوله فجدد لهم التوراة ونزل
من السما شهابان حتى دخلا جوفه فتذكر التوراة فجددها لبني اسرائيل فمن ثم قالت
اليهود عزير ابن الله للذي كان من امر الشهابين وتجديده التوراة وقيامه بامر بني
اسرائيل وكان جدد لهم التوراة بارض السواد بدير حزقيل والقرية التي مات فيها ٥
يقال لها ساير اباذ قال ابن عباس فكان كما قال الله تعالى ولنجعلك اية للناس يعني
لبني اسرائيل وذلك انه كان يجلس مع بنيه وهم شيوخ وهو شاب لانه مات وهو ابن اربعين
سنة فبعثه الله شابا كهيئته يوم مات قال ابن عباس بعث بعد بخت نصر وكذلك
قال الحسن وقد انشد ابو حاتم السجستاني في معنى ما قال ابن عباس

واسود راس قد شاب من قبله ابنه • ومن قبله ابن ابنه فهو اكبر
يرى ابنه شيخا يدب على عصا • ولحيته سودا والراس اشقر
وما لابنه حيل ولا فضل قوة • يقوم كما يمشي الصبي فيعثر
يعد ابنه في الناس تسعين حجة • وعشرين لا يجري ولا يتبختر
وعمر ابيه اربعون امرها • ولابن ابنه تسعون في الناس غبر
فما هو في المعقول ان كنت داريا • وان كنت لا تدري فبالجهل تعذر

فصل المشهور ان عزيرا نبي من انبياء بني اسرائيل وانه كان فيما بين داود
وسليمان وانه لما لم يبق في بني اسرائيل من يحفظ التوراة الهمه الله حفظها فسردها
على بني اسرائيل كما قال وهب بن منبه امر الله ملكا فنزل بمغرفة من نور فقذفها
في عزير فنسخ التوراة حرفا بحرف حتى فرغ منها وروى ابن عساكر عن ابن عباس انه سال
عبد الله بن سلام عن قول الله تعالى وقالت اليهود عزير ابن الله لم قالوا ذلك فذكر له
ابن سلام ما كان من كتبه لبني اسرائيل التوراة من حفظه وقول بني اسرائيل لم يستطع موسى

إذ بيّنها بالتوراة إلا في كتاب مبين، وإن عزيراً قد جاء بها من غير كتاب فرماه طوائف منهم
وقالوا عزير ابن الله، ولهذا يقول كثير من العلماء: إن تواتر التوراة انقطع في زمن العزير، وهذا
متجه جداً إذا كان العزير غير نبي كما قاله عطاء بن أبي رباح والحسن البصري فيما رواه إسحاق بن بشر
عن مقاتل بن سليمان عن عطاء، وعن عثمان بن عطاء الخراساني عن أبيه، ومقاتل عن عطاء بن
أبي رباح قال: كان في الفترة تسعة أشياء: بخت نصر، وجنة صنعاء، وجنة سبأ، وأصحاب
الأخدود، وأمر حاصوراء، وأصحاب الكهف، وأصحاب الفيل، ومدينة أنطاكية، وأمر تبّع. وقال
إسحاق بن بشر: أنبأنا سعيد عن قتادة عن الحسن قال: كان أمر عزير وبخت نصر في الفترة.
وقد ثبت في الصحيح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: أنا أولى الناس بابن مريم، لأنه
ليس بيني وبينه نبي. وقال وهب بن منبه: كان فيما بين سليمان وعيسى عليهما السلام. وقد
روى ابن عساكر عن أنس بن مالك وعطاء بن السائب أن عزيراً كان في زمن موسى بن عمران
وأنه استأذن عليه فلم يأذن له، يعني لما كان من سؤاله عن القدر، وأنه انصرف وهو يقول:
مائة موتة أهون من ذل ساعة. وفي معنى قول عزير: مائة موتة أهون من ذل ساعة قول
بعض الشعراء:

قد يصبر الحر على السيف • ويأنف الصبر على الحيف
ويؤثر الموت على حالة • يعجز فيها عن قرى الضيف

فأما ما روى ابن عساكر وغيره عن ابن عباس ونوف البكالي وسفيان الثوري وغيرهم من أنه
سأل عن القدر فمحي اسمه من بين ذكر الأنبياء فهو منكر، وفي صحته نظر، وكأنه مأخوذ عن الإسرائيليات.
وقد روى عبد الرزاق وقتيبة بن سعيد عن جعفر بن سليمان عن أبي عمران الجوني عن نوف
البكالي قال: قال عزير فيما يناجي ربه: يا رب تخلق خلقاً فتضل من تشاء وتهدي من تشاء،
فقيل له: أعرض عن هذا، فعاد، فقيل له: لتعرضن عن هذا أو لأمحون اسمك من بين الأنبياء، إني
لا أُسأل عما أفعل وهم يُسألون. وهذا لا يقتضي وقوع ما توعّد عليه لو عاد، فما محي
اسمه، والله أعلم. وقد روى الجماعة سوى الترمذي من حديث يونس بن يزيد عن الزهري عن سعيد
وأبي سلمة عن أبي هريرة، وكذلك رواه شعيب عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة قال:
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: نزل نبي من الأنبياء تحت شجرة فلدغته نملة، فأمر بجهازه
فأخرج من تحتها، ثم أمر بها فأحرقت بالنار، فأوحى الله إليه: فهلا نملة واحدة. فروى إسحاق بن
بشر عن ابن جريج عن عبد الوهاب بن مجاهد عن أبيه أنه عزير، وكذا روي عن ابن عباس والحسن
البصري أنه عزير، والله أعلم.

قصة زكريا ويحيى عليهما السلام

قال الله تعالى في كتابه العزيز: بسم الله الرحمن الرحيم كهيعص ذكر رحمة
ربك عبده زكريا إذ نادى ربه نداء خفياً قال رب إني وهن العظم مني واشتعل الرأس شيباً
ولم أكن بدعائك رب شقياً وإني خفت الموالي من ورائي وكانت امرأتي عاقراً فهب لي
من لدنك ولياً يرثني ويرث من آل يعقوب واجعله رب رضياً يا زكريا إنا نبشرك
بغلام اسمه يحيى لم نجعل له من قبل سمياً قال رب أنى يكون لي غلام وقد خلقتك من قبل ولم
تك شيئاً قال رب اجعل لي آية قال آيتك ألا تكلم الناس ثلاث ليال سوياً فخرج على قومه
من المحراب فأوحى إليهم أن سبحوا بكرة وعشياً يا يحيى خذ الكتاب بقوة وآتيناه الحكم صبياً
وحناناً من لدنا وزكاة وكان تقياً وبراً بوالديه ولم يكن جباراً عصياً وسلام عليه يوم ولد

ويوم

ويوم يموت ويوم يبعث حياً. وقال تعالى: وكفلها زكريا كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد
عندها رزقاً قال يا مريم أنى لك هذا قالت هو من عند الله إن الله يرزق من يشاء بغير
حساب هنالك دعا زكريا ربه قال رب هب لي من لدنك ذرية طيبة إنك سميع
الدعاء فنادته الملائكة وهو قائم يصلي في المحراب أن الله يبشرك بيحيى مصدقاً بكلمة
من الله وسيداً وحصوراً ونبياً من الصالحين قال رب أنى يكون لي غلام وقد بلغني الكبر وامرأتي
عاقر قال كذلك الله يفعل ما يشاء قال رب اجعل لي آية قال آيتك ألا تكلم الناس
ثلاثة أيام إلا رمزاً واذكر ربك كثيراً وسبح بالعشي والإبكار. وقال تعالى في سورة الأنبياء:
وزكريا إذ نادى ربه رب لا تذرني فرداً وأنت خير الوارثين فاستجبنا له ووهبنا له يحيى
وأصلحنا له زوجه إنهم كانوا يسارعون في الخيرات ويدعوننا رغباً ورهباً وكانوا لنا
خاشعين. وقال تعالى: وزكريا ويحيى وعيسى وإلياس كل من الصالحين. قال الحافظ
أبو القاسم ابن عساكر في كتابه التاريخ المشهور الحافل: زكريا بن برخيا، ويقال زكريا بن
دان، ويقال زكريا بن لدن بن مسلم بن صدوق بن حشبان بن داود بن سليمان بن صدوق
بن برخيا بن بلفاطة بن ناحور بن شلوم بن بهفاشاط بن إينامن بن رحبعم بن سليمان
بن داود أبو يحيى النبي عليه السلام من بني إسرائيل، دخل البثنية من أعمال دمشق في
طلب ابنه يحيى، وقيل إنه كان بدمشق حين قتل ابنه يحيى، وقد قيل غير ذلك في نسبه،
ويقال فيه زكرياء بالمد والقصر، ويقال زكري أيضاً. والمقصود أن الله تعالى أمر رسوله
محمداً صلى الله عليه وسلم أن يقص خبر زكريا عليه السلام وما كان من أمره حين وهبه الله ولداً
على الكبر، وكانت امرأته مع ذلك عاقراً في حال شبيبتها، وقد أسنت أيضاً حتى لا ييأس أحد من
فضل الله ورحمته، ولا يقنط من فضله تعالى وتقدس، فقال: ذكر رحمة ربك عبده زكريا
إذ نادى ربه نداء خفياً. قال قتادة عند تفسيرها: إن الله يعلم القلب التقي ويسمع
الصوت الخفي. وقال بعض السلف: قام من الليل فنادى ربه مناداة أسرها عمن كان
حاضراً عنده مخافته، فقال: يا رب يا رب يا رب، فقال الله: لبيك لبيك لبيك. قال
رب إني وهن العظم مني، أي ضعف وخار من الكبر، واشتعل الرأس شيباً، استعارة من اشتعال
النار في الحطب، أي غلب على سواد الشعر بياضه، كما قال ابن دريد في مقصورته:

إما ترى رأسي حاكى لونه • طرة صبح تحت أذيال الدجى
واشتعل المبيض في مسوده • مثل اشتعال النار في جزل الغضى
وآض روض اللهو يبساً ذاوياً • من بعد ما قد كان مجاج الثرى

يذكر أن الضعف قد استحوذ عليه باطناً وظاهراً، وهكذا قال زكريا عليه السلام:
إني وهن العظم مني واشتعل الرأس شيباً ولم أكن بدعائك رب شقياً، أي ما عودتني
فيما أسألك إلا الإجابة. وكان الباعث له على هذه المسألة أنه لما كفل مريم بنت عمران بن
ماثان، وكان كلما دخل عليها محرابها يجد عندها فاكهة في غير أوانها ولا في أوانها، وهذه
من كرامات الأولياء، فعلم أن الرازق للشيء في غير أوانه قادر على أن يرزقه ولداً وإن كان قد
طعن في سنه. ومن هنالك دعا زكريا ربه قال رب هب لي من لدنك ذرية طيبة
إنك سميع الدعاء. وقوله: وإني خفت الموالي من ورائي وكانت امرأتي عاقراً، قيل: المراد بالموالي
العصبة، وكأنه خاف من تصرفهم بعده في بني إسرائيل بما لا يوافق شرع الله وطاعته، فسأل وجود

عن الناس

ولد من صلبه يكون برا تقيا مرضيا ولهذا قال فهب لي من لدنك وليا يرثني ويرث من آل
يعقوب واجعله رب رضيا يعني كما كان آباؤه وأسلافه من ذرية يعقوب أنبيا فاجعله
مثلهم في الكرامة التي أكرمتهم بها من النبوة والوحي وليس المراد ههنا وراثة المال كما زعم
ذلك من زعمه من الشيعة ووافقهم ابن جرير ههنا وحكاه عن أبي صالح من السلف
لوجوه أحدها ما قدمنا عند قوله تعالى وورث سليمان داود أي في النبوة والملك لما
ذكرنا من الحديث المتفق عليه بين العلما المروي في الصحاح والمسانيد وغيرها من طرق
عن جماعة من الصحابة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا نورث ما تركنا فهو صدقة
فهذا نص على أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يورث ولهذا منع الصديق أن يصرف
ما كان يختص به في حياته إلى أحد من وراثه الذين لولا هذا النص لصرف إليهم وهم ابنته
فاطمة وأزواجه التسع وعمه العباس رضي الله عنهم أجمعين واحتج عليهم الصديق في منعه
إياهم بهذا الحديث وقد وافقه على روايته عن رسول الله صلى الله عليه وسلم عمر بن الخطاب
وعثمان بن عفان وعلي بن أبي طالب والعباس بن عبد المطلب وعبد الرحمن بن عوف وطلحة
والزبير وأبو هريرة وآخرون رضي الله عنهم الثاني أن الترمذي رواه بلفظه نحن معاشر
الأنبيا نحن معاشر الأنبيا لا نورث وصححه الثالث أن الدنيا كانت أحقر عند الأنبيا من أن
يكنزوا لها أو يلتفتوا إليها أو يهتموا بأمرها حتى يسألوا الأولاد ليحوزوها بعدهم فإن من
لا يصل إلى قريب من منازلهم في الزهادة لا يهتم بهذا المقدار أن يسأل ولدا يكون وارثا له فيها
الرابع أن زكريا عليه السلام كان نجارا يعمل بيده ويأكل من كسبها كما كان داود عليه السلام
يأكل من كسب يده والغالب ولا سيما من مثل حال الأنبيا أنه لا يجهد نفسه في العمل إجهادا
يستفضل منه مالا يكون ذخيرة له يخلفه من بعده وهذا أمر بين واضح لكل من تأمله بتدبر
وتفهم إن شاء الله قال الإمام أحمد ثنا يزيد يعني ابن هارون أنا حماد بن سلمة عن ثابت
عن أبي رافع عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كان زكريا نجارا وهكذا
رواه مسلم وابن ماجه من غير وجه عن حماد بن سلمة به وقوله يا زكريا إنا نبشرك بغلام
اسمه يحيى لم نجعل له من قبل سميا وهذا مفسر بقوله فنادته الملائكة وهو قائم يصلي في
المحراب أن الله يبشرك بيحيى مصدقا بكلمة من الله وسيدا وحصورا ونبيا من الصالحين
فلما بشر بالولد وتحقق البشارة شرع يستعلم على وجه التعجب وجود الولد والحالة هذه
له قال رب أنى يكون لي غلام وكانت امرأتي عاقرا وقد بلغت من الكبر عتيا أي كيف يوجد ولد من
شيخ كبير قيل كان عمره إذ ذاك سبعا وسبعين سنة والأشبه والله أعلم أنه كان أسن
من ذلك وكانت امرأتي عاقرا يعني وقد كانت امرأتي في حال شبيبتها عاقرا لا تلد كما قال
الخليل أبشرتموني على أن مسني الكبر فبم تبشرون وقالت سارة يا ويلتا أألد وأنا عجوز وهذا
بعلي شيخا إن هذا لشيء عجيب قالوا أتعجبين من أمر الله رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت
إنه حميد مجيد وهكذا أجيب زكريا عليه السلام قال له الملك الذي يوحى إليه بأمر ربه
كذلك قال ربك هو علي هين أي هذا سهل يسير عليه وقد خلقتك من قبل ولم تك شيئا
أي قدرته أوجدتك بعد أن لم تك شيئا مذكورا أفلا يوجد منك ولدا وإن كنت شيخا كبيرا
وقال تعالى فاستجبنا له ووهبنا له يحيى وأصلحنا له زوجه إنهم كانوا يسارعون في الخيرات
ويدعوننا رغبا ورهبا وكانوا لنا خاشعين ومعنى إصلاح زوجته أنها كانت لا تحيض فحاضت

وقيل

وقيل كان في لسانها شيء أي بذاء قال رب اجعل لي آية أي علامة على وقت تعلق مني المرأة بهذا
الولد المبشر به قال آيتك ألا تكلم الناس ثلاث ليال سويا يقول علامتك ذلك أن يعتريك
سكت لا تنطق معه ثلاثة أيام إلا رمزا وأنت في ذلك سوي الخلق صحيح المزاج معتدل
البنية وأمر بكثرة الذكر في هذه الحال بالقلب واستحضاره لذلك بفؤاده بالعشي والإبكار
فلما بشر بهذه البشارة خرج مسرورا بها على قومه من المحراب فأوحى إليهم أن سبحوا بكرة وعشيا
والوحي ههنا هو الأمر الخفي إما بكتابة كما قاله مجاهد والسدي وإشارة كما قاله مجاهد أيضا
ووهب وقتادة قال مجاهد وعكرمة ووهب والسدي وقتادة اعتقل لسانه من غير
مرض وقال ابن زيد كان يقرأ ويسبح ولكن لا يستطيع كلام أحد وقوله يا يحيى خذ الكتاب
بقوة وآتيناه الحكم صبيا يخبر تعالى عن وجود الولد وفق البشارة الإلهية لأبيه زكريا
عليه السلام وأن الله تعالى علمه الكتاب والحكمة وهو صغير في حال صباه قال عبد الله بن
المبارك قال معمر قال الصبيان ليحيى بن زكريا اذهب بنا نلعب فقال ما للعب خلقنا
قال وذلك قوله وآتيناه الحكم صبيا وأما قوله وحنانا من لدنا فروى ابن جريج عن عمرو
ابن دينار عن عكرمة عن ابن عباس أنه قال لا أدري ما الحنان وعن ابن عباس ومجاهد وعكرمة
وقتادة والضحاك وحنانا من لدنا أي رحمة من عندنا رحمنا بها زكريا فوهبنا له هذا
الولد وعن عكرمة وحنانا أي محبة عليه ويحتمل أن يكون ذلك صفة لتحنن يحيى على الناس
ولا سيما أبويه وهو محبتهما والشفقة عليهما وبره بهما وأما الزكاة فهو طهارة الخلق وسلامته
من النقائص والرذائل والتقوى طاعة الله بامتثال الأوامر وترك الزواجر ثم ذكر بره
بوالديه وطاعته لهما أمرا ونهيا وترك عقوقهما قولا وفعلا فقال وبرا بوالديه ولم يكن
جبارا عصيا ثم قال وسلام عليه يوم ولد ويوم يموت ويوم يبعث حيا هذه الأوقات
الثلاثة أشد ما يكون على الإنسان فإنه ينتقل في كل منها من عالم إلى عالم آخر فيفقد الأول
بعد ما كان ألفه وعرفه ويصير إلى الآخر ولا يدري ما بين يديه ولهذا يستهل صارخا إذا
خرج من بين الأحشاء وفارق لينها وضمها وينتقل إلى هذه الدار ليكابد همومها وغمها
وكذلك إذا فارق هذه الدار وانتقل إلى عالم البرزخ بينها وبين دار القرار وصار بعد
الدور والقصور إلى عرصة الأموات سكان القبور وانتظر هناك النفخة في الصور ليوم
البعث والنشور فمن مسرور ومحبور ومن محزون ومثبور وما بين مجبور وكسير وفريق
في الجنة وفريق في السعير ولقد أحسن بعض الشعراء حيث يقول

ولدتك أمك باكيا مستصرخا • والناس حولك يضحكون سرورا
فاحرص لنفسك أن تكون إذا بكوا • في يوم موتك ضاحكا مسرورا

ولما كانت هذه المواطن الثلاثة أشق ما يكون على ابن آدم سلم الله على يحيى في كل موطن
منها فقال وسلام عليه يوم ولد ويوم يموت ويوم يبعث حيا وقال سعيد بن أبي عروبة
عن قتادة أن الحسن قال إن يحيى وعيسى فقال له عيسى استغفر لي أنت خير مني فقال
له الآخر استغفر لي أنت خير مني فقال له عيسى أنت خير مني سلمت على نفسي وسلم الله عليك
فعرف والله فضلهما وأما قوله في الآية الأخرى وسيدا وحصورا ونبيا من الصالحين
فقيل المراد بالحصور الذي لا يأتي النساء وقيل غير ذلك وهو أشبه لقوله هب لي من لدنك
ذرية طيبة وقد قال الإمام أحمد ثنا عفان ثنا حماد أنا علي بن زيد عن يوسف

ابن مهران عن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما من احد من ولد ادم
الا وقد اخطا او هم بخطيئة ليس يحيى بن زكريا وما ينبغي لاحد ان يقول انا خير من يونس
ابن متى علي بن زيد بن جدعان تكلم فيه غير واحد من الائمة وهو منكر الحديث وقد رواه ابن
جرير والدارقطني من طريق ابي عاصم العباداني عن علي بن زيد عن جدعان قال ابن خزيمة
وليس على شرطنا وقال ابن وهب حدثني ابن لهيعة عن عقيل عن ابن شهاب قال خرج
رسول الله صلى الله عليه وسلم على اصحابه يوما وهم يتذاكرون فضل الانبيا فقال
قايل موسى كليم الله وقال قايل عيسى روح الله وكلمته وقال قايل ابراهيم خليل الله وهم
يذكرون ذلك فقال ابن الشهيد ابن الشهيد يلبس الوبر وياكل الشجر مخافة الذنب
قال ابن وهب يريد يحيى بن زكريا وقد رواه محمد بن اسحاق وهو مدلس عن يحيى بن سعيد
الانصاري عن سعيد بن المسيب حدثني ابن العاص انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول كل بني ادم ياتي يوم القيمة وله ذنب الا ما كان من يحيى بن زكريا فهذا من رواية ابن
اسحاق وهو من المدلسين وقد عنعن هاهنا ثم قد رواه عبد الرزاق عن معمر عن قتادة
عن سعيد بن المسيب مرسلا ثم رواه ابن عساكر من طريق ابي اسامة عن يحيى بن
سعيد الانصاري ثم قد رواه ابن عساكر من طريق ابراهيم بن يعقوب الجوزجاني خطيب دمشق
محمد بن الاصبهاني ثنا ابو خالد الاحمر عن يحيى بن سعيد عن سعيد بن المسيب عن عبد الله
ابن عمرو قال ما احد لا يلقى الله بذنب الا يحيى بن زكريا ثم تلا وسيدا وحصورا ثم رفع
شيا من الارض فقال ما كان معه الا مثل هذا ثم ذبح ذبحا وهذا موقوف من هذه الطريق وكونه
موقوفا اصح من رفعه والله اعلم واورده ابن عساكر من طرق عن معمر ذلك ما اورده من
حديث اسحاق بن بشر وهو ضعيف عن عثمان بن ساج عن ثور بن يزيد عن خالد بن معدان
عن معاذ عن النبي صلى الله عليه وسلم بنحوه وروي من طريق ابي داود الطيالسي وغيره عن
الحكم بن ابي عبد الرحمن بن ابي نعم عن ابيه عن ابي سعيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
الحسن والحسين سيدا شباب اهل الجنة الا ابني الخالة يحيى وعيسى عليهما السلام وقال
ابو نعيم الحافظ الاصبهاني ثنا اسحاق بن احمد ثنا ابراهيم بن يوسف ثنا احمد بن ابي
الحواري سمعت ابا سليمان يقول خرج عيسى بن مريم ويحيى بن زكريا يتماشيان فصدم
يحيى امراة فقال له عيسى يا ابن خالة لقد اصبت اليوم خطيئة ما اظن انه يغفر لك ابدا
قال وما هي يا ابن خالة قال امراة صدمتها قال والله ما شعرت بها قال سبحان الله
بدنك معي فاين روحك قال معلق بالعرش ولو ان قلبي اطمان الى جبريل لظننت اني
ما عرفت الله طرفة عين فيه غرابة وهو من الاسرائيليات وقال اسرائيل عن ابي حصين
عن خيثمة قال كان عيسى ابن مريم ويحيى بن زكريا ابني خالة وكان عيسى يلبس الصوف
وكان يحيى يلبس الوبر ولم يكن لواحد منهما دينار ولا درهم ولا عبد ولا امة ولا ماوى ياويان اليه
اينما جنهما الليل اويا فلما ارادا ان يتفرقا قال له يحيى اوصني قال لا تغضب قال
لا استطيع الا ان اغضب قال فلا تقتن مالا قال اما هذه فعسى وقد اختلفت الرواية
عن وهب بن منبه هل مات زكريا عليه السلام موتا او قتل قتلا على روايتين فروى عبد
المنعم بن ادريس بن سنان عن ابيه عن وهب بن منبه انه قال هرب من قومه فدخل شجرة فجاوا
فوضعوا المنشار عليها فلما وصل المنشار الى اضلاعه ان فاوحى الله اليه لئن لم يسكن انينك

لاقلبن

لاقلبن الارض ومن عليها فسكن انينه حتى قطع باثنتين وقد روي هذا في حديث مرفوع
سنورده بعد ان شا الله وروى اسحاق بن بشر عن ادريس بن سنان عن وهب انه قال
الذي انصدعت عنه الشجرة هو شعيبا واما زكريا فانه مات موتا والله اعلم وقال الامام احمد
ثنا عفان ثنا ابو خلف موسى بن خلف وكان يعد من البدلا ثنا يحيى بن ابي كثير عن زيد بن
سلام عن جده ممطور عن الحرث الاشعري ان نبي الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله امر يحيى بن
زكريا بخمس كلمات ان يعمل بهن وان يامر بني اسرائيل ان يعملوا بهن وكاد ان يبطي فقال
له عيسى عليه السلام انك قد امرت بخمس كلمات ان تعمل بهن وتامر بني اسرائيل ان يعملوا بهن
فاما ان تبلغهن واما ان ابلغهن فقال له يا اخي اني اخشى ان سبقتني ان اعذب او يخسف بي
قال فجمع يحيى بني اسرائيل في بيت المقدس حتى امتلا المسجد فقعد على الشرف فحمد
الله واثنى عليه ثم قال ان الله عز وجل امرني بخمس كلمات ان اعمل بهن وامركم ان تعملوا
بهن واولهن ان تعبدوا الله لا تشركوا به شيا فان مثل ذلك مثل من اشترى عبدا من خالص
ماله بورق او ذهب فجعل يعمل ويودي غلته الى غير سيده فايكم يسره ان يكون عبده
كذلك وان الله خلقكم ورزقكم فاعبدوه ولا تشركوا به شيا وامركم بالصلاة فان الله
ينصب وجهه قبل عبده ما لم يلتفت فاذا صليتم فلا تلتفتوا وامركم بالصيام فان مثل
ذلك كمثل رجل معه صرة من مسك في عصابة كلهم يجد ريح المسك وان خلوف فم الصايم
اطيب عند الله من ريح المسك وامركم بالصدقة فان مثل ذلك كمثل رجل اسره العدو
فشدوا يده الى عنقه وقدموه ليضربوا عنقه فقال هل لكم ان افتدي نفسي منكم فجعل
يفتدي نفسه منهم بالقليل والكثير حتى فك نفسه وامركم بذكر الله عز وجل كثيرا فان
مثل ذلك كمثل رجل طلبه العدو سراعا في اثره فاتى حصنا حصينا فتحصن فيه وان
العبد احصن ما يكون من الشيطان اذا كان في ذكر الله عز وجل قال وقال رسول الله صلى
الله عليه وسلم وانا امركم بخمس الله امرني بهن بالجماعة والسمع والطاعة والهجرة والجهاد
في سبيل الله فانه من خرج من الجماعة قيد شبر فقد خلع ربقة الاسلام من عنقه الا ان يرجع
ومن دعا بدعوى الجاهلية فهو من جثا جهنم قالوا يا رسول الله وان صام وان صلى قال
وان صام وان صلى وزعم انه مسلم ادعوا المسلمين باسمايهم بما سماهم الله عز وجل المومنين
عباد الله عز وجل وهكذا رواه ابو يعلى عن هدبة بن خالد عن ابان بن يزيد عن يحيى
ابن ابي كثير به وكذلك رواه الترمذي من حديث ابي داود الطيالسي وموسى بن اسماعيل
كلاهما عن ابان بن يزيد العطار به ورواه ابن ماجة عن هشام بن عمار عن محمد بن شعيب بن
سابور عن معاوية بن سلام عن اخيه زيد بن سلام عن ابي سلام عن الحرث الاشعري به ورواه
الحاكم من طريق مروان بن محمد الطاطري عن معاوية بن سلام عن اخيه به مروان الطاطري
عن معاوية بن سلام قلت وليس كما قال ورواه الطبراني عن محمد بن عبدة عن
ابي توبة الربيع بن نافع عن معاوية بن سلام عن ابي سلام عن الحرث الاشعري فذكر نحوه
فسقط ذكر زيد بن سلام من هذه الرواية ثم روى الحافظ ابن عساكر من طريق عبد
الله بن ابي جعفر الرازي عن ابيه عن الربيع بن انس قال ذكر لنا عن اصحاب رسول الله صلى
الله عليه وسلم فيما سمعوا من علما بني اسرائيل ان يحيى بن زكريا ارسل بخمس كلمات فذكر
نحو ما تقدم وقد ذكروا ان يحيى عليه السلام كان كثير الانفراد من الناس انما كان يانس

الى البراري ويأكل من ورق الاشجار ويرد ماء الانهار ويتغذى بالجراد في بعض الاحيان ويقول من انعم منك يا يحيى وروى ابن عساكر ان ابويه خرجا في تطلبه فوجداه عند بحيرة الاردن فلما اجتمعا به ابكاهما بكاء شديدا لما هو فيه من العبادة والخوف من الله عز وجل وقال ابن وهب عن مالك عن حميد بن قيس عن مجاهد قال كان طعام يحيى بن زكريا العشب وان كان ليبكي من خشية الله حتى لو كان القار على عينيه لخرقه وقال محمد بن يحيى الذهلي ثنا ابو صالح ثنا الليث حدثني عقيل عن ابن شهاب قال جلست يوما الى ابي ادريس الخولاني وهو يقص فقال الا اخبركم من كان اطيب الناس طعاما فلما رأى الناس قد نظروا اليه قال ان يحيى بن زكريا كان اطيب الناس طعاما انما كان يأكل مع الوحش كراهة ان يخالط الناس في معايشهم وقال ابن المبارك عن وهيب بن الورد قال فقد زكريا ابنه يحيى ثلاثة ايام فخرج يلتمسه فقال يا بني انا اطلبك منذ ثلاثة ايام وانت في قبر قد احتفرته قائم تبكي فيه فقال يا ابت الست انت اخبرتني ان بين الجنة والنار مفازة لا تقطع الا بدموع البكائين فقال له ابك يا بني فبكيا جميعا وهكذا حكاه وهب بن منبه ومجاهد بنحوه وروي عنه انه قال ان اهل الجنة لا ينامون للذة ما هم فيه من النعيم فكذا ينبغي للصديقين ان لا يناموا لما في قلوبهم من نعيم المحبة لله عز وجل ثم قال كم بين النعيمين وكم بينهما وذكروا انه كان كثير البكاء حتى اثر البكاء في خديه من كثرة دموعه وذكروا في قتله اسبابا من اشهرها ان بعض ملوك ذلك الزمان بدمشق كان اراد ان يتزوج ببعض محارمه او من لا يحل له تزويجها فنهاه يحيى عليه السلام عن ذلك فبقي في نفسها منه فلما كان بينها وبين الملك ما يحب منها استوهبت منه دم يحيى فوهبه لها فبعثت اليه من قتله وجاء برأسه ودمه في طشت الى عندها فيقال انها هلكت من فورها وساعتها وقيل بل احبته امرأة ذلك الملك فراسلته فأبى عليها فلما يئست منه تحيلت في ان استوهبته من الملك فتمنع عليها الملك ثم اجابها الى ذلك فبعث من قتله واحضر اليها رأسه ودمه في طشت وقد ورد معناه في حديث رواه اسحاق بن بشر في كتابه حيث قال انا ابن يعقوب الكوفي عن عمرو بن ميمون عن ابيه عن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة اسري رأى زكريا في السماء فسلم عليه وقال له يا ابا يحيى خبرني عن قتلك كيف كان ولم قتلك بنو اسرائيل قال يا محمد اخبرك ان يحيى كان خير اهل زمانه وكان اجملهم واصبحهم وجها وكان كما قال الله تعالى سيدا وحصورا وكان لا يحتاج الى النساء فهويته امرأة ملك بني اسرائيل وكانت بغية فارسلت اليه وعصمه الله وامتنع يحيى وابى عليها واجمعت على قتل يحيى ولهم عيد يجتمعون في كل عام وكانت سنة الملك ان يوعد ولا يخلف ولا يكذب قال فخرج الملك الى العيد فقامت امرأته فشيعته وكان بها معجبا ولم يكن يفعله فيما مضى فلما ان شيعته قال الملك سليني فما سألتني شيئا الا اعطيتك قالت اريد دم يحيى بن زكريا قال لها سليني غيره قالت هو ذاك قال هو لك قال فبعثت جلاوزتها الى يحيى وهو في محرابه يصلي وانا الى جانبه اصلي قال فذبح في طشت وحمل رأسه ودمه اليها قال فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فما بلغ من صبرك قال ما انفتلت من صلاتي قال فلما حمل رأسه اليها فوضع بين يديها فلما امسوا خسف الله بالملك واهل بيته وحشمه فلما اصبحوا قالت بنو اسرائيل قد غضب اله زكريا لزكريا فتعالوا حتى نغضب

لملكنا

لملكنا فنقتل زكريا قال فخرجوا في طلبي ليقتلوني وجاءني النذير فهربت منهم وابليس امامهم يدلهم علي فلما ان تخوفت ان لا اعجزهم عرضت لي شجرة فنادتني وقالت الي الي وانصدعت لي ودخلت فيها قال وجاء ابليس حتى اخذ بطرف ردائي والتأمت الشجرة وبقي طرف ردائي خارجا من الشجرة وجاءت بنو اسرائيل فقال ابليس اما رأيتموه دخل هذه الشجرة هذا طرف ردائه دخلها بسحره فقالوا نحرق هذه الشجرة فقال ابليس شقوه بالمنشار شقا قال فشققت مع الشجرة بالمنشار فقال له النبي صلى الله عليه وسلم هل وجدت له مسا او وجعا قال لا انما وجدت ذلك الشجرة التي جعل الله روحي فيها هذا سياق غريب وحديث عجيب ورفعه منكر وفيه ما ينكر على كل حال ولم ير في شيء من احاديث الاسراء ذكر زكريا عليه السلام الا في هذا الحديث وانما المحفوظ في بعض الفاظ الصحيح في حديث الاسراء فمررت بابني الخالة يحيى وعيسى وهما ابنا الخالة على قول الجمهور كما هو ظاهر الحديث فان ام يحيى اشياع بنت عمران اخت مريم بنت عمران وقيل بل اشياع وهي امرأة زكريا ام يحيى اخت حنة امرأة عمران ام مريم فيكون يحيى ابن خالة مريم فالله اعلم ثم اختلف في مقتل يحيى بن زكريا هل كان بالمسجد الاقصى او بغيره على قولين فقال الثوري عن الاعمش عن شمر بن عطية قال قتل على الصخرة التي ببيت المقدس سبعون نبيا منهم يحيى بن زكريا عليه السلام وقال ابو عبيد القاسم بن سلام ثنا عبد الله بن صالح عن الليث عن يحيى بن سعيد عن سعيد بن المسيب قال قدم بخت نصر دمشق فاذا هو بدم يحيى بن زكريا يغلي فسأل عنه فاخبروه فقتل على دمه سبعين الفا فسكن وهذا اسناد صحيح الى سعيد بن المسيب وهو يقتضي انه قتل بدمشق وان قصة بخت نصر كانت بعد المسيح كما قاله عطاء والحسن البصري فالله اعلم وروى الحافظ ابن عساكر من طريق الوليد بن مسلم عن زيد بن واقد قال رأيت رأس يحيى بن زكريا حين ارادوا بناء مسجد دمشق اخرج من تحت ركن من اركان القبلة الذي يلي المحراب مما يلي الشرق فكانت البشرة والشعر على حاله لم يتغير وفي رواية كأنما قتل الساعة وذكر في بناء مسجد دمشق انه جعل تحته العامود المعروف بعمود السكاسكة فالله اعلم

قصة عيسى بن مريم عبد الله ورسوله عليه من الله الصلاة والسلام

قال الله تعالى في سورة آل عمران التي انزل صدرها وهو ثلاث وثمانون آية منها في الرد على النصارى عليهم لعائن الله الذين زعموا ان لله ولدا تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا وكان قد قدم وفد نجران منهم على رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعلوا يذكرون ما هم عليه من الباطل من التثليث في الاقانيم ويدعون بزعمهم ان الله ثالث ثلاثة وهم الذات المقدسة وعيسى ومريم على اختلاف فرقهم فانزل الله عز وجل صدر هذه السورة يبين فيها ان عيسى عبد من عباد الله خلقه وصوره في الرحم كما خلق غيره من المخلوقات وانه خلقه من غير اب كما خلق آدم من غير اب ولا ام وقال له كن فكان سبحانه وتعالى وبين اصل ميلاد امه مريم وكيف كان من امرها وكيف حملت بولدها عيسى وكذلك بسط ذلك في سورة مريم كما سنتكلم على ذلك بعون الله وحسن توفيقه وهدايته فقال تعالى وهو اصدق القائلين ان الله اصطفى آدم ونوحا وآل ابراهيم وآل عمران

على العالمين ذرية بعضها من بعض والله سميع عليم إذ قالت امرأة عمران رب إني نذرت
لك ما في بطني محررا فتقبل مني إنك أنت السميع العليم فلما وضعتها قالت رب إني وضعتها
أنثى والله أعلم بما وضعت وليس الذكر كالأنثى وإني سميتها مريم وإني أعيذها بك وذريتها
من الشيطان الرجيم فتقبلها ربها بقبول حسن وأنبتها نباتا حسنا وكفلها زكريا كلما
دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقا قال يا مريم أنى لك هذا قالت هو من عند الله
إن الله يرزق من يشاء بغير حساب يذكر تعالى أنه اصطفى آدم عليه السلام والخلص
من ذريته المتبعين شرعه الملازمين طاعته ثم خصص فقال وآل إبراهيم فدخل
فيهم بنو إسماعيل وبنو إسحاق ثم ذكر هذا البيت الطاهر الطيب وهم آل عمران
والمراد بعمران هذا والد مريم عليها السلام قال محمد بن إسحاق وهو عمران بن باشم
بن أمون بن ميشا بن حزقيا بن أحريق بن موثم بن عزازيا بن أمصيا بن ياوش بن أحريهو
بن يازم بن يهفاشاط بن إيشا بن أبان بن رحبعم بن سليمان بن داود وقال أبو القسم
ابن عساكر مريم بنت عمران بن ماثان بن العازر بن اليود بن أخنر بن صادوق بن
عيازوز بن الياقيم بن أبيود بن زريابيل بن شالتال بن يوحينا بن برشا بن أمون
بن ميشا بن حزقيا بن أحاز بن موثام بن عزريا بن يورام بن يوشافاط بن إيشا بن
إيسا بن رحبعم بن سليمان بن داود عليه السلام وفيه مخالفة لما ذكره محمد بن إسحاق ولا
خلاف أنها من سلالة داود عليه السلام وكان أبوها عمران صاحب صلاة بني إسرائيل
في زمانه وكانت أمها وهي حنة بنت فاقود بن قبيل من العابدات وكان زكريا نبي ذلك
الزمان زوج أخت مريم أشياع في قول الجمهور وقيل زوج خالتها أشياع فالله أعلم
وقد ذكر محمد بن إسحاق وغيره أن أم مريم كانت لا تحبل فرأت يوما طائرا يزق فرخا له
فاشتهت الولد فنذرت لله لئن حملت لتجعلن ولدها محررا أي حبيسا في خدمة بيت
المقدس قالوا فحاضت من فورها فلما طهرت واقعها بعلها فحملت بمريم عليها
السلام فلما وضعتها قالت رب إني وضعتها أنثى والله أعلم بما وضعت وقرئ بضم التاء
وليس الذكر كالأنثى أي في خدمة بيت المقدس وكانوا في ذلك الزمان ينذرون لبيت
المقدس خداما من أولادهم وقولها وإني سميتها مريم استدل به على تسمية المولود يوم
ولد وكما ثبت في الصحيحين عن أنس في ذهابه بأخيه إلى رسول الله فحنكه أخاه
وسماه عبد الله وجاء في حديث الحسن عن سمرة مرفوعا كل غلام رهينة بعقيقته يذبح
عنه يوم سابعه ويسمى ويحلق رأسه رواه أحمد وأهل السنن وصححه الترمذي وجاء في
بعض ألفاظه ويدمى بدل ويسمى وصححه بعضهم والله أعلم وقولها وإني أعيذها بك
وذريتها من الشيطان الرجيم قد استجيب لها في هذا كما تقبل منها نذرها فقال
الإمام أحمد ثنا عبد الرزاق ثنا معمر عن الزهري عن ابن المسيب عن أبي هريرة أن النبي صلى
الله عليه وسلم قال ما من مولود إلا الشيطان يمسه حين يولد فيستهل صارخا من
مس الشيطان إياه إلا مريم وابنها ثم يقول أبو هريرة واقرؤوا إن شئتم وإني أعيذها
بك وذريتها من الشيطان الرجيم أخرجاه من حديث عبد الرزاق ورواه ابن جرير عن أحمد
ابن الفرج عن بقية عن الزبيدي عن الزهري عن أبي سلمة عن أبي هريرة عن النبي صلى الله
عليه وسلم قال كل مولود يمسه الشيطان بإصبعه إلا مريم ابنة عمران وابنها عيسى

تفرد به

تفرد به من هذا الوجه ورواه مسلم عن أبي الطاهر عن ابن وهب عن عمرو بن الحارث عن أبي يونس
عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم بنحوه وقال أحمد ثنا هشيم ثنا حفص
بن ميسرة عن العلاء عن أبيه عن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال كل إنسان
تلده أمه يلكزه الشيطان في حضنيه إلا ما كان من مريم وابنها ألم تر إلى الصبي حين
يسقط كيف يصرخ قالوا بلى يا رسول الله قال ذلك حين يلكزه الشيطان بحضنيه
وهذا على شرط مسلم ولم يخرجه من هذا الوجه ورواه قيس عن الأعمش عن أبي صالح عن أبي
هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من مولود إلا وقد عصره الشيطان
عصرة أو عصرتين إلا عيسى بن مريم ومريم ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم وإني
أعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم وكذا رواه محمد بن إسحاق عن يزيد بن عبد الله
بن قسيط عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم بأصل الحديث وقال الإمام أحمد
ثنا عبد الملك ثنا المغيرة هو ابن عبد الرحمن الحزامي عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي
هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال كل بني آدم يطعن الشيطان في جنبه
حين يولد إلا عيسى بن مريم ذهب يطعن فطعن في الحجاب وهذا على شرط الصحيحين
ولم يخرجوه من هذا الوجه وقوله فتقبلها ربها بقبول حسن وأنبتها نباتا حسنا
وكفلها زكريا ذكر كثير من المفسرين أن أمها حين وضعتها لفتها في خرقها ثم خرجت
بها إلى المسجد فسلمتها إلى العباد الذين هم مقيمون به وكانت ابنة إمامهم وصاحب
صلاتهم فتنازعوا فيها والظاهر أنها إنما سلمتها إليهم بعد رضاعها وكفالة
مثلها في صغرها ثم لما دفعتها إليهم تنازعوا في أيهم يكفلها وكان زكريا نبيهم في ذلك
الزمان فقد أراد أن يستبد بها دونهم من أجل أن زوجته أختها أو خالتها على القولين
فشاحوه في ذلك وطلبوا أن يقترع معهم فساعدته المقادير فخرجت قرعته غالبة
وذلك أن الخالة بمنزلة الأم قال الله تعالى وكفلها زكريا أي بسبب غلبه لهم في القرعة
كما قال تعالى ذلك من أنباء الغيب نوحيه إليك وما كنت لديهم إذ يلقون أقلامهم أيهم
يكفل مريم وما كنت لديهم إذ يختصمون قالوا وذلك أن كلا منهم ألقى قلمه معروفا به
ثم حملوها ووضعوها في موضع وأمروا غلاما لم يبلغ الحنث فأخرج واحدا منها فظهر قلم
زكريا عليه السلام فطلبوا أن يقترعوا مرة ثانية وأن يكون ذلك بأن يلقوا أقلامهم
في النهر فأيهم جرى قلمه على خلاف جرية الماء فهو الغالب ففعلوا فكان قلم زكريا هو الذي
جرى على خلاف جرية الماء وسارت أقلامهم مع الماء ثم طلبوا منه أن يقترعوا ثالثة
فأيهم جرى قلمه مع الماء ويكون بقية الأقلام قد انعكس سيرها صعدا فكان زكريا هو الغالب
لهم فكفلها إذ كان أحق بها شرعا وقدرا لوجوه عديدة قال الله تعالى كلما دخل
عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقا قال يا مريم أنى لك هذا قالت هو من عند الله
إن الله يرزق من يشاء بغير حساب قال المفسرون اتخذ لها زكريا مكانا شريفا
من المسجد لا يدخله سواها وكانت تعبد الله فيه وتقوم بما يجب عليها من سدانة البيت
إذا جاءت نوبتها وتقوم بالعبادة ليلها ونهارها حتى صارت يضرب بها المثل بعبادتها في بني
إسرائيل واشتهرت بما ظهر عليها من الأحوال الكريمة والصفات الشريفة حتى إنه كان
نبي الله زكريا كلما دخل عليها موضع عبادتها يجد عندها رزقا غريبا في غير أوانه فكان

يجد عندها فاكهة الصيف في الشتاء وفاكهة الشتاء في الصيف نيئا لها انى لك هذا
فتقول هو من عند الله اى رزق رزقنيه الله ان الله يرزق من يشاء بغير حساب فعند ذلك
وهنالك طمع زكريا في وجود ولد من صلبه وان كان قد اسن وكبر قال رب هب لي من لدنك
ذرية طيبة انك سميع الدعاء قال بعضهم يا من يرزق الثمر في غير ابانه هب لي ولدا
وان كان في غير اوانه فكان من خبره وقضيته ما قدمنا ذكره في قصته اذ قالت الملائكة
يا مريم ان الله اصطفاك وطهرك واصطفاك على نساء العالمين يا مريم اقنتي
لربك واسجدي واركعي مع الراكعين ذلك من انباء الغيب نوحيه اليك وما كنت لديهم
اذ يلقون اقلامهم ايهم يكفل مريم وما كنت لديهم اذ يختصمون اذ قالت الملائكة
يا مريم ان الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى ابن مريم وجيها في الدنيا والاخرة
ومن المقربين ويكلم الناس في المهد وكهلا ومن الصالحين قالت رب انى يكون لي ولد ولم
يمسسني بشر قال كذلك الله يخلق ما يشاء اذا قضى امرا فانما يقول له كن فيكون ونعلمه
الكتاب والحكمة والتوراة والانجيل ورسولا الى بني اسرائيل اني قد جئتكم باية من ربكم
اني اخلق لكم من الطين كهيئة الطير فانفخ فيه فيكون طيرا باذن الله وابرئ الاكمه والابرص
واحيي الموتى باذن الله وانبئكم بما تاكلون وما تدخرون في بيوتكم ان في ذلك لاية لكم ان كنتم
مؤمنين ومصدقا لما بين يدي من التوراة ولاحل لكم بعض الذي حرم عليكم وجئتكم باية
من ربكم فاتقوا الله واطيعون ان الله ربي وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم يذكر
تعالى ان الملائكة بشرت مريم باصطفاء الله لها من بين سائر نساء عالمي زمانها
بان اختارها لايجاد ولد منها من غير اب وبشرت بان يكون نبيا شريفا يكلم الناس في المهد
اى في صغره يدعوهم الى عبادة الله وحده لا شريك له وكذلك في حال كهولته
فدل على انه يبلغ الكهولة ويدعو الى الله فيها وامرت بكثرة العبادة والقنوت والسجود
والركوع ليكون اهلا لهذه الكرامة وليقوم بشكر هذه النعمة فيقال انها كانت تقوم في
الصلاة حتى تفطرت قدماها رضي الله عنها ورحمها ورحم امها واباها فقول الملائكة
يا مريم ان الله اصطفاك اى اختارك واجتباك وطهرك اى من الاخلاق الرذيلة
واعطاك الصفات الجليلة واصطفاك على نساء العالمين يحتمل ان يكون المراد عالمي
زمانها كقوله لموسى اني اصطفيتك على الناس وكقوله عن بني اسرائيل ولقد اخترناهم على
علم على العالمين ومعلوم ان ابراهيم عليه السلام افضل من موسى وان محمدا صلى الله عليه
وسلم افضل منهما وكذلك هذه الامة افضل من سائر الامم قبلها واكثر عددا وافضل
علما وازكى عملا من بني اسرائيل وغيرهم ويحتمل ان يكون قوله واصطفاك على نساء العالمين
محفوظ العموم فيكون افضل نساء اهل الدنيا ممن كان قبلها ووجد بعدها لانها ان كانت
نبية على قول من يقول بنبوتها ونبوة سارة ام اسحاق ونبوة ام موسى محتجا بكلام الملائكة
والوحي الى ام موسى كما يزعم ذلك ابن حزم وغيره فلا يمتنع على هذا ان تكون مريم افضل من
سارة وام موسى لعموم قوله واصطفاك على نساء العالمين اذ لم يعارضه غيره والله
اعلم واما على قول الجمهور كما قد حكاه ابو الحسن الاشعري وغيره عن اهل السنة والجماعة من ان
النبوة مختصة بالرجال وليس في النساء نبية فيكون اعلى مقامات مريم كما قال الله تعالى
ما المسيح ابن مريم الا رسول قد خلت من قبله الرسل وامه صديقة فعلى هذا لا يمتنع ان تكون

افضل

افضل الصديقات المشهورات ممن كان قبلها وممن يكون بعدها والله اعلم وقد جاء
ذكرها مقرونا مع اسية بنت مزاحم وخديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد رضي الله عنهن
وارضاهن وقد روى الامام احمد والبخاري ومسلم والترمذي والنسائي من طرق
عدة عن هشام بن عروة عن ابيه عن عبد الله بن جعفر عن علي ابن ابي طالب رضي
الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خير نسائها مريم بنت عمران وخير
نسائها خديجة بنت خويلد وقال الامام احمد ثنا عبد الرزاق ثنا معمر عن قتادة
عن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حسبك من نساء العالمين اربع
مريم بنت عمران واسية امراة فرعون وخديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد ورواه
الترمذي عن ابي بكر بن زنجويه عن عبد الرزاق به وصححه ورواه ابن مردويه من طريق
عبد الله بن ابي جعفر وابن عساكر من طريق نعيم بن زياد كلاهما عن ابي جعفر الرازي عن ثابت
عن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خير نساء العالمين اربع مريم بنت عمران
واسية امراة فرعون وخديجة بنت خويلد وفاطمة بنت رسول الله وقال الامام احمد
ثنا عبد الرزاق ثنا معمر عن الزهري عن ابن المسيب قال كان ابو هريرة يحدث ان النبي صلى
الله عليه وسلم قال خير نساء ركبن الابل صالح نساء قريش احناه على ولد في صغره وارعاه
لزوج في ذات يده قال ابو هريرة ولم تركب مريم بعيرا قط وقد رواه مسلم في صحيحه
عن محمد بن رافع وعبد بن حميد كلاهما عن عبد الرزاق به وقال احمد ثنا زيد بن الحباب
حدثني موسى بن علي سمعت ابي يقول سمعت ابا هريرة يقول قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم خير نساء ركبن الابل نساء قريش احناه على ولد في صغره وارعاه لزوج على قلة ذات
يده قال ابو هريرة وقد علم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ابنة عمران لم تركب
الابل تفرد به وهو على شرط الصحيح ولهذا الحديث طرق اخر عن ابي هريرة وقال
ابو يعلى الموصلي ثنا زهير ثنا يونس بن محمد ثنا داود بن ابي الفرات عن علباء بن احمر عن
عكرمة عن ابن عباس قال خط رسول الله صلى الله عليه وسلم في الارض اربعة خطوط فقال
اتدرون ما هذا قالوا الله ورسوله اعلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم افضل نساء
اهل الجنة خديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد ومريم بنت عمران واسية بنت مزاحم امراة
فرعون ورواه النسائي من طرق عن داود بن ابي هند وقد رواه ابن عساكر من طريق
ابي بكر عبد الله بن ابي داود سليمان بن الاشعث ثنا يحيى بن حاتم العسكري ثنا بشر
ابن مهران بن حمدان ثنا محمد بن دينار عن داود بن ابي هند عن الشعبي عن جابر بن عبد
الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حسبك منهن اربع سيدات نساء العالمين
فاطمة بنت محمد وخديجة بنت خويلد واسية بنت مزاحم ومريم بنت عمران وقال
ابو القسم البغوي ثنا وهب بن بقية ثنا خالد بن عبد الله الواسطي عن محمد بن عمرو عن ابي
سلمة عن عائشة انها قالت لفاطمة ارايت حين اكببت على رسول الله صلى الله عليه
وسلم فبكيت ثم ضحكت قالت اخبرني انه ميت من وجعه هذا فبكيت ثم اكببت
عليه فاخبرني اني اسرع اهله لحوقا به وان سيدة نساء اهل الجنة الا مريم بنت عمران
فضحكت واصل هذا الحديث في الصحيح وهذا اسناد على شرط مسلم وفيها انها افضل
الاربع المذكورات وهكذا الحديث الذي رواه الامام احمد حدثنا عثمان بن محمد ثنا جرير

عن يزيد هو ابن ابي زياد عن عبد الرحمن بن ابي نعم عن ابي سعيد قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم فاطمة سيدة نساء اهل الجنة الا ما كان من مريم بنت عمران اسناد حسن
وصححه الترمذي ولم يخرجوه وقد روى نحوه من حديث علي بن ابي طالب ولكن في اسناده ضعف
والمقصود ان هذا يدل على ان مريم وفاطمة افضل هذه الاربع ثم يحتمل الاستثناء ان تكون
مريم افضل من فاطمة ويحتمل ان يكونا على السواء في الفضيلة لكن ورد حديث ان صح عين
الاحتمال الاول فقال الحافظ ابو القسم بن عساكر انا ابو الحسين ابن الفراء وابو غالب
وابو عبد الله ابنا البنا قالوا انا ابو جعفر بن المسلمة انا ابو طاهر المخلص ثنا احمد بن سليمان
ثنا الزبير هو ابن بكار ثنا محمد بن الحسن عن عبد العزيز بن محمد عن موسى بن عقبة عن كريب
عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم سيدة نساء اهل الجنة مريم
بنت عمران ثم فاطمة ثم خديجة ثم اسية امراة فرعون فان كان هذا اللفظ محفوظا بثم
التي للترتيب فهو مبين لاحد الاحتمالين اللذين دل عليهما الاستثناء وتقدم على
ما تقدم من الالفاظ التي وردت بواو العطف التي لا تقتضي الترتيب ولا التعقيب والله
اعلم وقد روى هذا الحديث ابو حاتم الرازي عن داود الجعفري عن عبد العزيز بن محمد هو
الدراوردي عن ابراهيم بن عقبة عن كريب عن ابن عباس مرفوعا فذكره بواو العطف لا بثم
الترتيبية كما لغة اسنادا ومتنا والله اعلم فاما الحديث الذي رواه ابن مردويه من
حديث شعبة عن معاوية بن قرة عن ابيه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كمل
من الرجال كثير ولم يكمل من النساء الا ثلاث مريم بنت عمران واسية امراة فرعون وخديجة
بنت خويلد وفضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام وهكذا الحديث
الذي رواه الجماعة الا ابا داود من طرق عن شعبة عن عمرو بن مرة عن مرة الهمداني عن
ابي موسى الاشعري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كمل من الرجال كثير ولم يكمل من
النساء الا اسية امراة فرعون ومريم بنت عمران وان فضل عائشة على النساء كفضل
الثريد على سائر الطعام فانه حديث صحيح كما ترى اتفق الشيخان على اخراجه ولفظه
يقتضي حصر الكمال في النساء في مريم واسية ولعل المراد بذلك في زمانهما فان كلا منهما
كفلت نبيا في حال صغره فاسية كفلت موسى الكليم ومريم كفلت ولدها عبد الله ورسوله
فلا ينفي كمال غيرهما في هذه الامة كخديجة وفاطمة فخديجة خدمت رسول الله صلى الله عليه
وسلم قبل البعثة خمس عشرة سنة وبعدها ازيد من عشر سنين وكانت له وزير صدق
بنفسها ومالها رضي الله عنها وارضاها واما فاطمة بنت رسول الله فانما خصت بمزيد
فضيلة على اخواتها لانها اصيبت برسول الله صلى الله عليه وسلم وبقية اخواتها
متن في حيوة رسول الله صلى الله عليه وسلم واما عائشة فانها كانت احب ازواج رسول
الله صلى الله عليه وسلم اليه ولم يتزوج بكرا غيرها ولا يعرف في سائر النساء في هذه
الامة بل ولا في غيرها اعلم منها ولا افهم وقد غار الله لها حين قال لها اهل الافك ما قالوا
فانزل براءتها من فوق سبع سموات وقد عمرت بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم قريبا من
خمسين سنة تبلغ عنه القران والسنة وتفتي المسلمين وتصلح بين المختلفين وهي اشرف
امهات المومنين حتى خديجة بنت خويلد ام البنات والبنين في قول طائفة من العلماء
الشافعيين والاحنفيين والاحسن الوقف فيهما رضي الله عنهما وما ذاك الا لان قوله

صلى الله عليه وسلم وفضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام يحتمل
ان يكون عاما بالنسبة الى المذكورات وغيرهن ويحتمل ان يكون عاما بالنسبة الى المذكورات
والله اعلم والمقصود هاهنا ذكر ما يتعلق بمريم بنت عمران عليها السلام فان الله
طهرها واصطفاها على نساء عالمي زمانها ويجوز ان يكون تفضيلها على النساء مطلقا
كما قدمنا وقد ورد في حديث انها تكون من ازواج النبي صلى الله عليه وسلم في الجنة هي واسية
بنت مزاحم وقد ذكرنا في التفسير عن بعض السلف انه قال ذلك واستانس بقوله
ثيبات وابكارا قال فالثيب اسية ومن الابكار مريم بنت عمران وقد ذكرنا في اخر سورة
التحريم والله اعلم قال الطبراني ثنا عبد الله بن احمد ثنا محمد بن سعد العوفي ثنا
ابي ثنا عمي الحسين ثنا يونس بن نفيع عن سعد بن جنادة هو العوفي قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله زوجني في الجنة مريم بنت عمران وامراة فرعون
واخت موسى وقال الحافظ ابو يعلى ثنا ابراهيم بن عرعرة ثنا عبد النور بن عبد الله ثنا
يونس بن شعيب عن ابي امامة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اشعرت ان
الله زوجني مريم بنت عمران واسية بنت مزاحم وكلثم اخت موسى ورواه ابو جعفر
العقيلي من حديث عبد النور به وزاد فقلت هنيا لك يا رسول الله ثم قال العقيلي وليس
بمحفوظ وقال الزبير بن بكار حدثني محمد بن الحسن عن يعلى بن المغيرة عن ابن ابي رواد قال
دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم على خديجة وهي في مرضها الذي توفيت فيه فقال
لها بالكره مني ما ارى منك يا خديجة وقد يجعل الله في الكره خيرا كثيرا اما علمت ان الله قد
زوجني معك في الجنة مريم بنت عمران وكلثم اخت موسى واسية امراة فرعون قالت وقد
فعل الله بك ذلك يا رسول الله قال نعم قالت بالرفاء والبنين وروى ابن عساكر من حديث
محمد بن زكريا الغلابي ثنا العباس بن بكار ثنا ابو بكر الهذلي عن عكرمة عن ابن عباس ان
رسول الله دخل على خديجة وهي في الموت فقال يا خديجة اذا لقيت ضراتك فاقريهن
مني السلام قالت يا رسول الله وهل تزوجت قبلي قال لا ولكن الله زوجني مريم بنت
عمران واسية بنت مزاحم وكلثم اخت موسى وروى ابن عساكر من طريق سويد بن سعيد ثنا
محمد بن صالح بن عمر عن الضحاك ومجاهد عن ابن عمر قال نزل جبريل الى رسول الله صلى الله عليه
وسلم بما ارسل به وجلس يحدث رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ مرت خديجة فقال
جبريل من هذه يا محمد قال الصديقة امتي قال جبريل معي اليها رسالة من الرب عز وجل يقرئها
السلام ويبشرها ببيت في الجنة من قصب بعيد من اللهب لا نصب فيه ولا صخب قالت
الله السلام ومنه السلام والسلام عليكما ورحمة الله وبركاته على رسول الله ما ذلك البيت
الذي من قصب قال لولوة جوفاء بين بيت مريم بنت عمران وبيت اسية بنت مزاحم
وهما من ازواجي يوم القيمة واصل السلام على خديجة من الله وبشارتها ببيت من الجنة
من قصب لا صخب فيه ولا نصب في الصحيح ولكن هذا السياق بهذه الزيادات غريب جدا
وكل هذه الاحاديث في اسانيدها نظر وروى ابن عساكر من حديث ابي زرعة الدمشقي
ثنا عبد الله بن صالح حدثني معاوية بن صالح عن صفوان بن عمرو عن خالد بن معدان عن كعب الاحبار
ان معاوية سال عن الصخرة يعني صخرة بيت المقدس فقال الصخرة على نخلة والنخلة
على نهر من انهار الجنة وتحت النخلة مريم بنت عمران واسية بنت مزاحم ينظمان سموط اهل

الجنة حتى تقوم الساعة تفرد به من طريق اسماعيل بن عياش عن ثعلبة بن مسلم عن مسعود بن عبد الرحمن عن خالد بن معدان عن عبادة بن الصامت عن النبي صلى الله عليه وسلم عبد الله وهذا منكر من هذا الوجه بل هو موضوع ثم قد رواه ابو زرعة عن عبد الله بن صالح عن معاوية عن مسعود بن عبد الرحمن عن ابن عائذ ان معاوية سأل كعبا عن صخرة بيت المقدس فذكره قال الحافظ بن عساكر وكونه من كلام كعب الاحبار اشبه قلت وكلام كعب الاحبار هذا انما تلقاه من الاسرائيليات التي منها ما هو مكذوب مفتعل وضعه بعض زنادقتهم وجهالهم وهذا منه والله اعلم

ذكر ميلاد العبد الرسول عيسى بن مريم العذراء البتول

قال الله تعالى واذكر في الكتاب مريم اذ انتبذت من اهلها مكانا شرقيا فاتخذت من دونهم حجابا فارسلنا اليها روحنا فتمثل لها بشرا سويا قالت اني اعوذ بالرحمن منك ان كنت تقيا قال انما انا رسول ربك لاهب لك غلاما زكيا قالت انى يكون لي غلام ولم يمسسني بشر ولم اك بغيا قال كذلك قال ربك هو علي هين ولنجعله آية للناس ورحمة منا وكان امرا مقضيا فحملته فانتبذت به مكانا قصيا فاجاءها المخاض الى جذع النخلة قالت يا ليتني مت قبل هذا وكنت نسيا منسيا فناداها من تحتها الا تحزني قد جعل ربك تحتك سريا وهزي اليك بجذع النخلة تساقط عليك رطبا جنيا فكلي واشربي وقري عينا فاما ترين من البشر احدا فقولي اني نذرت للرحمن صوما فلن اكلم اليوم انسيا فاتت به قومها تحمله قالوا يا مريم لقد جئت شيئا فريا يا اخت هارون ما كان ابوك امرأ سوء وما كانت امك بغيا فاشارت اليه قالوا كيف نكلم من كان في المهد صبيا قال اني عبد الله آتاني الكتاب وجعلني نبيا وجعلني مباركا اينما كنت واوصاني بالصلاة والزكاة ما دمت حيا وبرا بوالدتي ولم يجعلني جبارا شقيا والسلام علي يوم ولدت ويوم اموت ويوم ابعث حيا ذلك عيسى ابن مريم قول الحق الذي فيه يمترون ما كان لله ان يتخذ من ولد سبحانه اذا قضى امرا فانما يقول له كن فيكون وان الله ربي وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم فاختلف الاحزاب من بينهم فويل للذين كفروا من مشهد يوم عظيم ذكر تعالى هذه القصة بعد قصة زكريا التي هي كالمقدمة لها والتوطئة كما ذكر في سورة آل عمران قرن بينهما في سياق واحد وكما قال في سورة الانبياء وزكريا اذ نادى ربه رب لا تذرني فردا وانت خير الوارثين فاستجبنا له ووهبنا له يحيى واصلحنا له زوجه انهم كانوا يسارعون في الخيرات ويدعوننا رغبا ورهبا وكانوا لنا خاشعين والتي احصنت فرجها فنفخنا فيها من روحنا وجعلناها وابنها آية للعالمين وقد تقدم ان مريم لما جعلتها امها محررة تخدم بيت المقدس وانه كفلها زوج اختها او خالتها نبي ذلك الزمان زكريا عليه السلام وانه اتخذ لها محرابا وهو المكان الشريف من المسجد لا يدخله احد عليها سواه وانها لما بلغت اجتهدت في العبادة فلم يكن في ذلك الزمان نظيرها في فنون العبادات وظهر عليها من الاحوال ما غبطها به زكريا عليه السلام وانها خاطبتها الملائكة بالبشارة لها باصطفاء الله لها وبانه سيهب لها ولدا زكيا يكون نبيا كريما طاهرا مكرما مؤيدا بالمعجزات فتعجبت من وجود ولد من غير والد لانها لا زوج لها ولا هي ممن تتزوج فاخبرتها الملائكة بان الله

قادر على ما يشاء اذا قضى امرا فانما يقول له كن فيكون فاستكانت لذلك وانابت وسلمت لامر الله وعلمت ان هذا فيه محنة عظيمة لها فان الناس يتكلمون فيها بسببه لانهم لا يعلمون حقيقة الامر وانما ينظرون الى ظاهر الحال من غير تدبر ولا تعقل وكانت انما تخرج من المسجد في زمن حيضها او لحاجة ضرورية لا بد منها من استقاء ماء او تحصيل غذاء فبينما هي يوما قد خرجت لبعض شؤونها و انتبذت اي انفردت وحدها شرقي المسجد الاقصى اذ بعث الله اليها الروح الامين جبريل عليه السلام فتمثل لها بشرا سويا فلما رأته قالت اني اعوذ بالرحمن منك ان كنت تقيا قال ابو العالية علمت ان التقي ذو نهية ومن زعم انه كان في بني اسرائيل رجل فاسق مشهور بالفسق اسمه تقي فان هذا قول باطل بلا دليل وهو من اسخف الاقوال قال انما انا رسول ربك خاطبها الملك قائلا انما انا رسول ربك اي لست ببشر ولكني ملك بعثني الله اليك لاهب لك غلاما زكيا اي ولدا زكيا قالت انى يكون لي غلام اي كيف يكون لي غلام او يوجد لي ولد ولم يمسسني بشر ولم اك بغيا اي ولست ذات زوج وما انا ممن يفعل الفاحشة قال كذلك قال ربك هو علي هين اي فاجابها الملك عن تعجبها من وجود ولد منها والحالة هذه قائلا كذلك قال ربك اي وعد انه سيخلق منك غلاما ولست بذات بعل ولا تكونين ممن تبغين هو علي هين اي وهذا سهل عليه ويسير لديه فانه على ما يشاء قدير وقوله ولنجعله آية للناس اي ولنجعل خلقه والحالة هذه دليلا على كمال قدرتنا على انواع الخلق فانه تعالى خلق آدم من غير ذكر ولا انثى وخلق حواء من ذكر بلا انثى وخلق عيسى من انثى بلا ذكر وخلق بقية الخلق من ذكر وانثى وقوله ورحمة منا اي نرحم به العباد بان يدعوهم الى الله في صغره وكبره في طفوليته وكهوليته بان يفردوا الله بالعبادة وحده لا شريك له وينزهوه عن اتخاذ الصاحبة والاولاد والشركاء والنظراء والاضداد والانداد وقوله وكان امرا مقضيا يحتمل ان يكون هذا من تمام كلام جبريل معها يعني ان هذا امر قد قضاه الله وحتمه وقدره وقرره وهذا معنى قول محمد بن اسحاق واختاره ابن جرير ولم يحك سواه والله اعلم ويحتمل ان يكون قوله وكان امرا مقضيا كناية عن نفخ جبريل فيها كما قال تعالى ومريم ابنة عمران التي احصنت فرجها فنفخنا فيه من روحنا وقال تعالى والتي احصنت فرجها فنفخنا فيها من روحنا فذكر غير واحد من السلف ان جبريل نفخ في جيب درعها فنزلت النفخة الى فرجها فحملت من فورها كما تحمل المرأة عند جماع بعلها ومن قال انه نفخ في فمها او ان الذي كان يخاطبها هو الروح الذي ولج فيها من فمها فقوله خلاف ما يفهم من سياقات هذه القصة في محالها من القرآن فان هذا السياق يدل على ان الذي ارسل اليها ملك من الملائكة وهو جبريل عليه السلام وانه انما نفخ فيها ولم يواجه الملك الفرج بل نفخ في جيبها فنزلت النفخة الى فرجها فانسلكت فيه كما قال تعالى فنفخنا فيه من روحنا فدل على ان النفخة ولجت فيه لا في فمها كما روي عن ابي بن كعب ولا في صدرها كما رواه السدي باسناده عن بعض الصحابة ولهذا قال فحملته اي فحملت بولدها فانتبذت به مكانا قصيا وذلك لان مريم عليها السلام لما حملت ضاقت به ذرعا وعلمت ان كثيرا من الناس سيكون منهم كلام في حقها فذكر غير واحد من السلف منهم وهب بن منبه انها لما ظهرت عليها مخايل الحمل كان اول من فطن لذلك رجل من عباد بني اسرائيل يقال له يوسف بن يعقوب النجار وكان ابن خالها فجعل يتعجب من ذلك عجبا شديدا وذلك لما يعلم من ديانتها ونزاهتها وعبادتها وهو

مع ذلك بين انها حبلى ولبث بها اذ جعل يعرض لها ذات يوم في الكلام فقال يا مريم هل يكون زرع
من غير بذر قالت نعم فمن خلق الزرع الاول قال فهل يكون شجر من غير ماء ولا مطر قالت نعم
فمن خلق الشجر الاول ثم قال فهل يكون ولد من غير ذكر قالت نعم ان الله خلق ادم من غير
ذكر ولا انثى قال لها فاخبريني خبرك فقالت ان الله بشرني بكلمة منه اسمه المسيح عيسى
ابن مريم وجيها في الدنيا والاخرة ومن المقربين ويكلم الناس في المهد وكهلا ومن الصالحين
ويروى مثل هذا عن زكريا عليه السلام انه سالها فاجابته بمثل هذا والله اعلم وذكر السدي
باسناده عن الصحابة ان مريم دخلت يوما على اختها فقالت لها اختها اشعرت اني حبلى
فقالت مريم وشعرت ايضا اني حبلى فاعتنقتها وقالت لها ام يحيى اني ارى ما في بطني يسجد
لما في بطنك وذلك قوله مصدقا بكلمة من الله ومعنى السجود ههنا الخضوع والتعظيم
كالسجود عند المواجهة للسلام كما كان شرع من قبلنا وكما امر الله الملائكة بالسجود لادم
وقال ابن القسم قال مالك بلغني ان عيسى ابن مريم ويحيى بن زكريا ابنا خالة وكان حملهما جميعا
معا فبلغني ان ام يحيى قالت لمريم اني ارى ما في بطني يسجد لما في بطنك قال مالك ارى
ذلك لتفضيل عيسى عليه السلام لان الله جعله يحيي الموتى ويبرئ الاكمه والابرص رواه ابن
ابي حاتم ثم الظاهر انها حملت به تسعة اشهر كما تحمل النساء ويضعن لميقات حملهن ٥
ووضعهن اذ لو كان بخلاف ذلك لذكر وعن ابن عباس وعكرمة انها حملت به ثمانية اشهر
وعن ابن عباس ما هو الا ان حملت به فوضعته قال بعضهم حملت به تسع ساعات واستانسوا
لذلك بقوله فحملته فانتبذت به مكانا قصيا فاجاءها المخاض الى جذع النخلة والصحيح
ان تعقيب كل شيء بحسبه كقوله فتصبح الارض مخضرة وكقوله فخلقنا النطفة علقة
فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام لحما ومعلوم ان بين كل
حالين اربعين يوما كما ثبت في الحديث المتفق عليه قال محمد بن اسحاق ثم شاع امرها واشتهر
في بني اسرائيل انها حامل فما دخل على اهل بيت ما دخل على ال زكريا قال واتهمها بعض الزنادقة
بيوسف الذي كان يتعبد معها في المسجد وتوارت عنهم مريم واعتزلتهم وانتبذت مكانا قصيا
وقوله فاجاءها المخاض الى جذع النخلة اي فالجاها واضطرها الطلق الى جذع النخلة وهو
بنص الحديث الذي رواه النسائي باسناد لا باس به عن انس مرفوعا والبيهقي باسناد صحيح عن
شداد بن اوس مرفوعا ايضا ببيت لحم الذي بنى عليه ملوك بعض الروم فيما بعد على ما سنذكره
هذا البناء المشاهد الهائل قالت يا ليتني مت قبل هذا وكنت نسيا منسيا فيه دليل على
جواز تمني الموت عند الفتنة وذلك انها علمت ان الناس يتهمونها ولا يصدقونها بل يكذبونها
حين تاتيهم بغلام على يدها مع انها قد كانت عندهم من العابدات الناسكات المجاورات في المسجد
المنقطعات اليه المعتكفات فيه ومن بيت النبوة والديانة فحملت بسبب ذلك من الهم ما تمنت
ان لو كانت ماتت قبل هذا الحال او كانت نسيا منسيا اي لم تخلق بالكلية وقوله
فناداها من تحتها وقرئ من تحتها على الخفض وفي المضمر قولان احدهما انه جبريل قاله العوفي
عن ابن عباس قال ولم يتكلم عيسى الا بحضرة القوم وهكذا قال سعيد بن جبير وعمرو بن ميمون
والضحاك والسدي وقتادة وقال مجاهد والحسن وابن زيد وسعيد بن جبير في رواية
هو ابنها عيسى واختاره ابن جرير وقوله الا تحزني قد جعل ربك تحتك سريا اي ناداها
قائلا لها لا تحزني قد جعل ربك تحتك سريا قيل النهر واليه ذهب الجمهور وجاء فيه حديث

رواه

رواه الطبراني لكنه ضعيف واختاره ابن جرير وهو الصحيح وعن الحسن والربيع عن انس
وابن اسلم وغيرهم انه ابنها والصحيح الاول لقوله وهزي اليك بجذع النخلة تساقط عليك
رطبا جنيا فذكر الطعام والشراب ولهذا قال فكلي واشربي وقري عينا ثم قيل كان جذع
النخلة يابسا وقيل كانت نخلة مثمرة والله اعلم ويحتمل انها كانت نخلة لكنها لم تكن
مثمرة اذ ذاك لان ميلاده كان في زمن الشتاء وليس ذاك وقت ثمر وقد يفهم ذلك من قوله
تعالى على سبيل الامتنان تساقط عليك رطبا جنيا قال عمرو بن ميمون ليس شيء خير للنفساء
من التمر والرطب ثم تلا هذه الاية وقال ابن ابي حاتم حدثنا علي بن الحسين ثنا شيبان ثنا
مسرور بن سعيد التميمي ثنا عبد الرحمن بن عمرو الاوزاعي عن عروة بن رويم عن علي بن ابي طالب قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اكرموا عمتكم النخلة فانها خلقت من الطين الذي خلق
منه ادم وليس من الشجر شيء يلقح غيرها وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اطعموا نساءكم
الولد الرطب فان لم يكن رطب فتمر وليس من الشجر شجرة اكرم على الله من شجرة نزلت تحتها مريم
بنت عمران وكذا رواه ابو يعلى في مسنده عن شيبان بن فروخ عن مسرور بن سعيد وفي رواية
مسروق بن سعيد والصحيح مسرور بن سعيد التميمي واورده ابن عدي هذا الحديث عن الاوزاعي
به ثم قال وهو منكر الحديث ولم اسمع بذكره الا في هذا الحديث وقال ابن حبان يروي عن الاوزاعي
المناكير الكثيرة التي لا يجوز الاحتجاج بمن يرويها وقوله فاما ترين من البشر احدا فقولي اني
نذرت للرحمن صوما فلن اكلم اليوم انسيا وهذا من تمام كلام الذي ناداها من تحتها قال
كلي واشربي وقري عينا فاما ترين من البشر احدا فقولي اي فان رايت احدا من الناس فقولي له
اي بلسان الحال والاشارة اني نذرت للرحمن صوما اي صمتا وكان من صومهم في شريعتهم
ترك الكلام والطعام قاله قتادة والسدي وابن اسلم ويدل على ذلك قوله فلن اكلم اليوم
انسيا فاما في شريعتنا فيكره للصائم صمت يوم الى الليل وقوله تعالى فاتت به قومها تحمله
قالوا يا مريم لقد جئت شيئا فريا يا اخت هرون ما كان ابوك امرا سوء وما كانت امك بغيا
ذكر كثير من السلف ممن ينقل عن اهل الكتاب انهم لما افتقدوها من بين اظهرهم ذهبوا في طلبها
فمروا على محلتها والانوار حولها فلما واجهوها وجدوا معها ولدها فقالوا لها يا مريم لقد
جئت شيئا فريا اي امرا عظيما منكرا وفي هذا الذي قالوه نظر مع انه كلام ينقض اوله اخره وذلك
لان ظاهر سياق القران العظيم يدل على انها حملته بنفسها واتت به قومها وهي تحمله قال
ابن عباس وذلك بعدما تعالت من نفاسها بعد اربعين يوما والمقصود انهم لما راوها تحمل ابنها
ولما قالوا يا مريم لقد جئت شيئا فريا والفري هي الفعلة المنكرة العظيمة من الفعال
والمقال ثم قالوا لها يا اخت هارون قيل شبهوها بعابد من عباد زمانهم كانت تساميه
في العبادة وكان اسمه هرون وقيل شبهوها برجل فاجر في زمانهم قاله سعيد بن جبير
وقيل ارادوا هرون اخا موسى شبهوها به في العبادة واخطا محمد بن كعب القرظي في زعمه انها
اخت موسى وهرون نسبا فان بينهما من الدهور الطويلة ما لا يخفى على من عنده من العلم ما يرده
عن هذا القول الفظيع وكانه غره ان في التوراة ان مريم اخت موسى وهرون ضربت بالدف
يوم نجى الله موسى وقومه واغرق فرعون وملاه فاعتقد ان هذه هي هذه وهذا في غاية البطلان
والمخالفة للحديث الصحيح مع نص القران كما قررناه في التفسير مطولا ولله الحمد والمنة
وقد ورد الحديث في الصحيح الدال على انه قد كان لها اخ اسمه هارون وليس في ذكر قصة

ولا نبيا وتخرجها انها لها ما بل لعل انه ليس لها اخ سواهما والله اعلم قال الامام احمد حدثنا
عبد الله بن ادريس سمعت ابي يذكره عن سماك عن علقمة بن وائل عن المغيرة بن شعبة قال
بعثني رسول الله صلى الله عليه وسلم الى نجران فقالوا ارايت ما تقرون يا اخت هرون
وموسى قبل عيسى بكذا وكذا قال فرجعت فذكرت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال الا اخبرتهم انهم كانوا يسمون بالانبياء والصالحين قبلهم لذا رواه مسلم والنسائي
والترمذي من حديث عبد الله بن ادريس وقال الترمذي حسن صحيح غريب لا نعرفه الا
من حديثه وفي رواية الا اخبرتهم انهم كانوا يتسمون باسماء صالحيهم وانبيائهم وذكر قتادة
وغيره انهم كانوا يكثرون من التسمية بهرون حتى قيل انه حضر بعض جنائزهم بشر كثير
منهم ممن يسمى بهرون اربعون الفا والله اعلم والمقصود انهم قالوا يا اخت هرون ودل
الحديث على انه قد كان لها اخ نسبي اسمه هرون وكان مشهورا بالدين والصلاح والخير
ولهذا قالوا ما كان ابوك امرأ سوء وما كانت امك بغيا اي لست من بيت هذا شيمتهم
ولا سجيتهم لا اخوك ولا امك ولا ابوك فاتهموها بالفاحشة العظمى ورموها بالداهية
العظيمة فذكر ابن جرير في تاريخه انهم اتهموا بها زكريا وارادوا قتله ففر منهم فلحقوه وقد
انشقت له الشجرة فدخلها وامسك ابليس بطرف ردائه فنشروه فيها كما قدمنا ومن
المنافقين من اتهمها بابن خالها يوسف بن يعقوب النجار فلما ضاق الحال وانحصر المجال
وامتنع المقال عظم التوكل على ذي الجلال ولم يبق الا الاخلاص والاتكال فاشارت اليه
اي خاطبوه وكلموه فان جوابكم عليه وما تبغون من الكلام لديه فعندها قال من كان
منهم جبارا شقيا كيف نكلم من كان في المهد صبيا اي كيف تحيلينا في الجواب على صبي
صغير لا يعقل الخطاب وهو مع ذلك رضيع في مهده ولا يميز بين محض الحق وزبده وما
هذا منك الا على سبيل التهكم بنا والاستهزاء والتنقص لنا والازدراء اذ لا ترد علينا
قولا نطقيا بل تحيلين في الجواب على من كان في المهد صبيا فعندها قال اني عبد الله اتاني
الكتاب وجعلني نبيا وجعلني مباركا اينما كنت واوصاني بالصلاة والزكاة ما دمت
حيا وبرا بوالدتي ولم يجعلني جبارا شقيا والسلام علي يوم ولدت ويوم اموت ويوم ابعث
حيا هذا اول كلام تفوه به عيسى بن مريم فكان اول ما تكلم به ان قال اني عبد الله اعترف
لربه تعالى بالعبودية وان الله ربه فنزه جناب الله عن قول الظالمين في زعمهم انه ابن الله بل
هو عبده ورسوله وابن امته ثم برا امه مما نسبها اليه الجاهلون وقذفوها به ورموها بسببه
بقوله اتاني الكتاب وجعلني نبيا فان الله لا يعطي النبوة من كان كما زعموا لعنهم الله وقبحهم
كما قال تعالى وبكفرهم وقولهم على مريم بهتانا عظيما وذلك ان طائفة من اليهود في ذلك
الزمان قالوا انها حملت به من زنا في زمن الحيض لعنهم الله فبراها الله من ذلك واخبر عنها
انها صديقة واتخذ ولدها نبيا مرسلا احد اولي العزم الخمسة الكبار ولهذا قال وجعلني
مباركا اينما كنت وذلك انه حيث كان دعا الى عبادة الله وحده لا شريك له ونزه جنابه عن
النقص والعيب من اتخاذ الصاحبة والولد تعالى وتقدس واوصاني بالصلاة والزكاة ما دمت
حيا وهذه وظيفة العبيد في القيام بحق العزيز الحميد بالصلاة والاحسان الى الخليقة
بالزكاة وهي تشتمل طهارة النفوس من الاخلاق الرذيلة وتطهير الاموال الجزيلة بالعطية للمحاويج
على اختلاف الاصناف وقرى الاضياف والنفقات على الزوجات والارقاء والقرابات وسائر

وجوه الطاعات وانواع القربات ثم قال وبرا بوالدتي ولم يجعلني جبارا شقيا اي
وجعلني برا بوالدتي وذلك انه تاكد حقها عليه لتمحض جهتها اذ لا والد له سواها
فسبحان من خلق الخليقة وبراها واعطى كل نفس هداها ولم يجعلني جبارا شقيا اي لست
بفظ ولا غليظ ولا يصدر مني قول ولا فعل ينافي امر الله وطاعته والسلام علي يوم
ولدت ويوم اموت ويوم ابعث حيا وهذه المواطن الثلاثة التي تقدم الكلام عليها
في قصة يحيى بن زكريا عليهما السلام ثم لما ذكر تعالى قصته على الجلية وبين امره
ووضحه وشرحه قال ذلك عيسى ابن مريم قول الحق الذي فيه يمترون ما كان لله ان يتخذ
من ولد سبحانه اذا قضى امرا فانما يقول له كن فيكون كما قال تعالى بعد قصته وما كان من
امره في ال عمران ذلك نتلوه عليك من الايات والذكر الحكيم ان مثل عيسى عند الله كمثل
ادم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون الحق من ربك فلا تكن من الممترين فمن حاجك
فيه من بعد ما جاءك من العلم فقل تعالوا ندع ابناءنا وابناءكم ونساءنا ونساءكم
وانفسنا وانفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين ان هذا لهو القصص
الحق وما من اله الا الله وان الله لهو العزيز الحكيم فان تولوا فان الله عليم بالمفسدين
ولهذا لما قدم وفد نجران وكانوا ستين راكبا يرجع امرهم الى اربعة عشر منهم ويؤول امر الجميع
الى ثلاثة منهم لشرفهم وسادتهم وهم العاقب والسيد وابو حارثة بن علقمة فجعلوا يناظرون
في امر المسيح فانزل الله صدر سورة ال عمران في ذلك وبين امر المسيح وابتداء خلقه وخلق
امه من قبله وامر رسوله بان يباهلهم ان لم يستجيبوا له ويتبعوه فلما راوا عينيها واذنيها
نكلوا ونكصوا وامتنعوا عن المباهلة وعدلوا الى المسالمة والموادعة وقال قائلهم وهو
العاقب عبد المسيح يا معشر النصارى لقد علمتم ان محمدا لنبي مرسل ولقد جاءكم بالفصل
من خبر صاحبكم ولقد علمتم انه ما لاعن قوم نبيا قط فبقي كبيرهم ولا نبت صغيرهم وانها
للاستئصال منكم ان فعلتم فان كنتم قد ابيتم الا الف دينكم والاقامة على ما انتم عليه من
القول في صاحبكم فوادعوا الرجل وانصرفوا الى بلادكم فطلبوا ذلك من رسول الله صلى
الله عليه وسلم وسالوه ان يضرب عليهم جزية وان يبعث معهم رجلا امينا فبعث معهم
ابا عبيدة بن الجراح وقد بينا ذلك في تفسير ال عمران وسيأتي في بسط القضية في السيرة
النبوية ان شاء الله تعالى وبه الثقة والمقصود ان الله تعالى لما بين امر المسيح قال
لرسوله ذلك عيسى ابن مريم قول الحق الذي فيه يمترون يعني من انه عبد مخلوق من امرأة من
عباد الله ولهذا قال ما كان لله ان يتخذ من ولد سبحانه اذا قضى امرا فانما يقول له كن فيكون
اي لا يعجزه شيء ولا يكرثه ولا يؤوده بل هو القدير الفعال لما يشاء انما امره اذا اراد شيئا ان
يقول له كن فيكون وقوله وان الله ربي وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم هو من تمام كلام عيسى
لهم في المهد اخبرهم ان الله ربه وربهم واله والههم وان هذا هو الصراط المستقيم قال
الله تعالى فاختلف الاحزاب من بينهم فويل للذين كفروا من مشهد يوم عظيم اي فاختلف
اهل ذلك الزمان ومن بعدهم فيه فمن قائل من اليهود انه ولد زنية واستمروا على كفرهم وعنادهم
وقابلهم اخرون في الكفر فقالوا هو الله وقال اخرون هو ابن الله وقال المؤمنون هو عبد الله
ورسوله وابن امته وكلمته القاها الى مريم وروح منه وهؤلاء هم الناجون المثابون المؤيدون
المنصورون ومن خالفهم في شيء من هذه القيود فهم الكافرون الضالون الجاهلون وقد توعدهم

العلي العظيم العليم الحكيم بقوله فويل للذين كفروا من مشهد يوم عظيم قال البخاري ثنا صدقة بن الفضل ابا الوليد ثنا الاوزاعي حدثني عمير بن هانئ حدثني جنادة بن ابي امية عن عبادة بن الصامت عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من شهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له وان محمدا عبده ورسوله وان عيسى عبد الله ورسوله القاها الى مريم وروح منه والجنة حق والنار حق ادخله الله الجنة على ما كان من العمل قال الوليد فحدثني عبد الرحمن بن يزيد بن جابر عن عمير بن جنادة وزاد من ابواب الجنة الثمانية ايها شاء وقد رواه مسلم عن داود بن رشيد عن الوليد عن ابن جابر به ومن طريق اخرى عن الاوزاعي به

باب بيان ان الله تعالى منزه عن الولد

تعالى عما يقول الظالمون علوا كبيرا وقال تعالى في اخر هذه السورة وقالوا اتخذ الرحمن ولدا لقد جئتم شيئا ادا اي شيئا عظيما ومنكرا من القول وزورا تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الارض وتخر الجبال هدا ان دعوا للرحمن ولدا وما ينبغي للرحمن ان يتخذ ولدا ان كل من في السموات والارض الا آتي الرحمن عبدا لقد احصاهم وعدهم عدا وكلهم آتيه يوم القيامة فردا ان الذين امنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودا فبين انه تعالى لا ينبغي له الولد لانه خالق كل شيء ومالكه وكل شيء فقير اليه خاضع ذليل لديه وجميع سكان السموات والارض عبيده وهو ربهم لا اله الا هو ولا رب سواه كما قال تعالى وجعلوا لله شركاء الجن وخلقهم وخرقوا له بنين وبنات بغير علم سبحانه وتعالى عما يصفون بديع السموات والارض انى يكون له ولد ولم تكن له صاحبة وخلق كل شيء وهو بكل شيء عليم ذلكم الله ربكم لا اله الا هو خالق كل شيء فاعبدوه وهو على كل شيء وكيل لا تدركه الابصار وهو يدرك الابصار وهو اللطيف الخبير فبين انه خالق كل شيء فكيف يكون له ولد والولد لا يكون الا من شيئين متناسبين والله تعالى لا نظير له ولا شبيه له ولا عدل له فلا صاحبة له فلا يكون له ولد كما قال تعالى قل هو الله احد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا احد فقرر انه الاحد الذي لا نظير له في ذاته ولا في صفاته ولا في افعاله الصمد وهو السيد الذي قد كمل في علمه وحكمته ورحمته وبلغ جميع صفاته لم يلد اي لم يولد منه ولد ولم يولد اي لم يولد عن شيء قبله ولم يكن له كفوا احد اي ليس له عدل ولا مكافئ ولا مساو فقطع النظير المداني والاعلى المساوي فانتفى ان يكون له ولد اذ لا يكون الولد الا متولدا بين شيئين متعادلين او متقاربين تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا وقال تبارك وتعالى [illegible] يا اهل الكتاب لا تغلوا في دينكم ولا تقولوا على الله الا الحق انما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته القاها الى مريم وروح منه فامنوا بالله ورسله ولا تقولوا ثلاثة انتهوا خيرا لكم انما الله اله واحد سبحانه ان يكون له ولد له ما في السموات وما في الارض وكفى بالله وكيلا لن يستنكف المسيح ان يكون عبدا لله ولا الملائكة المقربون ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر فسيحشرهم اليه جميعا فاما الذين امنوا وعملوا الصالحات فيوفيهم اجورهم ويزيدهم من فضله واما الذين استنكفوا واستكبروا فيعذبهم عذابا اليما ولا يجدون لهم من دون الله وليا ولا نصيرا ينهى تعالى اهل الكتاب ومن شابههم عن الغلو والاطراء في الدين وهو مجاوزة الحد فالنصارى عليهم لعائن الله غلوا واطروا المسيح حتى جاوزوا الحد فكان الواجب عليهم ان يعتقدوا انه عبد الله ورسوله وابن امته العذراء البتول التي احصنت

فرجها

فرجها فبعث الله الملك جبريل اليها فنفخ فيها عن امر الله نفخة حملت منها بولدها عيسى عليه السلام والذي اتصل بها من الملك هي الروح المضافة الى الله اضافة تشريف وتكريم وهي مخلوقة من مخلوقات الله كما يقال بيت الله وناقة الله وعبد الله وكذا روح الله اضيفت اليه تشريفا لها وتكريما وسمي عيسى بها لانه كان بها من غير اب وهي الكلمة ايضا التي عنها خلق وبسببها وجد كما قال تعالى ان مثل عيسى عند الله كمثل ادم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون وقال تعالى وقالوا اتخذ الرحمن ولدا سبحانه بل له ما في السموات والارض كل له قانتون بديع السموات والارض واذا قضى امرا فانما يقول له كن فيكون وقال تعالى وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله ذلك قولهم بافواههم يضاهئون قول الذين كفروا من قبل قاتلهم الله انى يؤفكون فاخبر تعالى ان اليهود والنصارى عليهم لعائن الله كل من الفريقين ادعوا على الله شططا وزعموا ان له ولدا تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا واخبر انه ليس لهم مستند فيما زعموه وادعوه الا مجرد القول ومشابهة من سبقهم الى هذه المقالة الضالة تشابهت قلوبهم وذلك ان الفلاسفة عليهم لعنة الله زعموا ان العقل الاول صدر عن واجب الوجود الذي يعبرون عنه بعلة العلل والمبدا الاول وانه صدر عن العقل الاول عقل ثان ونفس وفلك ثم صدر عن الثاني كذلك حتى تناهت العقول الى عشرة والنفوس الى تسعة والافلاك الى تسعة باعتبارات فاسدة ذكروها واختيارات باردة اوردوها ولبسط الكلام معهم وبيان جهلهم وقلة عقلهم موضع اخر وهكذا طوائف من مشركي العرب زعموا لجهلهم ان الملائكة بنات الله وانه صاهر سروات الجن فتولد منهما الملائكة تعالى الله عما يقولون وتنزه عما يشركون كما قال تعالى وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثا اشهدوا خلقهم ستكتب شهادتهم ويسألون وقال تعالى فاستفتهم الربك البنات ولهم البنون ام خلقنا الملائكة اناثا وهم شاهدون الا انهم من افكهم ليقولون ولد الله وانهم لكاذبون اصطفى البنات على البنين ما لكم كيف تحكمون افلا تذكرون ام لكم سلطان مبين فاتوا بكتابكم ان كنتم صادقين وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا ولقد علمت الجنة انهم لمحضرون سبحان الله عما يصفون الا عباد الله المخلصين وقال تعالى وقالوا اتخذ الرحمن ولدا سبحانه بل عباد مكرمون لا يسبقونه بالقول وهم بامره يعملون يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم ولا يشفعون الا لمن ارتضى وهم من خشيته مشفقون ومن يقل منهم اني اله من دونه فذلك نجزيه جهنم كذلك نجزي الظالمين وقال تعالى في اول سورة الكهف وهي مكية الحمد لله الذي انزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجا قيما لينذر باسا شديدا من لدنه ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات ان لهم اجرا حسنا ماكثين فيه ابدا وينذر الذين قالوا اتخذ الله ولدا ما لهم به من علم ولا لابائهم كبرت كلمة تخرج من افواههم ان يقولون الا كذبا وقال تعالى قالوا اتخذ الله ولدا سبحانه هو الغني له ما في السموات وما في الارض ان عندكم من سلطان بهذا اتقولون على الله ما لا تعلمون قل ان الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون متاع في الدنيا ثم الينا مرجعهم ثم نذيقهم العذاب الشديد بما كانوا يكفرون فهذه الايات الكريمات المكيات تشتمل الرد على سائر فرق الكفرة من الفلاسفة ومشركي العرب واليهود والنصارى الذين ادعوا وزعموا بلا علم ان لله ولدا سبحانه وتعالى عما يقول الظالمون علوا كبيرا

ولما كانت النصارى عليهم لعنة الله المتتابعة الى يوم القيامة من اشهر من قال بهذه
المقالة لذكروا في القران كثيرا للرد عليهم وبيان تناقضهم وقلة علمهم وكثرة جهلهم
وقد تنوعت اقوالهم في كفرهم وذلك ان الباطل كثير التشعب والاختلاف والتناقض
واما الحق فلا يختلف ولا يضطرب قال الله تعالى ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه
اختلافا كثيرا فدل على ان الحق يتحد ويتفق والباطل يختلف ويضطرب فطائفة
من ضلالهم وجهالهم زعموا ان المسيح هو الله تعالى الله وطائفة قالوا هو ابن الله عز الله
وطائفة قالوا هو ثالث ثلاثة جل الله قال الله تعالى في اول سورة المائدة لقد
كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح ابن مريم قل فمن يملك من الله شيئا ان اراد ان يهلك
المسيح ابن مريم وامه ومن في الارض جميعا ولله ملك السموات والارض وما بينهما
يخلق ما يشاء والله على كل شيء قدير فاخبر تعالى عن كفرهم وجهلهم وبين انه الخالق القادر
على كل شيء المتصرف في كل شيء وانه رب كل شيء ومليكه والهه وقال في اواخرها لقد كفر
الذين قالوا ان الله هو المسيح ابن مريم وقال المسيح يا بني اسرائيل اعبدوا الله ربي وربكم
انه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار وما للظالمين من انصار
لقد كفر الذين قالوا ان الله ثالث ثلاثة وما من اله الا اله واحد وان لم ينتهوا عما يقولون
ليمسن الذين كفروا منهم عذاب اليم افلا يتوبون الى الله ويستغفرونه والله غفور رحيم
ما المسيح ابن مريم الا رسول قد خلت من قبله الرسل وامه صديقة كانا ياكلان الطعام
انظر كيف نبين لهم الايات ثم انظر انى يؤفكون حكم تعالى بكفرهم شرعا وقدرا واخبر ان
هذا صدر منهم مع ان الرسول اليهم وهو عيسى ابن مريم قد بين لهم انه عبد مربوب مخلوق
مصور في الرحم داع الى عبادة الله وحده لا شريك له وتوعدهم على خلاف ذلك بالنار
وعدم الفوز بدار القرار والخزي في الدار الاخرة والهوان والعار ولهذا قال انه من يشرك
بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار وما للظالمين من انصار ثم قال لقد
كفر الذين قالوا ان الله ثالث ثلاثة قال ابن جرير وغيره المراد بذلك الثلاثة اقنوم
الاب واقنوم الابن واقنوم الكلمة المنبثقة من الاب الى الابن على اختلاف بينهم في ذلك
ما بين الملكية واليعقوبية والنسطورية عليهم لعائن الله كما سنبين كيفية اختلافهم
في ذلك ومجامعهم الثلاثة في زمن قسطنطين بن قسطس وذلك بعد المسيح بثلثمائة
سنة وقبل البعثة المحمدية بثلثمائة سنة ولهذا قال تعالى وما من اله الا اله واحد
اي وما من اله الا الله وحده لا شريك له ولا نظير له ولا كفو له ولا صاحبة ولا ولد ثم توعدهم
وتهددهم فقال وان لم ينتهوا عما يقولون ليمسن الذين كفروا منهم عذاب اليم ثم دعاهم
بجوده ولطفه الى التوبة والاستغفار من هذه الامور والخطايا الكبار والعظائم التي توجب
النار فقال افلا يتوبون الى الله ويستغفرونه والله غفور رحيم ثم بين حال المسيح
وامه وانه عبد رسول وامه صديقة اي ليست بفاجرة كما يقوله اليهود عليهم لعنة الله
وفيه دليل على انها ليست بنبية كما زعمه طائفة من علمائنا وقوله كانا ياكلان الطعام
كناية عن خروجه منهما كما يخرج من غيرهما اي ومن كان بهذه المثابة كيف يكون الها تعالى
الله عن قولهم وجهلهم علوا كبيرا وقال السدي وغيره المراد بقوله لقد كفر الذين قالوا
ان الله ثالث ثلاثة زعمهم في عيسى وامه انهما الهان مع الله يعني كما بين تعالى كفرهم في ذلك

بقوله

بقوله في اخر هذه السورة الكريمة واذ قال الله يا عيسى ابن مريم أأنت قلت للناس
اتخذوني وامي الهين من دون الله قال سبحانك ما يكون لي ان اقول ما ليس لي بحق ان كنت
قلته فقد علمته تعلم ما في نفسي ولا اعلم ما في نفسك انك انت علام الغيوب ما قلت لهم
الا ما امرتني به ان اعبدوا الله ربي وربكم وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم فلما توفيتني
كنت انت الرقيب عليهم وانت على كل شيء شهيد ان تعذبهم فانهم عبادك وان تغفر لهم
فانك انت العزيز الحكيم يخبر تعالى انه يسأل عيسى ابن مريم عليه السلام يوم القيامة
على سبيل الاكرام له والتقريع والتوبيخ لعابديه ممن كذب عليه وافترى وزعم انه
ابن الله او انه الله او شريكه تعالى الله عما يقولون فيسأله وهو يعلم انه لم يقع منه
ما يسأله عنه ولكن ليوبخ من كذب عليه فيقول له أأنت قلت للناس اتخذوني وامي الهين
من دون الله قال سبحانك اي تعاليت عن ان يكون معك شريك ما يكون لي ان اقول ما ليس لي
بحق اي ليس هذا يستحقه احد سواك ان كنت قلته فقد علمته تعلم ما في نفسي ولا اعلم
ما في نفسك انك انت علام الغيوب وهذا تأدب عظيم في الخطاب والجواب ما قلت لهم
الا ما امرتني به اي ما قلت غير ما امرتني عليه حين ارسلتني اليهم وانزلت علي الكتاب الذي كان
يتلى عليهم ثم فسر ما قال لهم بقوله ان اعبدوا الله ربي وربكم اي خالقي وخالقكم ورازقي
ورازقكم وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم فلما توفيتني اي رفعتني اليك حين ارادوا قتلي
وصلبي فرحمتني وخلصتني منهم والقيت شبهي على احدهم حتى انتقموا منه فلما كان ذلك
كنت انت الرقيب عليهم وانت على كل شيء شهيد ثم قال على وجه التفويض الى الرب عز وجل
والتبري من اهل النصرانية ان تعذبهم فانهم عبادك اي وهم يستحقون ذلك وان تغفر
لهم فانك انت العزيز الحكيم وهذا التفويض والاسناد الى المشيئة بالشرط لا يقتضي
وقوع ذلك ولهذا قال فانك انت العزيز الحكيم ولم يقل الغفور الرحيم وقد ذكرنا في
التفسير ما رواه الامام احمد عن ابي ذر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قام بهذه الاية
الكريمة ليلة حتى اصبح ان تعذبهم فانهم عبادك وان تغفر لهم فانك انت العزيز الحكيم
وقال اني سألت ربي عز وجل الشفاعة لامتي فاعطانيها وهي نائلة ان شاء الله لمن
لا يشرك بالله شيئا وقال تعالى وما خلقنا السماء والارض وما بينهما لاعبين
لو اردنا ان نتخذ لهوا لاتخذناه من لدنا ان كنا فاعلين بل نقذف بالحق على الباطل
فيدمغه فاذا هو زاهق ولكم الويل مما تصفون وله من في السموات والارض ومن عنده
لا يستكبرون عن عبادته ولا يستحسرون يسبحون الليل والنهار لا يفترون وقال
تعالى لو اراد الله ان يتخذ ولدا لاصطفى مما يخلق ما يشاء سبحانه هو الله الواحد القهار
خلق السموات والارض بالحق يكور الليل على النهار ويكور النهار على الليل وسخر الشمس والقمر
كل يجري لاجل مسمى الا هو العزيز الغفار وقال تعالى قل ان كان للرحمن ولد فانا اول
العابدين سبحان رب السموات والارض رب العرش عما يصفون وقال تعالى وقل الحمد لله
الذي لم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك في الملك ولم يكن له ولي من الذل وكبره تكبيرا وقال
تعالى قل هو الله احد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا احد وثبت في الصحيح
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال يقول الله شتمني ابن ادم ولم يكن له ذلك
يزعم ان لي ولدا وانا الاحد الصمد الذي لم الد ولم اولد ولم يكن لي كفوا احد

الصحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال لا احد اصبر على اذى سمعه من الله انهم يجعلون
له ولدا وهو يرزقهم ويعافيهم ولكن ثبت في الصحيح ايضا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
انه قال ان الله ليملي للظالم حتى اذا اخذه لم يفلته ثم قرا وكذلك اخذ ربك اذا اخذ القرى
وهي ظالمة ان اخذه اليم شديد وهكذا قوله تعالى وكاين من قرية امليت لها وهي ظالمة ثم
اخذتها والي المصير وقال تعالى نمتعهم قليلا ثم نضطرهم الى عذاب غليظ وقال تعالى
قل ان الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون متاع في الدنيا ثم الينا مرجعهم ثم نذيقهم العذاب
الشديد بما كانوا يكفرون وقال تعالى فمهل الكافرين امهلهم رويدا

ذكر منشا عيسى بن مريم ومرباه في صغره وصباه وبيان بدء الوحي اليه من الله

قد تقدم انه ولد ببيت لحم قريبا من بيت المقدس وزعم وهب بن منبه انه ولد بمصر وان
مريم سافرت هي ويوسف بن يعقوب النجار وهي راكبة على حمار ليس بينها وبين الاكاف
شيء وهذا لا يصح والحديث الذي تقدم ذكره دليل على ان مولده كان ببيت لحم كما ذكرنا ومهما
عارضه فباطل وذكر وهب بن منبه انه لما ولد خرت الاصنام يومئذ في مشارق الارض
ومغاربها وان الشياطين حارت في سبب ذلك حتى كشف لهم ابليس الكبير امر عيسى
فوجدوه في حجر امه والملائكة محدقة به وانه ظهر نجم عظيم في السما وان ملك الفرس
اشفق من ظهوره فسال الكهنة فقالوا هذا لمولد عظيم في الارض فبعث رسله ومعهم
ذهب ومر ولبان هدية الى عيسى فلما قدموا الشام سالهم ملكها عما اقدمهم ف
ذكروا له ذلك فسال عن ذلك الوقت فاذا قد ولد فيه عيسى ابن مريم ببيت المقدس
واشتهر امره بسبب كلامه في المهد فارسلهم اليه بما معهم وارسل معهم من يعرفه له
ليتوصل الى قتله اذا انصرفوا عنه فلما وصلوا الى مريم بالهدايا ورجعوا قيل لها
ان رسل ملك الشام انما جاوا ليقتلوا ولدك فاحتملته فذهبت به الى مصر فاقامت
بها حتى بلغ عمره اثنتي عشرة سنة وظهرت عليه كرامات ومعجزات في حال صغره فذكر
منها ان الدهقان الذي نزلوا عنده افتقد مالا من داره وكانت داره الى الفقرا والضعفا
والمحاويج فلم يدر من اخذها وعز ذلك على مريم عليها السلام وشق على الناس وعلى
رب المنزل واعياهم امرها فلما راى عيسى عليه السلام ذلك عمد الى رجل اعمى واخر مقعد
من جملة من هو منقطع اليه فقال للاعمى احمل هذا المقعد وانهض به فقال اني لا استطيع
ذلك فقال بلى كما فعلتما انت وهو حين اخذتما هذا المال من تلك الكوة من الدار فلما
قال ذلك صدقاه فيما قال واتيا بالمال فعظم عيسى في اعين الناس وهو صغير
جدا ومن ذلك ان ابن الدهقان عمل ضيافة للناس بسبب طهور اولاده فلما اجتمع
الناس واطعمهم ثم اراد ان يسقيهم شرابا يعني خمرا كما كانوا يصنعون في ذلك الزمان
لم يجد في جراره شيئا فشق عليه فلما راى عيسى ذلك منه قام فجعل يمر على تلك الجرار
ويمر يده على افواهها فلا يفعل بجرة منها ذلك الا امتلات شرابا من خيار الشراب
فتعجب الناس من ذلك جدا وعظموه وعرضوا عليه وعلى امه مالا جزيلا فلم يقبلاه
وارتحلا قاصدين بلاد بيت المقدس والله اعلم وقال اسحاق بن بشر انبانا عثمان
ابن الساج وغيره عن موسى بن وردان عن ابي نضرة عن ابي سعيد وعن مكحول عن ابي

هريرة قال ان عيسى بن مريم عليه السلام اول ما اطلق الله لسانه بعد الكلام الذي تكلم به
وهو طفل فمجد الله تمجيدا لم تسمع الاذان بمثله لم يدع شمسا ولا قمرا ولا جبلا ولا نهرا ولا عينا
الا ذكره في تمجيده فقال اللهم انت القريب في علوك المتعالي في دنوك الرفيع على
كل شي من خلقك انت الذي خلقت سبعا في الهوا بكلماتك مستويات طباقا اجبن
وهن دخان من فرقك فاتين طايعات لامرك فيهن ملايكتك يسبحون قدسك
لتقديسك وجعلت فيهن نورا على سواد الظلام وضيا من ضو الشمس بالنهار وجعلت
فيهن الرعد المسبح بالحمد فبعزتك يجلو ضو ظلمتك وجعلت فيهن مصابيح يهتدى بهن
في الظلمات الحيران فتباركت اللهم في مفطور سمواتك وفيما دحوت من ارضك دحوتها
على الماء فسمكتها على تيار الموج المتغامر فاذللتها اذلال المطيع المتظاهر فذلت لطاعتك
صعبها واستحيا لامرك امرها وخضعت لعزتك امواجها ففجرت فيها بعد البحور الانهار
ومن بعد الانهار الجداول الصغار ومن بعد الجداول ينابيع العيون الغزار ثم اخرجت منها
الانهار والاشجار والثمار ثم جعلت على ظهرها الجبال فوتدتها اوتادا على ظهر الما فاطاعت
اطوادها وجلودها فتباركت اللهم فمن يبلغ بنعته نعتك ام من يبلغ بصفته صفتك تنشر
السحاب وتفك الرقاب وتقضي الحق وانت خير الفاصلين لا اله الا انت سبحانك امرت
ان نستغفرك من كل ذنب لا اله الا انت سبحانك سترت السموات عن الناس لا اله الا انت
سبحانك انما يخشاك من عبادك الاكياس فنشهد انك لست باله استحدثناك
ولا رب يبيد ذكره ولا كان معك شركا ندعوهم ونذرك ولا اعانك على خلقنا احد فنشك
فيك نشهد انك احد صمد لم تلد ولم تولد ولم يكن لك كفوا احد وقال اسحق بن بشر
ومقاتل عن الضحاك عن ابن عباس ان عيسى ابن مريم امسك عن الكلام بعد اذ كلمهم طفلا
حتى بلغ ما يبلغ الغلمان ثم انطقه الله بعد ذلك بالحكمة والبيان فاكثر اليهود فيه
وفي امه من القول فكانوا يسمونه ابن البغية وذلك قوله تعالى وبكفرهم وقولهم على مريم
بهتانا عظيما قال فلما بلغ سبع سنين اسلمته امه في الكتاب فجعل لا يعلمه المعلم الا
بدره اليه فعلمه ابا جاد فقال عيسى ما ابو جاد فقال المعلم لا ادري فقال عيسى كيف
تعلمني ما لا تدري فقال المعلم اذا فعلمني فقال له عيسى فقم من مجلسك فقام فجلس عيسى
مجلسه فقال سلني فقال المعلم ما ابو جاد فقال عيسى الالف الا الله البا بها الله
جيم بهجة الله وجماله فتعجب المعلم من ذلك فكان اول من فسر ابا جاد ثم ذكر ان عثمان
سال رسول الله عن ذلك فاجابه على كل كلمة بحديث طويل موضوع لا يشك فيه ولا
يتمارى وهكذا روى ابن عدي من حديث اسماعيل بن عياش عن اسماعيل بن يحيى عن ابن ابي
مليكة عمن حدثه عن ابن مسعود وعن مسعر بن كدام عن عطية عن ابي سعيد رفع الحديث
في دخول عيسى الى الكتاب وتعليمه المعلم معنى حروف ابا جاد وهو مطول لا يفرح به
ثم قال ابن عدي وهذا الحديث باطل بهذا الاسناد لا يرويه غير اسماعيل وروى ابن
لهيعة عن عبد الله بن هبيرة قال كان عبد الله بن عمرو يقول كان عيسى بن مريم وهو
غلام يلعب مع الصبيان فكان يقول لاحدهم تريد ان اخبرك ما خبات لك امك فيقول
نعم فيقول خبات لك كذا وكذا فيذهب الغلام منهم الى امه فيقول لها اطعميني
ما خبات لي فتقول واي شي خبات لك فيقول كذا وكذا فتقول له من اخبرك فيقول

عيسى بن مريم فقالوا والله لئن تركتم هولاء الصبيان مع ابن مريم ليفسدنهم فجمعوهم
فى بيت فسال عنهم واغلقوا عليهم فخرج عيسى يلتمسهم فلم يجدهم فسمع ضوضاهم
فى بيت فسال عنهم فقالوا انما هولاء قردة وخنازير فقال اللهم كذلك فكانوا كذلك
رواه ابن عساكر وقال اسحاق بن بشر عن جويبر ومقاتل عن الضحاك عن ابن عباس قال
وكان عيسى يرى العجايب فى صباه الهاما من الله ففشا ذلك فى اليهود وترعرع
عيسى فهمت به بنو اسرائيل فخافت امه عليه فاوحى الله اليها ان تنطلق به الى ارض
مصر فذلك قوله تعالى وجعلنا ابن مريم وامه اية واويناهما الى ربوة ذات قرار ومعين
وقد اختلف السلف والمفسرون فى المراد بهذه الربوة التى ذكر من صفتها انها ذات قرار
ومعين وهذه صفة غريبة الشكل وهى انها ربوة وهو المكان المرتفع من الارض الذى
اعلاه مستو يقر عليه ثم ارتفاعه متسع ومع علوه فيه عين من الماء معين وهو
الجارى السارح على وجه الارض فقيل المكان الذى ولدت فيه المسيح وهو نخلة بيت
المقدس ولهذا ناداها من تحتها الا تحزنى قد جعل ربك تحتك سريا وهو النهر
الصغير فى قول جمهور السلف وعن ابن عباس باسناد جيد انها انهار دمشق فلعله
اراد تشبيه ذلك المكان بانهار دمشق وقيل ذلك بمصر كما زعمه من زعمه من اهل الكتاب
ومن تلقاه منهم والله اعلم وقيل هى الرملة قال اسحاق بن بشر قال لنا ادريس
عن جده وهب بن منبه قال ان عيسى لما بلغ ثلاث عشرة سنة امره الله ان يرجع
من بلاد مصر الى بيت المقدس ايليا قال فقدم عليه يوسف ابن خال امه فحملهما
على حمار حتى جاء بهما الى ايليا واقام بها حتى احدث الله الانجيل وعلمه التورية واعطاه
احيا الموتى وابرا الاسقام والعلم بالغيوب مما يدخرون فى بيوتهم وتحدث الناس بقدومه
وفزعوا لما كان ياتى من العجايب فجعلوا يعجبون منه فدعاهم الى الله ففشا فيهم امره وقال
ابو زرعة الدمشقى ثنا عبد الله بن صالح حدثنى معاوية بن صالح عمن حدثه قال
انزلت التورية على موسى فى ست ليال خلون من شهر رمضان ونزل الزبور على داود
فى اثنتى عشرة خلت من شهر رمضان وذلك بعد التورية باربعماية سنة واثنتين
وثمانين سنة وانزل الانجيل على عيسى بن مريم فى ثمانى عشرة ليلة خلت من شهر رمضان
بعد الزبور بالف عام وخمسين عاما وانزل الفرقان على محمد صلى الله عليه وسلم فى اربع
وعشرين من شهر رمضان وقد ذكرنا فى التفسير عند قوله شهر رمضان الذى انزل فيه
القران الاحاديث الواردة فى ذلك ومنها ان الانجيل انزل على عيسى عليه السلام فى
ثمانى عشرة ليلة خلت من شهر رمضان وذكر ابن جرير فى تاريخه انه انزل عليه وهو
ابن ثلاثين سنة ومكث حتى رفع الى السما وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة كما سياتى بيانه
ان شا الله تعالى وقال اسحاق بن بشر وانا سعيد بن ابى عروبة عن قتادة ومقاتل
عن قتادة عن عبد الرحمن بن ادم عن ابى هريرة قال اوحى الله عز وجل الى عيسى بن
مريم يا عيسى جد فى امرى ولا تهن واسمع واطع يا ابن الطاهرة البكر البتول انك من
غير فحل وانا خلقتك اية للعالمين اياى فاعبد وعلى فتوكل خذ الكتاب بقوة فسر
لاهل السريانية بلغ من بين يديك انى انا الحى القايم الذى لا ازول صدقوا النبى
الامى صاحب الجمل والتاج وهو العمامة والمدرعة والنعلين والهراوة وهى القضيب

الانجل

الانجل العينين الصلت الجبين الواضح الخدين الجعد الراس الكث اللحية المقرون
الحاجبين الاقنى الانف المفلج الثنايا البادى العنفقة الذى كان عنقه ابريق
فضة وكان الذهب يجرى فى تراقيه له شعرات من لبته الى سرته تجرى كالقضيب ليس على
بطنه ولا على صدره شعر غيره شثن الكف والقدم اذا التفت التفت جميعا واذا
مشى كانما يتقلع من صخرة وينحدر من صبب عرقه فى وجهه كاللولو وريح المسك ينفح منه
لم ير قبله ولا بعده مثله الحسن القامة الطيب الريح نكاح النسا ذا النسل القليل
انما نسله من مباركة لها بيت يعنى فى الجنة من قصب لا نصب فيه ولا صخب تكفله
يا عيسى فى اخر الزمان كما كفل زكريا امك له منها فرخان مستشهدان وله عندى
منزلة ليست لاحد من البشر كلامه القران ودينه الاسلام وانا السلام طوبى لمن ادرك
زمانه وشهد ايامه وسمع كلامه قال عيسى يا رب وما طوبى قال غرس شجرة انا غرستها
بيدى فهى للجنان كلها اصلها من رضوان وماوها من تسنيم وبرده برد الكافور
وطعمها طعم الزنجبيل وريحها ريح المسك من شرب منه شربة لم يظما بعدها ابدا
قال عيسى يا رب اسقنى منها قال حرام على النبيين ان يشربوا منها حتى يشرب ذلك
النبى وحرام على الامم ان يشربوا منها حتى تشرب امة ذلك النبى قال يا عيسى ارفعك الى
قال يا رب ولم ترفعنى قال ارفعك ثم اهبطك فى اخر الزمان لترى من امة ذلك النبى
العجايب ولتعينهم على قتال اللعين الدجال اهبطك فى وقت صلاة ثم لا تصلى بهم لانها
امة مرحومة ولا نبى بعد نبيهم وقال هشام بن عمار عن الوليد بن مسلم عن عبد الرحمن بن زيد
عن ابيه ان عيسى قال يا رب انبينى عن هذه الامة المرحومة قال امة احمد هم علما
حكما كانهم انبيا يرضون منى بالقليل من العطا وانا ارضى منهم باليسير من العمل ادخلهم
الجنة بلا اله الا الله يا عيسى هم اكثر سكان الجنة لانه لم تذل السن قوم قط بلا اله الا الله
كما ذلت السنتهم ولم تذل رقاب قوم قط بالسجود كما ذلت به رقابهم رواه ابن عساكر
وروى ابن عساكر من طريق عبد الله بن بدر العقيلى عن عبد الله بن عوسجة قال اوحى الله
الى عيسى بن مريم انزلنى من نفسك كهمك واجعلنى ذخرا لك فى معادك وتقرب الى بالنوافل
احبك ولا تول غيرى فاخذلك اصبر على البلا وارض بالقضا وكن لمسرتى فيك فان مسرتى
ان اطاع فلا اعصى وكن منى قريبا واحى ذكرى بلسانك ولتكن مودتى فى صدرك تيقظ
من ساعات الغفلة واحكم لى لطيف الفطنة وكن لى راغبا راهبا وامت قلبك من
الخشية وراع الليل لحق مسرتى واظم نهارك ليوم الرى عندى نافس فى الخيرات جهدك
واعترف بالخير حيث توجهت وقم فى الخلايق بنصيحتى واحكم فى عبادى بعدلى فقد
انزلت عليك شفا وساوس الصدور من مرض النسيان وجلا الابصار من غشا
الكلال ولا تكن حلسا كانك مقبوض وانت حى تتنفس يا عيسى ما امنت بى خليقة الا
خشعت ولا خشعت لى الا رجت ثوابى فاشهدك انها امنة من عقابى ما لم تغير
او تبدل سنتى يا عيسى بن مريم البكر البتول ابك على نفسك ايام الحياة بكا من ودع
الاهل وقلى الدنيا وترك اللذات وارتفعت رغبته فيما عند الاهه وكن فى ذلك
تلين الكلام وتفشى السلام وكن يقظانا اذا نامت عيون الابرار حذارا لما هو ات
من امر المعاد وزلازل شدايد الاهوال قبل ان لا ينفع اهل ولا مال واكحل عينيك بملمول الحزن

اذا ضحك البطالون وكنت في ذلك صابرا محتسبا فطوبى لك ان نالك ما وعدت الصابرين
درج من الدنيا بالله بيوم بيوم وذق منها قنة ما هرب منك ابن طعمه ما لم ياتك كيف لذته
اخرج من الدنيا بالبلغة وليكفك منها الخشن الجشب قد جيبهم رايت الى ما يصير اعمل
على حساب فانك مسئول لو ان عينك ما اعددت لاوليائي الصالحين ذاب قلبك وزهقت
نفسك وقال ابو داود في كتاب القدر حدثنا محمد بن يحيى بن فارس ثنا عبد الرزاق ثنا
معمر عن الزهري وعن ابن طاوس عن ابيه قال لقي عيسى ابن مريم ابليس فقال اما علمت انه
لن يصيبك الا ما كتب لك قال ابليس فاوف بذروة الجبل فتردى منه فانظر هل تعيش
ام لا فقال ابن طاوس عن ابيه فقال عيسى اما علمت ان الله قال لا يجربني عبدي فاني افعل
ما شئت وقال الزهري ان العبد لا يبتلي ربه ولكن الله يبتلي عبده قال ابو داود ثنا احمد بن
عبدة انا سفيان عن عمرو بن طاوس قال اتى الشيطان عيسى بن مريم فقال الست تزعم انك صادق
فات هذه فالق نفسك قال ويلك اليس قال يا ابن ادم لا تسالني هلاك نفسك فاني افعل
ما اشاء حدثنا ابو توبة الربيع بن نافع ثنا حسين بن طلحة سمعت خالد بن يزيد قال تعبد
الشيطان مع عيسى عشر سنين او سنتين اقام يوما على شفير جبل فقال الشيطان ارايت
ان القيت نفسي هل يصيبني الا ما كتب لي قال اني لست بالذي ابتلي ربي ولكن ربي اذا شا ابتلاني
وعرف انه الشيطان ففارقه وقال ابو بكر بن ابي الدنيا ثنا شريح بن يونس ثنا علي بن
ثابت عن الخطاب بن القسم عن ابي عثمان قال كان عيسى عليه السلام يصلي على راس جبل فاتاه
ابليس فقال انت الذي تزعم ان كل شي بقضا وقدر قال نعم قال الق نفسك من الجبل
وقل قدر علي فقال يا لعين الله تختبر العباد ليس العباد يختبرون الله عز وجل وقال
ابو بكر بن ابي الدنيا ثنا الفضل بن موسى البصري ثنا ابراهيم بن يسار سمعت سفيان بن
عيينة لقي عيسى بن مريم ابليس فقال له ابليس يا عيسى بن مريم انت الذي بلغ من عظم
ربوبيتك انك تكلمت في المهد صبيا ولم يتكلم فيه احد قبلك قال بل الربوبية
للاله الذي انطقني ثم يميتني ثم يحييني قال فانت الذي بلغ من عظم ربوبيتك انك
تحيي الموتى قال بل الربوبية لله الذي يحيي ويميت من احييت ثم يحييه قال والله
انك لاله في السما واله في الارض قال فصكه جبريل صكة بجناحه فما تناهى دون قرون
الشمس ثم صكه اخرى بجناحه فما تناهى دون العين الحامية ثم صكه اخرى فادخله بحار
السابعة فساخه وفي رواية فاسلكه فيها حتى وجد طعم الحماة فخرج منها وهو يقول
ما لقي احد من احد ما لقيت منك يا ابن مريم وقد روي نحو هذا بابسط منه من وجه اخر قال
الحافظ ابو بكر الخطيب اخبرني ابو الحسين بن رزقويه انا ابو بكر احمد بن سندي ثنا ابو محمد
الحسن بن علي القطان ثنا اسماعيل بن عيسى العطار انا علي بن عاصم حدثني ابو سلمة سويد عن
بعض اصحابه قال صلى عيسى ببيت المقدس فانصرف فلما كان ببعض العقبة عرض له
ابليس فاحتبسه فجعل يعرض عليه ويكلمه ويقول له انه لا ينبغي لك ان تكون عبدا فاكثر عليه
وجعل عيسى يحرص على ان يتخلص منه فجعل لا يتخلص منه فقال له فيما يقول لا ينبغي لك يا عيسى
ان تكون عبدا قال فاستغاث عيسى ربه فاقبل جبريل وميكائيل فلما راهما ابليس كف
فلما استقرا معه على العقبة اكتنفا عيسى وضرب جبريل ابليس بجناحه فقذفه في بطن
الوادي قال فعاد ابليس معه وعلم انهما لم يؤمرا بغيره فقال لعيسى قد اخبرتك انه لا ينبغي

ان تكون

ان تكون عبدا ان غضبك ليس بغضب عبد وقد رايت ما لقيت منك حين غضبت
ولكن ادعوك الى امر هو لك آمر الشياطين فليطيعوك فاذا راى البشر ان الشياطين قد
اطاعوك عبدوك اما اني لا اقول ان تكون الها ليس معه اله ولكن الله يكون الها في السما
وتكون انت الها في الارض فلما سمع عيسى ذلك منه استغاث به وصرخ صرخة شديدة فاذا
اسرافيل قد هبط فنظر اليه جبريل وميكائيل فكف ابليس فلما استقر معهم ضرب اسرافيل
ابليس بجناحه فصك به عين الشمس ثم ضربه ضربة اخرى فاقبل ابليس يهوي ومر بعيسى
وهو بمكانه فقال يا عيسى لقد لقيت فيك اليوم تعبا شديدا فرمى به في عين الشمس
فوجد سبعة املاك عند العين الحامية قال فغطوه فجعل كلما خرج غطوه في تلك
الحماة قال والله ما عاد اليه بعد قال وحدثنا اسماعيل العطار ثنا ابو حذيفة
قال واجتمع اليه شياطينه فقالوا يا سيدنا قد لقيت تعبا قال ان هذا عبد معصوم
ليس لي عليه من سبيل وساضل به بشرا كثيرا وابث فيهم اهوا مختلفة واجعلهم شيعا و
يجعلونه وامه الهين من دون الله قال وانزل الله فيما ايد به عيسى وعصمه من
ابليس قرانا ناطقا يذكر نعمته على عيسى فقال يا عيسى بن مريم اذكر نعمتي عليك وعلى
والدتك اذ ايدتك بروح القدس يعني اذ قويتك بروح القدس يعني جبريل تكلم الناس
في المهد وكهلا واذ علمتك الكتاب يعني الانجيل والتورية والحكمة واذ كففت بني اسرائيل
عنك الاية كلها واذ جعلت المساكين لك بطانة وصحابة واعوانا ترضى بهم وصحابة
واعوانا يرضون بك هاديا وقائدا الى الجنة فذلك فاعلم خلقان عظيمان من لقيني بهما فقد
لقيني بازكى الخلايق وارضاها عندي وسيقول لك بنوا اسرائيل صمنا فلم يتقبل صيامنا وصلينا
فلم تقبل صلاتنا وتصدقنا فلم تقبل صدقتنا وبكينا بمثل حنين الجمال فلم يرحم بكانا
فقل لهم ولم ذاك وما الذي يمنعني ان ذات يدي قلت او ليس خزاين السموات والارض
بيدي انفق منها كيف اشا او ان البخل يعتريني اولست اجود من سيل واوسع من اعطى
وان رحمتي ضاقت وانما يتراحم المتراحمون بفضل رحمتي ولولا ان هولا القوم يا عيسى
ابن مريم غذوا انفسهم بالحكمة التي تورث في قلوبهم فاستاثروا بها الدنيا اثره على
الاخرة لعرفوا من اين اتوا واذا لايقنوا ان انفسهم هي اعدا الاعدا لهم وكيف اقبل صيامهم
وهم يتقوون عليه بالاطعمة الحرام وكيف اقبل صدقاتهم وهم يغصبون الناس عليها
فياخذونها من غير حلها يا عيسى انما اجزي عليها اهلها وكيف ارحم بكاهم وايديهم تقطر
من دما الانبيا ازددت عليهم غضبا يا عيسى وقضيت يوم خلقت السموات والارض
انه من عبدني وقال فيكما بقولي ان اجعلهم جيرانك في الدار ورفقاك في المنازل وشركاك
في الكرامة وقضيت يوم خلقت السموات والارض انه من اتخذك وامك الهين من دون
الله ان اجعلهم في الدرك الاسفل من النار وقضيت يوم خلقت السموات والارض اني مثبت
هذا الامر على يدي محمد واختم به الانبيا والرسل ومولده بمكة ومهاجره بطيبة وملكه
بالشام ليس بفظ ولا غليظ ولا سخاب في الاسواق ولا متزين بالفحش ولا قوال
بالخنا اسدده لكل امر جميل واهب له كل خلق كريم اجعل التقوى ضميره والحكمة معقوله
والوفا طبيعته والعدل سيرته والحق شريعته والاسلام ملته واسمه احمد اهدي به بعد
الضلالة واعلم به بعد الجهالة واغني به بعد العايلة وارفع به بعد الضعة اهدي

به وانفح به من اذان صم وقلوب واموال مختلفة متفرقة اجعل امته خير امة اخرجت للناس
تامرون بالمعروف وتنهون عن المنكر اخلاصا لاسمي وتصديقا لما جاءت به الرسل الهمهم التسبيح
والتهليل والتقديس في مساجدهم ومجالسهم وبيوتهم ومنقلبهم ومثواهم يصلون لي قياما
وقعودا وركعا وسجودا ويقاتلون في سبيلي صفوفا وزحوفا قربانهم دماؤهم واناجيلهم في
صدورهم وقربانهم في بطونهم رهبان بالليل ليوث بالنهار ذلك فضلي اوتيه من اشاء وانا
ذو الفضل العظيم وسنذكر ما نصدق كثيرا من هذا السياق بما سنورده من سورة المائدة
والصف ان شاء الله وبه الثقة وقد روى ابو حذيفة اسحاق بن بشر باسناده عن كعب
الاحبار ووهب بن منبه وابن عباس وسلمان الفارسي دخل حديث بعضهم في بعض لما
بعث عيسى بن مريم وجاءهم بالبينات جعل الكافرون والمنافقون من بني اسرائيل يعجبون
منه ويستهزءون به فيقولون ما اكل فلان البارحة وما ادخر في منزله فيخبرهم فيزداد المنافقون
ايمانا والكافرون والمنافقون شكا وكفرانا وكان عيسى مع ذلك ليس له منزل ياوي اليه
انما يسيح في الارض ليس له قرار ولا موضع يعرف به فكان اول ما احيى من الموتى انه مر ذات
يوم على امراة قاعدة عند قبر وهي تبكي فقال لها ما لك ايتها المراة فقالت ماتت
ابنة لي لم يكن لي ولد غيرها واني عاهدت ربي ان لا ابرح من موضعي هذا حتى اذوق ما ذاقت
من الموت او يحييها الله لي فانظر اليها فقال لها عيسى ارايت ان نظرت اليها اراجعة
انت قالت نعم قالوا فصلى ركعتين ثم جاء فجلس عند القبر فنادى يا فلانة قومي باذن
الرحمن فاخرجي قال فتحرك القبر ثم نادى الثانية فانصدع القبر باذن الله ثم نادى
الثالثة فخرجت وهي تنفض راسها من التراب فقال لها عيسى ما ابطا بك عني فقالت
لما جاءتني الصيحة الاولى بعث الله الي ملكا فركب خلقي ثم جاءتني الصيحة الثانية
فرجع الي روحي ثم جاءتني الصيحة الثالثة فخفت انها صيحة القيامة فشاب راسي
وحاجباي واشفار عيني من مخافة القيامة ثم اقبلت على امها فقالت يا امتاه ما حملك
على ان اذوق كرب الموت مرتين يا امتاه اصبري واحتسبي فلا حاجة لي في الدنيا يا روح
الله وكلمته سل ربي ان يردني الى الاخرة وان يهون علي كرب الموت فدعا ربه فقبضها اليه
واستوت عليها الارض فبلغ ذلك اليهود فازدادوا عليه غضبا وقدمنا في قصة
نوح ان بني اسرائيل سالوه ان يحيي لهم سام بن نوح فدعا الله عز وجل وصلى لله فاحياه
لهم فحدثهم عن السفينة وامرها ثم دعا فعاد ترابا وقد روى السدي عن ابي صالح وابي
مالك عن ابن عباس في خبر ذكره وفيه ان ملكا من ملوك بني اسرائيل مات وحمل على سريره فجاء
عيسى عليه السلام فدعا الله عز وجل فاحياه الله عز وجل فراى الناس امرا هائلا ومنظرا
عجيبا قال الله تعالى وهو اصدق القائلين اذ قال الله يا عيسى ابن مريم اذكر نعمتي
عليك وعلى والدتك اذ ايدتك بروح القدس تكلم الناس في المهد وكهلا واذ علمتك
الكتاب والحكمة والتوراة والانجيل واذ تخلق من الطين كهيئة الطير باذني فتنفخ فيها
فتكون طيرا باذني وتبرئ الاكمه والابرص باذني واذ تخرج الموتى باذني واذ كففت بني
اسرائيل عنك اذ جئتهم بالبينات فقال الذين كفروا منهم ان هذا الا سحر مبين واذ اوحيت
الى الحواريين ان امنوا بي وبرسولي قالوا امنا واشهد باننا مسلمون يذكر تعالى نعمه عليه
واحسانه اليه في خلقه اياه من غير اب بل من ام بلا ذكر وجعله اية للناس ودلالة على

كمال

كمال قدرته تعالى ثم ارساله بعد هذا كله وعلى والدته في اصطفائها واختيارها لهذه
النعمة العظيمة واقامة البرهان على براءتها مما نسبها اليه الجاهلون ولهذا قال اذ ايدتك
بروح القدس وهو جبريل بالقاء روحه الى امه وقرنه معه في حال رسالته ومدافعته
عنه لمن كفر به تكلم الناس في المهد وكهلا اي تدعو الناس الى الله في حال صغرك في مهدك
وفي كهولتك واذ علمتك الكتاب والحكمة اي الخط والفهم نص عليه بعض السلف
والتوراة والانجيل وقوله واذ تخلق من الطين كهيئة الطير باذني اي تصوره وتشكله
من الطين على هيئة الطير عن امر الله له بذلك فتنفخ فيه فيكون طيرا باذني اي بامري يؤكد
تعالى بذكر الاذن له في ذلك لرفع التوهم وقوله وتبرئ الاكمه قال بعض السلف وهو الذي
يولد اعمى ولا سبيل لاحد من الحكماء الى مداواته والابرص وهو الذي لا طب فيه بل قد مرض
بالبرص وصار داؤه عضالا واذ تخرج الموتى باذني اي من قبورهم احياء باذني وقد تقدم
ما فيه دلالة على وقوع ذلك مرارا متعددة مما فيه كفاية وقوله واذ كففت بني اسرائيل
عنك اذ جئتهم بالبينات فقال الذين كفروا منهم ان هذا الا سحر مبين وذلك حين ارادوا
صلبه فرفعه الله اليه وانقذه من بين اظهرهم صيانة لجنابه الكريم عن الاذى وسلامة
له من الردى وقوله واذ اوحيت الى الحواريين ان امنوا بي وبرسولي قالوا امنا واشهد
باننا مسلمون قيل المراد بهذا الوحي وحي الالهام اي ارشدهم الله اليه ودلهم عليه كما قال
تعالى واوحى ربك الى النحل واوحينا الى ام موسى ان ارضعيه فاذا خفت عليه فالقيه في
اليم وقيل المراد وحي بواسطة الرسول وتوفيق في قلوبهم لقبول الحق ولهذا استجابوا
قائلين امنا واشهد باننا مسلمون وهذا من جملة نعم الله على عبده ورسوله عيسى بن
مريم ان جعل له انصارا واعوانا وحواريين ينصرونه ويدعون معه الى عبادة الله
وحده لا شريك له كما قال تعالى لعبده محمد هو الذي ايدك بنصره وبالمؤمنين والف
بين قلوبهم لو انفقت ما في الارض جميعا ما الفت بين قلوبهم ولكن الله الف بينهم
انه عزيز حكيم وقال تعالى ويعلمه الكتاب والحكمة والتوراة والانجيل ورسولا الى بني
اسرائيل اني قد جئتكم باية من ربكم اني اخلق لكم من الطين كهيئة الطير فانفخ فيه فيكون
طيرا باذن الله وابرئ الاكمه والابرص واحيي الموتى باذن الله وانبئكم بما تاكلون وما
تدخرون في بيوتكم ان في ذلك لاية لكم ان كنتم مؤمنين ومصدقا لما بين يدي من التوراة
ولاحل لكم بعض الذي حرم عليكم وجئتكم باية من ربكم فاتقوا الله واطيعون ان الله ربي
وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم فلما احس عيسى منهم الكفر قال من انصاري الى الله
قال الحواريون نحن انصار الله امنا بالله واشهد بانا مسلمون ربنا امنا بما انزلت واتبعنا
الرسول فاكتبنا مع الشاهدين ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين كانت معجزة
كل نبي في زمانه بما يناسب اهل ذلك الزمان فذكروا ان موسى عليه السلام كانت معجزته
مما يناسب اهل زمانه فكانوا سحرة اذكياء فبعث بايات بهرت الالباب وخضعت لها
الرقاب ولما كان السحرة خبيرين بفنون السحر وما ينتهي اليه وعاينوا ما عاينوا من الامر
الباهر الهائل الذي لا يمكن صدوره الا من ايده الله واجرى الخارق على يديه تصديقا له
اسلموا سراعا ولم يتلعثموا وهكذا عيسى بن مريم بعث في زمن الطبائعية الحكماء فارسل
بمعجزات لا يستطيعونها ولا يهتدون اليها وانى لحكيم ابراء الاكمه الذي هو اسوا حالا من الاعمى

والابرص والمجذوم ومن به مرض مزمن وكيف يتوصل احد من الخلق الى ان يقيم الميت من
قبره هذا مما يعلم كل احد انه معجزة دالة على صدق من قامت به وعلى قدرة من ارسله وهكذا
محمد صلوات الله وسلامه عليه وعليهم اجمعين بعث في زمن الفصحاء البلغاء فانزل الله
عليه القرآن العظيم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد فلفظه
معجز تحدى به الانس والجن ان يأتوا بمثله او بعشر سور من مثله او بسورة وقطع عليهم بانهم لا يقدرون
لا في الحال ولا في الاستقبال فان لم يفعلوا ولن تفعلوا وما ذاك الا لانه كلام الخالق والله تعالى
لا يشبهه شي لا في ذاته ولا في صفاته ولا في افعاله والمقصود ان عيسى عليه السلام لما اقام عليهم
الحجج والبراهين استمر اكثرهم على كفرهم وضلالهم وعنادهم وطغيانهم فانتدب له من بينهم طايفة
صالحة انصارا واعوانا قاموا بمتابعته ونصرته ومناصحته وذلك حين هم به بنوا اسرايل
ووشوا به الى بعض ملوك ذلك الزمان فعزموا على قتله وصلبه فانقذه الله منهم ورفعه
اليه من بين اظهرهم والقى شبهه على احد اصحابه فاخذوه فقتلوه وصلبوه وهم يعتقدونه
عيسى وهم في ذلك غالطون وللحق مكابرون وسلم لهم كثير من النصارى ما ادعوه وكلا
الفريقين في ذلك مخطيون قال تعالى ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين وقال تعالى
واذ قال عيسى بن مريم يا بني اسرايل اني رسول الله اليكم مصدقا لما بين يدي من التوراة
ومبشرا برسول يأتي من بعدي اسمه احمد فلما جاءهم بالبينات قالوا هذا سحر مبين ومن اظلم
ممن افترى على الله الكذب وهو يدعى الى الاسلام والله لا يهدي القوم الظالمين يريدون ليطفيوا
نور الله بافواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون هو الذي ارسل رسوله بالهدى ودين الحق
ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون الى ان قال بعد ذلك يا ايها الذين امنوا كونوا انصار
الله كما قال عيسى بن مريم للحواريين من انصاري الى الله قال الحواريون نحن انصار الله فامنت
طايفة من بني اسرايل وكفرت طايفة فايدنا الذين امنوا على عدوهم فاصبحوا ظاهرين فعيسى
عليه السلام هو خاتم انبيا بني اسرايل وقد قام فيهم خطيبا فبشرهم بخاتم الانبيا الاتي
بعده ونوه باسمه وذكر لهم صفته ليعرفوه ويتابعوه اذا شاهدوه اقامة للحجة عليهم
واحسانا من الله اليهم كما قال تعالى الذين يتبعون الرسول النبي الامي الذي يجدونه مكتوبا
عندهم في التوراة والانجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم
عليهم الخبايث ويضع عنهم اصرهم والاغلال التي كانت عليهم فالذين امنوا به وعزروه ونصروه
واتبعوا النور الذي انزل معه اولئك هم المفلحون قال محمد بن اسحاق حدثني ثور بن يزيد
عن خالد بن معدان عن اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم انهم قالوا يا رسول الله اخبرنا
عن نفسك قال دعوة ابي ابراهيم وبشرى عيسى ورات امي حين حملت كانه خرج منها نور اضاءت
له قصور بصرى من ارض الشام وقد روي عن العرباض بن سارية وابي امامة عن النبي صلى الله
عليه وسلم نحو هذا وفيه دعوة ابي ابراهيم وبشرى عيسى وذلك ان ابراهيم لما بنى الكعبة قال
ربنا وابعث فيهم رسولا منهم الاية ولما انتهت النبوة في بني اسرايل الى عيسى قام فيهم
خطيبا فاخبرهم ان النبوة قد انقطعت عنهم وانها بعده في النبي العربي الامي خاتم الانبيا على
الاطلاق احمد وهو محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم الذي هو من سلالة اسماعيل
بن ابراهيم الخليل عليه السلام قال الله تعالى فلما جاءهم بالبينات قالوا هذا سحر مبين
يحتمل عود الضمير الى عيسى عليه السلام ويحتمل عوده الى محمد صلى الله عليه وسلم ثم حرض

الله تعالى عباده المؤمنين على نصرة الاسلام واهله ونصرة نبيه ومؤازرته ومعاونته على اقامة
الدين ونشر الدعوة فقال يا ايها الذين امنوا كونوا انصار الله كما قال عيسى بن مريم للحواريين
من انصاري الى الله قال الحواريون نحن انصار الله وكان ذلك في قرية يقال لها الناصرة
فسموا النصارى بذلك قال الله تعالى فامنت طايفة من بني اسرايل وكفرت طايفة يعني
لما دعى عيسى بني اسرايل وغيرهم الى الله تعالى منهم من امن ومنهم من كفر فكان ممن امن به اهل انطاكية
بكمالهم فيما ذكره غير واحد من اهل السير والتواريخ والتفسير بعث اليهم رسلا ثلاثة احدهم
شمعون الصفا فامنوا واستجابوا وليس هؤلاء هم المذكورون في سورة يس لما تقدم تقريره
في قصة اصحاب القرية وكفر اخرون من بني اسرايل وهم جمهور اليهود فايد الله من امن به على
من كفر فيما بعد فاصبحوا ظاهرين عليهم قاهرين لهم كما قال الله تعالى اذ قال الله يا عيسى
اني متوفيك ورافعك الي ومطهرك من الذين كفروا وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا
الى يوم القيمة الاية فكل من كان اليه اقرب كان غالبا لمن دونه ولما كان قول المسلمين فيه هو
الحق لا شك فيه من انه عبد الله ورسوله كانوا ظاهرين على النصارى الذين غلوا فيه واطروه
وانزلوه فوق ما انزله الله به ولما كان النصارى اقرب في الجملة مما ذهب اليه اليهود فيه عليهم
لعاين الله كان النصارى قاهرين لليهود في ازمان الفترة الى زمن الاسلام واهله

ذكر خبر المايدة

قال الله تعالى اذ قال الحواريون يا عيسى بن مريم هل يستطيع ربك ان ينزل علينا مايدة
من السما قال اتقوا الله ان كنتم مؤمنين قالوا نريد ان ناكل منها وتطمين قلوبنا ونعلم
ان قد صدقتنا ونكون عليها من الشاهدين قال عيسى بن مريم اللهم ربنا انزل علينا
مايدة من السما تكون لنا عيدا لاولنا واخرنا واية منك وارزقنا وانت خير الرازقين
قال الله اني منزلها عليكم فمن يكفر بعد منكم فاني اعذبه عذابا لا اعذبه احدا من العالمين
قد ذكرنا في التفسير الاثار الواردة في نزول المايدة عن ابن عباس وسلمان الفارسي وعمار بن ياسر
وغيرهم من السلف ومضمون ذلك ان عيسى عليه السلام امر الحواريين بصيام ثلاثين يوما
فلما اتموها سالوا من عيسى انزال مايدة من السما عليهم ليأكلوا منها وتطمين بذلك قلوبهم
ان الله قد تقبل صيامهم واجابهم الى طلبتهم ويكون لهم عيدا يفطرون عليها يوم فطرهم
وتكون كافية لاولهم واخرهم لغنيهم وفقيرهم فوعظهم عيسى عليه السلام في ذلك وخاف
عليهم ان لا يقوموا بشكرها او لا يؤدوا حق شروطها فابوا عليه الا ان يسال لهم ذلك من ربه
عز وجل فلما لم يقلعوا عن ذلك قام الى مصلاه ولبس مسحا من شعر وصف بين قدميه واطرق
راسه واسبل عينيه بالبكا وتضرع الى الله في الدعاء والسؤال ان يجابوا الى ما طلبوا
فانزل الله تعالى المايدة من السما والناس ينظرون اليها تنحدر بين غمامتين وجعلت
تدنو قليلا قليلا وكلما دنت سال عيسى عليه السلام ربه عز وجل ان يجعلها رحمة لا نقمة
وان يجعلها بركة وسلامة فلم تزل تدنو حتى استقرت بين يدي عيسى عليه السلام وهي مغطاة
بمنديل فقام عيسى يكشف عنها وهو يقول بسم الله خير الرازقين فاذا عليها سبعة
من الحيتان وسبعة ارغفة ويقال وخل ورمان وثمار ولها رايحة عظيمة جدا قال الله لها كوني
فكانت ثم امرهم بالاكل منها فقالوا لا ناكل حتى تاكل فقال انكم الذين ابتداتم السؤال لها فابوا
ان ياكلوا منها ابتدا فامر الفقرا والمحاويج والمرضى والزمنى وكانوا قريبا من الف وثلثماية

فاكلوا منها فبرأ كل من به عاهة او آفة او مرض مزمن فندم الناس على ترك الاكل منها لما رأوا من
اصلاح حال اولئك ثم قيل انها كانت تنزل كل يوم فياكل الناس منها ياكل آخرهم كما ياكل اولهم
حتى انها كان ياكل منها نحو من سبعة آلاف ثم كانت تنزل يوما بعد يوم كما كانت ناقة صالح
يشربون لبنها يوما بعد يوم ثم امر الله عيسى ان يقصرها على الفقرا والمحاويج دون الاغنيا
فشق ذلك على كثير من الناس وتكلم منافقوهم في ذلك فرفعت بالكلية ومسخ الذين تكلموا
في ذلك خنازير وقد روى ابن ابي حاتم وابن جرير جميعا ثنا الحسن بن عرفة الباهلي ثنا
سفيان بن حبيب ثنا سعيد بن ابي عروبة عن قتادة عن خلاس عن عمار بن ياسر عن النبي
صلى الله عليه وسلم قال نزلت المائدة من السما خبز ولحم وامروا ان لا يخونوا فخانوا وان لا يدخروا المائدة
فادخروا ورفعوا فمسخوا قردة وخنازير ثم رواه ابن جرير عن بندار عن ابن ابي عدي عن
سعيد عن قتادة عن خلاس عن عمار موقوفا وهذا اصح وكذا رواه من طريق سماك عن رجل
من بني عجل عن عمار موقوفا وهو الصواب والله اعلم وخلاس عن عمار منقطع فلو صح هذا الحديث
مرفوعا لكان فيصلا في القصة فان العلما اختلفوا في المائدة هل نزلت ام لا فالجمهور انها
نزلت كما دلت عليه هذه الآثار وكما هو المفهوم من ظاهر سياق القرآن ولا سيما في قوله اني منزلها
عليكم كما قرره ابن جرير والله اعلم وقد روى ابن جرير باسناد صحيح الى مجاهد والى الحسن بن ابي
الحسن البصري انهما قالا لم تنزل وانهم ابوا نزولها حين قال فمن يكفر بعد منكم فاني اعذبه عذابا
لا اعذبه احدا من العالمين ولهذا قيل ان النصارى لا يعرفون خبر المائدة وليس مذكورا في كتابهم
مع ان خبرها مما يتوفر الدواعي على نقله والله اعلم وقد تقصينا الكلام على ذلك في التفسير
فليطلب من هناك ومن اراد مراجعته فلينظره من ثم ولله الحمد والمنة

فصل

قال ابو بكر بن ابي الدنيا حدثنا رجل سقط اسمه ثنا حجاج بن محمد ثنا ابو هلال محمد بن سليمان
عن بكر بن عبد الله المزني قال فقد الحواريون نبيهم عيسى فقيل لهم توجه نحو البحر فانطلقوا
يطلبونه فلما انتهوا الى البحر اذا هو يمشي على الما يرفعه الموج مرة ويضعه اخرى وعليه
كسا مرتدي بنصفه ومؤتزر بنصفه حتى انتهى اليهم فقال له بعضهم قال ابو هلال
ظننت انه من افاضلهم الا اجي اليك يا نبي الله قال بلى قال فوضع احدى رجليه على الما ثم ذهب
ليضع الاخرى فقال اوه غرقت يا نبي الله فقال ارني يدك يا قصير الايمان لو ان لابن آدم من
اليقين قدر شعيرة مشى على الما ورواه ابو سعيد بن الاعرابي عن ابراهيم بن ابي الجحيم عن سليمان
بن حرب عن ابي هلال عن بكر بنحوه ثم قال ابن ابي الدنيا حدثنا محمد بن علي بن الحسن بن شقيق
ثنا ابراهيم بن الاشعث عن الفضيل بن عياض قال قيل لعيسى بن مريم يا عيسى باي شي تمشي على
الما قال بالايمان واليقين قالوا فانا آمنا كما آمنت وايقنا كما ايقنت قال فامشوا اذا
قال فمشوا معه في الموج فغرقوا فقال لهم عيسى ما لكم فقالوا خفنا الموج قال الا خفتم رب
الموج قال فاخرجهم ثم ضرب بيده الى الارض فقبض بها ثم بسطها فاذا في احدى يديه
ذهب وفي الاخرى مدر او حصا فقال ايهما احلا في قلوبكم قالوا هذا الذهب قال فانهما عندي
سواء وقدمنا في قصة يحيى بن زكريا عن بعض السلف ان عيسى عليه السلام كان يلبس
الشعر وياكل من ورق الشجر ولا ياوي الى منزل ولا اهل ولا مال ولا يدخر شيا لغد وقال بعضهم
كان ياكل من غزل امه صلوات الله وسلامه عليه وروى ابن عساكر عن الشعبي انه قال كان عيسى
عليه السلام اذا ذكر عنده الساعة صاح ويقول لا ينبغي لابن مريم ان يذكر عنده الساعة ويسكت

وعن عبد الملك بن سعيد بن ابجر ان عيسى كان اذا سمع الموعظة صرخ صراخ الثكلى وقال
عبد الرزاق انا معمر ثنا جعفر بن برقان ان عيسى كان يقول اللهم اني اصبحت لا استطيع دفع
ما اكره ولا املك نفع ما ارجو واصبح الامر بيد غيري واصبحت مرتهنا بعملي فلا فقير افقر
مني اللهم لا تشمت بي عدوي ولا تسو بي صديقي ولا تجعل مصيبتي في ديني ولا تسلط علي
من لا يرحمني وقال الفضيل بن عياض عن يونس بن عبيد كان عيسى يقول لا يصيب احد
حقيقة الايمان حتى لا يبالي من اكل الدنيا قال الفضيل وكان عيسى يقول فكرت في الخلق
فوجدت من لم يخلق اغبط عندي ممن خلق وقال اسحاق بن بشر عن هشام بن حسان عن الحسن
قال ان عيسى راس الزاهدين يوم القيامة قال وان الفرارين بذنوبهم يحشرون يوم القيامة
مع عيسى قال وبينما عيسى يوما نائم على حجر قد توسده وقد وجد لذة النوم اذ مر به ابليس
فقال يا عيسى الست تزعم انك لا تريد شيا من عرض الدنيا فهذا الحجر من عرض الدنيا فقام
عيسى فاخذ الحجر فرمى به اليه وقال هذا لك مع الدنيا وقال معتمر بن سليمان خرج عيسى على
اصحابه وعليه جبة صوف وكسا وتبان حافيا باكيا شعثا مصفر اللون من الجوع يابس الشفتين
من العطش فقال السلام عليكم يا بني اسرائيل انا الذي انزلت الدنيا منزلتها باذن الله ولا
عجب ولا فخر اتدرون اين بيتي قالوا اين بيتك يا روح الله قال بيتي المساجد وطيبي الما وادامي
الجوع وسراجي القمر بالليل وصلاتي في الشتا مشارق الشمس وريحاني بقول الارض ولباسي
الصوف وشعاري خوف رب العزة وجلسائي الزمنى والمساكين اصبح وليس لي شي وامسي
وليس لي شي وانا طيب النفس غير مكترث فمن اغنى مني واربح رواه ابن عساكر وقال عبد الله بن
المبارك عن سفيان بن عيينة عن خلف بن حوشب قال قال عيسى للحواريين كما ترك
لكم الملوك الحكمة فكذلك فاتركوا لهم الدنيا وقال قتادة قال عيسى عليه السلام
سلوني فاني لين القلب واني صغير عند نفسي وقال اسماعيل بن عياش عن عبد الله بن دينار
عن ابن عمر قال قال عيسى للحواريين كلوا خبز الشعير واشربوا الما القراح واخرجوا من الدنيا
سالمين آمنين بحق ما اقول لكم ان حلاوة الدنيا مرارة الآخرة وان مرارة الدنيا حلاوة الآخرة
وان عباد الله ليسوا بالمتنعمين بحق ما اقول لكم ان شركم عالم يوثر هواه على علمه يود ان الناس
كلهم مثله وروي نحوه عن ابي هريرة وقال ابو مصعب عن مالك انه بلغه ان عيسى كان يقول
يا بني اسرائيل عليكم بالما القراح والبقل البري والخبز الشعير واياكم وخبز البر فانكم لن تقوموا
بشكره وقال ابن وهب عن سليمان بن بلال عن يحيى بن سعيد قال كان عيسى يقول اعبروا الدنيا
ولا تعمروها وكان يقول حب الدنيا راس كل خطيئة والنظر يزرع في القلب الشهوة وحكى
وهيب بن الورد مثله وزاد ورب شهوة اورثت اهلها حزنا طويلا وعن عيسى عليه السلام
يا ابن آدم الضعيف اتق الله حيثما كنت وكن في الدنيا ضيفا واتخذ المساجد بيتا
وعلم عينك البكا وجسدك الصبر وقلبك التفكر ولا تهتم برزق غد فانها خطيئة وعنه صلى
الله عليه وسلم انه قال كما لا يستطيع احدكم ان يتخذ على موج البحر دارا فلا يتخذ الدنيا
قرارا وفي هذا يقول سابق البربري لكم بيوت بمستن السيول وهل يبقى على الما بيت اسه مدر
وقال سفيان الثوري قال عيسى بن مريم لا يستقيم حب الدنيا وحب الآخرة في قلب مومن
كما لا يستقيم الما والنار في انا وقال ابراهيم الحربي عن داود بن رشيد عن ابي عبد الله الصوفي
قال قال عيسى طالب الدنيا مثل شارب ما البحر كلما ازداد شربا ازداد عطشا حتى يقتله

وعن عيسى عليه السلام ان الشيطان مع الدنيا ومكره مع المال وتزيينه مع الهوى واستمكانه عند الشهوات وقال الاعمش عن خيثمة كان عيسى يصنع الطعام لاصحابه ويقوم عليهم ويقول هكذا فاصنعوا بالقرا وقالت امرأة لعيسى عليه السلام طوبى لحجر حملك وللثدي ارضعك فقال طوبى لمن قرأ كتاب الله واتبعه وعنه طوبى لمن بكى من ذكر خطيئته وحفظ لسانه ووسعه بيته وعنه طوبى لعين نامت ولم تحدث نفسها بالمعصية وانتبهت الى غير اثم وعن مالك بن دينار قال مر عيسى واصحابه بجيفة فقالوا ما انتن ريحها فقال ما ابيض اسنانها لينهاهم عن الغيبة وقال ابو بكر بن ابي الدنيا حدثنا الحسين بن عبد الرحمن عن زكريا بن عدي قال قال عيسى بن مريم يا معشر الحواريين ارضوا بدني الدنيا مع سلامة الدين كما رضي اهل الدنيا بدني الدين مع سلامة الدنيا قال زكريا وفي ذلك يقول الشاعر

ارى رجالا بادنى الدين قد قنعوا • ولا اراهم رضوا في العيش بالدون •
فاستغن بالدين عن دنيا الملوك كما • استغنى الملوك بدنياهم عن الدين •

وقال ابو مصعب عن مالك قال عيسى بن مريم عليه السلام لا تكثروا الحديث بغير ذكر الله فتقسو قلوبكم فان القلب القاسي بعيد من الله ولكن لا تعلمون ولا تنظروا الى ذنوب العباد كانكم ارباب وانظروا فيها كانكم عبيد فانما الناس رجلان معافى ومبتلى فارحموا اهل البلاء واحمدوا الله على العافية وقال الثوري سمعت ابي يقول عن ابراهيم التيمي قال قال عيسى لاصحابه بحق ما اقول لكم من طلب الفردوس فخبز الشعير له والنوم في المزابل مع الكلاب كثير وقال مالك بن دينار قال عيسى ان اكل الشعير مع الرماد والنوم في المزابل مع الكلاب لقليل في طلب الفردوس وقال عبد الله بن المبارك انا سفيان عن منصور عن سالم بن ابي الجعد قال قال عيسى اعملوا لله ولا تعملوا لبطونكم انظروا الى هذه الطير تغدو وتروح لا تحرث ولا تحصد والله يرزقها فان قلتم نحن اعظم بطونا من الطير فانظروا الى هذه الاباقر من الوحوش والحمر فانها تغدو وتروح لا تحرث ولا تحصد والله يرزقها وقال صفوان بن عمرو عن شريح بن عبيد عن يزيد بن ميسرة قال قال الحواريون للمسيح يا مسيح الله انظر الى مسجد الله ما احسنه قال آمين آمين بحق ما اقول لكم لا يترك الله من هذا المسجد حجرا قائما الا اهلكه بذنوب اهله ان الله لا يصنع بالذهب ولا بالفضة ولا بهذه الاحجار التي تعجبكم شيئا ان احب الى الله منها القلوب الصالحة وبها يعمر الله الارض وبها يخرب الله الارض اذا كانت على غير ذلك وقال الحافظ ابو القاسم ابن عساكر في تاريخه اخبرنا ابو منصور احمد بن محمد الصوفي اخبرتنا عائشة بنت الحسن بن ابراهيم الوركانية قالت حدثنا ابو محمد عبد الله بن عمر بن عبد الله بن الهيثم املاء ثنا الوليد بن ابان املاء ثنا احمد بن جعفر الرازي ثنا سهل بن ابراهيم الحنظلي ثنا عبد الوهاب بن عبد العزيز عن المعتمر عن ليث عن مجاهد عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال مر عيسى عليه السلام على مدينة خربة فاعجبه البنيان فقال اي رب مر هذه المدينة ان تجيبني فاوحى الله الى المدينة ايتها المدينة الخربة جاوبي عيسى قال فنادت المدينة عيسى حبيبي وما تريد مني قال ما فعل اشجارك وما فعل انهارك وما فعل قصورك واين سكانك قالت حبيبي جاء وعد ربك الحق فيبست اشجاري ونشفت انهاري وخربت قصوري ومات سكاني قال فاين ما جمعوا فقالت جمعوه من الحلال والحرام موضوع في بطني لله ميراث السموات والارض قال فنادى عيسى عليه السلام تعجبت من ثلاث اناس طالب الدنيا والموت

بطلبه

يطلبه وباني القصور والقبر منزله ومن يضحك ملء فيه والنار امامه ابن آدم لا بالكثير تشبع ولا بالقليل تقنع تجمع مالك لمن لا يحمدك وتقدم على رب لا يعذرك انما انت عبد بطنك وشهوتك وانما تملأ بطنك اذا دخلت قبرك وانت يا ابن آدم ترى حشد مالك في ميزان غيرك هذا حديث غريب جدا وفيه موعظة حسنة فكتبناه لذلك وقال سفيان الثوري عن ابيه عن ابراهيم التيمي قال قال عيسى عليه السلام يا معشر الحواريين اجعلوا كنوزكم في السماء فان قلب الرجل حيث كنزه وقال ثور بن يزيد عن عبد العزيز بن ظبيان قال قال عيسى بن مريم عليه السلام من تعلم وعلم وعمل دعي عظيما في ملكوت السماء وقال ابو كريب روي ان عيسى عليه السلام قال لا خير في علم لا يعبر معك الوادي ويعبر بك النادي وروى ابن عساكر باسناد غريب عن ابن عباس مرفوعا ان عيسى قام في بني اسرائيل فقال يا معشر الحواريين لا تحدثوا بالحكمة غير اهلها فتظلموها ولا تمنعوها اهلها فتظلموهم والامور ثلاثة امر تبين رشده فاتبعوه وامر تبين غيه فاجتنبوه وامر اختلف عليكم فيه فردوا علمه الى الله عز وجل وقال عبد الرزاق انا معمر عن رجل عن عكرمة قال قال عيسى لا تطرحوا اللؤلؤ الى الخنزير فان الخنزير لا يصنع باللؤلؤ شيئا ولا تعطوا الحكمة من لا يريدها فان الحكمة خير من اللؤلؤ ومن لا يريدها شر من الخنزير وهكذا حكى وهب وغيره عنه وعنه انه قال لاصحابه انتم ملح الارض فاذا فسدتم فلا دواء لكم وان فيكم خصلتين من الجهل الضحك من غير عجب والصبحة من غير سهر وعنه انه قيل له من اشد الناس فتنة قال زلة العالم فان العالم اذا زل يزل بزلته عالم كثير وعنه انه قال يا علماء السوء جعلتم الدنيا على رؤسكم والاخرة تحت اقدامكم قولكم شفاء وعملكم داء مثلكم مثل شجرة الدفلى تعجب من رآها وتقتل من اكلها وقال وهب قال عيسى يا علماء السوء جلستم على ابواب الجنة فلا تدخلونها ولا تدعون المساكين يدخلونها ان شر الناس عند الله عالم يطلب الدنيا بعلمه وقال مكحول التقى عيسى ويحيى فصافحه عيسى وهو يضحك فقال له يحيى يا ابن خالة ما لي اراك ضاحكا كانك قد امنت فقال له عيسى ما لي اراك عابسا كانك قد يئست فاوحى الله اليهما ان احبكما الي ابشكما بصاحبه وقال وهب بن منبه وقف عيسى هو واصحابه على قبر وصاحبه يدلى فيه فجعلوا يذكرون القبر وضيقه فقال قد كنتم فيما هو اضيق منه في ارحام امهاتكم فاذا احب الله ان يوسع وسع وقال ابو عمر الضرير بلغني ان عيسى كان اذا ذكر الموت يقطر جلده دما والآثار في مثل هذا كثيرة جدا وقد اورد الحافظ ابن عساكر منها طرفا صالحا اقتصرنا منها على هذا القدر والله الموفق للصواب

ذكر رفع عيسى عليه السلام الى السماء في حفظ الرب وبيان كذب اليهود والنصارى عليهم لعائن الله في دعوى الصلب

قال الله تعالى ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين اذ قال الله يا عيسى اني متوفيك ورافعك الي ومطهرك من الذين كفروا وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا الى يوم القيامة ثم الي مرجعكم فاحكم بينكم فيما كنتم فيه تختلفون وقال تعالى فبما نقضهم ميثاقهم وكفرهم بآيات الله وقتلهم الانبياء بغير حق وقولهم قلوبنا غلف بل طبع الله عليها بكفرهم فلا يؤمنون الا قليلا وبكفرهم وقولهم على مريم بهتانا عظيما وقولهم انا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم وان الذين اختلفوا فيه لفي شك منه ما لهم به من علم الا اتباع الظن

وما قتلوه يقينا بل رفعه الله اليه وكان الله عزيزا حكيما وان من اهل الكتاب الا ليؤمنن به
قبل موته ويوم القيمة يكون عليهم شهيدا فاخبر تعالى انه رفعه الى السما بعدما توفاه بالنوم
على الصحيح المقطوع به وخلصه ممن كان اراد اذيته من اليهود الذين سعوا به الى بعض
الملوك الكفرة في ذلك الزمان قال الحسن البصري ومحمد بن اسحاق وكان اسمه داود بن
نودا فامر بقتله وصلبه فحصروه في دار ببيت المقدس وذلك عشية الجمعة ليلة
السبت فلما حان وقت دخولهم القى شبهه على بعض اصحابه الحاضرين عنده ورفع عيسى من روزنة
من ذلك البيت الى السما واهل البيت ينظرون ودخل الشرط فوجدوا ذلك الشاب
الذي القي عليه شبهه فاخذوه ظانين انه عيسى فصلبوه ووضعوا الشوك على راسه اهانة
له وسلم لليهود عامة النصارى الذين لم يشاهدوا ما كان من امر عيسى انه صلب وضلوا بسبب
ذلك ضلالا مبينا كثيرا فاحشا بعيدا واخبر تعالى بقوله وان من اهل الكتاب الا ليؤمنن
به قبل موته اي بعد نزوله الى الارض في اخر الزمان قبل قيام الساعة فانه ينزل ويقتل الخنزير
ويكسر الصليب ويضع الجزية ولا يقبل الا الاسلام كما بيناه ذلك بما ورد فيه من الاحاديث عند
تفسير هذه الاية الكريمة في سورة النسا وكما سنورد ذلك مستقصى في كتاب الفتن والملاحم
عند اخبار المسيح الدجال فنذكر ما ورد في نزول مسيح الهدى عليه السلام من ذي الجلال لقتل
المسيح الدجال الكذاب الداعي الى الضلال وهذا ذكر ما ورد في الاثار في صفة رفعه الى السما
قال ابن ابي حاتم ثنا احمد بن سنان ثنا ابو معاوية عن الاعمش عن المنهال بن عمرو عن سعيد
بن جبير عن ابن عباس قال لما اراد الله ان يرفع عيسى خرج على اصحابه وفي البيت اثنى عشر
رجلا منهم من الحواريين يعني فخرج عليهم من عين في البيت وراسه يقطر ما فقال ان منكم
من يكفر بي اثني عشر مرة بعد ان امن بي قال ثم قال ايكم يلقى عليه شبهي فيقتل مكاني
ويكون معي في درجتي فقام شاب من احدثهم سنا فقال له اجلس ثم اعاد عليهم فقام الشاب
فقال اجلس ثم اعاد عليهم فقام الشاب فقال انا فقال انت هو ذاك فالقي عليه
شبه عيسى ورفع عيسى من روزنة في البيت الى السما قال وجا الطلب من اليهود فاخذوا
الشبه فقتلوه ثم صلبوه فكفر به بعضهم اثنى عشر مرة بعد ان امن به وافترقوا ثلاث
فرق فقالت طايفة كان الله فينا ما شا ثم صعد الى السما وهولا اليعقوبية وقالت
فرقة كان فينا ابن الله ما شا ثم رفعه الله اليه وهولا النسطورية وقالت فرقة
كان فينا عبد الله ورسوله ما شا ثم رفعه الله اليه وهولا المسلمون فتظاهرت الكافرتان
على المسلمة فقتلوها ولم يزل الاسلام طامسا حتى بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم
قال ابن عباس وذلك قوله تعالى فايدنا الذين امنوا على عدوهم فاصبحوا ظاهرين وهذا
اسناد صحيح الى ابن عباس على شرط مسلم ورواه النسائي عن ابي كريب عن ابي معاوية بنحوه
ورواه ابن جرير عن مسلم بن جنادة عن ابي معاوية وهكذا ذكر غير واحد من السلف وممن
ذكر ذلك مطولا محمد بن اسحاق بن يسار قال وجعل عيسى عليه السلام يدعو الله عز وجل
ان يوخر اجله يعني ليبلغ الرسالة ويكمل الدعوة ويكثر الناس الدخول في دين الله قيل وكان
عنده من الحواريين اثنى عشر رجلا بطرس ويعقوب بن زبدا ويحنس اخو يعقوب واندراييس
وابن تلما ومتتا وتوماس ويعقوب بن حلقيا وبداوسيس وقتانيا ويودس زكريا يوطا
وهذا هو الذي دل اليهود على عيسى قال ابن اسحاق وكان فيهم رجل اخر اسمه سرجس كتمته

النصارى

النصارى وهو الذي القي شبه المسيح عليه فصلب عنه قال وبعض النصارى يزعم ان
الذي صلب عن المسيح والقي عليه شبهه هو يودس زكريا يوطا والله اعلم وقال
الضحاك عن ابن عباس استخلف عيسى شمعون وقتلت اليهود يودا الذي القي عليه
الشبه وقال احمد بن مروان ثنا محمد بن الجهم قال سمعنا الفرا يقول في قوله ومكروا ومكر
الله والله خير الماكرين قال ان عيسى غاب عن خالته زمانا فاتاها فقام راس الجالوت
اليهودي فضرب على عيسى حتى اجتمعوا على باب دارها فكسروا الباب ودخل راس الجالوت
لياخذ عيسى فطمس عينه عن عيسى ثم خرج الى اصحابه فقال لم اره ومعه سيف مسلول
فقالوا انت عيسى والقى الله شبه عيسى عليه فاخذوه فقتلوه وصلبوه فقال
جل ذكره وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم وقال ابن جرير ثنا ابن حميد ثنا يعقوب
القمي عن هرون بن عيسى عنتره عن وهب بن منبه قال اتى عيسى ومعه سبعة
عشر من الحواريين في بيت فاحاطوا بهم فلما دخلوا عليهم صورهم الله كلهم على صورة
عيسى فقالوا لهم سحرتمونا لتبرزن لنا عيسى او لنقتلنكم جميعا فقال عيسى لاصحابه
من يشري نفسه اليوم بالجنة فقال رجل منهم انا فخرج اليهم فقال انا عيسى وقد صوره
الله على صورة عيسى فاخذوه فقتلوه وصلبوه فمن ثم شبه لهم وظنوا انهم قد
قتلوا عيسى وظنت النصارى مثل ذلك انه عيسى ورفع الله عيسى من يومه ذلك
قال ابن جرير وحدثنا المثنى ثنا اسحاق ثنا اسماعيل بن عبد الكريم حدثني عبد الصمد
بن معقل انه سمع وهبا يقول ان عيسى بن مريم لما اعلمه الله انه خارج من الدنيا جزع
من الموت وشق عليه فدعا الحواريين وصنع لهم طعاما فقال احضروني الليلة فان
لي اليكم حاجة فلما اجتمعوا اليه من الليل عشاهم وقام يخدمهم فلما فرغوا من الطعام
اخذ يوضيهم ويغسل ايديهم بيده ويمسح ايديهم بثيابه فتعاظموا ذلك وتكارهوه
فقال الا من رد علي الليلة شيا مما اصنع فليس مني ولا انا منه فاقروه حتى اذا فرغ
من ذلك قال اما ما صنعت بكم الليلة مما خدمتكم على الطعام وغسلت ايديكم بيدي
فليكن لكم بي اسوة فانكم ترون اني خيركم فلا يتعظم بعضكم على بعض وليبذل بعضهم
نفسه لبعض كما بذلت نفسي لكم واما حاجتي الليلة التي استعنتكم عليها فتدعون لي
الله وتجتهدون في الدعا ان يوخر اجلي فلما نصبوا انفسهم للدعا وارادوا ان
يجتهدوا اخذهم النوم حتى لم يستطيعوا دعا فجعل يوقظهم ويقول سبحان الله
اما تصبرون لي ليلة واحدة تعينوني فيها فقالوا والله ما ندري ما لنا والله لقد
كنا نسمر فنكثر السمر وما نطيق الليلة سمرا وما نريد دعا الا حيل بيننا وبينه فقال
يذهب بالراعي ويتفرق الغنم وجعل ياتي بكلام نحو هذا ينعى به نفسه ثم قال الحق ليكفرن
بي احدكم قبل ان يصيح الديك ثلاث مرات وليبيعني احدكم بدراهم يسيرة وليأكلن ثمني
فخرجوا وتفرقوا وكانت اليهود تطلبه فاخذوا شمعون احد الحواريين وقالوا هذا
من اصحابه فجحد وقال ما انا بصاحبه فتركوه ثم اخذه اخرون فجحد كذلك ثم سمع
صوت ديك فبكى واحزنه فلما اصبح اتى احد الحواريين الى اليهود فقال ما تجعلون
لي ان دللتكم على المسيح فجعلوا له ثلاثين درهما فاخذها ودلهم عليه وكان شبه عليهم
قبل ذلك فاخذوه واستوثقوا منه وربطوه بالحبل وجعلوا يقودونه ويقولون انت

كنت تحيي الموتى وتنهر الشيطان وتبرئ المجنون الا تنقذ نفسك من هذا الحبل ويبصقون
عليه ويلقون عليه الشوك حتى اتوا به للخشبة التي ارادوا ان يصلبوه عليها فرفعه
الله وصلبوا ما شبه لهم فمكث سبعا ثم ان امه والمراة التي كان يداويها عيسى فابراها
الله من الجنون جاءتا تبكيان حيث المصلوب فجاءهما عيسى فقال علام تبكيان قالتا عليك
قال اني قد رفعني الله اليه ولم يصبني الا خير وان هذا شبه لهم فامرا الحواريين يلقوني
الى مكان كذا وكذا فلقوه الى ذلك المكان احد عشر وفقد الذي كان باعه ودل عليه
اليهود فسال عنه اصحابه فقالوا انه ندم على ما صنع فاختنق وقتل نفسه فقال
لو تاب لتاب الله عليه ثم سالهم عن غلام كان يتبعهم يقال له يحيى فقال هو معكم
فانطلقوا فانه سيصبح كل انسان منكم يحدث بلغة قوم فلينذرهم وليدعهم وهذا
سياق غريب عجيب وهو اصح مما ذكره النصارى لعنهم الله من ان المسيح جاء الى مريم
وهي جالسة تبكي عند جذعه فاراها اماكن المسامير من جسده واخبرها ان روحه
رفعت وان جسده صلب وهذا بهت وكذب واختلاق وتحريف وتبديل وزيادة
باطلة في الانجيل على خلاف الحق ومقتضى الدليل وحكى الحافظ ابن عساكر من طريق
يحيى بن حبيب فيما بلغه ان مريم سالت من بيت الملك بعد ما صلب المصلوب
بسبعة وهي تحسب انه ابنها ان ينزل جسده فاجابهم الى ذلك ودفن هنالك
فقالت مريم لام يحيى الا تذهبين بنا نزور قبر المسيح فذهبتا فلما دنتا من
القبر قالت مريم لام يحيى الا تستترين فقالت ومما استتر فقالت من هذا الرجل الذي
هو عند القبر فقالت ام يحيى اني لا ارى احدا فرجت مريم ان يكون جبريل وكانت قد بعد
عهدها به فاستوقفت ام يحيى وذهبت نحو القبر فلما دنت من القبر قال لها جبريل وعرفته
يا مريم اين تريدين فقالت ازور قبر المسيح واسلم عليه واحدث عهدا به فقال
يا مريم ان هذا ليس المسيح ان الله قد رفع المسيح وطهره من الذين كفروا ولكن هذا الفتى
الذي القي شبهه عليه وصلب وقتل مكانه وعلامة ذلك ان اهله قد فقدوه فلا
يدرون ما فعل فهم يبكون عليه فاذا كان يوم كذا وكذا فاتي غيضة كذا وكذا فانك
تلقين المسيح قال فرجعت الى اختها وصعد جبريل فاخبرتها عن جبريل وما قال لها من
امر الغيضة فلما كان ذلك اليوم ذهبت فوجدت عيسى في الغيضة فلما رآها اسرع
اليها فاكب عليها فقبل راسها وجعل يدعو لها كما كان يفعل وقال يا اماه ان القوم لم
يقتلوني ولكن الله رفعني اليه واذن لي في لقائك والموت ياتيك قريبا فاصبري
واذكري الله ثم صعد عيسى فلم تلقه الا تلك المرة حتى ماتت قال وبلغني ان مريم
بقيت بعد عيسى خمس سنين وماتت ولها ثلاث وخمسون سنة رضي الله عنها
وارضاها وقال الحسن البصري كان عمر عيسى عليه السلام يوم رفع اربعا وثلثين
سنة وفي الحديث ان اهل الجنة يدخلونها جردا مردا مكحلين ابناء ثلاث وثلثين
وفي الحديث الاخر على ميلاد عيسى وحسن يوسف وكذا قال حماد بن سلمة عن علي ع وستين
بن زيد عن سعيد بن المسيب انه قال رفع عيسى وهو ابن ثلاث وثلثين سنة فاما
الحديث الذي رواه الحاكم في مستدركه ويعقوب بن سفيان الفسوي في تاريخه عن سعيد
ابن ابي مريم عن نافع بن يزيد عن عمارة بن غزية عن محمد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان ان

امه فاطمة

امه فاطمة بنت الحسين حدثته ان عائشة كانت تقول اخبرتني فاطمة ان رسول الله اخبرها
انه لم يكن نبي كان بعده نبي الا عاش الذي بعده نصف عمر الذي كان قبله وانه اخبرني ان عيسى
ابن مريم عاش عشرين ومائة سنة فلا اراني ذاهبا الا على راس ستين هذا لفظ الفسوي
فهو حديث غريب جدا قال الحافظ ابن عساكر والصحيح ان عيسى لم يبلغ هذا العمر
وانما اراد به مدة مقامه في امته كما روى سفيان بن عيينة عن عمرو بن دينار عن يحيى بن جعدة
قال قالت فاطمة قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم ان عيسى بن مريم مكث في بني
اسرائيل اربعين سنة وهذا منقطع وقال جرير والثوري عن الاعمش عن ابراهيم مكث
عيسى في قومه اربعين سنة عاما ويروى عن امير المومنين علي ان عيسى عليه السلام رفع
في ليلة الثاني والعشرين من رمضان وتلك الليلة في مثلها توفي علي بعد طعنه
بخمسة ايام وقد روى الضحاك عن ابن عباس ان عيسى لما رفع الى السماء جاءت سحابة فدنت
منه حتى جلس عليها وجاءته مريم فودعته وبكت ثم رفع وهي تنظر والقى اليها عيسى بردا
له وقال هذا علامة ما بيني وبينك يوم القيامة والقى عمامته الى شمعون وجعلت امه
تودعه باصبعها تشير بها اليه حتى غاب عنها وكانت تحبه حبا شديدا لانه توفر عليها
حبه من جهتي الوالدين اذ لا اب له وكانت لا تفارقه سفرا ولا حضرا وكانت كما قال
بعض الشعراء

وكنت ارى كالموت من بين ساعة ... فكيف ببين كان موعده الحشر

وذكر اسحاق بن بشر عن مجاهد بن جبير ان اليهود لما صلبوا ذلك الرجل الذي شبه لهم
وهم يحسبونه المسيح وسلم لهم اكثر النصارى بجهلهم ذلك تسلطوا على اصحابه
بالقتل والضرب والحبس فبلغ امرهم الى صاحب الروم وهو ملك دمشق في ذلك الزمان
فقيل له ان اليهود قد تسلطوا على اصحاب رجل كان يذكر لهم انه رسول الله وكان يحيي
الموتى ويبرئ الاكمه والابرص ويفعل العجائب فعدوا عليه فقتلوه واهانوا اصحابه
وحبسوهم فبعث فجيء بهم وفيهم يحيى بن زكريا وشمعون وجماعة فسالهم عن امر المسيح
فاخبروه عنه فتابعهم في دينهم واعلى كلمتهم فظهر الحق على اليهود وعلت كلمة النصارى
وبعث الى المصلوب فوضع عن جذعه وجيء بالجذع الذي صلب عليه ذلك الرجل فعظمه
فمن ثم عظمت النصارى الصليب ومن هاهنا دخل دين النصرانية في الروم وفي
هذا نظر من وجوه احدها ان يحيى بن زكريا نبي لا يقر على ان المصلوب عيسى فانه معصوم
يعلم ما وقع على جهة الحق الثاني ان الروم لم يدخلوا في دين المسيح الا بعد ثلثمائة
سنة وذلك في زمان قسطنطين بن قسطنطس باني المدينة المنسوبة اليه على ما
سنذكره الثالث ان اليهود لما صلبوا ذلك الرجل ثم القوه بخشبته جعلوا مكانه
مطرحا للقمامة والنجاسة وجيف الميتات والقاذورات فلم يزل كذلك حتى كان
في زمن قسطنطين المذكور فعمدت امه هيلانة الحرانية الفندقانية فاستخرجته
من هنالك معتقدة انه المسيح ووجدوا الخشبة التي صلب عليها المصلوب
فذكروا انه ما مسها ذو عاهة الا عوفي والله اعلم اكان هذا ام لا وهل كان هذا لان
ذلك الرجل الذي بذل نفسه كان رجلا صالحا او كان هذا محنة وفتنة لامة النصارى
في ذلك اليوم حتى عظموا تلك الخشبة وغشوها بالذهب واللآلي ومن ثم اتخذوا

الصلبان ثم تبركوا بشكلها وقبلوها لعنهم الله وأمرت أم الملك هيلانة فأزيلت تلك القمامة وبني مكانها كنيسة هائلة مزخرفة بأنواع الزينة فهي هذه المشهورة اليوم ببلد بيت المقدس التي يقال لها القمامة باعتبار ما كان عندها ويسمونها القيامة يعنون التي يقوم جسد المسيح منها ثم أمرت هيلانة بأن توضع قمامة البلد وكناسته وقاذوراته على الصخرة التي هي قبلة اليهود فلم تزل كذلك حتى فتح عمر بن الخطاب بيت المقدس فكنس عنها القمامة بردائه وطهرها من الأخباث والأنجاس ولم يضع المسجد وراءها ولكن أمامها حيث صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة الإسراء بالأنبياء وهو الأقصى

ذكر صفة عيسى عليه السلام وشمائله وفضائله

قال الله تعالى ما المسيح ابن مريم إلا رسول قد خلت من قبله الرسل وأمه صديقة قيل سمي المسيح لمسحه الأرض وهو سياحته فيها وفراره بدينه من الفتن في ذلك الزمان لشدة تكذيب اليهود له وافترائهم عليه وعلى أمه عليهما السلام وقيل لأنه كان ممسوح القدمين وقال تعالى وقفينا على آثارهم بعيسى ابن مريم وآتيناه الإنجيل فيه هدى ونور وقال تعالى وآتينا عيسى ابن مريم البينات وأيدناه بروح القدس والآيات في ذكره كثيرة جدا وقد تقدم ما ثبت في الصحيحين ما من مولود إلا والشيطان يطعن في خاصرته حين يولد فيستهل صارخا إلا مريم وابنها ذهب يطعن فطعن في الحجاب وتقدم حديث عمير بن هانئ عن جنادة عن عبادة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال من شهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمدا عبد الله ورسوله وأن عيسى عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه والجنة حق والنار حق أدخله الله الجنة على ما كان من العمل رواه البخاري وهذا لفظه ومسلم وروى البخاري ومسلم من حديث الشعبي عن أبي بردة بن أبي موسى عن أبيه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أدب الرجل أمته فأحسن تأديبها وعلمها فأحسن تعليمها ثم أعتقها فتزوجها كان له أجران وإذا آمن بعيسى ابن مريم ثم آمن بي فله أجران والعبد إذا اتقى ربه وأطاع مواليه فله أجران لفظ البخاري وقال البخاري ثنا إبراهيم بن موسى أنا هشام عن معمر وحدثني محمود ثنا عبد الرزاق أنا معمر عن الزهري أخبرني سعيد بن المسيب عن أبي هريرة قال قال النبي صلى الله عليه وسلم ليلة أسري بي لقيت موسى قال فنعته فإذا رجل حسبته قال مضطرب رجل الرأس كأنه من رجال شنوءة قال ولقيت عيسى فنعته النبي صلى الله عليه وسلم فقال ربعة أحمر كأنما خرج من ديماس يعني الحمام ورأيت إبراهيم وأنا أشبه ولده به الحديث وقد تقدم في قصتي إبراهيم وموسى ثم قال حدثنا محمد بن كثير أنا إسرائيل عن عثمان بن المغيرة عن مجاهد عن ابن عمر قال قال النبي صلى الله عليه وسلم رأيت عيسى وموسى وإبراهيم فأما عيسى فأحمر جعد عريض الصدر وأما موسى فآدم جسيم سبط كأنه من رجال الزط انفرد به البخاري وحدثنا إبراهيم بن المنذر ثنا أبو ضمرة ثنا موسى بن عقبة عن نافع قال قال عبد الله بن عمر ذكر النبي صلى الله عليه وسلم يوما بين ظهراني الناس المسيح الدجال فقال إن الله ليس بأعور ألا إن المسيح الدجال أعور العين اليمنى كأن عينه عنبة طافية وأراني الليلة عند الكعبة في المنام فإذا رجل آدم كأحسن ما يرى من أدم الرجال تضرب لمته بين منكبيه رجل الشعر يقطر رأسه ماء واضعا يديه على منكبي رجلين وهو يطوف

بالبيت فقلت من هذا فقالوا المسيح ابن مريم ثم رأيت رجلا وراءه جعدا قططا أعور عين اليمنى كأشبه من رأيت بابن قطن واضعا يديه على منكبي رجل يطوف بالبيت فقلت من هذا فقالوا المسيح الدجال ورواه مسلم من حديث موسى بن عقبة ثم قال البخاري تابعه عبيد الله عن نافع ثم ساقه من طريق الزهري عن سالم عن ابن عمر قال الزهري وابن قطن رجل من خزاعة هلك في الجاهلية فبين صلوات الله وسلامه عليه صفة المسيحين مسيح الهدى ومسيح الضلالة ليعرف هذا إذا نزل فيؤمن به المؤمنون ويعرف الآخر فيحذره الموحدون وقال البخاري ثنا عبد الله بن محمد ثنا عبد الرزاق ثنا معمر عن همام بن منبه عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال رأى عيسى ابن مريم رجلا يسرق فقال له أسرقت قال كلا والذي لا إله إلا هو فقال عيسى آمنت بالله وكذبت عيني وكذا رواه مسلم عن محمد بن رافع عن عبد الرزاق وقال أحمد ثنا عفان ثنا حماد بن سلمة عن حميد الطويل عن الحسن وغيره عن أبي هريرة قال ولا أعلمه إلا عن النبي صلى الله عليه وسلم رأى عيسى رجلا يسرق فقال يا فلان أسرقت قال لا والله ما سرقت فقال آمنت بالله وكذبت بصري وهذا يدل على سجية طاهرة حيث قدم حلف ذلك الرجل وظن أن أحدا لا يحلف بعظمة الله كاذبا على ما شاهده منه عيانا فقبل عذره ورجع على نفسه فقال آمنت بالله أي صدقتك وكذبت بصري لأجل حلفك وقال البخاري ثنا محمد بن يوسف ثنا سفيان عن المغيرة بن النعمان عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تحشرون حفاة عراة غرلا ثم قرأ كما بدأنا أول خلق نعيده وعدا علينا إنا كنا فاعلين فأول الخلائق يكسى إبراهيم ثم يؤخذ برجال من أصحابي ذات اليمين وذات الشمال فأقول أصحابي فيقال إنهم لم يزالوا مرتدين على أعقابهم منذ فارقتهم فأقول كما قال العبد الصالح وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم فلما توفيتني كنت أنت الرقيب عليهم وأنت على كل شيء شهيد إن تعذبهم فإنهم عبادك وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم تفرد به دون مسلم من هذا الوجه وقال أيضا حدثنا عبد الله بن الزبير الحميدي ثنا سفيان سمعت الزهري يقول أخبرني عبيد الله بن عبد الله عن ابن عباس سمع عمر يقول على المنبر سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا تطروني كما أطرت النصارى عيسى ابن مريم فإنما أنا عبد فقولوا عبد الله ورسوله وقال البخاري ثنا مسلم بن إبراهيم ثنا جرير بن حازم عن محمد بن سيرين عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لم يتكلم في المهد إلا ثلاثة عيسى وكان في بني إسرائيل رجل يقال له جريج يصلي إذ جاءته أمه فدعته فقال أجيبها أو أصلي فقالت اللهم لا تمته حتى تريه وجوه المومسات وكان جريج في صومعته فتعرضت له امرأة وكلمته فأبى فأتت راعيا فأمكنته من نفسها فولدت غلاما فقيل لها ممن قالت من جريج فأتوه وكسروا صومعته فأنزلوه وسبوه فتوضأ وصلى ثم أتى الغلام فقال من أبوك يا غلام قال فلان الراعي قالوا نبني صومعتك من ذهب قال لا إلا من طين وكانت امرأة ترضع ابنا لها في بني إسرائيل فمر بها رجل راكب ذو شارة فقالت اللهم اجعل ابني مثله فترك ثديها وأقبل على الراكب فقال اللهم لا تجعلني مثله ثم أقبل على ثديها يمصه قال أبو هريرة كأني أنظر إلى النبي صلى الله عليه وسلم يمص إصبعه ثم مر بأمة فقالت اللهم لا تجعل ابني مثل هذه فترك ثديها فقال اللهم اجعلني مثلها فقالت لم ذلك فقال

المراكب جبابرة من الجبابرة وهذه الامة يقولون شرفت وزينت ولم تفعل وقال البخاري
ثنا ابو اليمان ثنا شعيب عن الزهري اخبرني ابو سلمة ان ابا هريرة قال سمعت رسول الله صلى
الله عليه وسلم يقول انا اولى الناس بابن مريم والانبيا اولاد علات ليس بيني وبينه
نبي تفرد به البخاري من هذا الوجه ورواه ابن حبان في صحيحه من حديث ابي داود الحفري
عن الثوري عن ابي الزناد عن ابي سلمة عن ابي هريرة وقال احمد ثنا وكيع ثنا سفيان هو الثوري
عن ابي الزناد عن الاعرج عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انا اولى الناس
بعيسى ابن مريم عليه السلام والانبيا اخوة اولاد علات وليس بيني وبين عيسى نبي وهذا
اسناد صحيح على شرطهما ولم يخرجوه من هذا الوجه واخرجه احمد عن عبد الرزاق عن معمر عن
همام عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم بنحوه واخرجه ابن حبان من حديث عبد الرزاق
به نحوه وقال احمد ثنا يحيى عن ابن ابي عروبة ثنا قتادة عن عبد الرحمن بن ادم عن
ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال الانبيا اخوة لعلات دينهم واحد وامهاتهم
شتى وانا اولى الناس بعيسى بن مريم لانه لم يكن بيني وبينه نبي وانه نازل فاذا رايتموه
فاعرفوه فانه رجل مربوع الى الحمرة والبياض سبط كان راسه يقطر وان لم يصبه بلل بين
ممصرتين فيكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية ويعطل الملل حتى يهلك في زمانه
الملل كلها غير الاسلام ويهلك الله المسيح الدجال الكذاب وتقع الامنة في الارض حتى ترتع
الابل مع الاسد جميعا والنمور مع البقر والذياب مع الغنم ويلعب الصبيان او الغلمان بالحيات
فيمكث ما شا الله ان يمكث ثم يتوفى فيصلي عليه المسلمون ويدفنونه ثم رواه احمد عن عفان
عن همام عن قتادة عن عبد الرحمن عن ابي هريرة فذكر نحوه وقال فيمكث اربعين سنة ثم يتوفى
ويصلي عليه المسلمون ورواه ابو داود عن هدبة بن خالد عن همام بن يحيى به نحوه ورواه هشام
بن عروة عن صالح مولى ابي هريرة عن ابي هريرة عن رسول الله قال فيمكث في الارض اربعين سنة
وسياتي بيان نزوله عليه السلام في اخر الزمان في كتاب الملاحم كما بسطنا ذلك ايضا
في التفسير عند قوله تعالى في سورة النسا وان من اهل الكتاب الا ليومنن به قبل موته ويوم
القيمة يكون عليهم شهيدا وانه ينزل على المنارة البيضا بدمشق وقد اقيمت صلاة الصبح
فيقول له امام المسلمين تقدم يا روح الله فصل فيقول لا بعضكم على بعض امرا تكرمة الله
هذه الامة وفي رواية فيقول له عيسى انما اقيمت الصلاة لك فيصلي خلفه ثم يركب
ومعه المسلمون في طلب المسيح الدجال فيلحقه عند باب لد فيقتله بيده الكريمة ن
وذكرنا انه قوي الرجا حين بنيت هذه المنارة الشرقية بدمشق التي هي من حجارة بيض
وقد بنيت ايضا من اموال النصارى حين حرقوا التي هدمت وما حولها فينزل عليها عيسى
عليه السلام فيقتل الخنزير ويكسر الصليب ولا يقبل من احد الا الاسلام وانه يحج من فج الروحا
حاجا او معتمرا او ليثنيهما ويقيم اربعين سنة ثم يموت فيدفن فيما قيل في الحجرة النبوية
عند رسول الله وصاحبيه وقد ورد في ذلك حديث ذكره ابن عساكر في اخر ترجمة المسيح
عن عايشة مرفوعا انه يدفن مع رسول الله وابي بكر وعمر في الحجرة النبوية ولكن لا يصح اسناده
وقال ابو عيسى الترمذي ثنا زيد بن اخرم الطائي ثنا ابو قتيبة سلم بن قتيبة حدثني
ابو مودود المدني ثنا عثمان بن الضحاك عن محمد بن يوسف عن عبد الله بن سلام عن ابيه
عن جده قال مكتوب في التورية صفة محمد وعيسى ابن مريم عليهما السلام يدفن معه قال

في نسخة

ابو مودود

ابو مودود وقد بقي في البيت موضع قبر ثم قال الترمذي هذا حديث حسن كذا قال
والصواب الضحاك بن عثمان المدني وقال البخاري هذا الحديث لا يصح عندي ولا يتابع
عليه وروى البخاري عن يحيى بن حماد عن ابي عوانة عن عاصم الاحول عن ابي عثمان النهدي
عن سلمان قال الفترة ما بين عيسى ومحمد صلى الله عليه وسلم ستماية سنة وعن قتادة
خمسماية وستون سنة وقيل خمسماية واربعون سنة وعن الضحاك اربعماية وبضع وثلثون
سنة والمشهور ستماية سنة ومنهم من يقول ستماية وعشرون سنة بالقمرية فتكون ستماية
بالشمسية والله اعلم وقال ابن حبان في صحيحه ذكر المدة التي تبقيت فيها امة عيسى على
هديه حدثنا ابو يعلى ثنا ابو همام ثنا الوليد بن مسلم عن الهيثم بن حميد عن الوضين
بن عطا عن نصر بن علقمة عن جبير بن نفير عن ابي الدردا قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم لقد قبض الله داود من بين اصحابه فما فتنوا ولا بدلوا ولقد مكث اصحاب
المسيح على سنته وهديه مايتي سنة وهذا حديث غريب جدا وان صححه ابن حبان وذكر
ابن جرير عن محمد بن اسحاق ان عيسى عليه السلام قبل ان يرفع وصى الحواريين بان يدعوا الناس
الى عبادة الله وحده لا شريك له وعين كل واحد منهم الى طايفة من الناس في اقليم من
الاقاليم من الشام والمشرق وبلاد المغرب فذكروا انه اصبح كل انسان منهم يتكلم بلغة الذين
ارسله المسيح اليهم وذكر غير واحد ان الانجيل نقله عنه اربعة لوقا ومتى ومرقس ويوحنا وبين
هذه الاناجيل الاربعة تفاوت كثير بالنسبة الى كل نسخة نسخة وزيادات كثيرة ونقص
بالنسبة الى الاخرى وهولا الاربعة منهم اثنان ممن ادرك المسيح وراه وهم اثنان من اصحاب
اصحابه فالله اعلم وقد انشد الشيخ شهاب الدين القرافي في كتابه الرد على النصارى
لبعضهم يرد عليهم في قولهم بصلب المسيح وتسليمهم ذلك لليهود مع دعواهم انه ابن الله
تعالى الله عن قولهم علوا كبيرا

رايت هذه الزيادة على حاشية الجزء بخط مولفه

عجبا للمسيح بين النصارى • والى الله والدا نسبوه
اسلموه الى اليهود وقالوا • انهم بعد قتله صلبوه
فاذا كان ما تقولون حقا • وصحيحا فاين كان ابوه
حين خلا ابنه رهين الاعادي • اتراهم ارضوه ام اغضبوه
فلين كان راضيا باذاهم • فاحمدوهم لانهم وافقوه
ولين كان ساخطا فاتركوه • واعبدوهم لانهم غلبوه

كتاب اخبار الامم الماضيين من بني اسرائيل وغيرهم

الى اخر زمن الفترة سوى ايام العرب وجاهليتهم فانا سنورد ذلك بعد فراغنا من هذا
الفصل ان شا الله تعالى قال الله تعالى كذلك نقص عليك من انبا ما قد سبق
وقد اتيناك من لدنا ذكرا وقال نحن نقص عليك احسن القصص بما اوحينا
اليك هذا القران وان كنت من قبله لمن الغافلين

خبر ذي القرنين

قال الله تعالى ويسالونك عن ذي القرنين قل ساتلوا عليكم منه ذكرا انا مكنا له
في الارض واتيناه من كل شي سببا فاتبع سببا حتى اذا بلغ مغرب الشمس وجدها تغرب
في عين حمية ووجد عندها قوما قلنا يا ذا القرنين اما ان تعذب واما ان تتخذ فيهم
حسنا قال اما من ظلم فسوف نعذبه ثم يرد الى ربه فيعذبه عذابا نكرا واما من امن وعمل

صالحا فله جزاء الحسنى وسنقول له من أمرنا يسرا ثم أتبع سببا حتى إذا بلغ مطلع الشمس وجدها
تطلع على قوم لم نجعل لهم من دونها سترا كذلك وقد أحطنا بما لديه خبرا ثم أتبع سببا حتى
إذا بلغ بين السدين وجد من دونهما قوما لا يكادون يفقهون قولا قالوا يا ذا القرنين إن
يأجوج ومأجوج مفسدون في الأرض فهل نجعل لك خرجا على أن تجعل بيننا وبينهم سدا قال
ما مكني فيه ربي خير فأعينوني بقوة أجعل بينكم وبينهم ردما آتوني زبر الحديد حتى إذا ساوى
بين الصدفين قال انفخوا حتى إذا جعله نارا قال آتوني أفرغ عليه قطرا فما اسطاعوا أن
يظهروه وما استطاعوا له نقبا قال هذا رحمة من ربي فإذا جاء وعد ربي جعله دكاء وكان
وعد ربي حقا ذكر الله تعالى ذا القرنين هذا وأثنى عليه بالعدل وأنه بلغ المشارق والمغارب
وملك الأقاليم وقهر أهلها وسار فيهم بالمعدلة التامة والسلطان المؤيد المظفر
المنصور القاهر المقسط والصحيح أنه كان ملكا من الملوك العادلين وقيل كان نبيا
وقيل كان رسولا وأغرب من قال كان ملكا من الملائكة وقد حكي هذا عن أمير المؤمنين عمر بن
الخطاب فإنه سمع رجلا يقول لآخر يا ذا القرنين فقال مه ما كفاكم أن تتسموا بأسماء
الأنبياء حتى تسميتم بأسماء الملائكة ذكره السهيلي وقد روى وكيع عن إسرائيل عن جابر
عن مجاهد عن عبد الله بن عمرو قال كان ذو القرنين نبيا وروى الحافظ ابن عساكر من حديث
أبي محمد بن أبي نصر عن أبي إسحاق بن إبراهيم بن محمد بن أبي ثابت ثنا محمد بن حماد أنا عبد الرزاق
عن معمر عن ابن أبي ذئب عن المقبري عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لا أدري أتبع كان لعينا أم لا ولا أدري الحدود كفارات لأهلها أم لا ولا أدري ذا القرنين
نبيا كان أم لا وهذا غريب من هذا الوجه وقال إسحاق بن بشر عن عثمان بن الساج عن
خصيف عن عكرمة عن ابن عباس قال كان ذو القرنين ملكا صالحا رضي الله عمله وأثنى
عليه في كتابه وكان منصورا وكان الخضر وزيره وذكروا أن الخضر عليه السلام كان على
مقدمة جيشه وكان عنده بمنزلة المشاور الذي هو من الملك بمنزلة الوزير في اصطلاح
الناس اليوم وقد ذكر الأزرقي وغيره أن ذا القرنين أسلم على يدي إبراهيم الخليل وطاف
معه بالكعبة المكرمة هو وإسماعيل عليه السلام وقال وهب بن منبه كان له قرنان من نحاس
في رأسه وهذا ضعيف وقال بعض أهل الكتاب لأنه ملك فارس والروم وقيل لأنه بلغ
قرني الشمس غربا وشرقا وملك ما بينهما من الأرض وهذا أشبه من غيره وهو قول الزهري
وروى الثوري عن حبيب بن أبي ثابت عن أبي الطفيل عن علي بن أبي طالب أنه سئل عن
ذي القرنين فقال كان عبدا ناصح الله فناصحه دعا قومه إلى الله فضربوه على قرنه
فمات فأحياه الله فدعا قومه إلى الله فضربوه على قرنه الأخرى فمات فسمي ذا القرنين
وهكذا رواه شعبة عن القاسم بن أبي بزة عن أبي الطفيل عن علي به وفي بعض الروايات عن
أبي الطفيل عن علي قال لم يكن نبيا ولا رسولا ولا ملكا ولكن كان عبدا صالحا وقد اختلف في اسمه
فروى الزبير بن بكار عن ابن عباس كان اسمه عبد الله بن الضحاك بن معد وقيل
مصعب بن عبد الله بن قنان بن منصور بن عبد الله بن الأزد بن عون بن نبت بن مالك بن
زيد بن كهلان بن سبأ بن قحطان وقد جاء في حديث أنه كان من حمير وأمه رومية وأنه
كان يقال له ابن الفيلسوف لعقله وقد أنشد بعض الحميريين في ذلك شعرا يفتخر
بكونه أحد أجداده فقال

قد كان ذو القرنين جدي مسلما … ملكا تدين له الملوك وتحشد
بلغ المشارق والمغارب يبتغي … أسباب أمر من حكيم مرشد
فرأى مغيب الشمس عند غروبها … في عين ذي خلب وثأط حرمد
من بعده بلقيس كانت عمتي … ملكتهم حتى أتاها الهدهد

وقد ذكر الدارقطني وابن ماكولا أن اسمه هرمس ويقال هرديس بن قيطون بن رومي بن لنطي
بن كسلوخين بن يونان بن يافث بن نوح والله أعلم وقال إسحاق بن بشر عن سعيد بن
بشير عن قتادة قال الإسكندر هو ذو القرنين وأبوه أول القياصرة وكان من ولد سام بن
نوح وروي عن عبيد بن عمير وابنه عبد الله وغيرهما أن ذا القرنين حج ماشيا وأن إبراهيم
لما سمع بقدومه تلقاه ودعا له ووصاه وأن الله سخر لذي القرنين السحاب يحمله حيث
أراد والله أعلم قال السهيلي وقيل كان اسمه مرزبا بن مرذبة ذكره ابن هشام وذكر ابن هشام
في موضع آخر أن اسمه الصعب بن ذي مراثد وهو أول التبابعة وهو الذي حكم لإبراهيم في بئر
السبع وقيل إنه أفريدون بن أسفيان الذي قتل الضحاك وفي خطبة قس يا معشر
إياد بن الصعب ذو القرنين ملك الخافقين وأذل الثقلين وعمر ألفين ثم كان ذلك
كلحظة عين ثم أنشد ابن هشام للأعشى

والصعب ذو القرنين أصبح ثاويا … بالحنو في جدث أميم مقيم

وأما ذو القرنين الثاني فهو إسكندر بن فيلبس بن مصريم بن هرمس بن هردس
بن ميطون بن رومي بن لنطي بن يونان بن يافث بن يونه بن شرخون بن رومة بن
شرنط بن توفيل بن رومي بن الأصفر بن اليفز بن العيص بن إسحاق بن إبراهيم كذا نسبه
الحافظ ابن عساكر في تاريخه المقدوني اليوناني المصري باني إسكندرية الذي يؤرخ
بأيامه الروم وكان متأخرا عن الأول بدهر طويل كان هذا قبل المسيح بنحو من ثلاثمائة
سنة وكان أرطاطاليس الفيلسوف وزيره وهو الذي قتل دارا بن دارا وأذل ملوك
الفرس وأوطأ أرضهم وإنما نبهنا على هذا لأن كثيرا من الناس يعتقد أنهما واحد وأن المذكور
في القرآن هو الذي كان أرطاطاليس وزيره فيقع بسبب ذلك خطأ كبير وفساد عريض
طويل كثير فإن الأول كان عبدا مؤمنا صالحا وملكا عادلا وكان وزيره الخضر وقد كان نبيا
على ما قررناه قبل هذا وأما الثاني فكان مشركا وكان وزيره فيلسوفا وقد كان بين
زمانيهما أزيد من ألفي سنة فأين هذا من هذا لا يستويان ولا يشتبهان إلا على غبي لا يعرف
حقائق الأمور فقوله تعالى ويسألونك عن ذي القرنين كان سببه أن قريشا سألوا
اليهود عن شيء يمتحنون به علم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا لهم سلوه عن
رجل طواف في الأرض وعن فتية خرجوا لا يدرى ما فعلوا فأنزل الله قصة أصحاب
الكهف وقصة ذي القرنين ولهذا قال قل سأتلو عليكم منه ذكرا أي من خبره وشأنه
ذكرا أي خبرا نافعا كافيا في تعريف أمره وشرح حاله فقال إنا مكنا له في الأرض
وآتيناه من كل شيء سببا أي وسعنا مملكته في البلاد وأعطيناه من آلات المملكة
ما يستعين به على تحصيل ما يحاوله من المهمات العظيمة والمقاصد الجسيمة قال
قتيبة عن أبي عوانة عن سماك عن حبيب بن حماد قال كنت عند علي بن أبي طالب وسأله
رجل عن ذي القرنين كيف بلغ المشرق والمغرب فقال سخر له السحاب ومدت له الأسباب

ويبسط له في النور وقال أزيدك فسكت الرجل فسكت علي رضي الله عنه وعن أبي إسحق السبيعي
عن عمرو بن عبد الله الوادعي سمعت معاوية يقول ملك الأرض أربعة سليمان بن داود
النبي وذو القرنين ورجل من أهل حلوان ورجل آخر فقيل له الخضر قال لا وقال الزبير
بن بكار حدثني إبراهيم بن المنذر عن محمد بن الضحاك عن أبيه عن سفيان الثوري قال بلغني
أنه ملك الأرض كلها أربعة مؤمنان وكافران سليمان النبي عليه السلام وذو القرنين ونمرود وبخت
نصر وهكذا قال سعيد بن بشير سواء وقال إسحاق بن بشر عن سعيد بن أبي عروبة عن
قتادة عن الحسن قال كان ذو القرنين ملك بعد النمرود وكان من قصته
أنه كان رجلا مسلما صالحا أتى المشرق والمغرب مد الله له في الأجل ونصره حتى
قهر البلاد واحتوى على الأموال وفتح المدائن وقتل الرجال وجال في البلاد والقلاع
فسار حتى أتى المشرق والمغرب فذلك قول الله ويسألونك عن ذي القرنين قل سأتلو
عليكم منه ذكرا إنا مكنا له في الأرض وآتيناه من كل شيء سببا أي علما بطلب أسباب المنازل
قال إسحاق وزعم مقاتل أنه كان يفتح المدائن ويجمع الكنوز فمن اتبعه على دينه وتابعه
عليه وإلا قتله وقال ابن عباس ومجاهد وسعيد بن جبير وعكرمة وعبيد بن يعلى والسدي
وقتادة والضحاك وآتيناه من كل شيء سببا يعني علما وقال قتادة ومطر الوراق
معالم الأرض ومنازلها وأعلامها وآثارها وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم يعني تعليم
الألسنة كان لا يغزو قوما إلا كلمهم بلغتهم والصحيح أنه يعم كل سبب يتوصل به إلى نيل
مقصوده في المملكة وغيرها فإنه كان يأخذ من كل إقليم من الأمتعة والمطاعم والزاد ما يكفيه
ويعينه على أهل الإقليم الآخر وذكر بعض أهل الكتاب أنه مكث ألفا وستمائة سنة يجوب
الأرض ويدعو أهلها إلى عبادة الله وحده لا شريك له وفي هذه المدة كلها نظر والله
أعلم وقد روى البيهقي وابن عساكر حديثا متعلقا بقوله وآتيناه من كل شيء سببا مطولا
جدا في إسناده محمد بن يونس الكديمي وهو متهم فلهذا لم نكتبه لسقوطه عندنا والله أعلم
وقوله فأتبع سببا أي طريقا حتى إذا بلغ مغرب الشمس يعني من الأرض انتهى إلى حيث لا يمكن أحدا
أن يجاوزه ووقف على حافة البحر المحيط الغربي الذي يقال له أوقيانوس الذي فيه
الجزائر المسماة بالخالدات التي هي مبتدأ الأطوال على أحد قولي أرباب الهيئة والثاني من
ساحل هذا البحر كما قدمنا وعنده شاهد مغيب الشمس فيما رآه بالنسبة إلى مشاهدته
تغرب في عين حمئة والمراد بها البحر في نظره فإن كان في البحر وعلى ساحله يرى الشمس
كأنها تطلع من البحر وتغرب فيه ولهذا قال وجدها أي في نظره ولم يقل فإذا هي تغرب
في عين حمئة أي ذات حمأة قال كعب الأحبار وهو الطين الأسود وقرأه بعضهم حامية
فقيل يرجع إلى الأول وقيل من الحرارة وذلك من شدة المقابلة لوهج ضوء الشمس وشعاعها
وقد روى الإمام أحمد عن يزيد بن هارون عن العوام بن حوشب حدثني مولى لعبد الله بن
عمرو عن عبد الله قال نظر رسول الله صلى الله عليه وسلم حين غابت فقال في نار الله
الحامية لولا ما يزعها من أمر الله لأحرقت ما على الأرض فيه غرابة وفيه رجل مبهم لم يسم
ورفعه فيه نظر وقد يكون موقوفا من كلام عبد الله بن عمرو فإنه أصاب يوم اليرموك زاملتين
من كتب المتقدمين فكان يحدث منهما والله أعلم ومن زعم من القصاص أن ذا القرنين
جاوز مغرب الشمس وصار يمشي بجيوشه في ظلمات مددا طويلة فقد أخطأ وأبعد

النجعة

النجعة وقال ما يخالف العقل والنقل وقد ذكر ابن عساكر من طريق وكيع عن أبيه عن معتمر
ابن سليمان عن أبي جعفر الباقر عن أبيه زين العابدين خبرا مطولا جدا فيه أن ذا القرنين
كان له صاحب من الملائكة يقال له رناقيل فسأله ذو القرنين هل تعلم في الأرض عينا
يقال لها عين الحياة فذكر له صفة مكانها فذهب ذو القرنين في طلبها وجعل الخضر
على مقدمته فانتهى الخضر إليها في واد في أرض الظلمات فشرب منها ولم يهتد ذو القرنين
إليها وذكر اجتماع ذي القرنين ببعض الملائكة في قصر هناك وأنه أعطاه حجرا فلما
رجع إلى جيشه سأل العلماء عنه فوضعوه في كفة ميزان وجعلوا في مقابلته ألف حجر
مثله فوزنها حتى سأل الخضر فوضع قباله حجرا وجعل عليه حفنة من تراب فرجح به وقال
هذا مثل ابن آدم لا يشبع حتى يوارى بالتراب فسجد له العلماء تكريما له وإعظاما والله
تعالى أعلم ثم ذكر تعالى أنه حكمه في أهل تلك الناحية فقلنا يا ذا القرنين إما أن تعذب
وإما أن تتخذ فيهم حسنا قال أما من ظلم فسوف نعذبه ثم يرد إلى ربه فيعذبه عذابا
نكرا أي يجتمع عليه عذاب الدنيا والآخرة وبدأ بعذاب الدنيا لأنه أزجر عند الكافر وأما
من آمن وعمل صالحا فله جزاء الحسنى وسنقول له من أمرنا يسرا فبدأ بالأهم وهو ثواب الآخرة
وعطف عليه الإحسان منه إليه وهذا هو العدل والعلم والإيمان قال الله تعالى ثم
أتبع سببا أي سلك طريقا راجعا من المغرب إلى المشرق فيقال إنه رجع في اثنتي عشرة
سنة حتى إذا بلغ مطلع الشمس وجدها تطلع على قوم لم نجعل لهم من دونها سترا
أي ليس لهم بيوت ولا أكنان يستترون بها من حر الشمس قال كثير من العلماء ولكن
كانوا يأوون إذا اشتد عليهم الحر إلى أسراب قد اتخذوها في الأرض شبه القبور قال
الله تعالى كذلك وقد أحطنا بما لديه خبرا أي ونحن نعلم ما هو عليه ونحفظه ونكلؤه
بحراستنا في مسيره ذلك كله من مغارب الأرض إلى مشارقها وقد روي عن عبيد بن
عمير وابنه عبد الله وغيرهما من السلف أن ذا القرنين حج ماشيا فلما سمع إبراهيم
الخليل بقدومه تلقاه فلما اجتمعا دعا له الخليل ووصاه بوصايا ويقال إنه
جيء بفرس ليركبها فقال لا أركب في بلد فيه الخليل فسخر الله له السحاب وبشره إبراهيم
بذلك فكانت تحمله إذا أراد وقوله تعالى ثم أتبع سببا حتى إذا بلغ بين السدين وجد
من دونهما قوما لا يكادون يفقهون قولا يعني غتما فقال لهم هم الترك أبناء عم
يأجوج ومأجوج فذكروا له أن هاتين القبيلتين قد تعدوا عليهم وأفسدوا في بلادهم
وقطعوا السبل عليهم وبذلوا له حملا وهو الخراج على أن يقيم بينهم وبينهم حاجزا يمنعهم
من الوصول إليهم فامتنع من أخذ الخراج اكتفاء بما أعطاه الله من الأموال الجزيلة قال
ما مكني فيه ربي خير ثم طلب منهم أن يجمعوا له رجالا وآلات ليبني بينهم وبينهم سدا وهو
الردم بين الجبلين وكانوا لا يستطيعون الخروج إليهم إلا من بينهما وبقية ذلك بحار
مغرقة وجبال شامخة فبناه كما قال الله من الحديد والقطر وهو النحاس المذاب
وقيل الرصاص والصحيح الأول فجعل بدل اللبن حديدا وبدل الطين نحاسا ولهذا
قال تعالى فما اسطاعوا أن يظهروه أي يعلوا عليه بسلالم ولا غيرها وما استطاعوا
له نقبا أي بمعاول ولا فؤوس ولا غيرها فقابل الأسهل بالأسهل والأشد بالأشد قال
هذا رحمة من ربي أي قدر الله وجوده ليكون رحمة منه بعباده أن يمنع بسببه عدوان

هؤلاء القوم على من يجاورهم في تلك المحلة فاذا جاء وعد ربي اي الوقت الذي قدر الله
خروجهم على الناس في اخر الزمان جعله دكا اي مساويا للارض ولا بد من كون هذا ولهذا
قال وكان وعد ربي حقا كما قال تعالى حتى اذا فتحت ياجوج وماجوج وهم من كل
حدب ينسلون واقترب الوعد الحق الاية ولهذا قال ههنا وتركنا بعضهم يومئذ
يموج في بعض يعني يوم فتح السد على الصحيح ونفخ في الصور فجمعناهم جمعا وقد اوردنا
الاحاديث المروية في كتاب الفتن والملاحم من كتابنا هذا اذا انتهينا اليه بحول
الله وقوته وحسن توفيقه ومعونته وهدايته والله المستعان قال ابو داود
الطيالسي عن الثوري بلغنا ان اول من صافح ذو القرنين ويروى عن كعب الاحبار انه
قال لمعاوية ان ذا القرنين لما حضرته الوفاة اوصى امه اذا هو مات ان تصنع طعاما
وتجمع نساء اهل المدينة وتضعه بين ايديهن وتاذن لهن فيه الا من كانت ثكلى فلا تاكل
منه شيئا فلما فعلت ذلك لم تضع واحدة منهن يدها فيه فقالت لهن سبحان الله كلكن
ثكلى فقلن اي والله ما منا الا من اثكلت فكان ذلك تسلية لامه وذكر اسحاق بن بشر
عن عبد الله بن زياد عن بعض اهل الكتب وصية ذي القرنين وموعظته امه موعظة
عظيمة طويلة بليغة فيها حكم وامور نافعة وانه مات وعمره ثلاثة الاف سنة
وهذا غريب قال ابن عساكر وبلغني من وجه اخر انه عاش ستا وثلاثين سنة وقيل
كان عمره اثنتين وثلاثين سنة وكان بعد داود بسبعمائة سنة واربعين سنة وكان
بعد ادم بخمسة الاف وستمائة واحدى وثلاثين سنة وكان ملكه ست عشرة سنة
وهذا الذي ذكره انما ينطبق على اسكندر الثاني لا الاول وقد خلط في اول الترجمة
واخرها بينهما والصواب التفرقة كما ذكرنا اقتداء بجماعة من الحفاظ والله اعلم
وممن جعلهما واحدا الامام عبد الملك بن هشام راوي السيرة وقد انكر عليه ذلك الحافظ ابو
القاسم السهيلي رحمه الله انكارا بليغا ورد قوله ردا شنيعا وفرق بينهما تفريقا جيدا
كما قدمنا قال ولعل جماعة من الملوك المتقدمين تسموا بذي القرنين تشبها
بالاول والله اعلم

ذكر امتي ياجوج وماجوج وصفاتهم

وما ورد من اخبارهم وصفة السد هم من ذرية ادم بلا خلاف نعلمه ثم الدليل
على ذلك ما ثبت في الصحيحين من طريق الاعمش عن ابي صالح عن ابي سعيد قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله تعالى يوم القيامة يا ادم قم فابعث
بعث النار من ذريتك فيقول يا رب وما بعث النار فيقول من كل الف تسعمائة وتسعة
وتسعون الى النار وواحد الى الجنة فحينئذ يشيب الصغير وتضع كل ذات حمل حملها وترى
الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد قالوا يا رسول الله اينا ذلك الواحد
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ابشروا فان منكم واحدا ومن ياجوج وماجوج
الفا وفي رواية فقال ابشروا فان فيكم امتين ما كانتا في شيء الا كثرتاه اي غلبتاه
كثرة وهذا يدل على كثرتهم وانهم اضعاف الناس مرارا عديدة ثم هم من ذرية نوح
لان الله تعالى اخبر انه استجاب لعبده نوح في دعائه على اهل الارض بقوله رب
لا تذر على الارض من الكافرين ديارا وقال تعالى فانجيناه واصحاب السفينة
وقال وجعلنا ذريته هم الباقين وتقدم في الحديث المروي في المسند والسنن ان

نوحا ولد له ثلاثة وهم سام وحام ويافث فسام ابو العرب وحام ابو السودان ويافث
ابو الترك فياجوج وماجوج وهم من نسل المغول وهم اشد باسا واكثر فسادا من هؤلاء
ونسبتهم اليهم كنسبة هؤلاء الى غيرهم وقد قيل ان الترك انما سموا بذلك حين بنى
ذو القرنين السد والجا ياجوج وماجوج الى ما وراءه فبقيت منهم طائفة لم يكن عندهم فساد
فتركوا من ورائه فلهذا قيل لهم الترك ومن زعم ان ياجوج وماجوج خلقوا
من نطفة ادم حين احتلم فاختلطت بتراب فخلقوا من ذلك وانهم ليسوا من حوا فهو قول
حكاه الشيخ ابو زكريا النواوي في شرح مسلم وغيره وضعفوه وهو جدير
بذلك اذ لا دليل عليه بل هو مخالف لما ذكرناه من ان جميع الناس اليوم من ذرية نوح بنص
القران وهكذا من زعم انهم على اشكال مختلفة واطوال متباينة جدا فمنهم من هو
كالنخلة السحوق ومنهم من هو في غاية القصر ومنهم من يفترش اذنا من اذنيه ويتغطى
بالاخرى فكل هذه اقوال بلا دليل ورجم بالغيب بغير برهان والصحيح انهم من بني ادم
وعلى اشكالهم وصفاتهم وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم ان الله خلق ادم
وطوله ستون ذراعا ثم لم يزل الخلق ينقص حتى الان وهذا فيصل في هذا الباب
وغيره وما قيل من ان احدهم لا يموت حتى يرى من ذريته الفا فان صح في خبر قلنا به
والا فلا نرده اذ يحتمله العقل والنقل ايضا قد يرشد اليه والله اعلم بل ورد حديث
مصرح بذلك ان صح قال الطبراني حدثنا عبد الله بن محمد بن العباس الاصبهاني ثنا
ابو مسعود احمد بن الفرات ثنا ابو داود الطيالسي ثنا المغيرة عن مسلم عن ابي اسحاق
عن وهب بن جابر عن عبد الله بن عمرو عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان ياجوج
وماجوج من ولد ادم ولو ارسلوا لافسدوا على الناس معايشهم ولن يموت منهم
رجل الا ترك من ذريته الفا فصاعدا وان من ورائهم ثلاث امم تاويل وتاريس ومنسك وهو
حديث غريب جدا واسناده ضعيف وفيه نكارة واما الحديث الذي ذكره ابن جرير
في تاريخه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ذهب اليهم ليلة الاسراء فدعاهم الى الله
فامتنعوا من اجابته ومتابعته وانه دعا تلك الامم الذي هناك تاريس وتاويل
ومنسك فاجابوه فهو حديث موضوع اختلقه ابو نعيم عمرو بن الصبح احد الكذابين
الكبار الذين اعترفوا بوضع الحديث والله اعلم فان قيل فكيف دل الحديث المتفق
عليه انهم فداء المؤمنين يوم القيامة وانهم في النار ولم يبعث اليهم رسل وقد قال
الله تعالى وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا فالجواب انهم لا يعذبون الا بعد قيام
الحجة عليهم والاعذار اليهم كما قال تعالى وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا فان
كانوا في الزمن الذي قبل بعثة محمد صلى الله عليه وسلم قد اتتهم رسل منهم فقد
قامت على اولئك الحجة وان لم يكن قد بعث اليهم رسل فهم في حكم اهل الفترة ومن لم تبلغه
الدعوة وقد دل الحديث المروي من طرق عن جماعة من الصحابة عن رسول الله صلى
الله عليه وسلم ان من كان كذلك يمتحن في عرصات القيامة فمن اجاب الداعي دخل الجنة
ومن ابى دخل النار وقد اوردنا الحديث بطرقه والفاظه وكلام الائمة عليه عند قوله
وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا وقد حكاه الشيخ ابو الحسن الاشعري اجماعا عن
اهل السنة والجماعة وامتحانهم لا يقتضي نجاتهم ولا ينافي الاخبار عنهم بانهم من اهل

الا بأن الله يطلع رسوله صلى الله عليه وسلم على ما يشاء من امر الغيب وقد اطلعه
على ان هولاء من اهل الشقاء وان سجاياهم تأبى قبول الحق والانقياد له فهم لا يجيبون الداعي
الى يوم القيامة فيعلم من هذا انهم كانوا اشد تكذيبا للحق في الدنيا لو بلغهم فيها لان
في عرصات القيامة ينقاد خلق ممن كان مكذبا في الدنيا فايقاع الايمان هناك لما يشاهد
من الاهوال اولى واحرى منه والله اعلم وقال تعالى ولو ترى اذ المجرمون ناكسوا رؤسهم
عند ربهم ربنا ابصرنا وسمعنا فارجعنا نعمل صالحا انا موقنون وقال تعالى اسمع
بهم وابصر يوم يأتوننا واما السد فقد تقدم ان ذا القرنين بناه من الحديد والنحاس
وساوى به الجبال الصم الشامخات الطوال فلا يعرف على وجه الارض بناء اجل منه ولا انفع
للخلق منه في امر دنياهم قال البخاري وقال رجل للنبي صلى الله عليه وسلم رأيت
السد فقال كيف رأيته قال مثل البرد المحبر فقال رأيته هكذا ذكره البخاري معلقا
بصيغة الجزم ولم اره مسندا من وجه متصل ارتضيه غير ان ابن جرير رواه في تفسيره
مرسلا فقال ثنا بشر ثنا يزيد ثنا سعيد عن قتادة قال ذكر لنا ان رجلا قال
يا رسول الله قد رأيت سد ياجوج وماجوج قال انعته لي قال كالبرد المحبر طريقة
سوداء وطريقة حمراء قال قد رأيته وقد ذكر ان الخليفة الواثق بعث رسلا من جهته
وكتب لهم كتبا الى الملوك يوصلونهم من بلاد الى بلاد حتى ينتهوا الى السد فيكشفوا
عن خبره وينظروا كيف بناه ذو القرنين وعلى اي صفة فلما رجعوا اخبروا عن صفته
وان فيه بابا عظيما وعليه اقفال وانه بناء محكم شاهق منيف جدا وان بقية اللبن
الحديد والالات في برج هناك وذكروا انه لا يزال هناك حرس لتلك الملوك المتاخمة
لتلك البلاد ومحلته في شرقي الارض في جهة الشمال في زاوية الارض الشرقية الشمالية
ويقال ان بلادهم متسعة جدا وانهم يقتاتون باصناف من المعايش من حراثة
وزراعة واصطياد من البر ومن البحر وهم امم وخلق لا يعلم عددهم الا الذي خلقهم فان
قيل فما الجمع بين قوله تعالى فما اسطاعوا ان يظهروه وما استطاعوا له نقبا
وبين الحديث الذي رواه البخاري ومسلم عن زينب بنت جحش ام المومنين رضي الله عنها
قالت استيقظ رسول الله صلى الله عليه وسلم من نوم محمرا وجهه وهو يقول لا اله الا الله
ويل للعرب من شر قد اقترب فتح اليوم من ردم ياجوج وماجوج مثل هذه وحلق تسعين
قلت يا رسول الله انهلك وفينا الصالحون قال نعم اذا كثر الخبث واخرجا في
الصحيحين من حديث وهيب عن ابن طاوس عن ابيه عن ابي هريرة قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم فتح اليوم من ردم ياجوج وماجوج مثل هذا وعقد تسعين
فالجواب اما على قول من ذهب الى ان هذا اشارة الى فتح ابواب الشر والفتن وان هذا
استعارة محضة وضرب مثل فلا اشكال واما على قول من جعل ذلك اخبارا عن امر محسوس
كما هو الظاهر المتبادر فلا اشكال ايضا لان قوله فما اسطاعوا ان يظهروه وما استطاعوا
له نقبا اي في ذلك الزمان لان هذه صيغة خبر ماض فلا ينفي وقوعه فيما يستقبل باذن
الله لهم في ذلك قدرا وتسليطهم عليه بالتدريج قليلا قليلا حتى يتم الاجل وينقضي
الامد المقدر فيخرجون كما قال الله تعالى وهم من كل حدب ينسلون ولكن الحديث
الاخر اشكل من هذا وهو ما رواه الامام احمد في مسنده قائلا ثنا روح ثنا سعيد بن ابي

عروبة

عروبة عن قتادة ثنا ابو رافع عن ابي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
ان ياجوج وماجوج ليحفرون السد كل يوم حتى اذا كادوا يرون شعاع الشمس قال الذي
عليهم ارجعوا فستحفرونه غدا فيعودون اليه كاشد ما كان حتى اذا بلغت مدتهم
واراد الله ان يبعثهم على الناس حفروا حتى اذا كادوا يرون شعاع الشمس قال الذي
عليهم ارجعوا فستحفرونه غدا ان شاء الله ويستثني فيعودون اليه وهو كهيئته يوم
تركوه فيحفرونه ويخرجون على الناس فينشفون المياه ويتحصن الناس منهم في حصونهم
فيرمون بسهامهم الى السماء فيرجع وعليها كهيئة الدم فيقولون قهرنا اهل الارض وعلونا
اهل السماء فيبعث الله عليهم نغفا في اقفائهم فيقتلهم بها قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم والذي نفس محمد بيده ان دواب الارض لتسمن وتشكر شكرا من لحومهم ودمائهم
ورواه احمد ايضا عن حسين بن موسى عن سفيان عن قتادة به وهكذا رواه ابن ماجة
من حديث سعيد عن قتادة الا انه قال حدث ابو رافع ورواه الترمذي من حديث ابي
عوانة عن قتادة به ثم قال غريب لا نعرفه الا من هذا الوجه فقد اخبر في هذا
الحديث انهم كل يوم يلحسونه حتى كادوا ينظرون شعاع الشمس من ورايه لرقته
فان لم يكن رفع هذا الحديث محفوظا وانما هو ماخوذ عن كعب الاحبار كما قاله بعضهم
فقد استرحنا من المونة وان كان محفوظا فيكون محمولا على ان صنيعهم هذا يكون في اخر
الزمان عند اقتراب خروجهم كما هو المروي عن كعب الاحبار او يكون المراد بقوله وما استطاعوا
له نقبا اي نافذا منه فلا ينفي ان يلحسوه ولا ينفذوه والله تعالى اعلم وعلى هذا
فيمكن الجمع بين هذا وبين ما في الصحيحين عن ابي هريرة فتح اليوم من ردم ياجوج
وماجوج مثل هذه وعقد تسعين اي فتح فتحا نافذا فيه والله اعلم

قصة اصحاب الكهف

قال الله تعالى ام حسبت ان اصحاب الكهف والرقيم كانوا من اياتنا عجبا اذ اوى
الفتية الى الكهف فقالوا ربنا اتنا من لدنك رحمة وهيئ لنا من امرنا رشدا فضربنا
على اذانهم في الكهف سنين عددا ثم بعثناهم لنعلم اي الحزبين احصى لما لبثوا امدا
نحن نقص عليك نباهم بالحق انهم فتية امنوا بربهم وزدناهم هدى وربطنا على قلوبهم
اذ قاموا فقالوا ربنا رب السموات والارض لن ندعو من دونه الها لقد قلنا اذا شططا
هولاء قومنا اتخذوا من دونه الهة لولا ياتون عليهم بسلطان بين فمن اظلم ممن
افترى على الله كذبا واذ اعتزلتموهم وما يعبدون الا الله فاووا الى الكهف ينشر
لكم ربكم من رحمته ويهيئ لكم من امركم مرفقا وترى الشمس اذا طلعت تزاور عن كهفهم
ذات اليمين واذا غربت تقرضهم ذات الشمال وهم في فجوة منه ذلك من ايات الله
من يهد الله فهو المهتدي ومن يضلل فلن تجد له وليا مرشدا وتحسبهم ايقاظا
وهم رقود ونقلبهم ذات اليمين وذات الشمال وكلبهم باسط ذراعيه بالوصيد
لو اطلعت عليهم لوليت منهم فرارا ولملئت منهم رعبا وكذلك بعثناهم ليتساءلوا
بينهم قال قائل منهم كم لبثتم قالوا لبثنا يوما او بعض يوم قالوا ربكم اعلم بما
لبثتم فابعثوا احدكم بورقكم هذه الى المدينة فلينظر ايها ازكى طعاما فلياتكم
برزق منه وليتلطف ولا يشعرن بكم احدا انهم ان يظهروا عليكم يرجموكم او يعيدوكم

في ملتكم ولن تفلحوا اذا ابدا وكذلك اعثرنا عليهم ليعلموا ان وعد الله حق وان الساعة
لا ريب فيها اذ يتنازعون بينهم امرهم فقالوا ابنوا عليهم بنيانا ربهم اعلم بهم قال الذين
غلبوا على امرهم لنتخذن عليهم مسجدا سيقولون ثلاثة رابعهم كلبهم ويقولون خمسة
سادسهم كلبهم رجما بالغيب ويقولون سبعة وثامنهم كلبهم قل ربي اعلم بعدتهم
ما يعلمهم الا قليل فلا تمار فيهم الا مراء ظاهرا ولا تستفت فيهم منهم احدا ولا تقولن لشيء
اني فاعل ذلك غدا الا ان يشاء الله واذكر ربك اذا نسيت وقل عسى ان يهدين
ربي لاقرب من هذا رشدا ولبثوا في كهفهم ثلاث مائة سنين وازدادوا تسعا قل الله اعلم
بما لبثوا له غيب السموات والارض ابصر به واسمع ما لهم من دونه من ولي ولا يشرك
في حكمه احدا كان سبب نزول قصة اصحاب الكهف وخبر ذي القرنين ما ذكره محمد بن
اسحاق في السيرة وغيره ان قريشا بعثوا الى اليهود يسالونهم عن اشياء يمتحنون بها
رسول الله صلى الله عليه وسلم ويسالونه عنها ليختبروا ما يجيء به فيها فقالوا اسالوه
عن اقوام ذهبوا الى الدهر فلا يدرى ما صنعوا وعن رجل طواف في الارض وعن الروح
فانزل الله تعالى ويسالونك عن الروح ويسالونك عن ذي القرنين وقال ههنا
ام حسبت ان اصحاب الكهف والرقيم كانوا من اياتنا عجبا اي ليسوا بعجب عظيم
بالنسبة الى ما اطلعناك عليه من الاخبار العظيمة والايات الباهرة والعجايب
الغريبة والكهف هو الغار في الجبل قال شعيب الجبائي واسم كهفهم حيزم
واما الرقيم فعن ابن عباس انه قال لا ادري ما المراد به وقيل هو الكتاب المرقوم
فيه اسماؤهم وما جرى لهم كتب من بعدهم اختاره ابن جرير وغيره وقيل هو اسم
الجبل الذي فيه كهفهم قال ابن عباس وشعيب الجبائي واسمه بنجلوس وقيل
هو اسم واد عند كهفهم وقيل اسم قرية من هنالك والله اعلم قال شعيب الجبائي
واسم كلبهم حمران واعتناء اليهود بامرهم ومعرفة خبرهم يدل على ان زمانهم متقدم على
ما ذكره بعض المفسرين انهم كانوا بعد المسيح وانهم كانوا نصارى والظاهر من السياق
انهم كانوا مشركين يعبدون الاصنام قال كثير من المفسرين والمورخين وغيرهم كانوا في
زمن ملك يقال له دقيانوس وكانوا من ابناء الاكابر وقيل من ابناء الملوك واتفق
اجتماعهم في يوم عيد لقومهم فراوا ما يتعاطاه قومهم من السجود للاصنام والتعظيم
للاوثان فنظروا بعين البصيرة وكشف الله عن قلوبهم حجاب الغفلة والهمهم رشدهم
فعلموا ان قومهم ليسوا على شيء فخرجوا عن دينهم وانتموا الى عبادة الله وحده لا شريك
له ويقال ان كل واحد منهم لما اوقع الله في نفسه ما هداه اليه من التوحيد انحاز عن
الناس واتفق اجتماع هولاء الفتية في مكان واحد كما صح في البخاري الارواح جنود
مجندة فما تعارف منها ايتلف وما تناكر منها اختلف فكل منهم سال الاخر عن امره
وشانه فاخبره بما هو عليه فاتفقوا على الانحياز عن قومهم والتبري منهم
والخروج من بين اظهرهم والفرار بدينهم منهم وهو المشروع حال الفتن وظهور الشرور
قال الله تعالى نحن نقص عليك نباهم بالحق انهم فتية امنوا بربهم وزدناهم هدى
وربطنا على قلوبهم اذ قاموا فقالوا ربنا رب السموات والارض لن ندعو من دونه
الها لقد قلنا اذا شططا هولاء قومنا اتخذوا من دونه الهة لولا ياتون عليهم

بسلطان

بسلطان بين وهو اظهر من امرهم اي بدليل ظاهر على ما ذهبوا اليه وصاروا من الامر
عليه فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا واذ اعتزلتموهم وما يعبدون الا الله اي واذ فارقتموهم
في دينهم وتبراتم مما يعبدون الا الله وذلك لانهم كانوا يشركون مع الله كما قال الخليل
انني براء مما تعبدون الا الذي فطرني فانه سيهدين وهكذا هولاء الفتية قال بعضهم لبعض
اذ قد فارقتم قومكم في دينهم فاعتزلوهم بابدانكم لتسلموا منهم ان يوصلوا اليكم شرا فاووا الى
الكهف ينشر لكم ربكم من رحمته ويهيئ لكم من امركم مرفقا اي يبسط عليكم ستره وتكونوا تحت حفظه
وكنفه ويجعل عاقبة امركم الى الخير كما جاء في الحديث اللهم احسن عاقبتنا في الامور كلها
واجرنا من خزي الدنيا ومن عذاب الاخرة ثم ذكر تعالى صفة الغار الذي اووا اليه وان
الذي اووا اليه وان بابه يوجه الى نحو الشمال واعماقه الى جهة القبلة وذلك انفع الاماكن
ان يكون المكان قبليا وبابه الى نحو الشمال فقال وترى الشمس اذا طلعت تزاور عن
كهفهم ذات اليمين واذا غربت تقرضهم ذات الشمال فاخبر ان الشمس يعني في زمن
الصيف واشباهه تشرق اول طلوعها في الغار في جانبه الغربي ثم تشرع في الخروج
منه قليلا قليلا وهو ازورارها ذات اليمين فترتفع في جو السماء وتتقاص عن باب الغار
ثم اذا تضيفت للغروب شرع في الدخول فيه من جهته الشرقية قليلا قليلا الى حين
الغروب كما هو المشاهد في مثل هذا المكان والحكمة في دخول الشمس اليه في بعض الاحيان
ان لا يفسد هواؤه وهم في فجوة منه ذلك من ايات الله اي بقاؤهم على هذه الصفة دهرا
طويلا من السنين لا ياكلون ولا يشربون ولا تتغذى اجسادهم في هذه المدة الطويلة
من ايات الله وبرهان قدرته العظيمة من يهد الله فهو المهتدي ومن يضلل فلن تجد له
وليا مرشدا وتحسبهم ايقاظا وهم رقود قال بعضهم لان اعينهم مفتوحة لئلا تفسد بطول
الغمض ونقلبهم ذات اليمين وذات الشمال قيل في كل عام يتحولون مرة من جنب الى جنب
ويحتمل اكثر من ذلك والله اعلم وكلبهم باسط ذراعيه بالوصيد قال شعيب الجبائي اسم
كلبهم حمران وقال غيره الوصيد اسكفة الباب والمراد ان كلبهم الذي كان معهم وصحبهم
حال انفرادهم من قومهم لزمهم ولم يدخل معهم في الكهف بل ربض على بابه ووضع يديه على الوصيد
وهذا من جملة ادبه ومن جملة ما اكرموا به فان الملايكة لا تدخل بيتا فيه كلب ولما كانت التبعية
موثرة حتى كان في كلب هولاء صار باقيا معهم ببقائهم لان من احب قوما سعد بهم فاذا كان
هذا في حق كلب فما ظنك بمن تبع اهل الخير وهو اهل للاكرام وقد ذكر كثير من القصاص والمفسرين
لهذا الكلب نبا وخبرا طويلا اكثره متلقى من الاسرائيليات وكثير منها كذب ومما لا فايدة
فيه كاختلافهم في اسمه ولونه واما اختلاف العلما في محلة هذا الكهف فقال كثيرون
هو بارض ايلة وقيل بارض نينوى وقيل بالبلقا وقيل ببلاد الروم وهو اشبه والله
اعلم ولما ذكر الله ما هو الانفع من خبرهم والاهم من امرهم ووصف حالهم حتى كان السامع
راي والمخبر مشاهد لصفة كهفهم وهيئتهم وكيفيتهم في ذلك الكهف وتقلبهم من جنب
الى جنب وان كلبهم باسط ذراعيه بالوصيد قال لو اطلعت عليهم لوليت منهم فرارا
ولملئت منهم رعبا اي لما عليهم من المهابة والجلالة في امرهم الذي صاروا اليه ولعل الخطاب
ههنا لجنس الانسان المخاطب لا بخصوصية الرسول صلى الله عليه وسلم كقولك فما
يكذبك بعد بالدين اي ايها الانسان وذلك لان طبيعة البشرية تنفر من روية الاشيا

المهيبة غالبا ولهذا قال لو اطلعت عليهم لوليت منهم فرارا ولملئت منهم رعبا وذلك
على ان الخبر ليس كالمعاينة كما في الحديث لان الخبر قد حصل ولم يحصل الفرار ولا الرعب ثم
ذكر تعالى انه بعثهم من رقدتهم بعد نومهم بثلثمائة سنة وتسع سنين فلما استيقظوا قال
بعضهم لبعض كم لبثتم فقالوا لبثنا يوما او بعض يوم قالوا ربكم اعلم بما لبثتم فابعثوا
احدكم بورقكم هذه الى المدينة اي بدراهمكم هذه يعني التي معهم الى المدينة ويقال كان اسمها
دقسوس فلينظر ايها ازكى طعاما اي اطيب مالا فليأتكم برزق منه اي بطعام تأكلونه وهذا
من زهدهم وورعهم وليتلطف اي في دخوله اليها ولا يشعرن بكم احدا انهم ان يظهروا
عليكم يرجموكم او يعيدوكم في ملتهم يعنون اذ انقذكم الله منها وهذا كله لظنهم انهم انما رقدوا
يوما او بعض يوم او اكثر من ذلك ولم يحسبوا انهم قد رقدوا ازيد من ثلثمائة سنة وقد
تبدلت الدول اطوارا عديدة وتغيرت البلاد ومن عليها وذهب اوليك القرن الذين كانوا
فيهم وجاء غيرهم وذهبوا وجاء غيرهم ولهذا لما خرج احدهم وهو تندوسيس فيما قيل وجا الى
المدينة متنكرا لئلا يعرفه احد من قومه فيما يحسبه تنكرت له البلد واستنكره من راه من اهلها
واستغربوا شكله وصفته ودراهمه فيقال انهم حملوه الى متوليهم وخافوا من امره ان يكون
جاسوسا او يكون له صولة يخشون من مضرتها فيقال انه هرب منهم ويقال بل اخبرهم خبره
ومن معه وما كان من امرهم فانطلقوا معه ليريهم مكانه ومقدار ما رقدوا فعلموا ان هذا امر قدره
الله فيقال انهم استمروا راقدين ويقال بل ماتوا بعد ذلك واما اهل البلدة فيقال
انهم لم يهتدوا الى موضعهم من الغار وعمى الله عليهم امرهم ويقال لم يستطيعوا دخوله حسا
ويقال مهابة لهم واختلفوا في امرهم فقائلون يقولون ابنوا عليهم بنيانا اي سدوا عليهم
باب الكهف لئلا يخرجون او لئلا يصل اليهم ما يوذيهم واخرون وهم الغالبون على امرهم
قالوا لنتخذن عليهم مسجدا اي معبدا يكون مباركا لمجاورته هولاء الصالحين وهذا كان
شائعا فيمن كان قبلنا فاما في شرعنا فقد ثبت في الصحيحين عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم انه قال لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور انبيائهم مساجد يحذر ما فعلوا
واما قوله تعالى وكذلك اعثرنا عليهم ليعلموا ان وعد الله حق وان الساعة لا ريب فيها
فمعنى اعثرنا اطلعنا على امرهم الناس قال كثير من المفسرين ليعلم الناس ان المعاد حق وان
الساعة لا ريب فيها اذ علموا ان هولاء القوم رقدوا ازيد من ثلثمائة سنة ثم قاموا كما كانوا
من غير تغير منهم فان من ابقاهم كما هم قادر على اعادة الابدان وان اكلتها الديدان وعلى احياء
الاموات وان صارت اجسامهم وعظامهم رفاتا وهذا مما لا يشك فيه المومنون انما امره اذا
اراد شيئا ان يقول له كن فيكون هذا ويحتمل عود الضمير في قوله ليعلموا الى اصحاب الكهف
اي علمهم بذلك من انفسهم ابلغ من علم غيرهم بهم ويحتمل ان يعود على الجميع والله اعلم ثم قال
تعالى سيقولون ثلاثة رابعهم كلبهم ويقولون خمسة سادسهم كلبهم رجما ويقولون سبعة
وثامنهم كلبهم فذكر اختلاف الناس في كميتهم فحكى ثلاثة اقوال وضعف الاولين وقرر الثالث
فدل على انه الحق اذ لو قيل غيره لذكره ولو لم يكن هذا الثالث هو الصحيح لوهاه فدل
على ما قلناه ولما كان هذا النزاع في مثل هذا لا طائل تحته ولا جدوى عنده ارشد نبيه صلى
الله عليه وسلم الى الادب في مثل هذا الحال اذا اختلف الناس فيه ان يقول الله اعلم ولهذا
قال قل ربي اعلم بعدتهم وقوله ما يعلمهم الا قليل اي من الناس فلا تمار فيهم الا مراء ظاهرا

اي شهدا

اي سهلا ولا يتكلف عما الجدال في مثل هذه الحال ولا تستفت في امرهم احدا من الرجال ولهذا
ابهم تعالى عدتهم في اول القصة فقال انهم فتية امنوا بربهم ولو كان في تعيين عدتهم كبير
فايدة لذكرها عالم الغيب والشهادة وقوله تعالى ولا تقولن لشيء اني فاعل ذلك غدا
الا ان يشاء الله واذكر ربك اذا نسيت وقل عسى ان يهدين ربي لاقرب من هذا رشدا ادب
عظيم ارشده الله تعالى اليه وحث خلقه عليه وهو ما اذا قال احدهم اني سافعل في المستقبل
كذا فيشرع له ان يقول ان شاء الله ليكون ذلك تحقيقا لعزمه لان العبد لا يعلم ما في غد
ولا يدري اهذا الذي عزم عليه مقدر ام لا وليس هذا الاستثناء تعليقا وانما هو تحقيق
ولهذا قال ابن عباس انه يصح الى سنة ولكن قد يكون في بعض المحال لهذا ولهذا تقدم
في قصة سليمان عليه السلام حين قال لاطوفن الليلة على تسعين امراة تلد كل امراة
منهن غلاما يقاتل في سبيل الله فقيل له قل ان شاء الله فلم يقل فطاف فلم تلد منهن الا امراة
واحدة نصف انسان قال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده لو قال ان
شاء الله لم يحنث وكان دركا لحاجته وقوله واذكر ربك اذا نسيت وذلك لان النسيان
قد يكون من الشيطان فذكر الله يطرده عن القلب فيذكر ما كان قد نسيه وقوله وقل عسى
ان يهدين ربي لاقرب من هذا رشدا اي اذا اشتبه امر واشكل حال والتبس في اقوال
الناس في شيء فارغب الى الله فييسره لك ويسهله عليك ثم قال تعالى ولبثوا في كهفهم
ثلثمائة سنين وازدادوا تسعا لما كان في الاخبار بطول مدة لبثهم فايدة عظيمة
ذكرها تعالى وهذه التسع المزيدة بالقمرية وهي لتكميل ثلثماية شمسية فان كل ماية
قمرية تنتقص عن الشمسية ثلاث سنين قل الله اعلم بما لبثوا اي اذا سئلت عن مثل
هذا وليس عندك في ذلك نقل فرد الامر في ذلك الى الله عز وجل له غيب السموات والارض
اي هو العالم بالغيب فلا يطلع على غيبه احدا الا من شاء من خلقه ابصر به واسمع يعني انه
يضع الاشيا في محالها لعلمه التام بخلقه وبما يستحقونه ثم قال ما لهم من دونه من ولي ولا
يشرك في حكمه احدا اي بل هو المنفرد بالملك والمتصرف وحده لا شريك له

قصة الرجلين المومن والكافر

قال الله تعالى واضرب لهم مثلا رجلين جعلنا لاحدهما جنتين من اعناب وحففناهما بنخل
وجعلنا بينهما زرعا كلتا الجنتين اتت اكلها ولم تظلم منه شيئا وفجرنا خلالهما نهرا
وكان له ثمر فقال لصاحبه وهو يحاوره انا اكثر منك مالا واعز نفرا ودخل جنته وهو
ظالم لنفسه قال ما اظن ان تبيد هذه ابدا وما اظن الساعة قايمة ولئن رددت
الى ربي لاجدن خيرا منها منقلبا قال له صاحبه وهو يحاوره اكفرت بالذي خلقك من
تراب ثم من نطفة ثم سواك رجلا لكنا هو الله ربي ولا اشرك بربي احدا ولولا اذ دخلت
جنتك قلت ما شاء الله لا قوة الا بالله ان ترن انا اقل منك مالا وولدا فعسى ربي ان
يوتين خيرا من جنتك ويرسل عليها حسبانا من السما فتصبح صعيدا زلقا او يصبح
ماوها غورا فلن تستطيع له طلبا واحيط بثمره فاصبح يقلب كفيه على ما انفق فيها
وهي خاوية على عروشها ويقول يا ليتني لم اشرك بربي احدا ولم تكن له فية ينصرونه من
دون الله وما كان منتصرا هنالك الولاية لله الحق هو خير ثوابا وخير عقبا قال بعض
الناس هذا مثل مضروب ولا يلزم ان يكون وقع والجمهور انه امر قد وقع وقوله واضرب

لعمر مثلا ليبين لكفار قريش في عدم اجتماعهم بالضعفاء الفقراء وازدرائهم بهم والتكبر عليهم كما قال تعالى واضرب لهم مثلا اصحاب القرية اذ جاءها المرسلون كما قدمنا الكلام على قصتهم قبل قصة موسى عليه السلام والمشهور انهما كانا رجلين مصطحبين وكان احدهما مؤمنا والآخر كافرا وقيل انه كان لكل منهما مال فانفق المؤمن ماله في طاعة الله في رضاه ابتغاء وجهه واما الكافر فانه اتخذ له بستانين وهما الجنتان المذكورتان في الآية على الصفة والنعت المذكور فيهما اعناب ونخيل تحف تلك الاعناب والزروع في خلال ذلك والانهار سارحة هاهنا وهاهنا للتنقي والتنزه وقد استوثقت فيها الثمار واطردت فيها الانهار وابتهجت الزروع والثمار وافتخر مالكهما على صاحبه المؤمن الفقير قائلا له انا اكثر منك مالا واعز نفرا اي واوسع جنابا ومراده انه خير منه ومعناه ماذا اغنى عنك انفاقك ما كنت تملكه في الوجه الذي صرفته فيه كان الاولى بك ان تفعل كما فعلت ليكون مثلي فافتخر على صاحبه ودخل جنته وهو ظالم لنفسه اي وهو على غير طريقة مرضية قال ما اظن ان تبيد هذه ابدا وذلك لما راى من اتساع ارضها وكثرة مائها وحسن نبات اشجارها ولو قد بادت كل واحدة من هذه الاشجار لاستخلف مكانها احسن منها وزروعها دارة لكثرة مياهها ثم قال وما اظن الساعة قائمة فوثق بزهرة الحياة الدنيا الفانية وكذب بوجود الآخرة الباقية الدائمة ثم قال ولئن رددت الى ربي لاجدن خيرا منها اي ولئن كان ثم آخرة ومعاد فلاجدن ثم خيرا من هذا وذلك لانه اغتر بدنياه واعتقد ان الله لم يعطه ذلك الا لحبه له وحظوته عنده كما قال العاص بن وائل فيما قص الله من خبره وخبر خباب بن الارت في قوله افرايت الذي كفر بآياتنا وقال لاوتين مالا وولدا اطلع الغيب ام اتخذ عند الرحمن عهدا وقال تعالى اخبارا عن الانسان اذا انعم الله عليه ليقولن هذا لي وما اظن الساعة قائمة ولئن رجعت الى ربي ان لي عنده للحسنى قال الله تعالى فلننبئن الذين كفروا بما عملوا ولنذيقنهم من عذاب غليظ وقال قارون انما اوتيته على علم عندي اي لعلم الله بي اني استحقه قال الله تعالى فلننبئن الذين كفروا بما عملوا اولم يعلم ان الله قد اهلك من قبله من القرون من هو اشد منه قوة واكثر جمعا ولا يسال عن ذنوبهم المجرمون وقد قدمنا الكلام على قصته في اثناء قصة موسى وقال تعالى وما اموالكم ولا اولادكم بالتي تقربكم عندنا زلفى الا من آمن وعمل صالحا فاولئك لهم جزاء الضعف بما عملوا وهم في الغرفات آمنون وقال تعالى ايحسبون انما نمدهم به من مال وبنين نسارع لهم في الخيرات بل لا يشعرون ولما اغتر هذا الجاهل بما خوله الله به في الدنيا فجحد الآخرة وادعى انها ان وجدت ليجدن عند ربه خيرا مما هو فيه وسمعه صاحبه يقول ذلك قال له وهو يحاوره اي يجادله اكفرت بالذي خلقك من تراب ثم من نطفة ثم سواك رجلا اي اجحدت المعاد وانت تعلم ان الله خلقك من تراب ثم من نطفة ثم طورك اطوارا حتى صرت رجلا سويا سميعا بصيرا تعلم وتبطش وتفهم فكيف انكرت المعاد والله قادر على البدء لكنا هو الله ربي اي لكن انا اقول بخلاف ما قلت واعتقد خلاف معتقدك هو الله ربي ولا اشرك بربي احدا اي لا اعبد سواه واعتقد انه يبعث الاجساد بعد فنائها ويعيد الاموات ويجمع العظام الرفات واعلم ان الله لا شريك له في خلقه ولا في ملكه ولا اله غيره ثم

ارشده

ارشده الى ما كان الاولى به ان يسلكه عند دخول جنته فقال ولولا اذ دخلت جنتك قلت ما شاء الله لا قوة الا بالله ولهذا يستحب لكل من اعجبه شيء من ماله او اهله او حاله ان يقول كذلك وقد ورد فيه حديث مرفوع في صحته نظر قال ابو يعلى الموصلي حدثنا جراح بن مخلد ثنا عمر بن يونس ثنا عيسى بن عون ثنا عبد الملك بن زرارة عن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما انعم الله على عبد نعمة من اهل او مال او ولد فيقول ما شاء الله لا قوة الا بالله قال الحافظ ابو الفتح الازدي عيسى بن عون عن عبد الملك بن زرارة عن انس لا يصح ثم قال المؤمن للكافر فعسى ربي ان يؤتيني خيرا من جنتك اي في الدار الآخرة ويرسل عليها حسبانا من السماء قال ابن عباس والضحاك وقتادة اي عذابا من السماء والظاهر انه المطر المزعج الباهر الذي يقتلع زروعها واشجارها فتصبح صعيدا زلقا وهو التراب الاملس الذي لا يثبت فيه او يصبح ماؤها غورا وهو ضد المعين السارح فلن تستطيع له طلبا يعني فلا تقدر على استرجاعه قال الله تعالى واحيط بثمره اي جاءه امر احاط بجميع حواصله وخرب جنته ودمرها فاصبح يقلب كفيه على ما انفق فيها وهي خاوية على عروشها اي خربت بالكلية فلا عودة لها وذلك ضد ما كان عليه اولا حيث قال وما اظن ان تبيد هذه ابدا وندم على ما كان سلف منه من القول الذي كفر بسببه بالله العظيم فهو يقول يا ليتني لم اشرك بربي احدا قال الله تعالى ولم تكن له فئة ينصرونه من دون الله وما كان منتصرا اي لم يكن له احد يتدارك ما فرط من امره وما كان له قدرة في نفسه على شيء من ذلك كما قال تعالى فما له من قوة ولا ناصر وقوله هنالك الولاية لله الحق ومنهم من يبتدئ بقوله هنالك الولاية لله الحق وهو حسن ايضا كقوله الملك يومئذ الحق للرحمن وكان يوما على الكافرين عسيرا فالحكم الذي لا يرد ولا يمانع ولا يغالب في تلك الحال وفي كل حال لله الحق ومنهم من رفع الحق جعله صفة للولاية وهما متلازمان وقوله هو خير ثوابا وخير عقبا اي معاملته خير لصاحبها ثوابا وهو الجزاء وخير عقبا وهو العاقبة في الدنيا والآخرة وهذه القصة تضمنت انه لا ينبغي لاحد ان يركن الى الحياة الدنيا ولا يغتر بها ولا يثق بها بل يجعل طاعة الله والتوكل عليه في كل حال نصب عينيه وليكن بما في يد الله اوثق منه بما في يديه وفيها ان من قدم شيئا على طاعة الله والانفاق في سبيله عذب به وربما سلب منه معاملة له بنقيض قصده وفيها ان الواجب قبول نصيحة الاخ المشفق وان مخالفته وبال ودمار على من رد النصيحة الصحيحة وفيها ان الندامة لا تنفع اذا حان القدر ونفذ الامر الحتم وبالله المستعان وعليه التكلان

قصة اصحاب الجنة

قال الله تعالى انا بلوناهم كما بلونا اصحاب الجنة اذ اقسموا ليصرمنها مصبحين ولا يستثنون فطاف عليها طائف من ربك وهم نائمون فاصبحت كالصريم فتنادوا مصبحين ان اغدوا على حرثكم ان كنتم صارمين فانطلقوا وهم يتخافتون ان لا يدخلنها اليوم عليكم مسكين وغدوا على حرد قادرين فلما راوها قالوا انا لضالون بل نحن محرومون قال اوسطهم الم اقل لكم لولا تسبحون قالوا سبحان ربنا انا كنا ظالمين فاقبل بعضهم على بعض يتلاومون قالوا يا ويلنا انا كنا طاغين عسى ربنا ان يبدلنا خيرا منها انا الى ربنا راغبون كذلك العذاب ولعذاب الآخرة اكبر لو كانوا يعلمون وهذا مثل ضربه الله لكفار قريش

فيها انعم به عليهم من ارسال الرسول العظيم الكريم فقابلوه بالتكذيب والمحاربة والمقاتلة كما قال تعالى الم تر الى الذين بدلوا نعمة الله كفرا واحلوا قومهم دار البوار جهنم يصلونها وبئس القرار قال ابن عباس هم كفار قريش ثم ضرب تعالى لهم مثلا باصحاب الجنة المشتملة على انواع الزروع والثمار التي قد انتهت واستحقت ان تجذ وهو الصرام ولهذا اقسموا فيما بينهم ليصرمنها اي ليجذنها وهو الاستغلال مصبحين اي وقت الصبح حيث لا يراهم فقير ولا محتاج فيعطوه شيئا فحلفوا على ذلك ولم يستثنوا في يمينهم فعجزهم الله وسلط عليها الآفة التي احرقتها وهي السفعة التي اجتاحتها ولم يبق بها شيء ينتفع به ولهذا قال فطاف عليها طائف من ربك وهم نائمون فاصبحت كالصريم فتنادوا مصبحين ان اغدوا على حرثكم ان كنتم صارمين اي باكروا الى بستانكم فاصرموه قبل ان يرتفع النهار ويكثر السؤال فانطلقوا وهم يتخافتون اي يتحدثون فيما بينهم خفية قائلين لا يدخلنها اليوم عليكم مسكين اي اتفقوا على هذا واشتوروا عليه وغدوا على حرد قادرين انطلقوا مجدين في ذلك قادرين عليه مصممين مصرين على هذه النية الفاسدة وقال عكرمة والشعبي وغدوا على غضب على المساكين وابعد السدي في قوله ان اسم حرثهم حرد فلما رأوها اي وصلوا اليها ونظروا الى ما حل بها وما قد صارت اليه من الصفة المنكرة بعد تلك النضرة والحسن والبهجة فانقلبت بسبب النية الفاسدة فعند ذلك قالوا انا لضالون اي قد تهنا عنها وسلكنا غير طريقها ثم قالوا بل نحن محرومون اي بل عوقبنا بسبب سوء قصدنا وحرمنا بركة حرثنا قال اوسطهم قال ابن عباس ومجاهد وغير واحد هو اعدلهم وخيرهم الم اقل لكم لولا تسبحون قيل تستثنون قاله مجاهد والسدي وابن جريج وقيل يقولون خيرا بدل ما قلتم من الشر قالوا سبحان ربنا انا كنا ظالمين فاقبل بعضهم على بعض يتلاومون قالوا يا ويلنا انا كنا طاغين فندموا حيث لا ينفع واعترفوا بالذنب بعد العقوبة وذلك حيث لا ينجع وقد قيل ان هؤلاء كانوا اخوة قد ورثوا هذه الجنة من ابيهم وكان يتصدق منها كثيرا فلما صار امرها اليهم استهجنوا امر ابيهم وارادوا استغلالها من غير ان يعطوا الفقراء شيئا فعاقبهم الله بهذه العقوبة ولهذا امر تعالى بالصدقة من الثمار وحث على ذلك يوم الجذاذ كما قال تعالى كلوا من ثمره اذا اثمر وآتوا حقه يوم حصاده ثم قيل كانوا من اهل اليمن من قرية يقال لها ضروان وقيل من اهل الحبشة والله اعلم قال الله تعالى كذلك العذاب اي هكذا نعذب من خالف امرنا ولم يعطف على المحاويج من خلقنا ولعذاب الآخرة اكبر اي اعظم واطم من عذاب الدنيا لو كانوا يعلمون وقصة هؤلاء شبيهة بقوله تعالى وضرب الله مثلا قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغدا من كل مكان فكفرت بانعم الله فاذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون ولقد جاءهم رسول منهم فكذبوه فاخذهم العذاب وهم ظالمون وقيل هذا مثل مضروب لاهل مكة وقيل اهل مكة انفسهم ضربهم مثلا لانفسهم ولا ينافي ذلك والله اعلم

قصة اصحاب ايلة

الذين اعتدوا في سبتهم قال الله تعالى واسألهم عن القرية التي كانت حاضرة البحر اذ يعدون في السبت اذ تأتيهم حيتانهم يوم سبتهم شرعا ويوم لا يسبتون لا تأتيهم كذلك نبلوهم بما كانوا يفسقون واذ قالت امة منهم لم تعظون قوما الله مهلكهم او معذبهم عذابا شديدا قالوا معذرة الى ربكم ولعلهم يتقون فلما نسوا ما ذكروا به انجينا الذين ينهون عن السوء واخذنا الذين ظلموا بعذاب بئيس بما كانوا

يفسقون

يفسقون فلما عتوا عما نهوا عنه قلنا لهم كونوا قردة خاسئين وقال تعالى في سورة البقرة ولقد علمتم الذين اعتدوا منكم في السبت فقلنا لهم كونوا قردة خاسئين فجعلناها نكالا لما بين يديها وما خلفها وموعظة للمتقين وقال تعالى في سورة النساء او نلعنهم كما لعنا اصحاب السبت وكان امر الله مفعولا قال ابن عباس ومجاهد وعكرمة وقتادة والسدي وغيرهم هم اهل ايلة زاد ابن عباس بين مدين والطور قالوا وكانوا متمسكين بدين التوراة في تحريم السبت في ذلك الزمان فكانت الحيتان قد الفت منهم السكينة في مثل هذا اليوم وذلك انه كان يحرم عليهم الاصطياد فيه وكذلك جميع الصنائع والتجارات والمكاسب فكانت الحيتان في مثل يوم السبت يكثر غشيانها محلتهم من البحر فتأتي من ههنا وههنا ظاهرة آمنة مسترسلة فلا يهيجونها ولا يذعرونها ويوم لا يسبتون لا تأتيهم وذلك لانهم كانوا يصطادونها فيما عدا السبت قال الله تعالى كذلك نبلوهم اي نختبرهم بكثرة الحيتان في يوم السبت بما كانوا يفسقون اي بسبب فسقهم المتقدم فلما رأوا ذلك احتالوا على اصطيادها في يوم السبت بان نصبوا الحبال والشباك والشصوص وحفروا الحفر التي يجري معها الماء الى مصانع قد اعدوها اذا دخلها السمك لا يستطيع ان يخرج منها ففعلوا ذلك في يوم الجمعة فاذا جاءت الحيتان مسترسلة يوم السبت علقت بهذه المصائد فاذا خرج سبتهم اخذوها فغضب الله عليهم ولعنهم لما احتالوا على خلاف امره وانتهكوا محارمه بالحيل التي هي ظاهرة للناظر وهي في الباطن مخالفة محضة فلما فعل ذلك طائفة منهم افترق الذين لم يفعلوا فرقتين فرقة انكروا عليهم صنيعهم هذا واحتيالهم على مخالفة الله وشرعه في ذلك الزمان وفرقة اخرى لم يفعلوا ولم ينهوا بل انكروا على الذين نهوا وقالوا لم تعظون قوما الله مهلكهم او معذبهم عذابا شديدا يقولون لهم ما الفائدة في نهيكم هؤلاء وقد استحقوا العقوبة لا محالة فاجابتهم الطائفة المنكرة بان قالوا معذرة الى ربكم اي فيما امرنا به من الامر بالمعروف والنهي عن المنكر فنفعله خوفا من عذابه ولعلهم يتقون اي ولعل هؤلاء يتركون ما هم عليه من هذا الصنيع فيقيهم الله عذابه ويعفو عنهم اذا هم رجعوا واستمعوا قال الله تعالى فلما نسوا ما ذكروا به اي لم يلتفتوا الى من نهاهم عن هذا الصنيع الشنيع الفظيع انجينا الذين ينهون عن السوء وهم الفرقة الآمرة بالمعروف والناهية عن المنكر واخذنا الذين ظلموا بعذاب بئيس وهم المرتكبون الفاحشة بعذاب بئيس وهو الشديد المؤلم الموجع بما كانوا يفسقون ثم فسر العذاب الذي اصابهم بقوله فلما عتوا عما نهوا عنه قلنا لهم كونوا قردة خاسئين وسنذكر ما ورد في الآثار من ذلك والمقصود هنا ان الله تعالى اخبر انه اهلك الظالمين ونجى المؤمنين المنكرين وسكت عن الساكتين وقد اختلف فيهم العلماء على قولين فقيل هم من الناجين وقيل انهم من الهالكين والصحيح الاول عند المحققين وهو الذي رجع اليه ابن عباس امام المفسرين وذلك عن مناظرة مولاه عكرمة فكساه من اجل ذلك حلة سنية تكرمة له قلت وانما لم يذكر مع الناجين لانهم وان كرهوا مواطنهم تلك الفاحشة الا انهم كان ينبغي لهم ان يحملوا ظواهرهم بالعمل المأمور به من الانكار القولي الذي هو اوسط المراتب الثلاث التي اعلاها الانكار باليد ذات البنان وبعدها الانكار القولي باللسان وثالثها الانكار بالجنان فلما لم يذكروا ولم يذكروا ونجوا مع الناجين اذ لم يفعلوا الفاحشة بل انكروا وقد روى عبد الرزاق عن ابن جريج

عن رجل عن عكرمة عن ابن عباس وحكى مالك عن ابن رومان وشيبان عن قتادة وعطا الخراساني
ما مضمونه ان الذين ارتكبوا هذا الصنيع اعتزلهم بقية اهل البلد ونهاهم من نهاهم منهم فلم
يتقبلوا فكانوا يبيتون وحدهم ويغلقون بينهم وبينهم ابوابا حاجزا لما كانوا يترقبون
من هلاكهم فاصبحوا ذات يوم وابواب ناحيتهم مغلقة لم يفتحوها وارتفع النهار واشتد
الضحى فامر بقية اهل البلد رجلا ان يصعد على سلالم ويشرف عليهم من فوقهم فلما اشرف
عليهم اذا هم قردة لها اذناب يتعاوون ويتعادون ففتحوا عليهم الابواب فجعلت القردة
تعرف قراباتهم ولا تعرفهم قراباتهم فجعلوا يلوذون بهم ويقول لهم الناهون الم ننهكم عن صنيعكم
فتشير القردة برؤوسها ان نعم ثم بكى عبد الله بن عباس وقال انا لنرى منكرات كثيرة ولا ننكرها
ولا نقول فيها شيئا وقال العوفي عن ابن عباس صار شبابهم قردة وشيوخهم خنازير
وروى ابن ابي حاتم من طريق مجاهد عن ابن عباس انهم لم يعيشوا الا فواقا ثم هلكوا ما كان لهم
نسل وقال الضحاك عن ابن عباس لم يعش مسخ قط فوق ثلاثة ايام ولم ياكل ولم يشربوا
ولم ينسلوا وقد استقصينا الاثار في ذلك في تفسير سورة البقرة والاعراف ولله الحمد والمنة
وقد روى ابن ابي حاتم وابن جرير من طريق ابن ابي نجيح عن مجاهد انه قال مسخت قلوبهم ولم يمسخوا
قردة وانما هذا مثل ضربه الله كمثل الحمار يحمل اسفارا وهذا صحيح اليه وغريب منه جدا ومخالف
لظاهر القران ولما نص عليه غير واحد من السلف والخلف والله اعلم • قصة اصحاب القرية
اذ جاءها المرسلون تقدم ذكرها قبل قصة موسى عليه السلام • قصة سبا سياتي ذكرها في ايام
العرب ان شاء الله وبه الثقة • قصة قارون وقصة بلعام تقدمتا في قصة موسى وكذا
قصة الخضر وقصة فرعون والسحرة كلها في ضمن قصة موسى • وقصة البقرة تقدمت في
قصة موسى وقصة الذين خرجوا من ديارهم وهم الوف حذر الموت في قصة حزقيل • وقصة
الملا من بني اسرائيل من بعد موسى في قصة شمويل • قصة الذي مر على قرية في قصة عزير

قصة لقمان قال الله تعالى

ولقد اتينا لقمان الحكمة ان اشكر لله ومن يشكر فانما يشكر لنفسه ومن كفر فان الله غني حميد واذ
قال لقمان لابنه وهو يعظه يا بني لا تشرك بالله ان الشرك لظلم عظيم ووصينا الانسان
بوالديه حملته امه وهنا على وهن وفصاله في عامين ان اشكر لي ولوالديك الي المصير وان
جاهداك على ان تشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما وصاحبهما في الدنيا معروفا واتبع
سبيل من اناب الي ثم الي مرجعكم فانبئكم بما كنتم تعملون يا بني انها ان تك مثقال حبة من خردل
فتكن في صخرة او في السموات او في الارض يات بها الله ان الله لطيف خبير يا بني اقم الصلاة
وامر بالمعروف وانه عن المنكر واصبر على ما اصابك ان ذلك من عزم الامور ولا تصعر
خدك للناس ولا تمش في الارض مرحا ان الله لا يحب كل مختال فخور واقصد في مشيك
واغضض من صوتك ان انكر الاصوات لصوت الحمير • هو لقمان بن عنقا بن سدون
ويقال لقمان بن ثاران حكاه السهيلي عن ابن جرير والقتيبي قال السهيلي وكان نوبيا
من اهل ايلة قلت وكان رجلا صالحا ذا عبادة وعبارة وحكمة عظيمة ويقال كان قاضيا
في زمن داود عليه السلام فالله اعلم وقال سفيان الثوري عن الاشعث عن عكرمة عن
ابن عباس قال كان لقمان عبدا حبشيا نجارا وقال قتادة عن عبد الله بن الزبير قلت
لجابر بن عبد الله ما انتهى اليكم من شان لقمان قال كان قصيرا افطس من النوبة وقال يحيى

بن سعيد

بن سعيد الانصاري عن سعيد بن المسيب قال كان لقمان من سودان مصر ذا مشافر اعطاه الله
الحكمة ومنعه النبوة وقال الاوزاعي حدثني عبد الرحمن بن حرملة قال جا اسود الى سعيد بن
المسيب يساله فقال له سعيد لا تحزن من اجل انك اسود فانه كان من خير الناس ثلاثة
من السودان بلال ومهجع مولى عمر ولقمان الحكيم كان اسود نوبيا ذا مشافر وقال الاعمش عن
مجاهد كان لقمان اسود عظيم الشفتين مشقق القدمين وفي رواية مصفح القدمين وقال
عمر بن قيس كان عبدا اسود غليظ الشفتين مصفح القدمين فاتاه رجل وهو في مجلس اناس
يحدثهم فقال له الست الذي كنت ترعى معي الغنم في مكان كذا وكذا قال نعم قال فما بلغ بك
ما ارى قال صدق الحديث والصمت عما لا يعنيني رواه ابن جرير عن ابي حميد عن الحكم به
وقال ابن ابي حاتم ثنا ابو زرعة ثنا صفوان ثنا الوليد ثنا عبد الرحمن بن يزيد بن جابر
قال ان الله رفع لقمان الحكيم بحكمته فراه رجل كان يعرفه قبل ذلك فقال الست عبد بني فلان
الذي كنت ترعى غنمي بالامس قال بلى قال فما بلغ بك ما ارى قال قدر الله واداء الامانة وصدق
الحديث وترك ما لا يعنيني وقال ابن وهب اخبرني عبد الله بن عياش القتباني عن عمر مولى غفرة
قال وقف رجل على لقمان الحكيم فقال انت لقمان انت عبد بني الحسحاس قال نعم قال
فانت راعي الغنم الاسود قال اما سوادي فظاهر فما الذي يعجبك من امري قال وطء الناس
بساطك وغشيهم بابك ورضاهم بقولك قال يا ابن اخي ان صنعت ما اقول لك كنت
كذلك قال لقمان غضي بصري وكفي لساني وعفة مطعمي وحفظي فرجي وقوامي بعدتي
ووفائي بعهدي وتكرمتي ضيفي وحفظي جاري وتركي ما لا يعنيني فذاك الذي صيرني كما ترى
وقال ابن ابي حاتم ثنا ابي ثنا ابن فضيل ثنا عمرو بن واقد عن عبدة بن رباح عن ربيعة عن
ابي الدرداء انه قال يوما وذكر لقمان الحكيم فقال ما اوتي ما اوتي عن اهل ولا مال ولا حسب ولا خصال
ولكنه كان رجلا صمصامة سكيتا طويل التفكر عميق النظر لم ينم نهارا قط ولم يره احد يبزق
ولا يتنخع ولا يبول ولا يتغوط ولا يغتسل ولا يعبث ولا يضحك وكان لا يعيد منطقا
نطقه الا ان يقول حكمة يستعيدها اياه احد وكان قد تزوج وولد له اولاد فماتوا فلم
يبك عليهم وكان يغشى السلطان وياتي الحكام لينظر ويتفكر ويعتبر فبذلك اوتي
ما اوتي ومنهم من زعم انه عرضت عليه النبوة فخاف ان لا يقوم باعبائها فاختار الحكمة
لانها اسهل عليه وفي هذا نظر والله اعلم وهذا مروي عن قتادة كما سنذكره وروى ابن ابي
حاتم وابن جرير عن وكيع عن جابر الجعفي عن عكرمة انه قال كان لقمان نبيا وهذا ضعيف
لحال الجعفي والمشهور عن الجمهور انه كان حكيما وليا ولم يكن نبيا وقد ذكره الله تعالى في القران
فاثنى عليه وحكى من كلامه فيما وعظ به ولده الذي هو احب الخلق اليه وهو اشفق الناس
عليه فكان من اول ما وعظ به ان قال يا بني لا تشرك بالله ان الشرك لظلم عظيم فنهاه
عنه وحذره منه وقد قال البخاري ثنا قتيبة ثنا جرير عن الاعمش عن ابراهيم عن علقمة
عن عبد الله قال لما نزلت الذين امنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم شق ذلك على اصحاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا اينا لم يلبس ايمانه بظلم فقال رسول الله صلى
الله عليه وسلم انه ليس بذاك الم تسمع الى قول لقمان يا بني لا تشرك بالله ان الشرك لظلم
عظيم ورواه مسلم من حديث سليمان بن مهران الاعمش به ثم اعترض تعالى بالوصية
بالوالدين وبيان حقهما على الولد وتاكده وامر بالاحسان اليهما حتى ولو كانا مشركين ولكن

لا يطاوعان على الدخول فيه ثم قال مخبرا عن لقمان فيما وعظ به ولده يا بني انها ان
تك مثقال حبة من خردل فتكن في صخرة او في السموات او في الارض يأت بها الله ان الله
لطيف خبير ينهاه عن ظلم الناس ولو بحبة خردل فان الله يسأل عنها ويحضرها حوزة
الحساب ويضعها في الميزان كما قال تعالى ان الله لا يظلم مثقال ذرة وقال تعالى
ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئا وان كان مثقال حبة من خردل
اتينا بها وكفى بنا حاسبين واخبره ان هذا الذي ظلم لو كان في الحقارة كالخردلة ولو كان
في جوف صخرة صماء لا باب لها ولا كوة او لو كانت ساقطة في شيء من ظلمات الارض او السموات
في اتساعهما وامتداد ارجائهما لعلم الله مكانها ان الله لطيف خبير اي علمه دقيق فلا يخفى
عليه الذر مما تراءى للنواظر او توارى كما قال تعالى وما تسقط من ورقة الا يعلمها ولا حبة
في ظلمات الارض ولا رطب ولا يابس الا في كتاب مبين وقال وما من غائبة في السماء والارض
الا في كتاب مبين وقال عالم الغيب لا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات ولا في الارض
ولا اصغر من ذلك ولا اكبر الا في كتاب مبين وقد زعم السدي في خبره عن الصحابة ان المراد
بهذه الصخرة الصخرة التي تحت الارضين السبع وهكذا حكي عن عطية العوفي وابي مالك
والثوري والمنهال بن عمرو وغيرهم وفي صحة هذا القول من اصله نظر ثم في ان هذا هو المراد
نظر اخر فان هذه الاية نكرة غير معرفة فلو كان المراد بها ما قالوه لقال فتكن في الصخرة
وانما المراد فتكن في صخرة اي صخرة كانت كما قال الامام احمد حدثنا حسن بن موسى ثنا ابن
لهيعة ثنا دراج عن ابي الهيثم عن ابي سعيد الخدري عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
انه قال لو ان احدكم يعمل في صخرة صماء ليس لها باب ولا كوة لخرج عمله للناس كائنا ما كان
ثم قال يا بني اقم الصلاة اي ادها بجميع واجباتها من حدودها واوقاتها وركوعها وسجودها
وطمانينتها وخشوعها وما شرع فيها واجتنب ما نهي عنه فيها ثم قال وامر بالمعروف
وانه عن المنكر اي بجهدك وطاقتك ان استطعت باليد فباليد والا فبلسانك فان لم
تستطع فبقلبك ثم امره بالصبر فقال واصبر على ما اصابك وذلك ان الامر بالمعروف والناهي
عن المنكر في مظنة ان يعادى وينال منه ولكن له العاقبة ولهذا امره بالصبر على ذلك ومعلوم
ان عاقبة الصبر الفرج وقوله ان ذلك من عزم الامور التي لا بد منها ولا محيد عنها وقوله
ولا تصعر خدك للناس قال ابن عباس ومجاهد وعكرمة وسعيد بن جبير والضحاك ويزيد
بن الاصم وابو الجوزاء وغير واحد معناه لا تتكبر على الناس وتميل خدك حال كلامك لهم وكلامهم
لك على وجه التكبر عليهم والازدراء لهم قال اهل اللغة واصل الصعر داء يأخذ الابل في اعناقها
فتلتوي رؤسها فشبه به الرجل المتكبر الذي يميل وجهه اذا كلم الناس او كلموه على وجه التعاظم
عليهم قال ابو طالب في شعره

وكنا قديما لا نقر ظلامة • اذا ما ثنوا صعر الخدود نقيمها •

وقال عمرو بن حني التغلبي

وكنا اذا الجبار صعر خده • اقمنا له من ميله فتقوما •

وقوله ولا تمش في الارض مرحا ان الله لا يحب كل مختال فخور • ينهاه عن التبختر في المشية
على وجه العظمة والفخر على الناس كما قال تعالى ولا تمش في الارض مرحا انك لن تخرق الارض ولن
تبلغ الجبال طولا يعني لست بسرعة مشيك تقطع البلاد في مشيتك هذه ولست بدقك الارض

برجلك

برجلك تخرق الارض التي تطأ عليها ولست بتشامخك وتعاظمك وترفعك تبلغ الجبال
طولا فاتئد على نفسك فلست تعدو قدرك وقد ثبت في الحديث بينما رجل يمشي في بردتيه
يتبختر فيهما اذ خسف الله به الارض فهو يتجلجل فيها الى يوم القيامة وفي الحديث الاخر اياك
واسبال الازار فانها من المخيلة والمخيلة لا يحبها الله كما قال في هذه الاية ان الله لا يحب كل
مختال فخور ولما نهاه عن الاختيال في المشي امره بالقصد فيها فانه لا بد له ان يمشي فنهاه عن
الشر وامره بالخير فقال واقصد في مشيك اي لا تباطأ مفرطا ولا تسرع اسراعا مفرطا
ولكن بين ذلك قواما كما قال تعالى وعباد الرحمن الذين يمشون على الارض هونا واذا
خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما ثم قال واغضض من صوتك يعني اذا تكلمت فلا تتكلف
رفع صوتك فان ارفع الاصوات وانكرها صوت الحمير وقد ثبت في الصحيحين الامر بالاستعاذة
عند سماع صوت الحمير بالليل فانها رأت شيطانا ولهذا نهي عن رفع الصوت حيث لا حاجة
اليه ولا سيما عند العطاس فيستحب خفض الصوت وتخمير الوجه كما ثبت به الحديث
من صنيع رسول الله صلى الله عليه وسلم فاما رفع الصوت بالاذان وعند الدعاء الى الفئة
للقتال وعند الاهلال ونحو ذلك فذلك مشروع فهذا مما قصه الله تعالى عن لقمان
عليه السلام في القرآن من الحكم والوصايا النافعة الجامعة للخير المانعة من الشر وقد وردت
اثار كثيرة في اخباره ومواعظه وقد كان له كتاب يؤثر عنه يسمى بحكمة لقمان ونحن نذكر
من ذلك ما تيسر ان شاء الله قال الامام احمد ثنا علي بن اسحق انا ابن المبارك انا سفيان
اخبرني نهشل بن مجمع الضبي عن قزعة عن ابن عمر قال اخبرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال ان لقمان الحكيم كان يقول ان الله اذا استودع شيئا حفظه وقال ابن ابي حاتم ثنا
ابو سعيد الاشج ثنا عيسى بن يونس عن الاوزاعي عن موسى بن سليمان عن القاسم بن مخيمرة
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قال لقمان لابنه وهو يعظه يا بني اياك والتقنع
فانه مخوفة بالليل مذلة بالنهار وقال ايضا ثنا ابي ثنا عمرو بن عثمان حدثنا ضمرة ثنا
السري بن يحيى قال قال لقمان لابنه يا بني ان الحكمة اجلست المساكين مجالس الملوك
وحدثنا ابي حدثنا عبدة بن سليمان انا ابن المبارك انا عبد الرحمن المسعودي عن
عون بن عبد الله قال قال لقمان لابنه يا بني اذا اتيت نادي قوم فارمهم بسهم الاسلام
يعني السلام ثم اجلس في ناحيتهم فلا تنطق حتى تراهم قد نطقوا فان افاضوا في ذكر الله
فاجل سهمك معهم وان افاضوا في غير ذلك فتحول عنهم الى غيرهم وحدثنا ابي ثنا عمرو
بن عثمان ثنا ضمرة عن حفص بن عمر قال وضع لقمان جرابا من خردل الى جانبه وجعل
يعظ ابنه وعظة ويخرج خردلة حتى نفد الخردل فقال يا بني لقد وعظتك موعظة
لو وعظها جبل لتفطر قال فتفطر ابنه وقال ابو القسم الطبراني ثنا يحيى بن عبد
الباقي المصيصي ثنا احمد بن عبد الرحمن الحراني ثنا عثمان بن عبد الرحمن الطرائفي ثنا ابي
ابن سفيان المقدسي عن خليفة بن سلام عن عطاء بن ابي رباح عن ابن عباس قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم اتخذوا السودان فان ثلاثة منهم من سادات اهل الجنة
لقمان الحكيم والنجاشي وبلال المؤذن قال الطبراني يعني الحبشة وهذا حديث غريب
منكر وقد ذكر له الامام احمد في كتاب الزهد ترجمة ذكر فيها فوائد مهمة وفرائد جمة فقال
ثنا وكيع ثنا سفيان عن رجل عن مجاهد ولقد اتينا لقمان الحكمة قال الفقه والاصابة

في غير نبوة. وكذا روي عن وهب بن منبه. وحدثنا وكيع ثنا سفيان عن أشعث عن عكرمة عن ابن عباس قال كان لقمان عبدا حبشيا. وحدثنا أسود ثنا حماد عن علي بن زيد عن سعيد ابن المسيب أن لقمان كان خياطا. وحدثنا سيار ثنا جعفر ثنا مالك يعني ابن دينار قال قال لقمان لابنه يا بني اتخذ طاعة الله تجارة تأتيك الأرباح من غير بضاعة. وحدثنا يزيد ثنا أبو الأشهب عن محمد بن واسع قال كان لقمان يقول لابنه يا بني اتق الله ولا ترى الناس أنك تخشى الله ليكرموك بذلك وقلبك فاجر. وحدثنا يزيد بن هارون ووكيع قالا ثنا أبو الأشهب عن خالد الربعي قال كان لقمان عبدا حبشيا نجارا فقال له سيده اذبح لي شاة فذبح له شاة فقال له ائتني بأطيب مضغتين فيها فأتاه باللسان والقلب فقال أما كان فيها شيء أطيب من هذين قال لا قال فسكت عنه ما سكت ثم قال له اذبح لي شاة فذبح له شاة فقال له ألق أخبثها مضغتين فرمى باللسان والقلب فقال له أمرتك أن تأتيني بأطيبها مضغتين فأتيتني باللسان والقلب وأمرتك أن تلقي أخبثها مضغتين فألقيت اللسان والقلب فقال له إنه ليس شيء أطيب منهما إذا طابا ولا أخبث منهما إذا خبثا. وحدثنا داود بن رشيد ثنا ابن المبارك ثنا معمر عن أبي عثمان رجل من أهل البصرة يقال له الجعد أبو عثمان قال قال لقمان لابنه لا ترغب في ود الجاهل فيرى أنك ترضى عمله ولا تهاون بمقت الحكيم فيزهده فيك. وحدثنا داود بن رشيد ثنا إسماعيل بن عياش عن ضمضم بن زرعة عن شريح بن عبيد الحضرمي عن عبد الله بن زيد قال قال لقمان ألا إن يد الله على أفواه الحكماء لا يتكلم أحدهم إلا ما هيأ الله له. وحدثنا عبد الرزاق سمعت ابن جريج قال كنت أقنع رأسي بالليل فقال لي عمرو أما علمت أن لقمان قال القناع بالنهار مذلة معذرة أو قال معجزة بالليل فلم تقنع رأسك بالليل قال قلت إن لقمان لم يكن عليه دين. وحدثني حسين الجعفي ثنا سفيان قال قال لقمان لابنه يا بني ما ندمت على الصمت قط وإن كان الكلام من فضة فإن السكوت من ذهب. وحدثنا عبد الصمد ووكيع قالا ثنا أبو الأشهب عن قتادة أن لقمان قال لابنه يا بني اعتزل الشر يعتزلك فإن الشر للشر خلق. وحدثنا أبو معاوية ثنا هشام بن عروة عن أبيه قال مكتوب في الحكمة يا بني إياك والرغب فإن الرغب كل الرغب يبعد القريب من القريب ويزيل الحلم كما يزيل الطرب يا بني إياك وشدة الغضب فإن شدة الغضب ممحقة لفؤاد الحكيم. قال الإمام أحمد وحدثنا عبد الرحمن بن مهدي ثنا نافع بن عمر عن ابن أبي مليكة عن عبيد بن عمير قال قال لقمان لابنه وهو يعظه يا بني اختر المجالس على عينك فإذا رأيت المجلس يذكر فيه الله عز وجل فاجلس معهم فإنك إن تك عالما ينفعك علمك وإن تك غبيا يعلموك وإن يطلع الله عليهم برحمة تصبك معهم يا بني لا تجلس في المجلس الذي لا يذكر فيه الله فإنك إن تك عالما لا ينفعك علمك وإن تك غبيا يزيدوك غيا وإن يطلع الله إليهم بعد ذلك بسخط يصبك معهم يا بني لا تغبطن امرأ رحب الذراعين يسفك دماء المؤمنين فإن له عند الله قاتلا لا يموت. وحدثنا أبو معاوية ثنا هشام بن عروة عن أبيه قال مكتوب في الحكمة يا بني لتكن كلمتك طيبة وليكن وجهك بسطا تكن أحب إلى الناس ممن يعطيهم العطاء وقال مكتوب في الحكمة أو في التوراة الرفق رأس الحكمة وقال مكتوب في التوراة كما ترحمون ترحمون

وقال

وقال مكتوب في الحكمة كما تزرعون تحصدون وقال مكتوب في الحكمة أحبب خليلك وخليل أبيك. وحدثنا عبد الرزاق عن معمر عن أيوب عن أبي قلابة قال قيل للقمان أي الناس أصبر قال صبر لا يتبعه أذى قيل فأي الناس أعلم قال من ازداد من علم الناس إلى علمه قيل فأي الناس خير قال الغني قيل الغني من المال قال لا ولكن الغني الذي إذا التمس عنده خير وجد وإلا أغنى نفسه عن الناس. وحدثنا سفيان هو ابن عيينة قال قيل للقمان أي الناس شر قال الذي لا يبالي أن يراه الناس مسيئا. وحدثنا أبو عبد الصمد عن مالك بن دينار قال وجدت في بعض الحكمة يبدد الله عظام الذين يتكلمون بأهواء الناس ووجدت فيها لا خير لك في أن تعلم ما لم تعلم ولما تعمل بما قد علمت فإن مثل ذلك مثل رجل احتطب حطبا فحزم حزمة ثم ذهب يحملها فعجز عنها فضم إليها أخرى. وقال عبد الله بن أحمد حدثنا الحكم بن زهير وهو الحكم بن موسى ثنا الفرج بن فضالة عن أبي سعيد قال قال لقمان لابنه يا بني لا يأكل طعامك إلا الأتقياء وشاور في أمرك العلماء. وهذا مجموع ما ذكره الإمام أحمد في هذا الموضع وقد قدمنا من ذلك أشياء كثيرة لم يروها كما أنه ذكر أشياء ليست عندنا والله تعالى أعلم. وقال ابن أبي حاتم ثنا أبي ثنا العباس بن الوليد ثنا زيد بن يحيى بن عبيد الخزاعي ثنا سعيد بن بشير عن قتادة قال خير الله لقمان الحكيم بين النبوة والحكمة فاختار الحكمة على النبوة قال فأتاه جبريل وهو نائم فذر عليه الحكمة قال فأصبح ينطق بها قال سعيد فسمعت قتادة يقول قيل للقمان كيف اخترت الحكمة على النبوة وقد خيرك ربك فقال إنه لو أرسل إلي بالنبوة عزمة لرجوت فيه الفوز منه ولكنت أرجو أن أقوم بها ولكنه خيرني فخفت أن أضعف عن النبوة فكانت الحكمة أحب إلي. وهذا فيه نظر لأن سعيد بن بشير عن قتادة قد تكلموا فيه والذي رواه سعيد بن أبي عروبة عن قتادة في قوله ولقد آتينا لقمان الحكمة قال يعني الفقه في الإسلام ولم يكن نبيا ولم يوح إليه وهكذا نص على هذا غير واحد من السلف منهم مجاهد وسعيد بن المسيب وابن عباس والله أعلم

قصة أصحاب الأخدود

قال الله تعالى والسماء ذات البروج واليوم الموعود وشاهد ومشهود قتل أصحاب الأخدود النار ذات الوقود إذ هم عليها قعود وهم على ما يفعلون بالمؤمنين شهود وما نقموا منهم إلا أن يؤمنوا بالله العزيز الحميد الذي له ملك السموات والأرض والله على كل شيء شهيد إن الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات ثم لم يتوبوا فلهم عذاب جهنم ولهم عذاب الحريق قد تكلمنا على ذلك مستقصى في تفسير هذه السورة ولله الحمد. وقد زعم محمد بن إسحاق أنهم كانوا بعد مبعث المسيح وخالفه غيره فزعموا أنهم كانوا قبله وقد ذكر غير واحد أن هذا الصنيع يتكرر في العالم مرارا في حق المؤمنين من الجبارين الكافرين ولكن هؤلاء المذكورون في القرآن قد ورد فيهم حديث مرفوع وأثر أورده ابن إسحاق وهما متعارضان ونحن نوردهما لتوقف عليهما قال الإمام أحمد ثنا عفان ثنا حماد بن سلمة عن ثابت عن عبد الرحمن بن أبي ليلى عن صهيب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كان ملك فيمن كان قبلكم وكان له ساحر فلما كبر الساحر قال للملك إني قد كبرت سني وحضر أجلي فادفع إلي غلاما فلأعلمه السحر فدفع إليه غلاما

كان يعلمه السحر وكان بين الساحر وبين الملك راهب فأتى الغلام على الراهب فسمع من كلامه
فأعجبه نحوه وكلامه وكان إذا أتى الساحر ضربه وقال ما حبسك وإذا أتى أهله ضربوه
وقالوا ما حبسك فشكى ذلك إلى الراهب فقال إذا أراد الساحر أن يضربك فقل حبسني
أهلي وإذا أراد أهلك أن يضربوك فقل حبسني الساحر قال فبينما هو ذات يوم إذ أتى
على دابة فظيعة عظيمة قد حبست الناس فلا يستطيعون أن يجوزوا فقالوا اليوم
نعلم أمر الساحر أحب إلى الله أم أمر الراهب قال فأخذ حجرا فقال اللهم إن كان أمر الراهب
أحب إليك وأرضى من أمر الساحر فاقتل هذه الدابة حتى يجوز الناس ورماها فقتلها
ومضى الناس فأخبر الراهب بذلك فقال أي بني أنت أفضل مني وإنك
ستبتلى فإن ابتليت فلا تدل علي فكان الغلام يبرئ الأكمه والأبرص وسائر الأدواء ويشفيهم
وكان جليس للملك عمي فسمع به فأتاه بهدايا كثيرة فقال اشفني ولك ما هاهنا أجمع
فقال ما أنا أشفي أحدا إنما يشفي الله عز وجل فإن آمنت به دعوت الله فشفاك فآمن
فدعا الله له فشفاه ثم أتى الملك فجلس منه نحو ما كان يجلس فقال له الملك يا فلان
من رد عليك بصرك فقال ربي قال أنا قال لا ربي وربك الله قال ولك رب غيري
قال نعم ربي وربك الله فلم يزل يعذبه حتى دل على الغلام فأتي به فقال أي بني بلغ من سحرك
أن تبرئ الأكمه والأبرص وهذه الأدواء قال ما أشفي أنا أحدا إنما يشفي الله عز وجل قال
أنا قال لا قال ولك رب غيري قال ربي وربك الله قال فأخذه أيضا بالعذاب فلم يزل به
حتى دل على الراهب فأتي بالراهب فقال ارجع عن دينك فأبى فوضع المنشار في مفرق
رأسه حتى وقع شقاه وقال للأعمى ارجع عن دينك فأبى فوضع المنشار في مفرق رأسه
حتى وقع شقاه وقال للغلام ارجع عن دينك فأبى فبعث به مع نفر إلى جبل كذا وكذا وقال
إذا بلغتم ذروته فإن رجع عن دينه وإلا فدهدهوه فذهبوا به فلما علوا الجبل قال اللهم
اكفنيهم بما شئت فرجف بهم الجبل فتدهدهوا أجمعين وجاء الغلام يتلمس حتى دخل على الملك
فقال ما فعل أصحابك فقال كفانيهم الله فبعث به مع نفر في قرقور فقال إذا لججتم
البحر فإن رجع عن دينه وإلا فغرقوه في البحر فلججوا به البحر فقال الغلام اللهم اكفنيهم
بما شئت فغرقوا أجمعين وجاء الغلام حتى دخل على الملك فقال ما فعل أصحابك فقال
كفانيهم الله ثم قال للملك إنك لست بقاتلي حتى تفعل ما آمرك به فإن أنت فعلت ما آمرك
به قتلتني وإلا فإنك لا تستطيع قتلي قال وما هو قال تجمع الناس في صعيد واحد ثم تصلبني
على جذع وتأخذ سهما من كنانتي ثم قل بسم الله رب الغلام فإنك إذا فعلت ذلك
قتلتني ففعل ووضع السهم في كبد القوس فرماه وقال بسم الله رب الغلام فوقع السهم
في صدغه فوضع الغلام يده على موضع السهم ومات فقال الناس آمنا برب الغلام فقيل
للملك أرأيت ما كنت تحذر فقد والله نزل بك قد آمن الناس كلهم فأمر بأفواه السكك
فخدت فيها الأخاديد وأضرمت فيها النيران وقال من رجع عن دينه فدعوه وإلا فأقحموه
فيها قال فكانوا يتعادون فيها ويتدافعون فجاءت امرأة بابن لها ترضعه فكأنها تقاعست
أن تقع في النار فقال لها الصبي اصبري يا أماه فإنك على الحق كذا رواه الإمام أحمد ورواه
مسلم والنسائي من حديث حماد بن سلمة زاد النسائي وحماد بن زيد كلاهما عن ثابت ورواه
الترمذي من طريق عبد الرزاق عن معمر عن ثابت بإسناده نحوه وجود إسناده كما بسطنا

ذلك

ذلك في التفسير وقد أورد محمد بن إسحاق هذه القصة على وجه آخر فقال حدثني يزيد بن زياد
عن محمد بن كعب وحدثني أيضا بعض أهل نجران عن أهلها أن أهل نجران كانوا أهل شرك يعبدون
الأوثان وكان في قرية من قراها قريبا من نجران ونجران هي القرية العظمى التي إليها جماع أهل تلك
البلاد ساحر يعلم غلمان أهل نجران السحر فلما نزلها فيميون ولم يسموه لي بالاسم الذي سماه لي ابن
منبه قالوا رجل نزلها فابتنى خيمة بين نجران وبين تلك القرية التي فيها الساحر وجعل أهل
نجران يرسلون غلمانهم إلى ذلك الساحر يعلمهم السحر فبعث الثامر ابنه عبد الله بن الثامر مع
غلمان أهل نجران فكان إذا مر بصاحب الخيمة أعجبه ما يرى من عبادته وصلاته فجعل يجلس
إليه ويسمع منه حتى أسلم فوحد الله وعبده وجعل يسأله عن شرائع الإسلام حتى إذا فقه فيه
جعل يسأله عن الاسم الأعظم وكان يعلمه فكتمه إياه وقال له يا ابن أخي إنك لن تحمله أخشى
ضعفك عنه والثامر أبو عبد الله لا يظن إلا أن ابنه يختلف إلى الساحر كما يختلف الغلمان
فلما رأى عبد الله أن صاحبه قد ضن به عنه وتخوف ضعفه فيه عمد إلى قداح فجمعها ثم لم يبق
لله اسما يعلمه إلا كتبه في قدح لكل اسم قدح حتى إذا أحصاها أوقد نارا ثم جعل يقذفها
فيها قدحا قدحا حتى إذا مر بالاسم الأعظم قذف فيها بقدحه فوثب القدح حتى خرج منها
لم تضره شيئا فأخذه ثم أتى به صاحبه فأخبره أنه قد علم الاسم الأعظم الذي قد كتمه
فقال وما هو فقال كذا وكذا فقال وكيف علمته فأخبره بما صنع قال أي ابن أخي قد أصبته
فأمسك على نفسك وما أظن أن تفعل فجعل عبد الله بن الثامر إذا دخل نجران لم يلق أحدا
به ضر إلا قال يا عبد الله أتوحد الله وتدخل في ديني وأدعو الله فيعافيك مما أنت فيه
من البلاء فيقول نعم فيوحد الله ويسلم ويدعو له فيشفى حتى لم يبق بنجران أحد به ضر
إلا أتاه فاتبعه على دينه ودعا له فعوفي حتى رفع شأنه إلى ملك نجران فدعاه فقال
أفسدت علي أهل قريتي وخالفت ديني ودين آبائي لأمثلن بك قال لا تقدر على ذلك
فجعل يرسل به إلى الجبل الطويل فيطرح به على رأسه فيقع إلى الأرض ما به بأس وجعل يبعث
به إلى مياه بنجران بحور لا يلقى فيها شيء إلا هلك فيلقى به فيخرج ليس به بأس فلما غلبه
قال له عبد الله بن الثامر إنك والله لا تقدر على قتلي حتى توحد الله فتؤمن بما آمنت به
فإنك إن فعلت سلطت علي فقتلتني قال فوحد الله ذلك الملك وشهد شهادة
عبد الله بن الثامر ثم ضربه بعصى في يده فشجه شجة غير كبيرة فقتله وهلك الملك
مكانه واستجمع أهل نجران على دين عبد الله بن الثامر وكان على ما جاء به عيسى بن مريم
من الإنجيل وحكمه ثم أصابهم ما أصاب أهل دينهم من الأحداث فمن هنالك كان أصل دين
النصرانية بنجران قال ابن إسحاق فهذا حديث محمد بن كعب وبعض أهل نجران عن عبد
الله بن الثامر فالله أعلم أي ذلك كان قال فسار إليهم ذو نواس بجنده فدعاهم إلى
اليهودية وخيرهم بين ذلك أو القتل فاختاروا القتل فخد الأخدود وحرق بالنار
وقتل بالسيف ومثل بهم فقتل قريبا من عشرين ألفا ففي ذي نواس وجنده أنزل الله
على رسوله قتل أصحاب الأخدود النار ذات الوقود الآيات وهذا يقتضي أن هذه
القصة غير ما وقع في سياق مسلم وقد زعم بعضهم أن الأخدود وقع في العالم كثيرا
كما قال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا أبو اليمان أنا صفوان عن عبد الرحمن بن جبير قال كانت
الأخدود في اليمن زمان تبع وفي القسطنطينية زمان قسطنطين حين صرف

النصارى فنقلهم عن دين المسيح الى التوحيد واتخذ اتونا والقى فيها النصارى الذين كانوا على دين المسيح والتوحيد وفي العراق بارض بابل في زمان بخت نصر حين صنع الصنم وامر الناس ان يسجدوا له فامتنع دانيال وصاحباه عزريا ومشايل فاوقد لهم اتونا والقى فيها الحطب والنار ثم القاهما فيه فجعلها الله عليهم بردا وسلاما وانقذهم منها والقى فيها الذين بغوا عليه وهم تسعة رهط فاكلتهم النار وقال اسباط عن السدي في قوله قتل اصحاب الاخدود قال كان الاخدود ثلثة خد بالشام وخد بالعراق وخد باليمن رواه ابن ابي حاتم وقد استقصيت ذكر اصحاب الاخدود والكلام على تفسيرها في سورة البروج من التفسير ولله الحمد والمنة

باب بيان الاذن في الرواية والتحديث عن اخبار بني اسرائيل

قال الامام احمد حدثنا عبد الصمد ثنا همام ثنا زيد عن عطاء بن يسار عن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال حدثوا عني ولا تكذبوا علي ومن كذب علي متعمدا فليتبوا مقعده من النار وحدثوا عن بني اسرائيل ولا حرج وقال ايضا ثنا عفان ثنا همام انا زيد بن اسلم عن عطاء بن يسار عن ابي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا تكتبوا عني شيئا غير القران فمن كتب عني شيئا غير القران فليمحه وقال حدثوا عن بني اسرائيل ولا حرج حدثوا عني ولا تكذبوا علي قال ومن كذب علي قال همام احسبه قال متعمدا فليتبوا مقعده من النار وهكذا رواه مسلم والنسائي من حديث همام ورواه ابو عوانة الاسفرايني عن ابي داود السجستاني عن هدبة عن همام عن زيد بن اسلم به ثم قال قال ابو داود واخطا فيه همام وهو من قول ابي سعيد كذا قال وقد رواه الترمذي عن سفيان بن وكيع عن سفيان بن عيينة عن زيد بن اسلم ببعضه مرفوعا والله اعلم وقال الامام احمد حدثنا الوليد بن مسلم ثنا الاوزاعي ثنا حسان بن عطية حدثني ابو كبشة السلولي ان عبد الله بن عمرو بن العاص حدثه انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول بلغوا عني ولو اية وحدثوا عن بني اسرائيل ولا حرج ومن كذب علي متعمدا فليتبوا مقعده من النار ورواه احمد ايضا عن عبد الله بن نمير وعبد الرزاق كلاهما عن الاوزاعي به وهكذا رواه البخاري عن ابي عاصم النبيل عن الاوزاعي به وكذا رواه الترمذي عن بندار عن ابي عاصم ثم رواه عن محمد بن يحيى الذهلي عن محمد بن يوسف الفريابي عن عبد الرحمن بن ثابت بن ثوبان عن حسان بن عطية به وقال حسن صحيح وقال ابو بكر البزار ثنا محمد بن المثنى ابو موسى ثنا معاذ بن هشام ثنا ابي عن قتادة عن ابي حسان عن عبد الله بن عمرو قال كان نبي الله صلى الله عليه وسلم يحدثنا عامة ليله عن بني اسرائيل حتى يصبح ما يقوم فيها الا لعظم صلوة ورواه ابو داود عن محمد بن المثنى ثم قال البزار ثنا محمد بن مثنى ثنا عفان ثنا ابو هلال عن قتادة عن ابي حسان عن عمران بن حصين قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحدثنا عامة ليله عن بني اسرائيل لا يقوم الا لعظم صلاة قال البزار وهشام احفظ من ابي هلال يعني ان الصواب عن عبد الله بن عمرو لا عن عمران بن حصين والله اعلم وقال الامام احمد ثنا يحيى هو القطان عن محمد بن عمرو ثنا ابو سلمة عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم حدثوا عن بني اسرائيل ولا حرج اسناد صحيح ولم يخرجوه وقال الحافظ ابو يعلى ثنا ابو خيثمة ثنا

وكيع

وكيع ثنا ربيع بن سعد الجعفي عن عبد الرحمن بن سابط عن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حدثوا عن بني اسرائيل فانه قد كانت فيهم الاعاجيب ثم انشا يحدث صلى الله عليه وسلم قال خرجت طائفة من بني اسرائيل حتى اتوا مقبرة من مقابرهم فقالوا لو صلينا ركعتين ودعونا الله عز وجل فيخرج لنا رجلا قد مات نسائله عن الموت ففعلوا فبينما هم كذلك اذ طلع رجل راسه من قبر من تلك القبور بين عينيه اثر السجود فقال يا هؤلاء ما اردتم الي فقد مت منذ مائة عام فما سكنت عني حرارة الموت حتى الان فادعوا الله يعيدني كما كنت وهذا حديث غريب اذا تقرر جواز الرواية عنهم فهو محمول على ما يمكن ان يكون صحيحا فاما ما يعلم او يظن بطلانه لمخالفته الحق الذي بايدينا عن المعصوم فذاك مردود لا يعرج عليه ثم مع هذا كله لا يلزم من جواز روايته ان نعتقد صحته لما رواه البخاري قال حدثنا محمد بن بشار ثنا عثمان بن عمر ثنا علي بن المبارك عن يحيى بن ابي كثير عن ابي سلمة عن ابي هريرة قال كان اهل الكتاب يقرءون التورية بالعبرانية ويفسرونها بالعربية لاهل الاسلام فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تصدقوا اهل الكتاب ولا تكذبوهم وقولوا امنا بالله وما انزل الينا وما انزل اليكم والهنا والهكم واحد ونحن له مسلمون تفرد به البخاري من هذا الوجه وروى الامام احمد من طريق الزهري عن ابن ابي نملة الانصاري عن ابيه انه كان جالسا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ جاء رجل من اليهود فقال يا محمد هل تتكلم هذه الجنازة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الله اعلم فقال اليهودي انا اشهد انها تتكلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا حدثكم اهل الكتاب فلا تصدقوهم ولا تكذبوهم وقولوا امنا بالله وكتبه ورسله فان كان حقا لم تكذبوهم وان كان باطلا لم تصدقوهم تفرد به احمد وقال الامام احمد ثنا شريح بن النعمان ثنا هشيم انا مجالد عن الشعبي عن جابر بن عبد الله ان عمر بن الخطاب اتى النبي صلى الله عليه وسلم بكتاب اصابه من بعض اهل الكتاب فقراه على النبي صلى الله عليه وسلم قال فغضب وقال امتهوكون فيها يا ابن الخطاب والذي نفسي بيده لقد جئتكم بها بيضاء نقية لا تسالوهم عن شيء فيخبروكم بحق فتكذبوا به او بباطل فتصدقوا به والذي نفسي بيده لو ان موسى كان حيا ما وسعه الا ان يتبعني تفرد به احمد واسناده على شرط مسلم فهذه الاحاديث دليل على انهم قد بدلوا ما بايديهم من الكتب السماوية وحرفوها واولوها ووضعوها على غير مواضعها ولا سيما ما يبدونه من المعربات التي لم يحيطوا بها علما وهي بلغتهم فكيف يعبرون عنها بغيرها ولاجل هذا وقع في تعريبهم خطا كبير ووهم كثير مع ما لهم من المقصود الفاسدة والاراء الباردة وهذا يتحققه من نظر في كتبهم التي بايديهم وتامل ما فيها من سوء التعبير وقبح التبديل والتغيير وبالله المستعان وهو نعم المولى ونعم النصير وهذه التورية التي يبدونها ويخفون منها كثيرا فيما ذكروه فيها تحريف وتبديل وتغيير وسوء تعبير يعلم من نظر فيها وتامل ما قالوه وما ابدوه وما اخفوه وكيف يضعون عبارة فاسدة البناء والتركيب باطلة من حيث معناها والفاظها وهذا كعب الاحبار من اجود من ينقل عنهم وقد اسلم في زمن عمر وكان ينقل شيئا عن كتب اهل الكتاب فكان عمر رضي الله عنه يستحسن بعض ما ينقله لما يصدقه من الحق وتاليفا لقلبه فتوسع كثير من الناس في اخذ ما عنده وبالغ هو ايضا في نقل تلك الاشياء التي كثير منها لا يساوي مداده ومنها ما

ما هو باطل لمخالفته ومنها ما هو مصحح لما يشهد له من الحق الذي بأيدينا وقد قال
البخاري وقال أبو اليمان ثنا شعيب عن الزهري أخبرني حميد بن عبد الرحمن أنه سمع
معاوية يحدث رهطا من قريش بالمدينة وذكر كعب الأحبار فقال إن كان من أصدق هؤلاء
المحدثين الذين يحدثون عن أهل الكتاب وإن كنا مع ذلك لنبلو عليه الكذب يعني من غير
قصد منه وروى البخاري من حديث الزهري عن عبيد الله بن عبد الله عن ابن عباس أنه
قال كيف تسألون أهل الكتاب عن شيء وكتابكم الذي أنزل على رسوله أحدث الكتب بالله
تقرؤونه محضا لم يشب وقد حدثكم أن أهل الكتاب بدلوا كتاب الله وغيروه وكتبوا بأيديهم
الكتاب وقالوا هو من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلا ألا ينهاكم ما جاءكم من العلم عن مسألتهم
لا والله ما رأينا منهم رجلا يسألكم عن الذي أنزل إليكم وروى ابن جرير عن عبد الله بن مسعود
أنه قال لا تسألوا أهل الكتاب عن شيء فإنهم لن يهدوكم وقد ضلوا إما أن تكذبوا بحق أو
تصدقوا بباطل

قصة جريج أحد عباد بني إسرائيل

وقال الإمام أحمد حدثنا وهب بن جرير حدثنا أبي سمعت محمد بن سيرين يحدث عن أبي
هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يتكلم في المهد إلا ثلاثة عيسى بن
مريم قال وكان في بني إسرائيل رجل عابد يقال له جريج فابتنى صومعة وتعبد فيها قال
فذكر بنو إسرائيل عبادة جريج فقالت بغي منهم لئن شئتم لأفتننه فقالوا قد شئنا ذاك
قال فأتته فتعرضت له فلم يلتفت إليها فأمكنت نفسها من راع كان يؤوي غنمه إلى أصل
صومعة جريج فحملت فولدت غلاما فقالوا ممن فقالت من جريج فأتوه فاستنزلوه
فشتموه وضربوه وهدموا صومعته فقال لهم ما شأنكم قالوا إنك زنيت بهذه البغي
فولدت غلاما قال وأين هو قالوا هو هذا قال فقام فصلى ودعا ثم انصرف إلى الغلام
فطعنه بإصبعه فقال بالله يا غلام من أبوك فقال أنا ابن الراعي فوثبوا إلى جريج فجعلوا
يقبلونه وقالوا نبني صومعتك من ذهب قال لا حاجة لي في ذلك ابنوها من طين كما كانت
قال وبينما امرأة في حجرها ابن لها ترضعه إذ مر بها راكب ذو شارة فقالت اللهم
اجعل ابني مثل هذا قال فترك ثديها وأقبل على الراكب فقال اللهم لا تجعلني مثله قال
ثم عاد إلى ثديها يمصه قال أبو هريرة فكأني أنظر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم
يحكي صنيع الصبي ووضع إصبعه في فمه يمصها ثم مر بأمة تضرب فقالت اللهم
لا تجعل ابني مثلها قال فترك ثديها وأقبل على الأمة فقال اللهم اجعلني مثلها قال
فذاك حين تراجعا الحديث فقالت حلقى مر الراكب ذو الشارة فقلت اللهم اجعل
ابني مثله فقلت اللهم لا تجعلني مثله ومر بهذه الأمة فقلت اللهم لا تجعل ابني مثلها فقلت
اللهم اجعلني مثلها فقال يا أمتاه إن الراكب ذو الشارة جبار من الجبابرة وإن هذه
الأمة يقولون زنت ولم تزن وسرقت ولم تسرق وهي تقول حسبي الله وهكذا رواه البخاري
في أحاديث الأنبياء وفي المظالم عن مسلم بن إبراهيم ومسلم في كتاب الأدب عن زهير بن حرب
عن يزيد بن هارون كلاهما عن جرير بن حازم به طريق أخرى وسياق آخر قال الإمام أحمد
ثنا يحيى بن سعيد ثنا سليمان بن المغيرة ثنا حميد بن هلال عن أبي رافع عن أبي هريرة
عن النبي صلى الله عليه وسلم قال كان جريج يتعبد في صومعة قال فأتته أمه فقالت
يا جريج أنا أمك كلمني قال وكان أبو هريرة يصف كيف كان رسول الله صلى الله

عليه وسلم

عليه وسلم وضع يده على حاجبه الأيمن قال وصادفته يصلي قال يا رب أمي وصلاتي فاختار
صلاته فقالت اللهم هذا جريج وإنه ابني وإني كلمته فأبى أن يكلمني اللهم فلا تمته حتى
تريه المومسات قال ولو دعت عليه أن يفتتن لافتتن قال وكان راع يأوي إلى ديره فخرجت
امرأة فوقع عليها الراعي فولدت غلاما فقيل ممن هذا فقالت هو من صاحب الدير فأقبلوا
بفؤوسهم ومساحيهم وأقبلوا إلى الدير فنادوه فلم يكلمهم فأقبلوا يهدمون ديره فنزل
إليهم فقالوا سل هذه المرأة قال فلما رآه تبسم قال ثم مسح على رأس الصبي فقال من
أبوك قال راعي الضأن قال يا جريج نبني ما هدمنا من ديرك بالذهب والفضة قال لا
ولكن أعيدوه كما كان ففعلوا ورواه مسلم في الاستئذان عن شيبان بن فروخ
عن سليمان بن المغيرة به سياق آخر قال الإمام أحمد ثنا عفان ثنا حماد أنا ثابت
عن أبي رافع عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كان في بني إسرائيل
رجل يقال له جريج كان يتعبد في صومعة فأتته أمه ذات يوم فنادته فقالت أي
جريج أي بني أشرف علي أكلمك أنا أمك أشرف علي فقال أي رب صلاتي وأمي فأقبل على
صلاته ثم عادت فنادته مرارا فقالت يا جريج أي بني أشرف علي فقال أي رب صلاتي
وأمي فأقبل على صلاته فقالت اللهم لا تمته حتى تريه المومسة وكانت راعية ترعى غنما
لأهلها ثم تأوي إلى ظل صومعته فأصابت فاحشة فحملت فأخذت وكان من زنى منهم
قتل فقالوا ممن قالت من جريج صاحب الصومعة فجاؤوا بالفؤوس والمرور فقالوا أي جريج
أي مراء انزل فأبى يقبل على صلاته يصلي فأخذوا في هدم صومعته فلما رأى ذلك نزل
فجعلوا في عنقه وعنقها حبلا فجعلوا يطوفون بهما في الناس فوضع إصبعيه على بطنها
فقال أي غلام من أبوك فقال أبي فلان راعي الضأن فقبلوه وقالوا إن شئت بنينا
لك صومعتك من ذهب وفضة فقال أعيدوها كما كانت وهذا سياق غريب وإسناده
على شرط مسلم ولم يخرجه أحد من أصحاب الكتب من هذا الوجه فهؤلاء ثلاثة تكلموا
في المهد عيسى عليه السلام وقد تقدم الكلام على كلامه وصاحب جريج ابن البغي من الراعي
كما سمعت والثالث ابن المرأة التي كانت ترضعه فتمنت له أن يكون كصاحب الشارة
الحسنة فتمنى أن يكون كتلك الأمة المتهومة مما هي بريئة منه وهي تقول حسبي الله ونعم
الوكيل كما تقدم في رواية محمد بن سيرين عن أبي هريرة مرفوعا وقد رواه الإمام أحمد عن
هوذة عن عوف الأعرابي عن خلاس عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم بقصة هذا
الغلام الرضيع وهو إسناد حسن وقال البخاري ثنا أبو اليمان أنا شعيب ثنا أبو الزناد
عن عبد الرحمن الأعرج حدثه أنه سمع أبا هريرة أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
بينما امرأة ترضع ابنها إذ مر بها راكب وهي ترضعه فقالت اللهم لا تمت ابني حتى يكون
مثل هذا فقال اللهم لا تجعلني مثله ثم رجع في الثدي ومر بامرأة تجرر ويلعب بها فقالت
اللهم لا تجعل ابني مثل هذه فقال اللهم اجعلني مثلها فقال أما الراكب فإنه كافر وأما
المرأة فإنهم يقولون لها تزني وتقول حسبي الله ويقولون تسرق وتقول حسبي الله

فتن

قصة برصيصا وهي عكس قصة جريج فإن جريجا عصم وذاك

قال ابن جرير حدثني يحيى بن إبراهيم المسعودي ثنا أبي عن أبيه عن جده عن الأعمش
عن عمارة عن عبد الرحمن بن يزيد عن عبد الله بن مسعود في هذه الآية كمثل الشيطان

إذ قال للإنسان اكفر فلما كفر قال إني بريء منك إني أخاف الله رب العالمين فكان عاقبتهما
أنهما في النار خالدين فيها وذلك جزاء الظالمين قال ابن مسعود كانت امرأة ترعى الغنم وكان
لها إخوة أربعة وكانت تأوي بالليل إلى صومعة راهب قال فنزل الراهب ففجر بها فحملت
فأتاه الشيطان فقال له اقتلها ثم ادفنها فإنك رجل يصدق ويسمع قولك فقتلها ثم
دفنها قال فأتى الشيطان إخوتها في المنام فقال لهم إن الراهب صاحب الصومعة فجر
بأختكم فلما أحبلها قتلها في مكان كذا وكذا فلما أصبحوا قال رجل منهم والله لقد رأيت
البارحة رؤيا ما أدري أقصها عليكم أم أترك قالوا لا بل قصها علينا قال فقصها فقال
الآخر وأنا والله لقد رأيت ذلك فقال الآخر وأنا والله لقد رأيت مثل ذلك قالوا فوالله
ما هذا إلا لشيء فانطلقوا فاستعدوا ملكهم على ذلك الراهب فأتوه فأنزلوه ثم انطلقوا
به فلقيه الشيطان فقال إني أنا الذي أوقعتك في هذا ولن ينجيك منه غيري فاسجد لي
سجدة واحدة وأنجيك مما أوقعتك فيه قال فسجد له فلما أتوا به ملكهم تبرأ منه وأخذ
فقتل وهكذا روي عن ابن عباس وطاوس ومقاتل بن حيان نحو ذلك وقد روي عن أمير المؤمنين
علي بن أبي طالب بسياق آخر فقال ابن جرير ثنا خلاد بن أسلم ثنا النضر بن شميل أنا
شعبة عن أبي إسحاق سمعت عبد الله بن نهيك سمعت عليا يقول إن راهبا تعبد ستين سنة
وإن الشيطان أراده فأعياه فعمد إلى امرأة فأجنها ولها إخوة فقال لإخوتها عليكم بهذا
القس فيداويها قال فجاءوا بها إليه فداواها وكانت عنده فبينما هو يوما عندها إذ أعجبته
فأتاها فحملت فعمد إليها فقتلها فجاء إخوتها فقال الشيطان للراهب أنا صاحبك إنك
أعييتني أنا صنعت هذا بك فأطعني أنجك مما صنعت بك فاسجد لي سجدة فسجد له
فلما سجد له قال إني بريء منك إني أخاف الله رب العالمين فذلك قوله كمثل الشيطان
إذ قال للإنسان اكفر فلما كفر قال إني بريء منك إني أخاف الله رب العالمين

قصة الثلاثة الذين أووا إلى الغار فانطبق عليهم فتوسلوا إلى الله تعالى بصالح أعمالهم ففرج عنهم

قال البخاري ثنا إسماعيل بن خليل ثنا علي بن مسهر عن عبيد الله بن عمر عن نافع عن ابن عمر أن
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بينما ثلاثة نفر ممن كان قبلكم يمشون إذ أصابهم مطر
فأووا إلى غار فانطبق عليهم فقال بعضهم لبعض إنه والله يا هؤلاء لا ينجيكم إلا الصدق
فليدع كل رجل منكم بما يعلم أنه قد صدق فيه فقال أحدهم اللهم إن كنت تعلم أنه كان
لي أجير عمل لي على فرق من أرز فذهب وتركه وإني عمدت إلى ذلك الفرق فزرعته فصار من أمره
أني اشتريت منه بقرا وأنه أتاني يطلب أجره فقلت له اعمد إلى تلك البقر فإنها من ذلك
الفرق فساقها فإن كنت تعلم أني فعلت ذلك من خشيتك ففرج عنا فانساخت عنهم
الصخرة فقال الآخر اللهم إن كنت تعلم أنه كان لي أبوان شيخان كبيران وكنت آتيهما
كل ليلة بلبن غنم لي فأبطأت عنهما ليلة فجئت وقد رقدا وأهلي وعيالي يتضاغون من
الجوع وكنت لا أسقيهم حتى يشرب أبواي فكرهت أن أوقظهما وكرهت أن أدعهما فيستكنا
لشربتهما فلم أزل أنتظر حتى طلع الفجر فإن كنت تعلم أني فعلت ذلك من خشيتك ففرج
عنا فانساخت عنهم الصخرة حتى نظروا إلى السماء فقال الآخر اللهم إن كنت تعلم أنه كانت

لي ابنة عم

لي ابنة عم من أحب الناس إلي وإني راودتها عن نفسها فأبت إلا أن آتيها بمائة دينار فطلبتها
حتى قدرت فأتيتها بها فدفعتها إليها فأمكنتني من نفسها فلما قعدت بين رجليها قالت
اتق الله ولا تفض الخاتم إلا بحقه فقمت وتركت المائة دينار فإن كنت تعلم أني فعلت
ذلك من خشيتك ففرج عنا ففرج الله عنهم فخرجوا ورواه مسلم عن سويد بن سعيد
عن علي بن مسهر به وقد رواه الإمام أحمد منفردا به عن مروان بن معاوية عن عمر بن حمزة
بن عبد الله بن عمر عن سالم عن أبيه عن النبي صلى الله عليه وسلم بنحوه ورواه البزار في مسنده
من حديث أبي حبيش عن علي بن أبي طالب عن النبي صلى الله عليه وسلم بنحوه

خبر الثلاثة الأعمى والأبرص والأقرع

روى البخاري ومسلم من غير وجه عن همام بن يحيى عن إسحاق بن عبد الله بن أبي طلحة حدثني
عبد الرحمن بن أبي عمرة أن أبا هريرة حدثه أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول إن ثلاثة
في بني إسرائيل أبرص وأعمى وأقرع أراد الله أن يبتليهم فبعث إليهم ملكا فأتى الأبرص فقال
أي شيء أحب إليك فقال لون حسن وجلد حسن قد قذرني الناس قال فمسحه فذهب وأعطي
لونا حسنا وجلدا حسنا فقال أي المال أحب إليك قال الإبل أو قال البقر شك في ذلك
أن الأبرص والأقرع قال أحدهما الإبل وقال الآخر البقر فأعطي ناقة عشراء فقال يبارك
لك فيها قال وأتى الأقرع فقال أي شيء أحب إليك قال شعر حسن ويذهب عني هذا قد قذرني
الناس فمسحه فذهب وأعطي شعرا حسنا قال فأي شيء أحب إليك قال يرد الله إلي بصري
قال فأي شيء أحب إليك فقال البقر فأعطاه بقرة حاملا وقال يبارك لك فيها قال وأتى الأعمى صح
فأبصر به الناس فمسحه فرد الله إليه بصره قال فأي المال أحب إليك قال الغنم فأعطاه شاة
والدا فأنتج هذان وولد هذا فكان لهذا واد من الإبل ولهذا واد من البقر ولهذا واد من الغنم
ثم إنه أتى الأبرص في صورته وهيئته فقال رجل مسكين تقطعت بي الحبال في سفري فلا بلاغ
اليوم إلا بالله ثم بك أسألك بالذي أعطاك اللون الحسن والجلد الحسن والمال
بعيرا أتبلغ عليه في سفري فقال له إن الحقوق كثيرة فقال له كأني أعرفك ألم تكن أبرص
يقذرك الناس فقيرا فأعطاك الله عز وجل فقال لقد ورثت لكابر عن كابر فقال
إن كنت كاذبا فصيرك الله إلى ما كنت وأتى الأقرع في صورته وهيئته فقال له مثل ما قال
لهذا ورد عليه مثل ما رد هذا فقال إن كنت كاذبا فصيرك الله إلى ما كنت وأتى الأعمى
في صورته فقال رجل مسكين وابن سبيل وتقطعت بي الحبال في سفري فلا بلاغ اليوم إلا بالله
ثم بك أسألك بالذي رد عليك بصرك شاة أتبلغ بها في سفري فقال قد كنت أعمى فرد الله
علي بصري وفقيرا فخذ ما شئت فوالله لا أجهدك اليوم بشيء أخذته لله عز وجل فقال أمسك
مالك فإنما ابتليتم فقد رضي عنك وسخط على صاحبيك هذا لفظ البخاري في أحاديث
بني إسرائيل **حديث الذي استلف من صاحبه ألف دينار فأداها**
قال الإمام أحمد ثنا يونس بن محمد ثنا ليث عن جعفر بن ربيعة عن عبد الرحمن بن
هرمز عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه ذكر أن رجلا من بني إسرائيل سأل بعض
بني إسرائيل أن يسلفه ألف دينار فقال ائتني بشهداء أشهدهم قال كفى بالله شهيدا
قال ائتني بكفيل قال كفى بالله كفيلا قال صدقت فدفعها إليه إلى أجل مسمى فخرج في البحر
فقضى حاجته ثم التمس مركبا يقدم عليه للأجل الذي أجله فلم يجد مركبا فأخذ خشبة
فنقرها فأدخل فيها ألف دينار وصحيفة منه إلى صاحبها ثم زجج موضعها ثم أتى بها

البحر ثم قال اللهم انك تعلم اني استسلفت فلانا الف دينار فسألني كفيلا فقلت
كفى بالله كفيلا فرضي بذلك وسألني شهيدا فقلت كفى بالله شهيدا فرضي بذلك واني قد جهدت
ان اجد مركبا ابعث اليه بالذي اعطاني فلم اجد مركبا واني استودعكها فرمى بها في البحر حتى
ولجت فيه ثم انصرف وهو في ذلك يطلب مركبا الى بلده فخرج الرجل الذي كان اسلفه ينظر
لعل مركبا يجيئه بماله فاذا بالخشبة التي فيها المال فاخذها لاهله حطبا فلما كسرها وجد المال
والصحيفة ثم قدم الرجل الذي كان تسلف منه فاتاه بالف دينار وقال والله ما زلت
جاهدا في طلب مركب لآتيك بمالك فما وجدت مركبا قبل الذي اتيت به قال هل كنت بعثت
الي بشيء قال الم اخبرك اني لم اجد مركبا قبل هذا الذي جئت فيه قال فان الله ادى عنك الذي
بعثت في الخشبة فانصرف بالف راشدا هكذا رواه الامام احمد مسندا وقد علقه البخاري
في غير موضع من صحيحه بصيغة الجزم عن الليث بن سعد واسنده في بعضها عن عبد الله
بن صالح كاتب الليث عنه والعجب من الحافظ ابي بكر البزار كيف رواه في مسنده عن الحسن بن
مدرك عن يحيى بن حماد عن ابي عوانة عن عمر بن ابي سلمة عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم
بنحوه ثم قال لا يروى الا من هذا الوجه بهذا الاسناد

قصة اخرى شبيهة بهذه في الصدق في الامانة

قال البخاري ثنا اسحق بن نصر ثنا عبد الرزاق عن معمر عن همام بن منبه عن ابي هريرة قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اشترى رجل من رجل عقارا له فوجد الرجل الذي
اشترى العقار في عقاره جرة فيها ذهب فقال له الذي اشترى العقار خذ ذهبك مني
انما اشتريت منك الارض ولم ابتع الذهب فقال الذي له الارض انما بعتك الارض وما فيها
فتحاكما الى رجل فقال الذي تحاكما اليه الكما ولد فقال احدهما لي غلام وقال الاخر لي جارية
قال انكحوا الغلام الجارية وانفقوا على انفسهما منه وتصدقا هكذا رواه البخاري هذا الحديث
في اخبار بني اسرائيل واخرجه مسلم عن محمد بن رافع عن عبد الرزاق به وقد روي ان هذه القصة
وقعت في زمن ذي القرنين وقد كان قبل بني اسرائيل بدهر متطاول والله اعلم قال
اسحاق بن بشر في كتاب المبتدأ عن سعيد بن ابي عروبة عن قتادة عن الحسن ان ذا القرنين
كان يتفقد امور مملكته بنفسه وكان لا يطلع على احد منهم خيانة الا انكر ذلك عليه وكان
لا يقبل ذلك حتى يطلع هو بنفسه قال فبينما هو يسير متنكرا في بعض المدائن جلس الى قاض
من قضاته اياما لا يختلف اليه احد في خصومة فلما ان طال ذلك بذي القرنين ولم يطلع على
شيء من امر ذلك القاضي هم بالانصراف اذا هو برجلين قد اختصما اليه فادعى احدهما فقال
ايها القاضي اني اشتريت من هذا دارا وعمرتها ووجدت فيها كنزا واني دعوته الى اخذه فابى علي
فقال له القاضي ما تقول قال ما دفنت ولا علمت به فليس هو لي ولا اقبضه منه فقال المدعي
ايها القاضي مر من يقبضه فيضعه حيث احببت فقال القاضي تفر من الشرع تدخلني فيه
وما انصفتني وما اظن هذا في قضاء الملك فقال القاضي هل لكما في امر انصف مما دعوتما اليه فقالا نعم
قال للمدعي الك ابن قال نعم وقال للآخر الك ابنة قال نعم قال اذهبا فزوج ابنتك من
ابن هذا وجهزوهما من هذا المال وادفعوا ما بقي اليهما يعيشان به ليكونا قد صليا
بخيره وشره فتعجب ذو القرنين حين سمع ذلك ثم قال للقاضي ما ظننت ان في الارض احدا
يفعل مثل هذا او قاض يقضي بمثل هذا فقال القاضي وهو لا يعرفه وهل احد يفعل غير هذا

قال ذو القرنين نعم قال القاضي فهل يمطرون في بلادهم فتعجب ذو القرنين من ذلك وقال
بمثل هذا قامت السموات والارض

قصة اخرى

قال البخاري ثنا محمد بن بشار ثنا محمد بن ابي عدي عن شعبة عن قتادة عن ابي الصديق
الناجي عن ابي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم قال كان رجل في بني اسرائيل قد
قتل تسعة وتسعين انسانا ثم خرج يسأل فاتى راهبا فسأله هل له توبة قال لا فقتله
وجعل يسأل فقال له رجل ائت قرية كذا وكذا فادركه الموت فناء بصدره نحوها فاختصمت
فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب فاوحى الله الى هذه ان تقربي واوحى الى هذه ان تباعدي
فقال قيسوا ما بينهما فوجد الى هذه اقرب بشبر فغفر له هكذا رواه ههنا مختصرا وقد
رواه مسلم عن بندار به ومن حديث شعبة ومن وجه اخر عن قتادة به مطولا

حديث اخر

قال البخاري ثنا علي بن عبد الله ثنا سفيان ثنا ابو الزناد عن الاعرج عن ابي سلمة
عن ابي هريرة قال صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة الصبح ثم اقبل على الناس
بوجهه فقال بينما رجل يسوق بقرة اذ ركبها فضربها فقالت انا لم نخلق لهذا انما
خلقنا للحرث فقال الناس سبحان الله بقرة تكلم فقال فاني اومن بهذا انا وابو بكر وعمر
وما هما ثم وبينما رجل في غنمه اذ عدا الذيب فذهب منها بشاة فطلبه حتى كأنه استنقذها
منه فقال له الذيب هذا استنقذتها مني فمن لها يوم السبع يوم لا راعي لها غيري فقال
الناس سبحان الله ذيب يتكلم قال فاني اومن بهذا انا وابو بكر وعمر وما هما ثم قال وحدثنا
سفيان عن مسعر عن سعد بن ابراهيم عن ابي سلمة عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم
بمثله وقد اسنده البخاري في المزارعة عن علي بن المديني ومسلم عن محمد بن عباد كلاهما
عن سفيان بن عيينة واخرجاه من شعبة كلاهما عن مسعر به وقال الترمذي حسن صحيح من طريق
واخرج مسلم الطريق الاول من حديث سفيان بن عيينة وسفيان الثوري كلاهما عن ابي
الزناد به

حديث اخر

قال البخاري حدثنا عبد العزيز بن عبد الله ثنا ابراهيم
بن سعد عن ابيه عن ابي سلمة عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال انه قد كان فيما
مضى قبلكم من الامم محدثون وانه ان كان في امتي هذه منهم فانه عمر بن الخطاب لم يخرجه مسلم
من هذا الوجه وقد روي عن ابراهيم بن سعد عن ابي سلمة عن عائشة رضي الله عنها

حديث اخر

قال البخاري ثنا عبد الله بن مسلمة عن مالك عن ابن شهاب عن حميد
بن عبد الرحمن انه سمع معاوية بن ابي سفيان عام حج على المنبر وتناول قصة من شعر كانت
في يد حرسي فقال يا اهل المدينة اين علماؤكم سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم ينهى
عن مثل هذه ويقول انما هلكت بنو اسرائيل حين اتخذ هذه نساؤهم وهكذا رواه مسلم
وابو داود من حديث مالك وكذا رواه سفيان بن عيينة ومعمر ويونس عن الزهري به وقال
الترمذي حسن صحيح وقال البخاري ثنا ادم ثنا شعبة ثنا عمرو بن مرة قال سمعت
سعيد بن المسيب قال قدم معاوية بن ابي سفيان المدينة اخر قدمة قدمها فخطبنا فاخرج
كبة من شعر فقال ما كنت ارى ان احدا يفعل هذا غير اليهود ان النبي صلى الله عليه وسلم
سماه الزور يعني الوصال في الشعر تابعه غندر عن شعبة واخرجه مسلم رواه من غير
وجه عن غندر عن شعبة به ومن حديث قتادة عن سعيد بن المسيب به

حديث اخر

قال البخاري ثنا سعيد ثنا ابن وهب اخبرني جرير بن حازم عن ايوب

عن محمد بن سيرين عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بينما كلب يطيف
بركية كاد يقتله العطش اذ راته امراة بغي من بغايا بني اسرائيل فنزعت موقها فسقته
فغفر لها به ورواه مسلم عن ابي الطاهر بن السرح عن ابن وهب به حديث اخر
قال البخاري ثنا محمد بن عبد الله بن اسماء ثنا جويرية عن نافع عن عبد الله بن عمر ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال عذبت امراة في هرة سجنتها حتى ماتت فدخلت فيها النار
فلا هي اطعمتها ولا سقتها اذ حبستها ولا هي تركتها تاكل من خشاش الارض وكذا رواه
مسلم عن عبد الله بن محمد بن اسماء به حديث اخر قال الامام احمد حدثنا عثمان
بن عمر ثنا المستمر بن الريان ثنا ابو نضرة عن ابي سعيد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال كان في بني اسرائيل امراة قصيرة فصنعت رجلين من خشب فكانت تمشي بين امراتين
قصيرتين واتخذت خاتما من ذهب وحشت تحت فصه اطيب الطيب المسك فكانت
اذا مرت بالمجلس حركته فنفخ ريحه ورواه مسلم من حديث المستمر وخليد بن جعفر كلاهما
عن ابي نضرة عن ابي سعيد مرفوعا قريبا منه وقال الترمذي حسن صحيح حديث
اخر قال البخاري ثنا ادم ثنا شعبة عن منصور سمعت ربعي بن حراش يحدث
عن ابي مسعود قال قال النبي صلى الله عليه وسلم ان مما ادرك الناس من كلام النبوة اذا لم
تستح فاصنع ما شئت تفرد به البخاري عن مسلم وقد رواه بعضهم عن ربعي بن حراش عن
حذيفة مرفوعا وموقوفا ايضا والله اعلم حديث اخر قال الامام احمد
حدثنا هاشم بن القاسم حدثنا عبد الحميد يعني ابن بهرام ثنا شهر بن حوشب قال قال
ابو هريرة بينما رجل وامراة له في السلف الخالي لا يقدران على شيء فجاء الرجل من سفره فدخل
على امراته جايعا قد اصابته مسغبة شديدة فقال لامراته عندك شيء قالت نعم
ابشر اتاك رزق الله فاستحثها فقال ويحك ابتغي ان كان عندك شيء قالت نعم
هنية نرجو رحمة الله حتى اذا طال عليها الطول قال ويحك قومي فابتغي ان كان عندك شيء
فابتيني به فاني قد بلغت وجهدت فقالت الان ينضج التنور فلا تعجل فلما ان سكت عنها
ساعة وتحينت ايضا ان يقول لها قالت من عند نفسها لو قمت فنظرت الى تنوري
فقامت فوجدت تنورها ملان من جنوب الغنم ورحييها يطحنان فقامت الى الرحى
فنفضتها واستخرجت ما في تنورها من جنوب الغنم قال ابو هريرة فو الذي نفس ابي
القسم بيده عن قول محمد صلى الله عليه وسلم لو اخذت ما في رحييها ولم تنفضها
لطحنتها الى يوم القيامة وقال احمد ثنا ابو عامر ثنا ابو بكر عن هشام عن محمد عن ابي
هريرة قال دخل رجل على اهله فلما راى ما بهم من الحاجة خرج الى البرية فلما رات امراته
قامت الى الرحا فوضعتها والى التنور فسجرته ثم قالت اللهم ارزقنا فنظرت فاذا
الجفنة قد امتلات قال وذهبت الى التنور فوجدته ممتليا قال فرجع الزوج قال
اصبتم بعدي شيئا قالت امراته نعم من ربنا قام الى الرحا فذكر ذلك للنبي صلى الله عليه
وسلم فقال اما انه لو لم يرفعها لم تزل تدور الى يوم القيامة شهدت النبي صلى الله عليه
وسلم وهو يقول والله لان ياخذ احدكم حبلة فيحتطب ثم يجيء فيبيعه فيستغني منه خير له
من ان ياتي رجلا فيساله حديث اخر قال البخاري ثنا ابو عوانة عن قتادة
عن عقبة بن عبد الغافر عن ابي سعيد عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان رجلا كان قبلكم

رغسه الله مالا فقال لبنيه لما حضر اي اب كنت لكم قالوا خير اب قال فاني لم اعمل خيرا
قط فاذا مت فاحرقوني ثم اسحقوني ثم اذروني في يوم عاصف ففعلوا فجمعه الله عز وجل
فقال ما حملك فقال مخافتك فتلقاه برحمته ورواه في موضع اخر ومسلم من طرق
عن قتادة به ثم رواه البخاري ومسلم من حديث ربعي بن حراش عن حذيفة عن النبي صلى
الله عليه وسلم بنحوه ومن حديث الزهري عن حميد بن عبد الرحمن عن ابي هريرة عن النبي
صلى الله عليه وسلم بنحوه حديث اخر قال البخاري ثنا عبد العزيز بن عبد الله
ثنا ابراهيم بن سعد عن ابن شهاب عن عبيد الله بن عبد الله عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه
وسلم قال كان رجل يداين الناس فيقول لفتاه اذا اتيت معسرا فتجاوز عنه لعل الله ان
يتجاوز عنا قال فلقي الله فتجاوز عنه وقد رواه في مواضع اخر ومسلم من طرق عن الزهري
به حديث اخر قال البخاري ثنا عبد العزيز بن عبد الله حدثني مالك عن محمد
ابن المنكدر عن ابي النضر مولى عمر بن عبيد الله عن عامر بن سعد بن ابي وقاص عن ابيه انه
سمعه يسال اسامة بن زيد ماذا سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم في الطاعون
فقال اسامة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الطاعون رجس ارسل على طايفة
من بني اسرائيل او على من كان قبلكم فاذا سمعتم به بارض فلا تقدموا عليه واذا وقع
بارض وانتم بها فلا تخرجوا فرارا منه قال ابو النضر لا يخرجكم الا فرارا منه ورواه مسلم
من حديث مالك ومن طرق اخرى عن عامر بن سعد به حدثنا موسى بن اسماعيل ثنا داود
ابن ابي الفرات ثنا عبد الله بن بريدة عن يحيى بن يعمر عن عايشة قالت سالت رسول
الله صلى الله عليه وسلم عن الطاعون فاخبرني انه عذاب يبعثه الله على من يشاء
من عباده وان الله جعله رحمة للمومنين ليس من احد يقع الطاعون فيمكث في بلده صابرا
محتسبا يعلم انه لن يصيبه الا ما كتب الله له الا كان له مثل اجر شهيد تفرد به البخاري
عن مسلم من هذا الوجه حديث اخر قال البخاري ثنا قتيبة ثنا ليث عن
ابن شهاب عن عروة عن عايشة ان قريشا اهمتهم شان المخزومية التي سرقت فقالوا
من يكلم فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا ومن يجترئ عليه الا اسامة بن زيد
حب رسول الله صلى الله عليه وسلم فكلمه اسامة فقال اتشفع في حد من حدود الله
ثم قام فاختطب ثم قال انما اهلك الذين من قبلكم انهم كانوا اذا سرق فيهم الشريف
تركوه واذا سرق فيهم الضعيف اقاموا عليه الحد وايم الله لو ان فاطمة بنت محمد سرقت
لقطعت يدها واخرجه بقية الجماعة من طرق عن الليث بن سعد به حديث
اخر وقال البخاري ثنا ادم ثنا شعبة ثنا عبد الملك بن ميسرة سمعت
النزال بن سبرة الهلالي عن ابن مسعود قال سمعت رجلا قرا اية سمعت النبي صلى الله عليه وسلم
يقرا خلافها فجيت به الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبرته فعرفت في وجهه الكراهية
فقال كلاكما محسن ولا تختلفوا فان من قبلكم اختلفوا فهلكوا تفرد به البخاري دون
مسلم حديث اخر قال البخاري ثنا عبد العزيز بن عبد الله ثنا ابراهيم بن سعد
عن صالح عن ابن شهاب قال قال ابو سلمة بن عبد الرحمن ان ابا هريرة قال ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم قال ان اليهود والنصارى لا يصبغون فخالفوهم تفرد به دون مسلم
وفي سنن ابي داود صلوا في نعالكم خالفوا اليهود حديث اخر قال البخاري ثنا علي

ابن عبد الله ثنا سفيان عن عمرو بن طاوس عن ابن عباس سمعت عمر يقول قاتل الله فلانا الم يعلم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لعن الله اليهود حرمت عليهم الشحوم فجملوها فباعوها ورواه مسلم من حديث ابن عيينة ومن حديث عمرو بن دينار ثم قال البخاري تابعه جابر وابو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم ولهذا الحديث طرق كثيرة ستاتي في كتاب الحيل من الاحكام ان شاء الله وبه الثقة

حديث آخر

قال البخاري ثنا عمران بن ميسرة ثنا عبد الوارث ثنا خالد عن ابي قلابة عن انس بن مالك قال ذكروا النار والناقوس فذكروا اليهود والنصارى فامر بلال ان يشفع الاذان ويوتر الاقامة واخرجه بقية الجماعة من حديث ابي قلابة عبد الله بن زيد الجرمي به والمقصود من هذا مخالفة اهل الكتاب في جميع شعارهم فان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما قدم المدينة كان المسلمون يتحينون وقتا للصلاة بغير دعوة اليها ثم امر من ينادي فيهم وقت الصلاة الصلاة جامعة ثم ارادوا ان يدعوا اليها بشيء يعرفه الناس فقال قائلون نضرب بالناقوس وقال آخرون نوري بالنار فكرهوا ذلك لمشابهة اهل الكتاب بمن فارى عبد الله بن زيد بن عبد ربه الانصاري في منامه الاذان فقصها على رسول الله صلى الله عليه وسلم فامر بلالا فنادى به كما هو مبسوط في موضعه من باب الاذان من كتاب الاحكام

حديث آخر

قال البخاري ثنا بشر بن محمد انا عبد الله انا معمر ويونس عن الزهري اخبرني عبيد الله بن عبد الله ان عائشة وابن عباس قالا لما نزل برسول الله صلى الله عليه وسلم طفق يطرح خميصة له على وجهه فاذا اغتم كشفها عن وجهه فقال وهو كذلك لعنة الله على اليهود والنصارى اتخذوا قبور انبيائهم مساجد يحذر ما صنعوا وهكذا رواه في غير موضع ومسلم من طرق عن الزهري به

حديث آخر

قال البخاري ثنا سعيد بن ابي مريم ثنا ابو غسان قال حدثني زيد بن اسلم عن عطاء بن يسار عن ابي سعيد ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لتتبعن سنن من قبلكم شبرا بشبر وذراعا بذراع حتى لو سلكوا جحر ضب لسلكتموه قلنا يا رسول الله اليهود والنصارى قال النبي صلى الله عليه وسلم فمن وهكذا رواه مسلم من حديث زيد بن اسلم به والمقصود من هذا الاخبار عما يقع من الافعال والاقوال المنهي عنها شرعا مما يشابه اهل الكتاب قبلنا فان الله ورسوله ينهيان عن مشابهتهم في اقوالهم وافعالهم حتى لو كان قصد المؤمن خيرا لكنه تشبه بفعلهم في الظاهر فعلهم كما نهى عن الصلاة عند طلوع الشمس وعند غروبها لئلا يشابه المشركين الذين يسجدون للشمس حينئذ وان كان المؤمن لا يخطر بباله شيء من ذلك بالكلية وهكذا قوله يا ايها الذين آمنوا لا تقولوا راعنا وقولوا انظرنا واسمعوا وللكافرين عذاب اليم فالكفار كانوا يقولون للنبي صلى الله عليه وسلم في كلامهم معه راعنا اي انظر الينا ببصرك واسمع كلامنا ويقصدون بقولهم راعنا من الرعونة فنهى المؤمنون ان يقولوا ذلك وان كان لا يخطر ببال احد منهم هذا ابدا وقد روى الامام احمد والترمذي من حديث عبد الله بن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال بعثت بالسيف بين يدي الساعة حتى يعبد الله وحده لا شريك له وجعل رزقي تحت ظل رمحي وجعل الذلة والصغار على من خالف امري ومن تشبه بقوم فهو منهم فليس للمسلم ان يتشبه بهم لا في اعيادهم ولا مواسمهم ولا عباداتهم لان الله تعالى شرف هذه الامة بخاتم الانبياء الذي شرع لهم الدين العظيم

القويم الشامل الكامل الذي لو كان موسى بن عمران الذي انزلت عليه التوراة وعيسى بن مريم الذي انزل عليه الانجيل حيين لم يكن لهما شرع متبع بل لو كانا موجودين بل وكل الانبياء لما ساغ لواحد منهم ان يكون على غير هذه الشريعة المطهرة المشرفة المكرمة المعظمة فاذا كان الله تعالى فاذا كان الله تعالى قد من علينا بان جعلنا من اتباع محمد صلوات الله وسلامه عليه فكيف يليق بنا ان نتشبه بقوم قد ضلوا من قبل واضلوا كثيرا وضلوا عن سواء السبيل قد بدلوا اديانهم وحرفوه واولوه حتى صار كانه غير ما شرع لهم اولا ثم هو بعد ذلك كله منسوخ والتمسك بالمنسوخ حرام لا يقبل الله منه قليلا ولا كثيرا ولا فرق بينه وبين الذي لم يشرع بالكلية والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم

حديث آخر

قال البخاري ثنا قتيبة ثنا الليث عن نافع عن ابن عمر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال انما اجلكم في اجل من خلا قبلكم من الامم كما بين صلاة العصر الى مغرب الشمس وانما مثلكم ومثل اليهود والنصارى كرجل استعمل عمالا فقال من يعمل لي الى نصف النهار على قيراط قيراط فعملت اليهود على قيراط قيراط ثم قال من يعمل لي من نصف النهار الى صلاة العصر على قيراط قيراط فعملت النصارى من نصف النهار الى صلاة العصر على قيراط قيراط ثم قال من يعمل لي من صلاة العصر الى مغرب الشمس على قيراطين قيراطين الا فانتم الذين يعملون من صلاة العصر الى مغرب الشمس على قيراطين قيراطين الا لكم الاجر مرتين فغضبت اليهود والنصارى فقالوا نحن اكثر عملا واقل عطاء قال الله تعالى هل ظلمتكم من حقكم شيئا قالوا لا قال فانه فضلي اوتيه من اشاء وهذا الحديث فيه دليل على ان مدة هذه الامة قصيرة بالنسبة الى ما مضى من مدد الامم قبلها لقوله انما اجلكم في اجل من خلا من الامم قبلكم كما بين صلاة العصر الى مغرب الشمس فالماضي لا يعلمه الا الله عز وجل كما ان الاتي لا يعلمه الا هو ولكنه قصير بالنسبة الى ما سبق ولا اطلاع لاحد على تحديد ما بقي الا الله عز وجل كما قال الله تعالى لا يجليها لوقتها الا هو وقال يسألونك عن الساعة ايان مرساها فيم انت من ذكراها الى ربك منتهاها وما يذكره بعض الناس من الحديث المشهور عند العامة من انه عليه السلام لا يؤلف تحت الارض فليس له اصل في كتب الحديث وقد ورد حديث فيه ان الدنيا جمعة من جمع الاخرة وفي صحته نظر والمراد من هذا التشبيه بالعمال تفاوت اجورهم وان ذلك ليس منوطا بكثرة العمل ولا بقلته بل بامور اخر معتبرة عند الله تعالى وكم من عمل قليل اجدى ما لا يجديه العمل الكثير هذه ليلة القدر العمل فيها افضل من عبادة الف شهر سواها وهؤلاء اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم انفقوا في اوقات لو انفق غيرهم من الذهب مثل احد ما بلغ مد احدهم ولا نصيفه وهذا رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثه الله على رأس اربعين سنة من عمره وقبضه وهو ابن ثلاث وستين سنة على المشهور وقد برز في هذه المدة التي هي ثلاث وعشرون سنة في العلوم النافعة والاعمال الصالحة على سائر الانبياء قبله حتى على نوح الذي لبث في قومه الف سنة الا خمسين عاما يدعوهم الى عبادة الله وحده لا شريك له ويعمل بطاعة الله ليلا ونهارا وصباحا ومساء صلوات الله وسلامه عليه وعلى سائر الانبياء اجمعين فهذه الامة انما شرفت وتضاعف ثوابها ببركة سفارة

بينها وتشرفه وعظمته كما قال الله تعالى يا ايها الذين امنوا اتقوا الله وامنوا برسوله يؤتكم كفلين من رحمته ويجعل لكم نورا تمشون به ويغفر لكم والله غفور رحيم لئلا يعلم اهل الكتاب الا يقدرون على شيء من فضل الله وان الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم

فصل

والاخبار بني اسرائيل كثيرة جدا في الكتاب والسنة النبوية ولو تتبعنا ذلك لطال الكتاب ولكن ذكرنا ما ذكره الامام ابو عبد الله البخاري في هذا الكتاب ففيه مقنع وكفاية وهو تذكرة وانموذج لهذا الكتاب والله اعلم واما الاخبار الاسرائيلية فيما يذكره كثير من المفسرين والمؤرخين فكثيرة جدا ومنها ما هو صحيح موافق لما وقع وكثير منها بل اكثرها مما يذكره القصاص مكذوب مفترى وضعه زنادقتهم وضلالهم وهي ثلاثة اقسام منها ما هو صحيح لموافقته ما قصه الله في كتابه او اخبر به رسوله صلى الله عليه وسلم ومنها ما هو معلوم البطلان لمخالفته كتاب الله وسنة رسوله ومنها ما يحتمل الصدق والكذب فهذا الذي امرنا بالتوقف فيه فلا نصدقه ولا نكذبه لما ثبت في الصحيح اذا حدثكم اهل الكتاب فلا تصدقوهم ولا تكذبوهم وقولوا امنا بالذي انزل الينا وانزل اليكم ويجوز روايته مع هذا للحديث المتقدم حدثوا عن بني اسرائيل ولا حرج

ذكر تحريف اهل الكتاب وتبديلهم اديانهم

اما اليهود فقد انزل الله عليهم التوراة على يدي موسى بن عمران عليه السلام وكانت كما قال تعالى ثم اتينا موسى الكتاب تماما على الذي احسن وتفصيلا لكل شيء وقال تعالى قل من انزل الكتاب الذي جاء به موسى نورا وهدى للناس تجعلونه قراطيس تبدونها وتخفون كثيرا وقال تعالى ولقد اتينا موسى وهارون الفرقان وضياء وذكرى للمتقين وقال تعالى واتيناهما الكتاب المستبين وهديناهما الصراط المستقيم وقال تعالى انا انزلنا التوراة فيها هدى ونور يحكم بها النبيون الذين اسلموا للذين هادوا والربانيون والاحبار بما استحفظوا من كتاب الله وكانوا عليه شهداء فلا تخشوا الناس واخشون ولا تشتروا باياتي ثمنا قليلا ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الكافرون فكانوا يحكمون بها وهم متمسكون بها برهة من الزمان ثم شرعوا في تحريفها وتبديلها وتغييرها وتاويلها وابداء ما ليس منها كما قال تعالى وان منهم لفريقا يلوون السنتهم بالكتاب لتحسبوه من الكتاب وما هو من الكتاب ويقولون هو من عند الله وما هو من عند الله ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون فاخبر تعالى انهم يفسرونها ويتاولونها ويضعونها على غير مواضعها وهذا مما لا خلاف فيه بين العلماء وهو انهم يتصرفون في معانيها ويحملونها على غير المراد كما بدلوا حكم الرجم بالجلد والتحميم مع بقاء لفظ الرجم فيها وكما انهم كانوا اذا سرق فيهم الشريف تركوه واذا سرق فيهم الضعيف اقاموا عليه الحد مع انهم مامورون باقامة الحد والقطع على الشريف والوضيع فاما تبديل الفاظها فقال قائلون بانها جميعها بدلت وقال اخرون لم تبدل واحتجوا بقوله تعالى وكيف يحكمونك وعندهم التوراة فيها حكم الله وقوله الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والانجيل يامرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات الاية وبقوله قل فاتوا بالتوراة فاتلوها ان كنتم صادقين وبقصة الرجم فانهم كما ثبت

في الصحيحين عن ابن عمر وفي صحيح مسلم عن البراء بن عازب وجابر بن عبد الله وفي السنن عن ابي هريرة وغيره لما تحاكموا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم في قصة اليهودي واليهودية اللذين زنيا فقال لهم ما تجدون في التوراة في شان الرجم فقالوا نفضحهم ويجلدون فامرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم باحضار التوراة فلما جاءوا بها وجعلوا يقرؤونها ويكتمون اية الرجم التي فيها ووضع عبد الله بن صوريا يده على اية الرجم وقرا ما قبلها وما بعدها فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ارفع يدك يا اعور فرفع يده فاذا فيها اية الرجم فامر رسول الله صلى الله عليه وسلم برجمهما وقال اللهم اني اول من احيى امرك اذ اماتوه وعند ابي داود انهم لما جاءوا بها نزع الوسادة من تحته فوضعها تحتها وقال امنت بك وبمن انزلك وذكر بعضهم انه قام لها ولم اقف على اسناده والله اعلم وهذا كله يشكل على ما يقوله كثير من المتكلمين وغيرهم ان التوراة انقطع تواترها في زمن بخت نصر ولم يبق من يحفظها الا العزير ثم ان العزير ان كان نبيا فهو معصوم والتواتر الى المعصوم يكفي اللهم الا ان يقال انها لم تتواتر اليه لكن بعده زكريا ويحيى وعيسى وكلهم كانوا متمسكين بالتوراة فلو لم تكن صحيحة معمولا بها لما اعتمدوا عليها وهم انبياء معصومون ثم قد قال الله تعالى فيما انزله على رسوله محمد صلى الله عليه وسلم خاتم الانبياء منكرا على اليهود في قصدهم الفاسد اذ عدلوا عما يعتقدون صحته عندهم وانهم مامورون به حتما الى التحاكم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم يجاحدون ما جاء به لكن لما كان في زعمهم ما قد يوافقهم على ما ابتدعوه من الجلد والتحميم المصادم لما امر الله به حتما وقالوا ان حكم لكم بالجلد والتحميم فاقبلوه وتكونون قد اعتذرتم بحكم نبي لكم عند الله يوم القيامة وان لم يحكم بهذا بل بالرجم فاحذروا ان تقبلوا منه فانكر الله تعالى عليهم في هذا القصد الفاسد الذي انما حملهم عليه الغرض الفاسد وموافقة الهوى لا الدين الحق فقال وكيف يحكمونك وعندهم التوراة فيها حكم الله ثم يتولون من بعد ذلك وما اولئك بالمؤمنين انا انزلنا التوراة فيها هدى ونور يحكم بها النبيون الذين اسلموا للذين هادوا والربانيون والاحبار بما استحفظوا من كتاب الله الاية ولهذا لما حكم بالرجم قال اللهم اني اول من احيى امرك اذ اماتوه وسالهم ما حملهم على هذا ولم تركوا امر الله الذي بايديهم فقالوا ان الزنا قد كثر في اشرافنا ولم يمكنا ان نقيمه عليهم وكنا نرجم من زنا من ضعفائنا فقلنا تعالوا الى امر نصف نفعله مع الشريف والوضيع فاصطلحنا على الجلد والتحميم فهذا من جملة تحريفهم وتبديلهم وتغييرهم وتاويلهم الباطل وهذا انما فعلوه في المعاني مع بقاء لفظ الرجم في كتابهم كما دل عليه الحديث المتفق عليه فلهذا قال من قال من الناس انه لم يقع تبديلهم الا في المعاني وان الالفاظ باقية وهي حجة عليهم اذ لو اقاموا ما في كتابهم جميعه لقادهم ذلك الى اتباع الحق ومتابعة الرسول محمد صلى الله عليه وسلم كما قال تعالى الذين يتبعون الرسول النبي الامي الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والانجيل يامرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم اصرهم والاغلال التي كانت عليهم الاية وقال تعالى ولو انهم اقاموا التوراة والانجيل وما انزل اليهم من ربهم لاكلوا من فوقهم ومن تحت ارجلهم منهم امة مقتصدة الاية وقال تعالى قل يا اهل الكتاب لستم على شيء حتى تقيموا التوراة والانجيل وما انزل

ايكم من يحكم لانه وهذا المذهب وهو القول بان التبديل انما وقع في معانيها لا في الفاظها حكاه
البخاري عن ابن عباس في آخر كتابه الصحيح وقرر عليه ولم يرده وحكاه العلامة فخر الدين
الرازي في تفسيره عن اكثر المتكلمين وذهب فقهاء الحنفية الى انه لا يجوز للجنب مس التوراة
وهو بحث وحكاه الحناطي في فتاويه عن بعض اصحاب الشافعي وهو غريب جدا وذهب
آخرون من العلماء الى التوسط في هذين القولين منهم شيخنا الامام العلامة ابو العباس
ابن تيمية رح فقال اما من ذهب الى انها كلها مبدلة من اولها الى آخرها ولم يبق منها حرف
الا بدلوه فهذا بعيد وكذا من قال لم يبدل شيء منها بالكلية بعيد ايضا والحق انه
دخلها تبديل وتغيير وتصرفوا في بعض الفاظها بالزيادة والنقص كما تصرفوا في معانيها
وهذا معلوم عند التامل ولبسطه موضع آخر والله تعالى كما في قولهم في قصة الذبيح
اذبح ابنك وحيدك وفي نسخة بكرك اسحاق فلفظة اسحاق مقحمة مزيدة بلا مرية لان
الوحيد وهو البكر اسماعيل لانه ولد قبل اسحاق باربع عشرة سنة فكيف يكون الوحيد
البكر اسحاق وانما حملهم على ذلك حسد العرب ان يكون ابوهم هو الذبيح فارادوا ان يذهبوا
بهذه الفضيلة لهم فزادوا ذلك في كتاب الله افتراء على الله وعلى رسوله وقد اغتر
بهذه الزيادة خلق كثير من السلف والخلف ووافقوهم على ان الذبيح اسحاق والصحيح
ان الذبيح اسماعيل كما قدمنا والله تعالى اعلم وهكذا في توراة السامرة في العشر
كلمات زيادة الامر بالتوجه الى الطور في الصلاة وليس ذلك في سائر نسخ اليهود والنصارى
وهكذا يوجد الزبور المأثور عن داود عليه السلام مختلفا كثيرا وفيه اشياء مزيدة ملحقة
فيه وليست منه والله تعالى اعلم قلت واما ما بايديهم من التوراة المعربة فلا يشك عاقل
في تبديلها وتحريف كثير من الفاظها وتغيير القصص والالفاظ والزيادات والنقص
البين الواضح وفيها من الكذب البين والخطأ الفاحش شيء كثير جدا فاما ما يتلونه بلسانهم
ويكتبونه باقلامهم فلا اطلاع لنا عليه والمظنون بهم انهم كذبة خونة يكثرون الفرية على
الله ورسله وكتبه واما النصارى فاناجيلهم الاربعة من طريق مرقس ولوقا ومتى ويوحنا
اشد اختلافا واكثر زيادة ونقصا والحش تفاوتا من التوراة وقد خالفوا احكام التوراة
والانجيل في غير ما شيء قد شرعوه لانفسهم من ذلك صلاتهم الى الشرق وليست منصوصا عليها
ولا مامورا بها في شيء من الاناجيل الاربعة وهكذا تصويرهم كنائسهم وتركهم الختان ونقلهم
صيامهم الى زمن الربيع وزيادته الى خمسين يوما واكلهم الخنزير ووضعهم الامانة الكبيرة وانما هي الخيانة
الحقيرة والرهبانية وهي ترك التزويج لمن اراد التعبد وتحريمه عليه وكتبهم
القوانين التي وضعتها لهم الاساقفة الثلاثمائة والثمانية عشر فكل هذه الاشيا
ابتدعوها ووضعوها في ايام قسطنطين بن قسطس باني القسطنطينية وكان زمنه
بعد المسيح بثلاثمائة سنة وكان ابوه احد ملوك الروم وتزوج امه هيلانه في بعض اسفاره
للصيد من بلاد حران وكانت نصرانية على دين الرهابين المتقدمين فلما ولد لها منه
قسطنطين المذكور تعلم الفلسفة ومهر فيها وصار فيه ميل بعض الشيء الى النصرانية التي
امه عليها فعظم القائمين بها بعض الشيء وهو على اعتقاد الفلاسفة فلما مات ابوه
واستقل هو في المملكة سار في رعيته سيرة عادلة فاحبه الناس وسادهم وغلب
على ملك الشام باسره مع الجزيرة وعظم شانه وكان اول القياصرة ثم اتفق اختلاف

في زمانه بين النصارى ومنازعة وقعت بين بترك الاسكندرية الكسندروس وبين رجل من
علمائهم يقال له عبد الله بن اريوس فذهب الكسندروس الى ان عيسى ابن الله تعالى الله عن
قوله وذهب ابن اريوس الى ان عيسى عبد الله ورسوله واتبعه على هذا طائفة من النصارى
واتفق الاكثرون الا الاحسرون على قول بتركهم ومنع ابن اريوس من دخول الكنيسة هو واصحابه
فذهب يستعدي على الكسندروس واصحابه الى الملك قسطنطين فساله الملك عن
مقالته فعرض عليه عبد الله بن اريوس ما يقول في المسيح من انه عبد الله ورسوله واحتج على
ذلك بما لديه وجنح الى قوله فقال له قائلون فينبغي ان تبعث الى خصمه فتسمع كلامه
فامر الملك باحضاره وطلب من سائر الاقاليم كل اسقف وكل من عنده علم في دين النصرانية
وجمع البتاركة الاربعة من القدس وانطاكية ورومية والاسكندرية فيقال انهم اجتمعوا
في مدة سنة وشهرين ما يزيد على الفي اسقف فجمعهم في مجلس واحد وهو المجمع الاول من مجامعهم
الثلاثة المشهورة وهم مختلفون اختلافا متباينا منتشرا جدا فمنهم الشرذمة على
المقالة التي لا يوافقهم احد من الباقين عليها فهؤلاء خمسون على مقالة وهؤلاء ثمانون على
مقالة اخرى وهؤلاء عشرة على مقالة واربعون على اخرى ومائة على مقالة ومائتان على مقالة
ومائتان على مقالة وطايفة على مقالة ابن اريوس وجماعة على مقالة اخرى فلما تفاقم امرهم
وانتشر خلافهم حار فيهم الملك قسطنطين مع انه سيئ الظن بما عدا دين الصابئين
من اسلافه اليونانيين فعمد الى اكثر جماعة منهم على مقالة فاذا هم ثلاثمائة
وثمانية عشر اسقفا قد اجتمعوا على مقالة الكسندروس ولم تجد طائفة بلغت عدتهم
فقال الملك هؤلاء اولى بنصر قولهم لانهم اكثر الفرق فاجتمع بهم خصوصا ووضع سيفه وخاتمه
اليهم وقال لهم اني رأيتكم اكثر الفرق قد اجتمعتم على مقالة لم يكن مثله فانا انصرها واذهب اليها
فسجدوا له وطلب منهم ان يضعوا له كتبا في الاحكام وان تكون الصلاة الى الشرق لانها
مطلع الكواكب النيرة وان يصوروا في كنائسهم صورا لها جثث فصالحوه على ان تكون
في الحيطان فلما توافقوا على ذلك اخذ في نصرهم واظهار كلمتهم واقامة دينهم وابعاد
من خالفهم وتضعيف رأيه وقوله فظهر اصحابه بجاهه على مخالفيهم وانتصروا عليهم وامر
ببناء الكنائس على دينهم وهم الملكية نسبة الى دين الملك فبني في ايام قسطنطين بالشام
وغيرها في المدائن والقرى ازيد من اثني عشرة الف كنيسة واعتنى الملك ببناء
بيت لحم يبنى على مكان مولد المسيح وبنت امه هيلانة قمامة بيت المقدس على مكان
المصلوب الذي زعمت اليهود والنصارى بجهلهم وقلة عقلهم انه المسيح عليه الصلاة
والسلام ويقال انه قتل من عدا اوليك وخد لهم الاخاديد في الارض واججها النار
واحرقهم بها كما ذكرناه في تفسير سورة البروج وعظم دين النصرانية وظهر امره
جدا بسبب الملك قسطنطين وقد افسده عليهم فسادا لا اصلاح له ولا نجاح معه
ولا فلاح عنده وكثرت اعيادهم بسبب عظمائهم وكثرة كنائسهم على اسماء عبادهم
وتفاقم كفرهم وغلظت مصيبتهم وتخلد ضلالهم وعظم وبالهم ولم يهد الله قلوبهم ولا
اصلح بالهم بل صرف قلوبهم عن الحق واحال عن الاستقامة حالهم ثم اجتمعوا بعد ذلك مجامع
في قضية النسطورية واليعقوبية وكل فرقة من هؤلاء تكفر الاخرى وتعتقد تخليدهم
في نار جهنم ولا ترى مجامعتهم في المعابد والكنائس وكلهم يقول بالاقانيم الثلاثة اقنوم

الأب والأقنوم الابن والأقنوم الكلمة ولكن بينهم اختلاف في الحلول والاتحاد بينهما بين اللاهوت والناسوت هل تدرعه أو حل فيه أو اتحد به واختلافهم بذلك شديد وكفرهم بسببه غليظ وكلهم على الباطل إلا من قال من الأريوسية أصحاب عبد الله بن أريوس أن المسيح عبد الله ورسوله وابن أمته وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه كما يقوله المسلمون فيه سواء ولكن لما استنفر من الأريوسية على هذه المقالة تسلط عليهم الفرق الثلاثة بالإبعاد والطرد حتى قلوا فلا يعرف منهم اليوم أحد فيما يعلم والله أعلم

كتاب الجامع لأخبار الأنبياء المتقدمين

قال الله تعالى تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض منهم من كلم الله ورفع بعضهم درجات وآتينا عيسى ابن مريم البينات وأيدناه بروح القدس الآية وقال تعالى إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح والنبيين من بعده وأوحينا إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وعيسى وأيوب ويونس وهارون وسليمان وآتينا داود زبورا ورسلا قد قصصناهم عليك من قبل ورسلا لم نقصصهم عليك وكلم الله موسى تكليما رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل وكان الله عزيزا حكيما وقد روى ابن حبان في صحيحه وابن مردويه في تفسيره وغيرهما من طريق إبراهيم بن هشام بن يحيى بن يحيى الغساني الشامي وقد تكلموا فيه حدثني أبي عن جدي عن أبي إدريس عن أبي ذر قال قلت يا رسول الله كم الأنبياء قال مائة ألف وأربعة وعشرون ألفا قلت يا رسول الله كم الرسل منهم قال ثلثمائة وثلاثة عشر جم غفير قلت يا رسول الله من كان أولهم قال آدم قلت يا رسول الله نبي مرسل قال نعم خلقه الله بيده ونفخ فيه من روحه ثم سواه قبلا ثم قال يا أبا ذر أربعة سريانيون آدم وشيث ونوح وخنوخ وهو إدريس وهو أول من خط بالقلم وأربعة من العرب هود وصالح وشعيب ونبيك يا أبا ذر وأول نبي من بني إسرائيل موسى وآخرهم عيسى وأول النبيين آدم وآخرهم نبيك وقد أورد هذا الحديث أبو الفرج ابن الجوزي في الموضوعات وقد رواه ابن أبي حاتم من وجه آخر فقال حدثنا محمد بن عوف ثنا أبو المغيرة ثنا معان بن رفاعة عن علي بن يزيد عن القسم عن أبي أمامة قال قلت يا رسول الله كم الأنبياء قال مائة ألف وأربعة وعشرون ألفا الرسل من ذلك ثلثمائة وخمسة عشر جما غفيرا وهذا أيضا من هذا الوجه ضعيف فيه ثلاثة من الضعفاء معان وشيخه وشيخ شيخه وقد قال الحافظ أبو يعلى الموصلي ثنا أحمد بن إسحاق أبو عبد الله الجوهري البصري ثنا مكي بن إبراهيم ثنا موسى بن عبيدة الربذي عن يزيد الرقاشي عن أنس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث الله ثمانية آلاف نبي أربعة آلاف إلى بني إسرائيل وأربعة آلاف إلى سائر الناس موسى وشيخه ضعيفان وقال أبو يعلى ثنا أبو الربيع ثنا محمد بن ثابت العبدي ثنا معبد بن خالد الأنصاري عن يزيد الرقاشي عن أنس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كان فيمن خلا من إخواني من الأنبياء ثمانية آلاف نبي ثم كان عيسى ثم كنت أنا يزيد الرقاشي ضعيف وقد رواه الحافظ أبو بكر الإسماعيلي عن محمد بن عثمان بن أبي شيبة ثنا أحمد بن طارق ثنا مسلم بن خالد ثنا زياد بن سعد عن محمد بن المنكدر عن صفوان بن سليم عن أنس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثت على إثر ثمانية آلاف نبي منهم أربعة آلاف من بني إسرائيل وهذا إسناد لا بأس به لكني لا أعرف حال أحمد بن طارق هذا والله أعلم **حديث**

آخر قال عبد الله بن الإمام أحمد وجدت في كتاب أبي بخطه حدثني عبد المتعالي بن عبد الوهاب ثنا يحيى بن سعيد الأموي ثنا مجالد عن أبي الوداك قال قال أبو سعيد هل تقر الخوارج بالدجال قال قلت لا فقال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إني خاتم ألف نبي وأكثر وما بعث نبي يتبع إلا وقد حذر أمته منه وإني قد بين لي فيه ما لم يبين وإنه أعور وإن ربكم ليس بأعور وعينه اليمنى عوراء جاحظة لا تخفى كأنها نخاعة في حائط مجصص وعينه اليسرى كأنها كوكب دري معه من كل لسان ومعه صورة الجنة خضراء يجري فيها الماء وصورة النار سوداء تدخن وهذا حديث غريب وقد روي عن جابر بن عبد الله فقال الحافظ أبو بكر البزار ثنا عمرو بن علي ثنا يحيى بن سعيد ثنا مجالد عن الشعبي عن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إني لخاتم ألف نبي وأكثر وإنه ليس منهم إلا وقد أنذر قومه الدجال وإنه قد تبين لي فيه ما لم يتبين لأحد منهم وإنه أعور وإن ربكم ليس بأعور وهذا إسناد حسن وهو محمول على ذكر عدد من أنذر قومه الدجال من الأنبياء لكن في الحديث الآخر ما من نبي إلا وقد أنذر أمته الدجال والله أعلم وقال البخاري ثنا محمد بن بشار ثنا محمد بن جعفر ~~ثنا جعفر~~ ثنا شعبة عن فرات قال سمعت أبا حازم قال قاعدت أبا هريرة خمس سنين فسمعته يحدث عن النبي صلى الله عليه وسلم قال كانت بنو إسرائيل تسوسهم الأنبياء كلما هلك نبي خلفه نبي وإنه لا نبي بعدي وسيكون خلفاء فيكثرون قالوا فما تأمرنا يا رسول الله قال فوا ببيعة الأول فالأول وأعطوهم حقهم فإن الله سائلهم عما استرعاهم وكذا رواه مسلم عن بندار ومن وجه آخر عن فرات به نحوه وقال البخاري ثنا عمر بن حفص ثنا أبي ثنا الأعمش حدثني شقيق قال قال عبد الله هو ابن مسعود كأني أنظر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يحكي نبيا من الأنبياء ضربه قومه فأدموه وهو يمسح الدم عن وجهه ويقول اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون ورواه مسلم من حديث الأعمش به نحوه وقال الإمام أحمد ثنا عبد الرزاق أنا معمر عن زيد بن أسلم عن رجل عن أبي سعيد الخدري قال وضع رجل يده على النبي صلى الله عليه وسلم فقال والله ما أطيق أن أضع يدي عليك من شدة حماك فقال النبي صلى الله عليه وسلم إنا معشر الأنبياء يضاعف لنا البلاء كما يضاعف لنا الأجر إن كان نبي من الأنبياء ليبتلى بالقمل حتى يقتله وإن كان النبي من الأنبياء ليبتلى بالفقر حتى يأخذ العباءة فيجوبها وإن كانوا ليفرحون بالبلاء كما تفرحون بالرخاء هكذا رواه الإمام أحمد من طريق زيد عن رجل عن أبي سعيد وقد رواه ابن ماجه عن دحيم عن ابن أبي فديك عن هشام بن سعد عن زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار عن أبي سعيد فذكره وقال الإمام أحمد ثنا وكيع ثنا سفيان عن عاصم بن أبي النجود عن مصعب بن سعد عن أبيه قال قلت يا رسول الله أي الناس أشد بلاء قال الأنبياء ثم الصالحون ثم الأمثل فالأمثل من الناس يبتلى الرجل على حسب دينه فإن كان في دينه صلابة زيد في بلائه وإن كان في دينه رقة خفف عنه وما يزال البلاء بالعبد حتى يمشي على الأرض وما عليه خطيئة ورواه الترمذي والنسائي وابن ماجه من حديث عاصم بن أبي النجود به وقال الترمذي حسن صحيح وقد تقدم في الحديث نحن معشر الأنبياء أولاد علات ديننا واحد والمعنى أن شرائعهم وإن اختلفت في الفروع ونسخ بعضها بعضا حتى انتهى الجميع إلى ما شرع الله لمحمد صلوات الله وسلامه عليه وعليهم أجمعين إلا أن كل نبي بعثه الله فإنما دينه الإسلام وهو التوحيد أن يعبد الله وحده لا شريك له كما قال تعالى وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا يوحى إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون

وقال تعالى واسأل من أرسلنا من قبلك من رسلنا أجعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون
وقال تعالى ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت فمنهم
من هدى الله ومنهم من حقت عليه الضلالة الآية فأولاد العلات يكون الأب واحد والأمهات
متفرقة فالأب بمنزلة الدين وهو التوحيد والأمهات بمنزلة الشرائع في اختلاف أحكامها كما
قال تعالى لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا وقال لكل أمة جعلنا منسكا هم ناسكوه وقال
ولكل وجهة هو موليها على أحد القولين في تفسيرها والمقصود أن الشرائع وإن تنوعت
في أوقاتها إلا أن الجميع آمرة بعبادة الله وحده لا شريك له وهو دين الإسلام الذي شرعه الله
لجميع الأنبياء وهو الدين الذي لا يقبل الله غيره يوم القيامة كما قال ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن
يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين وقال تعالى ومن يرغب عن ملة إبراهيم إلا من سفه نفسه
ولقد اصطفيناه في الدنيا وإنه في الآخرة لمن الصالحين إذ قال له ربه أسلم قال أسلمت
لرب العالمين ووصى بها إبراهيم بنيه ويعقوب يا بني إن الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن
إلا وأنتم مسلمون وقال تعالى إنا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور يحكم بها النبيون الذين
أسلموا للذين هادوا الآية فدين الإسلام هو عبادة الله وحده لا شريك له وهو الإخلاص
له وحده دون ما سواه والإحسان أن يكون على الوجه المشروع في ذلك الوقت المأمور به
ولهذا لا يقبل الله من أحد عملا بعد أن بعث محمدا صلى الله عليه وسلم إلا على ما شرعه له كما
قال تعالى قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعا وقال تعالى لأنذركم به ومن بلغ
وقال تعالى ومن يكفر به من الأحزاب فالنار موعده وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
بعثت إلى الأحمر والأسود قيل العرب والعجم وقيل الإنس والجن وقال صلى الله عليه وسلم
والذي نفسي بيده لو أصبح فيكم موسى ثم اتبعتموه وتركتموني لضللتم والأحاديث في هذا كثيرة
جدا والمقصود أن أخوة العلات أن يكونوا من أب واحد وأمهاتهم شتى مأخوذ من شرب العلل
بعد النهل وأما أخوة الأخياف فعكس هذا أن تكون أمهم واحدة من آباء شتى وأخوة الأعيان
وهم الأشقاء من أب واحد وأم واحدة والله سبحانه وتعالى أعلم وفي الحديث الآخر نحن معشر الأنبياء
لا نورث ما تركناه فهو صدقة وهذا من خصائص الأنبياء أنهم لا يورثون وما ذاك إلا لأن
الدنيا أحقر عندهم من أن تكون مخلفة عنهم ولأن توكلهم على الله عز وجل في ذراريهم أعظم
وأشد وأكد من أن يحتاجوا معه إلى أن يتركوا لهم شيئا يورثونه من بعدهم ما لا يستأثرون به عن
الناس بل يكون جميع ما تركوه صدقة للفقراء الناس ومحاويجهم وذوي خلتهم وسنذكر جميع
ما يختص بالأنبياء عليهم السلام مع خصائص نبينا محمد صلى الله عليه وسلم أجمعين في أول
كتاب النكاح من كتاب الأحكام الكبير حيث ذكره الأئمة من المصنفين اقتداء بالإمام أبي عبد الله
الشافعي رحمة الله عليه وعليهم أجمعين وقال الإمام أحمد حدثنا أبو معاوية عن الأعمش
عن زيد بن وهب عن عبد الرحمن بن عبد رب الكعبة قال انتهيت إلى عبد الله بن عمرو وهو جالس
في ظل الكعبة فسمعته يقول بينا نحن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر إذ نزل منزلا
فمنا من يضرب خباءه ومنا من هو في جشره ومنا من ينتضل إذ نادى مناديه الصلاة
جامعة قال فاجتمعنا قال فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فخطبنا فقال إنه لم يكن
نبي قبلي إلا دل أمته على ما يعلمه خيرا لهم ويحذرهم ما يعلمه شرا لهم وإن أمتكم هذه جعلت عافيتها
في أولها وإن آخرها سيصيبها بلاء شديد وأمور تنكرونها تجيء فتن يرقق بعضها لبعض

وأوحي إلي هذا القرآن

تجيء الفتنة فيقول المؤمن هذه مهلكتي ثم تنكشف ثم تجيء الفتنة فيقول المؤمن هذه ثم
تنكشف فمن سره منكم أن يزحزح عن النار وأن يدخل الجنة فلتدركه موتته وهو يؤمن بالله
العظيم واليوم الآخر وليأت إلى الناس الذي يحب أن يؤتى إليه ومن بايع إماما فأعطاه
صفقة يده وثمرة قلبه فليطعه ما استطاع فإن جاء آخر ينازعه فاضربوا عنق الآخر
قال فأدخلت رأسي من بين الناس فقلت أنشدك بالله أنت سمعت هذا من رسول الله صلى
الله عليه وسلم قال فأشار بيده إلى أذنيه فقال سمعته أذناي ووعاه قلبي قال فقلت
هذا ابن عمك يعني معاوية يأمرنا أن نأكل أموالنا بيننا بالباطل وأن نقتل أنفسنا وقد قال
الله تعالى يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل إلا أن تكون تجارة عن تراض
منكم قال فجمع يديه فوضعهما على جبهته ثم نكس هنيهة ثم رفع رأسه فقال أطعه في طاعة
الله واعصه في معصية الله ورواه أحمد أيضا عن وكيع عن الأعمش به وقال فيه أيها الناس
إنه لم يكن نبي قبلي إلا كان حقا عليه أن يدل أمته على ما يعلمه خيرا لهم وينذرهم ما يعلمه شرا لهم
وذكر تمامه بنحوه وهكذا رواه مسلم وأبو داود والنسائي وابن ماجه من طرق عن الأعمش
به وقال فيه يا أيها الناس إنه لم يكن نبي قبلي إلا كان حقا عليه أن يدل أمته على ما يعلمه خيرا
لهم ورواه مسلم أيضا من حديث الشعبي عن عبد الرحمن بن عبد رب الكعبة عن عبد الله
ابن عمرو عن النبي صلى الله عليه وسلم بنحوه

كتاب أخبار العرب

قيل إن جميع العرب ينتسبون إلى إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام والتحية والإكرام
والصحيح المشهور أن العرب العاربة قبل إسماعيل وقد قدمنا أن العرب العاربة منهم عاد
وثمود وطسم وجديس وأميم وجرهم والعماليق وأمم آخرون لا يعلمهم إلا الله كانوا قبل الخليل
عليه السلام وفي زمانه أيضا فأما العرب المستعربة وهم عرب الحجاز فمن ذرية إسماعيل بن إبراهيم
عليهما السلام وأما عرب اليمن وهم حمير فالمشهور أنهم من قحطان واسمه مهزم قاله ابن
ماكولا وذكروا أنهم كانوا أربعة إخوة قحطان وقاحط ومقحط وفالغ وقحطان بن هود وقيل
هو هود وقيل هود أخوه وقيل من ذريته وقيل إن قحطان من سلالة إسماعيل حكاه ابن
إسحاق وغيره فقال بعضهم هو قحطان بن الهميسع بن تيمن بن نبت بن إسماعيل
وقيل غير ذلك في نسبه إلى إسماعيل والله أعلم وقد ترجم البخاري في صحيحه على ذلك فقال
باب نسبة اليمن إلى إسماعيل عليه السلام حدثنا مسدد حدثنا يحيى عن يزيد بن أبي عبيد حدثنا
سلمة رضي الله عنه قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم على قوم من أسلم يتناضلون
بالسيوف فقال ارموا بني إسماعيل وأنا مع بني فلان لأحد الفريقين فأمسكوا بأيديهم فقال
ما لكم قالوا وكيف نرمي وأنت مع بني فلان فقال ارموا وأنا معكم كلكم انفرد به البخاري
وفي بعض ألفاظه ارموا بني إسماعيل فإن أباكم كان راميا ارموا وأنا مع ابن الأدرع فأمسك
القوم فقال ارموا وأنا معكم كلكم قال البخاري وأسلم بن أفصى بن حارثة بن عمرو بن عامر من
خزاعة يعني وخزاعة فرقة ممن كان تمزق من قبائل سبأ حين أرسل الله عليهم سيل العرم كما
سيأتي بيانه وكانت الأوس والخزرج منهم وقد قال لهم عليه السلام ارموا بني إسماعيل فدل على
أنهم من سلالته وتأوله آخرون على أن المراد بذلك جنس العرب لكنه تأويل بعيد إذ هو خلاف
الظاهر بلا دليل لكن الجمهور على أن العرب القحطانية من عرب اليمن وغيرهم ليسوا من سلالة إسماعيل
وعندهم أن جميع العرب ينقسمون إلى قسمين قحطانية وعدنانية فالقحطانية شعبان سبأ

وحضرموت والعدنانية شعبان ايضا ربيعة ومضر ابنا نزار بن معد بن عدنان والشعب الخامس وهم قضاعة مختلف فيهم فقيل انهم عدنانيون قال ابن عبد البر وعليه الاكثرون ويروى هذا عن ابن عباس وابن عمر وجبير بن مطعم وهو اختيار الزبير بن بكار وعمه مصعب الزبيري وابن هشام وقد ورد في حديث قضاعة بن معد ولكنه لا يصح قاله ابن عبد البر وغيره ويقال انهم لم يزالوا في جاهليتهم وصدر من الاسلام ينتسبون الى عدنان فلما كان في زمن خالد بن معاوية وكانوا اخواله انتسبوا الى قحطان فقال في ذلك اعشى بن ثعلبة في قصيدة له

ابلغ قضاعة في القرطاس انهم * لولا خلايف آل الله ما عتقوا
قالت قضاعة انا من ذوي يمن * والله يعلم ما بروا ولا صدقوا
قد ادعوا والدا ما نال امهم * قد يعلمون ولكن ذلك الفرق

وقد ذكر ابو عمرو السهيلي ايضا من شعر العرب ما فيه ابداع في تغيير قضاعة في انتسابهم الى اليمن والله اعلم والقول الثاني انهم من قحطان وهو قول ابن اسحاق والكلبي وطائفة من اهل النسب قال ابن اسحاق وهو قضاعة بن مالك بن حمير بن سبا بن يشجب بن يعرب بن قحطان وقد قال بعض شعرائهم وهو عمرو بن مرة صحابي له حديثان يا ايها الداعي

يا ايها الداعي ادعنا وابشر * وكن قضاعيا ولا تنزر
نحن بنو الشيخ الهجان الازهر * قضاعة بن مالك بن حمير
النسب المعروف غير المنكر *

قال بعض اهل النسب هو قضاعة بن مالك بن عمرو بن مرة بن زيد بن حمير وقال ابن لهيعة عن معروف بن سويد عن ابي عشانة محمد بن موسى عن عقبة بن عامر قال قلت يا رسول الله اما نحن من معد قال لا قلت فممن نحن قال انتم قضاعة بن مالك بن حمير قال ابو عمر بن عبد البر لا يختلفون ان جهينة بن زيد بن اسود بن اسلم بن عمران بن الحاف بن قضاعة قبيلة عقبة بن عامر الجهني فعلى هذا فقضاعة في اليمن في حمير بن سبا وقد جمع بعضهم بين هذين القولين بما ذكره الزبير بن بكار وغيره من ان قضاعة امراة من جرهم تزوجها مالك بن حمير فولدت له قضاعة ثم خلف عليها معد بن عدنان وابنها صغير وزعم بعضهم انه كان حملا فنسب الى زوج امه كما كانت عادة كثير منهم ينسبون الرجل الى زوج امه والله اعلم وقال محمد بن سلام البصري النسابة العرب ثلاثة جراثيم العدنانية والقحطانية وقضاعة قيل له فايهما اكثر العدنانية او القحطانية فقال ما شاءت قضاعة ان تيامنت فالقحطانية اكثر وان تعددت فالعدنانية اكثر وهذا يدل على انهم يتلومون في نسبهم فان صح حديث ابن لهيعة المتقدم فهو دليل على انهم من القحطانية والله اعلم وقد قال الله تعالى يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبايل لتعارفوا ان اكرمكم عند الله اتقاكم قال علماء النسب يقال شعوب ثم قبايل ثم عماير ثم بطون ثم افخاذ ثم فصايل ثم عشاير والعشيرة اقرب الناس الى الرجل وليس بعدها شيء ولنبدا اولا بذكر القحطانية ثم نذكر بعدهم عرب الحجاز وهم العدنانية وما كان من امر الجاهلية ليكون ذلك متصلا بسيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم ان شاء الله وبه الثقة وقد قال البخاري باب ذكر قحطان ثنا عبد العزيز بن عبد الله ثنا سليمان بن بلال عن ثور بن زيد عن ابي الغيث عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا تقوم الساعة

حتى يخرج رجل من قحطان يسوق الناس بعصاه وكذا رواه مسلم عن قتيبة عن الدراوردي عن ثور بن زيد به قال السهيلي وقحطان اول من قيل له ابيت اللعن واول من قيل له انعم صباحا وقال الامام احمد ثنا ابو المغيرة ثنا حريز حدثني راشد بن سعد المقرائي عن ابي حي عن ذي مخمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كان هذا الامر في حمير فنزعه الله منهم فجعله في قريش وس ي ع و د ا ل ي ه م قال عبد الله كان هذا في كتاب ابي وحيث حدثنا به تكلم به على الاستواء يعني وسيعودون اليهم

قصة سبا قال الله تعالى

لقد كان لسبا في مسكنهم اية جنتان عن يمين وشمال كلوا من رزق ربكم واشكروا له بلدة طيبة ورب غفور فاعرضوا فارسلنا عليهم سيل العرم وبدلناهم بجنتيهم جنتين ذواتي اكل خمط واثل وشيء من سدر قليل ذلك جزيناهم بما كفروا وهل نجازي الا الكفور وجعلنا بينهم وبين القرى التي باركنا فيها قرى ظاهرة وقدرنا فيها السير سيروا فيها ليالي واياما امنين فقالوا ربنا باعد بين اسفارنا وظلموا انفسهم فجعلناهم احاديث ومزقناهم كل ممزق ان في ذلك لايات لكل صبار شكور قال علماء النسب منهم محمد بن اسحاق اسم سبا عبد شمس بن يشجب بن يعرب بن قحطان قالوا وكان اول من سبا في العرب فسمي سبا لذلك وكان يقال له الرايش لانه كان يعطي الناس الاموال من متاعه قال السهيلي ويقال انه اول من تتوج وذكر بعضهم انه كان مسلما وكان له شعر بشر فيه بوجود رسول الله فمن ذلك قوله

سيملك بعدنا ملكا عظيما * نبي لا يرخص في الحرام
يعني سليمان بن داود
ويملك بعده منهم ملوك * يدينون العباد بغير ذام
ويملك بعدهم منا ملوك * يصير الملك فينا باقتسام
ويملك بعد قحطان نبي * تقي جبينه خير الانام
يسمى احمدا يا ليت اني * اعمر بعد مبعثه بعام
فاعضده واحبوه بنصري * بكل مدجج وبكل رام
متى يظهر فكونوا ناصريه * ومن يلقاه يبلغه سلامي

حكاه ابن دحية في كتابه التنوير في مولد البشير النذير وقال الامام احمد حدثنا ابو عبد الرحمن ثنا ابن لهيعة عن عبد الله بن وعلة سمعت عبد الله بن عباس يقول ان رجلا سال رسول الله صلى الله عليه وسلم عن سبا ما هو ارجل ام امراة ام ارض قال بل هو رجل ولد عشرة فسكن اليمن منهم ستة وبالشام منهم اربعة فاما اليمانيون فمذحج وكندة والازد والاشعريون وانمار وحمير واما الشامية فلخم وجذام وعاملة وغسان وقد ذكرنا في التفسير ان فروة بن مسيك الغطيفي هو السائل عن ذلك كما استقصينا طرق هذا الحديث والفاظه هناك ولله الحمد والمقصود ان سبا يجمع هذه القبايل كلها وقد كان فيهم التبابعة بارض اليمن واحدهم تبع وكان لملوكهم تيجان يلبسونها وقت الحكم كما كانت الاكاسرة ملوك الفرس يفعلون ذلك وكانت العرب تسمي كل من ملك اليمن مع الشحر وحضرموت تبعا كما يسمون من ملك الشام مع الجزيرة قيصر ومن ملك الفرس كسرى ومن ملك مصر فرعون ومن ملك الحبشة النجاشي ومن ملك الهند بطليموس وقد كان من جملة ملوك حمير بارض اليمن بلقيس وقد قدمنا قصتها مع سليمان عليه السلام وقد كانوا في غبطة عظيمة وارزاق دارة وثمار وزروع كثيرة وكانوا مع ذلك على الاستقامة والسداد وطريق الرشاد فلما بدلوا نعمة الله كفرا احلوا قومهم دار

البوار قال محمد بن اسحاق عن وهب بن منبه ارسل الله اليهم ثلثة عشر نبيا وزعم السدي انه
ارسل اليهم اثني عشر الف نبي فالله اعلم والمقصود انهم لما عدلوا عن الهدى الى الضلال وسجدوا
للشمس من دون الله وكان ذلك في زمان بلقيس وقبلها ايضا واستمر ذلك فيهم حتى ارسل الله
عليهم سيل العرم كما قال تعالى فاعرضوا فارسلنا عليهم سيل العرم وبدلناهم بجنتيهم جنتين
ذواتي اكل خمط واثل وشيء من سدر قليل ذلك جزيناهم بما كفروا وهل نجازي الا الكفور ذكر غير واحد
من علماء السلف والخلف من المفسرين وغيرهم ان سد مارب كان صنعته ان المياه تجري
من بين جبلين فعمدوا في قديم الزمان فسدوا ما بينهما ببناء محكم جدا حتى ارتفع الماء فحكم
على اعالي الجبلين وغرسوا فيهما البساتين والاشجار المثمرة الانيقة وزرعوا الزروع الكثيرة
ويقال كان اول من بناه سبا بن يعرب وسلط اليه سبعين واديا يفد اليه وجعل له ثلاثين
فرضة يخرج منها الماء ومات ولم يكمل بناؤه فكملته حمير بعده وكان اتساعه فرسخا في فرسخ
وكانوا في غبطة عظيمة وعيش رغيد وايام طيبة حتى ذكر قتادة وغيره ان المراة كانت
تمر بالمكتل على راسها فيمتلئ من الثمار بما يتساقط فيه من نضجه وكثرته وذكروا انه لم يكن في بلادهم
شيء من البراغيث ولا الدواب المؤذية لصحة هوائهم وطيب فنائهم كما قال تعالى لقد كان
لسبا في مساكنهم اية جنتان عن يمين وشمال كلوا من رزق ربكم واشكروا له بلدة طيبة
ورب غفور وكما قال تعالى واذ تاذن ربكم لئن شكرتم لازيدنكم ولئن كفرتم ان عذابي لشديد
فلما عبدوا غير الله وبطروا نعمته وسالوا بعد تقارب ما بين قراهم وطيب ما بينها من
البساتين وامن الطرقات سالوا ان يباعد بين اسفارهم وان يكون سفرهم في مشاق وتعب
وطلبوا ان يبدلوا بالخير الشر كما سال بنو اسرائيل بدل المن والسلوى البقول والقثاء
والفوم والعدس والبصل فسلبوا تلك النعمة العظيمة والحسنة العميمة بتخريب
البلاد والشتات على وجوه العباد كما قال تعالى فاعرضوا فارسلنا عليهم سيل العرم قال
غير واحد ارسل الله على اصل السد الفار وهو الجرذ ويقال الخلد فلما فطنوا لذلك ارصدوا
عندها السنانير فلم تغن شيئا اذ قد حم القدر ولم ينفع الحذر كلا لا وزر فلما تحكم في اصله
الفساد سقط وانهار فسلك الماء القرار فقطعت تلك الجداول والانهار وانقطعت
تلك الثمار وبادت تلك الزروع والاشجار وتبدلوا بعدها بردي الاشجار والاثمار كما قال
العزيز الجبار وبدلناهم بجنتيهم جنتين ذواتي اكل خمط قال ابن عباس ومجاهد وغير واحد
هو الاراك وثمره البرير واثل وهو الطرفاء وقيل يشبهه وهو حطب لا ثمر له وشيء من سدر قليل
وذلك لانه لما كان يثمر النبق كان قليلا مع انه ذو شوك كثير وثمره بالنسبة اليه كما يقال
في المثل لحم جمل غث على راس جبل وعر لا سهل فيرتقى ولا سمين فينتقل ولهذا قال تعالى ذلك
جزيناهم بما كفروا وهل نجازي الا الكفور اي انما نعاقب بهذه العقوبة الشديدة من كفر بنا وكذب
رسلنا وخالف امرنا وانتهك محارمنا وقال تعالى فجعلناهم احاديث ومزقناهم كل ممزق وذلك
انهم لما هلكت اموالهم وخربت بلادهم احتاجوا ان يرتحلوا منها وينتقلوا عنها فتفرقوا في غور
البلاد ونجدها ايدي سبا شذر مذر فنزلت طوائف منهم الحجاز ومنهم خزاعة نزلوا ظاهر
مكة وكان من امرهم ما سنذكره ومنهم المدينة النبوية اليوم فكانوا اول من سكنها ثم نزلت عندهم
ثلاث قبائل من اليهود بنو قينقاع وبنو قريظة وبنو النضير فحالفوا الاوس والخزرج واقاموا
عندهم وكان من امرهم ما سنذكره ونزلت طائفة اخرى منهم الشام وهم الذين تنصروا فيما بعد

وهم غسان

وهم غسان وعاملة وبهراء ولخم وجذام وتنوخ وتغلب وغيرهم وسنذكرهم عند ذكر فتوح الشام
في زمن الشيخين رضي الله عنهما قال محمد بن اسحاق حدثني ابو عبيدة قال قال الاعشى بن قيس
ابن ثعلبة وهو ميمون بن قيس وفي ذاك للمؤتسي اسوة ومارب

عفى عليها العرم

رخام بنته لهم حمير • اذا جاء مواره لم يرم
فاروى الزروع واعنابها • على سعة ماؤهم اذ قسم
فصاروا ايادي ما يقدرون • على شرب طفل فطم

وقد ذكر محمد بن اسحاق في كتاب السيرة ان اول من خرج من اليمن قبل سيل العرم عمرو بن عامر
اللخمي ولخم هو ابن عدي بن الحارث بن مرة بن ادد بن زيد بن مهع بن عمرو بن عريب بن يشجب بن
زيد بن كهلان بن سبا ويقال لخم بن عدي بن عمرو بن سبا قاله ابن هشام قال ابن اسحاق وكان سبب
خروجه من اليمن فيما حدثني ابو زيد الانصاري انه راى جرذا يحفر في سد مارب الذي كان يحبس عنهم
الماء فيصرفونه حيث شاؤوا من ارضهم فعلم انه لا بقاء للسد على ذلك فاعتزم على النقلة عن
اليمن وكاد قومه فامر اصغر ولده اذا اغلظ له ولطمه ان يقوم اليه فيلطمه ففعل ابنه ما امره به
فقال عمرو لا اقيم ببلد لطم وجهي فيه اصغر ولدي وعرض امواله فقال اشراف من اشراف اليمن
اغتنموا غضبة عمرو فاشتروا منه امواله وانتقل في ولده وولد ولده وقالت الاسد لا نتخلف
عن عمرو بن عامر فباعوا اموالهم وخرجوا معه فساروا حتى نزلوا بلاد عك مجتازين فحاربتهم
عك فكانت حربهم سجالا ففي ذلك يقول عباس بن مرداس

وعك بن عدنان الذين تلعبوا • بغسان حتى طردوا كل مطرد

قال فارتحلوا عنهم فتفرقوا في البلاد فنزل آل جفنة بن عمرو بن عامر الشام ونزل الاوس والخزرج
يثرب ونزلت خزاعة مرا ونزلت ازد السراة السراة ونزلت ازد عمان عمان ثم ارسل الله تعالى على السد
السيل فهدمه وفي ذلك انزل الله هذه الايات وقد روي عن السدي قريب من هذا وعن محمد بن
اسحاق في رواية ان عمرو بن عامر كان كاهنا وقال غيره كانت امراته طريفة بنت الخير الحميرية
كاهنة فاخبرت بقرب هلاك بلادهم وكانهم راوا شاهد ذلك في الفار الذي سلط على سدهم
ففعلوا ما فعلوا والله اعلم وقد ذكرت قصته مطولة عن عكرمة فيما رواه ابن ابي حاتم في التفسير

فصل

وليس جميع سبا خرجوا من اليمن لما اصيبوا بسيل العرم بل اقام اكثرهم
بها وذهب اهل مارب الذين كان لهم السد فتفرقوا في البلاد وهو مقتضى الحديث المتقدم عن
ابن عباس ان جميع قبائل سبا لم يخرجوا من اليمن بل انما تشاءم منهم اربعة وبقي باليمن ستة وهم
مذحج وكندة وانمار والاشعريون وانمار هو ابو خثعم وبجيلة وحمير فهؤلاء ست قبائل من سبا
اقاموا باليمن واستمر فيهم الملك والتبابعة حتى سلبهم ذلك ملك الحبشة بالجيش الذي
بعثه صحبة اميريه ابرهة وارياط نحوا من سبعين سنة ثم استرجعه سيف بن ذي يزن الحميري
وكان ذلك قبل مولد رسول الله صلى الله عليه وسلم بقليل كما سنذكره مفصلا قريبا ان
شاء الله وبه الثقة وعليه التكلان ثم بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم الى اهل اليمن
عليا وخالد بن الوليد ثم ابا موسى الاشعري ومعاذ بن جبل وكانوا يدعون الى الله ويبينون
لهم الحجج على تغلب على اليمن الاسود العنسي واخرج نواب رسول الله صلى الله عليه وسلم
منها فلما قتل الاسود استقرت اليد الاسلامية عليها في ايام ابي بكر الصديق رضي الله عنه

كما سنبين ذلك بعد البعثة ان شاء الله **قصة ربيعة بن نصر بن ابي**
حارثة بن عمرو بن عامر المتقدم ذكره اللخمي كذا ذكره ابن اسحاق وقال السهيلي ونساب
اليمن تقول نصر بن ربيعة وهو ربيعة بن نصر بن الحرث بن ربيعة بن نصر وقال الزبير بن
بكار ربيعة بن نصر بن مالك بن شعوذ بن مالك بن عجم بن عمرو بن نمارة بن لخم ولخم اخو جذامة
وسمي لخما لانه لطم اخاه على خده اي لطمه فعضه الآخر فجذمه وكان ربيعة احد ملوك حمير
التبابعة وخبره مع شق وسطيح الكاهنين وانذارهما بوجود رسول الله صلى الله عليه وسلم
اما سطيح فاسمه ربيع بن ربيعة بن مسعود بن مازن بن ذيب بن عدي بن مازن بن غسان
واما شق فهو ابن اصعب بن يشكر بن رهم بن افرك بن قسر بن عبقر بن انمار بن نزار ومنهم من يقول
انمار بن اراش بن لحيان بن عمرو بن الغوث بن نبت بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبا ويقال
ان سطيحا كان لا اعظم له وانما كان مثل السطيحة ووجهه في صدره وكان اذا غضب انتفخ
وجلس وكان شق نصف انسان ويقال ان خالد بن عبد الله القسري كان من سلالته وذكر
السهيلي انهما ولدا في يوم واحد وكان ذلك يوم ماتت طريفة بنت الخير الحميرية ويقال
انها تفلت في فم كل منهما فورثا الكهانة عنها وهي امرأة عمرو بن عامر المتقدم ذكره والله اعلم
قال محمد بن اسحاق وكان ربيعة بن نصر ملك اليمن بين اضعاف ملوك التبابعة فرأى
رؤيا هالته وفظع بها فلم يدع كاهنا ولا ساحرا ولا عائفا ولا منجما من اهل مملكته الا
جمعه اليه فقال لهم اني قد رأيت رؤيا هالتني وفظعت بها فاخبروني بها وبتأويلها فقالوا
اقصصها علينا نخبرك بتأويلها فقال اني ان اخبرتكم بها لم اطمئن الى خبركم بتأويلها لانه
لا يعرف تأويلها الا من عرفها قبل ان اخبره بها فقال له رجل منهم فان كان الملك يريد هذا
فليبعث الى سطيح وشق فانه ليس احد اعلم منهما فهما يخبرانه بما سأل عنه فبعث اليهما فقدم اليه سطيح
قبل شق فقال له اني قد رأيت رؤيا هالتني وفظعت بها فاخبرني بها فانك ان اصبتها اصبت
تأويلها فقال افعل رأيت حممة خرجت من ظلمة فوقعت بارض تهمة فاكلت منها كل ذات جمجمة
فقال له الملك ما اخطأت منها شيئا يا سطيح فما عندك في تأويلها قال احلف بما بين الحرتين
من حنش لتهبطن ارضكم الحبش فليملكن ما بين ابين الى جرش فقال له الملك يا سطيح ان هذا
لنا لغائظ موجع فمتى هو كائن افي زماني هذا ام بعده فقال لا بل بعده بحين اكثر من ستين او سبعين
يمضين من السنين قال افيدوم ذلك من سلطانهم ام ينقطع قال لا بل ينقطع لبضع وسبعين
من السنين ثم يقتلون ويخرجون منها هاربين قال ومن يلي ذلك من قتلهم واخراجهم قال
يليهم ارم ذي يزن يخرج عليهم من عدن فلا يترك منهم احدا باليمن قال افيدوم ذلك من سلطانه
ام ينقطع قال لا بل ينقطع قال ومن يقطعه قال نبي زكي يأتيه الوحي من قبل العلي قال
وممن هذا النبي قال رجل من ولد غالب بن فهر بن مالك بن النضر يكون الملك في قومه الى اخر
الدهر قال وهل للدهر من اخر قال نعم يوم يجمع فيه الاولون والاخرون يسعد فيه المحسنون ويشقى
فيه المسيئون قال احق ما تخبرني قال نعم والشفق والغسق والفلق اذا اتسق ان ما انبأتك به
لحق قال ثم قدم عليه شق فقال له كقوله لسطيح وكتمه ما قال سطيح لينظر ايتفقان
ام يختلفان قال نعم رأيت حممة خرجت من ظلمة فوقعت بين روضة واكمة فاكلت منها كل
ذات نسمة فلما قال له ذلك عرف انهما قد اتفقا وان قولهما واحد الا ان سطيحا قال وقعت
بارض تهمة فاكلت منها كل ذات جمجمة وقال شق وقعت بين روضة واكمة فاكلت منها

كل ذات

كل ذات نسمة فقال له الملك ما اخطأت يا شق منها شيئا فما عندك في تأويلها فقال
احلف بما بين الحرتين من انسان لينزلن ارضكم السودان فليغلبن على كل طفلة البنان
وليملكن ما بين ابين الى نجران فقال له الملك وابيك يا شق ان هذا لنا لغائظ موجع فمتى
هو كائن افي زماني ام بعده قال لا بل بعده بزمان ثم يستنقذكم منهم عظيم ذو شان ويذيقهم
اشد الهوان قال ومن هذا العظيم الشان قال غلام ليس بدني ولا مدن يخرج عليهم من بيت
ذي يزن قال افيدوم سلطانه ام ينقطع قال لا بل ينقطع برسول مرسل يأتي بالحق
والعدل بين اهل الدين والفضل يكون الملك في قومه الى يوم الفصل قال وما يوم الفصل قال
يوم يجزى فيه الولاة يدعى فيه من السماء بدعوات يسمع منها الاحياء والاموات ويجمع فيه الناس
للميقات يكون فيه لمن اتقى الفوز والخيرات قال احق ما تقول قال اي ورب السماء والارض
وما بينهما من رفع وخفض ان ما انبأتك لحق ما فيه امض قال ابن اسحاق فوقع في نفس ربيعة
بن نصر ما قالا فجهز بنيه واهل بيته الى العراق وكتب لهم الى ملك من ملوك فارس يقال
له سابور بن خرزاد فاسكنهم الحيرة قال ابن اسحاق فمن بقية ربيعة بن نصر النعمان بن المنذر
بن النعمان بن المنذر بن عمرو بن عدي بن ربيعة بن نصر يعني الذي كان نائبا على الحيرة لملوك
الاكاسرة وكانت العرب تفد اليه وتمتدحه وهذا الذي قاله محمد بن اسحاق من ان النعمان بن
المنذر من سلالة ربيعة بن نصر قاله اكثر الناس وقد روى ابن اسحاق ان امير المؤمنين عمر بن
الخطاب لما جيء بسيف النعمان بن المنذر سأل جبير بن مطعم عنه ممن كان فقال كان من
اشلاء قنص بن معد بن عدنان قال ابن اسحاق فالله اعلم اي ذلك كان

قصة تبع ابي كرب تبان اسعد ملك اليمن مع اهل المدينة وكيف اراد غزو البيت الحرام ثم شرفه وعظمه وكساه الحلل وكان اول من كساها

قال ابن اسحاق فلما هلك ربيعة بن نصر رجع ملك اليمن كله الى حسان بن تبان اسعد ابي كرب
وتبان اسعد تبع الآخر ابن كلكيكرب بن زيد وزيد تبع الاول بن عمرو ذي الاذعار بن ابرهة ذي
المنار بن الرائش بن عدي بن صيفي بن سبا الاصغر بن كعب بن كهف الظلم بن زيد بن سهل
بن عمرو بن قيس بن معاوية بن جشم بن عبد شمس بن وائل بن الغوث بن قطن بن عريب بن زهير
بن ايمن بن الهميسع بن العرنجج والعرنجج هو حمير بن سبا الاكبر بن يعرب بن يشجب بن قحطان
قال عبد الملك بن هشام سبا بن يشجب بن يعرب بن قحطان قال ابن اسحاق وتبان اسعد
ابو كرب هو الذي قدم المدينة وساق الحبرين من اليهود الى اليمن وعمر البيت الحرام وكساه وكان
ملكه قبل ربيعة بن نصر وكان قد جعل طريقه حين رجع من غزوة بلاد المشرق على المدينة
وكان قد مر بها في بدأته فلم يهج اهلها وخلف بين اظهرهم ابنا له فقتل غيلة فقدمها
وهو مجمع لاخرابها واستئصال اهلها وقطع نخلها فجمع له هذا الحي من الانصار ورئيسهم
عمرو بن طلحة اخو بني النجار ثم احد بني عمرو بن مبذول واسم مبذول عامر بن مالك بن النجار والنجار
هو تيم الله بن ثعلبة بن عمرو بن الخزرج بن حارثة بن ثعلبة بن عمرو بن عامر وقال
ابن هشام عمرو بن طلة هو عمرو بن معاوية بن عمرو بن عامر بن مالك بن النجار وطلة امه
وهي بنت عامر بن زريق الخزرجية قال ابن اسحاق وقد كان رجل من بني عدي بن
النجار يقال له احمر عدا على رجل من اصحاب تبع وجده يجد عذقا له فضربه بمنجله فقتله

وقال لها انما الغزل لمن بره فزاد ذلك تبعا حنقا عليهم فاقتتلوا فزعمت الانصار
انهم كانوا يقاتلونه بالنهار ويقرونه بالليل فيعجبه ذلك منهم ويقول والله ان قومنا
لكرام وحكى ابن اسحاق عن الانصار ان تبعا انما كان حنقه على اليهود انهم منعوهم منه
قال السهيلي وفيما ذكر انه انما جاء لنصر الانصار اسلافه على اليهود الذين نزلوا عندهم
في المدينة على شروط فلم يفوا بها واستطالوا عليهم والله اعلم قال ابن اسحاق
فبينا تبع على ذلك من حربهم اذ جاءه حبران من احبار اليهود من بني قريظة عالمان
راسخان حين سمعا بما يريد من اهلاك المدينة واهلها فقالا له ايها الملك لا تفعل
فانك ان ابيت الا ما تريد حيل بينك وبينها ولم نامن عليك عاجل العقوبة فقال
لهما ولم ذلك فقالا هي مهاجر نبي يخرج من هذا الحرم من قريش في اخر الزمان تكون
داره وقراره فتناهى عن ذلك ورأى ان لهما علما واعجبه ما سمع منهما فانصرف عن المدينة واتبعهما
على دينهما قال ابن اسحاق وكان تبع وقومه اصحاب اوثان يعبدونها فتوجه الى مكة وهي
طريقه الى اليمن حتى اذا كان بين عسفان وامج اتاه نفر من هذيل بن مدركة بن الياس بن
مضر بن نزار بن معد بن عدنان فقالوا له ايها الملك الا ندلك على بيت مال داثر
اغفلته الملوك قبلك فيه اللؤلؤ والزبرجد والياقوت والذهب والفضة
قال بلى قالوا بيت بمكة يعبده اهله ويصلون عنده وانما اراد الهذليون هلاكه
بذلك لما عرفوا من هلاك من اراده من الملوك وبغى عنده فلما اجمع لما قالوا ارسل
الى الحبرين فسألهما عن ذلك فقالا له ما اراد القوم الا هلاكك وهلاك جندك ما نعلم
بيتا لله عز وجل اتخذه في الارض لنفسه غيره ولئن فعلت ما دعوك اليه لتهلكن وليهلكن
من معك جميعا قال فماذا تامرانني ان اصنع اذا انا قدمت عليه قالا تصنع عنده
ما يصنع اهله تطوف به وتعظمه وتكرمه وتحلق راسك عنده وتذلل له حتى تخرج
من عنده قال فما يمنعكما انتما من ذلك قالا اما والله انه لبيت ابينا ابراهيم عليه السلام
وانه لكما اخبرناك ولكن اهله حالوا بيننا وبينه بالاوثان التي نصبوها حوله وبالدماء
التي يهريقون عنده وهم نجس اهل شرك او كما قالا فعرف نصحهما وصدق حديثهما
فقرب النفر من هذيل فقطع ايديهم وارجلهم ثم مضى حتى قدم مكة فطاف بالبيت
ونحر عنده وحلق راسه واقام بمكة ستة ايام فيما يذكرون ينحر بها للناس ويطعم اهلها
ويسقيهم العسل واري في المنام ان يكسو البيت فكساه الخصف ثم اري في المنام ان
يكسوه احسن من ذلك فكساه المعافر ثم اري ان يكسوه احسن من ذلك فكساه
الملاء والوصائل فكان تبع فيما يزعمون اول من كسا البيت واوصى به ولاته من جرهم وامرهم
بتطهيره وان لا يقربوه دما ولا ميتة ولا مئلاة وهي المحايض وجعل له بابا ومفتاحا
ففي ذلك قالت سبيعة بنت الاحب تذكر ابنها خالد بن عبد مناف بن كعب بن سعد
بن تيم بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب وتنهاه عن البغي بمكة وتذكر له ما كان من امر تبع
فيها • ابني لا تظلم بمكة • لا الصغير ولا الكبير • واحفظ محارمها بني • ولا يغرنك الغرور •
• ابني من يظلم بمكة • يلق اطراف الشرور • ابني يضرب وجهه • ويلح بخديه السعير •
• ابني قد جربتها • فوجدت ظالمها يبور • الله امنها وما بنيت • بعرصتها قصور •
• والله امن طيرها • والعصم تامن في ثبير • ولقد غزاها تبع • فكسا بنيتها الحبير •

واذل ربي ملكه • فيها واوفى بالنذور • يمشي اليها حافيا • بفنائها الفا بعير •
ويظل يطعم اهلها • لحم المهاري والجزور • يسقيهم العسل المصفى • والرحيض من الشعير •
والفيل اهلك جيشه • يرمون فيها بالصخور • والملك في اقصى البلاد • وفي الاعاجم والخزير •
فاسمع اذا حدثت وافهم • كيف عاقبة الامور •

قال ابن اسحاق ثم خرج تبع متوجها الى اليمن بمن معه من جنوده وبالحبرين حتى اذا دخل
اليمن دعا قومه الى الدخول فيما دخل فيه فابوا عليه حتى حاكموه الى النار التي كانت
باليمن قال ابن اسحاق حدثني ابو مالك بن ثعلبة بن ابي مالك القرظي سمعت ابراهيم
بن محمد بن طلحة بن عبيد الله يحدث ان تبعا لما دنا من اليمن ليدخلها حالت حمير
بينه وبين ذلك وقالوا لا تدخلها علينا وقد فارقت ديننا فدعاهم الى دينه وقال
انه خير من دينكم قالوا فحاكمنا الى النار قال نعم قال وكانت باليمن فيما يزعم اهل اليمن
نار تحكم بينهم فيما يختلفون فيه تاكل الظالم ولا تضر المظلوم فخرج قومه باوثانهم
وما يتقربون به في دينهم وخرج الحبران بمصاحفهما في اعناقهما متقلديها حتى قعدوا
للنار عند مخرجها الذي تخرج منه فخرجت النار اليهم فلما اقبلت نحوهم حادوا عنها وهابوها
فزجرهم من حضرهم من الناس وامروهم بالصبر لها فصبروا حتى غشيتهم فاكلت الاوثان
وما قربوا معها ومن حمل ذلك من رجال حمير وخرج الحبران بمصاحفهما في اعناقهما تعرق
جباههما لم تضرهما فاصفقت عند ذلك حمير على دينه فمن هنالك وعن ذلك كان اصل
اليهودية باليمن قال ابن اسحاق وقد حدثني محدث ان الحبرين ومن خرج من حمير انما
اتبعوا النار ليردوها وقالوا من ردها فهو اولى بالحق فدنا منها رجال حمير باوثانهم ليردوها
فدنت منهم لتاكلهم فحادوا عنها ولم يستطيعوا ردها ودنا منها الحبران بعد ذلك وجعلا
يتلوان التوراة وتنكص حتى رداها الى مخرجها الذي خرجت منه فاصفقت عند ذلك
حمير على دينهما والله اعلم اي ذلك كان قال ابن اسحاق وكان رئام بيتا لهم يعظمونه وينحرون
عنده ويكلمون فيه اذ كانوا على شركهم فقال الحبران لتبع انما هو شيطان يفتنهم فخل بيننا
وبينه قال فشانكما به فاستخرجا منه فيما يزعم اهل اليمن كلبا اسود فذبحاه ثم هدما ذلك
البيت فبقاياه اليوم فيما ذكر لي بها اثار الدماء التي كانت تهراق عليه وقد ذكرنا في التنبيه
الحديث الذي ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم لا تسبوا تبعا فانه كان قد اسلم قال
السهيلي وروى معمر عن همام عن ابي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال
لا تسبوا اسعد الحميري فانه اول من كسا الكعبة قال السهيلي وقد قال تبع حين اخبره
الحبران عن رسول الله صلى الله عليه وسلم شعرا

• شهدت على احمد انه رسول • من الله باري النسم •
• فلو مد عمري الى عمره • لكنت وزيرا له وابن عم •
• وجاهدت بالسيف اعداءه • وفرجت عن صدره كل غم •

قال ولم يزل هذا الشعر تتوارثه الانصار ويحفظونه بينهم وكان عند ابي ايوب الانصاري
رضي الله عنه وارضاه قال السهيلي وروى ابن ابي الدنيا في كتاب القبور ان قبرا حفر
بصنعاء فوجد فيه لوح من فضة مكتوب فيه بالذهب هذا قبر لميس وحبي ابنتي تبع
ماتتا وهما يشهدان ان لا اله الا الله وعلى ذلك مات الصالحون قبلهما ثم صار الملك

فيما بعد الى حسان بن تبان اسعد وهو اخو اليمامة الزرقا التي صلبت على باب مدينة جو فسميت من يوميذ اليمامة قال ابن اسحاق فلما ملك ابنه حسان بن ابي كرب تبان اسعد سار باهل اليمن يريد ان يطا ارض العرب وارض الاعاجم حتى اذا كان ببعض ارض العراق كرهت حمير وقبايل اليمن السير معه وارادوا الرجعة الى بلادهم واهليهم فاتفقوا مع اخيه عمرو على ان يقتله ويملكوه عليهم واصفقوا الا على ذلك الا ذا رعين فانه نهى عمرا عن ذلك فلم يقبل منه فكتب ذو رعين رقعة فيها هذان البيتان

الا من يشتري سهرا بنوم • سعيد من يبيت قرير عين
فاما حمير غدرت وخانت • فمعذرة الاله لذي رعين

ثم استودعها عمرا فلما قتل عمرو اخاه حسان ورجع الى اليمن منع منه النوم وسلط عليه السهر فسال الاطبا والحزاة من الكهان والعرافين عما به فقيل له انه والله ما قتل رجل اخاه قط او ذا رحمه بغيا الا ذهب نومه وسلط عليه فعند ذلك جعل يقتل من امره بقتل اخيه فلما خلص الى ذي رعين قال له ان لي عندك براءة قال وما هي قال الكتاب الذي دفعته اليك فاخرجه فاذا فيه البيتان فتركه وراى انه قد نصحه وهلك عمرو ومرج امر حمير عند ذلك وتفرقوا

وثوب لخنيعة ذي شناتر على ملك اليمن

وقد ملكها سبعا وعشرين سنة قال ابن اسحاق فوثب عليهم رجل من حمير لم يكن من بيوت الملك يقال له لخنيعة ينوف ذو شناتر فقتل خيارهم وعبث ببيوتات اهل المملكة منهم وكان مع ذلك امرا فاسقا يعمل عمل قوم لوط وكان يرسل الى الغلام من ابناء الملوك فيقع عليه في مشربة له قد صنعها لذلك لئلا يملك بعد ذلك ثم يطلع من مشربته تلك الى حرسه ومن حضر من جنده قد اخذ سواكا فجعله في فيه اي ليعلمهم انه قد فرغ منه حتى بعث الى زرعة ذي نواس بن تبان اسعد اخي حسان وكان صبيا صغيرا حين قتل اخوه حسان ثم شب غلاما جميلا وسيما ذا هيبة وعقل فلما اتاه رسوله عرف ما يريد منه فاخذ سكينا حديدا لطيفا فخباها بين قدميه ونعله ثم اتاه فلما خلا معه وثب اليه فواثبه ذو نواس فوجاه حتى قتله ثم حز راسه فوضعه في الكوة التي كان يشرف منها ووضع مسواكه في فيه ثم خرج على الناس فقالوا له ذا نواس ارطب ام يباس فقال سل نخماس استرطبان ذو نواس استرطبان لا باس فنظروا الى الكوة فاذا راس لخنيعة مقطوع فخرجوا في اثر ذي نواس حتى ادركوه فقالوا ما ينبغي ان يملكنا غيرك اذ ارحتنا من هذا الخبيث فملكوه عليهم واجتمعت عليه حمير وقبايل اليمن وكان اخر ملوك حمير ويسمى يوسف فاقام في ملكه زمانا وبنجران بقايا من اهل دين عيسى بن مريم عليه السلام على الانجيل فيهم فضل واستقامة في اهل دينهم لهم راس يقال له عبد الله بن الثامر ثم ذكر ابن اسحاق سبب دخول اهل نجران في دين النصارى وان ذلك كان على يدي رجل يقال له فيميون كان من عباد النصارى باطراف الشام وكان مجاب الدعوة وصحبه رجل يقال له صالح فكانا يتعبدان يوم الاحد ويعمل فيميون بقية الجمعة في البنا وكان يدعو للمرضى والزمنى واهل العاهات فيشفون ثم استاسره وصاحبه بعض الاعراب فباعوهما بنجران وكان الذي اشترى فيميون يراه اذا قام في مصلاه بالبيت الذي هو فيه في الليل يستسرج له البيت نورا فاعجبه ذلك من امره

وكان

وكان اهل نجران يعبدون نخلة طويلة يعلقون عليها حلي نسايهم ويعكفون عندها فقال فيميون لسيده ارايت ان دعوت الله على هذه الشجرة فهلكت اتعلمون ان الذي انتم عليه باطل قال نعم فجمع له اهل نجران وقام فيميون الى مصلاه فدعا الله عليها فارسل الله عليها قاصفا فجعفها من اصلها ورماها الى الارض فاتبع اهل نجران على دين النصرانية وحملهم على شريعة الانجيل حتى حدثت فيهم الاحداث التي دخلت على اهل دينهم بكل ارض فمن هنالك كانت النصرانية بنجران من ارض العرب ثم ذكر ابن اسحاق قصة عبد الله بن الثامر حين تنصر على يدي فيميون وكيف قتله واصحابه ذو نواس وخد لهم الاخدود قال ابن هشام وهو الحفر المستطيل في الارض مثل الخندق واجج فيها النار وحرقهم بها وقتل اخرين حتى قتل قريبا من عشرين الفا كما قدمنا ذلك مبسوطا في اخبار بني اسرايل وكما هو مستقصى في تفسير سورة والسما ذات البروج من كتابنا التفسير ولله الحمد

ذكر خروج الملك باليمن من حمير وصيرورته الى الحبشة

السودان كما اخبر بذلك شق وسطيح الكاهنان وذلك انه لم ينج من اهل نجران الا رجل واحد يقال له دوس ذو ثعلبان على فرس له فسلك الرمل فاعجزهم فمضى على وجهه ذلك حتى اتى قيصر صاحب الروم فاستنصره على ذي نواس وجنوده واخبره بما بلغ منهم وذلك لانه نصراني على دينهم فقال له بعدت بلادك منا ولكن ساكتب لك الى ملك الحبشة فانه على هذا الدين وهو اقرب الى بلادك فكتب اليه يامره بنصره والطلب بثاره فقدم دوس على النجاشي بكتاب قيصر فبعث معه سبعين الفا من الحبشة وامر عليهم رجلا يقال له ارياط ومعه في جنده ابرهة الاشرم فركب في جنده ارياط البحر حتى نزل بساحل اليمن ومعه دوس وسار اليه ذو نواس في حمير ومن اطاعه من قبايل اليمن فلما التقوا انهزم ذو نواس واصحابه فلما راى ذو نواس ما نزل به وبقومه وجه فرسه في البحر ثم ضربه فدخل فيه فخاض به ضحضاح البحر حتى افضى به الى غمرة فادخله فيها فكان اخر العهد به ودخل ارياط اليمن فملكها وقد ذكر ابن اسحاق هاهنا اشعارا للعرب فيما وقع من هذه الكاينة الغريبة وفيها فصاحة وحلاوة وبلاغة وطلاوة ولكن تركنا ايرادها خشية الاطالة وخوف الملالة وبالله المستعان

ذكر خروج ابرهة الاشرم على ارياط واختلافهما واقتتالهما وصيرورة ملك اليمن الى ابرهة بعد قتله ارياط قال

ابن اسحاق فاقام ارياط بارض اليمن سنتين في سلطانه ذلك ثم نازعه ابرهة حتى تفرقت الحبشة بينهما فانحاز الى كل منهما طايفة ثم سار كل واحد منهما الى الاخر فلما تقارب الناس ارسل ابرهة الى ارياط انك لا تصنع بان تلقي الحبشة بعضها ببعض حتى تفنيها شيا فابرز لي وابرز لك فايما اصاب صاحبه انصرف اليه جنده فارسل اليه ارياط انصفت فخرج اليه ابرهة وكان رجلا قصيرا لحيما وكان ذا دين في النصرانية وخرج اليه ارياط وكان رجلا جميلا عظيما طويلا وفي يده حربة له وخلف ابرهة غلام يقال له عتودة يمنع ظهره فرفع ارياط الحربة فضرب ابرهة يريد يافوخه فوقعت الحربة على جبهة ابرهة فشرمت حاجبه وعينه وانفه وشفته فبذلك سمي ابرهة الاشرم وحمل عتودة على ارياط من خلف ابرهة

فقتله وانصرف جند ارياط على ابرهة فاجتمعت عليه الحبشة باليمن وودى ابرهة ارياط
فلما بلغ ذلك النجاشي ملك الحبشة الذي بعثهم الى اليمن غضب غضبا شديدا على ابرهة
وقال عدا على اميري فقتله بغير امري ثم حلف لا يدع ابرهة حتى يطا بلاده ويجز ناصيته
فحلق ابرهة راسه وملا جرابا من تراب اليمن ثم بعث به الى النجاشي ثم كتب اليه ايها الملك
انما كان ارياط عبدك وانا عبدك اختلفنا في امرك وكل طاعته لك الا اني كنت اقوى على
امر الحبشة واضبط لها واسوس منه وقد حلقت راسي كله حين بلغني قسم الملك وبعثت
بجراب من تراب اليمن من ارضي ليضعه تحت قدميه ليبر قسمه في فلما انتهى ذلك الى النجاشي
رضي وكتب اليه ان اثبت بارض اليمن حتى ياتيك امري فاقام ابرهة باليمن

ذكر سبب قصد ابرهة بالفيل مكة ليخرب الكعبة فاهلكه الله عاجلا غير اجل كما قال

الله تعالى الم تر كيف فعل ربك باصحاب الفيل الم يجعل كيدهم في تضليل وارسل
عليهم طيرا ابابيل ترميهم بحجارة من سجيل فجعلهم كعصف ماكول قيل اول من ذلل
الفيلة افريدون بن اثفيان الذي قتل الضحاك قاله الطبري وهو اول من اتخذ
للخيل السرج واما اول من سخر الخيل وركبها فطهمورث وهو الملك الثالث من ملوك
الدنيا ويقال ان اول من ركبها اسماعيل بن ابراهيم ويحتمل انه اول من ركبها من العرب والله
تعالى اعلم ويقال ان الفيل مع عظمة خلقه يفرق من الهرة وقد احتال بعض امراء الحروب
في قتال الهنود باحضار سنانير الى حومة الوغى فنفرت الفيلة قال ابن اسحاق ثم ان ابرهة
بنى القليس بصنعاء وبنى كنيسة لم ير مثلها في زمانها بشيء من الارض وكتب الى النجاشي
اني قد بنيت لك كنيسة لم يبن مثلها لملك كان قبلك ولست بمنته حتى اصرف
اليها حج العرب فذكر السهيلي ان ابرهة استذل اهل اليمن في بناء هذه الكنيسة الخسيسة
وسخرهم فيها انواعا من السخر وكان من تاخر عن العمل حتى تطلع الشمس يقطع يده لا محالة
وجعل ينقل اليها من قصر بلقيس رخاما واحجارا وامتعة عظيمة وركب فيها صلبانا
من ذهب وفضة وجعل فيها منابر من عاج وابنوس وجعل ارتفاعها عظيما جدا واتساعها
باهرا فلما هلك ابرهة بعد ذلك وتفرقت الحبشة كان من يتعرض لاخذ شيء من بنائها
وامتعتها اصابته الجن بسوء وذلك لانها كانت مبنية على اسم صنمين كعيب وامراته وكان
طول كل منهما ستون ذراعا فتركها اهل اليمن على حالها فلم تزل كذلك الى زمن السفاح اول
خلفاء بني العباس فبعث اليها جماعة من اهل العزم والحزم والعلم فنقضوها حجرا حجرا ودثرت
الى يومك هذا قال ابن اسحاق فلما تحدثت العرب بكتاب ابرهة الى النجاشي غضب رجل من
النساة من كنانة الذين ينسئون شهر الحرام الى الحل بمكة ايام الموسم كما قررناه عند
قوله تعالى انما النسيء زيادة في الكفر الاية قال ابن اسحاق فخرج الكناني حتى اتى القليس
فقعد فيها اي احدث حيث لا يراه احد ثم خرج فلحق بارضه فاخبر ابرهة بذلك فقال
من صنع هذا فقيل له صنعه رجل من اهل هذا البيت الذي تحجه العرب بمكة لما سمع بقولك
انك تريد ان تصرف حج العرب الى بيتك هذا فغضب فجاء فقعد فيها اي انه ليس لذلك باهل
فغضب ابرهة عند ذلك وحلف ليسيرن الى البيت حتى يهدمه ثم امر الحبشة فتهيات وتجهزت

ثم سار

ثم سار وخرج معه بالفيل وسمعت بذلك العرب فاعظموه وفظعوا به وراوا جهاده حقا
عليهم حين سمعوا بانه يريد هدم الكعبة بيت الله الحرام فخرج اليه رجل وكان من اشراف
اهل اليمن وملوكهم يقال له ذو نفر فدعا قومه ومن اجابه من ساير العرب الى حرب ابرهة وجهاده
عن بيت الله وما يريد من هدمه واخرابه فاجابه من اجابه الى ذلك ثم عرض له فقاتله
فهزم ذو نفر واصحابه واخذ له ذو نفر فاتي به اسيرا فلما اراد قتله قال له ذو نفر ايها الملك
لا تقتلني فانه عسى ان يكون بقائي معك خيرا لك من القتل فتركه من القتل وحبسه عنده في
وثاق وكان ابرهة رجلا حليما ثم مضى ابرهة على وجهه ذلك يريد ما خرج له حتى اذا كان
بارض خثعم عرض له نفيل بن حبيب الخثعمي في قبيلتي خثعم وهما شهران وناهس ومن
تبعه من قبايل العرب فقاتله فهزمه ابرهة واخذ له نفيل اسيرا فاتي به فلما هم بقتله قال
له نفيل لا تقتلني فاني دليلك بارض العرب وهاتان يداي لك على قبيلتي خثعم شهران
وناهس بالسمع والطاعة فخلى سبيله وخرج به معه يدل له حتى اذا مر بالطايف خرج اليه
مسعود بن معتب بن مالك بن كعب بن عمرو بن سعد بن عوف بن ثقيف في رجال ثقيف
فقالوا له ايها الملك انما نحن عبيدك سامعون لك مطيعون ليس لنا عندك
لك خلاف وليس بيتنا هذا البيت الذي تريد يعنون اللات انما تريد البيت الذي بمكة
ونحن نبعث معك من يدلك عليه فتجاوز عنهم قال ابن اسحاق واللات بيت لهم بالطايف
كانوا يعظمونه نحو تعظيم الكعبة قال فبعثوا معه ابا رغال يدله على الطريق الى مكة فخرج
ابرهة ومعه ابو رغال حتى انزله المغمس فلما انزله به مات ابو رغال هنالك فرجمت قبره العرب
فهو القبر الذي يرجم الناس بالمغمس وقد تقدم في قصة ثمود ان ابا رغال كان رجلا منهم
وكان يمتنع بالحرم فلما خرج منه اصابه حجر فقتله وان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
لاصحابه واية ذلك انه دفن معه غصنان من ذهب فحفروا فوجدوهما قال وهو ابو ثقيف
قلت والجمع بين هذا وبين ما ذكره ابن اسحاق ان ابا رغال هذا المتاخر وافق اسمه
اسم جده الاعلى ورجمه الناس كما رجموا قبر الاول ايضا والله اعلم وقد قال جرير

اذا مات الفرزدق فارجموه • كرجمكم لقبر ابي رغال

الظاهر انه الثاني قال ابن اسحاق فلما نزل ابرهة المغمس بعث رجلا من الحبشة يقال
له الاسود بن مقصود على خيل له حتى انتهى الى مكة فساق اليه اموال اهل تهامة من قريش
وغيرهم واصاب فيها مايتي بعير لعبد المطلب بن هاشم وهو يوميذ كبير قريش وسيدها
فهمت قريش وكنانة وهذيل ومن كان بذلك الحرم بقتاله ثم عرفوا انه لا طاقة
لهم به فتركوا ذلك وبعث ابرهة حناطة الحميري الى مكة وقال له سل عن سيد اهل هذا البلد
وشريفهم ثم قل له ان الملك يقول الى لم آت لحربكم انما جيت لهدم هذا البيت فان لم تعرضوا
دونه بحرب فلا حاجة لي بدمايكم فان هو لم يرد حربي فاتني به فلما دخل حناطة مكة سال
عن سيد قريش وشريفها فقيل له عبد المطلب بن هاشم فجاءه فقال له ما امره به ابرهة
فقال له عبد المطلب والله ما نريد حربه وما لنا بذلك من طاقة هذا بيت الله الحرام
وبيت خليله ابراهيم عليه السلام او كما قال فان يمنعه منه فهو حرمه وبيته وان يخل
بينه وبينه فوالله ما عندنا دفع عنه فقال له حناطة فانطلق معي اليه فانه قد امرني
ان آتيه بك فانطلق معه عبد المطلب ومعه بعض بنيه حتى اتى العسكر فسال عن ذي نفر

وكان له صديقا حتى دخل عليه وهو في محبسه فقال له يا ذا نفر هل عندك من غناء فيما
نزل بنا فقال له ذو نفر وما غناء رجل اسير بيدي ملك ينتظر ان يقتله غدوا او عشيا
ما عندي غناء في شيء مما نزل بك الا ان انيسا سائس الفيل صديق لي فسأرسل اليه فأوصيه
بك وأعظم عليه حقك وأسأله ان يستأذن لك على الملك فتكلمه بما بدا لك ويشفع لك
عنده بخير ان قدر على ذلك فقال حسبي فبعث ذو نفر الى انيس فقال له ان عبد المطلب
سيد قريش وصاحب عير مكة يطعم الناس بالسهل والوحوش في رؤوس الجبال وقد اصاب
له الملك مايتي بعير فاستأذن له عليه وانفعه عنده بما استطعت فقال افعل فكلم انيس
ابرهة فقال له ايها الملك هذا سيد قريش ببابك يستأذن عليك وهو صاحب
عير مكة وهو الذي يطعم الناس بالسهل والوحوش في رؤوس الجبال فأذن له عليك فليكلمك
في حاجته قال فأذن له ابرهة وكان عبد المطلب اوسم الناس واعظمهم واجملهم فلما رآه ابرهة
اجله واكرمه ان يجلسه تحته وكره ان تراه الحبشة يجلسه معه على سرير ملكه فنزل ابرهة
عن سريره فجلس على بساطه واجلسه الى جانبه ثم قال لترجمانه قل له حاجتك فقال له
فقال حاجتي ان يرد علي الملك مايتي بعير اصابها لي فلما قال له ذلك قال ابرهة لترجمانه
قل له لقد كنت اعجبتني حين رأيتك ثم قد زهدت فيك حين كلمتني اتكلمني في مايتي بعير
اصبتها لك وتترك بيتا هو دينك ودين ابائك قد جئت لهدمه لا تكلمني فيه فقال
له عبد المطلب اني انا رب الابل وان للبيت ربا سيمنعه قال ما كان ليمتنع مني قال
انت وذاك فرد على عبد المطلب ابله قال ابن اسحاق ويقال انه كان قد دخل مع عبد المطلب
على ابرهة يعمر بن نفاثة بن عدي بن الديل بن بكر بن عبد مناة بن كنانة سيد بني بكر وخويلد
بن واثلة سيد هذيل فعرضوا على ابرهة ثلث اموال تهامة على ان يرجع عنهم ولا يهدم
البيت فأبى عليهم ذلك فالله اعلم اكان ذلك ام لا فلما انصرفوا عنه انصرف عبد المطلب
الى قريش فاخبرهم الخبر وامرهم بالخروج من مكة والتحرز في رؤوس الجبال ثم قام عبد المطلب فأخذ
بحلقة باب الكعبة وقام معه نفر من قريش يدعون الله ويستنصرونه على ابرهة وجنده
وقال عبد المطلب وهو آخذ بباب الكعبة

اللهم ان المرء يمنع رحله فامنع حلالك
لا يغلبن صليبهم ومحالهم عدوا محالك

قال ابن هشام هذا ما صح عندي منها قال ابن اسحاق ثم ارسل عبد المطلب حلقة باب
الكعبة وانطلق هو ومن معه من قريش الى شعف الجبال يتحرزون فيها ينتظرون ما ابرهة
فاعل فلما اصبح ابرهة تهيأ لدخول مكة وهيأ فيله وعبى جيشه وكان اسم الفيل محمودا فلما
وجهوا الفيل الى مكة اقبل نفيل بن حبيب حتى قام الى جنب الفيل ثم اخذ باذنه فقال ابرك
محمود وارجع راشدا من حيث جئت فانك في بلد الله الحرام وارسل اذنه فبرك الفيل قال
السهيلي اي سقط الى الارض وليس من شأن الفيلة ان تبرك وقد قيل ان منها ما يبرك
كالبعير فالله اعلم وخرج نفيل بن حبيب يشتد حتى اصعد في الجبل وضربوا الفيل
ليقوم فأبى فضربوا في رأسه بالطبرزين ليقوم فأبى فادخلوا محاجن لهم في مراقه فبزغوه
بها ليقوم فأبى فوجهوه راجعا الى اليمن فقام يهرول ووجهوه الى الشام ففعل مثل ذلك
ووجهوه الى المشرق ففعل مثل ذلك ووجهوه الى مكة فبرك وارسل الله تعالى عليهم طيرا من البحر

امثال

امثال الخطاطيف والبلسان مع كل طائر منها ثلاثة احجار يحملها حجر في منقاره وحجران في
رجليه امثال الحمص والعدس لا تصيب منهم احدا الا هلك وليس كلهم اصابت وخرجوا هاربين
يبتدرون الطريق التي منها جاؤوا ويسألون عن نفيل بن حبيب ليدلهم على الطريق الى
اليمن فقال نفيل في ذلك

الا حييت عنا يا ردينا ... نعمناكم مع الاصباح عينا
ردينة لو رأيت ولا تريه ... لدى جنب المحصب ما رأينا
اذا لعذرتني وحمدت امري ... ولم تأسي على ما فات بينا
حمدت الله اذ ابصرت طيرا ... وخفت حجارة ترمى علينا
فكل القوم يسأل عن نفيل ... كأن علي للحبشان دينا

قال ابن اسحاق فخرجوا يتساقطون بكل طريق ويهلكون على كل منهل واصيب ابرهة في جسده
وخرجوا به تسقط انملة انملة كلما سقطت انملة اتبعتها منه مدة تمث قيحا ودما حتى قدموا
به صنعاء وهو مثل فرخ الطائر فما مات حتى انصدع صدره عن قلبه فيما يزعمون قال ابن اسحاق
وحدثني يعقوب بن عتبة انه حدث ان اول ما رئيت الحصبة والجدري بارض العرب ذلك
العام وانه اول ما رئي بها مرائر الشجر الحرمل والحنظل والعشر ذلك العام قال ابن اسحاق
فلما بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم كان مما يعد الله على قريش من نعمته عليهم وفضله ما رد
عنهم من امر الحبشة لبقاء امرهم ومدتهم فقال تعالى الم تر كيف فعل ربك باصحاب الفيل الم
يجعل كيدهم في تضليل وارسل عليهم طيرا ابابيل ترميهم بحجارة من سجيل فجعلهم كعصف
ماكول ثم شرع ابن اسحاق وابن هشام في كلام على تفسير هذه السورة والذي بعدها وقد
بسطنا القول في ذلك في كتابنا التفسير بما فيه كفاية ان شاء الله وله الحمد والمنة قال
ابن هشام الابابيل الجماعات ولم يتكلم العرب بواحدة قال واما السجيل فاخبرني يونس
النحوي وابو عبيدة انه عند العرب الشديد الصلب قال وزعم بعضهم انهما كلمتان بالفارسية
جعلتهما العرب كلمة واحدة وانهما سنج وجل فالسنج الحجر والجل الطين يقول من هذين الجنسين
الحجر والطين قال والعصف ورق الزرع الذي لم يقصب وقال الكسائي سمعت بعض النحويين
يقول واحد الابابيل ابيل وقال كثيرون من السلف الابابيل الفرق من الطير التي يتبع بعضها
بعضا من هاهنا وهاهنا وعن ابن عباس كان لها خراطيم كخراطيم الطير واكف كاكف الكلاب
وعن عكرمة كانت رؤوسها كرؤوس السباع خرجت عليهم من البحر وكانت خضرا وقال عبيد بن
عمير كانت سودا بحرية في مناقيرها واكفها الحجارة وعن ابن عباس كانت اشكالها كعنقاء
مغرب وعن ابن عباس كان اصغر حجر منها كراس الانسان ومنها ما هو كالابل وهكذا ذكره يونس بن
بكير عن ابن اسحاق وقيل كانت صغارا والله اعلم وقال ابن ابي حاتم حدثنا ابو زرعة ثنا محمد
بن عبد الله بن ابي شيبة ثنا ابو معاوية عن الاعمش عن ابي سفيان عن عبيد بن عمير قال
لما اراد الله ان يهلك اصحاب الفيل بعث عليهم طيرا انشئت من البحر امثال الخطاطيف
كل طير منها يحمل ثلاثة احجار مجزعة حجرين في رجليه وحجرا في منقاره قال فجاءت حتى صفت
على رؤوسهم ثم صاحت والقت ما في رجليها ومناقيرها فما يقع حجر على راس رجل الا خرج من
دبره ولا يقع على شيء من جسده الا خرج من الجانب الاخر وبعث الله ريحا شديدة فضربت
الحجارة فزادتها شدة فاهلكوا جميعا وقد تقدم ان ابن اسحاق قال وليس كلهم اصابته الحجارة

يبغ بل رجع منهم راجعون الى اليمن حتى اخبروا اهلهم بما حل بقومهم من النكال وذكر ان ابرهة رجع وهو ينسا قط انملة انملة فلما وصل الى اليمن انصدع صدره فمات لعنه الله وروى ابن اسحاق حدثني عبد الله بن ابي بكر عن عمرة عن عايشة قالت لقد رايت قايد الفيل وسايسه بمكة اعميين مقعدين يستطعمان وتقدم ان سايس الفيل كان اسمه انيسا فاما قايده فلم يسم والله اعلم وذكر النقاش في تفسيره انما السيل احتمل جثثهم فالقاها في البحر قال السهيلي وكانت قصة الفيل في المحرم سنة ست وثمانين وثمان ماية من ذي القرنين **قلت** وفي عامها ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم على المشهور وقيل كان قبل مولده بسنين كما سنذكره ان شا الله وبه الثقة ثم ذكر ابن اسحاق ما قاله العرب من الاشعار في هذه الكاينة العظيمة التي نصر الله فيها بيته الحرام الذي يريد ان يشرفه ويعظمه ويطهره ويوقره ببعثة محمد صلى الله عليه وسلم وما يشرع له من الدين القويم الذي احد اركانه الصلاة بل عماد دينه وسيجعل قبلته الى هذه الكعبة المطهرة ولم يكن ما فعله بامر باصحاب الفيل نصرة لقريش اذ ذاك على النصارى الذين هم الحبشة فان الحبشة اذ ذاك كانوا اقرب لها من مشركي قريش وانما كان النصر للبيت الحرام وارهاصا وتوطية لبعثة محمد صلى الله عليه وسلم فمن ذلك ما قاله عبد الله بن الزبعرى السهمي

تنكلوا عن بطن مكة انها • كانت قديما لا يرام حريمها •
لم تخلق الشعرى ليالي حرمت • اذ لا عزيز من الانام يرومها •
سايل امير الجيش عنها ما راى • فلسوف ينبي الجاهلين عليمها •
ستون الفا لم يؤبوا ارضهم • بل لم يعش بعد الاياب سقيمها •
كانت بها عاد وجرهم قبلهم • والله من فوق العباد يقيمها •

ومن ذلك قول ابي قيس بن الاسلت الانصاري المدني •

ومن صنعه يوم فيل الحبوش • اذ كلما بعثوه رزم (اي برك) •
محاجنهم تحت اقرابه • وقد شرموا انفه فانخرم •
وقد جعلوا سوطه مغولا • اذا يمموه قفاه كلم •
فولى وادبر ادراجه • وقد باء بالظلم من كان ثم •
فارسل من فوقهم حاصبا • يلفهم مثل لف القزم •
تحض على الصبر احبارهم • وقد ثاجوا كثواج الغنم •

ومن ذلك قول ابي الصلت ربيعة بن ابي ربيعة وهب بن علاج الثقفي قال ابن هشام ويروى لامية بن ابي الصلت •

ان ايات ربنا باقيات • ما يماري فيهن الا الكفور •
خلق الليل والنهار فكل • مستبين حسابه مقدور •
ثم يجلو النهار رب رحيم • بمهاة شعاعها منشور •
حبس الفيل بالمغمس حتى • صار يحبو كانه معقور •
لازما حلقه الجران كما قطر • من ظهر كبكب محدور •
حوله من ملوك كندة • ابطال ملاويث في الحروب صقور •
خلفوه ثم ابذعروا جميعا • كلهم عظم ساقه مكسور •

كل دين يوم القيامة عند الله • الا دين الحنيفة زور •

ومن ذلك قول ابي قيس بن الاسلت ايضا •

فقوموا فصلوا ربكم وتمسحوا • باركان هذا البيت بين الاخاشب •
فعندكم منه بلاء مصدق • غداة ابي يكسوم هادي الكتايب •
كتيبته بالسهل تمسي ورجله • على القاذفات في روس المناقب •
فلما اتاكم نصر ذي العرش ردهم • جنود المليك بين ساف وحاصب •
فولوا سراعا هاربين ولم يوب • الى اهله ملجيش غير عصايب •

ومن ذلك قول عبد الله بن قيس الرقيات في عظمة البيت وحمايته بهلاك من اراده بسو

كاده الاشرم الذي جا بالفيل • فولى وجيشه مهزوم •
واستهلت عليهم الطير • بالجندل حتى كانه مرجوم •
ذاك من يغزه من الناس • يرجع وهو فل من الجيوش ذميم •

قال ابن اسحاق وغيره فلما هلك ابرهة ملك الحبشة بعده ابنه يكسوم ثم من بعده اخوه مسروق بن ابرهة وهو اخر ملوكهم وهو الذي انتزع سيف بن ذي يزن الحميري الملك من يده بالجيش الذين قدم بهم من عند كسرى انوشروان كما سياتي بيانه وكانت قصة الفيل في المحرم سنة ست وثمانين وثمان ماية من ذي القرنين وهو الثاني اسكندر بن فليبس المقدوني الذي يورخ له الروم ولما هلك ابرهة وابناه زال ملك الحبشة عن اليمن هجر القليس الذي كان بناه ابرهة واراد صرف حج العرب اليه لجهله وقلة عقله واصبح يبابا لا انيس به وكان قد بناه على صنمين وهما كعيب وامراته وكانا من خشب طول كل منهما ستون ذراعا في السما وكانا مصحوبين من الجان ولهذا كان لا يتعرض احد الى اخذ شي من بنا القليس وامتعته الا اصابوه بسو فلم يزل كذلك الى ايام السفاح اول خلفا بني العباس فذكر له امره وما فيه من الامتعة والرخام الذي كان ابرهة نقله اليه من صرح بلقيس الذي كان باليمن فبعث اليه من خربه حجرا حجرا واخذ جميع ما فيه من الامتعة والحواصل هكذا ذكره السهيلي والله اعلم **ذكر خروج الملك عن الحبشة ورجوعه الى سيف بن ذي يزن الحميري كما اخبر بذلك الكاهنان لربيعة بن نصر اللخمي**

قال محمد بن اسحاق رح فلما هلك ابرهة ملك الحبشة يكسوم بن ابرهة وبه كان يكنى فلما هلك يكسوم ملك اليمن في الحبشة اخوه مسروق بن ابرهة قال فلما طال البلا على اهل اليمن خرج سيف بن ذي يزن الحميري وهو سيف بن ذي يزن بن ذي اصبح بن مالك بن زيد بن سهل بن عمرو بن قيس بن معوية بن جشم بن عبد شمس بن وايل بن الغوث بن قطن بن عريب بن زهير بن ايمن بن الهميسع بن العرنجج وهو حمير بن سبا وكان سيف يكنى ابا مرة حتى قدم على قيصر ملك الروم فشكى اليه ما هو فيه وسال ان يخرجهم عنه ويليهم ويخرج اليهم من شا من الروم فيكون له ملك اليمن فلم يشكه فخرج حتى اتى النعمان بن المنذر وهو عامل كسرى على الحيرة وما يليها من ارض العراق فشكى اليه امر الحبشة فقال له النعمان ان لي على كسرى وفادة على كل عام فاقم عندي حتى يكون ذلك ففعل ثم خرج معه فادخله على كسرى وكان كسرى يجلس في ايوان مجلسه الذي فيه تاجه وكان تاجه مثل القنقل العظيم فيما يزعمون يضرب فيه الياقوت والزبرجد واللولو بالذهب والفضة معلقا بسلسلة من ذهب

في رأسه طاقة من مجلسه ذلك، وكانت عنقه لا تحمل تاجه، إنما يستر بالثياب حتى يجلس في مجلسه
ذلك، ثم يدخل رأسه في تاجه، فإذا استوى في مجلسه كشفت عنه الثياب، فلا يراه أحد لم يره
قبل ذلك إلا برك هيبة له، فلما دخل عليه طأطأ رأسه، فقال الملك: إن هذا الأحمق يدخل
علينا من هذا الباب الطويل ثم يطأطئ رأسه، فقيل ذلك لسيف، فقال: إنما فعلت ذلك
لهمي، لأنه يضيق عنه كل شيء. قال ابن إسحاق: ثم قال له: أيها الملك، غلبتنا على بلادنا الأغربة،
قال كسرى: أي الأغربة: الحبشة أم السند؟ قال: بل الحبشة، فجئتك لتنصرني ويكون ملك بلادي
لك، فقال له كسرى: بعدت بلادك مع قلة خيرها، فلم أكن لأورط جيشا من فارس بأرض العرب،
لا حاجة لي بذلك، ثم أجازه بعشرة آلاف درهم واف، وكساه كسوة حسنة، فلما قبض
ذلك منه سيف خرج فجعل ينثر ذلك الورق للناس، فبلغ ذلك الملك، فقال: إن لهذا لشأنا،
ثم بعث إليه فقال: عمدت إلى حباء الملك تنثره للناس، قال: وما أصنع بهذا؟ ما جبال أرضي
التي جئت منها إلا ذهب وفضة، يرغبه فيها، فجمع كسرى مرازبته فقال لهم: ماذا ترون في أمر هذا
الرجل وما جاء له؟ فقال قائل: أيها الملك، إن في سجونك رجالا قد حبستهم للقتل، فلو أنك
بعثتهم معه، فإن يهلكوا كان ذلك الذي أردت بهم، وإن ظفروا كان ملكا ازددته، فبعث
معه كسرى من كان في سجونه، وكانوا ثمان مائة رجل، واستعمل عليهم وهرز، وكان ذا سن فيهم
وأفضلهم حسبا وبيتا، فخرجوا في ثمان سفائن، فغرقت سفينتان، ووصل إلى ساحل
عدن ست سفائن، فجمع سيف إلى وهرز من استطاع من قومه، وقال له: رجلي مع رجلك
حتى نموت جميعا أو نظفر جميعا، فقال له وهرز: أنصفت، وخرج إليه مسروق بن أبرهة
ملك اليمن، وجمع إليه جنده، فأرسل إليهم وهرز ابنا له ليقاتلهم فيختبر قتالهم، فقتل
ابن وهرز، فزاده ذلك حنقا عليهم، فلما تواقف الناس على مصافهم قال وهرز: أروني
ملكهم، فقالوا له: أترى رجلا على الفيل عاقدا تاجه على رأسه، بين عينيه ياقوتة حمراء؟
قال: نعم، قالوا: ذاك ملكهم، فقال: اتركوه، قال: فوقفوا طويلا، ثم قال: علام هو؟ قالوا: قد
تحول على الفرس، قال: اتركوه، فوقفوا طويلا، ثم قال: علام هو؟ قالوا: على البغلة، قال وهرز:
بنت الحمار، ذل وذل ملكه، إني سأرميه، فإن رأيتم أصحابه لم يتحركوا فاثبتوا حتى أوذنكم، فإني
قد أخطأت الرجل، وإن رأيتم القوم قد استداروا ولاثوا به فقد أصبت الرجل، فاحملوا عليهم،
ثم وتر قوسه، وكانت فيما يزعمون لا يوترها غيره من شدتها، وأمر بحاجبيه فعصبا له، ثم
رماه، فصك الياقوتة التي بين عينيه، فتغلغلت النشابة في رأسه حتى خرجت من قفاه،
ونكس عن دابته، واستدارت الحبشة ولاثت به، وحملت عليهم الفرس، وانهزموا، فقتلوا
وهربوا في كل وجه، وأقبل وهرز ليدخل صنعاء، حتى إذا أتى بابها قال: لا تدخل رايتي منكسة
أبدا، اهدموا هذا الباب، فهدم، ثم دخلها ناصبا رايته، فقال سيف بن ذي يزن:

ظن الناس بالملكين ... أنهما قد التأما
ومن يسمع بلأمهما ... فإن الخطب قد فقما
قتلنا القيل مسروقا ... وروينا الكثيب دما
وإن القيل قيل الناس ... وهرز مقسم قسما
يذوق مشعشعا حتى ... يفيء السبي والنعما

ووفدت العرب من الحجاز وغيرها على سيف يهنئونه بعود الملك إليه، وامتدحوه، فكان

من جملتهم وفد قريش، وفيهم عبد المطلب بن هاشم، فبشره سيف برسول الله صلى الله عليه
وسلم، وأخبره بما يعلم من أمره، وسيأتي ذلك مفصلا في باب البشارات به عليه الصلاة والسلام.
قال ابن إسحاق: وقال أبو الصلت بن أبي ربيعة الثقفي، قال ابن هشام: وتروى لابن أمية:

ليطلب الوتر أمثال ابن ذي يزن ... ريم في البحر للأعداء أحوالا
يمم قيصر لما حان رحلته ... فلم يجد عنده بعض الذي سالا
حتى أتى ببني الأحرار يحملهم ... إنك عمري لقد أسرعت قلقالا
لله درهم من عصبة خرجوا ... ما إن أرى لهم في الناس أمثالا
غلبا مرازبة بيضا أساورة ... أسدا تربب في الغيضات أشبالا
يرمون عن شدف كأنها غبط ... بزمخر يعجل المرمي إعجالا
أرسلت أسدا على سود الكلاب فقد ... أضحى شريدهم في الأرض فلالا
فاشرب هنيئا عليك التاج مرتفقا ... في رأس غمدان دارا منك محلالا
واشرب هنيئا فقد شالت نعامتهم ... وأسبل اليوم في برديك إسبالا
تلك المكارم لا قعبان من لبن ... شيبا بماء فعادا بعد أبوالا

يقال: إن غمدان قصر باليمن بناه يعرب بن قحطان، وأكمله بعده واحتله وائلة بن حمير
بن سبأ، ويقال: إن ارتفاعه عشرون طبقة، فالله أعلم. قال ابن إسحاق: وقال عدي بن
زيد الحيري، وكان أحد بني تميم:

ما بعد صنعاء كان يعمرها ... ولاة ملك جزل مواهبها
رفعها من بنى لدى قزع ... المزن وتندى مسكا محاربها
محفوفة بالجبال دون عرى ... الكائد ما ترتقى غواربها
يأنس فيها صوت النهام إذا ... جاوبها بالعشي قاصبها
ساقت إليها الأسباب جند بني ... الأحرار فرسانها مواكبها
وفوزت بالبغال توسق ... بالحتف وتسعى بها توالبها
حتى رآها الأقوال من طرف ... المنقل مخضرة كتائبها
يوم ينادون آل بربر ... واليكسوم لا يفلحن هاربها
وكان يوما باقي الحديث ... وزالت إمة ثابت مراتبها
وبدل الفيح بالزرافة ... والأيام خون جم عجائبها
بعد بني تبع نخاورة ... قد اطمأنت بها مرازبها

قال ابن هشام: وهذا الذي عنى سطيح بقوله: يليه إرم ذي يزن، يخرج عليهم من عدن، فلا
يترك منهم أحدا باليمن. والذي عنى شق بقوله: غلام ليس بدني ولا مدن، يخرج من بيت ذي
يزن. قال ابن إسحاق: وأقام وهرز والفرس باليمن، فمن بقية ذلك الجيش من الفرس الأبناء
الذين باليمن اليوم، وكان ملك الحبشة باليمن فيما بين أن دخلها أرياط إلى أن قتلت الفرس
مسروق بن أبرهة وأخرجت الحبشة اثنتين وسبعين سنة، توارث ذلك منهم أربعة: أرياط،
ثم أبرهة، ثم يكسوم بن أبرهة، ثم مسروق بن أبرهة.

ذكر ما آل إليه أمر الفرس باليمن

قال ابن هشام: ثم مات وهرز، فأمّر كسرى ابنه المرزبان بن وهرز على اليمن، ثم مات المرزبان

فامر كسرى ابنه البينجان ثم مات فامر ابن البينجان ثم عزله عن اليمن وامر عليها باذان وفي
زمنه بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ابن هشام فبلغني عن الزهري انه قال
كتب كسرى الى باذان انه بلغني ان رجلا من قريش خرج بمكة يزعم انه نبي فسر اليه فاستتبه
فان تاب والا فابعث الي براسه فبعث باذان بكتاب كسرى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
فكتب اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله قد وعدني ان يقتل كسرى في يوم كذا وكذا
من شهر كذا فلما اتى باذان الكتاب وقف لينتظر وقال ان كان نبيا فسيكون ما قال
فقتل الله كسرى في اليوم الذي قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ابن هشام على يدي
ابنه شيرويه **قلت** وقال بعضهم بنوه تمالوا على قتله وكسرى هذا هو
ابرويز بن هرمز بن انوشروان بن قباذ وهو الذي غلبته الروم في قوله تعالى الم غلبت الروم
في ادنى الارض كما سياتي بيانه قال السهيلي وكان قتله ليلة الثلاثا لعشر خلون من
جمادى الاولى سنة سبع من الهجرة وكانه والله اعلم لما كتب اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم
يدعوه الى الاسلام فغضب ومزق كتابه كتب الى نائبه باليمن يقول له ما قال وفي بعض
الروايات ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لرسول باذان ان ربي قد قتل الليلة
ربك فكان كما قال صلوات الله وسلامه عليه قتل تلك الليلة بعينها قتله بنوه لظلمه
بعد عدله بعدما خلعوه وولوا ابنه شيرويه فلم يعش بعد قتله اباه الا ستة اشهر
او دونها وفي هذا يقول خالد بن حق الشيباني

وكسرى اذ تقاسمه بنوه ... باسياف كما اقتسم اللحام
تمخضت المنون له بيوم ... اتى ولكل حاملة تمام

قال الزهري فلما بلغ ذلك باذان بعث باسلامه واسلام من معه من الفرس الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقالت الرسل الى من نحن يا رسول الله قال انتم منا والينا اهل البيت
قال الزهري ومن ثم قال رسول الله [صلى الله عليه وسلم] سلمان منا اهل البيت **قلت** والظاهر
ان هذا كان بعدما هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة ولهذا بعث الامراء
الى اليمن لتعليم الناس الخير ودعوتهم الى الله عز وجل فبعث اولا خالد بن الوليد وعلي بن
ابي طالب ثم اتبعهما ابا موسى الاشعري ومعاذ بن جبل ودان اهل اليمن واهلها للاسلام ومات
باذان فقام بعده ولده شهر بن باذان وهو الذي قتله الاسود العنسي حين تنبا واخذ
زوجته كما سياتي بيانه واجلى عن اليمن نواب رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما قتل
الاسود عادت اليد الاسلامية عليها قال ابن هشام وهذا هو الذي عنى سطيح بقوله
نبي زكي ياتيه الوحي من قبل العلي والذي عنى شق بقوله بل ينقطع برسول مرسل ياتي
بالحق والعدل بين اهل الدين والفضل يكون الملك في قومه الى يوم الفصل قال
ابن اسحاق وكان في حجر باليمن فيما يزعمون كتاب بالزبور كتب في الزمان الاول لمن ملك
ذمار لحمير الاخيار لمن ملك ذمار للحبشة الاشرار لمن ملك ذمار لفارس الاحرار لمن ملك
ذمار لقريش التجار وقد نظم بعض الشعراء هذا المعنى فيما ذكره المسعودي

حين شيدت ذمار قيل لمن ... انت قالت لحمير الاخيار
ثم سيلت من بعد ذاك فقالت ... انا للحبش اخبث الاشرار
ثم قالوا من بعد ذاك لمن ... انت فقالت لفارس الاحرار
ثم سيلت من بعد ذاك لمن ... انت فقالت الى قريش التجار

ويقال

ويقال ان هذا الكلام الذي ذكره محمد بن اسحاق وجد مكتوبا عند قبر هود عليه السلام حين
كشفت الريح عن قبره بارض اليمن وذلك قبل زمن بلقيس بيسير في ايام مالك بن
ذي المنار اخي عمرو ذي الاذعار بن ذي المنار ويقال كان مكتوبا على قبر هود ايضا وهو من كلامه
عليه السلام حكاه السهيلي والله اعلم

قصة الساطرون صاحب الحضر

وقد ذكر قصته هاهنا عبد الملك بن هشام لاجل ما قاله بعض علماء النسب ان النعمان بن
المنذر الذي تقدم ذكره في وفود سيف بن ذي يزن عليه وهو الذي ساعده في رد ملك
اليمن اليه انه من سلالة الساطرون صاحب الحضر وقد قدمنا عن ابن اسحاق ان النعمان
ابن المنذر من ذرية ربيعة بن نصر وانه روي عن جبير بن مطعم انه من اشلاء قنص بن معد
بن عدنان فهذه ثلاثة اقوال في نسبه فاستطرد ابن هشام في ذكر صاحب الحضر والحضر
حصن بناه هذا الملك وهو الساطرون على حافة الفرات وهو منيف مرتفع البناء
واسع الرحبة والفناء دوره بقدر مدينة عظيمة وهو في غاية الاحكام والبهاء والحسن
والسناء واليه يجبى ما حوله من الاقطار والارجاء واسم الساطرون الضيزن بن معوية
بن عبيد بن سليح بن حلوان بن الحاف بن قضاعة كذا نسبه ابن الكلبي وقال غيره كان من
الجرامقة وكان احد ملوك الطوايف وكان يقدمهم اذا اجتمعوا وكان حصنه بين دجلة
والفرات قال ابن هشام وكان كسرى سابور ذو الاكتاف غزا ساطرون ملك الحضر
وقال غير ابن هشام انما الذي غزا صاحب الحضر سابور بن ازدشير بن بابك اول ملوك
بني ساسان اذل ملوك الطوايف ورد الملك الى الاكاسرة واما سابور ذو الاكتاف
بن هرمز فبعد ذلك بدهر طويل والله اعلم ذكره السهيلي قال ابن هشام فحصره
سنتين وقال غيره اربع سنين وذلك لانه كان اغار على بلاد سابور في غيبته بارض
العراق فاشرفت بنت الساطرون وكان اسمها النضيرة فنظرت الى سابور وعليه ثياب
ديباج وعلى راسه تاج من ذهب مكلل بالزبرجد والياقوت واللؤلؤ وكان جميلا فدست
اليه اتتزوجني ان فتحت لك باب الحضر فقال نعم فلما امسى ساطرون شرب
حتى سكر وكان لا يبيت الا سكران فاخذت مفاتيح باب الحضر من تحت راسه فبعثت بها
مع مولى لها ففتح الباب ويقال دلتهم على نهر يدخل الماء منه فتتبعوه الى الحصن
ويقال دلتهم على طلسم كان في الحصن لا يفتح حتى توخذ حمامة ورقا وتخضب رجلاها
بحيض جارية بكر زرقا ثم ترسل فاذا وقعت على سور الحصن سقط ذلك الطلسم
فيفتح الباب ففعل ذلك فانفتح الباب فدخل سابور فقتل ساطرون واستباح الحضر
وخربه وسار بها معه وتزوجها فبينما هي نايمة على فراشها ليلا اذ جعلت تململ لا تنام
فدعا لها بالشمع ففتش فراشها فوجد عليه ورقة آس فقال لها سابور اهذا الذي
اسهرك قالت نعم قال فما كان ابوك يصنع بك قالت كان يفرش لي الديباج ويلبسني
الحرير ويطعمني المخ ويسقيني الخمر قال افكان جزاء ابيك ما صنعت بي انت الي بذلك
اسرع ثم ربطت قرون راسها بذنب فرس فركض الفرس حتى قتلها ففيه يقول الاعشى
بني قيس بن ثعلبة

الم تر للحضر اذ اهله بنعمى ... وهل خالد من نعم

اقام به شاهبور الجنود … حولين يضرب فيه القدم
فلما دعا ربه دعوة … اناب اليه فلم ينتقم
فهل زاده ربه قوة … ومثل مجاوره لم يقم
وكان دعا قومه دعوة … هلموا الى امركم قد صرم
فموتوا كراما باسيافكم … ارى الموت يجشمه من جشم

وقال عدي بن زيد في ذلك

والحضر صابت عليه داهية … من فوقه ايد مناكبها
ربيبة لم توق والدها … لحينها اذ اضاع راقبها
اذ غبقته صهباء صافية … والخمر وهل يهيم شاربها
فاسلمت اهلها بليلتها … تظن ان الرئيس خاطبها
فكان حظ العروس اذ جشر الصبح … دماء تجري سبائبها
وخرب الحضر واستبيح وقد … احرق في خدرها مشاجبها

وقال عدي بن زيد ايضا

ايها الشامت المعير بالدهر … انت المبرا الموفور
ام لديك العهد الوثيق من الايام … بل انت جاهل مغرور
من رايت المنون خلدن ام من … ذا عليه من ان يضام خفير
اين كسرى كسرى الملوك انوشروان … ام اين قبله سابور
وبنو الاصفر الكرام ملوك الروم … لم يبق منهم مذكور
واخو الحضر اذ بناه واذ دجلة … تجبى اليه والخابور
شاده مرمرا وجلله كلسا … فللطير في ذراه وكور
لم يهبه ريب المنون فبان … الملك عنه فبابه مهجور
وتذكر رب الخورنق اذ … اشرف يوما وللهدى تذكير
سره ماله وكثرة ما يملك … والبحر معرضا والسدير
فارعوى قلبه وقال وما … غبطة حي الى الممات يصير
ثم اضحوا كانهم ورق … جف فالوت به الصبا والدبور

قلت ورب الخورنق الذي ذكره في شعره رجل من الملوك المتقدمين وعظه بعض علماء زمانه في امره الذي كان قد اسرف فيه وعتى وتمرد فيه واتبع نفسه هواها ولم يراقب فيها مولاها فوعظه بمن سلف قبله من الملوك والدول وكيف بادوا ولم يبق منهم احد وانه ما صار اليه عن غيره الا وهو منتقل عنه الى من بعده فاخذته موعظته وبلغت منه كل مبلغ فارعوى لنفسه وتفكر في يومه وامسه وخاف من ضيق رمسه فتاب واناب ونزع عما كان فيه وترك الملك ولبس ثياب الفقر وساح في الفلوات وحظي بالخلوات وخرج عما كان الناس فيه من اتباع الشهوات وعصيان رب السموات وقد ذكر قصته مبسوطة الشيخ الامام موفق بن قدامة المقدسي رح في كتاب التوابين وكذلك ذكرها باسناده الحافظ ابو القسم السهيلي في كتاب الروض الانف المرتب احسن ترتيب واوضح تبيين

خبر ملوك الطوايف

واما صاحب الحضر وهو الساطرون فقد تقدم انه كان متقدما على ساير ملوك الطوايف وكان من زمن اسكندر بن فلبيس المقدوني اليوناني وذلك لانه لما غلب على ملك الفرس دارا ابن دارا واذل مملكته وخرب بلاده واستباح بيضة قومه ونهب حواصله ومزق شمل الفرس شذر مذر عزم على ان لا يجتمع لهم بعد ذلك شمل ولا يلتيم لهم امر فجعل يقر كل ملك على طايفة من الناس في اقليم من اقاليم الارض ما بين عرب واعاجم فاستمر كل ملك منهم يحمي حوزته ويحفظ صقعه ويستغل محلته فاذا هلك قام ولده من بعده او احد قومه فاستمر الامر كذلك قريبا من خمسماية سنة حتى كان اردشير بن بابك من بني ساسان بن بهمن بن اسفنديار بن يستاسب بن لهراسب فاعاد ملكهم الى ما كان عليه ورجعت الممالك برمتها اليه وازال الممالك الطوايف ولم يبق منهم ثابت الا طارد وكان تاخر عليه حصار صاحب الحضر الذي كان اكبرهم واشدهم واعظمهم اذ كان رئيسهم ومقدمهم فلما مات اردشير تصدى له ولده سابور فحاصره حتى اخذه كما تقدم والله سبحانه وتعالى اعلم

باب ذكر بني اسماعيل وهم عرب الحجاز وما كان من

امور الجاهلية الى زمان البعثة تقدم ذكر اسماعيل نفسه عليه السلام مع ذكر الانبياء وكيف كان من امره حين احتمله ابوه ابراهيم الخليل عليه السلام مع امه هاجر فاسكنهما بوادي مكة بين جبال فاران حيث لا انيس به ولا حسيس وكان اسماعيل رضيعا ثم ذهب وتركهما هنالك عن امر الله له بذلك ليس عند امه سوى جراب فيه تمر ووكاء فيه ماء فلما نفد ذلك انبع الله لهاجر زمزم التي هي طعام طعم وشفاء سقم كما تقدم بيانه في حديث ابن عباس الطويل الذي رواه البخاري رح ثم نزلت جرهم وهم طايفة من العرب العاربة من امم العرب الا قدمين عند هاجر بمكة على ان ليس لهم في الماء شي الا ما يشربون منه وينتفعون به فاستانس بهم وجعل الخليل عليه السلام يطالع امرهم في كل حين يقال انه كان يركب البراق من بلاد بيت المقدس في ذهابه وايابه ثم لما ترعرع الغلام وشب وبلغ مع ابيه السعي كانت قصة الذبح كما تقدم بيان ان الذبيح هو اسماعيل على الصحيح ثم لما كبر تزوج من جرهم امراة ثم فارقها وتزوج غيرها وتزوج بالسيدة بنت مضاض بن عمرو بن ميس جرهم وجاءته البنون الاثني عشر كما تقدم ذكرهم وهم نابت وقيذر ومبشا ومسمع وماشي ودوما وآزر ويطور ونبش وطيما وقيذما هكذا ذكره محمد بن اسحاق وغيره عن كتب اهل الكتاب وله ابنة واحدة اسمها نسمة وهي التي زوجها من ابن اخيه العيص بن اسحاق بن ابراهيم فولد لهما الروم واليونان والاشبان ايضا في احد القولين

ثم جميع عرب الحجاز على اختلاف قبايلهم

يرجعون في انسابهم الى ولديه ثابت وقيذر وكان الرئيس بعده والقايم بالامور الحاكم في مكة والناظر في امر البيت وزمزم ثابت بن اسماعيل وهو ابن اخت الجرهميين ثم تغلبت جرهم على البيت طمعا في بني اختهم فحكموا بمكة وما والاها عوضا عن بني اسماعيل مدة طويلة فكان اول من صار اليه امر البيت بعد ثابت مضاض بن عمرو بن سعد بن الرقيب بن هيني بن نبت بن جرهم وجرهم بن قحطان ويقال جرهم بن يقطن بن عيبر بن شالخ بن ارفخشذ بن سام بن نوح الجرهمي وكان نازلا باعلى مكة بقعيقعان وكان السميدع سيد قطورا نازلا بقومه في اسفل مكة وكل منهما يعشر من مر به مجتازا الى مكة ثم وقع بين جرهم وقطورا فاقتتلوا

فقتل السميدع واستوسق الامر لمضاض وهو الحاكم بمكة وا البيت لا ينازعه في ذلك
ولد اسماعيل مع كثرتهم وشرفهم وانتشارهم بمكة وبغيرها وذلك لخؤولتهم له ولعظمة البيت
الحرام ثم صار الملك بعده الى ابنه الحارث ثم الى عمرو بن الحارث ثم بغت جرهم بمكة واكثرت
فيها الفساد والحدوا بالمسجد الحرام حتى ذكر ان رجلا منهم يقال له اساف بن بغي وامراة يقال
لها نايلة بنت ديل اجتمعا في الكعبة فكان منه اليها الفاحشة فمسخهما الله حجرين فنصبهما
الناس قريبا من البيت ليعتبروا بهما فلما طال المطال بعد ذلك بعدا عبدا من دون
الله في زمن خزاعة كما سيأتي بيانه في موضعه فكانا منصوبين صنمين يقال لهما اساف
ونايلة فلما اكثرت جرهم بالبلد الحرام ثم تغلبهم خزاعة الذين كانوا نزلوا حول الحرم
وكانوا من ذرية عمرو بن عامر الذي خرج من اليمن لاجل ما توقع من سيل العرم كما تقدم وقيل
ان خزاعة من بني اسماعيل فالله اعلم والمقصود انهم اجتمعوا لحربهم وآذنوهم بالحرب
واقتتلوا واعتزل بنو اسماعيل كلا الفريقين فغلبت خزاعة وهم بنو بكر بن عبد
مناة وغبشان واجلوا جرهم عن البيت فخرج عمرو بن الحرث بن مضاض الجرهمي وهو سيدهم
بغزالي الكعبة من ذهب وحجر الركن وهو الحجر الاسود والى سيوف محلاة واشيا اخر فدفنها
في زمزم وعلّم زمزم وارتحل بقومه فرجعوا الى اليمن ففي ذلك يقول عمرو بن الحرث بن مضاض

كان لم يكن بين الحجون الى الصفا • انيس ولم يسمر بمكة سامر
بلى نحن كنا اهلها فازالنا • صروف الليالي والجدود العواثر
وكنا ولاة البيت من بعد نابت • نطوف بذاك البيت والخير ظاهر
ونحن ولينا البيت من بعد نابت • بعز فما يحظى لدينا المكاثر
ملكنا فعززنا فاعظم بملكنا • فليس لحي غيرنا ثم فاخر
الم تنكحوا من خير شخص علمتم • فابناؤه منا ونحن الاصاهر
فان تنثني الدنيا علينا بحالها • فان لها حالا وفيها التشاجر
فاخرجنا منها المليك بقدرة • كذلك يا للناس تجري المقادر
اقول اذا نام الخلي ولم انم • اذا العرش لا يبعد سهيل وعامر
وبدلت منها اوجها لا احبها • قبايل منها حمير ويحابر
وصرنا احاديثا وكنا بغبطة • بذلك عضتنا السنون الغوابر
فسحت دموع العين تبكي لبلدة • بها حرم امن وفيها المشاعر
وتبكي لبيت ليس يؤذى حمامه • يظل امنا وفيه العصافر
وفيه وحوش لا ترام انيسة • اذا خرجت منه فليست تغادر

قال ابن اسحاق وقال عمرو بن الحرث بن مضاض ايضا يذكر بني بكر وغبشان الذين
خلفوا بعدهم بمكة

يا ايها الناس سيروا ان قصركم • ان تصبحوا ذات يوم لا تسيرونا
حثوا المطي وارخوا من ازمتها • قبل الممات وقضوا ما تقضونا
كنا اناسا كما كنتم فغيرنا • دهر فانتم كما صرنا تصيرونا

قال ابن هشام هذا ما صح له منها وحدثني بعض اهل العلم بالشعر ان هذه الابيات
اول شعر قيل في العرب وانها وجدت مكتوبة في حجر باليمن ولم يسم قايلها وذكر السهيلي

لهذه

لهذه الابيات اخوة وحكى عندها حكاية معجبة وانشادات معربة قال وزاد ابو الوليد
الازرقي في كتابه فضايل مكة على هذه الابيات المنسوبة الى عمرو بن الحرث بن مضاض

قد مال دهر علينا ثم اهلكنا • بالبغي فيه وبذ الناس ناسونا
واستخبروا في صنيع الناس قبلكم • كما استبان طريق عنده الهونا
كنا زمانا ملوك الناس قبلكم • بمسكن في حرام الله مسكونا

قصة خزاعة وخبر عمرو بن لحي وعبادة الاصنام بارض العرب

قال ابن اسحاق ثم ان غبشان من خزاعة وليت البيت دون بني بكر بن عبد مناة وكان الذي
يليه منهم عمرو بن الحرث الغبشاني وقريش اذ ذاك حلول وصرم وبيوتات متفرقون
في قومهم من بني كنانة قالوا وانما سميت خزاعة خزاعة لانهم تخزعوا من ولد عمرو بن
عامر حين اقبلوا من اليمن يريدون الشام فنزلوا بمر الظهران فاقاموا بها قال
عون بن ايوب الانصاري ثم الخزرجي في ذلك

فلما هبطنا بطن مر تخزعت • خزاعة منا في حلول كراكر
حمت كل واد من تهامة واحتمت • بصم القنا والمرهفات البواتر

وقال ابو المطهر اسماعيل بن رافع الانصاري الاوسي

فلما هبطنا بطن مكة احمدت • خزاعة دار الاكل المتحامل
فحلت اكاريسا وشتت قبايلا • على كل حي بين نجد وساحل
نفوا جرهما عن بطن مكة واحتبوا • بعز خزاعي شديد الكواهل

فوليت خزاعة البيت يتوارثون ذلك كابرا عن كابر حتى كان اخرهم حليل بن حبشية
بن سلول بن كعب بن عمرو بن ربيعة الخزاعي الذي تزوج قصي بن كلاب ابنته حبى فولدت
له بنيه الاربعة عبد الدار وعبد مناف وعبد العزى وعبدا ثم صار امر البيت اليه
كما سيأتي بيانه وتفصيله في موضعه ان شاء الله وبه الثقة واستمرت خزاعة
على ولاية البيت نحوا من ثلثمائة سنة وقيل خمسمائة سنة والله اعلم وكانوا مسوس
في ولايتهم وذلك لانه في زمانهم كان اول عبادة الاوثان بالحجاز وذلك بسبب رئيسهم
عمرو بن لحي لعنه الله فانه اول من دعاهم الى ذلك وكان ذا مال جزيل جدا يقال انه فقأ اعين
عشرين بعيرا وذلك عبارة عن انه ملك عشرين الف بعير وكان من عادة العرب ان
من ملك الف بعير فقأ عين واحد منها لانه يدفع بذلك العين عنها وممن ذكر ذلك الازرقي
وذكر السهيلي انه ربما ذبح ايام الحجيج عشرة آلاف بدنة وكسى عشرة آلاف حلة في كل سنة
يطعم العرب ويحيس لهم الحيس بالتمر والسمن والعسل ويلت لهم السويق قالوا وكان
قوله وفعله فيهم كالشرع المتبع لشرفه فيهم ومحلته عندهم وكرمه عليهم قال ابن هشام
حدثني بعض اهل العلم ان عمرو بن لحي خرج من مكة الى الشام في بعض اموره فلما قدم مآب
من ارض البلقاء وبها يومئذ العماليق وهم ولد عملاق ويقال ولد عمليق بن لاوذ بن سام
بن نوح راهم يعبدون الاصنام فقال لهم ما هذه الاصنام التي اراكم تعبدون قالوا له هذه
اصنام نعبدها فنستمطرها فتمطرنا ونستنصرها فتنصرنا فقال لهم الا تعطوني
منها صنما فاسير به الى ارض العرب فيعبدونه فاعطوه صنما يقال له هبل فقدم به مكة
فنصبه وامر الناس بعبادته وتعظيمه قال ابن اسحاق ويزعمون ان اول ما كانت عبادة

الحجارة في بني اسماعيل عليه السلام انه كان لا يظعن من مكة ظاعن منهم الا حمل معه حجرا من
حجارة الحرم تعظيما للحرم فحيثما نزلوا وضعوه فطافوا به كطوافهم بالكعبة حتى
سلخ ذلك بهم الى ان كانوا يعبدون ما استحسنوا من الحجارة واعجبهم حتى خلفت الخلوف
ونسوا ما كانوا عليه وفي الصحيح عن ابي رجا العطاردي قال كنا في الجاهلية اذا لم نجد
حجرا جمعنا حثية من التراب وجئنا بالشاة فحلبناها عليه ثم طفنا بها قال ابن اسحاق
واستبدلوا بدين ابراهيم واسماعيل عليهما السلام غيره فعبدوا الاوثان وصاروا
الى ما كانت عليه الامم قبلهم من الضلالات وفيهم على ذلك بقايا من عهد ابراهيم
عليه السلام يتمسكون بها من تعظيم البيت والطواف به والحج والعمرة والوقوف على
عرفات والمزدلفة وهدي البدن والاهلال بالحج والعمرة مع ادخالهم فيه ما ليس منه
فكانت كنانة وقريش اذا اهلوا قالوا لبيك اللهم لبيك لبيك لا شريك لك الا
شريك هو لك تملكه وما ملك فيوحدونه بالتلبية ويدخلون معه اصنامهم ويجعلون
ملكها بيده يقول الله تعالى لمحمد صلى الله عليه وسلم وما يؤمن اكثرهم بالله الا وهم مشركون
اي ما يوحدوني لمعرفة حقي الا جعلوا معي شريكا من خلقي وقد ذكر السهيلي وغيره ان اول
من لبى هذه التلبية عمرو بن لحي وان ابليس تبدا له في صورة شيخ فجعل يلقنه ذلك فيسمع
منه ويقول كما يقول واتبعه العرب في ذلك وثبت في الصحيح ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم كان اذا سمعهم يقولون لبيك لا شريك لك يقول قد قد اي حسب حسب
وقد قال البخاري ثنا اسحاق بن ابراهيم ثنا يحيى بن ادم ثنا اسرائيل عن ابي حصين
عن ابي صالح عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان اول من سيب السوائب
وعبد الاصنام ابو خزاعة عمرو بن عامر واني رايته يجر امعاءه في النار تفرد به احمد من
هذا الوجه وهذا يقتضي ان عمرو بن لحي هو ابو خزاعة الذي تنسب اليه القبيلة بكمالها
كما زعمه بعضهم من اهل النسب فيما حكاه ابن اسحاق وغيره ولو تركنا مجرد هذا لكان ظاهرا
في ذلك بل كالنص ولكن قد جاء ما يخالفه من بعض الوجوه فقال البخاري ثنا ابو اليمان
ثنا شعيب عن الزهري قال سمعت سعيد بن المسيب قال البحيرة التي يمنع درها للطواغيت
ولا يحلبها احد من الناس والسائبة التي كانوا يسيبونها لالهتهم ولا يحمل عليها شيء قال
قال ابو هريرة قال النبي صلى الله عليه وسلم رايت عمرو بن لحي بن عامر الخزاعي يجر قصبه
في النار وكان اول من سيب السوائب وهكذا رواه البخاري ومسلم ايضا من حديث
صالح بن كيسان عن الزهري عن سعيد عن ابي هريرة به ثم قال البخاري ورواه ابن
الهاد عن الزهري قال الحاكم اراد ورواه ابن الهاد عن عبد الوهاب بن بخت عن الزهري
كذا قال وقد رواه احمد عن عمرو بن سلمة الخزاعي عن الليث بن سعد عن يزيد بن الهاد
عن الزهري عن سعيد عن ابي هريرة سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول رايت عمرو
بن عامر يجر قصبه في النار وكان اول من سيب السوائب وبحر البحيرة ولم يذكر بينهما عبد
الوهاب بن بخت كما قال الحاكم فالله اعلم وقال احمد ايضا ثنا عبد الرزاق ثنا معمر عن
الزهري عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رايت عمرو بن عامر الخزاعي يجر
قصبه في النار وهو اول من سيب السوائب وهذا منقطع من هذا الوجه والصحيح الزهري
عن سعيد عنه كما تقدم فقوله في هذا الحديث والذي قبله الخزاعي يدل على انه ليس والد

القبيلة بل منتسب اليها فلعل ما وقع في الرواية من قوله ابو خزاعة تصحيف من الراوي من
اخو خزاعة او انه كان يكنى بابي خزاعة ولا يكون ذلك من باب الاخبار بانه ابو خزاعة كلهم
والله اعلم وقال محمد بن اسحاق حدثني محمد بن ابراهيم بن الحرث التيمي ان ابا صالح السمان حدثه
انه سمع ابا هريرة يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لاكثم بن الجون الخزاعي
يا اكثم رايت عمرو بن لحي بن قمعة بن خندف يجر قصبه في النار فما رايت رجلا اشبه برجل
منك به ولا بك منه فقال اكثم عسى ان يضرني شبهه يا رسول الله قال لا انك مؤمن وهو كافر
انه كان اول من غير دين اسماعيل فنصب الاوثان وبحر البحيرة وسيب السائبة ووصل الوصيلة
وحمى الحامي ليس في شيء من الكتب من هذا الوجه وقد رواه ابن جرير عن هناد بن عبده عن محمد بن عمرو
عن ابي سلمة عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم بنحوه او مثله وليس في الكتب ايضا وقال
البخاري ثنا محمد بن ابي يعقوب ابو عبد الله الكرماني ثنا حسان بن ابراهيم ثنا يونس عن
الزهري عن عروة عن عائشة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رايت جهنم يحطم
بعضها بعضا ورايت عمرا يجر قصبه وهو اول من سيب السوائب تفرد به البخاري
وروى الطبراني من طريق ابي صالح عن ابن عباس مرفوعا في ذلك والمقصود ان عمرو بن لحي لعنه
الله كان قد ابتدع لهم اشياء في الدين غير بها دين الخليل فاتبعه العرب في ذلك فضلوا
بذلك ضلالا بعيدا بينا فظيعا شنيعا وقد انكر الله تعالى عليهم في كتابه العزيز في غير
ما اية منه فقال تعالى ولا تقولوا لما تصف السنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام
لتفتروا على الله الكذب الاية وقال تعالى ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا
حام ولكن الذين كفروا يفترون على الله الكذب واكثرهم لا يعقلون وقد تكلمنا على هذا
كله مبسوطا وبينا اختلاف السلف في تفسير ذلك فمن اراده فلياخذه من ثم ولله
الحمد والمنة وقال تعالى ويجعلون لما لا يعلمون نصيبا مما رزقناهم تالله لتسالن عما
كنتم تفترون وقال تعالى وجعلوا لله مما ذرا من الحرث والانعام نصيبا فقالوا هذا
لله بزعمهم وهذا لشركائنا فما كان لشركائهم فلا يصل الى الله وما كان لله فهو يصل الى
شركائهم ساء ما يحكمون وكذلك زين لكثير من المشركين قتل اولادهم شركاؤهم ليردوهم
وليلبسوا عليهم دينهم ولو شاء الله ما فعلوه فذرهم وما يفترون وقالوا هذه انعام
وحرث حجر لا يطعمها الا من نشاء بزعمهم وانعام حرمت ظهورها وانعام لا يذكرون اسم
الله عليها افتراء عليه سيجزيهم بما كانوا يفترون وقالوا ما في بطون هذه الانعام
خالصة لذكورنا ومحرم على ازواجنا وان يكن ميتة فهم فيه شركاء سيجزيهم وصفهم
انه حكيم عليم قد خسر الذين قتلوا اولادهم سفها بغير علم وحرموا ما رزقهم الله
افتراء على الله قد ضلوا وما كانوا مهتدين وقال البخاري في صحيحه باب جهل العرب
حدثنا ابو النعمان ثنا ابو عوانة عن ابي بشر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال
اذا سرك ان تعلم جهل العرب فاقرا ما فوق الثلاثين والمائة في سورة الانعام
قد خسر الذين قتلوا اولادهم سفها بغير علم وحرموا ما رزقهم الله افتراء على الله قد ضلوا
وما كانوا مهتدين وقد ذكرنا تفسير هذه الاية وما كانوا ابتدعوه من الشرائع الباطلة
الفاسدة التي ظنها كبيرهم عمرو بن لحي قبحه الله مصلحة ورحمة بالدواب والبهائم
وهو كاذب مفتر في ذلك ومع هذا الجهل والضلال اتبعه هؤلاء الجهلة الطغام فيه

بل قد تابعوه فيما هو أظهر من ذلك وأعظم بكثير وهو عبادة الأوثان مع الله عز وجل وبدلوا
ما كان الله بعث به إبراهيم خليله من الدين القويم والصراط المستقيم من توحيد عبادة
الله وحده لا شريك له وتحريم الشرك وغيروا شعائر الحج ومعالم الدين بغير علم ولا برهان
ولا دليل صحيح ولا ضعيف واتبعوا في ذلك من كان قبلهم من الأمم المشركين وشابهوا قوم
نوح وكانوا أول من أشرك بالله وعبد الأصنام ولهذا بعث الله إليهم نوحا وكان أول رسول
بعث ينهى عن عبادة الأصنام كما تقدم بيانه في قصة نوح وقالوا لا تذرن آلهتكم ولا تذرن
ودا ولا سواعا ولا يغوث ويعوق ونسرا وقد أضلوا كثيرا الآية قال ابن عباس كان هؤلاء
قوما صالحين في قوم نوح فلما ماتوا عكفوا على قبورهم فلما طال عليهم الأمد عبدوهم وقد
بينا كيفية ما كان من أمرهم في عبادتهم بما أغنى عن إعادته هاهنا قال ابن إسحاق وغيره
ثم صارت هذه الأصنام في العرب بعد تبديلهم دين إسماعيل فكان ود لبني كلب بن مرة
بن تغلب بن حلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة كان منصوبا بدومة الجندل وكان سواع
لبني هذيل بن مدركة بن إلياس بن مضر كان منصوبا بمكان يقال له رهاط وكان يغوث لبني
أنعم من طيء ولأهل جرش من مذحج وكان منصوبا بجرش وكان يعوق منصوبا بأرض همدان
من اليمن لبني خيوان بطن من همدان وكان نسر منصوبا بأرض حمير لقبيلة يقال لها
ذو الكلاع قال ابن إسحاق وكان لخولان بأرضهم صنم يقال له عم أنس يقسمون له من أنعامهم
وحروثهم قسما بينه وبين الله فيما يزعمون فما دخل في حق عم أنس من حق الله الذي قسموه له
تركوه له وما دخل في حق الله من حق عم أنس ردوه عليه وفيهم نزل الله وجعلوا لله مما ذرأ
من الحرث والأنعام نصيبا قال وكان لبني ملكان بن كنانة بن خزيمة بن مدركة صنم يقال
له سعد صخرة بفلاة من أرضهم طويلة فأقبل رجل منهم بإبل له ليقفها عليه التماس بركته
فيما يزعم فلما رأته الإبل وكانت مرعية لا تركب وكان الصنم يهراق عليه الدماء نفرت منه
فذهبت في كل وجه وغضب ربها فأخذ حجرا فرماه به ثم قال لا بارك الله فيك نفرت علي
إبلي ثم خرج في طلبها فلما اجتمعت له قال

أتينا إلى سعد ليجمع شملنا ... فشتتنا سعد فلا نحن من سعد
وهل سعد إلا صخرة بتنوفة ... من الأرض لا يهدي لغي ولا رشد

قال ابن إسحاق وكان في دوس صنم لعمرو بن حممة الدوسي قال وكانت قريش قد اتخذت
صنما على بئر في جوف الكعبة يقال له هبل وقد تقدم فيما ذكره ابن هشام أنه أول صنم
نصبه عمرو بن لحي لعنه الله قال ابن إسحاق واتخذوا إسافا ونائلة على موضع زمزم ينحرون
عندهما ثم ذكر أنهما كانا رجلا وامرأة فوقع عليها في الكعبة فمسخهما الله حجرين ثم قال
حدثني عبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم عن عمرة أنها سمعت عائشة تقول ما زلنا
نسمع أن إسافا ونائلة كانا رجلا وامرأة من جرهم أحدثا في الكعبة فمسخهما الله عز وجل حجرين
والله أعلم وقد قيل إن الله لم يمهلهما حتى فجرا فيها بل مسخهما قبل ذلك فعند ذلك نصبا
عند الصفا والمروة فلما كان عمرو بن لحي نقلهما فوضعهما على زمزم وطاف الناس بهما
وفي ذلك يقول أبو طالب

وحيث ينيخ الأشعرون ركابهم ... بمفضى السيول من إساف ونائل

وقد ذكر الواقدي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما أمر بكسر نائلة يوم الفتح خرجت منها

سوداء شمطاء تخمش وجهها وتدعو بالويل والثبور وقد ذكر السهيلي أن أجأ وسلمى وهما جبلان بأرض
الحجاز إنما سميا باسم رجل اسمه أجأ بن عبد الحي فجر بسلمى بنت حام فصلبا على هذين الجبلين
فعرفا بهما قال وكان بين أجأ وسلمى صنم لطيء يقال له فلس قال ابن إسحاق واتخذ أهل كل دار
في دارهم صنما يعبدونه فإذا أراد الرجل منهم سفرا يتمسح به حين يركب فكان ذلك آخر ما يصنع
حين يتوجه إلى سفره فإذا قدم من سفره تمسح به فكان أول ما يبدأ به قبل أن يدخل على أهله قال
فلما بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم بالتوحيد قالت قريش أجعل الآلهة إلها واحدا إن
هذا لشيء عجاب قال ابن إسحاق وقد كانت العرب اتخذت مع الكعبة طواغيت وهي بيوت تعظمها
كتعظيم الكعبة لها سدنة وحجاب ويهدى لها كما يهدى للكعبة وتطوف بها كطوافها بها وتنحر
عندها كما تنحر عندها وهي تعرف فضل الكعبة عليها لأنها بناء إبراهيم الخليل عليه السلام
ومسجده فكانت لقريش وبني كنانة العزى بنخلة وكان سدنتها وحجابها بني شيبان من سليم
حلفاء بني هاشم وقد خربها خالد بن الوليد زمن الفتح كما سيأتي قال وكانت اللات لثقيف
بالطائف وكان سدنتها وحجابها بني معتب من ثقيف وخربها أبو سفيان والمغيرة بن شعبة
بعد مجيء أهل الطائف كما سيأتي قال وكانت مناة للأوس والخزرج ومن دان بدينهم من أهل
المدينة على ساحل البحر من ناحية المشلل بقديد وقد خربها أبو سفيان أيضا وقيل علي بن أبي طالب
كما سيأتي قال وكان ذو الخلصة لدوس وخثعم وبجيلة ومن كان ببلادهم من العرب بتبالة
وكان يقال له الكعبة اليمانية ولبيت مكة الكعبة الشامية وقد خربه جرير بن عبد الله
البجلي كما سيأتي قال وكان فلس لطيء ومن يليها بجبلي أجأ وسلمى وهما جبلان مشهوران كما تقدم قال
وكان رئام بيتا لحمير وأهل اليمن كما تقدم ذكره في قصة تبع أحد ملوك حمير وقصة الحبرين
حين خرباه وقتلا منه كلبا أسود قال وكانت رضاء بيتا لبني ربيعة بن كعب بن سعد بن زيد
بن تميم ولها يقول المستوغر واسمه كعب بن ربيعة بن كعب

ولقد شددت على رضاء شدة ... فتركتها قفرا بقاع أسحما
وأعان عبد الله في مكروهها ... وبمثل عبد الله أغشى المحرما

ويقال إن المستوغر هذا عاش ثلثمائة سنة وثلاثين سنة وكان أطول مضر كلها عمرا وهو
الذي يقول

ولقد سئمت من الحياة وطولها ... وعمرت من عدد السنين مئينا
مائة حدتها بعدها مائتان لي ... وازددت من عدد الشهور سنينا
هل ما بقي إلا كما قد فاتنا ... يوم يمر وليلة تحدونا

قال ابن هشام ويروى لزهير بن جناب بن هبل قال السهيلي ومن المعمرين الذين جاوزوا المائتين
والثلثمائة زهير هذا وعبيد بن شرية ودغفل بن حنظلة النسابة والربيع بن ضبع الفزاري
وذو الإصبع العدواني ونصر بن دهمان بن أشجع بن ريث من غطفان وكان قد اسود شعره
بعد ابيضاضه وتقوم ظهره بعد اعوجاجه قال وكان ذو الكعبات لبكر وتغلب ابني وائل
وإياد بسنداد وله يقول أعشى بن قيس بن ثعلبة

بين الخورنق والسدير وبارق ... والبيت ذو الشرفات من سنداد

وأول هذه القصيدة

ولقد علمت وإن تطاول بي المدى ... أن السبيل سبيل ذي الأعواد

ماذا أؤمل بعد آل محرق • تركوا منازلهم وبعد اياد
نزلوا بانقرة يسيل عليهم • ماء الفرات يجيء من اطواد
ارض الخورنق والسدير وبارق • والبيت ذي الشرفات من سنداد
جرت الرياح على محل ديارهم • فكأنما كانوا على ميعاد
وارى النعيم وكل ما يلهى به • يوما يصير الى بلى ونفاد

قال السهيلي الخورنق قصر بناه النعمان الاكبر لسابور ليكون ولده فيه عنده وبناه رجل يقال له سنمار في عشرين سنة ولم ير بناء اعجب منه فخشي النعمان ان يبني لغيره مثله فالقاه من اعلاه فقتله ففي ذلك يقول الشاعر

جزاني جزاه الله شر جزائه • جزاء سنمار وما كان ذا ذنب
سوى رصفه البنيان عشرين حجة • يعل عليه بالقراميد والسكب
فلما انتهى البنيان يوما تمامه • وآض كمثل الطود والباذخ الصعب
رمى بسنمار على حق راسه • وذاك لعمر الله من اعظم الخطب

قال السهيلي انشده الجاحظ في كتاب الحيوان والسنمار من اسماء القمر والمقصود ان هذه البيوت كلها هدمت لما جاء الاسلام جهز رسول الله صلى الله عليه وسلم الى كل بيت من هذه سرايا تخربه والى تلك الاصنام من كسرها حتى لم يبق للكعبة ما يضاهيها وعبد الله وحده لا شريك له كما سيأتي بيانه وتفصيله في مواضعه ان شاء الله وبه الثقة

خبر عدنان جد عرب الحجاز وهو الذي ينتهي اليه نسب النبي صلى الله عليه وسلم

لا خلاف ان عدنان من سلالة اسماعيل بن ابراهيم الخليل عليهما السلام واختلفوا في عدة الاباء بينه وبين اسماعيل على اقوال كثيرة فاكثرها قيل اربعون ابا وهو الموجود عند اهل الكتاب اخذوه من كتاب رخيا كاتب ارميا بن حلقيا على ما سنذكره وقيل بينهما ثلاثون وقيل عشرون وقيل خمسة عشر وقيل عشرة وقيل تسعة وقيل سبعة واقل ما قيل في ذلك اربعة لما رواه موسى بن يعقوب الزمعي عن عمته عن ام سلمة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال معد بن عدنان بن اد بن زند بن اليرى بن اعراق الثرى قالت ام سلمة فزند هو الهميسع ويرى هو نبت واعراق الثرى هو اسماعيل لانه ابن ابراهيم وابراهيم لم تاكله النار كما ان النار لا تاكل الثرى قال الدارقطني لا يعرف زند الا في هذا الحديث وزند بن الجون ابو دلامة الشاعر قال الحافظ ابو القسم السهيلي وغيره من الائمة مدة ما بين عدنان الى زمن اسماعيل اكثر من ان يكون بينهما اربعة ابا او عشرة او عشرون وذلك ان معد بن عدنان كان عمره زمن بخت نصر ثنتي عشرة سنة وقد ذكر ابو جعفر الطبري وغيره ان الله تعالى اوحى الى ارميا بن حلقيا ان اذهب الى بخت نصر فاعلمه اني قد سلطته على العرب وامر الله ارميا ان يحتمل معد بن عدنان على البراق كي لا يصيبه النقمة فاني مستخرج من صلبه نبيا كريما اختم به الرسل ففعل ارميا ذلك واحتمل معدا الى ارض الشام فنشا مع بني اسرائيل من بقي منهم بعد خراب بيت المقدس وتزوج هناك امراة اسمها معانة بنت جوشن من بني دب بن جرهم وكان برخيا كاتب ارميا قد كتب نسبه وكتابه عنده ليكون في خزانة ارميا ليحفظ نسب معد لذلك والله اعلم ولهذا كره مالك رح رفع النسب الى ما بعد عدنان

قال السهيلي وانما تكلمنا في رفع هذه الانساب على مذهب من يرى ذلك ولم يكرهه كابن اسحاق والبخاري والزبير بن بكار والطبري وغيرهم من العلماء واما مالك رح فقد سئل عن الرجل يرفع نسبه الى ادم فكره ذلك وقال من اين له علم ذلك فقيل له فالى اسماعيل فانكر ذلك ايضا وقال ومن يخبره به وكره ايضا ان يرفع في نسب الانبياء مثل ان يقال ابراهيم بن فلان بن فلان هكذا ذكره المعيطي في كتابه قال وقول مالك في هذا نحو ما روي عن ابن عباس انه قال بين عدنان واسماعيل ثلاثون ابا لا يعرفون وروي عن ابن عباس ايضا انه كان اذا بلغ عدنان يقول كذب النسابون مرتين او ثلاثا والاصح عن ابن مسعود مثله وقال عمر بن الخطاب انما ننتسب الى عدنان وقال ابو عمر بن عبد البر في كتابه الانباه في معرفة قبائل الرواة وروى ابن لهيعة عن ابي الاسود انه سمع عروة بن الزبير يقول ما وجدنا احدا يعرف ما وراء عدنان ولا ما وراء قحطان الا تخرصا وقال ابو الاسود سمعت ابا بكر بن سليمان بن ابي حثمة وكان من اعلم قريش باشعارهم وانسابهم يقول ما وجدنا احدا يعرف ما وراء معد بن عدنان في شعر شاعر ولا علم عالم قال ابو عمر وكان قوم من السلف منهم عبد الله بن مسعود وعمرو بن ميمون الازدي ومحمد بن كعب القرظي اذا تلوا والذين من بعدهم لا يعلمهم الا الله قالوا كذب النسابون قال ابو عمر رح والمعنى عندنا في هذا غير ما ذهبوا اليه والمراد من ادعى احصاء بني ادم فانهم لا يعلمهم الا الله الذي خلقهم واما انساب العرب فان اهل العلم بايامها وانسابها قد وعوا وحفظوا جماهيرها وامهات قبائلها واختلفوا في بعض فروع ذلك قال ابو عمر والذي عليه ائمة هذا الشان في نسب عدنان قالوا عدنان بن اد بن مقوم بن ناحور بن تيرح بن يعرب بن يشجب بن نابت بن اسماعيل بن ابراهيم الخليل عليهما السلام وهكذا ذكره محمد بن اسحاق بن يسار في السيرة قال ابن هشام ويقال عدنان بن اد يعني عدنان بن اد بن ادد ثم ساق ابو عمر بقية النسب الى ادم كما قدمنا في قصة الخليل عليه السلام واما الانساب الى عدنان من سائر قبائل العرب فمحفوظة شهيرة جدا لا يتمارى فيها اثنان والنسب النبوي اليها اظهر واوضح من فلق الصبح وقد ورد حديث مرفوع بالنص عليه كما سنورده في موضعه بعد الكلام على قبائل العرب وذكر انسابها وانتظامها في سلك النسب الشريف والاصل المنيف ان شاء الله وبه الثقة وعليه التكلان ولا حول ولا قوة الا بالله العزيز الحكيم وما احسن ما انتظم النسب النبوي الامام ابو العباس عبد الله بن محمد الناشئ في قصيدته المشهورة المنسوبة اليه وهي قوله

مدحت رسول الله ابغي بمدحه • وفور حظوظي من كريم المآرب
مدحت امرا فاق المديح موحدا • باوصافه عن مبعد ومقارب
نبيا تسامى في المشارق نوره • فلاحت هواديه لاهل المغارب
اتتنا به الانباء قبل مجيئه • وشاعت به الاخبار في كل جانب
واصبحت الكهان تهتف باسمه • وتنفي به رجم الظنون الكواذب
وانطقت الاصنام نطقا تبرات • الى الله فيه من مقال الاكاذب
وقالت لاهل الكفر قولا مبينا • اتاكم نبي من لؤي بن غالب
ورام استراق السمع جن فزيلت • مقاعدهم منها رجوم الكواكب
هدانا الى ما لم نكن نهتدي به • لطول العمى من واضحات المذاهب

قصيدة الناشي في النسب النبوي

وجاد بآيات تبين أنها ... دلائل جبار مثيب معاقب
فمنها انشقاق البدر حين تعممت ... شعوب الضيا منه رءوس الأخاشب
ومنها نبوع الماء بين بنانه ... وقد عدم الرواد قرب المشارب
فروى به جما غفيرا وأسهلت ... بأعناقه طوعا أكف المذانب
وبير طغت بالماء من مس سهمه ... ومن قبل لم تسمح بمذقة شارب
وضرع مراه فاستدر ولم يكن ... به درة تصغي إلى كف حالب
ونطق فصيح من ذراع مبينة ... لكيد عدو للعداوة ناصب
وإخباره بالأمر من قبل كونه ... وعند بواديه بما في العواقب
ومن تلكم الآيات وحي أتى به ... قريب المآتي مستجم العجائب
تقاصرت الأفكار عنه فلم يطع ... بليغا ولم يخطر على قلب خاطب
حوى كل علم واحتوى كل حكمة ... وفات مرام المستمر المواظب
أتانا به لا عن روية مرتئ ... ولا صحف مستمل ولا وصف كاتب
يواتيه طورا في إجابة سائل ... وإفتاء مستفت ووعظ مخاطب
وإتيان برهان وفرض شرائع ... وقص أحاديث ونص مآرب
وتصريف أمثال وتثبيت حجة ... وتعريف ذي جحد وتوقيف كاذب
وفي مجمع النادي وفي حومة الوغى ... وعند حدوث المعضلات الغرائب
فيأتي على ما شئت من طرقاته ... قويم المعاني مستدر الضرائب
يصدق منه البعض بعضا كأنما ... يلاحظ معناه بعين المراقب
وعجز الورى عن أن يجيئوا بمثل ما ... وصفناه معلوم بطول التجارب
تأتى بعبد الله أكرم والد ... تبلج منه عن كريم المناسب
وشيبة ذي الحمد الذي فخرت به ... قريش على أهل العلى والمناصب
ومن كان يستسقى الغمام بوجهه ... ويصدر عن آرائه في النوائب
وهاشم الباني مشيد افتخاره ... بغر المساعي وامتنان المواهب
وعبد مناف وهو علم قومه ... اشتطاط الأماني واحتكام الرغائب
وإن قصيا من كريم غراسه ... لفي منهل لم يدن من كف قاضب
به جمع الله القبائل بعدما ... تقسمها نهب الأكف السوالب
وحل كلاب من ذرى المجد معقلا ... تقاصر عنه كل داع وراغب
ومرة لم يحلل مريرة عزمه ... سفاه سفيه أو محوبة حائب
وكعب علا عن طالب المجد كعبه ... فنال بأدنى السعي أعلى المراتب
وألوى لؤي بالعداة فطوعت ... له همم الشم الأنوف الأغالب
وفي غالب بأس أبا البأس دونهم ... يدافع عنهم كل قرن مغالب
وكانت لفهر في قريش خطابة ... يعوذ بها عند اشتجار المخاطب
وما زال منهم مالك خير مالك ... وأكرم مصحوب وأكرم صاحب
وللنضر طول يقصر الطرف دونه ... بحيث التقى ضوء النجوم الثواقب
لعمري لقد أبدى كنانة قبله ... محاسن تأبى أن تطوع لغالب

ومن بعده

ومن بعده أبقى خزيمة بعده ... تليد تراث عن حميد الأقارب
ومدركة لم يدرك الناس مثله ... أعف وأعلى عن دني المكاسب
وإلياس كان الياس منه مقارنا ... لأعدائه قبل اعتداد الكتائب
وفي مضر يستجمع الفخر كله ... إذا اعتركت يوما زحوف المقانب
وحل نزار من رياسة قومه ... محلا تسامى عن عيون الرواقب
وكان معد عدة لوليه ... إذا خاف من كيد العدو المحارب
وما زال عدنان إذا عد فضله ... توحد فيه عن قرين وصاحب
وأد تأدى الفضل منه بغاية ... وإرث حواه عن قروم أشايب
وفي أدد حلم تزين بالحجى ... إذا الحلم أزهاه قطوب الحواجب
وما زال يستعلي هميسع بالعلى ... ويتبع آمال البعيد المراغب
ونبت منه دوحة العز وابتنى ... معاقله في مشمخر الأهاضب
وحيزت لقيدار سماحة حاتم ... وحكمة لقمان وهمة حاجب
هم نسل إسماعيل صادق وعده ... فما بعده في الفخر مسعى لذاهب
وكان خليل الله أكرم من عنت ... له الأرض من ماش عليها وراكب
وتارح ما زالت له أريحية ... تبين منه عن حميد الضرائب
وناحور نحار العدى حفظت له ... مآثر لما يحصها عد حاسب
وأشرع في الهيجاء ضيغم غابة ... يقد الطلى بالمرهفات القواضب
وأرغو نباب في الحروب بحكم ... ضنين على نفس المشيح المغالب
وما فالغ في فضله تلو قومه ... ولا عابر من دونهم في المراتب
وشالخ وأرفخشذ وسام سمت به ... سجايا حمتهم كل زار وعائب
وما زال نوح عند ذي العرش فاضلا ... يعدده في المصطفين الأطايب
ولمك أبوه كان في الروع رائعا ... جريئا على نفس الكمي المضارب
ومن قبل لمك لم يزل متوشلخ ... يذود العدى بالذائدات الشوازب
وكانت لإدريس النبي منازل ... من الله لم تقرن بهمة راغب
ويارد بحر عند آل سراته ... أبي الخزايا مستدق المآرب
وكانت لمهلاييل فيهم فضائل ... مهذبة من فاحشات المثالب
وقينان من قبل اقتنى مجد قومه ... وفات بشأو الفضل خطو الركائب
وكان أنوش ناش للمجد نفسه ... ونزهها عن مرديات المطالب
وما زال شيث بالفضائل فاضلا ... شريفا بريئا من ذميم المعائب
وكلهم من نور آدم اقتبسوا ... وعن عوده اجتنوا ثمار المناقب
وكان رسول الله أكرم منجب ... جرى في ظهور الطيبين المناجب
مقابلة آباؤه أمهاته ... مبرأة من فاضحات المثالب
عليه سلام الله في كل شارق ... ألاح لنا ضوءا وفي كل غارب

هكذا أورد القصيدة الشيخ أبو عمر بن عبد البر وشيخنا الحافظ أبو الحجاج المزي في تهذيبه من شعر الأستاذ أبي العباس عبد الله بن محمد الناشي المعروف بابن شرشير أصله من الأنبار

ورد بغداد ثم ارتحل إلى مصر فأقام بها حتى مات سنة ثلاث وتسعين وما بين بين
وكان متكلما معتزليا يحكي عنه الشيخ أبو الحسن الأشعري في كتابه المقالات فيما يحكي عن
المعتزلة وكان شاعرا مطيقا حتى إن من جملة اقتداره على الشعر كان يهاكل الشعراء
في المعاني فينظم في مثل قصائدهم ويبتكر ما لا يطيقونه من المعاني البديعة والألفاظ البليغة
حتى نسبه بعضهم إلى التهوس والاختلاط وذكر الخطيب البغدادي أن له قصيدة على قافية
واحدة قريبا من أربعة آلاف بيت ذكرها الناجم وأرخ وفاته كما ذكرنا **قلت**
وهذه القصيدة تدل على فضيلته وبراعته وفصاحته وبلاغته وعلمه وفهمه وحفظه
وحسن لفظه واطلاعه واضطلاعه واقتداره على نظم هذا النسب الشريف في سلك
شعره وغوصه على هذه المعاني التي هي جواهر نفيسة من قاموس بحره فرحمه الله وأثابه
وأحسن مصيره وإيابه

ذكر أصول أنساب قبائل عرب الحجاز

إلى عدنان وذلك لأن عدنان ولد له ولدان معد وعك قال السهيلي وللحرث والمذهب
قال ويقال إن الضحاك بن معد بن عدنان قال وقد قيل إن عدن وأبين اللذين باليمن
اللذين تنتسب إليهما هاتان المدينتان كانا ابنين لعدنان حكاه الطبري فتزوج
عك في الأشعريين وسكن في بلادهم من اليمن فصارت لغتهم واحدة فزعم بعض أهل
اليمن أنهم منهم فيقولون عك بن عدنان بن عبد الله بن الأزد بن يغوث ويقال عك بن
عدنان بن الذيب بن عبد الله بن الأسد ويقال الريث بدل الذيب والصحيح ما ذكرنا
من أنهم من عدنان قال عباس بن مرداس وعك بن عدنان الذين تلعبوا بغسان
حتى طردوا كل مطرد وأما معد فولد له أربعة نزار وقضاعة وقنص وإياد وكان قضاعة
بكره وبه كان يكنى وقد قدمنا الخلاف في قضاعة ولكن هذا هو الصحيح عند ابن إسحاق
وغيره والله أعلم وأما قنص فيقال إنهم هلكوا ولم يبق لهم بقية إلا أن النعمان بن
المنذر الذي كان نائبا لكسرى على الحيرة كان من سلالته على قول طائفة من السلف وقيل
بل كان من حمير كما تقدم والله أعلم وأما نزار فولد له ربيعة ومضر وأنمار قال ابن هشام
وإياد بن نزار كما قال الشاعر

وفتو حسن أوجههم … من إياد بن نزار بن معد

قال وإياد ومضر شقيقان أمهما سودة بنت عك بن عدنان وربيعة وأنمار شقيقان
أمهما شقيقة ويقال جمعة بنت عك بن عدنان قال ابن إسحاق فأما أنمار فهو والد
خثعم وبجيلة قبيلة جرير بن عبد الله البجلي قال وقد تيامنت فلحقت باليمن
قال ابن هشام وأهل اليمن يقولون أنمار بن إراش بن لحيان بن عمرو بن الغوث بن
نبت بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ **قلت** والحديث المتقدم في ذكر سبأ
يدل على هذا والله أعلم قالوا وكان مضر أول من حدا وذلك لأنه كان حسن الصوت فسقط
يوما عن بعيره فوثبت يده فجعل يقول وا يداه وا يداه فأعنقت الإبل لذلك قال
ابن إسحاق فولد مضر بن نزار رجلين إلياس وعيلان وولد إلياس مدركة وطابخة
وقمعة وأمهم خندف بنت عمران بن الحاف بن قضاعة قال ابن إسحاق وكان اسم مدركة
عامرا واسم طابخة عمرا ولكن اصطادا صيدا فبينما هما يطبخانه إذ نفرت الإبل فذهب
عامر في طلبها حتى أدركها وجلس الآخر يطبخ فلما راحا على أبيهما ذكرا له ذلك فقال

لعامر

لعامر أنت مدركة وقال لعمرو أنت طابخة قال وأما قمعة فيزعم نساب مضر أن خزاعة
من ولد عمرو بن لحي بن قمعة بن إلياس **قلت** والأظهر أنهم منهم لا والدهم
وأنهم من حمير كما تقدم والله أعلم قال ابن إسحاق فولد مدركة خزيمة وهذيل وأمهما
امرأة من قضاعة وولد خزيمة كنانة وأسدا وأسدة والهون زاد أبو جعفر الطبري
في أبناء كنانة على هؤلاء الأربعة عامرا والحرث والنضير وغنما وسعدا وعوفا وجرولا والحدال
وغزوان قال وولد كنانة النضر ومالكا وعبد مناة وملكان

الكلام على قريش نسبا واشتقاقا وفضلا وهم بنو النضر بن كنانة

قال ابن إسحاق وأم النضر برة بنت مر بن أد بن طابخة وسائر بنيه لامرأة أخرى وخالفه
ابن هشام فجعل برة بنت مر أم النضر ومالك وملكان وأم عبد مناة هالة بنت سويد
بن الغطريف بن أزد شنوءة قال ابن هشام النضر هو قريش فمن كان من ولده فهو قرشي
ومن لم يكن من ولده فليس بقرشي قال ويقال فهر بن مالك هو قريش فمن كان من ولده فهو
قرشي ومن لم يكن من ولده فليس بقرشي وهذان القولان قد حكاهما غير واحد من أئمة علم
النسب كالشيخ أبي عمر بن عبد البر والزبير بن بكار ومصعب وغير واحد قال أبو عبيد
وابن عبد البر والذي عليه الأكثرون أنه النضر بن كنانة لحديث الأشعث بن قيس **قلت**
وهو الذي نص عليه هشام بن محمد السائب الكلبي وأبو عبيدة معمر بن المثنى وهو جادة مذهب
الشافعي ثم اختار أبو عمر أنه فهر بن مالك واحتج بأنه ليس أحد اليوم ممن ينتسب إلى قريش
إلا وهو يرجع في نسبه إلى فهر بن مالك ثم حكى اختيار هذا القول عن الزبير بن بكار ومصعب
الزبيري وعلي بن كيسان قال وإليهم المرجع في هذا الشأن وقد قال الزبير بن بكار وقد
اجتمع نساب قريش وغيرهم أن قريشا إنما تفرقت عن فهر بن مالك والذي عليه من أدركت
من نساب قريش أن ولد فهر بن مالك قرشي وأن من جاوز فهر بن مالك بنسبه فليس من
قريش ثم نصر هذا القول نصرا عزيزا وتحامى له وبحق وهو ذلك بأنهم أعلم بأنساب قومهم وأحفظ لمآثرهم
وقد روى البخاري من حديث كليب بن وائل قال قلت لربيبة النبي صلى الله عليه وسلم
يعني زينب في حديث ذكره أخبريني عن النبي صلى الله عليه وسلم ممن كان من مضر قالت ممن كان
إلا من مضر كان من بني النضر بن كنانة وقال الطبراني ثنا إبراهيم بن نائلة الأصبهاني ثنا
إسماعيل بن عمرو البجلي ثنا الحسن بن صالح عن أبيه عن الجشيش الكندي قال جاء قوم من كندة
إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا أنت منا وادعوه فقال لا نقفو أمنا ولا ننتفي من
أبينا نحن ولد النضر بن كنانة وقال الإمام أبو عثمان سعيد بن يحيى بن سعيد حدثنا
أبي ثنا الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس قال جاء رجل من كندة يقال له الجشيش إلى النبي
صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله إنا نزعم أن عبد مناف منا فأعرض عنه ثم عاد فقال
مثل ذلك ثم أعرض عنه ثم عاد فقال مثل ذلك فقال النبي صلى الله عليه وسلم نحن بنو النضر
بن كنانة لا نقفو أمنا ولا ننتفي من أبينا فقال الأشعث ألا كنت سكت في المرة الأولى
فأبطل ذلك من قولهم على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم وهذا غريب أيضا من هذا الوجه والكلبي
ضعيف والله أعلم وقد قال الإمام أحمد ثنا بهز وعفان قالا ثنا حماد بن سلمة قال حدثني
عقيل بن أبي طلحة وقال عفان عقيل بن طلحة السلمي عن مسلم بن الهيصم عن الأشعث بن
قيس أنه قال أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في وفد كندة قال عفان لا يروني

انفسهم قال فقلت يا رسول الله انا نزعم انكم منا قال فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم نحن بنو النضر بن كنانة لا نقفوا امنا ولا ننتفي من ابينا قال فقال الاشعث بن قيس والله لا اسمع احدا نفى قريشا من النضر بن كنانة الا جلدته الحد وهكذا رواه ابن ماجة من طرق عن حماد بن سلمة به وهذا اسناد جيد قوي وهو فيصل في هذه المسئلة فلا التفات الى قول من خالفه ولله الحمد والمنة وقد قال جرير بن عطية التيمي يمدح هشام بن عبد الملك بن مروان

فما الام التي ولدت قريشا • بمقرفة النجار ولا عقيم •
وما قرم بانجب من ابيكم • ولا خال باكرم من تميم •

قال ابن هشام يعني ام النضر بن كنانة وهي برة بنت مر اخت تميم بن مر واما اشتقاق قريش فقيل من التقرش وهو التجمع بعد التفرق وذلك في زمن قصي بن كلاب فانهم كانوا متفرقين فجمعهم بالحرم كما سياتي بيانه وقد قال حذافة بن غانم العدوي

ابوكم قصي كان يدعى مجمعا • به جمع الله القبائل من فهر •

وقال بعضهم كان قصي يقال له قريش وقيل من التجمع والتقرش التجمع كما قال ابو خلدة اليشكري

اخوة قرشوا الذنوب علينا • في حديث من دهرنا وقديم •

وقيل سميت قريش من التقرش وهو التكسب والتجارة حكاه ابن هشام رحمه الله وقال الجوهري القرش الكسب والجمع وقد قرش يقرش قال الفراء وبه سميت قريش وهي قبيلة وابوهم النضر بن كنانة فكل ما كان من ولده فهو قرشي دون من كان من كنانة فما دونه وقيل من التفتيش قال هشام بن الكلبي كان النضر بن كنانة يسمى قريشا لانه كان يقرش عن خلة الناس وحاجتهم فيسدها بماله والتقرش هو التفتيش وكان بنوه يقرشون اهل الموسم عن الحاجة فيرفدونهم بما يبلغهم بلادهم فسموا بذلك من فعلهم وقرشهم قريشا وقد قال الحرث بن حلزة في بيان ان التقرش التفتيش

ايها الناطق المقرش عنا • عند عمرو فهل له ابقاء •

حكى ذلك الزبير بن بكار وقيل قريش تصغير قرش وهو دابة في البحر قال بعض الشعرا

وقريش هي التي تسكن البحر • بها سميت قريش قريشا •

قال البيهقي انا ابو نصر بن قتادة انا ابو الحسن علي بن عيسى الماليني ثنا محمد بن الحسن بن الخليل النسوي ان ابا كريب حدثهم ثنا وكيع بن الجراح عن هشام بن عروة عن ابيه عن ابي ركانة العامري ان معوية قال لابن عباس فلم سميت قريش قريشا فقال لدابة تكون في البحر تكون اعظم دوابه فيقال لها القرش لا تمر بشيء من الغث والسمين الا اكلته قال فانشدني في ذلك شيئا فانشده شعر الجمحي اذ يقول

وقريش هي التي تسكن البحر • بها سميت قريش قريشا •
تاكل الغث والسمين ولا تترك فيه لذي الجناحين ريشا •
هكذا في البلاد حي قريش • ياكلون البلاد اكلا كميشا •
ولهم اخر الزمان نبي • يكثر القتل فيهم والخموشا •

وقيل سموا بقريش بن الحرث بن يخلد بن النضر بن كنانة وكان دليل بني النضر وصاحب ميرتهم

فكانت

فكانت العرب تقول قد جاءت عير قريش قالوا وابنه بدر بن قريش هو الذي حفر البير المنسوبة اليه التي كانت عندها الوقعة العظمى يوم الفرقان يوم التقى الجمعان والله اعلم ويقال في النسبة الى قريش قرشي وقريشي قال الجوهري وهو القياس قال الشاعر • بكل قريشي عليه مهابة • قال فان اردت بقريش الحي صرفته وان اردت به القبيلة لم تصرفه قال الشاعر في ترك الصرف • وكفى قريش المعضلات وسادها • وقد روى مسلم في صحيحه من حديث ابي عمرو الاوزاعي قال حدثني شداد ابو عمار حدثني واثلة بن الاسقع قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله اصطفى كنانة من ولد اسماعيل واصطفى قريشا من كنانة واصطفى هاشما من قريش واصطفاني من بني هاشم قال ابو عمر بن عبد البر يقال بنو عبد المطلب فصيلة رسول الله صلى الله عليه وسلم وبنو هاشم فخذه وبنو عبد مناف بطنه وقريش عمارته وبنو كنانة قبيلته ومضر شعبه صلوات الله وسلامه عليه دائما الى يوم الدين ثم قال ابن اسحاق فولد النضر بن كنانة مالكا ومخلدا قال ابن هشام والصلت وامهم جميعا بنت سعد بن الظرب العدواني قال كثير بن عبد الرحمن وهو كثير عزة احد بني مليح بن عمرو من خزاعة

اليس ابي بالصلت ام ليس اخوتي • لكل هجان من بني النضر ازهرا •
وانت ثياب العصب مختلط السدى • بنا وبهم والحضرمي المخصرا •
فان لم تكونوا من بني النضر فاتركوا • اراكا باذناب الفوايج اخضرا •

قال ابن هشام وبنو مليح بن عمرو يعزون الى الصلت بن النضر قال ابن اسحاق فولد مالك بن النضر فهر بن مالك وامه جندلة بنت الحرث بن مضاض الاصغر وولد فهر غالبا ومحاربا والحرث واسدا وامهم ليلى بنت سعد بن هذيل بن مدركة قال ابن هشام واختهم لابويهم جندلة بنت فهر قال ابن اسحاق فولد غالب بن فهر لوي بن غالب وتيم بن غالب وهم الذين يقال لهم بنو الادرم وامهما سلمى بنت عمرو الخزاعي قال ابن هشام وقيس بن غالب وامه سلمى بنت كعب بن عمرو الخزاعي وهي ام لوي وهم جشم بن الحرث في هزان وسعد بن لوي وهم بنانة في شيبان بن ثعلبة وبنانة حاضنة لهم وخزيمة بن لوي وهم عائذة في شيبان بن ثعلبة ثم ذكر ابن اسحاق خبر سامة بن لوي وانه خرج الى عمان فكان بها وذلك لشنان كان بينه وبين اخيه عامر فاخافه عامر فخرج عنه هاربا الى عمان وانه مات بها غريبا وذلك انه كان يرعى ناقته فعلقت حية بمشفرها فوقعت لشقها ثم نهشت الحية سامة حتى قتلته فيقال انه كتب باصبعه على الارض

عين فابكي لسامة بن لوي • علقت ما بسامة العلاقه •
لا ارى مثل سامة بن لوي • يوم حلوا به قتيلا لناقه •
بلغا عامرا وسعدا رسولا • ان نفسي اليهما مشتاقه •
ان تكن في عمان داري فاني • غالبي خرجت من غير فاقه •
رب كاس هرقت يا ابن لوي • حذر الموت لم تكن مهراقه •
رمت دفع الحتوف يا ابن لوي • ما لمن رام ذاك بالحتف طاقه •
وخروس السرى تركت رذيا • بعد جد وجدة ورشاقه •

قال ابن هشام وبلغني ان بعض ولده اتى رسول الله فانتسب الى سامة بن لوي

فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم الشاعر فقال له بعض اصحابه كانك يا رسول الله اردت قوله

رب كاس هرقت يا ابن لؤي • حذر الموت لم تكن مهراقه

قال اجل وذكر السهيلي عن بعضهم انه لم يعقب وقال الزبير ولد سامة بن لؤي غالبا والنبيت والحرث قالوا وكانت له ذرية بالعراق يبغضون عليا ومنهم علي بن الجعد كان يشتم اباه لكونه سماه عليا ومن بني سامة بن لؤي محمد بن عرعرة بن البرند شيخ البخاري قال ابن اسحاق واما عوف بن لؤي فانه خرج فيما يزعمون في ركب من قريش حتى اذا كان بارض غطفان بن سعد بن قيس بن عيلان ابطئ به فانطلق من كان معه من قومه فاتاه ثعلبة بن سعد وهو اخوه في نسب بني ذبيان فحبسه وزوجه والتاطه واخاه فشاع نسبه في ذبيان وثعلبة فيما يزعمون قال ابن اسحاق وحدثني محمد بن جعفر بن الزبير او محمد بن عبد الرحمن بن عبد الله بن الحصين ان عمر بن الخطاب قال لو كنت مدعيا حيا من العرب او ملحقهم بنا لادعيت بني مرة بن عوف انا لنعرف فيهم الاشباه مع ما نعرف من موقع ذلك الرجل حيث وقع يعني عوف بن لؤي قال ابن اسحاق وحدثني من لا اتهم ان عمر بن الخطاب قال لرجال منهم من بني مرة ان شئتم ان ترجعوا الى نسبكم فارجعوا اليه قال ابن اسحاق وكان القوم اشرافا في غطفان هم سادتهم وقادتهم قوم لهم صيت في غطفان وقيس كلها فاقاموا على نسبهم قال وكانوا يقولون اذا ذكر لهم نسبهم ما ننكره وما نجحده وانه لاحب النسب الينا ثم ذكر اشعارهم في انتمائهم الى لؤي قال ابن اسحاق وفيهم كان البسل وهو تحريم ثمانية اشهر من كل شهر وكانت العرب تعرف لهم ذلك ويامنونهم فيها ويؤمنونهم ايضا قلت وكانت ربيعة ومضر انما يحرمون اربعة اشهر من السنة وهي ذو القعدة وذو الحجة والمحرم واختلف ربيعة ومضر في الرابع وهو رجب فقالت مضر الذي بين جمادى وشعبان وقالت ربيعة هو الذي بين شعبان وشوال وقد ثبت في الصحيحين عن ابي بكرة ان رسول الله [صلى الله عليه وسلم] قال في خطبة حجة الوداع ان الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق السموات والارض السنة اثنا عشر شهرا منها اربعة حرم ثلاث متواليات ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب مضر الذي بين جمادى وشعبان فنص على ترجيح قول مضر لا ربيعة وقد قال الله تعالى ان عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا في كتاب الله يوم خلق السموات والارض منها اربعة حرم فهذا رد على بني عوف بن لؤي في جعلهم الاشهر الحرم ثمانية فزادوا على حكم الله وادخلوا فيه ما ليس منه وقوله في الحديث ثلاث متواليات رد على اهل النسيء الذين كانوا يؤخرون تحريم المحرم الى صفر وقوله فيه ورجب مضر رد على ربيعة قال ابن اسحاق فولد كعب بن لؤي ثلاثة مرة وهصيصا و [بياض] وولد مرة ثلاثة ايضا كلاب بن مرة وتيم بن مرة ويقظة بن مرة من امهات ثلاث قال وولد كلاب رجلين قصي بن كلاب وزهرة بن كلاب وامهما فاطمة بنت سعد بن سيل احد الجدرة من جعثمة الاسد من اليمن حلفاء بني الديل بن بكر بن عبد مناة بن كنانة وفي ابيها يقول الشاعر

ما نرى في الناس شخصا واحدا • من علمناه كسعد بن سيل

فارسا

فارسا اضبط فيه عسرة • واذا ما واقف القرن نزل
فارسا يستدرج الخيل كما • استدرج الحر القطامي الحجل

قال السهيلي سيل اسمه خير بن حمالة وهو اول من طلى السيوف بالذهب والفضة قال ابن اسحاق وانما سموا الجدرة لان عامر بن عمرو بن خزيمة بن جعثمة تزوج بنت الحرث بن مضاض وكانت جرهم اذ ذاك ولاة البيت فبنى للكعبة جدارا فسمي عامر بذلك الجادر فقيل لولده الجدرة لذلك

خبر قصي بن كلاب وما كان من امره في ارتجاعه ولاية البيت الى قريش وانتزاعه ذلك من خزاعة واجتماع قريش الى الحرم الذي جعله الله امنا للعباد بعد تفرقها في البلاد وتشرفها في الجبال والمهاد

وذلك انه لما مات ابوه كلاب تزوج امه ربيعة بن حرام من عذرة وخرج بها وبه الى بلاده ثم قدم قصي مكة وهو شاب فتزوج حبا ابنة رئيس خزاعة حليل بن حبشية فاما خزاعة فتزعم ان حليلا اوصى الى قصي بولاية البيت لما راى من كثرة نسله من ابنته وقال انت احق بذلك مني قال ابن اسحاق ولم نسمع ذلك الا منهم واما غيرهم فانهم يزعمون انه استعان باخوته من امه وكان رئيسهم رزاح بن ربيعة اخوه واخوته وبني كنانة وقضاعة ومن حول مكة من قريش وغيرهم فاجلاهم عن البيت واستقل هو بولاية البيت الا ان اجازة الحجيج كانت الى صوفة وهم بنو الغوث بن مر بن اد بن طابخة بن الياس بن مضر فكان الناس لا يرمون الجمار حتى يرموا ولا ينفرون من منى حتى ينفروا فلم يزل كذلك فيهم حتى انقرضوا فورثهم ذلك بالقعدد بنو سعد بن زيد مناة بن تميم فكان اولهم صفوان بن الحرث بن شجنة بن عطارد بن عوف بن كعب بن زيد مناة بن تميم وكان ذلك في بيته حتى قام على اخرهم الاسلام وهو كرب بن صفوان وكانت الاجازة من المزدلفة في عدوان حتى قام الاسلام على اخرهم وهو ابو سيارة عميلة بن الاعزل وقيل اسمه العاص بن خالد وكان يجيز بالناس على اتان له عوراء مكثت يدفع عليها اربعين سنة وهو اول من جعل الدية مائة واول من كان يقول اشرق ثبير كيما نغير حكاه السهيلي وكان عامر بن الظرب العدواني لا يكون بين العرب نائرة الا تحاكموا اليه فيرضون بما يقضي به فتحاكموا اليه مرة في ميراث خنثى فبات ليلته ساهرا يتروى ماذا يحكم به فراته جارية له كانت ترعى عليه اسمها سخيلة فقالت له ما لك لا ابا لك الليلة ساهرا فذكر لها ما هو مفكر فيه وقال لعله يكون عندها في ذلك شيء فقالت اتبع القضاء المبال فقال فرجتها والله يا سخيلة وحكم بذلك قال السهيلي وهذا الحكم بالامارات والعلامات له اصل في الشرع قال الله تعالى وجاؤا على قميصه بدم كذب حيث لا اثر لانياب الذئب فيه وقال تعالى ان كان قميصه قد من قبل فصدقت وهو من الكاذبين وان كان قميصه قد من دبر فكذبت وهو من الصادقين وفي الحديث انظروها فان جاءت به ابيض حاليا فهو للذي رميت به قال ابن اسحاق وكان النسيء في بني فقيم بن عدي بن عامر بن ثعلبة بن الحرث بن مالك بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر قال ابن اسحاق وكان اول من نسا الشهور على العرب القلمس وهو حذيفة بن عبد بن فقيم بن عدي ثم قام بعده ابنه عباد ثم قلع بن عباد ثم امية بن قلع ثم

عوف ابو ابيه ثم كان الحريم ابو ثمامة جنادة بن عوف بن قلع بن عباد بن حذيفة وهو
القلمس فعلى ابي ثمامة قام الاسلام وكانت العرب اذا فرغت من حجها اجتمعت
اليه فخطبهم فحرم الاشهر الحرم فاذا اراد ان يحل منها شيئا احل المحرم وجعل مكانه صفرا ليواطئوا
عدة ما حرم الله فيقول اللهم اني احللت احد الصفرين الصفر الاول وانسأت الاخر الى
العام المقبل فتتبعه العرب في ذلك ففي ذلك يقول شاعرهم عمير بن قيس احد بني فراس
بن غنم بن مالك بن كنانة ويعرف عمير بن قيس بجذل الطعان

لقد علمت معد ان لوى • كرام الناس ان لهم كراما
فاي الناس فاتونا بوتر • واي الناس لم نعلك لجاما
السنا الناسئين على معد • شهور الحل نجعلها حراما
وكان قصي في قومه سيدا • رئيسا مطاعا معظما

والمقصود انه جمع قريشا من متفرقات مواضعهم من جزيرة العرب واستعان بمن اطاعه
من احياء العرب على حرب خزاعة واجلائهم عن البيت الحرام وتسليمه الى قصي وكان بينهم
قتال كثير ودماء غزيرة ثم تداعوا الى التحكيم فتحاكموا الى يعمر بن عوف بن كعب بن عامر
بن ليث بن بكر بن عبد مناة بن كنانة فحكم بان قصيا اولى بالبيت من خزاعة وان كل
دم اصابه قصي من خزاعة وبني بكر موضوع يشدخه تحت قدميه وان ما اصابته خزاعة
وبنو بكر من قريش وكنانة وبني قضاعة ففي الدية مؤداة وان يخلى بين قصي وبين مكة
والكعبة فسمي يعمر يومئذ الشداخ قال ابن اسحاق فولي قصي البيت وامر مكة وجمع
قومه من منازلهم الى مكة وتملك على قومه واهل مكة فملكوه الا انه اقر للعرب على ما كانوا
عليه لانه يرى ذلك دينا في نفسه لا ينبغي تغييره فاقر آل صفوان وعدوان والنسأة
ومرة بن عوف على ما كانوا عليه حتى جاء الاسلام فهدم الله به ذلك كله قال فكان قصي اول
بني كعب اصاب ملكا اطاع له به قومه فكانت اليه الحجابة والسقاية والرفادة
والندوة واللواء فحاز شرف مكة كله وقطع مكة رباعا بين قومه وانزل كل قوم من مكة منازلهم
قلت فرجع الحق الى نصابه ورد شارد العدل بعد ابابه واستقرت بقريش
الدار وقضت من خزاعة المراد والاوطار وتسلمت بينهم العتيق القديم لكن بما احدثت
خزاعة من عبادة الاوثان ونصبها اياها حول الكعبة وتحريم لها وتقربهم عندها وا
واستنصارهم بها وطلبهم الرزق منها وانزل قصي قبائل قريش اباطح مكة وانزل طائفة
منهم ظواهرها فكان يقال قريش البطاح وقريش الظواهر وكانت لقصي بن كلاب
جميع الرياسة من حجابة البيت وسدانته واللواء وبنى دارا لازاحة الظلمات وفصل
الخصومات سماها دار الندوة اذا اعضلت قضية اجتمع الرؤساء من كل قبيلة فا
فاشتوروا فيها وفصلوها ولا يعقد عقد لواء ولا عقد نكاح الا بها ولا تبلغ جارية
ان تدرع فتدرع الا بها وكان باب هذه الدار الى المسجد الحرام ثم صارت هذه الدار
فيما بعد الى حكيم بن حزام بعد بني عبد الدار فباعها في زمن معاوية بمائة الف درهم
فلامه على بيعها معوية وقال بعت شرف معاوية فقال بمائة الف فقال ذهب الشرف
اليوم بالتقوى والله لقد ابتعتها في الجاهلية بزق خمر وها انا قد بعتها بمائة الف
واشهدكم ان ثمنها صدقة في سبيل الله فاينا المغبون ذكره الدارقطني في اسماء رجال

الموطا

الموطا وكانت اليه سقاية الحجيج فلا يشربون الا من ماء حياضه وكانت زمزم اذ كانت
مطموسة من زمن جرهم قد تناسوا امرها من تقادم عهدها ولا يهتدون الى موضعها
قال الواقدي وكان قصي اول من احدث وقيد النار بالمزدلفة ليهتدي اليها من يأتي
من عرفات والرفادة وهي اطعام الحجيج ايام الموسم الى ان يخرجوا راجعين الى بلادهم قال
ابن اسحاق وذلك ان قصيا فرضه عليهم فقال لهم يا معشر قريش انكم جيران الله واهل
مكة واهل الحرم وان الحاج ضيف الله وزوار بيته وهم احق بالضيافة فاجعلوا لهم
طعاما وشرابا ايام الحج حتى يصدروا عنكم ففعلوا فكانوا يخرجون لذلك في كل عام من
اموالهم خرجا فيدفعونه اليه فيصنعه طعاما للناس ايام منى فجرى ذلك من امره في الجاهلية
حتى قام الاسلام ثم جرى في الاسلام الى يومك هذا فهو الطعام الذي يصنعه السلطان كل
عام بمنى للناس حتى ينقضي الحج **قلت** ثم انقطع هذا بعد ابن اسحاق ثم امر باخراج
طائفة من بيت المال فيصرف في حمل زاد وماء لابناء السبيل القاصدين الى الحج وهذا صنيع
حسن من وجوه يطول ذكرها ولكن الواجب ان يكون ذلك من خالص بيت المال من احله
والاولى ان يكون من جوالي الذمة لانهم لا يحجون البيت العتيق وقد جاء في الحديث من استطاع
الحج فلم يحج فليمت ان شاء يهوديا او نصرانيا وقال قائلهم في مدح قصي وشرفه في قومه

قصي لعمري كان يدعى مجمعا • به جمع الله القبائل من فهر
هم ملؤوا البطحاء مجدا وسؤددا • وهم طردوا عنا غواة بني بكر

قال ابن اسحاق ولما فرغ قصي من حربه انصرف اخوه رزاح بن ربيعة الى بلاده بمن معه
واخوته من ابيه الثلاثة وهم حن ومحمود وجلهمة قال رزاح في اجابته قصيا

ولما اتى من قصي رسول • فقال الرسول اجيبوا الخليلا
نهضنا اليه نقود الجياد • ونطرح عنها الملول الثقيلا
نسير بها الليل حتى الصباح • ونكمي النهار لئلا نزولا
فهن سراع كورد القطا • يجبن بنا من قصي رسولا
جمعنا من السر من اشمذين • ومن كل حي جمعنا قبيلا — جبلين
فيا لك حلبة ما ليلة • تزيد على الالف سيبا رسيلا
فلما مررن على عسجر • واسهلن من مستناخ سبيلا
وجاوزن بالركن من ورقان • وجاوزن بالعرج حيا حلولا
مررن على الحل ما ذقنه • وعالجن من مر ليلا طويلا
ندني من العوذ افلاءها • ارادة ان يسترقن الصهيلا
فلما انتهينا الى مكة • ابحنا الرجال قبيلا قبيلا
نعاورهم ثم حد السيوف • وفي كل اوب خلسنا العقولا
نخبزهم بصلاب النسور • خبز القوي العزيز الذليلا
قتلنا خزاعة في دارها • وبكرا قتلنا وجيلا فجيلا
نفيناهم من بلاد المليك • كما لا يحلون ارضا سهولا
فاصبح سبيهم في الحديد • ومن كل حي شفينا الغليلا

قال ابن اسحاق فلما رجع رزاح الى بلاده نشره الله ونشر حنا فهما قبيلا عذرة الى اليوم

قال ابن اسحاق وقال قصي بن كلاب في ذلك

انا ابن العاصمين بني لؤي • بمكة منزلي وبها ربيت •
الى البطحاء قد علمت معد • ومروتها رضيت بها رضيت •
فلست لغالب ان لم تأثل • بها اولاد قيذر والنبيت •
رزاح ناصري وبه اسامي • فلست اخاف ضيما ما حييت •

وقد ذكر الاموي عن الاثرم عن ابي عبيدة عن محمد بن حفص ان رزاحا انما قدم بعد ما نفى
قصي خزاعة والله اعلم

فصل ثم لما كبر قصي فوض امر هذه الوظايف التي
كانت اليه من رياسات قريش وشرفها من الرفادة والسقاية والحجابة واللوا والندوة
الى ابنه عبد الدار وكان اكبر ولده وانما خصصه بها كلها لان بقية اخوته عبد مناف وعبد
شمس وعبدا كانوا قد شرفوا في ابوتهم شرفا كبيرا فاحب قصي ان يلحق عبد الدار بهم في السودد
فخصصه بذلك فكان اخوته لا ينازعونه في ذلك فلما انقرضوا تشاجر ابناوهم في ذلك
وقالوا انما خصص قصي عبد الدار بذلك ليلحقه باخوته فنحن نستحق ما كان اباونا يستحقونه
وقال بنو عبد الدار هذا امر جعله لنا قصي فنحن احق به واختلفوا اختلافا كثيرا وانقسمت
بطون قريش فرقتين ففرقة بايعت عبد الدار وحالفتهم وفرقة بايعت بني عبد مناف
وحالفوهم على ذلك ووضعوا ايديهم عند الحلف في جفنة فيها طيب ثم لما قاموا مسحوا
ايديهم باركان الكعبة فسموا حلف المطيبين وكان منهم من قبايل قريش بنو اسد بن عبد
العزى بن قصي وبنو زهرة وبنو تيم وبنو الحرث بن فهر وكان مع بني عبد الدار بنو مخزوم وبني
سهم وبنو جمح وبنو عدي واعتزلت بنو عامر بن لؤي ومحارب بن فهر الجميع فلم يكونوا مع واحد
منهما ثم اصطلحوا واتفقوا على ان تكون الرفادة والسقاية لبني عبد مناف وان تستقر
الحجابة واللوا والندوة في بني عبد الدار فانبرم الامر على ذلك واستمر وحكى الاموي عن الاثرم
عن ابي عبيدة قال وزعم قوم من خزاعة ان قصيا لما تزوج حبي بنت حليل ...عنه ولاية
البيت جعلها الى ابنته حبا واستناب عنها ابا غبشان سليم بن عمرو بن لوي بن ملكان
بن اقصى بن حارثة بن عمرو بن عامر فاشترى قصي ولاية البيت منه بزق خمر وبعود فكان
يقال اخسر من صفقة ابي غبشان ولما رات خزاعة ذلك اشتدوا على قصي فاستنصر
اخاه فقدم بمن معه وكان ما كان ثم فوض قصي هذه الجهات التي كانت اليه من السدانة والحجابة
واللوا والندوة والرفادة والسقاية الى ابنه عبد الدار كما سياتي تفصيله وايضاحه واقر
الاجازة من المزدلفة في بني عدوان واقر النسي في بني فقيم واقر الاجازة وهو النفر في صوفة
كما تقدم بيان ذلك كله مما كان بايديهم قبل ذلك قال ابن اسحاق فولد قصي اربعة نفر
وامراتين عبد مناف وعبد الدار وعبد العزى وعبدا وتخمر وبرة وامهم كلهم حبا بنت حليل
بن حبشية بن سلول بن كعب بن عمرو الخزاعي وهو اخر من ولي البيت من خزاعة ومن يده
اخذ البيت قصي بن كلاب قال ابن اسحاق فولد عبد مناف بن قصي اربعة نفر هاشما
وعبد شمس والمطلب وامهم عاتكة بنت مرة بن هلال ونوفل بن عبد مناف وامه واقدة
بنت عمرو المازنية قال ابن هشام وولد لعبد مناف ايضا ابو عمرو وتماضر وقلابة وحية
وريطة وام الاخثم وام سفيان قال ابن هشام وولد هاشم بن عبد مناف اربعة نفر
وخمس نسوة عبد المطلب واسدا وابا صيفي ونضلة والشفا وخالدة وضعيفة ورقية

زمن ابيهم ويعلوا ابي ح

وثقل حليل م

وحية فام عبد المطلب ورقية سلمى بنت عمرو بن زيد بن اسد بن خداش بن عامر بن غنم
بن عدي بن النجار من المدينة وذكر امهات الباقين قال وولد عبد المطلب عشرة نفر
وست نسوة وهم العباس وحمزة وعبد الله وابو طالب واسمه عبد مناف والحرث والزبير
وكان بكر ابيه وبه كان يكنى وحجل ومنهم من يقول حجل وكان يلقب بالغيداق لكثرة خيره
والمقوم وضرار وابو لهب واسمه عبد العزى وصفية وام حكيم وعاتكة واميمة واروى وبرة
البيضا وذكر امهاتهم الى ان قال وام عبد الله وابي طالب والزبير وجميع النسا الا صفية
فاطمة بنت عمرو بن عائذ بن عمران بن مخزوم بن يقظة بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب
بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر بن نزار بن
معد بن عدنان قال فولد عبد الله محمدا رسول الله صلى الله عليه وسلم سيد ولد ادم
وامه امنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي ثم ذكر
امهاتها فاعرق الى ان قال فهو اشرف ولد ادم حسبا وافضلهم نسبا من قبل ابيه
وامه صلوات الله وسلامه عليه دايما الى يوم الدين وقد تقدم حديث الاوزاعي عن
شداد ابي عمار عن واثلة بن الاسقع قال قال رسول الله ان الله اصطفى كنانة
من ولد اسماعيل واصطفى قريشا من كنانة واصطفى هاشما من قريش واصطفاني
من بني هاشم رواه مسلم وسياتي بيان مولده الكريم وما ورد فيه من الاخبار والاثار
مستوفى عند سرد النسب الشريف في ابتدا السيرة ان شا الله وبه الثقة
وعليه التكلان

ذكر جمل من الاحداث الواقعة في زمن الجاهلية

قد تقدم ما كان من اخذ جرهم ولاية البيت من بني اسماعيل طمعوا فيهم لانهم ابنا بناتهم
وما كان من توثب خزاعة على جرهم وانتزاعهم ولاية البيت منهم ثم ما كان من رجوع ذلك الى قصي
وبنيه واستمرار ذلك في ايديهم الى ان بعث الله رسوله صلى الله عليه وسلم فاقر تلك الوظايف
على ما كانت عليه

باب ذكر جماعة مشهورين كانوا في الجاهلية

خبر خالد
بن سنان العبسي الذي كان في زمن الفترة وقد زعم بعضهم انه كان نبيا والله اعلم قال
الحافظ ابو القسم الطبراني ثنا احمد بن زهير التستري ثنا يحيى بن المعلى بن منصور الرازي
ثنا محمد بن الصلت ثنا قيس بن الربيع عن سالم الافطس عن سعيد بن جبير عن ابن عباس
قال جاءت بنت خالد بن سنان الى النبي صلى الله عليه وسلم فبسط لها ثوبه وقال بنت
نبي ضيعه قومه وقد رواه الحافظ ابو بكر البزار عن يحيى بن المعلى بن منصور عن محمد بن الصلت
عن قيس عن سالم عن سعيد عن ابن عباس قال ذكر خالد بن سنان عند رسول الله فقال ذاك
نبي ضيعه قومه ثم قال لا نعرفه مرفوعا الا من هذا الوجه وكان قيس بن الربيع ثقة في نفسه
الا انه كان ردي الحفظ وكان له ابن يدخل في احاديثه ما ليس منها والله اعلم قال البزار وقد
رواه الثوري عن سالم الافطس عن سعيد بن جبير مرسلا وقال الحافظ ابو يعلى الموصلي حدثنا
المعلى بن مهدي الموصلي قال ثنا ابو عوانة عن ابي يونس عن عكرمة عن ابن عباس ان رجلا
من عبس يقال له خالد بن سنان قال لقومه انا اطفي عنكم نار الحدثان فقال له رجل
من قومه والله يا خالد ما قلت قط الا حقا فما شانك وشان نار الحدثان تزعم انك تطفيها
فخرج خالد ومعه اناس من قومه فيهم عمارة بن زياد فاتوها فاذا هي تخرج من شق جبل
فخرجت كانها خيل شقر يتبع بعضها بعضا فاستقبلها خالد فجعل يضربها بعصاه ويقول

به ابدا كل مدى يوما زعم ابن راعية المعزى انه اخرج منها وثيابه تندى حتى دخل معها الشق
فابطا عليهم فقال لهم عمارة بن زياد ان صاحبكم لو كان حيا لقد خرج اليكم بعد فادعوه باسمه
فخرج وهو اخذ برأسه فقال الم انهكم ان تدعوني باسمي فقد والله قتلتموني فاحملوني فادفنوني
فاذا مرت بكم الحمر فيها حمار ابتر فانبشوني فانكم تجدوني حيا فاحتملوه فدفنوه فمرت بهم الحمر فيها حمار
ابتر فقالوا انبشوه فقال لهم عمارة لا تنبشوه لا والله لا تحدث مضر انا ننبش موتانا وقد كان
قال لهم خالد ان في عكم امراته لوحين فاذا اشكل عليكم امر فانظروا فيهما فانكم ستجدون ما تسألون
عنه ولا يمسه حائض فلما رجعوا الى امراته سألوها عنهما فاخرجتهما اليهم وهي حائض
فذهب ما كان فيهما من علم قال ابو يونس قال سماك سئل عنه النبي صلى الله عليه وسلم
فقال ذاك نبي اضاعه قومه قال ابو يونس قال سماك ان ابن خالد اتى النبي صلى الله عليه
وسلم فقال مرحبا بابن اخي فهذا السياق موقوف على ابن عباس وليس فيه انه كان نبيا والمرسلات
التي فيها انه نبي لا يحتج بها هاهنا والاشبه انه كان رجلا صالحا له احوال وكرامات فانه ان
كان في زمن الفترة فقد ثبت في صحيح البخاري عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال
ان اولى الناس بعيسى ابن مريم لانا انه ليس بيني وبينه نبي وان كان قبلها فلا يمكن ان يكون
نبيا لان الله تعالى قال لتنذر قوما ما أتاهم من نذير من قبلك وقد قال غير واحد من العلماء
ان الله تعالى لم يبعث بعد اسماعيل نبيا في العرب الا محمدا صلى الله عليه وسلم خاتم الانبياء
الذي دعا به ابراهيم الخليل باني الكعبة المكرمة التي جعلها الله قبلة لاهل الارض شرعا وبشرت
به الانبياء لقومهم حتى كان اخر من بشر به عيسى بن مريم عليه السلام وبهذا المسلك بعينه
يرد ما ذكره السهيلي وغيره من ارسال نبي من العرب يقال له شعيب بن ذي مهذم بن شعيب
بن صفوان صاحب مدين وبعث الى العرب ايضا حنظلة بن صفوان فكذبوهما فسلط الله
على العرب بختنصر فنال منهم من القتل والسبي نحو ما نال من بني اسرائيل وذلك في زمن معد
بن عدنان والظاهر انهم كانوا قوما صالحين يدعون الى الخير والله اعلم وقد تقدم ذكر
عمرو بن لحي بن قمعة بن خندف لاخبار خزاعة بعد جرهم

ذكر حاتم الطائي احد اجواد الجاهلية

وهو حاتم بن عبد الله بن سعد بن الحشرج بن امرئ القيس بن عدي بن اخزم بن ابي اخزم بن ربيعة
بن جرول بن ثعل بن عمرو بن الغوث بن طي ابو سفانة الطائي والد عدي بن حاتم الصحابي
كان جوادا ممدحا في الجاهلية وكذلك كان ابنه في الاسلام وكانت لحاتم مآثر وامور عجيبة
واخبار مستغربة في كرمه يطول ذكرها ولكن لم يكن يقصد بها وجه الله والدار الاخرة وانما كان
قصده السمعة والذكر قال الحافظ ابو بكر البزار في مسنده حدثنا محمد بن معمر ثنا عبيد بن
واقد القيسي ثنا ابو نصر هو الناجي عن عبد الله بن دينار عن ابن عمر قال ذكر حاتم عند النبي
صلى الله عليه وسلم فقال ذاك اراد امرا فادركه حديث غريب قال الدارقطني تفرد به
عبيد بن واقد عن ابي نصر الناجي ويقال ان اسمه حماد قال ابن عساكر وقد فرق ابو احمد
الحاكم بين ابي نصر الناجي وبين ابي نصر حماد ولم يسم الناجي ووقع في بعض روايات الحافظ
ابن عساكر عن ابي نصر نسيبا للناجي والله اعلم وقال الامام احمد ثنا يزيد بن اسماعيل ثنا
سفيان عن سماك بن حرب عن مري بن قطري عن عدي بن حاتم قال قلت يا رسول الله ان ابي كان
يصل الرحم ويفعل ويفعل فهل له في ذلك يعني من اجر قال ان اباك طلب شيئا فاصابه وهكذا

رواه

رواه ابو يعلى عن القواريري عن غندر عن شعبة عن سماك به وقال ان اباك اراد امرا فادركه
يعني الذكر وهكذا رواه ابو القاسم البغوي عن علي بن الجعد عن شعبة به سواء وقد ثبت
في الصحيح في الثلاثة الذين تسعر بهم جهنم منهم الرجل الذي ينفق ليقال انه كريم فيكون
جزاؤه ان يقال ذلك في الدنيا وكذا في العالم والمجاهد وفي الحديث الاخر في الصحيح
انهم سألوا رسول الله عن عبد الله بن جدعان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة فقالوا انه
كان يقري الضيف ويعتق ويتصدق فهل ينفعه ذلك فقال انه لم يقل يوما من الدهر
رب اغفر لي خطيئتي يوم الدين هذا وقد كان من الاجواد المشهورين ايضا المطعمين في
السنين الممحلة والاوقات المرملة وقال الحافظ ابو بكر البيهقي انا ابو عبد الله الحافظ
حدثنا ابو بكر محمد بن عبد الله بن يوسف العماني ثنا ابو سعيد عبيد بن كثير بن عبد الواحد
الكوفي ثنا ضرار بن صرد ثنا عاصم بن حميد عن ابي حمزة الثمالي عن عبد الرحمن بن جندب
عن كميل بن زياد النخعي قال قال علي بن ابي طالب يا سبحان الله ما ازهد كثيرا من الناس
في خير عجبا لرجل يجيئه اخوه المسلم في حاجة فلا يرى نفسه للخير اهلا فلو كان لا يرجو
ثوابا ولا يخشى عقابا لكان ينبغي له ان يسارع في مكارم الاخلاق فانها تدل على سبيل
النجاح فقام اليه رجل وقال فداك ابي وامي يا امير المؤمنين اسمعته من رسول الله صلى
الله عليه وسلم قال نعم وما هو خير منه لما اتي بسبايا طي وقعت جارية حمراء لعساء زلفاء
عيطاء شماء الانف معتدلة القامة والهامة درماء الكعبين خدلة الساقين لفاء
الفخذين خميصة الخصرين ضامرة الكشحين مصقولة المتنين قال فلما رأيتها اعجبت
بها وقلت لاطلبن الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فيجعلها في فيئي فلما تكلمت انسيت
جمالها لما رأيت من فصاحتها فقالت يا محمد ان رأيت ان تخلي عنا ولا تشمت بي احياء
العرب فاني ابنة سيد قومي وان ابي كان يحمي الذمار ويفك العاني ويشبع الجائع ويكسو
العاري ويقري الضيف ويطعم الطعام ويفشي السلام ولم يرد طالب حاجة قط وانا
ابنة حاتم طي فقال النبي صلى الله عليه وسلم يا جارية هذه صفة المؤمنين حقا لو كان
ابوك مؤمنا لترحمنا عليه خلوا عنها فان اباها كان يحب مكارم الاخلاق والله يحب
مكارم الاخلاق فقام ابو بردة بن نيار فقال يا رسول الله والله يحب مكارم الاخلاق فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده لا يدخل الجنة احد الا بحسن الخلق
وقال ابو بكر بن ابي الدنيا حدثني عمر بن بكر عن ابي عبد الرحمن الطائي هو القسم بن عدي
عن عثمان بن عركي بن حلبس الطائي عن ابيه عن جده وكان اخا عدي بن حاتم لامه قال
قيل لنوار امرأة حاتم حدثينا عن حاتم قالت كل امره كان عجبا اصابتنا سنة حصت
كل شيء فاقشعرت لها الارض واغبرت لها السماء وضنت المراضع على اولادها وراحت
الابل حدبا حدابير ما تبض بقطرة وحلقت المال وانا لفي ليلة صنبر بعيدة ما بين
الطرفين اذ تضاغى الاصبية من الجوع عبد الله وعدي وسفانة فوالله ان وجدنا شيئا
نعللهم به فقام الى احد الصبيين فحمله وقمت الى الصبية فعللتها فوالله ان سكتا
الا بعد هدأة من الليل ثم عدنا الى الصبي الاخر فعللناه حتى سكت وما كاد ثم افترشنا
قطيفة لنا شامية ذات خمل فاضجعنا الصبيان عليها وقمت انا والصبيان
بيننا ثم اقبل علي يعللني لانام وعرفت ما يريد فتناومت فقال ما لك انمت فسكت فقال

ثم اراها الا قد نامت وما بي نوم فلما ادلهم الليل وتهورت النجوم وهدأت الاصوات
وسكنت الرجل اذا جانب البيت قد رفع فقال من هذا فولى حتى اذا قلت قد اسحرنا او كدنا
عاد فقال من هذا قالت جارتك فلانة يا ابا عدي ما وجدت معولا على احد غيرك اتيتك
من عند اصيبية يتعاوون عواء الذيب من الجوع قال اعجليهم علي قالت النوار فوثبت
فقلت ماذا صنعت والله لقد تضاغى اصيبيتك فما وجدت ما تعللهم فكيف بهذه وبولدها
فقال اسكتي فوالله لاشبعنك ان شاء الله قالت فاقبلت تحمل اثنين وتمشي جنبيها
اربعة كانها نعامة حولها رئالها فقام الى فرسه فوجأ بحربته في لبته ثم قدح زنده واورى
ناره ثم جاء بمدية فكشط عن جلده ثم دفع المدية الى المرأة ثم قال دونك ثم قال ابعثي
صبيانك فبعثتهم ثم قال سوأة اتاكلون شيئا دون اهل الصرم فجعل يطوف فيهم
حتى هبوا واقبلوا عليه والتفع بثوبه ثم اضطجع ناحية ينظر الينا لا والله ما ذاق مزعة
وانه لاحوجهم اليه فاصبحنا وما على الارض منه الا عظم او حافر وقال الدارقطني حدثني
القاضي ابو عبد الله المحاملي ثنا عبد الله بن ابي سعد حدثني عتيم بن ثوابة بن حميد الطائي
عن ابيه عن جده قال قالت امرأة حاتم لحاتم يا ابا سفانة اشتهي ان اكل انا وانت طعاما
وحدنا ليس عليه احد فامرها فحولت خيمتها من الجماعة على فرسخ وامر بالطعام فهيئ وهي
مرخاة ستورها عليه وعليها فلما قارب نضج الطعام كشف عن راسه ثم قال فلا تطبخي قدري
وسترك دونها على اذا ما انا طبخين حرام ولكن بهذاك اليفاع فاوقدي بجزل اذا ما اوقدت
لا بضرام قال ثم كشف الستور وقدم الطعام ودعا الناس فاكل واكلوا فقالت ما اتممت لي
ما قلت فاجابها فاني لا تطاوعني نفسي ونفسي اكرم علي من ان يثنى علي هذا وقد سبق لي السخا
ثم انشا يقول

امارس نفس البخل حتى اعزها • وانزل نفس الجود لا استشيرها
ولا تشتكيني جارتي غير انها • اذا غاب عنها بعلها لا ازورها
سيبلغها خيري ويرجع بعلها • اليها ولم تقصر علي ستورها

ومن شعر حاتم

اذا ما بت اشرب فوق ري • لسكر في الشراب فلا رويت
اذا ما بت اختل عرس جاري • ليخفيني الظلام فلا خفيت
افضح جارتي واخون جاري • فلا والله افعل ما حييت

ومن شعره ايضا

ما ضر جارا لي اجاوره • ان لا يكون لبابه ستر
اغضي اذا ما جارتي برزت • حتى يواري جارتي الخدر

ومن شعر حاتم ايضا

وما من شيمتي شتم ابن عمي • وما انا مخلف من يرتجيني
وكلمة حاسد من غير جرم • سمعت فقلت مري فانفذيني
فعابوها علي ولم تعبني • ولم يعرق لها يوما جبيني
وذي وجهين يلقاني طليقا • وليس اذا تغيب ما يليني
ظفرت بعيبه فكففت عنه • محافظة على حسبي وديني

ومن

ومن شعره ايضا

بلى ابن المقدور يا ام مالك • اذا ما اتاني بين ناري ومجزري
اابسط وجهي انه اول القرى • وابذل معروفي له دون منكري

وقال ايضا

وانك ان اعطيت بطنك سوله • وفرجك نالا منتهى الذم اجمعا

وقال القاضي ابو الفرج المعافى بن زكريا الجريري ثنا الحسين بن القسم الكوكبي ثنا
ابو العباس المبرد اخبرني التوزي عن ابي عبيدة قال لما بلغ حاتم طي قول المتلمس قليل

قليل المال تصلحه فيبقى • ولا يبقى الكثير على الفساد
وحفظ المال خير من فناه • وعسف في البلاد بغير زاد

قال ما له قطع الله لسانه حمل الناس على البخل فهلا قال

فلا الجود يفني المال قبل فنائه • ولا البخل في مال الشحيح يزيد
فلا تلتمس رزقا بعيش مقتر • لكل غد رزق يعود جديد
الم تر ان المال غاد ورائح • وان الذي يعطيك غير بعيد

قال القاضي ابو الفرج ولقد احسن في قوله وان الذي يعطيك غير بعيد ولو كان
مسلما لرجي له الخير في معاده وقد قال الله في كتابه واسالوا الله من فضله وقال تعالى
واذا سالك عبادي عني فاني قريب اجيب دعوة الداع اذا دعان طه وعن الوضاح بن
معبد الطائي قال وفد حاتم الطائي على النعمان بن المنذر فاكرمه وادناه ثم زوده عند
انصرافه حملين ذهبا وورقا غير ما اعطاه من طرائف بلده فرحل فلما اشرف على اهله
تلقته اعاريب طي فقالت يا حاتم اتيت من عند الملك واتينا من عند اهالينا بالفقر
فقال حاتم هلم فخذوا ما بين يدي فتوزعوه فوثبوا الى ما بين يديه من حبا النعمان
فاقتسموه فخرجت الى حاتم طريفة جاريته فقالت له اتق الله وابق على نفسك فما تدع
هولاء دينارا ولا درهما ولا شاة ولا بعيرا فانشا يقول

قالت طريفة ما تبقى دراهمنا • وما بنا سرف فيها ولا خرق
ان يفن ما عندنا فالله يرزقنا • ممن سوانا ولسنا نحن نرتزق
ما يالف الدرهم الكاري خرقتنا • الا يمر عليها ثم ينطلق
انا اذا اجتمعت يوما دراهمنا • ظلت الى سبل المعروف تستبق

وقال ابو بكر بن عياش قيل لحاتم هل في العرب اجود منك فقال كل العرب اجود مني ثم
انشا يحدث فقال نزلت على غلام من العرب يتيم ذات ليلة وكانت له مائة من الغنم
فذبح لي شاة منها واتاني بها فلما قرب الي دماغها فقلت ما اطيب هذا الدماغ قال
فذهب فلم يزل ياتيني منه حتى قلت قد اكتفيت فلما اصبحت اذا هو قد ذبح المائة
شاة وبقي لا شيء له فقيل فما صنعت به فقال ومتى ابلغ شكره ولو صنعت به كل شيء قال
على كل حال فقال اعطيته مائة ناقة من خيار ابلي وقال محمد بن جعفر الخرائطي في كتاب
مكارم الاخلاق ثنا العباس بن الفضل الربعي ثنا اسحاق بن ابراهيم حدثني حماد الراوية
وشيخ من مشيخة طي قالوا كانت عنترة بنت عفيف بن عمرو بن امرئ القيس ام حاتم
طي لا تمسك شيئا سخاء وجودا وكانوا اخوتها يمنعونها فتابى وكانت امرأة موسرة

فحبسوهما في بيت سنة يطعمونهما قوتهما لعلهما تكف عما تصنع ثم أخرجوها بعد سنة وقد ظنوا أنها قد تركت ذلك الخلق فدفعوا إليها صرمة من مالها وقالوا استمتعي بها فأتتها امرأة من هوازن وكانت تغشاها فسألتها فقالت دونك هذه الصرمة فقد والله مسني من الجوع ما آليت أن لا أمنع سائلا شيئا ثم أنشأت تقول

لعمري لقدما عضني الجوع عضة • فآليت أن لا أمنع الدهر جائعا •
فقولا لهذا اللائمي اليوم أعفني • فإن أنت لم تفعل فعض الأصابعا •
فماذا عسيتم أن تقولوا لأختكم • سوى عذلكم أو عذل من كان مانعا •
وماذا ترون اليوم إلا طبيعة • فكيف بتركي يا ابن أم الطبائعا •

وقال الهيثم بن عدي عن ملحان بن عركي بن عدي بن حاتم عن أبيه عن جده قال شهدت حاتما يكيد بنفسه فقال لي أي بني إني أعهد من نفسي ثلاث خصال والله ما خاتلت جارة لريبة قط ولا اؤتمنت على أمانة إلا أديتها ولا أوتي أحد من قبلي بسوء وقال أبو بكر الخرائطي ثنا علي بن حرب ثنا عبد الرحمن بن يحيى العذري ثنا هشام بن محمد بن السائب الكلبي عن أبي مسكين يعني جعفر بن المحرر بن الوليد عن المحرر مولى أبي هريرة قال مر نفر من عبد القيس بقبر حاتم طيء فنزلوا قريبا منه فقام إليه بعضهم فجعل يركض قبره برجله ويقول يا أبا الجعد اقرنا فقال له بعض أصحابه ما تخاطب من رمة قد بليت واجنهم الليل فناموا فقام صاحب القول فزعا يقول يا قوم عليكم مطيكم فإن حاتما أتاني في النوم وأنشدني شعرا وقد حفظته يقول

أبا خيبري وأنت امرؤ • ظلوم العشيرة شتامها •
أتيت بصحبك تبغي القرى • لدى حفرة صخب هامها •
تبغي لي الذنب عند المبيت • وحولك طيء وأنعامها •
وإنا لنشبع أضيافنا • وتأتي المطي فنعتامها •

قال وإذا ناقة صاحب القول تكوس عقيرا فنحروها وقاموا يشتوون ويأكلون وقالوا والله لقد أضافنا حاتم حيا وميتا قال وأصبح القوم وأردفوا صاحبهم وساروا فإذا رجل ينوه بهم راكبا جملا يقود آخر فقال أيكم الخيبري قال أنا قال إن حاتما أتاني في النوم فأخبرني أنه قرى أصحابك ناقتك وأمرني أن أحملك وهذا بعير فخذه فدفعه إليه

ذكر شيء من أخبار عبد الله بن جدعان

هو عبد الله بن جدعان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة سيد بني تيم وهو ابن عم والد أبي بكر الصديق وكان من الكرماء الأجواد في الجاهلية المطعمين للمسنتين وكان في بدء أمره فقيرا مملقا وكان شريرا يكثر من الجنايات حتى أبغضه قومه وعشيرته وأهله وقبيلته وأبغضوه حتى أبوه فخرج ذات يوم في شعاب مكة حائرا بائرا فرأى شقا في جبل فظن أن يكون به شيء يؤذي فقصده لعله يموت فيستريح مما هو فيه فلما اقترب منه إذا ثعبان يخرج إليه ويثب عليه فجعل يحيد عنه ويثب فلا يغني شيئا فلما دنا منه إذا هو من ذهب وله عينان هما ياقوتتان فكسره وأخذه ودخل الغار فإذا فيه قبور لرجال من ملوك جرهم ومنهم الحارث بن مضاض الذي طالت غيبته فلا يدرى أين ذهب ووجد عند رؤوسهم لوحا من ذهب فيه تاريخ وفاتهم ومدد ولايتهم وإذا عندهم من الجواهر واللآلئ والذهب والفضة شيء كثير فأخذ منه حاجته ثم خرج وعلم باب الغار ثم انصرف إلى قومه فأعطاهم حتى أحبوه وسادهم وجعل يطعم الناس

وكلما قل ما في يده ذهب إلى ذلك الغار فأخذ حاجته ثم رجع فممن ذكر هذا عبد الملك بن هشام في كتاب التيجان وذكره أحمد بن عمار في كتاب ري العاطش وأنس الواحش وكانت له جفنة يأكل منها الراكب على بعيره ووقع فيها صغير فغرق وذكر ابن قتيبة وغيره أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لقد كنت أستظل بظل جفنة عبد الله بن جدعان صكة الأعمى يعني في الظهيرة وفي حديث مقتل أبي جهل أن رسول الله قال لأصحابه تطلبوه بين القتلى وتعرفوه بشجة في ركبته فإني تزاحمت أنا وهو على مأدبة لابن جدعان فدفعته فسقط على ركبته فانهشمت فأثرها باق في ركبته فوجدوه كذلك وذكروا أنه كان يطعم التمر والسويق ويسقي اللبن حتى سمع قول أمية بن أبي الصلت

ولقد رأيت الفاعلين وفعلهم • فرأيت أكرمهم بني الديان •
البر يلبك بالشهاد طعامهم • لا ما يعللنا بنو جدعان •

فأرسل ابن جدعان إلى الشام ألفي بعير تحمل البر والشهد والسمن وجعل مناديا ينادي كل ليلة على ظهر الكعبة أن هلموا إلى جفنة ابن جدعان فقال أمية في ذلك

له داع بمكة مشمعل • وآخر فوق كعبتها ينادي •
إلى ردح من الشيزى عليها • لباب البر يلبك بالشهاد •

ومع هذا كله فقد ثبت في الصحيح لمسلم أن عائشة قالت يا رسول الله إن ابن جدعان كان يطعم الطعام ويقري الضيف فهل ينفعه ذلك يوم القيامة فقال لا إنه لم يقل يوما رب اغفر لي خطيئتي يوم الدين

ذكر امرئ القيس بن حجر الكندي صاحب إحدى المعلقات

وهي أفخر المعلقات وأشهرها التي أولها قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل قال الإمام أحمد حدثنا هشيم ثنا أبو الجهم عن الزهري عن أبي سلمة عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم امرؤ القيس صاحب لواء الشعراء إلى النار وقد روى هذا الحديث عن هشيم جماعة كثيرون منهم بشر بن الحكم والحسن بن عرفة وعبد الله بن هارون أمير المؤمنين المأمون أخو الأمين ويحيى بن معين وأخرجه ابن عدي من طريق عبد الرزاق عن الزهري به وهذا منقطع وروي من وجه آخر عن أبي هريرة ولا يصح من غير هذا الوجه وقال الحافظ ابن عساكر هو امرؤ القيس بن حجر بن الحارث بن عمرو بن الحارث حجر آكل المرار بن عمرو بن معاوية بن الحارث بن يعرب بن ثور بن مرتع بن معاوية بن كندة أبو يزيد ويقال أبو وهب ويقال أبو الحارث الكندي كان بأعمال دمشق وقد ذكر مواضع منها في شعره فمن ذلك قوله

قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل • بسقط اللوى بين الدخول فحومل •
فتوضح فالمقراة لم يعف رسمها • لما نسجتها من جنوب وشمأل •

قال وهذه مواضع معروفة بحوران ثم روي من طريق هشام بن محمد بن السائب الكلبي حدثني فروة بن سعيد بن عفيف بن معدي كرب عن أبيه عن جده قال بينا نحن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ أقبل وفد من اليمن فقالوا يا رسول الله لقد أحيانا الله ببيتين من شعر امرئ القيس قال وكيف ذاك قالوا أقبلنا نريدك حتى إذا كنا ببعض الطريق أخطأنا الطريق فمكثنا ثلاثا لا نقدر على الماء فتفرقنا إلى أصول طلح وسمر ليموت كل رجل منا في ظل شجرة فبينا نحن بآخر رمق إذا راكب موضع على بعير فلما رآه بعضنا قال والراكب يسمع

ولما رأت أن المنية وردها • وأن البياض من فرائصها دامي •

تيممت العين التي عند ضارج • يفيء عليها الظل عرمضها طامي •

فقال الراكب ومن يقول هذا الشعر وقد رأى ما بنا من الجهد قال قلنا امرؤ القيس ابن حجر قال ما كذب والله ان ضارج لعندكم فنظرنا فاذا بيننا وبين الماء نحو من خمسين ذراعا فحبونا اليه على الركب فاذا هو كما قال امرؤ القيس عليه العرمض يفيء عليه الظل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ذاك رجل مذكور في الدنيا منسي في الآخرة شريف في الدنيا خامل في الآخرة بيده لواء الشعراء يقودهم الى النار وذكر الكلبي ان امرأ القيس اقبل براياته يريد قتال بني اسد حين قتلوا اباه فمر بتبالة وبها ذو الخلصة وهو صنم وكانت العرب تستقسم عنده فاستقسم فخرج القدح الناهي ثم الثانية ثم الثالثة كذلك فكسر القداح وضرب بها وجه ذي الخلصة وقال عضضت بأير ابيك لو كان ابوك المقتول لما عوقتني ثم اغار على بني اسد فقتلهم قتلا ذريعا قال ابن الكلبي فلم يستقسم عند ذي الخلصة حتى جاء الاسلام وذكر بعضهم انه امتدح قيصر ملك الروم ليستنجده في بعض الحروب ويسترفده فلم يجد ما يؤمله عنده فهجاه بعد ذلك فيقال انه سقاه سما فقتله فالجأه الموت الى جنب قبر امرأة عند جبل يقال له عسيب فكتب هنالك •

اجارتنا ان المزار قريب • واني مقيم ما اقام عسيب •
اجارتنا انا غريبان هاهنا • وكل غريب للغريب نسيب •

وقد ذكروا ان المعلقات السبع كانت معلقة بالكعبة وذلك ان العرب كانوا اذا عمل احدهم قصيدة عرضها على قريش فان اجازوها علقوها على الكعبة تعظيما لشأنها فاجتمع من ذلك هذه المعلقات السبع فالاولى لامرئ القيس بن حجر الكندي كما تقدم واولها قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل بسقط اللوى بين الدخول فحومل والثانية للنابغة الذبياني واسمه زياد بن معاوية ويقال زياد بن عمرو بن معاوية بن جابر بن ضباب بن يربوع بن غيظ بن مرة بن عوف بن سعد بن ذبيان بن بغيض واولها •

يا دار مية بالعلياء فالسند • اقوت وطال عليها سالف الابد •

والثالثة لزهير بن ابي سلمى واسمه ربيعة بن رباح المزني واولها •

امن ام اوفى دمنة لم تكلم • بحومانة الدراج فالمتثلم •

والرابعة لطرفة بن العبد بن سفيان بن سعد بن مالك بن ضبيعة بن قيس بن ثعلبة بن عكابة بن صعب بن علي بن بكر بن وائل واولها •

لخولة اطلال ببرقة ثهمد • تلوح كباقي الوشم في ظاهر اليد •

والخامسة لعنترة بن شداد بن معاوية بن قراد بن مخزوم بن ربيعة بن مالك بن قطيعة بن عبس العبسي واولها •

هل غادر الشعراء من متردم • ام هل عرفت الدار بعد توهم •

والسادسة لعلقمة بن عبدة بن النعمان بن قيس احد بني تميم واولها

طحا بك قلب في الحسان طروب • بعيد الشباب عصر حان مشيب •

والسابعة ومنهم من لا يثبتها في المعلقات وهو قول الاصمعي وغيره وهي للبيد بن ربيعة بن مالك بن جعفر بن كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس بن عيلان بن مضر واولها •

عفت

عفت الديار محلها فمقامها • بمنى تأبد غولها فرجامها •

فاما القصيدة التي لا يعرف قائلها فيما ذكره ابو عبيدة والاصمعي والمبرد وغيرهم فهي قوله

هل بالطلول لسائل رد • ام هل لها بتكلم عهد •

وهي مطولة وفيها معان حسنة كثيرة

ذكر شيء من اخبار امية بن ابي الصلت الثقفي كان من شعراء الجاهلية وقد ادرك زمن الاسلام

قال الحافظ ابن عساكر هو امية بن ابي الصلت عبد الله بن ابي ربيعة بن عوف بن عقدة بن ربيعة بن غيرة بن ثقيف ابو عثمان ويقال ابو الحكم الثقفي شاعر جاهلي قدم دمشق قبل الاسلام وقيل انه كان مستقيما وانه كان في اول امره على الايمان ثم زاغ عنه وانه هو الذي اراده الله تعالى بقوله واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها الآية قال الزبير بن بكار فولدت رقية بنت عبد شمس بن عبد مناف امية الشاعر بن ابي الصلت واسم ابي الصلت ربيعة بن وهب بن علاج بن ابي سلمة بن ثقيف وقال غيره كان ابوه من الشعراء المشهورين بالطايف وكان امية اشعرهم وقال عبد الرزاق قال الثوري اخبرني حبيب بن ابي ثابت ان عبد الله بن عمرو قال في قوله تعالى واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها فاتبعه الشيطان فكان من الغاوين هو امية بن ابي الصلت وكذا رواه ابو بكر بن مردويه عن ابي بكر الشافعي عن معاذ بن المثنى عن مسدد عن ابي عوانة عن عبد الملك بن عمير عن نافع بن عاصم بن مسعود قال اني لفي حلقة فيها عبد الله بن عمرو فقرأ رجل من القوم الآية التي في الاعراف واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها قال هل تدرون من هو فقال بعضهم هو صيفي بن الراهب وقال آخر بل هو بلعم رجل من بني اسرائيل قال لا قال فمن هو قال امية بن ابي الصلت وهكذا قال ابو صالح والكلبي وحكاه قتادة عن بعضهم وقال الطبراني ثنا علي بن عبد العزيز ثنا عبد الله بن شبيب الربعي ثنا محمد بن مسلمة بن هشام المخزومي ثنا اسماعيل بن الطريح بن اسماعيل الثقفي حدثني ابي عن ابيه عن مروان بن الحكم عن معاوية بن ابي سفيان عن ابيه قال خرجت انا وامية بن ابي الصلت الثقفي تجارا الى الشام فكلما نزلنا منزلا اخذ امية سفرا له يقرؤه علينا فكنا كذلك حتى نزلنا قرية من قرى النصارى فجاؤوه واهدوا له واكرموه وذهب معهم الى بيوتهم ثم رجع في وسط النهار فطرح ثوبيه واخذ ثوبين له اسودين فلبسهما وقال لي هل لك يا ابا سفيان في عالم من علماء النصارى اليه يتناهى علم الكتاب تسأله قلت لا ارب لي فيه والله لئن حدثني بما احب لا اثق به ولئن حدثني بما اكره لاوجلن منه قال فذهب وخالفه شيخ من النصارى فدخل علي فقال ما يمنعك ان تذهب الى هذا الشيخ قلت لست على دينه قال وان فانك تسمع منه عجبا وتراه ثم قال لي اثقفي انت قلت لا ولكن قرشي قال فما يمنعك من الشيخ فوالله انه ليحبكم ويوصي بكم قال فخرج من عندنا ومكث امية حتى جاءنا بعد هدأة من الليل فطرح ثوبيه ثم انجدل على فراشه فوالله ما نام ولا قام حتى اصبح كئيبا حزينا ساقطا غبوقه على صبوحه ما يكلمنا ولا نكلمه ثم قال الا ترحل قلت وهل بك من رحيل قال نعم قال فرحلنا فسرنا بذلك ليلتين من همه ثم قال لي في الليلة الثالثة الا تحدث يا ابا سفيان قلت وهل بك من حديث والله ما رأيت مثل الذي رجعت به من عند صاحبك قال اما ان ذلك لشيء لست فيه انما ذلك

لشيء وجلت به من منقلبي قلت وهل لك من منقلب قال اي والله لاموتن ثم لاحيين قال
قلت هل انت قابل اماني قال على ماذا قلت على انك لا تبعث ولا تحاسب قال فضحك
ثم قال بلى والله يا ابا سفيان لنبعثن ثم لنحاسبن وليدخلن فريق الجنة وفريق النار
قلت ففي ايهما انت اخبرك صاحبك قال لا علم لصاحبي بذلك في ولا في نفسه قال
فكنا في ذلك ليلتين يعجب مني واضحك منه حتى قدمنا غوطة دمشق فبعنا متاعنا واقمنا
بها شهرين فارتحلنا حتى نزلنا قرية من قرى النصارى فلما راوه جاءوه واهدوا له وذهب
معهم الى بيعتهم حتى جاء بعد ما انتصف النهار فلبس ثوبيه وذهب اليهم حتى جاء
بعد هدأة من الليل فطرح ثوبيه ورمى بنفسه على فراشه فوالله ما نام ولا قام واصبح
حزينا كئيبا لا يكلمنا ولا نكلمه ثم قال الا نرحل قلت بلى ان شئت فرحلنا كذلك من
بثه وحزنه ليالي ثم قال لي يا ابا سفيان هل لك في المسير نتقدم اصحابنا قلت هل
لك فيه قال نعم فسرنا حتى برزنا من اصحابنا ساعة قال هيا صخر قلت ما تشاء قال
حدثني عن عتبة بن ربيعة ايجتنب المظالم والمحارم قلت اي والله قال ويصل الرحم ويامر
بصلتها قلت اي والله قال وكريم الطرفين وسط في العشيرة قلت نعم قال تعلم قرشيا
هو اشرف منه قلت لا والله لا اعلم قال امحوج هو قلت لا بل هو ذو مال كثير قال وكم اتى
له من السن قلت قد زاد على المائة قال فالشرف والسن والمال ازرين به قلت
ولم ذاك يزري به لا والله بل يزيده خيرا قال هو ذاك هل لك في المبيت قلت هل لي فيه
قال فاضطجعنا حتى مر الثقل قال فسرنا حتى نزلنا في المنزل وبتنا به ثم ارتحلنا منه
فلما كان الليل قال لي يا ابا سفيان قلت ما تشاء قال هل لك في مثل البارحة قلت هل
لك فيه قال فسرنا على ناقتين نجيبتين حتى اذا برزنا قال هيا صخر هيه عن عتبة بن
ربيعة قال قلت هيها فيه قال ايجتنب المظالم والمحارم ويصل الرحم ويامر بصلتها قلت
اي والله انه ليفعل قال وذو مال قلت وذو مال قال اتعلم قرشيا اسود منه قلت
لا والله ما اعلمه قال كم اتى له من السن قلت قد زاد على المائة قال فان السن والشرف
والمال ازرين به قلت كلا والله ما ازرى به ذاك وانت قائل شيئا فقله قال لا تذكر
حديثي حتى ياتي منه ما هو آت ثم قال فان الذي رايت اصابني اني جئت هذا العالم فسألته
عن اشياء ثم قلت اخبرني عن هذا النبي الذي ينتظر قال هو رجل من العرب قلت قد علمت
انه من العرب فمن اي العرب هو قال من اهل بيت تحجه العرب قلت وفينا بيت تحجه
العرب قال هو من اخوانكم من قريش فاصابني والله شيء ما اصابني مثله قط وخرج من يدي
فوز الدنيا والآخرة وكنت ارجو ان اكون اياه قلت فاذا كان ما كان فصفه لي قال رجل
شاب حين دخل في الكهولة بدء امره يجتنب المظالم والمحارم ويصل الرحم ويامر بصلتها
وهو محوج كريم الطرفين متوسط في العشيرة اكثر جنده الملائكة قلت وما آية ذلك
قال قد رجفت الشام منذ هلك عيسى بن مريم عليه السلام ثمانين رجفة كلها مصيبة وبقيت
رجفة عامة فيها مصائب قال ابو سفيان فقلت هذا والله الباطل لئن بعث الله
رسولا لا ياخذه الا مسنا شريفا قال امية والذي حلفت به ان هذا لهكذا يا ابا سفيان
يقولان قول النصراني لحق هل لك في المبيت قلت هل لي فيه قال فبتنا حتى جاءنا
الثقل ثم خرجنا حتى اذا كان بيننا وبين مكة ليلتين ادركنا راكب من خلفنا فسألناه

فاذا هو

فاذا هو يقول اصابت اهل الشام بعدكم رجفة دمروا اهلها واصابتهم فيها مصائب
عظيمة قال ابو سفيان فاقبل علي امية فقال كيف ترى قول النصراني يا ابا سفيان
قلت ارى والله واظن ان ما حدثك صاحبك حق قال فقدمنا مكة فقضيت ما كان معي
ثم انطلقت حتى جئت اليمن تاجرا فكنت بها خمسة اشهر ثم قدمت مكة فبينا انا في
منزلي اذ جاءني الناس يسلمون ويسالون عن بضائعهم ثم جاءني محمد بن عبد الله وهند عندي
تلاعب صبيانها فسلم علي ورحب بي وسالني عن سفري ومقامي ولم يسالني عن بضاعته
ثم قام فقلت لهند والله ان هذا يعجبني ما من احد من قريش له معي بضاعة الا قد سالني
عنها وما سالني هذا عن بضاعته فقالت لي هند وما علمت شانه قلت وفزعت ما شانه
قالت يزعم انه رسول الله فوقذتني وذكرت قول النصراني فوجمت حتى قالت هند ما لك
فانتبهت فقلت ان هذا لهو الباطل هو اعقل من ان يقول هذا قالت بلى والله انه ليقول
ذلك ويوادي وان له لاصحابا على دينه قلت هذا الباطل قال وخرجت فبينا انا اطوف
بالبيت لقيته فقلت ان بضاعتك قد بلغت كذا وكذا وكان فيها خير فارسل فخذها
ولست اخذ منك فيها ما اخذ من قومي فابى علي وقال اذا لا اخذها قلت فارسل فخذها
وانا اخذ منك ما اخذ من قومي فارسل الى بضاعته فاخذها واخذت منه ما كنت اخذ من غيره
ولم انشب ان خرجت الى اليمن فقدمت الطائف فنزلت على امية بن ابي الصلت فقلت له
يا ابا عثمان قال ما تشاء قلت هل تذكر قول النصراني فقال اذكره قلت فقد كان قال
ومن قلت محمد بن عبد الله قال ابن عبد المطلب قلت ابن عبد المطلب ثم قصصت
عليه خبر هند قال فالله يعلم يتصبب عرقا ثم قال والله يا ابا سفيان لعله ان صفته
لهي ولئن ظهر وانا حي لابلين الله عز وجل في نصره عذرا قال ومضيت الى اليمن فلم انشب
ان جاءني هنالك استهلاله فاقبلت حتى نزلت على امية بن ابي الصلت بالطائف فقلت
يا ابا عثمان قد كان من امر الرجل ما قد بلغك وسمعت قال قد كان لعمري قلت واين انت منه
يا ابا عثمان قال والله ما كنت لاومن لرسول من غير ثقيف ابدا قال ابو سفيان واقبلت
الى مكة فوالله ما انا ببعيد حتى جئت مكة فوجدت اصحابه يضربون ويقهرون قال
ابو سفيان فجعلت اقول فاين جنده من الملائكة قال فدخلني ما يدخل الناس من النفاسة
وقد رواه الحافظ البيهقي في كتاب الدلائل من حديث اسماعيل بن طريح به ولكن سياق الطبراني
الذي اوردناه اتم واطول والله اعلم وقال الطبراني ثنا بكر بن احمد بن نفيل ثنا عبد
الله بن شبيب ثنا يعقوب بن محمد الزهري ثنا مجاشع بن عمرو الاسدي ثنا ليث بن
سعد عن ابي الاسود بن محمد بن عبد الرحمن عن عروة بن الزبير عن معاوية بن ابي سفيان عن ابي سفيان
بن حرب ان امية بن ابي الصلت كان بغزة او بايلياء فلما قفلنا قال لي امية يا ابا سفيان
هل لك ان تتقدم على الرفقة فنتحدث قلت نعم قال ففعلنا فقال لي يا ابا سفيان
ايه عن عتبة بن ربيعة قال كريم الطرفين ويجتنب المحارم والمظالم قلت نعم قال
وشريف مسن قلت وشريف مسن قال السن والشرف ازريا به فقلت له كذبت
ما ازداد سنا الا ازداد شرفا قال يا ابا سفيان انها كلمة ما سمعت احدا يقولها لي منذ
تنصرت فلا تعجل علي حتى اخبرك قال قلت هات قال اني كنت اجد في كتبي نبيا يبعث من
حرتنا هذه فكنت اظن بل كنت لا اشك اني انا هو فلما دارست اهل العلم اذا هو من بني

عبد مناف فنظرت في بني عبد مناف فلم اجد احدا يصلح لهذا الامر غير عتبة بن ربيعة فلما
اخبرتني بسنه عرفت انه ليس به حين جاوز الاربعين ولم يوح اليه قال ابو سفيان فضرب
الدهر من ضربه فاوحي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وخرجت في ركب من قريش اريد
اليمن في تجارة فمررت بامية فقلت له كالمستهزئ به يا امية قد خرج النبي الذي كنت
تنعته قال انه حق فاتبعه قلت ما يمنعك من اتباعه قال ما يمنعني الا الاستحيا من
نسيات ثقيف اني كنت احدثهن اني هو ثم يرينني تابعا لغلام من بني عبد مناف ثم قال
امية وكاني بك يا ابا سفيان ان خالفته قد ربطت كما تربط الجدي حتى يؤتى بك اليه
فيحكم فيك بما يريد وقال عبد الرزاق انا معمر عن الكلبي قال بينا امية راقد ومعه
ابنتان له اذ فزعت احداهما فصاحت عليه فقال لها ما شانك قالت رايت نسرين
كشطا سقف البيت فنزل احدهما اليك فشق بطنك والاخر واقف على ظهر البيت
فناداه فقال اوعى قال وعى قال ازكى قال ابى فقال ذاك الخير اريد بابيكما
فلم يفعله وقد روي من وجه اخر حسبيا قال اخبرنا اسحاق بن بشر عن محمد بن اسحاق عن الزهري
عن سعيد بن المسيب وعثمان بن عبد الرحمن عن الزهري عن سعيد بن المسيب قال
قدمت الفارعة اخت امية بن ابي الصلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد فتح
مكة وكانت ذات لب وعقل وجمال وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم بها معجبا فقال
لها ذات يوم يا فارعة هل تحفظين من شعر اخيك شيا فقالت نعم واعجب منه ما قد رايت
قالت كان اخي في سفر فلما انصرف بدا لي فدخل علي فرقد على السرير وانا احلق اديما في يدي
اذ اقبل طايران ابيضان او كالطيرين ابيضين فوقع على الكوة احدهما ودخل الاخر فوقع
عليه فشق الواقع عليه ما بين قصته الى عانته ثم ادخل يده في جوفه فاخرج قلبه
فوضعه في كفه ثم شمه فقال له الطاير الاخر اوعى قال وعى قال ازكى قال ابى ثم رد
القلب الى مكانه فالتام الجرح اسرع من طرفة عين ثم ذهبا فلما رايت ذلك دنوت
منه فحركته فقلت هل تجد شيا قال لا الا توهينا في جسدي وقد كنت ارتعبت مما
رايت فقال ما لي اراك مرتاعة قالت فاخبرته الخبر فقال خير اريد بي ثم صرف عني ثم
انشا يقول

باتت همومي تسري طوارقها • اكف عيني والدمع سابقها
مما اتاني من اليقين ولم اوت • براه يقص ناطقها
ام من تلظى عليه واقدة النار • محيط بهم سرادقها
ام اسكن الجنة التي وعد • الابرار مصفوفة نمارقها
لا يستوي المنزلان ثم ولا • الاعمال لا تستوي طرايقها
هما فريقان فرقة تدخل الجنة • حفت بهم حدايقها
وفرقة منهم قد ادخلت • النار فساءتهم مرافقها
تعاهدت هذه القلوب اذا • همت بخير عاقت عوايقها
وصدها للشقاء عن • طلب الجنة دنيا الله ماحقها
عبد دعا نفسه فعاتبها • يعلم ان البصير رامقها
ما رغبة النفس في الحياة وان • تحيى قليلا فالموت لاحقها

يوشك

يوشك من فر من منيته • يوما على غرة يوافقها
ان لم تمت غبطة تمت هرما • للموت كاس والمرء ذايقها

قالت ثم انصرف الى رحله فلم يلبث الا يسيرا حتى طعن في جنازته فاتاني الخبر فانصرفت
اليه فوجدته منعوشا قد سجي عليه فدنوت منه فشهق شهقة وشق بصره ونظر نحو
السقف ورفع صوته وقال لبيكما لبيكما ها انا لديكما لا ذو مال فيفديني ولا ذو اهل
فيحميني ثم اغمي عليه اذ شهق شهقة فقلت قد هلك الرجل فشق بصره نحو السقف ورفع
صوته فقال لبيكما لبيكما ها انا ذا لديكما لا ذو براءة فاعتذر ولا ذو عشيرة فانتصر ثم اغمي عليه
اذ شهق شهقة وشق بصره ونظر نحو السقف فقال لبيكما لبيكما ها انا ذا لديكما بالنعم محفود
وبالذنب محصود ثم اغمي عليه اذ شهق شهقة فقال لبيكما لبيكما ها انا ذا لديكما ان تغفر
اللهم تغفر جما واي عبد لك لا الما ثم اغمي عليه اذ شهق شهقة فقال كل عيش

كل عيش وان تطاول دهرا • صاير مرة الى ان يزولا
ليتني كنت قبل ما قد بدا لي • في قلال الجبال ارعى الوعولا

قالت ثم مات فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم يا فارعة فان مثل اخيك كمثل الذي اتاه
الله تعالى اياته فانسلخ منها الاية وقد تكلم الخطابي على غريب هذا الحديث وروى الحافظ
ابن عساكر عن الزهري انه قال قال امية بن ابي الصلت

الا رسول لنا منا يخبرنا • ما بعد غايتنا من راس مجرانا

قال ثم خرج امية الى البحرين وتنبى رسول الله صلى الله عليه وسلم واقام امية بالبحرين
ثماني سنين ثم قدم الطايف فقال لهم ما يقول محمد بن عبد الله قالوا يزعم انه نبي هو الذي كنت
تتمنى قال فخرج حتى قدم عليه مكة فلقيه فقال يا ابن عبد المطلب ما هذا الذي تقول
قال اقول اني رسول الله وان لا اله الا هو قال اني اريد ان اكلمك فعدني غدا قال فموعدك
غدا قال فتحب ان اتيك وحدي او في جماعة من اصحابي وتاتيني وحدك او في جماعة من اصحابك
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اي ذلك شيت قال فاني اتيك في جماعة فات في جماعة
قال فلما كان الغد غدا امية في جماعة من قريش قال وغدا رسول الله معه نفر من اصحابه حتى
جلسوا في ظل الكعبة قال فبدا امية فخطب ثم سجع ثم انشد الشعر حتى اذا فرغ قال
اجبني يا ابن عبد المطلب فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بسم الله الرحمن الرحيم
يس والقران الحكيم حتى اذا فرغ منها وثب امية يجر رجليه قال فتبعته قريش يقولون ما تقول
يا ابا امية قال اشهد انه على الحق فقالوا هل تتبعه قال حتى انظر في امره قال ثم خرج امية الى
الشام وقدم رسول الله المدينة فلما قتل اهل بدر قدم امية من الشام حتى نزل بدرا ثم ترحل
يريد رسول الله فقال قايل يا ابا الصلت ما تريد قال اريد محمدا قال
وما تصنع قال اومن به والقي اليه مقاليد هذا الامر قال اتدري من في القليب قال لا قال
فيه عتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة وهما ابنا خالك وامه ربيعة بنت عبد شمس قال
فجدع اذني ناقته وقطع ذنبها ثم وقف على القليب يقول

ماذا ببدر فالعقنقل • من مرازبة جحاجح

القصيدة الى اخرها كما سياتي ذكرها بتمامها في قصة بدر ان شاء الله ثم رجع الى مكة والطايف
وترك الاسلام ثم ذكر قصة الطيرين وقصة وفاته كما تقدم وانشد شعره عند الوفاة

كل عيش وإن تطاول دهرا * صائر مرة إلى أن يزولا
ليتني كنت قبل ما قد بدا لي * في قلال الجبال أرعى الوعولا
فاجعل الموت نصب عينيك واحذر * غولة الدهر إن للدهر غولا
نائلا ظفرها القشاور والصدعا * ن والطفل في المنار الشكيلا
وبغاث النياف واليعفر النافر * والعوهج البرام الضئيلا

فقوله القشاور جمع قشورة وهو الأسد والصدعان ثيران الوحش واحدها صدع والطفل الشكل من حمرة العين والبغاث الرخم والنياف الجبال واليعفر الظبي والعوهج ولد النعامة يعني أن الموت لا ينجو منه الوحوش في البراري ولا الرخم الساكن في رءوس الجبال ولا يترك صغيرا لصغره ولا كبيرا لكبره وقد تكلم الخطابي وغيره على غريب هذه الأحاديث وقد ذكر السهيلي في كتابه التعريف والأعلام أن أمية بن أبي الصلت أول من قال باسمك اللهم وذكر عند ذلك قصة غريبة وهو أنهم خرجوا في جماعة من قريش في سفر فيهم حرب بن أمية والد أبي سفيان قال فمروا في مسيرهم بحية فقتلوها فلما أمسوا جاءتهم امرأة من الجان فعاتبتهم في قتل تلك الحية ومعها قضيب فضربت به الأرض ضربة نفرت الإبل عن آخرها فذهبت وشردت كل مذهب وقاموا فلم يزالوا في طلبها حتى ردوها فلما اجتمعوا جاءتهم أيضا فضربت الأرض بقضيبها فنفرت الإبل فذهبوا في طلبها فلما أعياهم ذلك قالوا والله هل عندك لما نحن فيه من مخرج فقال لا والله ولكن سأنظر في ذلك قال فساروا في تلك المحلة لعلهم يجدوا أحدا يسألونه عما قد حل بهم من العناء إذا نار تلوح لهم على بعد فجاءوها فإذا شيخ على باب خيمة يوقد نارا وإذا هو من الجان في غاية الضآلة والدمامة فسلموا عليه فسألهم عما هم فيه فقال إذا جاءتكم فقولوا باسمك اللهم فإنها تهرب فلما اجتمعوا وجاءتهم الثالثة أو الرابعة قال في وجهها أمية باسمك اللهم فشردت ولم يقر لها قرار لكن عدت الجن على حرب بن أمية فقتلوه بتلك الحية فقبره أصحابه هنالك حيث لا جار ولا دار ففي ذلك يقول الجان

وقبر حرب بمكان قفر * وليس قرب قبر حرب قبر

وذكر بعضهم أنه كان يتفرس في بعض الأحيان في لغات الحيوانات فكان يمر في السفر على الطير فيقول لأصحابه إن هذا يقول كذا وكذا فيقولون لا نعلم صدق ما يقول حتى مروا على قطيع غنم قد انقطعت منه شاة ومعها ولدها فالتفتت إليه فثغت كأنها تستحثه فقال أتدرون ما تقول له قالوا لا قال إنها تقول أسرع بنا لا يجيء الذئب فيأكلك كما أكل الذئب أخوك عام أول فأسرعوا حتى سألوا الراعي هل أكل له الذئب عام أول حملا بتلك البقعة فقال نعم قال ومر يوما على بعير عليه امرأة راكبة وهو يرفع رأسه إليها ويرغو فقال إنه يقول لها إنك رحلتيني وفي الحداجة مخيط فأنزلوا تلك المرأة وحلوا ذلك الرحل فإذا فيه مخيط كما قال وذكر ابن السكيت أن أمية بن أبي الصلت بينما هو يشرب يوما إذ نعب غراب فقال له بفيك التراب مرتين فقيل له ما يقول فقال إنه يقول إنك تشرب هذا الكأس الذي بيدك ثم تموت ثم نعب الغراب فقال إنه يقول وآية ذلك أني أنزل على هذه المزبلة فآكل منها فيعلق عظم في حلقي فأموت ثم نزل الغراب على تلك المزبلة فأكل شيئا فعلق في حلقه عظم فمات فقال أمية أما هذا فقد صدق في نفسه ولكن سأنظر هل صدق في أم لا ثم شرب

ذلك الكأس الذي في يده ثم اتكى فمات وقد ثبت في الصحيح من حديث ابن مهدي عن الثوري عن عبد الملك بن عمير عن أبي سلمة عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن أصدق كلمة قالها شاعر كلمة لبيد ألا كل شيء ما خلا الله باطل وكاد أمية بن أبي الصلت أن يسلم وقال الإمام أحمد ثنا روح ثنا زكريا بن إسحاق ثنا إبراهيم بن ميسرة أنه سمع عمرو بن الشريد يقول قال الشريد كنت ردفا لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لي أمعك من شعر أمية بن أبي الصلت شيء قلت نعم قال هيه فأنشدته بيتا فلم يزل يقول لي كلما أنشدته بيتا إيه حتى أنشدته مائة بيت قال ثم سكت النبي صلى الله عليه وسلم وسكت وهكذا رواه مسلم من حديث سفيان بن عيينة عن إبراهيم بن ميسرة به ومن غير وجه عن عمرو بن الشريد عن أبيه الشريد بن سويد الثقفي عن النبي صلى الله عليه وسلم وفي بعض الروايات فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن كاد ليسلم وقال يحيى بن محمد بن صاعد ثنا إبراهيم بن سعيد الجوهري ثنا أبو أسامة ثنا حاتم بن أبي صغيرة عن سماك بن حرب عن عمرو بن نافع عن الشريد الهمداني وأخواله ثقيف قال أخرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع فبينا أنا أمشي ذات يوم إذ وقع ناقة خلفي بالبيت فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال الشريد فقلت نعم قال ألا أحملك قلت بلى وما بي من إعياء ولكني أردت البركة في ركوبي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فأناخ فحملني فقال أمعك من شعر أمية بن أبي الصلت قلت نعم قال هات فأنشدته قال أظنه قال مائة بيت فقال عند الله علم أمية بن أبي الصلت ثم قال ابن صاعد هذا حديث غريب فأما الذي يروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في أمية آمن شعره وكفر قلبه فلا أعرفه والله أعلم وقال الإمام أحمد ثنا عبد الله بن محمد هو أبو بكر بن أبي شيبة ثنا عبدة بن سليمان عن محمد بن إسحاق عن يعقوب بن عتبة عن عكرمة عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صدق أمية في شيء من شعره قال

رجل وثور تحت رجل يمينه * والنسر للأخرى وليث مرصد
والشمس تبدو كل آخر ليلة * حمراء يصبح لونها يتورد
تأبى فما تطلع لنا في رسلها * إلا معذبة وإلا تجلد

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم صدق وفي رواية أبي بكر الهذلي عن عكرمة عن ابن عباس أنه قال إن الشمس لا تطلع حتى ينخسها سبعون ألف ملك يقولون لها اطلعي اطلعي فتقول لا أطلع على قوم يعبدونني من دون الله فإذا همت بالطلوع أتاها شيطان يريد أن يثبطها فتطلع بين قرنيه وتحرقه فإذا تضيفت للغروب عزمت لله عز وجل فيأتيها شيطان يريد أن يثبطها عن السجود فتغرب بين قرنيه وتحرقه أورده ابن عساكر مطولا ومن شعره في حملة العرش

فمن حامل إحدى قوائم عرشه * ولولا إله الخلق كلوا وأبلدوا
قيام على الأقدام عانون تحته * فرائصهم من شدة الخوف ترعد

رواه ابن عساكر وروى عن الأصمعي أنه كان ينشد من شعر أمية

مجدوا الله فهو للمجد أهل * ربنا في السماء أمسى كبيرا
بالبناء الأعلى الذي سبق الناس * وسوى فوق السماء سريرا
شرجعا لا يناله بصر العين * ترى دونه الملائك صورا

ثم يقول الاصمعي الملايكة جمع ملك والصور جمع اصور وهو المايل العنق وهولا حملة العرش ومن شعر امية بن ابي الصلت يمدح عبد الله بن جدعان التيمي

اأذكر حاجتي ام قد كفاني • حياؤك ان شيمتك الحياء
وعلمك بالحقوق وانت فرع • لك الحسب المهذب والسناء
كريم لا يغيره صباح • عن الخلق الجميل ولا مساء صح
وارضك ارض مكرمة بنتها • بنو تيم وانت لها سماء
يبارى الريح مكرمة وجودا • اذا ما الكلب احجره الشتاء
وارضك ارض مكرمة بنتها • بنو تيم وانت لها سماء
اذا اثنى عليك المرء يوما • كفاه من تعرضه الثناء

وله فيه مدايح اخر وقد كان عبد الله بن جدعان هذا من الكرماء الاجواد الممدحين المشهورين وكانت له جفنة ياكل الراكب منها وهو على بعيره من عرض حافتها وكثرة طعامها وكان يملاها لباب البر يلبك بالشهد والسمن وكان يعتق الرقاب ويعين على النوايب وقد سالت عايشة عنه النبي صلى الله عليه وسلم ايتفعه ذلك فقال انه لم يقل يوما من الدهر رب اغفر لي خطيتي يوم الدين ومن شعر امية البديع

لا ينكتون الارض عند سوالهم • كتطلب العلات بالعيدان
بل يسفرون وجوههم فترى لها • عند السوال كاحسن الالوان
واذا المقل اقام وسط رحالهم • ردوه رب صواهل وقيان
واذا دعوتهم لكل ملمة • سدوا شعاع الشمس بالفرسان (خ م لكل كريهة)

اخر ترجمة امية بن ابي الصلت

بحيرا الراهب

الذي توسم في رسول الله صلى الله عليه وسلم النبوة وهو مع عمه ابي طالب حين قدم الشام في تجار من اهل مكة وعمره اذ ذاك ثنتا عشرة سنة فراى الغمامة تظله من بينهم فصنع لهم ضيافة واستدعاهم كما سياتي بيان ذلك في السيرة وقد روى الترمذي في ذلك حديثا بسطنا الكلام عليه هنالك وقد اورد له الحافظ ابن عساكر شواهد وسايغات في ترجمة بحيرا ولم يورد ما رواه الترمذي وهذا عجيب وذكر ابن عساكر ان بحيرا كان يسكن قرية يقال لها الكفر بينها وبين بصرى ستة اميال وهي التي يقال لها دير بحيرا قال ويقال انه كان يسكن قرية يقال لها منفعة بالبلقا وراء زيزا والله اعلم

ذكر قس بن ساعدة الايادي

قال الحافظ ابو بكر محمد بن جعفر بن سهل الخرايطي في كتاب هواتف الجان حدثنا داود القنطري ثنا عبد الله بن صالح حدثني ابو عبد الله الشرقي عن ابي الحرث الوراق عن ثور بن يزيد عن مورق العجلي عن عبادة بن الصامت قال لما قدم وفد اياد على النبي صلى الله عليه وسلم قال يا معشر وفد اياد ما فعل قس بن ساعدة الايادي قالوا هلك يا رسول الله قال لقد شهدته يوما بسوق عكاظ على جمل احمر يتكلم بكلام معجب مونق لا اجدني احفظه فقام اليه اعرابي من اقاصي القوم فقال انا احفظه يا رسول الله قال فسر النبي صلى الله عليه وسلم بذلك قال فكان بسوق عكاظ على جمل احمر وهو يقول يا معشر الناس اجتمعوا فكل من فات فات وكل شي ات ات ليل داج وسماء ذات ابراج وبحر عجاج نجوم تزهر وجبال مرسية وانهار مجرية ان في السما لخبرا وان في الارض لعبرا

ما لي ارى الناس يذهبون فلا يرجعون ارضوا بالاقامة فاقاموا ام تركوا فناموا اقسم قس بالله قسما لا ريب فيه ان لله دينا هو ارضى من دينكم هذا وان كان فيه بعض الاسطال ثم انشا يقول

في الذاهبين الاولين • من القرون لنا بصاير
لما رايت مواردا • للموت ليس لها مصادر
ورايت قومي نحوها • يمضي الاصاغر والاكابر
لا من مضى ياتي اليك • ولا من الباقين غابر
ايقنت اني لا محالة • حيث صار القوم صاير

وهذا اسناد غريب من هذا الوجه وقد رواه الطبراني من وجه اخر فقال في كتابه المعجم الكبير حدثنا محمد بن السري بن مهران بن مهران الناقد البغدادي ثنا محمد بن حسان السمتي ثنا محمد بن الحجاج عن مجالد عن الشعبي عن ابن عباس قال قدم وفد عبد القيس على النبي صلى الله عليه وسلم فقال ايكم يعرف القس بن ساعدة الايادي قالوا كلنا نعرفه يا رسول الله قال فما فعل قالوا هلك قال فما انساه بعكاظ في الشهر الحرام وهو على جمل احمر وهو يخطب الناس وهو يقول يا ايها الناس اجتمعوا واستمعوا وعوا من عاش مات ومن مات فات وكل ما هو ات ات ان في السما لخبرا وان في الارض لعبرا مهاد موضوع وسقف مرفوع ونجوم تمور وبحار لا تغور اقسم قس قسما حقا لين كان في الامر رضى ليكونن بعده سخط ان لله لدينا هو احب اليه من دينكم الذي انتم عليه ما لي ارى الناس يذهبون ولا يرجعون ارضوا بالمقام فاقاموا ام تركوا فناموا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ايكم يروي شعره فانشدوه بعضهم

في الذاهبين الاولين • من القرون لنا بصاير
لما رايت مواردا • للموت ليس لها مصادر
ورايت قومي نحوها • يمضي الاصاغر والاكابر
لا يرجع الماضي الي • ولا من الباقين غابر
ايقنت اني لا محالة • حيث صار القوم صاير

وهكذا رواه الحافظ البيهقي في كتابه دلايل النبوة من طريق محمد بن حسان السمتي به وهكذا رويناه في الجزء الذي جمعه الاستاذ ابو محمد عبد الله بن جعفر بن درستويه في اخبار قس قال ثنا عبد الكريم بن الهيثم الدير عاقولي عن سعيد بن شبيب عن محمد بن الحجاج وهو ابراهيم الواسطي نزيل بغداد ويعرف بصاحب الهريسة وقد كذبه يحيى بن معين وابو حاتم الرازي والدارقطني واتهمه غير واحد منهم ابن عدي بوضع الحديث وقد رواه البزار وابو نعيم من حديث محمد بن الحجاج هذا ورواه ابن درستويه وابو نعيم من طريق الكلبي عن ابي صالح عن ابن عباس وهذه الطريق اسلم من التي قبلها وفيه ان ابا بكر هو الذي اورد القصة بكمالها نظمها ونثرها بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد رواه الحافظ ابو نعيم من حديث احمد بن موسى بن اسحاق الخطمي ثنا علي بن الحسين بن محمد المخزومي ثنا ابو حاتم السجستاني ثنا وهب بن جرير عن محمد بن اسحاق عن الزهري عن سعيد بن المسيب عن ابن عباس قال لما قدم وفد بكر بن وايل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال

لهم ما فعل حليف لكم يقال له قس بن ساعدة الايادي وذكرا القصة مطولة واخبرنا الشيخ
المسند الرحلة احمد بن ابي طالب الحجار اجازة ان لم يكن سماعا قال اجاز لنا جعفر بن علي الهمداني
قال اخبرنا الحافظ ابو طاهر احمد بن محمد بن احمد بن ابراهيم السلفي سماعا ح وقرات على شيخنا
الحافظ ابي عبد الله الذهبي اخبرنا ابو علي الحسن بن علي بن ابي بكر الخلال سماعا قالا انا جعفر بن
علي سماعا قال انا السلفي سماعا انا ابو عبد الله محمد بن احمد بن ابراهيم الرازي انا ابو الفضل
ابن محمد احمد بن عيسى السعدي انا ابو القسم عبيد الله بن احمد بن علي المقري ثنا ابو محمد عبد الله
بن جعفر بن درستويه النحوي قال ثنا اسماعيل بن ابراهيم بن احمد السعدي قاضي فارس
ثنا ابو داود سليمان بن سيف بن يحيى بن درهم الطائي من اهل حران ثنا ابو عمرو سعيد بن
هريج عن محمد بن اسحاق حدثني بعض اصحابنا من اهل العلم عن الحسن بن ابي الحسن البصري
انه قال كان الجارود بن المعلى بن حنش بن معلى العبدي نصرانيا حسن المعرفة بتفسير
الكتب وتاويلها عالما بسير الفرس واقاويلها بصيرا بالفلسفة والطب ظاهر الدهاء
والادب كامل الجمال ذا ثروة ومال وانه قدم على النبي صلى الله عليه وسلم وافدا في رجال من
عبد القيس ذوي اراء واسنان وفصاحة وبيان وحجج وبرهان فلما قدم على النبي صلى الله
عليه وسلم وقف بين يديه واشار اليه وانشا يقول

يا نبي الهدى اتتك رجال • قطعت فدفدا وآلا فآلا
وطوت نحوك الصحاصح تهوي • لا تعد الكلال فيك كلالا
كل بهماء قصر الطرف عنها • ارقلتها قلاصنا ارقالا
وطوتها العتاق تجمح فيها • بكماة كانجم تتلالا
تبتغي دفع باس يوم عظيم • هائل اوجع القلوب وهالا
ومزادا لمحشر الخلق طرا • وفراقا لمن تمادى ضلالا
نحو نور من الاله وبرهان • وبر ونعمة ان تنالا
خصك الله يا ابن آمنة • الخير بها اذ اتت سجالا سجالا
فاجعل الحظ منك يا حجة الله • جزيلا لا حظ خلف احالا

قال فادناه النبي صلى الله عليه وسلم وقرب مجلسه وقال له يا جارود لقد تاخر
الموعود بك وبقومك فقال الجارود فداك ابي وامي اما من تاخر عنك فقد فاته حظه
وتلك اعظم حوبة واغلظ عقوبة وما كنت فيمن راك او سمع بك فعداك واتبع سواك
واني الآن على دين قد علمت به قد جيتك وها انا تاركه لدينك افذلك مما يمحص الذنوب
والمآثم والحوب ويرضي الرب عن المربوب فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم انا ضامن
لك ذلك واخلص الآن لله الوحدانية ودع عنك دين النصرانية فقال الجارود فداك
ابي وامي مد يدك فانا اشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له واشهد ان محمدا عبده
ورسوله قال فاسلم واسلم معه اناس من قومه فسر النبي صلى الله عليه وسلم باسلامهم
واظهر من اكرامهم ما سروا به وابتهجوا به ثم اقبل عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال
افيكم من يعرف قس بن ساعدة الايادي فقال الجارود فداك ابي وامي كلنا نعرفه واني من
بينهم لعالم بخبره واقف على امره كان قس يا رسول الله سبطا من اسباط العرب عمر ستمائة
سنة تقفر منها خمسة اعمار في البراري والقفار يضج بالتسبيح على مثال المسيح لا يقره

قرار

قرار ولا تكنه دار ولا يستمتع به جار كان يلبس الامساح ويفوق السياح ولا يفتر من رهبانيته
يتحسا في سياحته بيض النعام ويانس بالهوام ويستمتع بالظلام يبصر فيعتبر ويفكر فيختبر
فصار لذلك واحدا تضرب بحكمته الامثال وتكشف به الاهوال ادرك راس الحواريين سمعان
وهو اول رجل تاله من العرب ووحد واقر وتعبد وايقن بالبعث والحساب وحذر سوء المآب وامر
بالعمل قبل الفوت ووعظ بالموت وسلم بالقضا على السخط والرضا وزار القبور وذكر النشور
وندب بالاشعار وفكر في الاقدار وانبا عن السما والنما وذكر النجوم وكشف الما ووصف
البحار وعرف الآثار وخطب راكبا ووعظ دائبا وحذر من الكرب ومن شدة الغضب ورسل
الرسايل وذكر كل هايل وارغم في خطبه وبين في كتبه وخوف الدهر وحذر الازر وعظم الامر
وجنب الكفر وشوق الى الحنيفية ودعا الى اللاهوتية وهو القايل في يوم عكاظ شرق
وغرب ويتم وحرب وسلم وحرب ويابس ورطب واجاج وعذب وشموس واقمار ورياح
وامطار وليل ونهار واناث وذكور وابرار وفجور وحب ونبات واباء وامهات وجمع واشتات
وايات في اثرها ايات ونور وظلام وبيسر واعدام ورب واصنام لقد ضل الانام نشو مولود
ووزر مفقود وتربية محصود وفقير وغني ومحسن ومسي تبا لارباب الغفلة ليصلحن العامل
عمله وليفقدن الامل امله كلا بل هو اله واحد ليس بمولود ولا والد اعاد وابدى واليه المآب
وخلق الذكر والانثى رب الاخرة والاولى اما بعد فيا معشر اياد اين ثمود وعاد واين الآباء
والاجداد واين العليل والعواد كل له معاد يقسم قس برب العباد وساطح المهاد لتحشرن
على الانفراد في يوم التناد اذا نفخ في الصور ونقر في الناقور واشرقت الارض ووعظ الواعظ
فانتبه القانط وابصر اللاحظ فويل لمن صدف عن الحق الاشهر والنور الازهر والعرض الاكبر
في يوم الفصل وميزان العدل اذا حكم القدير وشهد النذير وبعد النصير وظهر التقصير
ففريق في الجنة وفريق في السعير وهو القايل

ذكر القلب من جواه ادكار • وليال خلالهن نهار
وسجال هواطل من غمام • ثرن ماء وفي جواهن نار
ضوءها يطمس العيون وارعام • شداد في الخافقين تطار
وقصور مشيدة حوت الخير • واخرى خلت بهن قفار
وجبال شوامخ راسيات • وبحار مياههن غزار
ونجوم تلوح في ظلم الليل • نراها في كل يوم تدار
ثم شمس يحثها قمر الليل • وكل متابع موار
وصغير واشمط وكبير • كلهم في الصعيد يوما مزار
وكبير مما يقصر عنه حدسه • الخاطر الذي لا يحار
فالذي قد ذكرت دل على الله • نفوسا لها هدى واعتبار

قال فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم مهما نسيت فلست انساه بسوق عكاظ واقفا
على جمل احمر يخطب الناس اجتمعوا فاسمعوا واذا سمعتم فعوا واذا وعيتم فانتفعوا وقولوا
واذا قلتم فاصدقوا من عاش مات ومن مات فات وكل ما هو آت آت مطر ونبات واحيا
واموات ليل داج وسما ذات ابراج ونجوم تزهر وبحار تزخر وضوء وظلام وليل وايام
وبر وآثام ان في السما خبرا وان في الارض عبرا يحار فيهن البصرا مهاد موضوع وسقف

من نوع ونجوم تغور وبحار لا تغور ومنايا دوان ودهر خوان كحد القسطاس ووزن القسطاس اقسم قس قسما لا كاذبا فيه ولا آثما لئن كان في هذا الامر رضى ليكونن سخط ثم قال ايها الناس ان لله دينا هو احب اليه من دينكم هذا الذي انتم عليه وهذا زمانه واوانه ثم قال ما لي ارى الناس يذهبون فلا يرجعون ارضوا بالمقام فاقاموا ام تركوا فناموا ثم التفت رسول الله صلى الله عليه وسلم الى بعض اصحابه فقال ايكم يروي شعره لنا فقال ابو بكر الصديق فداك ابي وامي انا شاهد له في ذلك اليوم حيث يقول

في الذاهبين الاولين • من القرون لنا بصائر •
لما رايت مواردا للموت • ليس لها مصادر •
ورايت قومي نحوها • يمضي الاصاغر والاكابر •
لا يرجع الماضي الي • ولا من الباقين غابر •
ايقنت اني لا محالة • حيث صار القوم صائر •

قال فقام الى رسول الله صلى الله عليه وسلم شيخ من عبد القيس عظيم الهامة طويل القامة بعيد ما بين المنكبين فقال فداك ابي وامي وانا رايت من قس عجبا فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ما الذي رايته يا اخا بني عبد القيس فقال خرجت في شبيبتي اربع بعيرا لي ند مني اقفو اثره في تنايف قفاف ذات ضغابيس وعرصات جثجاث بين صدور جذعان وغمير حوذان ومهمه ظلمان ورصيع ايهقان فبينا انا في تلك الفلوات اجول بسبسبها وارنق فدفدها اذا انا بهضبة في تشزاتها اراك كباث مخضوضلة واغصانها متهدلة كان بريرها حب الفلفل وبواسق اقحوان واذا بعين خرارة وروضة مدهامة وشجرة عادية واذا انا بقس بن ساعدة في اصل تلك الشجرة وبيده قضيب فدنوت منه وقلت له انعم صباحا فقال وانت فنعم صباحك وقد وردت العين سباع كثيرة فكان كلما ذهب سبع منها يشرب من العين قبل صاحبه ضربه قس بالقضيب الذي بيده وقال اصبر حتى يشرب الذي قبلك فذعرت من ذلك ذعرا شديدا ونظر الي فقال لا تخف واذا بقبرين بينهما مسجد فقلت ما هذان القبران قال قبرا اخوين كانا يعبدان الله عز وجل بهذا الموضع فانا مقيم بين قبريهما اعبد الله حتى الحق بهما فقلت له افلا تلحق بقومك فتكون معهم في خيرهم وتباينهم على شرهم فقال لي ثكلتك امك اوما علمت ان ولد اسماعيل تركوا دين ابيهم واتبعوا الاضداد وعظموا الانداد ثم اقبل على القبرين وانشا يقول

خليلي هبا طالما قد رقدتما • اجدكما لا تقضيان كراكما •
ارى النوم بين الجلد والعظم منكما • كان الذي يسقي العقار سقاكما •
امن طول نوم لا تجيبان داعيا • كان الذي يسقي العقار سقاكما •
الم تعلما اني بنجران مفردا • وما لي فيه من حبيب سواكما •
مقيم على قبريكما لست بارحا • اياب الليالي او يجيب صداكما •
ابكيكما طول الحياة وما الذي • يرد على ذي لوعة ان بكاكما •
فلو جعلت نفس لنفس امرئ فدى • لجدت بنفسي ان يكون فداكما •
كانكما والموت اقرب غاية • بروحي في قبريكما قد اتاكما •

قال فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم رحم الله قسا اما انه سيبعث يوم القيامة

امة واحدة

امة واحدة وهذا الحديث غريب جدا من هذا الوجه وهو مرسل الا ان يكون الحسن سمعه من الجارود والله اعلم وقد رواه البيهقي والحافظ ابو القسم بن عساكر من وجه اخر من حديث محمد بن عيسى بن محمد بن سعيد القرشي الاخباري ثنا ابي ثنا علي بن سليمان بن علي عن علي بن عبد الله عن عبد الله بن عباس رضي الله عنه قال قدم الجارود بن عبد الله فذكر مثله او نحوه مطولا بزيادات كثيرة في نظمه ونثره وفيه ما ذكره عن الذي ضل بعيره فذهب في طلبه قال فبت في واد لا امن فيه حتفي ولا اركن الا الى سيفي ابيت ارقب الكوكب وارمق الغيهب حتى اذا عسعس الليل وكاد الصبح ان يتنفس هتف بي هاتف يقول •

يا ايها الراقد في الليل الاجم • قد بعث الله نبيا في الحرم •
من هاشم اهل الوفاء والكرم • يجلو دجنات الدياجي والبهم •

قال فادرت طرفي فما رايت له شخصا ولا سمعت له فحصا قال فانشات اقول

يا ايها الهاتف في داجي الظلم • اهلا وسهلا بك من طيف الم •
بين هداك الله في لحن الكلم • ماذا الذي تدعو اليه يغتنم •

قال فاذا انا بنحنحة وقائل يقول ظهر النور وبطل الزور وبعث الله محمدا بالحبور صاحب النجيب الاحمر والتاج والمغفر والوجه الازهر والحاجب الاقمر والطرف الاحور صاحب قول شهادة ان لا اله الا الله وذلك محمد المبعوث الى الاسود والابيض اهل المدر والوبر ثم انشا يقول •

الحمد لله الذي لم يخلق الخلق عبث • لم يخلنا سدى من بعد عيسى واكترث
ارسل فينا احمدا خير نبي قد بعث • صلى عليه الله ما حج له ركب وحث

وفيه من انشاد قس بن ساعدة • •

يا ناعي الموت والملحود في جدث • عليهم من بقايا نومهم خرق •
دعهم فان لهم يوما يصاح بهم • فهم اذا انتبهوا من نومهم ارقوا •
حتى يعودوا بحال غير حالهم • خلقا جديدا كما من قبله خلقوا •
منهم عراة ومنهم في ثيابهم • منها الجديد ومنها المنهج الخلق •

ثم رواه البيهقي عن ابي محمد عبد الله بن يوسف بن احمد الاصبهاني ثنا ابو بكر احمد بن سعيد بن فرضخ الاخميمي بمكة ثنا القسم بن عبد الله بن مهدي ثنا ابو عبيد الله سعيد بن عبد الرحمن المخزومي ثنا سفيان بن عيينة عن ابي حمزة الثمالي عن سعيد بن جبير عن ابن عباس فذكر القصة وذكر الانشاد قال فوجدوا عند راسه صحيفة فيها •

يا ناعي الموت والاموات في جدث • عليهم من بقايا نومهم خرق •
دعهم فان لهم يوما يصاح بهم • كما ينبه من نوماته الصعق •
منهم عراة وموتى في ثيابهم • منها الجديد ومنها الازرق الخلق •

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي بعثني بالحق لقد آمن قس بالبعث واصله مشهور وهذه الطرق على ضعفها كالمتعاضدة على اثبات اصل القصة وقد تكلم ابو محمد بن درستويه على غريب ما وقع في هذا الحديث واكثره ظاهر ان شاء الله تعالى وما كان فيه غرابة شديدة نبهنا عليه في الحواشي وقال البيهقي انا ابو سعيد بن محمد بن احمد الشعيثي ثنا ابو عمرو بن ابي طاهر المحمداباذي لفظا ثنا ابو لبابة محمد بن المهدي الابيوردي ثنا ابي ثنا

سعيد بن هبيرة ثنا المعتمر بن سليمان عن ابيه عن انس بن مالك قال قدم وفد اياد على النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا معشر وفد اياد ما فعل قس بن ساعدة قالوا هلك فقال اما اني سمعت منه كلاما ارى اني احفظه فقال بعض القوم نحن نحفظه يا رسول الله قال هاتوا فقال قايلهم انه وقف بسوق عكاظ فقال يا ايها الناس استمعوا واسمعوا وعوا كل من عاش مات وكل من مات فات وكل ما هو ات ات ليل داج وسماء ذات ابراج ونجوم تزهر وبحار تزخر وجبال مرسية وانهار مجرية ان في السماء لخبرا وان في الارض لعبرا ارى الناس يموتون ولا يرجعون ارضوا بالاقامة فاقاموا ام تركوا فناموا اقسم قس قسما بالله لا اثم فيه ان لله دينا هو ارضى مما انتم عليه ثم انشأ يقول

في الذاهبين الاولين • من القرون لنا بصاير
لما رايت مصادرا للقوم • ليس لها مصادر
ورايت قومي نحوها • يمضي الاكابر والاصاغر
ايقنت اني لا محالة • حيث صار القوم صاير

ثم ساقه البيهقي من طرق اخر قد نبهنا عليه فيما تقدم ثم قال بعد ذلك كله وقد روي هذا الحديث عن الكلبي عن ابي صالح عن ابن عباس بزيادة ونقصان وروي من وجه اخر عن الحسن البصري منقطعا وروي مختصرا من حديث سعد بن ابي وقاص وابي هريرة قلت وعبادة بن الصامت كما تقدم وعبد الله بن مسعود كما رواه ابو نعيم في كتاب الدلايل عن عبد الله بن محمد بن عثمان الواسطي عن ابي الوليد طريف بن عبيد الله مولى علي بن ابي طالب بالموصل عن يحيى بن عبد الحميد الحماني عن ابي معاوية عن الاعمش عن ابي الضحى عن مسروق عن ابن مسعود فذكره وروى ابو نعيم ايضا حديث عبادة المتقدم وسعد بن ابي وقاص ثم قال البيهقي واذا روي الحديث من اوجه اخر وان كان بعضها ضعيفا دل على ان للحديث اصلا والله اعلم

ذكر زيد بن عمرو بن نفيل رضي الله عنه

هو زيد بن عمرو بن نفيل بن عبد العزى بن رياح بن عبد الله بن قرط بن رزاح بن عدي بن كعب بن لوي القرشي العدوي وكان الخطاب والد عمر بن الخطاب عمه واخاه لامه وذلك لان عمرو بن نفيل كان قد خلف على امراة ابيه بعد ابيه وكان لها من نفيل اخوه الخطاب قاله الزبير بن بكار ومحمد بن اسحاق وكان زيد بن عمرو قد ترك عبادة الاوثان وفارق دينهم وكان لا ياكل الا ما ذبح على اسم الله وحده قال يونس بن بكير عن محمد بن اسحاق حدثني هشام بن عروة عن ابيه عن اسما بنت ابي بكر قالت لقد رايت زيد بن عمرو بن نفيل مسندا ظهره الى الكعبة يقول يا معشر قريش والذي نفس زيد بيده ما اصبح منكم احد على دين ابراهيم غيري ثم يقول اللهم اني لو اعلم احب الوجوه اليك عبدتك به ولكني لا اعلم ثم يسجد على راحلته وكذا رواه ابو اسامة عن هشام به وزاد وكان يصلي الى الكعبة ويقول الهي اله ابراهيم وديني دين ابراهيم وكان يحيي الموؤدة ويقول للرجل اذا اراد ان يقتل ابنته لا تقتلها ادفعها الي اكفلها فاذا ترعرعت قال ان شئت فخذها وان شئت فادفعها اخرجه النسائي من طريق ابي اسامة وعلقه البخاري فقال وقال الليث كتب الي هشام عن عروة عن ابيه به وقال يونس بن بكير عن محمد بن اسحاق وقد كان نفر من قريش زيد بن عمرو بن نفيل وورقة ابن نوفل بن اسد بن عبد العزى وعثمان بن الحويرث بن اسد بن عبد العزى وعبيد الله بن

جحش

جحش بن رياب بن يعمر بن صبرة بن مرة بن كبير بن غنم بن دودان بن اسد بن خزيمة وامه اميمة بنت عبد المطلب واخته زينب بنت جحش التي تزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد مولاه زيد بن حارثة كما سياتي بيانه حضروا قريشا عند وثن لهم كانوا يذبحون عنده لعيد من اعيادهم فلما اجتمعوا خلا بعضهم الى بعض وقالوا تصادقوا وليكتم بعضكم على بعض فقال قايلهم تعلمن والله ما قومكم على شيء لقد اخطاوا دين ابراهيم وخالفوه ما وثن يعبد لا يضر ولا ينفع فابتغوا لانفسكم فخرجوا يطلبون ويسيرون في الارض يلتمسون اهل كتاب من اليهود والنصارى والملل كلها الحنيفية دين ابراهيم فاما ورقة بن نوفل فتنصر واستحكم في النصرانية واتبع الكتب من اهلها حتى علم علما كثيرا من اهل الكتاب ولم يكن فيهم اعدل امرا واعدل شانا من زيد بن عمرو بن نفيل اعتزل الاوثان وفارق الاديان من اليهود والنصارى والملل كلها الا دين الحنيفية دين ابراهيم يوحد الله ويخلع من دونه ولا ياكل ذبايح قومه باداهم بالفراق لما هم فيه قال وكان الخطاب قد اذاه اذى كثيرا حتى خرج منه الى اعلى مكة ووكل به الخطاب شبابا من قريش وسفهاء من سفهايهم فقال لهم لا تتركوه يدخل فكان لا يدخلها الا سرا منهم فاذا علموا به اخرجوه واذوه كراهية ان يفسد عليهم دينهم وان يتابعه احد على ما هو عليه وقال موسى بن عقبة سمعت من ارضى يحدث عن زيد بن عمرو بن نفيل كان يعيب على قريش ذبايحهم ويقول الشاة خلقها الله وانزل لها من السماء ماء وانبت لها من الارض ثم تذبحونها على غير اسم الله انكارا لذلك واعظاما له وقال يونس عن ابن اسحاق وقد كان زيد بن عمرو قد عزم على الخروج من مكة فضرب في الارض يطلب الحنيفية دين ابراهيم وكانت امراته صفية بنت الحضرمي كلما ابصرته قد نهض للخروج واراده اذنت الخطاب بن نفيل فخرج زيد الى الشام يلتمس ويطلب في اهل الكتاب الاول دين ابراهيم ويسال عنه ولم يزل في ذلك فيما يزعمون حتى اتى الموصل والجزيرة كلها ثم اقبل حتى اتى الشام فجال فيها حتى اتى راهبا ببيعة من ارض البلقاء كان ينتهي اليه علم النصرانية فيما يزعمون فساله عن الحنيفية دين ابراهيم فقال له الراهب انك لتسال عن دين ما انت بواجد من يحملك عليه اليوم لقد درس من علمه وذهب من كان يعرفه ولكنه قد اظل خروج نبي وهذا زمانه وقد كان شام اليهودية والنصرانية فلم يرض شيا منهما فخرج سريعا حين قال له الراهب ما قال يريد مكة حتى اذا كان بارض لخم عدوا عليه فقتلوه فقال ورقة يرثيه

رشدت وانعمت ابن عمرو وانما • تجنبت تنورا من النار حاميا
بدينك ربا ليس رب كمثله • وتركك اوثان الطواغي كما هيا
وقد تدرك الانسان رحمة ربه • ولو كان تحت الارض سبعين واديا

وقال محمد بن عثمان بن ابي شيبة ثنا احمد بن طارق الوابشي ثنا عمرو بن عطية عن ابيه عن ابن عمر عن زيد بن عمرو بن نفيل انه كان يتاله في الجاهلية فانطلق حتى اتى رجلا من اليهود فقال له احب ان تدخلني معك في دينك فقال له اليهودي لا ادخلك في ديني حتى تبوء بنصيبك من غضب الله فقال من غضب الله افر فانطلق حتى اتى نصرانيا فقال له احب ان تدخلني معك في دينك فقال لست ادخلك في ديني حتى تبوء بنصيبك من الضلالة فقال من الضلالة

أمن قال له النصراني فإني أدلك على دين إن اتبعته اهتديت قال أي دين قال دين إبراهيم
قال فقال اللهم إني أشهدك أني على دين إبراهيم عليه أحيى وعليه أموت قال فذكر شأنه
للنبي صلى الله عليه وسلم فقال هو أمة وحده يوم القيمة وقد روى موسى بن عقبة عن
سالم عن ابن عمر نحو هذا وقال محمد بن سعد ثنا علي بن محمد بن عبد الله بن سيف القرشي عن
إسماعيل بن مجالد عن مجالد عن الشعبي عن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب قال قال زيد
بن عمرو بن نفيل شاممت النصرانية واليهودية فكرهتهما فكنت بالشام وما والاها حتى
أتيت راهبا في صومعة فذكرت له اغترابي عن قومي وكراهتي عبادة الأوثان واليهودية
والنصرانية فقال له أراك تريد دين إبراهيم يا أخا أهل مكة إنك لتطلب دينا ما يوجد
اليوم وهو دين أبيك إبراهيم كان حنيفا لم يكن يهوديا ولا نصرانيا كان يصلي ويسجد إلى
هذا البيت الذي ببلادك فالحق ببلدك فإن الله يبعث من قومك في بلدك من يأتي بدين
إبراهيم الحنيفية وهو أكرم الخلق على الله وقال يونس عن ابن إسحاق حدثني بعض آل زيد
بن عمرو بن نفيل أن زيدا كان إذا دخل الكعبة قال لبيك حقا حقا تعبدا ورقا عذت بما
عاذ به إبراهيم وهو قائم إذ قال إلهي أنفي لك عان راغم مهما تجشمني فإني جاشم
البر أبغي لا الخال ليس مهجر كمن قال وقال أبو داود الطيالسي حدثنا المسعودي
عن نفيل بن هشام بن سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل العدوي عن أبيه عن جده أن زيد بن
عمرو وورقة بن نوفل خرجا يلتمسان الدين حتى انتهيا إلى راهب بالموصل فقال لزيد بن
عمرو من أين أقبلت يا صاحب البعير فقال من بنية إبراهيم فقال وما تلتمس قال ألتمس
الدين قال ارجع فإنه يوشك أن يظهر في أرضك قال فأما ورقة ~~[illegible]~~ فتنصر وأما أنا
فعزمت على النصرانية فلم يوافقني فرجع وهو يقول لبيك حقا حقا تعبدا ورقا البر
أبغي لا الخال فهل مهجر كمن قال آمنت بما آمن به إبراهيم وهو يقول أنفي لك عان
راغم مهما تجشمني فإني جاشم ثم يخر فيسجد قال وجاء ابنه يعني سعيد بن زيد أحد العشرة
رضي الله عنه فقال يا رسول الله إن أبي كما رأيت وكما بلغك فاستغفر له قال نعم فإنه
يبعث يوم القيمة أمة واحدة قال وأتى زيد بن عمرو بن زيد على رسول الله صلى الله عليه وسلم
ومعه زيد بن حارثة وهما يأكلان من سفرة لهما فدعواه لطعامهما فقال زيد بن عمرو يا ابن أخي
أنا لا آكل مما ذبح على النصب وقال محمد بن سعد ثنا محمد بن عمر حدثني أبو بكر بن أبي سبرة عن موسى
بن ميسرة عن ابن أبي مليكة عن حجير بن أبي إهاب قال رأيت زيد بن عمرو وأنا عند صنم بوانة بعد
ما رجع من الشام وهو يراقب الشمس فإذا زالت استقبل الكعبة فصلى ركعة وسجد سجدتين ثم
يقول هذه قبلة إبراهيم وإسماعيل لا أعبد حجرا ولا أصلي له ولا آكل ما ذبح له ولا أستقسم
الأزلام وأنا أصلي إلى هذا البيت حتى أموت وكان يحج فيقف بعرفة وكان يلبي فيقول لبيك
لا شريك لك ولا ند لك ثم يدفع من عرفة ماشيا وهو يقول لبيك متعبدا مرقوقا وقال
الواقدي حدثني علي بن عيسى الحكمي عن أبيه عن عامر بن ربيعة قال سمعت زيد بن عمرو بن
نفيل يقول أنا أنتظر نبيا من ولد إسماعيل ثم من بني عبد المطلب ولا أراني أدركه وأنا أومن
به وأصدقه وأشهد أنه نبي فإن طالت بك مدة فرأيته فأقره مني السلام وسأخبرك
ما نعته حتى لا يخفى عليك قلت هلم قال هو رجل ليس بالطويل ولا بالقصير ولا بكثير الشعر
ولا بقليله وليست تفارق عينيه حمرة وخاتم النبوة بين كتفيه واسمه أحمد وهذا البلد

من الهاجرة وهي شدة الحر
مهجر
من القيلولة

مولده ومهاجره ثم يخرج قومه منها ويكرهون ما جاء به حتى يهاجر إلى يثرب فيظهر أمره فإياك
أن تخدع عنه فإني طفت البلاد كلها أطلب دين إبراهيم فكان من أسأل من اليهود والنصارى
والمجوس يقولون هذا الدين وراءك وينعتونه مثل ما نعتته لك ويقولون لم يبق نبي
غيره قال عامر بن ربيعة فلما أسلمت أخبرت رسول الله صلى الله عليه وسلم قول زيد
ابن عمرو وأقرأته منه السلام فرد عليه السلام وترحم عليه وقال قد رأيته في الجنة يسحب
ذيولا وقال البخاري في صحيحه ذكر زيد بن عمرو بن نفيل حدثنا محمد بن أبي بكر ثنا فضيل
بن سليمان ثنا موسى بن عقبة حدثني سالم بن عبد الله عن عبد الله بن عمر أن النبي صلى الله عليه
وسلم لقي زيد بن عمرو بن نفيل بأسفل بلدح قبل أن ينزل على النبي صلى الله عليه وسلم الوحي
فقدمت إلى النبي صلى الله عليه وسلم سفرة فأبى أن يأكل منها ثم قال زيد إني لست آكل مما
تذبحون على أنصابكم ولا آكل إلا ما ذكر اسم الله عليه وأن زيد بن عمرو كان يعيب على قريش
ذبائحهم ويقول الشاة خلقها الله وأنزل لها من السماء الماء وأنبت لها من الأرض ثم
تذبحونها على غير اسم الله إنكارا لذلك وإعظاما له قال موسى بن عقبة وحدثني سالم بن
عبد الله ولا أعلمه إلا يحدث به عن ابن عمر أن زيد بن عمرو بن نفيل خرج إلى الشام يسأل عن الدين
ويتبعه فلقي عالما من اليهود فسأله عن دينهم فقال إني لعلي أن أدين دينكم فأخبرني فقال
إنك لا تكون على ديننا حتى تأخذ بنصيبك من غضب الله قال زيد وما أفر إلا من غضب الله
تعالى ولا أحمل من غضب الله شيئا ولا أستطيعه فهل تدلني على غيره قال ما أعلمه إلا أن تكون
حنيفا قال زيد وما الحنيف قال دين إبراهيم عليه السلام لم يكن يهوديا ولا نصرانيا ولا يعبد إلا
الله فخرج زيد فلقي عالما من النصارى فذكر مثله فقال لن تكون على ديننا حتى تأخذ بنصيبك
من لعنة الله قال ما أفر إلا من لعنة الله ولا أحمل من لعنة الله ولا من غضبه شيئا أبدا
ولا أستطيع فهل تدلني على غيره قال ما أعلمه إلا أن تكون حنيفا قال وما الحنيف قال
دين إبراهيم لم يكن يهوديا ولا نصرانيا ولا يعبد إلا الله فلما رأى زيد قولهم في إبراهيم خرج فلما
برز رفع يديه فقال اللهم إني أشهدك أني على دين إبراهيم قال وقال الليث كتب إلي هشام
بن عروة عن أبيه عن أسماء بنت أبي بكر قالت رأيت زيد بن عمرو بن نفيل قائما مسندا ظهره إلى الكعبة
يقول يا معشر قريش والله ما منكم على دين إبراهيم غيري وكان يحيي الموؤدة يقول للرجل إذا أراد
أن يقتل ابنته لا تقتلها أنا أكفيك مؤنتها فيأخذها فإذا ترعرعت قال لأبيها إن شئت
دفعتها إليك وإن شئت كفيتك مؤنتها انتهى ما ذكره البخاري وهذا الحديث الأخير قد
أسنده الحافظ ابن عساكر من طريق أبي بكر بن أبي داود عن عيسى بن حماد عن الليث عن هشام
عن أبيه عن أسماء فذكر نحوه وقال عبد الرحمن بن أبي الزناد عن هشام بن عروة عن أبيه
عن أسماء قالت سمعت زيد بن عمرو بن نفيل وهو مسند ظهره إلى الكعبة يقول يا معشر قريش
إياكم والزنا فإنه يورث الفقر وقد ساق ابن عساكر هاهنا أحاديث غريبة جدا وفي بعضها
نكارة شديدة ثم أورد من طرق متعددة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال
يبعث يوم القيمة أمة واحدة فمن ذلك ما رواه محمد بن عثمان بن أبي شيبة ثنا يوسف
بن يعقوب الصفار ثنا يحيى بن سعيد الأموي عن مجالد عن الشعبي عن جابر قال سئل رسول
الله صلى الله عليه وسلم عن زيد بن عمرو بن نفيل أنه كان يستقبل القبلة في الجاهلية ويقول
إلهي إله إبراهيم وديني دين إبراهيم ويسجد فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يحشر ذاك

امة وحده يبعث بيني وبين عيسى بن مريم اسناد جيد حسن وقال الواقدي حدثني موسى بن شيبة عن خارجة بن عبد الله بن كعب بن مالك قال سمعت سعيد بن المسيب يذكر زيد بن عمرو بن نفيل فقال توفي وقريش تبني الكعبة قبل ان ينزل الوحي على رسول الله صلى الله عليه وسلم بخمس سنين ولقد نزل به وانه ليقول انا على دين ابراهيم فاسلم ابنه سعيد بن زيد واتبع رسول الله صلى الله عليه وسلم واتى عمر بن الخطاب وسعيد بن زيد رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألاه عن زيد بن عمرو فقال غفر الله له ورحمه فانه مات على دين ابراهيم قال فكان المسلمون بعد ذلك اليوم لا يذكره ذاكر منهم الا ترحم عليه واستغفر له ثم يقول سعيد بن المسيب رحمه الله وغفر له قال محمد بن سعد عن الواقدي حدثني زكريا بن يحيى السعدي عن ابيه قال مات زيد بن عمرو بن نفيل بمكة ودفن باصل حراء وقد تقدم انه مات بارض البلقاء من الشام لما عدا عليه قوم من بني لخم فقتلوه بمكان يقال له ميفعة والله اعلم وقال الباغندي عن ابي سعيد الاشج عن ابي معاوية عن هشام عن ابيه عن عائشة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم دخلت الجنة فرأيت لزيد بن عمرو بن نفيل دوحتين وهذا اسناد جيد وليس هو في شيء من الكتب ومن شعر زيد بن عمرو بن نفيل رحمه ما قدمناه في بدء الخلق من تلك القصيدة

الى الله اهدي مدحتي وثنائيا • وقولا رصينا لا يني الدهر باقيا
الى الملك الاعلى الذي ليس فوقه • اله ولا رب يكون مدانيا

ومن شعره في التوحيد

وقد قيل انها لامية بن ابي الصلت والله اعلم ما حكاه محمد بن اسحاق والزبير بن بكار وغيرهما

واسلمت وجهي لمن اسلمت • له الارض تحمل صخرا ثقالا
دحاها فلما استوت شدها • سواء وارسى عليها الجبالا
واسلمت وجهي لمن اسلمت • له المزن تحمل عذبا زلالا
اذا هي سيقت الى بلدة • اطاعت فصبت عليها سجالا
واسلمت وجهي لمن اسلمت • له الريح تصرف حالا فحالا

وقال محمد بن اسحاق حدثني هشام بن عروة قال روى ابي ان زيد بن عمرو قال

اربا واحدا ام الف رب • ادين اذا تقسمت الامور
عزلت اللات والعزى جميعا • كذلك يفعل الجلد الصبور
فلا العزى ادين ولا ابنتيها • ولا صنمي بني عمرو ادير
ولا غنما ادين وكان ربا • لنا في الدهر اذ حلمي يسير
عجبت وفي الليالي معجبات • وفي الايام يعرفها البصير
بان الله قد افنى رجالا • كثيرا كان شانهم الفجور
وابقى آخرين ببر قوم • فيربل منهم الطفل الصغير
وبينا المرء يعثر ثاب يوما • كما يتروح الغصن النضير
ولكن اعبد الرحمن ربي • ليغفر ذنبي الرب الغفور
فتقوى الله ربكم احفظوها • متى ما تحفظوها لا تبوروا
ترى الابرار دارهم جنان • وللكفار حامية سعير
وخزي في الحياة وان يموتوا • يلاقوا ما تضيق به الصدور

منذ اتمام

هذا تمام ما ذكره محمد بن اسحاق من هذه القصيدة وقد رواه ابو القسم البغوي عن مصعب بن عبد الله عن الضحاك بن عثمان عن عبد الرحمن بن ابي الزناد قال قال هشام بن عروة عن ابيه عن اسما بنت ابي بكر قالت قال زيد بن عمرو بن نفيل

عزلت الجن والجنان عني • كذلك يفعل الجلد الصبور
فلا العزى ادين ولا ابنتيها • ولا صنمي بني طسم ادير
ولا غنما ادين وكان ربا • لنا في الدهر اذ حلمي صغير
اربا واحدا ام الف رب • ادين اذا تقسمت الامور
الم تعلم بان الله افنى • رجالا كان شانهم الفجور
وابقى آخرين ببر قوم • فيربو منهم الطفل الصغير
وبينا المرء يعثر ثاب يوما • كما يتروح الغصن النضير

المطير

قالت فقال ورقة بن نوفل

رشدت وانعمت ابن عمرو • وانما تجنبت تنورا من النار حاميا
لدينك ربا ليس رب كمثله • وتركك جنان الجبال كما هيا
اقول اذا اهبطت ارضا مخوفة • حنانيك لا تظهر علي الاعاديا
حنانيك ان الجن كانت رجاءهم • وانت الهي ربنا ورجائيا
لتدركن المرء رحمة ربه • وان كان تحت الارض سبعين واديا
ادين لرب يستجيب ولا ارى • ادين لمن لا يسمع الدهر واعيا
اقول اذا صليت في كل بيعة • تباركت قد اكثرت باسمك داعيا

تقدم ان زيد بن عمرو بن نفيل خرج الى الشام هو وورقة بن نوفل وعثمان بن الحويرث وعبيد الله بن جحش فتنصروا الا زيدا فانه لم يدخل في شيء من الاديان بل بقي على فطرته من عبادة الله وحده لا شريك له متبعا ما امكنه من دين ابراهيم على ما ذكرناه واما ورقة بن نوفل فسيأتي خبره في اول المبعث واما عثمان بن الحويرث فاقام بالشام حتى مات بها عند قيصر وله خبر عجيب ذكره الاموي مختصره انه لما قدم على قيصر فشكى اليه ما لقي من قومه كتب له الى ابن جفنة ملك عرب الشام ليجهز معه جيشا لحرب قريش فعزم على ذلك فكتبت اليه الاعراب تنهاه عن ذلك لما راوا من عظمة مكة وكيف فعل الله باصحاب الفيل فكساه ابن جفنة قميصا مصبوغا مسموما فمات من سمه فرثاه زيد بن عمرو بن نفيل بشعر ذكره الاموي تركناه اختصارا وكانت وفاته قبل المبعث بثلاث سنين او نحوها والله اعلم

ذكر شيء مما وقع من الحوادث في زمن الفترة

فمن ذلك بنيان الكعبة وقد قيل ان اول من بناها آدم وجاء في ذلك حديث مرفوع عن عبد الله بن عمرو وفي سنده ابن لهيعة وهو ضعيف واقوى الاقوال ان اول من بناه الخليل عليه السلام كما تقدم وكذلك رواه سماك بن حرب عن خالد بن عرعرة عن علي بن ابي طالب قال ثم تهدمت فبنتها العمالقة ثم تهدمت فبنتها جرهم ثم تهدمت فبنتها قريش قلت سيأتي بناء قريش لها وذلك قبل المبعث بخمس سنين وقيل بخمس عشرة سنة وقال الزهري كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد بلغ الحلم وسيأتي ذلك كله في موضعه ان شاء الله وبه الثقة

ذكر كعب بن لؤي

روى ابو نعيم من طريق محمد بن الحسن بن زبالة عن محمد بن طلحة التيمي عن محمد بن ابراهيم بن
الحرث عن ابي سلمة قال كان كعب بن لوي يجمع قومه يوم الجمعة وكانت قريش تسميه العروبة
فيخطبهم فيقول اما بعد فاسمعوا وتعلموا وافهموا واعلموا ليل ساج ونهار ضاح والارض
مهاد والسماء بناء والجبال اوتاد والنجوم اعلام والاولون كالاخرين والانثى والذكر والروح
الى ما يهيج فصلوا ارحامكم واحفظوا اصهاركم وثمروا اموالكم فهل رايتم من هالك رجع
او ميت نشر الدار امامكم والظن غير ما تقولون حرمكم زينوه وعظموه وتمسكوا به فسياتي
له نبأ عظيم وسيخرج منه نبي كريم ثم يقول

نهار وليل كل يوم بحادث • سواء علينا ليلها ونهارها
يؤوبان بالاحداث حتى تاوبا • وبالنعم الضافي علينا ستورها
على غفلة ياتي النبي محمد • فيخبر اخبارا صدوقا خبيرها

ثم يقول لو كنت فيها ذا سمع وبصر ويد ورجل لتنصبت فيها تنصب الجمل ولارقلت بها
ارقال الفحل ثم يقول

يا ليتني شاهد فحواء[كذا] دعوته • حين العشيرة تبغي الحق خذلانا

قالوا وكان بين موت كعب بن لوي وبين مبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم خمسمائة عام
وستون سنة

ذكر تجديد حفر زمزم على يدي عبد المطلب بن هاشم التي كان قد درس رسمها بعد طم جرهم لها الى زمانه

قال محمد بن اسحاق ثم ان عبد المطلب بينما هو نائم في الحجر اذ اتي فامر بحفر زمزم وكان اول
ما ابتدئ به عبد المطلب من حفرها كما حدثني يزيد بن ابي حبيب المصري عن مرثد بن عبد الله
اليزني عن عبد الله بن زرير الغافقي انه سمع علي بن ابي طالب يحدث حديث زمزم حين امر
عبد المطلب بحفرها قال قال عبد المطلب اني لنائم في الحجر اذ اتاني آت فقال لي احفر
طيبة قال قلت وما طيبة قال ثم ذهب عني فلما كان الغد رجعت الى مضجعي فنمت فيه فجاءني
فقال احفر برة قال قلت وما برة قال ثم ذهب عني فلما كان الغد رجعت فنمت في مضجعي
فجاءني فقال احفر المضنونة فقلت وما المضنونة قال ثم ذهب عني فلما كان الغد رجعت الى
مضجعي فنمت فيه فجاءني فقال احفر زمزم قال قلت وما زمزم قال لا تنزف ابدا ولا تذم
تسقي الحجيج الاعظم وهي بين الفرث والدم عند نقرة الغراب الاعصم عند قرية النمل
قال فلما بين لي شانها ودل على موضعها وعرف انه قد صدق غدا بمعوله ومعه ابنه الحرث
ابن عبد المطلب ليس له يومئذ ولد غيره فحفر فلما بدا لعبد المطلب الطي كبر فعرفت
قريش انه قد ادرك حاجته فقاموا اليه فقالوا يا عبد المطلب انها بئر ابينا اسماعيل
وان لنا فيها حقا فاشركنا معك فيها قال ما انا بفاعل ان هذا الامر قد خصصت به دونكم
واعطيته من بينكم فقالوا له فانصفنا فانا غير تاركيك حتى نخاصمك فيها قال فاجعلوا بيني
وبينكم من شئتم احاكمكم اليه قالوا كاهنة بني سعد بن هذيم قال نعم وكانت باشراف
الشام فركب عبد المطلب ومعه نفر من بني ابيه وركب من كل قبيلة من قريش نفر حتى اذا كانوا ببعضها نفد ماء عبد المطلب واصحابه فظمئوا
والارض اذ ذاك مفاوز حتى اذا كانوا ببعضها نفد ماء عبد المطلب واصحابه فعطشوا
حتى استيقنوا بالهلكة فاستسقوا من معهم فابوا عليهم وقالوا انا بمفازة وانا نخشى

على انفسنا مثل ما اصابكم فقال عبد المطلب لاصحابه ماذا ترون قالوا ما رأينا الا تبع لرأيك فمر بما شئت قال فاني ارى ان يحفر كل رجل منكم حفرته لنفسه
بما بكم الآن من القوة فكلما مات رجل دفعه اصحابه في حفرته ثم واروه حتى يكون اخرهم رجلا
واحدا فضيعة رجل واحد ايسر من ضيعة ركب جميعا فقالوا نعم ما امرت به فحفر كل منهم لنفسه
حفرة ثم قعدوا ينتظرون الموت عطشا ثم ان عبد المطلب قال لاصحابه ان القاءنا بايدينا
هكذا للموت لا نضرب في الارض لا نبتغي لانفسنا لعجز فعسى ان يرزقنا الله ماء ببعض البلاد
ارتحلوا حتى اذا بعث عبد المطلب راحلته انفجرت من تحت خفها عين من ماء عذب فكبر
عبد المطلب وكبر اصحابه ثم نزل فشرب وشرب اصحابه واستقوا حتى ملؤوا اسقيتهم ثم دعا
قبائل قريش وهم ينظرون اليهم في جميع هذه الحال الاحوال فقال هلموا الى الماء فقد سقانا
الله فجاؤوا فشربوا واستقوا كلهم ثم قالوا قد والله قضي لك علينا والله ما نخاصمك في
زمزم ابدا ان الذي سقاك هذا الماء بهذه الفلاة لهو الذي سقاك زمزم فارجع الى سقايتك
راشدا فرجع ورجعوا معه ولم يصلوا الى الكاهنة وخلوا بينه وبين زمزم قال ابن اسحاق
فهذا ما بلغني عن علي بن ابي طالب في زمزم قال ابن اسحاق وقد سمعت من يحدث عن عبد المطلب
انه قيل له حين امر بحفر زمزم

ثم ادع بالماء الروا غير الكدر • يسقي حجيج الله في كل مبر
ليس يخاف منه شيء ما عمر

قال فخرج عبد المطلب حين قيل له ذلك الى قريش فقال تعلموا اني قد امرت ان احفر زمزم
قالوا فهل بين لك اين هي قال لا قالوا فارجع الى مضجعك الذي رايت فيه ما رايت فان يك
حقا من الله يبين لك وان يك من الشيطان فلن يعود اليك فرجع فنام فاتي فقيل له
احفر زمزم انك ان حفرتها لن تندم وهي تراث من ابيك الاعظم لا تنزف ابدا ولا تذم تسقي
الحجيج الاعظم مثل نعام جافل لم يقسم ينذر فيها ناذر لمنعم يكون ميراثا وعقدا محكم ليست
كبعض ما قد تعلم وهي بين الفرث والدم قال ابن اسحاق فزعموا ان عبد المطلب حين قيل
له ذلك قال واين هي قيل له عند قرية النمل حيث ينقر الغراب غدا فالله اعلم اي ذلك
كان قال فغدا عبد المطلب ومعه ابنه الحرث وليس له يومئذ ولد غيره زاد الاموي ومولاه اصرم ولد م
فوجد عند قرية النمل ووجد الغراب ينقر عندها بين الوثنين اساف ونائلة اللذين كانت
قريش تنحر عندهما ذبائحها فجاء بالمعول وقام ليحفر حيث امر فقامت اليه قريش فقالوا والله لا نتركك
تحفر بين وثنينا هذين اللذين ننحر عندهما فقال عبد المطلب لابنه الحرث ذدعني حتى احفر
فوالله لامضين لما امرت به فلما عرفوا انه غير نازع خلوا بينه وبين الحفر وكفوا عنه فلم
يحفر الا يسيرا حتى بدا له الطي فكبر وعرف انه قد صدق فلما تمادى به الحفر وجد فيها غزالين
من ذهب اللذين كانت جرهم قد دفنتهما ووجد فيها اسيافا قلعية وادراعا فقالت
له قريش يا عبد المطلب لنا معك في هذا شرك وحق قال لا ولكن هلم الى امر نصف بيني
وبينكم نضرب عليها بالقداح قالوا وكيف نصنع قال اجعل للكعبة قدحين ولي قدحين ولكم قدحين فمن خرج قدحاه على شيء كان له ومن تخلف قدحاه فلا شيء له قالوا انصفت فجعل م
للكعبة قدحين اصفرين وله
اسودين ولهم ابيضين ثم اعطوا القداح للذي يضرب عند هبل وهبل اكبر اصنامهم
ولهذا قال ابو سفيان يوم احد اعل هبل يعني هذا الصنم وقام عبد المطلب يدعو
الله وذكر يونس بن بكير عن محمد بن اسحاق ان عبد المطلب جعل يقول

لاهم انت الملك المحمود • ربي فانت المبدئ المعيد
وممسك الراسية الجلمود • من عندك الطارف والتليد

ولي قدحين ولكم قدحين فمن خرج قدحاه على شيء كان له ومن تخلف قدحاه فلا شيء له قالوا انصفت فجعل م
للكعبة قدحين
اعل هبل م

على انفسنا

ان شيئا هلكت كما نريد • لموضع الحلية والحديد •
فبين اليوم لما نريد • اني نذرت العاهد المحمود •
اجعله رب لي فلا اعود •

قال وضرب صاحب القداح فخرج الاصفران على الغزالين للكعبة وخرج الاسودان على الاسياف والادراع لعبد المطلب وتخلف قدحا قريش فضرب عبد المطلب الاسياف بابا للكعبة وضرب في الباب الغزالين من ذهب فكان اول ذهب حليته الكعبة فيما يزعمون ثم ان عبد المطلب اقام سقاية زمزم للحاج وذكر ابن اسحاق وغيره ان مكة كان فيها ابيار كثيرة قبل ظهور زمزم في زمن عبد المطلب ثم عددها ابن اسحاق وسماها وذكر اماكنها من مكة وحافريها الى ان قال فعفت زمزم على الابيار كلها وانصرف الناس اليها لمكانها من المسجد الحرام ولفضلها على ما سواها من المياه ولانها بير اسماعيل بن ابراهيم وافتخرت بها بنو عبد مناف على قريش كلها وعلى ساير العرب وقد ثبت في صحيح مسلم في حديث اسلام ابي ذر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في زمزم انها لطعام طعم وشفاء سقم وقال الامام احمد ثنا عبد الله بن الوليد ثنا عبد الله بن المومل عن ابي الزبير عن جابر بن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ماء زمزم لما شرب منه وقد رواه ابن ماجة من حديث عبد الله بن المومل وقد تكلموا فيه ولفظه ماء زمزم لما شرب له ورواه سويد بن سعيد ضعيف والمحفوظ عن ابن المبارك عن عبد الله بن المومل كما تقدم وقد رواه الحاكم عن ابن عباس مرفوعا ماء زمزم لما شرب له وفيه نظر والله اعلم وروى ابن ماجة ايضا والحاكم عن ابن عباس انه قال لرجل اذا شربت من ماء زمزم فاستقبل الكعبة واذكر اسم الله وتنفس ثلاثا وتضلع منها فاذا فرغت فاحمد الله فان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان اية ما بيننا وبين المنافقين لا يتضلعون من زمزم وقد ذكر عن عبد المطلب انه قال اللهم اني لا احلها لمغتسل وهي لشارب حل وبل وقد ذكره بعض الفقهاء عن العباس بن عبد المطلب والصحيح انه عن عبد المطلب نفسه فانه هو الذي جدد حفر زمزم كما قدمنا والله تعالى اعلم وقد قال الاموي في مغازيه حدثنا ابو عبيد حدثني يحيى بن سعيد عن عبد الرحمن بن حرملة سمعت سعيد بن المسيب يحدث ان عبد المطلب بن هاشم حين احتفر زمزم قال لا احلها لمغتسل وهي لشارب حل وبل وذلك انه جعل لها حوضين حوضا للشرب وحوضا للوضوء فعند ذلك قال لا احلها لمغتسل لينزه المسجد عن ان يغتسل فيه قال ابو عبيد قال الاصمعي قوله وبل اتباع قال ابو عبيد والاتباع لا يكون بواو العطف وانما هو كما قال معتمر بن سليمان ان بل بلغة حمير مباح قال ابو عبيد ثنا ابو بكر بن عياش عن عاصم بن ابي النجود انه سمع زرا انه سمع العباس يقول لا احلها لمغتسل وهي لشارب حل وبل وحدثنا عبد الرحمن بن مهدي ثنا سفيان عن عبد الرحمن بن علقمة انه سمع ابن عباس يقول ذلك وهذا صحيح اليهما وكانهما يقولان ذلك في ايامهما على سبيل التبليغ والاعلام بما اشترطه عبد المطلب عند حفره لها فلا ينافي ما تقدم والله تعالى اعلم وقد كانت السقاية الى عبد المطلب ايام حياته ثم صارت الى ابنه ابي طالب مدة ثم اتفق انه املق اي قل ما بيده في بعض السنين فاستدان من اخيه العباس عشرة الاف الى الموسم الاخر فصرفها ابو طالب في الحجيج عامه ذلك فيما يتعلق بالسقاية فلما كان العام المقبل لم يكن مع ابي طالب شي فقال لاخيه العباس اسلفني اربعة عشر الفا ايضا الى العام المقبل اعطك جميعها لك فقال

عن عبد الله بن المبارك عن عبد الرحمن بن ابي الموال عن محمد بن المنكدر عن جابر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ماء زمزم لما شرب له ولكن سويد بن سعيد صح

اي قل ما بيده

له العباس

له العباس بشرط ان لم تعطني تترك السقاية لي اكفكها فقال نعم فلما جاء العام الاخر لم يكن مع ابي طالب ما يعطي العباس فترك له السقاية فصارت اليه ثم من بعده صارت الى عبد الله ولده ثم الى علي بن عبد الله بن عباس ثم الى داود بن علي ثم الى سليمان بن علي ثم الى عيسى بن علي ثم اخذها المنصور واستناب عليها مولاه ابا رزين ذكره الاموي

ذكر نذر عبد المطلب ذبح احد ولده

قال ابن اسحاق وكان عبد المطلب فيما يزعمون نذر حين لقي من قريش ما لقي عند حفر زمزم لئن ولد له عشرة نفر ثم بلغوا معه حتى يمنعوه لينحرن احدهم لله عند الكعبة فلما تكامل بنوه عشرة وعرف انهم سيمنعونه وهم الحرث والزبير وحجل وضرار والمقوم وابو لهب والعباس وحمزة وابو طالب وعبد الله جمعهم ثم اخبرهم بنذره ودعاهم الى الوفاء لله عز وجل بذلك فاطاعوه وقالوا كيف نصنع قال لياخذ كل رجل منكم قدحا ثم يكتب فيه اسمه ثم ايتوني ففعلوا ثم دخلوا فدخل بهم على هبل في جوف الكعبة وكانت تلك البير التي يجمع فيها ما يهدى للكعبة وكان عند هبل قداح سبعة وهي الازلام التي يتحاكمون اليها اذا اعضل عليهم امر من عقل او نسب او امر من الامور جاوا فاستقسموا بها فما امرتهم به او نهتهم عنه امتثلوه والمقصود ان عبد المطلب لما جاء يستقسم بالقداح عند هبل خرج القدح على ابنه عبد الله وكان اصغر ولده واحبهم اليه فاخذ عبد المطلب بيد ابنه عبد الله واخذ الشفرة ثم اقبل به الى اساف ونايلة ليذبحه فقامت اليه قريش من انديتها فقالوا ماذا تريد يا عبد المطلب قال اذبحه فقالت له قريش وبنوه اخوة عبد الله والله لا تذبحه ابدا حتى تعذر فيه لين فعلت هذا لا يزال الرجل يجي بابنه حتى يذبحه فابى الناس على هذا وذكر يونس بن بكير عن ابن اسحاق ان العباس هو الذي اجتذب عبد الله من تحت رجل ابيه حين وضعها عليه ليذبحه فيقال انه شج وجهه شجا لم يزل في وجهه الى ان مات ثم اشارت قريش على عبد المطلب ان يذهب الى الحجاز فان به عرافة لها تابع فيسالها عن ذلك ثم انت على راس امرك ان امرتك بذبحه فاذبحه وان امرتك بامر لك وله فيه فرج فقبلته فانطلقوا حتى اتوا المدينة فوجدوا العرافة وهي سجاح فيما ذكره يونس بن بكير عن ابن اسحاق بخيبر فركبوا حتى جاوها فسالوها وقص عليها عبد المطلب خبره وخبر ابنه فقالت لهم ارجعوا عني اليوم حتى ياتيني تابعي فاساله فرجعوا من عندها فلما خرجوا قام عبد المطلب يدعو الله ثم غدوا عليها فقالت لهم قد جاني الخبر كم الدية فيكم قالوا عشر من الابل وكانت كذلك قالت فارجعوا الى بلادكم ثم قربوا صاحبكم وقربوا عشرا من الابل ثم اضربوا عليها وعليه بالقداح فان خرجت على صاحبكم فزيدوا من الابل حتى يرضى ربكم وان خرجت على الابل فانحروها عنه فقد رضي ربكم ونجا صاحبكم فخرجوا حتى قدموا مكة فلما اجمعوا على ذلك من الامر قام عبد المطلب يدعو الله ثم قربوا عبد الله وعشرا من الابل ثم ضربوا فخرج القدح على عبد الله فزادوا عشرا ثم ضربوا فخرج القدح على عبد الله فزادوا عشرا ثم ضربوا فخرج القدح على عبد الله فزادوا عشرا فلم يزالوا يزيدون عشرا عشرا ويخرج القدح على عبد الله حتى بلغت الابل مائة ثم ضربوا فخرج القدح على الابل فقالت عند ذلك قريش لعبد المطلب وهو قائم عند هبل يدعو الله قد انتهى رضى ربك يا عبد المطلب فزعموا انه قال لا حتى اضرب عليها بالقدح ثلاث مرات فضربوا ثلاثا يقع القدح فيها على الابل فنحرت ثم تركت لا يصد عنها انسان ولا يمنع قال ابن هشام ويقال ولا سبع وقد روي انه لما بلغت الابل مائة خرج على عبد الله

ايضا فزيدت الابل حتى بلغت ثمانين فضربوا فخرج القدح على عبد الله فزادوا ماية اخرى فصارت
الابل ثلثماية ثم ضربوا فخرج القدح على الابل فنحرها عند ذلك عبد المطلب والصحيح الاول
والله اعلم وقد روى ابن جرير عن يونس بن عبد الاعلى عن ابن وهب عن يونس بن يزيد عن الزهري
عن قبيصة بن ذويب ان ابن عباس سألته امرأة انها نذرت ذبح ولدها عند الكعبة فامرها
بذبح ماية من الابل وذكر لها هذه القصة عن عبد المطلب وسألت عبد الله بن عمر فلم يفتها
بشي بل توقف فبلغ ذلك مروان بن الحكم وهو امير على المدينة فقال انهما لم يصيبا الفتيا ثم
امر المرأة ان تعمل ما استطاعت من خير ونهاها عن ذبح ولدها ولم يأمرها بذبح الابل واخذ الناس
بقول مروان في ذلك والله اعلم

ذكر تزويج عبد المطلب ابنه عبد الله من آمنة بنت وهب الزهرية

قال ابن اسحاق ثم انصرف عبد المطلب آخذا بيد ابنه عبد الله فمر به فيما يزعمون على امرأة
من بني اسد بن عبد العزى بن قصي وهي ام قتال اخت ورقة بن نوفل بن اسد بن عبد العزى وهي
عند الكعبة فنظرت الى وجهه فقالت اين تذهب يا عبد الله قال مع ابي قالت لك مثل الابل
التي نحرت عنك وقع علي الآن قال انا مع ابي ولا استطيع خلافه ولا فراقه فخرج به عبد المطلب
حتى اتى وهب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر وهو يومئذ
سيد بني زهرة سنا وشرفا فزوجه ابنته آمنة ابنة وهب وهي يومئذ سيدة نساء قومها فزعموا انه دخل عليها (سيدة نساء قومها م)
حين املكها مكانه فوقع عليها فحملت برسول الله صلى الله عليه وسلم ثم خرج من عندها
فاتى المرأة التي عرضت عليه ما عرضت فقال لها ما لك لا تعرضين علي اليوم ما كنت عرضت
علي بالامس قالت له فارقك النور الذي كان معك بالامس فليس لي اليوم بك حاجة وقد كانت
تسمع من اخيها ورقة وكان قد تنصر واتبع الكتب انه كائن في هذه الامة نبي فطمعت ان يكون منها
فجعله الله تعالى في اشرف عنصر واكرم محتد واطيب اصل كما قال الله تعالى الله اعلم حيث
يجعل رسالاته وسنذكر المولد مفصلا ومما قالته ام قتال بنت نوفل من الشعر تتأسف
عليها فاتها من الامر الذي رامته وذلك فيما رواه البيهقي من طريق يونس بن بكير عن محمد
ابن اسحاق رح

عليك بآل زهرة حيث كانوا • وآمنة التي حملت غلاما
ترى المهدي حين نزا عليها • ونورا قد تقدمه اماما (الى ان قالت)
فكل الخلق يرجوه جميعا • يسود الناس مهتديا اماما
براه الله من نور صفاه • فاذهب نوره عنا الظلاما
وذلك صنع ربك اذ حباه • اذا ما سار يوما او اقاما
فيهدي اهل مكة بعد كفر • ويفرض بعد ذلكم الصياما

وقال ابو بكر محمد بن جعفر بن سهل الخرائطي ثنا علي بن حرب ثنا محمد بن عمارة القرشي ثنا مسلم
بن خالد الزنجي ثنا ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس قال لما انطلق عبد المطلب بابنه عبد الله
ليزوجه مر به على كاهنة من اهل تبالة متهودة قد قرأت الكتب يقال لها فاطمة بنت
مر الخثعمية فرأت نور النبوة في وجه عبد الله فقالت يا فتى هل لك ان تقع علي الآن واعطيك

ماية

... من الابل فقال عبد الله اما الحرام فالممات دونه والحل لا حل فاستبينه (فكيف بالامر الذي تبغينه ثم مضى مع ابيه فزوجه آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة م) فاقام عندها ثلثا
ثم ان نفسه دعته الى ما دعته اليه الكاهنة فاتاها فقالت ما صنعت بعدي فاخبرها
فقالت والله ما انا بصاحبة ريبة ولكني رأيت في وجهك نورا فاردت ان يكون فيّ وابى
الله الا ان يجعله حيث اراد ثم انشأت فاطمة تقول

اني رأيت مخيلة لمعت • فتلألأت بحناتم القطر
فلمائها نور يضيء له • ما حوله كاضاءة البدر
ورجوتها فخرا ابوء به • ما كل قادح زنده يوري
لله ما زهرية سلبت • ثوبيك ما استلبت وما تدري

وقالت فاطمة ايضا

بني هاشم قد غادرت من اخيكم • امينة اذ للباه يعتركان
كما غادر المصباح عند خموده • فتائل قد ميثت له بدهان
وما كل ما يحوي الفتى من تلاده • لحزم ولا ما فاته لتواني
فاجمل اذا طالبت امرا فانه • سيكفيكه جدان يعتلجان
سيكفيكه اما يد مقفلة • واما يد مبسوطة ببنان
ولما حوت منه امينة ما حوت • حوت منه فخرا ما لذلك ثاني

وروى ابو نعيم الحافظ في كتاب دلائل النبوة من طريق يعقوب بن محمد الزهري عن عبد العزيز
بن عمران عن عبد الله بن جعفر عن ابي عون عن المسور بن مخرمة عن ابن عباس قال ان عبد
المطلب قدم اليمن في رحلة الشتاء فنزل على حبر من اليهود قال فقال لي رجل من اهل الديور
يعني اهل الكتاب يا عبد المطلب اتاذن لي ان انظر الى بعضك قلت نعم ما لم يكن عورة
قال ففتح احدى منخري فنظر فيه ثم نظر في الاخر فقال اشهد ان في احدى يديك ملكا
وفي الاخرى نبوة وانا نجد ذلك في بني زهرة فكيف ذلك قلت لا ادري قال هل لك من شاعة
قلت وما الشاعة قال زوجة قلت اما اليوم فلا قال فاذا رجعت فتزوج فيهم فرجع عبد
المطلب فتزوج هالة بنت وهيب بن عبد مناف بن زهرة فولدت حمزة وصفية ثم
تزوج عبد الله بن عبد المطلب آمنة بنت وهب فولدت رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقالت قريش حين تزوج عبد الله بآمنة فلج عبد الله على ابيه عبد المطلب

كتاب سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم

وذكر ايامه وغزواته وسراياه والوفود اليه وشمائله وفضائله ودلائل نبوته الدالة عليه

باب ذكر نسبه الشريف وطيب اصله المنيف

قال الله تعالى الله اعلم حيث يجعل رسالاته ولما سأل هرقل ملك الروم ابا سفيان
تلك الاسئلة عن صفاته عليه السلام قال كيف نسبه فيكم قال هو فينا ذو نسب
قال كذلك الرسل تبعث في احساب قومها يعني في اكرمها قبيلة صلوات الله عليهم
اجمعين فهو سيد ولد آدم وفخرهم في الدنيا والآخرة ابو القسم وابو ابراهيم محمد واحمد
والماحي الذي يمحا به الكفر والعاقب الذي ليس بعده نبي والحاشر الذي يحشر الناس على
قدميه والمقفى ونبي التوبة ونبي الملحمة وخاتم النبيين والفاتح وطه ويس وعبد الله (ونبي الرحمة)
قال البيهقي وزاد بعض العلماء فقال سماه الله في القرآن رسولا نبيا اميا شاهدا مبشرا

نذيرا وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا ورؤفا رحيما ومذكرا وجعله رحمة ونعمة وستورد
الاحاديث الموردة في اسمائه عليه السلام في باب نعقده بعد فراغ السيرة فانه قد ورد في ذلك احاديث
كثيرة في ذلك اعتنى بجمعها الحافظان الكبيران ابو بكر البيهقي وابو القسم بن عساكر وافرد
الناس في ذلك مصنفات حتى رام بعضهم ان يجمع له عليه السلام الف اسم واما الفقيه
الكبير ابو بكر بن العربي المالكي شارح الترمذي بكتابه الذي سماه الاحوذي فانه ذكر من ذلك اربعة
وستين اسما والله اعلم وهو ابن عبد الله وكان اصغر ولد ابيه وهو الذبيح الثاني المفدى بمائة
من الابل كما تقدم قال الزهري وكان اجمل رجال قريش وهو اخو الحرث والزبير وحمزة وضرار وابي
طالب واسمه عبد مناف وابي لهب واسمه عبد العزى والمقوم واسمه عبد الكعبة وقيل
هما اثنان وحجل واسمه المغيرة والغيداق وهو كثير الجود واسمه نوفل ويقال انه حجل فهؤلاء
اعمامه عليه السلام وعماته ست وهن اروى واميمة وبرة وصفية وعاتكة وام حكيم وهي البيضا
وسنتكلم على كل منهم فيما بعد ان شاء الله تعالى كلهم اولاد عبد المطلب واسمه شيبة يقال
لشيبة كانت في راسه ويقال له شيبة الحمد لجوده وانما قيل له عبد المطلب لان اباه
هاشما مر بالمدينة في تجارته الى الشام نزل على عمرو بن زيد بن لبيد بن خداش بن خداش
بن خندف بن عدي بن النجار البخاري وكان سيد قومه فاعجبته ابنته سلمى فخطبها الى
ابيها فزوجها منه واشترط عليه مقامها عنده وقيل بل اشترط عليه ان لا تلد الا عنده
بالمدينة فلما رجع من الشام بنى بها واخذها معه الى مكة فلما خرج في تجارة اخذها معه وهي
حبلى فتركها بالمدينة ودخل الشام فمات بغزة ووضعت سلمى ولدها فسمته شيبة فاقام
عند اخواله بني عدي بن النجار سبع سنين ثم جاء عمه المطلب بن عبد مناف فاخذه خفية من امه
فذهب به الى مكة فلما راه الناس وراوه على الراحلة قالوا من هذا معك فقال عبدي ثم جاءوا
فهنؤه به وجعلوا يقولون له عبد المطلب لذلك فغلب عليه وساد في قريش سيادة
عظيمة وذهب بشرفهم ورياستهم فكان جماع امرهم اليه وكانت اليه السقاية والرفادة
بعد عمه المطلب وهو الذي جدد حفر زمزم بعدما كانت مطموسة من عهد جرهم وهو اول
من حلى الكعبة بذهب في ابوابها من تلك الغزالين من ذهب اللذين وجدهما في زمزم
مع تلك الاسياف القلعية قال ابن هشام وعبد المطلب اخو اسد ونضلة وابي صيفي
وحية وخالدة ورقية والشفاء وضعيفة كلهم اولاد هاشم واسمه عمرو وانما سمي هاشما لهشمه
الثريد مع اللحم لقومه في سني المحل كما قال مطرود بن كعب الخزاعي في قصيدته وقيل هي
للزبعرى والد عبد الله

* عمرو العلى هشم الثريد لقومه • ورجال مكة مسنتون عجاف •

* سنت اليه الرحلتان كلاهما • رحلة الشتاء ورحلة الاصياف •

اصله عمرو الذي

وذلك لانه اول من سن رحلتي الشتاء والصيف وكان اكبر ولد ابيه وحكى ابن جرير انه كان
توام اخيه عبد شمس وان هاشما خرج ورجله ملتصقة براس عبد شمس فما تخلصت حتى سال
بينهما دم فتفاءل الناس بذلك ان يكون بين اولادهما حروب فكانت وقعة بني العباس
مع بني امية بن عبد شمس سنة ثلث وثلثين ومائة من الهجرة وشقيقهم الثالث عبد
المطلب وكان المطلب اصغر ولد ابيه وامهم عاتكة بنت مرة بن هلال وابيهم نوفل
من ام اخرى وهي واقدة بنت عمرو المازنية وكانوا قد تسلموا قومهم بعد ابيهم وصارت اليهم

الرياسة

الرياسة وكان يقال لهم المجيرون وذلك لانهم اخذوا لقومهم قريش الامان من ملوك الاقاليم
ليدخلوا في التجارات الى بلدانهم فكان هاشم قد اخذ امانا من ملوك الشام الروم وغسان
واخذ لهم عبد شمس من النجاشي الاكبر ملك الحبشة واخذ لهم نوفل من الاكاسرة واخذ لهم
المطلب امانا من ملوك حمير ولهم يقول الشاعر

* يا ايها الرجل المحول رحله • الا نزلت بآل عبد مناف •

وكان الى هاشم السقاية والرفادة بعد ابيه والى اخيه المطلب لنسب ذوي القربى
وقد كانوا شيئا واحدا في حالتي الجاهلية والاسلام لم يفترقوا ودخلوا معهم في الشعب
وانخذل عنهم بنو عبد شمس ونوفل ولهذا يقول ابو طالب في قصيدته

* جزى الله عنا عبد شمس ونوفلا • عقوبة شر عاجلا غير آجل •

ولا يعرف بنو اب تباينوا في الوفاة مثلهم فان هاشما مات بغزة من ارض الشام وعبد شمس
مات بمكة ونوفل مات بسلمان من ارض العراق ومات المطلب وكان يقال له القمر لحسنه بردمان
في طريق اليمن فهؤلاء الاخوة الاربعة المشاهير هم هاشم وعبد شمس ونوفل والمطلب ولهم
اخ خامس ليس بمشهور وهو ابو عمرو واسمه عبد واصل اسمه عبد قصي فقال الناس عبد قصي
لا عقب له قاله الزبير بن بكار وغيره واخوات ست وهن تماضر وحية وريطة وقلابة وام
الاخشم وام سفيان كل هؤلاء اولاد عبد مناف ومناف اسم صنم واصل اسم عبد مناف المغيرة
وكان قد رئس في زمان والده وذهب بالشرف كل مذهب وهو اخو عبد الدار الذي كان
اكبر ولد ابيه واليه اوصى بالمناصب كما تقدم وعبد العزى وعبد وبرة وتخمر وامهم
كلهم حبا بنت حليل بن حبشية بن سلول بن كعب بن عمرو الخزاعي وابوها اخر ملوك خزاعة وولاة البيت
منهم وكلهم اولاد قصي واسمه زيد وانما سمي بذلك لان امه تزوجت بعد ابيه بربيعة
بن حرام بن عذرة فسافر بها الى بلاده وابنها صغير فسمي قصيا لذلك ثم عاد الى مكة وهو
كبير ولم شعث قريش وجمعها من متفرقات البلاد وازاح يد خزاعة عن البيت واجلاهم
عن مكة ورجع الحق الى نصابه وصار رئيس قريش على الاطلاق وكانت اليه الرفادة وهو سنها
والسقاية وهو سنها والسدانة والحجابة واللواء ودار الندوة كما تقدم بسط ذلك
كله ولهذا قال الشاعر

* قصي لعمري كان يدعى مجمعا • به جمع الله القبايل من فهر •

وهو اخو زهرة كلاهما ابنا كلاب اخي تيم ويقظة ابي مخزوم ثلاثتهم ابناء مرة اخي عدي وهصيص
وهم ابناء كعب وهو الذي كان يخطب قومه كل يوم جمعة ويبشرهم بمبعث رسول الله صلى الله عليه
وسلم وينشد في ذلك اشعارا كما قدمنا وهو اخو عامر واسامة وخزيمة وسعد والحرث
وعوف سبعتهم ابناء لوي اخي تيم الادرم وهما ابنا غالب اخي الحرث ومحارب ثلاثتهم ابناء فهر
وهو اخو الحرث وكلاهما ابن مالك وهو اخو الصلت ويخلد وهم بنو النضر الذي اليه جماع
قريش على الصحيح كما قدمنا الدليل عليه وهو اخو مالك وملكان وعبد مناة وغيرهم
كلهم اولاد كنانة اخي اسد واسد والهون اولاد خزيمة واخو هذيل وهما ابنا مدركة واسمه
عمرو اخو طابخة واسمه عامر وقمعة ثلاثتهم ابناء الياس اخي الناس وهو عيلان والد قيس
كلاهما ولدا مضر اخي ربيعة ويقال لهما الصريحان من ولد اسماعيل واخواهما انمار
واياد تيامنا وتبعهم ابنا نزار اخي قضاعة في قول طايفة ممن ذهب الى ان قضاعة حجازية

عدنانية وقد تقدم بيانه كلاهما ابنا معد بن عدنان وهذا النسب بهذه الصفة لا خلاف
فيه بين العلما فجميع قبايل عرب الحجاز ينتهون الى هذا النسب ولهذا قال ابن عباس وغيره
في قوله تعالى قل لا اسئلكم عليه اجرا الا المودة في القربى لم يكن بطن من بطون قريش الا لرسول
الله صلى الله عليه وسلم نسب يتصل بهم وصدق ابن عباس رضي الله عنهما قال وازيد
مما قال وذلك ان جميع قبايل العرب العدنانية تنتمي اليه بالآبا وكثير منهم بالامهات ايضا
كما ذكره محمد بن اسحاق وغيره في امهاته وامهات ابايه وامهاتهم مما يطول ذكره وقد حرره ابن اسحاق
رح والحافظ ابن عساكر وقد ذكرنا ترجمة عدنان نسبه وما قيل فيه وانه من ولد اسماعيل
لا محالة وان اختلف في كم بينهما ابا على اقوال قد بسطناها فيما تقدم والله تعالى اعلم
وقد ذكرنا بقية النسب من عدنان الى آدم واوردنا قصيدة ابي العباس الناشي المتضمنة ذلك
كل ذلك في اخبار عرب الحجاز ولله الحمد وقد تكلم الامام ابو جعفر بن جرير رح في اول تاريخه
على ذلك كلاما مبسوطا جيدا محررا نافعا وقد ورد في حديث انتسابه عليه السلام الى
عدنان وهو على المنبر ولكن الله اعلم بصحته كما قال الحافظ ابو بكر البيهقي انا ابو الحسن
علي بن احمد بن عمر بن حفص المقرئ ببغداد ثنا ابو عيسى بكار بن احمد بن بكار ثنا ابو جعفر
احمد بن موسى بن سعد املاء سنة ست وتسعين ومايتين ثنا ابو جعفر محمد بن ابان القلانسي
ثنا ابو محمد عبد الله بن محمد بن ربيعة القدامي ثنا مالك بن انس عن الزهري عن انس وعن
ابي بكر بن عبد الرحمن بن الحرث بن هشام قال بلغ النبي صلى الله عليه وسلم ان رجالا من كندة
يزعمون انهم منه او انه منهم فقال انما كان يقول ذلك العباس وابو سفيان بن حرب فيامنا
بذلك وانا لن ننتفي من آبائنا نحن بنو النضر بن كنانة قال وخطب النبي صلى الله عليه
وسلم فقال انا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة
بن كعب بن لوي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن الياس بن
مضر بن نزار وما افترق الناس فرقتين الا جعلني الله في خيرهما فاخرجت من بين ابوي فلم
يصبني شي من عهر الجاهلية وخرجت من نكاح ولم اخرج من سفاح من لدن آدم حتى انتهيت الى
ابي وامي فانا خيركم نفسا وخيركم ابا وهذا حديث غريب جدا من حديث مالك تفرد به القدامي
وهو ضعيف ولكن سنذكر له شواهد من امور وجوه اخر فمن ذلك قوله خرجت من نكاح لا من سفاح
قال عبد الرزاق انا ابن عيينة عن جعفر بن محمد عن ابيه ابي جعفر الباقر في قوله لقد جاءكم
رسول من انفسكم قال لم يصبه شي من ولادة الجاهلية قال وقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم اني خرجت من نكاح ولم اخرج من سفاح وهذا مرسل جيد وهكذا رواه البيهقي عن الحاكم
عن الاصم عن محمد بن اسحاق الصنعاني عن يحيى بن ابي بكير عن عبد الغفار بن القسم عن جعفر
بن محمد عن ابيه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله اخرجني من النكاح ولم يخرجني
من السفاح وقد رواه ابن عدي موصولا فقال ثنا احمد بن حفص ثنا محمد بن ابي عمر
العدني المكي ثنا محمد بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين قال اشهد على ابي لحدثني عن ابيه
عن جده عن علي بن ابي طالب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال خرجت من نكاح ولم اخرج
من سفاح من لدن آدم الى ان ولدني ابي وامي لم يصبني من سفاح الجاهلية شي وهذا غريب
من هذا الوجه ولا يكاد يصح وقال هشيم حدثنا المديني عن ابي الحويرث عن ابن عباس قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ولدني من نكاح اهل الجاهلية شي ما ولدني الا نكاح كنكاح

الاسلام

الاسلام وهذا ايضا غريب واورده الحافظ ابن عساكر ثم اسنده من حديث ابي هريرة وفي
اسناده ضعف والله اعلم وقال محمد بن سعد انا محمد بن عمر حدثني محمد بن عبد الله بن مسلم
عن عمه الزهري عن عروة عن عايشة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ولدت
من نكاح غير سفاح ثم اورد ابن عساكر من حديث ابي عاصم عن شبيب عن عكرمة عن ابن عباس
في قوله تعالى وتقلبك في الساجدين قال من نبي الى نبي حتى اخرجت نبيا ورواه عن عطا
وقال محمد بن سعد انا هشام بن محمد الكلبي عن ابيه قال كتبت للنبي صلى الله عليه وسلم
خمسماية ام فما وجدت فيهن سفاحا ولا شيا مما كان من امر الجاهلية وثبت في صحيح
البخاري من حديث عمرو بن ابي عمرو عن سعيد المقبري عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم بعثت من خير قرون بني آدم قرنا فقرنا حتى بعثت من القرن الذي كنت
فيه وفي صحيح مسلم من حديث الاوزاعي عن شداد ابي عمار عن واثلة بن الاسقع ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله اصطفى من ولد ابراهيم اسماعيل واصطفى من بني
اسماعيل بني كنانة واصطفى من بني كنانة قريشا واصطفى من قريش بني هاشم واصطفاني
من بني هاشم وقال الامام احمد ثنا ابو نعيم عن سفيان عن يزيد بن ابي زياد عن عبد
الله بن الحرث بن نوفل عن المطلب بن ابي وداعة قال قال العباس بلغه صلى الله عليه
وسلم بعض ما يقول الناس فصعد المنبر فقال من انا قالوا انت رسول الله فقال
انا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب ان الله خلق الخلق فجعلني في خيرهم بيتا فانا خيركم
بيتا وخيركم نفسا صلوات الله وسلامه عليه دايما الى يوم الدين وقال يعقوب
بن سفيان ثنا عبيد الله بن موسى عن اسماعيل بن ابي خالد عن يزيد بن ابي زياد عن
عبد الله بن الحرث بن نوفل عن العباس بن عبد المطلب قال قلت يا رسول الله ان قريشا
اذا التقوا لقي بعضهم بعضا بالبشاشة واذا لقونا لقونا بوجوه لا نعرفها فغضب
رسول الله صلى الله عليه وسلم عند ذلك غضبا شديدا ثم قال والذي نفس محمد
بيده لا يدخل قلب رجل الايمان حتى يحبكم لله ولرسوله فقلت يا رسول الله ان قريشا
جلسوا فتذاكروا احسابهم فجعلوا مثلك مثل نخلة في كبوة من الارض فقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم ان الله يوم خلق الخلق جعلني من خيرهم ثم لما فرقهم جعلني في خير قبيلة
ثم حين جعل البيوت جعلني في خير بيوتهم فانا خيرهم نفسا وخيرهم بيتا ورواه ابو
بكر بن ابي شيبة عن ابن فضيل عن يزيد بن ابي زياد عن عبيد الله بن الحرث عن ربيعة
بن الحرث قال بلغ النبي صلى الله عليه وسلم فذكره نحو ما تقدم ولم يذكر العباس
وقال يعقوب بن سفيان حدثني يحيى بن عبد الحميد ثنا قيس بن عبد الله عن الاعمش
عن عباية بن ربعي عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله قسم
الخلق قسمين فجعلني في خيرهما قسما فذلك قوله واصحاب اليمين واصحاب الشمال
فانا من اصحاب اليمين وانا خير اصحاب اليمين ثم جعل القسمين اثلاثا فجعلني في خيرها
ثلثا فذلك قوله واصحاب الميمنة والسابقون السابقون فانا من السابقين وانا
خير السابقين ثم جعل الاثلاث قبايل فجعلني في خيرها قبيلة فذلك قوله وجعلناكم
شعوبا وقبايل لتعارفوا ان اكرمكم عند الله اتقاكم ان الله عليم خبير وانا اتقى ولد
آدم واكرمهم على الله ولا فخر ثم جعل القبايل بيوتا فجعلني في خيرها بيتا وذلك قوله

في خير خلقه وجعلهم فريقين فجعلني في خير فرقة وخلق القبايل فجعلني في خير قبيلة وجعلهم بيوتا

في خيرهم

اهل البيت ع

انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم تطهيرا فانا واهل بيتي مطهرون من الذنوب
وهذا الحديث فيه غرابة ونكارة وروى الحاكم والبيهقي من حديث محمد بن ذكوان خال
ولد حماد بن زيد عن عمرو بن دينار عن ابن عمر قال انا لقعود بفناء النبي صلى الله عليه وسلم
اذ مرت بنا امراة فقال بعض القوم هذه ابنة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال
ابو سفيان مثل محمد في بني هاشم مثل الريحانة في وسط النتن فانطلقت المراة
فاخبرت النبي صلى الله عليه وسلم فجاء رسول الله يعرف في وجهه الغضب فقال ما بال
اقوال تبلغني عن اقوام ان الله خلق السموات سبعا فاختار العليا منها فاسكنها من شاء
من خلقه ثم خلق الخلق فاختار من الخلق بني ادم واختار من بني ادم العرب واختار من العرب
مضر واختار من مضر قريشا واختار من قريش بني هاشم واختارني من بني هاشم فانا من
خيار الى خيار فمن احب العرب فبحبي احبهم ومن ابغض العرب فببغضي ابغضهم وهذا ايضا
حديث غريب وثبت في الصحيح ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال انا سيد ولد
ادم يوم القيامة ولا فخر وروى الحاكم والبيهقي ايضا من حديث موسى بن عبيدة ثنا
عمرو بن عبد الله بن نوفل عن الزهري عن ابي سلمة عن عايشة قالت قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال لي جبريل قلبت الارض مشارقها ومغاربها فلم اجد رجلا
افضل من محمد وقلبت الارض مشارقها ومغاربها فلم اجد بني اب افضل من بني هاشم
قال الحافظ البيهقي وهذه الاحاديث وان كان في رواتها من لا يحتج به فبعضها
يوكد بعضا ومعنى جميعها يرجع الى حديث واثلة بن الاسقع والله اعلم **قلت**
وفي هذا المعنى يقول ابو طالب يمتدح النبي صلى الله عليه وسلم .

اذا اجتمعت يوما قريش لمفخر . فعبد مناف سرها وصميمها .
فان حصلت اشراف عبد منافها . ففي هاشم اشرافها وقديمها .
وان فخرت يوما فان محمدا . هو المصطفى من سرها وكريمها .
تداعت قريش غثها وسمينها . علينا فلم تظفر وطاشت حلومها .
وكنا قديما لا نقر ظلامة . اذا ما ثنوا صعر الخدود نقيمها .
ونحمي حماها كل يوم كريهة . ونضرب عن احجارها من يرومها .
بنا انتعش العود الذواء وانما . باكنافنا تندى وتنمى ارومها .

وقال ابو السكن زكريا بن يحيى الطائي في الجزء المنسوب اليه المشهور حدثني عم ابي
زحر بن حصن عن جده حميد بن منهب قال قال جدي خريم بن اوس هاجرت الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقدمت عليه منصرفه من تبوك فاسلمت فسمعت العباس بن
عبد المطلب يقول يا رسول الله اني اريد ان امتدحك فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم قل لا يفضض الله فاك فانشا يقول .

من قبلها طبت في الظلال وفي . مستودع حيث يخصف الورق .
ثم هبطت البلاد لا بشر . انت ولا مضغة ولا علق .
بل نطفة تركب السفين وقد . الجم نسرا واهله الغرق .
تنقل من صالب الى رحم . اذا مضى عالم بدا طبق .
حتى احتوى بيتك المهيمن من . خندف علياء تحتها النطق .

وانت لما ولدت اشرقت الا . رض وضاءت بنورك الافق .
فنحن في ذلك الضياء وفي . النور وسبل الرشاد نخترق .

وقد روى هذا الشعر لحسان بن ثابت فروى الحافظ ابو القسم بن عساكر من طريق ابي
الحسن بن ابي الحديد انا ابو محمد بن ابي نصر انا عبد السلام بن محمد بن احمد القرشي ثنا
ابو حصين محمد بن اسماعيل بن محمد التميمي ثنا محمد بن عبد الله الزاهد الخراساني حدثني
اسحاق بن ابراهيم بن سنان ثنا سلام بن سليمان ابو العباس المكفوف المدايني ثنا ورقا
بن عمر عن ابن ابي نجيح عن عطا ومجاهد عن ابن عباس قال سالت رسول الله صلى الله عليه
وسلم فقلت فداك ابي وامي اين كنت وادم في الجنة قال فتبسم حتى بدت نواجذه ثم
قال كنت في صلبه وركب بي السفينة في صلب ابي نوح وقذف بي في صلب ابي ابراهيم
لم يلتق ابواي قط على سفاح لم يزل الله ينقلني من الاصلاب الحسيبة الى الارحام الطاهرة
صفتي مهدي لا يتشعب شعبتان الا كنت في خيرهما قد اخذ الله بالنبوة ميثاقي وبالاسلام
عهدي وبشر في التورية والانجيل ذكري وبين كل نبي صفتي تشرق الارض بنوري
والغمام لوجهي وعلمني كتابه وزادني في سمايه وشق لي اسما من اسمايه فذو العرش محمود
وانا احمد ووعدني ان يحبوني بالحوض والكوثر وان يجعلني اول شافع واول مشفع
ثم اخرجني من خير قرن لامتي وهم الحمادون يامرون بالمعروف وينهون عن المنكر قال ابن عباس
فقال حسان بن ثابت في النبي صلى الله عليه وسلم .

من قبلها طبت في الظلال وفي . مستودع يوم يخصف الورق .
ثم سكنت البلاد لا بشر . انت ولا نطفة ولا علق .
مطهر تركب السفين وقد . الجم نسرا واهله الغرق .
تنقل من صلب الى رحم اذا . مضى طبق بدا طبق .

فقال النبي صلى الله عليه وسلم يرحم الله حسان فقال علي بن ابي طالب رضي
الله عنه وجبت الجنة لحسان ورب الكعبة ثم قال الحافظ ابن عساكر هذا
حديث غريب جدا قلت بل منكر جدا قال والمحفوظ ان هذه الابيات للعباس رضي الله عنه غريب
ثم اورد ها من حديث ابي السكن زكريا بن يحيى الطائي كما تقدم قلت ومن الناس
من يزعم انها للعباس بن مرداس السلمي والله اعلم

باب مولد رسول الله صلى الله عليه وسلم

ولد صلوات الله وسلامه عليه يوم الاثنين لما رواه مسلم في صحيحه من حديث
غيلان بن جرير عن عبد الله بن معبد الزماني عن ابي قتادة ان اعرابيا قال يا رسول
الله ما تقول في صوم يوم الاثنين فقال ذاك يوم ولدت فيه وانزل علي فيه
وقال الامام احمد حدثنا موسى بن داود ثنا ابن لهيعة عن خالد بن ابي عمران عن
حنش الصنعاني عن ابن عباس قال ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الاثنين
واستنبئ يوم الاثنين وخرج مهاجرا من مكة الى المدينة يوم الاثنين وقدم المدينة
يوم الاثنين وتوفي يوم الاثنين ورفع الحجر الاسود يوم الاثنين تفرد به احمد ورواه
ابن عساكر ابن بكير وزاد ونزلت سورة المايدة يوم الاثنين اليوم اكملت لكم دينكم
وهكذا رواه بعضهم عن موسى بن داود به وزاد ايضا وكانت وقعة بدر يوم الاثنين

عن ابن لهيعة

ومن قال هذا يزيد بن حبيب وهذا منكر جدا قال ابن عساكر والمحفوظ ان بدرا ونزول اليوم اكملت
لكم دينكم يوم الجمعة وصدق قال ابن عساكر وروى عبيد الله بن عمر عن كريب عن ابن عباس ولد رسول
الله يوم الاثنين وهكذا روى ابن عمير هذا الوجه عن ابن عباس انه ولد يوم الاثنين وهذا لا خلاف وتوفي يوم الاثنين
فيه انه ولد صلى الله عليه وسلم يوم الاثنين وابعد بل اخطأ من قال ولد يوم الجمعة لسبع
عشرة خلت من ربيع الاول نقله الحافظ ابن دحية فيما قراه في كتاب اعلام الورى باعلام
الهدى لبعض الشيعة ثم شرع ابن دحية في تضعيفه وهو جدير بالتضعيف اذ هو خلاف
النص ثم الجمهور على ان ذلك كان في شهر ربيع الاول فقيل لليلتين خلتا منه قاله ابن عبد البر
في الاستيعاب ورواه الواقدي عن ابي معشر نجيح بن عبد الرحمن المدني وقيل لثمان خلون منه
حكاه الحميدي عن ابن حزم ورواه مالك وعقيل ويونس بن يزيد وغيرهم عن الزهري
عن محمد بن جبير بن مطعم ونقل ابن عبد البر عن اصحاب الزيج انهم صححوه وقطع به الحافظ الكبير
محمد بن موسى الخوارزمي ورجحه الحافظ ابو الخطاب بن دحية في كتابه التنوير في مولد البشير النذير
وقيل لعشر خلون منه نقله ابن دحية في كتابه ورواه ابن عساكر عن ابي جعفر الباقر ورواه
مجالد عن الشعبي عامر وقيل لثنتي عشرة خلت منه نص عليه ابن اسحاق ورواه ابن ابي
شيبة في مصنفه عن عفان عن سعيد بن ميناء عن جابر وابن عباس انهما قالا ولد رسول الله
صلى الله عليه وسلم عام الفيل يوم الاثنين الثامن عشر من شهر ربيع الاول وفيه بعث قال المؤلف كذا رايته الثامن عشر وصوابه الثاني عشر
وفيه عرج به الى السماء وفيه هاجر وفيه مات وهذا هو المشهور عند الجمهور والله اعلم وقيل
لسبع عشرة منه كما نقله ابن دحية عن بعض الشيعة وقيل لثمان بقين منه نقله ابن دحية
من خط الوزير ابي رافع بن الحافظ ابي محمد بن حزم عن ابيه والصحيح عن ابن حزم الاول انه
لثمان مضين منه كما نقله عنه الحميدي وهو اثبت والقول الثاني انه ولد في رمضان نقله
ابن عبد البر عن الزبير بن بكار وهو قول غريب جدا وكان مستنده انه عليه السلام اوحي اليه
في رمضان بلا خلاف وذلك على راس اربعين سنة من عمره فيكون مولده في رمضان وهذا فيه نظر
والله اعلم وروى خيثمة بن سليمان الحافظ عن خلف بن محمد كردوس الواسطي عن المعلى بن
عبد الرحمن عن عبد الحميد بن جعفر عن الزهري عن عبيد الله بن عبد الله عن ابن عباس قال
ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الاثنين في ربيع الاول وانزلت عليه النبوة يوم الاثنين
في ربيع الاول وهاجر الى المدينة يوم الاثنين في ربيع الاول وتوفي يوم الاثنين في ربيع الاول
وهذا غريب جدا رواه ابن عساكر قال الزبير بن بكار حملت به امه في ايام التشريق في شعب
ابي طالب عند الجمرة الوسطى وولد بمكة بالدار المعروفة لمحمد بن يوسف اخي الحجاج بن يوسف
لثنتي عشرة خلت من شهر رمضان ورواه الحافظ ابن عساكر من طريق محمد بن عثمان عن عقبة ليلة
بن مكرم عن المسيب بن شريك عن شعيب بن شعيب عن ابيه عن جده قال حمل برسول الله صلى
الله عليه وسلم في يوم عاشوراء المحرم وولد يوم الاثنين لثنتي عشرة ليلة خلت من شهر رمضان سنة
ثلاث وعشرين من غزوة اصحاب الفيل وذكر غيره ان الخيزران وهي ام هارون الرشيد لما
حجت امرت ببناء هذه الدار مسجدا فهو يعرف بها الى اليوم وذكر السهيلي ان مولده عليه السلام
كان في العشرين من نيسان وهذا اعدل الازمان والفصول وذلك لسنة اثنتين وثمانين
وثمانمائة لذي القرنين فيما ذكره اصحاب الزيج وزعموا ان الطالع كان لعشرين درجة من الجدي
وكان المشتري وزحل مقترنين في ثلاث درج من العقرب وهي درجة وسط السماء وكان موافقا

سنا لبرج الحمل وكان ذلك عند طلوع الفجر اول الليل نقله كله ابن دحية والله اعلم قال
ابن اسحاق وكان مولده عليه السلام عام الفيل وهذا هو المشهور عند الجمهور قال ابراهيم بن
المنذر الحزامي وهو الذي لا يشك فيه احد من علمائنا انه عليه السلام ولد عام الفيل وبعث على
راس اربعين سنة من الفيل وقد رواه البيهقي من حديث ابي اسحاق السبيعي عن سعيد بن
جبير عن ابن عباس قال ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الفيل وقال محمد بن اسحاق حدثني
المطلب بن عبد الله بن قيس بن مخرمة عن ابيه عن جده قيس بن مخرمة قال ولدت
انا ورسول الله صلى الله عليه وسلم عام الفيل كنا لدين قال وسال عثمان رضي الله عنه
قباث بن اشيم اخا بني يعمر بن ليث انت اكبر ام رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله
اي قد مال عليه حول صلى الله عليه وسلم اكبر مني وانا اقدم منه في الميلاد ورايت خذق الفيل اخضر محيلا ورواه
الترمذي والحاكم من حديث محمد بن اسحاق به قال ابن اسحاق وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم
عام عكاظ ابن عشرين سنة وقال ابن اسحاق كان الفجار بعد الفيل بعشرين سنة وكان
بناء الكعبة بعد الفجار بخمس عشرة سنة والبعث بعد بنائها بخمس سنين قال
محمد بن جبير بن مطعم كانت عكاظ بعد الفيل بخمس عشرة سنة وبناء الكعبة بعد عكاظ
بعشر سنين والمبعث بعد بنائها بخمس عشرة سنة وروى الحافظ البيهقي من حديث عبد
العزيز بن ابي ثابت المديني ثنا الزبير بن موسى عن ابي الحويرث قال سمعت عبد الملك بن مروان
يقول لقباث بن اشيم الكناني ثم الليثي يا قباث انت اكبر ام رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال رسول الله اكبر مني وانا اسن منه ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الفيل ووقفت
بي امي على روث الفيل محيلا اعقله وتنبئ رسول الله صلى الله عليه وسلم على راس اربعين
سنة وقال يعقوب بن سفيان ثنا يحيى بن عبد الله بن بكير ثنا نعيم يعني ابن ميسرة
عن بعضهم عن سويد بن غفلة قال انا لدة رسول الله صلى الله عليه وسلم ولدت عام
الفيل قال البيهقي وقد روي عن سويد بن غفلة انه قال انا اصغر من رسول الله صلى
الله عليه وسلم بسنتين قال يعقوب وحدثنا ابراهيم بن المنذر ثنا عبد العزيز بن ابي ثابت حدثني
عبد الله بن عثمان بن ابي سليمان النوفلي عن ابيه عن محمد بن جبير بن مطعم قال ولد رسول
الله صلى الله عليه وسلم عام الفيل وكانت بعده عكاظ بخمس عشرة سنة وبني البيت
على راس خمس وعشرين سنة من الفيل وتنبئ رسول الله صلى الله عليه وسلم على راس اربعين
سنة من الفيل والمقصود ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ولد عام الفيل على قول الجمهور
فقيل بعده بشهر وقيل باربعين يوما وقيل بخمسين يوما وهو اشهر وعن ابي جعفر الباقر
كان قدوم الفيل للنصف من المحرم ومولد رسول الله صلى الله عليه وسلم بعده بخمس
وخمسين ليلة وقال آخرون بل كان عام الفيل قبل مولد رسول الله صلى الله عليه وسلم
بعشر سنين قاله ابن ابزى وقيل بثلاث وعشرين سنة رواه شعيب بن شعيب عن ابيه عن
جده كما تقدم وقيل بعد الفيل بثلاثين سنة قاله موسى بن عقبة عن الزهري رحمه الله واختاره
موسى بن عقبة ايضا وقال ابو زكريا العجلاني بعد الفيل باربعين عاما رواه ابن عساكر
وهذا غريب جدا واغرب منه ما قال خليفة بن خياط حدثني شعيب بن حبان عن عبد
الواحد بن ابي عمرو عن الكلبي عن ابي صالح عن ابن عباس قال ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم
قبل الفيل بخمس عشرة سنة وهذا حديث غريب ومنكر وضعيف ايضا قال خليفة بن خياط

والمجتمع عليه انه عليه الصلاة والسلام ولد عام الفيل

صفة مولده الشريف عليه الصلاة والسلام

قد تقدم ان عبد المطلب لما ذبح تلك الابل المائة عن ولده عبد الله حين كان نذر ذبحه
فسلمه الله تعالى لما كان قدر في الازل من ظهور النبي صلى الله عليه وسلم الامي خاتم الرسل
وسيد ولد آدم من صلبه فذهب كما تقدم فزوجه اشرف عقيلة في قريش آمنة بنت وهب
بن عبد مناف بن زهرة الزهرية فحين دخل بها وافضى اليها حملت برسول الله صلى الله عليه وسلم
وقد كانت ام قتال رقيقة بنت نوفل اخت ورقة بن نوفل توسمت ما كان بين عيني عبد
الله قبل ان يجامع آمنة من النور فود ان يكون ذلك متصلا بها لما كانت تسمع من اخيها
من البشارات بوجود محمد صلى الله عليه وسلم وانه قد ازف زمانه فعرضت نفسها عليه
قال بعضهم ليتزوجها وهو اظهر والله اعلم فامتنع عليها فلما انتقل ذلك النور الباهر
الى آمنة عن مواقعته اياها كانه تندم على ما كانت عرضت عليه فتعرض لها لتعاوده فقالت
لا حاجة لي فيك وتاسفت على ما فاتها من ذلك وانشدت في ذلك ما قدمناه من الشعر الفصيح
البليغ وهذه الصيانة لعبد الله ليست له وانما هي لرسول الله صلى الله عليه وسلم فانه
كما قال الله تعالى الله اعلم حيث يجعل رسالاته وقد تقدم الحديث المروي من طرق جيدة
انه عليه السلام قال ولدت من نكاح لا من سفاح والمقصود ان امه حين حملت به توفي
ابوه عبد الله وهو حمل في بطن امه على المشهور قال ابن سعد ثنا محمد بن عمر هو الواقدي
ثنا موسى بن عبيدة اليزيدي عن محمد بن كعب وحدثنا سعيد بن ابي زيد عن ايوب بن عبد
الرحمن بن ابي صعصعة قال خرج عبد الله بن عبد المطلب الى الشام الى غزة في عير من عيرات
قريش يحملون تجارات ففرغوا من تجاراتهم ثم انصرفوا فمروا بالمدينة وعبد الله بن عبد
المطلب يومئذ مريض فقال انا اتخلف عند اخوالي بني عدي بن النجار فاقام عندهم مريضا
شهرا ومضى اصحابه فقدموا مكة فسالهم عبد المطلب عن ابنه عبد الله فقالوا
خلفناه عند اخواله بني عدي بن النجار وهو مريض فبعث اليه عبد المطلب اكبر ولده الحارث
فوجده قد توفي ودفن في دار النابغة فرجع الى ابيه فاخبره فوجد عليه عبد المطلب واخوته
واخواته وجدا شديدا ورسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ حمل ولعبد الله بن عبد المطلب
يوم توفي خمس وعشرون سنة قال الواقدي هذا هو اثبت الاقاويل والرواية في وفاة عبد الله وسنه
عندنا قال الواقدي وحدثني معمر عن الزهري ان عبد المطلب بعث عبد الله الى المدينة يمتار
لهم تمرا فمات قال محمد بن سعد وقد انا هشام بن محمد بن السائب الكلبي عن ابيه وعن عوانة
ابن الحكم قالا توفي عبد الله بن عبد المطلب بعدما اتى على رسول الله صلى الله عليه وسلم
ثمانية وعشرون شهرا ويقال سبعة اشهر قال محمد بن سعد والاول اثبت انه توفي
ورسول الله صلى الله عليه وسلم حمل قال الزبير بن بكار حدثني محمد بن حسن عن عبد السلام
عن ابن خربوذ قال توفي عبد الله بالمدينة ورسول الله صلى الله عليه وسلم ابن شهرين
وماتت امه وهو ابن اربع سنين ومات جده وهو ابن ثماني سنين فاوصى به الى عمه ابي طالب
والذي رجحه الواقدي وكاتبه الحافظ محمد بن سعد انه عليه السلام توفي ابوه وهو جنين
في بطن امه وهذا ابلغ اليتم واعلى مراتبه وقد تقدم في الحديث ورؤيا امي التي رأت
حين حملت بي كانه خرج منها نور اضاءت له قصور الشام وقال محمد بن اسحاق فكانت

آمنة بنت وهب ام رسول الله صلى الله عليه وسلم تحدث انها اتيت حين حملت برسول الله
صلى الله عليه وسلم فقيل لها انك قد حملت بسيد هذه الامة فاذا وقع الى الارض فقولي
اعيذه بالواحد من كل شر حاسد في كل بر عاهد وكل عبد رائد يرود غير رائد فانه عبد الحميد
الماجد حتى اراه قد اتى المشاهد وآية ذلك ان يخرج معه نور يملأ قصور بصرى من ارض
الشام فاذا وقع فسميه محمدا فان اسمه في التوراة احمد يحمده اهل السماء واهل الارض واسمه
في الانجيل احمد يحمده اهل السماء واهل الارض واسمه في القرآن محمد وهذا وذاك يقتضي
انها رأت حين حملت به عليه السلام كانه خرج منها نور اضاءت له قصور الشام ثم لما وضعته
رأت عيانا تاويل ذلك كما رأته قبل ذلك مناما والله اعلم وقال محمد بن سعد انا محمد بن عمر
هو الواقدي ثنا محمد بن عبد الله بن مسلم عن الزهري قال قال الواقدي وحدثنا محمد موسى بن
عبيدة عن اخيه ومحمد بن كعب القرظي وحدثني عبد الله بن جعفر الزهري عن عمته ام بكر بنت
المسور عن ابيها وعبد الرحمن بن ابراهيم المزني وزياد بن حشرج عن ابي وجزة وثنا
معمر عن ابن ابي نجيح عن مجاهد وطلحة بن عمرو عن عطاء عن ابن عباس دخل حديث بعضهم
في بعض ان آمنة بنت وهب قالت لقد علقت به يعني رسول الله فما وجدت له مشقة
حتى وضعته فلما فصل مني خرج معه نور اضاء له ما بين المشرق الى المغرب ثم وقع الى الارض
معتمدا على يديه ثم اخذ قبضة من التراب فقبضها ورفع راسه الى السماء وقال بعضهم
وقع جاثيا على ركبتيه وخرج معه نور اضاءت له قصور الشام واسواقها حتى رأيت اعناق
الابل ببصرى رافعا راسه الى السماء وقال الحافظ ابو بكر البيهقي انا محمد بن عبد الله الحافظ
انا محمد بن اسماعيل انا محمد بن اسحاق ثنا يونس بن مبشر بن الحسن ثنا يعقوب بن محمد الزهري
ثنا عبد العزيز بن عمران ثنا عبد الله بن عثمان بن ابي سليمان بن جبير بن مطعم عن ابيه عن
ابن ابي سويد الثقفي عن عثمان بن ابي العاص حدثتني امي انها شهدت ولادة آمنة بنت
وهب رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة ولدته قالت فما شيء انظر اليه في البيت الا
نور واني انظر الى النجوم تدنو حتى اني لاقول ليقعن علي قال محمد بن اسحاق فلما وضعته

وذكر القاضي عياض في الشفاء ان ام عبد الرحمن بن عوف انها كانت قابلته وانها اخبرت به حين سقط على يديها واستهل سمعت قائلا يقول يرحمك الله وانه سطع منه نور رأت منه قصور الروم

بعثت الى عبد المطلب جاريتها وقد هلك ابوه وهي حبلى ويقال ان عبد الله هلك والنبي
صلى الله عليه وسلم ابن ثمانية وعشرين شهرا والله اعلم اي ذلك كان فقالت قد ولد
لك الليلة غلام فانظر اليه فلما جاءها اخبرته وحدثته بما كانت رأت حين حملت به
وما قيل لها فيه وما امرت ان تسميه فاخذه عبد المطلب فادخله على هبل في جوف الكعبة
فقام عبد المطلب يدعو ويشكر الله عز وجل ويقول

الحمد لله الذي اعطاني * هذا الغلام الطيب الاردان
قد ساد في المهد على الغلمان * اعيذه بالله ذي الاركان
حتى يكون بلغة الفتيان * حتى اراه بالغ البنيان
اعيذه من كل ذي شنان * من حاسد مضطرب العنان
ذي همة ليس له عينان * حتى اراه رافع اللسان
انت الذي سميت في القرآن * في كتب ثابتة المثاني
احمد مكتوب على اللسان *

وقال البيهقي انا ابو عبد الله انا ابو بكر محمد بن حاتم الداربجردي
بمرو ثنا ابو عبد الله البوشنجي ثنا ابو ايوب سليمان بن سلمة الخبائري ثنا يونس بن عطا بن

عثمان بن ربيعة بن زياد بن الحرث الصدائي بمصر ثنا الحكم بن ابان عن عكرمة عن ابن عباس عن
ابيه العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه قال ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم مختونا
مسرورا قال فاعجب جده عبد المطلب وحظي عنده وقال ليكونن لابني هذا شان فكان له
شان وهذا الحديث في صحته نظر وقد رواه الحافظ ابن عساكر من حديث سفيان بن محمد
المصيصي عن هشيم عن يونس بن عبيد عن الحسن عن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم من كرامتي على الله اني ولدت مختونا ولم ير سوءتي احد ثم اورده من طريق الحسن بن
عرفة عن هشيم به ثم اورده من طريق محمد بن محمد بن سليمان هو الباغندي ثنا عبد الرحمن
بن ايوب الحمصي ثنا موسى بن ابي موسى المقدسي حدثني خالد بن سلمة عن نافع عن ابن عمر قال
ولد النبي صلى الله عليه وسلم مسرورا مختونا وقال ابو نعيم ثنا ابو احمد محمد بن احمد الغطريفي
ثنا الحسين بن احمد بن عبد الله المالكي ثنا سليمان بن سلمة الخبايري ثنا يونس بن عطا ثنا
الحكم بن ابان ثنا عكرمة عن ابن عباس عن ابيه العباس قال ولد رسول الله مختونا مسرورا
فاعجب ذلك جده وحظي عنده وقال ليكونن لابني هذا شان فكان له شان وقد ادعى بعضهم
صحته لما ورد له من الطرق حتى زعم بعضهم انه متواتر وفي ذلك كله نظر ومعنى مختونا اي
مقطوع الختان ومسرورا اي مقطوع السرة من بطن امه وقد روى الحافظ ابن عساكر من
طريق عبد الرحمن بن عيينة البصري ثنا علي بن محمد المدايني السلمي ثنا سلمة بن محارب
بن سلم بن زياد عن ابيه عن ابي بكرة ان جبريل ختن النبي صلى الله عليه وسلم حين طهر قلبه وهذا
غريب جدا وقد روي ان جده عبد المطلب ختنه وعمل له دعوة جمع قريشا عليها والله اعلم
وقال البيهقي انا ابو عبد الله الحافظ انا ابو احمد بن كامل القاضي شفاها ان محمد بن اسماعيل
حدثه يعني السلمي ثنا ابو صالح عبد الله بن صالح حدثني معاوية بن صالح عن ابي الحكم التنوخي
قال كان المولود اذا ولد في قريش دفعوه الى نسوة من قريش الى الصبح يكفان عليه
برمة فلما ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم دفعه عبد المطلب الى نسوة يكفئن عليه برمة
فلما اصبحن اتين فوجدن البرمة قد انفلقت عنه باثنتين ووجدنه مفتوح العينين
شاخصا ببصره الى السما فاتاهن عبد المطلب فقلن له ما راينا مولودا مثله وجدناه
قد انفلقت عنه البرمة ووجدناه مفتوحا عينيه شاخصا ببصره الى السما فقال
احفظنه فاني ارجو ان يكون له شان او ان يصيب خيرا فلما كان اليوم السابع ذبح عنه
ودعا له قريشا فلما اكلوا قالوا يا عبد المطلب ارايت ابنك هذا الذي اكرمتنا على
وجهه ما سميته قال سميته محمدا قالوا فما رغبت به عن اسماء اهل بيته قال اردت ان يحمده
الله في السماء وخلقه في الارض قال اهل اللغة كل جامع لصفات الخير يسمى محمدا كما قال
بعضهم

اليك ابيت اللعن اعملت ناقتي * الى الماجد القرم الكريم المحمد

وقال بعض العلماء الهمهم الله عز وجل ان سموه محمدا لما فيه من الصفات الحميدة ليلتقي
الاسم والفعل ويتطابق الاسم والمسمى في الصورة والمعنى كما قال عمه ابو طالب
ويروى لحسان

وشق له من اسمه ليجله * فذو العرش محمود وهذا محمد

وسنذكر اسماءه عليه السلام وشمايله وهي صفاته الظاهرة واخلاقه الطاهرة ودلايل

نبوته وفضايل منزلته في اخر السيرة ان شا الله تعالى وقال الحافظ ابو بكر البيهقي انا ابو
عبد الله الحافظ ثنا ابو العباس محمد بن يعقوب ثنا احمد بن شيبان الرملي ثنا احمد بن
ابراهيم الحلبي ثنا الهيثم بن جميل ثنا زهير عن محارب بن دثار عن عمرو بن يثربي عن العباس
بن عبد المطلب قال قلت يا رسول الله دعاني الى الدخول في دينك امارة لنبوتك رايتك
في المهد تناغي القمر وتشير اليه باصبعك فحيث اشرت اليه مال قال اني كنت احدثه ويحدثني
ويلهيني عن البكا واسمع وجبته حين يسجد تحت العرش ثم قال تفرد به الحلبي وهو مجهول

فصل فيما وقع من الايات ليلة مولده عليه الصلاة والسلام

قد ذكرنا في باب هواتف الجان ما تقدم من خرور كثير من الاصنام ليلتئذ لوجوهها وسقوطها
عن اماكنها وما راه النجاشي ملك الحبشة وظهور النور معه حتى اضاءت له قصور الشام
حين ولد وما كان من سقوطه جاثيا رافعا راسه الى السما وانفلاق تلك البرمة عن وجهه
الكريم وما شوهد من النور في المنزل الذي ولد فيه ودنو النجوم منهم وغير ذلك وحكى
السهيلي عن تفسير بقي بن مخلد الحافظ ان ابليس رن اربع رنات حين لعن وحين اهبط
وحين ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم وحين انزلت الفاتحة وقال محمد بن اسحاق وكان
هشام بن عروة يحدث عن ابيه عن عايشة قالت كان يهودي قد سكن مكة يتجر بها فلما
كانت الليلة التي ولد فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في مجلس من قريش يا معشر
قريش هل ولد فيكم الليلة مولود فقالوا لا نعلم والله ما نعلمه فقال الله اكبر اما اذا اخطاكم
فلا باس انظروا واحفظوا ما اقول لكم ولد هذه الليلة نبي هذه الامة الاخيرة بين كتفيه
علامة فيها شعرات متواترات كانهن عرف فرس لا يرضع ليلتين وذلك ان عفريتا من الجن
ادخل اصبعه في فمه فمنعه الرضاع فتصدع القوم من مجلسهم وهم يتعجبون من قوله وحديثه
فلما صاروا الى منازلهم اخبر كل انسان منهم اهله فقالوا قد ولد الليلة لعبد الله بن عبد
المطلب غلام سموه محمدا فالتقى القوم فقالوا هل سمعتم حديث اليهودي هل بلغكم مولد هذا
الغلام فانطلقوا حتى جاوا اليهودي فاخبروه الخبر قال فاذهبوا معي حتى انظر اليه فخرجوا
به حتى ادخلوه على امنة فقالوا اخرجي الينا ابنك فاخرجته وكشفوا له عن ظهره فراى
تلك الشامة فوقع مغشيا عليه فلما افاق قالوا له ويلك ما لك قال ذهبت والله النبوة (اليهودي م)
من بني اسرائيل افرحتم به يا معشر قريش اما والله ليسطون بكم سطوة يخرج خبرها
من المشرق والمغرب وقال محمد بن اسحاق حدثني صالح بن ابراهيم عن يحيى بن عبد الرحمن
بن اسعد بن زرارة قال حدثني من شئت من رجال قومي عن حسان بن ثابت
قال اني لغلام يفعة ابن سبع سنين او ثمان سنين اعقل ما رايت وسمعت اذا يهودي
بيثرب يصرخ ذات غداة يا معشر يهود فاجتمعوا اليه وانا اسمع فقالوا ويلك ما لك قال طلع
نجم احمد الذي يولد به في هذه الليلة وروى الحافظ ابو نعيم في كتاب دلايل النبوة من
حديث ابي بكر بن عبد الله العامري عن سليمان بن سحيم وذريح بن عبد الرحمن كلاهما عن
عبد الرحمن بن ابي سعيد عن ابيه قال سمعت ابي مالك بن سنان يقول جيت بني عبد الاشهل
يوما لاتحدث فيهم ونحن يوميذ في هدنة من الحرب فسمعت يوشع اليهودي يقول اظل
خروج نبي يقال له احمد يخرج من الحرم فقال له خليفة بن ثعلبة الاشهلي كالمستهزئ
به ما صفته قال رجل ليس بالقصير ولا بالطويل في عينيه حمرة يلبس الشملة ويركب

الحمار سبقه علي عقا تقدم ومهذا البلد مهاجره قال فرجعت الى قومي بني خدرة وانا بومئذ
اتعجب مما يقول يوشع فاسمع رجلا منا يقول ويوشع يقول مثل هذا وحده كل يهود يثرب تقول
هذا قال ابو مالك بن سنان فخرجت حتى جئت بني قريظة فاجد جمعا فتذاكروا النبي
صلى الله عليه وسلم فقال الزبير بن باطا قد طلع الكوكب الاحمر الذي لم يطلع الا لخروج
نبي وظهوره ولم يبق احد الا احمد ومهذه مهاجره قال ابو سعيد فلما قدم رسول الله صلى
الله عليه وسلم اخبره ابي هذا الخبر فقال رسول الله لو اسلم الزبير وذووه من رؤساء اليهود
انما هم له تبع وقال ابو نعيم ثنا عمر بن محمد ثنا ابراهيم بن السندي ثنا النضر بن سلمة
ثنا اسماعيل بن قيس بن سليمان بن زيد بن ثابت عن ابراهيم بن يحيى بن زيد بن ثابت يقول
كان احبار يهود بني قريظة والنضير يذكرون صفة النبي صلى الله عليه وسلم فلما طلع
الكوكب الاحمر اخبروا انه نبي وانه لا نبي بعده اسمه احمد ومهاجره الى يثرب فلما قدم رسول
الله المدينة انكروا وحسدوا وكفروا وقد اوردت هذه القصة الحافظ ابو نعيم من كتابه
من طرق اخر ولله الحمد وقال ابو نعيم انا ابو محمد بن حيان ثنا ابو بكر بن ابي عاصم ثنا وهب بن بقية
ثنا خالد عن محمد بن عمرو عن ابي سلمة ويحيى بن عبد الرحمن بن حاطب عن اسامة بن زيد قال
قال زيد بن عمرو بن نفيل قال لي حبر من احبار الشام قد خرج في بلدك نبي او هو خارج قد
خرج نجمه فارجع فصدقه واتبعه

ذكر ارتجاس الايوان وسقوط الشرفات وخمود النيران ورؤيا الموبذان وغير ذلك من الدلالات

قال الحافظ ابو بكر محمد بن جعفر بن سهل الخرائطي في كتابه هواتف الجان حدثنا علي بن حرب
ثنا ابو ايوب يعلى بن عمران من آل جرير بن عبد الله البجلي حدثني مخزوم بن هاني المخزومي
عن ابيه واتت له خمسون ومائة سنة قال لما كانت الليلة التي ولد فيها رسول الله صلى الله
عليه وسلم ارتجس ايوان كسرى وسقطت منه اربع عشرة شرفة وخمدت نار فارس ولم
تخمد قبل ذلك بالف عام وغاضت بحيرة ساوة ورأى الموبذان ابلا صعابا تقود خيلا
عرابا قد قطعت دجلة وانتشرت في بلادها فلما اصبح كسرى افزعه ذلك فتصبر عليه
تشجعا ثم رأى انه لا يدخر ذلك عن مرازبته فجمعهم ولبس تاجه وجلس على سريره ثم بعث
اليهم فلما اجتمعوا عنده قال اتدرون فيما بعثت اليكم قالوا لا الا ان يخبرنا الملك فبينما
كذلك اذ ورد عليهم كتاب بخمود النيران فازداد غما الى غمه ثم اخبرهم ما رأى وما هاله
فقال الموبذان وانا اصلح الله الملك قد رأيت في هذه الليلة رؤيا ثم قص عليه رؤياه
فقال اي شيء يكون هذا يا موبذان قال حدث يكون في ناحية العرب وكان اعلمهم في انفسهم
فكتب عند ذلك من كسرى ملك الملوك الى النعمان بن المنذر اما بعد فوجه الي برجل عالم
بما اريد ان اسأله عنه فوجه اليه بعبد المسيح بن عمرو بن حيان بن بقيلة الغساني فلما
ورد عليه قال له الك علم بما اريد ان اسألك عنه فقال ليخبرني الملك وليسألني
الملك عما احب فان كان عندي منه علم والا اخبرته بمن يعلم فاخبره بالذي وجه اليه فيه
قال علم ذلك عند خال لي يسكن مشارف الشام يقال له سطيح قال فأته فاسأله عما سألتك
عنه ثم ائتني بتفسيره فخرج عبد المسيح حتى انتهى الى سطيح وقد اشفى على الضريح فسلم

حاشية المؤبذان عالم الفرس وقاضيهم

عليه

عليه وكلمه فلم يرد اليه سطيح جوابا فانشأ يقول

اصم ام يسمع غطريف اليمن • ام فاز فازلم به شأو العنن
يا فاصل الخطة اعيت من ومن • اتاك شيخ الحي من آل سنن
وامه من آل ذئب بن حجن • ازرق نهم الناب صرار الاذن
ابيض فضفاض الرداء والبدن • رسول قيل العجم يسري للوسن
يجوب بي الارض علنداة شجن • لا يرهب الرعد ولا ريب الزمن
ترفعني وجنا وتهوي بي وجن • حتى اتى عاري الجآجي والقطن
فانه في الريح بوغاء الدمن • كانما حثحث من حضني ثكن

قال فلما سمع سطيح شعره رفع رأسه يقول عبد المسيح على جمل مشيح الى سطيح وقد اوفى
على الضريح بعثك ملك بني ساسان لارتجاس الايوان وخمود النيران ورؤيا الموبذان رأى
ابلا صعابا تقود خيلا عرابا قد قطعت دجلة وانتشرت في بلادها يا عبد المسيح اذا كثرت
التلاوة وظهر صاحب الهراوة وفاض وادي السماوة وغاضت بحيرة ساوة وخمدت نار فارس
فليس الشام لسطيح شاما يملك منهم ملوك وملكات على عدد الشرفات وكل ما هو آت آت
ثم قضى سطيح مكانه فنهض عبد المسيح الى راحلته وهو يقول

شمر فانك ماضي العزم شمير • لا يفزعنك تفريق وتغيير
ان يمس ملك بني ساسان افرطهم • فان ذا الدهر اطوار دهارير
فربما ربما اضحوا بمنزلة • يخاف صولهم الاسد المهاصير
منهم اخو الصرح بهرام واخوته • والهرمزان وسابور وسابور
والناس اولاد علات فمن علموا • ان قد اقل فمحقور ومهجور
وهم بنو الام اما ان رأوا نشبا • فذاك بالغيب محفوظ ومنصور
والخير والشر مقرونان في قرن • فالخير متبع والشر محذور

[illegible]

قال فلما قدم عبد المسيح على كسرى اخبره بما قال له سطيح فقال كسرى الى ان يملك منا
اربعة عشر ملكا كانت امور وامور فملك منهم عشرة في اربع سنين وملك الباقون الى خلافة عثمان
رضي الله عنه ورواه البيهقي من حديث عبد الرحمن بن محمد بن ادريس عن علي بن حرب الموصلي
بنحوه **قلت** كان آخر ملوكهم الذي سلب الملك من يده يزدجرد بن شهريار بن ابرويز
بن هرمز بن انوشروان وهو الذي انشق الايوان في زمانه وكان لاسلافه في الملك ثلاثة آلاف
سنة ومائة واربعة وستون سنة وكان اول ملوكهم جيومرث بن اميم بن لاوذ بن سام بن نوح وقد
تقدم ترجمة شق وسطيح في اخبار اهل اليمن وقال ابو نعيم حدثنا محمد بن احمد بن الحسن
ثنا محمد بن عثمان بن ابي شيبة ثنا عقبة بن مكرم ثنا المسيب بن شريك عن شعيب
بن شعيب عن ابيه عن جده قال كان بمر الظهران راهب من الرهبان يدعى عيصا من اهل الشام
وكان متخفرا بالعاص بن وائل وكان الله قد آتاه علما كثيرا وجعل فيه منافع كثيرة لاهل
مكة من طب ورفق وعلم وكان يلزم صومعة له ويدخل مكة في كل سنة فيلقى الناس ويقول
انه يوشك ان يولد فيكم مولود يا اهل مكة تدين له العرب ويملك العجم هذا زمانه ومن ادركه
فاتبعه اصاب حاجته ومن ادركه فخالفه اخطأ حاجته وبالله ما تركت ارض الخمر والخمير
والامن ولا حللت بارض الجوع والبؤس والخوف الا في طلبه وكان لا يولد بمكة مولود الا يسأل

عشرة

حاشية اما سطيح هذا فقال الحافظ ابن عساكر في تاريخه هو الربيع بن ربيعة بن مسعود بن مازن بن ذئب بن عدي بن مازن بن الازد ويقال الربيع بن مسعود وامه ردعة بنت سعد ... [illegible]

عنه فيقولون ما جا بعد فيقال له نصفه فيقولون لابيكم لله الذي قد علم انه لا قبل لقومه مجانبا
على نفسه ان يكون ذلك داعية الحادي بما يكون الينا من الاذى يومنا ولما كان صبيحة اليوم الذي
ولد فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج عبد الله بن عبد المطلب حتى اتى عيصا فوقف
في اصل صومعته ثم نادى يا عيصا فناداه من هذا فقال انا عبد الله فاشرف عليه
فقال كن اباه فقد ولد ذلك المولود الذي كنت احدثكم عنه يوم الاثنين ويبعث يوم الاثنين
ويموت يوم الاثنين قال فانه ولد لي مع الصبح مولود قال فما سميته قال محمدا قال والله
لقد كنت اشتهي ان يكون هذا المولود فيكم اهل البيت لثلاث خصال بها نعرفه منها ان نجمه
طلع البارحة وانه ولد اليوم وان اسمه محمد انطلق اليه فان الذي كنت احدثكم عنه ابنك
قال فما يدريك انه ابني ولعله ان يولد في يومنا هذا مولود غيره قال قد وافق ابنك
الاسم ولم يكن الله يشبه علمه على العلما فانه حجة وآية ذلك انه الان وجع فيشتكي اياما
ثلاثة يظهر به الوجع ثلاثا ثم يعافى فاحفظ لسانك فانه لم يحسد احد حسده قط
ولم يبغ على احد كما يبغى عليه وان تعش حتى يبدو امثاله ثم يدعو يظهر لك من قومك ما لا
تحتمله الا على صبر على ذل فاحفظ لسانك ودارهم عنه قال فما عمره قال ان طال عمره او قصر
لم يبلغ السبعين يموت في وتر دونها من الستين في احدى وستين او ثلاث وستين في اعمار
جل امته قال وحمل برسول الله صلى الله عليه وسلم في عاشورا المحرم وولد يوم الاثنين
لثنتي عشرة ليلة خلت من رمضان سنة ثلاث وعشرين من غزوة اصحاب الفيل هكذا
رواه ابو نعيم وفيه غرابة

ذكر من ارضعه وحواضنه عليه السلام

كانت ام ايمن واسمها بركة تحضنه وكانت ورثها عليه السلام من ابيه فلما كبر اعتقها
وزوجها مولاه زيد بن حارثة فولدت له غلاما اسامة بن زيد رضي الله عنهم وارضعته
عليه السلام مولاة عمه ابي لهب ثويبة قبل حليمة السعدية اخرج البخاري ومسلم في صحيحيهما
من حديث الزهري عن عروة بن الزبير عن زينب بنت ام سلمة عن ام حبيبة بنت ابي
سفيان انها قالت يا رسول الله انكح اختي بنت ابي سفيان ولمسلم عزة بنت ابي سفيان فقال
النبي صلى الله عليه وسلم او تحبين ذلك قلت نعم لست لك بمخلية واحب من شاركني في
خير اختي فقال النبي صلى الله عليه وسلم فان ذلك لا يحل لي قالت فانا نحدث انك تريد ان تنكح
بنت ابي سلمة وفي رواية درة بنت ابي سلمة قال بنت ام سلمة قلت نعم قال انها لو لم تكن ربيبتي
في حجري ما حلت لي انها لابنة اخي من الرضاعة ارضعتني وابا سلمة ثويبة فلا تعرضن علي
بناتكن ولا اخواتكن زاد البخاري قال عروة وثويبة مولاة لابي لهب كان ابو لهب اعتقها
فارضعت رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما مات ابو لهب رآه بعض اهله بشر حيبة فقال
له ماذا لقيت فقال له ابو لهب لم الق بعدكم خيرا غير اني سقيت في هذه بعتاقتي ثويبة
واشار الى النقيرة التي بين الابهام والتي تليها من الاصابع وذكر السهيلي وغيره ان الرآي له
اخوه العباس وكان ذلك بعد سنة من وفاة ابي لهب بعد وقعة بدر وفيه ان ابا لهب قال
للعباس انه ليخفف علي في مثل يوم الاثنين قالوا انه لما بشرته ثويبة بميلاد ابن اخيه محمد بن
عبد الله اعتقها من ساعته فجوزي بذلك لذلك

ذكر رضاعه عليه السلام من حليمة بنت ابي ذؤيب

السعدية وما ظهر عليه من البركة وآيات النبوة قال محمد بن اسحاق واسترضع له عليه السلام

من حليمة بنت ابي ذؤيب واسمه عبد الله بن الحرث بن شجنة بن جابر بن رزام بن ناصرة بن سعد
بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس بن عيلان بن مضر قال واسم ابي رسول
الله صلى الله عليه وسلم الذي ارضعه يعني زوج حليمة الحرث بن عبد العزى بن رفاعة بن ملان
بن ناصرة بن سعد بن بكر بن هوازن واخوته عليه السلام يعني من الرضاعة عبد الله بن الحرث وانيسة
بنت الحرث وحذافة بنت الحرث وهي الشيما وذكروا انها كانت تحضن النبي صلى الله عليه وسلم
مع امه اذ كان عندهم وقال ابن اسحاق حدثني جهم بن ابي جهم مولى لامراة من بني تميم كانت عند
الحرث بن حاطب وكان يقال له مولى الحرث بن حاطب قال حدثني من سمع عبد الله بن جعفر بن ابي
طالب قال حدثت عن حليمة ابنة الحرث انها قالت قدمت مكة في نسوة وذكر الواقدي
باسناده انهن كن عشر نسوة من بني سعد بن بكر يلتمسن بها الرضعاء وفي سنة شهباء فقدمت
على اتان قمراء كانت اذمت بالركب ومعي صبي لنا وشارف لنا والله ما تبض بقطرة وما
ننام ليلتنا ذلك اجمع مع صبينا ذاك ما نجد في ثديي ما يغنيه ولا في شارفنا ما يغذيه
ولكنا كنا نرجو الغيث والفرج فخرجت على اتاني تلك فلقد اذمت بالركب حتى شق ذلك
عليهم ضعفا وعجفا فقدمنا مكة فوالله ما علمت منا امراة الا وقد عرض عليها رسول
الله صلى الله عليه وسلم فتاباه اذا قيل انه يتيم تركناه قلنا ماذا عسى ان تصنع الينا
امه انما نرجو المعروف من ابي الولد فاما امه فماذا عسى ان تصنع الينا فوالله ما بقي
من صواحبي امراة الا اخذت رضيعا غيري فلما لم اجد غيره واجمعنا الانطلاق قلت لزوجي الحرث
بن عبد العزى والله اني لاكره ان ارجع من بين صواحبي ليس معي رضيع لانطلقن الى ذلك
اليتيم فلآخذنه فقال لا عليك ان تفعلي فعسى الله ان يجعل لنا فيه بركة فذهبت
فاخذته فوالله ما اخذته الا اني لم اجد غيره فما هو الا ان اخذته فجئت به رحلي فاقبل عليه
ثدياي بما شاء من لبن فشرب وشرب معه اخوه حتى روي وقام صاحبي الى شارفنا تلك فاذا انها
لحافل فحلب ما شرب وشربت حتى روينا فبتنا بخير ليلة فقال صاحبي حين اصبحنا
يا حليمة والله اني لاراك قد اخذت نسمة مباركة الم تري ما بتنا به الليلة من الخير
والبركة حين اخذناه فلم يزل الله عز وجل يزيدنا خيرا ثم خرجنا راجعين الى بلادنا فوالله
لقطعت اتاني بالركب حتى ما يتعلق بها حمار حتى ان صواحبي ليقلن ويلك يا بنت ابي ذؤيب
هذه اتانك التي خرجت عليها معنا فاقول نعم والله انها لهي فيقلن والله ان لها لشانا
حتى قدمنا ارض بني سعد وما اعلم ارضا من ارض الله اجدب منها فان كانت غنمي لتسرح
ثم تروح شباعا لبنا فنحلب ما شئنا وما حولنا احد تبض له شاة بقطرة
لبن وان اغنامهم لتروح جياعا حتى انهم ليقولون لرعاتهم ولرعيانهم ويحكم انظروا حيث
تسرح غنم بنت ابي ذؤيب فاسرحوا اغنامهم فيسرحون مع غنمي حيث تسرح فيروح اغنامهم
جياعا ما فيها قطرة لبن وتروح غنمي شباعا لبنا نحلب ما شئنا فلم يزل الله يرينا البركة
ونتعرفها حتى بلغ سنتين فكان يشب شبابا لا يشبه الغلمان فوالله ما بلغ السنتين حتى
كان غلاما جفرا فقدمنا به على امه ونحن اضن شيء به مما راينا فيه من البركة فلما راته امه قالت
لها يا ظئر دعينا نرجع بابننا هذه السنة الاخرى فانا نخشى عليه وباء مكة فوالله ما زلنا
بها حتى قالت نعم فسرحته معنا فاقمنا به شهرين او ثلاثة فبينما هو خلف بيوتنا مع اخ له
من الرضاعة في بهم لنا جاءنا اخوه ذاك يشتد فقال ذاك الاخ القرشي قد جاءه رجلان

عليهما ثياب بيض فاضجعاه فشقا بطنه فخرجت انا وابوه نشتد نحوه فنجده قائما منتقعا
لونه فاعتنقه ابوه وقال يا بني ما شانك قال جاءني رجلان عليهما ثياب بيض فاضجعاني
فشقا بطني ثم استخرجا منه شيا فطرحاه ثم رداه كما كان فرجعنا به معنا فقال ابوه يا حليمة
لقد خشيت ان يكون ابني قد اصيب فانطلقي بنا نرده الى اهله قبل ان يظهر به ما نتخوف قالت
حليمة فاحتملناه فلم ترع امه الا به فقدمنا به عليها فقالت ما ردكما به فقد كنتما عليه حريصين
فقالا لا والله يا ظئر الا ان الله قد ادى عنا وقضينا الذي علينا وقلنا نخشى الاتلاف والاحداث
نرده على اهله فقالت ما ذاك بكما فاصدقاني شانكما فلم تدعنا حتى اخبرناها خبره فقالت
فقالت اخشيتما عليه الشيطان كلا والله ما للشيطان عليه سبيل والله انه لكائن لابني
هذا شان الا اخبركما خبره قلنا بلى قالت حملت به فما حملت حملا قط اخف منه فاريت في النوم
حين حملت به كانه خرج مني نور اضاءت له قصور الشام ثم وقع حين ولدته وقوعا ما يقعه
المولود معتمدا على يديه رافعا راسه الى السماء فدعاه عنكما وهذا الحديث قد روي من طرق اخر
وهو من الاحاديث المشهورة المتداولة بين اهل السير والمغازي وقال الواقدي حدثني معاذ
بن محمد عن عطاء بن ابي رباح عن ابن عباس قال خرجت حليمة تطلب النبي صلى الله عليه وسلم
وقد بدت البهم تقيل فوجدته مع اخته فقالت في هذا الحر فقالت اخته يا امه ما وجد اخي حرا
رايت غمامة تظل عليه اذا وقف وقفت واذا سار سارت حتى انتهى الى هذا الموضع وقال
ابن اسحاق حدثني ثور بن يزيد عن خالد بن معدان عن اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
انهم قالوا له اخبرنا عن نفسك قال نعم انا دعوة ابي ابراهيم وبشرى عيسى عليه السلام ورات
امي حين حملت بي انه خرج منها نور اضاءت له قصور الشام واسترضعت في بني سعد بن بكر
فبينا انا في بهم لنا اتاني رجلان عليهما ثياب بياض معهما طست من ذهب مملوءة ثلجا
فاضجعاني فشقا بطني ثم استخرجا قلبي فشقاه فاخرجا منه علقة سوداء فالقياها ثم
غسلا قلبي وبطني بذلك الثلج حتى اذا انقياه رداه كما كان ثم قال احدهما لصاحبه زنه
بعشرة من امته فوزنني بعشرة فوزنتهم ثم قال زنه بمائة من امته فوزنني بمائة فوزنتهم ثم
قال زنه بالف من امته فوزنني بالف فوزنتهم فقال دعه عنك فلو وزنته بامته لوزنهم
وهذا اسناد جيد قوي وقد رواه ابو نعيم الحافظ في الدلائل من طريق عمر بن الصبح وهو ابو
نعيم عن ثور بن يزيد عن مكحول عن شداد بن اوس وهذه القصة مطولة جدا ولكن عمر بن صبح
هذا متروك كذاب متهم بالوضع فلهذا لم نذكر لفظ الحديث اذ لا يفرح به ثم قال وحدثنا
ابو عمرو بن حمدان ثنا الحسن بن نفير ثنا عمرو بن عثمان ثنا بقية بن الوليد عن بحير بن سعد
عن خالد بن معدان عن عبد الرحمن بن عمرو السلمي عن عتبة بن عبد انه حدثهم ان رجلا سال
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال كيف كان اول شانك يا رسول الله قال كانت حاضنتي
من بني سعد بن بكر فانطلقت انا وابن لها في بهم لنا ولم ناخذ معنا زادا فقلت يا اخي
اذهب فاتنا بزاد من عند امنا فانطلق اخي ومكثت عند البهم فاقبل طائران ابيضان
كانهما نسران فقال احدهما لصاحبه اهو هو قال نعم فاقبلا يبتدراني فاخذاني فبطحاني
للقفا فشقا بطني ثم استخرجا قلبي فشقاه فاخرجا منه علقتين سوداوين فقال
احدهما لصاحبه ايتني فغسلا به جوفي ثم قال ايتني بماء برد فغسلا به قلبي ثم قال ايتني بالسكينة — بماء ثلج م
فذرها في قلبي ثم قال احدهما لصاحبه خطه فخاطه وختم على قلبه بخاتم النبوة فقال

احدهما

احدهما لصاحبه اجعله في كفة واجعل الفا من امته في كفة فاذا انا انظر الى الالف فوقي
اشفق ان يخر علي بعضهم فقال لو ان امته وزنت به لمال بهم ثم انطلقا وتركاني وفرقت
فرقا شديدا ثم انطلقت الى امي فاخبرتها بالذي لقيت فاشفقت ان يكون قد لبس بي
فقالت اعيذك بالله فرحلت بعيرا لها وحملتني على الرحل وركبت خلفي حتى بلغنا الى امي فقالت
اديت امانتي وذمتي وحدثتها بالذي لقيت فلم يرعها وقالت اني رايت خرج مني نورا اضاءت
منه قصور الشام وهكذا رواه عبد الله بن المبارك وغيره عن بقية بن الوليد به وقد رواه — ورواه احمد من حديث بقية بن الوليد به م
ابن عساكر من طريق ابي داود الطيالسي ثنا جعفر بن عبد الله بن عثمان القرشي اخبرني عمير بن عروة
بن الزبير قال سمعت عروة بن الزبير يحدث عن ابي ذر الغفاري قال قلت يا رسول الله كيف
علمت انك نبي حين علمت ذلك واستيقنت انك نبي قال يا ابا ذر اتاني ملكان وانا ببعض
بطحاء مكة فوقع احدهما على الارض وكان الاخر بين السماء والارض فقال احدهما لصاحبه اهو هو
قال هو هو قال زنه برجل فوزنه ذكر تمامه وشق صدره وخياطته وجعل الخاتم بين كتفيه — وذكر م
قال فما هو الا ان وليا عني فكانما اعاين الامر معاينة ثم رواه ابن عساكر عن ابي بن كعب بنحو
ذلك ومن حديث شداد بن اوس بابسط من ذلك وثبت في صحيح مسلم من طريق حماد بن
سلمة عن ثابت عن انس بن مالك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اتاه جبريل وهو يلعب مع
الغلمان فاخذه فصرعه فشق عن بطنه فاستخرج القلب واستخرج منه علقة فقال هذا — سوداء م
حظ الشيطان منك ثم غسله في طست من ذهب بماء زمزم ثم لامه ثم اعاده في مكانه وجاء
الغلمان يسعون الى امه يعني ظئره فقالوا ان محمدا قد قتل فاستقبلوه وهو منتقع
اللون قال انس وقد كنت ارى اثر ذلك المخيط في صدره وقد رواه ابن عساكر من طريق
ابن وهب عن عمرو بن الحارث عن عبد ربه بن سعيد عن ثابت البناني عن انس ان الصلاة
فرضت بالمدينة وان ملكين اتيا رسول الله صلى الله عليه وسلم فذهبا به الى زمزم فشقا
بطنه فاخرجا حشوته في طست من ذهب فغسلاه بماء زمزم ثم لبسا جوفه حكمة وعلما
ومن طريق ابن وهب ايضا عن يعقوب بن عبد الرحمن الزهري عن ابيه عن عبد الرحمن بن
هاشم بن عتبة بن ابي وقاص عن انس قال لما اتي رسول الله ثلاث ليال قالوا خذوا خيرهم
وسيدهم فاخذوا رسول الله فجيء به الى زمزم فشق جوفه ثم اتي بتور من ذهب فغسل
جوفه ثم ملئ حكمة وايمانا وثبت في الصحيحين من رواية سليمان بن المغيرة عن ثابت عن انس ومن طريق
شريك بن ابي نمر عن انس وعن الزهري عن انس عن ابي ذر وقتادة عن انس عن مالك بن صعصعة
عن النبي صلى الله عليه وسلم في حديث الاسرا كما سياتي في قصة شرح الصدر ليلتئذ
وانه غسل بماء زمزم ولا منافاة لاحتمال وقوع ذلك مرتين مرة وهو صغير ومرة ليلة الاسرا
ليتاهب للوفود الى الملا الاعلى ولمناجاة الرب عز وجل والمثول بين يديه تبارك وتعالى
قال ابن اسحاق وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لاصحابه انا اعربكم انا قرشي
واسترضعت في بني سعد بن بكر وذكر ابن اسحاق ان حليمة لما رجعت الى امه بعد فطامه مرت
به على ركب من النصارى فقاموا اليه عليه السلام وقلبوه وقالوا انا سناخذ هذا
الغلام الى ملكنا فانه كائن له شان فلم تكد تنفلت منهم الا بعد جهد وذكر انها لما ردته
حين تخوفت عليه ان يكون اصابه عارض فلما قربت من مكة افتقدته فلم تجده فجاءت جده
عبد المطلب فخرج هو وجماعة في طلبه فوجده ورقة بن نوفل ورجل اخر من قريش فاتيا به

جده فاخذه على عاتقه ودخل فطاف به يعوذه ويدعو له ثم رده الى امه امنة وذكر الاموي
من طريق عثمان بن عبد الرحمن الوقاصي وهو ضعيف عن الزهري عن سعيد بن المسيب قصة
مولده عليه السلام ورضاعه من حليمة على غير سياق محمد بن اسحاق ذكر ان عبد المطلب امر ابنه
عبد الله ان ياخذه فيطوف به في احياء العرب ليجد له مرضعة فطاف حتى استاجر حليمة
على رضاعه وذكر انه اقام عندها ست سنين تزيره جده في كل عام فلما كان من شق صدره ما
عندهم ما كان ردته اليهم فاقام عند امه حتى كان عمره ثماني سنين ماتت فكفله جده عبد
المطلب فمات وله عليه السلام عشر سنين فكفله عماه شقيقا ابيه الزبير وابو طالب
فلما كان له بضع عشرة سنة خرج مع عمه الزبير الى اليمن فذكر انهم راوا منه ايات في تلك السفرة
منها ان فحلا من الابل كان قد قطع الطريق في واد ممروا عليه فلما راى رسول الله برك حتى حك
بكلكله الارض فركبه عليه السلام ومنها انه خاض بهم سيلا عرمرما فايبسه الله تعالى
له حتى جاوزوه ثم مات عمه الزبير وله اربع عشرة سنة فانفرد به ابو طالب والمقصود ان
بركته عليه الصلاة والسلام حلت على حليمة السعدية واهلها وهو صغير ثم عادت على هوازن
بكمالهم فواضله حين اسرهم بعد وقعتهم وذلك بعد فتح مكة بشهر فمتوا اليه برضاعه
فاعتقهم وتحنن عليهم واحسن اليهم كما سياتي مفصلا في موضعه ان شاء الله قال محمد بن
اسحاق في وقعة هوازن عن عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده قال كنا مع رسول الله صلى الله
عليه وسلم بحنين فلما اصاب من اموالهم وسباياهم ادركه وفد هوازن بالجعرانة وقد اسلموا
فقالوا يا رسول الله انا اصل وعشيرة وقد اصابنا من البلاء ما لم يخف عليك فامنن علينا
من الله عليك وقام خطيبهم زهير بن صرد فقال يا رسول الله انما في الحظائر من السبايا
خالاتك وحواضنك اللاتي كن يكفلنك فلو انا ملحنا لابن ابي شمر او النعمان بن المنذر
ثم اصابنا منهما مثل الذي اصابنا منك رجونا عائدتهما وعطفهما وانت خير المكفولين
ثم انشد

امنن علينا رسول الله في كرم * فانك المرء نرجوه وندخر
امنن على بيضة اعتاقها قدر * ممزق شملها في دهرها غير
ابقت لنا الدهر هتافا على حزن * على قلوبهم الغماء والغمر
ان لم تداركها نعماء تنشرها * يا ارجح الناس حلما حين يختبر
امنن على نسوة قد كنت ترضعها * اذ فوك تملؤه من محضها درر
امنن على نسوة قد كنت ترضعها * واذ يريبك ما ياتي وما تذر
لا تجعلنا كمن شالت نعامته * واستبق منا فانا معشر زهر
انا لنشكر للنعماء اذ كفرت * وعندنا بعد هذا اليوم مدخر

وقد رويت هذه القصيدة من طريق عبيد الله بن رماحس الكلبي الرملي عن زياد بن طارق الجشمي
عن ابي صرد زهير بن جرول وكان رئيس قومه قال لما اسرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم
يوم حنين فبينما هو يميز بين الرجال والنساء وثبت حتى قعدت بين يديه واسمعته شعرا
اذكره حين شب ونشا في هوازن حيث ارضعوه

امنن علينا رسول الله في دعة * فانك المرء نرجوه وندخر
امنن على بيضة قد عاقها قدر * مفرق شملها في دهرها غير

الكلكل الصدر

ابقت لنا الحرب هتافا على حزن * على قلوبهم الغماء والغمر
ان لم تداركها نعماء تنشرها * يا ارجح الناس حلما حين يختبر
امنن على نسوة قد كنت ترضعها * اذ فوك تملؤه من محضها الدرر
اذ انت طفل صغير كنت ترضعها * واذ يزينك ما تاتي وما تذر
لا تجعلنا كمن شالت نعامته * واستبق منا فانا معشر زهر
انا لنشكر للنعما وان كفرت * وعندنا بعد هذا اليوم مدخر
فالبس العفو من قد كنت ترضعه * من امهاتك ان العفو مشتهر
انا نؤمل عفوا منك تلبسه * هدي البرية ان تعفو وتنتصر
فاعف عفا الله عما انت راهبه * يوم القيامة اذ يهدى لك الظفر

قال فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اما ما كان لي ولبني عبد المطلب فهو لله ولكم فقالت
الانصار وما كان لنا فهو لله ولرسوله صلى الله عليه وسلم وسياتي انه عليه السلام اطلق لهم
الذرية وكانت ستة الاف ما بين صبي وامراة واعطاهم انعاما واناسي كثيرا حتى قال
ابو الحسين بن فارس فكان قيمة ما اطلق لهم يومئذ خمسمائة الف الف درهم فهذا كله من
بركته العاجلة في الدنيا فكيف ببركته على من اتبعه في الدار الاخرة

فصل

قال ابن اسحاق بعد ذكر رجوعه عليه السلام الى امه امنة بعد رضاعة حليمة له فكان رسول
الله صلى الله عليه وسلم مع امه امنة بنت وهب وجده عبد المطلب في كلاءة الله وحفظه
ينبته الله نباتا حسنا لما يريد به من كرامته فلما بلغ ست سنين توفيت امه امنة بنت
وهب قال ابن اسحاق حدثني عبد الله بن ابي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم ان ام رسول الله صلى الله عليه وسلم امنة
توفيت وهو ابن ست سنين بالابواء بين مكة والمدينة كانت قد قدمت به على اخواله من
بني عدي بن النجار تزيره اياهم فماتت وهي راجعة به الى مكة وذكر الواقدي باسانيده
ان امه عليه السلام خرجت به الى المدينة ومعه ام ايمن وله ست سنين فزارت اخواله
قالت ام ايمن فجاءني ذات يوم رجلان من يهود المدينة فقالا اخرجي الينا احمد ننظر اليه
فنظرا اليه وقلباه فقال احدهما لصاحبه هذا نبي هذه الامة وهذه دار هجرته
وسيكون بهذه البلدة من القتل والسبي امر عظيم فلما سمعت امه خافت وانصرفت به فماتت بالابواء
وهي راجعة وقال الامام احمد حدثنا حسين بن محمد ثنا ايوب بن جابر عن سماك عن القسم
بن عبد الرحمن عن ابن بريدة عن ابيه قال خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى
اذا كنا بودان قال مكانكم حتى اتيكم فانطلق ثم جاءنا وهو ثقيل فقال اني اتيت قبر ام
محمد فسالت ربي الشفاعة فمنعنيها واني كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها
وكنت نهيتكم عن لحوم الاضاحي بعد ثلاثة ايام فكلوا وامسكوا ما بدا لكم ونهيتكم عن الاشربة
في هذه الاوعية فاشربوا ما بدا لكم وقد رواه البيهقي من طريق سفيان الثوري عن علقمة
بن مرثد عن سليمان بن بريدة عن ابيه قال انتهى النبي صلى الله عليه وسلم الى رسم قبر فجلس
وجلس الناس حوله فجعل يحرك راسه كالمخاطب ثم بكى فاستقبله عمر فقال ما يبكيك يا رسول
الله قال هذا قبر امنة بنت وهب استاذنت ربي في ان ازور قبرها فاذن لي واستاذنته
في الاستغفار لها فابى علي وادركتني رقتها فبكيت قال فما رايت ساعة اكثر باكيا من
تلك الساعة تابعه محارب بن دثار عن بريدة عن ابيه ثم روى البيهقي عن الحاكم عن الاصم

عن يحيى بن نصر عن عبد الله بن وهب ثنا ابن جريج عن أيوب بن هانئ عن مسروق بن الأجدع
عن عبد الله بن مسعود قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ينظر في المقابر وخرجنا
معه فأمرنا فجلسنا ثم تخطى القبور حتى انتهى إلى قبر منها فناجاه طويلا ثم ارتفع نحيب رسول
الله صلى الله عليه وسلم باكيا فبكينا لبكاء رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم
أقبل إلينا فتلقاه عمر بن الخطاب فقال يا رسول الله ما الذي أبكاك لقد أبكانا وأفزعنا
فجاء فجلس إلينا فقال أفزعكم بكائي قلنا نعم قال إن القبر الذي رأيتموني أناجي فيه قبر آمنة
بنت وهب وإني استأذنت ربي في زيارتها فأذن لي فيه واستأذنت ربي في الاستغفار لها
فلم يأذن لي فيه ونزل علي ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولي قربى
من بعد ما تبين لهم أنهم أصحاب الجحيم وما كان استغفار إبراهيم لأبيه إلا عن موعدة وعدها
إياه فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه إن إبراهيم لأواه حليم فأخذني ما يأخذ الولد للوالدة
من الرقة فذلك الذي أبكاني غريب ولم يخرجوه وروى مسلم عن أبي بكر بن أبي شيبة عن محمد
بن عبيد عن يزيد بن كيسان عن أبي حازم عن أبي هريرة قال زار النبي صلى الله عليه وسلم
قبر أمه فبكى وأبكى من حوله ثم قال استأذنت ربي في زيارة قبرها فأذن لي واستأذنته في
الاستغفار فلم يأذن لي فزوروا القبور تذكركم الموت وروى مسلم عن أبي بكر بن أبي شيبة عن
عفان عن حماد بن سلمة عن ثابت عن أنس أن رجلا قال يا رسول الله أين أبي قال في النار فلما
قفا دعاه فقال إن أبي وأباك في النار وقد روى البيهقي من حديث أبي نعيم الفضل
ابن دكين عن إبراهيم بن سعد عن الزهري عن عامر بن سعد عن أبيه قال جاء أعرابي إلى النبي
صلى الله عليه وسلم فقال إن أبي كان يصل الرحم وكان وكان فأين هو قال في النار قال ابن أبي قال في النار قال
فكأن الأعرابي وجد من ذلك فقال يا رسول الله فأين أبوك قال حيث ما مررت بقبر كافر
فبشره بالنار قال فأسلم الأعرابي بعد ذلك فقال لقد كلفني رسول الله صلى الله عليه وسلم
تعبا ما مررت بقبر كافر إلا بشرته بالنار غريب ولم يخرجوه من هذا الوجه وقال
الإمام أحمد ثنا أبو عبد الرحمن ثنا سعيد هو ابن أبي أيوب ثنا ربيعة بن سيف المعافري
عن أبي عبد الرحمن الحبلي عن عبد الله بن عمرو قال بينما نحن نمشي مع رسول الله صلى الله عليه
وسلم إذ بصر بامرأة لا يظن أنه عرفها فلما توسط الطريق وقف حتى انتهت إليه فإذا فاطمة
بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لها ما أخرجك من بيتك يا فاطمة فقالت أتيت
أهل هذا الميت فترحمت إليهم ميتهم وعزيتهم قال لعلك بلغت معهم الكدى قالت
معاذ الله أن أكون بلغتها معهم وقد سمعتك تذكر في ذلك ما تذكر قال لو بلغتيها معهم
ما رأيت الجنة حتى يراها جد أبيك ثم رواه أحمد وأبو داود والنسائي والبيهقي من حديث
ربيعة بن سيف بن مانع المعافري الصنمي الإسكندراني وقد قال الإمام البخاري عنده
مناكير وقال النسائي ليس به بأس وقال مرة صدوق وفي نسخة ضعيف وذكره ابن حبان
في الثقات قال وكان يخطئ كثيرا وقال الدارقطني صالح وقال ابن يونس في تاريخ
مصر في حديثه مناكير توفي قريبا من سنة عشرين ومائة والمراد بالكدى القبور وقيل
النوح والمقصود أن عبد المطلب مات على ما كان عليه من دين الجاهلية خلافا لفرقة
الشيعة فيه وفي ابنه أبي طالب على ما سيأتي في وفاة أبي طالب وقد قال البيهقي
بعد روايته هذه الأحاديث في كتابه دلائل النبوة وكيف لا يكون أبواه وجده عليه السلام

بهذه الصفة

بهذه الصفة في الآخرة وقد كانوا يعبدون الوثن حتى ماتوا ولم يدينوا دين عيسى عليه السلام
وكفرهم لا يقدح في نسبه عليه السلام لأن أنكحة الكفار صحيحة ألا تراهم يسلمون مع زوجاتهم
فلا يلزمهم تجديد العقد ولا مفارقتهن إذا كان مثله يجوز في الإسلام وبالله التوفيق
انتهى كلامه **قلت** وإخباره صلى الله عليه وسلم عن أبويه وجده عبد المطلب
بأنهم من أهل النار لا ينافي الحديث الوارد عنه صلى الله عليه وسلم من طرق متعددة أن
أهل الفترة والأطفال والمجانين والصم يمتحنون في العرصات يوم القيامة كما بسطناه
سندا ومتنا عند قوله تعالى وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا فيكون منهم من يجيب
ومنهم من لا يجيب فيكون هؤلاء من جملة من لا يجيب فلا منافاة ولله الحمد والمنة وأما
الحديث الذي ذكره السهيلي وذكر أن في إسناده مجهولين إلى ابن أبي الزناد عن هشام بن عروة
عن عائشة أن رسول الله سأل ربه أن يحيي أبويه فأحياهما وآمنا به فإنه حديث منكر جدا
وإن كان ممكنا بالنظر إلى قدرة الله تعالى لكن الذي ثبت في الصحيح يعارضه والله أعلم

فصل قال ابن إسحاق فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم مع جده عبد المطلب
بن هاشم يعني بعد موت أمه آمنة بنت وهب فكان يوضع لعبد المطلب فراش في ظل
الكعبة وكان بنوه يجلسون حول فراشه ذلك حتى يخرج إليه لا يجلس عليه أحد من بنيه
إجلالا له قال فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأتي وهو غلام جفر حتى يجلس عليه فيأخذه
أعمامه ليؤخروه عنه فيقول عبد المطلب إذا رأى ذلك منهم دعوا ابني فوالله إن له لشأنا ثم
يجلسه معه على فراشه ويمسح ظهره بيده ويسره ما يراه يصنع وقال الواقدي حدثني محمد بن عبد الله
عن الزهري وثنا عبد الله بن جعفر عن عبد الواحد بن حمزة بن عبد الله وحدثنا هاشم بن عاصم
الأسلمي عن المنذر بن جهم وحدثنا معمر عن ابن أبي نجيح عن مجاهد وحدثنا عبد الرحمن بن عبد
العزيز عن أبي الحويرث وحدثنا ابن أبي سبرة عن سليمان بن سحيم عن نافع عن ابن جبير دخل حديث
بعضهم في بعض قالوا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكون مع أمه آمنة بنت وهب فلما
توفيت قبضه إليه جده عبد المطلب وضمه ورق عليه رقة لم يرقها على ولده فكان يقربه
منه ويدنيه ويدخل عليه إذا خلا وإذا نام وكان يجلس على فراشه فيقول عبد المطلب إذا رأى
ذلك دعوا ابني إنه ليؤنس ملكا وقال قوم من بني مدلج لعبد المطلب احتفظ به فإنا لم نر
قدما أشبه بالقدم التي في المقام منه فقال عبد المطلب لأبي طالب اسمع ما يقول هؤلاء فكان
أبو طالب يحتفظ به وقال عبد المطلب لأم أيمن وكانت تحضنه يا بركة لا تغفلي عن ابني
فإني وجدته مع غلمان قريب من السدرة وإن أهل الكتاب يزعمون أن ابني نبي هذه الأمة وكان
عبد المطلب لا يأكل طعاما إلا قال علي بابني فيؤتى به إليه فلما حضرت عبد المطلب الوفاة
أوصى أبا طالب بحفظ رسول الله وحياطته ثم مات عبد المطلب ودفن بالحجون وقال ابن إسحاق
فلما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم ثماني سنين هلك جده عبد المطلب بن هاشم ثم ذكر جمعه
بناته وأمره إياهن أن يرثينه وهن أروى وأميمة وبرة وصفية وعاتكة وأم حكيم البيضاء وذكر
أشعارهن وما قلنه في رثاء أبيهن وهو يسمع قبل موته وهذا أبلغ النوح وبسط القول في ذلك
وقد قال ابن هشام ولم أر أحدا من أهل العلم بالشعر يعرف هذا الشعر قال ابن إسحاق فلما هلك
عبد المطلب بن هاشم ولي زمزم والسقاية بعده ابنه العباس وهو من أحدث إخوته سنا فلم تزل
إليه حتى قام الإسلام وأقرها في يده رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم

بعد جده عبد المطلب مع عمه ابي طالب لوصية عبد المطلب له به لانه كان شقيق ابيه عبد
الله امهما فاطمة بنت عمرو بن عائذ بن عمران بن مخزوم قال فكان ابو طالب هو الذي يلي امر رسول
الله صلى الله عليه وسلم وكان اليه ومعه وقال الواقدي انا معمر عن ابن ابي نجيح عن
مجاهد وحدثنا معاذ بن محمد الانصاري عن عطاء عن ابن عباس وحدثنا محمد بن صالح
وعبد الله بن جعفر واسماعيل ابراهيم بن اسماعيل بن ابي حبيبة دخل حديث بعضهم
في حديث بعض قالوا لما توفي عبد المطلب قبض ابو طالب رسول الله صلى الله عليه وسلم
فكان يكون معه وكان ابو طالب لا مال له وكان يحبه حبا شديدا لا يحبه ولده وكان لا ينام
الا الى جنبه ويخرج فيخرج معه وصب به ابو طالب صبابة لم يصب مثلها بشيء قط وكان
يخصه بالطعام وكان اذا اكل عيال ابي طالب جميعا او فرادى لم يشبعوا واذا اكل معهم
رسول الله صلى الله عليه وسلم شبعوا فكان اذا اراد ان يغديهم قال كما انتم حتى ياتي
ابني فياتي رسول الله صلى الله عليه وسلم فياكل معهم فكانوا يفضلون من طعامهم وان
لم يكن معهم لم يشبعوا فيقول ابو طالب انك لمبارك وكان الصبيان يصبحون رمصا
شعثا ويصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم دهينا كحيلا قال الحسن بن عرفة
ثنا علي بن ثابت عن طلحة بن عمرو سمعت عطاء بن ابي رباح سمعت ابن عباس يقول كان
بنو طالب يصبحون غمصا رمصا ويصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم دهينا وكان
ابو طالب يقرب الى الصبيان صحفتهم اول البكرة فيجلسون وينتهبون ويكف رسول
الله صلى الله عليه وسلم يده لا ينتهب معهم فلما راى ذلك عمه عزل له طعامه على حدة
وقال ابن اسحاق حدثني يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير ان اباه حدثه ان رجلا من لهب كان
عائفا وكان اذا قدم مكة اتاه رجال من قريش بغلمانهم ينظر اليهم ويعتاف لهم
فيهم قال فاتى ابو طالب برسول الله صلى الله عليه وسلم وهو غلام مع من ياتيه قال
فنظر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم شغله عنه شيء فلما فرغ قال الغلام علي به
فلما راى ابو طالب حرصه عليه غيبه عنه فجعل يقول ويلكم ردوا علي الغلام الذي رايت انفا
فوالله ليكونن له شان قال وانطلق به ابو طالب

فصل في خروجه عليه السلام مع عمه الى الشام وقصته مع بحيرا الراهب

قال ابن اسحاق ثم ان ابا طالب خرج في ركب تاجرا الى الشام فلما تهيا للرحيل واجمع
المسير صب به رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما يزعمون فرق له ابو طالب وقال
والله لاخرجن به معي ولا افارقه ولا يفارقني ابدا او كما قال فخرج به معه فلما نزل
الركب بصرى من ارض الشام وبها راهب يقال له بحيرا في صومعة له وكان اليه علم
اهل النصرانية ولم يزل في تلك الصومعة منذ قط راهب اليه يصير علمهم عن
كتاب فيما يزعمون يتوارثونه كابرا عن كابر فلما نزلوا ذلك العام ببحيرا وكانوا كثيرا ما يمرون
به قبل ذلك فلا يكلمهم ولا يعرض لهم حتى كان ذلك العام فلما نزلوا قريبا من صومعته
صنع لهم طعاما كثيرا وذلك فيما يزعمون عن شيء رآه وهو في صومعته يزعمون انه راى
رسول الله صلى الله عليه وسلم في الركب حين اقبلوا وغمامة تظله من بين القوم ثم اقبلوا
فنزلوا في ظل شجرة قريبا منه فنظر الى الغمامة حين اظلت الشجرة وتهصرت اغصان
الشجرة على رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى استظل تحتها فلما راى ذلك بحيرا نزل من صومعته

وقد امر بطعام فصنع ثم ارسل اليهم فقال اني قد صنعت لكم طعاما يا معشر قريش فانا
احب ان تحضروا كلكم صغيركم وكبيركم وعبدكم وحركم فقال له رجل منهم والله يا بحيرا ان لك
لشانا اليوم ما كنت تصنع هذا بنا وقد كنا نمر بك كثيرا فما شانك اليوم قال له بحيرا صدقت
قد كان ما تقول ولكنكم ضيف وقد احببت ان اكرمكم واصنع لكم طعاما فتاكلوا منه كلكم
فاجتمعوا اليه وتخلف رسول الله صلى الله عليه وسلم من بين القوم لحداثة سنه في رحال
القوم تحت الشجرة فلما نظر بحيرا الى القوم لم ير الصفة التي يعرف ويجد عنده فقال
يا معشر قريش لا يتخلفن احد منكم عن طعامي قالوا له يا بحيرا ما تخلف احد ينبغي له ان
ياتيك الا غلام وهو احدث القوم سنا فتخلف في رحالهم قال لا تفعلوا ادعوه فليحضر
هذا الطعام معكم قال فقال رجل من قريش مع القوم واللات والعزى ان كان للوم بنا
ان يتخلف ابن عبد الله بن عبد المطلب عن طعام من بيننا ثم قام اليه فاحتضنه واجلسه
مع القوم فلما راه بحيرا جعل يلحظه لحظا شديدا وينظر الى اشياء من جسده قد كان يجدها
عنده من صفته حتى اذا فرغ القوم من طعامهم وتفرقوا قام اليه بحيرا فقال له يا غلام
اسالك بحق اللات والعزى الا اخبرتني عما اسالك عنه وانما قال له بحيرا ذلك لانه سمع
قومه يحلفون بهما فزعموا ان رسول الله قال له لا تسالني باللات والعزى شيئا فوالله
ما ابغضت شيئا قط بغضهما فقال له بحيرا فبالله الا ما اخبرتني عما اسالك عنه فقال
له سلني عما بدا لك فجعل يساله عن اشياء من حاله من نومه وهيئته وامور فجعل رسول
الله صلى الله عليه وسلم يخبره فيوافق ذلك ما عند بحيرا من صفته ثم نظر الى ظهره
فراى خاتم النبوة بين كتفيه على موضعه من صفته التي عنده فلما فرغ اقبل على عمه ابي
طالب فقال له ما هذا الغلام منك قال ابني قال له بحيرا ما هو بابنك وما ينبغي لهذا الغلام
ان يكون ابوه حيا قال فانه ابن اخي قال فما فعل ابوه قال مات وامه حبلى به قال صدقت
ارجع بابن اخيك الى بلده واحذر عليه يهود فوالله لئن راوه وعرفوا منه ما عرفت ليبغنه
شرا فانه كائن لابن اخيك هذا شان عظيم فاسرع به الى بلاده فخرج به عمه ابو طالب سريعا
حتى اقدمه مكة حين فرغ من تجارته بالشام قال ابن اسحاق فزعموا فيما روى الناس ان
زريرا وتماما ودريسا وهم نفر من اهل الكتاب قد كانوا راوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم
مثل ما راى بحيرا في ذلك السفر الذي كان فيه مع عمه ابي طالب فارادوه فردهم عنه بحيرا فذكرهم
الله وما يجدون في الكتاب من ذكره وصفته وانهم ان اجمعوا لما ارادوا به لم يخلصوا اليه
حتى عرفوا ما قال لهم وصدقوه بما قال فتركوه وانصرفوا عنه وقد ذكر يونس بن بكير
عن ابن اسحاق ان ابا طالب قال في ذلك ثلاث قصائد هكذا ذكر ابن اسحاق هذا السياق
من غير اسناد منه وقد ورد نحوه من طريق مسند مرفوع فقال الحافظ ابو بكر الخرائطي
حدثنا عباس بن محمد الدوري ثنا قراد ابو نوح ثنا يونس عن ابي اسحاق عن ابي بكر بن
ابي موسى عن ابيه قال خرج ابو طالب الى الشام ومعه النبي صلى الله عليه وسلم في اشياخ
من قريش فلما اشرفوا على الراهب يعني بحيرا هبطوا فحلوا رحالهم فخرج اليهم الراهب
وكان قبل ذلك يمرون به فلا يخرج اليهم ولا يلتفت قال فنزل وهم يحلون رحالهم
فجعل يتخللهم حتى جاء فاخذ بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال هذا سيد العالمين
وفي رواية البيهقي زيادة هذا رسول رب العالمين هذا يبعثه الله رحمة للعالمين فقال له اشياخ من قريش

وما علمك فقال انكم حين اشرفتم من العقبة لم يبق شجرة ولا حجر الا خر ساجدا ولا يسجدون
الا لنبي واني اعرفه بخاتم النبوة اسفل من غضروف كتفه مثل التفاحة ثم رجع فصنع لهم طعاما فلما
اتاهم به وكان هو في رعية الابل فقال ارسلوا اليه فاقبل وعليه غمامة تظله فلما دنا من القوم
وجدهم قد سبقوه الى فيء الشجرة فلما جلس مال فيء الشجرة عليه فقال انظروا الى فيء
الشجرة مال عليه فبينما هو قائم عليهم وهو يناشدهم ان لا يذهبوا به الى الروم فان
الروم ان راوه عرفوه بالصفة فقتلوه فالتفت فاذا هو بسبعة نفر قد اقبلوا من
الروم قال فاستقبلهم فقال ما جاء بكم قالوا جئنا ان هذا النبي خارج في هذا الشهر
فلم يبق طريق الا بعث اليه ناس وانا اخبرنا خبره الى طريقك هذه فقال هل خلفكم احد هو
خير منكم قالوا انما اخبرنا خبره قال افرأيتم امرا اراد الله ان يقضيه هل يستطيع احد من
الناس رده قالوا لا قال فبايعوه واقاموا معه عنده قال فقال الراهب انشدكم الله
ايكم وليه قالوا ابو طالب فلم يزل يناشده حتى رده وبعث معه ابو بكر بلالا وزوده الراهب
من الكعك والزيت عن ابي العباس الفضل بن سهل الاعرج عن قراد ابي نوح به والحاكم والبيهقي
وابن عساكر من طريق ابي العباس محمد بن يعقوب الاصم عن عباس بن محمد الدوري به هكذا
رواه غير واحد من الحفاظ من حديث ابي نوح عبد الرحمن بن غزوان الخزاعي مولاهم ويقال
الضبي ويعرف بقراد سكن بغداد وهو من الثقات الذين اخرج لهم البخاري ووثقه جماعة
من الائمة والحفاظ ولم ار احدا جرحه ومع هذا في الحديث غرابة قال الترمذي حسن غريب لا نعرفه
الا من هذا الوجه وقال عباس الدوري ليس في الدنيا احد يحدث به غير قراد ابي نوح وقد سمعه
منه احمد بن حنبل ويحيى بن معين لغرابته وانفراده حكاه البيهقي وابن عساكر قلت فيه من
الغريب انه من مرسلات الصحابة فان ابا موسى الاشعري انما قدم في سنة خيبر سنة سبع من
الهجرة ولا يلتفت الى قول ابن اسحاق في جعله له من المهاجرة الى ارض الحبشة من مكة وعلى
كل تقدير فهو مرسل فان هذه القصة كانت ولرسول الله صلى الله عليه وسلم من العمر فيما
ذكره بعضهم ثنتا عشرة سنة ولعل ابا موسى تلقاه من النبي صلى الله عليه وسلم فيكون ابلغ
او من بعض كبار الصحابة او كان هذا مشهورا مذكورا اخذه من طريق الاستفاضة الثاني
ان الغمامة لم تذكر في حديث اصح من هذا الثالث قوله وبعث معه ابو بكر بلالا ان كان
عمره عليه السلام اذ ذاك ثنتي عشرة سنة فقد كان عمر ابي بكر اذ ذاك تسع سنين او عشر
وعمر بلال اقل من ذلك فاين كان ابو بكر اذ ذاك ثم اين كان بلال كلاهما غريب اللهم الا ان
يقال ان هذا كان ورسول الله صلى الله عليه وسلم كبيرا اما بان يكون سفره بعد هذا او ان
القول بان عمره كان اذ ذاك ثنتا عشرة غير محفوظ فانه انما ذكره مقيدا بهذا الواقدي
وحكى السهيلي عن بعضهم انه كان عمره عليه السلام اذ ذاك تسع سنين والله اعلم
قال الواقدي حدثني محمد بن صالح وعبد الله بن جعفر وابراهيم بن اسماعيل بن ابي حبيبة
عن داود بن الحصين قالوا لما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم اثنتي عشرة سنة خرج
به عمه ابو طالب الى الشام في العير التي خرج فيها للتجارة ونزلوا بالراهب بحيرا فقال
لابي طالب في السر ما قال وامره ان يحتفظ به فرده ابو طالب معه الى مكة وشب رسول
الله صلى الله عليه وسلم مع ابي طالب يكلؤه الله ويحفظه ويحوطه من امور الجاهلية و
معايبها لما يريد به من كرامته حتى كان رجلا افضل قومه مروءة واحسنهم خلقا واكرمهم

٧ قال انظروا اليه عليه غمامة تظله فلما دنا من القوم ٣

هكذا رواه الترمذي

بلغ

مخالطة واحسنهم جوارا واعظمهم حلما وامانة واصدقهم حديثا وابعدهم من الفحش والاذى
ما رؤي ملاحيا ولا مماريا احدا حتى سماه قومه الامين بما جمع الله فيه من الامور الصالحة فيه فكان
ابو طالب يحفظه ويحوطه وينصره ويعضده حتى مات وقال محمد بن سعد انا خالد بن
خداش ثنا معتمر بن سليمان سمعت ابي يحدث عن ابي مجلز ان عبد المطلب وابا طالب شك
خالد قال لما مات عبد الله عطف على محمد فكان لا يسافر سفرا الا كان معه فيه وانه توجه نحو
الشام فنزل منزلا فاتاه فيه راهب فقال ان فيكم رجلا صالحا ثم قال اين ابو هذا الغلام
قال فقال ها انا ذا وليه او قيل هذا هو وليه قال احتفظ بهذا الغلام ولا تذهب به الى
الشام ان اليهود حسد واني اخشاهم عليه قال ما انت تقول ذلك ولكن الله يقوله
فرده وقال اللهم اني استودعك محمدا ثم انه مات

قصة بحيرا

حكى السهيلي عن سير الزهري ان بحيرا كان حبرا من احبار يهود **قلت** والذي يظهر من سياق القصة انه كان راهبا
نصرانيا والله اعلم وعن المسعودي انه كان من عبد القيس وكان اسمه جرجيس وفي كتاب
المعارف لابن قتيبة سمع هاتف في الجاهلية قبل الاسلام بقليل يهتف ويقول الا ان خير
اهل الارض ثلاثة بحيرا ورئاب الشني والثالث المنتظر فكان الثالث المنتظر هو رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال ابن قتيبة وكان قبر رئاب الشني وقبر ولده من بعده
لا يزال يرى عندهما طش وهو المطر الخفيف

بياض

فصل في منشئه عليه الصلاة والسلام ومرباه

وكفاية الله له وحياطته وكيف كان يتيما فآواه وعائلا فأغناه

قال محمد بن اسحاق فشب رسول الله صلى الله عليه وسلم يكلؤه الله ويحوطه ويحفظه
من اقذار الجاهلية لما يريد به من كرامته ورسالته حتى بلغ ان كان رجلا افضل قومه مروءة
واحسنهم خلقا واكرمهم حسبا واحسنهم جوارا واعظمهم حلما واصدقهم حديثا واعظمهم
امانة وابعدهم من الفحش والاخلاق التي تدنس الرجال تنزها وتكرما حتى ما اسمه في قومه
الا الامين لما جمع الله فيه من الامور الصالحة وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما ذكر لي
يحدث عما كان الله يحفظه به في صغره وامر جاهليته انه قال لقد رايتني في غلمان من قريش
ننقل الحجارة لبعض ما يلعب الغلمان كلنا قد تعرى واخذ ازاره وجعله على رقبته يحمل
عليه الحجارة فاني لاقبل معهم كذلك وادبر اذ لكمني لاكم ما اراه لكمة وجيعة ثم قال
شد عليك ازارك قال فاخذته فشددته علي ثم جعلت احمل الحجارة على رقبتي وازاري
علي من بين اصحابي وهذه القصة شبيهة بما في الصحيح عند بناء الكعبة حين كان ينقل
هو وعمه العباس فان لم تكنها فهي متقدمة عليها كالتوطئة لها والله اعلم وقد قال
عبد الرزاق انا ابن جريج اخبرني عمرو بن دينار انه سمع جابر بن عبد الله يقول لما بنيت الكعبة
ذهب رسول الله صلى الله عليه وسلم ينقل الحجارة فقال العباس لرسول الله صلى الله
عليه وسلم اجعل ازارك على عاتقك من الحجارة ففعل فخر الى الارض وطمحت عيناه الى السماء
ثم قام فقال ازاري فشد عليه ازاره اخرجاه في الصحيحين من حديث عبد الرزاق واخرجاه
ايضا من حديث روح بن عبادة عن زكريا بن ابي اسحاق عن عمرو بن دينار عن جابر بنحوه وقال
البيهقي انا ابو عبد الله الحافظ وابو سعيد بن ابي عمرو قالا انا ابو العباس محمد بن يعقوب ثنا

محمد بن اسحاق الصغاني ثنا محمد بن بكير الحضرمي ثنا عبد الرحمن بن عبد الله الدشتكي ثنا عمرو بن ابي قيس عن سماك بن حرب عن عكرمة حدثني ابن عباس عن ابيه انه كان ينقل الحجارة الى البيت حين بنت قريش البيت قال وافردت قريش رجلين رجلين الرجال ينقلون الحجارة وكانت النساء تنقل الشيد قال فكنت انا وابن اخي وكنا نحمل على رقابنا وازرنا تحت الحجارة فاذا غشينا الناس اتزرنا فبينما انا امشي ومحمد امامي قال فخر وانبطح على وجهه فجئت اسعى والقيت حجري وهو ينظر الى السماء فقلت ما شانك فقام واخذ ازاره فقال اني نهيت ان امشي عريانا قال وكنت اكتمها الناس مخافة ان يقولوا مجنون وروى البيهقي من حديث يونس بن بكير عن محمد بن اسحاق حدثني محمد بن عبد الله بن قيس بن مخرمة عن الحسن بن محمد بن علي بن ابي طالب عن ابيه عن جده علي بن ابي طالب قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما هممت بشيء مما كان اهل الجاهلية يهمون به من النساء الا ليلتين كلتاهما عصمني الله عز وجل فيهما قلت ليلة لبعض فتيان مكة ونحن في رعاء غنم اهلها فقلت لصاحبي ابصر لي غنمي حتى ادخل مكة اسمر فيها كما يسمر الفتيان فقال بلى قال فدخلت حتى اذا جئت اول دار من دور مكة سمعت عزفا بالغرابيل والمزامير فقلت ما هذا فقالوا تزوج فلان فلانة فجلست انظر وضرب الله على اذني فوالله ما ايقظني الا مس الشمس فرجعت الى صاحبي فقال ما فعلت فقلت ما فعلت شيئا ثم اخبرته بالذي رايت ثم قلت له ليلة اخرى ابصر لي غنمي حتى اسمر ففعل فدخلت فلما جئت مكة سمعت مثل الذي سمعت تلك الليلة فسالت فقيل نكح فلان فلانة فجلست انظر وضرب الله على اذني فوالله ما ايقظني الا مس الشمس فرجعت الى صاحبي فقال ما فعلت فقلت لا شيء ثم اخبرته الخبر فوالله ما هممت ولا عدت بعدهما بشيء من ذلك حتى اكرمني الله عز وجل بنبوته وهذا حديث غريب جدا وقد يكون عن علي نفسه ويكون قوله في اخره حتى اكرمني الله بنبوته مقحما والله اعلم وشيخ ابن اسحاق هذا ذكره ابن حبان في الثقات وزعم بعضهم انه من رجال الصحيح قال شيخنا في تهذيبه ولم اقف على ذلك والله اعلم قال الحافظ البيهقي ثنا ابو عبد الله الحافظ ثنا ابو العباس محمد بن يعقوب ثنا الحسن بن علي بن عفان العامري ثنا ابو اسامة ثنا محمد بن عمرو عن ابي سلمة ويحيى بن عبد الرحمن بن حاطب عن اسامة بن زيد عن زيد بن حارثة قال كان صنم من نحاس يقال له اساف او نائلة يتمسح به المشركون اذا طافوا فطاف رسول الله صلى الله عليه وسلم وطفت معه فلما مررت تمسحت به فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تمسه قال زيد فطفنا فقلت في نفسي لامسنه حتى انظر ما يكون فمسحته فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم الم تنه قال البيهقي زاد غيره عن محمد بن عمرو باسناده قال زيد فوالذي اكرمه وانزل عليه الكتاب ما استلم صنما قط حتى اكرمه الله تعالى بالذي اكرمه وانزل عليه وقد تقدم قوله عليه السلام لبحيرا حين سأله باللات والعزى لا تسألني بهما فوالله ما ابغضت شيئا بغضهما فاما الحديث الذي قال الحافظ ابو بكر البيهقي انا ابو سعد الماليني انا ابو احمد بن عدي الحافظ انا ابراهيم بن اسباط ثنا عثمان بن ابي شيبة ثنا جرير عن سفيان الثوري عن عبد الله بن محمد بن عقيل عن جابر بن عبد الله قال كان النبي صلى الله عليه وسلم يشهد مع المشركين مشاهدهم قال فسمع ملكين خلفه واحدهما يقول لصاحبه اذهب بنا حتى نقوم خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كيف نقوم خلفه وانما عهده باستلام الاصنام قبيل قال فلم يعد بعد

ذلك

ذلك ان يشهد مع المشركين مشاهدهم فهو حديث انكره غير واحد من الائمة على عثمان بن ابي شيبة حتى قال الامام احمد فيه لم يكن اخوه يتلطخ بشيء من هذا وقد حكى البيهقي عن بعضهم ان معناه انه شهد مع من يستلم الاصنام وذلك قبل ان يوحى اليه والله اعلم وقد تقدم في حديث زيد بن حارثة انه اعتزل شهود مشاهد المشركين حتى اكرمه الله برسالته وثبت في الحديث انه كان لا يقف مع قومه بالمزدلفة ليلة عرفة بل كان يقف مع الناس بعرفات كما قال يونس بن بكير عن محمد بن اسحاق حدثني عبد الله بن ابي بكر عن عثمان بن ابي سليمان عن عمه نافع بن جبير بن مطعم عن ابيه جبير قال لقد رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على دين قومه وهو يقف على بعير له بعرفات من بين قومه حتى يدفع معهم توفيقا من الله عز وجل له قال البيهقي معنى قوله على دين قومه ما كان بقي من ارث ابراهيم واسماعيل عليهما السلام ولم يشرك بالله قط صلوات الله وسلامه عليه دائما قلت ويفهم من قوله هذا ايضا انه كان يقف بعرفات قبل ان يوحى اليه وهذا توفيق من الله له ورواه الامام احمد عن يعقوب عن محمد بن اسحاق به ولفظه رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل ان ينزل عليه وانه لواقف على بعير له مع الناس بعرفات حتى يدفع معهم توفيقا من الله وقال الامام احمد ثنا سفيان عن عمرو بن محمد بن جبير بن مطعم عن ابيه قال اضللت بعيرا لي بعرفة فذهبت اطلبه فاذا النبي صلى الله عليه وسلم واقف فقلت ان هذا من الحمس ما شانه هاهنا واخرجاه من حديث سفيان بن عيينة به

ذكر شهوده عليه السلام حرب الفجار

قال ابن اسحاق هاجت حرب الفجار ورسول الله صلى الله عليه وسلم ابن عشرين سنة وانما سمي يوم الفجار بما استحل هذان الحيان كنانة وقيس عيلان فيه من المحارم بينهم وكان قائد قريش وكنانة حرب بن امية بن عبد شمس وكان الظفر في اول النهار لقيس على كنانة حتى اذا كان في وسط النهار كان الظفر لكنانة على قيس وقال ابن هشام فلما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم اربع عشرة سنة او خمس عشرة سنة فيما حدثني به ابو عبيدة النحوي عن ابي عمرو بن العلاء هاجت حرب الفجار بين قريش ومن معها من كنانة وبين قيس عيلان وكان الذي هاجها ان عروة الرحال بن عتبة بن جعفر بن كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن اجار لطيمة اي تجارة للنعمان بن المنذر فقال له البراض بن قيس احد بني ضمرة بن بكر بن عبد مناة بن كنانة اتجيرها على كنانة قال نعم وعلى الخلق فخرج فيها عروة الرحال وخرج البراض يطلب غفلته حتى اذا كان بتيمن ذي طلال بالعالية غفل عروة فوثب عليه البراض فقتله في الشهر الحرام فلذلك سمي الفجار وقال البراض في ذلك

وداهية تهم الناس قبلي ... شددت لها بني بكر ضلوعي
هدمت بها بيوت بني كلاب ... وارضعت الموالي بالضروع
رفعت له بذي طلال كفي ... فخر يميد كالجذع الصريع

وقال لبيد بن ربيعة بن مالك بن جعفر بن كلاب

وابلغ ان عرضت بني كلاب ... وعامر والخطوب لها موالي
وابلغ ان عرضت بني نمير ... واخوال القتيل بني هلال
بان الوافد الرحال امسى ... مقيما عند تيمن ذي طلال

غريب جدا

على بعير له مع الناس

قال ابن هشام فاتى آت قريشا فقال ان البراض قد قتل عروة وهو في الشهر الحرام بعكاظ
فارتحلوا وهوازن لا تشعر ثم بلغهم الخبر فاتبعوهم فادركوهم قبل ان يدخلوا الحرم فاقتتلوا حتى
جاء الليل فدخلوا الحرم فامسكت هوازن عنهم ثم التقوا بعد هذا اليوم اياما والقوم متساندون
على كل قبيل من قريش وكنانة رئيس منهم وعلى كل قبيل من قيس رئيس منهم قال وشهد رسول
الله صلى الله عليه وسلم بعض ايامهم اخرجه اعمامه معهم وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
كنت انبل على اعمامي اي ارد عليهم نبل عدوهم اذا رموهم بها قال ابن هشام وحديث الفجار اطول
مما ذكرت وانما منعني من استقصائه قطعه حديث سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
السهيلي والفجار بكسر الفاء على وزن قتال وكانت الفجارات في العرب اربعة ذكرهن المسعودي
وآخرهن فجار البراض هذا وكان القتال فيه في اربعة ايام يوم شمطة ويوم العبلاء وهما عند
عكاظ ويوم الشرب وهو اعظمها يوما وهو اليوم الذي حضره رسول الله صلى الله عليه وسلم
وفيه قيد رئيسا قريش وبني كنانة وهو حرب بن امية واخوه سفيان انفسهما لئلا يفروا وانهزم
يومئذ قيس الا بني نصر فانهم ثبتوا ويوم الحريرة عند نخلة ثم تواعدوا من العام المقبل
الى عكاظ فلما توافوا الموعد ركب عتبة بن ربيعة جمله ونادى يا معشر مضر علام تقاتلون
فقالت له هوازن ما تدعو اليه قال الصلح قالوا وكيف قال ندي قتلاكم ونرهنكم رهائن
عليها ونعفو عن دمائنا قالوا ومن لنا بذلك قال انا قالوا ومن انت قال عتبة
بن ربيعة فوقع الصلح على ذلك وبعثوا اليهم اربعين رجلا فيهم حكيم بن حزام فلما رأت
بنو عامر بن صعصعة الرهن في ايديهم عفوا عن دمائهم وانقضت حرب الفجار وقد
ذكر الاموي حرب الفجار وايامها واستقصى ذلك مطولا فيما رواه عن الاثرم وهو المغيرة
بن علي عن ابي عبيدة معمر بن المثنى فذكر ذلك

فصل في شهوده عليه السلام حلف الفضول

قال الحافظ البيهقي انا ابو سعد الماليني انا ابو احمد بن عدي الحافظ ثنا يحيى بن علي بن
هاشم الخفاف ثنا ابو عبد الرحمن الاذرمي ثنا اسماعيل بن علية عن عبد الرحمن بن اسحاق
عن الزهري عن محمد بن جبير بن مطعم عن ابيه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
شهدت مع عمومتي حلف المطيبين فما احب ان انكثه او كلمة نحوها وان لي حمر النعم قال
وكذلك رواه بشر بن المفضل عن عبد الرحمن قال وانا ابو نصر بن قتادة ثنا ابو عمرو
بن مطر ثنا ابو بكر بن احمد بن داود السمناني ثنا معلى بن مهدي ثنا ابو عوانة عن عمر بن
ابي سلمة عن ابيه عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما شهدت
حلفا لقريش الا حلف المطيبين وما احب ان لي حمر النعم واني كنت نقضته قال
والمطيبون هاشم وامية وزهرة ومخزوم قال البيهقي كذا روي هذا التفسير مدرجا في
الحديث ولا ادري قائله وزعم بعض اهل السير انه اراد حلف الفضول وان النبي صلى الله
عليه وسلم لم يدرك حلف المطيبين **قلت** هذا لا شك فيه وذلك ان قريشا تحالفوا
بعد موت قصي وتنازعوا في الذي كان جعله قصي لابنه عبد الدار من السقاية والرفادة
واللواء والندوة والحجابة ونازعهم فيه بنو عبد مناف وقامت مع كل طائفة قبائل من قريش
وتحالفوا على النصرة لحزبهم فاحضر اصحاب بني عبد مناف جفنة فيها طيب فوضعوا
ايديهم فيها وتحالفوا فلما قاموا مسحوا ايديهم باركان البيت فسموا المطيبين كما

تقدم وكان هذا قديما ولكن المراد بهذا الحلف حلف الفضول وكان في دار عبد الله بن جدعان
كما رواه الحميدي عن سفيان بن عيينة عن عبد الله بن محمد وعبد الرحمن بن ابي بكر قالا قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد شهدت في دار عبد الله بن جدعان حلفا لو دعيت به
في الاسلام لاجبت تحالفوا ان يردوا الفضول على اهلها والا يعد ظالم مظلوما قالوا
وكان حلف الفضول قبل البعث بعشرين سنة في شهر ذي القعدة وكان بعد حرب الفجار
باربعة اشهر وذلك لان الفجار كان في شعبان من هذه السنة وكان حلف الفضول اكرم
حلف سمع به واشرفه في العرب وكان اول من تكلم به ودعا اليه الزبير بن عبد المطلب وكان
سببه ان رجلا من زبيد قدم مكة ببضاعة فاشتراها منه العاص بن وائل فحبس عنه
حقه فاستعدى عليه الزبيدي الاحلاف عبد الدار ومخزوما وجمح وسهما وعدي بن كعب
فابوا ان يعينوا على العاص بن وائل وزبروه اي انتهروه فلما رأى الزبيدي الشر اوفى على
ابي قبيس عند طلوع الشمس وقريش في انديتهم حول الكعبة فنادى باعلى صوته

يا آل فهر لمظلوم بضاعته • ببطن مكة نائي الدار والنفر
ومحرم اشعث لم يقض عمرته • يا للرجال وبين الحجر والحجر
ان الحرام لمن تمت كرامته • ولا حرام لثوب الفاجر الغدر

فقام في ذلك الزبير بن عبد المطلب وقال ما لهذا مترك فاجتمعت هاشم وزهرة وتيم بن
مرة في دار عبد الله بن جدعان فصنع لهم طعاما وتحالفوا في ذي القعدة في شهر حرام
فتعاقدوا وتعاهدوا بالله ليكونن يدا واحدة مع المظلوم على الظالم حتى يؤدى اليه
حقه ما بل بحر صوفة وما رسى ثبير وحراء مكانهما وعلى التأسي في المعاش فسمت قريش ذلك
الحلف حلف الفضول وقالوا لقد دخل هؤلاء في فضل من الامر ثم مشوا الى العاص
بن وائل فانتزعوا منه سلعة الزبيدي فدفعوها اليه وقال الزبير بن عبد المطلب
في ذلك

حلفت لنعقدن حلفا عليهم • وان كنا جميعا اهل دار
نسميه الفضول اذا عقدنا • يعز به الغريب لذي الجوار
ويعلم من حوالي البيت انا • اباة الضيم نمنع كل عار

وقال الزبير ايضا

ان الفضول تعاقدوا وتحالفوا • ان لا يقيم ببطن مكة ظالم
امر عليه تعاقدوا وتواثقوا • فالجار والمعتر فيهم سالم

وذكر قاسم بن ثابت في غريب الحديث ان رجلا من خثعم قدم مكة معتمرا او حاجا ومعه
ابنة له يقال لها القتول من اوضأ نساء العالمين فاغتصبها منه نبيه بن
الحجاج وغيبها عنه فقال الخثعمي من يعديني على هذا الرجل فقيل له عليك بحلف
الفضول فوقف عند الكعبة ونادى يا لحلف الفضول فاذا هم يعنقون اليه من كل
جانب وقد انتضوا اسيافهم يقولون جاءك الغوث فما لك فقال ان نبيها ظلمني في بنتي
وانتزعها مني قسرا فساروا معه حتى وقفوا على باب داره فخرج اليهم فقالوا له اخرج
الجارية ويحك فقد علمت من نحن وما تعاقدنا عليه فقال افعل ولكن متعوني بها الليلة
فقالوا لا والله ولا شخب لقحة فاخرجها اليهم وهو يقول

راح صحبي ولم احيي النزولا • لم اودعهم وداعا جميلا
اذا اجد الفضول ان يقسموها • نهار الي ولا اخاف الفضولا
لا تخالي اني عشية راح • الركب منتم على ان لا نزولا

وذكر ابيا تا اخر غير هذه وقد قيل انما سمي هذا حلف الفضول لانه اشبه حلفا تحالفته جرهم
على مثل هذا من نصر المظلوم على ظالمه وكان الداعي اليه ثلاثة من اشرافهم واسم كل واحد منهم فضل وهم
الفضل بن فضالة والفضل بن وداعة والفضل بن الحرث هذا قول ابن قتيبة وقال
غيره هم الفضل بن شراعة والفضل بن بضاعة والفضل بن قضاعة وقد اورد هذا الحافظ السهيلي رح
وقال محمد بن اسحاق بن يسار وتداعت قبايل من قريش الى الحلف فاجتمعوا له في دار عبد الله
بن جدعان لشرفه وسنه وكان حلفهم عنده بنو هاشم وبنو المطلب وبنو اسد بن عبد العزى
وزهرة بن كلاب وتيم بن مرة فتعاهدوا وتعاقدوا على ان لا يجدوا بمكة مظلوما من اهلها
وغيرهم ممن دخلها من ساير الناس الا قاموا معه وكانوا على من ظلمه حتى ترد عليه مظلمته
فسمت قريش ذلك الحلف حلف الفضول قال ابن اسحاق فحدثني محمد بن زيد بن المهاجر بن
قنفذ التيمي انه سمع طلحة بن عبد الله بن عوف الزهري يقول قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم لقد شهدت في دار عبد الله بن جدعان حلفا ما احب ان لي به حمر النعم ولو ادعى به
في الاسلام لاجبت قال ابن اسحاق وحدثني يزيد بن عبد الله بن اسامة بن الهاد الليثي ان محمد
ابن ابراهيم بن الحرث التيمي حدثه انه كان بين الحسين بن علي بن ابي طالب وبين الوليد بن
عتبة بن ابي سفيان والوليد يوميذ امير المدينة امره عليها عمه معاوية بن ابي سفيان منازعة
كان بينهما في مال بذي المروة فكان الوليد تحامل على الحسين في حقه لسلطانه فقال له الحسين
احلف بالله لتنصفني من حقي او لاخذن سيفي ثم لادعون في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم
ثم لادعون بحلف الفضول قال فقال عبد الله بن الزبير وهو عند الوليد حين قال له الحسين
ما قال وانا احلف بالله لين دعا به لاخذن سيفي ثم لاقومن معه حتى ينصف من حقه
او نموت جميعا قال وبلغت المسور بن مخرمة بن نوفل الزهري فقال مثل ذلك وبلغت
عبد الرحمن بن عثمان بن عبيد الله التيمي فقال مثل ذلك فلما بلغ ذلك الوليد بن عتبة انصف
الحسين من حقه حتى رضي

فصل في تزويجه عليه السلام خديجة بنت خويلد بن اسد بن عبد العزى بن قصي

قال ابن اسحاق وكانت خديجة بنت خويلد امراة تاجرة ذات مال وشرف تستاجر الرجال على
مالها مضاربة فلما بلغها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم صدق حديثه وعظم امانته ما بلغها من
وكرم اخلاقه بعثت اليه فعرضت عليه ان يخرج لها في مال تاجرا الى الشام وتعطيه افضل ما تعطي
غيره من التجار مع غلام لها يقال له ميسرة فقبله رسول الله صلى الله عليه وسلم منها وخرج في مالها
ذلك وخرج معه غلامها ميسرة حتى نزل الشام فنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم في ظل
شجرة قريبا من صومعة راهب من الرهبان فاطلع الراهب الى ميسرة فقال من هذا الرجل الذي
نزل تحت ظل الشجرة فقال له ميسرة هذا رجل من قريش من اهل الحرم فقال له الراهب ما نزل
تحت هذه الشجرة قط الا نبي ثم باع رسول الله صلى الله عليه وسلم سلعته يعني تجارته التي خرج

بها واشترى ما اراد ان يشتري ثم اقبل قافلا الى مكة ومعه ميسرة فكان ميسرة فيما يزعمون اذا كانت
الهاجرة واشتد الحر يرى ملكين يظلانه من الشمس وهو يسير على بعيره فلما قدم مكة على خديجة
بمالها باعت ما جاء به فاضعف او قريبا وحدثها ميسرة عن قول الراهب وعما كان يرى من اظلال
الملكين اياه وكانت خديجة امراة حازمة شريفة لبيبة مع ما اراد الله تعالى بها من كرامتها فلما
اخبرها ميسرة بما اخبرها به بعثت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت له فيما يزعمون يا ابن عم
اني قد رغبت فيك لقرابتك وسطتك في قومك وامانتك وحسن خلقك وصدق حديثك
ثم عرضت عليه نفسها وكانت اوسط نساء قريش نسبا واعظمهن شرفا واكثرهن مالا كل قومها
كان حريصا على ذلك منها لو قد يقدر عليه فلما قالت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم
ذكر ذلك لاعمامه فخرج معه عمه حمزة حتى دخل على خويلد بن اسد فخطبها اليه فتزوجها عليه السلام
وقال ابن هشام واصدقها عشرين بكرة وكانت اول امراة تزوجها ولم يتزوج عليها غيرها حتى
ماتت قال ابن اسحاق فولدت لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولده كلهم الا ابراهيم القسم
وبه كان يكنى والطيب والطاهر وزينب ورقية وام كلثوم وفاطمة قال ابن هشام اكبرهم القسم
ثم الطيب ثم الطاهر واكبر بناته رقية ثم زينب ثم ام كلثوم ثم فاطمة وقال البيهقي عن الحاكم
قرات بخط ابي بكر بن ابي خيثمة ثنا مصعب بن عبد الله الزبيري قال اكبر ولده عليه السلام القسم
ثم زينب ثم عبد الله ثم ام كلثوم ثم فاطمة ثم رقية وكان اول من مات من ولده القسم ثم عبد الله
وبلغت خديجة خمسا وستين سنة ويقال خمسين وهو اصح وقال غيره بلغ القسم ان يركب الدابة
والنجيبة ثم مات بعد النبوة وقيل مات وهو رضيع فقال رسول الله ان له مرضعا يستكمل
رضاعه في الجنة والمعروف ان هذا في حق ابراهيم وقال يونس بن بكير ثنا ابراهيم بن عثمان عن الحكم
عن مقسم عن ابن عباس قال ولدت خديجة لرسول الله غلامين واربع نسوة القسم وعبد الله
وفاطمة وام كلثوم وزينب ورقية وقال الزبير بن بكار عبد الله هو الطيب وهو الطاهر سمي
بذلك لانه ولد بعد النبوة قال ابن اسحاق فاما القسم والطيب والطاهر فما توا قبل البعثة
واما بناته فادركن البعثة ودخلن في الاسلام وهاجرن معه صلى الله عليه وسلم قال
ابن هشام واما ابراهيم فمن مارية القبطية التي اهداها له المقوقس صاحب اسكندرية من
حفن من كورة انصنا وسنتكلم على ذكر زوجاته واولاده عليه السلام في باب نفرده لذلك في اواخر
السيرة ان شا الله وبه الثقة قال ابن هشام وكان عمر رسول الله صلى الله عليه وسلم
حين تزوج خديجة خمسا وعشرين سنة فيما حدثني غير واحد من اهل العلم منهم ابو عمرو المدني
وقال يعقوب بن سفيان كتبت عن ابراهيم بن المنذر حدثني عمر بن ابي بكر المولي حدثني غير
واحد ان عمرو بن اسد زوج خديجة من رسول الله وعمره خمسا وعشرين سنة وقريش تبني الكعبة
وهكذا نقل البيهقي عن الحاكم انه كان عمر رسول الله صلى الله عليه وسلم حين تزوج خديجة خمسا
وعشرين سنة وكان عمر خديجة اذ ذاك خمسا وثلثين سنة وقيل خمسا وعشرين سنة وقال
البيهقي باب ما كان يشتغل به رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل ان يتزوج خديجة
انا ابو عبد الله الحافظ انا ابو بكر بن عبد الله انا الحسن بن سفيان ثنا سويد بن سعيد ثنا عمرو
ابن ابي يحيى بن سعيد القرشي عن جده سعيد عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم ما بعث الله نبيا الا راعي غنم فقال له اصحابه وانت يا رسول الله فقال وانا رعيتها لاهل
مكة بالقراريط رواه البخاري عن احمد بن محمد المكي عن يحيى به ثم روى البيهقي من طريق الربيع

ابن بدر وهو ضعيف عن ابي الزبير عن جابر قال لقد لقيت رسول الله صلى الله عليه وسلم آجرت
نفسي من خديجة سفرتين بقلوص وروى البيهقي من طريق حماد بن سلمة عن علي بن زيد عن عمار
بن ابي عمار عن ابن عباس ان اباخديجة زوج رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو اظنه قال
سكران ثم قال البيهقي انا ابو الحسين بن الفضل القطان انا عبد الله بن جعفر ثنا
يعقوب بن سفيان قال حدثني ابراهيم بن المنذر حدثني عمر بن ابي بكر الموصلي حدثني عبد الله بن
ابي عبيد بن محمد بن عمار بن ياسر عن ابيه عن مقسم ابي القسم مولى عبد الله بن الحرث بن نوفل
ان عبد الله بن الحرث حدثه ان عمار بن ياسر كان اذا سمع ما يتحدث به الناس عن تزويج رسول الله
صلى الله عليه وسلم خديجة وما يكثرون فيه يقول انا اعلم الناس بتزويجه اياها اني كنت له
تربا وكنت له الفا وخدنا واني خرجت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم حتى اذا كنا
بالحزورة اجزنا على اخت خديجة وهي جالسة على ادم تبيعها فنادتني فانصرفت اليها ووقف
لي رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت اما بصاحبك هذا من حاجة في تزويج خديجة
قال عمار فرجعت اليه فاخبرته فقال بلى لعمري فذكرت لها قول رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقالت اغدوا علينا اذا اصبحنا فغدونا عليهم فوجدناهم قد ذبحوا بقرة والبسوا ابا
خديجة حلة وصفرت لحيته وكلمت اخاها فكلم اباه وقد سقي خمرا فذكر له رسول الله صلى الله
عليه وسلم مكانه وسالته ان يزوجه فزوجه خديجة وصنعوا من البقرة طعاما فاكلنا منه
ونام ابوها ثم استيقظ صاحيا فقال ما هذه الحلة وما هذه الصفرة وهذا الطعام فقالت
له ابنته التي كانت كلمت عمارا هذه حلة كساكها محمد بن عبد الله ختنك وبقرة اهداها لك
فذبحناها حين زوجته خديجة فانكر ان يكون زوجه وخرج يصيح حتى جاء الحجر وخرج بنو هاشم
برسول الله صلى الله عليه وسلم فجاؤه فكلموه فقال اين صاحبكم الذي تزعمون اني زوجته
خديجة فبرز له رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما نظر اليه قال ان كنت زوجته فسبيل
ذلك وان لم اكن فعلت فقد زوجته وقد ذكر الزهري في سيره ان اباها زوجها منه وهو سكران
وذكر نحو ما تقدم حكاه السهيلي قال المؤملي والمجتمع عليه ان عمها عمرو بن اسد هو الذي زوجها
منه وهذا الذي رجحه السهيلي وحكاه عن ابن عباس وعائشة قال وكان خويلد قد مات قبل
الفجار وهو الذي نازع تبعا حين اراد اخذ الحجر الاسود الى اليمن فقام في ذلك خويلد وقام
معه جماعة من قريش ثم راى تبع في منامه ما روعه فنزع عن ذلك وترك الحجر الاسود مكانه
وذكر ابن اسحاق في اخر السيرة ان اخاها عمرو بن خويلد هو الذي زوجها من رسول الله صلى الله عليه
وسلم والله اعلم قال ابن اسحاق وقد كانت خديجة بنت خويلد قد ذكرت لورقة بن نوفل
بن اسد بن عبد العزى بن قصي وكان ابن عمها وكان نصرانيا قد تتبع الكتب وعلم من علم الناس
ما ذكر لها غلامها من قول الراهب وما كان يرى منه اذ كان الملكان يظلانه فقال ورقة
لئن كان هذا حقا يا خديجة ان محمدا لنبي هذه الامة قد عرفت انه كائن لهذه الامة نبي ينتظر
هذا زمانه او كما قال فجعل ورقة يستبطئ الامر ويقول حتى متى فقال في ذلك

لججت وكنت في الذكرى لجوجا • لهم طالما بعث النشيجا
ووصف من خديجة بعد وصف • فقد طال انتظاري يا خديجا
ببطن المكتين على رجائي • حديثك ان ارى منه خروجا
بما خبرتنا من قول قس • من الرهبان اكره ان يعوجا

بان محمدا

بان محمدا سيسود فينا • ويخصم من يكون له حجيجا
ويظهر في البلاد ضياء نور • يقيم به البرية ان تموجا
فيلقى من يحاربه خسارا • ويلقى من يسالمه فلوجا
فيا ليتني اذا ما كان ذاكم • شهدت وكنت اولهم ولوجا
ولوجا في الذي كرهت قريش • ولو عجت بمكتها عجيجا
ارجي بالذي كرهوا جميعا • الى ذي العرش ان سفلوا عروجا
وهل امر السفالة غير كفر • بمن يختار من سمك البروجا
فان يبقوا وابق تكن امور • يضج الكافرون لها ضجيجا
وان اهلك فكل فتى سيلقى • من الاقدار متلفة حروجا

وقال ورقة ايضا فيما رواه يونس بن بكير عن ابن اسحق عنه

اتبكر ام انت العشية رائح • وفي الصدر من اضمارك الحزن قادح
لفرقة قوم لا احب فراقهم • كانك عنهم بعد يومين نازح
واخبار صدق خبرت عن محمد • يخبرها عنه اذا غاب ناصح
فتاك الذي وجهت يا خير حرة • بغور وبالنجدين حيث الصحاصح
الى سوق بصرى والركاب التي غدت • وهن من الاحمال قعص دوالح
يخبرنا عن كل خير بعلمه • وللحق ابواب لهن مفاتح
بان ابن عبد الله احمد مرسل • الى كل من ضمت عليه الاباطح
وظني به ان سوف يبعث صادقا • كما ارسل العبدان هود وصالح
وموسى وابراهيم حتى يرى له • بهاء ومنشور من الذكر واضح
ويتبعه حيا لؤي بن غالب • شبابهم والاشيبون الجحاجح
فان ابق حتى يدرك الناس دهره • فاني به مستبشر الود فارح
والا فاني يا خديجة فاعلمي • عن ارضك في الارض العريضة سايح

وزاد الاموى

فمتبع دين الذي اسس البنا • وكان له فضل على الناس راجح
واسس بنيانا بمكة ثابتا • تلالا فيه بالظلام المصابح
مثابا لافناء القبائل كلها • تخب اليها اليعملات الطلائح
حراجيج امثال القداح من السرى • يعلق في ارساغهن السرائح

ومن شعره فيما اورده له ابو القسم السهيلي في روضه

لقد نصحت لاقوام وقلت لهم • انا النذير فلا يغرركم احد
لا تعبدون الها غير خالقكم • فان دعوكم فقولوا بيننا حدد
سبحان ذي العرش سبحانا يدوم له • وقبلنا سبح الجودي والجمد
مسخر كل ما تحت السماء له • لا ينبغي ان يناوي ملكه احد
لا شيء مما ترى تبقى بشاشته • يبقى الاله ويودي المال والولد
لم يغن عن هرمز يوما خزائنه • والخلد قد حاولت عاد فما خلدوا
ولا سليمان اذ تجري الرياح له • والجن والانس فيما بينها برد
اين الملوك التي كانت لعزتها • من كل اوب اليها وافد يفد

حوضٍ هنالك مورودٍ بلا كذبٍ • لا بد من ورده يوماً كما وردوا •
ثم قال هكذا أنشده أبو الفرج الجوزي قال وفيها أبيات تنسب إلى أمية بن أبي الصلت
قلت وقد روينا عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب أنه كان يستشهد في بعض الأحيان بشيء
من هذه الأبيات والله أعلم

فصل في تجديد قريش بناء الكعبة

قبل المبعث بخمس سنين ذكر البيهقي بناء الكعبة قبل تزويجه عليه السلام خديجة والمشهور
أن بناء قريش الكعبة بعد تزويج خديجة كما ذكرناه بعشر سنين ثم شرع البيهقي في ذكر بناء
الكعبة في زمن إبراهيم كما قدمناه في قصته وأورد حديث ابن عباس المتقدم في صحيح البخاري
وذكر ما ورد فيه من الإسرائيليات في بنائه في زمن آدم ولا يصح ذلك فإن ظاهر القرآن يقتضي
أن إبراهيم عليه السلام أول من بناه مبتديا وأول من أسسه وكانت بقعته معظمة قبل ذلك
معتنى بها مشرفة في سائر الأعصار والأوقات قال الله تعالى إن أول بيت وضع للناس للذي
ببكة مباركا وهدى للعالمين فيه آيات بينات مقام إبراهيم ومن دخله كان آمنا ولله على
الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا وثبت في الصحيحين عن أبي ذر قال قلت يا رسول
الله أي مسجد وضع أول قال المسجد الحرام قلت ثم أي قال المسجد الأقصى قلت
كم بينهما قال أربعون سنة وقد تكلمنا على هذا فيما تقدم وأن المسجد الأقصى أسسه
إسرائيل وهو يعقوب عليه السلام وفي الصحيحين أن هذا البلد حرمه الله يوم خلق السموات
والأرض فهو حرام بحرمة الله إلى يوم القيامة وقال البيهقي أخبرنا أبو عبد الله الحافظ
ثنا أبو عبد الله الصفار ثنا أحمد بن مهران ثنا عبيد الله ثنا إسرائيل عن أبي يحيى عن
مجاهد عن عبد الله بن عمرو قال كان البيت قبل الأرض بألفي سنة وإذا الأرض مدت قال
من تحته مدا قال وقد تابعه منصور عن مجاهد **قلت** وهذا غريب جدا وكأنه
من الزاملتين اللتين أصابهما عبد الله بن عمرو يوم اليرموك وكان فيهما إسرائيليات يحدث
منهما وفيهما منكرات وغرائب ثم قال البيهقي أنا أبو عبد الله الحافظ أنا أبو جعفر محمد بن
محمد بن عبد الله البغدادي ثنا يحيى بن عثمان بن صالح ثنا أبو صالح الجهني حدثني
ابن لهيعة عن يزيد بن أبي الخير عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم بعث الله جبريل إلى آدم وحوا فقال لهما ابنيا لي بيتا فخط لهما جبريل فجعل
آدم يحفر وحوا تنقل حتى أجابه الماء نودي من تحته يا آدم حسبك فلما بنياه أوحى الله تعالى
أن يطوف به وقيل له أنت أول الناس وهذا أول بيت ثم تناسخت القرون حتى حجه
نوح ثم تناسخت القرون حتى رفع إبراهيم القواعد منه قال البيهقي تفرد به ابن لهيعة
هكذا مرفوعا **قلت** وهو ضعيف ووقفه على عبد الله بن عمرو أقوى وأثبت
والله أعلم وقال الربيع أنا الشافعي أنا سفيان عن ابن أبي لبيد عن محمد بن كعب القرظي
أو غيره قال حج آدم فلقيته الملائكة فقالوا بر نسكك يا آدم لقد حججنا قبلك بألفي
عام وقال يونس بن بكير عن ابن إسحاق حدثني بقية أو ثقة قال من أهل المدينة
عن عروة بن الزبير أنه قال ما من نبي إلا وقد حج البيت إلا ما كان من هود وصالح قلت
وقد قدمنا حجهما إليه والمقصود الحج إلى محله وبقعته وإن لم يكن ثم بناء والله أعلم
ثم أورد البيهقي حديث ابن عباس المتقدم في قصة إبراهيم عليه السلام بطوله وتمامه
وهو في صحيح البخاري ثم روى البيهقي من حديث سماك بن حرب عن خالد بن عرعرة قال

سأل رجل عليا عن قوله إن أول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركا أهو أول بيت بني
في الأرض قال لا ولكنه أول بيت وضع فيه البركة والهدى ومقام إبراهيم ومن دخله كان آمنا
وإن شئت نبأتك كيف بناؤه إن الله تعالى أوحى إلى إبراهيم أن ابن لي بيتا في الأرض
فضاق به ذرعا فأرسل الله السكينة وهي ريح خجوج لها رأس فاتبع أحدهما صاحبه
حتى انتهت ثم تطوقت في موضع البيت تطوق الحية فبنى إبراهيم حتى إذا بلغ مكان
الحجر قال لابنه ابغني حجرا فالتمس حجرا حتى أتاه به فوجد الحجر الأسود قد ركب فقال لابنه
من أين لك هذا قال جاء به من لا يتكل على بنائك جاء به جبريل من السماء فأتمه قال
فمر عليه الدهر فانهدم فبنته العمالقة ثم انهدم فبنته جرهم ثم انهدم فبنته قريش
ورسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ رجل شاب فلما أرادوا أن يرفعوا الحجر الأسود
اختصموا فيه فقالوا نحكم بيننا أول رجل يخرج من هذه السكة فكان رسول الله صلى
الله عليه وسلم أول من خرج عليهم فقضى بينهم أن يجعلوه في مربط ثم ترفعه جميع القبائل
كلهم وقال أبو داود الطيالسي ثنا حماد بن سلمة وقيس وسلام كلهم عن سماك بن حرب
عن خالد بن عرعرة عن علي بن أبي طالب قال لما انهدم البيت بعد جرهم بنته قريش
فلما أرادوا وضع الحجر تشاجروا من يضعه فاتفقوا أن يضعه أول من يدخل من هذا
الباب فدخل رسول الله من باب بني شيبة فأمر بثوب فوضع الحجر في وسطه وأمر كل فخذ
أن يأخذوا بطائفة من الثوب فرفعوه وأخذه رسول الله صلى الله عليه وسلم فوضعه
وقال يعقوب بن سفيان أخبرني أصبغ بن فرج أخبرني ابن وهب عن يونس عن ابن شهاب
قال لما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم الحلم أجمرت امرأة الكعبة فطارت
شرارة من مجمرها في ثياب الكعبة فاحترقت فهدموها حتى إذا بنوها فبلغوا موضع الركن
الركن م اختصمت قريش في أي القبائل تلي رفعه فقالوا تعالوا نحكم أول من يطلع علينا فطلع
عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو غلام وعليه وشاح نمرة فحكموه فأمر بالركن
فوضع في ثوب ثم أخرج سيد كل قبيلة فأعطاه ناحية من الثوب ثم ارتقى هو فرفعوا إليه
الركن فكان هو يضعه فكان لا يزداد على السن إلا رضى حتى دعوه الأمين قبل أن ينزل عليه
الوحي فطفقوا لا ينحرون جزورا إلا التمسوه فيدعو لهم فيها وهذا سياق حسن وهو
من سير الزهري وفيه من الغرابة قوله لما بلغ الحلم والمشهور أن هذا كان ورسول الله صلى
الله عليه وسلم عمره خمس وثلاثون سنة وهو الذي نص عليه محمد بن إسحاق بن يسار رح
وقال موسى بن عقبة كان بناء الكعبة قبل المبعث بخمس عشرة سنة وهكذا قال
مجاهد وعروة ومحمد بن جبير بن مطعم وغيرهم والله أعلم وقد قال موسى بن عقبة كان
بين الفجار وبين بناء الكعبة خمس عشرة سنة قلت وكان الفجار وحلف الفضول
في سنة واحدة إذ كان عمر رسول الله صلى الله عليه وسلم عشرون سنة وهذا يؤيد ما قاله
محمد بن إسحاق والله تعالى أعلم قال موسى بن عقبة وإنما حمل قريشا على بنائها أن
السيول كانت تأتي من فوقها من فوق الردم الذي صنعوه فخربه فخافوا أن يدخلها الماء
وكان رجل يقال له مليح سرق طيب الكعبة فأرادوا أن يشيدوا بنيانها وأن يرفعوا
بابها حتى لا يدخلها إلا من شاؤوا فأعدوا لذلك نفقة وعمالا ثم غدوا إليها ليهدموها
على شفق وحذر أن يمنعهم الله الذي أرادوا فكان أول رجل طلعها وهدم منها شيئا الوليد

بن المغيرة فلما راوا الذي فعل الوليد تتابعوا فوضعوها فاعجبهم ذلك فلما ارادوا ان ياخذوا
في بنيانها احضروا اعمالهم فلم يبق رجل منهم الا بعضى لما ثم موضع قدم فزعموا انهم راوا حية
تداخلت بالبيت راسها عند ذنبها فاشفقوا منها شفقة شديدة وخشوا ان يكونوا
قد وقعوا مما عملوا في مهلكة وكانت الكعبة حرزهم ومنعتهم من الناس وشرفا لهم فلما سقط
في ايديهم والتبس عليهم امرهم قام فيهم المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم فذكر ما كان
من نصحه لهم وامره اياهم ان لا يتحاسدوا ولا يتشاجروا في بنائها وان يقتسموها ارباعا
وان لا يدخلوا في بنائها مالا حراما وذكر انهم لما عزموا على ذلك ذهبت الحية في السماء وتغيبت
عنهم وراوا ان ذلك من الله عز وجل قال ويقول بعض الناس انه اختطفها طاير فالقاها
نحو اجياد وحكى السهيلي عن النقاش انها هي الدابة التي تخرج في اخر الزمان تكلم الناس
وان اسمها اقضى وقال محمد بن اسحاق بن يسار فلما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم خمسا
وثلثين سنة اجتمعت قريش لبنيان الكعبة وكانوا يهمون بذلك ليسقفوها ويهابون
هدمها وانما كانت رضما فوق القامة فارادوا رفعها وتسقيفها وذلك ان نفرا سرقوا كنز
الكعبة وانما كان يكون في بير في جوف الكعبة وكان الذي وجد عنده الكنز دويك مولى لبني
مليح بن عمرو بن خزاعة فقطعت قريش يده ويزعمون ان الذي سرقوه وضعوه عند دويك
وكان البحر قد رمى بسفينة الى جدة لرجل من تجار الروم فتحطمت فاخذوا خشبها فاعدوه
لتسقيفها قال الاموي كانت هذه السفينة لقيصر ملك الروم تحمل له البناء من
الرخام والخشب والحديد سرحها قيصر مع باقوم الرومي الى الكنيسة التي احرقها الفرس
للحبشة فلما بلغت مرساها من جدة بعث الله عليها ريحا فحطمتها قال ابن اسحاق وكان
بمكة رجل قبطي نجار فتهيا لهم في انفسهم بعض ما يصلحها وكانت حية تخرج من بير الكعبة
التي كانت يطرح فيها ما يهدى لها كل يوم فتتشرق على جدار الكعبة وكانت مما يهابون وذلك
انه كان لا يدنو منها احد الا احزالت وكشت وفتحت فاها فكانوا يهابونها فبينا هي يوما
تشرق على جدار الكعبة كما كانت تصنع بعث الله اليها طايرا فاختطفها فذهب بها فقالت
قريش انا لنرجوا ان يكون الله تعالى قد رضي ما اردنا عندنا عامل رفيق وعندنا خشب وقد
كفانا الله الحية وحكى السهيلي عن رزين ان سارقا دخل الكعبة في ايام جرهم ليسرق كنزها
فانهار البير عليه حتى جاوا فاخرجوه واخذوا منه ما كان اخذه ثم سكنت هذه البير حية راسها
كراس الجدي وبطنها ابيض وظهرها اسود فاقامت فيه خمسمائة عام وهي التي ذكرها محمد بن
اسحاق قال ابن اسحاق فلما اجمعوا امرهم لهدمها وبنيانها قام ابو وهب عمرو بن عايذ بن
عبد بن عمران بن مخزوم وقال ابن هشام عايذ بن عمران بن مخزوم فتناول من الكعبة حجرا
فوثب من يده حتى رجع الى موضعه فقال يا معشر قريش لا تدخلوا في بنيانها من كسبكم الا
طيبا لا يدخل فيها مهر بغي ولا بيع ربا ولا مظلمة احد من الناس والناس ينحلون هذا الكلام الوليد
بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم ثم رجح ابن اسحاق ان قايل ذلك ابو وهب بن عمرو قال
وكان خال ابي النبي صلى الله عليه وسلم وكان شريفا ممدحا قال ابن اسحاق ثم ان قريشا
تجزات الكعبة فكان شق الباب لبني عبد مناف وزهرة وكان ما بين الركن الاسود والركن اليماني
لبني مخزوم وقبايل من قريش انضموا اليهم وكان ظهر الكعبة لبني جمح وسهم وكان شق الحجر
لبني عبد الدار بن قصي ولبني اسد بن العزى ولبني عدي بن كعب وهو الحطيم ثم ان الناس هابوا

هدمها

هدمها وفرقوا منه فقال الوليد بن المغيرة انا ابداكم في هدمها فاخذ المعول ثم قام عليها
وهو يقول اللهم لم نزغ اللهم انا لا نريد الا الخير ثم هدم من ناحية الركنين فتربص الناس
تلك الليلة وقالوا ننظر فان اصيب لم نهدم منها شيا ورددناها كما كانت وان لم يصبه
شي فقد رضي الله ما صنعنا من هدمها فاصبح الوليد غاديا على عمله فهدم وهدم الناس
معه حتى اذا انتهى الهدم بهم الى الاساس اساس ابراهيم عليه السلام افضوا الى حجارة خضر
كالاسنمة اخذ بعضها بعضا ووقع في صحيح البخاري عن يزيد بن رومان كاسنمة الابل قال
السهيلي وازيد رواية السيرة كالاسنة وهما والله اعلم قال ابن اسحاق فحدثني بعض من
يروي الحديث ان رجلا من قريش ممن كان يهدمها ادخل عتلة بين حجرين منها ليقلع بها احدهما
فلما تحرك الحجر تنقضت مكة باسرها فانتهوا عن ذلك الاساس وقال موسى بن عقبة وزعم
عبد الله بن عباس ان اولية قريش كانوا يحدثون ان رجلا من قريش لما اجتمعوا لينزعوا
الحجارة انتهوا الى تاسيس ابراهيم واسماعيل عليهما السلام عمد رجل منهم الى حجر من الاساس
الاول فرفعه وهو لا يدري انه من الاساس الاول فابصر القوم برقة تحت الحجر كادت تلتمع بصر
الرجل ونزا الحجر من يده فوقع في موضعه وفزع الرجل والبناة فلما ستر الحجر منهم ما تحته الى مكانه
عادوا الى بنيانهم وقالوا لا تحركوا هذا الحجر ولا شيا بحذايه قال ابن اسحاق وحدثت ان قريشا
وجدوا في الركن كتابا بالسريانية فلم يدروا ما هو حتى قراه لهم رجل من يهود فاذا هو انا الله
ذو بكة خلقتها يوم خلقت السموات والارض وصورت الشمس والقمر وحففتها بسبعة املاك
حنفاء لا تزول حتى يزول اخشباها قال ابن هشام يعني جبلاها مبارك لاهلها في الماء واللبن
قال ابن اسحاق وحدثت انهم وجدوا في المقام كتابا فيه مكة بيت الله الحرام ياتيها رزقها من ثلاثة
سبل لا يحلها اول من اهلها قال وزعم ليث بن ابي سليم انهم وجدوا في الكعبة قبل مبعث
النبي صلى الله عليه وسلم باربعين سنة ان كان ما ذكر حقا مكتوبا من يزرع خيرا يحصد غبطة
ومن يزرع شرا يحصد ندامة يعملون السيات ويجزون الحسنات اجل كما يجتنى من الشوك
العنب وقال سعيد بن يحيى الاموي حدثنا المعتمر بن سليمان الرقي عن عبد الله بن بشر عن
الزهري يرفع الحديث الى النبي صلى الله عليه وسلم قال وجد في المقام ثلاثة اصفح في الصفح الاول
اني انا الله ذو بكة صنعتها يوم صنعت الشمس والقمر وحففتها بسبعة املاك حنفاء
وباركت لاهلها في اللحم واللبن وفي الصفح الثاني اني انا الله ذو بكة خلقت الرحم وشققت
لها من اسمي فمن وصلها وصلته ومن قطعها بتته وفي الصفح الثالث اني انا الله ذو بكة
خلقت الخير والشر وقدرته فطوبى لمن اجريت الخير على يديه وويل لمن اجريت الشر على يديه
قال ابن اسحاق ثم ان القبايل من قريش جمعت الحجارة لبنايها كل قبيلة تجمع على حدة
ثم بنوها حتى بلغ البنيان موضع الركن فاختصموا فيه كل قبيلة تريد ان ترفعه الى موضعه
دون الاخرى حتى تحاوروا وتحالفوا واعدوا للقتال فقربت بنو عبد الدار جفنة مملوة دما
ثم تعاقدوا هم وبنو عدي بن كعب بن لوي على الموت وادخلوا ايديهم في ذلك الدم في تلك الجفنة
فسموا لعقة الدم فمكثت قريش على ذلك اربع ليال او خمسا ثم انهم اجتمعوا في المسجد فتشاوروا
وتناصفوا فزعم بعض اهل الرواية ان ابا امية بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم وكان عامئذ
اسن قريش كلها قال يا معشر قريش اجعلوا بينكم فيما تختلفون فيه اول من يدخل من باب
هذا المسجد يقضي بينكم فيه ففعلوا فكان اول داخل رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما راوه

دخل م

قالوا هذا الأمين رضينا هذا محمد فلما انتهى إليهم وأخبروه الخبر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم هلم إلي ثوبا فأتي به فأخذ الركن فوضعه فيه بيده ثم قال لتأخذ كل قبيلة بناحية من الثوب ثم ارفعوه جميعا ففعلوا حتى إذا بلغوا به موضعه وضعه هو بيده صلى الله عليه وسلم ثم بنى عليه وكانت قريش تسمي رسول الله صلى الله عليه وسلم الأمين قال ابن إسحاق وكانت الكعبة على عهد النبي صلى الله عليه وسلم ثمانية عشر ذراعا وكانت تكسى القباطي ثم كسيت بعد البرود وأول من كساها الديباج الحجاج بن يوسف **قلت** وقد كانوا أخرجوا منها الحجر وهو ستة أذرع أو سبعة أذرع من ناحية الشام قصرت بهم النفقة أي لم يتمكنوا أن يبنوه على قواعد إبراهيم وجعلوا للكعبة بابا واحدا من ناحية الشرق وجعلوه مرتفعا لئلا يدخل كل أحد إليها فيدخلوا من شاؤوا ويمنعوا من شاؤوا وقد ثبت في الصحيحين عن عائشة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لها ألم تري أن قومك قصرت بهم النفقة ولولا حدثان قومك بكفر لنقضت الكعبة وجعلت لها بابا شرقيا وبابا غربيا وأدخلت فيها الحجر ولهذا لما تمكن ابن الزبير بناها على ما أشار إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانت في غاية البهاء والحسن والسناء كاملة على قواعد الخليل لها بابان ملتصقان بالأرض شرقيا وغربيا يدخل الناس من هذا ويخرجون من الآخر فلما قتل الحجاج ابن الزبير كتب إلى عبد الملك بن مروان فيما صنعه ابن الزبير واعتقدوا أنه فعل ذلك من تلقاء نفسه فأمر بإعادتها على ما كانت عليه فعمدوا إلى الحائط الشامي فحصوه فأخرجوا منه الحجر ورصوا حجارته في أرض الكعبة فارتفع بابها وسدوا الغربي واستمر الشرقي على ما كان عليه فلما كان في زمن المهدي أو أبيه المنصور استشار مالكا في إعادتها على ما كان صنعه ابن الزبير فقال إني أكره أن يتخذها الملوك لعبة فتركها على ما هي عليه فهي إلى الآن كذلك وأما المسجد الحرام فأول من أخر البيوت من حول الكعبة عمر بن الخطاب اشتراها من أهلها وهدمها فلما كان عثمان اشترى دورا وزادها فيه فلما ولي ابن الزبير أحكم بنيانه وأكثر أبوابه وحسن جدرانه فلما استبد بالأمر عبد الملك بن مروان زاد في ارتفاع جداره وأمر بالكعبة فكسيت الديباج وكان الذي تولى ذلك بأمره الحجاج بن يوسف وقد ذكرنا قصة بناء البيت والأحاديث الواردة في ذلك في تفسير سورة البقرة عند قوله وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل وذكرنا ذلك مطولا مستقصى فمن شاء كتبه هناك ولله الحمد قال ابن إسحاق فلما فرغوا من البنيان وبنوها على ما أرادوا قال الزبير بن عبد المطلب فيما كان من أمر الحية التي كانت قريش تهاب بنيان الكعبة لها

عجبت لما تصوبت العقاب ... إلى الثعبان وهي لها اضطراب
وقد كانت يكون لها كشيش ... وأحيانا يكون لها وثاب
إذا قمنا إلى التأسيس شدت ... تهيبنا البناء وقد تهاب
فلما أن خشينا الرجز جاءت ... عقاب تتلئب لها انصباب
فضمتها إليها ثم خلت ... لنا البنيان ليس لها حجاب
فقمنا حاشدين إلى بناء ... لنا منه القواعد والتراب
غداة نرفع التأسيس منه ... وليس على مسوينا ثياب
أعز به المليك بني لؤي ... فليس لأصله منهم ذهاب
وقد حشدت هناك بنو عدي ... ومرة قد تقدمها كلاب

وقال الإمام أحمد [illegible]

وهو الخليفة يومئذ

وقال الله تعالى وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه قال أأقررتم وأخذتم على ذلكم إصري قالوا أقررنا قال فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين وفي صحيح البخاري عن ابن عباس قال ما بعث الله نبيا إلا أخذ عليه الميثاق لئن بعث محمد وهو حي ليؤمنن به ولينصرنه [illegible]

209

فبوأنا المليك بذاك عزا ... وعند الله يلتمس الثواب

وقد قدمنا في فصل ما كان الله يحوط به رسوله صلى الله عليه وسلم من أقذار الجاهلية أنه كان هو وعمه العباس ينقلان الحجارة وأنه عليه السلام لما وضع إزاره تحت الحجارة على كتفه نهي عن خلع إزاره فأعاده إلى سيرته الأولى **فصل** وذكر ابن إسحاق ما كانت قريش ابتدعوه في تسميتهم الحمس وهو الشدة في الدين والصلابة وذلك لأنهم عظموا الحرم تعظيما زائدا بحيث التزموا بسببه أن لا يخرجوا منه ليلة عرفة وكانوا يقولون نحن أبناء الحرم وقطان بيت الله فكانوا لا يقفون بعرفة مع علمهم أنها من مشاعر إبراهيم الخليل حتى لا يخرجوا عن نظام ما كانوا قرروه من البدعة الفاسدة وكانوا لا يدخرون من اللبن أقطا ولا سمنا ولا يسلئون شحما وهم حرم ولا يدخلون بيتا من شعر ولا يستظلون إن استظلوا إلا ببيت من أدم وكانوا يمنعون الحجيج والعمار ما داموا محرمين أن يأكلوا إلا من طعام قريش ولا يطوفوا بالبيت إلا في ثياب قريش فإن لم يجد أحد منهم ثوب أحد من الحمس وهم قريش وما ولدوا ومن دخل معهم من كنانة وخزاعة طاف عريانا ولو كان امرأة ولهذا كانت المرأة إذا اتفق طوافها لذلك وضعت يدها على فرجها وتقول اليوم يبدو بعضه أو كله وما بدا منه فلا أحله فإن تكرم أحد ممن يجد ثوب أحمسي فطاف في ثياب نفسه فعليه إذا فرغ من الطواف أن يلقيها فلا ينتفع بها بعد ذلك وليس له ولا لغيره أن يمسها وكانت العرب تسمي تلك الثياب اللقى قال بعض الشعراء

كفى حزنا كري عليه كأنه ... لقى بين أيدي الطائفين حريم

قال ابن إسحاق فكانوا كذلك حتى بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم فأنزل الله القرآن ردا عليهم فيما ابتدعوه فقال ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس أي جمهور العرب من عرفات واستغفروا الله إن الله غفور رحيم وقد قدمنا أن رسول الله كان يقف بعرفات قبل أن ينزل عليه توفيقا من الله له وأنزل الله ردا عليهم فيما كانوا حرموا من اللباس والطعام على الناس يا بني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد وكلوا واشربوا ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق الآية وقال زياد البكائي عن ابن إسحاق ولا أدري كان ابتداعهم لذلك قبل الفيل أو بعده

كتاب مبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم

ذكر شيء من البشارات بذلك

قال محمد بن إسحاق رحمه الله وكانت الأحبار من اليهود والرهبان من النصارى والكهان من العرب قد تحدثوا بأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل مبعثه لما تقارب زمانه أما الأحبار من اليهود والرهبان من النصارى فعما وجدوا في كتبهم من صفته وصفة زمانه وما كان من عهد أنبيائهم إليهم فيه قال الله تعالى الذين يتبعون الرسول النبي الأمي الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والإنجيل الآية وقال تعالى وإذ قال عيسى ابن مريم يا بني إسرائيل إني رسول الله إليكم مصدقا لما بين يدي من التوراة ومبشرا برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد وقال تعالى محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعا سجدا يبتغون فضلا من الله ورضوانا سيماهم في وجوههم من أثر السجود ذلك مثلهم في التوراة ومثلهم في الإنجيل كزرع أخرج شطأه الآية وأما الكهان من العرب فأتتهم به الشياطين من الجن فيما تسترق من السمع إذ كانت وهي لا تحجب عن ذلك بالقذف بالنجوم وكان الكاهن والكاهنة لا يزال يقع منهما ذكر بعض أموره ولا يلقي العرب لذلك فيه بالا حتى بعثه الله تعالى ووقعت تلك الأمور التي كانوا يذكرون فعرفوها

فلما تقارب امر رسول الله صلى الله عليه وسلم وحضر زمان مبعثه حجبت الشياطين عن السمع وحيل بينها وبين المقاعد التي كانت تقعد لاستراق السمع فيها فرموا بالنجوم فعرفت الشياطين ان ذلك لامر حدث من امر الله عز وجل قال وفي ذلك انزل الله على رسوله صلى الله عليه وسلم قل اوحي الي انه استمع نفر من الجن السورة وقد ذكرنا تفسير ذلك كله في كتابنا التفسير وكذا قوله تعالى واذ صرفنا اليك نفرا من الجن يستمعون القران فلما حضروه قالوا انصتوا فلما قضي ولوا الى قومهم منذرين قالوا يا قومنا انا سمعنا كتابا انزل من بعد موسى مصدقا لما بين يديه يهدي الى الحق والى طريق مستقيم الايات ذكرنا تفسير ذلك كله هنالك قال محمد بن اسحاق حدثني يعقوب بن عتبة بن المغيرة بن الاخنس انه حدث ان اول العرب فزع للرمي بالنجوم عند رمي بها هذا الحي من ثقيف وانهم جاءوا الى رجل منهم يقال له عمرو بن امية احد بني علاج وكان ادهى العرب وانكرها رايا فقالوا له يا عمرو الم تر ما حدث في السماء من القذف بهذه النجوم قال بلى فانظروا فان كانت معالم النجوم التي يهتدى بها في البر والبحر ويعرف بها الانواء من الصيف والشتاء لما يصلح الناس في معايشهم هي التي يرمى بها فهو والله طي الدنيا وهلاك هذا الخلق وان كانت نجوما غيرها وهي ثابتة على حالها فهذا لامر اراد الله به هذا الخلق فما هو وقال ابن اسحاق وحدثني بعض اهل العلم ان امراة من بني سهم يقال لها الغيطلة كانت كاهنة في الجاهلية جاءها صاحبها ليلة من الليالي فانقض تحتها ثم قال ادر ما ادر يوم عقر ونحر فقالت قريش حين بلغها ذلك ما يريد ثم جاءها ليلة اخرى فانقض تحتها ثم قال شعوب ما شعوب تصرع فيه كعب لجنوب فلما بلغ ذلك قريشا قالوا ماذا يريد ان هذا لامر هو كائن فانظروا ما هو فما عرفوه حتى كانت وقعة بدر واحد بالشعب فعرفوا انه كان الذي جاء به الى صاحبته قال ابن اسحاق وحدثني علي بن نافع الجرشي ان جنبا بطنا من اليمن كان لهم كاهن في الجاهلية فلما ذكر امر رسول الله صلى الله عليه وسلم وانتشر في العرب قالت له جنب انظر لنا في امر هذا الرجل واجتمعوا له في اسفل جبله فنزل اليهم حين طلعت الشمس فوقف لهم قائما متكئا على قوس له فرفع راسه الى السماء طويلا ثم جعل ينزو ثم قال ايها الناس ان الله اكرم محمدا واصطفاه وطهر قلبه وحشاه ومكثه فيكم ايها الناس قليل ثم اشتد في جبله راجعا من حيث جاء ثم ذكر ابن اسحاق قصة سواد بن قارب وقد اخرناها الى هواتف الجان

فصل قال ابن اسحاق وحدثني عاصم بن عمر بن قتادة عن رجال من قومه قالوا ان مما دعانا الى الاسلام مع رحمة الله تعالى وهداه لما كنا نسمع من يهود كنا اهل شرك اصحاب اوثان وكانوا اهل كتاب عندهم علم ليس لنا وكانت لا تزال بيننا وبينهم شرور فاذا نلنا منهم بعض ما يكرهون قالوا لنا انه قد تقارب زمان نبي يبعث الان نقتلكم معه قتل عاد وارم فكنا كثيرا ما نسمع ذلك منهم فلما بعث الله رسوله صلى الله عليه وسلم اجبناه حين دعانا الى الله وعرفنا ما كانوا يتوعدوننا به فبادرناهم اليه فامنا به وكفروا به ففينا وفيهم نزلت هذه الاية ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين وقال ورقاء عن ابن ابي نجيح عن علي الازدي كانت اليهود تقول اللهم ابعث لنا هذا النبي يحكم بيننا وبين الناس يستفتحون به اي يستنصرون به رواه البيهقي ثم روي من طريق عبد الملك بن هارون عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال كانت يهود خيبر تقاتل غطفان فكلما التقوا هزمت يهود خيبر فعاذت اليهود بهذا الدعاء فقالوا اللهم انا نسالك بحق محمد النبي

[في الهامش: بن عنترة عن ابيه عن جده م]

الامي الذي وعدتنا ان تخرجه لنا في اخر الزمان الا نصرتنا عليهم قال فكانوا اذا التقوا دعوا بهذا الدعاء فهزموا غطفان فلما بعث النبي صلى الله عليه وسلم كفروا به فانزل الله وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا الاية وروى عطية عن ابن عباس نحوه وروي عن عكرمة من قوله نحو ذلك ايضا وقال ابن اسحاق وحدثني صالح بن ابراهيم بن عبد الرحمن بن عوف عن محمود بن لبيد عن سلمة بن سلامة بن وقش وكان من اهل بدر قال كان لنا جار من يهود في بني عبد الاشهل قال فخرج علينا يوما من بيته حتى وقف على بني عبد الاشهل قال سلمة وانا يومئذ احدث من فيه سنا على فروة لي مضطجع فيها بفناء اهلي فذكر القيامة والبعث والحساب والميزان والجنة والنار قال فقال ذلك لقوم اهل شرك اصحاب اوثان لا يرون ان بعثا كائن بعد الموت فقالوا له ويحك يا فلان اوترى هذا كائنا ان الناس يبعثون بعد موتهم الى دار فيها جنة ونار يجزون فيها باعمالهم قال نعم والذي يحلف به ويود ان له بحظه من تلك النار اعظم تنور في الدار يحمونه ثم يدخلونه اياه فيطبقونه عليه بان ينجو من تلك النار غدا قالوا له ويحك يا فلان فما اية ذلك قال نبي مبعوث من نحو هذه البلاد واشار بيده الى مكة واليمن قالوا ومتى نراه قال فنظر الي وانا من احدثهم سنا فقال ان يستنفد هذا الغلام عمره يدركه قال سلمة فوالله ما ذهب الليل والنهار حتى بعث الله رسوله صلى الله عليه وسلم وهو حي بين اظهرنا فامنا به وكفر به بغيا وحسدا قال فقلنا له ويحك يا فلان الست الذي قلت لنا فيه ما قلت قال بلى ولكن ليس به وروى ابو نعيم في الدلائل عن عاصم بن عمر بن قتادة عن محمود بن لبيد عن محمد بن سلمة قال لم يكن في بني عبد الاشهل الا يهودي واحد يقال له يوشع فسمعته يقول واني لغلام في ازار قد اظلكم خروج نبي يبعث من نحو هذا البيت ثم اشار بيده الى بيت الله فمن ادركه فليصدقه فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم واسلمنا وهو بين اظهرنا لم يسلم حسدا وبغيا وقدمنا حديث ابي سعيد عن ابيه في اخبار يوشع هذا عن خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم وصفته ونعته واخبار الزبير بن باطا عن ظهور كوكب مولد رسول الله صلى الله عليه وسلم ورواه البيهقي عن الحاكم باسناده من طريق يونس بن بكير عنه وقال ابن اسحاق وحدثني عاصم بن عمر بن قتادة عن شيخ من بني قريظة قال قال لي هل تدري عم كان اسلام ثعلبة بن سعية واسيد بن سعية واسد بن عبيد نفر من هدل اخوة بني قريظة كانوا معهم في جاهليتهم ثم كانوا ساداتهم في الاسلام وفيهم نزل الله من اهل الكتاب امة قائمة يتلون ايات الله اناء الليل الاية قال السهيلي قال فاما زيد بن سعنة بالنون فحبر من اليهود وكان له على رسول الله صلى الله عليه وسلم دين يتقاضاه فاغلظ في طلبه ليختبر حلم رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم اسلم قال ويقال فيه زيد بن سعية بالياء ايضا قال قلت لا قال فان رجلا من اليهود من اهل الشام يقال له ابن الهيبان قدم علينا قبل الاسلام بسنين فحل بين اظهرنا لا والله ما راينا رجلا قط لا يصلي الخمس افضل منه فاقام عندنا فكنا اذا قحط عنا المطر قلنا له اخرج يا ابن الهيبان فاستسق لنا فيقول لا والله حتى تقدموا بين يدي مخرجكم صدقة فيقول له كم فيقول صاعا من تمر او مدين من شعير قال فنخرجها ثم يخرج بنا الى ظاهر حرتنا فيستسقي لنا فوالله ما يبرح مجلسه حتى يمر السحاب ويسقى قد فعل ذلك غير مرة ولا مرتين ولا ثلاث قال ثم حضرته الوفاة عندنا فلما عرف انه ميت قال يا معشر يهود ما ترونه اخرجني من ارض الخمر والخمير الى ارض البؤس والجوع قال قلنا انت

[في الهامش: رواه احمد عن يعقوب عن ابيه عن ابن عباس ورواه البيهقي عن الحاكم باسناده من طريق يونس بن بكير م]

[في الهامش: قال الدارقطني أسيد بالفتح اصح]

اعلم قال فاني انما قدمت هذه البلدة اتوكف خروج نبي قد اظل زمانه هذه البلدة مهاجره
فكنت ارجوا ان يبعث فاتبعه وقد اظلكم زمانه فلا تسبقن اليه يا معشر يهود فانه يبعث
بسفك الدما وسبي الذراري ممن خالفه فلا يمنعكم ذلك منه فلما بعث رسول الله صلى الله
عليه وسلم وحاصر بني قريظة قال هولا الفتية وكانوا شبابا احداثا يا بني قريظة والله
انه للنبي الذي كان عهد اليكم فيه ابن الهيبان قالوا ليس به قالوا بلى والله انه لهو بصفته
فنزلوا فاسلموا فاحرزوا دماهم واموالهم واهليهم قال ابن اسحاق فهذا ما بلغنا عن احبار
يهود **قلت** وقد قدمنا في قدوم تبع اليماني وهو ابو كرب تبان اسعد الى المدينة
ومحاصرته اياها وانه خرج اليه ذانك الحبران من اليهود فقالا له انه لا سبيل لك عليها
انها مهاجر نبي يكون في اخر الزمان فثناه ذلك عنها وقد روى ابو نعيم في الدلايل من طريق
الوليد بن مسلم ثنا محمد بن حمزة بن يوسف بن عبد الله بن سلام عن ابيه عن جده قال قال عبد الله
بن سلام ان الله لما اراد هدى زيد بن سعنة قال زيد لم يبق من علامات النبوة شي الا
وقد عرفتها في وجه محمد صلى الله عليه وسلم حين نظرت اليه الا اثنتين لم اخبرهما منه يسبق
حلمه جهله ولا يزيده شدة الجهل عليه الا حلما قال فكنت اتلطف له لان اخالطه فاعرف
حلمه وجهله فذكر قصة اسلافه للنبي صلى الله عليه وسلم مالا في ثمرة قال فلما حل الاجل اتيته
فاخذت بمجامع قميصه وردايه وهو في جنازة مع اصحابه ونظرت اليه بوجه غليظ وقلت
يا محمد الا تقضيني حقي فوالله ما علمتكم بني عبد المطلب لمطل قال فنظرت الى عمر وعيناه يدوران
في وجهه كالفلك المستدير ثم قال يا عدو الله اتقول لرسول الله ما اسمع وتفعل ما ارى
فوالذي بعثه بالحق لولا ما احاذر فوته لضربت بسيفي راسك ورسول الله ينظر الى عمر في سكون
وتودة ويبتسم ثم قال انا وهو كنا احوج الى غير هذا منك يا عمر ان تامرني بحسن الادا وتامره
بحسن التباعة اذهب به يا عمر فاقضه حقه وزده عشرين صاعا من تمر فاسلم زيد بن سعنة
رضي الله عنه وشهد بقية المشاهد مع رسول الله وتوفي عام تبوك رحمه الله

ثم ذكر محمد بن اسحاق رحمه الله اسلام سلمان الفارسي رضي الله عنه

قال حدثني عاصم بن عمر بن قتادة الانصاري عن محمود بن لبيد عن عبد الله قال حدثني
سلمان الفارسي من فيه قال كنت رجلا فارسيا من اهل اصبهان من قرية يقال لها جي وكان ابي
دهقان قريته وكنت احب خلق الله اليه لم يزل به حبه اياي حتى حبسني في بيته كما تحبس
الجارية واجتهدت في المجوسية حتى كنت قطن النار الذي توقدها لا تتركها تخبو ساعة قال
وكانت لابي ضيعة عظيمة قال فشغل في بنيان له يوما فقال لي يا بني اني قد شغلت في بنياني
هذا اليوم عن ضيعتي فاذهب اليها فاطلعها وامرني فيها ببعض ما يريد ثم قال لي ولا تحتبس
عني فانك ان احتبست عني كنت اهم الي من ضيعتي وشغلتني عن كل شي من امري قال فخرجت
اريد ضيعته التي بعثني اليها فمررت بكنيسة من كنايس النصارى فسمعت اصواتهم فيها وهم
يصلون وكنت لا ادري ما امر الناس لحبس ابي اياي في بيته فلما سمعت اصواتهم دخلت عليهم
انظر ما يصنعون فلما رايتهم اعجبتني صلاتهم ورغبت في امرهم وقلت هذا والله خير من
الدين الذي نحن عليه فوالله ما برحتهم حتى غربت الشمس وتركت ضيعة ابي فلم اتها ثم قلت
لهم اين اصل هذا الدين قالوا بالشام فرجعت الى ابي وقد بعث في طلبي وشغلته عن امره كله
فلما جيته قال اي بني اين كنت الم اكن عهدت اليك ما عهدت قال قلت يا ابت مررت

محمد بن م

العرم

بن عباس م
جى بالفتح ثم التشديد عام مدينة اصفهان القديم
راهد

باناس يصلون في كنيسة لهم فاعجبني ما رايت من دينهم فوالله ما زلت عندهم حتى غربت
الشمس قال اي بني ليس في ذلك الدين خير دينك ودين ابايك خير منه قال قلت له
كلا والله انه لخير من ديننا قال فخافني فجعل في رجلي قيدا ثم حبسني في بيته قال وبعثت
الى النصارى فقلت لهم اذا قدم عليكم ركب من الشام فاخبروني بهم قال فقدم عليهم
ركب من الشام تجار من النصارى فاخبروني بهم فقلت لهم اذا قضوا حوايجهم وارادوا الرجعة
الى بلادهم فاذنوني قال فلما ارادوا الرجعة الى بلادهم اخبروني بهم فالقيت الحديد من
رجلي ثم خرجت معهم حتى قدمنا الشام فلما قدمتها قلت من افضل اهل هذا الدين علما قالوا
الاسقف في الكنيسة قال فجيته فقلت له اني قد رغبت في هذا الدين واحببت ان
اكون معك واخدمك في كنيستك واتعلم منك واصلي معك قال ادخل فدخلت معه
قال فكان رجل سوء يامرهم بالصدقة ويرغبهم فيها فاذا جمعوا له شيا منها اكتنزه لنفسه
ولم يعطه المساكين حتى جمع سبع قلال من ذهب وورق قال فابغضته بغضا شديدا
لما رايته يصنع ثم مات واجتمعت له النصارى ليدفنوه فقلت لهم ان هذا كان رجل سوء
يامركم بالصدقة ويرغبكم فيها فاذا جيتموه بها اكتنزها لنفسه ولم يعط المساكين منها
شيا قال فقالوا وما علمك بذلك قال فقلت لهم انا ادلكم على كنزه قالوا فدلنا عليه
قال فاريتهم موضعه فاستخرجوا سبع قلال مملوة ذهبا وورقا فلما راوها قالوا لا ندفنه
ابدا قال فصلبوه ورجموه بالحجارة وجاوا برجل اخر فجعلوه مكانه قال يقول سلمان
فما رايت رجلا لا يصلي الخمس اري انه افضل منه ازهد في الدنيا ولا ارغب في الاخرة ولا ادأب
ليلا ولا نهارا قال فاحببته حبا لم احبه شيا قبله قال فاقمت معه زمانا ثم حضرته
الوفاة فقلت له اني قد كنت معك واحببتك حبا لم احبه شيا قبلك وقد حضرك
ما ترى من امر الله فالى من توصي بي وبم تامرني قال اي بني والله ما اعلم اليوم احدا على ما كنت
عليه لقد هلك الناس وبدلوا وتركوا اكثر ما كانوا عليه الا رجلا بالموصل وهو فلان على
ما كنت عليه فالحق به قال فلما مات وغيب لحقت بصاحب الموصل فقلت له يا فلان
ان فلانا اوصاني عند موته ان الحق بك واخبرني انك على امره فقال لي اقم عندي فاقمت
عنده فوجدته خير رجل على امر صاحبه فلم يلبث ان مات فلما حضرته الوفاة قلت له
يا فلان ان فلانا اوصى بي اليك وامرني باللحوق بك وقد حضرك من امر الله ما ترى فالى من
توصي بي وبم تامرني قال يا بني والله ما اعلم رجلا على مثل ما كنا عليه الا رجلا بنصيبين
وهو فلان فالحق به فلما مات وغيب لحقت بصاحب نصيبين فاخبرته خبري وما امرني به
صاحبي فقال اقم عندي فاقمت عنده فوجدته على امر صاحبيه فاقمت مع خير رجل فوالله
ما لبث ان نزل به الموت فلما حضر قلت له يا فلان ان فلانا كان اوصى بي الى فلان ثم اوصى بي
فلان اليك فالى من توصي بي وبم تامرني قال يا بني والله ما اعلمه بقي احد على امرنا امرك
ان تاتيه الا رجلا بعمورية من ارض الروم فانه على مثل ما نحن عليه فان احببت فاته فانه على
امرنا فلما مات وغيب لحقت بصاحب عمورية فاخبرته خبري فقال اقم عندي فاقمت عند
خير رجل على هدي اصحابه وامرهم قال واكتسبت حتى كانت لي بقرات وغنيمة قال ثم نزل به
امر الله فلما حضر قلت له يا فلان اني كنت مع فلان فاوصى بي الى فلان ثم اوصى بي فلان الى
فلان ثم اوصى فلان اليك فالى من توصي بي وبم تامرني قال اي بني والله ما اعلمه اصبح

احد على مثل ما كنا عليه من الناس امرك به ان تاتيه ولكنه قد اظل زمان نبي هو مبعوث
بدين ابراهيم يخرج بارض العرب مهاجره الى ارض بين حرتين بينهما نخل به علامات لا تخفى
ياكل الهدية ولا ياكل الصدقة بين كتفيه خاتم النبوة فان استطعت ان تلحق بتلك
البلاد فافعل قال ثم مات وغيب ومكثت بعمورية ما شاء الله ان امكث ثم مر بي نفر من
كلب تجار فقلت لهم احملوني الى ارض العرب واعطيكم بقراتي هذه وغنيمتي هذه قالوا نعم
فاعطيتهموها وحملوني معهم حتى اذا بلغوا وادي القرى ظلموني فباعوني من رجل يهودي عبدا
فكنت عنده ورايت النخل فرجوت ان يكون البلد الذي وصف لي صاحبي ولم يحق في نفسي
فبينا انا عنده اذ قدم عليه ابن عم له من بني قريظة من المدينة فابتاعني منه فاحتملني
الى المدينة فوالله ما هو الا ان رايتها فعرفتها بصفة صاحبي لها فاقمت بها وبعث رسول
الله صلى الله عليه وسلم فاقام بمكة ما اقام لا اسمع له بذكر مع ما انا فيه من شغل الرق ثم
هاجر الى المدينة فوالله اني لفي عذق لسيدي اعمل فيه بعض العمل وسيدي جالس اذ اقبل
ابن عم له حتى وقف عليه فقال له يا فلان قاتل الله بني قيلة والله انهم الآن لمجتمعون بقباء
على رجل قدم عليهم من مكة اليوم يزعمون انه نبي قال سلمان فلما سمعتها اخذتني العرواء
حتى ظننت اني ساسقط على سيدي فنزلت عن النخلة فجعلت اقول لابن عمه ماذا تقول
ماذا تقول فغضب سيدي فلكمني لكمة شديدة ثم قال ما لك ولهذا اقبل على عملك قال
فقلت لا شيء انما اردت ان استثبته عما قال قال وقد كان عندي شيء قد جمعته فلما
امسيت اخذته ثم ذهبت به الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بقباء فدخلت
عليه فقلت له انه قد بلغني انك رجل صالح ومعك اصحاب لك غربا ذوو حاجة وهذا
شيء كان عندي للصدقة فرايتكم احق به من غيركم قال فقربته اليه فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم لاصحابه كلوا وامسك يده فلم ياكل قال فقلت في نفسي هذه واحدة
ثم انصرفت عنه فجمعت شيئا وتحول رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة ثم جئت
به فقلت له اني قد رايتك لا تاكل الصدقة وهذه هدية اكرمتك بها قال
فاكل رسول الله صلى الله عليه وسلم منها وامر اصحابه فاكلوا معه قال فقلت في نفسي
هاتان ثنتان قال ثم جئت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ببقيع الغرقد قد
تبع جنازة رجل من اصحابه علي شملتان لي وهو جالس في اصحابه فسلمت عليه ثم استدرت
انظر الى ظهره هل ارى الخاتم الذي وصف لي صاحبي فلما رآني رسول الله صلى الله عليه وسلم
استدبرته عرف اني استثبت في شيء وصف لي فالقى رداءه عن ظهره فنظرت الى الخاتم
فعرفته فانكببت عليه اقبله وابكي فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم تحول فتحولت
فجلست بين يديه فقصصت عليه حديثي كما حدثتك يا ابن عباس فاعجب رسول الله
صلى الله عليه وسلم ان يسمع ذلك اصحابه ثم شغل سلمان الرق حتى فاته مع رسول الله صلى
الله عليه وسلم بدر واحد قال سلمان ثم قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم كاتب
يا سلمان فكاتبت صاحبي على ثلثمائة نخلة احييها له بالفقير وباربعين اوقية فقال رسول غلة
الله صلى الله عليه وسلم لاصحابه فاعانوني بالنخل الرجل بثلاثين ودية والرجل بعشرين اعينوا اخاكم
ودية والرجل بخمس عشرة والرجل بعشر يعين الرجل بقدر ما عنده حتى اجتمعت لي ثلثمائة
ودية فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم اذهب يا سلمان ففقر لها فاذا فرغت

فانني كن

فانني كنت انا اضعها بيدي قال ففقرت واعانني اصحابي حتى اذا فرغت جئته فاخبرته
فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم معي اليها فجعلنا نقرب اليه الودي ويضعه رسول الله
صلى الله عليه وسلم بيده حتى اذا فرغنا فوالذي نفس سلمان بيده ما ماتت منها ودية
واحدة فاديت النخل وبقي علي المال فاتي النبي صلى الله عليه وسلم بمثل بيضة الدجاجة
من ذهب من بعض المعادن فقال ما فعل الفارسي المكاتب قال فدعيت له فقال خذ هذه
فاد بها ما عليك يا سلمان قال قلت واين تقع هذه مما علي يا رسول الله مما علي فقال خذها
فان الله سيؤدي بها عنك قال فاخذتها فوزنت لهم منها والذي نفس سلمان بيده اربعين
اوقية فاوفيتهم حقهم وعتق سلمان فشهدت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الخندق
حرا ثم لم يفتني بعد مشهد قال ابن اسحاق وحدثني يزيد بن ابي حبيب عن رجل من عبد
القيس عن سلمان قال لما قلت واين تقع هذه من الذي علي يا رسول الله اخذها رسول
الله صلى الله عليه وسلم فقلبها على لسانه ثم قال خذها فاوفهم منها فاخذتها فاوفيتهم
منها حقهم كله اربعين اوقية وقال ابن اسحاق حدثني عاصم بن عمر بن قتادة حدثني من لا
اتهم عن عمر بن عبد العزيز بن مروان قال حدثت عن سلمان انه قال لرسول الله صلى الله
عليه وسلم حين اخبره خبره ان صاحب عمورية قال له ايت كذا وكذا من ارض الشام فان
بها رجلا بين غيضتين يخرج كل سنة من هذه الغيضة مستجيزا يعترضه ذوو الاسقام
فلا يدعو لاحد الا شفي فسله عن هذا الدين الذي تبتغي فهو يخبرك عنه قال سلمان فخرجت
حتى جئت حيث وصف لي فوجدت الناس قد اجتمعوا بمرضاهم هناك حتى خرج لهم
تلك الليلة مستجيزا من احدى الغيضتين الى الاخرى فغشيه الناس بمرضاهم لا يدعو
لمريض الا شفي وغلبوني عليه فلم اخلص اليه حتى دخل الغيضة التي يريد ان يدخل الا منكبه
قال فتناولته فقال من هذا والتفت الي قال فقلت يرحمك الله اخبرني عن الحنيفية
دين ابراهيم قال انك لتسال عن شيء ما يسال عنه الناس اليوم قد اظلك زمان نبي
يبعث بهذا الدين من اهل الحرم فائته فهو يحملك عليه قال ثم دخل فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم لسلمان لئن كنت صدقتني يا سلمان لقد لقيت عيسى بن مريم هكذا وقع في
هذه الرواية وفيه رجل مبهم وهو شيخ عاصم بن قتادة وقد قيل انه الحسن بن عمارة ثم هو
منقطع بل معضل بين عمر بن عبد العزيز وسلمان رضي الله عنه وقوله فيه لئن كنت صدقتني
يا سلمان لقد لقيت عيسى بن مريم غريب جدا بل منكر فان الفترة اقل ما قيل انها
اربعمائة سنة وقيل ستمائة سنة بالشمسية وسلمان اكثر ما قيل انه عاش ثلثمائة سنة
وخمسين سنين وحكى العباس بن يزيد البحراني اجماع مشايخه على انه عاش مائتين وخمسين سنة
وخمسين سنة واختلفوا فيما زاد الى ثلثمائة وخمسين سنة والله اعلم والظاهر انه قال
لقد لقيت وصي عيسى بن مريم فهذا ممكن اذ قد يكون ذلك عمره دهرا طويلا وسلمان
عمر بعده دهرا اخر والله اعلم بالصواب وقال السهيلي الرجل المبهم هو الحسن بن عمارة
وهو ضعيف وان صح لم يكن فيه نكارة لان ابن جرير ذكر ان المسيح نزل من السماء بعد ما رفع
بيكيان فوجد امه وامراة اخرى عند جذع المصلوب فاخبرهما انه لم يقتل وبعث الحواريين بعد
ذلك قال واذا جاز نزوله مرة جاز نزوله مرارا ثم يكون نزوله الظاهر حين يكسر الصليب
ويقتل الخنزير ويتزوج حينئذ امراة من بني جذام واذا مات دفن في روضة النبي صلى الله

عليه وسلم وقد روى البيهقي في كتابه دلائل النبوة قصة سلمان هذه من طريق يونس
بن بكير عن محمد بن اسحاق كما تقدم ورواها ايضا عن الحاكم عن الاصم عن يحيى بن ابي طالب
ثنا علي بن عاصم انا حاتم بن ابي صغيرة عن سماك بن حرب عن زيد بن صوحان ان سلمان
يحدث كيف كان اول اسلامه فذكر قصة طويلة فذكر انه كان من رامهرمز وكان له اخ اكبر منه
غني وسلمان كان فقيرا في كنف اخيه وان ابن دهقانها كان صاحبا له وكان يختلف معه
الى معلم لهم وانه كان يختلف ذلك الغلام الى عباد من النصارى في كهف فسأله سلمان
ان يذهب به معه اليهم فقال له انك غلام واخشى ان تنم عليهم فيقتلهم ابي فالتزم له
ان لا يكون منه شيء يكرهه فذهب به معه فاذا هم ستة او سبعة كان الروح قد خرج منهم من
العبادة يصومون النهار ويقومون الليل يأكلون الشجر وما وجدوا فذكر عنهم انهم يؤمنون
بالرسل المتقدمين وان عيسى عبد الله ورسوله وابن امته ايده بالمعجزات وقالوا له يا غلام
ان لك ربا وان لك معادا وان بين يديك جنة ونارا وان هؤلاء القوم الذين يعبدون
النيران اهل كفر وضلالة لا يرضى الله بما يصنعون وليسوا على دين ثم جعل يتردد مع
ذلك الغلام اليهم ثم لزمهم سلمان بالكلية ثم اجلاهم ملك تلك البلاد وهو ابو ذلك
الغلام الذي صحبه سلمان اليهم عن ارضه واحتبس الملك ابنه عنده وعرض سلمان
دينهم على اخيه الذي هو اكبر منه فقال اني مشتغل بنفسي في طلب المعيشة فارتحل معهم سلمان
حتى دخلوا كنيسة الموصل فسلم عليهم اهلها ثم ارادوا ان يتركوني عندهم فابيت الا صحبتهم
فخرجوا حتى اتوا واديا بين جبال فتحدر اليهم رهبان تلك الناحية يسلمون عليهم واجتمعوا
اليهم وجعلوا يسألونهم عن غيبتهم عنهم ويسألونهم عني فيثنون علي خيرا وجاء رجل معظم
فيهم فخطبهم فاثنى على الله بما هو اهله وذكر الرسل وما ايدوا به وذكر عيسى بن مريم وانه
كان عبد الله ورسوله وامرهم بالخير ونهاهم عن الشر ثم لما ارادوا الانصراف تبعه سلمان ولزمه
قال وكان يصوم النهار ويقوم الليل من الاحد الى الاحد الاخر فيخرج اليهم ويعظهم ويأمرهم
وينهاهم فمكث على ذلك مدة ثم اراد ان يزور بيت المقدس فصحبه سلمان اليه قال فكان
فيما يمشي يلتفت الي ويقبل علي فيعظني ويخبرني ان لي ربا وان بين يدي جنة ونارا وحسابا
ويعلمني ويذكرني نحو ما كان يذكر القوم يوم الاحد حتى قال فيما يقول لي يا سلمان ان الله
سوف يبعث رسولا اسمه احمد يخرج بتهامة ياكل الهدية ولا ياكل الصدقة بين كتفيه خاتم
وهذا زمانه الذي يخرج فيه قد تقارب فاما انا فاني شيخ كبير ولا احسبني ادركه فان ادركته
انت فصدقه واتبعه قلت وان امرني بترك دينك وما انت عليه قال وان امرك فان الحق
فيما يجيء به ورضى الرحمن فيما قال ثم ذكر قدومهما الى بيت المقدس وان صاحبه صلى
فيه ها هنا وها هنا ثم نام وقد اوصاه ان اذا بلغ الظل مكان كذا ان يوقظه فتركه سلمان
حينا اخر ازيد مما قال ليستريح فلما استيقظ ذكر الله ولام سلمان على ترك ما امره
به من ذلك ثم خرجا من بيت المقدس فسأله مقعد فقال يا عبد الله سألتك حين دخلت
فلم تعطني شيئا وها انا اسألك فنظر فلم ير احدا فاخذ بيده وقال قم بسم الله فقام
وليس به بأس ولا قلبة كانما نشط من عقال فقال لي يا عبد الله احمل علي متاعي حتى اذهب
الى اهلي فابشرهم فاشتغلت به ثم ادركت الرجل فلم الحقه ولم ادر اين ذهب وكلما سألت
عنه قوما قالوا امامك حتى لقيني ركب من العرب من بني كلب فسألتهم فلما سمعوا لغتي اناخ

رجل منهم

رجل منهم بعيره فحملني خلفه حتى اتوا بي بلادهم فباعوني فاشترتني امرأة من الانصار فجعلتني
في حائط لها وقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم ذكر ذهابه اليه بالصدقة والهدية
ليستعلم ما قال صاحبه ثم تطلب النظر الى خاتم النبوة فلما رآه آمن من ساعته واخبر
رسول الله خبره الذي جرى له قال فامر رسول الله صلى الله عليه وسلم ابا بكر الصديق
فاشتراه من سيدته فاعتقه قال ثم سألته يوما عن دين النصارى فقال لا خير فيهم قال
فوقع في نفسي من اولئك الذين صحبتهم ومن ذلك الرجل الصالح الذي كان معه ببيت المقدس
فدخلني من ذلك امر عظيم حتى انزل الله على رسوله صلى الله عليه وسلم ولتجدن اقربهم مودة
للذين امنوا الذين قالوا انا نصارى ذلك بان منهم قسيسين ورهبانا وانهم لا يستكبرون
فدعاني رسول الله صلى الله عليه وسلم فجئت وانا خائف فجلست بين يديه فقرأ بسم
الله الرحمن الرحيم ذلك بان منهم قسيسين ورهبانا وانهم لا يستكبرون الاية ثم قال
يا سلمان اولئك الذين كنت معهم وصاحبك لم يكونوا نصارى انما كانوا مسلمين فقلت يا رسول — الذين
الله والذي بعثك بالحق لهو امرني باتباعك فقلت له وان امرني بترك دينك وما انا
عليه فاتركه قال نعم فاتركه فان الحق وما يرضي الله فيما يأمرك وفي هذا السياق غرابة
كثيرة وفيه بعض المخالفة لسياق محمد بن اسحاق وطريق ابن اسحاق اقوى اسنادا واحسن
اقتصاصا واقرب الى ما رواه البخاري في صحيحه من حديث معتمر بن سليمان بن طرخان
التيمي عن ابيه عن ابي عثمان النهدي عن سلمان الفارسي انه تداوله بضعة عشر من رب
الى رب اي من معلم ومرب الى مثله والله اعلم وقال السهيلي وكذلك استقصى قصة — تداوله ثلاثون سيدا من سيد الى سيد فالله اعلم
اسلامه الحافظ ابو نعيم في الدلائل واورد لها اسانيد والفاظا كثيرة وفي بعضها ان اسم
سيدته التي كاتبته حليسة والله اعلم

ذكر اخبار غريبة في ذلك

وقال ابو نعيم في الدلائل حدثنا سليمان بن احمد ثنا محمد بن زكريا الغلابي ثنا العلاء بن
الفضل بن عبد الملك بن ابي سوية المنقري ثنا عباد بن كسيب عن ابيه عن ابي عنوارة الخزاعي
عن سعير بن سوادة العامري قال كنت عسيفا لعقيلة من عقايل الحي اركب لها الصعب
والذلول لا الوي من البلاد مطرحا ارجو ربحا في متجر الا اتيته فانصرفت من الشام بحرثه
واثاث اريد به كبد الموسم ودهماء العرب فدخلت مكة بليل مسدف فاقمت حتى تعالى
متنصف الليل فرفعت راسي فاذا قباب شامخة شعف الجبال مضروبة بانطاع الطايف
واذا جزائر تنحر واخرى تساق واذا اكلة وحثثة على الطهاة يقولون الا عجلوا الا عجلوا
واذا رجل مجهر على نشز من الارض ينادي يا وفد الله ميلوا الى الغداء وانيسان على مدرجه
يقول يا وفد الله من طعم فليرح الى العشاء فجهرني ما رايت فقلت اريد عميد القوم
فعرف رجل الذي اريد فقال امامك واذا شيخ كان في خديه الاساريع وكان الشعرى توقد
من جبينه قد لاث على راسه عمامة سوداء قد ابرز من ملاثها جمة فينانة كانها سماسم قال
في بعض الروايات تحته كرسي سماسم ودونها نمرقة بيده قضيب يتخصر به حوله
مشايخ جلة نواكس الاذقان ما منهم احد يفيض بكلمة وقد كان نمي الي خبر من احبار الشام — جلة
ان النبي الامي هذا اوان نجومه فلما رايته ظننته ذلك فقلت السلام عليك يا رسول
الله فقال مه مه كلا وكان قد ولينني اياه فقلت من هذا الشيخ فقالوا هذا ابو

فضلة هذا هاشم بن عبد مناف توليت وانا اقول لهذا والله المجد لا مجد الجفنة يعني مكه
الغرب لشام بن عنبسان كان يقال له الجفنة ومده الوطيئة التي حكاها عن هاشم في الرفادة
إطعام الحجيج زمن الموسم وقال ابو نعيم ثنا عبد الله بن محمد بن جعفر ثنا محمد بن احمد بن ابي
يحيى ثنا سعيد بن عثمان ثنا علي بن قتيبة الخراساني ثنا خالد بن الياس عن ابي بكر بن عبد الله
ابن ابي الجهم عن ابيه عن جده قال سمعت ابا طالب يحدث عن عبد المطلب قال بينا انا نائم
في الحجر اذ رايت رؤيا هالتني ففزعت منها فزعا شديدا فاتيت كاهنة قريش وعلي
مطرف خز وجمتي تضرب منكبي فلما نظرت الي عرفت في وجهي التغيير وانا يومئذ سيد قومي
فقالت ما بال سيدنا قد اتانا متغير اللون هل رابه من حدثان الدهر شي فقلت لها
بلى وكان لا يكلمها احد من الناس حتى يقبل يدها اليمنى ثم يضع يده على ام راسها ثم يذكر
حاجته ولم افعل لاني كبير قومي فجلست فقلت اني رايت الليلة وانا نائم في الحجر كان شجرة
نبتت قد نال راسها السماء وضربت باغصانها المشرق والمغرب وما رايت نورا ازهر
منها اعظم من نور الشمس سبعين ضعفا ورايت العرب والعجم ساجدين لها وهي تزداد
كل ساعة عظما ونورا وارتفاعا ساعة تخفى وساعة تزهر ورايت رهطا من قريش قد
تعلقوا باغصانها ورايت قوما من قريش يريدون قطعها فاذا دنوا منها اخذهم شاب
لم ار قط احسن منه وجها ولا اطيب منه ريحا فيكسر اظهرهم ويقلع اعينهم فرفعت يدي
لا تناول منها نصيبا فقلت لمن النصيب فقال النصيب لهولاء الذين تعلقوا
بها وسبقوك اليها فانتبهت مذعورا فزعا فرايت وجه الكاهنة قد تغير ثم قالت
لئن صدقت رؤياك ليخرجن من صلبك رجل يملك المشرق والمغرب ويدين له الناس
ثم قال عبد المطلب لابي طالب لعلك تكون هذا المولود فكان ابو طالب يحدث
بهذا الحديث بعدما ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم وبعدما بعث ثم قال كانت
الشجرة والله اعلم ابا القاسم الامين فيقال لابي طالب الا تؤمن فيقول السبة والعار
وقال ابو نعيم ثنا سليمان بن احمد ثنا محمد بن زكريا الغلابي ثنا العباس بن بكار
الضبي ثنا ابو بكر الهذلي عن عكرمة عن ابن عباس قال قال العباس خرجت في تجارة
الى اليمن في ركب منهم ابو سفيان بن حرب فقدمت اليمن فكنت اصنع يوما طعاما وانصرف
بابي سفيان وبالنفر ويصنع ابو سفيان يوما ويفعل مثل ذلك فقال لي في يومي الذي كنت
اصنع فيه هل لك يا ابا الفضل ان تنصرف الى بيتي وترسل الي غداءك فقلت نعم فانصرفت
انا والنفر الى بيته وارسلت الى الغداء فلما تغدى القوم قاموا واحتبسني فقال هل
علمت يا ابا الفضل ان ابن اخيك يزعم انه رسول الله فقلت اي بني اخي فقال ابو سفيان
اياي تكتم واي بني اخيك ينبغي ان يقول هذا الا رجل واحد قلت وايهم هو على ذلك قال
هو محمد بن عبد الله فقلت قد فعلها قال بلى واخرج كتابا من ابنه حنظلة بن ابي سفيان قد نعلم
اخبرك ان محمدا قام بالابطح فقال انا رسول الله ادعوكم الى الله عز وجل فقال العباس
قلت لعله يا ابا حنظلة صادق فقال مهلا يا ابا الفضل فوالله ما احب ان تقول
مثل هذا اني لاخشى ان يكون على ضير من هذا الحديث يا بني عبد المطلب فوالله ما برحت
قريش تزعم ان لكم هنة وهنة كل واحد منهما غاية لنشدتك يا ابا الفضل هل سمعت
ذلك قلت نعم قد سمعت قال لهذه والله شؤمكم قلت فلعلها يمنتنا قال فكان

قصة عمرو بن مرة الجهني قال الطبراني حدثنا علي بن ابراهيم الخزاعي الاهوازي ثنا عبد الله بن داود بن دلهاث بن اسماعيل بن عبد الله بن مشرع بن ياسر بن سويد صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ثنا ابي عن ابيه دلهاث عن ابيه اسماعيل ان اباه عبد الله حدثه عن ابيه ان اباه ياسر بن سويد حدثه عن عمرو بن مرة الجهني قال خرجت حاجا في جماعة من قومي في الجاهلية فرايت في نومي وانا بمكة نورا ساطعا من الكعبة حتى وصل الى جبل يثرب واشعر جهينة فسمعت صوتا بين النور وهو يقول انقشعت الظلماء وسطع الضياء وبعث خاتم الانبياء ثم اضاء اضاءة اخرى حتى نظرت الى قصور الحيرة وابيض المداين وسمعت صوتا من النور وهو يقول ظهر الاسلام وكسرت الاصنام ووصلت الارحام فانتبهت فزعا فقلت لقومي والله ليحدثن لهذا الحي من قريش حدث واخبرتهم بما رايت فلما انتهينا الى بلادنا جاء ان رجلا يقال له احمد قد بعث فاتيته فاخبرته بما رايت فقال يا عمرو بن مرة انا النبي المرسل الى العباد كافة ادعوهم الى الاسلام وامرهم بحقن الدماء وصلة الارحام وعبادة الله ورفض الاصنام وحج البيت وصيام شهر رمضان من اثني عشر شهرا فمن اجاب فله الجنة ومن عصى فله النار فآمن بالله يا عمرو يؤمنك الله من هول جهنم فقلت اشهد ان لا اله الا الله وانك رسول الله امنت بما جئت به من حلال وحرام وان رغم ذلك كثيرا من الاقوام ثم انشدته ابياتا قلتها حين سمعت به وكان لنا صنم وكان ابي سادنا له فقمت اليه فكسرته ثم لحقت بالنبي صلى الله عليه وسلم وانا اقول

شهدت بان الله حق وانني ... لآلهة الاحجار اول تارك
وشمرت عن ساقي الازار مهاجرا ... اليك اجوب القفر بعد الدكادك
لاصحب خير الناس نفسا ووالدا ... رسول مليك الناس فوق الحبائك

فقال النبي صلى الله عليه وسلم مرحبا بك يا عمرو ابن مرة فقلت يا رسول الله ابعثني الى قومي لعل الله يمن عليهم بي كما من علي بك فبعثني اليهم وقال عليك بالرفق والقول السديد ولا تكن فظا ولا متكبرا ولا حسودا فذكر انه اتى قومه فدعاهم الى ما دعاه اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فاسلموا الا رجلا واحدا منهم وانه وفد بهم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فرحب بهم وحياهم وكتب لهم كتابا هذه نسخته بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب من الله على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم بكتاب صادق وحق ناطق مع عمرو بن مرة الجهني لجهينة بن زيد ان لكم بطون الارض وسهولها وتلاع الاودية وظهورها ترعون نباته وتشربون صافيه على ان تقروا بالخمس وتصلوا صلاة الخمس وفي التبعة والصريمة ان اجتمعتا وان تفرقتا شاة شاة ليس على اهل الميرة صدقة ليس الوردة اللبقة وشهد على نبينا صلى الله عليه وسلم من حضر من المسلمين بكتاب قيس ابن شماس وذكر شعرا قاله عمرو بن مرة في ذلك كما هو مبسوط في المسند الكبير وبالله الثقة وعليه التكلان
تم

٢٦٤

بعد ذلك الا ليالي حتى قدم عبد الله بن حذافة بالخبر وهو مؤمن ففشا ذلك في مجالس اليمن وكان
ابو سفيان يجلس مجلسا باليمن يتحدث فيه حبر من احبار اليهود فقال له اليهودي ما هذا الخبر
بلغني ان فيكم عم هذا الرجل الذي قال ما قال فقال ابو سفيان صدقوا وانا عمه قال اليهودي
اخو ابيه قال نعم قال فحدثني عنه قال لا تسالني لما احب ان يدعي هذا الامر ابدا وما احب ان اعيبه
وغيره خير منه فراى اليهودي انه لا يغمز عليه ولا يحب ان يعيبه فقال اليهودي ليس به باس
على اليهود وتوراة موسى قال العباس فنادى الي الحبر فخشيت فخرجت حتى جلست ذلك المجلس
من الغد وفيه ابو سفيان بن حرب والحبر فقلت للحبر بلغني انك سالت ابن عمي عن رجل منا
زعم انه رسول الله فاخبرك انه عمه وليس بعمه ولكن ابن عمه وانا ابن عمه واخو ابيه قال
اخو ابيه قلت اخو ابيه فاقبل على ابي سفيان فقال اصدق قال نعم صدق فقلت سلني
فان كذبت فليرد علي فاقبل علي فقال انشدتك هل كانت لابن اخيك صبوة او سفهة قلت
لا واله عبد المطلب ولا كذب ولا خان وان عمر رسول الله صلى الله عليه وسلم حين تزوج خديجة
خمسا وعشرين سنة وكان عمر خديجة اذ ذاك كان اسمه عند قريش الامين قال فهل
كتب بيده قال العباس فظننت انه خير له ان يكتب بيده فاردت ان اقولها ثم ذكرت مكان
ابي سفيان انه مكذبي وراد علي فقلت لا يكتب فوثب الحبر وترك رداءه وقال ذبحت يهود
وقتلت يهود قال العباس فلما رجعنا الى منزلنا قال ابو سفيان يا ابا الفضل ان اليهود
تفزع من ابن اخيك قلت قد رايت ما رايت فهل لك يا ابا سفيان ان تؤمن به فان كان
حقا كنت قد سبقت وان كان باطلا فمعك غيرك من اكفائك قال لا اؤمن به حتى ارى الخيل
في كدا قلت ما تقول قال كلمة جاءت على فمي الا اني اعلم ان الله لا يترك خيلا تطلع من كدا
قال العباس فلما استفتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة ونظرنا الى الخيل وقد
طلعت من كدا قلت يا ابا سفيان تذكر الكلمة قال اي والله اني لذاكرها فالحمد لله الذي
هداني للاسلام وهذا سياق حسن عليه البهاء والنور وضياء الصدق واذ كان في رجاله من
هو متكلم فيه والله اعلم وقد تقدم ما ذكرناه من قصة ابي سفيان مع امية بن ابي الصلت وهو
شبيه بهذا الباب ومن اغرب الاخبار واحسنها سياقا وعليها النور وسيأتي ايضا قصته
مع هرقل ملك الروم حين سأله عن صفات رسول الله صلى الله عليه وسلم واحواله واستدلاله
بذلك على صدقه ونبوته ورسالته وقال له قد كنت اعلم انه خارج ولكن لم اكن اظن انه فيكم
ولو اعلم اني اخلص اليه لتجشمت لقيه ولو كنت عنده لغسلت عن قدميه ولئن كان ما تقول
حقا ليبلغن موضع قدمي هاتين وكذلك وقع ولله الحمد وقد اكثر الحافظ ابو نعيم من ايراد الاثار
والاخبار عن الرهبان والاحبار والعرب فاكثر واطنب واحسن واطيب رحمه الله ورضي عنه ٧ وقال
الله تعالى واذ اخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وابراهيم وموسى وعيسى ابن مريم
واخذنا منهم ميثاقا غليظا قال كثير من المفسرين لما اخذ الله ميثاق بني ادم يوم الست بربكم
اخذ من النبيين ميثاقا خاصا واكد مع هولاء الخمسة اولي العزم اصحاب الشرائع الكبار الذين
اولهم نوح واخرهم محمد صلوات الله وسلامه عليهم اجمعين وقد روى الحافظ ابو نعيم في كتاب
دلائل النبوة من طريق عن الوليد بن مسلم ثنا الاوزاعي ثنا يحيى بن ابي كثير عن ابي سلمة عن ابي هريرة
سئل النبي صلى الله عليه وسلم متى وجبت لك النبوة قال بين خلق ادم ونفخ الروح فيه وهكذا
رواه الترمذي من حديث الوليد بن مسلم وقال حسن غريب من حديث ابي هريرة لا نعرفه

الا من هذا الوجه وقال ابو نعيم ثنا سليمان بن احمد ثنا يعقوب بن اسحاق بن الزبير الحلبي
ثنا ابو جعفر النفيلي ثنا عمرو بن واقد عن عروة بن رويم عن الصنابحي قال قال عمر متى جعلت
يا رسول الله
نبيا قال وادم منجدل في الطين ثم رواه من حديث نصر بن مزاحم عن قيس بن الربيع عن
جابر الجعفي عن الشعبي عن ابن عباس قال قيل يا رسول الله متى كنت نبيا قال وادم بين
الروح والجسد وفي الحديث الذي اوردناه في قصة ادم حين استخرج الله من صلبه ذريته فجعل
الانبياء بنور بين اعينهم والظاهر والله اعلم انه كان على قدر منازلهم ورتبهم عند الله واذا
كان الامر كذلك فنور محمد صلوات الله وسلامه عليه كان اظهر واكبر واعظم منهم كلهم
وهذا تنويه عظيم وتنبيه ظاهر على شرفه وعلو قدره وفي هذا المعنى الحديث الذي قال
الامام احمد حدثنا عبد الرحمن بن مهدي ثنا معاوية بن صالح عن سعيد بن سويد الكلبي عن
عبد الاعلى بن هلال السلمي عن العرباض بن سارية قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
اني عند الله لخاتم النبيين وان ادم لمنجدل في طينته وسانبئكم باول ذلك دعوة ابي
ابراهيم وبشارة عيسى بي ورؤيا امي التي رات وكذلك امهات المؤمنين يرين ورواه الليث
وابن وهب عن عبد الرحمن بن مهدي وعبد الله بن صالح عن معاوية بن صالح وزاد ان امه
حين وضعته نورا اضاءت منه قصور الشام وقال الامام احمد حدثنا عبد الرحمن
ثنا منصور بن سعد عن بديل عن عبد الله بن شقيق عن ميسرة الفجر قال قلت يا رسول
الله متى كنت نبيا قال وادم بين الروح والجسد اسناد جيد ايضا وهكذا رواه ابراهيم
بن طهمان وحماد بن زيد وخالد الحذاء عن بديل بن ميسرة به ورواه ابو نعيم عن محمد بن عمر
بن سلم عن محمد بن بكر بن عمرو الباهلي عن شيبان عن الحسن بن دينار عن عبد الله بن شقيق
عن ميسرة الفجر قال قلت يا رسول الله متى كنت نبيا قال وادم بين الروح والجسد وقال
ابو نعيم الحافظ في كتابه دلائل النبوة حدثنا ابو عمرو بن حمدان ثنا الحسن بن سفيان ثنا
هشام بن عمار ثنا الوليد بن مسلم عن خليد بن دعلج وسعيد عن قتادة عن الحسن عن ابي
هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى واذ اخذنا من النبيين ميثاقهم قال
كنت اول النبيين في الخلق واخرهم في البعث ثم رواه من طريق هشام بن عمار عن بقية عن
سعيد بن بشير عن قتادة عن الحسن عن ابي هريرة مرفوعا مثله وقد رواه من طريق سعيد
بن ابي عروبة وشيبان عن قتادة قال ذكر لنا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال مثله وهذا اثبت واصح والله
اعلم ومعنى هذا اخبار عن التنويه بذكره في الملا الاعلى انه معروف بذلك بينهم بانه خاتم النبيين
وادم لم ينفخ فيه الروح لان علم الله تعالى بذلك سابق قبل خلق السموات والارض لا محالة
فلم يبق الا هذا الذي ذكرناه من الاعلام به في الملا الاعلى والله اعلم وقد اورد ابو نعيم من حديث
عبد الرزاق عن معمر عن همام عن ابي هريرة الحديث المتفق عليه نحن الاخرون السابقون يوم
القيامة المقضي لهم قبل الخلائق بيد انهم اوتوا الكتاب من قبلنا واوتيناه من بعدهم وزاد
ابو نعيم في اخره فكان صلى الله عليه وسلم اخرهم في البعث وبه ختمت النبوة وهو السابق يوم
القيامة لانه اول مكتوب في النبوة والعهد قال ففي هذا الحديث الفضيلة لرسول الله لما
اوجب الله له النبوة قبل تمام خلق ادم ويحتمل ان يكون هذا الايجاب هو ما اعلم الله ملائكته
ما سبق في علمه وقضائه من بعثته له في اخر الزمان وهذا الكلام يوافق ما ذكرناه ولله الحمد
وروى الحاكم في مستدركه من حديث عبد الرحمن بن زيد بن اسلم وفيه كلام عن ابيه عن جده عن

عمر

عمر بن الخطاب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما اقترف ادم الخطيئة قال يا رب
اسالك بحق محمد الا غفرت لي فقال الله يا ادم كيف عرفت محمدا ولم اخلقه بعد فقال يا رب
لانك لما خلقتني بيدك ونفخت في من روحك رفعت راسي فرايت على قوائم العرش مكتوبا لا اله الا
الله محمد رسول الله فعلمت انك لم تضف الى اسمك الا احب الخلق اليك فقال الله صدقت
يا ادم انه لاحب الخلق الي اذ سالتني بحقه فقد غفرت لك ولولا محمد ما خلقتك قال
البيهقي تفرد به عبد الرحمن بن زيد بن اسلم وهو ضعيف والله اعلم وقد قال الله تعالى
واذ اخذ الله ميثاق النبيين لما اتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم
لتؤمنن به ولتنصرنه قال أأقررتم واخذتم على ذلكم اصري قالوا اقررنا قال فاشهدوا وانا
معكم من الشاهدين فمن تولى بعد ذلك فاولئك هم الفاسقون قال علي بن ابي طالب وعبد الله
بن عباس رضي الله عنهما ما بعث الله نبيا من الانبياء الا اخذ عليه الميثاق لئن بعث محمد صلى
الله عليه وسلم وهو حي ليؤمنن به ولينصرنه وهذا تنويه وتنبيه على شرفه وعظمته في سائر
والمراد باخذ الميثاق على امته لئن بعث محمد وهم احياء ليؤمنن به ولينصرنه
الملل وعلى السنة الانبياء واعلام لهم ومنهم برسالته في اخر الزمان وانه اكرم المرسلين وخاتم
النبيين وقد اوضح امره وكشف خبره وبين سره وجلى مجده ومولده وبلده ابراهيم الخليل
في قوله عليه السلام حين فرغ من بناء البيت ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم اياتك
ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم انك انت العزيز الحكيم فكان اول بيان امره على الجلية والوضوح
بين اهل الارض على لسان ابراهيم الخليل اكرم الانبياء على الله بعد محمد صلوات الله وسلامه عليهما
وعلى سائر الانبياء ولهذا قال الامام احمد حدثنا ابو النضر ثنا ابو الفرج يعني ابن فضالة
ثنا لقمان بن عامر سمعت ابا امامة قال قلت يا نبي الله ما كان بدو امرك قال دعوة ابي
ابراهيم وبشرى عيسى ورات امي انه يخرج منها نور اضاءت له قصور الشام تفرد به احمد
ولم يخرجه احد من اصحاب الكتب الستة وقال الامام محمد بن اسحاق بن يسار حدثني
وروى الحافظ ابو بكر بن ابي عاصم في كتاب المولد من طريق بقية عن صفوان بن عمرو عن حجر بن حجر عن ابي مريم ان اعرابيا قال يا رسول الله اي شيء كان اول امر نبوتك فقال اخذ الله مني الميثاق كما اخذ من النبيين ميثاقهم ورات ام رسول الله صلى الله عليه وسلم في منامها انه خرج من بين رجليها سراج اضاءت له قصور الشام
ثور بن يزيد عن خالد بن معدان عن اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم انهم قالوا
يا رسول الله اخبرنا عن نفسك قال دعوة ابي ابراهيم وبشرى عيسى ورات امي حين حملت
كانه خرج منها نور اضاءت له بصرى من ارض الشام اسناد جيد ايضا وفيه بشارة لاهل
محلتنا ارض بصرى بانها اول بقعة من ارض الشام خلص اليها نور النبوة ولله الحمد والمنة
ولهذا كانت اول مدينة فتحت من ارض الشام وكان فتحها صلحا في خلافة ابي بكر الصديق
رضي الله عنه كما سياتي بيانه وقد قدمها رسول الله صلى الله عليه وسلم مرتين صحبة
عمه ابي طالب وهو ابن اثنتي عشرة سنة وكانت عندها قصة بحيرا الراهب كما بيناه
والثانية ومعه ميسرة مولى خديجة في تجارة لها وبها مبرك الناقة التي يقال ان ناقة
رسول الله صلى الله عليه وسلم بركت عليه فاثر ذلك فيها فيما يذكر ثم بني عليه مسجد
مشهور اليوم وهي المدينة التي اضاءت اعناق الابل عندها من نور النار التي خرجت
من ارض الحجاز سنة اربع وخمسين وستمائة وفقا لما اخبر به رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله
تخرج نار من ارض الحجاز تضيء لها اعناق الابل ببصرى وسياتي الكلام على ذلك في موضعه ان
شاء الله وهو الثقة وعليه التكلان وقال تعالى الذين يتبعون الرسول النبي الامي
الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والانجيل يامرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر
الاية والتي بعدها قال الامام احمد حدثنا اسماعيل عن الجريري عن ابي صخر العقيلي

حدثني رجل من الأعراب قال جلبت جلوبة إلى المدينة في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم
فلما فرغت من بيعي قلت لألقين هذا الرجل فلأسمعن منه قال فتلقاني بين أبي بكر وعمر
يمشون فتبعتهم حتى أتوا على رجل من اليهود ناشر التوراة يقرؤها يعزي بها نفسه عن ابن
له في الموت كأحسن الفتيان وأجمله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنشدك
بالذي أنزل التوراة هل تجدني في كتابك ذا صفتي ومخرجي فقال برأسه هكذا أي لا فقال
ابنه إي والذي أنزل التوراة إنا لنجدك في كتابنا صفتك ومخرجك وأشهد أن لا إله إلا الله وأنك
رسول الله فقال أقيموا اليهودي عن أخيكم ثم ولي كفنه وحنطه والصلاة عليه وهذا إسناد
جيد وله شاهد في الصحيح عن أنس بن مالك رضي الله عنه وقال أبو القسم البغوي ثنا عبد
الواحد بن غياث أبو بحر ثنا عبد العزيز بن مسلم ثنا عاصم بن كليب عن أبيه عن الفلتان
بن عاصم وذكر أن خاله قال كنت جالسا عند النبي صلى الله عليه وسلم إذ شخص بصره
إلى رجل فإذا يهودي عليه قميص وسراويل ونعلان قال فجعل النبي صلى الله عليه وسلم
يكلمه وهو يقول يا رسول الله فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم أتشهد أني رسول الله
قال لا قال له رسول الله أتقرأ التوراة قال نعم قال أتقرأ الإنجيل قال نعم قال والقرآن قال
ولو تشاء قرأته فقال له رسول الله فيم تقرأ التوراة والإنجيل أتجدني نبيا قال إنا نجد نعتك
ومخرجك فلما خرجت رجونا أن يكون فينا فلما رأيناك عرفنا أنك لست به قال ولم يا يهودي
قال إنا نجده مكتوبا يدخل من أمته سبعون ألفا بغير حساب ولا نرى معك إلا نفرا يسيرا الجنة
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن أمتي لأكثر من سبعين ألفا وسبعين ألفا هذا حديث
غريب من هذا الوجه ولم يخرجوه وقال محمد بن إسحاق عن سالم مولى عبد الله بن مطيع عن
أبي هريرة قال أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أخرجوا أعلمكم فقالوا عبد الله
ابن صوريا فخلا به رسول الله صلى الله عليه وسلم فناشده بدينه وما أنعم الله به عليهم
وأطعمهم من المن والسلوى وظللهم به من الغمام أتعلمني رسول الله قال اللهم نعم وإن القوم
ليعرفون ما أعرف وإن صفتك ونعتك لمبين في التوراة ولكنهم حسدوك قال فما يمنعك
أنت قال أكره خلاف قومي وعسى أن يتبعوك ويسلموا فأسلم وقال سلمة بن الفضل عن محمد بن
إسحاق عن محمد بن أبي محمد عن عكرمة عن ابن عباس أنه كان يقول كتب رسول الله صلى الله عليه وسلم
إلى يهود خيبر بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله صاحب موسى وأخيه والمصدق بما
جاء به موسى ألا إن الله قال لكم يا معشر يهود وأهل التوراة إنكم تجدون ذلك في كتابكم إن محمدا
رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعا سجدا يبتغون فضلا من الله
ورضوانا إلى قوله فآجرا عظيما وإني أنشدكم بالله وبالذي أنزل عليكم وأنشدكم بالذي أطعم
من كان قبلكم من أسباطكم المن والسلوى وأنشدكم بالذي أيبس البحر لآبائكم حتى أنجاكم من فرعون
وعمله إلا أخبرتمونا هل تجدون فيما أنزل الله عليكم أن تؤمنوا بمحمد فإن كنتم لا تجدون ذلك
في كتابكم فلا كره عليكم قد تبين الرشد من الغي وأدعوكم إلى الله وإلى نبيه صلى الله عليه وسلم
وقد ذكر إسحاق بن بشر في كتابه المبتدأ عن سعيد بن بشير عن قتادة عن كعب الأحبار وروي
غيره عن وهب بن منبه أن بخت نصر بعد أن خرب بيت المقدس واستذل بني إسرائيل بسبع
سنين رأى في النوم رؤيا عظيمة فهالته فجمع الكهنة والحزاة وسألهم عن رؤياه تلك فقالوا
ليقصها الملك علينا حتى نخبره بتأويلها فقال إني أنسيتها وإن لم تخبروني بها إلى

ثلاثة أيام قتلتكم عن آخركم فذهبوا خائفين وجلين من وعيده فسمع بذلك دانيال عليه
السلام وهو في سجنه فقال للسجان اذهب إليه فقل له إن هاهنا رجلا عنده علم رؤياك
وتأويلها فذهب إليه فأعلمه فطلبه فلما دخل عليه لم يسجد له فقال له ما منعك من السجود لي
فقال إن الله آتاني علما وأمرني أن لا أسجد لغيره فقال له بخت نصر إني لأحب الذين يوفون
لأربابهم بالعهود فأخبرني عن رؤياي فقال له دانيال رأيت صنما عظيما رجلاه في الأرض
ورأسه في السماء أعلاه من ذهب ووسطه من فضة وأسفله من نحاس وساقاه من حديد ورجلاه
من فخار فبينا أنت تنظر إليه قد أعجبك حسنه وإحكام صنعته قذفه الله بحجر من السماء
فوقع على قمة رأسه حتى طحنه واختلط ذهبه وفضته ونحاسه وحديده وفخاره حتى تخيل إليك
أنه لو اجتمع جميع الإنس والجن على أن يميزوا بعضه من بعض لم يقدروا على ذلك ونظرت إلى
الحجر الذي قذف به يربو ويعظم وينتشر حتى ملأ الأرض كلها فصرت لا ترى إلا الحجر والسماء
فقال له بخت نصر صدقت هذه الرؤيا التي رأيتها فما تأويلها فقال دانيال أما الصنم
فأمم مختلفة في أول الزمان وفي وسطه وفي آخره وأما الحجر الذي قذف به الصنم فدين يقذف
الله به هذه الأمم في آخر الزمان فيظهره عليهم فيبعث الله نبيا أميا من العرب فيدوخ
به الأمم والأديان كما رأيت الحجر دوخ أصناف الصنم ويظهر على الأديان والأمم كما رأيت الحجر ظهر
على الأرض كلها فيمحص الله به الحق ويزهق به الباطل ويهدي به أهل الضلالة ويعلم به
الأميين ويقوي به الضعفة ويعز به الأذلة وينصر به المستضعفين وذكر تمام القصة
في إطلاق بخت نصر بني إسرائيل على يدي دانيال عليه السلام وذكر الواقدي بإسناده
عن المغيرة بن شعبة في قصة وفوده على المقوقس ملك الإسكندرية وسؤاله له عن صفات
رسول الله صلى الله عليه وسلم قريبا من سؤال هرقل لأبي سفيان صخر بن حرب وذكر أنه سأل
أساقفة النصارى في الكنائس عن صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبروه عن
ذلك وهي قصة مطولة ذكرها الحافظ أبو نعيم في الدلائل وثبت في الصحيح أن رسول الله
صلى الله عليه وسلم مر بمدارس اليهود فقال لهم يا معشر اليهود أسلموا فوالذي نفسي بيده
إنكم لتجدون صفتي في كتبكم الحديث وقال الإمام أحمد ثنا موسى بن داود ثنا فليح بن سليمان
عن هلال بن علي عن عطاء بن يسار قال لقيت عبد الله بن عمرو بن العاص فقلت أخبرني
عن صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم في التوراة فقال أجل والله إنه لموصوف في
التوراة ببعض صفته في القرآن يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وحرزا للأميين
أنت عبدي ورسولي سميتك المتوكل لا فظ ولا غليظ ولا سخاب بالأسواق ولا يدفع بالسيئة
السيئة ولكن يعفو ويغفر ولن يقبضه الله حتى يقيموا الملة العوجاء بأن يقولوا لا إله إلا الله
فيفتح بها أعينا عميا وآذانا صما وقلوبا غلفا رواه البخاري عن محمد بن سنان العوقي
عن فليح به ورواه أيضا عن عبد الله قيل ابن رجاء وقيل ابن صالح عن عبد العزيز بن أبي
سلمة عن هلال بن علي به ولفظه قريب من هذا وفيه زيادة ورواه ابن جرير من حديث فليح
عن هلال عن عطاء وزاد قال عطاء فلقيت كعبا فسألته عن ذلك فما اختلف حرفا
وقال في السوق وقال سعيد عن هلال عن عطاء عن عبد الله بن سلام قال الحافظ أبو بكر
البيهقي أخبرنا أبو الحسين بن الفضل القطان أنا عبد الله بن جعفر ثنا يعقوب بن سفيان
ثنا أبو صالح ثنا الليث حدثني خالد بن يزيد عن سعيد بن أبي هلال عن أسامة عن عطاء

ابن يسار عن ابن سلام انه كان يقول انا لنجد صفة رسول الله انا ارسلناك شاهدا ومبشرا
ونذيرا وحرزا للاميين انت عبدي ورسولي سميته المتوكل ليس بفظ ولا غليظ ولا سخاب في
الاسواق ولا يجزي بالسيئة مثلها ولكن يعفو ويتجاوز ولن اقبضه حتى اقيم به الملة المعوجة
بان يشهدوا ان لا اله الا الله يفتح به اعينا عميا واذانا صما وقلوبا غلفا قال عطا بن يسار واخبرني
الليثي انه سمع كعب الاحبار يقول مثل ما قال ابن سلام **قلت** وهذا عن عبد الله بن سلام
اشهر واكثر الرواية عن عبد الله بن عمرو واكثر ما انه كان قد وجد يوم اليرموك زاملتين من كتب
اهل الكتاب فكان يحدث منهما كثيرا وليعلم ان كثيرا من السلف كانوا يطلقون التوراة على
كتب اهل الكتاب فهي عندهم اعم من التي انزلها الله على موسى وقد ثبت شاهد ذلك من الحديث
وقال يونس عن محمد بن اسحاق حدثني محمد بن ثابت بن شرحبيل عن ابن ا وقالت ام الدرداء قالت
قلت لكعب الحبر كيف تجدون صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم في التوراة قال نجده
محمد رسول الله اسمه المتوكل ليس بفظ ولا غليظ ولا سخاب في الاسواق واعطي المفاتيح
ليبصر الله به اعينا عورا ويسمع به اذانا وقرا ويقيم به السنة معوجة حتى يشهدوا
ان لا اله الا الله وحده لا شريك له يعين المظلوم ويمنعه وقد روي عن كعب من غير هذا الوجه
وقد روى البيهقي عن الحاكم عن ابي الوليد الفقيه عن الحسن بن سفيان ثنا عقبة بن مكرم ثنا
ابو قطن عمرو بن الهيثم ثنا حمزة الزيات عن سليمان الاعمش عن علي بن مدرك عن ابي زرعة عن
ابي هريرة وما كنت بجانب الطور اذ نادينا قال نودوا يا امة محمد استجبت لكم قبل ان تدعوني
واعطيتكم قبل ان تسالوني وذكر وهب بن منبه ان الله تعالى اوحى الى داود في الزبور يا داود
انه سياتي من بعدك نبي اسمه احمد ومحمد صادقا سيدا لا اغضب عليه ابدا ولا يغضبني ابدا
وقد غفرت له قبل ان يعصيني ما تقدم من ذنبه وما تاخر وامته مرحومة اعطيتهم من النوافل
مثل ما اعطيت الانبياء وافترضت عليهم الفرائض التي افترضت على الانبياء والرسل حتى
ياتوني يوم القيمة ونورهم مثل نور الانبياء الى ان قال يا داود اني فضلت محمدا وامته على
الامم كلها والعلم بانه موجود في كتب اهل الكتاب معلوم من الدين ضرورة وقد دل على ذلك
ايات كثيرة في الكتاب العزيز تكلمنا عليها في مواضعها ولله الحمد فمن ذلك قوله الذين
اتيناهم الكتاب من قبله هم به يؤمنون واذا يتلى عليهم قالوا امنا به انه الحق من ربنا انا كنا
من قبله مسلمين وقال تعالى الذين اتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون ابناءهم وان فريقا
منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون وقال تعالى ان الذين اوتوا العلم من قبله اذا يتلى عليهم يخرون
للاذقان سجدا ويقولون سبحان ربنا ان كان وعد ربنا لمفعولا اي ان كان وعد ربنا بوجود
محمد وارساله لكائن لا محالة فسبحان القدير على ما يشاء الذي لا يعجزه شيء وقال تعالى
اخبارا عن القسيسين والرهبان واذا سمعوا ما انزل الى الرسول ترى اعينهم تفيض من
الدمع مما عرفوا من الحق يقولون ربنا امنا فاكتبنا مع الشاهدين وفي قصة النجاشي وعبد وسلمان وغير
الله بن سلام وغيرهما كما سياتي بيانه شواهد كثيرة لهذا المعنى ولله الحمد والمنة وذكرنا في تضاعيف
قصص الانبياء ما تقدم من الاشارة البينة ووصفهم ببعثة رسول الله صلى الله عليه وسلم ونعته
وبلد مولده ودار مهاجره ونعت امته في قصة موسى وشعيا وغيرهم وقد اخبر الله تعالى عن اخر
انبياء بني اسرائيل وخاتمهم عيسى ابن مريم انه قام في بني اسرائيل خطيبا قائلا اني رسول
الله اليكم مصدقا لما بين يدي من التوراة ومبشرا برسول ياتي من بعدي اسمه احمد وفي

الانجيل لبشارته بالبارقليط والمراد به محمد صلوات الله وسلامه عليه وروى البيهقي
عن الحاكم عن الاصم عن احمد بن عبد الجبار عن يونس بن بكير عن يونس بن عمرو عن العيزار بن حريث
عن عايشة ان رسول الله مكتوب في الانجيل لا فظ ولا غليظ ولا سخاب في الاسواق ولا يجزي
بالسيئة مثلها بل يعفو ويصفح وقال يعقوب بن سفيان ثنا فيض البجلي ثنا سلام
بن مسكين عن مقاتل بن حيان قال اوحى الله عز وجل الى عيسى بن مريم جد في امري واسمع
واطع يا ابن الطاهرة البكر البتول اني خلقتك من غير فحل فجعلتك اية للعالمين فاياي
فاعبد فبين لاهل سوران بالسريانية بلغ من بين يديك اني انا الحق القائم الذي لا ازول
صدقوا بالنبي الامي العربي صاحب الجمل المدرعة والعمامة وهي التاج والنعلين والهراوة
وهي القضيب الجعد الراس الصلت الجبين المقرون الحاجبين الانجل العينين الاهدب
الاشفار الادعج العينين الاقنى الانف الواضح الخد الكث اللحية عرقه في وجهه كاللؤلؤ ريح
المسك ينفح منه كأن عنقه ابريق فضة وكأن الذهب يجري في تراقيه له شعرات من لبته
الى سرته تجري كالقضيب ليس على بطنه شعر غيره شثن الكف والقدم اذا جاء مع الناس
غمرهم واذا مشى كانما يتقلع من الصخر وينحدر من صبب ذو النسل القليل وكانه اراد الذكور
من صلبه هكذا رواه البيهقي في دلائل النبوة من طريق يعقوب بن سفيان وروى البيهقي
عن عثمان بن الحكم بن رافع بن سنان حدثني بعض عمومتي وآبائي انهم كانت عندهم ورقة يتوارثونها
في الجاهلية حتى جاء الله بالاسلام وهي عندهم فلما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة
ذكروها له واتوه بها مكتوب فيها بسم الله وقوله الحق وقول الظالمين في تباب هذا الذكر
لامة تاتي في اخر الزمان يبلون اطرافهم ويأتزرون على اوساطهم ويخوضون البحور
الى اعدائهم فيهم صلاة لو كانت في قوم نوح ما اهلكوا بالطوفان وفي عاد ما اهلكوا بالريح
وفي ثمود ما اهلكوا بالصيحة بسم الله وقوله الحق وقول الظالمين في تباب ثم ذكر
قصة اخرى قال فعجب رسول الله صلى الله عليه وسلم لما قرئت عليه لما فيها وذكرنا عند
قوله تعالى في سورة الاعراف الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والانجيل قصة هشام
ابن العاص الاموي حين بعثه الصديق في سرية الى هرقل يدعوه الى الله عز وجل فذكر انه اخرج
لهم صور الانبياء في رقعة من آدم الى محمد صلوات الله وسلامه عليهم اجمعين على النعت والشكل
الذي كانوا عليه وذكر انه لما اخرج صورة رسول الله صلى الله عليه وسلم قام قائما اكراما
له ثم جلس وجعل ينظر اليها ويتاملها قال فقلنا له من اين لك هذه الصور قال ان آدم
سأل ربه ان يريه الانبياء من ذريته فانزل الله عليه صورهم فكان في خزانة آدم عليه السلام
عند مغرب الشمس فاستخرجها ذو القرنين فدفعها الى دانيال ثم قال اما والله ان نفسي
طابت بالخروج من ملكي واني كنت عبدا لاشركم ملكة حتى اموت ثم اجازنا فاحسن جائزتنا
وسرحنا فلما اتينا ابا بكر الصديق فحدثناه بما رأينا وما اجازنا وما قال لنا قال فبكى ابو بكر
وقال مسكين لو اراد الله به خيرا لفعل ثم قال اخبرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم انهم
واليهود يجدون نعت محمد عندهم رواه الحاكم بطوله فليكتب بتمامه من التفسير ورواه
البيهقي في دلائل النبوة وقال الاموي ثنا عبد الله عن زياد عن ابن اسحاق قال وحدثني
يعقوب بن عبد الله بن جعفر بن عمرو بن امية عن ابيه عن جده عمرو بن امية قال قدمت برقيق
من عند النجاشي لعطائهم فقالوا لي يا عمرو لو رأينا رسول الله لعرفناه من غير ان تخبرنا به

ثنا ابو بكر فقلنا من هذا قال لو لا فرغ فقلنا من هذا قال لو لا فدخلنا الدار فاذا رسول الله صلى الله عليه وسلم فنادوني يا عمرو هذا رسول الله فنظرت فاذا هو هو من غير ان يخبرني به احد عرفته بما كانوا يجدونه عندهم مكتوبا وقد تقدم انذار سطيح لقومه ببشارته لهم بوجود رسول الله صلى الله عليه وسلم في شعر اسلفناه في ترجمته فاغنى عن اعادته وتقدم قول الحبرين من اليهود لتبع اليماني حين حاصر اهل المدينة انها مهاجر نبي يكون في اخر الزمان فرجع عنها ونظم شعرا يتضمن السلام على النبي صلى الله عليه وسلم

قصة سيف بن ذي يزن الحميري وبشارته بالنبي الامي

وقال الحافظ ابو بكر محمد بن جعفر بن سهل الخرائطي في كتابه هواتف الجنان حدثنا علي بن حرب ثنا احمد بن عثمان بن حكيم ثنا عمرو بن بكر هو ابن بكار القعنبي عن احمد بن القاسم عن محمد بن السائب الكلبي عن ابي صالح عن عبد الله بن عباس قال لما ظهر سيف بن ذي يزن قال ابو المنذر واسمه النعمان بن قيس على الحبشة وذلك بعد مولد النبي صلى الله عليه وسلم بسنتين اتته وفود العرب وشعراؤها تهنئه وتمدحه وتذكر ما كان من حسن بلائه واتاه فيمن اتاه وفد قريش فيهم عبد المطلب بن هاشم وامية بن عبد شمس وعبد الله بن جدعان وخويلد بن اسد في ناس من وجوه قريش فقدموا عليه صنعاء فاذا هو في راس غمدان الذي ذكره امية ابن ابي الصلت

واشرب هنيئا عليك التاج مرتفعا ... في راس غمدان دارا منك محلالا

فدخل عليه الآذن فاخبره بمكانهم فاذن لهم فدنا عبد المطلب فاستاذنه في الكلام فقال له ان كنت ممن يتكلم بين يدي الملوك فقد اذنا لك فقال له عبد المطلب ان الله احلك ايها الملك محلا رفيعا صعبا منيعا شامخا باذخا وانبتك نباتا طابت ارومته وعزت جرثومته وثبت اصله وبسق فرعه في اكرم موطن واطيب معدن فانت ابيت اللعن ملك العرب وربيعها الذي تخصب به البلاد وراس العرب الذي له تنقاد وعمودها الذي عليه العماد ومعقلها الذي تلجا اليه العباد سلفك خير سلف وانت لنا منهم خير خلف فلن يخمل من هم سلفه ولن يهلك من انت خلفه ونحن ايها الملك اهل حرم الله وسدنة بيته اشخصنا اليك الذي ابهجنا من كشفك الكرب الذي فدحنا فنحن وفد التهنئة لا وفد المرزئة قال وايهم انت ايها المتكلم قال انا عبد المطلب بن هاشم قال ابن اختنا قال نعم قال ادن فادناه ثم اقبل عليه وعلى القوم فقال مرحبا واهلا وناقة ورحلا ومستناخا سهلا وملكا ربحلا يعطي عطاء جزلا قد سمع الملك مقالتكم وعرف قرابتكم وقبل وسيلتكم فانتم اهل الليل والنهار ولكم الكرامة ما اقمتم والحباء اذا ظعنتم ثم انهضوا الى دار الكرامة والوفود فاقاموا شهرا لا يصلون اليه ولا ياذن لهم بالانصراف ثم انتبه لهم انتباهة فارسل الى عبد المطلب فادنى مجلسه واخلاه ثم قال يا عبد المطلب اني مفوض اليك من سر علمي امرا لو يكون غيرك لم ابح به ولكني رايتك معدنه فاطلعتك طليعة فليكن عندك مطويا حتى ياذن الله فيه فان الله بالغ امره اني اجد في الكتاب المكنون والعلم المخزون الذي اخترناه لانفسنا واحتجبناه دون غيرنا خبرا عظيما وخطرا جسيما فيه شرف الحياة وفضيلة الوفاة للناس عامة ولرهطك كافة ولك خاصة فقال عبد المطلب ايها الملك مثلك سر وبر فما هو فداك اهل الوبر زمرا بعد زمر قال اذا ولد بتهامة غلام بين كتفيه شامة كانت له الامامة ولكم به الزعامة الى يوم

القيامة قال عبد المطلب ابيت اللعن لقد ابت بخبر ما اب بمثله وافد ولولا هيبة الملك واجلاله واعظامه لسالته من سراره اياي ما ازداد به سرورا قال ابن ذي يزن هذا حينه الذي يولد فيه او قد ولد واسمه محمد يموت ابوه وامه ويكفله جده وعمه وقد ولدناه مرارا والله باعثه جهارا وجاعل له منا انصارا يعز بهم اولياءه ويذل بهم اعداءه يضرب بهم الناس عن عرض ويستبيح بهم كرائم الارض يكسر الاوثان ويخمد النيران ويعبد الرحمن ويدحر الشيطان قوله فصل وحكمه عدل يامر بالمعروف ويفعله وينهى عن المنكر ويبطله فقال عبد المطلب ايها الملك عز جدك وعلا كعبك ودام ملكك وطال عمرك فهل الملك سار لي بافصاح فقد وضح لي بعض الايضاح قال ابن ذي يزن والبيت ذي الحجب والعلامات على النقب انك يا عبد المطلب لجده غير كذب فخر عبد المطلب ساجدا فقال ارفع راسك ثلج صدرك وعلا امرك فهل احسست شيئا مما ذكرت لك فقال ايها الملك كان لي ابن وكنت به معجبا وعليه رفيقا فزوجته كريمة من كرائم قومه امنة بنت وهب فجاءت بغلام سميته محمدا فمات ابوه وامه وكفلته انا وعمه قال ابن ذي يزن ان الذي قلت لك كما قلت فاحتفظ بابنك واحذر عليه اليهود فانهم له اعداء ولن يجعل الله لهم عليه سبيلا واطو ما ذكرت لك دون هؤلاء الرهط الذين معك فاني لست امن ان تدخلهم النفاسة من ان تكون لكم الرياسة فيطلبون له الغوائل وينصبون له الحبائل وهم فاعلون او ابناؤهم ولولا اني اعلم ان الموت مجتاحي قبل مبعثه لسرت بخيلي ورجلي حتى اصير يثرب دار ملكه فاني اجد في الكتاب الناطق والعلم السابق ان يثرب استحكام امره واهل نصرته وموضع قبره ولولا اني اتقيه الافات واحذر عليه العاهات لاعلنت على حداثة سنه امره ولاوطات اسنان العرب عقبه ولكني صارف ذلك اليك عن غير تقصير بمن معك قال ثم امر لكل رجل منهم بعشرة اعبد وعشر اماء ومائة من الابل وحلتين من البرود وخمسة ارطال ذهب وعشرة ارطال فضة وكرش مملوء عنبرا وامر لعبد المطلب بعشرة اضعاف ذلك وقال له اذا حال الحول فاتني فمات ابن ذي يزن قبل ان يحول الحول فكان عبد المطلب كثيرا ما يقول لا يغبطني رجل منكم بجزيل عطاء الملك فانه الى نفاد ولكن ليغبطني بما يبقى لي ولعقبي من بعدي ذكره وفخره وشرفه فاذا قيل له وما ذلك قال سيعلم ولو بعد حين قال وفي ذلك يقول امية بن عبد شمس

جلبنا النصح تحقبه المطايا ... على اكوار اجمال ونوق
مغلغلة مرافقها تغالى ... الى صنعاء من فج عميق
تؤم بنا ابن ذي يزن وتفري ... بذات بطونها ذم الطريق
وترعى من مخايله بروقا ... مواصلة الوميض الى بروق
فلما وافقت صنعاء حلت ... بدار الملك والحسب العتيق

وهكذا رواه الحافظ ابو نعيم في الدلائل من طريق عمرو بن بكر بن بكار القعنبي به ثم قال ابو نعيم اخبرت عن ابي الحسين علي بن ابراهيم بن عبد الله بن محمد بن عبد العزيز بن عفير بن عبد العزيز بن السفر بن عفير بن زرعة بن سيف بن ذي يزن حدثني ابي ابو يزن ابراهيم ثنا عمي احمد بن محمد ابو رجاء ثنا عمي محمد بن عبد العزيز حدثني ابي عفير عن ابيه عن زرعة بن سيف بن ذي يزن الحميري قال لما ظهر جدي سيف بن ذي يزن على الحبشة وذكره بطوله وقال ابو بكر الخرائطي ثنا ابو يوسف يعقوب بن اسحاق القلوسي ثنا العلاء بن الفضل بن ابي سوية اخبرني ابي عن ابيه عبد الملك بن ابي سوية عن جده ابي سوية عن ابيه خليفة قال

سالت محمد بن عثمان بن ربيعة بن سواة بن خسعم بن سعد فقلت كيف سماك ابوك محمدا فقال سالت ابي عما سالتني عنه فقال خرجت رابع اربعة من بني تميم انا منهم وسفيان بن مجاشع بن دارم واسامة بن مالك بن جندب بن العنبر ويزيد بن ربيعة بن كنانة بن حربوص بن مازن ونحن نريد ابن جفنة ملك غسان فلما شارفنا الشام نزلنا على غدير عليه شجرات فتحدثنا فسمع كلامنا راهب فاشرف علينا فقال ان هذه لغة ما هي بلغة هذه البلاد فقلنا نحن قوم من مضر قال من اي المضريين قلنا من خندف فقال اما انه سيبعث وشيكا نبي خاتم النبيين فسارعوا اليه وخذوا بحظكم منه ترشدوا فقلنا ما اسمه قال اسمه محمد قال فرجعنا من عند ابن جفنة فولد لكل واحد منا ابن فسماه محمدا يعني لكل واحد منهم طمع في ان يكون هذا النبي المبشر به ولده وقال الحافظ ابو بكر الخرائطي حدثنا عبد الله بن ابي سعد ثنا حازم بن عقال بن حبيب بن المنذر بن ابي الحصين بن السموال بن عاديا حدثني جابر بن جبران بن جبيم بن عثمان بن سماك بن الحصين بن السموال بن عاديا قال لما حضرت الاوس بن حارثة بن ثعلبة بن عمرو بن عامر الوفاة اجتمع اليه قومه من غسان فقالوا انه قد حضر من امر الله ما ترى وقد كنا نامرك بالتزويج في شبابك فتابى وهذا اخوك الخزرج له خمسة بنين وليس لك ولد غير مالك فقال لن يهلك هالك ترك مثل مالك ان الذي يخرج النار من الوثيمة قادر ان يجعل لمالك نسلا ورجالا بسلا وكل الى الموت ثم اقبل على مالك فقال اي بني المنية ولا الدنية العتاب ولا العتاب التجلد ولا التلدد القبر خير من الفقر انه من قل ذل ومن كرم الكريم الدفع عن الحريم والدهر يومان فيوم لك ويوم عليك فاذا كان لك فلا تبطر واذا كان عليك فاصطبر وكلاهما سيحسر ليس يفلت منهما الملك المتوج ولا اللئيم المعلج سلم ليومك حياك ربك ثم انشا يقول

شهدت السبايا يوم المحرق ¶ وادرك عمري صيحة الله في الحجر

فلم ار ذا ملك من الناس واحدا ¶ ولا سوقة الا الموت والقبر

لعل الذي اردى ثمودا وجرهما ¶ سيعقب لي نسلا على اخر الدهر

تقربهم من آل عمرو بن عامر ¶ عيون لدا الداعي الى طلب الوتر

فان لم تك الايام ابلين جدتي ¶ وشيبن راسي والمشيب مع العمر

فان لنا ربا علا فوق عرشه ¶ عليما بما ياتي من الخير والشر

الم يات قومي ان لله دعوة ¶ يفوز بها اهل السعادة والبر

اذا بعث المبعوث من آل غالب ¶ بمكة فيما بين مكة والحجر

هنالك فابغوا نصره ببلادكم ¶ بني عامر ان السعادة في النصر

ثم قضى من ساعته

باب في هواتف الجان وهو ما القته الجان على السنة الكهان ومسموعا من الاوثان

قال البخاري ثنا يحيى بن سليمان الجعفي حدثني ابن وهب حدثني عمر وهو ابن محمد بن زيد ان سالما حدثه عن عبد الله بن عمر قال ما سمعت عمر يقول لشي قط اني لاظنه الا كان كما يظن

هنا

بينما عمر بن الخطاب جالس اذ مر به رجل جميل فقال لقد اخطا ظني او ان هذا على دينه في الجاهلية او لقد كان كاهنهم علي الرجل فدعي به فقال له ذلك فقال ما رايت كاليوم استقبل به رجلا مسلما قال فاني اعزم عليك الا ما اخبرتني قال كنت كاهنهم في الجاهلية قال فما اعجب ما جاءتك به جنيتك قال بينما انا يوما في السوق جاءتني اعرف فيها الفزع فقالت الم تر الجن وابلاسها وياسها من بعد انكاسها ولحوقها بالقلاص واحلاسها قال عمر صدق بينا انا نائم عند الهتهم اذ جاء رجل بعجل فذبحه فصرخ به صارخ لم اسمع صارخا قط اشد صوتا منه يقول يا جليح امر نجيح رجل فصيح يقول لا اله الا الله فوثب القوم فقلت لا ابرح حتى اعلم ما وراء هذا يا جليح امر نجيح رجل فصيح يقول لا اله الا الله فقمت فما نشبنا ان قيل هذا نبي تفرد به البخاري وهذا الرجل هو سواد بن قارب الازدي ويقال السدوسي من اهل السراة من جبال البلقاء له صحبة ورواية قال ابو حاتم وابن منده روى عنه سعيد بن جبير وابو جعفر محمد بن علي وقال البخاري له صحبة وهكذا ذكره في اسماء الصحابة احمد بن روح البرذعي الحافظ والدارقطني وغيرهما وقال الحافظ عبد الغني بن سعيد المصري سواد ابن قارب بالتخفيف وقال عثمان الوقاصي عن محمد بن كعب القرظي كان من اشراف اهل اليمن ذكره ابو نعيم في الدلائل وقد روي حديثه من وجوه اخر مطولة بابسط من رواية البخاري وقال محمد بن اسحاق حدثني من لا اتهم عن عبد الله بن كعب مولى عثمان بن عفان انه حدث ان عمر بن الخطاب بينما هو جالس في الناس في مسجد رسول الله اذ اقبل رجل من العرب داخل المسجد يريد عمر بن الخطاب فلما نظر اليه عمر قال ان هذا الرجل لعلى شركه ما فارقه بعد او لقد كان كاهنا في الجاهلية فسلم عليه الرجل ثم جلس فقال له عمر هل اسلمت قال نعم يا امير المومنين قال فهل كنت كاهنا في الجاهلية فقال الرجل سبحان الله يا امير المومنين لقد خلت في واستقبلتني بامر ما اراك قلته لاحد من رعيتك منذ وليت ما وليت فقال عمر اللهم غفرا قد كنا في الجاهلية على شر من هذا نعبد الاصنام ونعتنق الاوثان حتى اكرمنا الله برسوله وبالاسلام قال نعم والله يا امير المومنين لقد كنت كاهنا في الجاهلية قال فاخبرني ما جاءك به صاحبك قال جاءني قبيل الاسلام بشهر او شيعة فقال الم تر الى الجن وابلاسها واياسها من دينها ولحوقها بالقلاص واحلاسها قال ابن اسحاق هذا الكلام سجع وليس بشعر فقال عمر عند ذلك يحدث الناس والله اني لعند وثن من اوثان الجاهلية في نفر من قريش قد ذبح له رجل من العرب عجلا فنحن ننتظر قسمه ان يقسم لنا منه اذ سمعت من جوف العجل صوتا ما سمعت صوتا قط اشد منه وذلك قبيل الاسلام بشهر او شيعة يقول يا ذريح امر نجيح رجل فصيح يقول لا اله الا الله قال ابن هشام ويقال رجل يصيح بلسان فصيح يقول لا اله الا الله قال وانشدني بعض اهل العلم بالشعر

عجبت للجن وابلاسها ¶ وشدها العيس باحلاسها

تهوي الى مكة تبغي الهدى ¶ ما مومنوا الجن كانجاسها

وقال الحافظ ابو يعلى الموصلي ثنا يحيى بن حجر بن النعمان الشامي ثنا علي بن منصور الانباري عن محمد بن عبد الرحمن الوقاصي عن محمد بن كعب القرظي قال بينما عمر بن الخطاب ذات يوم جالس اذ مر به رجل فقيل يا امير المومنين اتعرف هذا المار فقال ومن هذا قالوا هذا سواد بن قارب الذي اتاه رئيه بظهور رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فارسل اليه عمر فقال له انت

بيها

سواد بن قارب قال نعم قال انت الذي اتاك رئيك بظهور النبي صلى الله عليه وسلم
قال نعم قال فانت على ما كنت عليه من كهانتك قال فغضب وقال ما استقبلني بهذا
احد منذ اسلمت يا امير المومنين فقال عمر يا سبحان الله ما كنا عليه من الشرك اعظم
مما كنت عليه من كهانتك فاخبرني ما اتاك رئيك بظهور رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
نعم يا امير المومنين بينما انا ذات يوم ليلة بين النائم واليقظان اذ اتاني رئيي
فضربني برجله وقال قم يا سواد بن قارب فاسمع مقالتي واعقل ان كنت تعقل انه قد
بعث رسول من لوي بن غالب يدعو الى الله والى عبادته ثم انشا يقول

عجبت للجن وتطلابها • وشدها العيس باقتابها •
تهوي الى مكة تبغي الهدى • ما صادق الجن ككذابها •
فارحل الى الصفوة من هاشم • ليس قداماها كاذنابها •

قال قلت دعني انام فاني امسيت ناعسا قال فلما كانت الليلة الثانية اتاني
فضربني برجله وقال قم يا سواد بن قارب واسمع مقالتي واعقل ان كنت تعقل انه قد بعث
رسول من لوي بن غالب يدعو الى الله والى عبادته ثم انشا يقول

عجبت للجن وتخبارها • وشدها العيس باكوارها •
تهوي الى مكة تبغي الهدى • ما مومنوا الجن ككفارها •
فارحل الى الصفوة من هاشم • بين روابيها واحجارها •

قال قلت دعني انام فاني امسيت ناعسا فلما كانت الليلة الثالثة اتاني فضربني
برجله وقال قم يا سواد بن قارب فاسمع مقالتي واعقل ان كنت تعقل انه قد بعث رسول
من لوي بن غالب يدعو الى الله والى عبادته ثم انشا يقول

عجبت للجن وتحساسها • وشدها العيس باحلاسها •
تهوي الى مكة تبغي الهدى • ما خير الجن كانجاسها •
فارحل الى الصفوة من هاشم • واسم بعينيك الى راسها •

قال فقمت وقلت قد امتحن الله قلبي فرحلت ناقتي ثم اتيت المدينة يعني مكة فاذا رسول
الله صلى الله عليه وسلم في اصحابه فدنوت فقلت اسمع مقالتي يا رسول الله قال هات
فانشات اقول

اتاني نجيي بعد هدء ورقدة • ولم يك فيما قد بلوت بكاذب •
ثلاث ليال قوله كل ليلة • اتاك رسول من لوي بن غالب •
فشمرت عن ذيلي الازار ووسطت • بي الذعلب الوجناء غبر السباسب •
فاشهد ان الله لا شيء غيره • وانك مامون على كل غائب •
وانك ادنى المرسلين وسيلة • الى الله يا ابن الاكرمين الاطايب •
فمرنا بما ياتيك يا خير من مشى • وان كان فيما جاء شيب الذوائب •
وكن لي شفيعا يوم لا ذو شفاعة • سواك بمغن عن سواد بن قارب •

قال ففرح رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه بمقالتي فرحا شديدا حتى رئي الفرح
في وجوههم قال فوثب اليه عمر بن الخطاب فالتزمه وقال قد كنت اشتهي ان اسمع هذا
الحديث منك فهل ياتيك رئيك اليوم قال اما منذ قرات القران فلا ونعم العوض كتاب الله

من الجن

من الجن ثم انشا عمر يقول

كنا يوما في حي من قريش • يقال لهم آل ذريح •

ونحن وقد ذبحوا عجلا لهم والجزار يعالجه اذ سمعنا صوتا من جوف العجل ولا نرى شيئا يا آل
ذريح امر نجيح صايح يصيح بلسان فصيح يشهد ان لا اله الا الله وهذا منقطع من هذا
الوجه ويشهد له رواية البخاري وقد تقدم ان الشامع للصوت من العجل هو عمر
ابن الخطاب والله اعلم وقال الحافظ ابو بكر محمد بن جعفر بن سهل الخرائطي في كتابه الذي
جمعه في هواتف الجنان حدثنا ابو موسى عمران بن موسى المودب ثنا محمد بن عمران بن محمد بن
عبد الرحمن بن ابي ليلى ثنا سعيد بن عبيد الله الوصافي عن ابيه عن ابي جعفر محمد بن علي
قال دخل سواد بن قارب السدوسي على عمر بن الخطاب فقال انشدك بالله يا سواد بن قارب
هل تحسن اليوم من كهانتك شيئا قال سبحان الله يا امير المومنين ما استقبلت احدا من
جلسائك بمثل ما استقبلتني به قال سبحان الله يا سواد بن قارب ما كنا عليه من شركنا
اعظم مما كنت عليه من كهانتك والله يا سواد لقد بلغني عنك حديث انه لعجيب من العجب
قال اي والله يا امير المومنين انه لعجيب من العجب قال فحدثنيه قال كنت كاهنا في الجاهلية
فبينا انا ذات ليلة نائم اذ اتاني نجيي فضربني برجله ثم قال يا سواد اسمع اقل لك قلت
هات قال

عجبت للجن وانجاسها • ورحلها العيس باحلاسها •
تهوي الى مكة تبغي الهدى • ما مومنوها مثل ارجاسها •
فارحل الى الصفوة من هاشم • واسم بعينيك الى راسها •

قال فنمت ولم احفل بقوله شيئا فلما كانت الليلة الثانية اتاني فضربني برجله ثم قال
لي قم يا سواد اسمع اقل لك قلت هات قال

عجبت للجن وتطلابها • ورحلها العيس باقتابها •
تهوي الى مكة تبغي الهدى • ما صادقوا الجن ككذابها •
فارحل الى الصفوة من هاشم • ليس المقاديم كاذنابها •

قال فحركني قوله مني شيئا ونمت فلما كانت الليلة الثالثة اتاني فضربني برجله فقال
يا سواد اتعقل ام لا تعقل قلت وما ذاك قال ظهر بمكة نبي يدعو الى عبادة ربه فالحق به اسمع
اقل لك قلت هات قال

عجبت للجن واخبارها • ورحلها العيس باكوارها •
تهوي الى مكة تبغي الهدى • ما مومنوها مثل كفارها •
فارحل الى الصفوة من هاشم • بين روابيها واحجارها •

قال فعلمت ان الله قد اراد بي خيرا فقمت الى بردة لي ففتقتها ولبستها ووضعت رجلي
في غرز ركاب الناقة واقبلت حتى انتهيت الى النبي صلى الله عليه وسلم فعرض علي الاسلام فاسلمت
واخبرته الخبر فقال اذا اجتمع المسلمون فاخبرهم فلما اجتمع الناس قمت فقلت

اتاني نجيي بعد هدء ورقدة • ولم يك فيما قد بلوت بكاذب •
ثلاث ليال قوله كل ليلة • اتاك رسول من لوي بن غالب •
فشمرت عن ذيلي الازار ووسطت • بي الذعلب الوجناء غبر السباسب •

واعلم ان الله لا رب غيره • وانك مأمون على كل غائب
وانك ادنى المرسلين وسيلة • الى الله يا ابن الاكرمين الاطايب
فمرنا بما ياتيك يا خير مرسل • وان كان فيما جا شيب الذوائب

قال ففرح المسلمون بذلك فقال له عمر هل تحس اليوم منها بشي قال اما اذ علمني الله القران فلا وقد رواه محمد بن السايب الكلبي عن ابيه عن عمر بن حفص قال لما ورد سواد بن قارب على عمر قال يا سواد ما بقي من كهانتك فغضب وقال ما اظنك يا امير المومنين استقبلت احدا من العرب بمثل هذا فلما راى ما في وجهه من اثر الغضب قال انظر يا سواد للذي كنا عليه قبل اليوم من الشرك اعظم ثم قال يا سواد حدثني حديثا كنت اشتهي ان اسمعه منك قال نعم بينا انا في ابل لي بالسراة ببلاد انا بها وكان لي نجي من الجن اتاني فضربني برجله فقال قم يا سواد فقد ظهر بتهامة نبي يدعوا الى الحق والى طريق مستقيم فذكر القصة كما تقدم وزاد في اخر الشعر

وكن لي شفيعا يوم لا ذو قرابة • سواك بمغن عن سواد بن قارب

فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم سر في قومك وقل هذا الشعر فيهم ورواه الحافظ ابن عساكر من طريق سليمان بن عبد الرحمن عن الحكم بن يعلى بن عطا المحاربي عن عباد بن عبد الصمد عن سعيد بن جبير قال اخبرني سواد بن قارب الازدي قال كنت نايما على جبل من جبال السراة فاتاني آت فضربني برجله وذكر القصة ورواه ايضا من طريق محمد بن البراء عن ابي بكر بن عياش عن ابي اسحاق عن البرا قال قال سواد بن قارب كنت نازلا بالهند فجاءني رئيي ذات ليلة فذكر القصة وقال بعد انشاد الشعر الاخير فضحك رسول الله حتى بدت نواجذه وقال افلحت يا سواد وقال ابو نعيم في كتاب دلايل النبوة حدثنا عبد الله بن محمد بن جعفر ثنا عبد الرحمن بن الحسن ثنا علي بن حرب ثنا ابو المنذر هشام بن محمد بن السايب عن ابيه عن عبد الله العماني قال كان منا رجل يقال له مازن بن الغضوبة يسدن صنما بقرية يقال لها سمايل من عمان وكانت تعظمه بنو الصامت وبنو حطامة ومهرة وهم اخوال مازن امه زينب بنت عبد الله بن ربيعة بن جويص احد بني نمران قال مازن فعترنا ذات يوم عند الصنم عتيرة وهي الذبيحة فسمعت صوتا من الصنم يقول يا مازن اسمع تسر ظهر خير وبطن شر بعث نبي من مضر بدين الله الكبر فدع نحيتا من حجر تسلم من حر سقر قال ففزعت لذلك ثم عترنا بعد ايام عتيرة اخرى فسمعت صوتا من الصنم يقول اقبل الي اقبل تسمع ما لا تجهل هذا نبي مرسل جاء بحق منزل فامن به كي تعدل عن حر نار تشعل وقودها الجندل قال مازن فقلت ان هذا لعجب وان هذا لخير يراد بي وقدم علينا رجل من الحجاز فقلت ما الخبر وراءك فقال ظهر رجل يقال له احمد يقول لمن اتاه اجيبوا داعي الله فقلت هذا نبا ما سمعت فسرت الى الصنم فكسرته اجذاذا وركبت راحلتي حتى قدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فشرح لي الاسلام فاسلمت وقلت

كسرت باجر اجذاذا وكان لنا • ربا نطيف به ضلا بتضلال
بالهاشمي هدانا من ضلالتنا • ولم يكن دينه مني على بال
يا راكبا بلغن عمرا واخوتها • اني لمن قال ربي باجر قالي

يعني بعمرو الصامت واخوتها حطامة فقلت يا رسول الله اني امرء مولع بالطرب وبالهلوك

من النساء وبشرب الخمر والحت علينا السنون فاذهبن الاموال واهزلن الذراري وليس لي ولد فادع الله ان يذهب عني ما اجد ويأتينا بالحيا ويهب لي ولدا فقال النبي صلى الله عليه وسلم اللهم ابدله بالطرب قراة القران وبالحرام الحلال وبالاثم نيه وبالعهر عفة واته بالحيا وهب له ولدا قال فاذهب الله عني ما اجد واخصبت عمان وتزوجت اربع حراير وحفظت شطر القران ووهب لي حيان بن مازن وانشا يقول

اليك رسول الله خبت مطيتي • تجوب الفيافي من عمان الى العرج
لتشفع لي يا خير من وطي الحصا • فيغفر لي ربي فارجع بالفلج
الى معشر خالفت في الله دينهم • فلا رايهم رايي ولا شرجهم شرجي
وكنت امرا بالخمر والعهر مولعا • شبابي حتى اذن الجسم بالنهج
فبدلني بالخمر خوفا وخشية • وبالعهر احصانا فحصن لي فرجي
فاصبحت همي في الجهاد ونيتي • فلله ما صومي ولله ما حجي

قال فلما اتيت قومي انبوني وشتموني وامروا شاعرا لهم فهجاني فقلت ان رددت عليه فانما اهجو نفسي فرحلت عنهم فاتتني منهم ازفلة عظيمة وكنت القيم باموره فقالوا يا ابن عم عبنا عليك امرا وكرهنا ذلك فان ابيت فارجع وقم باموارنا وشانك وما تدين به فرجعت معهم وقلت

لبغضكم عندنا مر مذاقته • وبغضنا عندكم يا قومنا لبن
لا يفطن الدهر ان يثت معايبكم • وكلكم حين يثنا عيبنا فطن
شاعرنا مفحم عنكم وشاعركم • في حدبنا مبلغ في شتمنا لسن
ما في القلوب عليكم فاعلموا وغر • وفي قلوبكم البغضاء والاحن

قال مازن فهداهم الله بعد الى الاسلام جميعا وروى الحافظ ابو نعيم من حديث عبد الله بن محمد بن عقيل عن جابر بن عبد الله قال ان اول خبر كان بالمدينة بمبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم ان امراة من المدينة كان لها تابع من الجن فجاء في صورة طاير ابيض فوقع على حائط لهم فقالت له لم لا تنزل الينا فتحدثنا ونحدثك وتخبرنا ونخبرك فقال لها انه قد بعث نبي بمكة حرم الزنا ومنع منا القرار وقال الواقدي حدثني عبد الرحمن بن عبد العزيز عن الزهري عن علي بن الحسين قال ان اول خبر قدم المدينة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان امراة تدعى فاطمة كان لها تابع فجاءها ذات يوم فقام على الجدار فقالت الا تنزل فقال الا انه قد بعث الرسول الذي حرم الزنا وارسله بعض الناس تابعين ايضا وسماه ابن لوذان وذكر انه كان غاب عنها مدة ثم لما قدم عاتبته فقال اني جيت الرسول فسمعته يحرم الزنا فعليك السلام وقال الواقدي حدثني محمد بن صالح عن عاصم بن عمر بن قتادة قال قال عثمان بن عفان خرجنا في عير الى الشام قبل ان يبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما كنا بافواه الشام وبها كاهنة تعرضتنا فقالت اتاني صاحبي فوقف على بابي فقلت الا تدخل فقال لا سبيل الى ذلك خرج احمد وجاء امر لا يطاق ثم انصرفت فرجعنا الى مكة فوجدت رسول الله قد خرج بمكة يدعوا الى الله عز وجل وقال الواقدي حدثني محمد بن عبد الله عن الزهري قال كان الوحي يسمع فلما كان الاسلام منعوا وكانت امراة من بني اسد يقال لها سعيرة لها تابع من الجن فلما راى الوحي لا يستطاع اتاها فدخل في صدرها فضج في صدرها فذهب عقلها

فجعل يقول من صدرها دمع العناق ومنع الرفاق وجا امر لا يطاق احد حرم الزنا فقال
الحافظ ابو بكر الخرائطي حدثنا عبد الله بن محمد البلوي بمصر ثنا عمارة بن زيد ثنا عيسى
ابن يزيد عن صالح بن كيسان عمن حدثه عن مرداس بن قيس السدوسي قال حضرت النبي
صلى الله عليه وسلم وقد ذكرت عنده الكهانة وما كان من تغييرها عند مخرجه فقلت يا رسول
الله قد كان عندنا من ذلك شي اخبرك ان جارية منا يقال لها الخلصة لم نعلم عليها الا
خيرا اذ جاءتنا فقالت يا معشر دوس العجب العجب لما اصابني هل علمتم الا خيرا قلنا وما ذاك
قالت اني لفي غنمي اذ غشيتني ظلمة ووجدت كحس الرجل مع المراة فقد خشيت ان اكون
قد حبلت حتى اذا دنت ولادتها وضعت غلاما اغضف له اذنان كاذني الكلب فمكث
فينا حتى انه ليلعب مع الغلمان اذ وثب وثبة والقى ازاره وصاح باعلى صوته وجعل يقول
يا ويله يا ويله يا عوله يا ويل غنم يا ويل فهم من قابس لنار الخيل والله لابراء العقبة فيهن
فتيان حسان نجبة قال فركبنا واخذنا الاداة وقلنا ويلك ما ترى فقال لا من جارية
طامث فقلنا ومن لنا بها فقال الشيخ منا هي والله عندي عفيفة الام فقلنا فعجلها فاتي
بالجارية وطلع الجبل وقال للجارية اطرحي ثوبك واخرجي في وجوههم وقال للقوم اتبعوا
اثرها وقال لرجل منا يقال له احمر بن حابس فقال يا احمر بن حابس عليك اول فارس فحمل
احمر فطعن اول فارس فصرعه فانهزموا وغنمناهم قال فابتنينا عليهم بيتا وسميناه
ذا الخلصة وكان لا يقول لنا شيا الا كان كما يقول حتى اذا كان مبعثك يا رسول الله قال لنا
يوما يا معشر دوس نزلت بنو الحرث بن كعب فركبنا فقال لنا اكدسوا الخيل كدسا احسوا
القوم راسا القوهم غدية واشربوا الخمر عشية قال فلقيناهم فهزمونا وغلبونا فرجعنا
اليه فقلنا ما حالك وما الذي صنعت بنا فنظرنا اليه وقد احمرت عيناه وانتصبت اذناه
وانبرم غضبانا حتى كاد ان ينفطر وقام فركبنا واغتفرنا هذه له ومكثنا بعد ذلك حينا
ثم دعانا فقال هل لكم في غزوة تهب لكم عزا وتجعل لكم حرزا وتكون في ايديكم كنزا فقلنا
ما احوجنا الى ذلك فقال اركبوا فركبنا فقلنا ما تقول فقال بنو الحرث بن سلمة ثم قال
قفوا فوقفنا ثم قال عليكم بفهم ثم قال ليس لكم فيهم دم عليكم بمضر هم ارباب خيل ونعم
ثم قال لا رهط دريد بن الصمة قليل العدد وفي الذمة ثم قال لا ولكن عليكم بكعب بن ربيعة
واسكروها صنيعة عامر بن صعصعة فليكن بهم الوقيعة قال فلقيناهم فهزمونا وفضحونا
فرجعنا وقلنا ويلك ما ذا تصنع بنا فقال لنا ما ادري كذبني الذي كان يصدقني اسجنوني في بيتي
ثلاثا ثم ايتوني ففعلنا به ذلك ثم اتينا بعد ثالثة ففتحنا عنه فاذا هو كانه جمرة نار فقال
يا معشر دوس حرست السما وخرج خير الانبيا قلنا اين قال بمكة وانا ميت فادفنوني في راس
جبل فاني سوف اضطرم نارا وان تركتموني كنت عليكم عارا فاذا رايتم اضطرامي وتلهبي فـ
اقذفوني بثلاثة احجار ثم قولوا مع كل حجر باسمك اللهم فاني اهدى واطفى قال وانه مات
واشتعل نارا ففعلنا بما امر فقذفناه بثلاثة احجار نقول مع كل حجر باسمك اللهم فخمد
وطفى واقمنا حتى قدم علينا الحاج فاخبرونا بمبعثك يا رسول الله غريب جدا وروي لو انك
عن ابن ابي ذيب عن مسلم بن جندب عن النضر بن سفيان الهذلي عن ابيه قال خرجنا الى عير
لنا الى الشام فلما كنا بين الزرقا ومعان قد عرسنا من الليل فاذا بفارس يقول وهو بين السما
والارض ايها النيام هبوا فليس هذا حين رقاد قد خرج احمد وطردت الجن كل مطرد ففزعنا ونحن

تكلموا فيه وضعفوه

ياعوله

فاركبوا

بكلة

ورقة حروه كلهم قد سمع بهذا فرجعنا الى اهلها فاذا هم يذكرون اختلافا بين قريش
في بني خزيمة منهم من بني عبد المطلب اسمه احمد ذكره ابو نعيم وقال الخرائطي ثنا عبد الله بن محمد
البلوي بمصر ثنا عمارة بن زيد حدثني عبد الله بن العلا حدثني يحيى بن عروة عن ابيه ان نفرا
من قريش منهم ورقة بن نوفل بن اسد بن عبد العزى بن قصي وزيد بن عمرو بن نفيل وعبيد الله بن
جحش بن رئاب وعثمان بن الحويرث كانوا عند صنم لهم يجتمعون اليه قد اتخذوا ذلك اليوم
من كل سنة عيدا كانوا يعظمونه وينحرون له الجزر ثم ياكلون ويشربون الخمر ويعكفون عليه
فدخلوا عليه في الليل فراوه مكبوبا على وجهه فانكروا ذلك فاخذوه فردوه الى حاله فلم يلبث
ان انقلب انقلابا عنيفا فاخذوه فردوه الى حاله فانقلب الثالثة فلما راوا ذلك اغتموا
له واعظموا ذلك فقال عثمان بن الحويرث ما له قد اكثر التنكس ان هذا الامر قد حدث وذلك
في الليلة التي ولد فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعل عثمان يقول

ايا صنم العيد الذي صف حوله • صناديد وفد من بعيد ومن قرب
تنكست مغلوبا فما ذاك قل لنا • اذاك سفيه ام تنكست للعتب
فان كان من ذنب اتينا فاننا • نبوء باقرار ونلوي عن الذنب
وان كنت مغلوبا نكست صاغرا • فما انت في الاوثان بالسيد الرب

قال فاخذوا الصنم فردوه الى حاله فلما استوى هتف بهم هاتف من الصنم بصوت جهير
وهو يقول

تردى لمولود انارت بنوره • جميع فجاج الارض في الشرق والغرب
وخرت له الاوثان طرا وارعدت • قلوب ملوك الارض طرا من الرعب
ونار جميع الفرس باخت واظلمت • وقد بات شاه الفرس في اعظم الكرب
وصدت عن الكهان بالغيب جنها • فلا مخبر عنهم بحق ولا كذب
فيا لقصي ارجعوا عن ضلالكم • وهبوا الى الاسلام والمنزل الرحب

قال فلما سمعوا ذلك خلصوا نجيا فقال بعضهم لبعض تصادقوا وليكتم بعضكم
على بعض فقالوا اجل فقال لهم ورقة بن نوفل تعلمون والله ما قومكم على دين ولقد
اخطاوا الحجة وتركوا دين ابراهيم ما حجر تطيفون به لا يسمع ولا يبصر ولا ينفع ولا يضر
يا قوم التمسوا لانفسكم الدين قال فخرجوا عند ذلك يضربون في الارض ويسالون عن
الحنيفية دين ابراهيم عليه السلام فاما ورقة فتنصر وقرا الكتب حتى علم علما واما عثمان
بن الحويرث فصار الى قيصر فتنصر وحسنت منزلته عنده واما زيد بن عمرو بن نفيل فاراد
الخروج فحبس ثم انه اخرج بعد ذلك فضرب في الارض حتى بلغ الرقة من ارض الجزيرة فلقي بها
راهبا عالما فاخبره بالذي يطلب فقال له الراهب انك لتطلب دينا ما تجد من يحملك عليه
ولكن قد اظلك زمان نبي يخرج من بلدك يبعث بدين الحنيفية فلما قال له ذلك رجع يريد
مكة فغارت عليه لخم فقتلوه واما عبيد الله بن جحش فاقام بمكة حتى بعث النبي صلى الله
عليه وسلم ثم خرج مع من خرج الى ارض الحبشة فلما صار بها تنصر وفارق الاسلام فكان بها
حتى هلك بها نصرانيا تقدم في ترجمة زيد بن عمرو وله شاهد وقد قال الخرائطي حدثنا
احمد بن اسحاق بن صالح ابو بكر الوراق ثنا عمرو بن عثمان حدثني ابي حدثني عبد الله بن عبد العزيز
حدثني محمد بن عبد العزيز عن الزهري عن عبد الرحمن بن انس السلمي عن العباس بن مرداس انه كان

يعرفه لقاح له نصف النهار اذ طلعت عليه نعامة بيضا عليها راكب عليه ثياب بيض مثل اللبن فقال لي يا عباس بن مرداس الم تر ان السما قد كفت احراسها وان الحرب جرعت انفاسها وان الخيل وضعت احلاسها وان الذي نزل بالبر والتقوى يوم الاثنين ليلة الثلثا صاحب الناقة القصوى قال فرجعت مرعوبا قد راعني ما رايت وسمعت حتى جئت وثنا لنا يدعى الضماد وكنا نعبده فتكلم من جوفه فكنست حوله ثم تمسحت به وقبلته فاذا صايح من جوفه يقول

٭ قل للقبايل من سليم كلها ٭ هلك الضماد وفاز اهل المسجد ٭

٭ هلك الضماد وكان يعبد مرة ٭ قبل الصلاة مع النبي محمد ٭

٭ ان الذي جا بالنبوة والهدى ٭ بعد ابن مريم من قريش مهتد ٭

قال فخرجت مرعوبا حتى اتيت قومي فقصصت عليهم القصة واخبرتهم الخبر وخرجت في ثلثمائة من قومي من بني حارثة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بالمدينة فدخلنا المسجد فلما راني رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لي يا عباس كيف كان اسلامك فقصصت عليه القصة قال فسر بذلك واسلمنا انا وقومي ورواه الحافظ ابو نعيم في الدلايل من حديث ابي بكر بن ابي عاصم عن عمرو بن عثمان به ثم رواه ايضا من طريق الاصمعي حدثني الوصافي عن منصور المعتمر عن قبيصة بن عمرو بن اسحاق الخزاعي عن العباس بن مرداس السلمي قال اول اسلامي ان مرداسا ابي لما حضرته الوفاة اوصاني بصنم يقال له ضماد فجعلته في بيت وجعلت اتيه كل يوم مرة فلما ظهر النبي صلى الله عليه وسلم سمعت صوتا ازيلا في جوف الليل وعفي فوثبت الى ضماد مستغيثا فاذا بالصوت من جوفه وهو يقول

٭ قل للقبيلة من سليم كلها ٭ هلك الانيس وعاش اهل المسجد ٭

٭ اودى ضماد وكان يعبد مرة ٭ قبل الكتاب الى النبي محمد ٭

٭ ان الذي ورث النبوة والهدى ٭ بعد ابن مريم من قريش مهتد ٭

قال فكتمته الناس فلما رجع الناس من الاحزاب بينا انا في ابلي بطرف العقيق من ذات عرق راقد اسمعت صوتا واذا برجل على جناح نعامة وهو يقول النور الذي وقع ليلة الثلثا مع صاحب الناقة العضبا وارحوا الين العنقا فاجابه هاتف من شماله وهو يقول بشر الجن وابلاسها ان وضعت المطي احلاسها وكلات السما احراسها قال فوثبت مذعورا وعلمت ان محمدا مرسل فركبت فرسي واحثثت السير حتى انتهينا اليه فبايعته ثم انصرفت الى ضماد فاحرقته بالنار ثم رجعت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فانشدته شعرا اقول فيه

٭ لعمرك اني يوم اجعل جاهلا ٭ ضمادا لرب العالمين مشاركا ٭

٭ وتركي رسول الله والاوس حوله ٭ اوليك انصار له ما اوليكا ٭

٭ كتارك سهل الارض والحزن يبتغي ٭ ليسلك في وعث الامور المسالكا ٭

٭ فامنت بالله الذي انا عبده ٭ وخالفت من امسى يريد المهالكا ٭

٭ ووجهت وجهي نحو مكة قاصدا ٭ ابايع نبي الاكرمين المباركا ٭

٭ نبيا اتانا بعد عيسى بناطق ٭ من الحق فيه الفصل فيه كذلكا ٭

٭ امين على الفرقان اول شافع ٭ واول مبعوث يجيب الملايكا ٭

٭ تلافى عرى الاسلام بعد انتقاضها ٭ فاحكمها حتى اقام المناسكا ٭

٭ عنيتك يا خير البرية كلها ٭ توسطت في الفرعين والمجد مالكا ٭

وانت

٭ وانت المصفى من قريش اذا سمت ٭ على ضمها تمضي القرون المباركا ٭

٭ اذا انتسب الحيان كعب ومالك ٭ وجدنا محضا والنسا العواركا ٭

قال الخرايطي وحدثنا عبد الله بن محمد البلوي بمصر ثنا عمارة بن زيد ثنا اسحاق بن بشر وسلمة بن الفضل عن محمد بن اسحاق حدثني شيخ من الانصار يقال له عبد الله بن محمود من آل محمد بن مسلمة قال بلغني ان رجالا من خثعم كانوا يقولون ان مما دعانا الى الاسلام انا كنا قوما نعبد الاوثان فبينا نحن ذات يوم عند وثن لنا اذ اقبل نفر يتقاضون اليه يرجون الفرج من عنده لشي شجر بينهم اذ هتف بهم هاتف من الصنم فجعل يقول

٭ يا ايها الناس ذوو الاجسام ٭ من بين اشياخ الى غلام ٭

٭ ما انتم وطايش الاحلام ٭ ومسند الحكم الى الاصنام ٭

٭ اكلكم في حيرة نيام ٭ ام لا ترون ما ارى امامي ٭

٭ من ساطع يجلو دجى الظلام ٭ قد لاح للناظر من تهام ٭

٭ ذاك نبي سيد الانام ٭ قد جا بعد الكفر بالاسلام ٭

٭ اكرمه الرحمن من امام ٭ ومن رسول صادق الكلام ٭

٭ اعدل ذي حكم من الحكام ٭ يامر بالصلاة والصيام ٭

٭ والبر والصلات للارحام ٭ ويزجر الناس عن الاثام ٭

٭ والرجس والاوثان والحرام ٭ من هاشم في ذروة السنام ٭

٭ مستعلنا في البلد الحرام ٭ قال فلما سمعنا ذلك تفرقنا عنه واتينا النبي صلى الله عليه وسلم فاسلمنا وقال الخرايطي حدثنا عبد الله البلوي ثنا عمارة حدثني عبيد الله بن العلا ثنا محمد بن عكبر عن سعيد بن جبير ان رجلا من بني تميم يقال له رافع بن عمير وكان اهدى الناس لطريق واسراهم بليل واهجمهم على هول وكانت العرب تسميه لذلك دعموص العرب لهدايته وجراته على السير فذكر عن بدو اسلامه قال اني لاسير برمل عالج ذات ليلة اذ غلبني النوم فنزلت عن راحلتي وانختها وتوسدت ذراعها وقمت وقد تعوذت قبل نومي فقلت اعوذ بعظيم هذا الوادي من الجن من ان اوذى او اهاج فرايت في منامي رجلا شابا يرصد ناقتي وبيده حربة يريد ان يضعها في نحرها فانتبهت لذلك فزعا فنظرت يمينا وشمالا فلم ار شيا فقلت هذا حلم ثم عدت فغفوت فرايت في منامي مثل رؤياي الاولى فانتبهت فدرت حول ناقتي فلم ار شيا واذا ناقتي ترعد ثم غفوت فرايت مثل ذلك فانتبهت فرايت ناقتي تضطرب والتفت فاذا انا برجل شاب كالذي رايت في المنام بيده حربة ورجل شيخ ممسك بيده يرده عنها وهو يقول

٭ يا مالك بن مهلهل بن اثار ٭ مهلا فدى لك ميزري وازاري ٭

٭ عن ناقة الانسي لا تعرض لها ٭ واختر بها ما شيت من اثواري ٭

٭ ولقد بدا لي منك ما لم احتسب ٭ الا رعيت قرابتي وذماري ٭

٭ تسمو اليه بحربة مسمومة ٭ تبا لفعلك يا ابا الغفار ٭

٭ لولا الحياء وان اهلك جيرة ٭ لعلمت ما كشفت من اخباري ٭

قال فاجابه الشاب وهو يقول

أأردت أن تعلو وتخفض ذكرنا • في غير مرزية أبا الغيزار •
ما كان فيهم سيد فيما مضى • إن الخيار هم بنو الأخيار •
فاقصد لقصدك يا معيكر إنما • كان المجير مهلهل بن أثار •

قال فبينما هاينتنا زعمان إذ طلعت ثلاثة أثوار من الوحش فقال الشيخ للفتى قم يا ابن أخت فخذ أيها شئت بدلا لناقة جارك الإنسي فقام الفتى فأخذ منها ثورا وانصرف ثم التفت إلى الشيخ فقال يا عبد الله إذا نزلت واديا من الأودية فخفت هوله فقل أعوذ بالله رب محمد من هول هذا الوادي ولا تعذ بأحد من الجن فقد بطل أمرها قال فقلت له ومن محمد هذا فقال نبي عربي لا شرقي ولا غربي بعث يوم الاثنين فقلت وأين مسكنه قال يثرب ذات النخل قال فركبت ناقتي حين برق لي الصبح وجددت السير حتى تقحمت المدينة فرآني رسول الله صلى الله عليه وسلم فحدثني بحديثي قبل أن أذكر له منه شيئا ودعاني إلى الإسلام فأسلمت قال سعيد بن جبير وكنا نرى أنه هو الذي أنزل الله فيه وأنه كان رجال من الإنس يعوذون برجال من الجن فزادوهم رهقا وقد روى الخرائطي من طريق إبراهيم بن إسماعيل بن أبي حبيبة عن داود بن الحصين عن عكرمة عن ابن عباس عن علي قال إذا كنت بواد تخاف السبع فقل أعوذ بدانيال والجب من شر الأسد وروى عن البلوي عن عمارة ابن زيد عن إبراهيم بن سعد عن محمد بن إسحاق حدثني يحيى بن عبد الله بن الحرث عن أبيه عن ابن عباس قصة قتال علي الجن بالبئر ذات العلم التي بالجحفة حين بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم يستقي لهم الماء فأرادوا منعه وقطعوا الدلو فنزل إليهم وهي قصة مطولة منكرة جدا والله أعلم وقال الخرائطي حدثني أبو الحرث محمد بن مصعب الدمشقي وغيره حدثنا سليمان بن بنت شرحبيل الدمشقي ثنا عبد القدوس بن الحجاج ثنا مجالد بن سعيد عن الشعبي عن رجل قال كنت في مجلس عمر بن الخطاب وعنده جماعة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يتذاكرون فضائل القرآن فقال بعضهم خواتيم سورة النحل وقال بعضهم سورة يس فقال علي فأين أنتم عن فضيلة آية الكرسي أما إنها خمسون [سبعون] كلمة في كل كلمة منها سبعون بركة قال وفي القوم عمرو بن معدي كرب لا يحير جوابا فقال أين أنتم عن بسم الله الرحمن الرحيم فقال عمر حدثنا يا أبا ثور فقال بينا أنا في الجاهلية إذ جهدني الجوع فأقحمت فرسي البرية فما أصبت إلا بيض النعام فبينما أنا أسير إذا أنا بشيخ عربي في خيمة وإلى جانبه جارية كأنها شمس طالعة ومعه غنيمات له فقلت له استأسر ثكلتك أمك فرفع رأسه إلي وقال يا فتى إن أردت قرى فانزل وإن أردت معونة أعنّاك فقلت له استأسر فقال

• عرضنا عليك النزل منا تكرما • فلم ترعوي جهلا كفعل الأشائم •
• وجئت ببهتان وزور ودون ما • تمنيته بالبيض حز الحلاقم • [الغلاصم]

قال ووثب إلي وثبة وهو يقول بسم الله الرحمن الرحيم فكأني مثلت تحته ثم قال أقتلك أم أخلي عنك قلت بل خل عني قال فخلى عني ثم إن نفسي جاذبتني بالمعاودة فقلت استأسر ثكلتك أمك فقال بسم الله والرحمن زيانا لك والرحيم به قهرنا وما تغني جلادة ذي حفاظ إذا قوم لمعركة برزنا ثم وثب إلي وثبة كأني مثلت تحته فقال أقتلك أم أخلي عنك قال قلت بل خل عني فخلى عني فانطلقت غير بعيد

ثم قلت في نفسي يا عمرو أيقهرك مثل هذا الشيخ والله للموت خير لك من الحياة فرجعت إليه فقلت له استأسر ثكلتك أمك فوثب إلي وثبة وهو يقول بسم الله الرحمن الرحيم فكأني مثلت تحته فقال أقتلك أم أخلي عنك قلت بل خل عني فقال هيهات يا جارية ايتيني بالمدية فأتته بالمدية فجز ناصيتي وكانت العرب إذا ظفرت برجل فجزت ناصيته استعبدته فكنت معه أخدمه مدة ثم إنه قال يا عمرو أريد أن تركب معي البرية وليس بي منك وجل وإني ببسم الله الرحمن الرحيم لواثق قال فسرنا حتى أتينا واديا أشبا شيئا مهولا مغولا فنادى بأعلى صوته بسم الله الرحمن الرحيم فلم يبق طير في وكره إلا طار ثم أعاد الصوت فلم يبق سبع في مربضه إلا هرب ثم أعاد الصوت فإذا نحن بحبشي قد خرج علينا من الوادي كالنخلة السحوق فقال لي يا عمرو إذا رأيتنا قد اتحدنا فقل غلبه صاحبي ببسم الله الرحمن الرحيم قال فلما رأيتهما قد اتحدا قلت غلبه صاحبي باللات والعزى فلم يصنع الشيخ شيئا فرجع إلي وقال قد علمت أنك خالفت قولي قلت أجل ولست بعائد فقال إذا رأيتنا قد اتحدنا فقل غلبه صاحبي ببسم الله الرحمن الرحيم قال فاتكأ عليه الشيخ فبعجه بسيفه فاشتق جوفه فاستخرج منه شيئا كهيئة القنديل الأسود ثم قال يا عمرو هذا غشه وغله ثم قال أتدري من تلك الجارية قلت لا قال تلك الفارعة بنت السليل الجرهمي وكان أبوها من خيار الجن وهؤلاء أهلها وبنو عمها يغزوني منهم كل عام رجل ينصرني الله عليه ببسم الله الرحمن الرحيم ثم قال قد رأيت ما كان مني إلى الحبشي وقد غلب علي الجوع فأتني بشيء آكله فأقحمت فرسي البرية فما أصبت إلا بيض النعام فأتيته به فوجدته نائما وإذا تحت رأسه شيء كهيئة الخشبة فاستللته وإذا هو سيف عرضه شبر في سبعة أشبار فضربت ساقيه ضربة أبنت الساقين مع القدمين فاستوى على فقار ظهره وهو يقول قاتلك الله ما أغدرك يا غدار قال عمر ثم ماذا صنعت قلت فلم أزل أضربه بسيفه حتى قطعته إربا إربا قال فوجم لذلك ثم أنشأ يقول

• بالغدر نلت أخا الإسلام عن كثب • ما إن سمعت كذا في سالف العرب •
• والعجم تأنف مما جئته كرما • تبا لما جئته في السيد الأرب •
• إني لأعجب أنى نلت قتلته • أم كيف جازاك عند الذنب لم تنب •
• قرم عفا عنك مرات وقد علقت • بالجسم منك يداه موضع العطب •
• لو كنت آخذ في الإسلام ما فعلوا • في الجاهلية أهل الشرك والصلب •
• إذا لنالتك من عدلي مشطبة • يدعى لغايتها بالويل والحرب •

قال ثم ماذا كان من حال الجارية قلت ثم إني أتيت الجارية فلما رأتني قالت ما فعل الشيخ قلت قتله الحبشي قالت كذبت بل قتلته أنت بغدرك ثم أنشأت تقول •

• عين جودي للفارس المغوار • ثم جودي بواكفات غزار •
• لا تملي البكاء إذ خانك الدهر • بواف حقيقة صبار •
• وتقي وذي وقار وحلم • وعديل الفخار يوم الفخار •
• لهف نفسي على بقائك عمرو • أسلمتك الأعمار للأقدار •
• ولعمري لو لم ترمه بغدر • رمت ليثا بصارم بتار •

قال فأحفظني قولها فاستللت سيفي ودخلت الخيمة لأقتلها فلم أر في الخيمة أحدا فاستقت

قلت افعل بلا رايتهما قد اتحدا قلت غلبه صاحبي بسم الله الرحمن الرحيم

الماشية وجئنا الى اهلي وهذا اثر غريب والظاهر ان الشيخ كان من الجان وكان ممن اسلم وتعلم
القرآن وفيما تعلمه بسم الله الرحمن الرحيم وكان يتعوذ بهما وقال الخرائطي ثنا عبد
الله بن محمد البلوي ثنا عمارة بن زيد قال حدثني عبد الله بن العلاء عن هشام بن عروة عن ابيه
عن جدته اسماء بنت ابي بكر قالت كان زيد بن عمرو بن نفيل وورقة بن نوفل يذكران انهما اتيا
النجاشي بعد رجوع ابرهة من مكة قالا فلما دخلنا عليه قال لنا اصدقاني ايها القرشيان
هل ولد فيكم مولود اراد ابوه ذبحه فضرب عليه بالقداح فسلم ونحرت عنه ابل كثيرة قلنا نعم
قال هل لكما علم به ما فعل قلنا تزوج امرأة يقال لها آمنة بنت وهب تركها حاملا وخرج
قال فهل تعلمان ولد ام لا قال ورقة بن نوفل اخبرك ايها الملك اني ليلة قد بت عند
وثن لنا كنا نطيف به ونعبده اذ سمعت من جوفه هاتفا وهو يقول ولد النبي فذلت
الاملاك ونأى الضلال وادبر الاشراك ثم انتكس الصنم على وجهه فقال زيد بن عمرو بن
نفيل عندي كخبره ايها الملك قال هات قال اني في مثل هذه الليلة التي ذكر فيها حديثه
خرجت من عند اهلي وهم يذكرون حمل آمنة حتى اتيت جبل ابي قبيس اريد الخلوة فيه لامر رابني
اذ رايت رجلا ينزل من السماء له جناحان اخضران فوقف على ابي قبيس ثم اشرف على مكة
فقال ذل الشيطان وبطلت الاوثان وولد الامين ثم نشر ثوبا معه واهوى به نحو المشرق
والمغرب فرايته قد جلل ما تحت السماء وسطع نور كاد ان يختطف بصري وهالني ما رايت وخفق
الهاتف بجناحيه حتى سقط على الكعبة فسطع له نور اشرقت له تهامة وقال زكت الارض
وادت ربيعها واوما الى الاصنام التي كانت على الكعبة فسقطت كلها قال النجاشي
ويحكما اخبركما عما اصابني اني لنائم في الليلة التي ذكرتما في قبة وقت خلوتي اذ خرج علي من
الارض عنق وراس وهو يقول حل الويل باصحاب الفيل رمتهم طير ابابيل بحجارة من سجيل
هلك الاشرم المعتدي المجرم وولد النبي الامي الحرمي المكي من اجابه سعد ومن اباه عند ثم دخل
الارض فغاب فذهبت اصيح فلم اطق الكلام ورمت القيام فلم اطق القيام فصرعت القبة
بيدي فسمع اهلي فجاؤوني فقلت احجبوا عني الحبشة فحجبوهم عني ثم اطلق عن لساني ورجلي
وسيأتي ان شاء الله تعالى في قصة المولد [illegible] كسرى في سقوط اربع عشرة شرفة من ايوانه
وخمود نيرانه ورؤيا موبذانه وتفسير سطيح لذلك على يدي عبد المسيح وروى الحافظ ابو
القسم بن عساكر في تاريخه في ترجمة الحرث بن هانئ بن المدلج بن المقداد بن زمل بن عمرو العذري
عن ابيه عن جده عن ابيه عن زمل بن عمرو العذري قال كان لبني عذرة صنم يقال له حمام وكانوا
يعظمونه وكان في بني هند بن حرام بن ضبة بن عبد بن كبير بن عذرة وكان سادنه رجلا يقال له
طارق وكانوا يعترون عنده فلما ظهر رسول الله صلى الله عليه وسلم سمعنا صوتا يقول
يا بني هند بن حرام ظهر الحق واودى حمام ودفع الشرك الاسلام قال ففزعنا لذلك وهالنا
فمكثنا اياما ثم سمعنا صوتا وهو يقول يا طارق يا طارق بعث النبي الصادق بوحي ناطق صدع
صادع بارض تهامة لناصريه السلامة ولخاذليه الندامة هذا الوداع مني الى يوم القيامة
قال زمل فوقع الصنم لوجهه قال زمل فابتعت راحلة ورحلت حتى اتيت النبي صلى الله
عليه وسلم مع نفر من قومي فانشدته شعرا قلته

• اليك رسول الله اعملت نصها • وكلفتها حزنا وقوزا من الرمل •
• لانصر خير الناس نصرا مؤزرا • واعقد حبلا من حبالك في حبلي •

وقال سعيد بن يحيى الاموي في مغازيه ثنا محمد بن سعيد يعني عمه قال قال محمد بن المنكدر انه ذكر له عن ابن عباس قال هتف هاتف من الجن على ابي قبيس فقال
قبح الله رايكم آل فهر • ما ادق العقول والافهام • حين تعصى لمن يعيب عليها • دين آبائها الحماة الكرام • حالف الجن جن بصرى عليكم • ورجال النخيل والآطام •
يوشك الخيل ان تروها نهارا • تقتل القوم في حرام بهام • هل كريم منكم له نفس حر • ماجد الجدتين والاعمام • ضارب ضربة تكون نكالا • ورواحا من كربة واغتمام •
قال ابن عباس فاصبح هذا الشعر حديثا لاهل مكة يتناشدونه بينهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا شيطان يكلم الناس في الاوثان يقال له مسعر والله مخزيه
فمكثوا ثلاثة ايام فاذا هاتف يهتف على الجبل يقول • نحن قتلنا في ثلاث مسعرا • اذ سفه الجن وسن المنكرا • قنعته سيفا حساما مشهرا • بشتمه نبينا المطهرا • فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا عفريت من الجن اسمه سمحج آمن بي سميته عبد الله اخبرني انه في طلبه ثلاثة ايام فقال علي جزاه الله خيرا يا رسول الله
صح

• وأشهد ان الله لا شيء غيره • ادين به ما اثقلت قدمي نعلي •

قال فاسلمت وبايعته واخبرناه بما سمعنا فقلنا ذلك من كلام الجن ثم قال يا معشر العرب
اني رسول الله اليكم والى الانام كافة ادعوكم الى عبادة الله وحده واني رسوله وعبده وان تحجوا البيت
وتصوموا شهرا من اثني عشر شهرا وهو شهر رمضان فمن اجابني فله الجنة نزلا ومن عصاني
كانت له النار منقلبا قال فاسلمنا وعقد لنا لواء وكتب لنا كتابا نسخته بسم
الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله لزمل الانصاري ثم قال ابن عساكر غريب جدا وقد روى
الحافظ ابو نعيم في الدلائل فقال حدثنا عبد الله بن محمد بن جعفر ثنا ابو الفضل محمد بن عبد الرحمن
بن موسى بن ابي حرب الصفار ثنا عباس بن الفرج الرياشي ثنا سليمان بن عبد العزيز بن ابي
ثابت عن ابيه عن عبد الحميد بن بهرام عن شهر بن حوشب عن ابن عباس عن سعد بن عبادة
قال بعثني رسول الله صلى الله عليه وسلم الى حضرموت في حاجة قبل الهجرة حتى اذا كنت
في بعض الطريق ساعة من الليل فسمعت هاتفا يقول

• ابا عمرو ناوبني السهود • وراح النوم وامتنع الهجود •
• لذكر عصابة سلفوا وبادوا • وكل الخلق قصرهم يبيد •
• تولوا واردين الى المنايا • حياضا ليس منهلها الورود •
• مضوا لسبيلهم وبقيت خلفا • وحيدا ليس يسعفني وحيد •
• سدى لا استطيع علاج امر • اذا ما عالج الطفل الوليد •
• فلايا ما بقيت الى اناس • وقد باتت بمهلكهم ثمود •
• وعاد والقرون بذي شعوب • سواء كلهم ارم حصيد •

قال ثم صاح به آخر يا خرعب ذهب بك اللعب اني لاعجب كل العجب بين زهرة ويثرب قال
وما ذاك يا شاصب قال نبي السلام بعث بخير الكلام الى جميع الانام فاخرج من البلد الحرام
الى نخيل واطام قال ما هذا النبي المرسل والكتاب المنزل والامي المفضل قال رجل من ولد
لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة قال هيهات فات عن هذا سني وذهب
عنه زمني لقد رايتني والنضر بن كنانة نرمي غرضا واحدا ونشرب حلبا باردا ولقد خرجت
به من دومة في غداة شيمة وطلع من الشمس وغرب معها نروي ما نسمع ونثبت ما نبصر
فلئن كان هذا من ولده لقد سل السيف وذهب الخوف ودحض الزنا وهلك الربا قال
فاخبرني ما يكون قال ذهبت الضراء والمجاعة (والبؤس) والشدة والشجاعة الا بقية في خزاعة وذهبت
الضراء والبؤس والخلق المنفوس الا بقية في الخزرج والاوس وذهبت الخيلاء والفخر والنميمة
والغدر الا بقية في بني بكر يعني بكر بن هوازن وذهب الفعال المندم والعمل المؤثم الا بقية في
خثعم قال اخبرني ما يكون قال اذا غلبت البرة وكظمت الحرة فاخرج من بلاد الهجرة واذا
كف السلام وقطعت الارحام فاخرج من البلد الحرام قال اخبرني ما يكون قال لولا اذن تسمع وعين
تلمع لاخبرتك بما يفزع ثم قال لا منام هداته بنعيم يا ابن غوط ولا صباح اتانا قال
ثم صرصر صرصرة كانما صرصرة حبلى وذهب الفجر فذهبت لانظر فاذا عظاية وثعبان ميتان
قال فما علمت ان رسول الله صلى الله عليه وسلم هاجر الى المدينة الا بهذا الحديث ثم رواه عن محمد
ابن جعفر عن ابراهيم بن علي عن النضر بن سلمة عن حسان بن عباد بن موسى عن عبد الحميد بن بهرام
عن شهر عن ابن عباس عن سعد بن عبادة قال لما بايعنا رسول الله بيعة العقبة خرجت

بن عمرو ومن اسلم معه خاصة اني بعثته الى قومه عامة
فمن اسلم ففي حزب الله ورسوله ومن ابى فله امان شهرين
شهد علي بن ابي طالب ومحمد بن مسلمة
م

الحضرموت لبعض الحاجة قال فقضيت حاجتي ثم اقبلت حتى اذا كنت ببعض الطريق
بمت فنزعت من الليل بصايح يقول

• ابا عمرو ناوبني السهود • وراح النوم وانقطع الهجود •

وذكر مثله بطوله وقال ابو نعيم ثنا عمر بن محمد بن جعفر ثنا ابراهيم بن علي ثنا النضر بن سلمة
ثنا ابو عربة محمد بن موسى عن العطاف بن خالد الوابصي عن خالد بن سعيد عن ابيه قال سمعت
تميما الداري يقول كنت بالشام حين بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرجت لبعض
حاجتي فادركني الليل فقلت انا في جوار عظيم هذا الوادي الليلة قال فلما اخذت
مضجعي اذا انا بمناد ينادي لا اراه عذ بالله فان الجن لا تجير احدا على الله فقلت ايم الله تقول
فقال قد خرج رسول الاميين رسول الله وصلينا خلفه بالحجون فاسلمنا واتبعناه وذهب
كيد الجن ورميت بالشهب فانطلق الى محمد رسول رب العالمين فاسلم قال تميم فلما اصبحت
ذهبت الى دير ايوب فسالت راهبا واخبرته الخبر فقال الراهب قد صدقوك يخرج من الحرم
ومهاجره الحرم وهو خير الانبيا فلا تسبق اليه قال تميم فتكلفت الشخوص حتى جيت رسول
الله صلى الله عليه وسلم فاسلمت وقال حاتم بن اسماعيل عن عبد الله بن يزيد الهذلي عن
عبد الله بن ساعدة الهذلي عن ابيه قال كنا عند صنمنا سواع وقد جلبنا اليه غنمنا لنا
مايتي شاة قد اصابها جرب فادنيتها منه لتطلب بركته فسمعت مناديا من جوف الصنم ينادي
قد ذهب كيد الجن ورمينا بالشهب لنبي اسمه احمد قال فقلت غويت والله فصرفت وجه
غنمي منحدرا الى اهلي فلقيت رجلا يخبرني بظهور النبي صلى الله عليه وسلم ذكره ابو نعيم هكذا
معلقا ثم قال حدثنا عمر بن محمد بن جعفر ثنا ابراهيم بن السندي ثنا النضر بن سلمة ثنا
محمد بن سلمة المخزومي ثنا يحيى بن سليمان عن حكيم بن عطا الظفري من بني سليم من ولد راشد
ابن عبد ربه عن ابيه عن جده عن راشد بن عبد ربه قال كان الصنم الذي يقال له سواع
بالمعلاة من رهاط تدين له هذيل وبنو ظفر بن سليم فارسلت بنو ظفر براشد بن عبد ربه بهدية
من سليم الى سواع قال راشد فالفيت مع الفجر الى صنم قبل صنم سواع فاذا صارخ يصرخ من جوفه
العجب كل العجب من خروج نبي من بني عبد المطلب يحرم الزنا والربا والذبح للاصنام وحرست
السما ورمينا بالشهب العجب كل العجب ثم هتف صنم اخر من جوفه ترك الضماد وكان يعبد
خرج احمد نبي يصلي الصلاه ويامر بالزكاة والصيام والبر والصلات للارحام ثم هتف من جوف
صنم اخر هاتف

• ان الذي ورث النبوة والهدى • بعد ابن مريم من قريش مهتد •

نبي يخبر بما سبق وما يكون في غد قال راشد فالفيت سواعا مع الفجر وثعلبان يلحسان
ما حوله ويا كلان ما يهدى له ثم يعرجان عليه ببولهما فعند ذلك يقول راشد بن عبد ربه

• ارب يبول الثعلبان براسه • لقد ذل من بالت عليه الثعالب •

وذلك عند مخرج النبي صلى الله عليه وسلم وهجرته الى المدينة وتسامع الناس به فخرج راشد
حتى اتى النبي صلى الله عليه وسلم المدينة ومعه كلب له واسمه راشد يومئذ ظالم واسم
كلبه راشد فقال له النبي صلى الله عليه وسلم ما اسمك قال ظالم قال فما اسم كلبك قال راشد
فقال اسمك راشد واسم كلبك ظالم فضحك النبي صلى الله عليه وسلم وبايع النبي صلى الله
عليه وسلم واقام معه ثم طلب من النبي صلى الله عليه وسلم قطيعة برهاط ووصفها له فاقطعه رسول

الله صلى الله عليه وسلم بالمعلاة من رهاط شاو الفرس ورميته ثلاث مرات بحجر واعطاه
اداوة مملوة من ماء وتفل فيها وقال له فرغها في اعلى القطيعة ولا تمنع الناس فضلها
ففعل فجعل الماء معينا يجري الى اليوم فغرس عليها النخل ويقال ان رهاط كلها تشرب منه فسماها
الناس ماء الرسول صلى الله عليه وسلم واهل رهاط يغتسلون بها وبلغت رميته راشد الركب
الذي يقال له ركيب الحجر وعدا راشد على سواع فكسره وقال ابو نعيم ثنا سليمان بن احمد ثنا
علي بن ابراهيم الخزاعي الاهوازي ثنا ابو محمد عبد الله بن داود بن دلهاث بن اسماعيل بن مسرع
بن ياسر بن سويد صاحب النبي صلى الله عليه وسلم ثنا ابي عن ابيه دلهاث عن ابيه اسماعيل
ان اباه عبد الله حدثه عن ابيه مسرع بن ياسر ان اباه ياسرا حدثه عن عمرو بن مرة الجهني انه كان
يحدث قال خرجت حاجا في جماعة من قومي في الجاهلية فرايت في المنام وانا بمكة نورا ساطعا
ساطعا من الكعبة حتى اضاء في جبل يثرب واشعر جهينة فسمعت صوتا في النور وهو يقول
انقشعت الظلما وسطع الضيا وبعث خاتم الانبيا ثم اضاء اضاءة اخرى حتى نظرت الى قصور
الحيرة وابيض المداين فسمعت صوتا في النور وهو يقول ظهر الاسلام وكسرت الاصنام ووصلت
الارحام فانتبهت فزعا فقلت لقومي والله ليحدثن في هذا الحي من قريش حدث واخبرتهم بما
رايت فلما انتهينا الى بلادنا جاءنا رجل فاخبرنا ان رجلا يقال له احمد قد بعث فاتيته فاخبرته
بما رايت فقال يا عمرو بن مرة اني المرسل الى العباد كافة ادعوهم الى الاسلام وامرهم بحقن
الدما وصلة الارحام وعبادة الله ورفض الاصنام وحج البيت وصيام شهر رمضان شهر
من اثني عشر شهرا فمن اجاب فله الجنة ومن عصى فله النار فامن يا عمرو بن مرة يومنك الله من نار
جهنم فقلت اشهد ان لا اله الا الله وانك رسول الله امنت بكل ما جيت به من حلال وحرام
وان ارغم ذلك كثيرا من الاقوام ثم انشدته ابياتا قلتها حين سمعت به وكان لنا صنم وكان
ابي سادنا له فقمت اليه فكسرته ثم لحقت النبي صلى الله عليه وسلم وانا اقول

• شهدت بان الله حق وانني • لالهة الاحجار اول تارك •
• فشمرت عن ساقي ازار مهاجر • اليك ادب الغور بعد الدكادك •
• لاصحب خير الناس نفسا ووالدا • رسول مليك الناس فوق الحبائك •

فقال النبي صلى الله عليه وسلم مرحبا بك يا عمرو بن مرة فقلت يا رسول الله بابي انت وامي
ابعثني الى قومي لعل الله ان يمن عليهم بي كما من بك علي فبعثني اليهم وقال عليك بالقول
السديد ولا تكن فظا ولا متكبرا ولا حسودا فاتيت قومي فقلت لهم يا بني رفاعة ثم يا بني جهينة
اني رسول رسول الله اليكم ادعوكم الى الجنة واحذركم النار وامركم بحقن الدما وصلة الارحام
وعبادة الله ورفض الاصنام وحج البيت وصيام شهر رمضان شهر من اثني عشر شهرا فمن اجاب
فله الجنة ومن عصى فله النار يا معشر جهينة ان الله وله الحمد جعلكم خيار من انتم منه وبغض اليكم
في جاهليتكم ما حبب الى غيركم من الرفث لانهم كانوا يجمعون بين الاختين ويخلف الرجل على امراة
ابيه والتراب في الشهر الحرام فاجيبوا هذا النبي المرسل صلى الله عليه وسلم من بني لوي بن
بن غالب تنالوا شرف الدنيا وكرم الاخرة سارعوا سارعوا في ذلك يكون لكم فضيلة عند
الله فاجابوا الا رجلا منهم قام فقال يا عمرو بن مرة امر الله عيشك اتامرنا ان نرفض الهتنا
ونفرق جماعتنا ونخالف دين ابائنا الى ما يدعو اليه هذا القرشي من اهل تهامة لا ولا مرحبا
ولا كرامة ثم انشا يقول •

• اذا بن زرة قد انى عقالة • ليست مقالة من يريد صلاحا •
• انى احسب قوله وفعاله • يوما وان طال الزمان رياحا •
• انسفه الاشياخ ممن قد مضى • من رام ذلك لا اصاب فلاحا •

فقال عمرو بن مرة الكاذب مني ومنك امر الله عيشه وابكم لسانه واكمه بصره قال عمرو بن مرة فوالله ما مات حتى سقط فوه وكان لا يجد طعم الطعام وعمي وخرس فخرج عمرو بن مرة ومن اسلم من قومه حتى اتوا النبي صلى الله عليه وسلم فرحب بهم وحياهم وكتب لهم كتابا هذا نسخته بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب من الله على لسان رسول الله بكتاب صادق وحق ناطق مع عمرو بن مرة الجهني لجهينة بن زيد ان لكم بطون الارض وسهولها وتلاع الاودية وظهورها ترعون نباته وتشربون صافيه على ان تقروا بالخمس وتصلوا الصلوات الخمس وفي التبعة والصريمة شاتان ان اجتمعتا وان تفرقتا فشاة شاة ليس على اهل الميرة صدقة ليس الوردة اللبقة وشهد من حضر من المسلمين بكتاب قيس بن شماس رضي الله عنهم وذلك حين يقول عمرو بن مرة

• الم تر ان الله اظهر دينه • وبين برهان القران لعامر •
• كتاب من الرحمن نور لجمعنا • واحلافنا في كل باد وحاضر •
• الى خير من يمشي على الارض كلها • وافضلها عند اعتكار الضرائر •
• اطعنا رسول الله لما تقطعت • بطون الاعادي بالضبا والخواطر •
• فنحن قبيل قد بني المجد حولنا • اذا اختلبت في الحرب هام الاكابر •
• بنو الحرب نفريها بايد طويلة • وبيض تلالا في اكف المغاور •
• ترى حوله الانصار تحمي اميرهم • بسمر العوالي والصفاح البواتر •
• اذا الحرب دارت عند كل عظيمة • ودارت رحاها بالليوث الهواصر •
• تبلج منه اللون وازداد وجهه • كمثل ضيا البدر بين الزواهر •

وقال ابو عثمان سعيد بن يحيى الاموي في مغازيه حدثنا عبد الله ثنا ابو عبد الله ثنا المجالد بن سعيد والاجلح عن الشعبي حدثني شيخ من جهينة قال مرض رجل منا مرضا شديدا فثقل حتى حفرنا له قبره وهيأنا امره فاغمي عليه ثم فتح عينيه وافاق فقال احفرتم لي قالوا نعم قال فما فعل الفصل وهو ابن عم له قال قلنا صالح مر انفا يسأل عنك قال اما انه يوشك ان يجعل في حفرتي انه اتاني آت حين اغمي علي فقال لامك الهبل الا ترى حفرتك تنتثل وامك قد كادت تثكل ارايتك ان حولنا عنك بالمحول ثم ملانا بالجندل وقذفنا فيها الفصل الذي مضى فاحزنك وظن ان لن يفعل اتشكر لربك وتصلي وتدع دين من اشرك وضل قال قلت نعم قال قم فقد برئت قال فبرأ الرجل ومات الفصل فجعل في حفرته قال الجهني فرايت الجهني بعد ذلك يصلي ويسب الاوثان ويقع فيها وقال الاموي حدثنا عبد الله قال بينا عمر بن الخطاب في مجلس يتحدثون عن الجن فقال الخريم بن فاتك الا احدثك كيف كان اسلامي قال بلى قال اني يوما في طلب ذود لي انا منها على اثر تنصب وتصعد حتى اذا كنت بابرق العزاف انخت راحلتي وقلت اعوذ بعظيم هذه البلدة اعوذ برئيس هذا الوادي فاذا انا بهاتف يهتف بي

• ويحك عذ بالله ذي الجلال • والمجد والنعماء والافضال •

وقد رواه الطبراني في ترجمة خريم بن فاتك من معجمه الكبير قال ثنا الحسين بن اسحق عن سعيد بن ابي سعيد المقبري عن ابي هريرة قال قال الخريم بن فاتك لعمر بن الخطاب يا امير المؤمنين الا اخبرك كيف كان بدو اسلامي قال بلى فذكره عنوانه قال فخرج الى ابي بكر الصديق فقال ادخل فقد بلغنا اسلامك فقلت لا احسن الطهور فعلمني قد خلت المسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم كانه البدر وهو يقول ما من مسلم توضا فاحسن الوضوء ثم صلى صلاة يحفظها ويعقلها الا دخل الجنة فقال لي عمر لتاتيني على هذا ببينة او لانكلن بك فشهد لي شيخ قريش عثمان بن عفان رضي الله عنه فاجاز شهادته ثم رواه عن محمد بن عثمان بن ابي شيبة عن محمد بن سهم عن محمد بن خليفة عن محمد بن الحسن عن ابيه قال قال عمر بن الخطاب لخريم بن فاتك حدثني بحديث يعجبني فذكر مثل السياق الاول سواء

• ثم اتل ايات من الانفال • ووحد الله ولا تبالي •

قال فذعرت ذعرا شديدا ثم رجعت الى نفسي فقلت

• يا ايها الهاتف ما تقول • ارشد عندك ام تضليل •
• بين هداك الله ما الحول • قال فقال •
• هذا رسول الله ذو الخيرات • بيثرب يدعو الى النجاة •
• يامر بالبر وبالصلات • ويزع الناس عن الهنات •

قال قلت له والله لا ابرح حتى اتيه واومن به فنصبت رجلي في غرز راحلتي وقلت

• ارشدني ارشدني هديتا • لا جعت ما عشت ولا عريتا •
• ولا برحت سيدا مقيتا • لا يؤثر الخير الذي اتيتا •
• على جميع الجن ما بقينا • فقال •
• صاحبك الله وادى رحلكا • وعظم الاجر وعافى نفسكا •
• امن به افلح ربي حقكا • وانصره اعز ربي نصركا •

قال فقلت من انت عافاك الله حتى اخبره اذا قدمت عليه فقال انا مالك بن مالك وانا نقيبه على جن نصيبين وكفيت ابلك حتى اضمها الى اهلك ان شاء الله قال فخرجت حتى اتيت المدينة يوم الجمعة والناس ارسال الى المسجد والنبي صلى الله عليه وسلم على المنبر كانه البدر يخطب الناس فقلت انيخ على باب المسجد حتى يصلي وادخل عليه فاسلم واخبره عن اسلامي فلما انخت خرج الي ابو ذر فقال لي مرحبا واهلا قد بلغنا اسلامك ادخل فصل ففعلت ثم جئت الى رسول الله فاخبرته باسلامي فقلت الحمد لله فقال اما ان صاحبك قد وفى لك وهو امثل لك وادى ابلك الى اهلك وقال ابو نعيم ثنا سليمان بن احمد ثنا ابو عبد الملك احمد بن ابراهيم القرشي الدمشقي ثنا سليمان بن عبد الرحمن بن بنت شرحبيل ثنا اسماعيل بن عياش عن يحيى بن ابي عمرو الشيباني عن عبد الله بن الديلمي قال اتى رجل ابن عباس فقال بلغنا انك تذكر سطيحا تزعم ان الله خلقه لم يخلق من ولد ادم شيئا يشبهه قال نعم ان الله خلق سطيحا الغساني لحما على وضم ولم يكن فيه عظم ولا عصب الا الجمجمة والكفان وكان يطوى من رجليه الى ترقوته كما يطوى الثوب ولم يكن فيه شيء يتحرك الا لسانه فلما اراد الخروج الى مكة حمل على وضمه فاتي به مكة فخرج اليه اربعة من قريش عبد شمس وهاشم ابنا عبد مناف بن قصي والاحوص بن فهر وعقيل بن ابي وقاص فانتموا الى غير نسبهم وقالوا نحن اناس من جمح اتيناك بلغنا قدومك فراينا ان اتياننا اياك حق لك واجب علينا واهدى اليه عقيل صفيحة هندية وصعدة ردينية فوضعت على باب البيت الحرام لينظروا هل يراها سطيح ام لا فقال يا عقيل ناولني يدك فناوله يده فقال يا عقيل والعالم الخفية والغافر الخطية والذمة الوفية والكعبة المبنية انك الجائي بالهدية الصفيحة الهندية والصعدة الردينية قالوا صدقت يا سطيح فقال والاتي بالفرح وقوس قزح وساير الفرح واللطيم المنبطح والنخل والرطب والبلح ان الغراب حيث مر سنح فاخبر ان القوم ليسوا من جمح وان نسبهم من قريش ذي البطح قالوا صدقت يا سطيح نحن اهل البيت الحرام اتيناك لنزورك لما بلغنا من علمك فاخبرنا عما يكون في زماننا هذا وما يكون بعده فلعله يكون عندك في ذلك من علم قال الان صدقتم خذوا مني الهام الله اياي

انتم يا معشر العرب في زمان الهرم سوا بصايركم وبصاير العجم لا علم عندكم ولا فهم ويبشوا من عقبكم ذو وفهم يطلبون انواع العلم فيكسرون الصنم ويبلغون الردم يقتلون العجم يطلبون الغنم قالوا يا سطيح من يكون اوليك فقال لهم والبيت ذي الاركان والامن والسكان لينشون من عقبكم ولدان يكسرون الاصنام وينكرون عبادة الشيطان ويوحدون الرحمن وينشرون دين الديان يشرفون البنيان ويستفتون الفتيان قالوا يا سطيح من نسل من يكون اوليك فقال والشرف الاشراف والمعطي للاشراف والمزعزع الاحقاف والمضعف الاضعاف لينشون الالاف من عبد شمس وعبد مناف نشوا يكون فيهم اختلاف قالوا يا سوءاه يا سطيح مما تخبر من العلم بامرهم ومن اي بلد يخرج اوليك فقال والباقي الابد والبالغ الامد ليخرجن من هذا البلد فتى يهدي الى الرشد يرفض يغوث والفند يبرا من عبادة الضدد يعبد ربا انفرد ثم يتوفاه الله محمودا من الارض مفقودا في السما مشهودا ثم يلي امره الصديق اذا قضى صدق في رد الحقوق لا خرق ولا نزق ثم يلي امره الحنيف مجرب غطريف ويترك قول العنيف قد ضاف المضيف واحكم التحنيف ثم يلي امره داعيا لامره مجربا فيجتمع له جموعا وعصبا فيقتلونه نقمة عليه وغضبا فيوخذ الشيخ فيذبح اربا فيقوم به رجال خطبا ثم يلي امره الناصر يخلط الراي برأي الماكر يظهر في الارض العساكر ثم يلي بعده ابنه ياخذ جمعه ويقل حمده وياخذ المال وياكل وحده ويكثر المال لعقبه من بعده ثم يلي من بعده عدة ملوك لا شك الدم فيهم مسفوح ثم يلي من بعدهم الصعلوك يطاهم كطي الدرنوك ثم يلي من بعده عظهور يقضي الخلق ويدني مضرا يفتتح الارض افتتاحا منكرا ثم يلي قصير القامة بظهره علامة يموت موتا وسلامة ثم يلي قليلا باكر يترك الملك بابر ثم يلي اخوه بسننه سابر يختص بالاموال والمنابر ثم يلي امره من بعده اهوج صاحب دنيا ونعيم مختلج تشاوره معاشره وذووه ينهضون اليه يخلعونه ياخذ الملك ويقتلونه ثم يلي امره من بعده السابع يترك الملك مخلا ضايع بنوه في ملكه كالمشوه جامع عند ذلك يطمع في الملك كل عريان ويلي امره اللهفان يرضي نزارا جمع قحطان اذا التقيا بدمشق جمعان بين بيسان ولبنان يصنف اليمن يومئذ صنفان صنف المشورة وصنف المخذول لا ترى الا حبا محلول واسيرا مغلول بين الفرات والخيول عند ذلك تخرب المنازل وتسلب الارامل وتسقط الحوامل ويظهر الزلازل ويطلب الخلافة وايل فيغضب نزار فتدني العبيد والاشرار وتقصي الامثال الاخيار وتغلو الاسعار في صفر الاصفار تقتل كل جبار ثم يسيرون الى خنادق وانهار ذات اشجار واشجار تصد له الانهار يهزمهم اول النهار يظهر الاخيار فلا ينفعهم نوم ولا قرار حتى يدخل مصرا من الامصار فيدركه القضا والاقدار ثم يجي الرماة تلف مشاة لقتل الكماة واسر الحماة وتهلك الغواة هنالك يدرك في اعلى المياه ثم يبور الدين وتقلب الامور وتكفر الزبور وتقطع الجسور فلا يفلت الا من كان في جزاير البحور ثم تبور الحبوب وتظهر الاعاريب ليس فيهم معيب على اهل الفسوق والريب في زمان عصيب لو كان للقوم حيا وما تغني المنى قالوا ثم ماذا يا سطيح قال ثم يظهر رجل من اهل اليمن كالشطن يذهب الله على راسه الفتن وهذا اثر غريب كتبناه لغرابته وما تضمن من الفتن والملاحم وقد تقدم قصة شق وسطيح مع ربيعة بن نصر ملك اليمن وكيف بشر بوجود النبي صلى الله عليه وسلم وستاتي قصة سطيح مع ابن

اخبر عبد المسيح حين ارسله ملك بني ساسان لارتجاس الايوان وخمود النيران ورويا الموبذان وذلك ليلة ولد الذي نسخ بشريعته الاديان

باب كيفية بدء الوحي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم

وذكر اول شي نزل من القرآن العظيم عليه

وكان ذلك وله عليه السلام من العمر اربعون سنة وحكى ابن جرير عن ابن عباس وسعيد ابن المسيب انه كان عمره اذ ذاك ثلثا واربعين سنة قال البخاري ثنا يحيى بن بكير ثنا الليث عن عقيل عن ابن شهاب عن عروة بن الزبير عن عايشة رضي الله عنها انها قالت اول ما بدي به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوحي الرويا الصادقة في النوم فكان لا يرى رويا الا جات مثل فلق الصبح ثم حبب اليه الخلاء فكان يخلو بغار حرا فيتحنث فيه وهو التعبد الليالي ذوات العدد قبل ان ينزع الى اهله ويتزود لذلك ثم يرجع الى خديجة فيتزود لمثلها حتى فجيه الحق وهو في غار حرا فجاءه الملك فقال اقرا قال ما انا بقاري قال فاخذني فغطني حتى بلغ مني الجهد ثم ارسلني فقال اقرا فقلت ما انا بقاري فاخذني فغطني الثانية حتى بلغ مني الجهد ثم ارسلني فقال اقرا فقلت ما انا بقاري فاخذني فغطني الثالثة ثم ارسلني فقال اقرا باسم ربك الذي خلق خلق الانسان من علق اقرا وربك الاكرم الذي علم بالقلم علم الانسان ما لم يعلم فرجع بها رسول الله صلى الله عليه وسلم يرجف فواده فدخل على خديجة بنت خويلد فقال زملوني زملوني فزملوه حتى ذهب عنه الروع فقال لخديجة واخبرها الخبر لقد خشيت على نفسي فقالت له خديجة كلا والله لا يخزيك الله ابدا انك لتصل الرحم وتحمل الكل وتكسب المعدوم وتقري الضيف وتعين على نوايب الحق فانطلقت به خديجة حتى اتت به ورقة بن نوفل بن اسد بن عبد العزى ابن عم خديجة وكان امرا تنصر في الجاهلية وكان يكتب الكتاب العبراني فيكتب من الانجيل بالعبرانية ما شا الله ان يكتب وكان شيخا كبيرا قد عمي فقالت له خديجة يا ابن عم اسمع من ابن اخيك فقال له ورقة يا ابن اخي ماذا ترى فاخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم خبر ما راى فقال له ورقة هذا الناموس الذي كان نزل على موسى يا ليتني فيها جذع ليتني اكون حيا اذ يخرجك قومك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم او مخرجي هم فقال نعم لم يات احد بمثل ما جيت به الا عودي وان يدركني يومك انصرك نصرا موزرا ثم لم ينشب ورقة ان توفي وفتر الوحي فترة حتى حزن النبي صلى الله عليه وسلم فيما بلغنا حزنا غدا منه مرارا كي يتردى من رؤوس شواهق الجبال فكلما اوفى بذروة جبل لكي يلقي نفسه منه تبدا له جبريل فقال له يا محمد انك رسول الله حقا فيسكن لذلك جاشه وتقر نفسه فيرجع فاذا طالت عليه فترة الوحي غدا لمثل ذلك فاذا اوفى بذروة جبل تبدى له جبريل فقال له مثل ذلك هكذا وقع مطولا في باب التعبير من البخاري قال ابن شهاب واخبرني ابو سلمة بن عبد الرحمن ان جابر ابن عبد الله الانصاري قال وهو يحدث عن فترة الوحي فقال في حديثه بينا انا امشي اذ سمعت صوتا من السما فرفعت بصري فاذا الملك الذي جاني بحرا جالس على كرسي بين السماء والارض فرعبت منه فرجعت فقلت زملوني زملوني فانزل الله يا ايها المدثر قم فانذر وربك فكبر وثيابك فطهر والرجز فاهجر فحمي الوحي وتتابع ثم قال البخاري تابعه عبد الله بن يوسف وابو صالح يعني عن الليث وتابعه هلال بن رداد عن الزهري وقال يونس ومعمر بوادره وهمدا

الحديث قد رواه الامام البخاري رح في كتابه في مواضع منه وتكلمنا عليه مطولا في اول شرح البخاري في كتاب بدء الوحي اسنادا ومتنا ولله الحمد والمنة واخرجه مسلم في صحيحه من حديث الليث به ومن طريق يونس ومعمر عن الزهري كما علقه البخاري عنهما وقد رمزنا في الحواشي على زيادات مسلم ورواياته ولله الحمد وانتهى سياقه الى قوله ورقة انصرك نصرا مؤزرا فقول ام المومنين عايشة اول ما بدي به من الوحي الرؤيا الصادقة فكان لا يرى رؤيا الا جاءت مثل فلق الصبح يقوي ما ذكره محمد بن اسحاق بن يسار عن عبيد بن عمير الليثي ان النبي صلى الله عليه وسلم قال فجاءني جبريل وانا نايم بنمط من ديباج فيه كتاب فقال اقرا فقلت ما اقرا فغتني حتى ظننت انه الموت ثم ارسلني وذكر نحو حديث عايشة سوا فكان هذا كالتوطية لما ياتي بعده من اليقظة وقد جاء مصرحا بهذا في مغازي موسى بن عقبة عن الزهري انه راى ذلك في المنام ثم جاءه الملك في اليقظة وقد قال الحافظ ابو نعيم الاصبهاني في كتابه دلايل النبوة حدثنا محمد بن احمد بن الحسن ثنا محمد بن عثمان بن ابي شيبة ثنا جناب بن الحرث ثنا عبد الله بن الاجلح عن ابراهيم عن علقمة بن قيس قال ان اول ما يوتى به الانبيا في المنام حتى تهدا قلوبهم ثم ينزل الوحي بعد وهذا من قبل علقمة بن قيس نفسه وهو كلام حسن يويده ما قبله ويويده ما بعده

ذكر عمره عليه السلام وقت بعثته وتاريخها

قال الامام احمد ثنا محمد بن ابي عدي عن داود بن ابي هند عن عامر الشعبي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم نزلت عليه النبوة وهو ابن اربعين سنة فقرن بنبوته اسرافيل ثلاث سنين فكان يعلمه الكلمة والشي ولم ينزل القران فلما مضت ثلاث سنين قرن بنبوته جبريل فنزل القران على لسانه عشرين سنة عشرا بمكة وعشرا بالمدينة فمات وهو ابن ثلاث وستين فهذا اسناد صحيح الى الشعبي وهو يقتضي ان اسرافيل قرن معه بعد الاربعين ثلاث سنين ثم جاءه جبريل واما الشيخ شهاب الدين ابو شامة فانه قد قال وحديث عايشة لا ينافي هذا فانه يجوز ان يكون اول امره الرويا ثم وكل به اسرافيل في تلك المدة التي كان يخلو فيها بحرا فكان يلقي اليه الكلمة بسرعة ولا يتيم معه تدريجا له وتمرينا الى ان جاءه جبريل ولم يحك ما جرى له مع اسرافيل اختصارا للحديث ولم تكن وقفت على قصة اسرافيل وقال الامام احمد ثنا يحيى ثنا هشام عن عكرمة عن ابن عباس انزل على النبي صلى الله عليه وسلم وهو ابن ثلاث واربعين فمكث بمكة عشرا وبالمدينة عشرا ومات وهو ابن ثلاث وستين وهكذا روى يحيى بن سعيد بن المسيب ثم روى احمد عن غندر ويزيد بن هارون كلاهما عن هشام عن عكرمة عن ابن عباس قال بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم وانزل عليه القران وهو ابن اربعين سنة فمكث بمكة ثلاث عشرة سنة وبالمدينة عشر سنين ومات وهو ابن ثلاث وستين سنة وقال احمد حدثنا عفان ثنا حماد بن سلمة انا عمار بن ابي عمار عن ابن عباس قال اقام النبي صلى الله عليه وسلم خمس عشرة سنة سبع سنين يرى الضوء ويسمع الصوت وثمان سنين يوحى اليه واقام بالمدينة عشر سنين قال ابو شامة وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يرى عجايب قبل بعثته فمن ذلك ما في صحيح مسلم عن جابر بن سمرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اني لاعرف حجرا بمكة كان يسلم علي قبل ان ابعث اني لاعرفه الان انتهى كلامه وانما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحب الخلاء والانفراد عن قومه لما يراهم عليه من

فعلمه بعد ما غطه ثلث مرات فحكت عايشة ما جرى له مع جبريل م

الضلال

الضلال المبين من عبادة الاوثان والسجود للاصنام وقويت محبته للخلوة عند مقاربة ايحاء الله اليه صلوات الله وسلامه عليه وقد ذكر محمد بن اسحاق عن عبد الملك بن عبد الله بن ابي سفيان بن العلا بن جارية قال وكان واعية عن بعض اهله قال وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخرج الى حرا في كل عام شهرا من السنة يتنسك فيه وكان من نسك قريش في الجاهلية يطعم من جاءه من المساكين حتى اذا انصرف من مجاورته لم يدخل بيته حتى يطوف بالكعبة وهكذا روى وهب بن كيسان انه سمع عبيد بن عمير يحدث عبد الله بن الزبير مثل ذلك وهذا يدل على ان هذا كان من عادة المتعبدين في قريش انهم يجاورون في حرا للعبادة ولهذا قال ابو طالب في قصيدته المشهورة

وثور ومن ارسى ثبيرا مكانه • وراق ليبر في حرا ونازل •

هكذا صوب على رواية هذا البيت كما ذكره السهيلي وابو شامة وشيخنا الحافظ ابو الحجاج المزي رحمهم الله وقد تصحف على بعض الرواة فقال فيه وراق لبر في حرا ونازل وهذا ركيك ومخالف للصواب والله اعلم وحرا يقصر ويمد ويصرف ويمنع وهو جبل باعلا مكة على ثلاثة اميال منها عن يسار المار الى منى له قلة عظيمة مشرفة على الكعبة منحنية والغار في تلك الحنية وما احسن ما قال روبة بن العجاج

فلا ورب الامنات القطن • ورب ركن من حرا منحني •

وقوله في الحديث والتحنث التعبد تفسير بالمعنى والا فحقيقة التحنث من حيث البنية فيما قاله السهيلي الدخول في الحنث ولكن سمعت الفاظ قليلة في اللغة معناها الخروج من ذلك الشي كتحنث اي خرج من الحنث وتحوب وتحرج وتاثم وتهجد هو ترك الهجود وهو النوم للصلاة وتنجس وتقذر اوردها ابو شامة وقد سيل ابن الاعرابي عن قوله يتحنث اي يتعبد فقال لا اعرف هذا انما هو يتحنف من الحنيفية دين ابراهيم عليه السلام قال ابن هشام والعرب تقول التحنث والتحنف يبدلون الفاء من الثاء كما قالوا جدث وجدف كما قال روبة لو كان احجاري مع الاجداف يريد الاجداث قال وحدثني ابو عبيدة ان العرب تقول فم في موضع ثم قلت ومن ذلك قول بعض المفسرين لقوله تعالى وفومها ان المراد به الثوم وقد اختلف العلماء في تعبده عليه السلام قبل البعثة هل كان على شرع ام لا وما ذلك الشرع فقيل نوح وقيل ابراهيم وهو الاشبه الاقوى وقيل موسى وقيل عيسى وقيل كل ما ثبت انه شرع عنده اتبعه وعمل به ولبسط هذه الاقوال ومناسباتها موضع اخر في اصول الفقه والله اعلم وقوله حتى فجيه الحق وهو بغار حرا اي جاءه بغتة على غير موعد كما قال تعالى وما كنت ترجو ان يلقى اليك الكتاب الا رحمة من ربك وقد كان نزول صدر هذه السورة الكريمة وهي اقرا باسم ربك الذي خلق الى قوله علم الانسان ما لم يعلم وهي اول ما نزل من القران كما قررنا ذلك في التفسير وكما سياتي ايضا في يوم الاثنين كما ثبت في صحيح مسلم عن ابي قتادة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سيل عن صوم يوم الاثنين فقال ذاك يوم ولدت فيه ويوم انزل علي فيه وقال ابن عباس ولد نبيكم صلى الله عليه وسلم يوم الاثنين ونبي يوم الاثنين وهكذا قال عبيد بن عمير وابو جعفر الباقر وغير واحد من العلما انه عليه السلام اوحي اليه يوم الاثنين وهذا ما لا خلاف فيه بينهم ثم قيل كان ذلك في شهر

ربيع الاول كما تقدم عن ابن عباس وجابر انه ولد عليه السلام في الثاني عشر من ربيع الاول
يوم الاثنين وفيه بعث وفيه عرج به الى السماء والمشهور انه بعث عليه السلام في شهر
رمضان كما نص على ذلك عبيد بن عمير ومحمد بن اسحاق وغيرهما قال ابن اسحاق مستدلا
على ذلك قال الله شهر رمضان الذي انزل فيه القرآن فقيل في ثاني عشره وروى
الواقدي بسنده عن ابي جعفر الباقر انه قال كان ابتداء الوحي الى رسول الله صلى
الله عليه وسلم يوم الاثنين لسبع عشرة ليلة خلت من رمضان وقيل في الرابع والعشرين منه
قال الامام احمد ثنا ابو سعيد مولى بني هاشم ثنا عمران ابو العوام عن قتادة عن ابي المليح
عن واثلة بن الاسقع ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال انزلت صحف ابراهيم في اول
ليلة من رمضان وانزلت التوراة لست مضين من رمضان والانجيل لثلاث عشرة
ليلة خلت من رمضان وانزل القرآن لاربع وعشرين خلت من رمضان وروى ابن
مردويه في تفسيره عن جابر بن عبد الله مرفوعا نحوه ولهذا ذهب جماعة من الصحابة
والتابعين الى ان ليلة القدر ليلة اربع وعشرين واما قول جبريل اقرأ فقال ما انا
بقارئ فالصحيح ان قوله ما انا بقارئ نفي اي لست ممن يحسن القراءة فممن رجحه النواوي
وقبله الشيخ ابو شامة ومن قال انها استفهامية فقوله بعيد لان الباء لا تزاد في الاثبات
ويؤيد الاول رواية ابي نعيم من حديث المعتمر بن سليمان عن ابيه فقال رسول الله صلى
الله عليه وسلم وهو خائف يرعد ما قرأت كتابا قط ولا احسنه وما اكتب وما اقرأ فاخذه
جبريل فغته غتا شديدا ثم تركه فقال له اقرأ فقال محمد صلى الله عليه وسلم
ما ارى شيئا اقرؤه وما اقرأ وما اكتب ويروى فغطني كما في الصحيحين وغتني ويروى
فغتني اي خنقني حتى بلغ مني الجهد يروى بضم الجيم وفتحها وبالنصب وبالرفع وفعل
ذلك به ثلاثا قال ابو سليمان الخطابي وانما فعل ذلك به ليبلو صبره ويحسن تاديبه
فيرتاض لاحتمال ما كلفه به من اعباء النبوة ولذلك كان يعتريه مثل حال المحموم وتاخذه
الرحضاء اي البهر والعرق وقال غيره انما فعل ذلك لامور منها ان يستيقظ لعظمة
ما يلقى اليه بعد هذا الصنيع المشق على النفوس كما قال تعالى انا سنلقي عليك قولا
ثقيلا ولهذا كان عليه السلام اذا جاءه الوحي يحمر وجهه ويغط كما يغط البكر من الابل
ويتفصد جبينه عرقا في اليوم الشديد البرد وقوله فرجع بها رسول الله صلى
الله عليه وسلم الى خديجة يرجف فؤاده وفي رواية بوادره جمع بادرة قال ابو عبيدة
وهي لحمة بين المنكب والعنق وقال غيره هي عروق تضطرب عند الفزع وفي رواية
ترجف بوادله واحدها بادلة وقيل بادل وهو ما بين العنق والترقوة وقيل اصل
الثدي وقيل لحم الثديين وقيل غير ذلك فقال زملوني زملوني فلما ذهب عنه
الروع قال لخديجة ما لي اي شيء عرض لي واخبرها بما كان من الامر ثم قال لقد خشيت
على نفسي وذلك لانه شاهد امرا لم يعهده قبل ذلك ولا كان في خلده ولهذا قالت له
خديجة ابشر كلا والله لا يخزيك الله ابدا قيل من الخزي وقيل من الحزن ولهذا علمها
بما اجراه الله به جميل العوائد في خلقه ان من كان متصفا بصفات الخير لا يخزى في الدنيا
ولا في الاخرى ثم ذكرت له من صفاته الجميلة ما كان من سجاياه الحسنة فقالت انك
لتصل الرحم وتصدق الحديث وقد كان مشهورا بذلك صلوات الله وسلامه عليه

عند الموافق

عند الموافق والمفارق وتحمل الكل اي عن غيرك تعطي صاحب العيلة ما تريحه من ثقل مؤنة
عياله وتكسب المعدوم اي تسبق الى فعل الخير فتبادر الى اعطاء الفقير فتكسبه حسنته قبل
غيرك ويسمى الفقير معدوما لان حياته ناقصة فوجوده وعدمه سوا كما قال بعضهم

ليس من مات فاستراح بميت • انما الميت ميت الاحيا

وقال ابو الحسن التهامي فيما نقله عنه القاضي عياض في شرح مسلم

عد ذا الفقر ميتا وكساه • كفنا باليا وماواه قبرا

وقال الخطابي الصواب وتكسب المعدم اي تعطي العائل ويكون وتكسب المعدم حظيته ما لا يعيش
به واختار شيخنا الحافظ ابو الحجاج المزي ان المراد بالمعدوم ههنا المال المعطى اي يعطي
المال لمن هو عادمه وقيل ان المراد انك تكسب بالتجارة المال المعدوم او النفيس القليل
النظير فيعود بهذا التجمل واغرق في النزع وتكلف ما ليس له به علم فان مثل هذا لا يمدح
به غالبا وقد ضعف هذا القول عياض والنواوي وغيرهما والله تعالى اعلم وتقري الضيف
اي تكرمه في تقديم قراه واحسان ماواه وتعين على نوائب الحق ويروى الخير اذا وقعت
نائبة لاحد في خير اعنت فيها وتمنع صاحبها حتى يجد سدادا من عيش او قواما من عيش ثم
اخذته فانطلقت به الى ابن عمها ورقة بن نوفل وكان شيخا كبيرا قد عمي وقد قدمنا طرفا من
خبره مع ذكر زيد بن عمرو بن نفيل وانه كان ممن تنصر في الجاهلية ففارقهم وارتحل الى الشام هو
وزيد بن عمرو وعثمان بن الحويرث وعبيد الله بن جحش فتنصر واكثرهم لانهم وجدوه اقرب
الاديان اذ ذاك الى الحق الا زيد بن عمرو بن نفيل فانه راى فيه دخلا وتخبيطا وتبديلا وتحريفا
وتاويلا فابت فطرته الدخول فيه ايضا وبشره الاحبار والرهبان بوجود نبي قد ازف زمانه
واقترب اوانه فرجع يتطلب ذلك واستمر على فطرته وتوحيده لكن اخترمته المنية قبل
البعثة المحمدية وادركها ورقة بن نوفل وكان يتوسمها في رسول الله صلى الله عليه وسلم كما قدمنا
مما كانت خديجة تنعته له وتصفه له وما هو منطو عليه من الصفات الطاهرة الجميلة
وما ظهر عليه من الدلائل والايات ولهذا لما وقع ما وقع اخذت بيد رسول الله صلى الله عليه
وسلم وجاءت به اليه فوقفت به عليه وقالت ابن عم اسمع من ابن اخيك فلما قص عليه
رسول الله صلى الله عليه وسلم خبر ما راى قال ورقة سبوح سبوح هذا الناموس الذي
انزل على موسى ولم يذكر عيسى فالناموس في اللغة هو الرسول في الخير والجاسوس هو رسول الشر
وقال الذي انزل على موسى ولم يذكر عيسى وان كان متاخرا بعد موسى لانه كان شريعته
متممة ومكملة لشريعة موسى عليهما السلام ونسخت بعضها على الصحيح من قول العلماء
كما قال ولاحل لكم بعض الذي حرم عليكم ولقول ورقة هذا كما قالت الجن انا سمعنا كتابا
انزل من بعد موسى مصدقا لما بين يديه يهدي الى الحق والى طريق مستقيم ثم قال ورقة
يا ليتني فيها جذعا اي يا ليتني اكون الان شابا متمكنا من الايمان والعلم النافع والعمل
الصالح يا ليتني اكون حيا حين يخرجك قومك يعني حتى اخرج معك وانصرك فعندها قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم او مخرجي هم قال السهيلي وانما قال ذلك لان فراق الوطن
شديد على النفوس فقال لم يات احد بمثل ما جئت به الا عودي وان يدركني يومك انصرك
نصرا موزرا اي انصرك نصرا عزيزا ابدا وقوله ثم لم ينشب ورقة ان توفي اي توفي بعد
هذه القصة بقليل رحمه الله ورضي عنه فان مثل هذا الذي صدر عنه تصديق بما وجد وايمان بما

حصل من الوحي وبيّنه صالحة للمستقبل وقد قال الإمام أحمد ثنا حسن عن ابن لهيعة حدثني أبو الأسود
عن عروة عن عائشة أن خديجة سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ورقة بن نوفل فقال
قد رأيته فرأيت عليه ثياب بيض فأحسبه لو كان من أهل النار لم يكن عليه ثياب بياض وهذا
إسناد حسن وروى الحافظ أبو يعلى من حديث مجالد عن الشعبي عن جابر بن عبد الله أن رسول (عن سريج بن يونس عن إسماعيل عن)
الله صلى الله عليه وسلم سئل عن ورقة فقال أبصرته في بطنان الجنة وعليه السندس وقال
الحافظ أبو بكر البزار ثنا عبيد بن إسماعيل ثنا أبو أسامة عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة (بن نوفل)
قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تسبوا ورقة فإني رأيت له جنة أو جنتين وهذا
إسناد جيد وروي مرسلا وهو أشبه وروى الحافظان البيهقي وأبو نعيم في كتابيهما دلائل النبوة
من حديث يونس بن بكير عن يونس بن عمرو عن أبيه عن عمرو بن شرحبيل أن رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال لخديجة إني إذا خلوت وحدي سمعت نداء وقد خشيت والله أن يكون لهذا أمر
قالت معاذ الله ما كان الله ليفعل ذلك بك فوالله إنك لتؤدي الأمانة وتصل الرحم
وتصدق الحديث فلما دخل أبو بكر وليس رسول الله ثم ذكرت له خديجة فقالت يا عتيق اذهب
مع محمد إلى ورقة فلما دخل رسول الله أخذ بيده أبو بكر فقال انطلق بنا إلى ورقة قال
ومن أخبرك قال خديجة فانطلقا إليه فقصا عليه فقال رسول الله إني إذا خلوت وحدي
سمعت نداء خلفي يا محمد يا محمد فأنطلق هاربا في الأرض فقال له لا تفعل إذا أتاك فاثبت
حتى تسمع ما يقول لك ثم ائتني فأخبرني فلما خلا ناداه يا محمد قل بسم الله الرحمن الرحيم الحمد
لله رب العالمين حتى بلغ ولا الضالين قل لا إله إلا الله فأتى ورقة فذكر له ذلك فقال له
ورقة أبشر ثم أبشر فأنا أشهد أنك الذي بشر بك ابن مريم وأنك على مثل ناموس موسى وأنك
نبي مرسل وأنك ستؤمر بالجهاد بعد يومك هذا ولئن أدركني ذلك لأجاهدن معك فلما
توفي قال رسول الله لقد رأيت القس في الجنة عليه ثياب الحرير لأنه آمن بي وصدقني يعني
ورقة لفظ البيهقي وهو مرسل وفيه غرابة وهو كون الفاتحة أول ما نزل وقد قدمنا من شعره
ما يدل على إضماره الإيمان وتأكده عنده وذلك حين أخبرته خديجة ما كان من أمره مع غلامها ميسرة (وعقده عليه م)
وكيف كانت الغمامة تظلله في هجير القيظ فقال ورقة في ذلك أشعارا قدمناها قبل هذا منها
قوله: لججت وكنت في الذكرى لجوجا • لأمر طالما بعث النشيجا • ووصف من خديجة بعد وصف • فقد طال انتظاري يا خديجا

بأن محمدا سيسود قوما • ويخصم من يكون له حجيجا •
ويظهر في البلاد ضياء نور • يقيم به البرية أن تموجا •
فيلقى من يحاربه خسارا • ويلقى من يسالمه فلوجا •
فيا ليتني إذا ما كان ذاكم • شهدت وكنت أولهم ولوجا •
ولوجا في الذي كرهت قريش • ولو عجت بمكتها عجيجا •
أرجي بالذي كرهوا جميعا • إلى ذي العرش إن سفلوا عروجا •
فإن يبقوا وأبق تكن أمور • يضج الكافرون لها ضجيجا •
وقال أيضا في قصيدته الأخرى •
وأخبار صدق خبرت عن محمد • يخبرها عنه إذا غاب ناصح •
بأن ابن عبد الله أحمد مرسل • إلى كل من ضمت عليه الأباطح •
وظني به أن سوف يبعث صادقا • كما أرسل العبدان هود وصالح •

لكن رواه الزهري وهشام عن عروة مرسلا م
وسئل عن زيد بن عمرو بن نفيل فقال يبعث يوم القيامة أمة وحده
وسئل عن أبي طالب فقال أخرجته من غمرة من جهنم إلى ضحضاح
منها وسئل عن خديجة لأنها ماتت قبل الفرائض وأحكام القرآن فقال
أبصرتها على نهر في الجنة في بيت من قصب لا صخب فيه ولا نصب م
إسناد حسن ولبعضه شواهد في الصحيح
وكذا رواه ابن عساكر من حديث أبي سعيد الأشج عن أبي معاوية م
عن هشام عن أبيه عن عائشة

وموسى وإبراهيم حتى يرى له • بهاء ومنشور من الحق واضح •
ويتبعه حيا لؤي بن غالب • شبابهم والأشيبون الجحاجح •
فإن أبق حتى يدرك الناس دهره • فإني به مستبشر الود فارح •
وإلا فإني يا خديجة فاعلمي • عن أرضك في الأرض العريضة سائح •
وقال يونس بن بكير عن ابن إسحاق وقال ورقة •
فإن يك حقا يا خديجة فاعلمي • حديثك إيانا فأحمد مرسل •
وجبريل يأتيه وميكال معهما • من الله وحي يشرح الصدر منزل •
يفوز به من فاز فيها بتوبة • ويشقى به العاني الغوي المضلل •
فريقان منهم فرقة في جنانه • وأخرى بأجواز الجحيم تغلل •
إذا ما دعوا بالويل فيها تتابعت • مقامع في هاماتهم ثم تشعل •
فسبحان من يهوي الرياح بأمره • ومن هو في الأيام ما شاء يفعل •
ومن عرشه فوق السماوات كلها • وأقضاؤه في خلقه لا تبدل •
وقال ورقة أيضا •
يا للرجال وصرف الدهر والقدر • وما لشيء قضاه الله من غير •
حتى خديجة تدعوني لأخبرها • أمرا أراه سيأتي الناس من أخر •
فخبرتني بأمر قد سمعت به • فيما مضى من قديم الدهر والعصر •
بأن أحمد يأتيه فيخبره • جبريل أنك مبعوث إلى البشر •
فقلت علّ الذي ترجين ينجزه • لك الإله فرجي الخير وانتظري •
وأرسليه إلينا كي نسائله • عن أمره ما يرى في النوم والسهر •
فقال حين أتانا منطقا عجبا • يقف منه أعالي الجلد والشعر •
إني رأيت أمين الله واجهني • في صورة أكملت من أعظم الصور •
ثم استمر فكاد الخوف يذعرني • مما يسلم من حولي من الشجر •
فقلت ظني وما أدري أيصدقني • أن سوف يبعث يتلو منزل السور •
وسوف أبليك إن أعلنت دعوتهم • من الجهاد بلا من ولا كدر •

هكذا أورد ذلك الحافظ البيهقي من الدلائل وعندي في صحتها عن ورقة نظر والله أعلم
وقال ابن إسحاق وحدثني عبد الملك بن عبد الله بن أبي سفيان بن العلاء بن جارية الثقفي
وكان واعية عن بعض أهل العلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أراد الله كرامته وابتداءه بالنبوة
كان إذا خرج لحاجته أبعد حتى يحسر عنه البيوت ويفضي إلى شعاب مكة وبطون أوديتها فلا يمر
بحجر ولا شجر إلا قال السلام عليك يا رسول الله قال فيلتفت حوله عن يمينه وشماله وخلفه
فلا يرى إلا الشجر والحجارة فمكث كذلك يرى ويسمع ما شاء الله أن يمكث ثم جاءه جبريل عليه
السلام بما جاءه من كرامة الله وهو بحراء في رمضان قال ابن إسحاق وحدثني وهب بن كيسان
مولى آل الزبير قال سمعت عبد الله بن الزبير وهو يقول لعبيد بن عمير بن قتادة الليثي حدثنا
يا عبيد كيف كان بدء ما ابتدئ به رسول الله من النبوة حين جاءه جبريل قال فقال عبيد وأنا
حاضر يحدث عبد الله بن الزبير ومن عنده من الناس كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يجاور
في حراء في كل سنة شهرا قال وكان ذلك مما تحنث به قريش في الجاهلية والتحنث التبرر فكان

رسول الله يجاور ذلك الشهر من كل سنة يطعم من جاءه من المساكين فاذا قضى جواره من شهره
ذلك كان اول ما يبدا به اذا انصرف من جواره الكعبة قبل ان يدخل بيته فيطوف بها سبعا
او ما شاء الله من ذلك ثم يرجع الى بيته حتى اذا كان الشهر الذي اراد الله به فيه ما اراد من كرامته
من السنة التي بعثه فيها وذلك الشهر رمضان خرج الى حرا كما كان يخرج لجواره ومعه اهله
حتى اذا كانت الليلة التي اكرمه الله فيها برسالته ورحم بها العباد جاءه جبريل بامر الله تعالى قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاءني وانا نايم بنمط من ديباج فيه كتاب فقال اقرا قال
قلت ما اقرا قال فغتني به حتى ظننت انه الموت ثم ارسلني فقال اقرا فقلت ما اقرا
قال فغتني حتى ظننت انه الموت ثم ارسلني فقال اقرا قلت ماذا اقرا ما اقول ذلك الا افتدا
منه ان يعود لي بمثل ما صنع بي فقال اقرا باسم ربك الذي خلق خلق الانسان من علق اقرا
وربك الاكرم الذي علم بالقلم علم الانسان ما لم يعلم قال فقراتها ثم انتهى فانصرف عني
وهببت من نومي فكانما كتب في قلبي كتابا قال فخرجت حتى اذا كنت في وسط من الجبل سمعت
صوتا من السما يقول يا محمد انت رسول الله وانا جبريل قال فرفعت راسي الى السما انظر
فاذا جبريل في صورة رجل صاف قدميه في افق السما يقول يا محمد انت رسول الله وانا
جبريل فوقفت انظر اليه فما اتقدم وما اتاخر وجعلت اصرف وجهي عنه في افاق السما فما انظر
في ناحية منها الا رايته كذلك فما زلت واقفا ما اتقدم امامي وما ارجع ورايي حتى بعثت خديجة
رسلها في طلبي فبلغوا مكة ورجعوا اليها وانا واقف في مكاني ذلك ثم انصرف عني وانصرفت
راجعا الى اهلي حتى اتيت خديجة فجلست الى فخذها مضيفا اليها فقالت يا ابا القاسم اين
كنت فوالله لقد بعثت رسلي في طلبك حتى بلغوا مكة ورجعوا الي ثم حدثتها بالذي رايت
فقالت ابشر يا ابن عم واثبت فوالذي نفس خديجة بيده اني لارجو ان تكون نبي هذه الامة
ثم قامت فجمعت عليها ثيابها ثم انطلقت الى ورقة بن نوفل فاخبرته بما اخبرها به رسول
الله فقال ورقة قدوس قدوس والذي نفس ورقة بيده لين كنت صدقتيني يا خديجة
لقد جاءه الناموس الاكبر الذي كان ياتي موسى وانه لنبي هذه الامة وقولي له فليثبت فرجعت
خديجة الى رسول الله فاخبرته بقول ورقة فلما قضى رسول الله جواره وانصرف صنع كما كان
يصنع بدا بالكعبة فطاف بها فلقيه ورقة بن نوفل وهو يطوف بالكعبة فقال يا ابن اخي
اخبرني بما رايت وسمعت فاخبره فقال له ورقة والذي نفسي بيده انك لنبي هذه الامة
ولقد جاءك الناموس الاكبر الذي جاء موسى ولتكذبنه ولتوذينه ولتخرجنه ولتقاتلنه ولين
انا ادركت ذلك اليوم لانصرن الله نصرا يعلمه ثم ادنى راسه منه فقبل يافوخه ثم
انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم الى منزله وهذا الذي ذكره عبيد بن عمير كما ذكرناه كالتوطية
لما جاء بعده من اليقظة كما تقدم من قول عايشة رضي الله عنها فكان لا يرى رويا الا جاءت
مثل فلق الصبح ويحتمل ان هذا المنام كان بعد ما رآه في اليقظة صبيحة ليلة القدر ويحتمل
انه كان بعده بمدة والله اعلم وقال موسى بن عقبة عن الزهري عن سعيد بن المسيب قال
وكان فيما بلغنا اول ما راى يعني رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى اراه رويا
في المنام فشق ذلك عليه فذكرها لامراته خديجة فعصمها الله عن التكذيب وشرح صدرها
للتصديق فقالت ابشر فان الله لن يصنع بك الا خيرا ثم انه خرج من عندها ثم رجع اليها فاخبرها
انه راى بطنه شق ثم طهر وغسل ثم اعيد كما كان قالت هذا والله خير فابشر ثم استعلن

ما اقرا قال فغتني حتى ظننت انه الموت ثم ارسلني فقال اقرا قلت

لجبريل

[illegible]

له جبريل وهو باعلى مكة فاجلسه على مجلس كريم معجب كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول اجلسني على
بساط كهيية الدرنوك فيه الياقوت واللولو فبشره برسالة الله عز وجل حتى اطمان رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال له جبريل اقرا فقال كيف اقرا قال اقرا باسم ربك الذي خلق خلق الانسان من علق اقرا
وربك الاكرم الذي علم بالقلم علم الانسان ما لم يعلم قال ويزعم ناس ان يا ايها المدثر اول سورة انزلت
عليه والله اعلم قال فقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم رسالة ربه واتبع ما جاءه به جبريل من عند
الله فلما انصرف منقلبا الى بيته جعل لا يمر على شجرة ولا حجر الا سلم عليه فرجع الى اهله مسرورا موقنا
قد راى امرا عظيما فلما دخل على خديجة قال ارايتك الذي كنت احدثتك اني رايته في المنام فانه
جبريل استعلن لي ارسله الي ربي عز وجل واخبرها بالذي جاءه من الله وما سمع منه فقالت ابشر فوالله
لا يفعل الله بك الا خيرا واقبل الذي جاءك من امر الله فانه حق وابشر فانك رسول الله حقا ثم انطلقت
من مكانها فاتت غلاما لعتبة بن ربيعة بن عبد شمس نصرانيا من اهل نينوى يقال له عداس فقالت
له يا عداس اذكرك بالله الا ما اخبرتني هل عندك علم من جبريل فقال عداس قدوس قدوس ما شان
جبريل يذكر بهذه الارض التي اهلها اهل الاوثان فقالت اخبرني بعلمك فيه قال فانه امين الله
بينه وبين النبيين وهو صاحب موسى وعيسى عليهما السلام فرجعت خديجة من عنده فجاءت
ورقة بن نوفل فذكرت له ما كان من امر النبي صلى الله عليه وسلم وما القاه اليه جبريل فقال لها
ورقة يا بنية اخي ما ادري لعل صاحبك النبي الذي ينتظر اهل الكتاب الذي يجدونه مكتوبا
عندهم في التوراة والانجيل واقسم بالله لين كان اياه ثم اظهر دعاه وانا حي لابلين الله في طاعة
رسوله وحسن موازرته للصبر والنصر فمات ورقة رحمه الله قال الزهري فكانت خديجة اول من امن
بالله وصدق رسوله صلى الله عليه وسلم قال الحافظ البيهقي بعد ايراده ما ذكرناه والذي ذكر
فيه من شق بطنه يحتمل ان يكون حكاية منه لما صنع به في صباه يعني شق بطنه عند حليمة ويحتمل
ان يكون شق مرة اخرى ثم ثالثة حين عرج به الى السما والله اعلم وقال البيهقي انا ابو عبد الله
الحافظ ثنا ابو العباس ثنا احمد بن عبد الجبار ثنا يونس عن ابن اسحاق حدثني اسماعيل بن ابي
حكيم مولى الزبير انه حدث عن خديجة بنت خويلد انها قالت لرسول الله فيما تثبته فيما اكرمه الله
من نبوته يا ابن عم تستطيع ان تخبرني بصاحبك هذا الذي ياتيك اذا جاءك فقال نعم فقالت
اذا جاءك فاخبرني فبينا رسول الله صلى الله عليه وسلم عندها اذ جاءه جبريل فراه رسول الله
فقال يا خديجة هذا جبريل فقالت تراه الان قال نعم قالت فاجلس الى شقي الايمن فتحول
فجلس فقالت تراه الان قال نعم قالت فتحول فاجلس في حجري فتحول فجلس في حجرها فقالت
هل تراه الان قال لا فقالت ما هذا بشيطان ان هذا الملك يا ابن عم فاثبت وابشر ثم امنت
به وشهدت ان ما جاء به هو الحق قال ابن اسحاق فحدثت عبد الله بن حسن هذا الحديث فقال
قد سمعت امي فاطمة بنت الحسين تحدث بهذا الحديث عن خديجة الا اني سمعتها تقول ادخلت
رسول الله صلى الله عليه وسلم بينها وبين درعها فذهب عند ذلك جبريل عليه السلام قال
البيهقي وهذا شي كانت خديجة تصنعه تستثبت به الامر احتياطا لدينها وتصديقا فاما النبي
صلى الله عليه وسلم فقد كان وثق بما قال له جبريل واراه من الايات التي ذكرناها مرة بعد
اخرى وما كان من تسليم الشجر والحجر عليه صلى الله عليه وسلم تسليما وقد قال مسلم في صحيحه
ثنا ابو بكر بن ابي شيبة ثنا يحيى بن ابي بكير ثنا ابراهيم بن طهمان حدثني سماك بن حرب عن جابر
بن سمرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اني لاعرف حجرا بمكة كان يسلم علي قبل

قال نعم فحسرت راسها فشالت خمارها ورسول الله صلى الله عليه وسلم جالس في حجرها فقالت هل تراه الان

ان ابعث انی لاعرفه الان وقال ابو داود الطيالسی ثنا سليمان بن معاذ عن سماك بن حرب عن جابر بن سمرة ان رسول الله قال ان بمكة حجرا كان يسلم علی ليالی بعثت انی لاعرفه اذا مررت عليه وروی البيهقی من حديث اسماعيل بن عبد الرحمن السدی الكبير عن عباد بن عبد الله عن علی بن ابی طالب رضی الله عنه قال كنا مع رسول الله بمكة فخرج فی بعض نواحيها فما استقبله شجر ولا جبل الا قال له السلام عليك يا رسول الله وفی رواية لقد رايتنی ادخل معه الوادی فلا يمر بحجر ولا شجر الا قال السلام عليك يا رسول الله وانا اسمعه

فصل

قال البخاری فی روايته المتقدمة ثم فتر الوحی فترة حتی حزن النبی صلی الله عليه وسلم فيما بلغنا حزنا غدا منه مرارا كی يتردی من رؤس شواهق الجبال فكلما اوفی بذروة جبل لكی يلقی نفسه تبدی له جبريل فقال يا محمد انك رسول الله حقا فيسكن لذلك جاشه وتقر نفسه فيرجع فاذا طالت عليه فترة الوحی غدا لمثل ذلك فاذا اوفی بذروة جبل تبدی له جبريل فقال له مثل ذلك وفی الصحيحين من حديث عبد الرزاق عن معمر عن الزهری قال سمعت ابا سلمة بن عبد الرحمن يحدث عن جابر بن عبد الله قال سمعت رسول الله صلی الله عليه وسلم يحدث عن فترة الوحی قال فبينما انا امشی سمعت صوتا من السما فرفعت بصری قبل السما فاذا الملك الذی جانی بحرا قاعد علی كرسی بين السما والارض فجئثت منه فرقا حتی هويت الی الارض فجئت اهلی فقلت زملونی زملونی فانزل الله عز وجل يا ايها المدثر قم فانذر وربك فكبر وثيابك فطهر والرجز فاهجر قال ثم حمی الوحی وتتابع فهذا كان اول ما نزل من القران بعد فترة الوحی لا مطلقا ذاك قوله اقرا باسم ربك الذی خلق وقد ثبت عن جابر ان اول ما نزل يا ايها المدثر واللايق حمل كلامه ما امكن علی ما قلنا فان فی سياق كلامه ما يدل علی تقدم مجی الملك الذی عرفه ثانيا بما عرفه به اولا اليه ثم قوله يحدث عن فترة الوحی دليل علی تقدم الوحی علی هذا الايحا والله اعلم وقد ثبت فی الصحيحين من حديث علی بن المبارك وعند مسلم والاوزاعی كلاهما عن يحيی بن ابی كثير قال سالت ابا سلمة بن عبد الرحمن ای القران انزل قبل فقال يا ايها المدثر فقلت او اقرا باسم ربك فقال قال رسول الله انی جاورت بحرا شهرا فلما قضيت جواری نزلت فاستبطنت الوادی فنوديت فنظرت بين يدی وخلفی وعن يمينی وعن شمالی فلم ار شيا ثم نظرت الی السما فاذا هو علی العرش فی الهوا فاخذتنی رجفة او قال وحشة فاتيت خديجة فامرتهم فدثرونی فانزل الله يا ايها المدثر حتی بلغ وثيابك فطهر وقال فی رواية فاذا الملك الذی جانی بحرا جالس علی كرسی بين السما والارض فجئثت منه وهذا صريح فی تقدم اتيانه اليه وانزاله الوحی من الله عليه كما ذكرنا والله تعالی اعلم ومنهم من زعم ان اول ما نزل بعد فترة الوحی سورة والضحی والليل اذا سجی ما ودعك ربك وما قلی الی اخرها قاله محمد بن اسحاق قال بعض القرا ولهذا كبر رسول الله صلی الله عليه وسلم فی اولها فرحا وهو قول بعيد يرده ما تقدم من رواية صاحبی الصحيح من ان اول القران نزولا بعد فترة الوحی يا ايها المدثر قم فانذر ولكن نزلت سورة الضحی بعد فترة اخری كانت ليالی يسيرة كما ثبت فی الصحيحين وغيرهما من حديث الاسود بن قيس عن جندب ابن عبد الله البجلی قال اشتكی رسول الله صلی الله عليه وسلم فلم يقم ليلة او ليلتين او ثلثا فقالت امراة ما اری شيطانك الا تركك فانزل الله والضحی والليل اذا سجی ما ودعك ربك وما قلی وبهذا الامر حصل الارسال الی الناس وبالاول حصلت النبوة وقال قال

سالت جابر بن عبد الله ای القران انزل قبل فقال يا ايها المدثر فقلت او اقرا باسم ربك فقال

بعضهم

بعضهم كانت مدة الفترة قريبا من سنتين او سنتين ونصفا والظاهر والله اعلم انها المدة التی اقترن معه ميكائيل كما قال الشعبی وغيره ولا ينفی هذا تقدم ايحا جبريل اليه اولا اقرا باسم ربك الذی خلق ثم حصلت الفترة التی اقترن معه ميكائيل ثم اقترن به جبريل بعد نزول يا ايها المدثر قم فانذر وربك فكبر وثيابك فطهر والرجز فاهجر ثم حمی الوحی بعد هذا وتتابع ای تدارك شيا بعد شی وقام حينئذ رسول الله صلی الله عليه وسلم فی الرسالة اتم القيام وشمر عن ساق العزم ودعا الی الله القريب والبعيد الاحرار والعبيد فامن به حينئذ كل لبيب نجيب سعيد واستمر علی مخالفته وعصيانه كل جبار عنيد فكان اول من بادر الی التصديق من الرجال الاحرار ابو بكر الصديق ومن الغلمان علی بن ابی طالب ومن النسا خديجة بنت خويلد زوجته عليها السلام ومن الموالی مولاه زيد بن حارثة الكلبی رضی الله عنه وتقدم الكلام علی ايمان ورقة بن نوفل بما وجد من الوحی ومات فی الفترة رضی الله عنه

فصل فی منع الجان ومردة الشياطين من استراق السمع حين انزل القران

لئلا يختطف احدهم منه ولو حرفا واحدا فيلقيه علی لسان وليه فيلتبس الامر ويختلط الحق فكان من رحمة الله وفضله ولطفه بخلقه ان حجبهم عن السما كما قال تعالی اخبارا عنهم فی قولهم وانا لمسنا السما فوجدناها ملئت حرسا شديدا وشهبا وانا كنا نقعد منها مقاعد للسمع فمن يستمع الان يجد له شهابا رصدا وانا لا ندری اشر اريد بمن فی الارض ام اراد بهم ربهم رشدا وقال تعالی وما تنزلت به الشياطين وما ينبغی لهم وما يستطيعون انهم عن السمع لمعزولون قال الحافظ ابو نعيم ثنا سليمان بن احمد هو الطبرانی ثنا عبد الله بن محمد بن سعيد بن ابی مريم ثنا محمد بن يوسف الفريابی ثنا اسرائيل عن ابی اسحاق عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال كان الجن يصعدون الی السما يستمعون الوحی فاذا حفظوا الكلمة زادوا فيها تسعا فاما الكلمة فتكون حقا واما ما زادوا فيكون باطلا فلما بعث النبی صلی الله عليه وسلم منعوا مقاعدهم فذكروا ذلك لابليس ولم تكن النجوم يرمی بها قبل ذلك فقال لهم ابليس هذا الامر قد حدث فی الارض فبعث جنوده فوجدوا رسول الله صلی الله عليه وسلم قايما يصلی بين جبلين فاتوه فاخبروه فقال هذا الامر الذی قد حدث فی الارض وقال ابو عوانة عن ابی بشر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال انطلق رسول الله واصحابه عامدين الی سوق عكاظ وقد حيل بين الشياطين وبين خبر السما وارسلت عليهم الشهب فرجعت الشياطين الی قومهم فقالوا ما لكم قالوا حيل بيننا وبين خبر السما وارسلت علينا الشهب قالوا ما ذاك الا من شی قد حدث فاضربوا مشارق الارض ومغاربها فمر النفر الذين اخذوا نحو تهامة وهو بنخل عامدين الی سوق عكاظ وهو يصلی باصحابه صلاة الفجر فلما سمعوا القران استمعوا له وقالوا هذا الذی حال بيننا وبين خبر السما فرجعوا الی قومهم قالوا يا قومنا انا سمعنا قرانا عجبا يهدی الی الرشد فامنا به ولن نشرك بربنا احدا فاوحی الله الی نبيه قل اوحی الی انه استمع نفر من الجن الاية اخرجاه فی الصحيحين وقال ابو بكر بن ابی شيبة ثنا محمد بن فضيل عن عطا بن السايب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال انه لم يكن قبيلة من الجن الا ولهم مقاعد للسمع فاذا نزل الوحی سمعت الملايكة

صوتا كصوت الحديدة القيتها على الصفا قال فاذا سمعت الملائكة خروا سجدا فلم يرفعوا
روسهم حتى ينزل فاذا نزل قال بعضهم لبعض ماذا قال ربكم فان كان مما يكون في السما قالوا الحق
وهو العلي الكبير وان كان مما يكون في الارض من امر الغيب او موت او شي مما يكون في الارض تكلموا
به فقالوا يكون كذا وكذا فتسمعه الشياطين فينزلونه على اوليايهم فلما بعث محمد صلى الله
عليه وسلم دحروا بالنجوم فكان اول من علم بها ثقيف فكان ذو الغنم منهم ينطلق الى غنمه
فيذبح كل يوم شاة وذو الابل فينحر كل يوم بعيرا فاسرع الناس في اموالهم فقال بعضهم لبعض
لا تفعلوا فان كانت النجوم التي يهتدون بها والا فانه لامر حدث فنظروا فاذا النجوم التي يهتدى
بها كما هي لم يزل منها شي فكفوا وصرف الله الجن فسمعوا القران فلما حضروه قالوا انصتوا
وانطلقت الشياطين الى ابليس فاخبروه فقال هذا حدث حدث في الارض فاتوني من كل
ارض بتربة فاتوه بتربة تهامة فقال ههنا الحدث رواه البيهقي والحاكم من طريق
حماد بن سلمة عن عطا بن السايب به وقال الواقدي حدثني اسامة بن زيد بن اسلم عن
عمر بن عبد الله العبسي عن ابي بن كعب قال لم يرم بنجم منذ رفع عيسى حتى تنبا رسول الله
صلى الله عليه وسلم فرمى بها فرات قريش امرا لم تكن تراه فجعلوا يسيبون انعامهم ويعتقون
ارقاهم يظنون انه الفنا فبلغ ذلك من فعلهم اهل الطايف ففعلت ثقيف مثل ذلك
فبلغ عبد يا ليل بن عمرو ما صنعت ثقيف قال ولم فعلتم ما ارى قالوا رمي بالنجوم فرايناها
تهافت من السما فقال ان افادة المال بعد ذهابه شديد فلا تعجلوا وانظروا فان تكن نجوما
تعرف فهو عند فنا الناس وان كانت نجوما لا تعرف فهو امر قد حدث فنظروا فاذا هي لا تعرف
فاخبروه فقال الامر فيه مهلة بعد هذا عند ظهور نبي فما مكثوا الا يسيرا حتى قدم عليهم
ابو سفيان بن حرب الى امواله فجاء عبد يا ليل فذاكره امر النجوم فقال ابو سفيان
ظهر محمد بن عبد الله يدعي انه نبي مرسل فقال عبد يا ليل فعند ذلك رمي بها وقال
سعيد بن منصور عن خالد عن حصين عن عامر الشعبي قال كانت النجوم لا يرمى
بها حتى بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم فسيبوا انعامهم واعتقوا رقيقهم فقال
عبد يا ليل انظروا فان كانت النجوم التي تعرف فهو عند فنا الناس وان كانت
لا تعرف فهو امر قد حدث فنظروا فاذا هي لا تعرف قال فامسكوا فلم يلبثوا الا يسيرا حتى
جاهم خروج النبي صلى الله عليه وسلم وروى البيهقي والحاكم من طريق العوفي عن ابن عباس
قال لم تكن سما الدنيا تحرس في الفترة بين عيسى ومحمد فلعل مراد من نفى ذلك انها لم تكن
تحرس حراسة شديدة ويجب حمل ذلك على هذا لما ثبت في الحديث من طريق عبد الرزاق عن
معمر عن الزهري عن علي بن الحسين عن ابن عباس بينا رسول الله جالس اذ رمي بنجم فاستنار
فقال ما كنتم تقولون اذا رمي بهذا قال كنا نقول يموت عظيم ويولد عظيم فقال لا ولكن وذكر
الحديث كما تقدم عند خلق السما وما فيها من الكواكب في اول بدء الخلق ولله الحمد وقد
ذكر ابن اسحاق في السيرة قصة رمي النجوم وذكر عن كبير ثقيف انه قال لهم في النظر
في النجوم ان كانت اعلام السما او غيرها ولكن سماه عمرو بن امية والله اعلم وقال
السدي لم تكن السما تحرس الا ان يكون في الارض نبي او دين لله ظاهر فكانت الشياطين
قبل محمد قد اتخذت المقاعد في السما الدنيا يستمعون ما يحدث في السما من امر فلما
بعث الله محمدا نبيا رجموا ليلة من الليالي ففزع لذلك اهل الطايف فقالوا هلك اهل

السما

السما لما راوا من شدة النار في السما واختلاف الشهب فجعلوا يعتقون ارقاهم ويسيبون
مواشيهم فقال لهم عبد يا ليل بن عمرو بن عمير ويحكم يا معشر اهل الطايف امسكوا عن اموالكم
وانظروا الى معالم النجوم فان رايتموها مستقرة في امكنتها فلم يهلك اهل السما وانما هو من
اجل ابن ابي كبشة وان انتم لم تروها فقد هلك اهل السما فنظروا فراوها فكفوا عن اموالهم
وفزعت الشياطين في تلك الليلة فاتوا ابليس فقال ايتوني من كل ارض بقبضة من
تراب فاتوه فشم فقال صاحبكم بمكة فبعث سبعة نفر من جن نصيبين فقدموا مكة فوجدوا
رسول الله في المسجد الحرام يقرا القران فدنوا منه حرصا على القران حتى كادت كلا كلهم
تصيبه ثم اسلموا فانزل الله امرهم على نبيه صلى الله عليه وسلم وقال الواقدي حدثني محمد
بن صالح عن ابن ابي حكيم يعني اسحاق عن عطا بن يسار عن ابي هريرة قال لما بعث رسول الله اصبح
كل صنم منكسا فاتت الشياطين ابليس فقالوا له ما على الارض صنم الا وقد اصبح منكسا قالوا
هذا نبي قد بعث فالتمسوه في قرى الارياف فالتمسوه فقالوا لم نجده فقال انا صاحبه فخرج
يلتمسه فنودي عليك بجنبة الباب يعني مكة فالتمسه فوجده بها عند قرن الثعالب فخرج
الى الشياطين فقال اني قد وجدته معه جبريل فما عندكم قالوا نزين الشهوات في اعين اصحابه
ونحببها اليهم قال فلا اسى اذا وقال الواقدي حدثني طلحة بن عمرو عن ابن ابي مليكة عن
عبد الله بن عمرو قال لما كان اليوم الذي تنبا فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم منعت
الشياطين السما ورموا بالشهب فجاوا الى ابليس فذكروا ذلك له فقال امر قد حدث هذا
نبي قد خرج عليكم بالارض المقدسة مخرج بني اسرايل قال فذهبوا الى الشام ثم رجعوا اليه
فقالوا ليس بها احد فقال ابليس انا صاحبه فخرج في طلبه بمكة فاذا رسول الله صلى الله
عليه وسلم بحرا منحدرا معه جبريل فرجع الى اصحابه فقال قد بعث احمد ومعه جبريل فما عندكم
قالوا الدنيا نحببها الى الناس قال فذاك اذا قال الواقدي وحدثني طلحة بن عمرو عن عطا
عن ابن عباس قال كانت الشياطين يستمعون الوحي فلما بعث محمد منعوا فشكوا ذلك الى ابليس فقال
لقد حدث امر فرقى فوق ابي قبيس وهو اول جبل وضع على الارض فراى رسول الله يصلي خلف المقام
فقال اذهب فاكسر عنقه فجا يخطر وجبريل عنده فركضه جبريل ركضة طرحه في كذا وكذا فولى
الشيطان هاربا ثم رواه الواقدي وابو احمد الزبيري كلاهما عن رباح بن ابي معروف عن قيس بن
سعد عن مجاهد فذكر مثل هذا وقال فركضه برجله فرماه بعدن

فصل

في كيفية اتيان الوحي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قد تقدم كيفية ما جاءه جبريل اول مرة
وثاني مرة ايضا وقال مالك عن هشام بن عروة عن ابيه عن عايشة ان الحرث بن هشام سال رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال يا رسول الله كيف ياتيك الوحي فقال احيانا ياتيني في مثل صلصلة
الجرس وهو اشده علي فيفصم عني وقد وعيت ما قال واحيانا يتمثل لي الملك رجلا فيكلمني
فاعي ما يقول قالت عايشة ولقد رايته ينزل عليه الوحي في اليوم الشديد البرد فيفصم عنه وان
جبينه ليتفصد عرقا اخرجاه في الصحيحين من حديث مالك به ورواه الامام احمد عن عامر
بن صالح عن هشام بن عروة به نحوه وكذا رواه عبدة بن سليمان وانس بن عياض عن هشام بن
عروة وقد رواه ايوب السختياني عن هشام عن ابيه عن الحرث بن هشام انه قال سالت
رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف ياتيك الوحي فذكره ولم يذكر عايشة وفي حديث
الافك قالت عايشة فوالله ما رام رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا خرج احد من اهل البيت

حتى نزل عليه فأخذه ما كان يأخذه من البرحاء حتى إنه كان يتحدر منه مثل الجمان من العرق وهو في
يوم شات من ثقل الوحي الذي ينزل عليه وقال الإمام أحمد حدثنا عبد الرزاق أخبرني يونس
بن سليم قال أملى علي يونس بن يزيد عن ابن شهاب عن عروة عن عبد الرحمن بن عبد القاري
سمعت عمر بن الخطاب يقول كان إذا نزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم الوحي يسمع عند وجهه
كدوي النحل وذكر تمام الحديث في نزول قد أفلح المؤمنون وكذا رواه الترمذي والنسائي من حديث
عبد الرزاق ثم قال النسائي منكر لا نعرف أحدا رواه غير يونس بن سليم ولا نعرفه وفي صحيح
مسلم وغيره من حديث الحسن عن حطان بن عبد الله الرقاشي عن عبادة بن الصامت قال
كان رسول الله إذا نزل عليه الوحي كرب لذلك وتربد وجهه وفي رواية وغمض عينيه وكنا نعرف
ذلك منه وفي الصحيحين من حديث زيد بن ثابت حين نزلت لا يستوي القاعدون من المؤمنين
فلما شكى ابن أم مكتوم ضرارته نزلت غير أولي الضرر قال وكانت فخذ رسول الله على فخذي وأنا
أكتب فلما نزل الوحي كادت فخذه ترض فخذي وفي صحيح مسلم من حديث همام بن يحيى عن عطا
عن يعلى بن أمية قال قال لي عمر أيسرك أن تنظر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يوحى
إليه فرفع طرف الثوب عن وجهه وهو يوحى إليه بالجعرانة فإذا هو محمر الوجه وهو يغط كما يغط
البكر وثبت في الصحيحين حديث عائشة لما نزل الحجاب وأن سودة خرجت بعد ذلك إلى المناصع صح
ليلا فقال عمر قد عرفناك يا سودة فرجعت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألته وهو
جالس يتعشى والعرق في يده فأوحي إليه والعرق في يده ثم رفع رأسه فقال إنه قد أذن لكن أن
تخرجن لحاجتكن فدل هذا على أنه لم يكن الوحي يغيب عنه إحساسه بالكلية بدليل أنه جالس لم
يسقط ولم يسقط العرق أيضا من يده صلوات الله وسلامه عليه وقال أبو داود الطيالسي
ثنا عباد بن منصور ثنا عكرمة عن ابن عباس قال كان رسول الله إذا نزل عليه الوحي تربد
لذلك جسده ووجهه وأمسك عن أصحابه ولم يكلمه أحد منهم وفي مسند أحمد وغيره من حديث
ابن لهيعة حدثني يزيد بن أبي حبيب عن عمرو بن الوليد عن عبد الله بن عمرو قلت يا رسول الله
هل تحس بالوحي قال نعم أسمع صلاصل ثم أسكت عند ذلك وما من مرة يوحى إلي إلا ظننت أن
نفسي تفيض منه وقال أبو يعلى الموصلي ثنا إبراهيم بن الحجاج ثنا عبد الواحد بن زياد
(غ تفيض)
ثنا عاصم بن كليب ثنا أبي عن خاله الفلتان بن عاصم قال كنا عند رسول الله صلى الله
عليه وسلم وأنزل عليه وكان إذا نزل عليه دام بصره مفتوحة عيناه وفرغ سمعه وقلبه لما
يأتيه من الله عز وجل وروى أبو نعيم من حديث قتيبة ثنا علي بن غراب عن الأحوص بن حكيم
عن أبي عون عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا نزل
عليه الوحي صدع وغلف رأسه بالحناء وهذا حديث غريب جدا وقال الإمام أحمد ثنا أبو النضر
ثنا أبو معاوية شيبان عن ليث عن شهر بن حوشب عن أسماء بنت يزيد قالت إني لآخذة بزمام
العضباء ناقة رسول الله إذ نزلت عليه المائدة كلها فكادت من ثقلها تدق عضد الناقة
وقد رواه أبو نعيم من حديث الثوري عن ليث بن أبي سليم به وقال أحمد أيضا ثنا حسن ثنا ابن
لهيعة حدثني حيي بن عبد الله عن أبي عبد الرحمن الحبلي عن عبد الله بن عمرو قال أنزلت على
رسول الله سورة المائدة وهو راكب على راحلته فلم تستطع أن تحمله فنزل عنها وروى ابن مردويه
من حديث صباح بن سهل عن عاصم الأحول حدثتني أم عمرو عن عمها أنه كان في مسير مع رسول الله
فنزلت عليه سورة المائدة فاندق عنق الراحلة من ثقلها وهذا غريب من هذا الوجه ثم قد

ثبت

ثبت في الصحيحين نزول سورة الفتح على رسول الله صلى الله عليه وسلم مرجعه من الحديبية وهو على
راحلته فكان يكون تارة وتارة بحسب الحال والله أعلم وقد ذكرنا أنواع الوحي إليه صلى الله عليه
وسلم في أول شرح البخاري وما ذكره الحليمي وغيره من الأئمة والله أعلم **فصل** قال الله
تعالى لا تحرك به لسانك لتعجل به إن علينا جمعه وقرآنه فإذا قرأناه فاتبع قرآنه ثم إن علينا بيانه
وقال تعالى ولا تعجل بالقرآن من قبل أن يقضى إليك وحيه وقل رب زدني علما وكان هذا في الابتدا
كان عليه السلام من شدة حرصه على أخذه من الملك ما يوحى إليه عن الله عز وجل يساوقه في التلاوة
فأمره تعالى أن ينصت لذلك حتى يفرغ من الوحي وتكفل له أن يجمعه في صدره وأن ييسر
عليه تلاوته وتبليغه وأن يبينه له ويفسره ويوضحه ويوقفه على المراد منه ولهذا قال
ولا تعجل بالقرآن من قبل أن يقضى إليك وحيه وقال لا تحرك به لسانك لتعجل به إن علينا جمعه
أي في صدرك وقرآنه أي وأن تقرأه فإذا قرأناه أي تلاه عليك الملك فاتبع قرآنه أي فاستمع له
وتدبره ثم إن علينا بيانه وهو نظير قوله وقل رب زدني علما وفي الصحيحين من حديث موسى بن
أبي عائشة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال كان رسول الله يعالج من التنزيل شدة فكان يحرك
شفتيه فأنزل الله لا تحرك به لسانك لتعجل به إن علينا جمعه وقرآنه قال جمعه في صدرك
ثم تقرأه فإذا قرأناه فاتبع قرآنه فاستمع له وأنصت ثم إن علينا بيانه قال فكان إذا أتاه
جبريل أطرق فإذا ذهب قرأه كما وعده الله عز وجل **فصل** قال ابن إسحاق ثم تتابع
الوحي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو مصدق بما جاءه منه قد تقبله بقبوله وتحمل منه ما حمله
على رضى العباد وسخطهم وللنبوة أثقال ومؤنة لا يحملها ولا يستضلع بها إلا أهل القوة
والعزم من الرسل بعون الله وتوفيقه لما يلقون من الناس وما يرد عليهم مما جاؤوا به عن الله عز
وجل فمضى رسول الله على ما أمره الله على ما يلقى من قومه من الخلاف والأذى قال ابن إسحاق وآمنت
خديجة بنت خويلد وصدقت بما جاءه من الله ووازرته على أمره فكانت أول من آمن بالله ورسوله
وصدقت بما جاء منه فخفف الله بذلك عن رسوله صلى الله عليه وسلم لا يسمع شيئا يكرهه من رد عليه وتكذيب له فيحزنه
ذلك إلا فرج الله عنه بها إذا رجع إليها تثبته وتخفف عليه وتصدقه وتهون عليه أمر الناس
رضي الله عنها وأرضاها قال ابن إسحاق وحدثني هشام بن عروة عن أبيه عن عبد الله بن جعفر قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرت أن أبشر خديجة ببيت من قصب لا صخب فيه ولا نصب
وهذا الحديث مخرج في الصحيحين من حديث هشام قال ابن هشام القصب ههنا اللؤلؤ
المجوف قال ابن إسحاق وجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكر ما أنعم الله به عليه وعلى العباد
من النبوة سرا إلى من يطمئن إليه من أهله وقال موسى بن عقبة عن الزهري كانت خديجة أول
من آمن بالله وصدق رسوله صلى الله عليه وسلم قبل أن تفرض الصلاة قلت يعني الصلوات
الخمس ليلة الإسراء فأما أصل الصلاة فقد وجبت في حياة خديجة رضي الله عنها كما سنبينه
وقال ابن إسحاق كانت خديجة أول من آمن بالله ورسوله وصدق بما جاء به ثم إن جبريل أتى رسول الله
حين افترضت عليه الصلاة فهمز له بعقبه في ناحية الوادي فانفجرت له عين من ماء زمزم فتوضأ جبريل
ومحمد عليهما السلام ثم صلى ركعتين وسجد أربع سجدات ثم رجع النبي صلى الله عليه وسلم قد أقر الله
عينه وطابت نفسه وجاءه ما يحب من الله فأخذ بيد خديجة حتى أتى بها إلى العين فتوضأ كما توضأ
جبريل ثم ركع ركعتين وأربع سجدات ثم كان هو وخديجة يصليان سرا قلت صلاة جبريل هذه غير
الصلاة التي صلاها به عند البيت مرتين فبين له أوقات الصلوات الخمس أولها وآخرها فإن ذلك كان

بعد فرضيتها ليلة الاسرا وسنبين ذلك في بيانه ان شا الله وبه الثقة وعليه التكلان

فصل في ذكر اول من اسلم ٥

ثم ذكر متقدمي الاسلام من الصحابة وغيرهم قال ابن اسحاق ثم ان علي بن ابي طالب جا بعد ذلك بيوم وهما يصليان فقال علي يا محمد ما هذا قال دين الله الذي اصطفى لنفسه وبعث به رسله فادعوك الى الله وحده لا شريك له والى عبادته وكفر باللات والعزى فقال علي هذا امر لم اسمع به قبل اليوم فلست بقاض امرا حتى احدث به ابا طالب فكره رسول الله ان يفشي عليه سره قبل ان يستعلن امره فقال له يا علي اذا لم تسلم فاكتم فمكث علي تلك الليلة ثم ان الله اوقع في قلب علي الاسلام فاصبح غاديا الى رسول الله حتى جاه فقال ما ذا عرضت علي يا محمد فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم تشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له وتكفر باللات والعزى وتبرا من الانداد ففعل علي واسلم ومكث ياتيه على خوف من ابي طالب وكتم علي اسلامه ولم يظهره واسلم ابن حارثة يعني زيدا فمكثا قريبا من شهر يختلف علي الى رسول الله وكان مما انعم به على علي انه كان في حجر رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل الاسلام قال ابن اسحاق حدثني ابن ابي نجيح عن مجاهد قال وكان مما انعم الله على علي ان قريشا اصابتهم ازمة شديدة وكان ابو طالب ذا عيال كثير فقال رسول الله لعمه العباس وكان ايسر بني هاشم يا عباس ان اخاك ابا طالب كثير العيال وقد اصاب الناس ما ترى من هذه الازمة فانطلق حتى نخفف عنه من عياله فاخذ رسول الله عليا فضمه اليه فلم يزل مع رسول الله حتى بعثه الله نبيا فاتبعه علي وامن به وصدقه ٥

وقال يونس بن بكير عن محمد بن اسحاق حدثني يحيى بن ابي الاشعث الكندي من اهل الكوفة حدثني اسماعيل بن ابي اياس بن عفيف عن ابيه عن جده عفيف وكان عفيف اخا الاشعث بن قيس لامه انه قال كنت امرا تاجرا فقدمت منى ايام الحج وكان العباس بن عبد المطلب امرا تاجرا فاتيته ابتاع منه وابيعه قال فبينا نحن اذ خرج رجل من خبا يصلي فقام تجاه الكعبة ثم خرجت امراة فقامت تصلي وخرج غلام فقام يصلي معه فقلت يا عباس ما هذا الدين ان هذا الدين ما ندري ما هو فقال هذا محمد بن عبد الله يزعم ان الله ارسله وان كنوز كسرى وقيصر ستفتح عليه وهذه امراته خديجة بنت خويلد امنت به وهذا الغلام ابن عمه علي بن ابي طالب امن به قال عفيف فليتني كنت امنت يوميذ فكنت اكون ثانيا وتابعه ابراهيم بن سعد عن ابن اسحاق وقال في الحديث اذ خرج رجل من خبا قريب منه فنظر الى السما فلما راها قد مالت قام يصلي ثم ذكر قيام خديجة وراه وقال ابن جرير حدثني محمد بن عبيد المحاربي ثنا سعيد بن خثيم عن اسد بن عبدة البجلي عن يحيى بن عفيف قال جيت في الجاهلية الى مكة فنزلت على العباس بن عبد المطلب فلما طلعت الشمس وحلقت في السما وانا انظر الى الكعبة اقبل شاب فرمى ببصره الى السما ثم استقبل الكعبة فقام مستقبلها فلم يلبث حتى جا غلام فقام عن يمينه فلم يلبث حتى جات امراة فقامت خلفهما فركع الشاب والمراة فرفع الشاب ساجدا فسجدا معه فقلت يا عباس امر عظيم ٧ فقال اتدري من هذا قلت لا قال هذا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب ابن اخي اتدري من هذا قلت لا قال هذا علي بن ابي طالب بن عبد المطلب ابن اخي اتدري من هذه المراة التي خلفهما قلت لا قال هذه خديجة بنت خويلد زوجة ابن اخي وهذا حدثني ان ربك رب السما امرهم بهذا الذي تراهم عليه وايم الله ما اعلم على ظهر الارض كلها احدا على هذا الدين غير هولا الثلاثة وقال ابن جرير حدثني ابن حميد ثنا عيسى بن سوادة بن ابي الجعد ثنا محمد بن المنكدر وربيعة بن ابي عبد الرحمن

فركع الغلام والمراة فرفع الشاب فرفع الغلام م

فقال امر عظيم م

وابو حازم

وابو حازم والكلبي قالوا علي اول من اسلم قال الكلبي اسلم وهو ابن تسع سنين وحدثنا ابن حميد ثنا سلمة عن ابن اسحاق قال اول ذكر امن برسول الله وصلى معه وصدقه علي بن ابي طالب وهو ابن عشر سنين وكان في حجر رسول الله قبل الاسلام وقال الواقدي اخبرنا ابراهيم عن نافع عن ابن ابي نجيح عن مجاهد قال اسلم علي وهو ابن عشر سنين قال الواقدي واجمع اصحابنا على ان عليا اسلم بعد ما تنبا رسول الله صلى الله عليه وسلم بسنة وقال محمد بن كعب اول من اسلم من هذه الامة خديجة واول رجلين اسلما ابو بكر وعلي واسلم علي قبل ابي بكر وكان علي يكتم ايمانه خوفا من ابيه حتى لقيه ابوه فقال اسلمت فقال نعم قال وازر ابن عمك وانصره قال وكان ابو بكر الصديق اول من اظهر الاسلام وروى ابن جرير في تاريخه من حديث شعبة عن ابي بلج عن عمرو بن ميمون عن ابن عباس قال اول من صلى علي وحدثنا عبد الحميد بن يحيى ابا شريك عن عبد الله بن محمد بن عقيل عن جابر قال بعث النبي صلى الله عليه وسلم يوم الاثنين وصلى علي يوم الثلثا وروي من حديث شعبة عن عمرو بن مرة عن ابي حمزة رجل من الانصار سمعت زيد بن ارقم يقول اول من اسلم مع رسول الله علي بن ابي طالب قال فذكرته للنخعي فانكره وقال ابو بكر اول من اسلم ثم قال حدثنا عبيد الله بن موسى انا العلا عن المنهال بن عمرو عن عباد بن عبد الله سمعت عليا يقول انا عبد الله واخو رسوله وانا الصديق الاكبر لا يقولها بعدي الا كاذب مفتر صليت قبل الناس بسبع سنين وهكذا رواه ابن ماجة عن محمد بن اسماعيل الرازي عن عبيد الله بن موسى العبسي وهو شيعي من رجال الصحيح عن العلا بن صالح الاسدي الكوفي وثقوه ولكن قال ابو حاتم كان من عتق الشيعة وقال علي بن المديني روى احاديث مناكير والمنهال ابن عمرو ثقة واما شيخه عباد بن عبد الله وهو الاسدي الكوفي فقد قال فيه علي بن المديني هو ضعيف الحديث وقال البخاري فيه نظر وذكره ابن حبان في الثقات وهذا الحديث منكر بكل حال ولا يقوله علي رضي الله عنه وكيف يمكن ان يصلي قبل الناس بسبع سنين هذا لا يتصور اصلا والله اعلم وقال اخرون اول من اسلم من هذه الامة ابو بكر الصديق والجمع بين الاقوال كلها ان خديجة اول من اسلم من النسا وظاهر السياقات وقبل الرجال ايضا واول من اسلم من الموالي زيد بن حارثة واول من اسلم من الغلمان علي بن ابي طالب فانه كان صغيرا دون البلوغ على المشهور وهولا كانوا اذ ذاك اهل البيت واول من اسلم من الرجال الاحرار ابو بكر الصديق واسلامه كان انفع من اسلام من تقدم ذكرهم اذ كان صدرا معظما ورييسا في قريش مكرما وصاحب مال وداعية الى الاسلام وكان محببا متالفا يبذل المال في طاعة الله ورسوله كما سياتي تفصيله قال يونس عن ابن اسحاق ثم ان ابا بكر الصديق لقي رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال احق ما تقول قريش يا محمد من تركك الهتنا وتسفيهك عقولنا وتكفيرك اباءنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بلى اني رسول الله ونبيه بعثني لابلغ رسالته وادعوك الى الله بالحق فوالله انه للحق ادعوك يا ابا بكر الى الله وحده لا شريك له ولا تعبد غيره والموالاة على طاعته وقرا عليه القران فلم يقر ولم ينكر فاسلم وكفر بالاصنام وخلع الانداد واقر بحق الاسلام ورجع ابو بكر وهو مومن مصدق قال ابن اسحاق حدثني محمد بن عبد الرحمن بن عبد الله بن الحصين التميمي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما دعوت احدا الى الاسلام الا كانت عنده كبوة وتردد ونظر الا ابا بكر ما عتم عنه حين ذكرته وما تردد فيه عكم اي تلبث وهذا الذي ذكره ابن اسحاق في قوله فلم يقر ولم ينكر فان ابن اسحاق وغيره ذكروا انه كان صاحب النبي صلى الله عليه وسلم قبل

قال مولفه لعله يفر

عكم خ

البعثة فكان يعلم من صدقه وامانته وحسن سجيته وكرم اخلاقه ما يمنعه من الكذب على الخلق
فكيف يكذب على الله ولهذا بمجرد ما ذكر له ان الله ارسله بادر الى تصديقه ولم يتلعثم ولا عتم
وقد ذكرنا كيفية اسلامه في كتابنا الذي افردناه في سيرته وذكرنا فضائله وشمائله واتبعنا
ذلك بسيرة الفاروق ايضا واوردنا ما رواه كل منهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
من الاحاديث وما روي عنه من الاثار والاحكام والفتاوى فبلغ ذلك ثلاث مجلدات ولله الحمد
والمنة وقد ثبت في صحيح البخاري عن ابي الدرداء في حديث ما كان بين ابي بكر وعمر رضي الله عنهما
من الخصومة وفيه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله بعثني اليكم فقلتم كذبت وقال
ابو بكر صدقت وواساني بنفسه وماله فهل انتم تاركوا لي صاحبي مرتين فما اوذي بعدها وهذا
كالنص على انه اول من اسلم رضي الله عنه وقد روى الترمذي وابن حبان من حديث شعبة عن
سعيد الجريري عن ابي نضرة عن ابي سعيد قال ابو بكر الصديق رضي الله عنه الست احق الناس
بها الست اول من اسلم الست صاحب كذا وروى ابن عساكر عن بهلول بن عبيد ثنا ابو اسحاق
السبيعي عن الحرث سمعت عليا يقول ان اول من اسلم من الرجال ابو بكر الصديق وان اول من صلى مع النبي
صلى الله عليه وسلم من الرجال علي بن ابي طالب وقال شعبة عن عمرو بن مرة عن ابي حمزة عن زيد بن
ارقم قال اول من صلى مع النبي صلى الله عليه وسلم ابو بكر الصديق وقد تقدم رواية ابن جرير
لهذا الحديث من طريق شعبة عن عمرو بن مرة عن ابي حمزة عن زيد بن ارقم قال اول من اسلم علي بن
ابي طالب قال عمرو بن مرة فذكرته لابراهيم النخعي فانكره وقال اول من اسلم ابو بكر الصديق رضي
الله عنه وروى الواقدي باسانيده عن ابي اروى الدوسي وابي سلمة بن عبد الرحمن وجماعة من
السلف اول من اسلم ابو بكر الصديق وقال يعقوب بن سفيان ثنا ابو بكر الحميدي ثنا سفيان
بن عيينة عن مالك بن مغول عن رجل قال سئل ابن عباس من اول من اسلم فقال ابو بكر الصديق
اما سمعت قول حسان

اذا تذكرت شجوا من اخي ثقة • فاذكر اخاك ابا بكر بما فعلا
خير البرية اوفاها واعدلها • بعد النبي واولاها بما حملا
والثاني التالي المحمود مشهده • واول الناس منهم صدق الرسلا
عاش حميدا لامر الله متبعا • بامر صاحبه الماضي وما انتقلا

وقد رواه ابو بكر بن ابي شيبة ثنا شيخ لنا عن مجالد عن عامر قال سالت او سئل ابن عباس اي
الناس اول اسلاما قال اما سمعت قول حسان بن ثابت فذكره وهكذا رواه الهيثم بن عدي
عن مجالد عن عامر الشعبي سالت ابن عباس فذكره وقال ابو القسم البغوي حدثني سريج
بن يونس ثنا يوسف بن الماجشون قال ادركت مشيختنا منهم محمد بن المنكدر وربيعة بن
ابي عبد الرحمن وصالح بن كيسان وعثمان بن محمد لا يشكون ان اول القوم اسلاما ابو بكر رضي الله
عنه قلت وهكذا قال ابراهيم النخعي ومحمد بن كعب ومحمد بن سيرين وسعد بن ابراهيم وهو المشهور
عن جمهور اهل السنة وروى ابن عساكر عن سعد بن ابي وقاص ومحمد بن الحنفية انهما قالا لم يكن
اولهم اسلاما ولكن كان افضلهم اسلاما قال سعد وقد اسلم قبله خمسة وثبت في صحيح البخاري
من حديث همام بن الحرث عن عمار بن ياسر قال رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم وما معه الا خمسة
اعبد وامراتان وابو بكر وروى الامام احمد وابن ماجه من حديث عاصم بن ابي النجود عن زر عن ابن
مسعود قال اول من اظهر الاسلام سبعة رسول الله صلى الله عليه وسلم وابو بكر وعمار وامه سمية

رواه احمد والترمذي والنسائي من حديث شعبة وقال الترمذي حسن صحيح

وصهيب وبلال والمقداد فاما رسول الله فمنعه الله بعمه وابو بكر منعه الله بقومه واما سائرهم
فاخذهم المشركون فالبسوهم ادراع الحديد وصهروهم في الشمس فما منهم من احد الا وقد اتاهم على ما ارادوا
الا بلالا فانه هانت عليه نفسه في الله وهان على قومه فاخذوه فاعطوه الولدان فجعلوا
يطوفون به في شعاب مكة وهو يقول احد احد وهكذا رواه الثوري عن منصور عن مجاهد مرسلا
فاما ما رواه ابن جرير قائلا حدثنا ابن حميد ثنا كنانة بن جبلة عن ابراهيم بن طهمان عن حجاج
عن قتادة عن سالم بن ابي الجعد عن محمد بن سعد بن ابي وقاص قال قلت لابي اكان ابو بكر اولكم اسلاما
قال لا ولقد اسلم قبله اكثر من خمسين ولكن كان افضلنا اسلاما فانه حديث منكر اسنادا ومتنا
قال ابن جرير وقال اخرون كان اول من اسلم زيد بن حارثة ثم روى من طريق الواقدي عن ابن
ابي ذئب سالت الزهري من اول من اسلم من النساء قال خديجة قلت فمن الرجال قال زيد
بن حارثة وكذا قال عروة وسليمان بن يسار وغير واحد اول من اسلم من الرجال زيد بن حارثة
وقد اجاب ابو حنيفة رح بالجمع بين هذه الاقوال بان اول من اسلم من الرجال الاحرار ابو بكر ومن
النساء خديجة ومن الموالي زيد بن حارثة ومن الغلمان علي بن ابي طالب رضي الله عنهم اجمعين
قال محمد بن اسحاق فلما اسلم ابو بكر واظهر اسلامه دعا الى الله عز وجل وكان ابو بكر رجلا مالفا
لقومه محببا سهلا وكان انسب قريش لقريش واعلم قريش بما كان فيها من خير وشر وكان رجلا
تاجرا ذا خلق ومعروف وكان رجال قومه ياتونه ويالفونه لغير واحد من الامر لعلمه وتجارته وحسن
مجالسته فجعل يدعو الى الاسلام من وثق به من قومه ممن يغشاه ويجلس اليه فاسلم على يديه
فيما بلغني الزبير بن العوام وعثمان بن عفان وطلحة بن عبيد الله وسعد بن ابي وقاص
وعبد الرحمن بن عوف رضي الله عنهم فانطلقوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعهم
ابو بكر فعرض عليهم الاسلام وقرا عليهم القران وانباهم بحق الاسلام فامنوا فكان هؤلاء النفر الثمانية
الذين سبقوا الى الاسلام فصدقوا رسول الله وامنوا بما جاء من عند الله وقال محمد بن عمر
الواقدي حدثني الضحاك بن عثمان عن مخرمة بن سليمان الوالبي عن ابراهيم بن محمد بن ابي
طلحة قال قال طلحة بن عبيد الله حضرت سوق بصرى فاذا راهب في صومعته يقول سلوا
اهل الموسم افيهم رجل من اهل الحرم قال طلحة قلت نعم انا فقال هل ظهر احمد بعد قلت ومن احمد
قال ابن عبد الله بن عبد المطلب هذا شهره الذي يخرج فيه وهو اخر الانبياء مخرجه من الحرم
ومهاجره الى نخل وحرة وسباخ فاياك ان تسبق اليه قال طلحة فوقع في قلبي ما قال فخرجت
سريعا حتى قدمت مكة فقلت هل كان من حدث قالوا نعم محمد بن عبد الله الامين تنبا وقد
اتبعه ابن ابي قحافة قال فخرجت حتى دخلت على ابي بكر فقلت اتبعت هذا الرجل قال نعم
فانطلق اليه فادخل عليه فاتبعه فانه يدعو الى الحق فاخبره طلحة بما قال الراهب فخرج ابو
بكر بطلحة فدخل به على رسول الله فاسلم طلحة واخبر رسول الله بما قال الراهب فسر بذلك
فلما اسلم ابو بكر وطلحة اخذهما نوفل بن خويلد بن العدوية وكان يدعى اسد قريش فشدهما في حبل
واحد ولم يمنعهما بنو تيم فلذلك سمي ابو بكر وطلحة القرينين وقال النبي صلى الله عليه وسلم
اللهم اكفنا شر ابن العدوية رواه البيهقي وقال الحافظ ابو الحسن خيثمة بن سليمان الاطرابلسي
ثنا عبيد الله بن محمد بن عبد العزيز العمري قاضي المصيصة ثنا ابو بكر عبد الله بن عبيد الله
ابن اسحاق بن محمد بن عمران بن موسى بن طلحة بن عبيد الله حدثني ابي عبيد الله حدثني
عبد الله بن عمران ابراهيم بن محمد بن طلحة حدثني ابي محمد بن عمران عن القسم بن محمد بن ابي بكر

عن عايشة رضي الله عنها قالت خرج ابو بكر يريد رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان له صديقا
في الجاهلية فلقيه فقال يا ابا القسم فقدت من مجالس قومك واتهموك بالعيب لآبائها
وامهاتها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اني رسول الله ادعوك الى الله فلما فرغ من كلامه
اسلم ابو بكر فانطلق عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم وما بين الاخشبين احد اكثر سرورا منه
باسلام ابي بكر ومضى ابو بكر فراح بعثمان بن عفان وطلحة بن عبيد الله والزبير بن العوام وسعد
ابن ابي وقاص فاسلموا ثم جاء الغد بعثمان بن مظعون وابي عبيدة بن الجراح وعبد الرحمن بن
عوف وابي سلمة بن عبد الاسد والارقم بن ابي الارقم فاسلموا رضي الله عنهم قال عبد الله بن محمد
حدثني ابي محمد بن عمران عن القسم بن محمد عن عايشة قالت لما اجتمع اصحاب النبي صلى الله عليه
وسلم فكانوا ثمانية وثلاثين رجلا الح ابو بكر على رسول الله في الظهور فقال يا ابا بكر انا قليل
فلم يزل ابو بكر يلح حتى ظهر رسول الله وتفرق المسلمون في نواحي المسجد كل رجل في عشيرته وقام
ابو بكر في الناس خطيبا ورسول الله جالس فكان اول خطيب دعا الى الله والى رسوله وثار المشركون
على ابي بكر وعلى المسلمين فضربوا في نواحي المسجد ضربا شديدا ووطئ ابو بكر وضرب ضربا شديدا
ودنا منه الفاسق عتبة بن ربيعة فجعل يضربه بنعلين مخصوفين ويحرفهما لوجهه ونزا على
بطن ابي بكر حتى ما يعرف وجهه من انفه وجاءت بنو تيم يتعادون فاجلت المشركين عن ابي بكر وحملت
بنو تيم ابا بكر في ثوب حتى ادخلوه منزله ولا يشكون في موته ثم رجعت بنو تيم فدخلوا المسجد
وقالوا والله لئن مات ابو بكر لنقتلن عتبة بن ربيعة فرجعوا الى ابي بكر فجعل ابو قحافة وبنو تيم
يكلمون ابا بكر حتى اجاب فتكلم اخر النهار فقال ما فعل رسول الله فمسوا منه بالسنتهم وعذلوه
ثم قاموا وقالوا لام الخير انظري ان تطعميه شيئا او تسقيه اياه فلما خلت به الحت عليه
وجعل يقول ما فعل رسول الله فقالت والله ما لي علم بصاحبك فقال اذهبي الى ام جميل بنت
الخطاب فاسأليها عنه فخرجت حتى جاءت ام جميل فقالت ان ابا بكر يسألك عن محمد بن
عبد الله فقالت ما اعرف ابا بكر ولا محمد بن عبد الله وان كنت تحبين ان اذهب معك الى
ابنك قالت نعم فمضت معها حتى وجدت ابا بكر صريعا دنفا فدنت ام جميل واعلنت
بالصياح وقالت والله ان قوما نالوا هذا منك لاهل فسق وكفر واني لارجو ان ينتقم
الله لك قال فما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت هذه امك تسمع قال فلا شيء
عليك منها قالت سالم صالح قال فاين هو قالت في دار ابن الارقم قال فان لله علي ان لا اذوق
طعاما او اشرب او آتي رسول الله صلى الله عليه وسلم فامهلتا حتى اذا هدات الرجل
وسكن الناس خرجتا به يتكئ عليهما حتى ادخلتاه على رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
فاكب عليه رسول الله فقبله واكب عليه المسلمون ورق له رسول الله صلى الله عليه وسلم
رقة شديدة فقال ابو بكر بابي وامي يا رسول الله ليس بي بأس الا ما نال الفاسق من وجهي
وهذه امي برة بولدها وانت مبارك فادعها الى الله وادع الله لها عسى الله ان يستنقذها
بك من النار قال فدعا لها رسول الله ثم دعاها الى الله فاسلمت واقاموا مع رسول الله في
الدار شهرا وهم تسعة وثلثون رجلا وقد كان حمزة بن عبد المطلب اسلم يوم ضرب ابو بكر ودعا
رسول الله لعمر بن الخطاب ولابي جهل بن هشام فاصبح عمر وكانت الدعوة يوم الاربعا فاسلم
عمر يوم الخميس فكبر رسول الله واهل البيت تكبيرة سمعت باعلى مكة وخرج ابو الارقم
وهو اعمى كافر وهو يقول اللهم اغفر لبني عبيد الارقم فانه كفر فقام عمر فقال يا رسول الله

علام نخفي ديننا ونحن على الحق ويظهر دينهم وهم على الباطل قال يا عمر انا قليل قد رايت
ما لقينا فقال عمر والذي بعثك بالحق لا يبقى مجلس جلست فيه بالكفر الا اظهرت فيه الايمان
ثم خرج فطاف بالبيت ثم مر بقريش وهي تنتظره فقال ابو جهل بن هشام بن عمرو فلان انك
صبوت فقال عمر اشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له وان محمدا عبده ورسوله فوثب
المشركون اليه ووثب على عتبة فبرك عليه فجعل يضربه وادخل اصبعه في عينيه فجعل عتبة
يصيح فتنحى الناس فقام عمر فجعل لا يدنو منه احد الا اخذ شريفا ممن دنا منه حتى اعجز الناس
واتبع المجالس التي كان يجالس فيها فيظهر الايمان ثم انصرف الى النبي صلى الله عليه وسلم
وهو ظاهر عليهم قال ما عليك بابي وامي والله ما بقي مجلس كنت اجلس فيه بالكفر الا اظهرت فيه الايمان
غير هايب ولا خايف فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم وخرج عمر امامه وحمزة بن عبد المطلب
حتى طاف بالبيت وصلى الظهر مؤمنا ثم انصرف الى دار الارقم ومعه عمر ثم انصرف عمر وحده
ثم انصرف النبي صلى الله عليه وسلم والصحيح انه انما اسلم عمر بعد خروج المهاجرين الى ارض
الحبشة وذلك في السنة السادسة من البعثة كما سياتي في موضعه ان شاء الله وقد تقصينا
كيفية اسلام ابي بكر وعمر رضي الله عنهما في كتاب سيرتهما على انفرادهما وبسطنا القول فيما هنالك
ولله الحمد وثبت في صحيح مسلم من حديث ابي امامة عن عمرو بن عبسة السلمي رضي الله عنه
قال اتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في اول ما بعث وهو بمكة وهو حينئذ مستخفي
فقلت ما انت قال انا نبي فقلت وما النبي قال رسول الله فقلت الله ارسلك قال
نعم فقلت بما ارسلك قال بان تعبد الله وحده لا شريك له وتكسر الاصنام وتصل الارحام
قال قلت نعم ما ارسلك به فمن تبعك على هذا قال حر وعبد يعني ابا بكر وبلالا قال فكان
عمرو يقول لقد رايتني وانا ربع الاسلام قال فاسلمت قلت فاتبعك يا رسول الله قال
لا ولكن الحق بقومك فاذا اخبرت اني قد خرجت فاتبعني ويقال ان معنى قوله عليه
السلام حر وعبد اسم جنس وتفسيره ذلك بابي بكر وبلال فقط فيه نظر فانه كان جماعة قد
اسلموا قبل عمرو بن عبسة وقد كان زيد بن حارثة اسلم قبل بلال ايضا فلعله اخبر انه
ربع الاسلام بحسب علمه فان المؤمنين كانوا اذ ذاك يستترون باسلامهم لا يطلع على
امرهم كثير احد من قراباتهم دع الاجانب دع اهل البادية من الاعراب والله اعلم وفي صحيح
البخاري من طريق ابي اسامة عن هاشم بن هاشم عن سعيد بن المسيب قال سمعت سعد
بن ابي وقاص يقول لما اسلم احد في اليوم الذي اسلمت فيه ولقد مكثت سبعة ايام واني
لثلث الاسلام اما قوله اما اسلم احد في اليوم الذي اسلمت فيه فسهل ويروى الا
في اليوم الذي اسلمت فيه وهو مشكل اذ يقتضي انه لم يسبقه احد بالاسلام وقد علم
ان الصديق وعليا وخديجة وزيد بن حارثة اسلموا قبله كما قد حكى الاجماع على تقدم
اسلام هؤلاء غير واحد منهم ابن الاثير ونص ابو حنيفة رح على ان كلا من هؤلاء اسلم قبل ابناء
جنسه والله اعلم واما قوله ولقد مكثت سبعة ايام واني لثلث الاسلام فمشكل وما
ادري على ما اذا ابو صنع عليه الا ان يكون اخبر بحسب ما علمه والله تعالى اعلم وقال
ابو داود الطيالسي ثنا حماد بن سلمة عن عاصم عن زر عن عبد الله هو ابن مسعود قال
كنت غلاما يافعا ارعى غنما لعقبة بن ابي معيط بمكة فاتى علي رسول الله صلى الله عليه
وسلم وابو بكر وقد فرا من المشركين فقال يا غلام عندك لبن تسقينا قلت اني مؤتمن

ولست بساقيكما فقال ائتني بعناق من جذعة لم ينز عليها الفحل بعد قلت نعم فاتيتهما بها
فاعتقلها ابو بكر واخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم الضرع فدعا فحفل الضرع واتاه ابو
بكر بصخرة منقعرة فحلب فيها ثم شرب هو وابو بكر ثم سقياني ثم قال للضرع اقلص
فقلص فلما كان بعد اتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت علمني من هذا القول
الطيب يعني القران فقال انك غلام معلم فاخذت من فيه سبعين سورة ما ينازعني
فيها احد وهكذا رواه الامام احمد عن عفان عن حماد بن سلمة به ورواه الحسن بن
عرفة عن ابي بكر بن عياش عن عاصم بن ابي النجود به وقال البيهقي انا ابو عبد الله
الحافظ انا ابو عبد الله بن بطة الاصبهاني انا الحسن بن الجهم انا الحسين بن الفرج
انا محمد بن عمر حدثني جعفر بن محمد بن خالد بن الزبير عن ابيه او عن محمد بن عبد الله بن عمرو بن
عثمان قال كان اسلام خالد بن سعيد بن العاص قديما وكان اول اخوته اسلم وكان بدو
اسلامه انه راى في النوم انه وقف به على شفير النار فذكر من سعتها ما الله اعلم به ويرى
في النوم كان اباه يدفعه فيها ويرى رسول الله صلى الله عليه وسلم آخذا بحقويه
لا يقع ففزع من نومه فقال احلف بالله ان هذه الرويا لحق فلقي ابا بكر بن ابي قحافة
فذكر ذلك له فقال له ابو بكر اريد بك خير هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم فاتبعه
فانك ستتبعه وتدخل معه في الاسلام والاسلام يحجزك ان تدخل فيها وابوك واقع فيها
فلقي رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو باجياد فقال يا محمد الى ما تدعو فقال ادعو
الى الله وحده لا شريك له وان محمدا عبده ورسوله وتخلع ما انت عليه من عبادة حجر
لا يسمع ولا يبصر ولا يضر ولا ينفع ولا يدري من عبده ممن لم يعبده قال خالد فاني
اشهد ان لا اله الا الله واشهد انك رسول الله فسر رسول الله باسلامه وتغيب خالد
وعلم ابوه باسلامه فارسل في طلبه فاتي به فانبه وضربه بمقرعة في يده حتى كسرها على راسه
وقال والله لا منعنك القوت فقال خالد ان منعتني فان الله يرزقني ما اعيش به
وانصرف الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فكان يلزمه ويكون معه

ذكر اسلام حمزة بن عبد المطلب

عم النبي صلى الله عليه وسلم قال يونس بن بكير عن محمد بن اسحاق حدثني رجل من اسلم
وكان واعية ان ابا جهل اعترض رسول الله صلى الله عليه وسلم عند الصفا فاذاه
وشتمه ونال منه ما يكره من العيب لدينه فذكر ذلك لحمزة بن عبد المطلب فاقبل
نحوه حتى اذا قام على راسه رفع القوس فضربه بها ضربة شجه منها شجة منكرة وقامت
رجال من قريش من بني مخزوم الى حمزة لينصروا ابا جهل منه وقالوا يا حمزة الا نراك
صبوت فقال حمزة وما يمنعني وقد استبان لي منه انا اشهد انه رسول الله وان الذي
تقول حق فوالله لا انزع فامنعوني ان كنتم صادقين فقال ابو جهل دعوا ابا عمارة فاني
والله لقد سببت ابن اخيه سبا قبيحا فلما اسلم حمزة عرفت قريش ان رسول الله قد
عز وامتنع فكفوا عما كانوا يتناولون منه وقال حمزة في ذلك شعرا قال ابن اسحاق
ثم رجع حمزة الى بيته فاتاه الشيطان فقال انت سيد قريش اتبعت هذا الصابي وتركت دين اباك
للموت خير لك مما صنعت فاقبل على حمزة بثه فقال ما صنعت اللهم ان كان رشدا فاجعل تصديقه
في قلبي والا فاجعل لي مما وقعت فيه مخرجا فبات بليلة لم يبت بمثلها من وسوسة الشيطان حتى

ما نراه

اصبح

فقال يا ابن اخي

اصبح فغدا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اني قد وقعت في امر لا اعرف المخرج منه واقامة
مثلي على ما لا ادري ما هو ارشد ام هو غي شديد فحدثني حديثا فقد اشتهيت يا ابن اخي ان تحدثني
فاقبل رسول الله فذكره ووعظه وخوفه وبشره فالقى الله في نفسه الايمان بما قال رسول الله
فقال اشهد انك الصادق شهادة الصدق فاظهر يا ابن اخي دينك فوالله ما احب ان لي
ما اظلته السماء واني على ديني الاول فكان حمزة ممن اعز الله به الدين هكذا رواه البيهقي عن
الحاكم عن الاصم عن احمد بن عبد الجبار عن يونس بن بكير به

ذكر اسلام ابي ذر رضي الله عنه

قال البيهقي انا ابو عبد الله الحافظ انا ابو عبد الله محمد بن يعقوب الحافظ انا الحسين بن
محمد بن زياد انا عبد الله بن الرومي انا النضر بن محمد انا عكرمة بن عمار عن ابي زميل سماك
بن الوليد عن مالك بن مرثد عن ابيه عن ابي ذر قال كنت ربع الاسلام اسلم قبلي ثلاثة نفر وانا
الرابع اتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت السلام عليك يا رسول الله اشهد ان لا اله
الا الله وان محمدا عبده ورسوله فرايت الاستبشار في وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم
هذا سياق مختصر وقال البخاري اسلام ابي ذر حدثنا عمرو بن عباس ثنا عبد الرحمن بن مهدي
عن المثنى عن ابي جمرة عن ابن عباس قال لما بلغ ابا ذر مبعث النبي صلى الله عليه وسلم قال لاخيه
اركب الى هذا الوادي فاعلم لي علم هذا الرجل الذي يزعم انه نبي ياتيه الخبر من السماء واسمع من
قوله ثم ائتني فانطلق الاخر حتى قدمه وسمع من قوله ثم رجع الى ابي ذر فقال له رايته يامر
بمكارم الاخلاق وكلاما ما هو بالشعر فقال ما شفيتني مما اردت فتزود وحمل شنة فيها
ماء حتى قدم مكة فاتى المسجد فالتمس النبي صلى الله عليه وسلم ولا يعرفه وكره ان يسال عنه
حتى ادركه بعض الليل اضطجع فراه علي فعرف انه غريب فلما راه تبعه فلم يسال واحد منهما
صاحبه عن شيء حتى اصبح ثم احتمل قربته وزاده الى المسجد وظل ذلك اليوم ولا يراه النبي صلى
الله عليه وسلم حتى امسى فعاد الى مضجعه فمر به علي فقال اما نال للرجل يعلم منزله فاقامه فذهب
به معه لا يسال واحد منهما صاحبه عن شيء حتى اذا كان يوم الثالث فعاد على مثل ذلك فاقام
معه فقال الا تحدثني ما الذي اقدمك قال ان اعطيتني عهدا وميثاقا لترشدني فعلت
ففعل فاخبره قال فانه حق وانه رسول الله فاذا اصبحت فاتبعني فاني ان رايت شيئا اخاف
عليك قمت كاني اريق الماء وان مضيت فاتبعني حتى تدخل مدخلي ففعل فانطلق يقفوه حتى
دخل على النبي صلى الله عليه وسلم ودخل معه فسمع من قوله واسلم مكانه فقال له النبي صلى
الله عليه وسلم ارجع الى قومك فاخبرهم حتى ياتيك امري قال والذي بعثك بالحق لاصرخن
بها بين ظهرانيهم فخرج حتى اتى المسجد فنادى باعلى صوته اشهد ان لا اله الا الله وان محمدا
رسول الله ثم قام فضربوه حتى اضجعوه فاتى العباس فاكب عليه فقال ويلكم الستم تعلمون
انه من غفار وان طريق تجاركم الى الشام فانقذه منهم ثم عاد من الغد لمثلها فضربوه
وثاروا اليه فاكب العباس عليه هذا لفظ البخاري وقد جاء اسلامه مبسوطا في صحيح مسلم
وغيره فقال الامام احمد حدثنا يزيد بن هارون ثنا سليمان بن المغيرة ثنا حميد بن هلال عن
عبد الله بن الصامت قال قال ابو ذر خرجنا من قومنا غفار وكانوا يحلون الشهر الحرام انا
واخي انيس وامنا فانطلقنا حتى نزلنا على خال لنا ذي مال وذي هيئة فاكرمنا خالنا واحسن
الينا فحسدنا قومه فقالوا انك اذا خرجت عن اهلك خلفك اليهم انيس فجاء خالنا

فغشينا ما قيل له فقلت له اما ما مضى من معروفك فقد كدرته ولا جماع لنا فيما بعد قال فقربنا
صرمتنا فاحتملنا عليها وتغطى خالنا ثوبه وجعل يبكي قال فانطلقنا حتى نزلنا بحضرة مكة
قال فنافر انيس رجلا عن صرمتنا وعن مثلها فاتيا الكاهن فخير انيسا فاتانا بصرمتنا ومثلها
وقد صليت يا ابن اخي قبل ان القى رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث سنين قال قلت لمن
قال لله قلت فاين توجه قال حيث وجهني الله قال واصلي عشاء حتى اذا كان من اخر الليل
القيت كاني خفاء حتى تعلوني الشمس قال فقال انيس ان لي حاجة بمكة فالقني حتى اتيك قال
فانطلق فراث علي ثم اتاني فقلت ما حبسك قال لقيت رجلا يزعم ان الله ارسله على دينك
قال فقلت فما يقول الناس له قال يقولون انه شاعر وساحر وكان انيس شاعرا قال فلقد
سمعت الكهان فما يقول بقولهم وقد وضعت قوله على اقراء الشعر فوالله ما يلتئم لسان احد
انه شعر ووالله انه لصادق وانهم لكاذبون قال فقلت له هل انت كافي حتى انطلق فانظر
قال نعم وكن من اهل مكة على حذر فانهم قد شنفوا له وتجهموا له قال فانطلقت حتى قدمت
مكة فتضعفت رجلا منهم فقلت اين هذا الرجل الذي تدعونه الصابي فاشار الي قال
الصابي فمال اهل الوادي علي بكل مدرة وعظم حتى خررت مغشيا علي فارتفعت حين ارتفعت
كاني نصب احمر فاتيت زمزم فشربت من مائها وغسلت عني الدم ودخلت بين الكعبة واستارها
فلبثت به يا ابن اخي ثلثين من بين يوم وليلة ما لي طعام الا ماء زمزم فسمنت حتى تكسرت
عكن بطني وما وجدت على كبدي سخفة جوع قال فبينا اهل مكة في ليلة قمراء اضحيان وضرب
الله على اسمخة اهل مكة فما يطوف بالبيت غير امراتين فاتتا علي وهما يدعوان اساف ونايلة
فقلت انكحوا احدهما الاخر فما ثناهما ذلك فقلت وهن مثل الخشبة غير اني لم اكن قال
فانطلقتا تولولان وتقولان لو كان ههنا احد من انفارنا قال فاستقبلهما رسول الله صلى
الله عليه وسلم وابو بكر وهما هابطان من الجبل فقال ما لكما فقالتا الصابي بين الكعبة
واستارها قال ما قال لكما قالتا انه قال لنا كلمة تملا الفم قال وجاء رسول الله هو وصاحبه
حتى استلم الحجر وطاف بالبيت ثم صلى قال فاتيته فكنت اول من حياه بتحية الاسلام فقال السلام م
عليك ورحمة الله من انت قال قلت من غفار قال فاهوى بيده فوضعها على جبهته قال
فقلت في نفسي كره ان انتميت الى غفار قال فاردت ان اخذ بيده فقدعني صاحبه وكان
اعلم به مني قال متى كنت ههنا قال قلت كنت ههنا منذ ثلثين من بين ليلة ويوم
قال فمن كان يطعمك قلت ما كان لي طعام الا ماء زمزم فسمنت حتى تكسرت عكن بطني وما وجدت
على كبدي سخفة جوع قال قال رسول الله انها مباركة انها طعام طعم قال فقال ابو بكر
ايذن لي يا رسول الله في طعامه الليلة قال ففعل قال فانطلق النبي صلى الله عليه وسلم
وانطلقت معهما حتى فتح ابو بكر بابا فجعل يقبض لنا من زبيب الطائف قال فكان ذلك
اول طعام اكلته بها فلبثت ما لبثت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اني قد وجهت
الى ارض ذات نخل ولا احسبها الا يثرب فهل انت مبلغ عني قومك لعل الله ينفعهم
بك ويأجرك فيهم قال فانطلقت حتى اتيت اخي انيسا قال فقال لي ما صنعت قال
قلت صنعت اني اسلمت وصدقت قال فما بي رغبة عن دينك فاني قد اسلمت وصدقت
ثم اتينا امنا فقالت ما بي رغبة عن دينكما فاني قد اسلمت وصدقت فتحملنا حتى اتينا
قومنا غفارا قال فاسلم بعضهم قبل ان يقدم رسول الله المدينة وكان يؤمهم خفاف بن ايما

بن رحضة الغفاري وكان سيدهم يومئذ وقال بقيتهم اذا قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم
اسلمنا قال فقدم رسول الله فاسلم بقيتهم قال وجاءت اسلم فقالوا يا رسول الله اخواننا
نسلم على الذي اسلموا عليه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم غفار غفر الله لها واسلم سالمها
الله ورواه مسلم عن هدبة بن خالد عن سليمان بن المغيرة به نحوه وقد روي قصة اسلامه
على وجه اخر وفيه زيادات غريبة والله اعلم وتقدم ذكر اسلام الفارسي في كتاب البشارات
بمبعثه عليه الصلاة والسلام **اسلام ضماد** روى مسلم والبيهقي من حديث داود
ابن ابي هند عن عمرو بن سعيد عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال قدم ضماد مكة وهو رجل من
ازد شنوءة وكان يرقي من هذه الرياح فسمع سفهاء من سفهاء الناس يقولون ان محمدا مجنون
فقال اين هذا الرجل لعل الله ان يشفيه على يدي فلقيت محمدا فقلت اني ارقي من هذه
الرياح وان الله يشفي على يدي من شاء فهلم فقال محمد ان الحمد لله نحمده ونستعينه من
يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له اشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له ثلاث
مرات فقال والله لقد سمعت قول الكهنة وقول السحرة وقول الشعراء فما سمعت مثل هؤلاء
الكلمات فهلم يدك ابايعك على الاسلام فبايعه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له
وعلى قومك قال وعلى قومي فبعث النبي صلى الله عليه وسلم جيشا فمروا بقوم ضماد فقال صاحب
الجيش للسرية هل اصبتم من هؤلاء القوم شيئا فقال رجل منهم اصبت منهم مطهرة فقال
ردوها عليهم فانهم قوم ضماد وفي رواية فقال له ضماد اعد علي كلماتك هؤلاء فلقد بلغن
قاموس البحر وقد ذكر ابو نعيم في دلايل النبوة اسلام من اسلم من الاعيان فصلا طويلا واستقصى
ذلك استقصاء حسنا رحمه الله واثابه وقد سرد ابن اسحاق اسماء من اسلم قديما من الصحابة
رضي الله عنهم قال ثم اسلم ابو عبيدة وابو سلمة والارقم بن الارقم وعثمان بن مظعون وعبيدة
بن الحرث وسعيد بن زيد وامراته فاطمة بنت الخطاب واسماء بنت ابي بكر وعايشة بنت ابي
بكر وهي صغيرة وقدامة بن مظعون وعبد الله بن مظعون وخباب بن الارت وعمير بن ابي
وقاص وعبد الله بن مسعود ومسعود بن القاري وسليط بن عمرو وعياش بن ابي ربيعة
وامراته اسماء بنت سلمة بن مخرمة التميمي وخنيس بن حذافة وعامر بن ربيعة وعبد الله بن
جحش وابو احمد بن جحش وجعفر بن ابي طالب وامراته اسماء بنت عميس وحاطب بن الحرث
وامراته فكيهة ابنة يسار ومعمر بن الحرث بن معمر الجمحي والسايب بن عثمان بن مظعون
والمطلب بن ازهر بن عبد مناف وامراته رملة بنت ابي عوف بن صبرة بن سعيد بن سهم والنحام
واسمه نعيم بن عبد الله بن اسيد وعامر بن فهيرة مولى ابي بكر وخالد بن سعيد وامينة ابنة خلف
ابن سعد بن عامر بن بياضة من خزاعة وحاطب بن عمرو بن عبد شمس وابو حذيفة بن عتبة بن
ربيعة وواقد بن عبد الله بن عويمر بن ثعلبة التميمي حليف بني عدي وخالد بن البكير وعامر بن
البكير وعاقل بن البكير واياس بن البكير بن عبد ياليل بن ياسف بن عيرة من بني سعد بن ليث
وكان اسم عاقل غافلا فسماه رسول الله عاقلا وهم حلفاء بني عدي بن كعب وعمار بن ياسر
وصهيب بن سنان ثم دخل الناس ارسالا من الرجال والنساء حتى فشا امر الاسلام بمكة وتحدث به
قال ابن اسحاق ثم امر الله رسوله صلى الله عليه وسلم بعد ثلاث سنين من البعثة بان يصدع
بما امره وان يصبر على اذى المشركين قال وكان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا صلوا ذهبوا
في الشعاب واستخفوا بصلاتهم من قومهم فبينا سعد بن ابي وقاص في نفر يصلون بشعاب

مكة اذ ظهر عليهم بعض المشركين فناكروهم وعابوا عليهم ما يصنعون حتى قاتلوهم فضرب سعد رجلا من المشركين بلحي جمل فشجه فكان اول دم اهريق في الاسلام وروى الاموي في مغازيه من طريق الوقاصي عن الزهري عن عامر بن سعد عن ابيه فذكر القصة بطولها وفيه ان المشجوج هو عبد الله بن خطل لعنه الله

باب امر الله رسوله صلى الله عليه وسلم بابلاغ الرسالة

الى الخاص والعام وامره له بالصبر والاحتمال والاعراض عن الجاهلين المعاندين المكذبين بعد قيام الحجة عليهم وارسال الرسول الاعظم اليهم وذكر ما لقي من الاذية منهم هو واصحابه رضي الله عنهم قال الله تعالى وانذر عشيرتك الاقربين واخفض جناحك لمن اتبعك من المومنين فان عصوك فقل اني بري مما تعملون وتوكل على العزيز الرحيم الذي يراك حين تقوم وتقلبك في الساجدين انه هو السميع العليم وقال تعالى وانه لذكر لك ولقومك وسوف تسالون وقال تعالى ان الذي فرض عليك القران لرادك الى معاد اي ان الذي فرض عليك واوجب عليك بتبليغ القران لرادك الى الدار الاخرة وهي المعاد فيسالك عن ذلك كما قال تعالى فلنسالن الذين ارسل اليهم ولنسالن المرسلين وقال تعالى فوربك لنسالنهم اجمعين عما كانوا يعملون والايات والاحاديث في هذا كثيرة جدا وقد تقصينا الكلام على ذلك في كتابنا التفسير وبسطنا من القول في ذلك عند قوله تعالى في سورة الشعرا وانذر عشيرتك الاقربين واوردنا احاديث جمة في ذلك فمن ذلك قال الامام احمد حدثنا عبد الله بن نمير عن الاعمش عن عمرو بن مرة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال لما انزل الله وانذر عشيرتك الاقربين اتى النبي صلى الله عليه وسلم الصفا فصعد عليه ثم نادى يا صباحاه فاجتمع الناس اليه بين رجل يجي اليه وبين رجل يبعث رسوله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا بني عبد المطلب يا بني فهر يا بني كعب ارايتم لو اخبرتكم ان خيلا بسفح هذا الجبل تريد ان تغير عليكم صدقتموني قالوا نعم قال فاني نذير لكم بين يدي عذاب شديد فقال ابو لهب تبا لك ساير اليوم اما دعوتنا الا لهذا وانزل الله عز وجل تبت يدا ابي لهب واخرجاه من حديث الاعمش به نحوه وقال احمد حدثنا معاوية بن عمرو ثنا زايدة ثنا عبد الملك بن عمير عن موسى بن طلحة عن ابي هريرة قال لما نزلت هذه الاية وانذر عشيرتك الاقربين دعا رسول الله قريشا فعم وخص فقال يا معشر قريش انقذوا انفسكم من النار يا معشر بني هاشم انقذوا انفسكم من النار يا معشر بني عبد المطلب انقذوا انفسكم من النار يا فاطمة بنت محمد انقذي نفسك من النار فاني والله لا املك لكم من الله شيا الا ان لكم رحما سابلها ببلالها ورواه مسلم من حديث عبد الملك بن عمير واخرجاه في الصحيحين من حديث الزهري عن سعيد بن المسيب وابي سلمة عن ابي هريرة وله طريق اخر عن ابي هريرة في مسند احمد وغيره وقال احمد ايضا ثنا وكيع ثنا هشام عن ابيه عن عايشة قالت لما نزلت وانذر عشيرتك الاقربين قام رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا فاطمة بنت محمد يا صفية ابنة عبد المطلب يا بني عبد المطلب لا املك لكم من الله شيا سلوني من مالي ما شيتم ورواه مسلم ايضا وقال الحافظ ابو بكر البيهقي في الدلايل اخبرنا محمد بن عبد الله الحافظ انا ابو العباس محمد بن يعقوب ثنا احمد بن عبد الجبار ثنا يونس بن بكير عن محمد بن اسحاق قال فحدثني من سمع عبد الله بن الحرث بن نوفل واستكتمني اسمه عن ابن عباس عن علي بن ابي طالب قال لما نزلت هذه الاية على رسول الله صلى الله عليه وسلم

يا معشر بني كعب انقذوا انفسكم من النار

وانذر

وانذر عشيرتك الاقربين واخفض جناحك لمن اتبعك من المومنين قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عرفت اني ان باديت بها قومي رايت منهم ما اكره فصمت فجاني جبريل فقال يا محمد انك ان لم تفعل ما امرك به ربك عذبك ربك قال علي فدعاني فقال يا علي ان الله قد امرني ان انذر عشيرتي الاقربين فاصنع لنا يا علي شاة على صاع من طعام واعد لنا عس لبن ثم اجمع لنا بني عبد المطلب ففعلت فاجتمعوا له وهم يوميذ اربعون رجلا يزيدون رجلا او ينقصون رجلا فيهم اعمامه ابو طالب وحمزة والعباس وابو لهب الكافر الخبيث فقدمت اليهم تلك الجفنة فاخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم منها حذية فشقها باسنانه ثم رمى بها في نواحيها وقال كلوا بسم الله فاكل القوم حتى نهلوا عنه ما نرى الا اثار اصابعهم والله ان كان الرجل لياكل مثلها ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اسقهم يا علي فجيت بذلك القعب فشربوا منه حتى نهلوا جميعا وايم الله ان كان الرجل ليشرب مثله فلما اراد رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يكلمهم بدره ابو لهب لعنه الله فقال لهدما سحركم صاحبكم فتفرقوا ولم يكلمهم رسول الله فلما كان من الغد قال رسول الله عد لنا بمثل الذي كنت صنعت لنا بالامس من الطعام والشراب فان هذا الرجل قد بدرني الى ما سمعت قبل ان اكلم القوم ففعلت ثم جمعتهم له فصنع رسول الله كما صنع بالامس فاكلوا حتى نهلوا عنه وايم الله ان كان الرجل لياكل مثلها ثم قال رسول الله اسقهم يا علي فجيت بذلك القعب فشربوا منه حتى نهلوا جميعا وايم الله ان كان الرجل منهم ليشرب مثله فلما اراد رسول الله ان يكلمهم بدره ابو لهب الى الكلام فقال لهدما سحركم صاحبكم فتفرقوا ولم يكلمهم رسول الله فلما كان الغد قال رسول الله يا علي عد لنا بمثل الذي كنت صنعت لنا بالامس من الطعام والشراب فان هذا الرجل قد بدرني الى ما سمعت قبل ان اكلم القوم ففعلت ثم جمعتهم له فصنع رسول الله كما فعل بالامس فاكلوا حتى نهلوا عنه ثم سقيتهم من ذلك القعب حتى نهلوا عنه وايم الله ان كان الرجل منهم لياكل مثلها ويشرب مثلها ثم قال رسول الله يا بني عبد المطلب اني والله ما اعلم شابا من العرب جا قومه بافضل ما جيتكم به اني قد جيتكم بامر الدنيا والاخرة هكذا رواه البيهقي من طريق يونس بن بكير عن ابن اسحاق عن شيخ ابهم اسمه عن عبد الله بن الحرث به وقد رواه ابو جعفر بن جرير عن محمد بن حميد الرازي عن سلمة بن الفضل الابرش عن محمد بن اسحاق عن عبد الغفار بن القسم عن المنهال بن عمرو عن عبد الله بن الحرث عن ابن عباس عن علي فذكر مثله وزاد بعد قوله واني قد جيتكم بخير الدنيا والاخرة وقد امرني الله ان ادعوكم اليه فايكم يوازرني على هذا الامر على ان يكون اخي وكذا وكذا قال فاحجم القوم عنها جميعا وقلت واني لاحدثهم سنا وارمضهم عينا واعظمهم بطنا واحمشهم ساقا انا يا نبي الله اكون وزيرك عليه فاخذ برقبتي فقال ان هذا اخي وكذا وكذا فاسمعوا له واطيعوا قال فقام القوم يضحكون ويقولون لابي طالب قد امرك ان تسمع لابنك وتطيع تفرد به عبد الغفار بن القسم ابو مريم وهو كذاب شيعي اتهمه علي بن المديني وغيره بوضع الحديث وضعفه الباقون ولكن روى ابن ابي حاتم في تفسيره عن ابيه عن الحسين بن عيسى بن ميسرة الحارثي عن عبد الله بن عبد القدوس عن الاعمش عن المنهال بن عمرو عن عبد الله بن الحرث قال قال علي لما نزلت هذه الاية وانذر عشيرتك الاقربين قال لي رسول الله اصنع لي رجل شاة بصاع من طعام واناء لبنا وادع لي بني هاشم فدعوتهم وانهم يوميذ لاربعون غير رجل او اربعون ورجل فذكر القصة كنحو ما تقدم الى ان قال وبدرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم

الكلام فقال أيكم يقضي عني ديني ويكون خليفتي في أهلي قال فسكتوا وسكت العباس خشية
أن يحيط ذلك بماله قال وسكت أنا لسن العباس ثم قالها مرة أخرى فسكت العباس
فلما رأيت ذلك قلت أنا يا رسول الله فقال أنت قال وإني يومئذ لأسوأهم هيئة وإني
لأعمش العينين ضخم البطن خمش الساقين وهذه الطريق فيها شاهد لما تقدم إلا أنه
لم يذكر ابن عباس فيها والله أعلم وقد روى الإمام أحمد في مسنده من حديث عباد بن عبد الله الأسدي
وربيعة بن ناجذ عن علي نحو ما تقدم أو كالشاهد له والله أعلم ومعنى قوله في هذا الحديث
من يقضي عني ديني ويكون خليفتي في أهلي يعني إذا مت وكأنه عليه السلام خشي إذا قام بإبلاغ
مشركي العرب رسالة الله أن يقتلوه فاستوثق من يقوم بعده بما يصلح أهله ويقضي
عنه وقد آمنه الله من ذلك في قوله تعالى يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل
فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس الآية والمقصود أن رسول الله صلى الله عليه وسلم
استمر يدعو إلى الله ليلاً ونهاراً وسراً وجهاراً لا يصرفه عن ذلك صارف ولا يرده عنه راد
ولا يصده عنه صاد يتبع الناس في أنديتهم ومجامعهم ومحافلهم وفي المواسم ومواقف الحج
يدعو من لقيه من حر وعبد وضعيف وقوي وغني وفقير جميع الخلق في ذلك عنده شرع
سوا وتسلط عليه وعلى من اتبعه من آحاد الناس من ضعفائهم الأشداء الأقوياء من مشركي
قريش بالأذية القولية والفعلية وكان من أشد الناس عليه عمه أبو لهب واسمه عبد
العزى بن عبد المطلب وامرأته أم جميل أروى بنت حرب بن أمية أخت أبي سفيان وخالفه
في ذلك عمه أبو طالب بن عبد المطلب فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم أحب خلق
الله إليه طبعاً فكان يحنو عليه ويحسن إليه ويدافع عنه ويحامي ويخالف قومه في ذلك
مع أنه على دينهم وعلى ملتهم إلا أن الله تعالى قد امتحن قلبه بحبه حباً طبعياً لا شرعياً فكان استمراره على
دين قومه من حكمة الله تعالى ومما صنعه لرسوله من الحماية إذ لو كان أسلم أبو طالب لما كان
له عند مشركي قريش وجاهة ولا كلمة ولا كانوا يهابونه ويحترمونه ولاجترؤوا عليه ولمدوا
أيديهم وألسنتهم بالسوء إليه وربك يخلق ما يشاء ويختار وقد قسم خلقه أنواعاً وأجناساً
فهذان العمان كافران أبو طالب وأبو لهب ولكن هذا يكون في القيامة في ضحضاح من نار وذاك
في الدرك الأسفل من النار وأنزل الله فيه سورة من كتابه تتلى على المنابر وتقرأ
في المواعظ والخطب تتضمن أنه سيصلى ناراً ذات لهب وامرأته حمالة الحطب قال
الإمام أحمد حدثنا إبراهيم بن أبي العباس ثنا عبد الرحمن بن أبي الزناد عن أبيه قال أخبرني
رجل يقال له ربيعة بن عباد من بني الديل وكان جاهلياً فأسلم قال رأيت رسول الله في
الجاهلية في سوق ذي المجاز وهو يقول يا أيها الناس قولوا لا إله إلا الله تفلحوا والناس
مجتمعون عليه ووراءه رجل وضيء الوجه أحول ذو غديرتين يقول إنه صابئ كاذب يتبعه
حيث ذهب فسألت عنه فقالوا هذا عمه أبو لهب ثم رواه هو والبيهقي من حديث عبد
الرحمن بن أبي الزناد بنحوه وقال البيهقي أيضاً حدثنا أبو طاهر الفقيه أنا أبو بكر محمد بن
الحسين القطان ثنا أبو الأزهر ثنا محمد بن عبد الله الأنصاري ثنا محمد بن عمرو عن محمد بن
المنكدر عن ربيعة الديلي قال رأيت رسول الله بذي المجاز يتبع الناس في منازلهم يدعوهم
إلى الله ووراءه رجل أحول تقد وجنتاه وهو يقول يا أيها الناس لا يغرنكم هذا عن دينكم ودين
آبائكم قلت من هذا قال هذا أبو لهب ثم رواه من طريق شعبة عن الأشعث بن سليم عن رجل من

كنانة

كنانة قال رأيت رسول الله بسوق ذي المجاز وهو يقول يا أيها الناس قولوا لا إله إلا الله
تفلحوا وإذا رجل خلفه يسفي عليه التراب فإذا هو أبو جهل وإذا هو يقول يا أيها الناس لا يغرنكم
هذا عن دينكم فإنما يريد أن تتركوا عبادة اللات والعزى كذا قال أبو جهل والظاهر أنه أبو
لهب وسنذكر بقيته في ترجمته عند ذكر وفاته إن شاء الله وأما أبو طالب فكان في غاية الشفقة
والحنو الطبيعي كما سيظهر من صنائعه وسجاياه واعتماده فيما يحامي به عن الرسول وأصحابه
قال يونس بن بكير عن طلحة بن يحيى عن عبيد الله عن موسى بن طلحة أخبرني عقيل بن أبي
طالب قال جاءت قريش إلى أبي طالب فقالوا إن ابن أخيك هذا قد آذانا في نادينا ومسجدنا
فانهه عنا فقال يا عقيل انطلق فأتني بمحمد فانطلقت إليه فاستخرجته من كنس أو قال
من حفش يقول بيت صغير فجاء به في الظهيرة في شدة الحر فلما أتاهم قال إن بني عمك هؤلاء زعموا
أنك تؤذيهم في ناديهم ومسجدهم فانته عن أذاهم فحلق رسول الله ببصره إلى السماء فقال
ترون هذه الشمس قالوا نعم قال فما أنا بأقدر على أن أدع ذلك منكم على أن تستشعلوا منه
بشعلة فقال أبو طالب والله ما كذب ابن أخي قط فارجعوا رواه البخاري في التاريخ عن
محمد بن العلاء عن يونس بن بكير ورواه البيهقي عن الحاكم عن الأصم عن أحمد بن عبد الجبار به
وهذا لفظه ثم روى البيهقي من طريق يونس عن ابن إسحاق حدثني يعقوب بن عتبة بن المغيرة
بن الأخنس أنه حدث أن قريشاً حين قالت لأبي طالب هذه المقالة بعث إلى رسول الله صلى
الله عليه وسلم فقال له يا ابن أخي إن قومك قد جاؤوني فقالوا لي كذا وكذا فأبق علي وعلى
نفسك ولا تحملني من الأمر ما لا أطيق أنا ولا أنت فاكفف عن قومك ما يكرهون من قولك
فظن رسول الله صلى الله عليه وسلم أن قد بدا لعمه فيه وأنه خاذله ومسلمه وضعف عن
القيام معه فقال رسول الله يا عم لو وضعت الشمس في يميني والقمر في يساري ما تركت
هذا الأمر حتى يظهره الله أو أهلك في طلبه ثم استعبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فبكى
فلما ولى قال له حين رأى ما بلغ الأمر برسول الله يا ابن أخي فأقبل عليه فقال امض على أمرك
وافعل ما أحببت فوالله لا أسلمك لشيء أبداً قال ابن إسحاق ثم قال أبو طالب في ذلك

والله لن يصلوا إليك بجمعهم • حتى أوسد في التراب دفينا
فامض لأمرك ما عليك غضاضة • أبشر وقر بذاك منك عيونا
ودعوتني وعلمت أنك ناصحي • ولقد صدقت وكنت قدماً أمينا
وعرضت ديناً قد عرفت بأنه • من خير أديان البرية دينا
لولا الملامة أو حذاري سبة • لوجدتني سمحاً بذاك مبينا

ثم قال البيهقي وذكر ابن إسحاق لأبي طالب في ذلك أشعاراً وفي كل ذلك دلالة على أن الله تعالى
عصمه بعمه مع خلافه إياه في دينه وقد كان يعصمه حيث لا يكون عمه بما شاء لا معقب لحكمه وقال
يونس بن بكير حدثني رجل من أهل مصر قديم منذ بضع وأربعين سنة عن عكرمة عن ابن عباس (عن محمد بن إسحق)
في قصة طويلة جرت بين مشركي مكة وبين رسول الله فلما قام عنهم رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال أبو جهل بن هشام يا معشر قريش إن محمداً قد أبى إلا ما ترون من عيب ديننا وشتم
آبائنا وتسفيه أحلامنا وسب آلهتنا وإني أعاهد الله لأجلسن له غداً بحجر فإذا سجد في صلاته
فضخت به رأسه فليصنع بعد ذلك بنو عبد مناف ما بدا لهم فلما أصبح أخذ أبو جهل حجراً
ثم جلس لرسول الله ينتظره وغدا رسول الله كما كان يغدو وكانت قبلته الشام فكان

اذا صلى صلى بين الركنين الاسود واليماني وجعل الكعبة بينه وبين الشام فقام رسول
الله يصلي وقد غدت قريش فجلسوا في انديتهم ينتظرون فلما سجد رسول الله صلى الله عليه
وسلم احتمل ابو جهل الحجر ثم اقبل نحوه حتى اذا دنا منه رجع منبهتا ممتقعا لونه مرعوبا قد
يبست يداه على حجره حتى قذف الحجر من يده وقامت اليه رجال من قريش فقالوا ما لك يا ابا
الحكم فقال قمت اليه لافعل ما قلت لكم البارحة فلما دنوت منه عرض لي دونه فحل من الابل
والله ما رايت مثل هامته ولا قصرته ولا انيابه لفحل قط فهم ان ياكلني قال ابن اسحاق
فذكر لي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ذلك جبريل لو دنا مني لاخذه وقال
البيهقي انا ابو عبد الله الحافظ اخبرني ابو النضر الفقيه ثنا عثمان الدارمي ثنا عبد الله
ابن صالح ثنا الليث بن سعد عن اسحاق بن عبد الله بن ابي فروة عن ابان بن صالح عن علي
بن علي بن عبد الله بن عباس عن ابيه عن عباس بن المطلب قال كنت يوما في المسجد فاقبل
ابو جهل فقال ان لله علي ان رايت محمدا ساجدا ان اطا على رقبته فخرجت على رسول الله حتى
دخلت عليه فاخبرته بقول ابي جهل فخرج غضبانا حتى جاء المسجد فعجل ان يدخل من الباب
فاقتحم الحائط فقلت هذا يوم شر فاتزرت ثم اتبعته فدخل رسول الله يقرا اقرا باسم
ربك الذي خلق خلق الانسان من علق فلما بلغ بشان ابي جهل كلا ان الانسان ليطغى ان راه
استغنى فقال انسان لابي جهل يا ابا الحكم هذا محمد فقال ابو جهل الا ترون ما ارى والله
لقد سد افق السماء علي فلما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم اخر السورة سجد وقال
الامام احمد حدثنا عبد الرزاق انا معمر عن عبد الكريم عن عكرمة قال قال ابن عباس قال
ابو جهل لئن رايت محمدا يصلي عند الكعبة لاطان على عنقه فبلغ ذلك رسول الله فقال لو فعل
لاخذته الملائكة عيانا ورواه البخاري عن يحيى عن عبد الرزاق به وقال داود بن ابي هند عن
عكرمة عن ابن عباس قال مر ابو جهل بالنبي صلى الله عليه وسلم وهو يصلي فقال الم انهك عن ان
تصلي يا محمد لقد علمت ما بها احد اكثر ناديا مني فانتهره النبي صلى الله عليه وسلم فقال
جبريل فليدع ناديه سندع الزبانية والله لو دعا ناديه لاخذته زبانية العذاب رواه احمد
والترمذي وصححه والنسائي من طريق داود به وقال الامام احمد ثنا اسماعيل بن يزيد ابو يزيد
ثنا فرات عن عبد الكريم عن عكرمة عن ابن عباس قال قال ابو جهل لئن رايت النبي صلى الله عليه وسلم
يصلي عند الكعبة لاتينه حتى اطا على عنقه قال فقال لو فعل لاخذته الملائكة عيانا وقال
ابو جعفر بن جرير ثنا ابن حميد ثنا يحيى بن واضح ثنا يونس بن ابي اسحاق عن الوليد بن العيزار
عن ابن عباس قال قال ابو جهل لئن عاد محمد يصلي عند المقام لاقتلنه فانزل الله اقرا باسم ربك
الذي خلق حتى بلغ هذه الاية لنسفعا بالناصية ناصية كاذبة خاطئة فليدع ناديه سندع الزبانية
فجاء النبي صلى الله عليه وسلم يصلي فقيل ما يمنعك قال قد اسود ما بيني وبينه من الكتائب
قال ابن عباس والله لو تحرك لاخذته الملائكة والناس ينظرون اليه وقال ابن جرير ثنا عبد
الاعلى ثنا المعتمر عن ابيه عن نعيم بن ابي هند عن ابي حازم عن ابي هريرة قال قال ابو جهل هل
يعفر محمد وجهه بين اظهركم قالوا نعم قال فقال واللات والعزى لئن رايته يصلي كذلك
لاطان على رقبته ولاعفرن وجهه في التراب فاتى رسول الله وهو يصلي ليطا على رقبته
قال فما فجاهم منه الا وهو ينكص على عقبيه ويتقي بيديه قال فقيل له ما لك فقال ان بيني
وبينه خندقا من نار وهولا واجنحة قال فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو دنا مني

لاختطفته

لاختطفته الملائكة عضوا عضوا قال وانزل الله لا ادري في حديث ابي هريرة ام لا كلا ان
الانسان ليطغى الى اخر السورة وقد رواه احمد ومسلم والنسائي وابن ابي حاتم والبيهقي من حديث
معتمر بن سليمان بن طرخان التيمي به وقال الامام احمد ثنا وهب بن جرير ثنا شعبة عن ابي اسحاق
عن عمرو بن ميمون عن عبد الله قال ما رايت رسول الله دعا على قريش غير يوم واحد فانه كان يصلي
ورهط من قريش جلوس وسلا جزور قريب منه فقالوا من ياخذ هذا السلا فيلقيه على ظهره فقال
عقبة بن ابي معيط انا فاخذه فالقاه على ظهره فلم يزل ساجدا حتى جاءت فاطمة فاخذته عن ظهره
فقال رسول الله اللهم عليك هذا الملا من قريش اللهم عليك بعتبة بن ربيعة اللهم عليك بشيبة
ابن ربيعة اللهم عليك بابي جهل بن هشام اللهم عليك بعقبة بن ابي معيط اللهم عليك بابي بن
خلف او امية بن خلف قال عبد الله فلقد رايتهم قتلوا يوم بدر جميعا ثم سحبوا الى القليب
غير ابي او امية فانه كان رجلا ضخما فتقطع وقد رواه البخاري في مواضع متعددة من صحيحه
ومسلم من طرق عن ابي اسحاق به والصواب امية بن خلف فانه الذي قتل يوم بدر واخوه ابي انما
قتل يوم احد كما سياتي بيانه والسلا هو الذي يخرج مع ولد الناقة كالمشيمة لولد المراة وفي
بعض الفاظ الصحيح انهم لما فعلوا ذلك استضحكوا حتى جعل بعضهم يميل على بعض اي يميل
هذا على هذا من شدة الضحك لعنهم الله وفيه ان فاطمة لما القته عنه اقبلت عليهم فسبتهم
وانه عليه السلام لما فرغ من صلاته رفع يديه يدعو عليهم فلما راوا ذلك سكن عنهم الضحك
وخافوا دعوته وانه عليه السلام دعا على الملا منهم جملة وعين في دعائه سبعة وقع في اكثر
الروايات تسمية ستة منهم وهم عتبة واخوه شيبة والوليد بن عتبة وابو جهل بن هشام
وعقبة بن ابي معيط وامية بن خلف قال ابن اسحاق ونسيت السابع قلت وهو عمارة بن الوليد
وقع تسميته في صحيح البخاري

قصة الاراشي

قال يونس بن بكير عن محمد بن اسحاق
ثنا عبد الملك بن ابي سفيان الثقفي قال قدم رجل من اراش بابل له مكة فابتاعها منه ابو جهل
بن هشام فمطله باثمانها فاقبل الاراشي حتى وقف على نادي قريش ورسول الله صلى الله عليه وسلم
جالس في ناحية المسجد فقال يا معشر قريش من رجل يعديني على ابي الحكم بن هشام فاني غريب
وابن سبيل وقد غلبني على حقي فقال اهل المجلس ترى ذلك الرجل وهم يهزؤون به الى رسول الله صلى
الله عليه وسلم لما يعلمون بينه وبين ابي جهل بن هشام من العداوة اذهب اليه فهو يؤديك
عليه فاقبل الاراشي حتى وقف على رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر ذلك له فقام معه
فلما راوه قام معه قالوا لرجل ممن معهم اتبعه فانظر ماذا يصنع فخرج رسول الله صلى الله عليه
وسلم حتى جاءه فضرب عليه بابه فقال من هذا قال محمد فاخرج فخرج اليه وما في وجهه رائحة
وقد انتقع لونه فقال اعط هذا الرجل حقه قال لا تبرح حتى اعطيه الذي له فدخل فخرج اليه
بحقه فدفعه اليه ثم انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال للاراشي الحق بشانك
فاقبل الاراشي حتى وقف على ذلك المجلس فقال جزاه الله خيرا فقد اخذ الذي لي وجاء الرجل الذي
بعثوا معه فقالوا ويحك ماذا رايت فقال عجبا من العجب والله ما هو الا ان ضرب عليه
بابه فخرج وما معه روحه فقال اعط هذا الرجل حقه فقال نعم لا تبرح حتى اخرج اليه حقه فدخل
فاخرج اليه حقه فاعطاه ثم لم يلبث ان جاء ابو جهل فقالوا له ويلك ما لك فوالله ما راينا
مثل ما صنعت فقال ويحكم والله ما هو الا ان ضرب علي بابي وسمعت صوته فملئت رعبا ثم
خرجت اليه وان فوق راسه لفحلا من الابل ما رايت مثل هامته ولا قصرته ولا انيابه لفحل

نظر فوالله لو ابيت لاكلني **فصل** قال البخاري ثنا عياش بن الوليد ثنا الوليد
بن مسلم حدثني الاوزاعي عن يحيى بن ابي كثير عن محمد بن ابراهيم التيمي حدثني عروة بن الزبير سألت
ابن العاص فقلت اخبرني باشد شيء صنعه المشركون برسول الله صلى الله عليه وسلم قال
بينا النبي صلى الله عليه وسلم يصلي في حجر الكعبة اذ اقبل عليه عقبة بن ابي معيط فوضع ثوبه في عنقه
فخنقه خنقا شديدا فاقبل ابو بكر حتى اخذ بمنكبه ودفعه عن النبي صلى الله عليه وسلم وقال
اتقتلون رجلا ان يقول ربي الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم الاية تابعه ابن اسحاق قال
اخبرني يحيى بن عروة عن ابيه قال قلت لعبد الله بن عمرو وقال عبدة عن هشام عن ابيه قال
قيل لعمرو بن العاص وقال محمد بن عمرو عن ابي سلمة حدثني عمرو بن العاص قال البيهقي وكذلك
رواه سليمان بن بلال عن هشام بن عروة كما رواه عبدة انفرد به البخاري وقد رواه في اماكن من صحيحه عن هشام م
وصرح في بعضها بعبد الله بن عمرو بن العاص وهو اشبه لرواية عروة عنه وكونه عن عمرو اشبه
لتقدم هذه القصة وقد روى البيهقي عن الحاكم عن الاصم عن احمد بن عبد الجبار عن يونس عن
محمد بن اسحاق حدثني يحيى بن عروة عن ابيه عروة قال قلت لعبد الله بن عمرو بن العاص
ما اكثر ما رايت قريشا اصابت من رسول الله فيما كانت تظهره من عداوته فقال لقد رايتهم
وقد اجتمع اشرافهم يوما في الحجر فذكروا رسول الله فقالوا ما راينا مثل ما صبرنا عليه من هذا
الرجل قط سفه احلامنا وشتم اباءنا وعاب ديننا وفرق جماعتنا وسب الهتنا وصبرنا
منه على امر عظيم او كما قال فبينما هم في ذلك طلع رسول الله صلى الله عليه وسلم فاقبل يمشي
حتى استلم الركن ثم مر بهم طائفا بالبيت فغمزوه ببعض القول فعرفت ذلك في وجه رسول الله
فمضى فلما مر بهم الثانية غمزوه بمثلها فعرفتها في وجهه فمضى فمر بهم الثالثة فغمزوه بمثلها
فوقف فقال اتسمعون يا معشر قريش اما والذي نفسي بيده لقد جئتكم بالذبح فاخذت القوم
كلمته حتى ما منهم من رجل الا وكانما على راسه طائر واقع حتى ان اشدهم فيه وصاة قبل ذلك ليرفؤه
حتى انه ليقول انصرف يا ابا القاسم راشدا فما كنت بجهول فانصرف رسول الله صلى الله عليه
وسلم حتى اذا كان الغد اجتمعوا في الحجر وانا معهم فقال بعضهم لبعض ذكرتم ما بلغ منكم وما بلغكم
عنه حتى اذا باداكم بما تكرهون تركتموه فبينما هم على ذلك طلع رسول الله صلى الله عليه وسلم
فوثبوا اليه وثبة رجل واحد فاحاطوا به يقولون انت الذي تقول كذا وكذا لما كان يبلغهم
من عيبه الهتهم ودينهم فيقول رسول الله نعم انا الذي اقول ذلك ولقد رايت رجلا منهم
اخذ بمجامع ردائه وقام ابو بكر يبكي دونه ويقول ويلكم اتقتلون رجلا ان يقول ربي الله ثم
انصرفوا عنه فان ذلك لاكبر ما رايت قريشا بلغت منه قط **فصل** في تأليب
الملأ من قريش على رسول الله صلى الله عليه وسلم واجتماعهم بعمه ابي طالب القائم في نصرته
وحرصهم عليه ان يسلمه اليهم فابى عليهم ذلك بحول الله وقوته وقال الامام احمد ثنا وكيع عن
حماد بن سلمة عن ثابت عن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد اوذيت في الله
وما يؤذى احد واخفت في الله وما يخاف احد ولقد اتت علي ثلاثون من بين يوم وليلة وما لي
ولبلال طعام ياكله ذو كبد الا ما يواري ابط بلال واخرجه الترمذي وابن ماجه من حديث
حماد بن سلمة به وقال الترمذي حسن صحيح وقال محمد بن اسحاق وحدب على رسول الله عمه
ابو طالب ومنعه وقام دونه ومضى رسول الله على امر الله مظهرا لامره لا يرده عنه شيء فلما رات
قريش ان رسول الله لا يعتبهم من شيء انكروه عليه من فراقهم وعيب الهتهم وراوا ان عمه ابا طالب

قد حدب عليه وقام دونه فلم يسلمه لهم مشى رجال من اشراف قريش الى ابي طالب عتبة وشيبة ابنا
ربيعة بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي وابو سفيان صخر بن حرب بن امية بن عبد شمس وابو
البختري واسمه العاص بن هشام بن الحارث بن اسد بن عبد العزى بن قصي والاسود بن المطلب
بن اسد بن عبد العزى وابو جهل واسمه عمرو بن هشام بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم والوليد
ابن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم بن يقظة بن مرة بن كعب بن لؤي ونبيه ومنبه ابنا الحجاج
بن عامر بن حذيفة بن سعد بن سهم بن عمرو بن هصيص بن كعب بن لؤي والعاص بن وائل
بن سعيد بن سهم قال ابن اسحاق او من مشى منهم فقالوا يا ابا طالب ان ابن اخيك قد سب
الهتنا وعاب ديننا وسفه احلامنا وضلل اباءنا فاما ان تكفه عنا واما ان تخلي بيننا
وبينه فانك على مثل ما نحن عليه من خلافه فنكفيكه فقال لهم ابو طالب قولا رفيقا وردهم
ردا جميلا فانصرفوا عنه ومضى رسول الله صلى الله عليه وسلم على ما هو عليه يظهر دين الله
ويدعو اليه ثم شري الامر بينه وبينهم حتى تباعد الرجال وتضاغنوا واكثرت قريش ذكر
رسول الله بينها فتذامروا فيه وحض بعضهم بعضا عليه ثم انهم مشوا الى ابي طالب مرة اخرى
فقالوا له يا ابا طالب ان لك سنا وشرفا ومنزلة فينا وانا قد استنهيناك من ابن اخيك
فلم تنهه عنا وانا والله لا نصبر على هذا من شتم ابائنا وتسفيه احلامنا وعيب الهتنا حتى تكفه
عنا او ننازله واياك في ذلك حتى يهلك احد الفريقين او كما قالوا ثم انصرفوا عنه فعظم
على ابي طالب فراق قومه وعداوتهم ولم يطب نفسا باسلام رسول الله لهم ولا خذلانه
قال ابن اسحاق وحدثني يعقوب بن عتبة بن المغيرة بن الاخنس انه حدث ان قريشا حين قالوا
لابي طالب هذه المقالة بعث الى رسول الله فقال له يا ابن اخي ان قومك قد جاؤوني فقالوا
لي كذا وكذا للذي قالوا له فابق علي وعلى نفسك ولا تحملني من الامر ما لا اطيق قال فظن
رسول الله انه قد بدا لعمه فيه بداء وانه خاذله ومسلمه وانه قد ضعف عن نصرته والقيام معه
قال فقال له رسول الله يا عم والله لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على ان
اترك هذا الامر حتى يظهره الله او اهلك فيه ما تركته قال ثم استعبر رسول الله فبكى ثم قام
فلما ولى ناداه ابو طالب فقال اقبل يا ابن اخي فاقبل عليه رسول الله فقال اذهب يا ابن
اخي فقل ما احببت فوالله لا اسلمك ابدا قال ابن اسحاق ثم ان قريشا حين عرفوا ان ابا طالب
قد ابى خذلان رسول الله واسلامه واجماعه لفراقهم في ذلك وعداوتهم مشوا اليه بعمارة بن
الوليد بن المغيرة فقالوا له فيما بلغني يا ابا طالب هذا عمارة بن الوليد انهد فتى في قريش
واجمله فخذه فلك عقله ونصره واتخذه ولدا فهو لك واسلم الينا ابن اخيك هذا الذي
قد خالف دينك ودين ابائك وفرق جماعة قومك وسفه احلامهم فنقتله فانما هو رجل
برجل قال والله لبئس ما تسومونني اتعطوني ابنكم اغذوه لكم واعطيكم ابني فتقتلونه
هذا والله ما لا يكون ابدا فقال المطعم بن عدي بن نوفل بن عبد مناف بن قصي والله يا ابا
طالب لقد انصفك قومك وجهدوا على التخلص مما تكرهه فما اراك تريد ان تقبل منهم
شيئا فقال ابو طالب للمطعم والله ما انصفوني ولكنك قد اجمعت خذلاني ومظاهرة
القوم علي فاصنع ما بدا لك او كما قال فحقب الامر وحميت الحرب وتنابذ القوم ونادى
بعضهم بعضا فقال ابو طالب عند ذلك يعرض بالمطعم بن عدي ويعم من خذله من
بني عبد مناف ومن عاداه من قبائل قريش ويذكر ما سالوه وما تباعد من امرهم

ألا قل لعمرو والوليد ومطعم ... ألا ليت حظي من حياطتكم بكر
من الخور حبحاب كثير رغاؤه ... يرش على الساقين من بوله قطر
تخلف خلف الورد ليس بلاحق ... إذا ما علا الفيفاء قيل له وبر
أرى أخوينا من أبينا وأمنا ... إذا سئلا قالا إلى غيرنا الأمر
بلى لهما أمر ولكن تجرجما ... كما جرجمت من رأس ذي علق الصخر
أخص خصوصا عبد شمس ونوفلا ... هما نبذانا مثل ما نبذ الجمر
هما أغمزا للقوم في أخويهما ... فقد أصبحا منهم أكفهما صفر
هما أشركا في المجد من لا أبا له ... من الناس إلا أن يرس له ذكر
وتيم ومخزوم وزهرة منهم ... وكانوا لنا مولى إذا بغي النصر
فوالله لا تنفك منا عداوة ... ولا منهم ما دام من نسلنا شفر

قال ابن هشام وتركنا منها بيتين أقذع فيهما

فصل في مبالغتهم في الأذية لآحاد المسلمين المستضعفين

قال ابن إسحاق ثم إن قريشا تذامروا بينهم على من في القبائل منهم من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الذين أسلموا معه فوثبت كل قبيلة على من فيهم من المسلمين يعذبونهم ويفتنونهم عن دينهم ومنع الله منهم رسوله صلى الله عليه وسلم بعمه أبي طالب وقد قام أبو طالب حين رأى قريشا يصنعون ما يصنعون في بني هاشم وبني عبد المطلب فدعاهم إلى ما هو عليه من منع رسول الله والقيام دونه فاجتمعوا إليه وقاموا معه وأجابوه إلى ما دعاهم إليه إلا ما كان من أبي لهب عدو الله فقال في ذلك يمدحهم ويحضهم على ما وافقوه عليه من الحدب والنصرة لرسول الله صلى الله عليه وسلم

إذا اجتمعت يوما قريش لمفخر ... فعبد مناف سرها وصميمها
فإن حصلت أشراف عبد منافها ... ففي هاشم أشرافها وقديمها
وإن فخرت يوما فإن محمدا ... هو المصطفى من سرها وكريمها
تداعت قريش غثها وسمينها ... علينا فلم تظفر وطاشت حلومها
وكنا قديما لا نقر ظلامة ... إذا ما ثنوا صعر الرقاب نقيمها
ونحمي حماها كل يوم كريهة ... ونضرب عن أحجارها من يرومها
بنا انتعش العود الذواء وإنما ... بأكنافنا تندى وتنمى أرومها

فصل فيما اعترض به المشركون على رسول الله صلى الله عليه وسلم وما تعنتوا عليه في سؤالهم إياه أنواعا من الآيات وخرق العادات على وجه العناد لا على وجه طلب الهدى والرشاد فلهذا لم يجابوا إلى كثير مما طلبوا ولا ما إليه رغبوا لعلم الحق سبحانه أنهم لو عاينوا وشاهدوا ما أرادوا لاستمروا في طغيانهم يعمهون ولظلوا في غيهم وضلالهم يترددون قال الله تعالى وأقسموا بالله جهد أيمانهم لئن جاءتهم آية ليؤمنن بها قل إنما الآيات عند الله وما يشعركم أنها إذا جاءت لا يؤمنون ونقلب أفئدتهم وأبصارهم كما لم يؤمنوا به أول مرة ونذرهم في طغيانهم يعمهون ولو أننا نزلنا إليهم الملائكة وكلمهم الموتى وحشرنا عليهم كل شيء قبلا ما كانوا ليؤمنوا إلا أن يشاء الله ولكن أكثرهم يجهلون وقال تعالى إن الذين حقت عليهم كلمت ربك لا يؤمنون ولو جاءتهم كل آية حتى يروا العذاب الأليم وقال تعالى وما منعنا أن نرسل بالآيات إلا أن كذب

بها الأولون وآتينا ثمود الناقة مبصرة فظلموا بها وما نرسل بالآيات إلا تخويفا وقال تعالى وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعا أو تكون لك جنة من نخيل وعنب فتفجر الأنهار خلالها تفجيرا أو تسقط السماء كما زعمت علينا كسفا أو تأتي بالله والملائكة قبيلا أو يكون لك بيت من زخرف أو ترقى في السماء ولن نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه قل سبحان ربي هل كنت إلا بشرا رسولا وقد تكلمنا على هذه الآيات وما يشابهها في أماكنها من التفسير ولله الحمد وقد روى يونس وزياد عن ابن إسحاق عن بعض أهل العلم وهو شيخ من أهل مصر يقال له محمد بن أبي محمد عن سعيد بن جبير وعكرمة عن ابن عباس قال اجتمع جماعة من أشراف قريش وعدد أسماءهم بعد غروب الشمس عند ظهر الكعبة فقال بعضهم لبعض ابعثوا إلى محمد فكلموه وخاصموه حتى تعذروا فيه فبعثوا إليه إن أشراف قومك قد اجتمعوا لك ليكلموك فجاءهم رسول الله صلى الله عليه وسلم سريعا وهو يظن أنه قد بدا لهم في أمره بداء وكان حريصا يحب رشدهم ويعز عليه عنتهم حتى جلس إليهم فقالوا يا محمد إنا قد بعثنا إليك لنعذر فيك وإنا والله لا نعلم رجلا من العرب أدخل على قومه ما أدخلت على قومك لقد شتمت الآباء وعبت الدين وسفهت الأحلام وشتمت الآلهة وفرقت الجماعة وما بقي من قبيح إلا وقد جئته فيما بيننا وبينك فإن كنت إنما جئت بهذا الحديث تطلب مالا جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالا وإن كنت إنما تطلب الشرف فينا سودناك علينا وإن كنت تريد ملكا ملكناك علينا وإن كان هذا الذي يأتيك بما يأتيك رئيا تراه قد غلب عليك وكانوا يسمون التابع من الجن الرئي فربما كان ذلك بذلنا لك أموالنا في طلب الطب حتى نبرئك منه أو نعذر فيك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما بي ما تقولون ما جئتكم بما جئتكم به أطلب أموالكم ولا الشرف فيكم ولا الملك عليكم ولكن الله بعثني إليكم رسولا وأنزل علي كتابا وأمرني أن أكون لكم بشيرا ونذيرا فبلغتكم رسالات ربي ونصحت لكم فإن تقبلوا مني ما جئتكم به فهو حظكم من الدنيا والآخرة وإن تردوه علي أصبر لأمر الله حتى يحكم الله بيني وبينكم أو كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يا محمد فإن كنت غير قابل منا ما عرضنا عليك فقد علمت أنه ليس أحد من الناس أضيق بلادا ولا أقل مالا ولا أشد عيشا منا فسل لنا ربك الذي بعثك بما بعثك به فليسير عنا هذه الجبال التي قد ضيقت علينا وليبسط لنا بلادنا وليجر فيها أنهارا كأنهار الشام والعراق وليبعث لنا من مضى من آبائنا وليكن فيمن يبعث لنا منهم قصي بن كلاب فإنه كان شيخا صدوقا فنسألهم عما تقول أحق هو أم باطل فإن فعلت ما سألناك وصدقوك صدقناك وعرفنا به منزلتك عند الله وأنه بعثك رسولا كما تقول فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ما بهذا بعثت إنما جئتكم من عند الله بما بعثني به فقد بلغتكم ما أرسلت به إليكم فإن تقبلوه فهو حظكم في الدنيا والآخرة وإن تردوه علي أصبر لأمر الله حتى يحكم الله بيني وبينكم قالوا فإن لم تفعل لنا هذا فخذ لنفسك فسل ربك أن يبعث لنا ملكا يصدقك بما تقول ويراجعنا عنك وسله فليجعل لك جنانا وكنوزا وقصورا من ذهب وفضة ويغنيك عما نراك تبتغي فإنك تقوم في الأسواق وتلتمس المعاش كما نلتمسه حتى نعرف فضل منزلتك من ربك إن كنت رسولا كما تزعم فقال لهم ما أنا بفاعل ما أنا بالذي يسأل ربه هذا وما بعثت إليكم بهذا ولكن الله بعثني بشيرا ونذيرا فإن تقبلوا ما جئتكم به فهو حظكم في الدنيا والآخرة وإن تردوه علي أصبر لأمر الله حتى يحكم الله بيني وبينكم قالوا فأسقط السماء كما زعمت أن ربك إن شاء فعل

فانا لن نؤمن لك الا ان تفعل فقال ذلك الى الله ان شاء فعل بكم ذلك فقالوا يا محمد اما علم ربك انا سنجلس معك ونسالك عما سالناك عنه ونطلب منك ما نطلب فيتقدم اليك ويعلمك ما تراجعنا به ويخبرك ما هو صانع في ذلك بنا اذا لم نقبل ذلك منك ما جئتنا به فقد بلغنا انه انما يعلمك هذا رجل باليمامة يقال له الرحمن وانا والله لا نؤمن بالرحمن ابدا فقد اعذرنا اليك يا محمد اما والله لا نتركك وما فعلت بنا حتى نهلكك او تهلكنا وقال قائلهم نحن نعبد الملائكة وهي بنات الله وقال قائلهم لن نؤمن لك حتى تاتينا بالله والملائكة قبيلا فلما قالوا ذلك قام رسول الله صلى الله عليه وسلم عنهم وقام معه عبد الله بن ابي امية بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم وهو ابن عمته عاتكة بنت عبد المطلب فقال يا محمد عرض عليك قومك ما عرضوا فلم تقبله منهم ثم سالوك لانفسهم امورا ليعرفوا بها منزلتك من الله فلم تفعل ذلك ثم سالوك ان تعجل ما تخوفهم به من العذاب فوالله لا اومن لك ابدا حتى تتخذ الى السماء سلما ثم ترقى فيه وانا انظر حتى تاتيها وياتي معك بنسخة منشورة ويأتي معك اربعة من الملائكة يشهدون لك انك كما تقول وايم الله لو فعلت ذلك لظننت اني لا اصدقك ثم انصرف عن رسول الله وانصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم الى اهله حزينا اسفا لما فاته مما طمع فيه من قومه حين دعوه ولما راى من مباعدتهم اياه وهذا المجلس الذي اجتمع عليه هؤلاء الملأ مجلس ظلم وعدوان وعناد ولهذا اقتضت الحكمة الالهية والرحمة الربانية ان لا يجابوا الى ما سالوا لان الله علم انهم لا يؤمنون بذلك فيعاجلهم بالعذاب كما قال الامام احمد ثنا عثمان بن محمد ثنا جرير عن الاعمش عن جعفر بن اياس عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال سال اهل مكة رسول الله ان يجعل لهم الصفا ذهبا وان ينحي عنهم الجبال فيزدرعوا فقيل له ان شئت ان نستاني بهم وان شئت ان نؤتيهم الذي سالوا فان كفروا اهلكوا كما اهلكت من قبلهم من الامم قال بل استاني بهم وانزل الله وما منعنا ان نرسل بالايات الا ان كذب بها الاولون وآتينا ثمود الناقة مبصرة فظلموا بها الاية وهكذا رواه النسائي من حديث جرير به وقال احمد ثنا عبد الرحمن ثنا سفيان عن سلمة بن كهيل عن عمران بن حكيم عن ابن عباس قال قالت قريش للنبي صلى الله عليه وسلم ادع لنا ربك يجعل لنا الصفا ذهبا ونؤمن بك قال وتفعلوا قالوا نعم قال فدعا فاتاه جبريل فقال ان ربك يقرا عليك السلام ويقول لك ان شئت اصبح الصفا لهم ذهبا فمن كفر منهم بعد ذلك اعذبه عذابا لا اعذبه احدا من العالمين وان شئت فتحت لهم باب التوبة والرحمة قال بل باب التوبة والرحمة وهذان اسنادان جيدان وقد جاء مرسلا عن جماعة من التابعين منهم سعيد بن جبير وقتادة وابن جريج وغير واحد وروى الامام احمد والترمذي من حديث عبد الله بن المبارك ثنا يحيى بن ايوب عن عبيد الله ابن زحر عن علي بن يزيد عن القسم عن ابي امامة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال عرض علي ربي عز وجل ان يجعل لي بطحاء مكة ذهبا فقلت لا يا رب اشبع يوما واجوع يوما او نحو ذلك فاذا جعت تضرعت اليك وذكرتك واذا شبعت حمدتك وشكرتك لفظ احمد وقال الترمذي هذا حديث حسن وعلي بن يزيد يضعف في الحديث وقال محمد بن اسحاق حدثني شيخ من اهل مصر قدم علينا منذ بضع واربعين سنة عن عكرمة عن

ابن عباس قال بعثت قريش النضر بن الحرث وعقبة بن ابي معيط الى احبار يهود بالمدينة فقالوا لهم سلوهم عن محمد وصفوا لهم صفته واخبروهم بقوله فانهم اهل الكتاب الاول وعندهم علم ما ليس عندنا من علم الانبياء فخرجا حتى قدما المدينة فسالا احبار يهود عن رسول الله ووصفوا لهم امره وبعض قوله وقالا انكم اهل التورية وقد جئناكم لتخبرونا عن صاحبنا هذا قال فقالت لهم احبار يهود سلوه عن ثلاث نامركم بهن فان اخبركم بهن فهو نبي مرسل وان لم يفعل فالرجل متقول فروا فيه رايكم سلوه عن فتية ذهبوا في الدهر الاول ما كان من امرهم فانه قد كان لهم حديث عجيب وسلوه عن رجل طواف بلغ مشارق الارض ومغاربها ما كان نباؤه وسلوه عن الروح ما هو فان اخبركم بذلك فانه نبي فاتبعوه وان لم يخبركم فهو رجل متقول فاصنعوا في امره ما بدا لكم فاقبل النضر وعقبة حتى قدما على قريش فقالا يا معشر قريش قد جئناكم بفصل ما بينكم وبين محمد قد امرنا احبار يهود ان نسأله عن امور فاخبروهم بها فجاءوا رسول الله فقالوا يا محمد اخبرنا فسالوه عما امروهم به فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم اخبركم غدا عما سالتم عنه ولم يستثن فانصرفوا عنه ومكث رسول الله صلى الله عليه وسلم خمس عشرة ليلة لا يحدث الله في ذلك وحيا ولا ياتيه جبريل حتى ارجف اهل مكة وقالوا وعدنا محمد غدا واليوم خمس عشرة قد اصبحنا فيها لا يخبرنا بشيء مما سالناه عنه وحتى احزن رسول الله مكث الوحي عنه وشق عليه ما يتكلم به اهل مكة ثم جاءه جبريل من الله بسورة اصحاب الكهف فيها معاتبته اياه على حزنه عليهم وخبر ما سالوه عنه من امر الفتية والرجل الطواف وقول الله عز وجل ويسالونك عن الروح قل الروح من امر ربي وما اوتيتم من العلم الا قليلا وقد تكلمنا على ذلك كله في التفسير مطولا فمن اراده فعليه بكشفه من هناك ونزل قوله تعالى ام حسبت ان اصحاب الكهف والرقيم كانوا من اياتنا عجبا ثم شرع في تفصيل امرهم واعترض في الوسط بتعليمه الاستثناء تحقيقا لا تعليقا في قوله ولا تقولن لشيء اني فاعل ذلك غدا الا ان يشاء الله واذكر ربك اذا نسيت ثم ذكر قصة موسى لتعلقها بقصة الخضر ثم ذي القرنين ثم قال ويسالونك عن ذي القرنين قل سأتلو عليكم منه ذكرا ثم شرح امره وحكى خبره وقال في سورة سبحان ويسالونك عن الروح قل الروح من امر ربي اي خلق عجيب من خلقه وامر من امره قال لها كوني فكانت وليس لكم الاطلاع على كل ما خلقه وتصوير حقيقته في نفس الامر يصعب عليكم بالنسبة الى قدرة الله وحكمته ولهذا قال وما اوتيتم من العلم الا قليلا وقد ثبت في الصحيحين ان اليهود سالوا عن ذلك رسول الله بالمدينة فتلا عليهم هذه الاية فاما انها نزلت مرة ثانية او ذكرها جوابا وان كان نزولها متقدما ومن قال انها انما نزلت بالمدينة واستثناها من سورة سبحان ففي قوله نظر والله اعلم قال ابن اسحاق ولما خشي ابو طالب دهماء العرب ان يركبوه مع قومه قال قصيدته التي تعوذ فيها بحرم مكة وبمكانه منها وتودد فيها اشراف قومه وهو على ذلك يخبرهم وغيرهم في شعره انه غير مسلم رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا تاركه لشيء ابدا حتى يهلك دونه فقال

ولما رايت القوم لا ود فيهم ... وقد قطعوا كل العرى والوسائل

وقد صارحونا بالعداوة والاذى ... وقد طاوعوا امر العدو المزايل

وقد حالفوا قوما علينا أظنة * يعضون غيظا خلفنا بالأنامل
صبرت لهم نفسي بسمراء سمحة * وأبيض عضب من تراث المقاول
وأحضرت عند البيت رهطي وإخوتي * وأمسكت من أثوابه بالوصائل
قياما معا مستقبلين رتاجه * لدى حيث يقضي حلفه كل نافل
وحيث ينيخ الأشعرون ركابهم * بمفضى السيول من إساف ونائل
موسمة الأعضاد أو قصراتها * مخيسة بين السديس وبازل
ترى الودع فيها والرخام وزينة * بأعناقها معقودة كالعثاكل
أعوذ برب البيت من كل طاعن * علينا بسوء أو ملح بباطل
ومن كاشح يسعى لنا بمعيبة * ومن ملحق في الدين ما لم نحاول
وثور ومن أرسى ثبيرا مكانه * وراق ليرقى في حراء ونازل
وبالبيت حق البيت من بطن مكة * وبالله إن الله ليس بغافل
وبالحجر المسود إذ يمسحونه * إذا اكتنفوه بالضحى والأصائل
وموطئ إبراهيم في الصخر رطبة * على قدميه حافيا غير ناعل
وأشواط بين المروتين إلى الصفا * وما فيهما من صورة وتماثل
ومن حج بيت الله من كل راكب * ومن كل ذي نذر ومن كل راجل
وبالمشعر الأقصى إذا عمدوا له * إلالا إلى مفضى الشراج القوابل
وتوقافهم فوق الجبال عشية * يقيمون بالأيدي صدور الرواحل
وليلة جمع والمنازل من منى * وهل فوقها من حرمة ومنازل
وجمع إذا ما المقربات أجزنه * سراعا كما يخرجن من وقع وابل
وبالجمرة الكبرى إذا صمدوا لها * يؤمون قذفا رأسها بالجنادل
وكندة إذ هم بالحصاب عشية * تجيز بهم حجاج بكر بن وائل
حليفان شدا عقد ما احتلفا له * وردا عليه عاطفات الوسائل
وحطمهم سمر الصفاح وسرحه * وشبرقه وخد النعام الجوافل
فهل بعد هذا من معاذ لعائذ * وهل من معيذ يتقي الله عادل
يطاع بنا العدا وودوا لو اننا * تسد بنا أبواب ترك وكابل
كذبتم وبيت الله نترك مكة * ونظعن إلا أمركم في بلابل
كذبتم وبيت الله نبزى محمدا * ولما نطاعن دونه ونناضل
ونسلمه حتى نصرع حوله * ونذهل عن أبنائنا والحلائل
وينهض قوم في الحديد إليكم * نهوض الروايا تحت ذات الصلاصل
وحتى نرى ذا الضغن يركب ردعه * من الطعن فعل الأنكب المتحامل
وإنا لعمر الله إن جد ما أرى * لتلتبسن أسيافنا بالأماثل
بكفي فتى مثل الشهاب سميدع * أخي ثقة حامي الحقيقة باسل
شهورا وأياما علينا محرما * علينا وتأتي حجة بعد قابل — وحولا محرما
وما ترك قوم لا أبا لك سيدا * يحوط الذمار غير ذرب مواكل
وأبيض يستسقى الغمام بوجهه * ثمال اليتامى عصمة للأرامل

رحمه

يلوذ به الهلاك من آل هاشم * فهم عنده في نعمة وفواضل
لعمري لقد أجرى أسيد وبكره * إلى بغضنا وجزآنا لآكل
وعثمان لم يربع علينا وقنفذ * ولكن أطاعا أمر تلك القبائل
أطاعا أبيا وابن عبد يغوثهم * ولم يرقبا فينا مقالة قائل
كما قد لقينا من سبيع ونوفل * وكل تولى معرضا لم يجامل
فإن يلقيا أو يمكن الله منهما * نكل لهما صاعا بصاع المكايل
وذاك أبو عمرو أبى غير بغضنا * ليظعننا في أهل شاء وجامل
يناجي بنا في كل ممسى ومصبح * فناج أبا عمرو بنا ثم خاتل
ويولي لنا بالله ما إن يغشنا * بلى قد نراه جهرة غير حائل
أضاق عليه بغضنا كل تلعة * من الأرض بين أخشب فمجادل
وسائل أبا الوليد ماذا حبوتنا * بسعيك فينا معرضا كالمخاتل
وكنت امرأ ممن يعاش برأيه * ورحمته فينا ولست بجاهل
فعتبة لا تسمع بنا قول كاشح * حسود كذوب مبغض ذي دغاول
ومر أبو سفيان عني معرضا * كما مر قيل من عظام المقاول
يفر إلى نجد وبرد مياهه * ويزعم أني لست عنكم بغافل
ويخبرنا فعل المناصح أنه * شفيق ويخفي عارمات الدواخل
أمطعم لم أخذلك في يوم نجدة * ولا معظم عند الأمور الجلائل
ولا يوم خصم إذ أتوك ألدة * أولي جدل من الخصوم المساجل
أمطعم إن القوم ساموك خطة * وإني متى أوكل فلست بوائل
جزى الله عنا عبد شمس ونوفلا * عقوبة شر عاجلا غير آجل
بميزان قسط لا يخيس شعيرة * له شاهد من نفسه غير عائل
لقد سفهت أحلام قوم تبدلوا * بني خلف قيضا بنا والغياطل
ونحن الصميم من ذؤابة هاشم * وآل قصي في الخطوب الأوائل
وسهم ومخزوم تمالوا وألبوا * علينا العدى من كل طمل وخامل
فعبد مناف أنتم خير قومكم * فلا تشركوا في أمركم كل واغل
لعمري لقد وهنتم وعجزتم * وجئتم بأمر مخطئ للمفاصل
وكنتم حديثا حطب قدر فأنتم * الآن حطاب أقدر ومراجل
ليهن بني عبد المناف عقوقنا * وخذلاننا وتركنا في المعاقل
فإن نك قوما نتئر ما صنعتم * وتحتلبوها لقحة غير باهل
فأبلغ قصيا أن سينشر أمرنا * وبشر قصيا بعدنا بالتخاذل
ولو طرقت ليلا قصيا عظيمة * إذا ما لجأنا دونهم في المداخل
ولو صدقوا ضربا خلال بيوتهم * لكنا أسى عند النساء المطافل
فكل صديق وابن أخت نعده * لعمري وجدنا غبه غير طائل
سوى أن رهطا من كلاب بن مرة * براء إلينا من معقة خاذل
ونعم ابن أخت القوم غير مكذب * زهير حساما مفردا من حمائل

أشم من الشم البهاليل ينتمي ... الى حسب في حومة المجد فاضل
لعمري لقد كلفت وجدا باحمد ... واخوته دأب المحب المواصل
فمن مثله في الناس أي مؤمل ... اذا قاسه الحكام عند التفاضل
حليم رشيد عادل غير طائش ... يوالي الها ليس عنه بغافل
كريم المساعي ماجد وابن ماجد ... له ارث مجد ثابت غير ناصل
فايده رب العباد بنصره ... واظهر دينا حقه غير زائل
فوالله لولا ان اجي بسبة ... تجر على اشياخنا في المحافل
لكنا اتبعناه على كل حالة ... من الدهر جدا غير قول التهازل
لقد علموا ان ابننا لا مكذب ... لدينا ولا يعنى بقول الاباطل
فاصبح منا احمد في ارومة ... تقصر عنها سورة المتطاول
حدبت بنفسي دونه وحميته ... ودافعت عنه بالذرى والكلاكل

قال ابن هشام هذا ما صح لي من هذه القصيدة وبعض اهل العلم بالشعر ينكر اكثرها **قلت** هذه قصيدة عظيمة فصيحة بليغة جدا لا يستطيع ان يقولها سوى من نسبت اليه وهي افحل من المعلقات السبع وابلغ في تادية المعنى منها جميعها وقد اوردها الاموي في مغازيه مطولة بزيادات اخر والله اعلم

فصل قال ابن اسحاق ثم انهم عدوا على من اسلم واتبع رسول الله صلى الله عليه وسلم من اصحابه فوثبت كل قبيلة على من فيها من المسلمين فجعلوا يحبسونهم ويعذبونهم بالضرب والجوع والعطش برمضاء مكة اذا اشتد الحر استضعفوه منهم يفتنونهم عن دينهم فمنهم من يفتتن من شدة البلا الذي يصيبهم ومنهم من يصلب لهم ويعصمه الله منهم فكان بلال مولى ابي بكر لبعض بني جمح مولدا من مولديهم وهو بلال بن رباح وكان اسم امه حمامة وكان صادق الاسلام طاهر القلب وكان امية بن خلف يخرجه اذا حميت الظهيرة ثم يامر بالصخرة العظيمة فتوضع على صدره ثم يقول له لا والله لا تزال هكذا حتى تموت او تكفر بمحمد وتعبد اللات والعزى فيقول وهو في ذلك احد احد قال ابن اسحاق فحدثني هشام بن عروة عن ابيه قال كان ورقة بن نوفل يمر به وهو يعذب بذلك وهو يقول احد احد والله يا بلال ثم يقبل على امية بن خلف ومن يصنع ذلك به من بني جمح فيقول احلف بالله لئن قتلتموه على هذا لاتخذنه حنانا **قلت** قد استشكل بعضهم هذا من جهة ان ورقة توفي بعد البعثة في فترة الوحي واسلام من اسلم انما كان بعد نزول يا ايها المدثر فكيف يمر ورقة ببلال وهو يعذب وفيه نظر ثم ذكر ابن اسحاق مرور ابي بكر ببلال وهو يعذب فاشتراه من امية بعبد له اسود فاعتقه واراحه من العذاب وذكر مشتراه لجماعة ممن اسلم من العبيد والاماء منهم بلال وعامر بن فهيرة وام عبيس وزنيرة التي اصيب بصرها ثم رده الله لها والنهدية وابنتها اشتراهما من بني عبد الدار بعثتهما سيدتهما تطحنان لها فسمعها وهي تقول لهما والله لا اعتقكما ابدا فقال ابو بكر حل يا ام فلان فقالت حل انت افسدتهما فاعتقهما قال فبكم هما قالت بكذا وكذا قال قد اخذتهما وهما حرتان ارجعا اليها طحينها قالتا او نفرغ منه يا ابا بكر ثم نرده اليها قال وذلك ان شئتما واشترى جارية بني مؤمل حي من بني عدي كان عمر يضربها على الاسلام قال ابن اسحاق فحدثني محمد بن عبد الله بن ابي عتيق عن عامر بن عبد الله بن الزبير عن بعض اهله قال قال

لهم

فيقول احد احد

ابو قحافة

ابو قحافة لابي بكر يا بني اني اراك تعتق رقابا ضعافا فلو انك اذ فعلت ما فعلت اعتقت رجالا جلدا يمنعونك ويقومون دونك قال فقال ابو بكر يا ابة اني انما اريد ما اريد قال فيتحدث انه ما انزل هؤلاء الآيات الا فيه وفيما قال ابوه واما من اعطى واتقى وصدق بالحسنى الى اخر السورة وقد تقدم ما رواه احمد وابن ماجة من حديث عاصم بن بهدلة عن زر عن ابن مسعود قال اول من اظهر الاسلام سبعة رسول الله وابو بكر وعمار وامه سمية وصهيب وبلال والمقداد فاما رسول الله فمنعه الله بعمه وابو بكر منعه الله بقومه واما سائرهم فاخذهم المشركون فالبسوهم ادراع الحديد وصهروهم في الشمس فما منهم من احد الا وقد واتاهم على ما ارادوا الا بلالا فانه هانت عليه نفسه في الله وهان على قومه فاخذوه فاعطوه الولدان فجعلوا يطوفون به في شعاب مكة وهو يقول احد احد رواه الثوري عن منصور عن مجاهد مرسلا قال ابن اسحاق وكانت بنو مخزوم يخرجون بعمار بن ياسر وبابيه وامه وكانوا اهل بيت اسلام اذا حميت الظهيرة يعذبونهم برمضاء مكة فيمر بهم رسول الله فيقول فيما بلغني صبرا آل ياسر موعدكم الجنة وقد روى البيهقي عن الحاكم عن ابراهيم بن عصمة العدل ثنا السري بن خزيمة ثنا مسلم بن ابراهيم بن ابي عبيد الله عن ابي الزبير عن جابر ان رسول الله مر بعمار واهله وهم يعذبون فقال ابشروا آل عمار وآل ياسر فان موعدكم الجنة فاما امه فقتلوها فتابى الا الاسلام وقال الامام احمد ثنا وكيع عن منصور عن مجاهد قال اول شهيد كان في اول الاسلام استشهد ام عمار سمية طعنها ابو جهل بحربة في قبلها وهذا مرسل قال محمد بن اسحاق وكان ابو جهل الفاسق الذي يغري بهم في رجال من قريش اذا سمع بالرجل قد اسلم له شرف ومنعة انبه واخزاه فقال تركت دين ابيك وهو خير منك لنسفهن حلمك ولنفيلن رايك ولنضعن شرفك وان كان تاجرا قال والله لنكسدن تجارتك ولنهلكن مالك وان كان ضعيفا ضربه واغرى به لعنه الله وقبحه قال ابن اسحاق وحدثني حكيم بن جبير عن سعيد بن جبير قال قلت لعبد الله بن عباس اكان المشركون يبلغون من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من العذاب ما يعذرون به في ترك دينهم قال نعم والله ان كانوا ليضربون احدهم ويجيعونه ويعطشونه حتى ما يقدر ان يستوي جالسا من شدة الضر الذي به حتى يعطيهم ما سالوه من الفتنة حتى يقولوا له اللات والعزى الهك من دون الله فيقول نعم افتداء منهم مما يبلغون من جهدهم **قلت** وفي مثل هذا انزل الله تعالى من كفر بالله من بعد ايمانه الا من اكره وقلبه مطمئن بالايمان ولكن من شرح بالكفر صدرا فعليهم غضب من الله ولهم عذاب اليم فهؤلاء كانوا معذورين بما حصل لهم من الاهانة والعذاب البليغ اجارنا الله من ذلك بحوله وقوته وقال الامام احمد ثنا ابو معاوية ثنا الاعمش عن مسلم عن مسروق عن خباب بن الارت قال كنت رجلا قينا وكان لي على العاص بن وائل دين فاتيته اتقاضاه فقال لا والله لا اقضيك حتى تكفر بمحمد فقلت والله لا اكفر بمحمد حتى تموت ثم تبعث قال فاني اذا مت ثم بعثت جئتني ولي ثم مال وولد فاعطيتك فانزل الله افرايت الذي كفر باياتنا وقال لاوتين مالا وولدا الى قوله ويأتينا فردا اخرجاه في الصحيحين وغيرهما من طرق عن الاعمش به وفي لفظ البخاري كنت قينا بمكة فعملت للعاص بن وائل سيفا فجئت اتقاضاه فذكر الحديث وقال البخاري ثنا الحميدي ثنا سفيان ثنا بيان واسماعيل قالا سمعنا قيسا يقول سمعت خبابا يقول اتيت النبي صلى الله عليه وسلم وهو متوسد ببردة وهو في ظل الكعبة وهو محمر وجهه فقال لقد كان من كان قبلكم ليمشط بامشاط الحديد ما دون عظامه من لحم

حدثنا هشام

عن سفيان

ولقد لقينا من المشركين شدة فقلت الا تدعو الله فقعد

او عصب ما يصرفه ذلك عن دينه ويوضع الميشار على مفرق راسه فيشق باثنتين ما يصرفه ذلك
عن دينه وليتمن الله هذا الامر حتى يسير الراكب من صنعاء الى حضرموت ما يخاف الا الله عز وجل
والذئب على غنمه وفي رواية ولكنكم تستعجلون انفرد به البخاري دون مسلم وقد روي
من وجه اخر عن خباب وهو مختصر من هذا والله اعلم فقال الامام احمد حدثنا عبد الرحمن عن
سفيان وابن جعفر ثنا شعبة عن ابي اسحاق عن سعيد بن وهب عن خباب قال شكونا الى
النبي صلى الله عليه وسلم شدة الرمضاء فما اشكانا يعني في الصلاة وقال ابن جعفر فلم يشكنا
وقال ايضا حدثنا سليمان بن داود ثنا شعبة عن ابي اسحاق قال سمعت سعيد بن وهب
يقول سمعت خبابا يقول شكونا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم الرمضاء فلم يشكنا قال
شعبة يعني في الظهر ورواه مسلم والنسائي والبيهقي من حديث ابي اسحاق السبيعي عن سعيد
ابن وهب عن خباب شكونا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم حر الرمضاء زاد البيهقي في وجوهنا
واكفنا فلم يشكنا وفي رواية شكونا الى رسول الله الصلاة في الرمضاء فلم يشكنا ورواه ابن
ماجة عن علي بن محمد الطنافسي عن وكيع عن الاعمش عن ابي اسحاق عن حارثة بن مضرب العبدي
عن خباب قال شكونا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم حر الرمضا فلم يشكنا والذي يقع لي والله
اعلم ان هذا الحديث مختصر من الاول وهو انهم شكوا اليه عليه السلام ما يلقون من المشركين
من التعذيب بحر الرمضاء وانهم يسحبونهم على وجوههم فيتقون باكفهم وغير ذلك من انواع العذاب
كما تقدم عن ابن اسحاق وغيره وسألوه ان يدعو الله لهم على المشركين او يستنصر لهم عليهم
فوعدهم ذلك ولم ينجزه لهم في الحالة الراهنة واخبرهم عمن كان قبلهم انهم كانوا يلقون من
العذاب ما هو اشد مما اصابهم ولا يصرفهم ذلك عن دينهم ويبشرهم بان الله سيتم هذا
الامر ويعليه ويظهره وينشره في الآفاق والاقاليم حتى يسير الراكب من صنعاء الى حضرموت
لا يخاف الا الله والذئب على غنمه ولكنكم تستعجلون ولهذا قال شكونا الى رسول الله حر
الرمضاء في وجوهنا واكفنا فلم يشكنا اي فلم يدع لنا في الساعة الراهنة فمن استدل بهذا
الحديث على عدم الابراد او على وجوب مباشرة المصلي بالكف كما هو احد قولي الشافعي ففيه
نظر والله اعلم

باب مجادلة المشركين رسول الله صلى الله عليه وسلم

واقامة الحجة الدامغة عليهم واعترافهم في انفسهم بالحق وان اظهروا المخالفة عنادا وبغيا
وحسدا وجحودا قال اسحاق بن راهويه ثنا عبد الرزاق عن معمر عن ايوب السختياني عن
عكرمة عن ابن عباس ان الوليد بن المغيرة جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم فقرأ عليه القرآن
فكأنه رق له فبلغ ذلك ابا جهل فأتاه فقال يا عم ان قومك يريدون ان يجمعوا لك مالا قال
لم قال ليعطوكه فانك اتيت محمدا لتعرض ما قبله قال قد علمت قريش اني من اكثرها مالا
قال فقل فيه قولا يبلغ قومك انك منكر له قال وماذا اقول فوالله ما منكم رجل اعلم
بالاشعار مني ولا اعلم برجزه ولا بقصيده مني ولا باشعار الجن والله ما يشبه الذي يقول
شيئا من هذا ووالله ان لقوله الذي يقوله لحلاوة وان عليه لطلاوة وانه لمثمر اعلاه مغدق
اسفله وانه ليعلو ولا يعلى وانه ليحطم ما تحته قال لا يرضى عنك قومك حتى تقول فيه قال
فقف عني حتى افكر فيه فلما فكر قال هذا سحر يؤثر يأثره عن غيره فنزلت ذرني ومن خلقت
وحيدا الآيات هكذا رواه البيهقي عن الحاكم عن عبد الله بن محمد بن علي الصنعاني بمكة عن

اسحاق

اسحاق به وقد رواه حماد بن زيد عن ايوب عن عكرمة مرسلا وفيه انه قرأ عليه ان الله يأمر بالعدل
والاحسان وايتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظكم لعلكم تذكرون وقال
البيهقي عن الحاكم عن الاصم عن احمد بن عبد الجبار عن يونس بن بكير عن محمد بن اسحاق حدثني محمد
ابن ابي محمد عن سعيد بن جبير او عكرمة عن ابن عباس ان الوليد بن المغيرة اجتمع ونفر من قريش
وكان ذا سن فيهم وقد حضر الموسم فقال ان وفود العرب ستقدم عليكم فيه وقد سمعوا بامر صاحبكم
هذا فاجمعوا فيه رأيا واحدا ولا تختلفوا فيكذب بعضكم بعضا ويرد قول بعضكم بعضا فقيل
يا ابا عبد شمس فقل واقم لنا رأيا نقوم به فقال بل انتم فقولوا وانا اسمع فقالوا نقول
كاهن فقال ما هو بكاهن لقد رأينا الكهان فما هو بزمزمة الكهان فقالوا نقول مجنون
فقال ما هو بمجنون ولقد رأينا الجنون وعرفناه فما هو بخنقه ولا تخالجه ولا وسوسته
فقالوا نقول شاعر فقال ما هو بشاعر قد عرفنا الشعر برجزه وهزجه وقريضه ومقبوضه
ومبسوطه فما هو بالشعر قالوا فنقول ساحر قال ما هو بساحر قد رأينا السحار وسحرهم فما هو
بنفثه ولا عقده فقالوا فما نقول يا ابا عبد شمس قال والله ان لقوله حلاوة وان اصله لعذق
وان فرعه لجنى فما انتم بقائلين من هذا شيئا الا عرف انه باطل وان اقرب القول ان تقولوا هذا
ساحر فتقولوا هو ساحر يفرق بين المرء وبين ابيه وبين المرء وبين اخيه وبين المرء وزوجته
وبين المرء وعشيرته فتفرقوا عنه بذلك فجعلوا يجلسون للناس حين قدموا الموسم لا يمر بهم
احد الا حذروه اياه وذكروا لهم امره وانزل الله في الوليد قوله ذرني ومن خلقت وحيدا الآيات
وفي اولئك النفر قوله الذين جعلوا القرآن عضين فوربك لنسألنهم اجمعين عما كانوا يعملون
قلت وفي ذلك قال الله تعالى اخبارا عن جهلهم وقلة عقلهم بل قالوا اضغاث احلام بل
افتراه بل هو شاعر فليأتنا بآية كما ارسل الاولون فحاروا ماذا يقولون فيه فكل شيء يقولونه باطل
لان من خرج عن الحق مهما قال اخطأ قال الله تعالى انظر كيف ضربوا لك الامثال فضلوا فلا
يستطيعون سبيلا وقال الامام عبد بن حميد في مسنده حدثني ابو بكر بن ابي شيبة ثنا علي
ابن مسهر عن الاجلح هو ابن عبد الله الكندي عن الذيال بن حرملة الاسدي عن جابر بن عبد الله
قال اجتمع قريش يوما فقالوا انظروا اعلمكم بالسحر والكهانة والشعر فليأت هذا الرجل
الذي قد فرق جماعتنا وشتت امرنا وعاب ديننا فليكلمه ولينظر ماذا يرد عليه فقالوا
ما نعلم احدا غير عتبة بن ربيعة فقالوا انت يا ابا الوليد فأتاه عتبة فقال يا محمد انت
خير ام عبد الله فسكت رسول الله فقال انت خير ام عبد المطلب فسكت رسول الله فقال
ان كنت تزعم ان هؤلاء خير منك فقد عبدوا الآلهة التي عبت وان كنت تزعم انك خير منهم
فتكلم حتى نسمع قولك انا والله ما رأينا سخلة قط اشأم على قومه منك فرقت جماعتنا
وشتت امرنا وعبت ديننا وفضحتنا في العرب حتى لقد طار فيهم ان في قريش ساحرا وان في
قريش كاهنا والله ما ننتظر الا مثل صيحة الحبلى ان يقوم بعضنا الى بعض بالسيوف حتى نتفانى
ايها الرجل ان كان انما بك الحاجة جمعنا لك حتى تكون اغنى قريش رجلا وان كان انما بك الباه
فاختر اي نساء قريش شئت فلنزوجك عشرا فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم فرغت قال
نعم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بسم الله الرحمن الرحيم حم تنزيل من الرحمن
الرحيم حتى بلغ فان اعرضوا فقل انذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود فقال له عتبة حسبك
حسبك ما عندك غير هذا قال لا فرجع الى قريش فقالوا ما وراءك فقال ما تركت شيئا ارى انكم

تكلموا به الا كلمته قال لو اخبرك قال نعم ثم قال والذي نصبها بنية ما فهمت شيئا مما
قال غير انه انذركم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود قالوا ويلك يكلمك الرجل بالعربية لا تدري
ما قال قال لا والله ما فهمت شيئا مما قال غير ذكر الصاعقة وقد رواه البيهقي وغيره
عن الحاكم عن الاصم عن ابن عباس الدوري عن يحيى بن معين عن محمد بن فضيل عن الاجلح به وغيره
وفيه كلام وزاد وان كنت انما بك الرياسة عقدنا الويتنا لك فكنت راسنا ما بقيت وعنده
انه لما قال فان اعرضوا فقل انذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود امسك عتبة على فيه
وناشده الرحم ان يكف عنه ولم يخرج الى اهله واحتبس عنهم فقال ابو جهل يا معشر قريش والله
ما نرى عتبة الا قد صبا الى محمد واعجبه طعامه وما ذاك الا من حاجة اصابته انطلقوا بنا
اليه فاتوه فقال له ابو جهل والله يا عتبة ما جئنا الا انك صبوت الى محمد واعجبك امره فان كان
بك حاجة جمعنا لك من اموالنا ما يغنيك عن طعام محمد فغضب واقسم بالله لا يكلم محمدا ابدا
وقال لقد علمتم اني من اكثر قريش مالا ولكني اتيته فقصصت عليهم القصة فاجابني بشيء والله ما هو
بسحر ولا شعر ولا كهانة قرا بسم الله الرحمن الرحيم حم تنزيل من الرحمن الرحيم حتى بلغ قوله
فان اعرضوا فقل انذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود فامسكت بفيه وناشدته الرحم
ان يكف وقد علمتم ان محمدا اذا قال شيئا لم يكذب فخفت ان ينزل عليكم العذاب ثم قال
البيهقي عن الحاكم عن الاصم عن احمد بن عبد الجبار عن يونس عن محمد بن اسحاق حدثني يزيد بن ابي
زياد مولى بني هاشم عن محمد بن كعب قال حدثت ان عتبة بن ربيعة وكان سيدا حليما قال ذات
يوم وهو جالس في نادي قريش ورسول الله صلى الله عليه وسلم جالس وحده في المسجد يا معشر
قريش الا اقوم الى هذا فاكلمه فاعرض عليه امورا لعله يقبل منها بعضها ويكف عنا قالوا بلى يا ابا
الوليد فقام عتبة حتى جلس الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر الحديث فيما قال له عتبة
وفيما عرض عليه من المال والملك وغير ذلك وقال زياد بن اسحاق فقال عتبة يا معشر قريش
الا اقوم الى محمد فاكلمه واعرض عليه امورا لعله يقبل بعضها فيعطيه ايها شاء ويكف عنا
وذلك حين اسلم حمزة وراوا اصحاب رسول الله يزيدون ويكثرون فقالوا بلى يا ابا الوليد
فقم اليه فكلمه فقام اليه عتبة حتى جلس الى رسول الله فقال يا ابن اخي انك منا حيث قد
علمت من السطة في العشيرة والمكان في النسب وانك قد اتيت قومك بامر عظيم فرقت
به جماعتهم وسفهت به احلامهم وعبت به الهتهم ودينهم وكفرت به من مضى من ابائهم فاسمع
مني حتى اعرض عليك امورا تنظر فيها لعلك تقبل منها بعضها قال فقال له رسول الله قل
يا ابا الوليد اسمع قال يا ابن اخي ان كنت انما تريد بما جئت به من هذا الامر مالا جمعنا لك من اموالنا
حتى تكون اكثرنا مالا وان كنت تريد به شرفا سودناك علينا حتى لا نقطع امرا دونك وان كنت
تريد به ملكا ملكناك علينا وان كان هذا الذي ياتيك رئيا تراه لا تستطيع رده عن نفسك
طلبنا لك الطب وبذلنا فيه اموالنا حتى نبريك منه فانه ربما غلب التابع على الرجل حتى يداوى
منه او كما قال له حتى اذا فرغ عتبة ورسول الله يستمع منه قال افرغت يا ابا الوليد قال نعم
قال فاسمع مني قال افعل قال بسم الله الرحمن الرحيم وذكره حتى اذا فرغ عتبة قال
له النبي صلى الله عليه وسلم افرغت يا ابا الوليد قال نعم قال فاسمع مني قال افعل فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم بسم الله الرحمن الرحيم حم تنزيل من الرحمن الرحيم
كتاب فصلت اياته قرانا عربيا فمضى رسول الله صلى الله عليه وسلم يقراها فلما سمع بها

عتبة

عتبة انصت لها والقى بيديه خلفه او خلف ظهره معتمدا عليهما يستمع منه حتى انتهى رسول الله صلى
الله عليه وسلم الى السجدة فسجد فيها ثم قال سمعت يا ابا الوليد قال سمعت قال فانت وذاك
فقام عتبة الى اصحابه فقال بعضهم لبعض نحلف بالله لقد جاءكم ابو الوليد بغير الوجه الذي
ذهب به فلما جلس اليهم قالوا ما وراءك يا ابا الوليد قال ورائي اني والله قد سمعت قولا ما سمعت
مثله قط والله ما هو بالشعر ولا الكهانة يا معشر قريش اطيعوني واجعلوها بي خلوا بين هذا
الرجل وبين ما هو فيه واعتزلوه فوالله ليكونن لقوله الذي سمعت نبأ فان تصبه العرب فقد
كفيتموه بغيركم وان يظهر على العرب فملكه ملككم وعزه عزكم وكنتم اسعد الناس به قالوا
سحرك والله يا ابا الوليد بلسانه قال هذا رايي لكم فاصنعوا ما بدا لكم وقال البيهقي انا ابو محمد
ثم ذكر يونس عن ابن اسحق شعرا قاله ابو طالب يمدح فيه عتبة م
عبد الله بن يوسف الاصبهاني انا ابو قتيبة سلمة بن الفضل الادمي بمكة ثنا ايوب احمد
ابن بشر الطيالسي ثنا داود بن عمرو الضبي ثنا المثنى بن زرعة عن محمد بن اسحاق عن نافع عن
ابن عمر قال لما قرا رسول الله على عتبة بن ربيعة حم تنزيل من الرحمن الرحيم اتى اصحابه فقال
لهم يا قوم اطيعوني في هذا الامر اليوم واعصوني فيما بعده فوالله لقد سمعت من هذا الرجل كلاما ما سمعت
اذناي كلاما مثله وما دريت ما ارد عليه وهذا حديث غريب جدا من هذا الوجه وروى البيهقي
عن الحاكم عن الاصم عن احمد بن عبد الجبار عن يونس عن ابن اسحاق حدثني الزهري قال حدثت ان
ابا جهل وابا سفيان والاخنس بن شريق خرجوا ليلة ليستمعوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم
وهو يصلي بالليل في بيته فاخذ كل رجل منهم مجلسا ليستمع منه وكل لا يعلم بمكان صاحبه فباتوا
يستمعون له حتى اذا اصبحوا وطلع الفجر تفرقوا فجمعهم الطريق فتلاوموا وقال بعضهم لبعض
لا تعودوا فلو راكم بعض سفهائكم لاوقعتم في نفسه شيئا ثم انصرفوا حتى اذا كانت الليلة
الثانية عاد كل رجل منهم الى مجلسه فباتوا يستمعون له حتى اذا طلع الفجر تفرقوا فجمعهم
الطريق فقال بعضهم لبعض مثل ما قالوا اول مرة ثم انصرفوا فلما كانت الليلة الثالثة
اخذ كل رجل منهم مجلسه فباتوا يستمعون له حتى اذا طلع الفجر تفرقوا فجمعهم الطريق فقالوا
لا نبرح حتى نتعاهد ان لا نعود فتعاهدوا على ذلك ثم تفرقوا فلما اصبح الاخنس بن شريق
اخذ عصاه ثم خرج حتى اتى ابا سفيان في بيته فقال اخبرني يا ابا حنظلة عن رايك فيما
سمعت من محمد فقال يا ابا ثعلبة والله لقد سمعت اشياء اعرفها واعرف ما يراد بها فقال
الاخنس وانا والذي حلفت به ثم خرج من عنده حتى اتى ابا جهل فدخل عليه بيته فقال
يا ابا الحكم ما رايك فيما سمعت من محمد فقال ماذا سمعت تنازعنا نحن وبنو عبد مناف
الشرف اطعموا فاطعمنا وحملوا فحملنا واعطوا فاعطينا حتى اذا تجاثينا على الركب كنا
كفرسي رهان قالوا منا نبي ياتيه الوحي من السماء فمتى ندرك هذه والله لا نسمع به ابدا ولا نصدقه
فقام عنه الاخنس بن شريق ثم قال البيهقي انا ابو عبد الله انا ابو العباس ثنا احمد ثنا يونس
عن هشام بن سعد عن زيد بن اسلم عن المغيرة بن شعبة قال ان اول يوم عرفت رسول الله صلى
الله عليه وسلم اني امشي انا وابو جهل بن هشام في بعض ازقة مكة اذ لقينا رسول الله صلى
الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لابي جهل يا ابا الحكم هلم الى الله والى رسوله
ادعوك الى الله فقال ابو جهل يا محمد هل انت منته عن سب الهتنا هل تريد الا ان نشهد
ان قد بلغت فنحن نشهد ان قد بلغت فوالله لو اني اعلم ان ما تقول حق لاتبعتك فانصرف
رسول الله صلى الله عليه وسلم واقبل علي فقال والله اني لاعلم ان ما يقول حق ولكن بني قصي

فصوّتنا لو اتينا الحجابة فقلنا نعم قالوا فينا السقاية فقلنا نعم قالوا فينا الندوة فقلنا
نعم ثم قالوا فينا اللواء فقلنا نعم ثم اطعموا واطعمنا حتى اذا تحاكت الركب قالوا منا نبي والله
لا افعل وقال البيهقي انا ابو عبد الله الحافظ ثنا ابو العباس محمد بن يعقوب الاصم ثنا محمد
ابن خالد ثنا احمد بن خلف ثنا اسرائيل عن ابي اسحاق قال مر النبي صلى الله عليه وسلم على ابي
جهل وابي سفيان وهما جالسان فقال ابو جهل هذا نبيكم يا بني عبد شمس قال ابو سفيان وتعجب
ان يكون منا نبي فالنبي يكون فيمن اقل منا واذل فقال ابو جهل عجبا ان يخرج غلام من بين شيوخ نبيا
ورسول الله صلى الله عليه وسلم يسمع فاتاهما فقال اما انت يا ابا سفيان فما لله ورسوله غضبت
ولكنك حميت للاصل واما انت يا ابا الحكم فوالله لتضحكن قليلا ولتبكين كثيرا فقال
بئسما تعدني يا ابن اخي من نبوتك هذا مرسل من هذا الوجه وفيه غرابة وقول ابي جهل لعنه الله
كما قال تعالى مخبرا عنه وعن اضرابه واذا راوك ان يتخذونك الا هزوا اهذا الذي بعث الله رسولا
ان كاد ليضلنا عن الهتنا لولا ان صبرنا عليها وسوف يعلمون حين يرون العذاب من اضل سبيلا
وقال الامام احمد حدثنا هشيم ثنا ابو بشر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال نزلت هذه الاية
ورسول الله صلى الله عليه وسلم متوار بمكة ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها قال كان اذا
صلى باصحابه رفع صوته بالقران فلما سمع ذلك المشركون سبوا القران وسبوا من انزله ومن جاء به
قال فقال الله لنبيه صلى الله عليه وسلم ولا تجهر بصلاتك اي بقراءتك فيسمع المشركون فيسبوا
القران ولا تخافت بها عن اصحابك فلا تسمعهم القران حتى ياخذوه عنك وابتغ بين ذلك سبيلا
وهكذا رواه صاحبا الصحيح من حديث ابي بشر جعفر بن ابي وحشية به وقال محمد بن اسحاق حدثني
داود بن الحصين عن عكرمة عن ابن عباس قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا جهر بالقران
وهو يصلي تفرقوا عنه وابوا ان يستمعوا منه وكان الرجل اذا اراد ان يستمع من رسول الله بعض
ما يتلو وهو يصلي استرق السمع دونهم فرقا منهم فان راى انهم قد عرفوا انه يستمع ذهب
خشية اذاهم فلم يستمع فان خفض رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يسمع الذين يستمعون من
قراءته شيئا فانزل الله عز وجل ولا تجهر بصلاتك فيتفرقوا عنك ولا تخافت بها فلا يسمع
من اراد ان يسمعها ممن يسترق ذلك لعله يرعوي الى بعض ما يسمع فينتفع به وابتغ بين ذلك
سبيلا

باب هجرة من هاجر من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة الى ارض الحبشة

فرارا بدينهم من الفتنة قد تقدم ذكر اذية المشركين للمستضعفين من المؤمنين وما كانوا يعاملونهم
به من الضرب الشديد والاهانة البالغة وكان الله عز وجل قد حجزهم عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم ومنعه بعمه ابي طالب كما تقدم تفصيله ولله الحمد والمنة وروى الواقدي ان خروجهم
اليها كان في رجب سنة خمس من البعثة وان اول من هاجر منهم احد عشر رجلا واربع نسوة
وانهم انتهوا الى البحر ما بين راكب وماش فاستاجروا سفينة بنصف دينار الى الحبشة وهم عثمان
ابن عفان وامراته رقية بنت رسول الله وابو حذيفة بن عتبة وامراته سهلة بنت سهيل والزبير
ابن العوام ومصعب بن عمير وعبد الرحمن بن عوف وابو سلمة بن عبد الاسد وامراته ام سلمة بنت
ابي امية وعثمان بن مظعون وعامر بن ربيعة العنزي وامراته ليلى بنت ابي حثمة وابو سبرة بن ابي
رهم وحاطب بن عمرو وسهيل بن بيضاء وعبد الله بن مسعود رضي الله عنهم قال ابن جرير وقال
اخرون بل كانوا اثنين وثمانين رجلا سوى نسائهم وابنائهم وعمار بن ياسر نشك فيه فان كان فيهم
ثلاثة وثمانين رجلا قال محمد بن اسحاق فلما راى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يصيب اصحابه

من البلاء وما هو فيه من العافية بمكانه من الله عز وجل ومن عمه ابي طالب وانه لا يقدر على ان يمنعهم
مما هم فيه من البلاء قال لهم لو خرجتم الى ارض الحبشة فان بها ملكا لا يظلم عنده احد وهي ارض
صدق حتى يجعل الله لكم فرجا مما انتم فيه فخرج عند ذلك المسلمون من اصحاب رسول الله صلى
الله عليه وسلم الى ارض الحبشة مخافة الفتنة وفرارا الى الله بدينهم فكانت اول هجرة كانت
في الاسلام فكان اول من خرج من المسلمين عثمان بن عفان وزوجته رقية بنت رسول الله صلى
الله عليه وسلم وكذا روى البيهقي من حديث يعقوب بن سفيان عن عباس العنبري عن يونس (بشر بن موسى خ)
بن عيسى عن الحسن بن زياد البرجمي حدثنا قتادة قال ان اول من هاجر الى الله باهله عثمان بن عفان
رضي الله عنه سمعت النضر بن انس يقول سمعت ابا حمزة يعني انس بن مالك يقول خرج عثمان بن
عفان ومعه امراته رقية بنت رسول الله الى ارض الحبشة فابطا على رسول الله خبرهم فقدمت
امراة من قريش فقالت يا محمد قد رايت ختنك ومعه امراته قال على اي حال رايتهما قالت قد رايته
قد حمل امراته على حمار من هذه الدبابة وهو يسوقها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم صحبهما
الله ان عثمان لاول من هاجر باهله بعد لوط عليه السلام قال ابن اسحاق وابو حذيفة بن عتبة
وزوجته سهلة بنت سهيل بن عمرو وولدت له بالحبشة محمد بن ابي حذيفة والزبير بن العوام
ومصعب بن عمير وعبد الرحمن بن عوف وابو سلمة بن عبد الاسد وامراته ام سلمة بنت ابي امية بن
المغيرة وولدت له بها زينب وعثمان بن مظعون وعامر بن ربيعة حليف الخطاب وهو من
بني عنز بن وائل وامراته ليلى بنت ابي حثمة وابو سبرة بن ابي رهم العامري وامراته ام كلثوم بنت
سهيل بن عمرو ويقال ابو حاطب بن عمرو بن عبد شمس بن عبد ود بن نصر بن مالك بن حسل بن عامر
وهو اول من قدمها فيما قيل وسهيل بن بيضاء فكان هؤلاء العشرة اول من خرج من المسلمين
الى ارض الحبشة فيما بلغني قال ابن هشام وكان عليهم عثمان بن مظعون فيما ذكر بعض اهل
العلم قال ابن اسحاق ثم خرج جعفر بن ابي طالب ومعه امراته اسماء بنت عميس وولدت له بها
عبد الله بن جعفر وتتابع المسلمون حتى اجتمعوا بارض الحبشة وقد زعم موسى بن عقبة ان
الهجرة الاولى الى ارض الحبشة كانت حين دخل ابو طالب ومن حالفه مع رسول الله الى الشعب
وفي هذا نظر والله اعلم وزعم ان خروج جعفر بن ابي طالب انما كان في الهجرة الثانية اليها
وذلك بعد عود بعض من كان خرج اولا حين بلغهم ان المشركين اسلموا وصلوا فلما قدموا مكة
وكان فيمن قدم عثمان بن مظعون فلم يجد ما اخبروا به من اسلام المشركين صحيحا فرجع من رجع
منهم ومكث اخرون بمكة وخرج اخرون من المسلمين الى ارض الحبشة وهي الهجرة الثانية كما سياتي بيانه
قال موسى بن عقبة فكان جعفر ابن ابي طالب فيمن خرج ثانيا وما ذكره ابن اسحاق من خروجه
في الرعيل الاول اظهر لما سياتي والله اعلم لكنه كان في زمرة ثانية من المهاجرين اولا وهو المقدم
عليهم والمترجم عنهم عند النجاشي وغيره كما سنورده مبسوطا ثم ان ابن اسحاق سرد الخارجين
صحبة جعفر رضي الله عنهم وهم عمرو بن سعيد بن العاص وامراته فاطمة بنت صفوان بن امية
ابن محرث بن شق الكناني واخوه خالد وامراته امينة بنت خلف بن اسعد الخزاعي وولدت
له بها سعيدا وامة التي تزوجها بعد ذلك الزبير فولدت له عمرا وخالدا قال وعبد الله بن
جحش بن رئاب واخوه عبيد الله ومعه امراته ام حبيبة بنت ابي سفيان وقيس بن عبد الله من بني اسد
بن خزيمة وامراته بركة بنت يسار مولاة ابي سفيان ومعيقيب بن ابي فاطمة وهو من ال سعيد
ابن العاص قال ابن هشام وهو من دوس قال وابو موسى عبد الله بن قيس حليف ال عتبة بن

وربيعة وسنتكلم معه في هذا وعتبة بن غزوان ويزيد بن زمعة بن الاسود وعمرو بن امية بن الحرث
بن اسد وطليب بن عمير بن وهب بن ابي كبير بن عبد وسويبط بن سعد بن حريملة وجهم بن قيس
العبدري ومعه امراته ام حرملة بنت عبد الاسود بن خزيمة وولداه عمرو بن جهم وخزيمة بنت
جهم وابو الروم بن عمير بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار وفراس بن النضر بن الحرث بن كلدة
وعامر بن ابي وقاص اخو سعد والمطلب بن ازهر بن عبد عوف الزهري وامراته رملة بنت ابي عوف
بن صبيرة وولدت له بها عبد الله وعبد الله بن مسعود واخوه عتبة والمقداد بن الاسود
والحرث بن خالد بن صخر التيمي وامراته ريطة بنت الحرث بن جبيلة وولدت له بها موسى وعايشة وزينب
وفاطمة وعمرو بن عثمان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة وشماس بن عثمان بن الشريد المخزومي
قال وانما سمي شماسا لحسنه واصل اسمه عثمان بن عثمان وهبار بن سفيان بن عبد الاسد
المخزومي واخوه عبد الله وهشام بن ابي حذيفة بن المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم وسلمة
بن هشام بن المغيرة وعياش بن ابي ربيعة بن المغيرة ومعتب بن عوف بن عامر ويقال له عيهامة
وهو من حلفاء بني مخزوم قال وقدامة وعبد الله اخوا عثمان بن مظعون والسايب بن عثمان
بن مظعون وحاطب بن الحرث بن معمر ومعه امراته فاطمة بنت المجلل وابناه منها محمد والحرث
واخوه حطاب وامراته فكيهة بنت يسار وسفيان بن معمر بن حبيب وامراته حسنة وابناه منها
جابر وجنادة وابنها من غيره وهو شرحبيل بن عبد الله احد الغوث بن مر اخوتهم وهو الذي
يقال له شرحبيل بن حسنة وعثمان بن ربيعة بن اهبان بن وهب بن حذافة بن جمح وخنيس
بن حذافة بن قيس بن عدي وعبد الله بن الحرث بن قيس بن عدي ~~واخوه~~ بن سعيد بن سهم
وهشام بن العاص بن وايل بن سعيد وقيس بن حذافة بن قيس بن عدي واخوه عبد الله
وابو قيس الحرث بن قيس بن عدي واخوته الحرث ومعمر والسايب وبشر وسعيد ابنا الحرث
بن قيس بن عدي واخو بشر بن الحرث بن قيس بن عدي لامه وهو سعيد بن عمرو التميمي وعمير
بن رئاب بن حذيفة بن مهشم بن سعيد بن سهم وحليف لبني سهم وهو محمية بن جزء الزبيدي
ومعمر بن عبد الله العدوي وعروة بن عبد العزى وعدي بن نضلة بن عبد العزى وابنه النعمان
وعبد الله بن مخرمة العامري وعبد الله بن سهيل بن عمرو وسليط بن عمرو واخوه السكران
ومعه زوجته سودة بنت زمعة ومالك بن ربيعة وامراته عمرة بنت السعدي وابو حاطب
ابن عمرو العامريون وحليفهم سعد بن خولة وهو من اليمن وابو عبيدة عامر بن عبد الله بن
الجراح الفهري وسهيل بن بيضاء وهي امه واسمها دعد بنت جحدم بن امية بن ظرب بن الحرث بن
فهر وهو سهل بن وهب بن ربيعة بن هلال بن اهيب بن ضبة بن الحرث وعمرو بن ابي سرح وعياض
بن زهير ويقال بل ربيعة بن هلال بن مالك بن ضبة بن الحرث وعمرو بن الحارث بن زهير
وعثمان بن عبد غنم بن زهير وسعد بن عبد قيس بن لقيط واخوه الحرث الفهريون قال
ابن اسحاق فكان جميع من لحق بارض الحبشة وهاجر اليها من المسلمين سوى ابنائهم الذين خرجوا بهم
صغارا وولدوا بها ثلاثة وثمانين رجلا ان كان عمار بن ياسر فيهم وهو يشك فيه قلت و
ذكر ابن اسحاق ابا موسى الاشعري فيمن هاجر من مكة الى ارض الحبشة غريب جدا وقد قال
الامام احمد ثنا حسن بن موسى سمعت حديجا اخا زهير بن معوية عن ابي اسحاق عن عبد الله
بن عتبة عن ابن مسعود قال بعثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم الى النجاشي ونحن نحو من
ثمانين رجلا فيهم عبد الله بن مسعود وجعفر وعبد الله بن عرفطة وعثمان بن مظعون وابو

موسى فاتوا النجاشي وبعثت قريش عمرو بن العاص وعمارة بن الوليد بهدية فلما دخلا على النجاشي
سجدا له ثم ابتدراه عن يمينه وعن شماله ثم قالا له ان نفرا من بني عمنا نزلوا ارضك ورغبوا
عنا وعن ملتنا قال فاين هم قالا في ارضك فابعث اليهم فبعث اليهم فقال جعفر انا خطيبكم
اليوم فاتبعوه فسلم ولم يسجد فقالوا له ما لك لا تسجد للملك قال انا لا نسجد الا لله
قال وما ذاك قال ان الله بعث الينا رسولا ثم امرنا ان لا نسجد لاحد الا لله عز وجل
وامرنا بالصلاة والزكوة قال عمرو فانهم يخالفونك في عيسى بن مريم قال ما تقولون
في عيسى بن مريم وامه قالوا نقول كما قال الله هو كلمة الله وروحه القاها الى العذراء البتول
التي لم يمسها بشر ولم يفرضها ولد قال فرفع عودا من الارض ثم قال يا معشر الحبشة
والقسيسين والرهبان والله ما يزيدون على الذي نقول فيهما سوى هذا مرحبا بكم وبمن جئتم
من عنده اشهد انه رسول الله وانه الذي نجد في الانجيل وانه الرسول الذي بشر به عيسى بن مريم
انزلوا حيث شئتم والله لولا ما انا فيه من الملك لاتيته حتى اكون انا احمل نعليه وامر بهدية
الاخرين فردت اليهما ثم تعجل عبد الله بن مسعود حتى ادرك بدرا وزعم ان النبي صلى الله عليه وسلم
استغفر له حين بلغه موته وهذا اسناد جيد قوي وسياق حسن وفيه ما يقتضي ان ابا موسى
كان ممن هاجر من مكة الى ارض الحبشة ان لم يكن ذكره مدرجا من بعض الرواة والله اعلم وقد
روي عن ابي اسحاق السبيعي من وجه اخر فقال الحافظ ابو نعيم في الدلايل حدثنا سليمان بن احمد
ثنا محمد بن زكريا الغلابي ثنا عبد الله بن رجا ثنا اسرايل ح وحدثنا سليمان بن احمد ثنا
محمد بن زكريا ثنا الحسن بن علوية القطان ثنا عباد بن موسى الختلي ثنا اسماعيل بن جعفر
ثنا اسرايل ح وحدثنا ابو احمد ثنا عبد الله بن محمد بن شيرويه ثنا اسحاق بن ابراهيم هو ابن
راهويه انا عبيد الله بن موسى ثنا اسرايل عن ابي اسحاق عن ابي بردة عن ابي موسى قال امرنا رسول
الله صلى الله عليه وسلم ان ننطلق مع جعفر بن ابي طالب الى ارض النجاشي فبلغ ذلك قريشا
فبعثوا عمرو بن العاص وعمارة بن الوليد وجمعوا للنجاشي هدية وقدما على النجاشي فاتياه
بالهدية فقبلها وسجدا له ثم قال عمرو بن العاص ان ناسا من ارضنا رغبوا عن ديننا وهم
في ارضك قال لهم النجاشي في ارضي قالوا نعم فبعث الينا فقال لنا جعفر لا يتكلم منكم احد
انا خطيبكم اليوم فانتهينا الى النجاشي وهو جالس في مجلسه وعمرو بن العاص عن يمينه وعمارة
عن يساره والقسيسون جلوس سماطين وقد قال لهم عمرو وعمارة انهم لا يسجدون لك فلما
انتهينا بدرنا من عنده من القسيسين والرهبان اسجدوا للملك فقال جعفر لا نسجد
الا لله عز وجل فلما انتهينا الى النجاشي قال ما منعك ان تسجد قال لا نسجد الا لله فقال له
النجاشي وما ذاك قال ان الله بعث فينا رسولا وهو الذي بشر به عيسى عليه السلام من بعده
اسمه احمد فامرنا ان نعبد الله لا نشرك به شيا ونوتي الزكاة وامرنا بالمعروف ونهانا عن المنكر
فاعجب النجاشي قوله فلما راى ذلك عمرو بن العاص قال اصلح الله الملك انهم يخالفونك في ابن مريم
فقال النجاشي لجعفر ما يقول صاحبكم في ابن مريم قال يقول فيه قول الله هو روح الله وكلمته
اخرجه من العذراء البتول التي لم يقربها بشر ولم يفرضها ولد فتناول النجاشي عودا من الارض
فرفعه فقال يا معشر القسيسين والرهبان ما يزيد هولاء على ما تقولون في ابن مريم ولا وزن
هذه مرحبا بكم وبمن جيتم من عنده فانا اشهد انه رسول الله وانه الذي بشر به عيسى ولولا ما انا
فيه من الملك لاتبعته حتى اقبل نعليه امكثوا في ارضي ما شيتم وامر لنا بطعام وكسوة وقال ردوا

على مقربتين وكان عمرو بن العاص رجلا قصيرا وكان عمارة رجلا جميلا وكانا أقبلا في البحر فشربا ومع
عمرو امرأته فلما شربوا قال عمارة لعمرو مر امرأتك فلتقبلني فقال له عمرو ألا تستحي فأخذ عمارة عمرا
فرمى به في البحر فجعل عمرو يناشده حتى أدخله السفينة فحقد عليه عمرو في ذلك فقال عمرو للنجاشي
إنك إذا خرجت خلف عمارة في أهلك فدعا النجاشي بعمارة فنفخ في إحليله فطار مع الوحش هكذا
رواه الحافظ البيهقي في الدلائل من طريق أبي علي الحسن بن سلام السواق عن عبيد الله بن موسى فذكره
بإسناده مثله إلى قوله فأمر لنا بطعام وكسوة ثم قال وهذا إسناد صحيح وظاهره يدل أن أبا
موسى كان بمكة وأنه خرج مع أبي جعفر بن أبي طالب إلى أرض الحبشة والصحيح عن يزيد بن عبد الله
بن أبي بردة عن جده أبي بردة عن أبي موسى أنهم بلغهم مخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم باليمن
فخرجوا مهاجرين في بضع وخمسين رجلا في سفينة فألقتهم سفينتهم إلى النجاشي بأرض الحبشة
فوافقوا جعفر بن أبي طالب وأصحابه عنده فأمرهم جعفر بالإقامة فأقاموا عنده حتى قدموا على
رسول الله صلى الله عليه وسلم زمن خيبر قال فأبو موسى شهد ما جرى بين جعفر وبين النجاشي فأخبر
عنه قال ولعل الراوي وهم في قوله أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن ننطلق والله أعلم
وهكذا رواه البخاري في باب هجرة الحبشة حدثنا محمد بن العلاء ثنا أبو أسامة ثنا يزيد بن عبد
الله عن أبي بردة عن أبي موسى قال بلغنا مخرج النبي صلى الله عليه وسلم ونحن باليمن فركبنا سفينة
فألقتنا سفينتنا إلى النجاشي بالحبشة فوافقنا جعفر بن أبي طالب فأقمنا معه حتى قدمنا
فوافقنا النبي صلى الله عليه وسلم حين افتتح خيبر فقال النبي صلى الله عليه وسلم لكم أنتم
أهل السفينة هجرتان وهكذا رواه مسلم عن أبي كريب وأبي عامر عبد الله بن براد كلاهما عن أبي أسامة
به ورواه في مواضع أخر مطولا **وأما قصة جعفر مع النجاشي** فإن الحافظ
ابن عساكر رواه في ترجمة جعفر بن أبي طالب من تاريخه من رواية عمرو بن العاص وعلى يديهما (نسخه ومن روايه)
جرى الحديث ومن رواية ابن مسعود كما تقدم وأم سلمة كما سيأتي فأما رواية جعفر فإنها عزيزة
جدا رواها ابن عساكر عن أبي القاسم بن السمرقندي عن أبي الحسين بن النقور عن أبي طاهر
المخلص عن أبي القاسم البغوي قال ثنا أبو عبد الرحمن الجعفي عبد الله بن عمر بن أبان ثنا أسد بن
عمرو البجلي عن مجالد بن سعيد عن الشعبي عن عبد الله بن جعفر عن أبيه قال بعثت قريش عمرو بن
العاص وعمارة بن الوليد بهدية من أبي سفيان إلى النجاشي فقالوا له ونحن عنده قد صار
إليك ناس من سفلتنا وسفهائنا فادفعهم إلينا قال لا حتى أسمع كلامهم قال فبعث إلينا فقال
ما يقول هؤلاء قال قلنا إن هؤلاء قوم يعبدون الأوثان وإن الله بعث إلينا رسولا فآمنا به
وصدقناه فقال النجاشي أعبيد هم لكم قالوا لا قال فلكم عليهم دين قالوا لا قال
فخلوا سبيلهم قال فخرجنا من عنده فقال عمرو بن العاص إن هؤلاء يقولون في عيسى غير ما تقول
قال إن لم يقولوا في عيسى مثل قولي لم أدعهم في أرضي ساعة من نهار فأرسل إلينا فكانت الدعوة
الثانية أشد علينا من الأولى قال ما يقول صاحبكم في عيسى بن مريم قال يقول هو روح الله وكلمته ألقاها
إلى العذراء البتول قال فأرسل فقال ادعوا لي فلانا القس وفلانا الراهب فأتاه أناس منهم فقال
ما تقولون في عيسى فقالوا أنت أعلمنا فما تقول فقال النجاشي وأخذ شيئا من الأرض فقال
ما عدا عيسى ما قال هؤلاء مثل هذا ثم قال أيؤذيكم أحد قالوا نعم فنادى مناد من
آذى أحدا منهم فأغرموه أربعة دراهم ثم قال أيكفيكم قلنا لا فأضعفها قال فلما هاجر رسول
الله إلى المدينة وظهر بها قلنا له إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد ظهر وهاجر إلى المدينة

قال نعم

وقتل الذين كنا حدثناك عنهم وقد أردنا الرحيل إليه فزودنا قال نعم فحملنا وزودنا ثم قال أخبر صاحبك
بما صنعت إليكم وهذا صاحبي معكم وأنا أشهد أن لا إله إلا الله وأنه رسول الله فقل له يستغفر لي
قال جعفر فخرجنا حتى أتينا المدينة فتلقاني رسول الله صلى الله عليه وسلم واعتنقني ثم قال (واعتنقني)
ما أدري أنا بفتح خيبر أفرح أم بقدوم جعفر ووافق ذلك فتح خيبر ثم جلس فقال رسول النجاشي
هذا جعفر فسله ما صنع به صاحبنا فقال نعم فعل بنا كذا وكذا وحملنا وزودنا وشهد أن لا إله
إلا الله وأنك رسول الله وقال لي قل له يستغفر لي فقام رسول الله فتوضأ ثم دعا ثلاث
مرات اللهم اغفر للنجاشي فقال المسلمون آمين ثم قال جعفر فقلت للرسول انطلق فأخبر
صاحبك بما رأيت من رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال ابن عساكر حسن غريب وأما
رواية أم سلمة فقد قال يونس بن بكير عن محمد بن إسحاق حدثني الزهري عن أبي بكر بن عبد
الرحمن بن الحارث بن هشام عن أم سلمة رضي الله عنها أنها قالت لما ضاقت علينا مكة وأوذي
أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وفتنوا ورأوا ما يصيبهم من البلاء والفتنة في دينهم
وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يستطيع دفع ذلك عنهم وكان رسول الله في منعة من قومه
ومن عمه لا يصل إليه شيء مما يكره مما ينال أصحابه فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم إن بأرض
الحبشة ملكا لا يظلم أحد عنده فالحقوا ببلاده حتى يجعل الله لكم فرجا ومخرجا مما أنتم فيه فخرجنا
إليها أرسالا حتى اجتمعنا بها فنزلنا بخير دار إلى خير جار آمنين على ديننا ولم نخش فيه ظلما فلما
رأت قريش أنا قد أصبنا دارا وأمنا غاروا منا فاجتمعوا على أن يبعثوا إليه فينا ليخرجونا من بلاده (غاروا منا)
وليردنا عليهم فبعثوا عمرو بن العاص وعبد الله بن أبي ربيعة فجمعوا له هدايا ولبطارقته
فلم يدعوا منهم رجلا إلا هيؤوا له هدية على حدة وقالوا لهما ادفعوا إلى كل بطريق هديته
قبل أن تتكلموا فيهم ثم ادفعوا إليه هداياه فإن استطعتم أن يردهم عليكم قبل أن يكلمهم فافعلوا
فقدما علينا فلم يبق بطريق من بطارقته إلا قدموا إليه هديته فكلموه فقالوا له إنا قدمنا
على هذا الملك في سفهائنا فارقوا أقوامهم في دينهم ولم يدخلوا في دينكم فبعثنا قومهم ليردهم
الملك عليهم فإذا نحن كلمناه فأشيروا عليه بأن يفعل فقالوا نفعل ثم قدموا إلى النجاشي
هداياه وكان من أحب ما يهدى إليه من مكة الأدم وذكر موسى بن عقبة أنهم أهدوا له فرسا وجبة
ديباج فلما أدخلوا عليه هداياه قالوا له أيها الملك إن فتية منا سفهاء فارقوا دين قومهم
ولم يدخلوا في دينك وجاؤوا بدين مبتدع لا نعرفه وقد لجؤوا إلى بلادك فبعثنا إليك فيهم عشائرهم
آباؤهم وأعمامهم وقومهم لتردهم عليهم فإنهم أعلى بهم عينا فإنهم لن يدخلوا في دينك فتمنعهم لذلك
فغضب ثم قال لا لعمر الله لا أردهم إليهم حتى أدعوهم فأكلمهم وأنظر ما أمرهم قوم لجؤوا إلى
بلادي واختاروا جواري على جوار غيري فإن كانوا كما يقولون رددتهم عليهم وإن كانوا على
غير ذلك منعتهم ولم أخل بينهم وبينهم ولم أنعم عينا وذكر موسى بن عقبة أن أمراءه أشاروا عليه
بأن يردهم إليهم فقال لا والله حتى أسمع كلامهم وأعلم على أي شيء هم عليه فلما دخلوا عليه سلموا ولم يسجدوا
له فقال أيها الرهط ألا تحدثوني ما لكم لا تحيوني كما يحييني من أتاني من قومكم فأخبروني
ماذا تقولون في عيسى وما دينكم أنصارى أنتم قالوا لا قال أفيهود أنتم قالوا لا قال فعلى دين
قومكم قالوا لا قال فما دينكم قالوا الإسلام قال وما الإسلام قالوا نعبد الله لا نشرك به شيئا
قال من جاءكم بهذا قالوا جاءنا به رجل من أنفسنا قد عرفنا وجهه ونسبه بعثه الله إلينا كما
بعث الرسل إلى من قبلنا فأمرنا بالبر والصدقة والوفاء وأداء الأمانة ونهانا أن نعبد الأوثان

وامرنا بعبادة الله وحده لا شريك له فصدقناه وعرفنا كلام الله وعلمنا ان الذي جاء به من
عند الله فلما فعلنا ذلك عادانا قومنا وعادوا النبي الصادق وكذبوه واردوا قتله وارادونا
على عبادة الاوثان ففررنا اليك بديننا ودمائنا من قومنا قال والله ان هذا لمن المشكاة التي
خرج منها امر موسى قال جعفر واما التحية فان رسول الله اخبرنا ان تحية اهل الجنة السلام وامرنا
بذلك فحييناك بالذي يحيي بعضنا بعضا واما عيسى بن مريم فعبد الله ورسوله وكلمته القاها
الى مريم وروح منه وابن العذراء البتول فاخذ عودا وقال والله ما زاد ابن مريم على هذا وزن
هذا العود فقال عظماء الحبشة والله لئن سمعت الحبشة لتخلعنك فقال والله لا اقول في عيسى
غير هذا ابدا وما اطاع الله الناس فيّ حين رد علي ملكي فاطيع الناس في دين الله معاذ الله من ذلك
وقال يونس عن ابن اسحاق فارسل اليهم النجاشي فجمعهم ولم يكن شيء ابغض الى عمرو بن العاص وعبد الله
بن ابي ربيعة من ان يسمع كلامهم فلما جاءهم رسول النجاشي اجتمع القوم فقالوا ماذا تقولون فقالوا
وماذا نقول نقول والله ما نعرف وما نحن عليه من امر ديننا وما جاءنا به نبينا صلى الله عليه وسلم كائن من ذلك
ما كان فلما دخلوا عليه كان الذي يكلمه منهم جعفر بن ابي طالب فقال له النجاشي ما هذا الذي (الدين م) انتم
عليه فارقتم دين قومكم ولم تدخلوا في يهودية ولا نصرانية فما هذا الدين فقال جعفر ايها الملك
كنا قوما على الشرك نعبد الاوثان ونأكل الميتة ونسيء الجوار ونستحل المحارم بعضنا من بعض في
سفك الدماء وغيرها لا نحل شيئا ولا نحرمه فبعث الله الينا نبيا من انفسنا نعرف وفاءه وصدقه وامانته
فدعانا الى ان نعبد الله وحده لا شريك له ونصل الارحام ونحسن الجوار ونصلي لله عز وجل ونصوم
له ولا نعبد غيره وقال زياد عن ابن اسحاق فدعانا الى الله لنوحده ونعبده ونخلع ما كنا نعبد
نحن واباؤنا من دونه من الحجارة والاوثان وامرنا بصدق الحديث واداء الامانة وصلة الرحم وحسن
الجوار والكف عن المحارم والدماء ونهانا عن الفواحش وقول الزور واكل مال اليتيم وقذف المحصنة
وامرنا ان نعبد الله لا نشرك به شيئا وامرنا بالصلاة والزكاة والصيام قال فعدد عليه امور الاسلام
فصدقناه وامنا به واتبعناه على ما جاء به من عند الله فعبدنا الله وحده فلم نشرك به وحرمنا
ما حرم علينا واحللنا ما احل لنا فعدا علينا قومنا فعذبونا وفتنونا عن ديننا ليردونا الى
عبادة الاوثان من عبادة الله وان نستحل ما كنا نستحل من الخبائث فلما قهرونا وظلمونا وضيقوا
علينا وحالوا بيننا وبين ديننا خرجنا الى بلادك واخترناك على من سواك ورغبنا في جوارك
ورجونا ان لا نظلم عندك ايها الملك قال فقال له النجاشي هل معك شيء مما جاء به وقد دعا اساقفته
فامرهم فنشروا المصاحف حوله فقال له جعفر نعم فقال هلم فاتل علي مما جاء به فقرأ عليه
صدرا من كهيعص فبكى والله النجاشي حتى اخضل لحيته وبكت اساقفته حتى اخضلوا مصاحفهم
ثم قال ان هذا الكلام ليخرج من المشكاة التي جاء بها موسى انطلقوا راشدين لا والله لا اردهم عليكم
ولا انعمكم عينا فخرجنا من عنده وكان اتقى الرجلين فينا عبد الله بن ابي ربيعة فقال عمرو بن العاص
والله لآتينه غدا بما استأصل به خضراءهم ولاخبرنه انهم يزعمون ان الاهه الذي يعبد عيسى بن مريم
عبد فقال له عبد الله بن ابي ربيعة لا تفعل فانهم وان كانوا خالفونا فان لهم رحما ولهم حقا فقال
والله لافعلن فلما كان الغد دخل عليه فقال ايها الملك انهم يقولون في عيسى قولا عظيما فارسل
اليهم فسلهم عنه فبعث والله اليهم ولم ينزل بنا مثلها فقال بعضنا لبعض ماذا تقولون له
في عيسى ان هو سالكم عنه فقالوا نقول والله الذي قاله الله فيه والذي امرنا نبينا ان نقول فيه فدخلوا
عليه وعنده بطارقته فقال ما تقولون في عيسى فقال له جعفر نقول هو عبد الله ورسوله وروحه

وكلمته القاها الى مريم العذراء البتول فدلى النجاشي يده الى الارض فاخذ عودا بين اصبعيه
فقال ما عدا عيسى بن مريم مما قلت هذا العويد فتناخرت بطارقته فقال وان تناخرتم والله
(في الارض م) اذهبوا فانتم شيوم بارضي والشيوم الآمنون من سبكم غرم من سبكم غرم من سبكم غرم ثلاثا ما احب
ان لي دبرا واني اذيت رجلا منكم والدبر بلسانهم الذهب وقال زياد عن ابن اسحاق ما احب ان لي دبرا
من ذهب قال ابن هشام ويقال زبرا وهو الجبل بلغتهم ثم قال النجاشي فوالله ما اخذ الله
مني الرشوة حين رد علي ملكي ولا اطاع الناس في فاطيع الناس فيه ردوا عليهما هداياهم فلا حاجة
لي بها واخرجا من بلادي فخرجا مقبوحين مردودا عليهما ما جاءا به قالت فاقمنا مع خير جار في خير دار
فلم ينشب ان خرج عليه رجل من الحبشة ينازعه في ملكه فوالله ما علمنا حزنا حزنا قط كان اشد
منه فرقا من ان يظهر ذلك الملك عليه فيأتي ملك لا يعرف من حقنا ما كان يعرفه فجعلنا ندعو الله
ونستنصره للنجاشي فخرج اليه سائرا فقال اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بعضهم لبعض
من رجل يخرج فيحضر الوقعة حتى ينظر لمن يكون فقال الزبير وكان من احدثهم سنا انا فنفخوا
له قربة فجعلها في صدره ثم خرج يسبح عليها في النيل حتى خرج من شقه الاخر الى حيث التقى
الناس فحضر الوقعة فهزم الله ذلك الملك وقتله وظهر النجاشي عليه فجاءنا الزبير فجعل يليح
الينا بردائه ويقول الا ابشروا فقد اظهر الله النجاشي ثم اقمنا عنده حتى خرج من خرج منا
راجعا الى مكة واقام من اقام قال الزهري فحدثت هذا الحديث عروة بن الزبير عن ام سلمة فقال
عروة اتدري ما قوله ما اخذ الله مني الرشوة حين رد علي ملكي فاخذ الرشوة فيه ولا اطاع الناس
في فاطيع الناس فيه فقلت لا ما حدثني ذلك ابو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام عن ام
سلمة فقال عروة فان عائشة حدثتني ان اباه كان ملك قومه وكان له اخ له من صلبه اثنا عشر
رجلا ولم يكن لابي النجاشي ولد غير النجاشي فادارت الحبشة رأيها بينها فقالوا لو انا قتلنا ابا
(فتوارثوا الملك م) النجاشي وملكنا اخاه فان له اثني عشر رجلا من صلبه لبقيت الحبشة عليهم دهرا طويلا لا يكون
بينهم اختلاف فعدوا عليه فقتلوه وملكوا اخاه فدخل النجاشي بعمه حتى دخل عليه فلا يدبر امره
غيره وكان لبيبا حازما من الرجال فلما رأت الحبشة مكانه من عمه قالوا قد غلب هذا الغلام على امر
عمه فما نأمن ان يملكه علينا وقد عرف انا قتلنا اباه فان فعل لم يدع منا شريفا الا قتله فكلموه
فيه فليقتله او ليخرجنه من بلادنا فمشوا الى عمه فقالوا قد راينا مكان هذا الفتى منك وقد
عرفت انا قتلنا اباه وجعلناك مكانه وانا لا نأمن ان يملك علينا فيقتلنا فاما ان تقتله
واما ان تخرجه من بلادنا قال فقال ويحكم قتلتم اباه بالامس واقتله اليوم بل اخرجه من
بلادكم فخرجوا به فوقفوه في السوق فباعوه من تاجر من التجار فقذفه في سفينة بستمائة درهم
او بسبعمائة فانطلق به فلما كان العشي هاجت سحابة من سحاب الخريف فخرج عمه يستمطر تحتها
فاصابته صاعقة فقتلته ففزعوا الى ولده فاذا هم محمقون ليس في احد منهم خير فمرج على الحبشة
امرهم فقال بعضهم لبعض تعلمن والله ان ملككم الذي لا يصلح امركم غيره للذي بعتم الغداة فان
كان لكم بامر الحبشة حاجة فادركوه قبل ان يذهب فخرجوا في طلبه حتى ادركوه فردوه فعقدوا
عليه تاجه واجلسوه على سريره وملكوه فقال التاجر ردوا علي مالي كما اخذتم مني غلامي فقالوا
لا نعطيك فقال اذا والله لاكلمنه فقالوا فدونك فمشى اليه فكلمه فقال ايها الملك ابتعت
غلاما فقبض مني الذين باعوه ثمنه ثم عدوا على غلامي فنزعوه من يدي ولم يردوا علي مالي فكان
اول ما خبر من صلابة حكمه وعدله ان قال لتردن عليه ماله او ليجعلن غلامه يده في يده فليذهبن

بمجيء، فقالوا لو أبى أن نعطيه شيئاً لما أعطوه إياه، فلذلك يقول: ما أخذ الله مني الرشوة
فآخذ الرشوة حين رد علي ملكي، وما أطاع الناس فيّ فأطيع الناس فيه. وقال موسى بن عقبة
كان أبو النجاشي ملك الحبشة فمات والنجاشي غلام صغير فأوصى إلى أخيه أن إليك ملك قومك
حتى يبلغ ابني، فإذا بلغ فله الملك، فرغب أخوه في الملك فباع النجاشي من بعض التجار فمات عمه
من ليلته وقضى فردت الحبشة النجاشي حتى وضعوا التاج على رأسه. هكذا ذكره مختصراً وسياق
ابن إسحاق أبسط وأحسن والله أعلم. والذي وقع في سياق ابن إسحاق إنما هو ذكر عمرو بن العاص وعبد
الله بن أبي ربيعة، والذي ذكره موسى بن عقبة والأموي أنهما عمرو بن العاص وعمارة بن الوليد
بن المغيرة، وهو أحد السبعة الذين دعا عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم حين تضاحكوا
يوم وضع سلا الجزور على ظهره عليه السلام وهو ساجد عند الكعبة، وهكذا تقدم في حديث ابن
مسعود وأبي موسى الأشعري. والمقصود أنهما حين خرجا من مكة كانت زوجة عمرو معه، وكان عمارة وعمارة كان شاباً حسناً فاصطحبا في السفينة
طمع في امرأة عمرو وألقى عمرواً في البحر ليهلكه فسبح حتى رجع إليها، فقال له عمارة: لو أعلم أنك تحسن
السباحة لما ألقيتك. فحقد عمرو عليه، فلما لم يقض لهما حاجة في المهاجرين من النجاشي وكان
عمارة قد توصل إلى بعض أهل النجاشي فوشى به عمرو فأمر النجاشي فسحر حتى ذهب عقله وساح في
البرية مع الوحوش، وقد ذكر الأموي قصة مطولة جداً وأنه عاش إلى زمن إمارة عمر بن الخطاب
وأنه تقصده بعض الصحابة ومسكه فجعل يقول: أرسلني أرسلني وإلا مت، فلما لم يرسله مات
من ساعته. وقد قيل إن قريشاً بعثت إلى النجاشي في أمر المهاجرين مرتين، الأولى مع عمرو بن العاص
وعمارة، والثانية مع عمرو وعبد الله بن أبي ربيعة، نص عليه أبو نعيم في الدلائل والله أعلم.
وقد قيل إن البعثة الثانية كانت بعد وقعة بدر، قاله الزهري لينالوا ممن هناك
ثأراً فلم يجبهم النجاشي رضي الله عنه إلى شيء مما سألوا، والله أعلم. وقد ذكر زياد عن ابن إسحاق أن
أبا طالب لما رأى ذلك من صنيع قريش كتب إلى النجاشي أبياتاً يحضه فيها على العدل وعلى
الإحسان إلى من نزل عنده من قومه

ألا ليت شعري كيف في الناس جعفر ... وعمرو وأعداء العدو الأقارب
وهل نالت أفعال النجاشي جعفراً ... وأصحابه أو عاق ذلك شاغب
تعلم أبيت اللعن أنك ماجد ... كريم فلا يشقى لديك المجانب
تعلم بأن الله زادك بسطة ... وأسباب خير كلها بك لازب

وقال يونس عن ابن إسحاق حدثني يزيد بن رومان عن عروة بن الزبير قال: إنما كان يكلم النجاشي
عثمان بن عفان رضي الله عنه، والمشهور أن جعفر هو المترجم رضي الله عنهم. وقال زياد البكائي
عن ابن إسحاق حدثني يزيد بن رومان عن عروة عن عائشة رضي الله عنها قالت: لما مات النجاشي
كان يتحدث أنه لا يزال يرى على قبره نور. ورواه أبو داود عن محمد بن عمرو الرازي عن سلمة بن الفضل
عن محمد بن إسحاق حدثني جعفر بن محمد عن أبيه قال: اجتمعت الحبشة فقالوا للنجاشي إنك فارقت
ديننا، وخرجوا عليه، فأرسل إلى جعفر وأصحابه فهيأ لهم سفناً وقال: اركبوا فيها وكونوا كما أنتم
فإن هزمت فامضوا حتى تلحقوا بحيث شئتم، وإن ظفرت فاثبتوا. ثم عمد إلى كتاب فكتب فيه هو
يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله ويشهد أن عيسى عبده ورسوله وروحه وكلمته
ألقاها إلى مريم، ثم جعله في قبائه عند المنكب الأيمن، وخرج إلى الحبشة وصفوا له، فقال:
يا معشر الحبشة ألست أحق الناس بكم؟ قالوا: بلى، قال: فكيف رأيتم سيرتي فيكم؟ قالوا: خير سيرة.

قال لهم

قال: فما لكم؟ قالوا: فارقت ديننا وزعمت أن عيسى عبده ورسوله. قال: فما تقولون أنتم في عيسى؟
قالوا: نقول هو ابن الله. فقال النجاشي ووضع يده على صدره على قبائه: هو يشهد أن عيسى بن
مريم لم يزد على هذا، وإنما يعني على ما كتب، فرضوا وانصرفوا. فبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم،
فلما مات النجاشي صلى عليه واستغفر له. وقد ثبت في الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي
الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نعى النجاشي في اليوم الذي مات فيه، وخرج بهم إلى
المصلى فصف بهم وكبر أربع تكبيرات. وقال البخاري: موت النجاشي، حدثنا أبو الربيع ثنا ابن عيينة
عن ابن جريج عن عطاء عن جابر قال: قال رسول الله حين مات النجاشي: مات اليوم رجل صالح
فقوموا فصلوا على أخيكم أصحمة. وروي ذلك من حديث أنس بن مالك وابن مسعود وغير واحد.
وفي بعض الروايات تسميته أصحمة، وفي رواية مصحمة، وهو أصحمة بن أبجر، وكان عبداً صالحاً لبيباً
ذكياً عادلاً عالماً رضي الله عنه. وقال يونس عن ابن إسحاق: اسم النجاشي مصحمة، وفي نسخة صححها
البيهقي أصحم، وهو بالعربية عطية. قال: وإنما النجاشي اسم الملك كقولك كسرى وهرقل.
قلت: لعله يريد وقيصر، والله أعلم، لكل من ملك الشام مع الجزيرة من بلاد الروم، وكسرى علم على
من ملك الفرس، وفرعون لمن ملك مصر كافة، والمقوقس لمن ملك الإسكندرية، وتبع لمن ملك اليمن
والشحر، والنجاشي لمن ملك الحبشة، وبطليموس لمن ملك اليونان، وقيل الهند، وخاقان لمن ملك
الترك. وقد قال بعض العلماء: إنما صلى عليه لأنه كان يكتم إيمانه من قومه فلم يكن عنده يوم مات
من يصلي عليه، فلهذا صلى عليه صلى الله عليه وسلم. قالوا: فالغائب إن كان قد صلي عليه ببلده
لا يشرع الصلاة عليه ببلد أخرى، ولهذا لم يصل على النبي صلى الله عليه وسلم في غير المدينة لا أهل
مكة ولا غيرهم، وهكذا أبو بكر وعثمان وعمر وغيرهم من الصحابة لم ينقل أنه صلي على أحد منهم في غير
البلدة التي صلي عليه فيها، والله أعلم. **قلت** وشهود أبي هريرة رضي الله عنه
الصلاة على النجاشي دليل على أنه إنما مات بعد فتح خيبر التي قدم بقية المهاجرين إلى الحبشة
مع جعفر بن أبي طالب يوم فتح خيبر، ولهذا روي أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: والله
ما أدري بأيهما أنا أسر، أبفتح خيبر أم بقدوم جعفر. وقدموا معهم بهدايا وتحف من عند
النجاشي رضي الله عنه إلى النبي صلى الله عليه وسلم، وصحبهم أهل السفينة اليمنية أصحاب
أبي موسى وقومه من الأشعريين رضي الله عنهم، ومع جعفر وهدايا النجاشي ابن أخي النجاشي ذو مخبر
أو ذو مخمر أرسله ليخدم النبي صلى الله عليه وسلم عوضاً عن عمه رضي الله عنهما وأرضاهما. وقال
السهيلي: توفي النجاشي في رجب سنة تسع من الهجرة، وفي هذا نظر، والله أعلم. وقال البيهقي:
أنا الفقيه أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن إبراهيم الطوسي ثنا أبو العباس محمد بن يعقوب ثنا هلال
بن العلاء الرقي ثنا أبي العلاء بن هلال ثنا أبو هلال بن العلاء عن أبيه عن أبي غالب عن أبي أمامة
قال: قدم وفد النجاشي على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقام يخدمهم، فقال أصحابه: نحن
نكفيك يا رسول الله، قال: إنهم كانوا لأصحابنا مكرمين، وإني أحب أن أكافئهم. تفرد به طلحة عن الأوزاعي
وقال البيهقي: أنا أبو الحسين بن بشران ثنا أبو عمرو بن السماك ثنا حنبل بن إسحاق ثنا الحميدي
ثنا سفيان ثنا عمرو قال: لما قدم عمرو بن العاص من أرض الحبشة جلس في بيته فلم يخرج إليهم،
فقالوا: ما شأنه ما له لا يخرج؟ فقال عمرو: إن أصحمة يزعم أن صاحبكم نبي. قال ابن إسحاق: ولما قدم
عمرو بن العاص وعبد الله بن أبي ربيعة على قريش ولم يدركوا ما طلبوا من أصحاب رسول الله
صلى الله عليه وسلم وردهم النجاشي بما يكرهون، وأسلم عمر بن الخطاب، وكان رجلاً ذا شكيمة لا يرام

ثم قال وأخبرنا أبو محمد عبد الله بن يوسف الأصبهاني أنا أبو سعيد بن الأعرابي
ثنا هلال بن العلاء ثنا أبي ثنا طلحة بن زيد عن الأوزاعي عن يحيى بن أبي كثير عن أبي
سلمة عن أبي قتادة قال: قدم وفد النجاشي على رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم يخدمهم فقال أصحابه: نحن نكفيك يا رسول الله
فقال: إنهم كانوا لأصحابي مكرمين وإني أحب أن أكافئهم

ما دَر ظهرهم امتنع به اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وبحمزة حتى عازّوا قريشا فكان عبد
الله بن مسعود يقول ما كنا نقدر على ان نصلي عند الكعبة حتى اسلم عمر فلما اسلم عمر قاتل
قريشا حتى صلى عند الكعبة وصلينا معه **قلت** وثبت في صحيح البخاري عن
ابن مسعود انه قال ما زلنا اعزة منذ اسلم عمر وقال زياد البكائي حدثني مسعر بن كدام
عن سعد بن ابراهيم قال قال ابن مسعود ان اسلام عمر كان فتحا وان هجرته كانت نصرا وان
امارته كانت رحمة ولقد كنا وما نصلي عند الكعبة حتى اسلم عمر فلما اسلم عمر قاتل قريشا
حتى صلى عند الكعبة وصلينا معه قال ابن اسحاق وكان اسلام عمر بعد خروج من خرج من اصحاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الحبشة حدثني عبد الرحمن بن الحرث بن عبد الله بن عياش
بن ابي ربيعة عن عبد العزيز بن عبد الله بن عامر بن ربيعة عن امه ام عبد الله بنت ابي
حثمة قالت والله انا لنترحل الى ارض الحبشة وقد ذهب عامر في بعض حاجتنا اذ اقبل عمر
حتى وقف علي وهو على شركه قالت وكنا نلقى منه البلاء اذى لنا وشدة علينا قالت فقال له
انه للانطلاق يا ام عبد الله قالت قلت نعم والله لنخرجن في ارض الله اذيتمونا وقهرتمونا
حتى يجعل الله لنا مخرجا قالت فقال صحبكم الله ورأيت له رقة لم اكن اراها ثم انصرف
وقد احزنه فيما ارى خروجنا قالت فجاء عامر بحاجته تلك فقلت له يا ابا عبد الله لو رأيت
عمر آنفا ورقته وحزنه علينا قال اطمعت في اسلامه قالت قلت نعم قال لا يسلم الذي
رأيت حتى يسلم حمار الخطاب قالت يأسا منه لما كان يرى من غلظته وقسوته على الاسلام
قلت هذا يرد قول من زعم انه كان تمام الاربعين من المسلمين فان المهاجرين الى الحبشة
كانوا فوق الثمانين اللهم الا ان يقال انه كان تمام الاربعين بعد خروج المهاجرين ويؤيد هذا
ما ذكره ابن اسحاق هاهنا من قصة اسلام عمر رضي الله عنه وسياقها فانه قال وكان اسلام عمر
فيما بلغني ان اخته فاطمة بنت الخطاب وكانت عند سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل كانت
قد اسلمت واسلم زوجها سعيد بن زيد وهم مستخفون باسلامهم من عمر وكان نعيم بن عبد الله النحام
رجل من بني عدي قد اسلم ايضا مستخفيا باسلامه فرقا من قومه وكان خباب بن الارت يختلف
الى فاطمة بنت الخطاب يقرئها القرآن فخرج عمر يوما متوشحا سيفه يريد رسول الله صلى الله عليه وسلم
ورهطا من اصحابه قد ذكروا له انهم قد اجتمعوا في بيت عند الصفا وهم قريب من اربعين من بين
رجال ونساء ومع رسول الله عمه حمزة وابو بكر بن ابي قحافة الصديق وعلي بن ابي طالب في رجال من
المسلمين ممن كان اقام مع رسول الله بمكة ولم يخرج فيمن خرج الى ارض الحبشة فلقيه نعيم بن
عبد الله فقال اين تريد يا عمر قال اريد محمدا هذا الصابئ الذي فرق امر قريش وسفه احلامها
وعاب دينها وسب آلهتها فاقتله فقال له نعيم والله لقد غرتك نفسك يا عمر اترى بني
عبد مناف تاركيك تمشي على الارض وقد قتلت محمدا افلا ترجع الى اهل بيتك فتقيم امرهم قال
واي اهل بيتي قال ختنك وابن عمك سعيد بن زيد واختك فاطمة فقد والله اسلما وتابعا محمدا
على دينه فعليك بهما فرجع عمر عامدا الى ختنه واخته وعندهما خباب بن الارت معه صحيفة
فيها طه يقرئها اياها فلما سمعوا حس عمر تغيب خباب في مخدع لهم او في بعض البيت واخذت
فاطمة بنت الخطاب الصحيفة فجعلتها تحت فخذها وقد سمع عمر حين دنا الى البيت قراءة خباب
عليهما فلما دخل قال ما هذه الهينمة التي سمعت قالا له ما سمعت شيئا قال بلى والله
لقد اخبرت انكما تابعتما محمدا على دينه وبطش بختنه سعيد بن زيد فقامت اليه اخته فاطمة

بنت

بنت الخطاب لتكفه عن زوجها فضربها فشجها فلما فعل ذلك قالت له اخته وختنه نعم
قد اسلمنا وآمنا بالله ورسوله فاصنع ما بدا لك ولما رأى عمر ما باخته من الدم ندم على ما صنع
وارعوى وقال لاخته اعطيني هذه الصحيفة التي سمعتكم تقرأون آنفا انظر ما هذا
الذي جاء به محمد وكان عمر كاتبا فلما قال ذلك قالت له اخته انا نخشاك عليها قال
لا تخافي وحلف لها بآلهته ليردنها اذا قرأها اليها فلما قال ذلك طمعت في اسلامه فقالت
له يا اخي انك نجس على شركك وانه لا يمسها الا الطاهر فقام عمر فاغتسل فاعطته الصحيفة
وفيها طه فقرأها فلما قرأ منها صدرا قال ما احسن هذا الكلام واكرمه فلما سمع ذلك خباب
خرج اليه فقال له يا عمر والله اني لارجو ان يكون الله قد خصك بدعوة نبيه صلى الله عليه
وسلم فاني سمعته امس وهو يقول اللهم ايد الاسلام بابي الحكم بن هشام او بعمر بن الخطاب
فالله الله يا عمر فقال له عند ذلك فدلني يا خباب على محمد حتى آتيه فاسلم فقال له
خباب هو في بيت عند الصفا معه فيه نفر من اصحابه فاخذ عمر سيفه فتوشحه ثم عمد
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه فضرب عليهم الباب فلما سمعوا صوته قام رجل من
اصحاب رسول الله فنظر من خلل الباب فرآه متوشحا السيف فرجع الى رسول الله وهو فزع
فقال يا رسول الله هذا عمر بن الخطاب متوشحا السيف فقال حمزة فأذن له فان كان جاء
يريد خيرا بذلناه وان كان جاء يريد شرا قتلناه بسيفه فقال رسول الله ائذن له فاذن له
الرجل ونهض اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى لقيه في الحجرة فاخذ بحجزته او بمجامع
ردائه ثم جبذه جبذة شديدة فقال ما جاء بك يا ابن الخطاب فوالله ما ارى ان تنتهي
حتى ينزل الله بك قارعة فقال عمر يا رسول الله جئتك لاؤمن بالله وبرسوله وبما جاء من عند
الله فكبر رسول الله صلى الله عليه وسلم تكبيرة عرف اهل البيت ان عمر قد اسلم فتفرق
حين اسلم عمر اصحاب رسول الله من مكانهم وقد عزوا في انفسهم حين اسلم عمر مع اسلام حمزة وعرفوا انهما سيمنعان رسول
الله وينتصفون بهما من عدوهم قال ابن اسحاق فهذا حديث الرواة من اهل المدينة عن اسلام
عمر حين اسلم رضي الله عنه قال ابن اسحاق وحدثني عبد الله بن ابي نجيح المكي عن اصحابه عطا
ومجاهد وعمن روى ذلك ان اسلام عمر فيما تحدثوا به عنه انه كان يقول كنت للاسلام مباعدا وكنت
صاحب خمر في الجاهلية احبها واشربها وكان لنا مجلس يجتمع فيه رجال من قريش بالحزورة فخرجت ليلة اريد
جلسائي اولئك فيه فلم اجد فيه منهم احدا فقلت لو اني جئت فلانا الخمار لعلي اجد عنده خمرا فاشرب منها
فخرجت فجئته فلم اجده قال فقلت فلو اني جئت الكعبة فطفت سبعا او سبعين قال
فجئت المسجد فاذا رسول الله صلى الله عليه وسلم قائم يصلي وكان اذا صلى استقبل الشام وجعل الكعبة
بينه وبين الشام وكان مصلاه بين الركنين الاسود واليماني قال فقلت حين رأيته والله
لو اني استمعت لمحمد الليلة حتى اسمع ما يقول فقلت لئن دنوت منه استمع منه لاروعنه
فجئت من قبل الحجر فدخلت تحت ثيابها فجعلت امشي رويدا ورسول الله قائم يصلي يقرأ القرآن
حتى قمت في قبلته مستقبله ما بيني وبينه الا ثياب الكعبة قال فلما سمعت القرآن رق له قلبي
فبكيت ودخلني الاسلام فلم ازل في مكاني قائما حتى قضى رسول الله صلاته ثم انصرف وكان
اذا انصرف خرج على دار ابن ابي حسين وكان مسكنه في الدار الرقطاء التي كانت بيد معاوية قال
عمر فتبعته حتى اذا دخل بين دار عباس ودار ابن ازهر ادركته فلما سمع حسي عرفني فظن اني انما
اتبعته لاوذيه فنهمني ثم قال ما جاء بك يا ابن الخطاب هذه الساعة قال قلت جئت لاؤمن

بالله ورسوله وبما جاء من عند الله قال فحمد الله رسوله صلى الله عليه وسلم ثم قال هذا
هداك الله يا عمر ثم مسح صدري ودعا لي بالثبات ثم انصرفت ودخل رسول الله صلى الله
عليه وسلم بيته قال ابن اسحاق فالله اعلم اي ذلك كان **قلت** وقد استقصيت
كيفية اسلام عمر رضي الله عنه وما ورد في ذلك من الاحاديث والآثار مطولا في اول سيرته التي
افردتها على حدة ولله الحمد والمنة قال ابن اسحاق وحدثني نافع مولى ابن عمر عن ابن عمر قال لما
اسلم عمر قال اي قريش انقل للحديث فقيل له جميل بن معمر الجمحي فغدا عليه قال عبد الله بن عمر
وغدوت اتبع اثره وانظر ما يفعل وانا غلام اعقل كل ما رأيت حتى جاءه فقال له اعلمت يا جميل
اني اسلمت ودخلت في دين محمد قال فوالله ما راجعه حتى قام يجر رداءه واتبعه عمر واتبعت
ابي حتى قام على باب المسجد صرخ باعلى صوته يا معشر قريش وهم في انديتهم حول الكعبة الا ان ابن
الخطاب قد صبأ قال يقول عمر من خلفه كذب ولكني قد اسلمت وشهدت ان لا اله الا الله وان
محمدا عبده ورسوله وثاروا اليه فما برح يقاتلهم ويقاتلونه حتى قامت الشمس على رؤوسهم قال
وطلح وقعد وقاموا على رأسه وهو يقول افعلوا ما بدا لكم فاحلف بالله ان لو قد كنا ثلثمائة
رجل لقد تركناها لكم او تركتموها لنا قال فبينما هم على ذلك اذ اقبل شيخ من قريش عليه حلة
حبرة وقميص موشى حتى وقف عليهم فقال ما شأنكم قالوا صبأ عمر قال فمه رجل اختار
لنفسه امرا فماذا تريدون اترون بني عدي يسلمون لكم صاحبهم هكذا عن الرجل قال
فوالله لكانما كانوا ثوبا كشط عنه قال فقلت لابي بعد ان هاجر الى المدينة يا ابه من الرجل الذي
زجر القوم عنك بمكة يوم اسلمت وهم يقاتلونك قال ذاك اي بني العاص بن وائل السهمي
وهذا اسناد جيد قوي لان ابن عمر عرض يوم احد وهو ابن اربع عشرة سنة وكانت احد في سنة
ثلاث من الهجرة وقد كان مميزا يوم اسلم ابوه فيكون اسلامه قبل الهجرة بنحو من اربع سنين وذلك
بعد البعثة بنحو من تسع سنين والله اعلم وقال البيهقي انا الحاكم انا الاصم انا احمد بن عبد
الجبار ثنا يونس عن ابن اسحاق قال ثم قدم على رسول الله عشرون رجلا وهو بمكة او قريب
من ذلك من النصارى حين ظهر خبره من ارض الحبشة فوجدوه في المجلس فكلموه وسألوه ورجال
من قريش في انديتهم حول الكعبة وتلا عليهم القرآن فلما سمعوا فاضت اعينهم من الدمع ثم
استجابوا له وآمنوا به وصدقوه وعرفوا منه ما كان يوصف لهم في كتابهم من امره فلما قاموا من
عنده اعترضهم ابو جهل في نفر من قريش فقالوا لهم خيبكم الله من ركب بعثكم من وراءكم من اهل
دينكم ترتادون لهم فتأتونهم بخبر الرجل فلم تطمئن مجالسكم عنده حتى فارقتم دينكم وصدقتموه
بما قال لكم ما نعلم ركبا احمق منكم او كما قالوا لهم فقالوا سلام عليكم لا نجاهلكم لنا اعمالنا
ولكم اعمالكم لا نألوا انفسنا خيرا يقال ان النفر من نصارى نجران والله اعلم اي ذلك كان
ويقال والله اعلم انهم نزلت فيهم هذه الآيات الذين آتيناهم الكتاب من قبله هم به يؤمنون
واذا يتلى عليهم قالوا آمنا به انه الحق من ربنا انا كنا من قبله مسلمين اولئك يؤتون اجرهم
مرتين بما صبروا ويدرؤن بالحسنة السيئة ومما رزقناهم ينفقون واذا سمعوا اللغو
اعرضوا عنه وقالوا لنا اعمالنا ولكم اعمالكم سلام عليكم لا نبتغي الجاهلين **فصل**
قال البيهقي في الدلائل باب ما جاء في كتاب النبي صلى الله عليه وسلم الى النجاشي
ثم روي عن الحاكم عن الاصم عن احمد بن عبد الجبار عن يونس عن ابن اسحاق قال هذا كتاب
من النبي صلى الله عليه وسلم الى النجاشي بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب من محمد

وهو يدل على تأخر اسلام عمر م

فلما رجعوا من مسألتهم رسول الله صلى الله عليه وسلم عما ارادوا ودعاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الله عز وجل م

رسول الله

رسول الله الى النجاشي الاصحم عظيم الحبشة سلام على من اتبع الهدى وآمن بالله ورسوله
وشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له لم يتخذ صاحبة ولا ولدا وان محمدا عبده ورسوله
وادعوك بدعاية الله فاني انا رسوله فاسلم تسلم يا اهل الكتاب تعالوا الى كلمة
سواء بيننا وبينكم ان لا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا اربابا
من دون الله الآية فان ابيت فعليك اثم النصارى من قومك هكذا ذكره البيهقي
بعد قصة هجرة الحبشة وفي ذكره هاهنا نظر فان الظاهر ان هذا الكتاب انما هو الى النجاشي
الذي كان بعد المسلم صاحب جعفر واصحابه وذلك حين كتب الى ملوك الارض يدعوهم
الى الله عز وجل قبيل الفتح كما كتب الى هرقل عظيم الروم قيصر الشام والى كسرى ملك الفرس
والى صاحب مصر والى النجاشي قال الزهري كانت كتب النبي صلى الله عليه وسلم اليهم واحدة
يعني نسخة واحدة وكلها فيها هذه الآية وهي من سورة آل عمران وهي مدنية بلا خلاف
فانها من صدر السورة وقد نزل ثلاث وثمانون آية من اولها في وفد نجران كما قررنا ذلك في التفسير
ولله الحمد فهذا الكتاب الى الثاني لا الى الاول وقوله فيه الى النجاشي الاصحم لعل الاصحم من الراوي
بحسب ما فهم والله اعلم وانسب من هذا هاهنا ما ذكره البيهقي ايضا عن الحاكم عن ابي الحسن
محمد بن عبد الله الفقيه بمرو ثنا حماد بن احمد ثنا محمد بن حميد ثنا سلمة بن الفضل عن
محمد بن اسحاق قال بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عمرو بن امية الضمري الى النجاشي
في شأن جعفر بن ابي طالب واصحابه وكتب معه كتابا بسم الله الرحمن الرحيم
من محمد رسول الله الى النجاشي الاصحم ملك الحبشة سلام عليك فاني احمد اليك الله الملك
القدوس المؤمن المهيمن واشهد ان عيسى بن مريم روح الله وكلمته القاها الى مريم البتول
الطاهرة الطيبة الحصينة فحملت بعيسى فخلقه من روحه ونفخه كما خلق آدم بيده ونفخه
واني ادعوك الى الله وحده لا شريك له والموالاة على طاعته وان تتبعني فتؤمن بي وبالذي
جاءني فاني رسول الله وقد بعثت اليكم ابن عمي جعفرا ومعه نفر من المسلمين فاذا جاءك فاقرهم
ودع التجبر فاني ادعوك وجنودك الى الله وقد بلغت ونصحت فاقبلوا نصيحتي والسلام
على من اتبع الهدى فكتب النجاشي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بسم الله الرحمن الرحيم
الى محمد رسول الله من النجاشي الاصحم بن ابجر سلام عليك يا نبي الله من الله ورحمة الله وبركاته
لا اله الا هو الذي هداني الى الاسلام فقد بلغني كتابك يا رسول الله فيما ذكرت من امر عيسى فورب
السماء والارض ان عيسى ما يزيد على الذي ذكرت وقد عرفنا ما بعثت به الينا وقد قربنا ابن
عمك واصحابه فاشهد انك رسول الله صادقا مصدقا وقد بايعتك وبايعت ابن عمك واسلمت
على يديه لله رب العالمين وقد بعثت اليك يا نبي الله بابني ارها بن الاصحم بن ابجر فاني لا املك
الا نفسي وان شئت ان آتيك فعلت يا رسول الله اني اشهد ان ما تقول حق **فصل**
في ذكر مخالفة قبائل قريش بني هاشم وبني عبد المطلب في نصرة رسول الله صلى الله عليه
وسلم وتحالفهم فيما بينهم عليهم ان لا يبايعوهم ولا يناكحوهم حتى يسلموا اليهم رسول الله صلى
الله عليه وسلم وحصرهم اياهم في شعب ابي طالب مدة طويلة وكتابتهم بذلك صحيفة
ظالمة فاجرة وما ظهر في ذلك كله من آيات النبوة ودلائل الصدق قال موسى بن عقبة عن الزهري
ثم ان المشركين اشتدوا على المسلمين كاشد ما كانوا حتى بلغ المسلمين الجهد واشتد عليهم
البلاء واجتمعت قريش في مكرها ان يقتلوا رسول الله علانية فلما رأى ابو طالب عمل القوم جمع بني

نعم

رسول الله صلى

عبد المطلب وامرهم ان يدخلوا رسول الله صلى الله عليه وسلم شعبهم وامرهم ان يمنعوه ممن ارادوا
قتله فاجتمعوا على ذلك مسلمهم وكافرهم فمنهم من فعله حمية ومنهم من فعله ايمانا ويقينا
فلما عرفت ان القوم قد منعوا الرسول الله واجمعوا على ذلك اجتمع المشركون من قريش فاجمعوا قريش صح
امرهم ان لا يجالسوهم ولا يبايعوهم ولا يدخلوا بيوتهم حتى يسلموا رسول الله صلى الله عليه وسلم
للقتل وكتبوا في مكرهم صحيفة وعهودا ومواثيق لا يقبلوا من بني هاشم ابدا صلحا ولا يأخذهم
بهم رافة حتى يسلموه للقتل فلبث بنو هاشم في شعبهم ثلاث سنين واشتد عليهم البلاء والجهد
وقطعوا عنهم الاسواق فلا يتركوا طعاما يقدم مكة ولا بيعا الا بادروهم اليه فاشتروه يريدون
بذلك ان يدركوا سفك دم رسول الله صلى الله عليه وسلم فكان ابو طالب اذا اخذ الناس مضاجعهم
امر رسول الله صلى الله عليه وسلم فاضطجع على فراشه حتى يرى ذلك من اراد به مكرا واغتيالا له
فاذا نوم الناس امر احد بنيه او اخوته او بني عمه فاضطجع على فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم
وامر رسول الله ان ياتي بعض فرشهم فينام عليه فلما كان راس ثلاث سنين تلاوم رجال من بني عبد
مناف ومن قصي ورجال سواهم من قريش قد ولدتهم نساء من بني هاشم وراوا انهم قد قطعوا الرحم
واستخفوا بالحق واجتمع امرهم من ليلتهم على نقض ما تعاهدوا عليه من الغدر والبراءة منه وبعث
الله على صحيفتهم الارضة فلحست كل ما كان فيها من عهد وميثاق ويقال كانت معلقة في
سقف البيت فلم تترك اسما لله عز وجل فيها الا لحسته وبقي ما كان فيها من شرك او ظلم او قطيعة
رحم واطلع الله عز وجل رسوله على الذي صنع بصحيفتهم فذكر ذلك رسول الله صلى الله عليه
وسلم لابي طالب فقال ابو طالب لا والثواقب ما كذبني فانطلق يمشي بعصابة من بني عبد
المطلب حتى اتى المسجد وهو حافل من قريش فلما راوهم عامدين لجماعتهم انكروا ذلك وظنوا انهم
خرجوا من شدة البلاء فاتوهم ليعطوهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فتكلم ابو طالب فقال
قد حدثت امور بينكم لم نذكرها لكم فاتوا بصحيفتكم التي تعاهدتم عليها فلعله ان يكون بيننا بيننا صح
وبينكم صلح وانما قال ذلك خشية ان ينظروا في الصحيفة قبل ان ياتوا بها فاتوا بصحيفتهم
معجبين بها لا يشكون ان الرسول مدفوع اليهم فوضعوها بينهم وقالوا قد آن لكم ان تقبلوا وترجعوا
الى امر يجمع قومكم فانما قطع بيننا وبينكم رجل واحد جعلتموه خطرا لهلكة قومكم وعشيرتكم وفسادهم
فقال ابو طالب انما اتيتكم لاعطيكم امرا لكم فيه نصف ان ابن اخي قد اخبرني ولم يكذبني ان الله
بريء من هذه الصحيفة التي في ايديكم ومحا كل اسم هو له فيها وترك فيها غدركم وقطيعتكم
ايانا وتظاهركم علينا بالظلم فان كان الحديث الذي قال ابن اخي كما قال فافيقوا فلا والله
لا نسلمه ابدا حتى نموت من عند آخرنا وان كان الذي قال باطلا دفعناه اليكم فقتلتموه او استحييتموه
قالوا قد رضينا بالذي تقول ففتحوا الصحيفة فوجدوا الصادق المصدوق قد اخبر خبرها
فلما راتها قريش كالذي قال ابو طالب قالوا والله ان كان هذا قط الا سحر من صاحبكم فارتكسوا
وعادوا بشر ما كانوا عليه من كفرهم والشدة على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى رهطه
والقيام على ما تعاهدوا عليه فقال اولئك النفر من بني عبد المطلب ان اولى بالكذب والسحر
غيرنا فكيف ترون فانا نعلم ان الذي اجتمعتم عليه من قطيعتنا اقرب الى الجبت والسحر
من امرنا ولولا انكم اجتمعتم على السحر لم تفسد صحيفتكم وهي في ايديكم طمس ما كان فيها من
اسمه وما كان فيها من بغي تركه افنحن السحرة ام انتم فقال عند ذلك النفر من بني عبد مناف
وبني قصي ورجال من قريش ولدتهم نساء من بني هاشم منهم ابو البختري والمطعم بن عدي وزهير

ابن ابي امية بن المغيرة وزمعة بن الاسود وهشام بن عمرو وكانت الصحيفة عنده وهو من بني
عامر بن لؤي في رجال من اشرافهم ووجوههم نحن براء مما في هذه الصحيفة فقال ابو جهل لعنه
الله هذا امر قضي بليل وانشا ابو طالب يقول الشعر في شان صحيفتهم ويمتدح النفر الذين
تبرؤوا منها ونقضوا ما كان فيها من عهد ويمتدح النجاشي قال البيهقي وهكذا روى شيخنا
ابو عبد الله الحافظ يعني من طريق ابن لهيعة عن ابي الاسود عن عروة بن الزبير يعني سياق
موسى بن عقبة رح وقد تقدم عن موسى بن عقبة انه قال انما كانت هجرة الحبشة بعد دخولهم
الى الشعب عن امر رسول الله صلى الله عليه وسلم لهم في ذلك والله اعلم **قلت**
والاشبه ان ابا طالب انما قال قصيدته اللامية التي قدمنا ذكرها بعد دخولهم الشعب
ايضا فذكرها هاهنا انسب والله اعلم ثم روى البيهقي من طريق يونس عن محمد بن اسحاق فلما
مضى رسول الله صلى الله عليه وسلم على الذي بعث به وقامت بنو هاشم وبنو المطلب دونه
وابوا ان يسلموه وهم من خلافه على مثل ما قومهم عليه الا انهم انفوا ان يستذلوا ويسلموا اخاهم
لما قارف من قومه فلما فعلت ذلك بنو هاشم وبنو المطلب وعرفت قريش ان لا سبيل الى محمد
اجتمعوا على ان يكتبوا فيما بينهم على بني هاشم وبني المطلب كتابا ان لا ينكحوهم ولا ينكحوا اليهم
ولا يبايعوهم ولا يبتاعوا منهم وكتبوا الصحيفة في ذلك وعلقوها بالكعبة ثم عدوا على من اسلم
فاوثقوهم واذوهم واشتد البلاء عليهم وعظمت الفتنة فيهم وزلزلوا زلزالا شديدا ثم ذكر
بطوطا صح القصة في دخولهم شعب ابي طالب وما بلغوا فيه من فتنة الجهد الشديد حتى كان يسمع اصوات
صبيانهم يتضاغون من وراء الشعب من الجوع حتى كره عامة قريش ما اصابهم واظهروا كراهيتهم
لصحيفتهم الظالمة وذكروا ان الله تعالى برحمته ارسل على صحيفتهم الارضة فلم تدع فيها اسما هو
لله الا اكلته وبقي فيها الظلم والقطيعة والبهتان فاخبر الله بذلك رسوله فاخبر بذلك
عمه ابو طالب ثم ذكر بقية القصة كرواية موسى بن عقبة واتم قال ابن هشام عن زياد
عن محمد بن اسحاق فلما رات قريش ان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قد نزلوا بلدا
اصابوا به امنا وقرارا وان النجاشي قد منع من لجأ اليه منهم وان عمر قد اسلم فكان هو وحمزة
مع رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه وجعل الاسلام يفشو في القبائل اجتمعوا وائتمروا
ان يكتبوا كتابا يتعاقدون فيه على بني هاشم وبني عبد المطلب على ان لا ينكحوا اليهم ولا ينكحوهم
ولا يبيعوهم شيئا ولا يبتاعوا منهم فلما اجتمعوا لذلك كتبوا في صحيفة ثم تعاهدوا وتواثقوا
على ذلك ثم علقوا الصحيفة في جوف الكعبة توكيدا على انفسهم وكان كاتب الصحيفة منصور
بن عكرمة بن عامر بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار بن قصي قال ابن هشام ويقال النضر بن
الحارث فدعا عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فشل بعض اصابعه وقال الواقدي كان الذي
كتب الصحيفة طلحة بن ابي طلحة العبدري **قلت** والمشهور انه منصور بن عكرمة كما
ذكره ابن اسحاق وهو الذي شلت يده فما كان ينتفع بها وكانت قريش تقول بينها انظروا الى منصور
ابن عكرمة قال الواقدي وكانت الصحيفة معلقة في جوف الكعبة قال ابن اسحاق فلما فعلت
ذلك قريش انحازت بنو هاشم وبنو المطلب الى ابي طالب فدخلوا معه في شعبه واجتمعوا اليه
وخرج من بني هاشم ابو لهب عبد العزى بن عبد المطلب الى قريش فظاهرهم وحدثني حسين بن
عبد الله ان ابا لهب لقي هند بنت عتبة بن ربيعة حين فارق قومه وظاهر عليهم قريشا
فقال يا ابنة عتبة هل نصرت اللات والعزى وفارقت من فارقهما وظاهر عليهما قالت نعم فجزاك

الله خيرا يا أبا عتبة. قال ابن إسحاق: وحُدِّثت أنه كان يقول: يَعِدُني محمد أشياء لا أراها يزعم أنها كائنة بعد الموت، فماذا وُضع في يديّ بعد ذلك، ثم ينفخ في يديه ويقول: تبًّا لكما لا أرى فيكما شيئا مما يقول محمد، فأنزل الله: تبت يدا أبي لهب وتب. قال ابن إسحاق: فلما اجتمعت على ذلك قريش وصنعوا فيه الذي صنعوا قال أبو طالب

ز بين ما يقول

ألا أبلغا عني على ذات بيننا • لؤيا وخصا من لؤي بني كعب
ألم تعلموا أنا وجدنا محمدا • نبيا كموسى خُطّ في أول الكتب
وأن عليه في العباد محبة • ولا خير ممن خصه الله بالحب
وأن الذي ألصقتم من كتابكم • لكم كائن نحسا كراغية السقب
أفيقوا أفيقوا قبل أن يحفر الثرى • ويصبح من لم يجن ذنبا كذي الذنب
ولا تتبعوا أمر الوشاة وتقطعوا • أواصرنا بعد المودة والقرب
وتستجلبوا حربا عوانا وربما • أمرّ على من ذاقه حلب الحرب
فلسنا ورب البيت نسلم أحمدا • لعزاء من عض الزمان ولا كرب
ولما تبن منا ومنكم سوالف • وأيد أترت بالقساسية الشهب
بمعترك ضيق ترى كسر القنا به • والنسور الطخم يعكفن كالشرب
كأن مجال الخيل في حجراته • ومعمعة الأبطال معركة الحرب
أليس أبونا هاشم شد أزره • وأوصى بنيه بالطعان وبالضرب
ولسنا نمل الحرب حتى تملنا • ولا نشتكي ما ينوب من النكب
ولكننا أهل الحفائظ والنهى • إذا طار أرواح الكماة من الرعب

قال ابن إسحاق: فأقاموا على ذلك سنتين أو ثلاثا حتى جهدوا ولم يصل إليهم شيء إلا سرا مستخفيا به من أراد صلتهم من قريش، وقد كان أبو جهل بن هشام فيما يذكرون لقي حكيم بن حزام بن خويلد بن أسد معه غلام يحمل قمحا يريد به عمته خديجة بنت خويلد وهي عند رسول الله ومعه في الشعب، فتعلق به وقال: أتذهب بالطعام إلى بني هاشم؟ والله لا تذهب أنت وطعامك حتى أفضحك بمكة، فجاءه أبو البختري بن هشام بن الحرث بن أسد فقال: ما لك وله؟ فقال: يحمل الطعام إلى بني هاشم، فقال له أبو البختري: طعام كان لعمته عنده بعثت إليه فيه، أفتمنعه أن يأتيها بطعامها؟ خلّ سبيل الرجل. قال: فأبى أبو جهل حتى نال أحدهما من صاحبه، فأخذ له أبو البختري لحي بعير فضربه به فشجه ووطئه وطئا شديدا، وحمزة بن عبد المطلب قريب يرى ذلك، وهم يكرهون أن يبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه فيشمتون بهم، ورسول الله صلى الله عليه وسلم على ذلك يدعو قومه ليلا ونهارا وسرا وجهارا مباديا بأمر الله لا يتقي فيه أحدا من الناس، فجعلت قريش حين منعه الله منها وقام عمه وقومه من بني هاشم وبني المطلب دونه وحالوا بينهم وبين ما أرادوا من البطش به يهمزونه ويستهزئون به ويخاصمونه، وجعل القرآن ينزل في قريش بأحداثهم وفيمن نصب لعداوته منهم، ومنهم من سمى لنا ومنهم من نزل فيه القرآن في عامة من ذكر الله من الكفار، فذكر ابن إسحاق أبا لهب ونزول السورة فيه، وأمية بن خلف ونزول قوله تعالى: ويل لكل همزة لمزة، السورة بكمالها فيه، والعاص بن وائل ونزول قوله: أفرأيت الذي كفر بآياتنا وقال لأوتين مالا وولدا فيه، وقد تقدم شيء من ذلك، وأبا جهل بن هشام وقوله للنبي صلى الله عليه وسلم: لتتركن سب آلهتنا أو لنسبن إلهك، ونزول قول الله فيه: ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدوا بغير علم الآية، والنضر بن الحرث

بن كلدة بن علقمة، ومنهم من يقول علقمة بن كلدة، قال: لما استقبلني وجلوسه بعد النبي صلى الله عليه وسلم في مجالسه حيث يتلو القرآن ويدعو إلى الله فيتلو عليهم النضر شيئا من أخبار رستم واسفنديار وما جرى بينهما من الحروب في زمن الفرس، ثم يقول: والله ما محمد بأحسن حديثا مني وما حديثه إلا أساطير الأولين اكتتبها كما اكتتبتها، فأنزل الله: وقالوا أساطير الأولين اكتتبها فهي تملى عليه بكرة وأصيلا، وقوله: ويل لكل أفاك أثيم. قال ابن إسحاق: وجلس رسول الله فيما بلغني يوما مع الوليد بن المغيرة في المسجد فجاء النضر بن الحرث حتى جلس معهم وفي المسجد غير واحد من رجال قريش، فتكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم فعرض له النضر فكلمه رسول الله حتى أفحمه، ثم تلا عليه وعليهم: إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم أنتم لها واردون، لو كان هؤلاء آلهة ما وردوها وكل فيها خالدون، لهم فيها زفير وهم فيها لا يسمعون. ثم قام رسول الله وأقبل عبد الله بن الزبعرى السهمي حتى جلس، فقال الوليد بن المغيرة له: والله ما قام النضر بن الحرث لابن عبد المطلب آنفا وما قعد، وقد زعم محمد أنا وما نعبد من آلهتنا هذه حصب جهنم. فقال عبد الله بن الزبعرى: أما والله لو وجدته لخصمته، فسلوا محمدا: أكل ما يعبد من دون الله حصب جهنم مع من عبده؟ فنحن نعبد الملائكة، واليهود تعبد عزيرا، والنصارى تعبد عيسى. فعجب الوليد ومن كان معه في المجلس من قول ابن الزبعرى ورأوا أنه قد احتج وخاصم، فذكر ذلك لرسول الله فقال: كل من أحب أن يعبد من دون الله فهو مع من عبده، إنهم إنما يعبدون الشياطين ومن أمرهم بعبادته، وأنزل الله: إن الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون لا يسمعون حسيسها وهم فيما اشتهت أنفسهم خالدون، أي عيسى وعزير ومن عبد من الأحبار والرهبان الذين مضوا على طاعة الله، ونزل فيما يذكرون أنهم يعبدون الملائكة وأنها بنات الله: وقالوا اتخذ الرحمن ولدا سبحانه بل عباد مكرمون والآيات بعدها، ونزل في إعجاب المشركين بقول ابن الزبعرى: ولما ضرب ابن مريم مثلا إذا قومك منه يصدون، وقالوا أآلهتنا خير أم هو، ما ضربوه لك إلا جدلا بل هم قوم خصمون، وهذا الجدل الذي سلكوه باطل وهم يعلمون ذلك لأنهم قوم عرب ومن لغتهم أن ما لما لا يعقل، فقوله: إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم إنما أراد بذلك ما كانوا يعبدونه من الأحجار التي كانت صور أصنام، ولا يتناول ذلك الملائكة الذين زعموا أنهم يعبدونهم في هذه الصور، ولا المسيح ولا عزيرا ولا أحدا من الصالحين، لأن اللفظ لا يتناولهم لا لفظا ولا معنى، فهم يعلمون أن ما ضربوه من المثل لعيسى جدل باطل كما قال الله تعالى: ما ضربوه لك إلا جدلا بل هم قوم خصمون. ثم قال: إن هو إلا عبد أنعمنا عليه وجعلناه مثلا لبني إسرائيل، أي دليلا على تمام قدرتنا على ما نشاء حيث خلقناه من ذكر بلا أنثى، وخلقنا آدم لا من هذا ولا من هذا، وخلقنا سائر بني آدم من ذكر وأنثى، كما قال في الآية الأخرى: ولنجعله آية للناس، أي أمارة ودليلا على قدرتنا الباهرة ورحمة منا نرحم بها من نشاء. وذكر ابن إسحاق الأخنس بن شريق ونزول قوله تعالى فيه: ولا تطع كل حلاف مهين الآيات، وذكر الوليد بن المغيرة حيث قال: أينزل على محمد وأترك وأنا كبير قريش وسيدها، ويترك أبو مسعود عمرو بن عمير الثقفي سيد ثقيف، فنحن عظيما القريتين، ونزول قوله تعالى فيه: وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم والتي بعدها، وذكر أبي بن خلف حين قال لعقبة بن أبي معيط: ألم يبلغني أنك جالست محمدا وسمعت منه؟ وجهي من وجهك حرام إلا أن تتفل في وجهه، ففعل ذلك عدو الله عقبة، فأنزل الله: ويوم يعض الظالم على يديه يقول يا ليتني اتخذت مع الرسول سبيلا، يا ويلتى ليتني لم أتخذ فلانا خليلا، والتي بعدها. قال: ومشى

من أنثى بلا ذكر وقد خلقنا حواء

أبي بن خلف بعظم بال قد ارم فقال يا محمد أنت تزعم أن الله يبعث هذا بعد ما أرم ثم
فته بيده ثم نفخه في الريح نحو رسول الله فقال نعم أنا أقول ذلك يبعثه الله وإياك بعد
ما تكونان هكذا ثم يدخلك النار وأنزل الله وضرب لنا مثلا ونسي خلقه قال من يحيي العظام
وهي رميم قل يحييها الذي أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم والآيات بعدها قال
واعترض رسول الله فيما بلغني وهو يطوف عند باب الكعبة الأسود بن المطلب والوليد بن
المغيرة وأمية بن خلف والعاص بن وائل فقالوا يا محمد هلم فلنعبد ما تعبد وتعبد ما نعبد
فنشترك نحن وأنت في الأمر فأنزل الله فيهم قل يا أيها الكافرون الخ ولما سمع أبو جهل بشجرة الزقوم
قال أتدرون ما الزقوم هو تمر يثرب بالزبد ثم قال هلموا فلنتزقمها فأنزل الله إن شجرة
الزقوم طعام الأثيم قال ووقف الوليد بن المغيرة فكلم رسول الله ورسول الله يكلمه وقد طمع
في إسلامه فمر به ابن أم مكتوم عاتكة بنت عبد الله بن عنكثة الأعمى فكلم رسول الله وجعل
يستقرئه القرآن فشق ذلك عليه حتى أضجره وذلك أنه شغله عما كان فيه من أمر الوليد وما
طمع فيه من إسلامه فلما أكثر عليه انصرف عنه عابسا وتركه فأنزل الله عز وجل عبس وتولى أن
جاءه الأعمى إلى قوله مرفوعة مطهرة وقد قيل إن الذي كان يحدث رسول الله صلى الله عليه
وسلم حين جاءه ابن أم مكتوم أمية بن خلف والله أعلم ثم ذكر ابن إسحاق من عاد من مهاجرة الحبشة
إلى مكة وذلك حين بلغهم إسلام أهل مكة وكان النقل ليس بصحيح ولكن كان له سبب وهو ما ثبت
في الصحيح وغيره أن رسول الله صلى الله عليه وسلم جلس يوما مع المشركين وأنزل الله عز وجل
عليه سورة النجم إذا هوى يقرؤها عليهم حتى ختمها وسجد فسجد من هناك من المسلمين والمشركين
والجن والإنس وكان لذلك سبب ذكره كثير من المفسرين عند قوله تعالى وما أرسلنا قبلك من رسول
ولا نبي إلا إذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته فينسخ الله ما يلقي الشيطان ثم يحكم الله آياته وذكروا
قصة الغرانيق وقد أحببنا الإضراب عن ذكرها صفحا لئلا يسمعها من لا يضعها على مواضعها
إلا أن أصل القصة في الصحيح قال البخاري ثنا أبو معمر ثنا عبد الوارث ثنا أيوب عن عكرمة
عن ابن عباس قال سجد النبي صلى الله عليه وسلم بالنجم وسجد معه المسلمون والمشركون والجن والإنس
انفرد به البخاري دون مسلم وقال البخاري ثنا محمد بن بشار ثنا غندر ثنا شعبة عن أبي إسحاق
سمعت الأسود عن عبد الله قال قرأ النبي صلى الله عليه وسلم النجم بمكة فسجد فيها وسجد من
معه غير شيخ أخذ كفا من حصى أو تراب فرفعه إلى جبهته وقال يكفيني هذا فرأيته بعد قتل كافرا
ورواه مسلم وأبو داود والنسائي من حديث شعبة وقال الإمام أحمد ثنا إبراهيم ثنا رباح
عن معمر عن ابن طاوس عن عكرمة بن خالد عن جعفر بن المطلب بن أبي وداعة عن أبيه قال
قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة سورة النجم فسجد وسجد من عنده فرفعت رأسي وأبيت
أن أسجد ولم يكن أسلم يومئذ المطلب فكان بعد ذلك لا يسمع أحدا يقرؤها إلا سجد معه وقد
رواه النسائي عن عبد الملك بن عبد الحميد عن أحمد بن حنبل به وقد يجمع بين هذا والذي قبله
بأن هذا سجد ولكنه رفع رأسه استكبارا وذاك الشيخ الذي استثناه ابن مسعود لم يسجد
بالكلية والله أعلم والمقصود أن الناقل لما رأى المشركين قد سجدوا متابعة لرسول الله صلى
الله عليه وسلم اعتقد أنهم قد أسلموا واصطلحوا معه ولم يبق نزاع بينهم فطار الخبر بذلك
وانتشر حتى بلغ مهاجرة الحبشة بها فظنوا صحة ذلك فأقبل منهم طائفة طامعين بذلك
وثبتت جماعة وكلاهما محسن مصيب فيما فعل فذكر ابن إسحاق أسماء من رجع منهم عثمان بن عفان

وامرأته

وامرأته رقية بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة وامرأته
سهلة بنت سهيل وعبد الله بن جحش بن رئاب وعتبة بن غزوان والزبير بن العوام ومصعب بن
عمير وسويبط بن سعد وطليب بن عمير وعبد الرحمن بن عوف والمقداد بن عمرو وعبد الله بن
مسعود وأبو سلمة بن عبد الأسد وامرأته أم سلمة وشماس بن عثمان وسلمة بن هشام وعياش
بن أبي ربيعة وقد حبسا بمكة حتى مضت بدر وأحد والخندق وعمار بن ياسر وهو ممن يشك فيه
أخرج إلى الحبشة أم لا ومعتب بن عوف وعثمان بن مظعون وابنه السائب وأخواه قدامة وعبد
الله ابنا مظعون وخنيس بن حذافة وهشام بن العاص بن وائل وقد حبس بمكة إلى بعد الخندق
وعامر بن ربيعة وامرأته ليلى بنت أبي حثمة وعبد الله بن مخرمة وعبد الله بن سهيل بن عمرو وقد
حبس حين كان يوم بدر فانحاز إلى المسلمين فشهد معهم بدرا وأبو سبرة بن أبي رهم وامرأته أم كلثوم
بنت سهيل والسكران بن عمرو بن عبد شمس وامرأته سودة بنت زمعة وقد مات بمكة قبل الهجرة
وخلف على امرأته رسول الله صلى الله عليه وسلم وسعد بن خولة وأبو عبيدة بن الجراح وعمرو بن
الحارث بن زهير وعمرو بن أبي سرح فجميعهم ثلاثة وثلاثون رجلا رضي الله عنهم وقال البخاري باب هجرة
الحبشة وقالت عائشة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أريت دار هجرتكم ذات نخل بين لابتين
فهاجر من هاجر قبل المدينة ورجع عامة من كان هاجر إلى الحبشة إلى المدينة فيه عن أبي موسى وأسماء
رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم وقد تقدم حديث أبي موسى وهو في الصحيحين وسيأتي
حديث أسماء بنت عميس بعد فتح خيبر حين قدم من كان تأخر من مهاجرة الحبشة بها إن شاء الله
وبه الثقة وقال البخاري حدثنا يحيى بن حماد ثنا أبو عوانة عن سليمان عن إبراهيم عن علقمة
عن عبد الله قال كنا نسلم على النبي صلى الله عليه وسلم وهو يصلي فيرد علينا فلما رجعنا من عند
النجاشي سلمنا عليه فلم يرد علينا فقلنا يا رسول الله إنا كنا نسلم عليك فترد علينا قال
إن في الصلاة شغلا وقد رواه البخاري أيضا ومسلم وأبو داود والنسائي من طرق أخر عن
سليمان بن مهران الأعمش به وهو يقوي تأويل من تأول حديث زيد بن أرقم الثابت في الصحيحين
كنا نتكلم في الصلاة حتى نزل قوله وقوموا لله قانتين فأمرنا بالسكوت ونهينا عن الكلام
على أن المراد جنس الصحابة فإن زيدا أنصاري مدني وتحريم الكلام في الصلاة ثبت بمكة فتعين
الحمل على ما تقدم وأما ذكره الآية وهي مدنية فمشكل ولعله اعتقد أنها المحرمة لذلك
وإنما كان المحرم له غيرها معها والله أعلم قال ابن إسحاق فكان ممن دخل بجوار عثمان بن عفان
في جوار الوليد بن المغيرة وأبو سلمة بن عبد الأسد في جوار خاله أبي طالب فإن أمه برة بنت عبد
المطلب فأما عثمان بن مظعون فإنه رأى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من البلاء وهو يغدو
ويروح في أمان من الوليد بن المغيرة قال والله إن غدوي ورواحي آمنا في جوار رجل من أهل الشرك
وأصحابي وأهل ديني يلقون من البلاء والأذى في الله ما لا يصيبني لنقص كثير في نفسي فمشى إلى
الوليد بن المغيرة فقال له يا أبا عبد شمس وفت ذمتك قد رددت إليك جوارك قال
لم يا ابن أخي لعله آذاك أحد من قومي قال لا ولكني أرضى بجوار الله عز وجل ولا أريد أن أستجير بغيره
قال فانطلق إلى المسجد فاردد علي جواري علانية كما أجرتك علانية قال فانطلقا فخرجا حتى أتيا
المسجد فقال الوليد هذا عثمان قد جاء يرد علي جواري قال صدق قد وجدته وفيا كريم
الجوار ولكني قد أحببت أن لا أستجير بغير الله فقد رددت عليه جواره ثم انصرف عثمان رضي
الله عنه ولبيد بن ربيعة بن مالك بن جعفر بن كلاب بمجلس من قريش ينشدهم فجلس معهم

وسهيل بن بيضاء

فلما رجعنا من عند النجاشي لم يرد علينا

قال صالح بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف فحدثني من حدثه عن عثمان
قال لما رأى عثمان بن مظعون

عثمان فقال لبيد ألا كل شيء ما خلا الله باطل فقال عثمان صدقت قال لبيد
وكل نعيم لا محالة زائل قال عثمان كذبت نعيم الجنة لا يزول فقال لبيد يا معشر قريش والله
ما كان يؤذى جليسكم فمتى حدث هذا فيكم فقال رجل من القوم إن هذا سفيه في سفهاء معه قد فارقوا
ديننا فلا تجدن في نفسك من قوله فرد عليه عثمان حتى سرى أمرهما فقام إليه ذلك الرجل فلطم
عينه فخضرها والوليد بن المغيرة قريب يرى ما بلغ عثمان فقال أما والله يا ابن أخي إن كانت عينك
عما أصابها لغنية ولقد كنت في ذمة منيعة قال يقول عثمان بلى والله إن عيني الصحيحة
لفقيرة إلى مثل ما أصاب أختها في الله وإني لفي جوار من هو أعز منك وأقدر يا أبا عبد شمس
فقال له الوليد هلم يا ابن أخي إن شئت إلى جوارك فعد قال لا قال ابن إسحاق وأما أبو سلمة
بن عبد الأسد فحدثني أبي إسحاق بن يسار عن سلمة بن عبد الله بن عمر بن أبي سلمة أنه حدثه أن أبا
سلمة لما استجار بأبي طالب مشى إليه رجال من بني مخزوم فقالوا يا أبا طالب هذا منعت منا
ابن أخيك محمدا فما لك ولصاحبنا تمنعه منا قال إنه استجار بي وهو ابن أختي وإن أنا لم أمنع ابن
أختي فقام أبو لهب فقال يا معشر قريش والله لقد أكثرتم على هذا الشيخ ما زلتم توثبون
عليه في جواره من بين قومه والله لتنتهن أو لنقومن معه في كل ما قام فيه حتى يبلغ ما أراد
قال فقالوا بل ننصرف عما تكره يا أبا عتبة وكان لهم وليا وناصرا على رسول الله صلى الله عليه وسلم
فأبقوا على ذلك فطمع فيه أبو طالب حين سمعه يقول ما يقول ورجا أن يقوم معه في شأن رسول
الله صلى الله عليه وسلم فقال أبو طالب يحرض أبا لهب على نصرته ونصرة رسول الله صلى الله
عليه وسلم

إن امرأ أبو عتيبة عمه ● لفي روضة ما إن يسام المظالما
أقول له وأين منه نصيحتي ● أبا معتب ثبت سوادك قائما
ولا تقبلن الدهر ما عشت خطة ● تسب بها إما هبطت المواسما
وول سبيل العجز غيرك منهم ● فإنك لم تخلق على العجز لازما
وحارب فإن الحرب نصف ولن ترى ● أخا الحرب يعطي الخسف حتى يسالما
وكيف ولم يجنوا عليك عظيمة ● ولم يخذلوك غانما أو مغارما
جزى الله عنا عبد شمس ونوفلا ● وتيما ومخزوما عقوقا ومأثما
بتفريقهم من بعد ود وألفة ● جماعتنا كيما ينالوا المحارما
كذبتم وبيت الله نبزى محمدا ● ولما تروا يوما لدى الشعب قائما

قال ابن هشام وبقي منها بيت تركناه

ذكر عزم الصديق على الهجرة إلى الحبشة

قال ابن إسحاق وقد كان أبو بكر الصديق كما حدثني محمد بن مسلم الزهري عن عروة عن عائشة
حين ضاقت عليه مكة وأصابه فيها الأذى ورأى من تظاهر قريش على رسول الله صلى الله عليه وسلم
وأصحابه ما رأى استأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم في الهجرة فأذن له فخرج أبو بكر من مكة مهاجرا
حتى إذا سار من مكة يوما أو يومين لقيه ابن الدغنة أخو بني الحارث بن بكر بن عبد مناة بن كنانة
وهو يومئذ سيد الأحابيش قال الواقدي اسمه الحارث بن يزيد أحد بني بكر بن عبد مناة بن كنانة
وقال السهيلي اسمه مالك فقال ابن الدغنة أين يا أبا بكر قال أخرجني قومي وآذوني وضيقوا علي قال
ولم فوالله إنك لتزين العشيرة وتعين على النوائب وتفعل المعروف وتكسب المعدوم ارجع فإنك

في جواري فرجع معه حتى إذا دخل مكة قام معه ابن الدغنة فقال يا معشر قريش إني قد أجرت ابن
أبي قحافة فلا يعرضن له أحد إلا بخير قالت فكفوا عنه قالت وكان لأبي بكر مسجد عند باب داره
في بني جمح فكان يصلي فيه وكان رجلا رقيقا إذا قرأ القرآن استبكى قالت فيقف عليه الصبيان
والعبيد والنساء يعجبون لما يرون من هيئته قالت فمشى رجال من قريش إلى ابن الدغنة
فقالوا يا ابن الدغنة إنك لم تجر هذا الرجل ليؤذينا إنه رجل إذا صلى وقرأ ما جاء به محمد يرق
وكانت له هيئة ونحو فنحن نتخوف على صبياننا ونسائنا وضعفائنا أن يفتنهم فأته
فمره أن يدخل بيته فليصنع فيه ما شاء قالت فمشى ابن الدغنة إليه فقال يا أبا بكر إني
لم أجرك لتؤذي قومك إنهم قد كرهوا مكانك الذي أنت به وتأذوا بذلك منك فادخل بيتك فاصنع
فيه ما أحببت قال أو لا أرد عليك جوارك وأرضى بجوار الله قال فاردد علي جواري قال قد رددته
عليك قال فقام ابن الدغنة فقال يا معشر قريش إن ابن أبي قحافة قد رد علي جواري فشأنكم
بصاحبكم وقد روى الإمام البخاري هذا الحديث منفردا به وفيه زيادة حسنة فقال
حدثنا يحيى بن بكير حدثنا الليث عن عقيل قال ابن شهاب فأخبرني عروة بن الزبير أن
عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم قالت لم أعقل أبوي قط إلا وهما يدينان الدين ولم
يمر علينا يوم إلا يأتينا فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم طرفي النهار بكرة وعشية فلما ابتلي
المسلمون خرج أبو بكر مهاجرا نحو أرض الحبشة حتى إذا بلغ برك الغماد لقيه ابن الدغنة وهو سيد
القارة فقال أين تريد يا أبا بكر فقال أبو بكر أخرجني قومي فأريد أن أسيح في الأرض فأعبد
ربي فقال ابن الدغنة فإن مثلك يا أبا بكر لا يخرج ولا يخرج إنك تكسب المعدوم وتصل الرحم
وتحمل الكل وتقري الضيف وتعين على نوائب الحق فأنا لك جار ارجع فاعبد ربك ببلدك
فرجع وارتحل معه ابن الدغنة وطاف ابن الدغنة عشية في أشراف قريش فقال لهم إن أبا بكر
لا يخرج مثله ولا يخرج أتخرجون رجلا يكسب المعدوم ويصل الرحم ويحمل الكل ويقري الضيف ويعين
على نوائب الحق فلم تكذب قريش بجوار ابن الدغنة وقالوا لابن الدغنة مر أبا بكر فليعبد ربه في داره
وليصل فيها وليقرأ ما شاء ولا يؤذينا بذلك ولا يستعلن به فإنا نخشى أن يفتن نساءنا وأبناءنا
فقال ذلك ابن الدغنة لأبي بكر فلبث أبو بكر بذلك يعبد ربه في داره ولا يستعلن بصلاته
ولا يقرأ في غير داره ثم بدا لأبي بكر فابتنى مسجدا بفناء داره وكان يصلي فيه ويقرأ القرآن
فيتقذف نساء المشركين وأبناؤهم يعجبون منه وينظرون إليه وكان أبو بكر رجلا بكاء لا يملك
عينيه إذا قرأ القرآن فأفزع ذلك أشراف قريش من المشركين فأرسلوا إلى ابن الدغنة فقدم
عليهم فقالوا إنا كنا أجرنا أبا بكر بجوارك على أن يعبد ربه في داره فقد جاوز ذلك فابتنى
مسجدا بفناء داره فأعلن بالصلاة فيه والقراءة فيه وإنا قد خشينا أن يفتن أبناءنا ونساءنا
فانهه فإن أحب أن يقتصر على أن يعبد ربه في داره فعل وإن أبى إلا أن يعلن ذلك فسله
أن يرد إليك ذمتك فإنا قد كرهنا أن نخفرك ولسنا مقرين لأبي بكر الاستعلان قالت عائشة
فأتى ابن الدغنة إلى أبي بكر فقال قد علمت الذي قد عاقدت لك عليه فإما أن تقتصر على ذلك
وإما أن ترد إلي ذمتي فإني لا أحب أن تسمع العرب أني أخفرت في رجل عقدت له فقال أبو بكر
فإني أرد إليك جوارك وأرضى بجوار الله عز وجل ثم ذكر تمام الحديث في هجرة أبي بكر رضي الله
عنه مع رسول الله صلى الله عليه وسلم كما سيأتي مبسوطا قال ابن إسحاق وحدثني عبد
الرحمن بن القاسم عن أبيه القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق قال لقيه يعني أبا بكر رضي

الله عنه حين خرج من جوار ابن الدغنة سفيه من سفهاء قريش وهو عامد الى الكعبة فحثى على
راسه ترابا فمر بابي بكر الوليد بن المغيرة او العاص بن وائل فقال له ابو بكر الا ترى ما يصنع هذا
السفيه قال انت فعلته بنفسك وهو يقول اي رب ما احلمك اي رب ما احلمك اي رب ما احلمك

فصل كل هذه القصص ذكرها ابن اسحاق معترضا بها بين تعاقد قريش على بني
هاشم وبني المطلب وكتابتهم عليهم الصحيفة الظالمة وحصرهم اياهم في الشعب وبين نقض
الصحيفة وما كان من امرها وهي امور مناسبة لهذا الوقت ولهذا قال الشافعي رحمه الله من اراد المغازي
فهو عيال على ابن اسحاق

ذكر نقض الصحيفة

قال ابن اسحاق هذا وبنو
هاشم وبنو المطلب في منزلهم الذي تعاقدت فيه قريش عليهم في الصحيفة التي كتبوها ثم انه قام
في نقض الصحيفة نفر من قريش ولم يبل فيها احد احسن من بلاء هشام بن عمرو بن الحرث بن حبيب
ابن نصر بن مالك بن حسل بن عامر بن لوي وذلك انه كان ابن اخي نضلة بن هاشم بن عبد مناف
لامه وكان هشام لبني هاشم واصلا وكان ذا شرف في قومه فكان فيما بلغني ياتي بالبعير وبنو
هاشم وبنو المطلب في الشعب ليلا قد اوقره طعاما حتى اذا بلغ به فم الشعب خلع خطامه من
راسه ثم ضرب على جنبه فيدخل الشعب عليهم ثم ياتي به قد اوقره برا فيفعل به مثل ذلك ثم
انه مشى الى زهير بن ابي امية بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم وكانت امه عاتكة بنت عبد
المطلب فقال يا زهير قد رضيت ان تاكل الطعام وتلبس الثياب وتنكح النساء واخوالك
حيث قد علمت لا يباعون ولا يبتاع منهم ولا ينكحون ولا ينكح اليهم اما اني احلف بالله لو كانوا اخوال
ابي الحكم بن هشام ثم دعوته الى مثل ما دعاك اليه منهم ما اجابك اليه ابدا قال ويحك يا هشام
فماذا اصنع انما انا رجل واحد والله لو كان معي رجل اخر لقمت في نقضها حتى انقضها قال
قد وجدت رجلا قال من هو قال انا فقال له زهير ابغنا ثالثا فذهب الى المطعم بن
عدي فقال له يا مطعم اقد رضيت ان يهلك بطنان من بني عبد مناف وانت شاهد على
ذلك موافق لقريش فيه اما والله لئن امكنتموهم من هذه لتجدنهم اليها منكم سراعا قال ويحك
فماذا اصنع انما انا رجل واحد قال قد وجدت لك ثانيا قال من قال انا قال ابغنا ثالثا قال
قال قد فعلت قال من هو قال زهير بن ابي امية قال ابغنا رابعا فذهب الى ابي البختري بن هشام
فقال له نحوا مما قال للمطعم بن عدي فقال وهل من احد يعين على هذا قال نعم قال تجده
من هو قال زهير بن ابي امية والمطعم بن عدي وانا معك قال ابغنا خامسا فذهب الى زمعة
بن الاسود بن المطلب بن اسد فكلمه وذكر له قرابتهم وحقهم فقال له وهل على هذا الامر الذي تدعوني
اليه من احد قال نعم ثم سمى له القوم فاتعدوا خطم الحجون ليلا باعلى مكة فاجتمعوا هنالك فاجمعوا
امرهم وتعاقدوا على القيام في الصحيفة حتى ينقضوها وقال زهير انا ابدؤكم فاكون اول من
يتكلم فلما اصبحوا غدوا الى انديتهم وغدا زهير بن ابي امية عليه حلة فطاف بالبيت سبعا
ثم اقبل على الناس فقال يا اهل مكة انأكل الطعام ونلبس الثياب وبنو هاشم هلكى لا يباعون
ولا يبتاع منهم والله لا اقعد حتى تشق هذه الصحيفة القاطعة الظالمة قال ابو جهل وكان
في ناحية المسجد والله لا تشق قال زمعة بن الاسود انت والله اكذب ما رضينا كتابها حيث
كتبت قال ابو البختري صدق زمعة لا نرضى ما كتب فيها ولا نقر به قال المطعم بن عدي صدقتما
وكذب من قال غير ذلك نبرأ الى الله منها ومما كتب فيها قال هشام بن عمرو نحوا من ذلك قال
ابو جهل هذا امر قضي بليل تشوور فيه بغير هذا المكان وابو طالب جالس في ناحية المسجد وقام

المطعم

المطعم بن عدي الى الصحيفة ليشقها فوجد الارضة قد اكلتها الا باسمك اللهم وكان كاتب
الصحيفة منصور بن عكرمة فشلت يده فيما يزعمون قال ابن هشام وذكر بعض اهل العلم
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لابي طالب يا عم ان الله قد سلط الارضة على صحيفة
قريش فلم تدع فيها اسما هو لله الا اثبتته فيها ونفت منها الظلم والقطيعة والبهتان
فقال أربك اخبرك بهذا قال نعم قال فوالله ما يدخل عليك احد ثم خرج الى قريش فقال
يا معشر قريش ان ابن اخي اخبرني بكذا وكذا فهلم صحيفتكم فان كانت كما قال فانتهوا عن قطيعتنا
وانزلوا عنها وان كان كاذبا دفعت اليكم ابن اخي فقال القوم قد رضينا فتعاقدوا على
ذلك ثم نظروا فاذا هي كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فزادهم ذلك شرا فعند ذلك
صنع الرهط من قريش في نقض الصحيفة ما صنعوا قال ابن هشام فلما مزقت وبطل
ما فيها قال ابو طالب فيما كان من امر اولئك القوم الذين قاموا في نقض الصحيفة يمدحهم

الا هل اتى بحرينا صنع ربنا • على نايهم والله بالناس ارود
فيخبرهم ان الصحيفة مزقت • وان كل ما لم يرضه الله مفسد
تراوحها افك وسحر مجمع • ولم يلف سحر اخر الدهر يصعد
تداعى لها من ليس فيها بقرقر • فطائرها في راسها يتردد
وكانت كفاء وقعة بأثيمة • ليقطع منها ساعد ومقلد
ويظعن اهل المكتين فيهربوا • فرائصهم من خشية الشر ترعد
ويترك حراث يقلب امره • أيتهم فيهم عند ذاك وينجد
فمن ينش من حضار مكة عزه • فعزتنا في بطن مكة اتلد
نشأنا بها والناس فيها قلائل • فلم ننفكك نزداد خيرا ونحمد
ونطعم حتى يترك الناس فضلهم • اذا جعلت ايدي المفيضين ترعد
جزى الله رهطا بالحجون تتابعوا • على ملأ يهدي لحزم ويرشد
قعودا لدى خطم الحجون كانهم • مقاولة بل هم اعز وامجد
اعان عليها كل صقر كانه • اذا ما مشى في رفرف الدرع احرد
جريء على جل الخطوب كانه • شهاب بكفي قابس يتوقد
من الاكرمين من لؤي بن غالب • اذا سيم خسفا وجهه يتربد
طويل النجاد خارج نصف ساقه • على وجهه يسقى الغمام ويسعد
عظيم الرماد سيد وابن سيد • يحض على مقري الضيوف ويحشد
ويبني لابناء العشيرة صالحا • اذا نحن طفنا في البلاد ويمهد
الظ بهذا الصلح كل مبرأ • عظيم اللواء امره ثم يحمد
قضوا ما قضوا في ليلهم ثم اصبحوا • على مهل وسائر الناس رقد
هم رجعوا سهل بن بيضاء راضيا • وسر ابو بكر بها ومحمد
متى شرك الاقوام في جل امرنا • وكنا قديما قبلها نتودد
وكنا قديما لا نقر ظلامة • وندرك ما شئنا ولا نتشدد
فيا لقصي هل لكم في نفوسكم • وهل لكم فيما يجيء به غد
فاني واياكم كما قال قائل • لديك البيان لو تكلمت اسود

قال السهيلي أسود اسم رجل جبل قتل به قتيل لم يعرف قاتله فقالت أولياء المقتول
هذا الديك البيان لو تكلمت أسود أي يا أسود لو تكلمت لأبنت لنا عمن قتله ثم ذكر ابن
إسحاق شعر حسان يمدح المطعم بن عدي وهشام بن عمرو لقيامهما في نقض الصحيفة
الظالمة الفاجرة الغاشمة وقد ذكر الأموي ههنا أشعارا كثيرة اكتفينا بما أورده ابن
إسحاق وقال الواقدي سألت محمد بن صالح وعبد الرحمن بن عبد العزيز متى خرج بنو
هاشم من الشعب قالا في السنة العاشرة يعني من البعثة قبل الهجرة بثلاث سنين
قلت وفي هذه السنة بعد خروجهم توفي أبو طالب عم رسول الله صلى الله عليه وسلم
وزوجته خديجة بنت خويلد رضي الله عنها كما سيأتي بيان ذلك إن شاء
الله **فصل** وقد ذكر محمد بن إسحاق رح بعد إبطال الصحيفة قصصا كثيرة
تتضمن نصب عداوة قريش لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتنفير أحياء العرب
والقادمين إلى مكة لحج أو عمرة أو غير ذلك منه وإظهار الله المعجزات على يديه دلالة على
صدقه فيما جاءهم به من البينات والهدى وتكذيبا لهم فيما يرمونه به من البغي والعدوان
والمكر والخداع ويرمونه به من الجنون والسحر والكهانة والتقول والله غالب على أمره
فذكر قصة الطفيل بن عمرو الدوسي مرسلة وكان سيدا مطاعا شريفا في دوس وكان
قد قدم مكة فاجتمع به أشراف قريش وحذروه من رسول الله ونهوه أن يجتمع به أو يسمع
كلامه قال فوالله ما زالوا بي حتى أجمعت أن لا أسمع منه شيئا ولا أكلمه حتى حشوت
في أذني حين غدوت إلى المسجد كرسفا فرقا من أن يبلغني شيء من قوله وأنا لا أريد أن أسمعه — حاشية وهو القطن
قال فغدوت إلى المسجد فإذا رسول الله قائم يصلي عند الكعبة قال
فقمت منه قريبا فأبى الله إلا أن يسمعني بعض قوله قال فسمعت كلاما حسنا قال
فقلت في نفسي واثكل أمي والله إني لرجل لبيب شاعر ما يخفى علي الحسن من القبيح
فما يمنعني أن أسمع من هذا الرجل ما يقول فإن كان الذي يأتي به حسنا قبلته وإن كان قبيحا
تركته قال فمكثت حتى انصرف رسول الله إلى بيته فاتبعته حتى إذا دخل بيته دخلت
عليه فقلت يا محمد إن قومك قد قالوا لي كذا وكذا للذي قالوا فوالله ما برحوا يخو
فونني أمرك حتى سددت أذني بكرسف لئلا أسمع قولك ثم أبى الله إلا أن يسمعني قولك
فسمعت قولا حسنا فاعرض علي أمرك قال فعرض علي رسول الله الإسلام وتلا علي القرآن
فوالله ما سمعت قولا قط أحسن منه ولا أمرا أعدل منه قال فأسلمت وشهدت شهادة
الحق وقلت يا نبي الله إني امرؤ مطاع في قومي وأنا راجع إليهم وداعيهم إلى الإسلام فادع
الله تعالى أن يجعل لي آية تكون لي عونا عليهم فيما أدعوهم إليه فقال اللهم اجعل
له آية قال فخرجت إلى قومي حتى إذا كنت بثنية تطلعني على الحاضر وقع نور بين عيني مثل
المصباح قال قلت اللهم في غير وجهي فإني أخشى أن يظنوا أنها مثلة وقعت في وجهي
لفراق دينهم قال فتحول فوقع في رأس سوطي قال فجعل الحاضر يتراءون ذلك النور في
سوطي كالقنديل المعلق وأنا أهبط عليهم من الثنية حتى جئتهم فأصبحت فيهم فلما نزلت
أتاني أبي وكان شيخا كبيرا فقلت إليك عني يا أبة فلست منك ولست مني قال لم يا بني
قال قد أسلمت وتابعت دين محمد صلى الله عليه وسلم قال أي بني فديني دينك فقلت — قلت
فاذهب فاغتسل وطهر ثيابك ثم تعال حتى أعلمك مما علمت قال فذهب فاغتسل وطهر

ثيابه قال ثم جاء فعرضت عليه الإسلام فأسلم قال ثم أتتني صاحبتي فقلت إليك عني
فلست منك ولست مني قالت لم بأبي أنت وأمي قال قلت فرق بيني وبينك الإسلام وتابعت
دين محمد قالت فديني دينك قال قلت فاذهبي إلى حنا ذي الشرى فتطهري منه وكان ذو
الشرى صنما لدوس وكان الحمى حمى حوله به وشل من ماء يهبط من جبل قال فقالت بأبي أنت وأمي
أتخشى على الصبية من ذي الشرى شيئا قال قلت لا أنا ضامن لذلك قال فذهبت
فاغتسلت ثم جاءت فعرضت عليها الإسلام فأسلمت ثم دعوت دوسا إلى الإسلام فأبطأوا
علي ثم جئت رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة فقلت يا رسول الله إنه قد غلبني على
دوس الزنا فادع الله عليهم قال اللهم اهد دوسا فارجع إلى قومك فادعهم وارفق بهم
قال فلم أزل بأرض دوس أدعوهم إلى الإسلام حتى هاجر رسول الله إلى المدينة ومضى بدر
وأحد والخندق ثم قدمت على رسول الله بمن أسلم معي من قومي ورسول الله صلى الله عليه وسلم
بخيبر حتى نزلت المدينة بسبعين أو ثمانين بيتا من دوس فلحقنا برسول الله بخيبر
فأسهم لنا مع المسلمين ثم لم أزل مع رسول الله حتى إذا فتح الله عليه مكة قلت يا رسول
الله ابعثني إلى ذي الكفين صنم عمرو بن حممة حتى أحرقه قال ابن إسحاق فخرج إليه فجعل
الطفيل وهو يوقد عليه النار يقول

يا ذا الكفين لست من عبادكا ... ميلادنا أقدم من ميلادكا
أنا حشوت النار في فؤادكا

قال ثم رجع إلى رسول الله فكان معه بالمدينة
حتى قبض الله رسوله صلى الله عليه وسلم فلما ارتدت العرب خرج الطفيل مع المسلمين
فسار معهم حتى فرغوا من طليحة ومن أرض نجد كلها ثم سار مع المسلمين إلى اليمامة ومعه
ابنه عمرو بن الطفيل فرأى رؤيا وهو متوجه إلى اليمامة فقال لأصحابه إني قد رأيت رؤيا فاعبروها
لي رأيت أن رأسي حلق وأنه خرج من فمي طائر وأنه لقيتني امرأة فأدخلتني في فرجها وأرى ابني
يطلبني طلبا حثيثا ثم رأيته حبس عني قالوا خيرا قال أما أنا والله فقد أولتها
قالوا ماذا قال أما حلق رأسي فوضعه وأما الطائر الذي خرج من فمي فروحي وأما المرأة
التي أدخلتني في فرجها فالأرض تحفر لي فأغيب فيها وأما طلب ابني إياي ثم حبسه عني
فإني أراه سيجهد أن يصيبه ما أصابني فقتل رح شهيدا باليمامة وجرح ابنه جراحة
شديدة ثم استبل منها ثم قتل عام اليرموك زمن عمر شهيدا هكذا ذكر محمد بن إسحاق قصة
الطفيل بن عمرو مرسلة بلا إسناد ولخبره شاهد في الصحيح قال الإمام أحمد ثنا وكيع
ثنا سفيان عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة قال لما قدم الطفيل وأصحابه
على النبي صلى الله عليه وسلم قال إن دوسا قد استعصت قال اللهم اهد دوسا
وائت بهم ورواه البخاري عن أبي نعيم عن سفيان الثوري به وقال الإمام أحمد ثنا يزيد
ثنا محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة قال قدم الطفيل بن عمرو الدوسي وأصحابه فقالوا
يا رسول الله إن دوسا قد عصت وأبت فادع الله عليها قال أبو هريرة فرفع رسول الله
صلى الله عليه وسلم يديه فقلت هلكت دوس فقال اللهم اهد دوسا وائت بهم إسناده
جيد ولم يخرجوه وقال الإمام أحمد ثنا سليمان بن حرب ثنا حماد بن زيد عن حجاج الصواف
عن أبي الزبير عن جابر أن الطفيل بن عمرو الدوسي أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول
الله هل لك في حصن حصين ومنعة قال حصن كان لدوس في الجاهلية فأبى ذلك رسول

الله صلى الله عليه وسلم للذي ذخر الله للأنصار فلما هاجر النبي صلى الله عليه وسلم إلى المدينة
هاجر إليه الطفيل بن عمرو وهاجر معه رجل من قومه فاجتووا المدينة فمرض فجزع فأخذ مشاقص
فقطع بها براجمه فشخبت يداه حتى مات فرآه الطفيل بن عمرو في منامه في هيئة حسنة فارق الدم م
ورآه مغطيا يديه فقال له ما صنع بك ربك فقال غفر لي بهجرتي إلى نبيه فقال ما لي أراك
مغطيا يديك قال قيل لي لن يصلح منك ما أفسدت قال فقصها الطفيل على رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم وليديه فاغفر رواه مسلم
عن أبي بكر بن أبي شيبة وإسحاق بن إبراهيم كلاهما عن سليمان بن حرب به فإن قيل فما الجمع
بين هذا الحديث وبين ما ثبت في الصحيحين من طريق الحسن عن جندب قال قال رسول الله جندب م
كان ممن كان قبلكم رجل به جرح فجزع فأخذ سكينا فحز بها يده فما رقأ الدم حتى مات فقال
الله عز وجل عبدي بادرني بنفسه حرمت عليه الجنة فالجواب من وجوه أحدها أنه قد يكون
ذاك مشركا وهذا مؤمن ويكون قد جعل هذا الصنيع سببا مستقلا في دخوله النار وإن كان
شركه مستقلا إلا أنه نبه على هذا لتعتبر أمته الثاني قد يكون هذا ذاك عالما بالتحريم
وهذا غير عالم لحداثة عهده بالإسلام الثالث قد يكون ذاك فعله مستحلا وهذا لم يكن
مستحلا بل مخطئا الرابع قد يكون أراد ذاك بصنيعه المذكور أن يقتل نفسه بخلاف هذا
فإنه يجوز أنه لم يقصد قتل نفسه وإنما أراد غير ذلك الخامس قد يكون قليل الحسنات
فلم يقاوم كبر ذنبه المذكور فدخل النار وهذا قد يكون كثير الحسنات فقاومت ذلك الذنب فلم
يلج النار بل غفر له بالهجرة إلى نبيه عليه السلام ولكن بقي الشين في يده فقط وحسنت
هيئته سائره فغطى الشين منه فلما رآه الطفيل بن عمرو مغطيا يديه قال له ما لك قال قيل
لي لن يصلح منك ما أفسدت فلما قصها الطفيل على رسول الله دعا له فقال اللهم وليديه
فاغفر أي فأصلح منهما ما كان فاسدا والتحقيق أن الله عز وجل استجاب لرسوله صلى الله عليه
وسلم في صاحب الطفيل بن عمرو

قصة أعشى بن قيس بن ثعلبة

قال ابن هشام حدثني خلاد بن قرة بن خالد السدوسي وغيره من مشايخ بكر بن وائل من أهل
العلم أن أعشى بن قيس بن ثعلبة بن عكابة بن صعب بن علي بن بكر بن وائل خرج إلى رسول الله
صلى الله عليه وسلم يريد الإسلام فقال يمدح رسول الله صلى الله عليه وسلم

ألم تغتمض عيناك ليلة أرمدا ۝ وبت كما بات السليم مسهدا
وما ذاك من عشق النساء وإنما ۝ تناسيت قبل اليوم خلة مهددا
ولكن أرى الدهر الذي هو خائن ۝ إذا أصلحت كفاي عاد فأفسدا
كهولا وشبانا فقدت وثروة ۝ فلله هذا الدهر كيف ترددا
وما زلت أبغي المال مذ أنا يافع ۝ وليدا وكهلا حين شبت وأمردا
وأبتذل العيس المراقيل تغتلي ۝ مسافة ما بين النجير فصرخدا
ألا أيهذا السائلي أين يممت ۝ فإن لها في أهل يثرب موعدا
فإن تسألي عني فيا رب سائل ۝ حفي عن الأعشى به حيث أصعدا
أجدت برجليها النجاء وراجعت ۝ يداها خنافا لينا غير أحردا
وفيها إذا ما هجرت عجرفية ۝ إذا خلت حرباء الظهيرة أصيدا

وآليت لا آوي لها من كلالة ۝ ولا من حفى حتى تلاقي محمدا
متى ما تناخي عند باب ابن هاشم ۝ تراحي وتلقي من فواضله ندا
نبيا يرى ما لا ترون وذكره ۝ أغار لعمري في البلاد وأنجدا
له صدقات ما تغب ونائل ۝ وليس عطاء اليوم مانعه غدا
أجدك لم تسمع وصاة محمد ۝ نبي الإله حين أوصى وأشهدا
إذا أنت لم ترحل بزاد من التقى ۝ ولاقيت بعد الموت من قد تزودا
ندمت على أن لا تكون كمثله ۝ فترصد للأمر الذي كان أرصدا
فإياك والميتات لا تقربنها ۝ ولا تأخذن سهما حديدا لتفصدا
وذا النصب المنصوب لا تنسكنه ۝ ولا تعبد الأوثان والله فاعبدا
ولا تقربن حرة كان سرها ۝ عليك حراما فانكحن أو تأبدا
وذا الرحم القربى فلا تقطعنه ۝ لعاقبة ولا الأسير المقيدا
وسبح على حين العشيات والضحى ۝ ولا تحمد الشيطان والله فاحمدا
ولا تسخرن من بائس ذي ضرارة ۝ ولا تحسبن المال للمرء مخلدا

قال ابن هشام فلما كان بمكة أو قريبا منها اعترضه بعض المشركين فسأله عن أمره فأخبره أنه
جاء يريد رسول الله صلى الله عليه وسلم ليسلم فقال له يا أبا بصير إنه يحرم الزنا قال الأعشى
والله إن ذلك لأمر ما لي فيه من أرب فقال يا أبا بصير إنه يحرم الخمر فقال الأعشى أما هذه فوالله إن
في النفس منها لعلالات ولكني منصرف فأتروى منها عامي هذا ثم آتيه فأسلم فانصرف فمات
في عامه ذلك ولم يعد إلى النبي صلى الله عليه وسلم هكذا أورد ابن هشام هذه القصة ها هنا
وهو كثير المؤاخذات لمحمد بن إسحاق رح وهذا مما يؤاخذ به ابن هشام رح فإن الخمر إنما حرمت في المدينة
بعد وقعة بني النضير كما سيأتي بيانه فالظاهر أن عزم الأعشى على القدوم للإسلام إنما كان
بعد الهجرة وفي شعره ما يدل على ذلك وهو قوله

ألا أيهذا السائلي أين يممت ۝ فإن لها في أهل يثرب موعدا

فكان الأنسب والأليق بابن هشام أن يؤخر ذكر هذه القصة إلى ما بعد الهجرة ولا يوردها ها هنا
والله أعلم وقال السهيلي وهذا غفلة من ابن هشام ومن تابعه فإن الناس مجمعون على أن الخمر
لم ينزل تحريمها إلا بالمدينة بعد أحد قال وقد قيل إن القائل للأعشى هو أبو جهل بن هشام
في دار عتبة بن ربيعة وذكر أبو عبيدة أن القائل له ذلك هو عامر بن الطفيل في بلاد قيس
وهو مقبل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال وقوله ثم آتيه فأسلم لا يخرجه عن كفره بلا
خلاف والله أعلم ثم ذكر ابن إسحاق ها هنا قصة الإراشي وكيف استعدى إلى رسول الله صلى الله
عليه وسلم من أبي جهل في ثمن الجمل الذي ابتاعه وكيف أذل الله أبا جهل وأرغم أنفه حتى أعطاه
ثمنه في الساعة الراهنة وقد قدمنا ذلك في ابتداء الوحي وما كان من أذية المشركين عند ذلك

قصة مصارعة ركانة وكيف أراه الشجرة التي دعاها فأقبلت

قال ابن إسحاق وحدثني أبي إسحاق بن يسار قال وكان ركانة بن عبد يزيد بن هاشم
بن المطلب بن عبد مناف أشد قريش فخلا يوما برسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض شعاب
مكة فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم يا ركانة ألا تتقي الله وتقبل ما أدعوك إليه
قال إني لو أعلم أن الذي تقول حق لاتبعتك فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم أفرأيت إن

صرعتك اتعلم ان ما اقول حق قال نعم قال فقم حتى اصارعك قال فقام ركانة اليه فصارعه
فلما بطش به رسول الله صلى الله عليه وسلم اضجعه لا يملك من نفسه شيئا ثم قال عد يا محمد
فعاد فصرعه فقال يا محمد ان هذا للعجب اتصرعني قال واعجب من ذلك ان شئت ان اريكه والله
ان اتقيت الله واتبعت امري قال وما هو قال ادعو لك هذه الشجرة التي ترى فتاتيني قال
ادعها فدعاها فاقبلت حتى وقفت بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال
لها ارجعي الى مكانك فرجعت الى مكانها قال فذهب ركانة الى قومه فقال يا بني عبد مناف
ساحروا بصاحبكم اهل الارض فوالله ما رايت اسحر منه قط ثم اخبرهم بالذي راى والذي صنع
هكذا روى ابن اسحاق هذه القصة مرسلة بهذا البيان وقد روى ابو داود والترمذي من
حديث ابي الحسن العسقلاني عن ابي جعفر بن محمد بن ركانة عن ابيه ان ركانة صارع النبي
صلى الله عليه وسلم فصرعه النبي صلى الله عليه وسلم قال الترمذي غريب ولا نعرف ابا الحسن
ولا ابن ركانة **قلت** وقد روى ابو بكر الشافعي باسناد جيد عن ابن عباس ان يزيد بن
ركانة صارع النبي صلى الله عليه وسلم ثلاث مرات فصرعه ثلاث مرات كل مرة على مائة من
الغنم فلما كان في الثالثة قال يا محمد ما وضع ظهري الى الارض احد غيرك وما كان احد ابغض
الي منك وانا اشهد ان لا اله الا الله وانك رسول الله فقام عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم
ورد عليه غنمه واما قصة دعائه الشجرة فاقبلت فسياتي في كتاب دلائل النبوة بعد
السيرة من طرق جيدة صحيحة في مرات متعددة ان شاء الله وبه الثقة وقد تقدم عن ابي
الاسدين انه صارع النبي صلى الله عليه وسلم فصرعه رسول الله ثم ذكر ابن اسحاق قصة قدوم
النصارى من اهل الحبشة نحوا من عشرين راكبا الى مكة فاسلموا عن اخرهم وقد تقدم ذلك بعد
قصة النجاشي ولله الحمد والمنة قال ابن اسحاق وكان رسول الله اذا جلس في المسجد يجلس اليه
المستضعفون من اصحابه خباب وعمار وابو فكيهة يسار مولى صفوان بن امية وصهيب واشباههم
من المسلمين هزئت بهم قريش وقال بعضهم لبعض هؤلاء اصحابه كما ترون اهؤلاء من الله
عليهم من بيننا بالهدى ودين الحق لو كان ما جاء به محمد خيرا ما سبقنا هؤلاء اليه وما خصهم
الله به دوننا فانزل الله فيهم ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه
ما عليك من حسابهم من شيء وما من حسابك عليهم من شيء فتطردهم فتكون من الظالمين وكذلك
فتنا بعضهم ببعض ليقولوا اهؤلاء من الله عليهم من بيننا اليس الله باعلم بالشاكرين واذا
جاءك الذين يؤمنون باياتنا فقل سلام عليكم كتب ربكم على نفسه الرحمة انه من عمل منكم سوءا بجهالة
ثم تاب من بعده واصلح فانه غفور رحيم قال وكان رسول الله كثيرا ما يجلس عند المروة
الى مبيعة غلام نصراني يقال له جبر عبد لبني الحضرمي فكانوا يقولون والله ما يعلم محمدا كثيرا مما
ياتي به الا جبر فانزل الله في ذلك من قولهم انما يعلمه بشر لسان الذي يلحدون اليه اعجمي وهذا
لسان عربي مبين ثم ذكر نزول سورة الكوثر في العاص بن وائل حين قال عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم انه ابتر اي لا عقب له فاذا مات انقطع ذكره فقال الله ان شانئك هو الابتر
اي المقطوع الذكر بعده ولو خلف الوفا من النسل والذرية وليس الذكر والصيت ولسان الصدق
بكثرة الاولاد والانسال والعقب وقد تكلمنا على هذه السورة في التفسير ولله الحمد وقد
روي عن ابي جعفر الباقر ان العاص بن وائل انما قال ذلك حين مات القاسم ابن النبي صلى الله
عليه وسلم وكان قد بلغ ان يركب الدابة ويسير على النجيبة ثم ذكر نزول قوله وقالوا لولا انزل عليه

ملك ولو انزلنا ملكا لقضي الامر وذلك بسبب قول ابي بن خلف وزمعة بن الاسود والعاص
بن وائل والنضر بن الحرث لولا انزل عليه ملك يكلم عنك الناس قال ابن اسحاق ومر رسول الله
صلى الله عليه وسلم فيما بلغنا بالوليد بن المغيرة وامية بن خلف وابي جهل بن هشام فهمزوه
واستهزءوا به فغاظه ذلك فانزل الله في ذلك من امرهم ولقد استهزئ برسل من قبلك فحاق بالذين
سخروا منهم ما كانوا به يستهزءون وقال تعالى ولقد استهزئ برسل من قبلك فصبروا على ما كذبوا
واوذوا حتى اتاهم نصرنا ولا مبدل لكلمات الله ولقد جاءك من نبإ المرسلين وقال تعالى انا كفيناك
المستهزئين قال سفيان عن جعفر بن اياس عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال المستهزءون
الوليد بن المغيرة والاسود بن عبد يغوث الزهري والاسود بن المطلب ابو زمعة والحرث بن
عيطل السهمي والعاص بن وائل فاتاه جبريل فشكاهم اليه رسول الله فاراه الوليد فاشار
جبريل الى اكحله وقال كفيته ثم اراه الاسود بن المطلب فاوما الى عنقه وقال كفيته ثم اراه الاسود
بن عبد يغوث فاوما الى راسه وقال كفيته ثم اراه الحرث بن عيطل فاومى الى بطنه وقال كفيته
ومر به العاص فاومى الى اخمصه وقال كفيته فاما الوليد فمر برجل من خزاعة وهو يريش نبلا
له فاصاب اكحله فقطعها واما الاسود بن المطلب فعمي وكان سبب ذلك انه نزل تحت سمرة فجعل
يقول يا بني الا تدفعون عني قد قتلت فيقولون ما نرى شيئا وجعل يقول يا بني الا تمنعون عني قد هلكت
ها هوذا الطعن بالشوك في عيني فجعلوا يقولون ما نرى شيئا فلم يزل كذلك حتى عميت عيناه
واما الاسود بن عبد يغوث فخرج في راسه قروح فمات منها واما الحرث بن عيطل فاخذه الماء الاصفر
في بطنه حتى خرج خرؤه من فيه فمات منها واما العاص بن وائل فبينما هو كذلك يوما اذ دخل
في راسه شبرقة حتى امتلات منها فمات منها وقال غيره في هذا الحديث فركب الى الطائف على حمار
فربض به على شبرقة يعني شوكة فدخلت في اخمص قدمه شوكة فقتلته رواه البيهقي بنحو
من هذا السياق وقال ابن اسحاق وكان عظماء المستهزئين كما حدثني يزيد بن رومان عن عروة
ابن الزبير خمسة نفر وكانوا ذوي اسنان وشرف في قومهم الاسود بن المطلب ابو زمعة
دعا عليه رسول الله فقال اللهم اعم بصره واثكله ولده والاسود بن عبد يغوث والوليد
بن المغيرة والعاص بن وائل والحرث بن الطلاطلة وذكر ان الله عز وجل انزل فيهم فاصدع بما
تؤمر واعرض عن المشركين انا كفيناك المستهزئين وذكر ان جبريل اتى رسول الله صلى الله عليه
وسلم وهم يطوفون بالبيت فقام وقام رسول الله الى جنبه فمر به الاسود بن المطلب فرمى في وجهه
بورقة خضراء فعمي ومر به الاسود بن عبد يغوث فاشار الى بطنه فاستسقى بطنه فمات منه حبنا
ومر به الوليد بن المغيرة فاشار الى اثر جرح كان باسفل كعبه كان اصابه قبل ذلك بسنين
من مروره برجل يريش نبلا له من خزاعة فتعلق سهم بازاره فخدشه خدشا يسيرا فانتقض
به بعد ذلك فمات ومر به العاص بن وائل فاشار الى اخمص رجله فخرج على حمار له يريد الطائف
فربض به على شبرقة فدخلت في اخمص رجله شوكة فقتلته ومر به الحرث بن الطلاطلة فاشار الى
راسه فامتخض قيحا فقتله ثم ذكر ابن اسحاق ان الوليد بن المغيرة لما حضره الموت اوصى بنيه
الثلاثة وهم خالد وهشام والوليد فقال لهم اي بني اوصيكم بثلاث دمي في خزاعة فلا تطلوه
والله اني لاعلم انهم منه براء ولكني اخشى ان تسبوا به بعد اليوم وربائي في ثقيف فلا تدعوه
حتى تاخذوه وعقري عند ابي ازيهر الدوسي فلا يفوتنكم به وكان ابو ازيهر قد زوج الوليد بنتا
له ثم امسكها عنه فلم يدخلها عليه حتى مات وكان قد قبض عقرها منه وهو صداقها فلما مات

الوليد ووثبت بنو مخزوم على خزاعة فطلك يطلبون منهم عقل الوليد وقالوا انما قتله
سهم صاحبكم فابت عليهم خزاعة حتى تقاولوا اشعارا وغلظ بينهم الامر ثم اعطتهم خزاعة بعض ذلك
العقل واصطلحوا وتحاجزوا قال ابن اسحاق ثم عدا هشام بن الوليد على ابي ازيهر وهو بسوق
ذي المجاز فقتله وكان شريفا في قومه وكانت ابنته تحت ابي سفيان وذلك بعد بدر فعمد
يزيد بن ابي سفيان فجمع الناس لبني مخزوم وكان ابوه غايبا فلما جا ابو سفيان غاظه ما صنع
ابنه يزيد فلامه على ذلك وضربه وودى ابا ازيهر وقال لابنه اعمدت الى ان تقتل قريش بعضها
بعضا في رجل من دوس وكتب حسان بن ثابت قصيدة له يحرض ابا سفيان في دم ابي ازيهر
فقال بيس ما ظن حسان ان يقتل بعضنا بعضا وقد ذهب اشرافنا يوم بدر ولما اسلم خالد بن
الوليد وشهد الطايف مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ساله في ربا ابيه من اهل الطايف
قال ابن اسحاق فذكر لي بعض اهل العلم ان هولاء الايات نزلن في ذلك يا ايها الذين امنوا اتقوا
الله وذروا ما بقي من الربا ان كنتم مومنين وما بعدها قال ابن اسحاق فلم يكن في ابي ازيهر
ثار نعلمه حتى حجز الاسلام بين الناس الا ان ضرار بن الخطاب بن مرداس الاسلمي خرج في نفر من قريش
الى ارض دوس فنزلوا على امراة يقال لها ام غيلان مولاة لدوس وكانت تمشط النسا وتجهز
العرايس فارادت دوس قتلهم بابي ازيهر فقامت دونهم ام غيلان ونسوة كن معها حتى منعتهم
قال السهيلي يقال انها ادخلته بين درعها وبدنها قال ابن هشام فلما كانت ايام عمر
بن الخطاب اتته ام غيلان وهي ترى ان ضرارا اخوه فقال لها عمر لست باخيه الا في الاسلام وقد عرفت
منتك عليه فاعطاها على انها بنت سبيل قال ابن هشام وكان ضرار بن الخطاب لحق عمر بن
الخطاب يوم احد فجعل يضربه بعرض الرمح ويقول انج يا ابن الخطاب لا اقتلك فكان عمر يعرفها له
بعد الاسلام رضي الله عنهما **فصل** وقد ذكر البيهقي دعاء النبي صلى الله عليه وسلم
على قريش حين استعصت عليه بسبع كسبع يوسف واورد ما اخرجاه في الصحيحين من طريق
الاعمش عن مسلم بن صبيح عن مسروق عن ابن مسعود قال خمس مضين اللزام والروم والدخان
والبطشة والقمر وفي رواية عن ابن مسعود قال ان قريشا لما استعصت على رسول الله وابطوا
عن الاسلام قال اللهم اعني عليهم بسبع كسبع يوسف قال فاصابتهم سنة حتى حصت كل شي
حتى اكلوا الجيف والميتة حتى ان احدهم كان يرى ما بينه وبين السما كهيية الدخان من الجوع ثم
دعا فكشف الله ذلك عنهم ثم قرا عبد الله هذه الاية انا كاشفوا العذاب قليلا انكم عايدون قال
فعادوا فكفروا فاخروا الى يوم القيامة او قال فاخروا الى يوم بدر قال عبد الله ان ذلك لو كان
يوم القيامة كان لا يكشف عنهم يوم نبطش البطشة الكبرى انا منتقمون قال يوم بدر وفي رواية
عنه قال لما راى رسول الله من الناس ادبارا قال اللهم سبع كسبع يوسف فاخذتهم سنة حتى اكلوا
الميتة والجلود والعظام فجاه ابو سفيان وناس من اهل مكة فقالوا يا محمد انك تزعم انك بعثت
رحمة وان قومك قد هلكوا فادع الله لهم فدعا رسول الله فسقوا الغيث فاطبقت عليهم
سبعا فشكى الناس كثرة المطر فقال اللهم حوالينا ولا علينا فانحدر السحاب عن راسه فسقى
الناس حولهم قال لقد مضت اية الدخان وهو الجوع الذي اصابهم وذلك قوله انا كاشفوا العذاب
قليلا انكم عايدون واية الروم والبطشة الكبرى وانشقاق القمر وذلك كله يوم بدر قال
البيهقي يريد والله اعلم البطشة الكبرى والدخان واية اللزام كلها حصلت ببدر قال
وقد اشار البخاري الى هذه الرواية ثم اورد من طريق عبد الرزاق عن معمر عن ايوب عن عكرمة عن ابن عباس

قال

قال جا ابو سفيان الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يستغيث من الجوع لانهم لم يجدوا شيا حتى
اكلوا العلهز بالدم فانزل الله ولقد اخذناهم بالعذاب فما استكانوا لربهم وما يتضرعون قال
فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى فرج عنهم ثم قال الحافظ البيهقي وقد روي في قصة
ابي سفيان ما دل على ان ذلك كان بعد الهجرة ولعله كان مرتين والله اعلم **فصل**
ثم اورد البيهقي قصة فارس والروم ونزول قوله تعالى الم غلبت الروم في ادنى الارض وهم من
بعد غلبهم سيغلبون في بضع سنين لله الامر من قبل ومن بعد ويوميذ يفرح المومنون بنصر
الله ينصر من يشا وهو العزيز الرحيم ثم روي من طريق سفيان الثوري عن حبيب بن ابي عمرة
عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال كان المسلمون يحبون ان يظهر الروم على فارس لانهم اهل كتاب
وكان المشركون يحبون ان تظهر فارس على الروم لانهم اهل اوثان فذكر ذلك المسلمون لابي بكر فذكره
ابو بكر للنبي صلى الله عليه وسلم فقال اما انهم سيظهرون فذكر ابو بكر ذلك للمشركين فقالوا اجعل
بيننا وبينكم اجلا ان ظهروا كان لنا كذا وكذا وان ظهرنا كان لنا كذا وكذا فذكر ذلك ابو بكر للنبي
صلى الله عليه وسلم فقال الا جعلته اراه قال دون العشر قال فظهرت الروم بعد ذلك وقد
اوردنا طرق هذا الحديث في التفسير وذكرنا ان المناحب اي المراهن لابي بكر امية بن خلف وان
الرهن كان على خمس قلايص وانه كان الى مدة فزاد فيها الصديق عن امر رسول الله صلى الله
عليه وسلم وفي الرهن وان غلبة الروم على فارس كان يوم بدر وقيل يوم الحديبية والله اعلم
ثم روي من طريق الوليد بن مسلم حدثنا اسيد الكلابي انه سمع العلا بن الزبير الكلابي يحدث
عن ابيه قال رايت غلبة فارس الروم ثم رايت غلبة الروم فارس ثم رايت غلبة المسلمين
فارس والروم وظهورهم على الشام والعراق كل ذلك في خمس عشرة سنة

فصل في اسرا رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة الى بيت المقدس ثم عروجه من هناك الى السموات وما راه هناك من الايات

ذكر ابن عساكر احاديث الاسرا في اوايل البعثة واما ابن اسحاق فذكرها في هذا الموطن بعد
البعثة بنحو عشر سنين وروى البيهقي من طريق موسى بن عقبة عن الزهري انه قال اسري برسول
الله صلى الله عليه وسلم قبل خروجه الى المدينة بسنة قال وكذلك ذكره ابن لهيعة عن ابي
الاسود عن عروة ثم روى عن الحاكم عن الاصم عن احمد بن عبد الجبار عن يونس بن بكير عن اسباط
بن نصر عن اسماعيل السدي انه قال فرض على رسول الله الخمس ببيت المقدس ليلة اسري به قبل
مهاجره بستة عشر شهرا فعلى قول السدي يكون الاسرا في شهر ذي القعدة وعلى قول الزهري
وعروة يكون في ربيع الاول وقال ابو بكر بن ابي شيبة ثنا عثمان عن سعيد بن مينا عن جابر وابن
عباس قالا ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الفيل يوم الاثنين الثاني عشر من ربيع
الاول وفيه بعث وفيه عرج به الى السما وفيه هاجر وفيه مات فيه انقطاع وقد ورد في
حديث لا يصح سنده ذكرناه في فضايل شهر رجب ان الاسرا كان ليلة السابع والعشرين من
رجب وقد اختاره الحافظ عبد الغني بن سرور المقدسي في سيرته والله اعلم ومن الناس من
زعم ان الاسرا كان اول ليلة جمعة من شهر رجب وهي ليلة الرغايب التي احدثت فيها الصلاة
المشهورة ولا اصل لذلك والله اعلم وينشد بعضهم في ذلك ليلة الجمعة عرج بالنبي ليلة
الجمعة اول ليلة رجب وهذا الشعر عليه ركاكة وانما ذكرناه استشهادا لمن يقول به وقد

ذكرنا الاحاديث الواردة في ذلك مستقصاة عند قوله تعالى سبحان الذي اسرى بعبده ليلا
من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى الذي باركنا حوله لنريه من اياتنا انه هو السميع البصير فليكتب
من هناك على ما هو عليه من الاسانيد والعزو والكلام عليها ومعها ففيها مقنع وكفاية ولله
الحمد والمنة ولنذكر ملخص كلام ابن اسحاق فانه قال بعدما ذكر ما تقدم من الفصول ثم اسري برسول
الله صلى الله عليه وسلم من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى وهو بيت المقدس من ايليا وقد فشا الاسلام
بمكة في قريش وفي القبايل كلها قال وكان من الحديث فيما بلغني عن مسراه صلى الله عليه وسلم عن
ابن مسعود وابي سعيد وعايشة ومعاوية وام هاني بنت ابي طالب رضي الله عنهم والحسن بن
ابي الحسن وابن شهاب الزهري وقتادة وغيرهم من اهل العلم ما اجتمع في هذا الحديث كل يحدث عنه
بعض ما ذكر في مسراه وكان في مسراه صلى الله عليه وسلم وما ذكر منه بلاء وتمحيص وامر من امر الله في
قدرته وسلطانه فيه عبرة لاولي الالباب وهدى ورحمة وثبات لمن امن وصدق وكان من امر
الله على يقين فاسرى به كيف شا كما شاء ليريه من اياته ما اراد حتى عاين ما عاين من امره وسلطانه
العظيم وقدرته التي يصنع بها ما يريد فكان عبد الله بن مسعود فيما بلغني يقول اتي رسول
الله بالبراق وهو الدابة التي كان يحمل عليها الانبيا قبله تضع حافرها في منتهى طرفها فحمل عليها ثم
خرج به صاحبه يرى الايات فيما بين السما والارض حتى انتهى الى بيت المقدس فوجد فيه ابراهيم
وموسى وعيسى في نفر من الانبيا قد جمعوا له فصلى بهم ثم اتي بثلاثة انية من لبن وخمر وماء فذكر
انه شرب انا اللبن فقال لي جبريل هديت وهديت امتك وذكر ابن اسحاق في سياق الحسن البصري
مرسلا ان جبريل ايقظه ثم خرج به الى باب المسجد الحرام فاركبه البراق وهو دابة ابيض بين البغل
والحمار وفي فخذيه جناحان يحفز بهما رجليه يضع حافره في منتهى طرفه ثم حملني عليه ثم خرج معي
لا يفوتني ولا افوته قلت وفي الحديث وهو عن قتادة فيما ذكره ابن اسحاق ان رسول الله لما
اراد ركوب البراق شمس فوضع جبريل يده على معرفته ثم قال الا تستحيي يا براق مما تصنع
فوالله ما ركبك عبد لله قبل محمد اكرم عليه منه قال فاستحيا حتى ارفض عرقا ثم قر حتى ركبته
قال الحسن في حديثه فمضى رسول الله ومضى معه جبريل حتى انتهى به الى بيت المقدس فوجد
فيه ابراهيم وموسى وعيسى في نفر من الانبيا فامهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فصلى بهم ثم
ذكر اختياره انا اللبن على انا الخمر وقول جبريل له هديت وهديت امتك وحرمت عليكم الخمر
ثم انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم الى مكة فاصبح يخبر قريشا بذلك فذكر انه كذبه اكثر الناس
وارتدت طائفة بعد اسلامها وبادر الصديق الى التصديق وقال اني لاصدقه في خبر السما
بكرة وعشية افلا اصدقه في بيت المقدس وذكر ان الصديق سأله عن صفة بيت المقدس فذكرها
له رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فيومئذ سمي ابو بكر الصديق قال الحسن وانزل الله في ذلك
وما جعلنا الرؤيا التي اريناك الا فتنة للناس الاية وذكر ابن اسحاق فيما بلغه عن ام هاني انها قالت
ما اسري برسول الله صلى الله عليه وسلم الا من بيتي نام عندي تلك الليلة بعدما صلى العشا
الاخرة فلما كان قبيل الفجر اهبنا فلما صلى الصبح وصلينا معه قال يا ام هاني لقد صليت
معكم العشا الاخرة في هذا الوادي ثم جئت بيت المقدس فصليت فيه ثم صليت الغداة
معكم الان كما ترين ثم قام ليخرج فاخذت بطرف ردائه فقلت يا نبي الله لا تحدث بهذا الحديث
الناس فيكذبوك ويؤذوك قال والله لاحدثنهموه فاخبرهم فكذبوه فقال واية ذلك اني
مررت بعير بني فلان بوادي كذا وكذا فانفرهم حس الدابة فند لهم بعير فدللتهم عليه وانا موجه

الى الشام

الى الشام ثم اقبلت حتى اذا كنت بضجنان مررت بعير بني فلان فوجدت القوم نياما ولهم
انا فيه ماء قد غطوا عليه بشي فكشفت غطاءه وشربت ما فيه ثم غطيت عليه كما كان واية
ذلك ان عيرهم يصوب الان من ثنية التنعيم البيضاء يقدمها جمل اورق عليه غرارتان احداهما
سوداء والاخرى برقاء قالت فابتدر القوم الثنية فلم يلقهم اول من الجمل كما وصف لهم وسالوهم
عن الانا وعن البعير فاخبروهم كما ذكر صلوات الله وسلامه عليه وذكر يونس بن بكير عن اسباط عن
اسماعيل السدي ان الشمس كادت ان تغرب قبل ان يقدم ذلك العير فدعا الله عز وجل فحبسها
حتى قدموا كما وصف لهم قال فلم تحتبس الشمس على احد الا عليه ذلك اليوم وعلى يوشع بن
نون رواه البيهقي قال ابن اسحاق واخبرني من لا اتهم عن ابي سعيد قال سمعت رسول الله صلى
الله عليه وسلم يقول لما فرغت مما كان في بيت المقدس اتي بالمعراج ولم ار قط شيا احسن منه وهو
الذي يمد اليه ميتكم عينيه اذا حضر فاصعدني فيه صاحبي حتى انتهى الى باب من ابواب السما يقال له
باب الحفظة عليه ملك من الملايكة يقال له اسماعيل تحت يده اثنا عشر الف ملك تحت
يد كل ملك منهم اثنا عشر الف ملك قال يقول رسول الله اذا حدث بهذا الحديث وما يعلم
جنود ربك الا هو ثم ذكر بقية الحديث وهو مطول جدا وقد سقناه باسناده ولفظه بكماله في
التفسير وتكلمنا عليه فانه من غرائب الاحاديث وفي اسناده ضعف وكذا في سياق حديث ام
هاني فان الثابت في الصحيحين من رواية شريك بن ابي نمر عن انس ان الاسرا كان من المسجد
من عند الحجر وفي سياقه غرابة ايضا من وجوه قد تكلمنا عليها هناك ومنها قوله وذلك قبل
ان يوحى اليه والجواب ان مجيهم اول مرة كان قبل ان يوحى اليه وكانت تلك الليلة ولم يكن فيها شي
ثم جاءه الملايكة ليلة اخرى ولم يقل في ذلك وذلك قبل ان يوحى اليه بل جاءوه بعدما اوحي اليه
فكان الاسرا قطعا بعد الايحا اما بقليل كما زعمه طائفة او بكثير نحو من عشر سنين كما زعمه
اخرون وهو الاظهر وغسل صدره تلك الليلة قبل الاسرا غسلا ثانيا او ثالثا على قول
لانه مطلوب الى الملا الاعلى والحضرة الالهية ثم ركب البراق رفعة له وتعظيما وتكريما فلما جا
بيت المقدس ربطه بالحلقة التي كانت يربطها الانبيا ثم دخل بيت المقدس فصلى في قبلته
تحية المسجد وانكر حذيفة رضي الله عنه دخوله الى بيت المقدس وربطه الدابة وصلاته فيه
وهذا غريب والنص المثبت مقدم على النافي ثم اختلفوا في اجتماعه بالانبيا وصلاته بهم
اكان قبل عروجه الى السما كما دل عليه ما تقدم او بعد نزوله منها كما دل عليه بعض السياقات
وهو انسب لما سنذكره على قولين والله اعلم وقيل ان صلاته بالانبيا كانت في السما وهكذا
تخييره من الانية اللبن والخمر والماء هل كانت ببيت المقدس كما تقدم او في السما كما ثبت في
الحديث الصحيح والمقصود انه عليه السلام لما فرغ من امر بيت المقدس نصب له المعراج
وهو السلم فصعد فيه الى السما ولم يكن الصعود على البراق كما قد يتوهمه بعض الناس بل كان
مربوطا على باب مسجد بيت المقدس ليرجع عليه الى مكة فصعد من سما الى سما في المعراج حتى
جاوز السابعة وكلما جاء سما تلقاه فيها مقربوها ومن فيها من اكابر الملايكة والانبيا وذكر اعيان
من راه من المرسلين كادم في سما الدنيا ويحيى وعيسى في الثانية وادريس في الرابعة وموسى في
السادسة على الصحيح وابراهيم في السابعة مسندا ظهره الى البيت المعمور الذي يدخله كل يوم
سبعون الفا من الملايكة يتعبدون فيه صلاة وطوافا ثم لا يعودون اليه الى يوم القيمة ثم
جاوز مراتبهم كلهم حتى ظهر لمستوى يسمع فيه صريف الاقلام ورفع لرسول الله صلى الله عليه وسلم

سدرة المنتهى واذا ورقها كآذان الفيلة ونبقها كقلال هجر وغشيها عند ذلك امور عظيمة
الوان متعددة باهرة وركبتها الملائكة مثل الغربان على الشجرة كثرة وفراش من ذهب وغشيها
نور الرب جل جلاله ورأى هناك جبريل عليه السلام له ستمائة جناح ما بين كل جناحين
كما بين السماء والارض وهو الذي يقول الله تعالى ولقد رآه نزلة اخرى عند سدرة المنتهى
عندها جنة المأوى اذ يغشى السدرة ما يغشى ما زاغ البصر وما طغى اي ما زاغ يمينا ولا
شمالا ولا ارتفع عن المكان الذي حد له النظر اليه وهذا هو الثبات العظيم والادب الكريم
وهذه الرؤية الثانية لجبريل على الصفة التي خلقه الله عليها كما نقله ابن مسعود وابو هريرة
وابو ذر وعائشة رضي الله عنهم اجمعين والاولى قوله تعالى علمه شديد القوى ذو مرة
فاستوى وهو بالافق الاعلى ثم دنا فتدلى فكان قاب قوسين او ادنى فاوحى الى عبده ما اوحى وكان
ذلك بالابطح تدلى جبريل على رسول الله صلى الله عليه وسلم سادا عظم خلقه ما بين السماء
والارض حتى كان بينه وبينه قاب قوسين او ادنى هذا هو الصحيح في التفسير كما دل عليه كلام
اكابر الصحابة المتقدم ذكرهم رضي الله عنهم فاما قول شريك عن انس في حديث الاسرا ثم دنا الجبار
رب العزة فتدلى فكان قاب قوسين او ادنى فقد يكون من فهم الراوي فاقحمه في الحديث والله اعلم
وان كان محفوظا فليس بتفسير للاية الكريمة بل هو شيء اخر غير ما دلت عليه الاية الكريمة والله اعلم
وفرض الله سبحانه على عبده محمد وعلى امته الصلوات ليلتئذ خمسين صلاة في كل يوم وليلة
ثم لم يزل يختلف بين موسى وبين ربه عز وجل حتى وضعها الرب جل جلاله وله الحمد والمنة
الى خمس وقال هي خمس وهي خمسون الحسنة بعشر امثالها فحصل له التكليم من ربه عز وجل
ليلتئذ وائمة السنة كالمطبقين على هذا واختلفوا في الرؤية فقال بعضهم رآه بفؤاده
مرتين قاله ابن عباس وطائفة واطلق ابن عباس وغيره الرؤية وهو محمول على التقييد
وممن اطلق الرؤية ابو هريرة واحمد بن حنبل وصرح بعضهم بالرؤية بالعينين واختاره ابن
جرير وبالغ فيه وتبعه على ذلك اخرون من المتأخرين وممن نص على الرؤية بعيني رأسه الشيخ
ابو الحسن الاشعري فيما نقله السهيلي عنه واختاره الشيخ ابو زكريا النواوي في فتاويه
وقالت طائفة لم يقع ذلك لحديث ابي ذر في صحيح مسلم قلت يا رسول الله هل رأيت ربك فقال
نور انى اراه وفي رواية رأيت نورا قالوا ولم يكن رؤية الباقي بالعين الفانية ولهذا قال
تعالى لموسى فيما روي في بعض الكتب الالهية يا موسى انه لن يراني حي الا مات ولا يابس الا تدهده
والخلاف في هذه المسألة مشهورة بين السلف والخلف والله اعلم ثم هبط رسول
الله صلى الله عليه وسلم الى بيت المقدس والظاهر ان الانبياء هبطوا معه تكريما له وتعظيما
عند رجوعه من الحضرة الالهية العظيمة كما هي عادة الوافدين لا يجتمعون باحد قبل الذي
طلبوا اليه ولهذا كان كلما مر على واحد منهم يقول لجبريل عندما يتقدم لذلك السلام عليه
هذا فلان فسلم عليه فلو كان قد اجتمع بهم قبل صعوده لما احتاج الى تعرف بهم مرة ثانية ومما
يدل على ذلك انه قال فلما حانت الصلاة اممتهم ولم يحن وقت اذ ذاك الا الفجر فتقدمهم
اماما بهم عن امر جبريل فيما يرويه عن ربه عز وجل فاستفاد بعضهم منه ان الامام الاعظم
يقدم في الامامة على رب المنزل حيث كان بيت المقدس محلتهم ودار اقامتهم ثم خرج منه فركب
البراق وعاد الى مكة فاصبح بها وهو في غاية الثبات والسكينة والوقار وقد عاين في تلك الليلة
من الايات والامور التي لو رآها او بعضها غيره لاصبح مندهشا او طائش العقل ولكنه صلى الله

اختلفوا في رؤية النبي صلى الله عليه وسلم ربه ليلة الاسرا

عليه وسلم

عليه وسلم اصبح واجما اي ساكنا يخشى ان بدأ فاخبر قومه بما رأى ان يبادروا الى تكذيبه
فتلطف في اخبارهم اولا بانه جاء بيت المقدس في هذه الليلة وذلك ان ابا جهل لعنه الله
رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم في المسجد الحرام وهو جالس واجم فقال له هل من خبر
قال نعم فقال وما هو قال اني اسري بي الليلة الى بيت المقدس قال الى بيت المقدس قال نعم
قال أرأيت ان دعوت قومك لك اتخبرهم بما اخبرتني به قال نعم فاراد ابو جهل جمع قريش
ليسمعوا منه ذلك واراد رسول الله صلى الله عليه وسلم جمعهم ليخبرهم ذلك ويبلغهم
فقال ابو جهل هيا معشر قريش فاجتمعوا من انديتهم فقال اخبر قومك بما اخبرتني به فقص
عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم خبر ما رأى وانه جاء بيت المقدس هذه الليلة وصلى فيه
فمن بين مصفق ومن بين مصفر تكذيبا له واستبعادا لخبره وطار الخبر بمكة وجاء الناس
الى ابي بكر رضي الله عنه فاخبروه ان محمدا يقول كذا وكذا فقال انكم تكذبون عليه فقالوا والله
انه ليقوله فقال ان كان قاله فلقد صدق ثم جاء الى رسول الله وحوله مشركو قريش فسأله
عن ذلك فاخبره فاستعلمه عن صفات بيت المقدس ليسمع المشركون ويعلموا صدقه فيما
اخبرهم به وفي الصحيح ان المشركين هم الذين سألوا رسول الله عن ذلك قال فجعلت اخبرهم
عن اياته فالتبس علي بعض الشيء فجلى الله لي بيت المقدس حتى جعلت انظر اليه دون دار
عقيل وانعته لهم فقالوا اما الصفة فقد اصاب وذكر ابن اسحاق فيما تقدم من اخباره لهم
بمروره بعيرهم وما كان من شربه ماءهم فاقام الله عليهم الحجة واستنارت لهم المحجة فآمن من
امن على يقين من ربه وكفر من كفر بعد قيام الحجة كما قال تعالى وما جعلنا الرؤيا التي
اريناك الا فتنة للناس اي اختبارا لهم وامتحانا قال ابن عباس هي رؤيا عين اريها
رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا مذهب جمهور السلف والخلف ان الاسرا كان ببدنه
وروحه صلوات الله وسلامه عليه كما دل على ذلك ظاهر السياق فانه من ركوبه وصعوده في المعراج
وغير ذلك ولهذا قال تعالى سبحان الذي اسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى
والتسبيح انما يكون عند الايات العظيمة الخارقة فدل على انه بالروح والجسد والعبد عبارة
عنهما وايضا فلو كان مناما لما بادر كفار قريش الى التكذيب به ولا الاستبعاد له اذ ليس
في ذلك كبير امر فدل على انه اخبرهم بانه اسري به يقظة لا مناما وقوله في حديث شريك عن انس
ثم استيقظت فاذا انا في الحجر معدود في غلطات شريك او محمول على ان الانتقال من حال
الى حال يسمى يقظة كما سيأتي في حديث عائشة حين ذهب رسول الله الى الطائف فكذبوه قال
فرجعت مهموما فلم استفق الا بقرن الثعالب وفي حديث ابي اسيد حين جاء بابنه الى النبي صلى
الله عليه وسلم ليحنكه فوضعه على فخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم واشتغل رسول الله
صلى الله عليه وسلم بالحديث مع الناس فرفع ابو اسيد ابنه ثم استيقظ رسول الله صلى الله
عليه وسلم فسأل عنه فقالوا رفع فسماه المنذر وهذا الحمل احسن من التغليط والله اعلم
وقد حكى ابن اسحاق فقال حدثني بعض ال ابي بكر عن عائشة ام المؤمنين انها كانت تقول
ما فقد جسد رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكن الله اسرى بروحه قال وحدثني يعقوب
بن عتبة ان معاوية كان اذا سئل عن مسرى رسول الله قال كانت رؤيا من الله صادقة قال
ابن اسحاق فلم ينكر ذلك من قولهما لقول الحسن ان هذه الاية نزلت في ذلك وما جعلنا
الرؤيا التي اريناك الا فتنة للناس ولما قال ابراهيم يا بني اني ارى في المنام اني اذبحك

فلم يجد الصبي

فانظر ماذا ترى وفي الحديث تنام عيني وقلبي يقظان قال ابن اسحاق فالله اعلم اي ذلك
كان قد جاءه وعاين فيه ما عاين من امر الله على اي حاليه كان نائما او يقظانا كل ذلك حق وصدق
قلت وقد توقف ابن اسحاق في ذلك وجوز كلا من الامرين من حيث الجملة ولكن الذي لا يشك فيه ولا
يتمارى انه كان يقظانا لا محالة لما تقدم وليس مقتضى كلام عائشة رضي الله عنها ان جسده
عليه السلام ما فقد وكان الاسراء بروحه ان يكون ذلك مناما كما فهمه ابن اسحاق بل قد يكون وقع
الاسراء بروحه حقيقة وهو يقظان لا نائم وركب البراق وجاء بيت المقدس وصعد السموات
وعاين ما عاين حقيقة ويقظة لا مناما لعل هذا مراد عائشة ام المومنين ومراد من تابعها
على ذلك لا ما فهمه ابن اسحاق من انهم ارادوا بذلك المنام والله اعلم بتنبيه ونحن لا ننكر وقوع
منام قبل الاسراء طبق ما وقع بعد ذلك فانه صلى الله عليه وسلم كان لا يرى رؤيا الا جاءت مثل
فلق الصبح وقد تقدم مثل ذلك في حديث بدء الوحي انه راى مثل ما وقع له يقظة مناما قبله
ليكون ذلك من باب الارهاص والتوطية والتثبيت والايناس والله اعلم ثم قد اختلف
العلماء في ان الاسراء والمعراج هل كانا في ليلة واحدة او كل في ليلة على حدة فمنهم من يزعم ان
الاسراء في اليقظة والمعراج في المنام وقد حكى المهلب بن ابي صفرة في شرحه البخاري عن
طايفة انهم ذهبوا الى ان الاسراء مرتين مرة بروحه مناما ومرة بيقظة بروحه وبدنه وقد حكاه
الحافظ ابو القسم السهيلي عن شيخه ابي بكر بن العربي الفقيه المالكي قال السهيلي وهذا
القول يجمع الاحاديث فان في حديث شريك عن انس وذلك فيما يرى قلبه وتنام عيناه
ولا ينام قلبه وقال في اخره ثم استيقظت فاذا انا في الحجر وهذا منام ودل غيره على اليقظة
ومنهم من يدعي تعدد الاسراء في اليقظة ايضا حتى قال بعضهم انها اربع اسراات وزعم بعضهم
ان بعضها كان بالمدينة وقد حاول الشيخ شهاب الدين ابو شامة رح ان يوفق بين اختلاف
ما وقع في روايات حديث الاسراء بالجمع المتعدد فجعل ثلاث اسراات مرة من مكة الى بيت المقدس
فقط على البراق ومرة من مكة الى السموات على البراق ايضا لحديث حذيفة ومرة من مكة الى
بيت المقدس ثم الى السموات فنقول ان كان انما حمله على القول بهذه الثلاث اختلاف
الروايات فقد اختلف لفظ الحديث في ذلك على اكثر من هذه الثلاث صفات ومن اراد
الوقوف على ذلك فلينظر فيما جمعناه مستقصى في كتابنا التفسير عند قوله تعالى
سبحان الذي اسرى بعبده ليلا وان كان انما حمله ان التقسيم انحصر في ثلاث صفات
بالنسبة الى بيت المقدس والى السموات فلا يلزم من الحصر العقلي الوقوع كذلك في الخارج
الا بدليل والله اعلم والعجب ان الامام ابا عبد الله البخاري رح ذكر الاسراء بعد ذكره موت ابي طالب
وابن اسحاق اخر ذكر موت ابي طالب على الاسراء والله اعلم اي ذلك كان والمقصود ان البخاري
فرق بين الاسراء وبين المعراج فبوب لكل منهما بابا على حدة فقال باب حديث الاسراء وقول
الله سبحان الذي اسرى بعبده ليلا حدثنا يحيى بن بكير ثنا الليث عن عقيل عن ابن
شهاب حدثني ابو سلمة بن عبد الرحمن قال سمعت جابر بن عبد الله انه سمع رسول الله صلى
الله عليه وسلم يقول لما كذبتني قريش كنت في الحجر فجلى الله لي بيت المقدس فطفقت
اخبرهم عن اياته وانا انظر اليه وقد رواه مسلم والترمذي والنسائي من حديث الزهري
عن ابي سلمة عن جابر به ورواه مسلم والنسائي من حديث عبد الله بن الفضل عن ابي سلمة
عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم بنحوه ثم قال البخاري باب حديث المعراج حدثنا

وافق ابن اسحق في ذكره المعراج في اواخر الامر وخالفه في ذكره بعد موت ابي طالب

هدبة

هدبة بن خالد ثنا همام ثنا قتادة عن انس بن مالك عن مالك بن صعصعة ان النبي صلى الله
عليه وسلم حدثهم عن ليلة اسري به قال بينما انا في الحطيم وربما قال في الحجر مضطجعا
اذ اتاني آت فقد قال وسمعته يقول فشق ما بين هذه الى هذه فقلت للجارود وهو الى
جنبي ما يعني به قال من ثغرة نحره الى شعرته وسمعته يقول من قصته الى شعرته فاستخرج
قلبي ثم اتيت بطست من ذهب مملوءة ايمانا فغسل قلبي ثم حشي ثم اعيد ثم اتيت
بدابة دون البغل وفوق الحمار ابيض فقال له الجارود وهو البراق يا ابا حمزة قال انس
نعم يضع خطوه عند اقصى طرفه فحملت عليه فانطلق بي جبريل حتى اتى السماء الدنيا
فاستفتح قيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد ارسل اليه قال نعم قيل
مرحبا به فنعم المجيء جاء ففتح فلما خلصت فاذا فيها ادم فقال هذا ابوك ادم فسلم عليه
فسلمت عليه فرد السلام ثم قال مرحبا بالابن الصالح والنبي الصالح ثم صعد بي الى السماء
الثانية فاستفتح قيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد ارسل اليه
قال نعم قيل مرحبا به فنعم المجيء جاء ففتح فلما خلصت اذا يحيى وعيسى وهما ابنا خالة قال
هذا يحيى وعيسى فسلم عليهما فسلمت عليهما فردا ثم قالا مرحبا بالاخ الصالح والنبي الصالح
ثم صعد بي الى السماء الثالثة فاستفتح جبريل قيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك قال
محمد قيل وقد ارسل اليه قال نعم قيل مرحبا به فنعم المجيء جاء ففتح فلما خلصت اذا يوسف
قال هذا يوسف فسلم عليه فسلمت عليه فرد ثم قال مرحبا بالاخ الصالح والنبي الصالح
ثم صعد بي حتى اتى السماء الرابعة فاستفتح قيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك قال محمد
قيل وقد ارسل اليه قال نعم قيل مرحبا به فنعم المجيء جاء فلما خلصت فاذا ادريس قال ففتح ص
هذا ادريس فسلم عليه فسلمت عليه فرد ثم قال مرحبا بالاخ الصالح والنبي الصالح ثم صعد
بي حتى اتى السماء الخامسة فاستفتح قيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل
وقد ارسل اليه قال نعم قيل مرحبا به فنعم المجيء جاء ففتح فلما خلصت اذا هارون قال هذا هارون
فسلم عليه فسلمت عليه فرد ثم قال مرحبا بالاخ الصالح والنبي الصالح ثم صعد بي حتى اتى
السماء السادسة فاستفتح قيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل
وقد ارسل اليه قال نعم قيل مرحبا به فنعم المجيء جاء فلما خلصت اذا موسى قال هذا موسى
فسلم عليه فسلمت عليه فرد ثم قال مرحبا بالاخ الصالح والنبي الصالح فلما تجاوزت بكى
قيل له ما يبكيك قال ابكي لان غلاما بعث بعدي يدخل الجنة من امته اكثر من يدخلها من امتي
ثم صعد بي الى السماء السابعة فاستفتح جبريل قيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك
قال محمد قيل وقد بعث اليه قال نعم قيل مرحبا به فنعم المجيء جاء فلما خلصت فاذا ابراهيم
قال هذا ابوك ابراهيم فسلم عليه فسلمت عليه فرد السلام ثم قال مرحبا بالابن الصالح
والنبي الصالح ثم رفعت لي سدرة المنتهى واذا اربعة انهار نهران ظاهران ونهران باطنان
فقلت ما هذا يا جبريل قال اما الباطنان فنهران في الجنة واما الظاهران فالنيل والفرات
ثم رفع لي البيت المعمور يدخله كل يوم سبعون الف ملك ثم اتيت باناء من خمر واناء من لبن
واناء من عسل فاخذت اللبن فقال هي الفطرة انت عليها وامتك ثم فرضت علي الصلوات
خمسون صلاة كل يوم فرجعت فمررت على موسى فقال بما امرت قال امرت بخمسين صلاة
كل يوم قال ان امتك لا تستطيع خمسين صلاة كل يوم واني والله قد جربت الناس قبلك

فاذا نبقها مثل قلال هجر واذا ورقها مثل آذان الفيلة قال هذه سدرة المنتهى ص

وعالجت بني اسرائيل اشد المعالجة فارجع الى ربك فسله التخفيف لامتك فرجعت فوضع عني عشرا فرجعت الى موسى فقال مثله فرجعت فوضع عني عشرا فرجعت الى موسى فقال مثله فرجعت الى موسى فقال مثله فرجعت فوضع عني عشرا فرجعت الى موسى فقال مثله فرجعت فامرت بعشر صلوات كل يوم فقال مثله فرجعت فامرت بخمس صلوات كل يوم فرجعت الى موسى فقال بم امرت فقلت بخمس صلوات كل يوم قال ان امتك لا تستطيع خمس صلوات كل يوم واني قد جربت الناس قبلك وعالجت بني اسرائيل اشد المعالجة فارجع الى ربك فسله التخفيف لامتك قال سالت ربي حتى استحييت ولكن ارضى واسلم قال فلما جاوزت نادى مناد امضيت فريضتي وخففت عن عبادي هكذا رواه البخاري هذا الحديث هاهنا وقد رواه في مواضع اخر من صحيحه ومسلم والترمذي والنسائي من طرق عن قتادة عن انس عن مالك بن صعصعة وقد رويناه من حديث انس بن مالك عن ابي بن كعب ومن حديث انس عن ابي ذر ومن طرق كثيرة عن انس عن النبي صلى الله عليه وسلم وقد ذكرنا ذلك مستقصى بطرقه والفاظه في التفسير ولم يقع في هذا السياق ذكر بيت المقدس وكان بعض الرواة يحذف بعض الخبر للعلم به او ينساه او يذكر ما هو الاهم عنده او يبسط تارة فيسوقه كله وتارة يحدث مخاطبه بما هو الانفع عنده ومن جعل كل رواية اسراء على حدة كما تقدم عن بعضهم فقد ابعد جدا وذلك ان كل السياقات فيها السلام على الانبياء وفي كل منها تعريفه بهم وفي كلها يفرض عليه الصلوات فكيف يمكن ان يدعى تعدد ذلك هذا في غاية البعد والاستحالة والله اعلم ثم قال البخاري حدثنا الحميدي ثنا سفيان عن عمرو عن عكرمة عن ابن عباس في قوله تعالى وما جعلنا الرؤيا التي اريناك الا فتنة للناس قال هي رؤيا عين اريها رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة اسري به الى بيت المقدس والشجرة الملعونة في القرآن قال هي شجرة الزقوم

انفرد به البخاري م

فصل

ولما اصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم من صبيحة ليلة الاسرا جاءه جبريل عند الزوال فبين له كيفية الصلاة واوقاتها وامر رسول الله صلى الله عليه وسلم اصحابه فاجتمعوا وصلى به جبريل في ذلك اليوم الى الغد والمسلمون يأتمون بالنبي صلى الله عليه وسلم وهو يقتدي بجبريل كما جاء في الحديث عن ابن عباس وجابر امني جبريل عند البيت مرتين فبين له الوقتين الاول والاخر فهما وما بينهما الوقت الموسع ولم يذكر توسعة في وقت المغرب وقد ثبت ذلك في حديث ابي موسى وبريدة وعبد الله بن عمرو وكلها في صحيح مسلم وموضع بسط ذلك في كتابنا الاحكام ولله الحمد فاما ما ثبت في صحيح البخاري من طريق معمر عن الزهري عن عروة عن عائشة قالت فرضت الصلاة اول ما فرضت ركعتين فاقرت صلاة السفر وزيد في صلاة الحضر وكذا رواه الاوزاعي عن الزهري ورواه الشعبي عن مسروق عنها وهذا مشكل من جهة ان عائشة كانت تتم الصلاة في السفر وكذا عثمان بن عفان وقد تكلمنا على ذلك عند قوله تعالى واذا ضربتم في الارض فليس عليكم جناح ان تقصروا من الصلاة ان خفتم ان يفتنكم الذين كفروا قال البيهقي وقد ذهب الحسن البصري الى ان صلاة الحضر اول ما فرضت اربعا كما ذكره مرسلا من صلاته عليه السلام صبيحة الاسرا الظهر اربعا والعصر اربعا والمغرب ثلاثا يجهر في الاوليين والعشا اربعا يجهر في الاوليين والصبح ركعتين يجهر فيهما قلت فلعل عائشة ارادت ان الصلاة كانت قبل الاسرا تكون ركعتين ركعتين ثم لما فرضت الخمس فرضت حضرا على ما هي عليه ورخص في السفر ان يصلى ركعتين كما كان الامر عليه قديما

وعلى هذا

وعلى هذا لا يبقى اشكال بالكلية والله اعلم

فصل في انشقاق القمر في زمان النبي صلى الله عليه وسلم

وجعل الله له اية على صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما جاء به من الهدى ودين الحق حيث كان ذلك وفق اشارته الكريمة قال الله تعالى في محكم كتابه العزيز اقتربت الساعة وانشق القمر وان يروا اية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر وكذبوا واتبعوا اهواءهم وكل امر مستقر وقد اجمع المسلمون على وقوع ذلك في زمنه عليه الصلاة والسلام وجاءت بذلك الاحاديث المتواترة من طرق متعددة تفيد القطع عند من احاط بها ونظر فيها ونحن نذكر من ذلك ما تيسر ان شاء الله وبه الثقة وعليه التكلان وقد تقصينا ذلك في كتابنا التفسير فذكرنا الطرق والالفاظ محررة ونحن نشير هاهنا الى اطراف من طرقها ونعزوها الى الكتب المشهورة بحول الله وقوته وذلك مروي عن انس بن مالك وجبير بن مطعم وحذيفة وعبد الله بن عباس وعبد الله ابن عمر وعبد الله بن مسعود رضي الله عنهم اجمعين اما انس فقال الامام احمد ثنا عبد الرزاق ثنا معمر عن قتادة عن انس بن مالك قال سأل اهل مكة النبي صلى الله عليه وسلم اية فانشق القمر بمكة مرتين فقال اقتربت الساعة وانشق القمر ورواه مسلم عن محمد بن رافع عن عبد الرزاق به وهذا من مرسلات الصحابة والظاهر انه تلقاه عن الجم الغفير من الصحابة او عن النبي صلى الله عليه وسلم او عن الجميع وقد روى البخاري ومسلم هذا الحديث من طريق شيبان زاد البخاري وسعيد بن ابي عروبة وزاد مسلم وشعبة ثلاثتهم عن قتادة عن انس ان اهل مكة سالوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يريهم اية فاراهم القمر شقتين حتى رأوا حراء بينهما لفظ البخاري واما جبير بن مطعم فقال الامام احمد حدثنا محمد بن كثير ثنا سليمان بن كثير عن حصين بن عبد الرحمن عن محمد بن جبير بن مطعم عن ابيه قال انشق القمر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فصار فرقتين فرقة على هذا الجبل وفرقة على هذا الجبل فقالوا سحرنا محمد فقالوا ان كان سحرنا فانه لا يستطيع ان يسحر الناس كلهم تفرد به احمد وهكذا رواه ابن جرير من حديث محمد بن فضيل وغيره عن حصين به وقد رواه البيهقي من طريق ابراهيم بن طهمان وهشيم كلاهما عن حصين بن عبد الرحمن عن جبير بن محمد بن جبير بن مطعم عن ابيه عن جده به فزاد رجلا في الاسناد واما حذيفة بن اليمان فروى ابو نعيم في الدلائل من طريق عن عطا بن السائب عن ابي عبد الرحمن السلمي قال خطبنا حذيفة بن اليمان بالمداين فحمد الله واثنى عليه ثم قال اقتربت الساعة وانشق القمر الا وان الساعة قد اقتربت الا وان القمر قد انشق الا وان الدنيا قد اذنت بفراق الا وان اليوم المضمار وغدا السباق فلما كانت الجمعة الثانية انطلقت مع ابي الى الجمعة فحمد الله وقال مثله وزاد الا وان السابق من سبق الى الجنة فلما كنا في الطريق قلت لابي ما يعني بقوله غدا السباق قال من سبق الى الجنة واما ابن عباس فقال البخاري حدثنا يحيى بن كثير ثنا بكر عن جعفر عن عراك بن مالك عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة عن ابن عباس قال ان القمر انشق في زمان النبي صلى الله عليه وسلم ورواه البخاري ايضا ومسلم من حديث بكر وهو ابن مضر عن جعفر في قوله اقتربت الساعة وانشق القمر وان يروا اية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر قال قد مضى ذلك كان قبل الهجرة انشق القمر حتى راوا شقيه وهكذا رواه العوفي عن ابن عباس رضي الله عنه وهو من مرسلاته وقال الحافظ ابو نعيم ثنا سليمان بن احمد ثنا بكر بن سهل ثنا عبد الغني بن سعيد ثنا موسى بن عبد الرحمن عن ابن جريج عن عطا عن ابن عباس وعن مقاتل عن الضحاك عن ابن عباس في قوله اقتربت الساعة وانشق القمر قال اجتمع المشركون الى رسول الله صلى الله عليه وسلم منهم الوليد بن المغيرة

هو ابن ربيعة عن عراك به وقال ابن جرير حدثنا ابن مثنى ثنا عبد الاعلى ثنا داود بن ابي هند عن ابن عباس

وابو جهل بن هشام والعاص بن وائل والعاص بن هشام والاسود بن عبد يغوث والاسود بن المطلب
وزمعة بن الاسود والنضر بن الحرث ونظراؤهم فقالوا للنبي صلى الله عليه وسلم ان كنت صادقا
فشق لنا القمر فرقتين نصفا على ابي قبيس ونصفا على قعيقعان فقال لهم النبي صلى الله عليه
وسلم ان فعلت تؤمنوا قالوا نعم وكانت ليلة بدر فسأل الله عز وجل ان يعطيه ما سألوا فامسى
القمر قد سلب نصفا على ابي قبيس ونصفا على قعيقعان ورسول الله صلى الله عليه وسلم
ينادي يا ابا سلمة بن عبد الاسد والارقم بن الارقم اشهدوا ثم قال ابو نعيم وحدثنا سليمان
بن احمد ثنا الحسن بن العباس الرازي عن الهيثم بن العمان ثنا اسماعيل بن زياد عن ابن جريج عن عطا
عن ابن عباس قال انتهى اهل مكة الى رسول الله فقالوا هل من آية نعرف بها انك رسول الله فهبط
جبريل فقال يا محمد قل لاهل مكة ان يحتفلوا هذه الليلة فسيروا آية ان انتفعوا بها فاخبرهم
رسول الله صلى الله عليه وسلم بمقالة جبريل فخرجوا ليلة الشق ليلة اربع عشرة فانشق القمر
نصفين نصفا على الصفا ونصفا على المروة فنظروا ثم قالوا بابصارهم فمسحوها ثم اعادوا
النظر فنظروا ثم مسحوا اعينهم ثم نظروا فقالوا يا محمد ما هذا الا سحر ذاهب فانزل الله اقتربت
الساعة وانشق القمر وروي عن الضحاك عن ابن عباس قال جاءت احبار اليهود الى رسول الله
فقالوا ارنا آية حتى نؤمن بها فسأل ربه فاراهم القمر قد انشق فصار قمرين (نصفين) احدهما على الصفا
والاخر على المروة قدر ما بين العصر الى الليل ينظرون اليه ثم غاب فقالوا هذا سحر مفترى
وقال الحافظ ابو القسم الطبراني ثنا احمد بن عمرو البزاز ثنا محمد بن يحيى القطعي ثنا محمد بن بكر
ثنا ابن جريج عن عمرو بن دينار عن عكرمة عن ابن عباس قال كسف القمر على عهد رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقالوا سحر القمر فنزلت اقتربت الساعة وانشق القمر وان يروا آية يعرضوا ويقولوا
سحر مستمر وهذا اسناد جيد وفيه انه كسف تلك الليلة فلعله حصل له انشقاق في ليلة كسوفه
ولهذا خفي امره على كثير من اهل الارض ولعل ذلك في بعض ليالي الشتاء حيث يكون اكثر الناس في البيوت
او مستتر غيم عن كثير من الارض ومع هذا قد شوهد ذلك في كثير من بقاع الارض ويقال انه ارخ
ذلك في بعض بلاد الهند وبني بناء تلك الليلة وارخ بليلة انشقاق القمر واما ابن عمر
فقال الحافظ ابو بكر البيهقي انا ابو عبد الله الحافظ وابو بكر احمد بن الحسن القاضي قالا
ثنا ابو العباس الاصم ثنا العباس بن محمد الدوري ثنا وهب بن جرير عن شعبة عن الاعمش
عن مجاهد به قال مسلم كرواية مجاهد عن ابي معمر عن ابن مسعود وقال الترمذي هذا حديث
حسن صحيح واما عبد الله بن مسعود فقال الامام احمد ثنا سفيان عن ابن ابي نجيح عن
مجاهد عن ابي معمر عن ابن مسعود قال انشق القمر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم شقتين
حتى نظروا اليه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اشهدوا وهكذا اخرجاه من حديث
سفيان وهو ابن عيينة به ومن حديث الاعمش عن ابراهيم عن ابي معمر عن عبد الله بن سخبرة
عن ابن مسعود قال انشق القمر ونحن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بمنى فقال النبي صلى
الله عليه وسلم اشهدوا وذهبت فرقة نحو الجبل لفظ البخاري ثم قال البخاري وقال
ابو الضحى عن مسروق عن عبد الله بمكة قال وتابعه محمد بن مسلم عن ابن ابي نجيح عن مجاهد
عن ابي معمر عن عبد الله رضي الله عنه وقد اسند ابو داود الطيالسي حديث ابي الضحى عن مسروق
ذلك في مسنده فقال حدثنا ابو عوانة عن المغيرة عن ابي الضحى عن مسروق عن عبد الله بن
مسعود قال انشق القمر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت قريش هذا سحر ابن ابي

[Margin: فانشق القمر نصفا على ابي قبيس]

[Margin: عن عبد الله بن عمر في قوله تعالى اقتربت الساعة وانشق القمر قال وقد كان ذلك على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم انشق فلقتين فلقة من دون الجبل وفلقة من خلف الجبل فقال النبي صلى الله عليه وسلم اللهم اشهد رواه مسلم والترمذي من طريق عن شعبة عن الاعمش عن مجاهد]

كبشة

كبشة فقالوا انظروا ما يأتيكم به السفار فان محمدا لا يستطيع ان يسحر الناس كلهم قال فجاء
السفار فقالوا ذلك وقال البيهقي انا ابو عبد الله الحافظ ثنا ابو العباس ثنا العباس بن
محمد الدوري ثنا سعيد بن سليمان ثنا هشيم ثنا مغيرة عن ابي الضحى عن مسروق عن عبد
الله قال انشق القمر بمكة حتى صار فرقتين فقال كفار قريش اهل مكة هذا سحر سحركم به ابن ابي كبشة
انظروا السفار فان كانوا رأوا ما رأيتم فقد صدق وان كانوا لم يروا مثل ما رأيتم فهو سحر سحركم به
قال فسئل السفار قال وقدموا من كل وجهة فقالوا رأينا وهكذا رواه ابن جرير من حديث
المغيرة وزاد فانزل الله عز وجل اقتربت الساعة وانشق القمر ورواه ابو نعيم من حديث جرير
عن الاعمش عن ابي الضحى عن مسروق عن عبد الله به وقال الامام احمد ثنا مؤمل ثنا اسرائيل
عن سماك عن ابراهيم عن الاسود عن عبد الله هو ابن مسعود قال انشق القمر على عهد رسول الله صلى
الله عليه وسلم حتى رأيت الجبل بين فرجتي القمر وهكذا رواه ابن جرير من حديث اسباط عن سماك
به وقال الحافظ ابو نعيم ثنا ابو بكر الطلحي ثنا ابو حصين محمد بن الحسين الوادعي ثنا يحيى الحماني
ثنا يزيد بن عطا عن سماك عن ابراهيم عن علقمة عن عبد الله قال كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم
بمنى فانشق القمر حتى صار فرقتين فرقة خلف الجبل فقال النبي صلى الله عليه وسلم اشهدوا
اشهدوا وقال ابو نعيم ثنا سليمان بن احمد ثنا جعفر بن محمد القلانسي ثنا آدم بن ابي اياس
ثنا الليث بن سعد ثنا هشام بن سعد عن عتبة بن عبد الله بن عتبة عن ابن مسعود قال
انشق القمر ونحن بمكة فلقد رأيت احد شقتيه على الجبل الذي بمنى ونحن بمكة وحدثنا احمد بن اسحاق
ثنا ابو بكر بن ابي عاصم ثنا محمد بن حاتم ثنا معاوية بن عمرو عن زائدة عن عاصم عن زر عن عبد الله
قال انشق القمر بمكة فرأيته فرقتين ثم روي من حديث علي بن سعيد بن مسروق ثنا موسى بن
عمير عن منصور بن المعتمر عن زيد بن وهب عن عبد الله بن مسعود قال رأيت القمر والله منشقا
باثنتين بينهما حراء وروى ابو نعيم من طريق السدي الصغير عن الكلبي عن ابي صالح عن ابن عباس
قال انشق القمر فلقتين فلقة ذهبت وفلقة بقيت قال ابن مسعود لقد رأيت جبل حراء
بين فلقتي القمر ذهبت فلقة فتعجب اهل مكة من ذلك وقالوا هذا سحر مصنوع سيذهب
وقال ليث بن ابي سليم عن مجاهد قال انشق القمر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فصار فرقتين
فقال النبي صلى الله عليه وسلم لابي بكر اشهد يا ابا بكر وقال المشركون سحر القمر حتى انشق فهذه
طرق متعددة قوية الاسانيد تفيد القطع لمن تأملها وعرف عدالة رجالها وما يذكره بعض
القصاص من ان القمر سقط الى الارض حتى دخل في كم النبي صلى الله عليه وسلم وخرج من الكم الاخر فلا
اصل له وهو كذب مفترى ليس بصحيح والقمر حين انشق لم يزايل السماء غير انه حين اشار اليه النبي
صلى الله عليه وسلم انشق عن اشارته حتى صار فرقتين فسارت واحدة حتى صارت من وراء حرا
ونظروا الى الجبل بين هذه وهذه كما اخبر بذلك ابن مسعود انه شاهد ذلك وما وقع في رواية انس
في مسند احمد فانشق القمر بمكة مرتين فيه نظر والظاهر انه اراد فرقتين والله اعلم

فصل في وفاة ابي طالب

عم رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم بعده خديجة بنت خويلد زوجة رسول الله صلى الله عليه
وسلم ورضي عنها وقيل انها توفيت قبله والمشهور الاول وهذان المشفقان هذا في الظاهر وهذه
في الباطن هذا كافر وهذه مؤمنة صديقة رضي الله عنها وارضاها قال ابن اسحاق ثم
ان خديجة وابا طالب هلكا في عام واحد فتتابعت على رسول الله صلى الله عليه وسلم المصائب

[Margin: قوارت م]

[Margin: ابو سعيد يا]

بمثل خديجة وكانت له وزير صدق على الاسلام يسكن اليها وهلك عمه ابو طالب وكان له عضدا
وحرزا في امره ومنعه وناصرا على قومه وذلك قبل مهاجره الى المدينة بثلاث سنين فلما هلك
ابو طالب نالت قريش من رسول الله من الاذى ما لم تكن تطمع به في حياة ابي طالب حتى اعترضه
سفيه من سفهاء قريش فنثر على راسه ترابا فحدثني هشام بن عروة عن ابيه قال فدخل رسول الله
بيته والتراب على راسه فقامت اليه احدى بناته فجعلت تغسله وتبكي ورسول الله يقول
لا تبكي يا بنية فان الله مانع اباك ويقول بين ذلك ما نالت مني قريش شيئا اكرهه حتى مات ابو
طالب وذكر ابن اسحاق قبل ذلك ان احدهم ربما طرح الاذى في برمته صلى الله عليه وسلم
اذا نصبت له قال فكان اذا فعلوا ذلك كما حدثني عمر بن عبد الله عن عروة يخرج بذلك
الشي على العود فيقذفه على بابه ثم يقول يا بني عبد مناف اي جوار هذا ثم يلقيه في الطريق
قال ابن اسحاق ولما اشتكى ابو طالب وبلغ قريشا ثقله قالت قريش بعضها لبعض
ان حمزة وعمر قد اسلما وقد فشا امر محمد في قبايل قريش كلها فانطلقوا بنا الى ابي طالب
فلياخذ لنا على ابن اخيه وليعطه منا فانا والله ما نامن ان يبتزونا امرنا قال ابن اسحاق
وحدثني العباس بن عبد الله بن معبد عن بعض اهله عن ابن عباس قال لما مشوا الى ابي
طالب وكلموه وهم اشراف قومه عتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة وابو جهل بن هشام
وامية بن خلف وابو سفيان بن حرب في رجال من اشرافهم فقالوا يا ابا طالب انك منا
حيث قد علمت وقد حضرك ما ترى وتخوفنا عليك وقد علمت الذي بيننا وبين ابن اخيك
فادعه فخذ له منا وخذ لنا منه ليكف عنا ولنكف عنه وليدعنا وديننا وندعه
ودينه فبعث اليه ابو طالب فجاءه فقال يا ابن اخي هولاء اشراف قومك قد اجتمعوا
اليك ليعطوك وليأخذوا منك قال فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم
كلمة واحدة تعطونيها تملكون بها العرب وتدين لكم بها العجم فقال ابو جهل نعم
وابيك وعشر كلمات قال تقولون لا اله الا الله وتخلعون ما تعبدون من دونه فصفقوا
بايديهم ثم قالوا يا محمد اتريد ان تجعل الالهة الها واحدا ان امرك لعجب قال
ثم قال بعضهم لبعض انه والله ما هذا الرجل بمعطيكم شيئا مما تريدون فانطلقوا وامضوا
على دين ابائكم حتى يحكم الله بينكم وبينه ثم تفرقوا قال فقال ابو طالب والله يا ابن اخي
ما رايتك سالتهم شططا قال فطمع رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه فجعل يقول له
اي عم فانت فقلها استحل لك بها الشفاعة يوم القيمة فلما راى حرص رسول الله صلى
الله عليه وسلم قال يا ابن اخي والله لولا مخافة السبة عليك وعلى بني ابيك من بعدي
وان تظن قريش اني انما قلتها جزعا من الموت لقلتها لا اقولها الا لاسرك بها قال فلما
تقارب من ابي طالب الموت نظر العباس اليه يحرك شفتيه فاصغى اليه باذنه قال فقال
يا ابن اخي والله لقد قال اخي الكلمة التي امرته ان يقولها فقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم لم اسمع قال وانزل الله في اولئك الرهط ص والقران ذي الذكر بل الذين كفروا في
عزة وشقاق الايات وقد تكلمنا على ذلك في التفسير ولله الحمد والمنة وقد استدل
بعض من ذهب من الشيعة وغيرهم من الغلاة الى ان ابا طالب مات مسلما بقول
العباس هذا الحديث يا ابن اخي والله لقد قال اخي الكلمة التي امرته ان يقولها يعني
لا اله الا الله والجواب عن هذا من وجوه احدها ان في السند مبهما لا يعرف حاله وهو قوله

عن بعض

عن بعض اهله وهذا ابهام في الاسم والحال ومثله يتوقف فيه لو انفرد وقد روى الامام
احمد والنسائي وابن جرير نحوا من هذا السياق من طريق ابي اسامة عن الاعمش ثنا عباد عن
سعيد بن جبير فذكره ولم يذكر قول العباس ورواه الثوري ايضا عن الاعمش عن يحيى
ابن عمارة الكوفي عن سعيد بن جبير عن ابن عباس فذكره بغير زيادة قول العباس ورواه
الترمذي وحسنه والنسائي وابن جرير ايضا ولفظ الحديث من سياق البيهقي فيما
رواه من طريق الثوري عن الاعمش عن يحيى بن عمارة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال
مرض ابو طالب فجاءت قريش وجاء النبي صلى الله عليه وسلم وعند راس ابي طالب مجلس رجل
فقام ابو جهل كي يمنعه ذاك وشكوه الى ابي طالب فقال يا ابن اخي ما تريد من قومك فقال
يا عم انما اريد منهم كلمة تذل لهم بها العرب وتؤدي اليهم بها الجزية العجم كلمة واحدة واحدة
قال ما هي قال لا اله الا الله فقاموا فقالوا اجعل الالهة الها واحدا ان هذا لشي عجاب
قال ونزل فيهم ص والقران ذي الذكر الايات الى قوله الا اختلاق ثم قد تقدما رضا عن
سياق ابن اسحاق وفيها مواضع سندهم ومما رواه البخاري قال حدثنا محمود ثنا عبد
الرزاق انا معمر عن الزهري عن ابن المسيب عن ابيه رضي الله عنه ان ابا طالب لما حضرته
الوفاة دخل عليه النبي صلى الله عليه وسلم وعنده ابو جهل فقال اي عم قل لا اله الا الله
كلمة احاج لك بها عند الله فقال ابو جهل وعبد الله بن ابي امية يا ابا طالب اترغب
عن ملة عبد المطلب فلم يزالا يكلمانه حتى قال اخر شي كلمهم به على ملة عبد المطلب فقال
النبي صلى الله عليه وسلم لاستغفرن لك ما لم انه عنك فنزلت ما كان للنبي والذين امنوا
ان يستغفروا للمشركين ولو كانوا اولي قربى من بعد ما تبين لهم انهم اصحاب الجحيم ونزلت
انك لا تهدي من احببت ولكن الله يهدي من يشا ورواه مسلم عن اسحاق بن ابراهيم
وعبد عن عبد الرزاق واخرجاه ايضا من حديث الزهري عن سعيد بن المسيب عن ابيه
بنحوه وقال فيه فلم يزل رسول الله صلى الله عليه وسلم يعرضها عليه ويعودان له بتلك
المقالة حتى قال اخر ما قال على ملة عبد المطلب وابى ان يقول لا اله الا الله فقال
النبي صلى الله عليه وسلم اما لاستغفرن لك ما لم انه عنك فانزل الله يعني بعد ذلك
ما كان للنبي والذين امنوا ان يستغفروا للمشركين ولو كانوا اولي قربى ونزل في ابي طالب
انك لا تهدي من احببت ولكن الله يهدي من يشا وهو اعلم بالمهتدين وهكذا روى
الامام احمد ومسلم والترمذي من حديث يزيد بن كيسان عن ابي حازم عن ابي هريرة قال
لما حضرت وفاة ابي طالب اتاه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا عماه قل لا اله
الا الله اشهد لك بها يوم القيمة فقال لولا ان تعيرني قريش يقولون ما حمله عليه
الا فزع الموت لاقررت بها عينك لا اقولها الا لاقر بها عينك فانزل الله عز وجل انك
لا تهدي من احببت ولكن الله يهدي من يشا وهو اعلم بالمهتدين وهكذا قال
عبد الله بن عباس وابن عمر ومجاهد والشعبي وقتادة انها نزلت في ابي طالب حين
عرض عليه رسول الله ان يقول لا اله الا الله فابى ان يقولها وقال هو على ملة الاشياخ
وكان اخر ما قال هو على ملة عبد المطلب ويؤكد هذا كله ما قال البخاري ثنا مسدد
ثنا يحيى عن سفيان عن عبد الملك بن عمير حدثني عبد الله بن الحارث حدثنا العباس
بن عبد المطلب انه قال قلت للنبي صلى الله عليه وسلم ما اغنيت عن عمك فانه كان يحوطك

ويخوض لك قال هو في ضحضاح من نار ولولا أنا لكان في الدرك الأسفل من النار ورواه مسلم
في صحيحه من طرق عن عبد الملك بن عمير به وأخرجاه في الصحيحين من حديث الليث
حدثني ابن الهاد عن عبد الله بن خباب عن أبي سعيد أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم ذكر
عنده عمه فقال لعله تنفعه شفاعتي يوم القيامة فيجعل في ضحضاح من النار يبلغ
كعبيه يغلي منه دماغه لفظ البخاري وفي رواية يغلي منه أم دماغه وروى مسلم عن أبي
بكر بن أبي شيبة عن عفان عن حماد بن سلمة عن ثابت عن أبي عثمان عن ابن عباس أن رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال أهون أهل النار عذابا أبو طالب منتعل بنعلين من نار
يغلي منهما دماغه وفي مغازي يونس بن بكير يغلي منهما دماغه حتى يسيل على قدميه ذكره
السهيلي وقال الحافظ أبو بكر البزار في مسنده حدثنا عمرو أبو إسماعيل بن مجالد ثنا أبي
عن مجالد عن الشعبي عن جابر قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم أو قيل له هل نفعت
أبا طالب قال أخرجته من النار إلى ضحضاح منها تفرد به البزار قال السهيلي وإنما لم
يقبل النبي صلى الله عليه وسلم شهادة العباس أخيه أنه قال الكلمة وقال لم أسمع لأن
العباس كان إذ ذاك كافرا غير مقبول الشهادة قلت وعندي أن الخبر بذلك ما صح لضعف
سنده كما تقدم ومما يدل على ذلك أنه سأل النبي صلى الله عليه وسلم بعد ذلك عن أبي طالب
فذكر له ما تقدم وبتقدير صحته لعله قال ذلك عند معاينة الملك بعد الغرغرة حين
لا ينفع نفسا إيمانها والله أعلم وقال أبو داود الطيالسي حدثنا شعبة عن أبي
إسحاق سمعت ناجية بن كعب يقول سمعت عليا يقول لما توفي أبي أتيت رسول الله صلى
الله عليه وسلم فقلت إن عمك قد توفي فقال اذهب فواره فقلت إنه مات مشركا فقال
اذهب فواره ولا تحدثن شيئا حتى تأتيني ففعلت فأتيته فأمرني أن أغتسل ورواه النسائي
عن محمد بن المثنى عن غندر عن شعبة ورواه أبو داود والنسائي من حديث سفيان عن
أبي إسحاق عن ناجية عن علي لما مات أبو طالب قلت يا رسول الله إن عمك الشيخ الضال
قد مات فمن يواريه قال اذهب فوار أباك ولا تحدثن شيئا حتى تأتيني فأتيته فأمرني
فاغتسلت ثم دعا لي بدعوات ما يسرني أن لي بهن ما على الأرض من شيء وقال الحافظ البيهقي
أنا أبو سعد الماليني ثنا أبو أحمد بن عدي ثنا محمد بن هارون بن حميد ثنا محمد بن عبد
العزيز بن أبي رزمة ثنا الفضل عن إبراهيم بن عبد الرحمن عن ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس
أن النبي صلى الله عليه وسلم عاد من جنازة أبي طالب فقال وصلتك رحم وجزيت خيرا يا عم
قال وروي عن أبي اليمان الهوزني عن النبي صلى الله عليه وسلم مرسلا وزاد ولم يقم على
قبره قال وإبراهيم بن عبد الرحمن هذا هو الخوارزمي تكلموا فيه قلت قد روى عنه غير واحد
منهم الفضل بن موسى السيناني ومحمد بن سلام البيكندي ومع هذا قال ابن عدي ليس بمعروف
وأحاديثه عن كل من روى عنه ليست بمستقيمة وقد قدمنا ما كان يتعاطاه أبو طالب
من المحاماة والمحاجفة والممانعة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم والدفع عنه وعن
أصحابه وما قاله فيه من الممادح والثناء وما أظهره له ولأصحابه من المودة والمحبة والشفقة
في أشعاره التي أسلفناها وما تضمنته من العيب والتنقص لمن خالفه وكذبه بتلك
العبارة الفصيحة البليغة الهاشمية المطلبية التي لا تدانى ولا تسامى ولا يمكن عربيا
مقاربتها ولا معارضتها وهو في ذلك كله يعلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صادق

بار راشد ولكن مع هذا لم يؤمن قلبه وفرق بين علم القلب وتصديقه كما قررنا ذلك
في شرح كتاب الإيمان من صحيح البخاري وشاهده من قوله تعالى الذين آتيناهم الكتاب
يعرفونه كما يعرفون أبناءهم وإن فريقا منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون وقال تعالى في قوم فرعون
وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم وقال موسى لفرعون لقد علمت ما أنزل هؤلاء إلا رب
السموات والأرض بصائر وإني لأظنك يا فرعون مثبورا وقول بعض السلف في قوله تعالى
وهم ينهون عنه وينأون عنه إنها نزلت في أبي طالب حيث كان ينهى الناس عن أذية رسول الله
صلى الله عليه وسلم وينأى هو عما جاء به الرسول من الهدى ودين الحق فقد روي عن ابن عباس
والقاسم بن مخيمرة وحبيب بن أبي ثابت وعطاء بن دينار ومحمد بن كعب وغيرهم ففيه نظر
والله أعلم والأظهر والله أعلم الرواية الأخرى عن ابن عباس وهم ينهون الناس عن محمد أن يؤمنوا
به وبهذا قال مجاهد وقتادة والضحاك وغير واحد وهو اختيار ابن جرير وتوجيهه
أن هذا الكلام سيق لتمام ذم المشركين حيث كانوا يصدون الناس عن اتباع الحق ولا ينتفعون
هم أيضا به ولهذا قال ومنهم من يستمع إليك وجعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه وفي
آذانهم وقرا وإن يروا كل آية لا يؤمنوا بها حتى إذا جاءوك يجادلونك يقول الذين كفروا إن
هذا إلا أساطير الأولين وهم ينهون عنه وينأون عنه وإن يهلكون إلا أنفسهم وما يشعرون
فهذا اللفظ وهو قوله وهم يدل على أن المراد بهذا جماعة وهم المذكورون في سياق الكلام
وقوله وإن يهلكون إلا أنفسهم وما يشعرون يدل على تمام الذم وأبو طالب لم يكن بهذه المثابة
بل كان يصد الناس عن أذية رسول الله وأصحابه بكل ما يقدر عليه من فعال ومقال ونفس
ومال ولكن مع هذا لم يقدر الله له الإيمان لما له تعالى في ذلك من الحكمة العظيمة والحجة
القاطعة البالغة الدامغة التي يجب الإيمان بها والتسليم لها ولولا ما نهانا الله عنه
من الاستغفار للمشركين لاستغفرنا لأبي طالب وترحمنا عليه

فصل في موت خديجة بنت خويلد

وذكر شيء من فضائلها ومناقبها رضي الله عنها وأرضاها وجعل جنات الفردوس منقلبها
ومثواها وقد فعل ذلك لا محالة لنص خبر الصادق المصدوق وحيث بشرها ببيت في الجنة
من قصب لا صخب فيه ولا نصب قال يعقوب بن سفيان حدثنا أبو صالح ثنا الليث
حدثني عقيل عن ابن شهاب قال قال عروة بن الزبير وقد كانت خديجة توفيت قبل أن
تفرض الصلاة ثم روي من وجه آخر عن الزهري أنه قال توفيت خديجة بمكة قبل خروج
رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة وقبل أن تفرض الصلاة وقال محمد بن إسحاق
ماتت خديجة وأبو طالب في عام واحد وقال البيهقي بلغني أن خديجة توفيت بعد
موت أبي طالب بثلاثة أيام ذكره أبو عبد الله بن منده في كتاب المعرفة وشيخنا أبو عبد الله
الحافظ قال البيهقي وزعم الواقدي أن خديجة وأبا طالب ماتا قبل الهجرة بثلاث سنين
عام خرجوا من الشعب وأن خديجة توفيت قبل أبي طالب بخمس وثلاثين ليلة قلت
مرادهم قبل أن تفرض الصلوات الخمس ليلة الإسراء وكان الأنسب بنا أن نذكر وفاة أبي
طالب وخديجة قبل الإسراء كما ذكره البيهقي وغير واحد ولكن أخرناه لأن الإسراء المقصد
يستطلع عليه بعد ذلك فإن الكلام ينتظم ويتسق الباب كما تقف عليه إن شاء الله
وقال البخاري ثنا قتيبة ثنا محمد بن فضيل عن ابن غزوان عن عمارة عن أبي زرعة عن أبي هريرة

قال اتى جبريل النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله هذه خديجة قد اتت
معها اناء فيه ادام او طعام او شراب فاذا هي اتتك فاقرا عليها السلام من ربها ومني وبشرها
ببيت في الجنة من قصب لا صخب فيه ولا نصب وقد رواه مسلم من حديث محمد بن فضيل
به وقال البخاري ثنا مسدد ثنا يحيى عن اسماعيل قال قلت لعبد الله بن ابي اوفى
بشر النبي صلى الله عليه وسلم خديجة قال نعم ببيت من قصب لا صخب فيه ولا نصب
ورواه البخاري ايضا ومسلم من طرق عن اسماعيل بن ابي خالد به قال السهيلي انما بشرها
ببيت في الجنة من قصب يعني قصب اللؤلؤ لانها حازت قصب السبق الى الايمان لا صخب
فيه ولا نصب لانها لم ترفع صوتها على النبي صلى الله عليه وسلم ولم تتعبه يوما من الدهر فلم
تصخب عليه يوما ولا آذته ابدا واخرجا في الصحيحين من حديث هشام بن عروة عن ابيه
عن عائشة رضي الله عنها انها قالت ما غرت على النبي صلى الله عليه وسلم ما غرت على خديجة
ولقد هلكت قبل ان يتزوجني لما كنت اسمعه يذكرها وامره الله ان يبشرها ببيت في الجنة من قصب امراتهم
وان كان ليذبح الشاة فيهدي في خلائلها منها ما يسعهن لفظ البخاري وفي لفظ له عن عائشة
ما غرت على امراة ما غرت على خديجة من كثرة ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم اياها قالت
وتزوجني بعدها بثلاث سنين وامره ربه او جبريل ان يبشرها ببيت في الجنة من قصب وفي
لفظ له قالت ما غرت على احد من نساء النبي صلى الله عليه وسلم ما غرت على خديجة وما رايتها
ولكن كان يكثر ذكرها وربما ذبح الشاة فيقطعها اعضاء ثم يبعثها في صدايق خديجة فربما
قلت كانه لم يكن في الدنيا امراة الا خديجة فيقول انها كانت وكانت وكان لي منها ولد ثم
قال البخاري ثنا اسماعيل بن خليل انا علي بن مسهر عن هشام بن عروة عن ابيه عن عائشة
قالت استاذنت هالة بنت خويلد اخت خديجة على رسول الله صلى الله عليه وسلم فعرف
استئذان خديجة فارتاع فقال اللهم هالة قالت فغرت فقلت ما تذكر من عجوز من عجائز قريش فارتاح
حمراء الشدقين هلكت في الدهر ابدلك الله خيرا منها وهكذا رواه مسلم عن سويد بن سعيد
عن علي بن مسهر به وهذا ظاهر في التقرير على ان عائشة خير من خديجة اما فضلا واما
عشرة اذ لم ينكر عليها ولا رد عليها ذلك كما هو ظاهر سياق البخاري رح ولكن قال
الامام احمد حدثنا مؤمل ابو عبد الرحمن ثنا حماد هو ابن سلمة ثنا عبد الملك هو ابن عمير عن موسى
بن طلحة عن عائشة قالت ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما خديجة فاطنب في الثناء
عليها فادركني ما يدرك النساء من الغيرة فقلت لقد اعقبك الله يا رسول الله من عجوز من
عجائز قريش حمراء الشدقين قالت فتغير وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم تغيرا لم اره
تغير عند شيء قط الا عند نزول الوحي او عند المخيلة حتى يعلم رحمة او عذاب وكذا رواه عن
بهز بن اسد وعفان بن مسلم كلاهما عن حماد بن سلمة عن عبد الملك بن عمير به وزاد بعد قوله
حمراء الشدقين هلكت في الدهر الاول قال فتمعر وجهه تمعرا ما كنت اراه الا عند نزول الوحي
او عند المخيلة حتى ينظر رحمة ام عذاب تفرد به احمد وهذا اسناد جيد وقال الامام احمد
ايضا ثنا علي بن اسحاق انا عبد الله انا مجالد عن الشعبي عن مسروق عن عائشة قالت كان النبي
صلى الله عليه وسلم اذا ذكر خديجة اثنى عليها باحسن الثناء قالت فغرت يوما فقلت ما اكثر
ما تذكرها حمراء الشدقين قد ابدلك الله خيرا منها قال ما ابدلني الله خيرا منها قد آمنت
بي اذ كفر بي الناس وصدقتني اذ كذبني الناس وواستني بمالها اذ حرمني الناس ورزقني الله ولدها

اذحرمني

اذ حرمني اولاد النساء تفرد به احمد ايضا واسناده لا باس به ومجالد روى له مسلم متابعة
وفيه كلام مشهور والله اعلم ولعل هذا اعني قوله ورزقني الله ولدها اذ حرمني اولاد النساء
كان قبل ان يولد ابراهيم بن النبي صلى الله عليه وسلم من مارية وقبل مقدمها بالكلية وهذا
متعين فان جميع اولاد النبي صلى الله عليه وسلم كما تقدم وكما سيأتي من خديجة الا ابراهيم
فمن مارية القبطية المصرية رضي الله عنها وقد استدل بهذا الحديث جماعة من اهل العلم
على تفضيل خديجة على عائشة رضي الله عنهما وارضاهما وتكلم آخرون في اسناده وتأول
آخرون على انها كانت خير عشرة وهو محتمل او ظاهر وسببه ان عائشة تمثلت بشبابها
وحسنها وجميل عشرتها وليس مراده بما يقول لها قد ابدلك الله خيرا منها انما تزكي نفسها
وتفضلها على خديجة فان هذا امر مرجعه الى الله عز وجل كما قال فلا تزكوا انفسكم
هو اعلم بمن اتقى وقال تعالى الم تر الى الذين يزكون انفسهم بل الله يزكي من يشاء الآية
وهذه مسألة وقع النزاع فيها بين العلماء قديما وحديثا وبجانبها طرفا فبعض اهل التشيع
وغيرهم لا يعدلون بخديجة احدا من النساء لسلام الرب عليها وكون ذرية النبي صلى
الله عليه وسلم جميعهم الا ابراهيم منها وكونه لم يتزوج عليها حتى ماتت اكراما لها وتقدم
اسلامها وكونها من الصديقات ولها مقام صدق في اول البعثة وبذلت نفسها
ومالها لرسول الله صلى الله عليه وسلم واما اهل السنة فمنهم من يغلو ايضا ويثبت
لكل واحدة منهما من الفضائل ما هو معروف ولكن تحملهم قوة التسنن على تفضيل عائشة لكونها
ابنة الصديق ولكونها اعلم من خديجة فانه لم يكن في الامم مثل عائشة في حفظها وعلمها
وفصاحتها وعقلها ولم يكن الرسول يحب احدا من نسائه كمحبته اياها وابانها ونزلت
براءتها من فوق سبع سموات وروت بعده عنه عليه السلام علما جما كثيرا طيبا مباركا
فيه حتى قد ذكر كثير من الناس الحديث المشهور خذوا شطر دينكم عن الحميراء والحق ان كلا منهما
لها من الفضائل ما لو نظر الناظر فيه لبهره وحيره والاحسن التوقف في ذلك الى الله عز وردّ علم ذلك
وجل ومن ظهر له دليل يقطع به او يغلب على ظنه في هذا الباب فذاك الذي يجب عليه
ان يقول بما عنده ومن حصل له توقف في هذه المسألة او في غيرها فالطريق
الاقوم والمسلك الاسلم ان يقول الله اعلم وقد روى الامام احمد والبخاري ومسلم والترمذي
والنسائي من طرق عن هشام بن عروة عن ابيه عن عبد الله بن جعفر عن علي بن ابي طالب
رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خير نسائها مريم بنت عمران
وخير نسائها خديجة بنت خويلد اي خير نساء زمانها وروى شعبة عن معاوية بن قرة
عن ابيه قرة بن اياس رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كمل من
الرجال كثير ولم يكمل من النساء الا ثلاث مريم بنت عمران وآسية امراة فرعون وخديجة
بنت خويلد وفضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام رواه ابن مردويه
في تفسيره وهذا اسناد صحيح الى شعبة وبعده قالوا والقدر المشترك بين هذه
الثلاث نسوة آسية ومريم وخديجة ان كلا منهن كفلت نبيا مرسلا واحسنت
الصحبة في كفالتها وصدقته فآسية ربت موسى واحسنت اليه وصدقته حين
بعث ومريم كفلت ولدها اتم كفالة واعظمها وصدقته حين ارسل وخديجة رغبت
في تزويج رسول الله صلى الله عليه وسلم بها وبذلت في ذلك اموالها كما تقدم وصدقته

حين نزل عليه الوحي من الله عز وجل وقوله وفضل عايشة على النسا كفضل الثريد على ساير
الطعام وهو ثابت في الصحيحين من طريق شعبة ايضا عن عمرو بن مرة عن مرة الطيب
الهمداني عن ابي موسى الاشعري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كمل من الرجال كثير
ولم يكمل من النسا الا اسية امراة فرعون ومريم بنت عمران وان فضل عايشة على النسا
كفضل الثريد على ساير الطعام والثريد هو الخبز واللحم جميعا وهو افخر طعام العرب
كما قال بعض الشعرا

اذا ما الخبز تادمه بلحم ... فذاك امانة الله الثريد

ويحتمل قوله وفضل عايشة على النساء ان يكون محفوظا فيعم النسا المذكورات وغيرهن
ويحتمل ان يكون عاما فيما عداهن ويبقى الكلام فيها وفيهن موقوف ويحتمل التسوية بينهن
فيحتاج من رجح واحدة منهن على غيرها الى دليل من خارج والله اعلم

فصل

في تزويجه عليه السلام بعد خديجة رضي الله عنها بعايشة بنت الصديق وسودة
بنت زمعة رضي الله عنهما والصحيح ان عايشة تزوجها اولا كما سيأتي قال البخاري رحمه الله
باب تزويج عايشة حدثنا معلى بن اسد ثنا وهيب عن هشام بن عروة عن ابيه عن عايشة
ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لها اريتك في المنام مرتين ارى انك في سرقة من حرير
ويقول هذه امراتك فاكشف عنها فاذا هي انت فاقول ان يك هذا من عند الله يمضه
قال البخاري باب نكاح الابكار وقال ابن ابي مليكة قال ابن عباس لعايشة لم ينكح
النبي صلى الله عليه وسلم بكرا غيرك حدثنا اسماعيل بن عبد الله حدثني اخي عن سليمان
بن بلال عن هشام بن عروة عن ابيه عن عايشة قالت قلت يا رسول الله ارايت لو نزلت
واديا وفيه شجرة قد اكل منها ووجدت شجرا لم يوكل منها في ايها كنت ترتع بعيرك قال في الذي
لم يرتع منها يعني ان النبي صلى الله عليه وسلم لم يتزوج بكرا غيرها انفرد به البخاري ثم
قال ثنا عبيد بن اسماعيل ثنا ابو اسامة عن هشام بن عروة عن ابيه عن عايشة قالت
قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم اريتك في المنام يجي بك الملك في سرقة من حرير فقال
لي هذه امراتك فكشفت عن وجهك الثوب فاذا انت هي فقلت ان يكن هذا من عند الله يمضه
وفي رواية اريتك في المنام ثلاث ليال وعند الترمذي ان جبريل جاءه بصورتها في خرقة
من حرير خضرا فقال هذه زوجتك في الدنيا والاخرة وقال البخاري باب تزويج الصغار من
الكبار حدثنا عبد الله بن يوسف ثنا الليث عن يزيد عن عراك عن عروة ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم خطب عايشة الى ابي بكر فقال له ابو بكر انما انا اخوك فقال انت
اخي في دين الله وكتابه وهي لي حلال وهذا الحديث ظاهر سياقه كانه مرسل وهو عند البخاري
والمحققين متصل لانه من حديث عروة عن عايشة رضي الله عنها وهذا من افراد البخاري
رح وقال يونس بن بكير عن هشام بن عروة عن ابيه قال تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم
عايشة بعد خديجة بثلاث سنين وعايشة يوميذ ابنة ست سنين وبنى بها وهي ابنة
تسع ومات رسول الله صلى الله عليه وسلم وعايشة ابنة ثماني عشرة سنة وهذا غريب
وقد روى البخاري عن عبيد بن اسماعيل عن ابي اسامة عن هشام بن عروة عن ابيه قال
توفيت خديجة قبل مخرج النبي صلى الله عليه وسلم بثلاث سنين فلبث سنتين او قريبا من
ذلك ونكح عايشة وهي بنت ست سنين ثم بنى بها وهي بنت تسع سنين وهذا الذي قاله عروة

يعني اذا رجل يحملك في سرقة من حرير فيقول هذه امراتك فاكشفها فاذا هي انت فاقول ان كان هذا من عند الله يمضه ورواه مسلم من طريق هشام بن عروة به ورواه البخاري في باب النظر الى المراة قبل التزويج حدثنا مسدد ثنا حماد بن زيد عن هشام بن عروة عن ابيه عن عايشة قالت قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم اريتك في المنام

مرسل في ظاهر السياق كما قدمنا ولكنه في حكم المتصل في نفس الامر وقوله تزوجها وهي ابنة
ست سنين وبنى بها وهي ابنة تسع مما لا خلاف فيه بين الناس وقد ثبت في الصحاح وغيرها
وكان بناوه بها عليه السلام في السنة الثانية من الهجرة الى المدينة واما كون تزويجها
كان بعد موت خديجة بنحو من ثلاث سنين ففيه نظر فان يعقوب بن سفيان الحافظ
قال ثنا الحجاج ثنا حماد عن هشام بن عروة عن ابيه عن عايشة قالت تزوجني رسول
الله صلى الله عليه وسلم متوفى خديجة قبل مخرجه من مكة وانا ابنة سبع او ست سنين فلما
قدمنا المدينة جاءني نسوة وانا العب في ارجوحة وانا مجممة فهياتني وصنعنني ثم اتين
بي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وانا ابنة تسع سنين فقوله في هذا الحديث متوفى
خديجة يقتضي انه على اثر ذلك قريبا اللهم الا ان يكون قد سقط من النسخة بعد
متوفى خديجة فلا ينافي ما ذكره يونس بن بكير وابو اسامة عن هشام بن عروة عن ابيه والله
اعلم وقال البخاري ثنا فروة بن ابي المغرا ثنا علي بن مسهر عن هشام بن عروة عن
ابيه عن عايشة قالت تزوجني النبي صلى الله عليه وسلم وانا بنت ست سنين فقدمنا
المدينة فنزلنا في بني الحارث بن الخزرج فوعكت فتمرق شعري فوفى جميمة فاتتني امي ام
رومان واني لفي ارجوحة ومعي صواحب لي فصرخت بي فاتيتها ما ادري ما تريد بي فاخذت
بيدي حتى اوقفتني على باب الدار واني لانهج حتى سكن بعض نفسي ثم اخذت شيا من ماء
فمسحت به وجهي وراسي ثم ادخلتني الدار فاذا نسوة من الانصار في البيت فقلن
على الخير والبركة وعلى خير طاير فاسلمتني اليهن فاصلحن من شاني فلم يرعني الا رسول الله صلى
الله عليه وسلم ضحى فاسلمتني اليه وانا يوميذ بنت تسع سنين وقال الامام احمد
في مسند عايشة ام المومنين حدثنا محمد بن بشر ثنا محمد بن عمرو ثنا ابو
سلمة ويحيى قالا لما هلكت خديجة جاءت خولة بنت حكيم امراة عثمان بن مظعون فقالت
يا رسول الله الا تزوج قال من قالت ان شيت بكرا وان شيت ثيبا قال فمن البكر قالت
ابنة احب خلق الله اليك عايشة ابنة ابي بكر قال ومن الثيب قالت سودة بنت
زمعة قد امنت بك واتبعتك على ما تقول قال فاذهبي فاذكريهما علي فدخلت بيت ابي
بكر فقالت يا ام رومان ماذا ادخل الله عليكم من الخير والبركة قالت وما ذاك قالت ارسلني
رسول الله صلى الله عليه وسلم اخطب عليه عايشة قالت انتظري ابا بكر حتى ياتي فجا ابو
بكر فقالت يا ابا بكر ماذا ادخل الله عليكم من الخير والبركة قال وما ذاك قالت ارسلني رسول
الله اخطب عليه عايشة قال وهل تصلح له انما هي ابنة اخيه فرجعت الى رسول الله فذكرت
ذلك له قال ارجعي اليه فقولي له انا اخوك وانت اخي في الاسلام وابنتك تصلح لي فرجعت
فذكرت ذلك له قال انتظري وخرج قالت ام رومان ان مطعم بن عدي قد كان ذكرها على
ابنه والله ما وعد وعدا قط فاخلفه لابي بكر فدخل ابو بكر على مطعم بن عدي وعنده
امراته ام الصبي فقالت يا ابن ابي قحافة لعلك مصب صاحبنا تدخله في دينك الذي
انت عليه ان تزوج اليك فقال ابو بكر للمطعم بن عدي اقول هذه تقول قال انها تقول
ذلك فخرج من عنده وقد اذهب الله ما كان في نفسه من عدته التي وعده فرجع فقال
لخولة ادعي لي رسول الله صلى الله عليه وسلم فدعته فزوجها اياه وعايشة يوميذ بنت
ست سنين ثم خرجت فدخلت على سودة بنت زمعة فقالت ما ادخل الله عليك من الخير

والبركة قالت وما ذاك قالت ارسلني رسول الله صلى الله عليه وسلم اخطبك عليه قالت وددت ادخلي الى ابي فاذكري ذلك له وكان شيخا كبيرا قد ادركه السن قد تخلف عن الحج فدخلت عليه فحييته بتحية الجاهلية فقال من هذه قالت خولة بنت حكيم قال فما شانك قالت ارسلني محمد بن عبد الله اخطب عليه سودة فقال كفو كريم ماذا تقول صاحبتك قالت تحب ذاك قال ادعيها الى فدعيتها قال اى بنية ان هذه تزعم ان محمد بن عبد الله بن عبد المطلب قد ارسل يخطبك وهو كفو كريم اتحبين ان ازوجك به قالت نعم قال ادعيه لي فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فزوجها اياه فجاء اخوها عبد بن زمعة من الحج فجعل يحثي على راسه التراب فقال بعد ان اسلم لعمرك اني لسفيه يوم احثي على راسي التراب ان تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم سودة بنت زمعة قالت عايشة فقدمنا المدينة فنزلنا في بني الحرث بن الخزرج في السنح قالت فجاء رسول الله فدخل بيتنا واجتمع اليه رجال من الانصار ونساء فجاءتني امي واني لفي ارجوحة بين عذقين ترجح بي فانزلتني من الارجوحة ولي جميمة ففرقتها ومسحت وجهي بشيء من ماء ثم اقبلت تقودني حتى وقفت بي عند الباب واني لانهج حتى سكن من نفسي ثم دخلت بي فاذا رسول الله جالس على سرير في بيتنا وعنده رجال ونساء من الانصار فاجلستني في حجره ثم قالت هولاء اهلك فبارك الله لك فيهم وبارك لهم فيك فوثب الرجال والنساء فخرجوا وبنى بي رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيتنا ما نحرت علي جزور ولا ذبحت علي شاة حتى ارسل الينا سعد بن عبادة بجفنة كان يرسل بها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا دار الى نسايه وانا يوميذ ابنة تسع سنين وهذا السياق كانه مرسل وهو متصل لما رواه البيهقي من طريق احمد بن عبد الجبار ثنا عبد الله بن ادريس الاودي عن محمد بن عمرو عن يحيى بن عبد الرحمن بن حاطب قال قالت عايشة لما ماتت خديجة جاءت خولة بنت حكيم فقالت يا رسول الله الا تزوج قال ومن قالت ان شيت بكرا وان شيت ثيبا قال ومن البكر ومن الثيب قالت اما البكر فابنة احب خلق الله اليك واما الثيب فسودة بنت زمعة قد امنت بك واتبعتك عايشة قال فاذكريهما علي وذكر تمام الحديث نحو ما تقدم وهذا يقتضي ان عقده على عايشة كان متقدما على تزويجه بسودة بنت زمعة ولكن دخوله على سودة كان بمكة واما دخوله على عايشة فتاخر الى المدينة في السنة الثانية كما تقدم وكما سياتي وقال الامام احمد ثنا اسود ثنا شريك عن هشام عن ابيه عن عايشة قالت لما كبرت سودة وهبت يومها لي فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقسم لي بيومها مع نسايه قالت وكانت اول امراة تزوجها بعدي وقال الامام احمد حدثنا ابو النضر ثنا عبد الحميد حدثني شهر حدثني عبد الله بن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خطب امراة من قومه يقال لها سودة وكانت مصبية كان لها خمسة صبية او ستة من بعل لها مات فقال لها رسول الله ما يمنعك مني قالت والله يا نبي الله ما يمنعني منك ان لا تكون احب البرية الي ولكني اكرمك ان يضغو هولاء الصبية عند راسك بكرة وعشية قال فهل منعك مني غير ذلك قالت لا والله قال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم يرحمك الله ان خير نساء ركبن اعجاز الابل صالح نساء قريش احناه على ولد في صغره وارعاه على بعل بذات يده قلت كان زوجها قبله عليه السلام السكران بن عمرو اخو سهيل بن عمرو وكان ممن اسلم وهاجر الى الحبشة كما تقدم ثم رجع الى مكة فمات بها قبل الهجرة

رضي الله عنه فهذه السبل قاطبة كلها دالة على ان العقد على عايشة كان متقدما على العقد بسودة وهو قول عبد الله بن محمد بن عقيل ورواه يونس عن الزهري واختار ابن عبد البر ان العقد على سودة قبل عايشة وحكاه عن قتادة وابي عبيدة قال ورواه عقيل عن الزهري

فصل

قد تقدم ذكر موت ابي طالب عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وانه كان ناصرا له وقايما في صفه ومدافعا عنه بكل ما يقدر عليه من نفس ومال ومقال وفعال فلما مات اجترى سفهاء قريش على رسول الله صلى الله عليه وسلم ونالوا منه ما لم يكونوا يصلون اليه ولا يقدرون عليه كما قدروا البيهقي عن الحاكم عن الاصم ثنا محمد بن اسحاق الصغاني ثنا يوسف بن بهلول ثنا عبد الله بن ادريس حدثنا محمد بن اسحاق عمن حدثه عن عروة بن الزبير عن عبد الله بن جعفر قال لما مات ابو طالب عرض لرسول الله صلى الله عليه وسلم سفيه من سفهاء قريش فالقى عليه ترابا فرجع الى بيته فاتت امراة من بناته تمسح عن وجهه التراب وتبكي فجعل يقول اي بنية لا تبكين فان الله مانع اباك ويقول ما بين ذلك ما نالت قريش شيا اكرهه حتى مات ابو طالب وقد رواه زياد البكاي عن محمد بن اسحاق عن هشام بن عروة عن ابيه مرسلا والله اعلم وروى البيهقي ايضا عن الحاكم وغيره عن الاصم عن احمد بن عبد الجبار عن يونس بن بكير عن هشام بن عروة عن ابيه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما زالت قريش كاعين عني حتى مات ابو طالب ثم رواه عن الحاكم عن الاصم عن عباس الدوري عن يحيى بن معين ثنا عقبة المجدر عن هشام بن عروة عن ابيه عن عايشة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ما زالت قريش كاعة حتى توفي ابو طالب وقد روى الحافظ ابو الفرج بن الجوزي بسنده عن ثعلبة بن صعير وحكيم بن حزام انهما قالا لما توفي ابو طالب وخديجة وكان بينهما خمسة ايام اجتمعت على رسول الله مصيبتان فلزم بيته واقل الخروج ونالت منه قريش ما لم تكن تنال ولا تطمع فيه فبلغ ذلك ابا لهب فجاءه فقال يا محمد امض لما اردت وما كنت صانعا اذ كان ابو طالب حيا فاصنعه لا واللات لا يوصل اليك حتى اموت وسب ابن الغيطلة رسول الله صلى الله عليه وسلم فاقبل اليه ابو لهب فنال منه فولى يصيح يا معشر قريش صبا ابو عتبة فاقبلت قريش حتى وقفوا على ابي لهب فقال ما فارقت دين عبد المطلب ولكني امنع ابن اخي ان يضام حتى يمضي لما يريد فقالوا قد احسنت واجملت ووصلت الرحم فمكث رسول الله صلى الله عليه وسلم كذلك اياما ياتي ويذهب لا يعرض له احد من قريش وهابوا ابا لهب اذ جاء عقبة بن ابي معيط وابو جهل الى ابي لهب فقالا له اخبرك ابن اخيك اين مدخل ابيك فقال له ابو لهب يا محمد اين مدخل عبد المطلب قال مع قومه فخرج اليهما فقال قد سالته فقال مع قومه فقالا يزعم انه في النار فقال يا محمد ايدخل عبد المطلب النار فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن مات على ما مات عليه عبد المطلب دخل النار فقال ابو لهب لعنه الله والله لا برحت لك الا عدوا ابدا وانت تزعم ان عبد المطلب في النار واشتد عند ذلك ابو لهب وساير قريش عليه قال ابن اسحاق وكان النفر الذين يوذون النبي صلى الله عليه وسلم في بيته ابو لهب والحكم بن ابي العاص بن امية وعقبة بن ابي معيط وعدي بن الحمرا وابن الاصدا الهذلي وكانوا جيرانه لم يسلم منهم احد الا الحكم بن ابي العاص وكان احدهم فيما ذكر لي يطرح عليه رحم الشاة وهو يصلي وكان احدهم يطرحها في برمته اذا نصبت له حتى اتخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم حجرا يستتر به منهم اذا صلى فكان اذا طرحوا شيا من ذلك يحمله على عود ثم يقف به على بابه

ثم يقول يا بني عبد مناف اي جوار هذا ثم يلقيه في الطريق قلت وعندي ان غالب ما روي مما تقدم من طرحهم سلا الجزور بين كتفيه وهو يصلي كما رواه ابن مسعود وفيه ان فاطمة جاءت فطرحته عنه واقبلت عليهم فشتمتهم ثم لما انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا على سبعة منهم كما تقدم وكذلك ما اخبر به عبد الله بن عمرو بن العاص من خنقهم له عليه السلام خنقا شديدا حتى حال دونه ابو بكر الصديق قائلا اتقتلون رجلا ان يقول ربي الله وكذلك عزم ابي جهل لعنه الله على ان يطا على عنقه وهو يصلي فحيل بينه وبين ذلك وما اشبه ذلك كل ذلك كان بعد وفاة ابي طالب والله اعلم فذكرها هاهنا انسب واشبه

فصل في ذهابه عليه السلام الى اهل الطائف يدعوهم الى الله تعالى والى نصرة دينه فردوا عليه ذلك ولم يقبلوه فرجع عنهم الى مكة

قال ابن اسحاق فلما هلك ابو طالب نالت قريش من رسول الله صلى الله عليه وسلم من الاذى ما لم تكن تنال منه في حياة عمه ابي طالب فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الطائف يلتمس من ثقيف النصرة والمنعة بهم من قومه ورجا ان يقبلوا منه ما جاءهم به من الله تعالى فخرج اليهم وحده فحدثني يزيد بن ابي زياد عن محمد بن كعب القرظي قال لما انتهى رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الطائف عمد الى نفر من ثقيف هم سادة ثقيف واشرافهم وهم اخوة ثلاثة عبد ياليل ومسعود وحبيب بنو عمرو بن عمير بن عوف بن عقدة بن غيرة بن عوف بن ثقيف وعند احدهم امراة من قريش من بني جمح فجلس اليهم فدعاهم الى الله وكلمهم لما جاءهم له من نصرته على الاسلام والقيام معه على من خالفه من قومه فقال له احدهم هو يمرط ثياب الكعبة ان كان الله ارسلك وقال الاخر اما وجد الله احدا ارسله غيرك وقال الثالث والله لا اكلمك ابدا لئن كنت رسولا من الله كما تقول لانت اعظم خطرا من ان ارد عليك الكلام ولئن كنت تكذب على الله ما ينبغي لي ان اكلمك فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم من عندهم وقد يئس من خير ثقيف وقد قال لهم فيما ذكر لي اذ فعلتم ما فعلتم فاكتموا علي وكره رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يبلغ قومه عنه فيذئرهم ذلك عليه فلم يفعلوا واغروا به سفهاءهم وعبيدهم يسبونه ويصيحون به حتى اجتمع عليه الناس والجاوه الى حائط لعتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة وهما فيه ورجع عنه من سفهاء ثقيف من كان يتبعه فعمد الى ظل حبلة من عنب فجلس فيه وابنا ربيعة ينظران اليه ويريان ما يلقى من سفهاء اهل الطائف وقد لقي رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما ذكر لي المراة من بني جمح فقال لها ماذا لقينا من احمائك فلما اطمان قال فيما ذكر لي اللهم اليك اشكو ضعف قوتي وهواني على الناس يا ارحم الراحمين انت رب المستضعفين وانت ربي الى من تكلني الى بعيد يتجهمني ام الى عدو ملكته امري ان لم يكن بك غضب علي فلا ابالي ولكن عافيتك هي اوسع لي اعوذ بنور وجهك الذي اشرقت له الظلمات وصلح عليه امر الدنيا والاخرة من ان تنزل بي غضبك او تحل علي سخطك لك العتبى حتى ترضى ولا حول ولا قوة الا بك قال فلما راه ابنا ربيعة عتبة وشيبة وما لقي تحركت له رحمهما فدعوا غلاما لهما نصرانيا يقال له عداس فقالا له خذ قطفا من هذا العنب فضعه في هذا الطبق ثم اذهب به الى ذلك الرجل فقل له ياكل منه ففعل عداس ثم ذهب به حتى وضعه بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال له كل فلما وضع رسول الله صلى الله عليه وسلم يده فيه قال بسم الله

وقلة حيلتي م

ثم اكل فنظر عداس في وجهه ثم قال والله ان هذا الكلام ما يقوله اهل هذه البلاد فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن اهل اي بلاد انت يا عداس وما دينك قال نصراني وانا رجل من اهل نينوى فقال له رسول الله من قرية الرجل الصالح يونس بن متى فقال له عداس وما يدريك ما يونس بن متى فقال له رسول الله ذلك اخي كان نبيا وانا نبي فاكب عداس على رسول الله يقبل راسه ويديه وقدميه قال يقول ابنا ربيعة احدهما لصاحبه اما غلامك فقد افسده عليك فلما جاء عداس قالا له ويلك يا عداس ما لك تقبل راس هذا الرجل ويديه وقدميه قال يا سيدي ما في الارض شيء خير من هذا لقد اخبرني بامر ما يعلمه الا نبي قالا ويحك يا عداس لا يصرفنك عن دينك فان دينك خير من دينه وقد ذكر موسى بن عقبة نحوا من هذا السياق الا انه لم يذكر الدعاء وزاد وقعد له اهل الطائف صفين على طريقه فلما مر جعلوا لا يرفع رجليه ولا يضعهما الا رضخوهما بالحجارة حتى ادموه فخلص منهم وهما يسيلان الدماء فعمد الى ظل نخلة وهو مكروب وفي ذلك الحائط عتبة وشيبة ابنا ربيعة فكره مكانهما لعداوتهما الله ورسوله ثم ذكر قصة عداس النصراني كنحو مما تقدم وقد روى الامام احمد عن ابي بكر بن ابي شيبة ثنا مروان بن معاوية الفزاري عن عبد الله بن عبد الرحمن الطائفي عن عبد الرحمن بن خالد بن ابي جبل العدواني عن ابيه انه ابصر رسول الله صلى الله عليه وسلم في مشرق ثقيف وهو قائم على قوس او عصا حين اتاهم يبتغي عندهم النصر فسمعته يقول والسماء والطارق حتى ختمها قال فوعيتها في الجاهلية وانا مشرك ثم قراتها في الاسلام قال فدعتني ثقيف فقالوا ماذا سمعت من هذا الرجل فقراتها عليهم فقال من معهم من قريش نحن اعلم بصاحبنا لو كنا نعلم ما يقول حقا لاتبعناه وثبت في الصحيحين من طريق عبد الله بن وهب اخبرني يونس بن يزيد عن ابن شهاب قال اخبرني عروة بن الزبير ان عائشة حدثته انها قالت لرسول الله صلى الله عليه وسلم هل اتى عليك يوم اشد عليك من يوم احد قال ما لقيت من قومك كان اشد منه يوم العقبة اذ عرضت نفسي على ابن عبد ياليل بن عبد كلال فلم يجبني الى ما اردت فانطلقت وانا مهموم على وجهي فلم استفق الا وانا بقرن الثعالب فرفعت راسي فاذا انا بسحابة قد اظلتني فنظرت فاذا فيها جبريل عليه السلام فناداني فقال ان الله قد سمع قول قومك لك وما ردوا عليك وقد بعث اليك ملك الجبال لتامره بما شئت فيهم ثم ناداني ملك الجبال فسلم علي ثم قال يا محمد قد بعثني الله وقد سمع قول قومك لك وانا ملك الجبال قد بعثني اليك ربك لتامرني بما شئت ان شئت ان تطبق عليهم الاخشبين فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ارجو ان يخرج الله من اصلابهم من يعبد الله لا يشرك به شيئا

فصل

وقد ذكر محمد بن اسحاق سماع الجن لقراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك مرجعه من الطائف حين بات بنخلة فصلى باصحابه الصبح فاستمع الجن الذين صرفوا اليه فرانه هنالك قال ابن اسحاق وكانوا سبعة نفر وانزل الله فيهم قوله واذ صرفنا اليك نفرا من الجن يستمعون القران قلت وقد تكلمنا على ذلك مستقصى في التفسير وتقدم قطعة من ذلك والله اعلم ثم دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة مرجعه من الطائف في جوار المطعم بن عدي وازداد قومه عليه حنقا وغيظا وجراءة وتكذيبا وعنادا والله المستعان وعليه التكلان وقد ذكر الاموي في مغازيه ان رسول الله بعث ابن اريقط الى الاخنس بن شريق يطلب منه ان يجيره بمكة فقال ان حليف قريش لا يجير على صميمها ثم بعثه الى سهيل بن عمرو ليجيره فقال ان بني عامر بن لؤي لا يجير على بني

عبد الله م

كعب بن لوى فبعث الى المطعم بن عدى ليجيره فقال نعم قل له فليات فذهب اليه رسول
الله فبات عنده تلك الليلة فلما اصبح خرج معه هو وبنوه ستة او سبعة متقلدى السيوف
جميعا فدخلوا المسجد وقال لرسول الله طف واحتبوا بحمائل سيوفهم فى المطاف فاقبل
ابو سفيان الى مطعم فقال امجير او تابع قال لا بل مجير قال اذا لا تخفر فجلس معه حتى قضى رسول
الله طوافه فلما انصرف انصرفوا معه وذهب ابو سفيان الى مجلسه قال فمكث اياما ثم اذن
له فى الهجرة فلما هاجر رسول الله الى المدينة توفى مطعم بن عدى بعده بيسير فقال حسان
بن ثابت والله لارثينه فقال فيما قال

فلو كان مجد مخلدا اليوم واحدا • من الناس نجى مجده اليوم مطعما •
اجرت رسول الله منهم فاصبحوا • عبادك ما لبى محل واحرما •
فلو سئلت عنه معد باسرها • وقحطان او باقى بقية جرهما •
لقالوا هو الموفى بخفرة جاره • وذمته يوما اذا ما تجشما •
وما تطلع الشمس المنيرة فوقهم • على مثله فيهم اعز واكرما •
وآبى اذا يابى والين شيمة • وانوم عن جار اذا الليل اظلما •

قلت ولهذا قال النبى صلى الله عليه وسلم يوم اسارى بدر لو كان المطعم بن عدى حيا ثم
سالنى فى هؤلاء النتنى لوهبتهم له

فصل في عرض رسول الله صلى الله عليه وسلم

نفسه الكريمة على احياء العرب فى مواسم الحج ان يؤووه وينصروه ويمنعوه ممن كذبه وخالفه
فلم يجبه احد منهم لما ذخره الله تعالى للانصار من الكرامة العظيمة رضى الله عنهم قال
ابن اسحاق ثم قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة وقومه اشد ما كانوا عليه من خلافه وفراق
دينه الا قليلا مستضعفين ممن آمن به فكان رسول الله يعرض نفسه فى المواسم اذا كانت على قبائل
العرب يدعوهم الى الله عز وجل ويخبرهم انه نبى مرسل ويسالهم ان يصدقوه ويمنعوه حتى
يبين عن الله ما بعثه به قال ابن اسحاق فحدثنا من اصحابنا من لا اتهم عن زيد بن اسلم عن ربيعة
بن عباد الدولى او من حدثه ابو الزناد عنه وحدثنى حسين بن عبد الله بن عبيد الله بن عباس
سمعت ربيعة بن عباد يحدثه ابى قال انى لغلام شاب مع ابى بمنى ورسول الله يقف
على منازل القبائل من العرب فيقول يا بنى فلان انى رسول الله اليكم امركم ان تعبدوا الله
ولا تشركوا به شيئا وان تخلعوا ما تعبدون من دونه من هذه الانداد وان تؤمنوا بى وتصدقوا بى
وتمنعونى حتى ابين عن الله ما بعثنى به قال وخلفه رجل احول وضىء له غديرتان عليه حلة
عدنية فاذا فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من قوله وما دعا اليه قال ذلك الرجل يا بنى
فلان ان هذا انما يدعوكم الى ان تسلخوا اللات والعزى من اعناقكم وحلفاءكم من الجن من بنى
مالك بن اقيش الى ما جاء به من البدعة والضلالة فلا تطيعوه ولا تسمعوا منه قال
فقلت لابى يا ابت من هذا الرجل الذى يتبعه ويرد عليه ما يقول قال هذا عمه عبد العزى
بن عبد المطلب ابو لهب وقد روى الامام احمد هذا الحديث عن ابراهيم بن ابى العباس ثنا
عبد الرحمن بن ابى الزناد عن ابيه اخبرنى رجل يقال له ربيعة بن عباد من بنى الديل وكان جاهليا
فاسلم قال رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الجاهلية فى سوق ذى المجاز وهو يقول
يا ايها الناس قولوا لا اله الا الله تفلحوا والناس مجتمعون عليه ووراءه رجل وضىء الوجه
احول ذو غديرتين يقول انه صابئ كاذب يتبعه حيث ذهب فسالت عنه فقالوا هذا عمه

ابو لهب

ابو لهب ورواه البيهقى من طريق محمد بن عبد الله الانصارى عن محمد بن عمرو عن محمد بن المنكدر
عن ربيعة الديلى رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم بسوق ذى المجاز يتبع الناس فى منازلهم
يدعوهم الى الله ووراءه رجل احول تقد وجنتاه وهو يقول ايها الناس لا يغرنكم هذا عن دينكم
ودين آبائكم قلت من هذا قالوا هذا ابو لهب وكذا رواه ابو نعيم فى الدلائل من طريق ابن ابى ذيب
وسعيد بن سلمة بن ابى الحسام كلاهما عن محمد بن المنكدر به نحوه ثم رواه البيهقى من طريق
شعبة عن الاشعث بن سليم عن رجل من كنانة قال رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم بسوق
ذى المجاز وهو يقول يا ايها الناس قولوا لا اله الا الله تفلحوا واذا رجل خلفه يسفى عليه التراب
فاذا هو ابو جهل واذا هو يقول يا ايها الناس لا يغرنكم هذا عن دينكم فانما يريد ان تتركوا عبادة اللات
والعزى كذا قال فى هذا السياق ابو جهل وقد يكون وهما ويحتمل ان يكون تارة يكون ذا وتارة
يكون ذا وانهما كانا يتناوبان على اذاه صلى الله عليه وسلم قال ابن اسحاق وحدثنى ابن شهاب
الزهرى انه عليه السلام اتى كندة فى منازلهم وفيهم سيد لهم يقال له مليح فدعاهم الى الله عز
وجل وعرض عليهم نفسه فابوا عليه قال ابن اسحاق وحدثنى محمد بن عبد الرحمن بن
حصين انه اتى كلبا فى منازلهم الى بطن منهم يقال له بنو عبد الله فدعاهم الى الله وعرض عليهم
نفسه حتى انه ليقول يا بنى عبد الله ان الله قد احسن اسم ابيكم فلم يقبلوا منه ما عرض عليهم
وحدثنى بعض اصحابنا عن عبد الله بن كعب بن مالك ان رسول الله اتى بنى حنيفة فى منازلهم
فدعاهم الى الله وعرض عليهم نفسه فلم يك احد من العرب اقبح ردا عليه منهم وحدثنى الزهرى
انه اتى بنى عامر بن صعصعة فدعاهم الى الله وعرض عليهم نفسه فقال له رجل منهم يقال له
بحيرة بن فراس والله لو انى اخذت هذا الفتى من قريش لاكلت به العرب ثم قال له ارايت
ان نحن تابعناك على امرك ثم اظهرك الله على من خالفك ايكون لنا الامر من بعدك قال
الامر الى الله يضعه حيث يشاء قال فقال له افتهدف نحورنا للعرب دونك فاذا اظهرك
الله كان الامر لغيرنا لا حاجة لنا بامرك فابوا عليه فلما صدر الناس رجعت بنو عامر الى
شيخ لهم قد كان ادركه السن حتى لا يقدر ان يوافى معهم المواسم فكانوا اذا رجعوا اليه حدثوه
بما يكون فى ذلك الموسم فلما قدموا عليه ذلك العام سالهم عما كان فى موسمهم فقالوا جاءنا فتى
من قريش ثم احد بنى عبد المطلب يزعم انه نبى يدعونا الى ان نمنعه ونقوم معه ونخرج به الى بلادنا
قال فوضع الشيخ يديه على راسه ثم قال يا بنى عامر هل لها من تلاف هل لذناباها من مطلب
والذى نفس فلان بيده ما تقولها اسماعيلى قط وانها لحق فاين رايكم كان عنكم وقال
موسى بن عقبة عن الزهرى فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم فى تلك السنين يعرض
نفسه على قبائل العرب فى كل موسم ويكلم كل شريف قوم لا يسالهم مع ذلك الا ان يؤووه ويمنعوه
ويقول لا اكره احدا منكم على شىء من رضى منكم بالذى ادعوه اليه فذلك ومن كره لم اكرهه انما
اريد ان تحرزونى فيما يراد بى من القتل حتى ابلغ رسالة ربى وحتى يقضى الله لى ولمن صحبنى
بما شاء فلم يقبله احد منهم ولم يات احدا من تلك القبائل الا قال قوم الرجل اعلم به اترون
ان رجلا يصلحنا وقد افسد قومه ولفظوه وكان ذلك مما ذخر الله للانصار واكرمهم به
وقد روى الحافظ ابو نعيم من طريق عبد الله بن الاجلح ويحيى بن سعيد الاموى كلاهما عن محمد
بن السائب الكلبى عن ابى صالح عن ابن عباس عن العباس قال قال لى رسول الله صلى الله
عليه وسلم لا ارى لى عندك ولا عند اخيك منعة فهل انت مخرجى الى السوق غدا حتى نقر

تيأتي منازل الناس وكانت تجمع العرب قال فقلت هذه كنده [غير مقروء] وهي افضل من يحج البيت
من اليمن وهذه منازل بكر بن وائل وهذه منازل بني عامر بن صعصعة فاختر لنفسك قال
فبدأ [غير مقروء] بكندة فأتاهم فقال ممن القوم قالوا من اهل اليمن قال من اي اليمن قالوا من
كندة قال من اي كندة قالوا من بني عمرو بن معاوية قال فهل لكم الى خير قالوا وما هو قال تشهدون ان لا اله الا ساى كندة قالوا نحن
الله وتقيمون الصلاة وتؤمنون بما جاء من عند الله قال عبد الله بن الاجلح وحدثني
ابي عن اشياخ قومه ان كندة قالت له ان ظفرت تجعل لنا الملك من بعدك فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الملك لله يجعله حيث يشاء فقالوا لا حاجة لنا فيما جئتنا
به وقال الكلبي فقالوا اجئتنا لتصدنا عن الهتنا وننابذ العرب الحق بقومك فلا حاجة
لنا بك فانصرف من عندهم فأتى بكر بن وائل فقال ممن القوم قالوا من بكر بن وائل فقال من
اي بكر بن وائل قالوا من بني قيس بن ثعلبة قال كيف العدد قالوا كثير مثل الثرى قال
فكيف المنعة قالوا لا منعة جاورنا فارس فنحن لا نمتنع منهم ولا نجير عليهم قال فتجعلون
لله عليكم ان هو ابقاكم حتى تنزلوا منازلهم وتستنكحوا نساءهم وتستعبدوا ابناءهم ان
تسبحوا الله ثلاثا وثلاثين وتحمدوه ثلاثا وثلاثين وتكبروه اربعا وثلاثين قالوا ومن
انت قال انا رسول الله ثم انطلق فلما ولى عنهم قال الكلبي وكان عمه ابو لهب يتبعه فيقول
للناس لا تقبلوا قوله ثم مر ابو لهب فقالوا هل تعرف هذا الرجل قال نعم هذا في الذروة
منا فعن اي شأنه تسألون فاخبروه بما دعاهم اليه وقالوا زعم انه رسول الله قال الا لا ترفعوا
بقوله رأسا فانه مجنون يهذي من ام رأسه قالوا قد رأينا ذلك حين ذكر من امر فارس ما ذكر
قال الكلبي اخبرني عبد الرحمن العامري عن اشياخ من قومه قالوا اتانا رسول الله صلى
الله عليه وسلم ونحن بسوق عكاظ فقال ممن القوم قلنا من بني عامر بن صعصعة قال من
اي بني عامر بن صعصعة قالوا بنو كعب بن ربيعة قال كيف المنعة قلنا لا يرام ما قبلنا
ولا يصطلى بنارنا قال فقال لهم اني رسول الله واتيتكم لتمنعوني حتى ابلغ رسالة ربي
ولا اكره واحدا منكم على شيء قالوا ومن اي قريش انت قال من بني عبد المطلب قالوا فاين
انت من بني عبد مناف قال هم اول من كذبني وطردني قالوا ولكنا لا نطردك ولا نؤمن بك
وسنمنعك حتى تبلغ رسالة ربك قال فنزل اليهم والقوم يتسوقون اذ اتاهم بحيرة بن
فراس القشيري فقال من هذا الرجل اراه عندكم انكره قالوا هذا محمد بن عبد الله القرشي
قال فما لكم وله قالوا زعم لنا انه رسول الله فطلب الينا ان نمنعه حتى يبلغ رسالة ربه قال
فماذا رددتم عليه قالوا بالترحيب والسعة نخرجك الى بلادنا ونمنعك مما نمنع منه انفسنا
قال بحيرة ما اعلم احدا من اهل هذه السوق يرجع بشيء اشر من شيء ترجعون به بدأتم لتنابذوا
الناس وترميكم العرب عن قوس واحدة قومه اعلم به لو آنسوا منه خيرا لكانوا اسعد الناس
به اتعمدون الى رهيق قد طرده قومه وكذبوه فتؤوونه وتنصرونه فبئس الرأي رأيكم ثم
اقبل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له قم فالحق بقومك فوالله لولا انك عند قومي
لضربت عنقك قال فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم الى ناقته فركبها فغمز الخبيث
بحيرة شاكلتها فقمصت برسول الله صلى الله عليه وسلم فالقته وعند بني عامر يومئذ
ضباعة بنت عامر بن قرط كانت من النسوة اللاتي اسلمن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
بمكة جاءت زائرة الى بني عمها فقالت يا آل عامر ولا عامر لي ايصنع هذا برسول الله صلى الله

عليه وسلم

عليه وسلم بين اظهركم لا يمنعه احد منكم فقام ثلاثة من بني عمها الى بحيرة واثنين اعاناه فاخذ
كل رجل منهم رجلا فجلد به الارض ثم جلس على صدره ثم علوا وجوههم لطما فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم اللهم بارك على هؤلاء والعن هؤلاء قال فاسلم الثلاثة الذين نصروه وقتلوا
شهداء وهم غطيف وغطفان ابنا سهل وعروة او عزرة بن عبد الله بن سلمة رضي الله عنهم
وقد روى هذا الحديث بتمامه الحافظ سعيد بن يحيى بن سعيد الاموي في مغازيه عن ابيه
به وهلك الآخرون لعنا وهم بحيرة بن فراس وحزن بن عبد الله بن سلمة بن قشير ومعوية
بن عبادة احد بني عقيل لعنهم الله لعنا كثيرا وهذا اثر غريب كتبناه لغرابته والله اعلم
وقد روى ابو نعيم له شاهدا من حديث كعب بن مالك رضي الله عنه في قصة عامر بن صعصعة
وقبيح ردهم عليه واغرب من ذلك واطول منه ما رواه ابو نعيم والحاكم والبيهقي والسياق لابي
نعيم رحمهم الله من حديث ابان بن عبد الله البجلي عن ابان بن تغلب عن عكرمة عن ابن عباس
حدثني علي بن ابي طالب قال لما امر الله رسوله ان يعرض نفسه على قبائل العرب خرج
وانا معه وابو بكر الى منى حتى دفعنا الى مجلس من مجالس العرب فتقدم ابو بكر رضي الله عنه
فسلم وكان ابو بكر مقدما في كل خير وكان رجلا نسابة فقال ممن القوم قالوا من ربيعة
قال واي ربيعة انتم امن هامها ام من لهازمها قالوا بل من هامتها العظمى قال ابو بكر فمن
اي هامتها العظمى فقالوا ذهل الاكبر قال لهم ابو بكر فمنكم عوف الذي كان يقال
لا حر بوادي عوف قالوا لا قال فمنكم بسطام بن قيس ابو اللواء ومنتهى الاحياء قالوا لا
قال فمنكم الحوفزان بن شريك قاتل الملوك وسالبها انفسها قالوا لا قال فمنكم جساس
بن مرة بن ذهل حامي الذمار ومانع الجار قالوا لا قال فمنكم المزدلف صاحب العمامة الفردة
قالوا لا قال فانتم اخوال الملوك من كندة قالوا لا قال [غير مقروء] فانتم اصهار
الملوك من لخم قالوا لا قال لهم ابو بكر رضي الله عنه فلستم بذهل الاكبر بل انتم ذهل الاصغر
قال فقام اليه منهم غلام يدعى دغفل بن حنظلة الذهلي حين بقل وجهه فاخذ بزمام ناقة
ابي بكر وهو يقول

• ان على سائلنا ان نسأله • والعبو لا تعرفه او تحمله •

يا هذا انك سألتنا فاخبرناك ولم نكتمك شيئا ونحن نريد ان نسألك فمن انت قال
رجل من قريش فقال له الغلام بخ بخ اهل السؤدد والرياسة وازمة العرب وممن انت من
انت من قريش فقال له رجل من بني تيم بن مرة فقال له الغلام امكنت والله الرامي من صفاة
الثغرة امنكم قصي بن كلاب الذي قتل بمكة المتغلبين عليها واجلى بقيتهم وجمع قومه من
كل اوب حتى اوطنهم مكة ثم استولى على الدار وانزل قريشا منازلها فسمته العرب بذلك
مجمعا وفيه يقول الشاعر

• اليس ابوكم كان يدعى مجمعا • به جمع الله القبائل من فهر •

فقال ابو بكر لا قال فمنكم عبد مناف الذي انتهت اليه الوصايا وابو الغطاريف السادة
فقال ابو بكر لا قال فمنكم عمرو بن عبد مناف هاشم الذي هشم الثريد لقومه واهل مكة
مسنتون وفيه يقول الشاعر

• عمرو العلى هشم الثريد لقومه • ورجال مكة مسنتون عجاف •
• سنوا اليه الرحلتين كليهما • عند الشتاء ورحلة الاصياف •

كانت قريش بيضة فتفلقت * فالمح خالصه لعبد مناف
الرائشين وليس يعرف رائش * والقائلين هلم للاضياف
والضاربين الكبش يبرق بيضه * والمانعين البيض بالاسياف
لله درك لو نزلت بدارهم * منعوك من ازل ومن اقراف

فقال ابو بكر لا قال فمنكم عبد المطلب شيبة الحمد وصاحب عير مكة ومطعم طير السماء والوحوش
والسباع في الفلا الذي كان وجهه قمرا يتلالا في الليلة الظلماء قال لا قال فمن اهل الافاضة
انت قال لا قال فمن اهل الحجابة انت قال لا قال فمن اهل الندوة انت قال لا قال
فمن اهل السقاية انت قال لا قال فمن اهل الرفادة انت قال لا قال فمن المفيضين
انت قال لا ثم جذب ابو بكر رضي الله عنه زمام ناقته من يده فقال له الغلام

صادف درء السيل درء يدفعه * يهيضه حينا وحينا يصدعه

ثم قال اما والله يا اخا قريش لو ثبت لخبرتك انك من زمعات قريش ولست من الذوائب
قال فاقبل الينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يتبسم قال علي فقلت له يا ابا بكر لقد
وقعت من الاعرابي على باقعة فقال اجل يا ابا الحسن انه ليس من طامة الا وفوقها طامة والبلاء
موكل بالقول قال ثم انتهينا الى مجلس عليه السكينة والوقار واذا مشايخ لهم اقدار وهيئات
فتقدم ابو بكر فسلم قال علي وكان ابو بكر مقدما في كل خير فقال لهم ابو بكر ممن القوم قالوا
نحن بني شيبان بن ثعلبة فالتفت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له بابي انت
وامي ليس بعد هولاء من عز في قومهم وفي رواية ليس وراء هولاء عذر من قومهم وهولاء غرر
الناس وكان في القوم مفروق بن عمرو وهانئ بن قبيصة والمثنى بن حارثة والنعمان بن شريك
وكان اقرب القوم الى ابي بكر مفروق بن عمرو وكان مفروق بن عمرو قد غلب عليهم بيانا ولسانا
وكانت له غديرتان يسقطان على صدره فكان ادنى القوم مجلسا من ابي بكر فقال له ابو
بكر كيف العدد فيكم فقال له انا لنزيد على الف ولن تغلب الف من قلة فقال له فكيف المنعة
فيكم فقال علينا الجهد ولكل قوم جد فقال ابو بكر فكيف الحرب بينكم وبين عدوكم فقال
مفروق انا اشد ما نكون غضبا حين نلقى وانا اشد ما نكون لقاء حين نغضب وانا لنوثر
الجياد على الاولاد والسلاح على اللقاح والنصر من عند الله يديلنا مرة ويديل علينا اخرى لعلك
اخو قريش فقال ابو بكر ان كان بلغكم انه رسول الله فها هو ذا فقال مفروق قد بلغنا
انه يذكر ذلك ثم التفت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال الى ما تدعونا يا اخا قريش
فتقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم فجلس وقام ابو بكر يظله بثوبه فقال صلى الله عليه
وسلم ادعوكم الى شهادة ان لا اله الا الله وحده لا شريك له واني رسول الله وان تؤووني
وتنصروني حتى اؤدي عن الله الذي امرني به فان قريشا قد تظاهرت على امر الله وكذبت
رسله واستغنت بالباطل عن الحق والله هو الغني الحميد قال له والى ما تدعو ايضا
يا اخا قريش فتلا رسول الله صلى الله عليه وسلم قل تعالوا اتل ما حرم ربكم عليكم الا تشركوا
به شيئا وبالوالدين احسانا الى قوله فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون
فقال له مفروق والى ما تدعو ايضا يا اخا قريش فوالله ما هذا من كلام اهل الارض ولو كان
من كلامهم لعرفناه فتلا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله يامر بالعدل والاحسان وايتاء
ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظكم لعلكم تذكرون فقال له مفروق دعوت

والله يا قرشي الى مكارم الاخلاق ومحاسن الاعمال ولقد افك قوم كذبوك وظاهروا عليك وكانه
احب ان يشركه في الكلام هانئ بن قبيصة فقال وهذا هانئ بن قبيصة شيخنا وصاحب ديننا
فقال له هانئ قد سمعت مقالتك يا اخا قريش وصدقت قولك واني ارى ان تركنا ديننا واتباعنا
اياك على دينك لمجلس جلسته الينا ليس له اول ولا اخر لم نتفكر في امرك وننظر في عاقبته انه لمن
البين زلة في الراي وطيشة في العقل وقلة نظر في العاقبة وانما تكون الزلة مع العجلة وان من
ورائنا قوما نكره ان نعقد عليهم عقدا ولكن نرجع وترجع وننظر وتنظر وكانه احب ان
يشركه في الكلام المثنى بن حارثة فقال وهذا المثنى شيخنا وصاحب حربنا فقال المثنى قد
سمعت مقالتك واستحسنت قولك يا اخا قريش واعجبني ما تكلمت به والجواب هو جواب
هانئ بن قبيصة وتركنا ديننا واتباعنا اياك على دينك لمجلس جلسته الينا وانا انما نزلنا
بين صريين احدهما اليمامة والاخر السمامة فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم وما هذان
الصريان فقال له اما احدهما فطفوف البر وارض العرب واما الاخر فارض فارس وانهار كسرى
وانما نزلنا على عهد اخذه علينا كسرى ان لا نحدث حدثا ولا نؤوي محدثا ولعل هذا الامر الذي
تدعونا اليه مما تكرهه الملوك فاما ما كان مما يلي بلاد العرب فذنب صاحبه مغفور وعذره
مقبول واما ما كان يلي بلاد فارس فذنب صاحبه غير مغفور وعذره غير مقبول فان اردت
ان ننصرك ونمنعك مما يلي العرب فعلنا فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ما اساتم
الرد اذ افصحتم بالصدق انه لا يقوم بدين الله الا من حاطه من جميع جوانبه ثم قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ارايتم ان لم تلبثوا الا يسيرا حتى يمنحكم الله بلادهم واموالهم ويفرشكم
بناتهم اتسبحون الله وتقدسونه فقال له النعمان بن شريك اللهم وان ذلك لك يا اخا
قريش فتلا رسول الله صلى الله عليه وسلم انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وداعيا
الى الله باذنه وسراجا منيرا ثم نهض رسول الله صلى الله عليه وسلم قابضا على يدي ابي بكر
قال علي ثم التفت الينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا علي اية اخلاق العرب
كانت في الجاهلية ما اشرفها بها يتحاجزون في الحياة الدنيا قال ثم دفعنا الى مجلس الاوس
والخزرج فما نهضنا حتى بايعوا النبي صلى الله عليه وسلم قال علي وكانوا صدقا صبرا
فسر رسول الله صلى الله عليه وسلم من معرفة ابي بكر رضي الله عنه بانسابهم قال فلم يلبث ما رآى م
رسول الله صلى الله عليه وسلم الا يسيرا حتى خرج الى اصحابه فقال لهم احمدوا الله كثيرا فقد
ظفرت اليوم ابناء ربيعة باهل فارس قتلوا ملوكهم واستباحوا عسكرهم وبي نصروا قال وكانت
الوقعة بقراقر الى جنب ذي قار وفيها يقول الاعشى

فدى لبني ذهل بن شيبان ناقتي * وراكبها عند اللقاء وقلت
هم ضربوا بالحنو حنو قراقر * مقدمة الهامرز حتى تولت
فلله عينا من رأى من فوارس * كذهل بن شيبان بها حين ولت
فثاروا وثرنا والمودة بيننا * وكانت علينا غمرة فتجلت

هذا حديث غريب جدا كتبناه لما فيه من دلائل النبوة ومحاسن الاخلاق ومكارم الشيم وفصاحة
العرب وقد ورد هذا من طريق اخرى وفيه انهم لما تحاربوا هم وفارس والتقوا معهم بقراقر مكان
قريب من الفرات جعلوا شعارهم اسم محمد صلى الله عليه وسلم فنصروا على فارس بذلك وقد
دخلوا بعد ذلك في الاسلام وقال الواقدي ابو عبد الله بن وابصة العبسي عن ابيه عن جده

قال فجاءنا رسول الله في منازلنا بمنى ونحن نازلون بازاء الجمرة الاولى التي تلي مسجد الخيف
وهو على راحلته مردفا خلفه زيد بن حارثة فدعانا فوالله ما استجبنا له ولا خير لنا قال
وقد كنا سمعنا به وبدعائه في المواسم فوقف علينا يدعونا فلم نستجب له وكان معنا
ميسرة بن مسروق العبسي فقال لنا احلف بالله لو قد صدقنا هذا الرجل وحملناه حتى نحل
به وسط بلادنا لكان الراي فاحلف بالله ليظهرن امره حتى يبلغ كل مبلغ فقال القوم دعنا
منك لا تعرضنا لما لا قبل لنا به وطمع رسول الله في ميسرة فكلمه فقال ميسرة ما احسن كلامك
وانوره ولكن قومي يخالفونني وانما الرجل بقومه فاذا لم يعضدوه فالعدى ابعد فانصرف
رسول الله وخرج القوم صادرين الى اهاليهم فقال لهم ميسرة ميلوا بنا الى فدك فان بها
يهود نسائلهم عن هذا الرجل فمالوا الى يهود فاخرجوا سفرا لهم فوضعوه ثم درسوا ذكر
رسول الله صلى الله عليه وسلم النبي الامي العربي يركب الحمار ويجتزي بالكسرة وليس بالطويل
ولا بالقصير ولا بالجعد ولا بالسبط في عينيه حمرة مشرق اللون فان كان هو الذي دعاكم
فاجيبوه وادخلوا في دينه فانا نحسده ولا نتبعه وانا منه في مواطن بلاء عظيم ولا يبقى احد من العرب
الا اتبعه والا قاتله فكونوا ممن يتبعه فقال ميسرة يا قوم الا ان هذا الامر بين فقال القوم
نرجع الى الموسم ونلقاه فرجعوا الى بلادهم وابى ذلك عليهم رجالهم فلم يتبعه احد منهم فلما قدم
رسول الله المدينة مهاجرا وحج حجة الوداع لقيه ميسرة فعرفه فقال يا رسول الله والله
ما زلت حريصا على اتباعك من يوم انخت بنا حتى كان ما كان وابى الله الا ما ترى من تاخر
اسلامي وقد مات عامة النفر الذين كانوا معي فاين مدخلهم يا رسول الله فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم كل من مات على غير دين الاسلام فهو في النار فقال الحمد لله الذي انقذني
فاسلم وحسن اسلامه وكان له عند ابي بكر مكان وقد استقصى الامام محمد بن عمر الواقدي
قصص القبائل واحدة واحدة فذكر عرضه نفسه عليه السلام على بني عامر وغسان وبني
فزارة وبني مرة وبني حنيفة وبني سليم وبني عبس وبني نصر بن هوازن وبني ثعلبة بن عكابة
وكندة وكلب وبني الحرث بن كعب وبني عذرة وقيس بن الحطيم وغيرهم وسياق اخبارهم مطول
وقد ذكرنا من ذلك طرفا صالحا ولله الحمد والمنة وقال الامام احمد حدثنا اسود بن عامر
انا اسرائيل عن عثمان يعني ابن المغيرة عن سالم بن ابي الجعد عن جابر بن عبد الله قال كان النبي
صلى الله عليه وسلم يعرض نفسه على الناس بالموقف فيقول هل من رجل يحملني الى قومه فان
قريشا قد منعوني ان ابلغ كلام ربي عز وجل فاتاه رجل من همدان فقال ممن انت قال الرجل من
همدان قال فهل عند قومك من منعة قال نعم ثم ان الرجل خشي ان يخفره قومه فاتى رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقال آتيهم فاخبرهم ثم آتيك من عام قابل قال نعم فانطلق وجاء وفد
الانصار في رجب وقد رواه اهل السنن الاربعة من طرق عن اسرائيل به وقال الترمذي حسن صحيح

فصل في قدوم وفد الانصار عاما بعد عام

حتى بايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بيعة بعد بيعة ثم بعد ذلك تحول اليهم رسول
الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة فنزل بين اظهرهم كما سياتي بيانه وتفصيله ان شاء الله
وبه الثقة حديث سويد بن صامت الانصاري وهو سويد بن الصامت بن عطية بن حوط بن
حبيب بن عمرو بن عوف بن مالك بن الاوس وامه ليلى بنت عمرو النجارية اخت سلمى بنت عمرو ام عبد
المطلب بن هاشم فسويد هذا ابن خالة عبد المطلب جد رسول الله صلى الله عليه وسلم قال محمد

ابن اسحاق

ابن اسحاق بن يسار وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم على ذلك من امره كلما اجتمع له الناس
بالموسم اتاهم يدعو القبائل الى الله والى الاسلام ويعرض عليهم نفسه وما جاء به من الهدى والرحمة
ولا يسمع بقادم يقدم مكة من العرب له اسم وشرف الا تصدى له فدعاه الى الله تعالى وعرض
عليه ما عنده قال ابن اسحاق حدثني عاصم بن عمر بن قتادة عن اشياخ من قومه قالوا قدم
سويد بن الصامت اخو بني عمرو بن عوف مكة حاجا او معتمرا وكان سويد انما يسميه قومه
فيهم الكامل لجلده وشعره وشرفه ونسبه وهو الذي يقول

الا رب من تدعو صديقا ولو ترى • مقالته بالغيب ساءك ما يفري
مقالته كالشهد ما كان شاهدا • وبالغيب ماثور على ثغرة النحر
يسرك باديه وتحت اديمه • نميمة غش تبتري عقب الظهر
تبين لك العينان ما هو كاتم • من الغل والبغضاء بالنظر الشزر
فرشني بخير طالما قد بريتني • وشر الموالي من يريش ولا يبري

قال فتصدى له رسول الله صلى الله عليه وسلم حين سمع به فدعاه الى الله والاسلام
فقال له سويد فلعل الذي معك مثل الذي معي فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم
وما الذي معك قال مجلة لقمان يعني حكمة لقمان فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم
اعرضها علي فعرضها عليه فقال ان هذا لكلام حسن والذي معي افضل من هذا قران انزله
الله علي هو هدى ونور فتلا عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم القران ودعاه الى الاسلام
فلم يبعد منه وقال ان هذا لقول حسن ثم انصرف عنه فقدم المدينة على قومه فلم
يلبث ان قتلته الخزرج فان كان رجال من قومه ليقولون انا لنراه قتل وهو مسلم وكان
قتله قبل بعاث وقد رواه البيهقي عن الحاكم عن الاصم عن احمد بن عبد الجبار عن يونس
بن بكير عن ابن اسحاق باخصر من هذا

اسلام اياس بن معاذ

قال ابن اسحاق وحدثني الحصين بن عبد الرحمن بن عمرو بن سعد بن معاذ عن محمود بن لبيد
قال لما قدم ابو الحيسر انس بن رافع مكة ومعه فتية من بني عبد الاشهل فيهم اياس بن معاذ
يلتمسون الحلف من قريش على قومهم من الخزرج سمع بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم
فاتاهم فجلس اليهم فقال هل لكم في خير مما جئتم له فقالوا وما ذاك قال انا رسول
الله الى العباد ادعوهم الى ان يعبدوا الله ولا يشركوا به شيئا وانزل علي الكتاب ثم
ذكر لهم الاسلام وتلا عليهم القران قال فقال اياس بن معاذ وكان غلاما حدثا يا قوم
هذا والله خير مما جئتم له فاخذ ابو الحيسر انس بن رافع حفنة من تراب البطحاء فضرب
بها وجه اياس بن معاذ وقال دعنا منك فلعمري لقد جئنا لغير هذا قال فصمت
اياس وقام رسول الله صلى الله عليه وسلم عنهم وانصرفوا الى المدينة وكانت وقعة
بعاث بين الاوس والخزرج قال ثم لم يلبث اياس بن معاذ ان هلك قال محمود بن لبيد
فاخبرني من حضره من قومه انهم لم يزالوا يسمعونه يهلل الله ويكبره ويحمده ويسبحه
حتى مات فما كانوا يشكون انه قد مات مسلما لقد كان استشعر الاسلام في ذلك المجلس حين (في اسلامه)
سمع من رسول الله صلى الله عليه وسلم ما سمع قلت كان يوم بعاث وبعاث موضع بالمدينة
كانت فيه وقعة عظيمة قتل فيها خلق من اشراف الاوس والخزرج وكبرائهم ولم يبق من شيوخهم

وقال ابو زرعة الرازي في كتابه دلائل النبوة باب اسلام رافع بن ملك ومعاذ بن عفراء حدثنا ابراهيم بن محمد بن يحيى بن هانئ النيسابوري ثنا ابو يعقوب ابن اسحق ثنا عبيد بن يحيى عن معاذ بن رفاعة بن رافع عن ابيه
عن جده انه خرج هو وابن خالته معاذ بن عفراء حتى قدما مكة فلما هبطا من الثنية رايا رجلا تحت شجرة قال وهذا قبل خروج الستة من الانصار قال فلما رايناه قلنا ناتي هذا الرجل فنستودعه رواحلنا حتى نطوف بالبيت
فسلمنا عليه تسليم اهل الجاهلية فرد علينا تسليم اهل الاسلام وقد سمعنا بالنبي قال فانكرنا فقلنا من انت قال انزلوا فنزلنا فقلنا اين هذا الرجل الذي يدعي ما يدعي ويقول ما يقول قال انا هو قلنا فاعرض علينا الاسلام فعرض
وقال من خلق السموات والارض والجبال قلنا خلقهن الله قال فمن خلقكم قلنا الله قال فمن عمل هذه الاصنام التي تعبدون قلنا نحن قال فالخالق احق بالعبادة او المخلوق قلنا الخالق قال فانتم احق ان تعبدوه وانتم عملتموهن
والله احق ان تعبدوه من شيء عملتموه وانا ادعو الى عبادة الله وشهادة ان لا اله الا الله واني رسول الله وصلة الرحم وترك العدوان وان غضب الناس فقالا لو كان هذا الذي تدعو اليه باطلا لكان من معالي الامور ومحاسن
الاخلاق فامسك راحلتنا حتى ناتي البيت فجلس عنده معاذ بن عفراء قال رافع وجئت البيت فطفت واخرجت سبعة قداح وجعلت له منها قدحا فاستقبلت وقلت اللهم ان كان ما يدعو اليه محمد حقا فاخرج قدحه سبع مرات
فضربت بها سبع مرات فصحت اشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله فاجتمع الناس علي وقالوا مجنون رجل صبا فقلت بل رجل مؤمن ثم جئت الى النبي صلى الله عليه وسلم باعلى مكة فلما راني معاذ بن عفراء قال لقد جئت بوجه
ما ذهبت به يا رافع فجئت وامنت وعلمنا رسول الله صلى الله عليه وسلم سورة يوسف واقرا باسم ربك الذي خلق ثم خرجنا راجعين الى المدينة فلما كنا بالعقيق قال معاذ اني لم اطرق ليلا قط فبت بنا حتى نصبح فقلت ابيت ومعي ما معي
من الخير ما كنت لافعل وكان رافع اذا خرج سفرا ثم قدم عرض قومه اسناد حسن وسياق حسن

الا القليل وقد روى البخاري في صحيحه عن عبيد بن اسماعيل عن ابي اسامة عن هشام عن ابيه عن عائشة قالت كان يوم بعاث يوما قدمه الله لرسوله فقدم رسول الله الى المدينة وقد افترق ملاؤهم وقتلت سراتهم

باب بدء اسلام الانصار رضي الله عنهم

قال ابن اسحاق فلما اراد الله اظهار دينه واعزاز نبيه وانجاز موعده له خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في الموسم الذي لقيه فيه النفر من الانصار فعرض نفسه على قبائل العرب كما كان يصنع في كل موسم فبينما هو عند العقبة لقي رهطا من الخزرج اراد الله بهم خيرا فحدثني عاصم بن عمر بن قتادة عن اشياخ من قومه قالوا لما لقيهم رسول الله قال لهم من انتم قالوا نفر من الخزرج قال امن موالي يهود قالوا نعم قال افلا تجلسون اكلمكم قالوا بلى فجلسوا معه فدعاهم الى الله وعرض عليهم الاسلام وتلا عليهم القران قال وكان مما صنع الله بهم في الاسلام ان يهود كانوا معهم في بلادهم وكانوا اهل كتاب وعلم وكانوا هم اهل شرك اصحاب اوثان وكانوا قد غزوهم ببلادهم فكانوا اذا كان بينهم شيء قالوا لهم ان نبيا مبعوث الان قد اظل زمانه نتبعه فنقتلكم معه قتل عاد وارم فلما كلم رسول الله اولئك النفر ودعاهم الى الله قال بعضهم لبعض يا قوم تعلموا والله انه للنبي الذي توعدكم به يهود فلا يسبقنكم اليه فاجابوه فيما دعاهم اليه بان صدقوه وقبلوا منه ما عرض عليهم من الاسلام وقالوا له انا قد تركنا قومنا ولا قوم بينهم من العداوة والشر ما بينهم وعسى ان يجمعهم الله تعالى بك فسنقدم عليهم فندعوهم الى امرك ونعرض عليهم الذي اجبناك اليه من هذا الدين فان يجمعهم الله عليك فلا رجل اعز منك ثم انصرفوا راجعين الى بلادهم قد امنوا وصدقوا قال ابن اسحاق وهم فيما ذكر لي ستة نفر كلهم من الخزرج وهم ابو امامة اسعد بن زرارة بن عدس بن عبيد بن ثعلبة بن غنم بن مالك بن النجار قال ابو نعيم وقد قيل انه اول من اسلم من الانصار من الخزرج ومن الاوس ابو الهيثم بن التيهان وقيل ان اول من اسلم رافع بن مالك ومعاذ بن عفراء والله اعلم وعوف بن الحرث بن رفاعة بن سواد بن مالك بن غنم بن مالك بن النجار وهو ابن عفراء النجاريان ورافع بن مالك بن العجلان بن عمرو بن زريق الزرقي وقطبة بن عامر بن حديدة بن عمرو بن غنم بن سواد بن غنم بن كعب بن سلمة بن سعد بن علي بن اسد بن ساردة بن يزيد بن جشم بن الخزرج السلمي ثم من بني سواد وعقبة بن عامر بن نابي بن زيد بن حرام بن كعب بن سلمة السلمي ايضا ثم من بني حرام وجابر بن عبد الله بن رئاب بن النعمان بن سنان بن عبيد بن عدي بن غنم بن كعب بن سلمة السلمي ايضا ثم من بني عبيد رضي الله عنهم وهكذا روي عن الشعبي والزهري وغيرهما انهم كانوا ليلتئذ ستة نفر من الخزرج وذكر موسى بن عقبة فيما رواه عن الزهري وعروة بن الزبير ان اول اجتماعه عليه السلام بهم كانوا ثمانية وهم معاذ بن عفراء واسعد بن زرارة ورافع بن مالك وذكوان وهو ابن عبد قيس وعبادة بن الصامت وابو عبد الرحمن يزيد بن ثعلبة وابو الهيثم بن التيهان وعويم بن ساعدة فاسلموا وواعدوه الى قابل فرجعوا الى قومهم فدعوهم الى الاسلام وارسلوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم معاذ بن عفراء ورافع بن مالك ان ابعث الينا رجلا يفقهنا فبعث اليهم مصعب بن عمير فنزل على اسعد بن زرارة وذكر تمام القصة كما سيوردها ابن اسحاق اتم من سياق موسى بن عقبة والله اعلم قال ابن اسحاق فلما قدموا المدينة الى قومهم

ذكروا لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ودعوهم الى الاسلام حتى فشا فيهم فلم يبق دار من دور الانصار الا وفيها ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى اذا كان العام المقبل وافى الموسم من الانصار اثنا عشر رجلا وهم ابو امامة اسعد بن زرارة المتقدم ذكره وعوف بن الحرث المتقدم واخوه معاذ وهما ابنا عفراء ورافع بن مالك المتقدم ايضا وذكوان بن عبد قيس بن خلدة بن مخلد بن عامر بن زريق الزرقي قال ابن هشام وهو انصاري مهاجري وعبادة بن الصامت بن قيس بن اصرم بن فهر بن ثعلبة بن غنم بن عوف بن عمرو بن عوف بن الخزرج وحليفهم ابو عبد الرحمن يزيد بن ثعلبة بن خزمة بن اصرم البلوي والعباس بن عبادة بن نضلة بن العجلان بن زيد بن غنم بن سالم بن عوف بن عمرو بن عوف بن الخزرج العجلاني وعقبة بن عامر بن نابي المتقدم وقطبة بن عامر بن حديدة المتقدم فهؤلاء عشرة من الخزرج ومن الاوس اثنان وهما عويم بن ساعدة وابو الهيثم مالك بن التيهان قال ابن هشام التيهان يخفف ويثقل كميت وميت قال السهيلي ابو الهيثم بن التيهان اسمه مالك بن مالك بن عتيك بن عمرو بن عبد الاعلم بن عامر بن زعورا بن جشم بن الحرث بن الخزرج بن عمرو بن مالك بن الاوس قال وقيل انه اراشي وقيل بلوي وهذا لم ينسبه ابن اسحاق ولا ابن هشام قال والهيثم فرخ العقاب وضرب من النبات والمقصود ان هؤلاء الاثني عشر رجلا شهدوا الموسم عامئذ وعزموا على الاجتماع برسول الله صلى الله عليه وسلم فلقوه بالعقبة فبايعوه عندها بيعة النساء وهي العقبة الاولى وروى ابو نعيم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قرا عليهم من قوله في سورة ابراهيم واذ قال ابراهيم رب اجعل هذا البلد امنا الى اخرها وقال ابن اسحاق حدثني يزيد بن ابي حبيب عن مرثد بن عبد الله اليزني عن عبد الرحمن بن عسيلة الصنابحي عن عبادة هو ابن الصامت قال كنت ممن حضر العقبة الاولى وكنا اثني عشر رجلا فبايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم على بيعة النساء وذلك قبل ان يفترض الحرب على ان لا نشرك بالله شيئا ولا نسرق ولا نزني ولا نقتل اولادنا ولا ناتي ببهتان نفتريه بين ايدينا وارجلنا ولا نعصيه في معروف فان وفيتم فلكم الجنة وان غشيتم من ذلك شيئا فامركم الى الله ان شاء عذب وان شاء غفر وقد روى البخاري ومسلم هذا الحديث من طريق الليث بن سعد عن يزيد بن ابي حبيب به نحوه قال ابن اسحاق وذكر ابن شهاب الزهري عن عائذ الله بن عبد الله ابي ادريس الخولاني ان عبادة بن الصامت حدثه قال بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة العقبة الاولى على ان لا نشرك بالله شيئا ولا نسرق ولا نزني ولا نقتل اولادنا ولا ناتي ببهتان نفتريه بين ايدينا وارجلنا ولا نعصيه في معروف فان وفيتم فلكم الجنة وان غشيتم من ذلك شيئا فاخذتم بحده في الدنيا فهو كفارة له وان سترتم عليه الى يوم القيامة فامركم الى الله ان شاء عذب وان شاء غفر وهذا الحديث مخرج في الصحيحين وغيرهما من طرق عن الزهري به نحوه وقوله على بيعة النساء يعني على وفق ما نزلت عليه بيعة النساء بعد ذلك عام الحديبية وكان هذا مما نزل على وفق ما بايع عليه اصحابه ليلة العقبة وليس هذا بعجيب فان القران نزل بموافقة عمر بن الخطاب في غير ما موطن كما بيناه في سيرته وفي التفسير وان كانت هذه البيعة وقعت عن وحي غير متلو فهو اظهر والله اعلم قال ابن اسحاق فلما انصرف عنه القوم بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم معهم مصعب بن عمير بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار بن قصي وامره ان يقرئهم القران ويعلمهم الاسلام

ويفقههم في الدين وقد روى البيهقي عن ابن اسحاق قال فحدثني عاصم بن عمر بن قتادة ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم انما بعث مصعبا حين كتبوا اليه ان يبعثه اليهم وهو الذي
ذكره موسى بن عقبة كما تقدم الا انه جعله المرة الثانية بعد الاولى قال البيهقي وسياق ابن
اسحاق اتم وقال ابن اسحاق فكان عبيد الله بن ابي بكر يقول لا ادري ما العقبة الاولى ثم يقول
ابن اسحاق بلى لعمري قد كانت عقبة وعقبة قالوا كلهم فنزل مصعب على اسعد بن زرارة فكان
يسمى بالمدينة المقرئ قال ابن اسحاق فحدثني عاصم بن عمر بن قتادة انه كان يصلي بهم وذلك
ان الاوس والخزرج كره بعضهم ان يؤمه بعض رضي الله عنهم اجمعين قال ابن اسحاق وحدثني
محمد بن ابي امامة بن سهل بن حنيف عن ابيه عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك قال كنت قائد
ابي حين ذهب بصره فكنت اذا خرجت به الى الجمعة فسمع الاذان بها صلى على ابي امامة اسعد
بن زرارة قال فمكث حينا على ذلك لا يسمع الاذان للجمعة الا صلى عليه واستغفر له قال
فقلت في نفسي والله ان هذا بي لعجز الا اسأله فقلت يا ابه ما لك اذا سمعت الاذان للجمعة
صليت على ابي امامة فقال اي بني كان اول من جمع بنا بالمدينة في هزم الحرة من حرة بني بياضة
في نقيع يقال له نقيع الخضمات قال قلت وكم انتم يومئذ قال اربعون رجلا وقد روى
هذا الحديث ابو داود وابن ماجه من طريق محمد بن اسحاق رحمه الله وقد روى الدارقطني عن ابن عباس
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كتب الى مصعب بن عمير يأمره باقامة الجمعة وفي اسناده
غرابة والله اعلم قال ابن اسحاق وحدثني عبيد الله بن المغيرة بن معيقيب وعبد الله بن
ابي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم ان اسعد بن زرارة خرج بمصعب بن عمير يريد به دار بني عبد الاشهل
ودار بني ظفر وكان سعد بن معاذ ابن خالة اسعد بن زرارة فدخل به حائطا من حوائط بني ظفر
على بئر يقال لها بئر مرق فجلسا في الحائط واجتمع اليهما رجال ممن اسلم وسعد بن معاذ واسيد
بن الحضير يومئذ سيدا قومهما من بني عبد الاشهل وكلاهما مشرك على دين قومه فلما سمعا به قال
سعد لاسيد لا ابا لك انطلق الى هذين الرجلين اللذين قد اتيا دارنا ليسفها ضعفاءنا
فازجرهما وانههما ان ياتيا دارنا فانه لولا اسعد بن زرارة مني حيث قد علمت كفيتك ذلك
هو ابن خالتي ولا اجد عليه مقدما قال فاخذ اسيد بن حضير حربته ثم اقبل اليهما فلما رآه
اسعد بن زرارة قال لمصعب هذا سيد قومه وقد جاءك فاصدق الله فيه قال مصعب ان
يجلس اكلمه قال فوقف عليهما متشتما فقال ما جاء بكما الينا تسفهان ضعفاءنا اعتزلانا
ان كانت لكما بانفسكما حاجة وقال موسى بن عقبة فقال له غلام اتيتنا في دارنا بهذا الوحيد
الغريب الطريد ليسفه ضعفاءنا بالباطل ويدعوهم اليه قال ابن اسحاق فقال له مصعب
او تجلس فتسمع فان رضيت امرا قبلته وان كرهته كف عنك ما تكره قال انصفت قال ثم ركز
حربته وجلس اليهما فكلمه مصعب بالاسلام وقرأ عليه القرآن فقالا فيما يذكر عنهما والله لعرفنا
في وجهه الاسلام قبل ان يتكلم في اشراقه وتسهله ثم قال ما احسن هذا واجمله كيف تصنعون
اذا اردتم ان تدخلوا في هذا الدين قالا له تغتسل فتطهر وتطهر ثيابك ثم تشهد
شهادة الحق ثم تصلي فقام فاغتسل وطهر ثوبيه وتشهد شهادة الحق ثم قام فركع ركعتين
ثم قال لهما ان ورائي رجلا ان اتبعكما لم يتخلف عنه احد من قومه وسارسله اليكما الآن سعد بن معاذ
ثم اخذ حربته وانصرف الى سعد وقومه وهم جلوس في ناديهم فلما نظر اليه سعد بن معاذ مقبلا
قال احلف بالله لقد جاءكم اسيد بغير الوجه الذي ذهب به من عندكم فلما وقف على النادي

الهزم المطمئن من الارض

قال له سعد ما فعلت قال كلمت الرجلين فوالله ما رأيت بهما بأسا وقد نهيتهما فقالا
نفعل ما احببت وقد حدثت ان بني حارثة خرجوا الى اسعد بن زرارة ليقتلوه وذلك انهم عرفوا
انه ابن خالتك ليحقروك قال فقام سعد بن معاذ مغضبا مبادرا مخوفا للذي ذكر له من بني
حارثة واخذ الحربة في يده ثم قال والله ما اراك اغنيت شيئا ثم خرج اليهما فلما راهما
سعد مطمئنين عرف ان اسيدا انما اراد ان يسمع منهما فوقف عليهما متشتما ثم قال لاسعد
بن زرارة يا ابا امامة والله لولا ما بيني وبينك من القرابة ما رمت هذا مني تغشانا في دارنا
بما نكره قال وقد قال اسعد لمصعب جاءك والله سيد من وراءه من قومه ان يتبعك لا يتخلف
عنك منهم اثنان قال فقال له مصعب او تقعد فتسمع فان رضيت امرا ورغبت فيه قبلته
وان كرهته عزلنا عنك ما تكره قال سعد انصفت ثم ركز الحربة وجلس فعرض عليه الاسلام
وقرأ عليه القرآن وذكر موسى بن عقبة انه قرأ عليه اول الزخرف قال فعرفنا والله في وجهه الاسلام
قبل ان يتكلم لاشراقه وتسهله ثم قال لهما كيف تصنعون اذا انتم اسلمتم ودخلتم في هذا
الدين قالا تغتسل فتطهر وتطهر ثيابك ثم تشهد شهادة الحق ثم تصلي ركعتين قال
فقام فاغتسل وطهر ثوبيه وشهد شهادة الحق ثم ركع ركعتين ثم اخذ حربته فاقبل عامدا الى
نادي قومه ومعه اسيد بن الحضير فلما رآه قومه مقبلا قالوا نحلف بالله لقد رجع اليكم سعد
بغير الوجه الذي ذهب به من عندكم فلما وقف عليهم قال يا بني عبد الاشهل كيف تعلمون امري
فيكم قالوا سيدنا وافضلنا رأيا وايمننا نقيبة قال فان كلام رجالكم ونسائكم علي حرام
حتى تؤمنوا بالله ورسوله قال فوالله ما امسى في دار بني عبد الاشهل رجل ولا امرأة الا مسلما
ومسلمة ورجع سعد ومصعب الى منزل اسعد بن زرارة فاقام عنده يدعو الناس الى الاسلام
حتى لم تبق دار من دور الانصار الا وفيها رجال ونساء مسلمون الا ما كان من دار بني امية بن زيد
وخطمة ووائل وواقف وتلك اوس الله وهم من الاوس بن حارثة وذلك انهم كان فيهم ابو قيس
بن الاسلت واسمه صيفي وقال الزبير بن بكار اسمه الحارث وقيل عبيد الله واسم ابيه الاسلت
عامر بن جشم بن وائل بن زيد بن قيس بن عامر بن مرة بن مالك بن الاوس وكذا نسبه ابن الكلبي
ايضا وكان شاعرا لهم قائدا يستمعون منه ويطيعونه فوقف بهم عن الاسلام حتى كان بعد
الخندق قلت وابو قيس بن الاسلت هذا ذكر له ابن اسحاق اشعارا حسنة تقرب من
اشعار امية بن ابي الصلت الثقفي قال ابن اسحاق فيما تقدم ولما انتشر امر رسول الله صلى الله
عليه وسلم في العرب وبلغ البلدان ذكر بالمدينة ولم يكن حي من العرب اعلم بامر رسول الله حين ذكر
وقبل ان يذكر من هذا الحي من الاوس والخزرج وذلك لما كانوا يسمعون من احبار يهود فلما وقع
امره بالمدينة وتحدثوا بما بين قريش فيه من الاختلاف قال ابو قيس بن الاسلت اخو بني واقف
قال السهيلي هو ابو قيس صرمة بن ابي انس واسم ابي انس قيس بن صرمة بن مالك بن عدي بن
عمرو بن غنم بن عدي بن النجار قال وهو الذي انزل فيه وفي عمر احل لكم ليلة الصيام الرفث الى
نسائكم الاية قال ابن اسحاق وكان يحب قريشا وكان لهم صهرا كانت عنده ارنب بنت اسد
بن عبد العزى بن قصي وكان يقيم عندهم السنين بامرأته قال قصيدة يعظم فيها الحرمة وينهى
قريشا فيها عن الحرب ويذكر فضلهم واحلامهم ويذكرهم بلاء الله عندهم ودفعه عنهم الفيل وكيده
ويامرهم بالكف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو قوله

يا راكبا اما عرضت فبلغنا ... مغلغلة عني لؤي بن غالب

• رسول امرئ قد راعه ذات بينكم • على النأي محزون بذلك ناصب •
• وقد كان عندي للهموم معرس • فلم أقض منها حاجتي ومآربي •
• نبيتكم شرجين كل قبيلة • لها أزمل من بين مذك وحاطب •
• أعيذكم بالله من شر صنعكم • وشر تباغيكم ودس العقارب •
• وإظهار أخلاق ونجوى سقيمة • كوخز الأشافي وقعها حق صائب •
• فذكرهم بالله أول وهلة • وإحلال إحرام الظباء الشوازب •
• وقل لهم والله يحكم حكمه • ذروا الحرب تذهب عنكم في المراحب •
• متى تبعثوها تبعثوها ذميمة • هي الغول للأقصين أو للأقارب •
• تقطع أرحاما وتهلك أمة • وتبري السديف من سنام وغارب •
• وتستبدلوا بالأتحمية بعدها • شليلا وأصداء ثياب المحارب •
• وبالمسك والكافور غبرا سوابغا • كأن قتيريها عيون الجنادب •
• فإياكم والحرب لا تعلقنكم • وحوضا وخيم الماء مر المشارب •
• تزين للأقوام ثم يرونها • بعاقبة إذ بينت أم صاحب •
• تحرق لا تشوي ضعيفا وتنتحي • ذوي العز منكم بالحتوف الصوائب •
• ألم تعلموا ما كان في حرب داحس • فتعتبروا أو كان في حرب حاطب •
• وكم قد أصابت من شريف مسود • طويل العماد ضيفه غير خائب •
• عظيم رماد النار يحمد أمره • وذي شيمة محض كريم المضارب •
• وماء هريق في الضلال كأنما • أذاعت به ريح الصبا والجنائب •
• يخبركم عنها امرؤ حق عالم • بأيامها والعلم علم التجارب •
• فبيعوا الحراب ملمحارب واذكروا • حسابكم والله خير محاسب • تقديره سن المحارب
• ولي امرئ فاختار دينا فلا يكن • عليكم رقيبا غير رب الثواقب •
• أقيموا لنا دينا حنيفا فأنتم • لنا غاية قد يهتدى بالذوائب •
• وأنتم لهذا الناس نور وعصمة • تؤمون والأحلام غير عوازب •
• وأنتم إذا ما حصل الناس جوهر • لكم سرة البطحاء شم الأرانب •
• تصونون أنسابا كراما عتيقة • مهذبة الأنساب غير أشائب •
• ترى طالب الحاجات نحو بيوتكم • عصائب هلكى تهتدي بعصائب •
• لقد علم الأقوام أن سراتكم • على كل حال خير أهل الجباجب •
• وأفضله رأيا وأعلاه سنة • وأقوله للحق وسط المواكب •
• فقوموا فصلوا ربكم وتمسحوا • بأركان هذا البيت بين الأخاشب •
• فعندكم منه بلاء ومصدق • غداة أبي يكسوم هادي الكتائب •
• كتيبته بالسهل تمسي ورجله • على القاذفات في رءوس المناقب •
• فلما أتاكم نصر ذي العرش ردهم • جنود المليك بين ساف وحاصب •
• فولوا سراعا هاربين ولم يؤب • إلى أهله ملحبش غير عصائب • تقديره من الحبش
• فإن تهلكوا نهلك وتهلك مواسم • يعاش بها قول امرئ غير كاذب •

وحرب داحس الذي ذكرها أبو قيس في شعره كانت في زمن الجاهلية مشهورة وكان سببها فيما

ذكره أبو عبيدة معمر بن المثنى وغيره أن فرسا يقال له داحس كانت لقيس بن زهير بن جذيمة بن رواحة الغطفاني أجراه مع فرس لحذيفة بن بدر بن عمرو بن جؤية الغطفاني يقال لها الغبراء فجاءت داحس سابقا فأمر حذيفة من ضرب وجهها فوثب مالك بن زهير فلطم وجه الغبراء فقام حمل بن بدر فلطم مالكا ثم إن أبا جنيدب العبسي لقي عوف بن حذيفة فقتله ثم لقي رجل من بني فزارة مالكا فقتله فنشبت الحرب بين بني عبس وفزارة فقتل حذيفة بن بدر وأخوه حمل بن بدر وجماعات أخرون وقالوا في ذلك شعرا كثيرا يطول بسطها وذكرها قال ابن هشام ويقال أرسل قيس داحسا والغبراء وأرسل حذيفة الخطار والحنفاء والأول أصح قال وأما حرب حاطب فيعني حاطب بن الحارث بن قيس بن هيشة بن الحارث بن أمية بن معاوية بن مالك بن عوف بن عمرو بن عوف بن مالك بن الأوس كان قتل يهوديا جارا للخزرج فخرج إليه يزيد بن الحارث بن قيس بن مالك بن أحمر بن حارثة بن ثعلبة بن كعب بن مالك بن كعب بن الخزرج بن الحارث بن الخزرج وهو الذي يقال له ابن فسحم في نفر من بني الحارث بن الخزرج فقتلوه فوقعت الحرب بين الأوس والخزرج فاقتتلوا قتالا شديدا وكان الظفر للخزرج وقتل يومئذ الأسود بن الصامت الأوسي قتله المجذر بن ذياد حليف بني عوف بن الخزرج ثم كانت بينهم حروب يطول ذكرها أيضا والمقصود أن أبا قيس بن الأسلت مع علمه وفهمه تنقع بذلك حين قدم مصعب بن عمير المدينة ودعا أهلها إلى الإسلام فأسلم من أهلها بشر كثير ولم يبق دار من دور المدينة إلا وفيها مسلم ومسلمات غير دار بني واقف قبيلة أبي قيس ثبطهم عن الإسلام وهو القائل أيضا

• رب الناس أشياء ألمت • يلف الصعب منها بالذلول •
• رب الناس أما إن ضللنا • فيسرنا لمعروف السبيل •
• فلولا ربنا كنا يهودا • وما دين اليهود بذي شكول •
• ولولا ربنا كنا نصارى • مع الرهبان في جبل الجليل •
• ولكنا خلقنا إذ خلقنا • حنيفا ديننا عن كل جيل •
• نسوق الهدي ترسف مذعنات • مكشفة المناكب في الجلول •

وحاصلها يقول إنه حائر فيما وقع من الأمر الذي قد سمعه من بعثة رسول الله صلى الله عليه وسلم فتوقف أبو قيس في ذلك مع علمه وفهمه وكان الذي ثبطه عن الإسلام أولا عبد الله بن أبي سلول بعدما أخبره أبو قيس أنه الذي بشر يهود به فمنعه عن الإسلام قال ابن إسحاق ولم يسلم إلى يوم الفتح هو وأخوه وحوح وأنكر الزبير بن بكار أن يكون أبو قيس أسلم وكذا الواقدي قال كان قد عزم على الإسلام أول ما دعاه رسول الله فلامه عبد الله بن أبي فحلف لا يسلم إلى حول فمات في ذي القعدة وقد ذكر غيره فيما حكاه ابن الأثير في كتابه الغابة أنه لما حضره الموت دعاه النبي صلى الله عليه وسلم إلى الإسلام فسمع يقول لا إله إلا الله وقال الإمام أحمد ثنا حسن بن موسى ثنا حماد بن سلمة عن ثابت عن أنس بن مالك أن رسول الله عاد رجلا من الأنصار فقال يا خال قل لا إله إلا الله فقال أخال أم عم فقال بل خال فقال فخير لي أن أقول لا إله إلا الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم تفرد به أحمد رح وذكر عكرمة وغيره أنه لما توفي أراد ابنه أن يتزوج امرأته كبيشة بنت معن بن عاصم فسألت رسول الله في ذلك فأنزل الله ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء إلا ما قد سلف الآية وقال ابن إسحاق وسعيد بن يحيى الأموي في مغازيه كان أبو قيس

معا قد ترهب في الجاهلية ولبس المسوح وفارق الاوثان واغتسل من الجنابة وتطهر من الحائض من النسا وهم بالنصرانية ثم امسك عنها ودخل بيتا له فاتخذه مسجدا لا يدخله عليه فيه حايض ولا جنب وقال اعبد رب ابراهيم حين فارق الاوثان وكرهها حتى قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة فاسلم فحسن اسلامه وكان شيخا كبيرا وكان قوالا بالحق معظما لله في جاهليته يقول في ذلك اشعارا حسانا وهو الذي يقول

يقول ابو قيس واصبح غاديا • الا ما استطعتم من وصاتي فافعلوا •
واوصيكم بالله والبر والتقى • واعراضكم والبر بالله اول •
وان قومكم سادوا فلا تحسدنهم • وان كنتم اهل الرياسة فاعدلوا •
وان نزلت احدى الدواهي بقومكم • فانفسكم دون العشيرة فاجعلوا •
وان ناب غرم فادح فارفقوهم • وما حملوكم في الملمات فاحملوا •
وان انتم امعرتم فتعففوا • وان كان فضل الخير فيكم فافضلوا •

وقال ابو قيس ايضا

سبحوا الله شرق كل صباح • طلعت شمسه وكل هلال •
عالم السر والبيان جميعا • ليس ما قال ربنا بضلال •
وله الطير تستزيد وتاوي • في وكور من آمنات الجبال •
وله الوحش بالفلاة تراها • في حقاف وفي ظلال الرمال •
وله هودت يهود ودانت • كل دين مخافة من عضال •
وله شمس النصارى وقاموا • كل عيد لربهم واحتفال •
وله الراهب الحبيس تراه • رهن بوس وكان ناعم بال •
يا بني الارحام لا تقطعوها • وصلوها قصيرة من طوال •
واتقوا الله في ضعاف اليتامى • ربما يستحل غير الحلال •
واعلموا ان لليتيم وليا • عالما يهتدي بغير سوال •
ثم مال اليتيم لا تاكلوه • ان مال اليتيم يرعاه وال •
يا بني التخوم لا تخزلوها • ان خزل التخوم ذو عقال •
يا بني الايام لا تامنوها • واحذروا مكرها ومر الليالي •
واعلموا ان مرها لنفاد الخلق • ما كان من جديد وبال •
واجمعوا امركم على البر والتقوى • وترك الخنا واخذ الحلال •

قال ابن اسحاق وقال ابو قيس صرمة ايضا يذكر ما اكرمهم الله به من الاسلام وما خصهم به من نزول رسول الله صلى الله عليه وسلم عندهم ثوى في قريش بضع عشرة حجة يذكر لو يلقى صديقا مواسيا في ذكرها بتمامها فيما بعد ان شا الله وبه الثقة

قصة بيعة العقبة الثانية

قال ابن اسحاق ثم ان مصعب بن عمير رجع الى مكة وخرج من خرج من الانصار من المسلمين مع حجاج قومهم من اهل الشرك حتى قدموا مكة فواعدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم العقبة من اوسط ايام التشريق حين اراد الله بهم من كرامته والنصر لنبيه واعزاز الاسلام واهله حدثني معبد بن كعب بن مالك ان اخاه عبد الله بن كعب وكان من اعلم الانصار حدثه ان اباه كعبا حدثه وكان ممن شهد العقبة

وبايع

وبايع رسول الله صلى الله عليه وسلم بها قال خرجنا في حجاج قومنا من المشركين وقد صلينا وفقهنا ومعنا البرا بن معرور سيدنا وكبيرنا فلما وجهنا لسفرنا وخرجنا من المدينة قال البرا يا هولا اني قد رايت رايا والله ما ادري اتوافقوني عليه ام لا قلنا وما ذاك قال قد رايت ان لا ادع هذه البنية مني بظهر يعني الكعبة وان اصلي اليها قال فقلنا والله ما بلغنا ان نبينا صلى الله عليه وسلم يصلي الا الى الشام وما نريد ان نخالفه فقال اني لمصل اليها قال فقلنا له لكنا لا نفعل قال فكنا اذا حضرت الصلاة صلينا الى الشام وصلى هو الى الكعبة حتى قدمنا مكة قال يا ابن اخي انطلق بنا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى اساله عما صنعت في سفري هذا فانه والله لقد وقع في نفسي منه شي لما رايت من خلافكم اياي فيه قال فخرجنا نسال عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وكنا لا نعرفه لم نره قبل ذلك فلقينا رجلا من اهل مكة فسالناه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال هل تعرفانه فقلنا لا قال فهل تعرفان العباس بن عبد المطلب عمه قال قلنا نعم وقد كنا نعرف العباس كان لا يزال يقدم علينا تاجرا قال فاذا دخلتما المسجد فهو الرجل الجالس مع العباس قال فدخلنا المسجد فاذا العباس جالس ورسول الله صلى الله عليه وسلم جالس معه فسلمنا ثم جلسنا اليه فقال رسول الله للعباس هل تعرف هذين الرجلين يا ابا الفضل قال نعم هذا البرا بن معرور سيد قومه وهذا كعب بن مالك قال فوالله ما انسى قول رسول الله صلى الله عليه وسلم الشاعر قال نعم فقال له البرا بن معرور يا نبي الله اني خرجت في سفري هذا وقد هداني الله تعالى للاسلام فرايت ان لا اجعل هذه البنية مني بظهر فصليت اليها وقد خالفني اصحابي في ذلك حتى وقع في نفسي من ذلك شي فماذا ترى يا رسول الله قال قد كنت على قبلة لو صبرت عليها قال فرجع البرا الى قبلة رسول الله صلى الله عليه وسلم وصلى معنا الى الشام قال واهله يزعمون انه صلى الى الكعبة حتى مات وليس ذلك كما قالوا نحن اعلم به منهم قال كعب بن مالك ثم خرجنا الى الحج وواعدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم العقبة من اوسط ايام التشريق فلما فرغنا من الحج وكانت الليلة التي وعدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم لها ومعنا عبد الله بن عمرو بن حرام ابو جابر سيد من سادتنا اخذناه وكنا نكتم من معنا من قومنا من المشركين امرنا فكلمناه وقلنا له يا ابا جابر انك سيد من سادتنا وشريف من اشرافنا وانا نرغب بك عما انت فيه ان تكون حطبا للنار غدا ثم دعوناه الى الاسلام واخبرناه بميعاد رسول الله ايانا العقبة قال فاسلم وشهد معنا العقبة وكان نقيبا وقد روى البخاري حدثني ابراهيم ثنا هشام ان ابن جريج اخبرهم قال عطا قال جابر انا وابي وخالي من اصحاب العقبة قال عبد الله بن محمد قال ابن عيينة احدهم البرا بن معرور وحدثنا علي بن المديني ثنا سفيان قال كان عمرو يقول سمعت جابر بن عبد الله يقول شهد بي خالاي العقبة وقال الامام احمد حدثنا عبد الرزاق انا معمر عن ابن خثيم عن ابي الزبير عن جابر قال مكث رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة عشر سنين يتبع الناس في منازلهم عكاظ ومجنة وفي المواسم بمنى يقول من يوويني من ينصرني حتى ابلغ رسالة ربي وله الجنة فلا يجد احدا يوويه ولا ينصره حتى ان الرجل ليخرج من اليمن او من مضر كذا قال فيه فياتيه قومه وذو رحمه فيقولون احذر غلام قريش لا يفتنك ويمشي بين رجالهم وهم يشيرون اليه بالاصابع حتى بعثنا الله له من يثرب فآويناه وصدقناه فيخرج الرجل منا فيومن به ويقريه القران فينقلب الى اهله فيسلمون باسلامه حتى لم يبق دار من دور الانصار الا فيها رهط من المسلمين يظهرون الاسلام ثم ايتمروا جميعا فقلنا حتى متى نترك رسول الله صلى الله عليه وسلم يطرد

ويطرد

قال وقد كنا عبنا عليه ما صنع وابى الا الاقامة على ذلك فلما قدمنا مكة

ويصدقه

في جبال مكة ويخاف فرحل اليه منا سبعون رجلا حتى قدموا عليه في الموسم فواعدناه شعب العقبة
فاجتمعنا عنده من رجل ورجلين حتى توافينا فقلنا يا رسول الله علام نبايعك قال تبايعوني
على السمع والطاعة في النشاط والكسل والنفقة في العسر واليسر وعلى الامر بالمعروف والنهي
عن المنكر وان تقولوا في الله لا تخافوا في الله لومة لائم وعلى ان تنصروني فتمنعوني اذا قدمت
عليكم مما تمنعون منه انفسكم وازواجكم وابناءكم ولكم الجنة فقمنا اليه واخذ بيده اسعد بن زرارة
وهو من اصغرهم وفي رواية البيهقي وهو اصغر السبعين الا انا فقال رويدا يا اهل يثرب فانا لم
نضرب اليه اكباد الابل الا ونحن نعلم انه رسول الله وان اخراجه اليوم مفارقة العرب كافة وقتل خياركم
وتعضكم السيوف فاما انتم قوم تصبرون على ذلك فخذوه واجركم على الله واما انتم قوم تخافون
من انفسكم خيفة فذروه فبينوا ذلك فهو اعذر لكم عند الله قالوا امط عنا يا اسعد فوالله
لا ندع هذه البيعة ولا نستقيلها ابدا قال فقمنا اليه فبايعناه واخذ علينا وشرط ويعطينا
على ذلك الجنة وقد رواه الامام احمد ايضا والبيهقي من طريق داود بن عبد الرحمن العطار زاد
البيهقي عن الحاكم بسنده الى يحيى بن سليم كلاهما عن عبد الله بن عثمان بن خثيم عن ابي ادريس به
نحوه وهذا اسناد جيد على شرط مسلم ولم يخرجوه وقال البزار ورواه غير واحد عن ابن خثيم
ولا نعلمه يروى عن جابر الا من هذا الوجه وقال الامام احمد ثنا سليمان بن داود ثنا عبد
الرحمن بن ابي الزناد عن موسى بن عقبة عن ابي الزبير عن جابر قال كان العباس اخذا بيد رسول
الله صلى الله عليه وسلم ورسول الله يواثقنا فلما فرغنا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
اخذت واعطيت وقال البزار ثنا محمد بن معمر ثنا قبيصة ثنا سفيان هو الثوري عن جابر
يعني الجعفي عن داود وهو ابن ابي هند عن الشعبي عن جابر يعني ابن عبد الله قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم للنقباء من الانصار تؤووني وتمنعوني قالوا نعم فما لنا قال الجنة ثم قال
لا نعلمه يروى الا بهذا الاسناد عن جابر ثم قال ابن اسحاق عن معبد عن عبد الله عن ابيه كعب
بن مالك قال فنمنا تلك الليلة مع قومنا في رحالنا حتى اذا مضى ثلث الليل خرجنا من رحالنا
لميعاد رسول الله صلى الله عليه وسلم نتسلل تسلل القطا مستخفين حتى اجتمعنا في الشعب
عند العقبة ونحن ثلاثة وسبعون رجلا ومعنا امرأتان من نسائنا نسيبة بنت كعب
ام عمارة احدى نساء بني مازن بن النجار واسماء ابنة عمرو بن عدي بن نابي احدى نساء بني
سلمة وهي ام منيع وقد صرح ابن اسحاق في رواية يونس بن بكير عنه باسمائهم وانسابهم قلت وما ورد
في بعض احاديثهم كانوا سبعين فالعرب كثيرا ما تحذف الكسر وقال عروة بن الزبير وموسى
بن عقبة كانوا سبعين رجلا وامراة واحدة قال منهم اربعون من ذوي اسنانهم وثلاثون من
شبابهم قال واصغرهم ابو مسعود وجابر بن عبد الله قال كعب بن مالك فلما اجتمعنا في الشعب
ننتظر رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى جاءنا ومعه العباس بن عبد المطلب وهو يومئذ على
دين قومه الا انه احب ان يحضر امر ابن اخيه ويتوثق له فلما جلسنا كان اول متكلم العباس بن عبد
المطلب فقال يا معشر الخزرج قال وكانت العرب انما يسمون هذا الحي من الانصار الخزرج خزرجها
واوسها ان محمدا منا حيث قد علمتم وقد منعناه من قومنا ممن هو على مثل راينا فيه فهو في عزة
من قومه ومنعة في بلده وانه قد ابى الا الانحياز اليكم واللحوق بكم فان كنتم ترون انكم وافون له بما
دعوتموه اليه ومانعوه ممن خالفه فانتم وما تحملتم من ذلك وان كنتم ترون انكم مسلموه وخاذلوه
بعد الخروج اليكم فمن الان فدعوه فانه في عزة ومنعة من قومه وبلده قال فقلنا له قد سمعنا

وقول محمد بن اسحق انهم خمسة وسبعون اثبت

ما قلت

ما قلت فتكلم يا رسول الله فخذ لنفسك ولربك ما احببت قال فتكلم رسول الله صلى الله عليه
وسلم فتلا القران ودعا الى الله ورغب في الاسلام قال ابايعكم على ان تمنعوني مما تمنعون منه
نساءكم وابناءكم قال فاخذ البراء بن معرور بيده ثم قال نعم والذي بعثك بالحق لنمنعنك
مما نمنع منه ازرنا فبايعنا يا رسول الله فنحن والله ابناء الحروب ورثناها كابرا عن كابر قال اهل م / واهل الحلقة
فاعترض القول والبراء يكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم ابو الهيثم بن التيهان فقال
يا رسول الله ان بيننا وبين الرجال حبالا وانا قاطعوها يعني اليهود فهل عسيت ان نحن فعلنا ذلك
ثم اظهرك الله ان ترجع الى قومك وتدعنا قال فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم
قال بل الدم الدم والهدم الهدم انا منكم وانتم مني احارب من حاربتم واسالم من سالمتم قال كعب
وقد قال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم اخرجوا الي منكم اثني عشر نقيبا يكونون على قومهم
بما فيهم فاخرجوا منهم اثني عشر نقيبا تسعة من الخزرج وثلاثة من الاوس قال ابن اسحاق وهم ابو
امامة اسعد بن زرارة المتقدم وسعد بن الربيع بن عمرو بن ابي زهير بن مالك بن امرئ القيس
بن مالك بن ثعلبة بن كعب بن الخزرج بن الحرث بن الخزرج وعبد الله بن رواحة بن امرئ القيس
بن مالك بن ثعلبة بن كعب بن الخزرج بن الحرث بن الخزرج ورافع بن مالك بن العجلان المتقدم والبراء
بن معرور بن صخر بن خنساء بن سنان بن عبيد بن عدي بن غنم بن كعب بن سلمة بن سعد بن علي بن
اسد بن ساردة بن تزيد بن جشم بن الخزرج وعبد الله بن عمرو بن حرام بن ثعلبة بن حرام بن كعب
بن غنم بن كعب بن سلمة وعبادة بن الصامت المتقدم وسعد بن عبادة بن دليم بن حارثة بن
خزيمة بن ثعلبة بن طريف بن الخزرج بن ساعدة بن كعب بن الخزرج والمنذر بن عمرو بن حارثة بن لوذان بن خنيس م
بن عبد ود بن زيد بن ثعلبة بن الخزرج بن ساعدة بن كعب بن الخزرج فهؤلاء تسعة من الخزرج ومن
الاوس ثلاثة وهم اسيد بن حضير بن سماك بن عتيك بن رافع بن امرئ القيس بن زيد بن عبد
الاشهل بن جشم بن الحرث بن الخزرج بن عمرو بن مالك بن الاوس وسعد بن خيثمة بن الحرث بن
مالك بن كعب بن النحاط بن كعب بن حارثة بن غنم بن السلم بن امرئ القيس بن مالك بن الاوس
ورفاعة بن عبد المنذر بن زنبر بن زيد بن امية بن زيد بن مالك بن عوف بن عمرو بن عوف بن مالك بن
الاوس قال ابن هشام واهل العلم يعدون فيهم ابا الهيثم بن التيهان بدل رفاعة هذا وهو كذلك
في رواية يونس عن ابن اسحاق واختاره السهيلي وابن الاثير في الغابة ثم استشهد ابن هشام
على ذلك بما رواه عن ابي زيد الانصاري فيما ذكره من شعر كعب بن مالك في ذكر النقباء الاثني عشر
هذه الليلة ليلة العقبة الثانية حين قال

ابلغ ابيا انه فال رايه • وحان غداة الشعب والحين واقع
ابى الله ما منتك نفسك انه • بمرصاد امر الناس راء وسامع
وابلغ ابا سفيان ان قد بدا لنا • باحمد نور من هدى الله ساطع
فلا ترغبن في حشد امر تريده • والب وجمع كل ما انت جامع
ودونك فاعلم ان نقض عهودنا • اباه عليك الرهط حين تتابعوا
اباه البراء وابن عمرو كلاهما • واسعد يأباه عليك ورافع
وسعد اباه الساعدي ومنذر • لانفك ان حاولت ذلك جادع
وما ابن ربيع ان تناولت عهده • بمسلمه لا يطمعن ثم طامع
وايضا فلا يعطيكه ابن رواحة • واخفاره من دونه السم ناقع

وفا به والقوقلي بن صامت … بمندوحة عما يحاول يافع
ابو هيثم ايضا وفى بمثلها … وفا بما اعطى من العهد خانع
وما ابن حضير ان اردت بمطمع … فهل انت عن احموقة الغي نازع
وسعد اخو عمرو بن عوف فانه … ضروح لما حاولت من الامر مانع
اولاك نجوم لا يغبك منهم … عليك بنحس في دجى الليل طالع

قال ابن هشام فذكرهم ابو الهيثم بن التيهان ولم يذكر رفاعة قلت وذكر سعد بن معاذ وليس
من النقبا بالكلية في هذه الليلة وروى يعقوب بن سفيان عن يونس بن عبد الاعلى عن ابن
وهب عن مالك قال كان الانصار ليلة العقبة سبعين رجلا وكان نقباوهم اثني عشر نقيبا تسعة
من الخزرج وثلاثة من الاوس وحدثني شيخ من الانصار ان جبريل كان يشير لرسول الله صلى الله عليه
وسلم الى من يجعله نقيبا ليلة العقبة وكان اسيد بن حضير احد النقبا تلك الليلة رواه
البيهقي وقال ابن اسحاق فحدثني عبد الله بن ابي بكر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
للنقبا انتم على قومكم بما فيهم كفلاء ككفالة الحواريين لعيسى بن مريم وانا كفيل على قومي
قالوا نعم وحدثني عاصم بن عمر بن قتادة ان القوم لما اجتمعوا للبيعة رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال العباس بن عبادة بن نضلة الانصاري اخو بني سالم بن عوف يا معشر الخزرج هل تدرون
علام تبايعون هذا الرجل قالوا نعم قال انكم تبايعونه على حرب الاحمر والاسود من الناس فان
كنتم ترون انكم اذا انهكت اموالكم مصيبة واشرافكم قتلا اسلمتموه فمن الان فهو والله ان فعلتم
خزي الدنيا والاخرة وان كنتم ترون انكم وافون له بما دعوتموه اليه على نهكة الاموال وقتل
الاشراف فما لنا بذلك يا رسول الله ان نحن وفينا قال الجنة قالوا ابسط يدك فبسط يده
فبايعوه قال عاصم بن قتادة انما قال العباس بن عبادة ذلك ليشد العقد في اعناقهم
وزعم عبد الله بن ابي بكر انه انما قال ذلك ليوخر البيعة تلك الليلة رجاء ان يحضرها عبد
الله بن ابي بن سلول سيد الخزرج ليكون اقوى لامر القوم فالله اعلم اي ذلك كان قال ابن اسحاق
وحدثني معبد بن كعب عن اخيه عبد الله عن ابيه كعب بن مالك قال كان اول من ضرب على يد
رسول الله صلى الله عليه وسلم البرا بن معرور ثم بايع القوم وقال ابن الاثير في الغابة
وبنو سلمة يزعمون ان اول من بايع ليلتئذ كعب بن مالك وقد ثبت في صحيح البخاري
ومسلم من حديث الزهري عن عبد الرحمن بن عبد الله بن كعب عن ابيه عن كعب بن مالك في حديثه
حين تخلف عن غزوة تبوك قال ولقد شهدت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة
العقبة حين تواثقنا على الاسلام وما احب ان لي بها مشهد بدر وان كانت بدر اذكر في الناس
منها وقال البيهقي انا ابو الحسين بن بشران انا ابو عمرو بن السماك ثنا حنبل بن اسحاق ثنا
ابو نعيم ثنا زكريا بن ابي زايدة عن عامر الشعبي قال انطلق رسول الله ومعه العباس عمه الى
السبعين من الانصار عند العقبة تحت الشجرة فقال ليتكلم متكلمكم ولا يطل الخطبة فان
عليكم من المشركين عينا وان يعلموا بكم يفضحوكم فقال قايلهم وهو ابو امامة سل يا محمد لربك ما شيت
ثم سل لنفسك ما شيت ثم اخبرنا ما لنا من الثواب على الله وعليكم اذا فعلنا
ذلك فقال اسالكم لربي ان تعبدوه ولا تشركوا به شيا واسالكم لنفسي واصحابي ان تووونا
وتنصرونا وتمنعونا مما تمنعون منه انفسكم قالوا فما لنا اذا فعلنا ذلك قال لكم الجنة
قالوا فلك ذلك ثم رواه حنبل عن الامام احمد عن يحيى بن زكريا عن مجالد عن الشعبي عن ابي مسعود

فخذوه فهو والله خير الدنيا والاخرة قالوا فانا ناخذه على مصيبة الاموال وقتل الاشراف صح

يحيى بن م

الانصاري

الانصاري فذكره قال وكان ابو مسعود اصغرهم وقال احمد عن يحيى عن اسماعيل بن ابي خالد
عن الشعبي قال فما سمع الشيب والشبان خطبة مثلها وقال البيهقي انا ابو طاهر
محمد بن محمد بن محمش انا محمد بن ابراهيم بن الفضل الفحام انا محمد بن يحيى الذهلي انا عمرو
بن عثمان الرقي ثنا زهير ثنا عبد الله بن عثمان بن خثيم عن اسماعيل بن عبيد الله بن رفاعة
عن ابيه قال قدمت روايا خمر فاتاها عبادة بن الصامت فخرقها وقال انا بايعنا رسول
الله على السمع والطاعة في النشاط والكسل والنفقة في العسر واليسر وعلى الامر بالمعروف
والنهي عن المنكر وعلى ان نقول في الله لا تاخذنا فيه لومة لايم وعلى ان ننصر رسول الله اذا قدم
علينا يثرب مما نمنع به انفسنا وازواجنا وابناءنا ولنا الجنة فهذه بيعة رسول الله صلى
الله عليه وسلم التي بايعناه عليها وهذا اسناد جيد قوي ولم يخرجوه وقد روى يونس
عن ابن اسحاق حدثني عبادة بن الوليد بن عبادة بن الصامت عن ابيه عن جده عبادة بن
الصامت قال بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بيعة الحرب على السمع والطاعة
في عسرنا ويسرنا ومنشطنا ومكرهنا واثرة علينا وان لا ننازع الامر اهله وان نقول بالحق
اينما كنا لا نخاف في الله لومة لايم قال ابن اسحاق في حديثه عن معبد بن كعب عن اخيه
عبد الله عن كعب بن مالك قال فلما بايعنا رسول الله صرخ الشيطان من راس العقبة
بانفذ صوت ما سمعته قط يا اهل الجباجب والجباجب المنازل هل لكم في مذمم والصبا
معه قد اجتمعوا على حربكم قال فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا ازب العقبة هذا ابن
ازيب قال ابن هشام ويقال ابن ازيب اتسمع اي عدو الله اما والله لافرغن لك ثم قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم ارفضوا الى رحالكم قال فقال له العباس بن عبادة بن نضلة
يا رسول الله والذي بعثك بالحق ان شيت لنميلن على اهل منى غدا باسيافنا قال فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم لم نومر بذلك ولكن ارجعوا الى رحالكم قال فرجعنا الى مضاجعنا
فنمنا فيها حتى اصبحنا فلما اصبحنا غدت علينا جلة قريش حتى جاونا في منازلنا فقالوا
يا معشر الخزرج انه قد بلغنا انكم قد جيتم الى صاحبنا هذا تستخرجونه من بين اظهرنا وتبايعونه
على حربنا وانه والله ما من حي من العرب ابغض الينا من ان ينشب الحرب بيننا وبينكم منكم قال
فانبعث من هناك من مشركي قومنا يحلفون ما كان من هذا شي وما علمناه قال وصدقوا لم
يعلموا قال وبعضنا ينظر الى بعض قال ثم قام القوم وفيهم الحرث بن هشام بن المغيرة المخزومي
وعليه نعلان له جديدان قال فقلت له كلمة كاني اريد ان اشرك القوم بها فيما قالوا يا ابا
جابر اما تستطيع ان تتخذ وانت سيد من ساداتنا مثل نعلي هذا الفتى من قريش قال فسمعها
الحرث فخلعهما من رجليه ثم رمى بهما الي فقال والله لتنتعلنهما قال يقول ابو جابر مه احفظت
والله الفتى فاردد اليه نعليه قال قلت والله لا اردهما قال والله صالح لين صدق الفال
لاسلبنه قال ابن اسحاق وحدثني عبد الله بن ابي بكر انهم اتوا عبد الله بن ابي بن سلول فقالوا
مثل ما ذكر كعب من القول فقال لهم ان هذا الامر جسيم ما كان قومي ليتفرقوا على مثل هذا وما علمته
كان قال فانصرفوا عنه قال ونفر الناس من منى فتنطس القوم الخبر فوجدوه قد كان فخرجوا
في طلب القوم فادركوا سعد بن عبادة باذاخر والمنذر بن عمرو اخا بني ساعدة بن كعب بن الخزرج
وكلاهما كان نقيبا فاما المنذر فاعجز القوم واما سعد بن عبادة فاخذوه فربطوا يديه الى عنقه
بنسع رحله ثم اقبلوا به حتى ادخلوه مكة يضربونه ويجذبونه بجمته وكان ذا شعر كثير قال

سعد فوالله اني لفي ايديهم اذ طلع علي نفر من قريش فيهم رجل وضيء ابيض شعشاع حلو من
الرجال فقلت في نفسي ان يك عند احد من القوم خير فعند هذا فلما دنا مني رفع يده فلكمني لكمة
شديدة فقلت في نفسي لا والله ما عندهم بعد هذا من خير قال فوالله اني لفي ايديهم يسحبونني
اذ اوى لي رجل ممن معهم قال ويحك اما بينك وبين احد من قريش جوار ولا عهد قال قلت
بلى والله لقد كنت اجير لجبير بن مطعم تجارة وامنعهم ممن اراد ظلمهم ببلادي وللحارث بن حرب بن
امية بن عبد شمس فقال ويحك فاهتف باسم الرجلين واذكر ما بينك وبينهما قال ففعلت
وخرج ذلك الرجل اليهما فوجدهما في المسجد عند الكعبة فقال لهما ان رجلا من الخزرج الآن
ليضرب بالابطح ليهتف بكما قالا ومن هو قال سعد بن عبادة قالا صدق والله ان كان ليجير
لنا تجارنا ويمنعهم ان يظلموا ببلده قال فجاءا فخلصا سعدا من ايديهم فانطلق وكان الذي
لكم سعدا سهيل بن عمرو قال ابن هشام وكان الذي اوى له ابو البختري بن هشام وروى البيهقي
بسنده عن عيسى بن ابي عيسى بن جبير قال سمعت قريش قائلا يقول في الليل على ابي قبيس

فان يسلم السعدان يصبح محمد • بمكة لا يخشى خلاف المخالف •

فلما اصبحوا قال ابو سفيان من السعدان اسعد بن بكر ام سعد بن هذيم فلما كان في الليلة
الثانية سمعوا قائلا يقول

ايا سعد سعد الاوس كن انت ناصرا • ويا سعد سعد الخزرجين الغطارف •
اجيبا الى داعي الهدى وتمنيا • على الله في الفردوس منية عارف •
فان ثواب الله للطالب الهدى • جنان من الفردوس ذات رفارف •

فلما اصبحوا قال ابو سفيان هو والله سعد بن معاذ وسعد بن عبادة

فصل

قال ابن اسحاق فلما رجع الانصار الذين بايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة العقبة
الثانية الى المدينة اظهروا الاسلام بها وفي قومهم بقايا من شيوخ لهم على دينهم من الشرك
منهم عمرو بن الجموح بن زيد بن حرام بن كعب بن غنم بن كعب بن سلمة وكان ابنه معاذ بن عمرو ممن شهد
العقبة وكان عمرو بن الجموح من سادات بني سلمة وكان ابنه معاذ بن عمرو ممن شهد واشرافهم
وكان قد اتخذ صنما من خشب في داره يقال له مناة كما كانت الاشراف يصنعون يتخذه
الها يعظمه ويطهره فلما اسلم فتيان بني سلمة ابنه معاذ ومعاذ بن جبل كانوا يدلجون
بالليل على صنم عمرو ذلك فيحملونه فيطرحونه في بعض حفر بني سلمة وفيها عذر الناس منكسا
على راسه فاذا اصبح عمرو قال ويلكم من عدا على الهتنا هذه الليلة ثم يغدو يلتمسه حتى
اذا وجده غسله وطيبه وطهره ثم قال اما والله لو اعلم من فعل بك هذا لاخزينه فاذا
امسى ونام عمرو عدوا عليه ففعلوا مثل ذلك فيغدو فيجده في مثل ما كان فيه من الاذى فيغسله
ويطهره ويطيبه ثم يعدون عليه اذا امسى فيفعلون به مثل ذلك فلما اكثروا عليه
استخرجه من حيث القوه يوما فغسله وطهره وطيبه ثم جاء بسيفه فعلقه عليه ثم قال
له اني والله ما اعلم من يصنع بك ما ارى فان كان فيك خير فامتنع هذا السيف معك فلما
امسى ونام عمرو عدوا عليه فاخذوا السيف من عنقه ثم اخذوا كلبا ميتا فقرنوه به بحبل ثم
القوه في بئر من ابار بني سلمة فيها عذر من عذر الناس وغدا عمرو بن الجموح فلم يجده في مكانه الذي
كان به فخرج يتبعه حتى وجده في تلك البئر منكسا مقرونا بكلب ميت فلما راه ابصر شانه
وكلمه من اسلم من قومه فاسلم برحمة الله وحسن اسلامه فقال حين اسلم وعرف من الله ما عرف وهو يذكر

صنمه

صنمه ذلك وما ابصر من امره ويشكر الله الذي انقذه مما كان فيه من العمى والضلالة تالله لو
كنت الها لم تكن انت وكلب وسط بئر في قرن اف لملقاك الها مستدن الان فتشناك
عن سوء الغبن الحمد لله العلي ذي المنن الواهب الرزاق ديان الدين هو الذي انقذني من
قبل ان اكون في ظلمة قبر مرتهن

فصل يتضمن اسماء من شهد بيعة العقبة الثانية وجملتهم على ما ذكره ابن اسحاق ثلاثة وسبعون رجلا وامراتان

من الاوس احد عشر رجلا اسيد بن حضير احد النقباء وابو الهيثم بن التيهان بدري ايضا وسلمة
بن سلامة بن وقش بدري وظهير بن رافع وابو بردة بن نيار بدري ونهير بن الهيثم بن نابي بن
مجدعة بن حارثة وسعد بن خيثمة احد النقباء بدري قتل بها شهيدا ورفاعة بن عبد المنذر
بن زبير نقيب بدري وعبد الله بن جبير بن النعمان بن امية بن البرك بدري قتل يوم احد شهيدا
اميرا على الرماة ومعن بن عدي بن الجد بن عجلان بن الحرث بن ضبيعة البلوي حليف للاوس شهد
بدرا وما بعدها وقتل باليمامة شهيدا وعويم بن ساعدة شهد بدرا وما بعدها ومن الخزرج
اثنان وستون رجلا ابو ايوب خالد بن زيد وشهد بدرا وما بعدها ومات بارض الروم زمن
معاوية شهيدا ومعاذ بن الحرث واخواه عوف ومعوذ وهم بنو عفراء بدريون وعمارة بن حزم
شهد بدرا وما بعدها وقتل باليمامة واسعد بن زرارة احد النقباء مات قبل بدر وسهل بن عتيك
بدري واوس بن ثابت بن المنذر بدري وابو طلحة زيد بن سهل بدري وقيس بن ابي صعصعة
عمرو بن زيد بن عوف بن مبذول بن عمرو بن غنم بن مازن كان اميرا على الساقة يوم بدر وعمرو بن غزية
وسعد بن الربيع احد النقباء شهد بدرا واحدا والخندق وقتل يوم مؤتة اميرا وبشير بن سعد بدري
وعبد الله بن زيد بن ثعلبة بن عبد ربه الذي اري النداء وهو بدري وخلاد بن سويد بدري احدي
خندقي وقتل يوم بني قريظة شهيدا طرحت عليه رحى فشدخته فيقال ان رسول الله قال
ان له لاجر شهيدين وابو مسعود عقبة بن عمرو البدري قال ابن اسحاق وهو احدث من شهد العقبة
سنا ولم يشهد بدرا وزياد بن لبيد بدري وفروة بن عمرو بن ودفة بدري وخالد بن قيس بن مالك
بن العجلان بدري ورافع بن مالك احد النقباء وذكوان بن عبد قيس بن خلدة بن مخلد بن عامر بن زريق
وهو الذي يقال له مهاجري انصاري لانه اقام عند رسول الله بمكة حتى هاجر منها وهو بدري قتل
يوم احد وعباد بن قيس بن عامر بن خالد بن عامر بن زريق بدري واخوه الحرث بن قيس بن عامر بدري
ايضا والبراء بن معرور احد النقباء واول من بايع فيما تزعم بنو سلمة وقد مات قبل مقدم النبي صلى
الله عليه وسلم المدينة واوصى له بثلث ماله فرده رسول الله صلى الله عليه وسلم على ورثته وابنه
بشر بن البراء وشهد بدرا واحدا والخندق ومات بخيبر شهيدا من اكلة مع رسول الله من تلك الشاة
المسمومة رضي الله عنه وسنان بن صيفي بن صخر بدري والطفيل بن النعمان بن خنساء بدري قتل
يوم الخندق ومعقل بن المنذر بن سرح بدري واخوه يزيد بن المنذر بدري ومسعود بن زيد بن سبيع
والضحاك بن حارثة بن زيد بن ثعلبة بدري ويزيد بن خذام بن سبيع وجبار بن صخر بن خنساء
بن سنان بن عبيد بدري والطفيل بن مالك بن خنساء بدري وكعب بن مالك وسليم بن عمرو بن حديدة
بدري وقطبة بن عامر بن حديدة بدري واخوه ابو المنذر يزيد بدري ايضا وابو اليسر كعب بن
عمرو بدري وصيفي بن سواد بن عباد وثعلبة بن غنمة بن عدي بن نابي بدري واستشهد بالخندق واخوه

وقتل يوم احد وخارجة بن زيد شهد بدرا وقتل يوم احد وعبد الله بن رواحة احد النقباء شهد بدرا

عمرو بن غنمة

عمرو بن غنم بن عدي وعبس بن عامر بن عدي بدري وخالد بن عمرو بن عدي بن نابي وعبد الله بن
انيس حليف لهم من قضاعة وعبد الله بن عمرو بن حرام احد النقباء بدري استشهد يوم احد
وابنه جابر بن عبد الله ومعاذ بن عمرو بن الجموح بدري وثابت بن الجذع بدري وقتل شهيدا بالطائف
وعمير بن الحرث بن ثعلبة بدري وخديج بن سلامة حليف لهم من بلي ومعاذ بن جبل شهد بدرا وما
بعدها ومات بطاعون عمواس في خلافة عمر بن الخطاب وعبادة بن الصامت احد النقباء شهد
بدرا وما بعدها والعباس بن عبادة بن نضلة وقد اقام بمكة حتى هاجر منها فكان يقال له مهاجري
انصاري ايضا وقتل يوم احد شهيدا وابو عبد الرحمن يزيد بن ثعلبة بن خزمة بن اصرم حليف لهم
من بلي وعمرو بن الحرث بن لبدة ورفاعة بن عمرو بن زيد بدري وعقبة بن وهب بن كلدة حليف
لهم بدري وكان ممن خرج الى مكة فاقام بها حتى هاجر منها فهو ممن يقال له مهاجري انصاري ايضا
وسعد بن عبادة بن دليم احد النقباء والمنذر بن عمرو نقيب بدري احدي وقتل يوم بير معونة
اميرا وهو الذي يقال له اعنق ليموت واما المراتان فام عمارة نسيبة بنت كعب بن عمرو بن عوف
بن مبذول بن عمرو بن غنم بن مازن بن النجار المازنية النجارية قال ابن اسحاق وقد كانت شهدت
الحرب مع رسول الله وشهدت معها اختها وزوجها زيد بن عاصم بن كعب وابناها حبيب وعبد
الله وابنها حبيب هذا هو الذي قتله مسيلمة الكذاب حين جعل يقول له اتشهد ان محمدا رسول
الله فيقول نعم فيقول اتشهد اني رسول الله فيقول لا اسمع فجعل يقطعه عضوا عضوا حتى مات
في يديه لا يزيده على ذلك فكانت ام عمارة ممن خرج الى اليمامة مع المسلمين حين قتل مسيلمة ورجعت
وبها اثنا عشر جرحا من بين طعنة وضربة رضي الله عنها والاخرى ام منيع اسماء ابنة عمرو بن عدي
بن نابي بن عمرو بن سواد بن غنم بن كعب بن سلمة رضي الله عنهما

باب بدء الهجرة من مكة الى المدينة

قال الزهري عن عروة عن عايشة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يوميذ بمكة للمسلمين
قد اريت دار هجرتكم اريت سبخة ذات نخل بين لابتين فهاجر من هاجر قبل المدينة حين ذكر ذلك
رسول الله ورجع الى المدينة من كان هاجر الى ارض الحبشة من المسلمين رواه البخاري وقال
ابو موسى عن النبي صلى الله عليه وسلم رايت في المنام اني اهاجر من مكة الى ارض بها نخل فذهب
وهلي الى انها اليمامة او هجر فاذا هي المدينة يثرب وهذا الحديث قد اسنده البخاري في مواضع
اخر بطوله ورواه مسلم كلاهما عن ابي كريب زاد مسلم وعبد الله بن براد كلاهما عن ابي اسامة عن
بريد بن عبد الله بن ابي بردة عن جده ابي بردة عن ابي موسى عبد الله بن قيس الاشعري عن النبي صلى
الله عليه وسلم الحديث بطوله قال الحافظ ابو بكر البيهقي اخبرنا ابو عبد الله الحافظ املاء
انا ابو العباس القسم بن القسم السياري بمرو ثنا ابراهيم بن هلال ثنا علي بن الحسن بن شقيق ثنا
عيسى بن عبيد الكندي عن غيلان بن عبد الله العامري عن ابي زرعة بن عمرو بن جرير عن
جرير ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الله اوحى الي اي هولا البلاد الثلاث نزلت فهي دار هجرتك
المدينة او البحرين او قنسرين قال اهل العلم ثم عزم له على المدينة فامر اصحابه بالهجرة اليها
هذا حديث غريب جدا وقد رواه الترمذي في المناقب من جامعه منفردا به عن ابي عمار الحسين
بن الحرث عن الفضل بن موسى عن عيسى بن عبيد عن غيلان بن عبد الله العامري عن ابي زرعة بن عمرو
بن جرير عن جرير قال قال رسول الله ان الله اوحى الي اي هولاء الثلاثة نزلت فهي دار هجرتك المدينة
او البحرين او قنسرين ثم قال غريب لا نعرفه الا من حديث الفضل تفرد به ابو عمار قلت

وعيلان بن عبد الله العامري هذا ذكره ابن حبان في الثقات الا انه قال روى عن ابي زرعة حديثا
منكرا في الهجرة والله اعلم وقال ابن اسحاق لما اذن الله تعالى في الحرب بقوله اذن للذين
يقاتلون بانهم ظلموا وان الله على نصرهم لقدير الذين اخرجوا من ديارهم بغير حق الا ان يقولوا ربنا
الله الاية فلما اذن الله في الحرب وتابعه هذا الحي من الانصار على الاسلام والنصرة له ولمن اتبعه
واوى اليهم من المسلمين امر رسول الله صلى الله عليه وسلم من المهاجرين من قومه ومن معه بمكة من (اصحابه)
المسلمين بالخروج الى المدينة والهجرة اليها واللحوق باخوانهم من الانصار وقال ان الله قد جعل لكم
اخوانا ودارا تامنون بها فخرجوا اليها ارسالا واقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة ينتظر
ان ياذن له ربه في الخروج من مكة والهجرة الى المدينة فكان اول من هاجر الى المدينة من اصحاب رسول
الله من المهاجرين من قريش من بني مخزوم ابو سلمة عبد الله بن عبد الاسد بن هلال بن عبد الله بن عمر بن
مخزوم وكانت هجرته اليها قبل بيعة العقبة بسنة حين اتى قريش مرجعه من الحبشة فعزم على
الرجوع اليها ثم بلغه ان بالمدينة لهم اخوانا فعزم اليها قال ابن اسحاق فحدثني ابي عن سلمة بن عبد
الله بن عمر بن ابي سلمة عن جدته ام سلمة قالت لما اجمع ابو سلمة الخروج الى المدينة رحل لي بعيره
ثم حملني عليه وجعل معي ابني سلمة بن ابي سلمة في حجري ثم خرج يقود بي بعيره فلما راته رجال بني
المغيرة قاموا اليه فقالوا هذه نفسك غلبتنا عليها ارايت صاحبتنا هذه علام نتركك تسير
بها في البلاد قالت فنزعوا خطام البعير من يده واخذوني منه قالت وغضبت عند ذلك بنو
عبد الاسد رهط ابي سلمة فقالوا لا والله لا نترك ابننا عندها اذ نزعتموها من صاحبنا قالت
فتجاذبوا ابني سلمة بينهم حتى خلعوا يده وانطلق به بنو عبد الاسد وحبسني بنو المغيرة عندهم
وانطلق زوجي ابو سلمة الى المدينة قالت ففرق بيني وبين ابني وبين زوجي قالت فكنت
اخرج كل غداة فاجلس في الابطح فما ازال ابكي حتى امسى سنة او قريبا منها حتى مر بي رجل من بني عمي احد بني
المغيرة فراى ما بي فرحمني فقال لبني المغيرة الا تخرجون من هذه المسكينة فرقتم بينها وبين زوجها
وبين ولدها قالت فقالوا لي الحقي بزوجك ان شيت قالت ورد بنو عبد الاسد الي عند ذلك
ابني قالت فارتحلت بعيري ثم اخذت ابني فوضعته في حجري ثم خرجت اريد زوجي بالمدينة
قالت وما معي احد من خلق الله حتى اذا كنت بالتنعيم لقيت عثمان بن طلحة بن ابي طلحة اخا بني
عبد الدار فقال لي اين يا ابنة ابي امية قالت اريد زوجي بالمدينة قال او ما معك احد قلت ما معي
احد الا الله وبني هذا فقال والله ما لك من مترك فاخذ بخطام البعير فانطلق معي يهوي بي
فوالله ما صحبت رجلا من العرب قط ارى انه كان اكرم منه كان اذا بلغ المنزل اناخ بي ثم استاخر
عني حتى اذا نزلت استاخر ببعيري فحط عنه ثم قيده في الشجرة ثم تنحى الى الشجرة فاضطجع تحتها
فاذا دنا الرواح قام الى بعيري فقدمه فرحله ثم استاخر عني وقال اركبي فاذا ركبت فاستويت على
بعيري اتى فاخذ بخطامه فقاد بي حتى ينزل بي فلم يزل يصنع ذلك بي حتى اقدمني المدينة فلما
نظر الى قرية بني عمرو بن عوف بقبا قال زوجك في هذه القرية وكان ابو سلمة بها نازلا فادخليها
على بركة الله ثم انصرف راجعا الى مكة فكانت تقول ما اعلم اهل بيت في الاسلام اصابهم ما اصاب
آل ابي سلمة وما رايت صاحبا قط كان اكرم من عثمان بن طلحة اسلم عثمان بن طلحة بن ابي
طلحة العبدري هذا بعد الحديبية وهاجر هو وخالد بن الوليد معا وقتل يوم احد ابوه واخوته الحرث
وكلاب ومسافع وعمه عثمان بن ابي طلحة ودفع اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الفتح والى
ابن عمه شيبة والد بني شيبة مفاتيح الكعبة اقرها عليهم في الاسلام كما كانت في الجاهلية ونزل

في ذلك قوله تعالى إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها الآية قال ابن إسحاق ثم كان أول من قدمها من المهاجرين بعد أبي سلمة عامر بن ربيعة حليف بني عدي معه امرأته ليلى بنت أبي حثمة العدوية ثم عبد الله بن جحش بن رئاب بن يعمر بن صبرة بن مرة بن كثير بن غنم بن دودان بن أسد بن خزيمة حليف بني أمية بن عبد شمس احتمل بأهله وبأخيه عبد أبي أحمد اسمه عبد كما ذكره ابن إسحاق وقيل ثمامة قال السهيلي والأول أصح وكان أبو أحمد رجلا ضرير البصر وكان يطوف مكة أعلاها وأسفلها بغير قائد وكان شاعرا وكانت عنده الفرعة بنت أبي سفيان بن حرب وكانت أمه أميمة بنت عبد المطلب بن هاشم فغلقت دار بني جحش هجرة فمر بها عتبة بن ربيعة والعباس بن عبد المطلب وأبو جهل بن هشام وهم مصعدون إلى أعلى مكة فنظر إليها عتبة تخفق أبوابها يبابا ليس بها ساكن فلما رآها كذلك تنفس الصعداء وقال •

• وكل دار وإن طالت سلامتها • يوما ستدركها النكباء والحوب •

قال ابن هشام وهذا البيت لأبي دواد الإيادي في قصيدة له قال السهيلي واسم أبي دواد حنظلة وقيل جارية بن شرقي ثم قال عتبة أصبحت دار بني جحش خلاء من أهلها فقال أبو جهل وما تبكي عليه من قل بن قل ثم قال يعني للعباس هذا من عمل ابن أخيك هذا فرق جماعتنا وشتت أمرنا وقطع بيننا قال ابن إسحاق فنزل أبو سلمة وعامر بن ربيعة وبنو جحش بقباء على مبشر بن عبد المنذر ثم قدم المهاجرون أرسالا قال وكان بنو غنم بن دودان أهل الإسلام قد أوعبوا إلى المدينة هجرة رجالهم ونساؤهم عبد الله بن جحش وأخوه أبو أحمد وعكاشة بن محصن وشجاع وعقبة ابنا وهب وأربد بن حميرة ومنقذ بن نباتة وسعيد بن رقيش ومحرز بن نضلة ويزيد بن رقيش وقيس بن جابر وعمرو بن محصن ومالك بن عمرو وصفوان بن عمرو وثقف بن عمرو وربيعة بن أكثم والزبير بن عبيدة وتمام بن عبيدة ومحمد بن عبد الله بن جحش ومن نسائهم زينب بنت جحش وحمنة بنت جحش وأم حبيبة بنت جحش وجدامة بنت جندل وأم قيس بنت محصن وأم حبيب بنت ثمامة وآمنة بنت رقيش وسخبرة بنت تميم قال أبو أحمد بن جحش في هجرتهم إلى المدينة لما رأتني أم أحمد غاديا بذمة من أخشى بغيب وأرهب تقول •

• فإما كنت لا بد فاعلا • فيمم بنا البلدان ولننأ يثرب •
• فقلت لها ما يثرب بمظنة • وما يشأ الرحمن فالعبد يركب •
• إلى الله وجهي والرسول ومن يقم • إلى الله يوما وجهه لا يخيب •
• فكم قد تركنا من حميم مناصح • وناصحة تبكي بدمع وتندب •
• ترى أن وترا نأينا عن بلادنا • ونحن نرى أن الرغائب نطلب •
• دعوت بني غنم لحقن دمائهم • وللحق لما لاح للناس ملحب •
• أجابوا بحمد الله لما دعاهم • إلى الحق داع والنجاح فأوعبوا •
• وكنا وأصحابا لنا فارقوا الهدى • أعانوا علينا بالسلاح وأجلبوا •
• كفوجين أما منهما فموفق • على الحق مهدي وفوج معذب •
• طغوا وتمنوا كذبة وأزلهم • عن الحق إبليس فخابوا وخيبوا •
• ورعنا إلى قول النبي محمد • فطاب ولاة الحق منا وطيبوا •
• نمت بأرحام إليهم قريبة • ولا قرب بالأرحام إذ لا تقرب •
• فأي ابن أخت بعدنا يأمنكم • وأية صهر بعد صهري ترقب •

ستعلم يوما أينا إذ تزايلوا • وزيل أمر الناس للحق أصوب

قال ابن إسحاق ثم خرج عمر بن الخطاب وعياش بن أبي ربيعة حتى قدما المدينة فحدثني نافع عن عبد الله بن عمر عن أبيه قال اتعدت لما أردنا الهجرة إلى المدينة أنا وعياش بن أبي ربيعة وهشام ابن العاص التناضب من أضاة بني غفار فوق سرف وقلنا أينا لم يصبح عندها فقد حبس فليمض صاحباه قال فأصبحت أنا وعياش عند التناضب وحبس هشام وفتن فافتتن فلما قدمنا المدينة نزلنا في بني عمرو بن عوف بقباء وخرج أبو جهل بن هشام والحارث بن هشام إلى عياش وكان ابن عمهما وأخاهما لأمهما حتى قدما المدينة ورسول الله بمكة فكلماه وقالا له إن أمك قد نذرت أن لا يمس رأسها مشط حتى تراك ولا تستظل من شمس حتى تراك فرق لها فقلت له إنه والله إن يريدك القوم إلا عن دينك فاحذرهم فوالله لو قد آذى أمك القمل لامتشطت ولو قد اشتد عليها حر مكة لاستظلت قال فقال أبر قسم أمي ولي هنالك مال فآخذه قال فقلت والله إنك لتعلم أني لمن أكثر قريش مالا فلك نصف مالي ولا تذهب معهما قال فأبى علي إلا أن يخرج معهما فلما أبى إلا ذلك قلت أما إذ قد فعلت ما فعلت فخذ ناقتي هذه فإنها ناقة نجيبة ذلول فالزم ظهرها فإن رابك من أمر القوم ريب فانج عليها فخرج عليها معهما حتى إذا كانوا ببعض الطريق قال له أبو جهل يا أخي والله لقد استغلظت بعيري هذا أفلا تعقبني على ناقتك هذه قال بلى فأناخ وأناخا ليتحول عليها فلما استووا بالأرض عدوا عليه فأوثقاه رباطا ثم دخلا به مكة وفتناه فافتتن قال عمر فكنا نقول لا يقبل الله ممن افتتن توبة وكانوا يقولون ذلك لأنفسهم حتى قدم رسول الله المدينة وأنزل الله قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعا إنه هو الغفور الرحيم وأنيبوا إلى ربكم وأسلموا له من قبل أن يأتيكم العذاب ثم لا تنصرون واتبعوا أحسن ما أنزل إليكم من ربكم من قبل أن يأتيكم العذاب بغتة وأنتم لا تشعرون قال عمر فكتبتها بيدي وبعثت بها إلى هشام بن العاص قال هشام فلما أتتني جعلت أقرؤها بذي طوى أصعد بها فيه وأصوب ولا أفهمها حتى اخرى قلت اللهم فهمنيها قال فألقى الله في قلبي أنها إنما أنزلت فينا وفيما كنا نقول في أنفسنا ويقال فينا قال فرجعت إلى بعيري فجلست عليه فلحقت برسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة وذكر ابن هشام أن الذي قدم بهشام بن العاص وعياش بن أبي ربيعة إلى المدينة الوليد بن المغيرة سرقهما من مكة وقدم بهما يحملهما على بعيره وهو ماش معهما فعثر فدميت إصبعه فقال هل أنت إلا إصبع دميت وفي سبيل الله ما لقيت وقال البخاري ثنا أبو الوليد ثنا شعبة أنبأنا أبو إسحق سمع البراء قال أول من قدم علينا مصعب بن عمير وابن أم مكتوم ثم قدم عمار وبلال وحدثني محمد بن بشار ثنا غندر ثنا شعبة عن أبي إسحاق سمعت البراء بن عازب قال أول من قدم علينا مصعب بن عمير وابن أم مكتوم فكانا يقرئان الناس وقدم بلال وسعد وعمار بن ياسر ثم قدم عمر بن الخطاب في عشرين نفرا من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ثم قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم فما رأيت أهل المدينة فرحوا بشيء فرحهم برسول الله حتى جعل الإماء يقلن قدم رسول الله فما قدم حتى قرأت سبح اسم ربك الأعلى في سور من المفصل ورواه مسلم في صحيحه من حديث إسرائيل عن أبي إسحاق عن البراء بن عازب بنحوه وفيه التصريح بأن سعد بن أبي وقاص هاجر قبل قدوم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة وقد زعم موسى بن عقبة عن الزهري أنه إنما هاجر بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم والصواب ما تقدم قال ابن إسحاق ولما قدم

عمر بن الخطاب بالمدينة هو ومن لحق به من اهله وقومه واخوه زيد بن الخطاب وعمرو وعبد الله ابنا سراقة بن المعتمر وخنيس بن حذافة السهمي زوج ابنته حفصة وابن عمه سعيد بن زيد بن عمرو ابن نفيل وواقد بن عبد الله التميمي حليف لهم وخولي بن ابي خولي ومالك بن ابي خولي حليفان لهم من بني عجل وبنو البكير اياس وخالد وعاقل وعامر وحلفاؤهم من بني سعد بن ليث فنزلوا على رفاعة بن عبد المنذر بن زنبر في بني عمرو بن عوف بقباء قال ابن اسحاق ثم تتابع المهاجرون رضي الله عنهم فنزل طلحة بن عبيد الله وصهيب بن سنان على حبيب بن اساف اخي بلحارث بن الخزرج بالسنح ويقال بل نزل طلحة على اسعد بن زرارة قال ابن هشام وذكر لي عن ابي عثمان النهدي انه قال بلغني ان صهيبا حين اراد الهجرة قال له كفار قريش اتيتنا صعلوكا حقيرا فكثر مالك عندنا وبلغت الذي بلغت ثم تريد ان تخرج بمالك ونفسك والله لا يكون ذلك فقال لهم صهيب ارايتم ان جعلت لكم مالي اتخلون سبيلي قالوا نعم قال فاني قد جعلت لكم مالي فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ربح صهيب ربح صهيب وقد قال الحافظ البيهقي حدثنا الحافظ ابو عبد الله املاء انا ابو العباس اسماعيل بن عبد الله بن محمد بن ميكال انا عبدان الاهوازي ثنا زيد بن الحريش ثنا يعقوب بن محمد الزهري ثنا حصين بن حذيفة بن صيفي بن صهيب حدثني ابي وعمومتي عن سعيد بن المسيب عن صهيب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اريت دار هجرتكم سبخة بين ظهراني حرتين فاما ان تكون هجرا او تكون يثرب قال وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة وخرج ابو بكر معه وكنت قد هممت بالخروج معه فصدني فتيان من قريش فجعلت ليلتي تلك اقوم لا اقعد فقالوا قد شغله الله عنكم ببطنه ولم اكن شاكيا فناموا فخرجت ولحقني منهم ناس بعد ما سرت بريدا ليردوني فقلت لهم هل لكم ان اعطيكم اواقي من ذهب وتخلوا سبيلي وتوفون لي فتبعتهم الى مكة فقلت احفروا تحت اسكفة الباب فان بها اواقي واذهبوا الى فلانة فخذوا الحلتين وخرجت حتى قدمت على رسول الله قبا قبل ان يتحول منها فلما رآني قال يا ابا يحيى ربح البيع يا ابا يحيى ربح البيع فقلت يا رسول الله ما سبقني اليك احد وما اخبرك الا جبريل عليه السلام قال ابن اسحاق ونزل حمزة بن عبد المطلب وزيد بن حارثة وابو مرثد كناز بن الحصين وابنه مرثد الغنويان حليفا حمزة وانسة وابو كبشة موليا رسول الله صلى الله عليه وسلم على كلثوم بن الهدم اخي بني عمرو بن عوف بقباء وقيل على سعد بن خيثمة وقيل بل نزل حمزة على اسعد بن زرارة والله اعلم قال ونزل عبيدة بن الحارث واخواه الطفيل والحصين ومسطح بن اثاثة وسويبط بن سعد بن حرملة اخو بني عبد الدار وطليب بن عمير اخو بني عبد بن قصي وخباب مولى عتبة بن غزوان على عبد الله بن سلمة اخي بلعجلان بقباء ونزل عبد الرحمن بن عوف في رجال من المهاجرين على سعد بن الربيع ونزل الزبير بن العوام وابو سبرة بن ابي رهم على منذر بن محمد بن عقبة بن احيحة بن الجلاح بالعصبة دار بني جحجبا ونزل مصعب بن عمير على سعد بن معاذ ونزل ابو حذيفة بن عتبة وسالم مولاه على سلمة ابن اسحاق وقال الاموي على خبيب بن اساف قال
بن اخي حارثة ونزل عتبة بن غزوان على عباد بن بشر بن وقش في بني عبد الاشهل ونزل عثمان بن عفان على اوس بن ثابت بن المنذر اخي حسان بن ثابت في دار بني النجار قال ابن اسحاق ونزل العزاب من المهاجرين على سعد بن خيثمة وذلك انه كان عزبا والله اعلم اي ذلك كان وقال يعقوب بن سفيان حدثني احمد بن ابي بكر بن الحارث بن زرارة بن مصعب بن عبد الرحمن بن عوف ثنا عبد العزيز بن محمد عن عبيد الله عن نافع عن ابن عمر قال قدمنا من مكة فنزلنا العصبة عمر بن الخطاب وابو

عبيدة

عبيدة بن الجراح وسالم مولى ابي حذيفة فكان يؤمهم سالم مولى ابي حذيفة لانه كان اكثرهم قرآنا

فصل في سبب هجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم بنفسه الكريمة

قال الله تعالى وقل رب ادخلني مدخل صدق واخرجني مخرج صدق واجعل لي من لدنك سلطانا نصيرا ارشده الله والهمه ان يدعو بهذا الدعاء ان يجعل له مما هو فيه فرجا قريبا ومخرجا عاجلا فاذن له تعالى في الهجرة الى المدينة النبوية حيث الانصار والاحباب فصارت له دارا وقرارا واهلها له انصارا قال احمد بن حنبل وعثمان بن ابي شيبة عن جرير عن قابوس بن ابي ظبيان عن ابيه عن ابن عباس كان رسول الله بمكة فامر بالهجرة وانزل عليه وقل رب ادخلني مدخل صدق واخرجني مخرج صدق واجعل لي من لدنك سلطانا نصيرا وقال قتادة ادخلني مدخل صدق المدينة واخرجني مخرج صدق الهجرة من مكة واجعل لي من لدنك سلطانا نصيرا كتاب الله فرائضه وحدوده قال ابن اسحاق واقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة بعد اصحابه من المهاجرين ينتظر ان يؤذن له في الهجرة ولم يتخلف معه بمكة الا من حبس او فتن الا علي بن ابي طالب وابو بكر بن ابي قحافة رضي الله عنهما وكان ابو بكر كثيرا ما يستاذن رسول الله في الهجرة فيقول له لا تعجل لعل الله يجعل لك صاحبا فيطمع ابو بكر ان يكونه فلما رات قريش ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد صار له شيعة واصحاب من غيرهم بغير بلدهم وراوا خروج اصحابه من المهاجرين اليهم عرفوا انهم قد نزلوا دارا واصابوا منهم منعة فحذروا خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم اليهم وعرفوا انه قد اجمع لحربهم فاجتمعوا له في دار الندوة وهي دار قصي بن كلاب التي كانت قريش لا تقضي امرا الا فيها يتشاورون فيما يصنعون في امر رسول الله صلى الله عليه وسلم حين خافوه قال ابن اسحاق فحدثني من لا اتهم من اصحابنا عن عبد الله بن ابي نجيح عن مجاهد بن جبر عن عبد الله بن عباس وغيره ممن لا اتهم عن عبد الله بن عباس قال لما اجمعوا لذلك واتعدوا ان يدخلوا في دار الندوة ليتشاوروا فيها في امر رسول الله صلى الله عليه وسلم غدوا في اليوم الذي اتعدوا له وكان ذلك اليوم يسمى يوم الزحمة فاعترضهم ابليس لعنه الله في صورة شيخ جليل عليه بتلة فوقف على باب الدار فلما راوه واقفا على بابها قالوا من الشيخ قال شيخ من اهل نجد سمع بالذي اتعدتم له فحضر معكم ليسمع ما تقولون وعسى ان لا يعدمكم منه رايا ونصحا قالوا اجل فادخل فدخل معهم وقد اجتمع فيها اشراف قريش عتبة وشيبة وابو سفيان وطعيمة بن عدي وجبير بن مطعم بن عدي والحارث بن عامر بن نوفل والنضر بن الحارث وابو البختري بن هشام وزمعة بن الاسود وحكيم بن حزام وابو جهل بن هشام ونبيه ومنبه ابنا الحجاج وامية بن خلف ومن كان منهم وغيرهم ممن لا يعد من قريش فقال بعضهم لبعض ان هذا الرجل قد كان من امره ما قد رايتم وانا والله ما نامنه على الوثوب علينا بمن قد اتبعه من غيرنا فاجمعوا فيه رايا قال فتشاوروا ثم قال قائل منهم قيل انه ابو البختري بن هشام احبسوه في الحديد واغلقوا عليه بابا ثم تربصوا به ما اصاب اشباهه من الشعراء الذين كانوا قبله زهيرا والنابغة ومن مضى منهم من هذا الموت حتى يصيبه ما اصابهم فقال الشيخ النجدي لا والله ما هذا لكم براي والله لئن حبستموه كما تقولون ليخرجن امره من وراء الباب الذي اغلقتم دونه الى اصحابه فلاوشكوا ان يثبوا عليكم فينتزعوه من ايديكم ثم يكاثروكم به حتى يغلبوكم على امركم ما هذا لكم براي فتشاوروا ثم قال قائل منهم نخرجه من بين اظهرنا فننفيه من بلادنا فاذا خرج عنا فوالله ما نبالي اين ذهب ولا حيث وقع اذا غاب عنا وفرغنا منه فاصلحنا امرنا والفتنا كما كانت قال الشيخ النجدي لا والله ما هذا لكم براي الم تروا حسن حديثه وحلاوة

منطقه وغلبته على قلوب الرجال بما يأتي به والله لو فعلتم ذلك ما أمنتم أن يحل على حي من العرب ثم
فيغلب عليكم بذلك من قوله وحديثه حتى يتابعوه عليه ثم يسير بهم إليكم حتى يطأكم بهم فيأخذ
أمركم من أيديكم ثم يفعل بكم ما أراد أديروا فيه رأياً غير هذا فقال أبو جهل بن هشام والله إن لي
فيه لرأياً ما أراكم وقعتم عليه بعد قالوا وما هو يا أبا الحكم قال أرى أن نأخذ من كل قبيلة فتى
شاباً جليداً نسيباً وسيطاً فينا ثم يعطى كل فتى منهم سيفاً صارماً ثم يعمدوا إليه فيضربوه
بها ضربة رجل واحد فيقتلوه فنستريح منه فإنهم إذا فعلوا ذلك تفرق دمه في القبائل جميعها
فلم يقدر بنو عبد مناف على حرب قومهم جميعاً فرضوا منا بالعقل فعقلناه لهم قال يقول
الشيخ النجدي القول ما قال الرجل هذا الرأي ولا رأي غيره فتفرق القوم على ذلك وهم مجمعون
له فأتى جبريل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لا تبت هذه الليلة على فراشك الذي كنت
تبيت عليه قال فلما كانت عتمة من الليل اجتمعوا على بابه يرصدونه حتى ينام فيثبون عليه
فلما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم مكانهم قال لعلي بن أبي طالب نم على فراشي وتسج ببردي
هذا الحضرمي الأخضر فنم فيه فإنه لن يخلص إليك شيء تكرهه منهم وكان رسول الله صلى الله
عليه وسلم ينام في برده ذلك إذا نام وهذه القصة التي ذكرها ابن إسحاق قد رواها الواقدي
بأسانيده عن عائشة وابن عباس وعلي وسراقة بن مالك بن جعشم وغيرهم دخل حديث بعضهم
في بعض فذكر نحو ما تقدم قال ابن إسحاق فحدثني يزيد بن أبي زياد عن محمد بن كعب القرظي قال
لما اجتمعوا له وفيهم أبو جهل قال وهم على بابه إن محمداً يزعم أنكم إن تابعتموه على أمره كنتم
ملوك العرب والعجم ثم بعثتم بعد موتكم ثم جعلت لكم نار تحرقون فيها قال فخرج رسول

جنان كجنان الأردن وإن لم تفعلوا كان فيكم ذبح ثم بعثتم
بعد موتكم ثم جعلت لكم

الله صلى الله عليه وسلم فأخذ حفنة من تراب في يده ثم قال نعم أنا أقول ذلك أنت أحدهم
وأخذ الله على أبصارهم عنه فلا يرونه فجعل ينثر ذلك التراب على رؤوسهم وهو يتلو هذه الآيات
يس والقرآن الحكيم إنك لمن المرسلين على صراط مستقيم إلى قوله وجعلنا من بين أيديهم سداً
ومن خلفهم سداً فأغشيناهم فهم لا يبصرون ولم يبق منهم رجل إلا وقد وضع على رأسه تراباً ثم
انصرف إلى حيث أراد أن يذهب فأتاهم آت ممن لم يكن معهم فقال ما تنتظرون هاهنا قالوا
محمداً قال خيبكم الله قد والله خرج عليكم محمد ثم ما ترك منكم رجلاً إلا وقد وضع على رأسه تراباً
وانطلق لحاجته أفما ترون ما بكم قال فوضع كل رجل منهم يده على رأسه فإذا عليه تراب ثم جعلوا
يطلعون فيرون علياً على الفراش متسجياً ببرد رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقولون والله
إن هذا لمحمد نائماً عليه برده فلم يبرحوا كذلك حتى أصبحوا فقام علي عن الفراش فقالوا والله
لقد كان صدقنا الذي كان حدثنا قال ابن إسحاق فكان مما أنزل الله في ذلك اليوم وما كانوا
أجمعوا له قوله تعالى وإذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك ويمكرون ويمكر الله
والله خير الماكرين وقوله أم يقولون شاعر نتربص به ريب المنون قل تربصوا فإني معكم من المتربصين
قال ابن إسحاق فأذن الله لنبيه صلى الله عليه وسلم عند ذلك بالهجرة

باب هجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم

بنفسه الكريمة من مكة إلى المدينة ومعه أبو بكر الصديق رضي الله عنه وذلك أول التاريخ
الإسلامي كما اتفق عليه الصحابة في الدولة العمرية كما بيناه في سيرة عمر رضي الله عنه وعنهم
أجمعين قال البخاري ثنا مطر بن الفضل ثنا روح ثنا هشام ثنا عكرمة عن ابن عباس قال
بعث النبي صلى الله عليه وسلم لأربعين سنة فمكث بمكة ثلاث عشرة يوحى إليه ثم أمر بالهجرة

فهاجر عشر سنين ومات وهو ابن ثلاث وستين وقد كانت هجرته عليه السلام في شهر ربيع الأول
سنة ثلاث عشرة من بعثته عليه السلام وذلك في يوم الاثنين كما رواه الإمام أحمد عن ابن
عباس أنه قال ولد نبيكم يوم الاثنين ونبئ يوم الاثنين وخرج من مكة يوم الاثنين ودخل
المدينة يوم الاثنين وتوفي يوم الاثنين قال محمد بن إسحاق وكان أبو بكر حين استأذن رسول
الله صلى الله عليه وسلم في الهجرة فقال له لا تعجل لعل الله أن يجعل لك صاحباً قد طمع
بأن يكون رسول الله إنما يعني نفسه فابتاع راحلتين فحبسهما في داره يعلفهما إعداداً لذلك
قال الواقدي اشتراهما بثمانمائة درهم قال ابن إسحاق فحدثني من لا أتهم عن عروة بن
الزبير عن عائشة أم المؤمنين أنها قالت كان لا يخطئ رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يأتي
بيت أبي بكر أحد طرفي النهار إما بكرة وإما عشية حتى إذا كان اليوم الذي أذن الله فيه لرسوله
في الهجرة والخروج من مكة من بين ظهري قومه أتانا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالهاجرة في ساعة
كان لا يأتي فيها قالت فلما رآه أبو بكر قال ما جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الساعة
إلا لأمر حدث قالت فلما دخل تأخر له أبو بكر عن سريره فجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم
وليس عند رسول الله أحد إلا أنا وأختي أسماء بنت أبي بكر فقال رسول الله أخرج عني من عندك
قال يا رسول الله إنما هما ابنتاي وما ذاك فداك أبي وأمي فقال إن الله قد أذن لي في الخروج
والهجرة قالت فقال أبو بكر الصحبة يا رسول الله فقال الصحبة قالت فوالله ما شعرت
قط قبل ذلك اليوم أن أحداً يبكي من الفرح حتى رأيت أبا بكر يومئذ يبكي ثم قال يا نبي الله إن
هاتين راحلتان كنت أعددتهما لهذا فاستأجرا عبد الله بن أرقد قال ابن هشام ويقال
عبد الله بن أريقط رجلاً من بني الديل بن بكر وكانت أمه من بني سهم بن عمرو وكان مشركاً يدلهما على
الطريق ودفعا إليه راحلتيهما فكانتا عنده يرعاهما لميعادهما قال ابن إسحاق ولم يعلم
فيما بلغني بخروج رسول الله صلى الله عليه وسلم أحد حين خرج إلا علي بن أبي طالب وأبو بكر الصديق
وآل أبي بكر أما علي فإن رسول الله أمره أن يتخلف حتى يؤدي عن رسول الله الودائع التي كانت
عنده للناس وكان رسول الله وليس بمكة أحد عنده شيء يخشى عليه إلا وضعه عنده لما يعلم
من صدقه وأمانته قال ابن إسحاق فلما أجمع رسول الله صلى الله عليه وسلم أتى أبا بكر
بن أبي قحافة فخرجا من خوخة لأبي بكر في ظهر بيته وقد روى أبو نعيم من طريق إبراهيم بن سعد
عن محمد بن إسحاق قال بلغني أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما خرج من مكة مهاجراً إلى
الله يريد المدينة قال الحمد لله الذي خلقني ولم أك شيئاً اللهم أعني على هول الدنيا وبوائق
الدهر ومصائب الليالي والأيام اللهم اصحبني في سفري واخلفني في أهلي وبارك لي فيما رزقتني
ولك فذللني وعلى صالح خلقي فقومني وإليك رب فحببني وإلى الناس فلا تكلني رب المستضعفين
وأنت ربي أعوذ بوجهك الكريم الذي أشرقت له السماوات والأرض وكشفت به الظلمات وصلح
عليه أمر الأولين والآخرين أن تحل علي غضبك وتنزل بي سخطك أعوذ بك من زوال نعمتك
حين وفجاءة نقمتك وتحول عافيتك وجميع سخطك لك العتبى عندي ما استطعت ولا حول ولا قوة
إلا بك قال ابن إسحاق ثم عمدا إلى غار بثور جبل بأسفل مكة فدخلاه وأمر أبو بكر ابنه عبد الله
أن يتسمع لهما ما يقول الناس فيهما نهاره ثم يأتيهما إذا أمسى بما يكون في ذلك اليوم من الخبر
وأمر عامر بن فهيرة مولاه أن يرعى غنمه نهاره ثم يريحها عليهما إذا أمسى في الغار فكان عبد الله
بن أبي بكر يكون في قريش معهم يسمع ما يأتمرون به وما يقولون في شأن رسول الله صلى الله عليه

وسلم وابي بكر ثم ياتيهما اذا امسى فيخبرهما الخبر وكان عامر بن فهيرة يرعى في رعيان اهل مكة فاذا امسى
اراح عليهما غنم ابي بكر فاحتلبا وذبحا فاذا عبد الله بن ابي بكر غدا من عندهما الى مكة اتبع عامر بن
فهيرة اثره بالغنم يعفي عليه وسياتي في سياق البخاري ما يشهد لهذا وقد حكى ابن جرير عن بعضهم
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سبق الصديق في الذهاب الى غار ثور وامر عليا ان يدله على
مسيره ليلحقه فلحقه في اثناء الطريق وهذا غريب جدا وخلاف المشهور من انهما خرجا معا
قال ابن اسحاق وكانت اسما بنت ابي بكر رضي الله عنهما تاتيهما من الطعام اذا امست بما يصلحهما
قالت اسما ولما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم وابو بكر اتانا نفر من قريش فيهم ابو جهل
ابن هشام فوقفوا على باب ابي بكر فخرجت اليهم فقالوا اين ابوك يا ابنة ابي بكر قالت قلت
لا ادري والله اين ابي قالت فرفع ابو جهل يده وكان فاحشا خبيثا فلطم خدي لطمة طرح منها
قرطي ثم انصرفوا قال ابن اسحاق وحدثني يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير ان اباه حدثه عن
جدته اسما قالت لما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم وخرج ابو بكر معه احتمل ابو بكر ماله كله
معه خمسة الاف درهم او ستة الاف درهم فانطلق بها قالت فدخل علينا جدي ابو قحافة وقد ذهب
بصره فقال والله اني لاراه قد فجعكم بماله مع نفسه قالت قلت كلا يا ابة انه قد ترك لنا خيرا
كثيرا قالت واخذت احجارا فوضعتها في كوة في البيت كان ابي يضع ماله فيها ثم وضعت عليها
ثوبا ثم اخذت بيده فقلت يا ابة ضع يدك على هذا المال قالت فوضع يده عليه فقال
لا باس اذا كان قد ترك لكم هذا فقد احسن وفي هذا بلاغ لكم ولا والله ما ترك لنا شيا ولكني اردت
ان اسكن الشيخ بذلك وقال ابن هشام وحدثني بعض اهل العلم ان الحسن بن ابي الحسن قال
انتهى رسول الله صلى الله عليه وسلم وابو بكر الى الغار ليلا فدخل ابو بكر قبل رسول الله فلمس الغار
لينظر افيه سبع او حية يقي رسول الله صلى الله عليه وسلم بنفسه وهذا فيه انقطاع من طرفيه
وقد قال ابو القسم البغوي حدثنا داود بن عمرو الضبي ثنا نافع بن عمر الجمحي عن ابن ابي مليكة
ان النبي صلى الله عليه وسلم لما خرج هو وابو بكر الى ثور فجعل ابو بكر يكون امام النبي صلى الله عليه
وسلم مرة وخلفه مرة فسأله رسول الله عن ذلك فقال اذا كنت خلفك خشيت ان تؤتى من
امامك واذا كنت امامك خشيت ان تؤتى من خلفك حتى اذا انتهى الى الغار من ثور قال ابو بكر
كما انت حتى ادخل يدي فاحسه واقصه فان كانت فيه دابة اصابتني قبلك قال نافع
فبلغني انه كان في الغار جحر فالقم ابو بكر رجله ذلك الجحر تخوفا ان يخرج منه دابة او شي يؤذي
رسول الله وهذا مرسل وقد ذكرنا له شواهد اخر في سيرة الصديق رضي الله عنه وقال
البيهقي انا ابو عبد الله الحافظ انا ابو بكر احمد بن اسحاق انا موسى بن الحسن ثنا عفان
بن مسلم ثنا السري بن يحيى ثنا محمد بن سيرين قال ذكر رجال على عهد عمر فكانهم فضلوا عمر على ابي
بكر فبلغ ذلك عمر فقال والله لليلة من ابي بكر خير من ال عمر وليوم من ابي بكر خير من ال عمر لقد خرج
رسول الله ليلة انطلق الى الغار ومعه ابو بكر فجعل يمشي ساعة بين يديه وساعة خلفه حتى فطن
رسول الله فقال يا ابا بكر ما لك تمشي ساعة خلفي وساعة بين يدي فقال يا رسول الله اذكر
الطلب فامشي خلفك ثم اذكر الرصد فامشي بين يديك فقال يا ابا بكر لو كان شي احببت
ان يكون بك دوني قال نعم والذي بعثك بالحق فلما انتهينا الى الغار قال ابو بكر مكانك
يا رسول الله حتى استبرئ لك الغار فدخل فاستبراه حتى اذا كان ذكر انه لم يستبرئ الجحرة فقال فاستبراه
مكانك يا رسول الله حتى استبرئ فدخل فاستبرا ثم قال انزل يا رسول الله فنزل ثم قال عمر

وقال الحافظ ابو بكر احمد بن علي بن سعيد القاضي في مسند ابي بكر ثنا بشار الخفاف ثنا جعفر بن سليمان ثنا ابو عمران الجوني ثنا المعلى بن زياد عن الحسن البصري قال انطلق النبي صلى الله عليه وسلم
وابو بكر الى الغار وجاءت قريش يطلبون النبي صلى الله عليه وسلم وكانوا اذا راوا على باب الغار نسج العنكبوت قالوا لم يدخل احد وكان النبي صلى الله عليه وسلم قائما يصلي وابو بكر يرتقب فقال ابو بكر للنبي صلى الله عليه وسلم
هؤلاء قومك يطلبونك اما والله ما على نفسي ابكي ولكن مخافة ان ارى فيك ما اكره فقال له النبي صلى الله عليه وسلم لا تخف يا ابا بكر ان الله معنا وهذا مرسل عن الحسن وهو حسن بحاله من الشاهد
وفيه زيادة صلاة النبي صلى الله عليه وسلم في الغار وقد كان صلى الله عليه وسلم اذا حزبه امر صلى وروى هذا الرجل اعني ابا بكر احمد بن علي القاضي عن عمرو الناقد عن خلف بن تميم عن موسى
ابن مطير عن ابيه عن ابي هريرة ان ابا بكر قال لابنه يا بني ان حدث في الناس حدث فات الغار الذي اختبات فيه انا ورسول الله صلى الله عليه وسلم فكن فيه فانه سياتيك رزقك فيه بكرة
وعشيا صح

والذي نفسي بيده لتلك الليلة خير من ال عمر فقد رواه البيهقي من وجه اخر عن عمر وفيه ان ابا بكر
جعل يمشي بين يدي رسول الله تارة وخلفه اخرى وعن يمينه وعن شماله وفيه لما حفيت رجلا رسول
الله حمله الصديق على كاهله وانه لما دخل الغار سد تلك الاجحرة كلها وبقي منها واحد فالقمه كعبه
فجعلن الافاعي تنهشه ودموعه تسيل فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تحزن ان الله معنا
وفي هذا السياق غرابة ونكارة وقال البيهقي انا ابو عبد الله الحافظ وابو سعيد بن ابي عمرو قالا
ثنا ابو العباس الاصم ثنا عباس الدوري ثنا اسود بن عامر ثنا داود ثنا اسرائيل عن الاسود عن
جندب بن عبد الله قال كان ابو بكر مع رسول الله في الغار فاصاب يده حجر فقال ان انت الا اصبع
دميت وفي سبيل الله ما لقيت وقال الامام احمد ثنا عبد الرزاق انا معمر اخبرني عثمان الجزري
ان مقسما مولى ابن عباس اخبره عن ابن عباس في قوله تعالى واذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك
قال تشاورت قريش ليلة بمكة فقال بعضهم اذا اصبح فاثبتوه بالوثاق يريدون النبي
صلى الله عليه وسلم وقال بعضهم بل اقتلوه وقال بعضهم بل اخرجوه فاطلع الله نبيه
علي م صلى الله عليه وسلم على ذلك فبات علي على فراش النبي صلى الله عليه وسلم تلك الليلة وخرج
النبي صلى الله عليه وسلم حتى لحق بالغار وبات المشركون يحرسون عليا يحسبونه النبي صلى
الله عليه وسلم فلما اصبحوا ثاروا اليه فلما راوا عليا رد الله عليهم مكرهم فقالوا اين صاحبك
هذا فقال لا ادري فاقتصوا اثره فلما بلغوا الجبل اختلط عليهم فصعدوا الجبل فمروا بالغار
فراوا على بابه نسج العنكبوت فقالوا لو دخل هاهنا احد لم يكن نسج العنكبوت على بابه فمكث فيه ثلاث
ليال وهذا اسناد حسن وهو من اجود ما روي في قصة نسج العنكبوت على فم الغار وذلك من
حماية الله رسوله صلى الله عليه وسلم وقد نظم بعضهم هذا في شعره حيث يقول
• نسج داود ما حمى صاحب الغار • وكان الفخار للعنكبوت •
وقد ورد ان حمامتين عششتا على بابه ايضا وقد نظم ذلك الصرصري في شعره حيث
يقول • فغمى عليه العنكبوت بنسجه • وظل على الباب الحمام يبيض •
والحديث بذلك رواه الحافظ ابن عساكر من طريق يحيى بن محمد بن صاعد ثنا عمرو بن علي ثنا
عون بن عمرو ابو عمرو القيسي ويلقب بعوين حدثني ابو مصعب المكي قال ادركت زيد بن ارقم
والمغيرة بن شعبة وانس بن مالك يذكرون ان النبي صلى الله عليه وسلم ليلة الغار امر الله شجرة
فخرجت في وجه النبي صلى الله عليه وسلم تستره وان الله بعث العنكبوت فنسجت ما بينهما فسترت
وجه رسول الله وامر الله حمامتين وحشيتين فاقبلا يدفان حتى وقعتا بين العنكبوت وبين
الشجرة واقبلت فتيان قريش من كل بطن منهم رجل معهم عصيهم وقسيهم وهراواتهم حتى اذا كانوا
من رسول الله قدر مائتي ذراع قال الدليل وهو سراقة بن مالك بن جعشم المدلجي هذا الحجر ثم لا ادري
حتى اذا اصبحا قال انظروا في الغار اين وضع رجله فقال الفتيان انك لم تخط منذ الليلة فاقبل القوم حتى اذا
كانوا من النبي صلى الله عليه وسلم قدر خمسين ذراعا فاذا الحمامتان فرجع فقالوا ما ردك ان
تنظر في الغار قال رايت حمامتين وحشيتين بفم الغار فعرفت ان ليس فيه احد فسمعها النبي
صلى الله عليه وسلم فعرف ان الله قد درا عنهما بهما فسمت عليهما اي برك عليهما واحدرهما
الله الى الحرم فافرخا كما ترى وهذا حديث غريب من هذا الوجه وقد رواه الحافظ ابو نعيم من حديث
عوين م مسلم بن ابراهيم وغيره عن عون وهو الملقب بعوين باسناده مثله وفيه ان جميع حمام مكة من نسل
تينك الحمامتين وفي هذا الحديث ان القائف الذي اقتفى لهم الاثر سراقة بن مالك المدلجي وقد روى

الواقدي عن موسى بن محمد بن إبراهيم عن أبيه أن الذي اقتفى لهما الأثر كرز بن علقمة قلت ويحتمل
أن يكونا جميعا اقتفيا الأثر والله أعلم وقد قال الله تعالى إلا تنصروه فقد نصره الله إذ أخرجه
الذين كفروا ثاني اثنين إذ هما في الغار إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا فأنزل الله سكينته
عليه وأيده بجنود لم تروها وجعل كلمة الذين كفروا السفلى وكلمة الله هي العليا والله عزيز حكيم
يقول تعالى مؤنبا لمن تخلف عن الجهاد مع الرسول إلا تنصروه أنتم فإن الله ناصره ومؤيده
ومظفره كما نصره إذ أخرجه الذين كفروا من أهل مكة هاربا ليس معه غير صاحبه وصديقه أبي بكر
ليس معه غيره ولهذا قال ثاني اثنين إذ هما في الغار أي وقد لجأ إلى الغار فأقاما فيه ثلاثة
أيام ليسكن الطلب عنهما وذلك لأن المشركين حين فقدوهما كما تقدم ذهبوا في طلبهما كل مذهب
من سائر الجهات وجعلوا لمن ردهما أو أحدهما مائة من الإبل واقتصوا آثارهما حتى اختلط
عليهم وكان الذي يقتص لقريش الأثر سراقة بن مالك بن جعشم فصعدوا الجبل الذي هما
فيه وجعلوا يمرون على باب الغار فتحاذي أرجلهم لباب الغار ولا يرونهما حفظا من الله لهما
كما قال الإمام أحمد حدثنا عفان ثنا همام أنا ثابت عن أنس بن مالك أن أبا بكر حدثه قال
قلت للنبي صلى الله عليه وسلم ونحن في الغار لو أن أحدهم نظر إلى قدميه لأبصرنا تحت قدميه
قال يا أبا بكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما وأخرجه البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث
همام به وقد ذكر بعض أهل السير أن أبا بكر لما قال ذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم لو جاؤنا
من ههنا لذهبنا من ههنا فنظر الصديق إلى الغار قد انفرج من الجانب الآخر وإذا البحر قد
اتصل به وسفينة مشدودة إلى جانبه وهذا ليس بمنكر من حيث القدرة العظيمة ولكن لم يرد ذلك
بإسناد قوي ولا ضعيف ولسنا نثبت شيئا من تلقاء أنفسنا ولكن ما صح أو حسن سنده قلنا به
والله أعلم وقد قال الحافظ أبو بكر البزار ثنا الفضل بن سهل ثنا خلف بن تميم ثنا موسى بن مطير
القرشي عن أبيه عن أبي هريرة أن أبا بكر قال لابنه يا بني إن حدث في الناس حدث فأت الغار الذي
رأيتني اختبأت فيه أنا ورسول الله صلى الله عليه وسلم فكن فيه فإنه سيأتيك فيه رزقك
غدوة وعشية ثم قال البزار لا نعلم يرويه غير خلف بن تميم قلت وموسى بن مطير هذا ضعيف
متروك وكذبه يحيى بن معين فلا يقبل حديثه وقد ذكر يونس بن بكير عن محمد بن إسحاق أن الصديق
قال في دخولهما الغار وسيرهما بعد ذلك وما كان من قصة سراقة كما سيأتي شعرا فمنه قوله

قال النبي ولم أجزع يوقرني • ونحن في سدف من ظلمة الغار •
لا تخش شيئا فإن الله ثالثنا • وقد توكل لي منه بإظهار •

وقد روى أبو نعيم هذه القصيدة من طريق زياد عن محمد بن إسحاق فذكرها مطولة جدا وذكر معها
قصيدة أخرى والله أعلم وقد روى ابن لهيعة عن أبي الأسود عن عروة بن الزبير قال فمكث رسول
الله بعد الحج يعني الأكبر بقية ذي الحجة والمحرم وصفر ثم إن مشركي قريش أجمعوا أمرهم
ومكرهم على أن يقتلوا رسول الله أو يحبسوه أو يخرجوه فأطلعه الله على ذلك فأنزل عليه وإذ
يمكر بك الذين كفروا الآية فأمر عليا فنام على فراشه وذهب هو وأبو بكر فلما أصبحوا ذهبوا في طلبهما
في كل وجه يطلبونهما وهكذا ذكر موسى بن عقبة في مغازيه وأن خروجه هو وأبو بكر إلى الغار كان ليلا
وقد تقدم عن الحسن البصري فيما ذكره ابن هشام التصريح بذلك أيضا قال البخاري ثنا
يحيى بن بكير ثنا الليث عن عقيل قال ابن شهاب فأخبرني عروة بن الزبير أن عائشة زوج النبي
صلى الله عليه وسلم قالت لم أعقل أبوي قط إلا وهما يدينان الدين ولم يمر علينا يوم إلا يأتينا

فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم طرفي النهار بكرة وعشية فلما ابتلي المسلمون خرج أبو بكر مهاجرا
نحو أرض الحبشة حتى إذا بلغ برك الغماد لقيه ابن الدغنة وهو سيد القارة فذكرت ما كان من رده
لأبي بكر إلى مكة وجواره له كما قدمناه عند هجرة الحبشة إلى قوله فقال أبو بكر فإني أرد عليك جوارك
وأرضى بجوار الله قالت والنبي صلى الله عليه وسلم يومئذ بمكة فقال النبي صلى الله عليه وسلم
للمسلمين إني أريت دار هجرتكم ذات نخل بين لابتين وهما الحرتان فهاجر من هاجر قبل المدينة
ورجع بعض من كان هاجر قبل الحبشة إلى المدينة وتجهز أبو بكر مهاجرا قبل المدينة
فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم على رسلك فإني أرجو أن يؤذن لي فقال أبو بكر وهل
ترجو ذلك بأبي أنت وأمي قال نعم فحبس أبو بكر نفسه على رسول الله صلى الله عليه وسلم ليصحبه
وعلف راحلتين كانتا عنده ورق السمر وهو الخبط أربعة أشهر وذكر بعضهم أنه علفهما ستة
أشهر قال ابن شهاب قال عروة قالت عائشة فبينما نحن يوما جلوس في بيتنا بيت أبي بكر في نحر
الظهيرة فقال قائل لأبي بكر هذا رسول الله متقنعا في ساعة لم يكن يأتينا فيها فقال أبو بكر فدا
له أبي وأمي والله ما جاء به هذه الساعة إلا أمر قالت فجاء رسول الله فاستأذن فأذن له فدخل
فقال النبي صلى الله عليه وسلم أخرج من عندك فقال أبو بكر إنما هم أهلك بأبي أنت يا رسول الله
قال فإنه قد أذن لي في الخروج فقال أبو بكر الصحبة بأبي أنت وأمي قال النبي صلى الله عليه وسلم
نعم قال أبو بكر فخذ بأبي أنت يا رسول الله إحدى راحلتي هاتين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
بالثمن قالت عائشة فجهزناهما أحث الجهاز فصنعنا لهما سفرة في جراب فقطعت أسماء بنت أبي
بكر قطعة من نطاقها فربطت به على فم الجراب فلذلك سميت ذات النطاقين قالت ثم لحق
رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر بغار في جبل ثور فمكثا فيه ثلاث ليال يبيت عندهما عبد الله
ابن أبي بكر وهو غلام شاب ثقف لقن فيدلج من عندهما بسحر فيصبح مع قريش بمكة كبائت
لا يسمع أمرا يكادان به إلا وعاه حتى يأتيهما بخبر ذلك حين يختلط الظلام ويرعى عليهما عامر بن
فهيرة مولى أبي بكر منحة من غنم فيريحها عليهما حين تذهب ساعة من العشاء فيبيتان في رسل وهو
لبن منحتهما ورضيفهما حتى ينعق بهما عامر بن فهيرة بغلس يفعل ذلك في كل ليلة من تلك الليالي
الثلاث واستأجر رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر رجلا من بني الديل وهو من بني عبد بن عدي
هاديا خريتا والخريت الماهر بالهداية قد غمس حلفا في آل العاص بن وائل السهمي وهو على دين
كفار قريش فأمناه فدفعا إليه راحلتيهما وواعداه غار ثور بعد ثلاث ليال براحلتيهما صبح
ثلاث ليال وانطلق معهما عامر بن فهيرة والدليل فأخذ بهم طريق السواحل قال ابن شهاب فأخبرني
عبد الرحمن بن مالك المدلجي وهو ابن أخي سراقة أن أباه أخبره أنه سمع سراقة بن مالك بن جعشم
يقول جاءنا رسل كفار قريش يجعلون في رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبي بكر دية كل واحد منهما
لمن قتله أو أسره فبينما أنا جالس في مجلس من مجالس قومي بني مدلج أقبل رجل منهم حتى قام علينا ونحن
جلوس فقال يا سراقة إني رأيت آنفا أسودة بالساحل أراها محمدا وأصحابه قال سراقة فعرفت
أنهم هم فقلت له إنهم ليسوا بهم ولكنك رأيت فلانا وفلانا انطلقوا بأعيننا ثم لبثت في المجلس
ساعة ثم قمت فدخلت فأمرت جاريتي أن تخرج بفرسي وهي من وراء أكمة فتحبسها علي وأخذت
رمحي فخرجت به من ظهر البيت فخططت بزجه الأرض وخفضت عاليه حتى أتيت فرسي فركبتها فرفعتها
تقرب بي حتى دنوت منهم فعثرت بي فرسي فخررت عنها فقمت فأهويت يدي إلى كنانتي فاستخرجت
منها الأزلام فاستقسمت بها أضرهم أم لا فخرج الذي أكره فركبت فرسي وعصيت الأزلام تقرب بي حتى

اذا سمعت قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو لا يلتفت وابو بكر يكثر الالتفات ساخت
يدا فرسي في الارض حتى بلغتا الركبتين فخررت عنها ثم زجرتها فنهضت فلم تكد تخرج يديها
فلما استوت قايمة اذا لاثر يديها عثان ساطع في السما مثل الدخان فاستقسمت بالازلام
فخرج الذي اكره فناديتهم بالامان فوقفوا فركبت فرسي حتى جيتهم ووقع في نفسي حين لقيت
ما لقيت من الحبس عنهم ان سيظهر امر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت له ان قومك قد
جعلوا فيك الدية واخبرتهم اخبار ما يريد الناس بهم وعرضت عليهم الزاد والمتاع فلم يرزاني ولم
يسالاني الا ان قال اخف عنا فسالته ان يكتب لي كتاب امن فامر عامر بن فهيرة فكتب في رقعة
من ادم ثم مضى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد روى محمد بن اسحاق عن الزهري عن عبد الرحمن
بن مالك بن جعشم عن ابيه عن عمه سراقة فذكر هذه القصة الا انه ذكر انه استقسم بالازلام اول
ما خرج من منزله فخرج السهم الذي يكره لا يضره وذكر انه عثر به فرسه اربع مرات وكل ذلك يستقسم
بالازلام ويخرج الذي يكره لا يضره حتى ناداهم بالامان وسالهم ان يكتب له كتابا يكون امارة ما بينه وبين
رسول الله قال فكتب لي كتابا في عظم او في رقعة او خرقة وذكر انه جا به الى رسول الله وهو بالجعرانة
منصرفه مرجعه من الطايف فقال له يوم وفا وبر ادنه فدنوت منه واسلمت قال ابن هشام هو
عبد الرحمن بن الحرث بن مالك بن جعشم وهذا الذي قاله جيد ولما رجع سراقة جعل لا يلقى احدا
من الطلب الا رده وقال كفيتم هذا الوجه فلما ظهر ان رسول الله قد وصل الى المدينة جعل سراقة
يقص على الناس ما راى وما شاهد من امر النبي صلى الله عليه وسلم وما كان من قضية جواده واشتهر
هذا عنه فخاف روسا قريش معرته وخشوا ان يكون ذلك سببا لاسلام كثير منهم وكان سراقة
امير بني مدلج ورييسهم فكتب ابو جهل لعنه الله اليهم

بني مدلج اني اخاف سفيهكم ● سراقة مستغو لنصر محمد
عليكم به ان لا يفرق جمعكم ● فيصبح شتى بعد عز وسودد

قال فقال سراقة بن مالك يجيب ابا جهل في قوله هذا

ابا حكم والله لو كنت شاهدا ● لامر جوادي اذ تسوخ قوايمه
عجبت ولم تشكك بان محمدا ● نبي ببرهان فمن ذا يكاتمه
عليك فكف القوم عنه فانني ● اخال لنا يوما ستبدو معالمه
بامر تود النصر فيه فانهم ● وان جميع الناس طرا مسالمه

وذكر هذا الشعر الاموي في مغازيه بسنده عن ابي اسحاق وقد اورده ابو نعيم بسنده من طريق زياد
عن ابن اسحاق وزاد في شعر ابي جهل ابياتا تتضمن كفرا بليغا وقال البخاري بسنده الى ابن
شهاب فاخبرني عروة بن الزبير ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لقي الزبير في ركب من المسلمين
كانوا تجارا قافلين من الشام فكسى الزبير رسول الله صلى الله عليه وسلم وابا بكر ثياب بياض
وسمع المسلمون بالمدينة مخرج رسول الله من مكة فكانوا يغدون كل غداة الى الحرة فينتظرونه
حتى يردهم حر الظهيرة فانقلبوا يوما بعدما اطالوا انتظارهم فلما اووا الى بيوتهم اوفى رجل
من اليهود على اطم من اطامهم لامر ينظر اليه فبصر برسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه مبيضين
يزول بهم السراب فلم يملك اليهودي ان قال باعلا صوته يا معشر العرب هذا جدكم الذي تنتظرون
فثار المسلمون الى السلاح فتلقوا رسول الله بظهر الحرة فعدل بهم ذات اليمين حتى نزل بهم
في بني عمرو بن عوف وذلك يوم الاثنين من شهر ربيع الاول فقام ابو بكر للناس وجلس رسول الله

فاهويت

صلى الله عليه وسلم صامتا فطفق من جا من الانصار ممن لم ير رسول الله صلى الله عليه وسلم
يحيي ابا بكر حتى اصابت الشمس رسول الله صلى الله عليه وسلم فاقبل ابو بكر حتى ظلل عليه بردايه
فعرف الناس رسول الله صلى الله عليه وسلم عند ذلك فلبث رسول الله صلى الله عليه
وسلم في بني عمرو بن عوف بضع عشرة ليلة واسس المسجد الذي اسس على التقوى وصلى فيه
رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم ركب راحلته وسار يمشي معه الناس حتى بركت عند مسجد
رسول الله بالمدينة وهو يصلي فيه يوميذ رجال من المسلمين وكان مربدا للتمر لسهيل وسهل
غلامين يتيمين في حجر اسعد بن زرارة فقال رسول الله حين بركت به راحلته هذا ان شاء
الله المنزل ثم دعا رسول الله الغلامين فساومهما بالمربد ليتخذه مسجدا فقالا بل نهبه لك
يا رسول الله فابى رسول الله ان يقبله منهما هبة حتى ابتاعه منهما ثم بناه مسجدا فطفق رسول
الله صلى الله عليه وسلم ينقل معهم اللبن في بنيانه وهو يقول وهو ينقل اللبن هذا الحمال
لا حمال خيبر هذا ابر ربنا واطهر ويقول لا هم ان الاجر اجر الاخرة فارحم الانصار والمهاجرة
فتمثل بشعر رجل من المسلمين لم يسم لي قال ابن شهاب ولم يبلغنا في الاحاديث ان رسول الله
تمثل ببيت شعر تام غير هذه الابيات هذا لفظ البخاري وقد تفرد بروايته دون مسلم
وله شواهد من وجوه اخر ليس فيه قضية ام معبد الخزاعية ولنذكر ما يناسب ذلك مرتبا
اولا فاولا قال الامام احمد حدثنا عمرو بن محمد ابو سعيد العنقزي ثنا اسراييل عن ابي اسحاق
عن البرا بن عازب قال اشترى ابو بكر من عازب سرجا بثلاثة عشر درهما فقال ابو بكر لعازب
مر البرا فليحمله الى منزلي فقال لا حتى تحدثنا كيف صنعتم حين خرج رسول الله صلى
الله عليه وسلم وانت معه فقال ابو بكر خرجنا فادلجنا فاحثثنا يومنا وليلتنا حتى
اظهرنا وقام قايم الظهيرة فضربت ببصري هل ارى ظلا ناوي اليه فاذا انا بصخرة فاهويت
اليها فاذا بقية ظلها فسويته لرسول الله صلى الله عليه وسلم وفرشت له فروة وقلت
اضطجع يا رسول الله فاضطجع ثم خرجت انظر هل ارى احدا من الطلب فاذا انا براعي
غنم فقلت لمن انت يا غلام فقال لرجل من قريش فسماه فعرفته فقلت هل في غنمك من لبن
قال نعم قلت هل انت حالب لي قال نعم فامرته فاعتقل شاة منها ثم امرته فنفض ضرعها
من الغبار ثم امرته فنفض كفيه من الغبار ومعي اداوة على فمها خرقة فحلب لي كثبة من اللبن
فصببت على القدح حتى برد اسفله ثم اتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فوافيته
وقد استيقظ فقلت يا رسول الله فشرب حتى رضيت ثم قلت هل آن الرحيل فارتحلنا
والقوم يطلبونا فلم يدركنا احد منهم الا سراقة بن مالك بن جعشم على فرس له فقلت يا رسول
الله هذا الطلب قد لحقنا قال لا تحزن ان الله معنا حتى اذا دنا منا فكان بيننا وبينه
قدر رمح او رمحين او قال رمحين او ثلاثة قلت يا رسول الله هذا الطلب قد لحقنا وبكيت
قال لم تبكي قلت اما والله ما على نفسي ابكي ولكن ابكي عليك فدعا عليه رسول الله صلى الله عليه
وسلم فقال اللهم اكفناه بما شيت فساخت قوايم فرسه الى بطنها في ارض صلد ووثب
عنها وقال يا محمد قد علمت ان هذا عملك فادع الله ان ينجيني مما انا فيه فوالله لاعمين على من
ورايي من الطلب وهذه كنانتي فخذ منها سهما فانك ستمر بابلي وغنمي بموضع كذا وكذا فخذ
منها حاجتك قال فقال رسول الله لا حاجة لي فيها قال ودعا له رسول الله صلى الله عليه
وسلم فاطلق ورجع الى اصحابه ومضى رسول الله صلى الله عليه وسلم وانا معه حتى قدمنا المدينة

اقرب

وتلقاه الناس فخرجوا في الطرق وعلى الاجاجير واشتد الخدم والصبيان في الطريق الله اكبر
جا محمد قال وتنازع القوم ايهم ينزل عليه قال فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انزل
الليلة على بني النجار اخوال عبد المطلب لاكرمهم بذلك فلما اصبح غدا حيث امر قال البرا
اول من قدم علينا من المهاجرين مصعب بن عمير اخو بني عبد الدار ثم قدم علينا ابن ام مكتوم
الاعمى اخو بني فهر ثم قدم علينا عمر بن الخطاب في عشرين راكبا فقلنا ما فعل رسول الله
قال هو على اثرى ثم قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم وابو بكر معه قال البرا ولم يقدم
رسول الله حتى قرات سورا من المفصل اخرجاه في الصحيحين من حديث اسرائيل به
بدون قول البرا اول من قدم علينا الخ فقد انفرد به مسلم فرواه من طريق اسرائيل
به وقال ابن اسحاق فاقام رسول الله صلى الله عليه وسلم في الغار ثلثا ومعه ابو بكر
وجعلت قريش فيه حين فقدوه مائة ناقة لمن يرده عليهم فلما مضت الثلاث
وسكن عنهما الناس اتاهما صاحبهما الذي استاجراه ببعيريهما وبعير له واتتهما اسما
بنت ابي بكر بسفرتهما ونسيت ان تجعل لها عصاما فلما ارتحلا ذهبت لتعلق السفرة
فاذا ليس فيها عصام فتحل نطاقها فتجعله عصاما ثم علقتها به فكان يقال لها ذات
النطاق لذلك قال ابن اسحاق فلما قرب ابو بكر الراحلتين الى رسول الله قدم له افضلهما
ثم قال اركب فداك ابي وامي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اني لا اركب بعيرا ليس لي
قال فهو لك يا رسول الله بابي انت وامي قال لا ولكن بالثمن الذي ابتعتها به قال كذا وكذا
قال اخذتها بذلك قال هي لك يا رسول الله وذكر الواقدي باسانيده انه عليه السلام
اخذ القصوا قال وكان ابو بكر اشتراهما بثمانمائة درهم وروى ابن عساكر من طريق ابي
اسامة عن هشام عن ابيه عن عائشة قالت وهي الجدعا وهكذا حكى السهيلي عن ابن اسحاق
انها الجدعا والله اعلم قال ابن اسحاق فركبا وانطلقا واردف ابو بكر عامر بن فهيرة مولاه
خلفه ليخدمهما في الطريق فحدثت عن اسما انها قالت لما خرج رسول الله وابو بكر اتانا نفر
من قريش منهم ابو جهل فذكر ضربه لها على خدها لطمة طرح منها قرطها من اذنها كما تقدم
قالت فمكثنا ثلاث ليال لا ندري اين وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى اقبل رجل
من الجن من اسفل مكة يتغنى بابيات من شعر غنا العرب وان الناس يتبعونه يسمعون صوته وما يرونه
حتى خرج من اعلا مكة وهو يقول

• جزى الله رب الناس خير جزائه • رفيقين حلا خيمتي ام معبد •
• هما نزلا بالبر ثم تروحا • فافلح من امسى رفيق محمد •
• ليهن بني كعب مكان فتاتهم • ومقعدها للمؤمنين بمرصد •

قالت اسما فلما سمعنا قوله عرفنا حيث وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم وان وجهه
الى المدينة قال ابن اسحاق وكانوا اربعة رسول الله صلى الله عليه وسلم وابو بكر وعامر
بن فهيرة مولى ابي بكر وعبد الله بن ارقد كذا يقول ابن اسحاق والمشهور عبد الله بن اريقط
الديلي وكان اذ ذاك مشركا قال ابن اسحاق ولما خرج بهما دليلهما عبد الله بن ارقد
سلك بهما اسفل مكة ثم مضى بهما على الساحل حتى عارض الطريق اسفل من عسفان ثم
سلك بهما على اسفل امج ثم استجاز بهما حتى عارضا الطريق بعد ان اجاز قديدا ثم اجاز بهما
من مكانه ذلك فسلك بهما الخرار ثم اجاز بهما ثنية المرة ثم سلك بهما لقفا ثم اجاز بهما

جمع اجار وهي اسطحة البيوت

العزيف الصوت صح

مدلجة

مدلجة لقف ثم استبطن بهما مدلجة مجاج ثم سلك بهما مرجح مجاج ثم تبطن بهما
مرجح من ذي الغضوين ثم بطن ذي كشد ثم اخذ بهما على الجداجد ثم على الاجرد ثم سلك
بهما ذا سلم من بطن اعدا مدلجة تعهن ثم على العبابيد ثم اجاز بهما القاحة ثم هبط
بهما العرج وقد ابطا عليهم بعض ظهرهم فحمل رسول الله صلى الله عليه وسلم رجل من اسلم
يقال له اوس بن حجر على جمل يقال له ابن الرداء الى المدينة وبعث معه غلاما يقال له
مسعود بن هنيدة ثم خرج بهما قبا على بني عمرو بن عوف لاثنتي عشرة ليلة خلت من
شهر ربيع الاول يوم الاثنين حين اشتد الضحاء وكادت الشمس تعتدل وقد روى
ابو نعيم من طريق الواقدي نحوا من ذكر هذه المنازل وخالف في بعضها والله اعلم وقال
ابو نعيم ثنا ابو حامد بن جبلة ثنا محمد بن اسحاق عن السراج ثنا محمد بن عباد بن موسى العجلي
حدثني اخي موسى بن عباد حدثني عبد الله بن سيار حدثني اياس بن مالك بن الاوس الاسلمي عن ابيه
قال لما هاجر رسول الله وابو بكر مروا بابل لنا بالجحفة فقال النبي صلى الله عليه وسلم لمن هذه
الابل فقالوا لرجل من اسلم فالتفت الى ابي بكر فقال سلمت ان شا الله فقال ما اسمك قال
مسعود فالتفت الى ابي بكر فقال سعدت ان شا الله قال فاتاه ابي فحمله على جمل يقال له ابن الرداء
قلت وقد تقدم عن ابن عباس ان رسول الله خرج من مكة يوم الاثنين ودخل المدينة يوم
الاثنين والظاهر ان بين خروجه عليه السلام من مكة ودخوله المدينة خمسة عشر يوما لانه
اقام بغار ثور ثلاثة ايام ثم سلك طريق الساحل وهي ابعد من الطريق الجادة واجتاز في مروره
على ام معبد بنت كعب من بني كعب بن خزاعة قاله ابن هشام وقال يونس عن ابن اسحاق اسمها
عاتكة بنت خلف بن معبد بن ربيعة بن اصرم وقال الاموي هي عاتكة بنت تبيع حليف بني منقذ
بن ربيعة بن اصرم بن ضبيس بن حرام بن حبيشة بن كعب بن عمرو ولهذه المراة من الولد
معبد ونضرة وحنيدة بنو ابي معبد واسمه اكثم بن عبد العزى بن معبد بن ربيعة بن اصرم
بن ضبيس وقصتها مشهورة مروية من طرق يشد بعضها بعضا وهذه قصة ام معبد الخزاعية
قال يونس عن ابن اسحاق فنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم بخيمة ام معبد واسمها عاتكة
بنت خلف بن معبد بن ربيعة بن اصرم فارادوا القرى فقالت والله ما عندنا طعام ولا لنا
منحة ولا لنا شاة الا حايل فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم ببعض غنمها فمسح ضرعها بيده
ودعا الله وحلب في العس حتى ارغى وقال اشربي يا ام معبد فقالت اشرب فانت احق به فرده
عليها فشربت ثم دعا بحايل اخرى ففعل بها مثل ذلك فشربه ثم دعا بحايل اخرى ففعل بها مثل
ذلك فسقى دليله ثم دعا بحايل اخرى ففعل بها مثل ذلك فسقى عامرا ثم تروح وطلبت
قريش رسول الله حتى بلغوا ام معبد فسالوا عنه فقالوا ارايت محمدا من حليته كذا وكذا فوصفوه
لها فقالت ما ادري ما تقولون قد ضافني حالب الحايل قالت قريش فذاك الذي نريد وقال
الحافظ ابو بكر البزار ثنا محمد بن معمر ثنا يعقوب بن محمد ثنا عبد الرحمن بن عقبة بن عبد الرحمن بن
جابر بن عبد الله ثنا ابي عن ابيه عن جابر قال لما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم وابو بكر
مهاجرين فدخلا الغار اذا في الغار جحر فالقمه ابو بكر عقبه حتى اصبح مخافة ان يخرج على رسول
الله منه شي فاقام في الغار ثلاث ليال ثم خرجا حتى نزلا بخيمات ام معبد فارسلت اليه ام معبد
اني ارى وجوها حسانا وان الحي اقوى على كرامتكم مني فلما امسوا عندها بعثت مع ابن لها صغير
بشفرة وشاة فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم اردد الشفرة وهات لي فرقا يعني

دليلهما من العرج فسلك بهما ثنية الغاير عن يمين ركوبة حتى هبط بهما بطن ريم ثم قدم بهما م

القدح فارسلت اليه انه لا لبن فيها ولا ولد لها الا عناق في خرق فجاءت بعناق فضرب ظهرها ف
فاجترت ودرت فحلب فملأ القدح فشرب وسقى ابا بكر ثم حلب فبعث به الى ام معبد ثم
قال البزار لا نعلمه يروى الا بهذا الاسناد وعبد الرحمن بن عقبة لا نعلم احدا حدث عنه الا
يعقوب بن محمد وان كان معروفا في النسب وروى الحافظ البيهقي من حديث يحيى بن زكريا
بن ابي زائدة ثنا محمد بن عبد الرحمن بن ابي ليلى ثنا عبد الرحمن بن الاصبهاني سمعت عبد
الرحمن بن ابي ليلى عن ابي بكر الصديق قال خرجت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة
فانتهينا الى حي من احياء العرب فنظر رسول الله الى بيت متنحيا فقصد اليه فلما نزلنا
لم يكن فيه الا امراة فقالت يا عبد الله انما انا امراة وليس معي احد فعليكما بعظيم الحي ان اردتم
القرى قال فلم يجبها وذلك عند المساء فجاء ابن لها باعنز يسوقها فقالت له يا بني انطلق
بهذه العنز والشفرة الى هذين الرجلين فقل لهما تقول لكما امي اذبحا هذه وكلا واطعمانا
فلما جاء قال له النبي صلى الله عليه وسلم انطلق بالشفرة وجئني بالقدح قال انها قد عزبت
وليس بها لبن قال انطلق فجاء بقدح فمسح النبي صلى الله عليه وسلم ضرعها ثم حلب
ملء القدح ثم قال انطلق به الى امك فشربت حتى رويت ثم جاء به فقال انطلق بهذه
وجئني باخرى ففعل بها كذلك ثم سقى ابا بكر ثم جاء باخرى ففعل بها كذلك ثم شرب النبي صلى
الله عليه وسلم فبتنا ليلتنا ثم انطلقنا فكانت تسميه المبارك وكثر غنمها حتى جلبت
جلبا الى المدينة فمر ابو بكر فرآه ابنها فعرفه فقال يا امه هذا الرجل الذي كان مع المبارك
فقامت اليه فقالت يا عبد الله من الرجل الذي كان معك قال وما تدرين من هو قالت لا
قال هو نبي الله قالت فادخلني عليه قالت فادخلها فاطعمها رسول الله صلى الله عليه وسلم
واعطاها زاد ابن عبدان في روايته قالت فدلني عليه فانطلقت معي واهدت لرسول الله
شيئا من اقط ومتاع الاعراب قال فكساها واعطاها قال ولا اعلمه الا قال واسلمت
اسناده حسن وقال البيهقي هذه القصة شبيهة بقصة ام معبد والظاهر انها هي
والله اعلم وقال البيهقي انا ابو عبد الله الحافظ وابو بكر احمد بن الحسن القاضي قالا ثنا
ابو العباس الاصم ثنا الحسن بن مكرم حدثني ابو احمد بشر بن محمد السكري ثنا عبد الملك
بن وهب المذحجي ثنا الحر بن الصباح عن ابي معبد الخزاعي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
خرج ليلة هاجر من مكة الى المدينة هو وابو بكر وعامر بن فهيرة مولى ابي بكر ودليلهم عبد الله بن
اريقط الليثي فمر بخيمة ام معبد الخزاعية وكانت امراة برزة جلدة تحتبي وتجلس
بفناء الخيمة فتطعم وتسقي فسالوها لحما او لبنا يشترونه منها فلم يجدوا عندها
شيئا من ذلك وقالت لو كان عندنا شيء ما اعوزكم القرى واذا القوم مرملون مسنتون فنظر
رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا شاة في كسر خيمتها فقال ما هذه الشاة يا ام معبد فقالت
شاة خلفها الجهد عن الغنم قال فهل بها من لبن قالت هي اجهد من ذلك قال اتاذنين لي ان
احلبها قالت ان كان بها حلب فاحلبها فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالشاة فمسحها
وذكر اسم الله ومسح ضرعها وذكر اسم الله ودعا باناء لها يربض الرهط فتفاجت ودرت واجترت
فحلب فيه ثجا حتى علاه البهاء فسقاها وسقى اصحابه فشربوا عللا بعد نهل حتى اراضوا وشرب
اخرهم وقال ساقي القوم اخرهم ثم حلب فيه ثانيا عودا على بدء فغادره عندها ثم ارتحلوا
قال فقل ما لبث ان جاء زوجها ابو معبد يسوق اعنزا عجافا يتساوكن هزلى لا نقي بهن مخهن

حاشية: اي فرجت بين رجليها

قليل

قليل فلما راى اللبن عجب وقال من اين هذا اللبن يا ام معبد ولا حلوبة في البيت والشاء عازب
فقالت لا والله انه مر بنا رجل مبارك كان من حديثه كيت وكيت فقال صفيه لي فوالله اني
لاراه صاحب قريش الذي تطلب فقالت رايت رجلا ظاهر الوضاءة حسن الخلق مليح الوجه
لم تعبه نحلة ولم تزر به صعلة قسيم وسيم في عينيه دعج وفي اشفاره وطف وفي صوته
صحل احور اكحل ازج اقرن في عنقه سطع وفي لحيته كثاثة اذا صمت فعليه الوقار واذا تكلم
سما وعلاه البهاء حلو المنطق فصل لا نزر ولا هذر كان منطقه خرزات نظم يتحدرن ابهى الناس
واجمله من بعيد واحسنه من قريب ربعة لا تشنؤه عين من طول ولا تقتحمه عين من قصر غصن
بين غصنين فهو انظر الثلاثة منظرا واحسنهم قدرا له رفقاء يحفون به اذا قال استمعوا لقوله
وان امر تبادروا الى امره محفود محشود لا عابس ولا مفند فقال ابو معبد هذا والله صاحب
قريش الذي تطلب ولو صادفته لالتمست ان اصحبه ولاجهدن ان وجدت الى ذلك سبيلا
قال واصبح صوت بمكة عاليا بين السماء والارض يسمعونه ولا يرون من يقول وهو يقول

تليل

جزى الله رب الناس خير جزائه • رفيقين حلا خيمتي ام معبد
هما نزلا بالبر وارتحلا به • فافلح من امسى رفيق محمد
فيا لقصي ما زوى الله عنكم • به من فعال لا يجازى وسودد
سلوا اختكم عن شاتها وانائها • فانكم ان تسالوا الشاة تشهد
دعاها بشاة حائل فتحلبت • له بصريح ضرة الشاة مزبد
فغادره رهنا لديها لحالب • يرددها في مصدر ثم مورد

قال واصبح الناس يعني بمكة قد فقدوا نبيهم فاخذوا على خيمتي ام معبد حتى لحقوا برسول
الله صلى الله عليه وسلم قال واجابه حسان بن ثابت

لقد خاب قوم زال عنهم نبيهم • وقدس من يسري اليهم ويغتدي
ترحل عن قوم فزالت عقولهم • وحل على قوم بنور مجدد
وهل يستوي ضلال قوم تسفهوا • عمى وهداة يهتدون بمهتد
نبي يرى ما لا يرى الناس حوله • ويتلو كتاب الله في كل مشهد
وان قال في يوم مقالة غائب • فتصديقها في ضحوة اليوم او غد
ليهن ابا بكر سعادة جده • بصحبته من يسعد الله يسعد
ويهن بني كعب مكان فتاتهم • ومقعدها للمسلمين بمرصد

قال يعني عبد الملك بن وهب فبلغني ان ابا معبد اسلم وهاجر الى النبي صلى الله عليه وسلم وهكذا
رواه الحافظ ابو نعيم من طريق عبد الملك بن وهب المذحجي فذكر مثله سواء وزاد في اخره قال
عبد الملك بلغني ان ام معبد هاجرت واسلمت ولحقت برسول الله صلى الله عليه وسلم ثم رواه
ابو نعيم من طريق عن مكرم بن محرز الكعبي الخزاعي عن ابيه محرز بن مهدي عن حزام بن هشام بن
حبيش بن خالد عن ابيه عن جده حبيش بن خالد صاحب رسول الله ان رسول الله حين اخرج من مكة
خرج منها مهاجرا هو وابو بكر وعامر بن فهيرة ودليلهما عبد الله بن اريقط الليثي فمروا بخيمتي
ام معبد وكانت امراة برزة جلدة تحتبي بفناء القبة وذكر مثل ما تقدم سواء قال وحدثناه
فيما اظن محمد بن احمد بن علي بن مخلد ثنا محمد بن يونس بن موسى يعني الكديمي ثنا عبد العزيز بن يحيى المدني
بن عبد المطلب ثنا محمد بن سليمان بن سليط الانصاري حدثني ابي عن ابيه سليط البدري

بن يحيى بن عبد العزيز م

وقال الامام احمد ثنا عبد الله بن مصعب بن عبد الله هو الزبيري ثني ابي عن فايد مولى عباد قال خرجت مع ابراهيم بن عبد الرحمن الى ابن سعد حتى اذا كنا بالعرج اتى ابن سعد وسعد هو الذي دل رسول الله صلى الله عليه وسلم اتاهم ومعه ابو بكر وكانت لابي بكر عندنا بنت مسترضعة وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم اراد الاختصار في الطريق الى المدينة فقال له سعد هذا الغامر من ركوبة وبه لصان من اسلم يقال لهما المهانان فان شئت اخذنا عليهما فقال النبي صلى الله عليه وسلم خذ بنا عليهما قال سعد فخرجنا حتى اذا اشرفنا اذا احدهما يقول لصاحبه هذا اليماني فدعاهما رسول الله صلى الله عليه وسلم فعرض عليهما الاسلام فاسلما ثم سالهما عن اسمائهما فقالا نحن المهانان فقال بل انتما المكرمان وامرهما ان يقدما عليه المدينة فخرجنا حتى اذا اتينا ظاهر قبا فتلقى بنو عمرو بن عوف فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اين ابو امامة اسعد بن زرارة فقال سعد بن خيثمة انه اصاب قبلي يا رسول الله الا اخبره ذلك ثم مضى صلى الله عليه وسلم حتى اذا طلع على النخل فاذا الشرب مملوء فالتفت رسول الله صلى الله عليه وسلم الى ابي بكر فقال يا ابا بكر هذا المنزل رايتني انزل الى حياض كحياض بني مدلج انفرد به احمد صح

طريقه على ركوبة فقال له ابراهيم اخبرني ما حدثك ابوك قال ابن سعد ثني ابي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم صح

قال لما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من الهجرة ومعه ابو بكر وعامر بن فهيرة وابن اريقط يدلهم على الطريق مر بام معبد الخزاعية وهي لا تعرفه فقال لها يا ام معبد هل عندك من لبن قالت لا والله ان الغنم لعازبة قال فما هذه الشاة قالت خلفها الجهد عن الغنم ثم ذكر تمام الحديث كنحو ما تقدم ثم قال البيهقي يحتمل ان هذه القصص كلها واحدة ثم ذكر قصة شبيهة بقصة شاة ام معبد الخزاعية فقال حدثنا ابو عبد الله الحافظ املاء ثنا ابو بكر احمد بن اسحاق بن ايوب ثنا محمد بن غالب ثنا ابو الوليد ثنا عبيد الله بن اياد بن لقيط ثنا اياد بن لقيط عن قيس بن النعمان قال لما انطلق النبي صلى الله عليه وسلم وابو بكر مستخفين مرا بعبد يرعى غنما فاستسقياه اللبن فقال ما عندي شاة تحلب غير ان ههنا عناقا حملت اول الشتاء وما بقي لها لبن فقال ادع بها فاعتقلها النبي صلى الله عليه وسلم ومسح ضرعها ودعا حتى انزلت وجاء ابو بكر بمجن فحلب فسقى ابا بكر ثم حلب فسقى الراعي ثم حلب فشرب فقال الراعي بالله من انت فوالله ما رايت مثلك قط قال او تراك تكتم علي حتى اخبرك قال نعم قال فاني محمد رسول الله فقال انت الذي تزعم قريش انه صابئ قال انهم ليقولون ذلك قال فاشهد انك نبي واشهد ان ما جئت به حق وانه لا يفعل ما فعلت الا نبي وانا متبعك قال انك لن تستطيع ذلك يومك هذا فاذا بلغك اني قد ظهرت فاتنا ورواه ابو يعلى الموصلي عن جعفر بن حميد الكوفي عن عبيد الله بن اياد بن لقيط به وقد ذكر ابو نعيم ههنا قصة عبد الله بن مسعود فقال ثنا عبد الله بن جعفر ثنا يونس بن حبيب ثنا ابو داود ثنا حماد بن سلمة عن عاصم عن زر عن عبد الله بن مسعود قال كنت غلاما يافعا ارعى غنما لعقبة ابن ابي معيط بمكة فاتى رسول الله وابو بكر وقد فرا من المشركين فقال يا غلام عندك لبن تسقينا فقلت اني مؤتمن ولست بساقيكما فقال هل عندك من جذعة لم ينز عليها الفحل بعد قلت نعم فاتيتهما بها فاعتقلها ابو بكر واخذ رسول الله الضرع فدعا فحفل الضرع وجاء ابو بكر بصخرة منقعرة فحلب فيها ثم شرب هو وابو بكر وسقياني ثم قال للضرع اقلص فقلص فلما كان بعد اتيت رسول الله فقلت علمني من هذا القول الطيب يعني القران فقال رسول الله انك غلام معلم فاخذت من فيه سبعين سورة ما ينازعني فيها احد فقوله في هذا السياق وقد فرا من المشركين ليس المراد منه وقت الهجرة وانما ذلك في بعض الاحوال قبل الهجرة فان ابن مسعود ممن اسلم قديما وهاجر الى الحبشة ورجع الى مكة كما تقدم وقصته هذه صحيحة ثابتة في الصحاح وغيرها والله اعلم

فصل في دخوله عليه السلام المدينة واين استقر منزله بها وما يتعلق به

قد تقدم فيما رواه البخاري عن الزهري عن عروة ان النبي صلى الله عليه وسلم دخل المدينة عند الظهيرة قلت ولعل ذلك كان بعد الزوال لما ثبت في الصحيحين من حديث اسرائيل عن ابي اسحاق عن البراء بن عازب عن ابي بكر في حديث الهجرة قال فقدمنا ليلا فتنازعه القوم ايهم ينزل عليه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انزل على بني النجار اخوال عبد المطلب اكرمهم بذلك وهذا والله اعلم اما ان يكون يوم قدومه الى قبا فيكون حال وصوله الى قرب المدينة كان في حر الظهيرة واقام تحت تلك النخلة ثم سار بالمسلمين فنزل قبا وذلك ليلا واطلق على ما بعد الزوال ليلا فان العشي من الزوال واما ان يكون المراد بذلك لما رحل من قبا كما سياتي فسار فما انتهى الى بني النجار الا عشاء كما سياتي بيانه والله اعلم وذكر البخاري عن الزهري عن عروة انه نزل في بني عمرو بن عوف بقبا واقام فيهم بضع عشرة ليلة واسس مسجد قبا في تلك الايام ثم ركب ومعه

وقد اخرجه

ومعه الناس حتى بركت به راحلته في مكان مسجده وكان مربدا لغلامين يتيمين وهما سهل وسهيل فابتاعه منهما واتخذه مسجدا وذلك في دار بني النجار رضي الله عنهم وقال محمد بن اسحاق حدثني محمد بن جعفر بن الزبير عن عبد الرحمن بن عويم بن ساعدة قال حدثني رجال من قومي من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قالوا لما بلغنا مخرج النبي صلى الله عليه وسلم من مكة وتوكفنا قدومه كنا نخرج اذا صلينا الصبح الى ظاهر حرتنا ننتظر النبي صلى الله عليه وسلم فوالله ما نبرح حتى تغلبنا الشمس على الظلال فاذا لم نجد ظلا دخلنا وذلك في ايام حارة حتى اذا كان اليوم الذي قدم فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم جلسنا كما كنا نجلس حتى اذا لم يبق ظل دخلنا بيوتنا وقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم حين دخلنا البيوت فكان اول من راه رجل من اليهود فصرخ باعلى صوته يا بني قيلة هذا جدكم قد جاء فخرجنا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في ظل نخلة ومعه ابو بكر في مثل سنه واكثرنا لم يكن راى رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل ذلك وركبه الناس وما يعرفونه من ابي بكر حتى زال الظل عن رسول الله فقام ابو بكر فاظله بردائه فعرفناه عند ذلك وقد تقدم مثل ذلك في سياق البخاري وكذا ذكره موسى بن عقبة في مغازيه وقال الامام احمد حدثنا هاشم ثنا سليمان عن ثابت عن انس بن مالك قال اني لاسعى في الغلمان يقولون جاء محمد فاسعى ولا ارى شيئا ثم يقولون جاء محمد فاسعى ولا ارى شيئا قال حتى جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم وصاحبه ابو بكر فكمنا في بعض خراب المدينة ثم بعثا رجلا من اهل البادية يؤذن بهما الانصار فاستقبلهما زهاء خمسمائة من الانصار حتى انتهوا اليهما فقالت الانصار انطلقا آمنين مطاعين فاقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم وصاحبه بين اظهرهم فخرج اهل المدينة حتى ان العواتق لفوق البيوت يتراءينه يقلن ايهم هو ايهم هو فما راينا منظرا شبيها به قال انس فلقد رايته يوم دخل علينا ويوم قبض فلم ار يومين شبيها بهما ورواه البيهقي عن الحاكم عن الاصم عن محمد بن اسحاق الصغاني عن ابي النضر هاشم بن القاسم عن سليمان بن المغيرة عن ثابت عن انس بنحوه او مثله وفي الصحيحين من طريق اسرائيل عن ابي اسحاق عن البراء عن ابي بكر في حديث الهجرة قال وخرج الناس حين قدمنا المدينة في الطرق وعلى البيوت والغلمان والخدم يقولون الله اكبر جاء رسول الله الله اكبر جاء محمد الله اكبر جاء رسول الله فلما اصبح انطلق وذهب حيث امر وقال البيهقي انا ابو عمرو الاديب انا ابو بكر الاسماعيلي سمعت ابا خليفة يقول سمعت ابن عائشة يقول لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة جعل النساء والصبيان يقلن

طلع البدر علينا من ثنيات الوداع • وجب الشكر علينا ما دعا لله داع •

قال محمد بن اسحاق فنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما يذكرون يعني حين نزل بقباء على كلثوم بن الهدم اخي بني عمرو بن عوف ثم احد بني عبيد ويقال بل نزل على سعد بن خيثمة ويقول من يذكر انه نزل على كلثوم بن الهدم انما كان رسول الله اذا خرج من منزل كلثوم بن الهدم جلس للناس في بيت سعد بن خيثمة وذلك انه كان عزبا لا اهل له وكان يقال لبيته بيت العزاب والله اعلم ونزل ابو بكر رضي الله عنه على حبيب بن اساف احد بني الحارث بن الخزرج بالسنح ويقال على خارجة بن زيد بن ابي زهير اخي بني الحارث بن الخزرج قال ابن اسحاق واقام علي بن ابي طالب بمكة ثلاث ليال وايامها حتى ادى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الودائع التي كانت عنده ثم لحق برسول الله صلى الله عليه وسلم فنزل معه على كلثوم بن الهدم فكان علي وانما كانت اقامته بقبا ليلة

اهل

او ليلتين يقول كانت بقبا امراة لا زوج لها مسلمة فرايت انسانا ياتيها من جوف الليل
فيضرب عليها بابها فتخرج اليه فيعطيها شيا معه فتاخذه فاستربت بشانه فقلت لها يا امة
الله من هذا الرجل الذى يضرب عليك بابك كل ليلة فتخرجين اليه فيعطيك شيا لا ادرى
ما هو وانت امراة مسلمة لا زوج لك قالت هذا سهل بن حنيف قد عرف انى امراة لا احد لى فاذا
امسى عدا على اوثان قومه فكسرها ثم جا نى بها فقال احتطبى بهذا فكان على رضى الله عنه ياثر
ذلك من شان سهل بن حنيف حين هلك عنده بالعراق قال ابن اسحاق فاقام رسول الله صلى
الله عليه وسلم بقبا فى بنى عمرو بن عوف يوم الاثنين ويوم الثلثا ويوم الاربعا ويوم الخميس
واسس مسجده ثم اخرجه الله من بين اظهرهم يوم الجمعة وبنو عمرو بن عوف يزعمون انه مكث فيهم
اكثر من ذلك وقال عبد الله بن ادريس عن محمد بن اسحاق قال وبنو عمرو بن عوف يزعمون انه عليه
السلام اقام فيهم ثمانى عشرة ليلة قلت وقد تقدم فيما رواه البخارى من طريق الزهرى عن عروة
انه عليه السلام اقام فيهم بضع عشرة ليلة وحكى موسى بن عقبة عن مجمع بن يزيد بن جارية انه قال
اقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فينا يعنى فى بنى عمرو بن عوف بقبا اثنتين وعشرين ليلة
وقال الواقدى ويقال اقام فيهم اربع عشرة ليلة قال ابن اسحاق فادركت رسول الله صلى
الله عليه وسلم الجمعة فى بنى سالم بن عوف فصلاها فى المسجد الذى فى بطن الوادى وادى رانونا
فكانت اول جمعة صلاها بالمدينة فاتاه عتبان بن مالك وعباس بن عبادة بن نضلة فى رجال
من بنى سالم فقالوا يا رسول الله اقم عندنا فى العدد والعدة والمنعة قال خلوا سبيلها فانها
مامورة لناقته فخلوا سبيلها فانطلقت حتى اذا وازت دار بنى بياضة تلقاه زياد بن لبيد
وفروة بن عمرو فى رجال من بنى بياضة فقالوا يا رسول الله هلم الينا الى العدد والعدة
والمنعة قال خلوا سبيلها فانها مامورة لناقته فخلوا سبيلها فانطلقت حتى اذا مرت بدار
بنى ساعدة اعترضه سعد بن عبادة والمنذر بن عمرو فى رجال من بنى ساعدة فقالوا يا رسول
الله هلم الينا الى العدد والعدة والمنعة قال خلوا سبيلها فانها مامورة فخلوا سبيلها
فانطلقت حتى اذا وازت دار بنى الحرث بن الخزرج اعترضه سعد بن الربيع وخارجة بن زيد
وعبد الله بن رواحة فى رجال من بنى الحارث بن الخزرج فقالوا يا رسول الله هلم الينا الى العدد والعدة
والمنعة قال خلوا سبيلها فانها مامورة فخلوا سبيلها فانطلقت حتى اذا مرت بدار عدى بن
النجار وهم اخواله دنيا ام عبد المطلب سلمى بنت عمرو احدى نسائهم اعترضه سليط بن قيس وابو
سليط اسيرة بن خارجة فى رجال من بنى عدى بن النجار فقالوا يا رسول الله هلم الى اخوالك الى
العدد والعدة والمنعة قال خلوا سبيلها فانها مامورة فخلوا سبيلها فانطلقت حتى اذا
اتت دار بنى مالك بن النجار بركت على باب مسجده عليه السلام اليوم وكان يومئذ مربدا لغلامين
يتيمين من بنى مالك بن النجار وهما سهل وسهيل ابنا عمرو وكانا فى حجر معاذ بن عفرا قلت
وتقدم فى رواية البخارى من طريق الزهرى عن عروة انهما كانا فى حجر سعد بن زرارة والله اعلم
وذكر موسى بن عقبة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم مر فى طريقه بعبد الله بن ابى بن سلول
وهو فى بيت ثم وقف رسول الله صلى الله عليه وسلم ينتظر ان يدعوه الى المنزل وهو يومئذ
سيد الخزرج فى انفسهم فقال عبد الله انظر الذين دعوك فانزل عليهم فذكر ذلك رسول الله
صلى الله عليه وسلم لنفر من الانصار فقال سعد بن عبادة لنعتذر الله علينا بك يا رسول الله يعتذر عنه
وانا نرجو ان تعقد على راسه التاج ونملكه علينا قال موسى بن عقبة وكانت الانصار قد اجتمعوا

فنزل

فنزل ان بركت برسول الله صلى الله عليه وسلم من بنى عمرو بن عوف فمشوا حولنا فلا يزال احدهم
ينازع صاحبه زمام الناقة شحا على كرامة رسول الله صلى الله عليه وسلم وتعظيما له وكلما مر
بدار من دور الانصار دعوه الى المنزل فيقول صلى الله عليه وسلم دعوها فانها مامورة فانما انزل
حيث انزلنى الله فلما انتهت به الى باب ابى ايوب بركت به على الباب فدخل بيت ابى ايوب حتى نزل
ابتنى مسجده ومساكنه وقال ابن اسحاق فلما بركت الناقة برسول الله صلى الله عليه وسلم لم
ينزل عنها حتى وثبت فسارت غير بعيد ورسول الله صلى الله عليه وسلم واضع لها زمامها لا
يثنيها به ثم التفتت خلفها فرجعت الى مبركها اول مرة فبركت فيه ثم تحلحلت وزمت ووضعت
جرانها فنزل عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم واحتمل ابو ايوب خالد بن زيد رحله فوضعه
فى بيته فنزل عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وسال عن المربد لمن هو فقال له معاذ بن
عفرا هو يا رسول الله لسهل وسهيل ابنى عمرو وهما يتيمان لى وسارضيهما منه فاتخذه مسجدا فامر
به رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يبنى ونزل رسول الله فى دار ابى ايوب حتى بنى مسجده ومساكنه
فعمل فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون من المهاجرين والانصار وسيبانى قصة بناء
المسجد قريبا ان شا الله وقال البيهقى فى الدلايل وقال ابو عبد الله انا ابو الحسن على بن عمر
الحافظ ثنا ابو عبد الله محمد بن مخلد الدورى ثنا محمد بن سليمان بن اسماعيل بن ابى الورد ثنا
ابراهيم بن صرمة ثنا يحيى بن سعيد عن اسحاق بن عبد الله بن ابى طلحة عن انس قال قدم رسول الله
المدينة فلما دخلنا جا الانصار برجالها ونسايها فقالوا الينا يا رسول الله فقال دعوا الناقة
فانها مامورة فبركت على باب ابى ايوب فخرجت جوار من بنى النجار يضربن بالدفوف وهن يقلن
نحن جوار من بنى النجار يا حبذا محمد من جار فقال اتحبوننى فقالوا اى والله يا رسول الله فقال فخرج اليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم
وانا والله احبكم وانا والله احبكم وانا والله احبكم هذا حديث غريب من هذا الوجه لم يروه
احد من اصحاب السنن وقد خرجه الحاكم فى مستدركه كما نروى ثم قال البيهقى انا ابو عبد الرحمن السلمى
انا ابو القاسم عبد الله بن سليمان النخاس المقرى ببغداد ثنا عمر بن الحسن الحلبى ثنا ابو خيثمة
المصيصى ثنا عيسى بن يونس عن عوف الاعرابى عن ثمامة عن انس قال مر النبى صلى الله عليه
وسلم بحى من بنى النجار واذا جوار يضربن بالدفوف يقلن نحن جوار من بنى النجار يا حبذا محمد
من جار فقال رسول الله الله يعلم ان قلبى يحبكم ورواه ابن ماجة عن هشام بن عمار عن عيسى
بن يونس به وفى صحيح البخارى عن ابى معمر عن عبد الوارث عن عبد العزيز عن انس قال
راى النبى صلى الله عليه وسلم النسا والصبيان مقبلين حسبت انه قال من عرس فقام النبى
صلى الله عليه وسلم ممثلا فقال اللهم انتم من احب الناس الى قالها ثلاث مرات وقال
الامام احمد ثنا عبد الصمد بن عبد الوارث حدثنى ابى حدثنى عبد العزيز بن صهيب ثنا
انس بن مالك قال اقبل رسول الله الى المدينة وهو مردف ابا بكر وابو بكر شيخ يعرف
ورسول الله شاب لا يعرف قال فيلقى الرجل ابا بكر فيقول يا ابا بكر من هذا الرجل الذى بين
يديك فيقول هذا الرجل يهدينى السبيل فيحسب الحاسب انما يهديه الطريق وانما يعنى
سبيل الجنة فالتفت ابو بكر فاذا هو بفارس قد لحقهم فقال يا نبى الله هذا فارس قد لحق بنا
فالتفت رسول الله فقال اللهم اصرعه فصرعه عن فرسه ثم قامت تحمحم ثم قال مرنى يا نبى الله
بما شيت فقال قف مكانك ولا تتركن احدا يلحق بنا قال فكان اول النهار جاهدا على رسول
الله وكان اخر النهار مسلحة له قال فنزل رسول الله جانب الحرة ثم بعث الى الانصار فجاوا

فسلموا عليهما وقالوا اركبا آمنين مطاعين فركب رسول الله وابو بكر وحفوا حولهما بالسلاح وقيل في المدينة جاء نبي الله صلى الله عليه وسلم فاستشرفوا نبي الله ينظرون اليه ويقولون جاء نبي الله قال فاقبل يسير حتى نزل الى جانب دار ابي ايوب قال فانه ليحدث اهله اذ سمع به عبد الله بن سلام وهو في نخل لاهله يخترف لهم فعجل ان يضع الذي يخترف لهم فيها فجاء وهي معه فسمع من نبي الله ورجع الى اهله وقال نبي الله اي بيوت اهلنا اقرب فقال ابو ايوب انا يا نبي الله هذه داري وهذا بابي قال فانطلق فهيئ لنا مقيلا قال فذهب فهيأ ثم جاء فقال يا رسول الله قد هيأت مقيلا فقوما على بركة الله فقيلا فلما جاء نبي الله جاء عبد الله بن سلام فقال اشهد انك نبي الله حقا وانك جئت بحق ولقد علمت يهود اني سيدهم وابن سيدهم واعلمهم وابن اعلمهم فادعهم فسلهم فدخلوا عليه فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم يا معشر اليهود ويلكم اتقوا الله فوالله الذي لا اله الا هو انكم لتعلمون اني رسول الله حقا واني جئت بحق اسلموا فقالوا ما نعلمه ثلاثا وكذا رواه البخاري منفردا به عن محمد غير منسوب عن عبد الصمد به وقال ابن اسحاق وحدثني يزيد بن ابي حبيب عن مرثد بن عبد الله اليزني عن ابي رهم السماعي حدثني ابو ايوب لما نزل علي رسول الله في بيتي نزل في السفل وانا وام ايوب في العلو فقلت له بابي انت وامي يا نبي الله اني اكره واعظم ان اكون فوقك وتكون تحتي فاظهر انت فكن في العلو وننزل نحن فنكون في السفل فقال يا ابا ايوب ان ارفق بنا وبمن يغشانا ان اكون في سفل البيت فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفله وكنا فوقه في المسكن فلقد انكسر حب لنا فيه ماء فقمت انا وام ايوب بقطيفة لنا ما لنا لحاف غيرها ننشف بها الماء تخوفا ان يقطر على رسول الله منه شيء يؤذيه قال وكنا نصنع له العشاء ثم نبعث به اليه فاذا رد علينا فضله تيممت انا وام ايوب موضع يده فاكلنا منه نبتغي بذلك البركة حتى بعثنا اليه ليلة بعشائه وقد جعلنا له فيه بصلا وثوما فرده رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم ار ليده فيه اثرا قال فجئته فزعا فقلت يا رسول الله بابي انت وامي رددت عشاءك ولم ار فيه موضع يدك فقال اني وجدت فيه ريح هذه الشجرة وانا رجل اناجي فاما انتم فكلوه قال فاكلناه ولم نصنع له تلك الشجرة بعد وكذلك رواه البيهقي من طريق الليث بن سعد عن يزيد بن ابي حبيب عن ابي الحسن او ابي الخير مرثد بن عبد الله اليزني عن ابي رهم عن ابي ايوب فذكره ورواه ابو بكر بن ابي شيبة عن يونس بن محمد المؤدب عن الليث وقال البيهقي انا ابو عبد الله الحافظ انا ابو عمرو الحيري ثنا عبد الله بن محمد ثنا احمد بن سعيد الدارمي ثنا ابو النعمان ثنا ثابت بن يزيد ثنا عاصم الاحول عن عبد الله بن الحرث عن افلح مولى ابي ايوب عن ابي ايوب ان رسول الله نزل عليه فنزل في السفل وابو ايوب في العلو فانتبه ابو ايوب فقال نمشي فوق رأس رسول الله صلى الله عليه وسلم فتحولوا فباتوا في جانب ثم قال للنبي صلى الله عليه وسلم يعني في ذلك فقال السفل ارفق بنا فقال لا اعلو سقيفة انت تحتها فتحول رسول الله في العلو وابو ايوب في السفل فكان يصنع لرسول الله طعاما فاذا جيء به سأل عن موضع اصابع رسول الله فقيل له لم يأكل ففزع وصعد اليه فقال أحرام فقال النبي صلى الله عليه وسلم لا ولكني اكرهه قال فاني اكره ما تكره او ما كرهت قال وكان النبي صلى الله عليه وسلم يأتيه الملك رواه مسلم عن احمد بن سعيد به وثبت في الصحيحين عن انس بن مالك قال

اصابعه فيتتبع موضع اصابع رسول الله صلى الله عليه وسلم فصنع له طعاما فيه ثوم فلما رد اليه سأل عن موضع م

حتى رسول

جيء رسول الله ببدر فيه وانه بقدر فيه خضرات من بقول قال فاخبر بما فيها فلما رآه كرهه اكلها قال كل فاني اناجي من لا تناجي وقد روى الواقدي ان اسعد بن زرارة لما نزل رسول الله في دار ابي ايوب اخذ خطام ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم فكانت عنده وروى عن زيد بن ثابت انه قال اول هدية اهديت الى رسول الله حين نزل دار ابي ايوب انا جئت بها قصعة فيها خبز مثرود بلبن وسمن فقلت ارسلت بهذه القصعة امي فقال بارك الله فيك ودعا اصحابه فاكلوا ثم جاءت قصعة سعد بن عبادة ثريد وعراق لحم وما كانت من ليلة الا وعلى باب رسول الله الثلاثة والاربعة يحملون الطعام بينهم يتناوبون وكان مقامه في دار ابي ايوب سبعة اشهر قال وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو نازل في دار ابي ايوب مولاه زيد بن حارثة وابا رافع ومعهما بعيران وخمسمائة درهم ليجيئا بفاطمة وام كلثوم ابنتي رسول الله وسودة بنت زمعة زوجته واسامة بن زيد وكانت رقية قد هاجرت مع زوجها عثمان وزينب عند زوجها بمكة ابي العاص بن الربيع وجاءت معهم ام ايمن امرأة زيد بن حارثة وخرج معهم عبد الله بن ابي بكر بعيال ابي بكر وفيهم عائشة ام المؤمنين ولم يدخل بها رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد وقال البيهقي انا علي بن احمد بن عبدان انا احمد بن عبيد الصفار ثنا خلف بن عمرو العكبري ثنا سعيد بن منصور ثنا عطاف بن خالد ثنا صديق بن موسى عن عبد الله بن الزبير ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قدم المدينة فاستناخت به راحلته بين دار جعفر بن محمد بن علي وبين دار الحسن بن زيد فاتاه الناس فقالوا يا رسول الله المنزل فانبعثت به راحلته فقال دعوها فانها مأمورة ثم خرجت به حتى جاءت موضع المنبر فاستناخت ثم تحللت وثم عريش كانوا يرشونه ويعمرونه ويتبردون فيه فنزل رسول الله عن راحلته فآوى الى الظل فاتاه ابو ايوب فقال يا رسول الله ان منزلي اقرب المنازل اليك فانقل رحلك الي قال نعم فذهب برحله الى المنزل ثم اتاه رجل فقال يا رسول الله اين تحل قال ان الرجل مع رحله حيث كان وثبت رسول الله صلى الله عليه وسلم في العريش اثنتي عشرة ليلة حتى بني المسجد وهذه منقبة عظيمة لابي ايوب خالد بن زيد رضي الله عنه حيث نزل في داره رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد روينا من طريق يزيد بن ابي حبيب عن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس عن عبد الله بن عباس رضي الله عنه انه لما قدم ابو ايوب البصرة وكان ابن عباس نائبا عليها من جهة علي بن ابي طالب رضي الله عنه فخرج له ابن عباس عن داره حتى انزله فيها كما انزل رسول الله صلى الله عليه وسلم في داره وملكه كل ما اغلق عليه بابها ولما اراد الانصراف اعطاه ابن عباس عشرين الفا واربعين عبدا وقد صارت دار ابي ايوب بعده الى مولاه افلح فاشتراها منه المغيرة بن عبد الرحمن بن الحرث بن هشام بالف دينار واصلح ما وهي من بنيانها ووهبها لاهل بيت فقراء من اهل المدينة وكذلك نزوله عليه السلام دار بني النجار واختيار الله له ذلك منقبة لهم عظيمة وقد كان في المدينة دور كثيرة تبلغ تسعا كل دار محلة مستقلة بمساكنها ونخيلها وزروعها واهلها كل قبيلة من قبائلهم قد اجتمعوا في محلتهم وهي كالقرى المتلاصقة فاختار الله لرسوله صلى الله عليه وسلم دار بني النجار بن مالك وقد ثبت في الصحيحين من حديث شعبة سمعت قتادة عن انس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خير دور الانصار بنو النجار ثم بنو عبد

الاشهل ثم بنو الحرث بن الخزرج ثم بنو ساعدة وفي كل دور الانصار خير فقال سعد بن عبادة ما ارى النبي صلى الله عليه وسلم الا قد فضل علينا فقيل قد فضلكم على كثير وهذا لفظ البخاري وكذلك رواه البخاري ومسلم من حديث انس وابي سلمة عن ابي اسيد مالك بن ربيعة ومن حديث عباس بن سهل عن ابي حميد عن النبي صلى الله عليه وسلم بمثله سواء زاد في حديث ابي حميد فقال ابو اسيد لسعد بن عبادة الم تر ان النبي صلى الله عليه وسلم خير الانصار فجعلنا اخرا فادرك سعد النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله خير دور الانصار فجعلنا اخرا قال او ليس بحسبكم ان تكونوا من الاخيار بل قد ثبت لجميع من اسلم من اهل المدينة وهم الانصار الشرف والرفعة في الدنيا والاخرة قال الله تعالى والسابقون الاولون من المهاجرين والانصار والذين اتبعوهم باحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه واعد لهم جنات تجري تحتها الانهار خالدين فيها ابدا ذلك الفوز العظيم وقال تعالى والذين تبوؤا الدار والايمان من قبلهم يحبون من هاجر اليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما اوتوا ويؤثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فاولئك هم المفلحون وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لولا الهجرة لكنت امرا من الانصار ولو سلك الناس واديا وشعبا لسلكت وادي الانصار وشعبهم الانصار شعار والناس دثار وقال الانصار كرشي وعيبتي وقال انا سلم لمن سالمهم وحرب لمن حاربهم وقال البخاري حدثنا حجاج بن منهال ثنا شعبة حدثني عدي بن ثابت قال سمعت البرا بن عازب يقول سمعت رسول الله او قال قال رسول الله الانصار لا يحبهم الا مؤمن ولا يبغضهم الا منافق فمن احبهم احبه الله ومن ابغضهم ابغضه الله وقد اخرجه بقية الجماعة الا ابا داود من حديث شعبة به وقال البخاري ايضا حدثنا مسلم بن ابراهيم ثنا شعبة عن عبد الله بن عبد الله بن جبر عن انس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم قال اية الايمان حب الانصار واية النفاق بغض الانصار ورواه البخاري ايضا عن ابي الوليد الطيالسي ومسلم من حديث خالد بن الحرث وعبد الرحمن بن مهدي اربعتهم عن شعبة به والايات والاحاديث في فضائل الانصار كثيرة جدا وما احسن ما قال ابو قيس صرمة بن ابي انس فيما ذكره احد شعرا الانصار في قدوم رسول الله اليهم ونصرهم اياه ومواساتهم له ولاصحابه رضي الله عنهم اجمعين قال ابن اسحاق وقال ابو قيس صرمة بن ابي انس ايضا يذكر ما اكرمهم الله به من الاسلام وما خصهم به من رسوله عليه السلام

ثوى في قريش بضع عشرة حجة • يذكر لو يلقى صديقا مواتيا •
ويعرض في اهل المواسم نفسه • فلم ير من يؤوي ولم ير داعيا •
فلما اتانا واطمانت به النوى • واصبح مسرورا بطيبة راضيا •
فاصبح لا يخشى عداوة واحد • قريب ولا يخشى من الناس باغيا •
والفى صديقا واطمانت به النوى • وكان له عونا من الله باديا •
يقص لنا ما قال نوح لقومه • وما قال موسى اذ اجاب المناديا •
فاصبح لا يخشى من الناس واحدا • قريبا ولا يخشى من الناس نائيا •
بذلنا له الاموال من حل مالنا • وانفسنا عند الوغى والتآسيا •
نعادي الذي عادى من الناس كلهم • جميعا ولو كان الحبيب المواسيا •
ونعلم ان الله لا شيء غيره • وان كتاب الله اصبح هاديا •
اقول اذا صليت في كل بيعة • حنانيك لا تظهر علينا الاعاديا •

اقول اذا جاوزت ارضا مخيفة • تباركت اسم الله انت المواليا •
فطأ معرضا ان الحتوف كثيرة • وانك لا تبقي لنفسك باقيا •
فوالله ما يدري الفتى كيف يتقي • اذا هو لم يجعل له الله واقيا •
ولا يحفل النخل المقيمة ربها • اذا اصبحت ريا واصبح ثاويا •

ذكرها ابن اسحاق وغيره ورواها عبد الله بن الزبير الحميدي وغيره عن سفيان بن عيينة عن يحيى بن سعيد الانصاري عن عجوز من الانصار قالت رايت عبد الله بن عباس يختلف الى صرمة بن قيس يروي هذه الابيات رواه البيهقي **فصل** وقد شرفت المدينة بهجرته عليه السلام اليها وصارت كهفا لاوليائه وعباده الصالحين ومعقلا وحصنا منيعا للمسلمين ودار هدى للعالمين والاحاديث في فضلها كثيرة جدا لها موضع اخر نوردها فيه ان شا الله وقد ثبت في الصحيحين من طريق خبيب بن عبد الرحمن بن يساف عن حفص بن عاصم عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الايمان ليارز الى المدينة كما تارز الحية الى جحرها ورواه مسلم ايضا عن محمد بن رافع عن شبابة عن عاصم بن محمد بن زيد بن عبد الله بن عمر عن ابيه عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم نحوه وفي الصحيحين ايضا من حديث مالك عن يحيى بن سعيد انه سمع ابا الحباب سعيد بن يسار سمعت ابا هريرة يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم امرت بقرية تاكل القرى يقولون يثرب وهي المدينة تنفي الناس كما ينفي الكير خبث الحديد وقد انفرد الامام مالك عن بقية الائمة الاربعة بتفضيلها على مكة وقد قال البيهقي اخبرنا ابو عبد الله الحافظ اخبرني ابو الوليد وابو بكر بن عبد الله قالا ثنا الحسن بن سفيان ثنا ابو موسى الانصاري ثنا سعد بن سعيد حدثني اخي عن عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اللهم انك اخرجتني من احب البلاد الي [فأسكني احب البلاد اليك] فاسكنه الله المدينة وهذا حديث غريب جدا والمشهور عن الجمهور ان مكة افضل من المدينة الا المكان الذي ضم جسد رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد استدل الجمهور على ذلك بادلة يطول ذكرها ههنا ومحلها كتاب المناسك من الاحكام ان شا الله تعالى واشهر دليل لهم في ذلك ما قال الامام احمد ثنا ابو اليمان ثنا شعيب عن الزهري انا ابو سلمة بن عبد الرحمن ان عبد الله بن عدي بن الحمرا اخبره انه سمع النبي صلى الله عليه وسلم وهو واقف بالحزورة في سوق مكة يقول والله انك لخير ارض الله واحب ارض الله الى الله ولولا اني اخرجت منك ما خرجت وكذا رواه احمد عن يعقوب بن ابراهيم عن ابيه عن صالح بن كيسان عن الزهري به وهكذا رواه الترمذي والنسائي وابن ماجه من حديث الليث عن عقيل عن الزهري به وقال الترمذي حسن صحيح وقد رواه يونس عن الزهري به قال ورواه محمد بن عمرو عن ابي سلمة عن ابي هريرة وحديث الزهري عندي اصح وقال الامام احمد ثنا عبد الرزاق ثنا معمر عن الزهري عن ابي سلمة عن عبد الرحمن عن ابي هريرة قال وقف رسول الله على الحزورة فقال علمت انك خير ارض الله واحب الارض الى الله ولولا ان اهلك اخرجوني منك ما خرجت وكذا رواه النسائي من حديث معمر به قال الحافظ البيهقي وهذا وهم من معمر وقد رواه بعضهم عن محمد بن عمرو عن ابي سلمة عن ابي هريرة وهو ايضا وهم والصحيح رواية الجماعة وقال احمد ايضا ثنا ابراهيم بن خالد ثنا رباح عن معمر عن محمد بن مسلم بن شهاب الزهري عن ابي سلمة عن بعضهم ان رسول الله قال وهو في سوق الحزورة والله انك لخير ارض الله واحب الارض الى الله

ولولا انى اخرجت منك ما خرجت وقد رواه الطبرانى عن احمد بن صالح الحلبى عن الحميدى عن الدراوردى
عن ابن اخى الزهرى عن الزهرى عن محمد بن جبير بن مطعم عن عبد الله بن عدى بن الحمراء به فهذه طرق
هذا الحديث واصحها ما تقدم والله اعلم

ذكر ما وقع فى السنة الاولى من الهجرة النبوية من الحوادث والوقائع العظيمة

اتفق الصحابة رضى الله عنهم فى سنة ست عشرة وقيل سنة سبع عشرة او ثمانى عشرة فى
الدولة العمرية على جعل ابتداء التاريخ الاسلامى من سنة الهجرة وذلك ان امير المؤمنين عمر رضى
الله عنه رفع اليه صك اى حجة لرجل على اخر وفيه انه يحل عليه فى شعبان فقال عمر اى شعبان
اشعبان هذه السنة التى نحن فيها او السنة الماضية او الاتية ثم جمع الصحابة فاستشارهم
فى وضع تاريخ يتعرفون به حلول الديون وغير ذلك فقال قائل ارخوا كتاريخ الفرس فكره ذلك
وكانت الفرس يؤرخون بملوكهم واحدا بعد واحد وقال قائل ارخوا بتاريخ الروم وكانوا يؤرخون
بملك اسكندر بن فلبس المقدونى فكره ذلك وقال اخرون ارخوا بمولد رسول الله صلى الله
عليه وسلم وقال اخرون بل بمبعثه وقال اخرون بل بهجرته وقال اخرون بل بوفاته عليه السلام
فمال عمر رضى الله عنه الى التاريخ بالهجرة لظهوره واشتهاره واتفقوا معه على ذلك وقال
البخارى فى صحيحه التاريخ ومتى ارخوا التاريخ حدثنا عبد الله بن مسلمة ثنا عبد العزيز عن
ابيه عن سهل بن سعد قال ما عدوا من مبعث النبى صلى الله عليه وسلم ولا من وفاته ما عدوا الا من
مقدمه المدينة وقال الواقدى ثنا ابن ابى الزناد عن ابيه قال استشار عمر فى التاريخ فاجمعوا
على الهجرة وقال ابو داود الطيالسى عن قرة بن خالد السدوسى عن محمد بن سيرين قال قام رجل
الى عمر فقال ارخوا فقال ما ارخوا فقال شىء تفعله الاعاجم يكتبون فى شهر كذا من سنة كذا فقال
عمر حسن فارخوا فقالوا من اى السنين نبدا فقالوا من مبعثه وقالوا من وفاته ثم اجمعوا على
الهجرة ثم قالوا واى الشهور نبدا قالوا رمضان ثم قالوا المحرم فهو مصرف الناس من حجهم
وهو شهر حرام م
فاجتمعوا على المحرم وقال ابن جرير ثنا قتيبة ثنا نوح بن قيس الطاحى عن عثمان بن محصن
ان ابن عباس كان يقول فى قوله تعالى والفجر وليال عشر هو المحرم فجر السنة وروى عن عبيد بن
عمير السنة يكسى البيت ويؤرخ به الناس ويضرب فيه الورق وقال احمد ثنا روح بن عبادة
قال ان المحرم شهر الله وهو راس م
ثنا زكريا بن اسحاق عن عمرو بن دينار قال ان اول من ورخ الكتب يعلى بن امية باليمن وان رسول
الله قدم المدينة فى ربيع الاول وان الناس ارخوا لاول السنة وروى محمد بن اسحاق عن الزهرى
وعن محمد بن صالح عن الشعبى قالا ارخ بنو اسماعيل من نار ابراهيم ثم ارخوا من بنيان ابراهيم
واسماعيل البيت ثم ارخوا من موت كعب بن لؤى ثم ارخوا من الفيل ثم ارخ عمر بن الخطاب
من الهجرة وذلك سنة سبع عشرة او ثمانى عشرة وقد ذكرنا هذا الفصل محررا باسانيده
وطرقه فى السيرة العمرية ولله الحمد والمقصود انهم جعلوا ابتداء التاريخ الاسلامى من سنة
الهجرة وجعلوا اولها من المحرم فيما اشتهر عنهم وهذا هو قول جمهور الائمة وحكى السهيلى
وغيره عن الامام مالك انه قال اول السنة الاسلامية ربيع الاول لانه الشهر الذى هاجر فيه
رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد استدل السهيلى على ذلك فى موضع اخر بقوله تعالى لمسجد
اسس على التقوى من اول يوم اى من اول يوم حلول النبى صلى الله عليه وسلم المدينة وهو اول

يوم من

يوم من التاريخ كما اتفق الصحابة على ان اول سنى التاريخ عام الهجرة ولا شك ان هذا الذى
قاله الامام مالك رحمه الله مناسب ولكن العمل على خلافه وذلك لان اول شهور العرب المحرم فجعلوا السنة
الاولى سنة الهجرة وجعلوا اولها المحرم كيلا يختلط النظام والله اعلم فنقول وبالله المستعان
كما هو المعروف م
استهلت سنة الهجرة المباركة ورسول الله صلى الله عليه وسلم مقيم بمكة وقد بايع الانصار
بيعة العقبة الثانية كما قدمنا فى اوسط ايام التشريق وهى ليلة الثانى عشر من ذى الحجة
قبل سنة الهجرة ثم رجع الانصار واذن رسول الله صلى الله عليه وسلم للمسلمين فى الهجرة الى المدينة
فهاجر من هاجر من اصحابه الى المدينة حتى لم يبق بمكة من يمكنه الخروج الا رسول الله صلى الله عليه وسلم
وحبس ابو بكر نفسه على رسول الله ليصحبه فى الطريق كما قدمنا ثم خرجا على الوجه الذى تقدم بسطه
وتاخر على بن ابى طالب بعد النبى صلى الله عليه وسلم بامره ليؤدى ما كان عنده عليه السلام من الودائع
ثم لحقهم بقباء فقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الاثنين قريبا من وقت الزوال وقد
المدينة
اشتد الضحاء قال الواقدى وغيره وذلك لليلتين خلتا من شهر ربيع الاول وحكاه ابن اسحاق
الا انه لم يعرج عليه ورجح انه لثنتى عشرة ليلة خلت منه وهذا هو المشهور الذى عليه الجمهور
وقد كانت مدة اقامته عليه السلام بمكة بعد البعثة ثلاث عشرة سنة فى اصح الاقوال
وهو رواية حماد بن سلمة عن ابى حمزة الضبعى عن ابن عباس قال بعث رسول الله لاربعين سنة
واقام بمكة ثلاث عشرة سنة وهكذا روى ابن جرير عن محمد بن معمر عن روح بن عبادة عن زكريا
ابن اسحاق عن عمرو بن دينار عن ابن عباس انه قال مكث رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة ثلاث عشرة
وتقدم ان ابن عباس كتب ابيات صرمة بن ابى انس بن قيس ثوى فى قريش بضع عشرة حجة يذكر
لو يلقى صديقا مواتيا وقال الواقدى عن ابراهيم بن اسماعيل عن داود بن الحصين عن عكرمة
عن ابن عباس انه استشهد بقول صرمة •

• ثوى فى قريش بضع عشرة حجة • يذكر لو يلقى صديقا مواتيا •

هكذا رواه ابن جرير عن الحارث عن محمد بن سعد عن الواقدى خمس عشرة حجة وهو قول غريب جدا
واغرب منه ما قاله ابن جرير حدثت عن روح بن عبادة ثنا سعيد عن قتادة قال نزل القران على
رسول الله صلى الله عليه وسلم ثمانى سنين بمكة وعشرا بالمدينة وكان الحسن يقول عشرا بمكة
وعشرا بالمدينة وهكذا القول الاخر الذى ذهب اليه الحسن البصرى من انه اقام بمكة عشر سنين ذهب
اليه انس بن مالك وعائشة وسعيد بن المسيب وعمرو بن دينار فيما رواه ابن جرير عنهم وهو
رواية عن ابن عباس رواها احمد بن حنبل عن يحيى بن سعيد عن هشام عن عكرمة عن ابن عباس قال
انزل على النبى صلى الله عليه وسلم وهو ابن ثلاث واربعين فمكث بمكة عشرا وقد قدمنا عن الشعبى انه
قال قرن اسرافيل برسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث سنين يلقى اليه الكلمة والشىء وفى رواية
يسمع حسه ولا يرى شخصه ثم كان بعد ذلك جبريل وقد حكى الواقدى عن بعض مشايخه انه انكر قول
الشعبى هذا وحاول ابن جرير ان يجمع بين قول من قال انه عليه السلام اقام بمكة عشرا وقول من
قال ثلاث عشرة بهذا الذى ذكره الشعبى والله اعلم **فصل** وما حل الركاب النبوى
بالمدينة وكان اول نزوله بها فى دار بنى عمرو بن عوف وهى قباء كما تقدم فاقام بها اكثر ما قيل ثنتين
وعشرين ليلة وقيل ثمانى عشرة ليلة وقيل بضع عشرة ليلة وقال موسى بن عقبة ثلاث ليال
والاشهر ما ذكره ابن اسحاق وغيره انه عليه السلام اقام فيهم بقباء من يوم الاثنين الى يوم الجمعة وقد
اسس فى هذه المدة المختلف فى مقدارها على ما ذكرناه مسجد قباء وقد ادعى السهيلى ان رسول

الله صلى الله عليه وسلم استقر في اول يوم قدم من قباء وحمل على ذلك قوله تعالى لمسجد اسس
على التقوى من اول يوم ورد قول الشاعر يمامين تاسيس اول يوم وهو مسجد شريف فاضل نزل فيه
قوله تعالى لمسجد اسس على التقوى من اول يوم احق ان تقوم فيه فيه رجال يحبون ان يتطهروا والله
يحب المطهرين كما تكلمنا على تقرير ذلك في التفسير وذكرنا الحديث الذي في صحيح مسلم انه
مسجد المدينة والجواب عنه وذكرنا الحديث الذي رواه الامام احمد حدثنا حسن بن محمد ثنا ابو
اويس ثنا شرحبيل عن عويم بن ساعدة انه حدثه ان رسول الله اتاهم في مسجد قباء فقال ان الله
قد احسن عليكم الثناء في الطهور في قصة مسجدكم فما هذا الطهور الذي تطهرون به قالوا والله
يا رسول الله ما نعلم شيئا الا انه كان لنا جيران من اليهود فكانوا يغسلون ادبارهم من الغائط فـ
غسلنا كما غسلوا واخرجه ابن خزيمة في صحيحه وله شواهد اخر وروي عن خزيمة بن ثابت
ومحمد بن عبد الله بن سلام وابن عباس وقد روى ابو داود والترمذي وابن ماجة من حديث يونس
بن الحرث عن ابراهيم بن ابي ميمونة عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال نزلت هذه
الاية في اهل قباء فيه رجال يحبون ان يتطهروا والله يحب المطهرين قال كانوا يستنجون بالماء
فنزلت فيهم هذه الاية ثم قال الترمذي غريب من هذا الوجه قلت ويونس بن الحرث هذا
ضعيف والله اعلم وممن قال بانه المسجد الذي اسس على التقوى ما رواه عبد الرزاق عن معمر
عن الزهري عن عروة بن الزبير ورواه علي بن ابي طلحة عن ابن عباس وحكي عن الشعبي والحسن البصري
وقتادة وسعيد بن جبير وعطية العوفي وعبد الرحمن بن زيد بن اسلم وغيرهم وقد كان النبي صلى الله
عليه وسلم فيما بعد يزوره ويصلي فيه وكان ياتي قباء كل سبت تارة راكبا وتارة ماشيا وفي
الحديث صلاة في مسجد قباء كعمرة وقد ورد في حديث ان جبريل عليه السلام هو الذي اشار للنبي
صلى الله عليه وسلم الى موضع قبلة مسجد قباء فكان هذا المسجد اول مسجد بني في الاسلام بالمدينة
بل اول مسجد جعل لعموم الناس في هذه الملة واحترزنا بهذا عن المسجد الذي بناه الصديق بمكة
عند باب داره يتعبد فيه ويصلي لان ذلك كان لخاصة نفسه لم يكن للناس عامة والله اعلم
وقد تقدم اسلام سلمان في البشارات ان سلمان الفارسي لما سمع بقدوم رسول الله صلى الله عليه وسلم
الى المدينة ذهب اليه واخذ معه شيئا فوضعه بين يديه وهو بقباء وقال هذا صدقة فكف
رسول الله فلم ياكله وامر اصحابه فاكلوا منه ثم جاء مرة اخرى ومعه شيء فوضعه وقال هذا هدية
فاكل منه وامر اصحابه فاكلوا وتقدم الحديث بطوله

فصل في اسلام عبد الله بن سلام رضي الله عنه

قال الامام احمد ثنا محمد بن جعفر ثنا عوف عن زرارة عن عبد الله بن سلام قال لما قدم رسول
الله المدينة انجفل الناس اليه فكنت فيمن انجفل فلما تبينت وجهه عرفت انه ليس بوجه كذاب
فكان اول شيء سمعته يقول افشوا السلام واطعموا الطعام وصلوا بالليل والناس نيام تدخلوا
الجنة بسلام ورواه الترمذي وابن ماجة من طرق عن عوف الاعرابي عن زرارة بن اوفى به عنه
وقال الترمذي صحيح ومقتضى هذا السياق يقتضي انه سمع النبي صلى الله عليه وسلم وراه اول
قدومه حين اناخ بقباء في بني عمرو بن عوف وتقدم في رواية عبد العزيز بن صهيب عن انس انه
اجتمع به حين اناخ عند دار ابي ايوب بعد ارتحاله من قباء الى دار بني النجار كما تقدم فلعله راه اول
ما راه بقباء واجتمع به بعدما صار الى دار بني النجار والله اعلم وفي سياق البخاري من طريق عبد
العزيز عن انس قال فلما جاء النبي صلى الله عليه وسلم جاء عبد الله بن سلام فقال اشهد انك رسول

الله وانك جئت بحق وقد علمت يهود اني سيدهم وابن سيدهم واعلمهم وابن اعلمهم فادعهم فسلهم
عني قبل ان يعلموا اني قد اسلمت فانهم ان يعلموا اني قد اسلمت قالوا في ما ليس في فارسل نبي الله صلى
الله عليه وسلم الى اليهود فدخلوا عليه فقال لهم يا معشر اليهود ويلكم اتقوا الله فوالله الذي
لا اله الا هو انكم لتعلمون اني رسول الله حقا واني جئتكم بحق فاسلموا قالوا ما نعلمه قالوا للنبي
صلى الله عليه وسلم قالها ثلاث مرار قال فاي رجل فيكم عبد الله بن سلام قالوا ذاك سيدنا
وابن سيدنا واعلمنا وابن اعلمنا قال افرايتم ان اسلم قالوا حاشا لله ما كان ليسلم قال
يا ابن سلام اخرج عليهم فخرج فقال يا معشر يهود اتقوا الله فوالله الذي لا اله الا هو انكم لتعلمون
انه رسول الله وانه جاء بالحق فقالوا كذبت فاخرجهم رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا لفظه
وفي رواية فلما خرج عليهم شهد شهادة الحق فقالوا شرنا وابن شرنا وتنقصوه فقال
يا رسول الله هذا الذي كنت اخاف وقال البيهقي انا ابو عبد الله الحافظ انا الاصم ثنا محمد
ابن اسحاق هو الصغاني ثنا عبد الله بن ابي بكر ثنا حميد عن انس قال سمع عبد الله بن سلام بقدوم
النبي صلى الله عليه وسلم وهو في ارض له فاتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال اني سائلك عن ثلاث
لا يعلمهن الا نبي ما اول اشراط الساعة وما اول طعام ياكله اهل الجنة وما ينزع الولد الى ابيه او الى امه
قال اخبرني بهن جبريل آنفا قال جبريل قال نعم قال ذاك عدو اليهود من الملائكة ثم قرا من كان عدوا
لجبريل فانه نزله على قلبك باذن الله اما اول اشراط الساعة فنار تخرج على الناس من المشرق تسوقهم
الى المغرب واما اول طعام ياكله اهل الجنة فزيادة كبد حوت واذا سبق ماء الرجل ماء المراة نزع الولد
واذا سبق ماء المراة نزعت قال اشهد ان لا اله الا الله وانك رسول الله يا رسول الله ان اليهود
قوم بهت وانهم ان يعلموا باسلامي قبل ان تسالهم عني بهتوني فجاءت اليهود فقال اي رجل عبد الله
فيكم قالوا خيرنا وابن خيرنا وسيدنا وابن سيدنا قال ارايتم ان اسلم قالوا اعاذه الله من ذلك فخرج
عبد الله فقال اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمدا رسول الله قالوا شرنا وابن شرنا وانتقصوه
قال هذا الذي كنت اخاف يا رسول الله ورواه البخاري عن عبد الله بن منير عن عبد الله بن بكر به
ورواه عن حامد بن عمر عن بشر بن المفضل عن حميد به وقال محمد بن اسحاق حدثني عبد الله بن ابي
بكر عن يحيى بن عبد الله عن رجل من آل عبد الله بن سلام قال كان من حديث عبد الله بن سلام حين
اسلم وكان حبرا عالما قال لما سمعت برسول الله وعرفت صفته واسمه وهيئته والذي كنا
نتوقف له فكنت مسرا لذلك صامتا عليه حتى قدم رسول الله المدينة فلما قدم نزل بقباء في بني
عمرو بن عوف فاقبل رجل حتى اخبر بقدومه وانا في راس نخلة لي اعمل فيها وعمتي خالدة بنت
الحرث تحتي جالسة فلما سمعت الخبر بقدوم رسول الله كبرت فقالت عمتي حين سمعت تكبيري
لو كنت سمعت بموسى بن عمران ما زدت قال فقلت لها اي عمة هو والله اخو موسى بن عمران وعلى دينه
بعث بما بعث به قال فقالت لي يا ابن اخي اهو الذي كنا نخبر به انه يبعث مع نفس الساعة قال فقلت
لها نعم قالت فذاك اذا قال فخرجت الى رسول الله فاسلمت ثم رجعت الى اهل بيتي فامرتهم فاسلموا
وكتمت اسلامي من اليهود وقلت يا رسول الله ان اليهود قوم بهت واني احب ان تدخلني في بعض
بيوتك فتغيبني عنهم ثم تسالهم عني فيخبروك كيف انا فيهم قبل ان يعلموا باسلامي فانهم ان
يعلموا بذلك بهتوني وعابوني وذكر نحو ما تقدم قال فاظهرت اسلامي واسلام اهل بيتي واسلمت
عمتي خالدة بنت الحرث وقال يونس بن بكير عن محمد بن اسحاق حدثني عبد الله بن ابي بكر حدثني
محدث عن صفية بنت حيي قالت لم يكن احد من ولد ابي وعمي احب اليهما مني لم القهما في ولد لهما

قط اهش اليهما الا اخذاني دونه فلما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم قبا في بني عمرو بن عوف غدا اليه ابي وعمي ابو ياسر بن اخطب مغلسين فوالله ما جاءا الا مع مغيب الشمس فجاءا فاترين كالين ساقطين يمشيان الهوينا فهششت اليهما كما كنت اصنع فوالله ما نظر الي واحد منهما فسمعت عمي ابا ياسر يقول لابي اهو هو قال نعم والله قال تعرفه بنعته وصفته قال نعم والله قال فما في نفسك منه قال عداوته والله ما بقيت وذكر موسى بن عقبة عن الزهري ان ابا ياسر بن اخطب حين قدم رسول الله المدينة ذهب اليه وسمع منه وحادثه ثم رجع الى قومه فقال يا قوم اطيعوني فان الله قد جاءكم بالذي كنتم تنتظرون فاتبعوه ولا تخالفوه فانطلق اخوه حيي بن اخطب وهو يومئذ سيد اليهود وهما من بني النضير فجلس الى رسول الله وسمع منه ثم رجع الى قومه وكان فيهم مطاعا فقال اتيت من عند رجل والله لا ازال له عدوا ابدا فقال له اخوه ابو ياسر يا ابن ام اطعني في هذا الامر واعصني فيما شئت بعده لا تهلك قال لا والله لا اطيعك واستحوذ عليه الشيطان واتبعه قومه على رايه **قلت** اما ابو ياسر واسمه حيي بن اخطب فلا ادري ما آل امره اليه واما حيي بن اخطب والد صفية بنت حيي فشرب عداوة النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه ولم يزل ذلك دابه لعنه الله حتى قتل صبرا بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم قتل مقاتلة بني قريظة كما سياتي ان شا الله

فصل ولما ارتحل عليه السلام من قبا وهو راكب ناقته القصوا وذلك يوم الجمعة ادركه وقت الزوال وهو في دار بني سالم بن عوف فصلى بالمسلمين الجمعة هنالك في واد يقال له وادي رانونا فكانت اول جمعة صلاها رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمسلمين بالمدينة او مطلقا لانه والله اعلم لم يكن يتمكن هو واصحابه بمكة من الاجتماع حتى يقيموا بها جمعة ذات خطبة واعلان بموعظة وما ذاك الا لشدة مخالفة المشركين له واذيتهم اياه

ذكر خطبة رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ

قال ابن جرير حدثني يونس بن عبد الاعلى انا ابن وهب عن سعيد بن عبد الرحمن الجمحي انه بلغه عن خطبة رسول الله صلى الله عليه وسلم في اول جمعة صلاها بالمدينة في بني سالم بن عمرو بن عوف الحمد لله احمده واستعينه واستغفره واستهديه واومن به ولا اكفره واعادي من يكفره واشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له وان محمدا عبده ورسوله ارسله بالهدى والنور والموعظة على فترة من الرسل وقلة من العلم وضلالة من الناس وانقطاع من الزمان ودنو من الساعة وقرب من الاجل من يطع الله ورسوله فقد رشد ومن يعصهما فقد غوى وفرط وضل ضلالا بعيدا واوصيكم بتقوى الله فانه خير ما اوصى به المسلم المسلم ان يحضه على الاخرة وان يامره بتقوى الله فاحذروا ما حذركم الله من نفسه ولا افضل من ذلك نصيحة ولا افضل من ذلك وانه تقوى لمن عمل به على وجل ومخافة وعون صدق على ما تبتغون من امر الاخرة ومن يصلح الذي بينه وبين الله من امر السر والعلانية لا ينوي بذلك الا وجه الله يكن له ذكرا في عاجل امره وذخرا فيما بعد الموت حين يفتقر المرء الى ما قدم وما كان من سوى ذلك يود لو ان بينه وبينه امدا بعيدا ويحذركم الله نفسه والله رؤوف بالعباد والذي صدق قوله وانجز وعده لا خلف لذلك فانه يقول تعالى ما يبدل القول لدي وما انا بظلام للعبيد واتقوا الله في عاجل امركم وآجله في السر والعلانية فانه من يتق الله يكفر عنه سيئاته ويعظم له اجرا ومن يتق الله فقد فاز فوزا عظيما وان تقوى الله توقي مقته وتوقي عقوبته وتوقي سخطه وان تقوى الله تبيض الوجه وترضي الرب وترفع الدرجة خذوا بحظكم ولا تفرطوا في جنب الله قد علمكم الله كتابه ونهج لكم سبيله ليعلم الذين صدقوا

ودين الحق

ويعلم الكاذبين فاحسنوا كما احسن الله اليكم وعادوا اعداءه وجاهدوا في الله حق جهاده هو اجتباكم وسماكم المسلمين ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة ولا قوة الا بالله فاكثروا ذكر الله واعملوا لما بعد الموت فانه من اصلح ما بينه وبين الله يكفه ما بينه وبين الناس ذلك بان الله يقضي على الناس ولا يقضون عليه ويملك من الناس ولا يملكون منه الله اكبر ولا قوة الا بالله العلي العظيم هكذا اوردها ابن جرير وفي السند ارسال وقال البيهقي باب اول خطبة خطبها رسول الله حين قدم المدينة اخبرنا ابو عبد الله الحافظ انا ابو العباس الاصم ثنا احمد بن عبد الجبار ثنا يونس بن بكير عن ابن اسحاق حدثني المغيرة بن عثمان بن محمد بن عثمان بن الاخنس بن شريق عن ابي سلمة بن عبد الرحمن بن عوف قال كانت اول خطبة خطبها رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة ان قام فيهم فحمد الله واثنى عليه بما هو اهله ثم قال اما بعد ايها الناس فقدموا لانفسكم تعلمن والله ليصعقن احدكم ثم ليدعن غنمه ليس لها راع ثم ليقولن له ربه ليس له ترجمان ولا حاجب يحجبه دونه الم ياتك رسولي فبلغك وآتيتك مالا وافضلت عليك فما قدمت لنفسك فينظر يمينا وشمالا فلا يرى شيئا ثم ينظر قدامه فلا يرى غير جهنم فمن استطاع ان يقي وجهه من النار ولو بشق تمرة فليفعل ومن لم يجد فبكلمة طيبة فان بها تجزى الحسنة عشر امثالها الى سبعماية ضعف والسلام على رسول الله ورحمة الله وبركاته ثم خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم مرة اخرى فقال ان الحمد لله احمده واستعينه نعوذ بالله من شرور انفسنا وسيئات اعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له واشهد ان لا اله الا الله وان احسن الحديث كتاب الله قد افلح من زينه الله في قلبه وادخله في الاسلام بعد الكفر واختاره على ما سواه من احاديث الناس انه احسن الحديث وابلغه احبوا من احب الله احبوا الله من كل قلوبكم فانه من كل يختار الله ويصطفي فقد سماه خيرته من الاعمال وخيرته من العباد والصالح من الحديث ومن كل ما اوتي الناس من الحلال والحرام فاعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا واتقوه حق تقاته واصدقوا الله صالح ما تقولون بافواهكم وتحابوا بروح الله بينكم ان الله يغضب ان ينكث عهده والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته وهذه الطرق ايضا مرسلة الا انها مقوية لما قبلها وان اختلفت الالفاظ

فصل في بناء مسجده الشريف في مدة مقامه عليه السلام

بدار ابي ايوب رضي الله عنه وقد اختلف في مدة مقامه بها فقال الواقدي سبعة اشهر وقال غيره اقل من شهر والله اعلم قال البخاري ثنا اسحاق بن منصور انا عبد الصمد سمعت ابي يحدث ثنا ابو التياح يزيد بن حميد الضبعي ثنا انس بن مالك قال لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة نزل في علو المدينة في حي يقال لهم بنو عمرو بن عوف فاقام فيهم اربع عشرة ليلة ثم ارسل الى ملا بني النجار فجاءوا متقلدي سيوفهم قال كاني انظر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم على راحلته وابو بكر ردفه وملا بني النجار حوله حتى القى بفناء ابي ايوب قال وكان يصلي حيث ادركته الصلاة ويصلي في مرابض الغنم قال ثم انه امر ببناء المسجد فارسل الى ملا بني النجار فجاءوا فقالوا يا بني النجار ثامنوني بحائطكم هذا فقالوا لا والله لا نطلب ثمنه الا الى الله عز وجل قال فكان فيه ما اقول لكم كانت فيه قبور المشركين وكانت فيه خرب وكان فيه نخل فامر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقبور المشركين فنبشت وبالخرب فسويت وبالنخل فقطع قال فصفوا النخل قبلة المسجد وجعلوا عضادتيه حجارة قال فجعلوا ينقلون ذلك الصخر وهم يرتجزون ورسول الله صلى الله عليه وسلم معهم يقولون اللهم لا خير الا خير الاخرة فانصر الانصار والمهاجرة وقد رواه البخاري في مواضع اخر ومسلم من حديث ابي عبد الصمد عبد الوارث بن سعيد به وقد تقدم في صحيح البخاري عن

الزهري عن عروة ان المسجد كان مربدا وهو بيد رائلتي يتيمين كانا في حجر اسعد بن زرارة وهما
سهل وسهيل فساومهما فيه رسول الله فقالا بل نهبه لك يا رسول الله فابى حتى ابتاعه منهما وبناه
مسجدا قال وجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول وهو ينقل معهم التراب هذا الحمال
لا حمال خيبر هذا ابر ربنا واطهر ويقول لاهم ان الاجر اجر الاخرة فارحم الانصار والمهاجرة وذكر موسى
بن عقبة ان اسعد بن زرارة عوضهما منه نخلا له في بني بياضة قال وقيل ابتاعه منهما رسول
الله **قلت** وذكر محمد بن اسحاق ان المربد كان لغلامين يتيمين في حجر معاذ بن عفراء وهما
سهل وسهيل ابنا عمرو فالله اعلم وروى البيهقي من طريق ابي بكر بن ابي الدنيا حدثنا الحسن بن حماد
الضبي ثنا عبد الرحيم بن سليمان عن اسماعيل بن مسلم عن الحسن قال لما بنى رسول الله المسجد
اعانه عليه اصحابه وهو معهم يتناول اللبن حتى اغبر صدره فقال ابنوه عريشا كعريش موسى
فقلت للحسن ما عريش موسى قال اذا رفع يديه بلغ العريش يعني السقف وهذا مرسل وروى من
حديث حماد بن سلمة عن ابي سنان عن يعلى بن شداد بن اوس عن عبادة ان الانصار جمعوا مالا
فاتوا به النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا يا رسول الله ابن هذا المسجد وزينه الى متى نصلي تحت
هذا الجريد فقال ما بي رغبة عن اخي موسى عريش كعريش موسى وهذا حديث غريب من هذا الوجه وقال
ابو داود ثنا محمد بن حاتم ثنا عبيد الله بن موسى عن شيبان عن فراس عن عطية العوفي عن ابن
عمر ان مسجد النبي صلى الله عليه وسلم كانت سواريه على عهد رسول الله من جذوع النخل اعلاه
مظلل بجريد النخل ثم انها نخرت في خلافة ابي بكر فبناها بجذوع وبجريد النخل ثم انها نخرت
في خلافة عثمان فبناها بالاجر فلم تزل ثابتة حتى الآن وهذا غريب وقد قال ابو داود ايضا
حدثنا مجاهد بن موسى حدثني يعقوب بن ابراهيم حدثني ابي عن ابي صالح ثنا نافع عن ابن عمر
اخبره ان المسجد كان على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم كان مبنيا باللبن وسقفه الجريد
وعمده خشب النخل فلم يزد فيه ابو بكر شيئا وزاد فيه عمر وبناه على بنائه في عهد النبي صلى الله عليه
وسلم باللبن والجريد واعاد عمده خشبا وغيره عثمان رضي الله عنه وزاد فيه زيادة كثيرة وبنى
جداره بالحجارة المنقوشة والقصة وجعل عمده من حجارة منقوشة وسقفه بالساج وهكذا رواه
البخاري عن علي بن المديني عن يعقوب بن ابراهيم **قلت** زاده عثمان بن عفان رضي الله عنه
متأولا قوله صلى الله عليه وسلم من بنى لله بيتا ولو كمفحص قطاة بنى الله له بيتا في الجنة
ووافقه الصحابة الموجودون على ذلك ولم يغيروه بعده فيستدل بذلك على الراجح من قولي
العلماء ان حكم الزيادة حكم المزيد فتدخل الزيادة في حكم سائر المسجد من تضعيف الصلاة فيه
وشد الرحال اليه وقد زيد في زمان الوليد بن عبد الملك باني جامع دمشق زاده له بامره عمر بن عبد
العزيز حين كان نائبه على المدينة وادخل الحجرة النبوية فيه كما سيأتي بيانه في وقته ثم زيد زيادة
كثيرة فيما بعد وزيد من جهة القبلة حتى صارت الروضة والمنبر بعد الصفوف المقدمة كما هو
المشاهد اليوم وقال ابن اسحاق ونزل رسول الله صلى الله عليه وسلم على ابي ايوب حتى بنى
مسجده ومساكنه فعمل فيه المهاجرون والانصار ودأبوا فيه فقال قائل من المسلمين

لئن قعدنا والنبي يعمل • لذاك منا العمل المضلل •

وارتجز المسلمون وهم يبنونه يقولون لا عيش الا عيش الاخرة اللهم ارحم الانصار والمهاجرة فيقول
رسول الله صلى الله عليه وسلم لا عيش الا عيش الاخرة اللهم ارحم المهاجرين والانصار قال
فدخل عمار بن ياسر وقد اثقلوه باللبن فقال يا رسول الله قتلوني يحملون علي ما لا يحملون قالت

وعمل فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم ليرغب المسلمين في العمل فيه

ام سلمة

ام سلمة فرأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ينفض وفرته بيده وكان رجلا جعدا وهو يقول
ويح ابن سمية ليسوا بالذين يقتلونك انما يقتلك الفئة الباغية وهذا منقطع من هذا
الوجه بل هو معضل بين محمد بن اسحاق وبين ام سلمة وقد وصله مسلم في صحيحه من حديث
شعبة عن خالد الحذاء عن سعيد والحسن يعني ابني ابي الحسن البصري عن امهما خيرة مولاة ام سلمة
عن ام سلمة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تقتل عمارا الفئة الباغية ورواه
من حديث ابن علية عن ابن عون عن الحسن عن امه عن ام سلمة ان رسول الله قال لعمار وهو
ينقل الحجارة ويحك يا ابن سمية تقتلك الفئة الباغية وقال عبد الرزاق انا معمر عن
الحسن يحدث عن امه عن ام سلمة قالت لما كان رسول الله واصحابه يبنون المسجد جعل اصحاب
النبي صلى الله عليه وسلم يحمل كل واحد لبنة لبنة وعمار يحمل لبنتين لبنة عنه ولبنة عن
النبي صلى الله عليه وسلم فمسح ظهره وقال ابن سمية للناس اجر ولك اجران وآخر زادك شربة
من لبن وتقتلك الفئة الباغية وهذا اسناد على شرط الصحيحين وقد اورد البيهقي
وغيره من طريق جماعة عن خالد الحذاء عن عكرمة عن ابي سعيد الخدري فقال كنا نحمل في بناء المسجد
لبنة لبنة وعمار يحمل لبنتين لبنتين فرآه النبي صلى الله عليه وسلم فجعل ينفض التراب
عنه ويقول ويح عمار تقتله الفئة الباغية يدعوهم الى الجنة ويدعونه الى النار قال يقول
عمار اعوذ بالله من الفتن لكن روى هذا الحديث الامام البخاري عن مسدد عن عبد العزيز بن المختار
عن خالد الحذاء وعن ابراهيم بن موسى عن عبد الوهاب الثقفي عن خالد الحذاء الا انه لم يذكر قوله
تقتلك الفئة الباغية قال البيهقي وكانه انما تركها لما رواه مسلم من طريق عن ابي نضرة عن
ابي سعيد قال حدثني من هو خير مني ابو قتادة ان رسول الله قال لعمار بن ياسر بؤسا
لك يا ابن سمية تقتلك الفئة الباغية وقال ابو داود الطيالسي ثنا وهيب بن داود
ابن ابي هند عن ابي نضرة عن ابي سعيد ان رسول الله لما حفر الخندق كان الناس يحملون لبنة
لبنة وعمار ناقه من وجع كان به فجعل يحمل لبنتين لبنتين قال ابو سعيد فحدثني اصحابي
ان رسول الله كان ينفض التراب عن راسه ويقول ويحك ابن سمية تقتلك الفئة الباغية
قال البيهقي فقد فرق بين ما سمعه بنفسه وما سمعه من اصحابه قال ويشبه ان يكون قوله
الخندق وهم او انه قال له ذلك في بناء المسجد وفي حفر الخندق والله اعلم **قلت** حمل
اللبن في حفر الخندق لا معنى له والظاهر انه اشتبه على الناقل والله اعلم وهذا الحديث من دلائل
النبوة حيث اخبر صلوات الله وسلامه عليه عن عمار انه تقتله الفئة الباغية وقد قتله
اهل الشام في وقعة صفين وعمار مع علي واهل العراق كما سيأتي بيانه وتفصيله في موضعه وقد كان
علي احق بالامر من معاوية ولا يلزم من تسمية اصحاب معاوية بغاة تكفيرهم كما يحاوله جهلة الفرقة
الضالة من الشيعة وغيرهم لانهم وان كانوا بغاة في نفس الامر فانهم كانوا مجتهدين فيما تعاطوه من
القتال وليس كل مجتهد مصيبا بل المصيب له اجران والمخطئ له اجر ومن زاد في هذا الحديث
بعد قوله تقتلك الفئة الباغية لا انالها الله شفاعتي يوم القيامة فقد افترى في هذه الزيادة
على رسول الله صلى الله عليه وسلم فانه لم يقلها اذ لم تنقل من طريق تقبل والله اعلم واما
قوله يدعوهم الى الجنة ويدعونه الى النار فان عمارا واصحابه يدعون اهل الشام الى الالفة واجتماع
الكلمة واهل الشام يريدون ان يستأثروا بالامر دون من هو احق به وان يكون الناس اوزاعا
على كل قطر امام برأسه وهذا يؤدي الى افتراق الكلمة واختلاف الامة فهو لازم مذهبهم وناشئ عن

وهام

مسلكهم وان كانوا لا يقصدونه والله اعلم وسياتي تقرير هذه المباحث اذا انتهينا
الى ونحن صقبين من كتابنا هذا بحول الله وقوته وحسن تاييده وتوفيقه والمقصود ههنا
انما هو قصة بناء المسجد النبوي على بانيه افضل الصلاة والتسليم وقد قال الحافظ البيهقي
في الدلايل حدثنا ابو عبد الله الحافظ املاء ثنا ابو بكر بن اسحاق انا عبيد بن شريك ثنا نعيم
بن حماد ثنا عبد الله بن المبارك انا حشرج بن نباته عن سعيد بن جمهان عن سفينة مولى رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال جا ابو بكر بحجر فوضعه ثم جا عمر بحجر فوضعه ثم جا عثمان بحجر فوضعه
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هولاء ولاة الامر بعدي ثم رواه من حديث يحيى بن عبد
الحميد الحماني عن حشرج عن سعيد عن سفينة قال لما بنى رسول الله المسجد وضع حجرا ثم
قال ليضع ابو بكر حجره الى جنب حجري ثم ليضع عمر حجره الى جنب حجر ابي بكر ثم ليضع عثمان حجره
الى جنب حجر عمر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هولاء الخلفا من بعدي وهذا الحديث بهذا
السياق غريب جدا والمعروف ما رواه الامام احمد عن ابي النضر عن حشرج بن نباته العبسي وعن بهز
وزيد بن الحباب وعبد الصمد عن حماد بن سلمة كلاهما عن سعيد بن جمهان عن سفينة قال سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الخلافة بعدي ثلاثون عاما ثم تكون من بعد ذلك الملك
ثم قال سفينة امسك خلافة ابي بكر سنتين وخلافة عمر عشر سنين وخلافة عثمان اثنتا عشرة
سنة وخلافة علي ست سنين هذا لفظ احمد ورواه ابو داود والترمذي والنسائي من طرق
عن سعيد بن جمهان وقال الترمذي حسن لا نعرفه الا من حديثه ولفظه الخلافة بعدي ثلاثون
سنة ثم تكون ملكا عضوضا وذكر بقيته قلت ولم يكن في مسجد النبي صلى الله عليه وسلم اول
ما بني منبر يخطب الناس عليه بل كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطب الناس وهو مستند
الى جذع عند مصلاه في الحايط القبلي فلما اتخذ له عليه السلام المنبر كما سياتي بيانه في السنة
وعدل اليه ليخطب عليه فلما جاوز ذلك الجذع خار ذلك الجذع وحن حنين
النوق العشار لما كان يسمع من خطب الرسول عليه السلام عنده فرجع اليه النبي صلى الله عليه وسلم
فاحتضنه حتى سكن كما يسكن المولود الذي يسكت كما سياتي تفصيل ذلك من طرق عن سهل بن
سعد الساعدي وجابر وعبد الله بن عمر وعبد الله بن عباس وانس بن مالك وام سلمة رضي الله
عنهم وما احسن ما قال الحسن البصري بعدما روى هذا الحديث عن انس بن مالك يا معشر
المسلمين الخشبة تحن الى رسول الله صلى الله عليه وسلم شوقا اليه اوليس الرجال الذين يرجون
لقاءه احق ان يشتاقوا اليه

تنبيه على فضل هذا المسجد الشريف والمحل المنيف

قال الامام احمد ثنا يحيى عن انيس بن ابي يحيى حدثني ابي قال سمعنا ابا سعيد الخدري
قال اختلف رجلان رجل من بني خدرة ورجل من بني عمرو بن عوف في المسجد الذي اسس على
التقوى فقال الخدري هو مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال العمري هو مسجد
قبا فاتيا رسول الله صلى الله عليه وسلم فسالاه عن ذلك فقال هو هذا المسجد لمسجد
رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال في ذلك خير كثير يعني مسجد قبا ورواه الترمذي عن
قتيبة عن حاتم بن اسماعيل عن انيس بن ابي يحيى الاسلمي به وقال حسن صحيح وروى الامام
احمد عن اسحاق بن عيسى عن الليث بن سعد والترمذي والنسائي جميعا عن قتيبة عن
الليث عن عمران بن ابي انس عن عبد الرحمن بن ابي سعيد عن ابيه قال تمارى رجلان في المسجد

الذي اسس على التقوى وذكر نحو ما تقدم وفي صحيح مسلم من حديث حميد الخراط عن ابي سلمة
ابن عبد الرحمن انه سال عبد الرحمن بن ابي سعيد كيف سمعت اباك في المسجد الذي اسس على
التقوى فقال قال ابي اتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فسالته عن المسجد الذي اسس
على التقوى فاخذ كفا من حصبا فضرب به الارض ثم قال هو مسجدكم هذا وقال الامام احمد
ثنا وكيع ثنا ربيعة بن عثمان التيمي عن عمران بن ابي انس عن سهل بن سعد قال اختلف رجلان
على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم في المسجد الذي اسس على التقوى فقال احدهما هو
مسجد رسول الله وقال الاخر هو مسجد قبا فاتيا رسول الله فسالاه فقال هو مسجدي
هذا وقال احمد ثنا ابو نعيم ثنا عبد الله بن عامر الاسلمي عن عمران بن ابي انس عن سهل بن سعد
عن ابي بن كعب ان النبي صلى الله عليه وسلم قال المسجد الذي اسس على التقوى مسجدي
هذا فهذه طرق متعددة لعلها تقرب من افادة القطع بانه مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم
والى هذا ذهب عمر وابنه عبد الله وزيد بن ثابت وسعيد بن المسيب واختاره ابن جرير
وقال الاخرون لا منافاة بين نزول الاية في مسجد قبا كما تقدم بيانه وبين هذه الاحاديث
لان هذا المسجد اولى بهذه الصفة من ذاك لان هذا احد المساجد الثلاثة التي تشد
الرحال اليها كما ثبت في الصحيحين من حديث ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لا تشد الرحال الا الى ثلاثة مساجد مسجدي هذا والمسجد الحرام ومسجد بيت المقدس وفي
صحيح مسلم عن ابي سعيد عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا تشدوا الرحال الا الى ثلاثة
مساجد وذكرها وثبت في الصحيحين ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال صلاة في مسجدي
هذا خير من الف صلاة فيما سواه الا المسجد الحرام وفي مسند احمد باسناد حسن زيادة حسنة
وهي قوله فان ذاك افضل وفي الصحيحين من حديث يحيى القطان عن خبيب عن حفص
بن عاصم عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما بين بيتي ومنبري روضة
من رياض الجنة ومنبري على حوضي والاحاديث في فضايل هذا المسجد الشريف كثيرة جدا وسنوردها
ان شا الله في كتاب المناسك من كتاب الاحكام الكبير ان شا الله وبه الثقة وعليه التكلان
ولا حول ولا قوة الا بالله العزيز الحكيم وقد ذهب الامام مالك واصحابه الى ان مسجد المدينة افضل
من المسجد الحرام لان ذاك بناه ابراهيم وهذا بناه محمد ومعلوم ان محمدا صلى الله عليه وسلم افضل
من ابراهيم عليه السلام وقد ذهب الجمهور الى خلاف ذلك وقرروا ان المسجد الحرام افضل لانه في بلد
حرمه الله يوم خلق السموات والارض وحرمه ابراهيم الخليل عليه السلام ومحمد خاتم المرسلين
فاجتمع فيه من الصفات ما ليس في غيره ولبسط هذه المسيلة موضع اخر وبالله المستعان

فصل وبنى لرسول الله صلى الله عليه وسلم حول مسجده الشريف حجر لتكون مساكن له
ولاهله وكانت مساكن قصيرة البنا قريبة الفنا قال الحسن بن ابي الحسن البصري وكان غلاما
مع امه خيرة مولاة ام سلمة لقد كنت انال اطول سقف في حجر النبي صلى الله عليه وسلم بيدي
قلت الا انه قد كان الحسن البصري شكلا ضخما طوالا رح وقال السهيلي في الروض كانت مساكنه
عليه السلام مبنية من جريد عليه طين وبعضها من حجارة مرضومة وسقوفها كلها من جريد وقد
حكي عن الحسن البصري ما تقدم قال وكانت حجره من شعر مربوطة بخشب من عرعر قال وفي تاريخ
البخاري ان بابه عليه السلام كان يقرع بالاظافير فدل على انه لم يكن لابوابه حلق قال وقد
اضيفت الحجر كلها بعد موت ازواج رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المسجد قال الواقدي

وابن جرير وغيرهما ولما رجع عبد الله بن اريقط الديلي الى مكة بعث معه رسول الله صلى الله عليه
وسلم وابو بكر زيد بن حارثة وابا رافع موليا رسول الله ليأتوا بأهاليهم من مكة وبعثا معهم بجملين
وخمسماية درهم ليشتروا بها ابلا من قديد فقدموا بفاطمة وام كلثوم ابنتي النبي صلى الله عليه وسلم
وام كلثوم وزوجته سودة وعايشة وامها ام رومان واهل النبي صلى الله عليه وسلم وال ابي
بكر صحبة عبد الله بن ابي بكر وقد شرد بعايشة وامها ام رومان الجمل في اثناء الطريق فجعلت
ام رومان تقول وا عروساه وا ابنتاه قالت عايشة فسمعت قايلا يقول ارسلي خطامه فارسلت
خطامه فوقف باذن الله وسلمنا الله عز وجل فتقدموا فنزلوا بالسنح ثم دخل رسول الله صلى
الله عليه وسلم بعايشة في شوال بعد ثمانية اشهر كما سيأتي وقدمت معهم اسماء بنت ابي بكر
امراة الزبير بن العوام وهي حامل متم بعبد الله بن الزبير كما سيأتي بيانه في موضعه من اخريات هذه السنة

فصل فيما اصاب المهاجرين من حمى المدينة رضي الله عنهم

وقد سلم الرسول منها بحول الله وقوته ودعا ربه فازاحها الله عن مدينته قال البخاري ثنا عبد
الله بن يوسف ثنا مالك عن هشام بن عروة عن ابيه عن عايشة انها قالت لما قدم رسول
الله المدينة وعك ابو بكر وبلال قالت فدخلت عليهما فقلت يا ابة كيف تجدك ويا بلال
كيف تجدك قالت وكان ابو بكر اذا اخذته الحمى يقول

كل امرئ مصبح في اهله • والموت ادنى من شراك نعله •

وكان بلال اذا اقلع عنه الحمى يرفع عقيرته ويقول •

الا ليت شعري هل ابيتن ليلة • بواد وحولي اذخر وجليل •

وهل اردن يوما مياه مجنة • وهل يبدون لي شامة وطفيل •

قالت عايشة فجيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبرته فقال اللهم حبب الينا المدينة
كحبنا مكة او اشد وصححها وبارك لنا في صاعها ومدها وانقل حماها فاجعلها بالجحفة
ورواه مسلم عن ابي بكر بن ابي شيبة عن عبدة مختصرا وفي رواية البخاري له عن ابي اسامة
عن هشام بن عروة عن ابيه عن عايشة فذكره وزاد بعد شعر بلال ثم يقول بلال اللهم العن عتبة
بن ربيعة وشيبة بن ربيعة وامية بن خلف كما اخرجونا الى ارض الوبا فقال رسول الله صلى
الله عليه وسلم اللهم حبب الينا المدينة كحبنا مكة او اشد اللهم بارك لنا في صاعها وفي مدها
وصححها لنا وانقل حماها الى الجحفة قالت وقدمنا المدينة وهي اوبا ارض الله وكان بطحان
يجري نجلا يعني ماء آجنا وقال زياد عن محمد بن اسحاق حدثني هشام بن عروة وعمر بن عبد الله
بن عروة بن الزبير عن عايشة قالت لما قدم رسول الله المدينة قدمها وهي اوبا ارض الله من
الحمى فاصاب اصحابه منها بلاء وسقم وصرف الله ذلك عن نبيه قالت فكان ابو بكر وعامر
بن فهيرة وبلال موليا ابي بكر في بيت واحد فاصابتهم الحمى فدخلت عليهم اعودهم وذلك
قبل ان يضرب علينا الحجاب وبهم ما لا يعلمه الا الله من شدة الوعك فدنوت من ابي بكر فقلت
كيف تجدك يا ابة فقال • كل امرئ مصبح في اهله • والموت ادنى من شراك نعله •
قالت فقلت والله ما يدري ابي ما يقول قالت ثم دنوت الى عامر بن فهيرة فقلت كيف
تجدك يا عامر فقال •

لقد وجدت الموت قبل ذوقه • ان الجبان حتفه من فوقه •

كل امرئ مجاهد بطوقه • كالثور يحمي جلده بروقه •

قالت

قالت فقلت والله ما يدري عامر ما يقول قالت وكان بلال اذا ادركته الحمى اضطجع بفناء البيت
ثم رفع عقيرته فقال •

الا ليت شعري هل ابيتن ليلة • بفج وحولي اذخر وجليل •

وهل اردن يوما مياه مجنة • وهل تبدون لي شامة وطفيل •

قالت عايشة فذكرت لرسول الله ما سمعت منهم وقلت انهم ليهذون وما يعقلون من شدة الحمى
فقال اللهم حبب الينا المدينة كما حببت الينا مكة او اشد وبارك لنا في مدها وصاعها
وانقل وباها الى مهيعة ومهيعة هي الجحفة وقال الامام احمد حدثنا يونس ثنا ليث
عن يزيد بن ابي حبيب عن ابي بكر بن اسحاق بن يسار عن عبد الله بن عروة عن عروة عن عايشة
قالت لما قدم رسول الله المدينة اشتكى ابو بكر وعامر بن فهيرة مولى ابي بكر وبلال فاستاذنت
عايشة رسول الله في عيادتهم فاذن لها فقالت لابي بكر كيف تجدك فقال •

كل امرئ مصبح في اهله • والموت ادنى من شراك نعله •

وسالت عامر فقال

اني وجدت الموت قبل ذوقه • ان الجبان حتفه من فوقه •

وسالت بلالا فقال

يا ليت شعري هل ابيتن ليلة • بفج وحولي اذخر وجليل •

فاتت رسول الله فاخبرته فنظر الى السما وقال اللهم حبب الينا المدينة كما حببت الينا
مكة او اشد اللهم بارك لنا في صاعها وفي مدها وانقل وباها الى مهيعة وهي الجحفة فيما
زعموا وكذا رواه النسائي عن قتيبة عن الليث به ورواه الامام احمد من طريق عبد الرحمن
ابن الحرث عنها مثله وقال البيهقي اخبرنا ابو عبد الله الحافظ وابو سعيد بن ابي عمرو قالا ثنا ابو
العباس الاصم ثنا احمد بن عبد الجبار ثنا يونس بن بكير عن هشام بن عروة عن ابيه عن
عايشة قالت قدم رسول الله المدينة وهي اوبا ارض الله وواديها بطحان نجل قال هشام
وكان وباها معروفا في الجاهلية وكان اذا كان الوادي وبيا فاشرف عليها الانسان قيل
له ينهق نهيق الحمار فاذا فعل ذلك لم يضره وبا ذلك الوادي وقد قال الشاعر حين
اشرف على المدينة •

لعمري لئن عشرت من خيفة الردى • نهيق الحمار انني لجزوع •

وروى البخاري من حديث موسى بن عقبة عن سالم عن ابيه ان النبي صلى الله عليه وسلم
قال رايت كان امراة سوداء ثايرة الراس خرجت من المدينة حتى قامت بمهيعة وهي
الجحفة فاولتها ان وباء المدينة نقل الى مهيعة وهي الجحفة هذا لفظ البخاري ولم يخرجه
مسلم ورواه الترمذي وصححه والنسائي وابن ماجة من حديث موسى بن عقبة وقد روى
حماد بن زيد عن هشام بن عروة عن عايشة قالت قدم رسول الله المدينة وهي وبية
فذكر الحديث بطوله الى قوله وانقل حماها الى الجحفة قال هشام فكان المولود يولد بالجحفة
فلا يبلغ الحلم حتى تصرعه الحمى ورواه البيهقي في دلايل النبوة وقال يونس عن ابن اسحاق
قدم رسول الله المدينة وهي وبية فاصاب اصحابه منها بلاء وسقم حتى اجهدهم ذلك
وصرف الله عز وجل ذلك عن نبيه صلى الله عليه وسلم وقد ثبت في الصحيحين عن ابن عباس
قال قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه صبيحة رابعة يعني مكة عام عمرة
القضا فقال المشركون انه يقدم عليكم وفد وهنتهم حمى يثرب فامرهم رسول الله ان يرملوا
وان يمشوا ما بين الركنين ولم يمنعه ان يرملوا الاشواط كلها الا الابقاء عليهم قلت

وعمرة القضاء كانت في سنة سبع في ذي القعدة فاما ان يكون تاخر دعاؤه عليه السلام بنقل الوباء الى الجحفة بعد ذلك او انه دعا وبقي اثار منه قليل او انهم بقوا في خمارها كان اصابهم من ذلك الى تلك المدة والله اعلم وقال زياد عن ابن اسحاق وذكر ابن شهاب الزهري عن عبد الله بن عمرو بن العاص ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما قدم المدينة هو واصحابه اصابتهم حمى المدينة حتى جهدوا مرضا وصرف الله ذلك عن نبيه صلى الله عليه وسلم حتى كانوا وما يصلون الا وهم قعود قال فخرج رسول الله وهم يصلون كذلك فقال لهم اعلموا ان صلاة القاعد على النصف من صلاة القائم فتجشم المسلمون القيام على ما بهم من الضعف والسقم التماس الفضل

فصل

في عقده عليه السلام الالفة بين المهاجرين والانصار بالكتاب الذي امر به فكتب بينهم والمواخاة التي امر بها وقررهم عليها وموادعته اليهود الذين كانوا بالمدينة وكان بها من احياء اليهود بنو قينقاع وبنو النضير وبنو قريظة وكان نزولهم بالحجاز قبل الانصار ايام بخت نصر حين دوخ بلاد المقدس فيما ذكره الطبري ثم لما كان سيل العرم وتفرقت سبأ نزل الاوس والخزرج المدينة عند اليهود فحالفوهم وصاروا يتشبهون بهم لما يرون لهم عليهم من الفضل في العلم المأثور عن الانبياء لكن من الله على هؤلاء الذين كانوا مشركين بالهدى والاسلام وخذل اولئك لحسدهم وبغيهم واستكبارهم عن اتباع الحق وقال الامام احمد حدثنا عفان ثنا حماد بن سلمة ثنا عاصم الاحول عن انس ابن مالك قال حالف رسول الله صلى الله عليه وسلم بين المهاجرين والانصار في دار انس بن مالك وقد رواه الامام احمد ايضا والبخاري ومسلم وابو داود من طرق متعددة عن عاصم بن سليمان الاحول عن انس بن مالك قال حالف رسول الله صلى الله عليه وسلم بين قريش والانصار في داري دارنا خ وقال الامام احمد ثنا نصر بن باب عن حجاج هو ابن ارطاة قال وحدثنا سريج ثنا عباد عن حجاج عن عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده ان النبي صلى الله عليه وسلم كتب كتابا بين المهاجرين والانصار ان يعقلوا معاقلهم وان يفدوا عانيهم بالمعروف والاصلاح بين المسلمين قال احمد حدثنا سريج ثنا عباد عن حجاج عن الحكم عن مقسم عن ابن عباس مثله تفرد به الامام احمد وفي صحيح مسلم عن جابر قال كتب رسول الله صلى الله عليه وسلم على كل بطن عقوله وقال محمد بن اسحاق وكتب رسول الله صلى الله عليه وسلم كتابا بين المهاجرين والانصار وادع فيه اليهود وعاهدهم واقرهم على دينهم واموالهم واشترط عليهم وشرط لهم بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب من محمد النبي بين المؤمنين والمسلمين من قريش ويثرب ومن تبعهم فلحق بهم وجاهد معهم انهم امة واحدة من دون الناس المهاجرون من قريش على ربعتهم يتعاقلون بينهم وهم يفدون عانيهم بالمعروف والقسط وبنو عوف على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الاولى وكل طائفة تفدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين ثم ذكر كل بطن من بطون الانصار واهل كل دار بني ساعدة وبني جشم وبني النجار وبني عمرو بن عوف وبني النبيت الى ان قال وان المؤمنين لا يتركون مفرحا بينهم ان يعطوه بالمعروف في فداء او عقل ولا يحالف مؤمن مولى مؤمن دونه وان المؤمنين المتقين على من بغى عليهم او ابتغى دسيعة ظلم او اثم او عدوان او فساد بين المؤمنين وان ايديهم عليه جميعهم ولو كان ولد احدهم ولا يقتل مؤمن مؤمنا في كافر ولا ينصر كافرا على مؤمن وان ذمة الله واحدة يجير عليهم ادناهم وان المؤمنين

بعضهم

بعضهم اولياء بعض دون الناس وانه من تبعنا من يهود فان له النصر والاسوة غير مظلومين ولا متناصر عليهم وان سلم المؤمنين واحدة لا يسالم مؤمن دون مؤمن في قتال في سبيل الله الا على سواء وعدل بينهم وان كل غازية غزت معنا يعقب بعضها بعضا وان المؤمنين يبيء بعضهم على بعض بما نال دماءهم في سبيل الله وان المؤمنين المتقين على احسن هدى واقومه وانه لا يجير مشرك مالا لقريش ولا نفسا ولا يحول دونه على مؤمن وانه من اعتبط مؤمنا قتلا عن بينة فانه قود به الا ان يرضى ولي المقتول وان المؤمنين عليه كافة ولا يحل لهم الا قيام عليه وانه لا يحل لمؤمن اقر بما في هذه الصحيفة وامن بالله واليوم الاخر ان ينصر محدثا ولا يؤويه وانه من نصره او اواه فان عليه لعنة الله وغضبه يوم القيامة ولا يؤخذ منه صرف ولا عدل وانكم مهما اختلفتم فيه من شيء فان مرده الى الله والى محمد صلى الله عليه وسلم وان اليهود ينفقون مع المؤمنين ما داموا محاربين وان يهود بني عوف امة مع المؤمنين لليهود دينهم وللمسلمين دينهم مواليهم وانفسهم الا من ظلم واثم فانه لا يوتغ الا نفسه واهل بيته وان ليهود بني النجار وبني الحارث وبني ساعدة وبني جشم وبني الاوس وبني ثعلبة وجفنة وبني الشطيبة مثل ما ليهود بني عوف وان بطانة يهود كانفسهم وانه لا يخرج منهم احد الا باذن محمد ولا ينحجز على ثار جرح وانه من فتك فبنفسه الا من ظلم وان الله على ابر هذا وان على يهود نفقتهم وعلى المسلمين نفقتهم وان بينهم النصر على من حارب اهل هذه الصحيفة وان بينهم النصح والنصيحة والبر دون الاثم وانه لم ياثم امرؤ بحليفه وان النصر للمظلوم وان يثرب حرام جوفها لاهل هذه الصحيفة وان الجار كالنفس غير مضار ولا اثم وانه لا تجار حرمة الا باذن اهلها وانه ما كان بين اهل هذه الصحيفة من حدث او اشتجار يخاف فساده فان مرده الى الله والى محمد رسول الله وان الله على اتقى ما في هذه الصحيفة وابره وانه لا تجار قريش ولا من نصرها وان بينهم النصر على من دهم يثرب واذا دعوا الى صلح يصالحونه ويلبسونه فانهم يصالحونه وانهم اذا دعوا الى مثل ذلك فانه لهم على المؤمنين الا من حارب في الدين على كل اناس حصتهم من جانبهم الذي قبلهم وانه لا يحول هذا الكتاب دون ظالم او اثم وانه من خرج امن ومن قعد امن بالمدينة الا من ظلم واثم وان الله جار لمن بر واتقى كذا اورده ابن اسحاق بنحوه وقد تكلم عليه ابو عبيد القاسم بن سلام رحمه الله في كتاب الغريب وغيره بما يطول ذكره

فصل في مواخاة النبي صلى الله عليه وسلم بين المهاجرين والانصار ليرتفق المهاجري بالانصاري

كما قال تعالى والذين تبوءوا الدار والايمان من قبلهم يحبون من هاجر اليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما اوتوا ويؤثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فاولئك هم المفلحون وقال تعالى والذين عاقدت ايمانكم فاتوهم نصيبهم ان الله كان على كل شيء شهيدا قال البخاري حدثنا الصلت بن محمد ثنا ابو اسامة عن ادريس عن طلحة بن مصرف عن سعيد بن جبير عن ابن عباس ولكل جعلنا موالي قال ورثة والذين عاقدت ايمانكم كان المهاجرون لما قدموا المدينة يرث المهاجري الانصاري دون ذوي رحمه للاخوة التي اخى النبي صلى الله عليه وسلم بينهم فلما نزلت ولكل جعلنا موالي نسخت ثم قال والذين عاقدت ايمانكم فاتوهم نصيبهم من النصر والرفادة والنصيحة وقد ذهب الميراث ويوصى له وقال الامام احمد ثنا سفيان سمعت عاصما عن انس قال حالف رسول الله صلى الله عليه وسلم بين المهاجرين والانصار في دارنا قال سفيان

كانه يقول آخى وقال محمد بن اسحاق وآخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بين اصحابه من المهاجرين
والانصار فقال فيما بلغنا ونعوذ بالله ان نقول عليه ما لم يقل تآخوا في الله اخوين
اخوين ثم اخذ بيد علي بن ابي طالب فقال هذا اخي فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم
سيد المرسلين وامام المتقين ورسول رب العالمين الذي ليس له خطير ولا نظير من العباد وعلي
ابن ابي طالب اخوين وكان حمزة بن عبد المطلب اسد الله واسد رسول الله صلى الله عليه وسلم
وزيد بن حارثة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم اخوين واليه اوصى حمزة يوم احد وجعفر
ابن ابي طالب ذو الجناحين ومعاذ بن جبل اخوين قال ابن هشام كان جعفر يومئذ غائبا
بارض الحبشة قال ابن اسحاق وكان ابو بكر وخارجة بن زيد الخزرجي اخوين وعمر بن الخطاب
وعتبان بن مالك اخوين والزبير بن العوام وسلمة بن سلامة بن وقش اخوين ويقال بل
كان الزبير وعبد الله بن مسعود اخوين وعثمان بن عفان واوس بن ثابت بن المنذر النجاري
اخوين وطلحة وكعب بن مالك اخوين وسعيد بن زيد وابي بن كعب اخوين ومصعب بن عمير
وابو ايوب اخوين وابو حذيفة بن عتبة وعباد بن بشر اخوين وعمار وحذيفة بن اليمان
العبسي حليف بني عبد الاشهل اخوين ويقال بل كان عمار وثابت بن قيس بن شماس اخوين
قلت وهذا السند من وجهين قال وابو ذر برير بن جنادة والمنذر بن عمرو المعنق ليموت اخوين
وحاطب بن ابي بلتعة وعويم بن ساعدة اخوين وسلمان وابو الدردا اخوين وبلال وابو
رويحة عبد الله بن عبد الرحمن الخثعمي ثم احد الفزع اخوين قال فهؤلاء ممن سمي لنا ممن كان
رسول الله صلى الله عليه وسلم آخا بينهم من اصحابه رضي الله عنهم قلت وفي بعض ما ذكره نظر
اما مواخاة النبي صلى الله عليه وسلم وعلي فان من العلما من ينكر ذلك ويمنع صحته ومستنده
في ذلك ان هذه المواخاة انما شرعت لاجل الارفاق بعضهم من بعض وليتالف قلوب
بعضهم على بعض فلا معنى لمواخاة النبي صلى الله عليه وسلم لاحد منهم ولا لمهاجري لمهاجري
اخر كما ذكره من مواخاة حمزة وزيد بن حارثة اللهم الا ان يكون النبي صلى الله عليه وسلم لم يجعل
مصلحة علي الى غيره فانه كان ممن ينفق عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم من صغره في حياة
ابيه ابي طالب كما تقدم عن مجاهد وغيره وكذلك يكون حمزة قد التزم بمصالح مولاهم زيد بن حارثة
فآخاه بهذا الاعتبار والله اعلم وهكذا ذكره لمواخاة جعفر ومعاذ بن جبل فيه نظر كما اشار اليه
عبد الملك بن هشام فان جعفر بن ابي طالب انما قدم في فتح خيبر في اول سنة سبع كما سياتي
بيانه فكيف يواخي بينه وبين معاذ بن جبل اول مقدمه عليه السلام الى المدينة اللهم الا ان
يقال انه ارصد لاخوته اذا قدم حين يقدم وقوله وكان ابو عبيدة وسعد بن معاذ اخوين يخالف
لما رواه الامام احمد ثنا عبد الصمد ثنا حماد ثنا ثابت عن انس بن مالك ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم آخى بين ابي عبيدة بن الجراح وبين ابي طلحة وكذا رواه مسلم منفردا به عن حجاج
بن الشاعر عن عبد الصمد بن عبد الوارث به وهذا اصح مما ذكره ابن اسحاق من مواخاة ابن اسحاق
ابي عبيدة وسعد بن معاذ والله اعلم وقال البخاري باب كيف آخى النبي صلى الله عليه وسلم
بين اصحابه وقال عبد الرحمن بن عوف آخى النبي صلى الله عليه وسلم بيني وبين سعد بن الربيع
لما قدمنا المدينة وقال ابو جحيفة آخى النبي صلى الله عليه وسلم بين سلمان الفارسي وابي
الدردا رضي الله عنهما ثنا محمد بن يوسف ثنا سفيان عن حميد عن انس قال قدم عبد
الرحمن بن عوف فآخى النبي صلى الله عليه وسلم بينه وبين سعد بن الربيع الانصاري فعرض

وابو عبيدة وسعد بن معاذ اخوين وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن الربيع اخوين

عليه

عليه ان يناصفه اهله وماله فقال عبد الرحمن بارك الله لك في اهلك ومالك دلني على السوق
فربح شيا من اقط وسمن فراه النبي صلى الله عليه وسلم بعد ايام وعليه وضر من صفرة فقال
النبي صلى الله عليه وسلم مهيم يا عبد الرحمن قال يا رسول الله امراة تزوجت من الانصار قال
فما سقت فيها قال وزن نواة من ذهب قال النبي صلى الله عليه وسلم اولم ولو بشاة تفرد
به من هذا الوجه وقد رواه ايضا في مواضع اخر ومسلم من طرق عن حميد وقال الامام احمد
حدثنا عفان ثنا حماد انا ثابت وحميد عن انس ان عبد الرحمن بن عوف قدم المدينة فآخى
رسول الله بينه وبين سعد بن الربيع الانصاري فقال له سعد اي اخي انا اكثر اهل المدينة
مالا فانظر شطر مالي فخذه وتحتي امراتان فانظر ايتهما اعجب اليك حتى اطلقها فقال عبد الرحمن
بارك الله لك في اهلك ومالك دلوني على السوق فدلوه فذهب فاشترى وباع فربح فجاء
بشي من اقط وسمن ثم لبث ما شا الله ان يلبث فجاء وعليه ردع زعفران فقال رسول الله
مهيم فقال يا رسول الله تزوجت امراة قال ما اصدقتها قال وزن نواة من ذهب قال اولم ولو
بشاة قال عبد الرحمن فلقد رايتني ولو رفعت حجرا لرجوت ان اصيب ذهبا وفضة وتعليق
البخاري هذا الحديث عن عبد الرحمن بن عوف غريب فانه لا يعرف مسندا الا عن انس اللهم الا ان
يكون انس تلقاه عنه فالله اعلم وقال الامام احمد ثنا يزيد انا حميد عن انس قال قال
المهاجرون يا رسول الله ما راينا مثل قوم قدمنا عليهم احسن مواساة في قليل ولا احسن بذلا
من كثير لقد كفونا المونة واشركونا في المهنا حتى لقد خشينا ان يذهبوا بالاجر كله قال
لا ما اثنيتم عليه ودعوتم الله لهم هذا حديث ثلاثي الاسناد على شرط الصحيحين ولم يخرجه
احد من اصحاب الكتب الستة من هذا الوجه وهو ثابت في الصحيح من وقال البخاري
انا الحكم بن نافع انا شعيب ثنا ابو الزناد عن الاعرج عن ابي هريرة قال قالت الانصار اقسم
بيننا وبين اخواننا النخيل قال لا فقالوا اتكفونا المونة ونشرككم في الثمرة قالوا سمعنا
واطعنا تفرد به وقال عبد الرحمن بن زيد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم للانصار ان
اخوانكم قد تركوا الاموال والاولاد وخرجوا اليكم فقالوا اموالنا بيننا قطائع فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم او غير ذلك قالوا وما ذاك يا رسول الله قال هم قوم لا يعرفون
العمل فتكفونهم وتقاسمونهم الثمر قالوا نعم وقد ذكرنا ما ورد من الاحاديث والاثار في فضايل
الانصار وحسن سجاياهم عند قوله تعالى والذين تبوءوا الدار والايمان من قبلهم الاية

فصل
في موت ابي امامة اسعد بن زرارة بن عدس بن عبيد بن ثعلبة بن غنم بن مالك بن
النجار احد النقباء الاثني عشر ليلة العقبة على قومه بني النجار وقد شهد العقبات الثلاث
وكان اول من بايع رسول الله ليلة العقبة الثانية في قول وكان شابا وهو اول من جمع بالمدينة
في نقيع الخضمات في هزم النبيت كما تقدم قال محمد بن اسحاق وهلك في تلك الاشهر ابو امامة
اسعد بن زرارة والمسجد يبنى اخذته الذبحة او الشهقة وقال ابن جرير في التاريخ انا
محمد بن عبد الاعلى ثنا يزيد بن زريع عن معمر عن الزهري عن انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
كوى اسعد بن زرارة من الشوكة رجاله ثقات قال ابن اسحاق حدثني عبد الله بن ابي بكر بن محمد
بن عمرو بن حزم عن يحيى بن عبد الله بن عبد الرحمن بن اسعد بن زرارة قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم بيس الميت ابو امامة ليهود ومنافقي العرب يقولون لو كان نبيا لم يمت
صاحبه ولا املك لنفسي ولا لصاحبي من الله شيا وهذا يقتضي انه اول من مات بعد مقدم النبي

هذا غريب بل رواه البخاري موصولا في اول البيوع عن عبد الرحمن فراجعه تجده

كذا

بن اسلم

بن مالك بن عامر

صلى الله عليه وسلم وقد زعم ابو الحسين بن الاثير في الغابة انه مات في شوال بعد مقدم النبي صلى الله عليه وسلم بسبعة اشهر فالله اعلم وذكر محمد بن اسحاق عن عاصم بن عمر بن قتادة ان بني النجار سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يقيم لهم نقيبا بعد ابي امامة اسعد بن زرارة فقال انتم اخوالي وانا بما فيكم وانا نقيبكم وكره ان يخص بها بعضهم دون بعض فكان من فضل بني النجار الذي يعتدون به على قومهم ان كان رسول الله نقيبهم قال ابن الاثير وهذا يرد قول ابي نعيم وابن منده في قولهما ان اسعد بن زرارة كان نقيبا على بني ساعدة انما كان على بني النجار وصدق ابن الاثير فيما قال وقد قال ابو جعفر بن جرير في التاريخ كان اول من توفي بعد مقدمه عليه السلام المدينة من المسلمين فيما ذكر صاحب منزله كلثوم بن الهدم لم يلبث بعد مقدمه الا يسيرا حتى مات ثم توفي بعده اسعد بن زرارة وكانت وفاته في سنة مقدمه قبل ان يفرغ بناء مسجده بالذبحة او الشهقة قلت وكلثوم بن الهدم من امرئ القيس بن الحرث بن زيد بن عبيد بن زيد بن مالك بن عوف بن عمرو بن عوف بن مالك بن الاوس الانصاري الاوسي وهو من بني عمرو بن عوف وكان شيخا كبيرا اسلم قبل مقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة ولما قدم رسول الله المدينة ونزل بقبا نزل في منزله هذا في الليل وكان يتحدث بالنهار مع اصحابه في منزل سعد بن الربيع رضي الله عنهما الى ان ارتحل الى دار بني النجار كما تقدم قال ابن الاثير وقد قيل انه اول من مات من المسلمين بعد مقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم بعده اسعد بن زرارة ذكره الطبري

فصل في ميلاد عبد الله بن الزبير في شوال سنة الهجرة فكان اول مولود ولد في الاسلام من المهاجرين كما ان النعمان بن بشير اول مولود ولد للانصار بعد الهجرة رضي الله عنهما وقد زعم بعضهم ان ابن الزبير ولد بعد الهجرة بعشرين شهرا قاله ابو الاسود ورواه الواقدي عن محمد بن يحيى بن سهل بن ابي حثمة عن ابيه عن جده وزعموا ان النعمان ولد قبل ابن الزبير بستة اشهر على راس اربعة عشر شهرا من الهجرة والصحيح ما قدمنا قال البخاري ثنا زكريا بن يحيى ثنا ابو اسامة عن هشام بن عروة عن ابيه عن اسما انها حملت بعبد الله بن الزبير قالت فخرجت وانا متم فاتيت المدينة فنزلت بقبا فولدته بقبا ثم اتيت به رسول الله صلى الله عليه وسلم فوضعه في حجره ثم دعا بتمرة فمضغها ثم تفل في فيه فكان اول شيء دخل جوفه ريق رسول الله ثم حنكه بتمرة ثم دعا له وبرك عليه فكان اول مولود ولد في الاسلام تابعه خالد بن مخلد عن علي بن مسهر عن هشام عن ابيه عن اسما انها هاجرت الى النبي صلى الله عليه وسلم وهي حبلى حدثنا قتيبة عن ابي اسامة عن هشام بن عروة عن ابيه عن عايشة قالت اول مولود ولد في الاسلام عبد الله بن الزبير اتوا به النبي صلى الله عليه وسلم فاخذ النبي صلى الله عليه وسلم تمرة فلاكها ثم ادخلها في فيه فاول ما دخل بطنه ريق النبي صلى الله عليه وسلم وهذا حجة على الواقدي وغيره لانه ذكر ان النبي صلى الله عليه وسلم بعث مع عبد الله بن اريقط لما رجع الى مكة زيد بن حارثة وابا رافع ليأتوا بعياله وعيال ابي بكر فقدموا بهم اثر هجرة النبي صلى الله عليه وسلم واسما حامل متم اي مقرب فقدت ولادتها لولدها فلما ولدته كبر المسلمون تكبيرة عظيمة فرحا بمولده لانه كان قد بلغهم عن اليهود انهم سحروهم حتى لا يولد لهم بعد هجرتهم فاكذب الله اليهود فيما زعموا

فصل وبنى رسول الله صلى الله عليه وسلم بعايشة في شوال من هذه السنة قال الامام احمد ثنا وكيع ثنا سفيان عن اسماعيل بن امية عن عبد الله بن عروة عن ابيه عن عايشة قالت تزوجني رسول الله صلى الله عليه وسلم في شوال وبنى بي في شوال فاي نسا رسول الله صلى الله عليه وسلم كان احظى عنده مني وكانت عايشة تستحب ان تدخل نساها في شوال رواه مسلم والترمذي والنسائي وابن ماجه من طرق عن سفيان الثوري به وقال الترمذي حسن صحيح لا نعرفه الا من حديث سفيان الثوري فعلى هذا يكون دخوله بها عليه السلام بعد الهجرة بسبعة اشهر او ثمانية اشهر وقد حكى القولين ابن جرير وقد تقدم في تزويجه عليه السلام بسودة كيفية تزويجه ودخوله بعايشة بعد ما قدموا المدينة وان دخوله بها كان بالسنح نهارا وهذا خلاف ما يعتاده الناس اليوم وفي دخوله بها في شوال رد لما يتوهمه بعض الناس من كراهية الدخول بين العيدين خشية المفارقة بين الزوجين وليس هذا بشيء لما قالته عايشة ردا على من توهم من الناس ذلك الوقت تزوجني في شوال وبنى بي اي دخل بي في شوال فاي نسايه كان احظى عنده مني فدل هذا على انها فهمت منه عليه السلام انها احب نسايه اليه وهذا الفهم منها صحيح لما دل على ذلك من الدلايل الواضحة ولو لم يكن الا الحديث الثابت في صحيح البخاري عن عمرو بن العاص قلت يا رسول الله اي الناس احب اليك قال عايشة قلت من الرجال قال ابوها

فصل قال ابن جرير وفي هذه السنة يعني السنة الاولى من الهجرة زيد في صلاة الحضر فيما قيل ركعتان وكانت صلاة الحضر والسفر ركعتين وذلك بعد مقدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة بشهر في ربيع الاخر لمضي اثنتي عشرة ليلة منه قال وزعم الواقدي انه لا خلاف بين اهل الحجاز فيه قلت قد تقدم الحديث الذي رواه البخاري من طريق معمر عن الزهري عن عروة عن عايشة قالت فرضت الصلاة اول ما فرضت ركعتين فاقرت صلاة السفر وزيد في صلاة الحضر وروي من طريق الشعبي عن مسروق عنها وقد حكى البيهقي عن الحسن البصري ان صلاة الحضر اول ما فرضت فرضت اربعا والله اعلم وقد تكلمنا على ذلك في تفسير سورة النسا عند قوله تعالى واذا ضربتم في الارض فليس عليكم جناح ان تقصروا من الصلاة الاية

فصل في الاذان ومشروعيته عند مقدمه عليه السلام المدينة النبوية

قال ابن اسحاق فلما اطمان رسول الله بالمدينة واجتمع اليه اخوانه من المهاجرين واجتمع امر الانصار استحكم امر الاسلام فقامت الصلاة وفرضت الزكاة والصيام وقامت الحدود وفرض الحلال والحرام وتبوأ الاسلام بين اظهرهم وكان هذا الحي من الانصار هم الذين تبوأوا الدار والايمان وقد كان رسول الله حين قدمها انما يجتمع الناس اليه للصلاة لحين مواقيتها بغير دعوة فهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يجعل بوقا كبوق يهود الذي يدعون به لصلاتهم ثم كرهه ثم امر بالناقوس فنحت ليضرب به للمسلمين للصلاة فبينما هم على ذلك اذ راى عبد الله بن زيد بن ثعلبة بن عبد ربه اخو بلحارث بن الخزرج النداء فاتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله انه طاف بي هذه الليلة طايف مر بي رجل عليه ثوبان اخضران يحمل ناقوسا في يده فقلت يا عبد الله اتبيع هذا الناقوس فقال وما تصنع به قال قلت ندعو به الى الصلاة قال الا ادلك على خير من ذلك قلت وما هو قال يقول الله اكبر الله اكبر الله اكبر الله اكبر اشهد ان لا اله الا الله اشهد ان لا اله الا الله اشهد ان محمدا رسول الله اشهد ان محمدا رسول الله حي على الصلاة حي على الصلاة حي على الفلاح حي على الفلاح الله اكبر الله اكبر لا اله الا الله فلما اخبر بها رسول الله صلى الله عليه وسلم قال انها لرؤيا حق ان شاء الله فقم مع بلال فالقها عليه فليؤذن بها فانه اندى صوتا منك فلما اذن بها بلال سمعها عمر بن الخطاب وهو في بيته فخرج الى رسول الله وهو يجر رداءه وهو يقول يا نبي الله والذي

يثبتك بالحق لقد رايت مثل الذي راى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فلله الحمد قال
ابن اسحاق فحدثني بهذا الحديث محمد بن ابراهيم بن الحرث عن محمد بن عبد الله بن زيد بن ثعلبة
بن عبد ربه عن ابيه وقد روى هذا الحديث ابو داود والترمذي وابن ماجة وابن خزيمة من
طرق عن محمد بن اسحاق به وصححه الترمذي وابن خزيمة وغيرهما وعند ابي داود انه علمه الاقامة
قال ثم تقول اذا اقمت الصلاة الله اكبر الله اكبر اشهد ان لا اله الا الله اشهد ان محمدا رسول الله
حي على الصلاة حي على الفلاح قد قامت الصلاة قد قامت الصلاة الله اكبر الله اكبر لا اله الا الله وقد
روى ابن ماجة هذا الحديث عن ابي عبيد محمد بن عبيد بن ميمون عن محمد بن سلمة الحراني عن ابن اسحاق
كما تقدم ثم قال قال ابو عبيد واخبرني ابو بكر الحكمي ان عبد الله بن زيد الانصاري قال
في ذلك

احمد الله ذي الجلال وذي الا • كرام حمدا على الاذان كبيرا •
اذ اتاني به البشير من الله • فاكرم به لدي بشيرا •
في ليال والى بهن ثلاث • كلما جاء زادني توقيرا •

قلت وهذا الشعر غريب وهو يقتضي انه راى ذلك ثلاث ليال حتى اخبر به رسول الله فالله اعلم
ورواه الامام احمد من حديث محمد بن اسحاق قال وذكر الزهري عن سعيد بن المسيب عن عبد الله
بن زيد به نحو رواية ابن اسحاق عن محمد بن ابراهيم التيمي ولم يذكر الشعر وقال ابن ماجة حدثنا
محمد بن خالد بن عبد الله الواسطي ثنا ابي عن عبد الرحمن بن اسحاق عن الزهري عن سالم عن ابيه
ان رسول الله استشار الناس لما يهمهم من الصلاة فذكروا البوق فكرهه من اجل اليهود ثم ذكروا
الناقوس فكرهه من اجل النصارى فاري النداء تلك الليلة رجل من الانصار يقال له عبد الله
بن زيد وعمر بن الخطاب فطرق الانصاري رسول الله ليلا فامر رسول الله صلى الله عليه وسلم
بلالا فاذن به قال الزهري وزاد بلال في نداء صلاة الغداة الصلاة خير من النوم مرتين فاقرها
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عمر يا رسول الله قد رايت مثل الذي راى ولكنه سبقني وسياتي
تحرير هذا الفصل في باب الاذان من كتاب الاحكام الكبير ان شاء الله وبه الثقة فاما الحديث
الذي اورده السهيلي بسنده من طريق البزار ثنا محمد بن عثمان بن مخلد ثنا ابي عن زياد بن المنذر
عن محمد بن علي بن الحسين عن ابيه عن جده عن علي بن ابي طالب فذكر حديث الاسراء وفيه فخرج ملك من
وراء الحجاب فاذن بهذا الاذان وكلما قال كلمة صدقه الله تعالى ثم اخذ الملك بيد محمد صلى الله
عليه وسلم فقدمه فام باهل السماء وفيهم ادم ونوح ثم قال السهيلي واخلق بهذا الحديث ان يكون
صحيحا لما يعضده ويشاكله من حديث الاسراء فهذا الحديث ليس كما زعم السهيلي انه صحيح
بل هو منكر تفرد به زياد بن المنذر ابو الجارود الذي تنسب اليه الفرقة الجارودية وهو من المتهمين
ثم لو كان هذا قد سمعه رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة الاسراء لاوشك ان يامر به بعد الهجرة
في الدعوة الى الصلاة والله اعلم قال ابن هشام وذكر ابن جريج قال قال لي عطا سمعت عبيد بن عمير
يقول ائتمر النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه بالاجتماع للصلاة فبينا عمر بن الخطاب يريد ان يشتري
خشبتين للناقوس اذ راى عمر في المنام لا تجعلوا الناقوس بل اذنوا للصلاة فذهب عمر الى النبي
صلى الله عليه وسلم ليخبره بما راى وقد جاء النبي صلى الله عليه وسلم الوحي بذلك فما راع عمر الا بلال
يؤذن فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حين اخبره بذلك قد سبقك بذلك الوحي وهذا يدل على
انه قد جاء الوحي بتقرير ما راه عبد الله بن زيد بن عبد ربه كما صرح به بعضهم والله تعالى اعلم قال

ابن اسحاق

ابن اسحاق وحدثني محمد بن جعفر بن الزبير عن عروة بن الزبير عن امراة من بني النجار قالت كان بيتي
من اطول بيت حول المسجد فكان بلال يؤذن عليه الفجر كل غداة فياتي بسحر فيجلس على البيت
ينتظر الفجر فاذا راه تمطى ثم قال اللهم احمدك واستعينك على قريش ان يقيموا دينك قالت
ثم يؤذن قالت والله ما علمته كان تركها ليلة واحدة يعني هذه الكلمات ورواه ابو داود من
حديثه منفردا به

فصل في سرية حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه

قال ابن جرير وزعم الواقدي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم عقد في هذه السنة في
شهر رمضان على راس سبعة اشهر من مهاجره لحمزة بن عبد المطلب لواء ابيض في ثلاثين
رجلا من المهاجرين ليعترض لعيرات قريش وان حمزة لقي ابا جهل في ثلثمائة رجل من قريش
فحجز بينهم مجدي بن عمرو ولم يكن بينهم قتال قال وكان الذي يحمل لواء حمزة ابو مرثد الغنوي

فصل في سرية عبيدة بن الحرث بن عبد المطلب

قال ابن جرير وزعم الواقدي ايضا ان النبي صلى الله عليه وسلم عقد في هذه السنة على راس
ثمانية اشهر في شوال لعبيدة بن الحرث لواء ابيض وامره بالمسير الى بطن رابغ وكان لواؤه مع
مسطح بن اثاثة فبلغ ثنية المرة وهي بناحية الجحفة في ستين من المهاجرين ليس فيهم انصاري
وانهم التقوا هم والمشركون على ماء يقال له احيا وكان بينهم الرمي دون المسايفة قال
الواقدي وكان المشركون مائتين عليهم ابو سفيان صخر بن حرب وهو المثبت عندنا وقيل
كان عليهم مكرز بن حفص **فصل** قال الواقدي وفيها يعني في السنة الاولى في ذي
القعدة عقد رسول الله صلى الله عليه وسلم لسعد بن ابي وقاص الى الخرار لواء ابيض يحمله
المقداد بن الاسود فحدثني ابو بكر بن ابي اسماعيل عن ابيه عن عامر بن سعد قال خرجت
في عشرين رجلا على اقدامنا او قال احد وعشرين رجلا فكنا نكمن النهار ونسير الليل حتى صبحنا
الخرار صبح خامسة وكان رسول الله قد عهد الي ان لا اجاوز الخرار وكانت العير قد سبقتني
قبل ذلك بيوم (اليوم) قال الواقدي كانت العير ستين وكان من مع سعد كلهم من المهاجرين قال
ابو جعفر بن جرير رح وعند ابن اسحاق رح ان هذه السرايا الثلاث التي ذكرها الواقدي كلها
في السنة الثانية من الهجرة من وقت التاريخ قلت كلام ابن اسحاق ليس بصريح فيما قاله ابو
جعفر رح لمن تامله كما سنورده في اول كتاب المغازي في اول السنة الثانية من الهجرة وذلك تلوها
نحن فيه ان شاء الله ويحتمل ان يكون مراده انها وقعت هذه السرايا في السنة الاولى وسنزيدها
بسطا وشرحا اذا انتهينا اليها ان شاء الله تعالى والواقدي رح عنده زيادات حسنة وتاريخ
محرر غالبا فانه من ائمة هذا الشان الكبار وهو صدوق في نفسه مكثار كما بسطنا القول
في عدالته وجرحه في كتابنا الموسوم بالتكميل في معرفة الثقات والضعفاء والمجاهيل ولله
الحمد والمنة **فصل** وممن ولد في هذه السنة المباركة وهي الاولى من الهجرة عبد
الله بن الزبير فكان اول مولود ولد في الاسلام بعد الهجرة كما رواه البخاري عن امه اسماء وعائشة
ام المؤمنين ابنتي الصديق رضي الله عنهما ومن الناس من يقول ولد النعمان بن بشير قبله
بستة اشهر فعلى هذا يكون عبد الله بن الزبير اول مولود ولد بعد الهجرة من المهاجرين ومن الناس
من يقول انهما ولدا في السنة الثانية من الهجرة والظاهر الاول كما قدمنا بيانه ولله الحمد
والمنة وسنشير في اواخر السنة الثانية الى القول الثاني ان شاء الله تعالى قال ابن جرير وقد
قيل ان المختار بن ابي عبيد وزياد بن سمية ولدا في هذه السنة الطاهرة فالله اعلم وممن توفي

في هذه السنة من الصحابة كلثوم بن الهدم الاوسي الذي نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم في منزله
بقبا الى حين ارتحل منها الى دار بني النجار كما تقدم وبعده فيها ابو امامة اسعد بن زرارة
نقيب بني النجار توفي ورسول الله صلى الله عليه وسلم يبني المسجد كما تقدم رضي الله عنهما
وارضاهما قال ابن جرير وفي هذه السنة يعني الاولى من الهجرة مات ابو احيحة بماله بالطايف
ومات الوليد بن المغيرة والعاص بن وايل السهمي فيها بمكة قلت وهولاء ماتوا على شركهم لم يسلموا لله
عز وجل بسم الله الرحمن الرحيم

ذكر ما وقع في السنة الثانية من الحوادث

وقع فيها كثير من المغازي والسرايا ومن اعظمها واجلها بدر الكبرى التي كانت في رمضان منها وقد
فرق الله بها بين الحق والباطل والهدى والغي وهذا اوان ذكر المغازي والبعوث فنقول وبالله
المستعان

كتاب المغازي

قال الامام محمد بن اسحاق بن يسار في كتاب السيرة بعد ذكره احبار اليهود ونصبهم العداوة للاسلام
واهله وما نزل فيهم من الايات فمنهم حيي بن اخطب واخواه ابو ياسر وجدي وسلام بن مشكم وكنانة
ابن الربيع بن ابي الحقيق وسلام بن ابي الحقيق وهو ابو رافع الاعور تاجر اهل الحجاز وهو الذي قتله
الصحابة بارض خيبر كما سياتي والربيع بن ابي الحقيق وعمرو بن جحاش وكعب بن الاشرف وهو من
طي ثم احد بني نبهان وامه من بني النضير وقد قتله الصحابة قبل ابي رافع كما سياتي وحليفاه
الحجاج بن عمرو وكردم بن قيس لعنهم الله فهولاء من بني النضير ومن بني ثعلبة بن الفطيون عبد الله
ابن صوريا ولم يكن بالحجاز احد اعلم بالتوراة منه قلت وقد قيل انه اسلم وابن صلوبا ومخيريق صوريا
وقد اسلم يوم احد كما سياتي وكان حبر قومه ومن بني قينقاع زيد بن اللصيت وسعد بن حنيف اللصيت
ومحمود بن شيحان وعزير بن ابي عزير وعبد الله بن صيف وسويد بن الحرث ورفاعة بن قيس صيف
وفنحاص واشيع ونعمان بن اضا وبحري بن عمرو وشاس بن عدي وشاس بن قيس وزيد بن الحرث
ونعمان بن عمير وسكين بن ابي سكين وعدي بن زيد ونعمان بن ابي اوفى وابو انس ومحمود بن دحية ومالك
ابن صيف وكعب بن راشد وعازر ورافع بن ابي رافع وخالد وازار بن ابي ازار قال ابن هشام
ويقال آزر بن ابي آزر ورافع بن حارثة ورافع بن حريملة ورافع بن خارجة ومالك بن عوف وزيد
ابن التابوت وعبد الله بن سلام قلت وقد تقدم اسلامه رضي الله عنه قال ابن اسحاق وكان
حبرهم واعلمهم وكان اسمه الحصين فلما اسلم سماه رسول الله عبد الله قال ابن اسحاق ومن بني
قريظة الزبير بن باطا بن وهب وعزال بن شموال وكعب بن اسد وهو صاحب عقدهم الذي نقضوه زبير
عام الاحزاب وشمويل بن زيد وجبل بن عمرو بن سكينة والنحام بن زيد وقردم بن كعب ووهب
بن زيد ونافع بن ابي نافع وعدي بن زيد والحرث بن عوف وكردم بن زيد واسامة بن حبيب
ورافع بن رميلة وجبل بن ابي قشير ووهب بن يهوذا قال ومن بني زريق لبيد بن اعصم
وهو الذي سحر رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن يهود بني حارثة كنانة بن صوريا ومن يهود
بني عمرو قردم بن عمرو ومن يهود بني النجار سلسلة بن برهام قال ابن اسحاق فهولاء احبار يهود
واهل الشرور والعداوة لرسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه رضي الله عنهم واصحاب
المسالة الذين يكثرون الاسئلة لرسول الله صلى الله عليه وسلم على وجه التعنت والعناد
والكفر قال واصحاب النصب لامر الاسلام ليطفئوه الا ما كان من عبد الله بن سلام ومخيريق
ثم ذكر اسلام عبد الله بن سلام واسلام عمته خالدة كما قدمناه وذكر اسلام مخيريق يوم احد

كما سياتي

كما سياتي وانه قال لقومه وكان يوم السبت يا معشر يهود والله انكم لتعلمون ان نصر محمد عليكم
لحق قالوا ان اليوم يوم السبت قال لا سبت لكم ثم اخذ سلاحه فخرج وعهد الى من وراءه من قومه
ان قتلت هذا اليوم فاموالي الى محمد يصنع فيها ما اراه الله وكان كثير الاموال ثم لحق برسول الله صلى لمحمد م
الله عليه وسلم فقاتل حتى قتل رضي الله عنه قال فكان رسول الله يقول فيما بلغنا مخيريق خير
يهود ثم ذكر ابن اسحاق من مال الى هولاء الاضداد من اليهود من المنافقين من الاوس **فصل**
والخزرج قال فمن الاوس زوي بن الحرث وجلاس بن سويد بن الصامت وفيه نزل يحلفون بالله الانصاري م
ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد اسلامهم وذلك انه قال حين تخلف عن غزوة تبوك
لئن كان هذا الرجل لنحن شر من الحمير فنماها ابن امراته عمير بن سعد الى رسول الله فانكر الجلاس ذلك صادقا م
وحلف ما قال فنزل فيه ذلك قال وقد زعموا انه تاب وحسنت توبته حتى عرف منه
الاسلام والخير قال واخوه الحرث بن سويد قال وهو الذي قتل المجذر بن زياد البلوي وقيس
بن زيد احد بني ضبيعة يوم احد خرج مع المسلمين وكان منافقا فلما التقى الناس عدا عليهما
فقتلهما ثم لحق بقريش قال ابن هشام كان المجذر قد قتل اباه سويد بن الصامت في بعض حروب
الجاهلية فاخذ بثار ابيه منه يوم احد كذا قال ابن هشام وقد ذكر ابن اسحاق ان الذي قتل
سويد بن الصامت انما هو معاذ بن عفراء قتله في غير حرب قبل يوم بعاث رماه بسهم فقتله وانكر
ابن هشام ان يكون الحرث قتل قيس بن زيد قال لان ابن اسحاق لم يذكره في قتلى احد قال ابن اسحاق
وقد كان رسول الله امر عمر بن الخطاب بقتله ان هو ظفر به فبعث الحرث الى اخيه الجلاس يطلب
له التوبة ليرجع الى قومه فانزل الله فيما بلغني عن ابن عباس كيف يهدي الله قوما كفروا بعد
ايمانهم وشهدوا ان الرسول حق وجاءهم البينات والله لا يهدي القوم الظالمين الى اخر القصة
قال وبجاد بن عثمان بن عامر ونبتل بن الحرث وهو الذي قال فيه رسول الله من احب ان ينظر
الى الشيطان فلينظر الى هذا وكان جسيما ادلم ثائر شعر الراس احمر العينين اسفع الخدين وكان يسمع
الكلام من رسول الله ثم ينقله الى المنافقين وهو الذي قال انما محمد اذن من حدثه بشي صدقه
فانزل الله فيه ومنهم الذين يوذون النبي ويقولون هو اذن الاية قال وابو حبيبة بن الازعر
وكان ممن بنى مسجد الضرار وثعلبة بن حاطب ومعتب بن قشير وهما اللذان عاهدا الله لئن
اتانا من فضله لنصدقن الاية بكمالها فنزل فيهما ذلك ومعتب هو الذي قال يوم احد لو كان لنا من
الامر شي ما قتلنا هاهنا فنزل فيه الاية وهو الذي قال يوم الاحزاب كان محمد يعدنا ان ناكل كنوز كسرى
وقيصر واحدنا لا يامن ان يذهب الى الغايط فنزل فيه واذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم
مرض ما وعدنا الله ورسوله الا غرورا قال ابن اسحاق والحرث بن حاطب قال ابن هشام ومعتب
بن قشير وثعلبة والحرث ابنا حاطب وهما من بني امية بن زيد من اهل بدر وليسوا من المنافقين
فيما ذكر لي من اثق به من اهل العلم قال وقد ذكر ابن اسحاق ثعلبة والحرث بن زيد في اسماء اهل بدر
قال ابن اسحاق وعباد بن حنيف اخو سهل بن حنيف وبحزج وكان ممن بنى مسجد الضرار وعمرو
ابن خذام وعبد الله بن نبتل وجارية بن عامر بن العطاف وابناه يزيد ومجمع ابنا جارية وهم
ممن اتخذ مسجد الضرار وكان مجمع غلاما حدثا قد جمع اكثر القران يصلي بهم فيه فلما خرب مسجد
الضرار كما سياتي بيانه بعد غزوة تبوك وكان في ايام عمر سال اهل قبا عمر ان يصلي بهم مجمع
فقال لا والله اوليس امام المنافقين في مسجد الضرار فحلف بالله ما علمت بشي من امرهم
فزعموا ان عمر تركه فصلى بهم قال ووديعة بن ثابت وكان ممن بنى مسجد الضرار وهو الذي

قال انما كنا نخوض ونلعب فنزل فيه وفي ذلك القرآن وخذام بن خالد وهو الذي اخرج مسجد
الضرار من داره قال ابن هشام مستدركا على ابن اسحاق وفي المنافقين من بني النبيت من الاوس وبشر
ورافع بن زيد قال ابن اسحاق ومربع بن قيظي وكان اعمى وهو الذي قال لرسول الله حين اجاز في حائطه
وهو ذاهب الى احد لا احل لك ان كنت نبيا ان تمر في حائطي واخذ في يده حفنة من تراب ثم قال
والله لو اعلم اني لا اصيب بها غيرك لرميتك بها فابتدره القوم ليقتلوه فقال رسول الله
دعوه فهذا الاعمى اعمى القلب اعمى البصر وقد ضربه سعد بن زيد الاشهلي بالقوس فشجه قال
واخوه اوس بن قيظي وهو الذي قال ان بيوتنا عورة قال الله وما هي بعورة ان يريدون الا فرارا
قال وحاطب بن امية بن رافع وكان شيخا جسيما قد عسا في جاهليته وكان له ابن من خيار المسلمين
فقال له يزيد بن حاطب اصيب يوم احد حتى اثبتته الجراحات فحمل الى دار بني ظفر قال فحدثني
عاصم بن عمر بن قتادة انه اجتمع اليه من بها من رجال المسلمين ونسائهم وهو يموت فجعلوا
يقولون ابشر بالجنة يا ابن حاطب قال فنجم نفاق ابيه فجعل يقول اجل جنة من حرمل غررتم
والله هذا المسكين من نفسه قال وبشير بن ابيرق ابو طعمة سارق الدرعين الذي انزل الله فيه
ولا تجادل عن الذين يختانون انفسهم الايات قال وقزمان حليف لبني ظفر الذي قتل يوم احد
سبعة نفر ثم لما آلمته الجراحة قتل نفسه وقال والله ما قاتلت الا حمية على قومي ثم مات لعنه
الله قال ابن اسحاق ولم يكن في بني عبد الاشهل منافق ولا منافقة يعلم الا ان الضحاك بن
ثابت كان يتهم بالنفاق وحب يهود قال فهؤلاء كلهم من الاوس قال (ابن اسحق) ومن الخزرج رافع بن وديعة وزيد
ابن عمرو وعمرو بن قيس وقيس بن عمرو بن سهل والجد بن قيس وهو الذي قال ائذن لي ولا تفتني
وعبد الله بن ابي بن سلول وكان راس المنافقين ورئيس الخزرج والاوس ايضا كانوا قد اجتمعوا
على ان يملكوه عليهم في الجاهلية فلما هداهم الله للاسلام قبل ذلك شرق اللعين بريقه وغاظه
ذلك جدا وهو الذي قال لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل وقد نزلت فيه ايات
كثيرة جدا وفيه وفي وديعة رجل من بني عوف ومالك بن ابي نوفل وسويد وداعس وهم من رهطه
نزل قوله لئن اخرجوا لا يخرجون معهم الايات حين ما لوا الى الباطن بني النضير

فصل

ثم ذكر ابن اسحاق من اسلم من احبار اليهود على سبيل التقية فكانوا كفارا في الباطن فاتبعهم
صنف المنافقين وهم من شرهم سعد بن حنيف وزيد بن اللصيت وهو الذي قال حين
ضلت ناقة رسول الله يزعم محمد انه يأتيه خبر السماء وهو لا يدري اين ناقته فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم والله لا اعلم الا ما علمني الله وقد دلني الله عليها فهي في هذا الشعب
قد حبستها شجرة بزمامها فذهب رجال من المسلمين فوجدوها كذلك قال ونعمان بن اوفى
وعثمان بن اوفى ورافع بن حريملة وهو الذي قال فيه رسول الله يوم مات فيما بلغنا قد مات اليوم
عظيم من عظماء المنافقين ورفاعة بن زيد بن التابوت وهو الذي هبت الريح الشديدة يوم
موته مرجع رسول الله من تبوك فقال انها هبت لموت عظيم من عظماء الكفار فلما قدموا المدينة
وجدوا رفاعة قد مات ذلك اليوم وسلسلة بن برهام وكنانة بن صوريا فهؤلاء ممن اسلم
من منافقي اليهود قال فكان هؤلاء المنافقون يحضرون المسجد ويسمعون احاديث المسلمين
ويسخرون ويستهزئون بدينهم فاجتمع في المسجد يوما منهم اناس فرآهم رسول الله صلى الله عليه وسلم
يتحدثون بينهم خافضي اصواتهم قد لصق بعضهم الى بعض فامر بهم رسول الله فاخرجوا من المسجد
اخراجا عنيفا فقام ابو ايوب الى عمرو بن قيس احد بني النجار وكان صاحب آلهتهم في الجاهلية فاخذ

برجله

برجله فسحبه حتى اخرجه وهو يقول اتخرجني يا ابا ايوب من مربد بني ثعلبة ثم اقبل
ابو ايوب الى رافع بن وديعة النجاري فلببه بردائه ثم نتره نترا شديدا ولطم وجهه فاخرجه
من المسجد وهو يقول له اف لك منافقا خبيثا وقام عمارة بن حزم الى زيد بن عمرو وكان طويل
اللحية فاخذ بلحيته وقاده بها قودا عنيفا حتى اخرجه من المسجد ثم جمع عمارة يديه جميعا
فلدمه بهما لدمة في صدره خر منها قال يقول خدشتني يا عمارة فقال عمارة ابعدك الله
يا منافق فما اعد الله لك من العذاب اشد من ذلك فلا تقربن مسجد رسول الله صلى الله
عليه وسلم وقام ابو محمد مسعود بن اوس بن زيد بن اصرم بن زيد بن ثعلبة بن غنم بن
مالك بن النجار وكان بدريا الى قيس بن عمرو بن سهل وكان شابا وليس في المنافقين شاب
سواه فجعل يدفع في قفاه حتى اخرجه وقام رجل من بني خدرة الى رجل يقال له الحرث بن عمرو
وكان ذا جمة فاخذ بجمته فسحبه بها سحبا عنيفا على ما مر به من الارض حتى اخرجه فجعل
يقول المنافق قد اغلظت يا ابن الحرث فقال له انك اهل لذلك اي عدو الله لما انزل فيك
فلا تقربن مسجد رسول الله فانك نجس وقام رجل من بني عمرو بن عوف الى اخيه زوي بن الحرث
فاخرجه اخراجا عنيفا وافف منه وقال غلب عليك الشيطان وامره ثم ذكر ابن اسحاق ما نزل
فيهم من الايات من سورة البقرة وغيرها ومن سورة التوبة وتكلم على تفسير ذلك فاجاد وافاد رح

ذكر اول المغازي وهي غزوة الابواء ويقال لها غزوة ودان

واول البعوث وهو بعث حمزة بن عبد المطلب او عبيدة بن الحرث كما سياتي في المغازي قال
البخاري كتاب المغازي قال ابن اسحاق اول ما غزا رسول الله صلى الله عليه وسلم الابواء ثم
بواط ثم العشيرة ثم روى عن زيد بن ارقم انه سئل كم غزا رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال تسع عشرة شهد منها سبع عشرة اولهن العسير او العشيرة وسيأتي الحديث باسناده
ولفظه والكلام عليه عند غزوة العشيرة ان شاء الله وبه الثقة وفي صحيح البخاري عن
بريدة قال غزا رسول الله صلى الله عليه وسلم ست عشرة غزوة ولمسلم عنه انه غزا مع
رسول الله ست عشرة غزوة وفي رواية له عنه ان رسول الله غزا تسع عشرة غزوة قاتل في ثمان
منهن وقال الحسين بن واقد عن بريدة عن ابيه ان رسول الله غزا سبع عشرة غزوة وقاتل
في ثمان يوم بدر واحد والاحزاب والمريسيع وقديد وخيبر ومكة وحنين وبعث اربعا وعشرين
سرية وقال يعقوب بن سفيان ثنا محمد بن عثمان الدمشقي التنوخي ثنا الهيثم بن حميد
اخبرني ابو النعمان عن مكحول ان رسول الله صلى الله عليه وسلم غزا ثماني عشرة غزوة قاتل
في ثمان غزوات اولهن بدر ثم احد ثم الاحزاب ثم قريظة ثم بئر معونة ثم غزوة بني المصطلق
من خزاعة ثم غزوة خيبر ثم غزوة مكة ثم حنين والطائف قوله ان بئر معونة بعد
سفين بني قريظة فيه نظر والصحيح انها بعد احد كما سياتي وقال يعقوب بن ثنا سلمة بن
شبيب ثنا عبد الرزاق انا معمر عن الزهري سمعت سعيد بن المسيب يقول غزا رسول الله ثماني
عشرة غزوة وسمعته مرة اخرى يقول اربعا وعشرين فلا ادري اكان ذلك وهما او شيئا
سمعه بعد ذلك وقد روى الطبراني عن الدبري عن عبد الرزاق عن معمر عن الزهري قال غزا
رسول الله صلى الله عليه وسلم اربعا وعشرين غزوة وقال عبد بن حميد في مسنده
ثنا سعيد بن سلام ثنا زكريا بن اسحاق ثنا ابو الزبير عن جابر قال غزا رسول الله صلى الله
عليه وسلم احدى وعشرين غزوة وقد روى الحاكم من طريق هشام عن قتادة ان مغازي

رسول الله صلى الله عليه وسلم وسراياه كانت ثلاثا واربعين ثم قال الحاكم لعله اراد السرايا دون
الغزوات فقد ذكرت في الاكليل على الترتيب بعوث رسول الله صلى الله عليه وسلم وسراياه
زيادة على المائة قال واخبرني الثقة من اصحابنا ببخارا انه قرا في كتاب ابي عبد الله محمد بن نصر
السرايا والبعوث دون الحروب نيفا وسبعين وهذا الذي ذكره الحاكم غريب جدا وحمله كلام
قتادة على ما قاله فيه نظر وقد روى الامام احمد عن ازهر بن القسم الراسبي عن هشام الدستوائي
عن قتادة ان مغازي رسول الله صلى الله عليه وسلم وسراياه ثلاث واربعون اربع وعشرون
بعثا وتسع عشرة غزوة خرج في ثمان منها بنفسه بدر واحد والاحزاب والمريسيع وقديد
وخيبر وفتح مكة وحنين وقال موسى بن عقبة عن الزهري هذه مغازي رسول الله قاتل فيها يوم بدر
في رمضان سنة اثنتين ثم قاتل يوم احد في شوال سنة ثلاث ثم قاتل يوم الخندق وهو يوم الاحزاب
وبني قريظة في شوال من سنة اربع ثم قاتل بني المصطلق وبني لحيان في شعبان سنة خمس
ثم قاتل يوم خيبر سنة ست ثم قاتل يوم الفتح في رمضان سنة ثمان ثم قاتل يوم حنين وحاصر
اهل الطايف في شوال سنة ثمان ثم حج ابو بكر سنة تسع ثم حج رسول الله صلى الله عليه وسلم حجة
الوداع سنة عشر وغزا اثنتي عشرة غزوة ولم يكن فيها قتال وكانت اول غزاة غزاها الابواء
وقال حنبل بن اسحاق عن هلال بن العلاء عن عبد الله بن جعفر الرقي عن مطرف بن مازن اليماني عن
معمر عن الزهري قال اول اية نزلت في القتال اذن للذين يقاتلون بانهم ظلموا الاية
بعد مقدم رسول الله يوم مدينة فكان اول مشهد شهده رسول الله يوم بدر يوم الجمعة لسبع
عشرة من رمضان الى ان قال ثم غزا بني النضير ثم غزا احدا في شوال يعني سنة ثلاث ثم
قاتل يوم الخندق في شوال سنة اربع ثم قاتل بني لحيان سنة خمس ثم قاتل يوم خيبر سنة ست
ثم قاتل يوم الفتح في شعبان سنة ثمان وغزا رسول الله احدى عشرة غزوة لم يقاتل فيها فكانت
اول غزاة غزاها رسول الله الابواء ثم العشيرة ثم غزوة غطفان ثم بني سليم ثم غزوة الابواء ثم
غزوة بدر الاولى ثم غزوة الطايف ثم غزوة الحديبية ثم غزوة الصفراء ثم غزوة تبوك
اخر غزوة ثم ذكر البعوث هكذا كتبته من تاريخ الحافظ ابن عساكر وهو غريب جدا والصواب
ما سنذكره فيما بعد ان شاء الله تعالى وهذا الفن مما ينبغي الاعتناء به والاعتبار بامره
والتهيؤ له كما رواه محمد بن عمر الواقدي عن عبد الله بن عمر بن علي عن ابيه سمعت علي بن الحسين
يقول كنا نعلم مغازي النبي صلى الله عليه وسلم كما نعلم السورة من القران قال الواقدي
وسمعت محمد بن عبد الله يقول سمعت عمي الزهري يقول في علم المغازي علم الاخرة والدنيا وقال
محمد بن اسحاق رح بعد ذكره ما تقدم مما سقناه عنه من تعيين رؤس الكفر من اليهود والمنافقين
لعنهم الله اجمعين وجمعهم في اسفل سافلين ثم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم تهيا لحربهم
وقام فيما امره الله به من جهاد عدوه وقتال من امره به ممن يليه من المشركين قال وقد قدم
رسول الله المدينة يوم الاثنين حين اشتد الضحا وكادت الشمس تعتدل لثنتي عشرة
ليلة مضت من شهر ربيع الاول ورسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ ابن ثلاث وخمسين
سنة وذلك بعد ان بعثه الله بثلاث عشرة سنة فاقام بقية شهر ربيع الاول وشهر ربيع
الاخر وجمادين ورجبا وشعبان وشهر رمضان وشوالا وذا القعدة وذا الحجة وولي تلك
الحجة المشركون والمحرم ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم غازيا في صفر على راس اثني عشر شهرا من
مقدمه المدينة قال ابن هشام واستعمل على المدينة سعد بن عبادة قال ابن اسحاق حتى بلغ

في شعبان م

وكانت حنين في رمضان سنة ثمان

ودان

ودان وهي غزوة الابواء قال ابن جرير ويقال لها غزوة ودان ايضا يريد قريشا وبني ضمرة
بن بكر بن عبد مناة بن كنانة فوادعته فيها بنو ضمرة وكان الذي وادعه منهم مخشي بن عمرو
الضمري وكان سيدهم في زمانه ذلك ورجع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة ولم
يلق كيدا فاقام بها بقية صفر وصدرا من شهر ربيع الاول قال ابن هشام وهي اول غزاة
غزاها عليه السلام قال الواقدي وكان لواؤه مع عمه حمزة وكان ابيض قال ابن اسحاق
وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم في مقامه ذلك بالمدينة عبيدة بن الحرث بن عبد
المطلب بن عبد مناف بن قصي في ستين او ثمانين راكبا من المهاجرين ليس فيهم من الانصار
احد فسار حتى بلغ ماء بالحجاز باسفل ثنية المرة فلقي بها جمعا عظيما من قريش فلم يكن
بينهم قتال الا ان سعد بن ابي وقاص قد رمى يومئذ بسهم فكان اول سهم رمي به في سبيل
الله في الاسلام ثم انصرف القوم عن القوم وللمسلمين حامية وفر من المشركين الى المسلمين
المقداد بن عمرو البهراني حليف بني زهرة وعتبة بن غزوان بن جابر المازني حليف بني نوفل بن
عبد مناف وكانا مسلمين ولكنهما خرجا ليتوصلا بالكفار قال ابن اسحاق وكان على المشركين
يومئذ عكرمة بن ابي جهل وروى ابن هشام عن ابن ابي عمرو بن العلاء عن ابي عمرو المدني انه قال
كان عليهم مكرز بن حفص قلت وقد تقدم عن حكاية الواقدي قولان احدهما انه مكرز والثاني
انه ابو سفيان صخر بن حرب وانه رجح انه ابو سفيان فالله اعلم ثم ذكر ابن اسحاق القصيدة
المنسوبة الى ابي الصديق في هذه السرية التي اولها

امن طيف سلمى بالبطاح الدمائث * ارقت وامر في العشيرة حادث
ترى من لوي فرقة لا يصدها * عن الكفر تذكير ولا بعث باعث
رسول اتاهم صادق فتكذبوا * عليه وقالوا لست فينا بماكث
اذا ما دعوناهم الى الحق ادبروا * وهروا هرير المجحرات اللواهث

القصيدة الى اخرها وذكر جواب عبد الله بن الزبعرى في مناقضتها التي اولها

امن رسم دار اقفرت بالعثاعث * بكيت بعين دمعها غير لابث
ومن عجب الايام والدهر كله * له عجب من سابقات وحادث
لجيش اتانا ذي عرام يقوده * عبيدة يدعى في الهياج ابن حارث
لنترك اصناما بمكة عكفا * مواريث موروث كريم لوارث

وذكر تمام القصيدة وما منعنا من ايرادها بتمامها الا ان الامام عبد الملك بن هشام رح وكان
اماما في اللغة ذكر ان اكثر اهل العلم بالشعر ينكر هاتين القصيدتين قال ابن اسحاق وقال
سعد بن ابي وقاص في رميته تلك فيما يذكرون

الا هل اتى رسول الله اني * حميت صحابتي بصدور نبلي
اذود بها اوايلهم ذيادا * بكل حزونة وبكل سهل
فما يعتد رام في عدو * بسهم يا رسول الله قبلي
وذلك ان دينك دين صدق * وذو حق اتيت به وفضل
ينجى المومنين به ويجزى * به الكفار عند مقام مهل
فمهلا قد غويت فلا تعبني * غوي الحي ويحك يا ابن جهل

قال ابن هشام واكثر اهل العلم بالشعر ينكرها لسعد قال ابن اسحاق فكانت راية عبيدة

فيما بلغنا اول راية عقدها رسول الله صلى الله عليه وسلم في الاسلام لاحد من المسلمين وقد
خالفه الزهري وموسى بن عقبة والواقدي فذهبوا الى ان بعث حمزة قبل بعث عبيدة بن
الحرث والله اعلم وسياتي في حديث سعد بن ابي وقاص ان اول امراء السرايا عبد الله بن جحش الاسدي
قال ابن اسحاق وبعض العلماء يزعم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثه حين اقبل من غزوة
الابوا قبل ان يصل الى المدينة وهكذا حكي عن موسى بن عقبة عن الزهري

فصل

قال ابن اسحاق وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم في مقامه ذلك حمزة بن عبد المطلب
بن هاشم الى سيف البحر من ناحية العيص في ثلاثين راكبا من المهاجرين ليس فيهم من الانصار
احد فلقي ابا جهل بن هشام بذلك الساحل في ثلثمائة راكب من اهل مكة فحجز بينهم مجدي بن
عمرو الجهني وكان موادعا للفريقين جميعا فانصرف بعض القوم عن بعض ولم يكن بينهم قتال
قال ابن اسحاق وبعض الناس يقول كانت راية حمزة اول راية عقدها رسول الله صلى الله عليه
وسلم لاحد من المسلمين وذلك ان بعثه وبعث عبيدة كانا معا فشبه ذلك على الناس قلت
وقد حكى موسى بن عقبة عن الزهري ان بعث حمزة قبل عبيدة بن الحرث ونص على ان بعث حمزة
كان قبل غزوة الابوا فلما قفل عليه السلام من الابوا بعث عبيدة بن الحرث في ستين من المهاجرين
وذكر نحوا مما تقدم وقد تقدم عن الواقدي انه قال كانت سرية حمزة في رمضان من السنة الاولى
وبعدها سرية عبيدة في شوال منها والله اعلم وقد اورد ابن اسحاق عن حمزة رضي الله عنه
شعرا يذكر فيه ان رايته اول راية عقدت في الاسلام لكن قال ابن اسحاق فان كان حمزة قال ذلك
فهو كما قال لم يكن يقول الا حقا والله اعلم اي ذلك كان فاما ما سمعنا من اهل العلم عندنا فعبيدة
اول والقصيدة هي قوله

الا يا لقومي للتحلم والجهل • وللنقص من راي الرجال وللعقل •
وللراكبينا بالمظالم لم نطأ • لهم حرمات من سوام ولا اهل •
كانا تبلناهم ولا تبل عندنا • لهم غير امر بالعفاف وبالعدل •
وامر باسلام فلا يقبلونه • وينزل منهم مثل منزلة الهزل •
فما برحوا حتى انتدبت لغارة • لهم حيث حلوا ابتغي راحة الفضل •
بامر رسول الله اول خافق • عليه لواء لم يكن لاح من قبلي •
لواء لديه النصر من ذي كرامة • اله عزيز فعله افضل الفعل •
عشية ساروا حاشدين وكلنا • مراجله من غيظ اصحابه تغلي •
فلما تراءينا اناخوا فعقلوا • مطايا وعقلنا مدى غرض النبل •
فقلنا لهم حبل الاله نصيرنا • وما لكم الا الضلالة من حبل •
فثار ابو جهل هنالك باغيا • فخاب ورد الله كيد ابي جهل •
وما نحن الا في ثلاثين راكبا • وهم مايتان بعد واحدة فضل •
فيا للؤي لا تطيعوا غواتكم • وفيئوا الى الاسلام والمنهج السهل •
فاني اخاف ان يصب عليكموا • عذاب فتدعوا بالندامة والثكل •

قال فاجابه ابو جهل بن هشام لعنه الله فقال

عجبت لاسباب الحفيظة والجهل • وللشاغبين بالخلاف وبالبطل •
وللتاركين ما وجدنا جدودنا • عليه ذوي الاحساب والسودد الجزل •

ثم ذكر

ثم ذكر تمامها قال ابن هشام واكثر اهل العلم بالشعر ينكر هاتين القصيدتين لحمزة رضي الله
عنه ولابي جهل لعنه الله

غزوة بواط من ناحية رضوى

قال ابن اسحاق ثم غزا رسول الله صلى الله عليه وسلم في شهر ربيع الاول يعني من السنة الثانية
يريد قريشا قال ابن هشام واستعمل على المدينة السائب بن عثمان بن مظعون وقال
الواقدي استخلف عليها سعد بن معاذ وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم في مايتي راكب
وكان لواؤه مع سعد بن ابي وقاص وكان مقصده ان يعترض لقريش وكان فيها امية بن خلف
ومائة رجل والفان وخمسمائة بعير قال ابن اسحاق حتى بلغ بواط من ناحية رضوى ثم رجع الى
المدينة ولم يلق كيدا فلبث بها بقية شهر ربيع الاخر وبعض جمادى ثم غزا قريشا بذلك
الغزوة التي يقال لها غزوة العشيرة وبالمعجمة والعشير وبالمهملة والعشيرا وبالمهملة
قال ابن هشام واستعمل على المدينة ابا سلمة بن عبد الاسد قال الواقدي وكان لواؤه مع
حمزة بن عبد المطلب قال وخرج عليه السلام يتعرض لعيرات قريش ذاهبة الى الشام قال
ابن هشام قال ابن اسحاق فسلك على نقب بني دينار ثم على فيفاء الخبار فنزل تحت شجرة ببطحاء ابن ازهر
يقال لها ذات الساق فصلى عندها فثم مسجده فصنع له عندها طعام فاكل منه واكل الناس
معه فموضع اثافي البرمة معلوم هنالك واستقي له من ماء يقال له المشترب ثم ارتحل فترك
الخلائق بيسار وسلك شعبة عبد الله ثم صب للسار حتى هبط يليل فنزل بمجتمعه ومجتمع
الضبوعة ثم سلك فرش ملل حتى لقي الطريق بصخيرات اليمام ثم اعتدل به الطريق حتى نزل
العشيرة من بطن ينبع فاقام بها جمادى الاولى وليالي من جمادى الاخرة ووادع فيها بني مدلج
وحلفاءهم من بني ضمرة ثم رجع الى المدينة ولم يلق كيدا وقد قال البخاري ثنا عبد الله ثنا
وهب ثنا شعبة عن ابي اسحاق قال كنت الى جنب زيد بن ارقم فقيل له كم غزا النبي صلى
الله عليه وسلم من غزوة قال تسع عشرة قلت كم غزوت انت معه قال سبع عشرة
قلت فايهن كان اول قال العشيرا او العسير فذكرت لقتادة فقال العشيرة وهذا الحديث
ظاهره ان اول الغزوات العشيرة ويقال بالسين وبالشين وهما مع حذف التاء ومع المد
اللهم الا ان يكون المراد غزاة شهدها مع النبي صلى الله عليه وسلم زيد بن ارقم العشيرة
وحينئذ لا ينبغي ان يكون قبلها غيرها لم يشهدها زيد بن ارقم وبهذا يحصل الجمع بين
ما ذكره محمد بن اسحاق وبين هذا الحديث والله اعلم قال ابن اسحاق ويومئذ قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلي ما قال فحدثني يزيد بن محمد بن خثيم عن محمد بن كعب
القرظي حدثني ابو يزيد محمد بن خثيم عن عمار بن ياسر قال كنت انا وعلي بن ابي طالب رفيقين
في غزوة العشيرة من بطن ينبع فلما نزلها رسول الله صلى الله عليه وسلم اقام بها
شهرا فصالح بها بني مدلج وحلفاءهم من بني ضمرة فوادعهم فقال لي علي بن ابي طالب
هل لك يا ابا اليقظان ان تاتي هؤلاء النفر من بني مدلج يعملون في عين لهم ننظر كيف
يعملون فاتيناهم فنظرنا اليهم ساعة فغشينا النوم فعمدنا الى صور من النخل في دقعاء
من الارض فنمنا فيه فوالله ما اهبنا الا رسول الله صلى الله عليه وسلم بقدمه فجلسنا
وقد تتربنا من تلك الدقعاء فيومئذ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلي يا ابا
تراب لما عليه من التراب فاخبرناه بما كان من امرنا فقال الا اخبركم باشقى الناس رجلين
قلنا بلى يا رسول الله فقال احيمر ثمود الذي عقر الناقة والذي يضربك يا علي على هذه

ووضع رسول الله صلى الله عليه وسلم يده على رأسه حتى يبل منها هذه ووضع لحيته بيده على
وهذا حديث غريب من هذا الوجه وله شاهد من وجه آخر في تسميته عليا ابا تراب كما في صحيح
البخاري ان عليا خرج مغاضبا فاطمة فجاء المسجد فنام فيه فدخل رسول الله فسألها عنه
فقالت خرج مغاضبا فجاء الى المسجد فايقظه وجعل يمسح التراب عنه ويقول قم ابا تراب ثم
ابا تراب

غزوة بدر الاولى

قال ابن اسحاق ثم لم يقم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة حين رجع من العشيرة الا ليالي قلايل لا تبلغ العشرة حتى اغار كرز بن جابر الفهري على سرح المدينة فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في طلبه حتى بلغ واديا يقال له سفوان من ناحية بدر وهي غزوة بدر الاولى وفاته كرز فلم يدركه قال الواقدي وكان لواؤه مع علي بن ابي طالب قال ابن هشام والواقدي وكان قد استخلف على المدينة زيد بن حارثة قال ابن اسحاق فرجع رسول الله صلى الله عليه وسلم فاقام جمادى ورجبا وشعبان وقد كان بعث بين يدي ذلك سعدا في ثمانية رهط من المهاجرين فخرج حتى بلغ الخرار من ارض الحجاز ثم رجع ولم يلق كيدا قال ابن هشام ذكر بعض اهل العلم ان بعث سعد هذا كان بعد بعث حمزة هكذا ذكره ابن اسحاق مختصرا وقد تقدم ذكر الواقدي لهذه البعوث الثلاثة اعني بعث حمزة في رمضان وبعث عبيدة في شوال وبعث سعد في ذي القعدة كلها من السنة الاولى وقد قال الامام احمد حدثني عبد المتعالي بن عبد الوهاب حدثني يحيى بن سعيد قال عبد الله بن الامام احمد وحدثني سعيد بن يحيى بن سعيد الاموي ثنا ابي ثنا المجالد عن زياد بن علاقة عن سعد بن ابي وقاص قال لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة جاءته جهينة فقالوا انك قد نزلت بين اظهرنا فاوثق حتى نأتيك وقومنا فاوثق لهم فاسلموا قال فبعثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم في رجب ولا نكون مائة وامرنا ان نغير على حي من بني كنانة الى جنب جهينة فاغرنا عليهم وكانوا كثيرا فلجأنا الى جهينة فمنعونا وقالوا لم تقاتلون في الشهر الحرام فقال بعضنا لبعض ما ترون فقال بعضنا نأتي نبي الله فنخبره وقال قوم لا بل نقيم هاهنا وقلت انا في اناس معي لا بل نأتي عير قريش وكان الفيء اذ ذاك من اخذ شيئا فهو له فانطلقنا الى العير وانطلق اصحابنا الى النبي صلى الله عليه وسلم فاخبروه الخبر فقام غضبان محمر الوجه فقال اذهبتم من عندي جميعا وجئتم متفرقين انما اهلك من كان قبلكم الفرقة لابعثن عليكم رجلا ليس بخيركم اصبركم على الجوع والعطش فبعث علينا عبد الله بن جحش الاسدي فكان اول امير في الاسلام وقد رواه البيهقي في الدلائل من حديث يحيى بن ابي زائدة عن مجالد به نحوه وزاد بعد قولهم للصحابة لم تقاتلون في الشهر الحرام فقالوا نقاتل في الشهر الحرام من اخرجنا من البلد الحرام ثم رواه من حديث ابي اسامة عن مجالد عن زياد بن علاقة عن قطبة بن مالك عن سعد بن ابي وقاص فذكر نحوه فادخل بين سعد وزياد قطبة بن مالك وهذا انسب والله اعلم وهذا الحديث يقتضي ان اول امراء السرايا عبد الله بن جحش الاسدي وهو خلاف ما ذكره ابن اسحاق ان اول الرايات عقدت لعبيدة بن الحرث بن عبد المطلب وللواقدي حيث زعم ان اول الرايات عقدت لحمزة بن عبد المطلب والله اعلم

باب سرية عبد الله بن جحش

التي كانت سببا لغزوة بدر العظمى وذلك يوم الفرقان يوم التقى الجمعان والله على كل شيء قدير قال وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله بن جحش بن رئاب الاسدي في رجب مقفله من بدر الاولى وبعث معه ثمانية رهط من المهاجرين ليس فيهم من الانصار احد وهم ابو حذيفة بن عتبة بن ربيعة وعكاشة بن محصن بن حرثان حليف بني اسد بن خزيمة وعتبة بن غزوان حليف بني نوفل وسعد بن ابي وقاص الزهري وعامر بن ربيعة الوائلي حليف بني عدي وواقد بن عبد الله بن عبد مناف بن عرين بن ثعلبة بن يربوع التميمي حليف بني عدي ايضا وخالد بن البكير احد بني سعد بن ليث حليف بني عدي ايضا وسهيل بن بيضاء الفهري فهؤلاء سبعة ثامنهم اميرهم عبد الله بن جحش رضي الله عنهم وقال يونس عن ابن اسحاق كانوا ثمانية واميرهم التاسع والله اعلم وسيأتي في تسميتهم على خلاف ما قال ابن اسحاق وكتب له كتابا وامره ان لا ينظر فيه حتى يسير يومين ثم ينظر فيه فيمضي لما امره به ولا يستكره من اصحابه احدا فلما سار بهم يومين فتح الكتاب فاذا فيه اذا نظرت في كتابي هذا فامض حتى تنزل نخلة بين مكة والطائف فترصد بها قريشا وتعلم لنا من اخبارهم فلما نظر في الكتاب قال سمعا وطاعة واخبر اصحابه بما في الكتاب وقال قد نهاني ان استكره احدا منكم فمن كان منكم يريد الشهادة ويرغب فيها فلينطلق ومن كره ذلك فليرجع فاما انا فماض لامر رسول الله صلى الله عليه وسلم فمضى ومضى معه اصحابه لم يتخلف منهم احد وسلك على الحجاز حتى اذا كان بمعدن فوق الفرع يقال له بحران اضل سعد بن ابي وقاص وعتبة بن غزوان بعيرا لهما كانا يعتقبانه فتخلفا في طلبه ومضى عبد الله بن جحش وبقية اصحابه حتى نزل نخلة فمرت به عير لقريش تحمل زبيبا وادما وتجارة من تجارة قريش فيها عمرو بن الحضرمي قال ابن هشام واسم الحضرمي عبد الله بن عباد الصدفي قال السهيلي وقيل غير ذلك في نسبه وعثمان بن عبد الله بن المغيرة المخزومي واخوه نوفل والحكم بن كيسان مولى هشام بن المغيرة فلما رآهم القوم هابوهم وقد نزلوا قريبا منهم فاشرف لهم عكاشة بن محصن وكان قد حلق رأسه فلما رأوه امنوا وقالوا عمار لا بأس عليكم منهم وتشاور الصحابة فيهم وذلك في آخر يوم من رجب فقالوا والله لئن تركتم القوم هذه الليلة ليدخلن الحرم فليمتنعن به منكم ولئن قتلتموهم لتقتلنهم في الشهر الحرام فتردد القوم وهابوا الاقدام عليهم ثم شجعوا انفسهم عليهم واجمعوا على قتل من قدروا عليه منهم واخذ ما معهم فرمى واقد بن عبد الله التميمي عمرو بن الحضرمي بسهم فقتله واستأسر عثمان بن عبد الله والحكم بن كيسان وافلت القوم نوفل بن عبد الله فاعجزهم واقبل عبد الله بن جحش واصحابه بالعير والاسيرين حتى قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد ذكر بعض آل عبد الله بن جحش ان عبد الله قال لاصحابه ان لرسول الله صلى الله عليه وسلم مما غنمنا الخمس فعزله وقسم الباقي بين اصحابه وذلك قبل ان ينزل الخمس قال ولما نزل الخمس نزل كما قسمه عبد الله بن جحش كما قاله ابن اسحاق فلما قدموا على رسول الله قال ما امرتكم بقتال في الشهر الحرام فوقف العير والاسيرين وابى ان يأخذ من ذلك شيئا فلما قال ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم سقط في ايدي القوم وظنوا انهم قد هلكوا وعنفهم اخوانهم من المسلمين فيما صنعوا وقالت قريش قد استحل محمد واصحابه الشهر الحرام وسفكوا فيه الدم واخذوا فيه الاموال واسروا فيه الرجال فقال من يرد عليهم من

حـ وكانوا ثلاثة اخوه عمرو وعامر والعلا بن الحضرمي وكان من افاضل الصحابة واختهم الصعبة وهي ام طلحة بن عبيد الله ه م

المسلمين ممن كان بمكة انما اصابوا ما اصابوا في شعبان وقالت يهود تفاءل بذلك على رسول الله صلى الله عليه وسلم عمرو بن الحضرمي قتله واقد بن عبد الله عمرو عمرت الحرب والحضرمي حضرت الحرب وواقد بن عبد الله وقدت الحرب فجعل الله ذلك عليهم لا لهم فلما اكثر الناس في ذلك انزل الله تعالى على رسوله صلى الله عليه وسلم يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه قل قتال فيه كبير وصد عن سبيل الله وكفر به والمسجد الحرام واخراج اهله منه اكبر عند الله والفتنة اكبر من القتل ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم ان استطاعوا اي ان كنتم قتلتم في الشهر الحرام فقد صدوكم عن سبيل الله مع الكفر به وعن المسجد الحرام واخراجكم منه وانتم اهله اكبر عند الله من قتل من قتلتم منهم والفتنة اكبر من القتل اي قد كانوا يفتنون المسلم في دينه حتى يردوه الى الكفر بعد ايمانه فذلك اكبر عند الله من القتل ثم هم مقيمون على اخبث ذلك واعظمه غير تائبين ولا نازعين ولهذا قال ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم ان استطاعوا الاية قال ابن اسحاق فلما نزل القران بهذا من الامر وفرج الله عن المسلمين ما كانوا فيه من الشفق قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم العير والاسيرين وبعثت قريش في فداء عثمان والحكم بن كيسان فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا نفديكموهما حتى يقدم صاحبانا يعني سعد بن ابي وقاص وعتبة بن غزوان فانا نخشاكم عليهما فان تقتلوهما نقتل صاحبيكم فقدم سعد وعتبة فافداهما رسول الله صلى الله عليه وسلم فاما الحكم بن كيسان فاسلم فحسن اسلامه واقام عند رسول الله حتى قتل يوم بئر معونة شهيدا واما عثمان بن عبد الله فلحق بمكة فمات بها كافرا قال ابن اسحاق فلما تجلى عن عبد الله بن جحش واصحابه ما كانوا فيه حين نزل القران طمعوا في الاجر فقالوا يا رسول الله انطمع ان تكون لنا غزوة نعطى فيها اجر المجاهدين فانزل الله فيهم ان الذين امنوا والذين هاجروا وجاهدوا في سبيل الله اولئك يرجون رحمة الله والله غفور رحيم فوضعهم الله من ذلك على اعظم الرجاء قال ابن اسحاق والحديث في ذلك عن الزهري ويزيد بن رومان عن عروة ابن الزبير وهكذا ذكر موسى بن عقبة في مغازيه عن الزهري وكذا روى شعيب عن الزهري عن عروة نحوا من هذا وفيه فكان ابن الحضرمي اول قتيل قتل بين المسلمين والمشركين وقال عبد الملك بن هشام هو اول قتيل قتله المسلمون وهذه اول غنيمة غنمها المسلمون وعثمان والحكم بن كيسان اول من اسره المسلمون قلت وقد تقدم فيما رواه الامام احمد عن سعد بن ابي وقاص انه قال فكان عبد الله بن جحش اول امير في الاسلام وقد ذكرنا في التفسير ما اورد الامام ابن اسحاق شواهد مسنده فمن ذلك ما رواه الحافظ ابو محمد بن ابي حاتم رحمه الله حدثنا ابي ثنا محمد بن ابي بكر المقدمي ثنا المعتمر بن سليمان عن ابيه حدثني الحضرمي عن ابي السوار عن جندب بن عبد الله ان رسول الله بعث رهطا وبعث عليهم ابا عبيدة بن الجراح او عبيدة بن الحارث فلما ذهب ينطلق بكى صبابة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فجلس فبعث عليهم مكانه عبد الله بن جحش وكتب له كتابا وامره ان لا يقراه حتى يبلغ مكان كذا وكذا وقال لا تكرهن احدا على السير معك من اصحابك فلما قرا الكتاب استرجع وقال سمعا وطاعة لله ولرسوله فخبرهم الخبر وقرا عليهم الكتاب فرجع رجلان وبقي بقيتهم فلقوا ابن الحضرمي فقتلوه ولم يدروا ان ذلك اليوم من رجب او من جمادى فقال المشركون للمسلمين قتلتم في الشهر الحرام فانزل الله يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه قل قتال فيه كبير الاية وقال اسماعيل بن عبد

الرحمن

٧ قال عبد الله بن احمد وجدت هذا الحديث في كتاب ابي بخط يده حدثنا عبد المتعال بن عبد الوهاب ثني يحيى بن سعيد قال عبد الله وحدثنا سعيد بن يحيى بن سعيد ثنا ابي ثنا المجالد عن زياد عن سعد بن ابي وقاص قال لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة جاءته جهينة فقالوا انك قد نزلت بين اظهرنا فاوثق لنا فاوثق لهم فاسلموا قال وبعثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم في رجب ولا نكون مائة وامرنا ان نغير على حي من بني كنانة الى جنب جهينة فاغرنا عليهم وكانوا كثيرا فلجانا الى جهينة فمنعونا وقالوا لم تقاتلون في الشهر الحرام فقال بعضنا لبعض ما ترون فقال بعضنا نأتي رسول الله صلى الله عليه وسلم فنخبره وقال بعضنا لا بل نقيم ها هنا وقلت انا في اناس معي لا بل نأتي عير قريش فنقتطعها فانطلقنا الى العير وكان الفيء اذ ذاك من اخذ شيئا فهو له فانطلقنا الى العير وانطلق اصحابنا الى النبي صلى الله عليه وسلم فاخبروه فقام غضبان محمر الوجه فقال اذهبتم من عندي جميعا وجئتم متفرقين انما اهلك من كان قبلكم الفرقة لابعثن عليكم رجلا ليس بخيركم اصبركم على الجوع والعطش فبعث علينا عبد الله بن جحش الاسدي فكان اول امير في الاسلام

الرحمن السدي الكبير في تفسيره عن ابي مالك وعن ابي صالح عن ابن عباس وعن مرة عن ابن مسعود وعن جماعة من الصحابة يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه قل قتال فيه كبير وصد عن سبيل الله وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث سرية وكانوا سبعة نفر عليهم عبد الله بن جحش وفيهم عمار بن ياسر وابو حذيفة بن عتبة بن ربيعة وسعد بن ابي وقاص وعتبة بن غزوان وسهيل بن بيضا وعامر بن فهيرة وواقد بن عبد الله اليربوعي حليف لعمر بن الخطاب وكتب لابن جحش كتابا وامره ان لا يقراه حتى ينزل بطن ملل فلما نزل بطن ملل فتح الكتاب فاذا فيه ان سر حتى تنزل بطن نخلة فقال لاصحابه من كان يريد الموت فليمض وليوص فانني موص وماض لامر رسول الله صلى الله عليه وسلم فسار وتخلف عنه سعد وعتبة اضلا راحلة لهما فاتيا يطلبانها وسار هو واصحابه حتى نزل بطن نخلة فاذا هو بالحكم بن كيسان والمغيرة بن عثمان وعبد الله بن المغيرة فذكر قتل واقد لعمرو بن الحضرمي ورجعوا بالغنيمة والاسيرين فكانت اول غنيمة غنمها المسلمون وقال المشركون ان محمدا يزعم انه يتبع طاعة الله وهو اول من استحل الشهر الحرام وقتل صاحبنا في رجب وقال المسلمون انما قتلناه في جمادى قال السدي وكان قتلهم له في اول ليلة من رجب واخر ليلة من جمادى الاخرة قلت لعل جمادى كان ناقصا فاعتقدوا بقاء الشهر ليلة الثلاثين وقد كان الهلال رئي تلك الليلة والله اعلم وهكذا روى العوفي عن ابن عباس ان ذلك كان في اخر ليلة من جمادى وكانت اول ليلة من رجب ولم يشعروا وكذا تقدم في حديث جندب الذي رواه ابن ابي حاتم وقد تقدم في سياق ابن اسحاق ان ذلك كان في اخر ليلة من رجب وخافوا ان لم يتداركوا هذه الغنيمة وينتهزوا هذه الفرصة دخل اولئك في الحرم فيتعذر عليهم ذلك فاقدموا عليهم عالمين بذلك وكذا قال الزهري عن عروة رواه البيهقي فالله اعلم اي ذلك كان قال الزهري عن عروة فبلغنا ان رسول الله عقل ابن الحضرمي وحرم الشهر الحرام كما كان يحرمه حتى انزل الله براءة رواه البيهقي قال ابن اسحاق فقال ابو بكر الصديق في غزوة عبد الله بن جحش جوابا للمشركين فيما قالوا من احلال الشهر الحرام قال ابن هشام هي لعبد الله بن جحش

تعدون قتلا في الحرام عظيمة ... واعظم منه لو يرى الرشد راشد
صدودكم عما يقول محمد ... وكفر به والله راء وشاهد
واخراجكم من مسجد الله اهله ... لئلا يرى لله في البيت ساجد
فانا وان عيرتمونا بقتله ... وارجف بالاسلام باغ وحاسد
سقينا من ابن الحضرمي رماحنا ... بنخلة لما اوقد الحرب واقد
دما وابن عبد الله عثمان بيننا ... ينازعه غل من القد عاند ٧

فصل في تحويل القبلة في سنة ثنتين من الهجرة قبل وقعة بدر

قال بعضهم كان ذلك في رجب من سنة ثنتين وبه قال قتادة وزيد بن اسلم وهو رواية عن محمد بن اسحاق وقد روى احمد عن ابن عباس ما يدل على ذلك وهو ظاهر حديث البراء بن عازب كما سياتي والله اعلم وقيل في شعبان منها قال ابن اسحاق بعد غزوة عبد الله بن جحش ويقال صرفت القبلة في شعبان على راس ثمانية عشر شهرا من مقدم رسول الله المدينة وحكى هذا القول ابن جرير من طريق السدي بسنده عن ابن عباس وابن مسعود وناس من الصحابة قال الجمهور الاعظم انما صرفت في النصف من شعبان على راس ثمانية عشر شهرا من الهجرة ثم

حكي عن محمد بن سعد عن الواقدي انها حولت يوم الثلثا النصف من شعبان وفي هذا التحديد
نظر والله اعلم وقد تكلمنا على ذلك مستقصى في التفسير عند قوله تعالى قد نرى تقلب وجهك
في السما فلنولينك قبلة ترضاها فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيثما كنتم فولوا وجوهكم
شطره وان الذين اوتوا الكتاب ليعلمون انه الحق من ربهم وما الله بغافل عما تعملون وما
قبلها وما بعدها من اعتراض اليهود والجهلة الطغام على ذلك لانه اول نسخ وقع في الاسلام سفهاء
هنا وقد وطا الله قبل ذلك في سياق القران تقرير جواز النسخ عند قوله ما ننسخ من اية
او ننسها نات بخير منها او مثلها وما بعدها وقد قال البخاري ثنا ابو نعيم سمع زهيرا عن
ابي اسحاق عن البرا ان النبي صلى الله عليه وسلم صلى الى بيت المقدس ستة عشر شهرا او سبعة
عشر شهرا وكان يعجبه ان تكون قبلته الى البيت وانه صلى اول صلاة صلاها الى الكعبة العصر
وصلى معه قوم فخرج رجل ممن كان صلى معه فمر على اهل مسجد وهم راكعون فقال اشهد بالله
لقد صليت مع النبي صلى الله عليه وسلم قبل مكة فداروا كما هم قبل البيت وكان الذي مات
على القبلة قبل ان تحول رجالا قتلوا لم يدر ما يقول فيهم فانزل الله وما كان الله ليضيع ايمانكم
ان الله بالناس لرؤوف رحيم ورواه مسلم من وجه اخر وقال ابن ابي حاتم حدثنا ابو زرعة ثنا
الحسن بن عطية ثنا اسرائيل عن ابي اسحاق عن البرا قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قد صلى نحو بيت المقدس ستة عشر او سبعة عشر شهرا وكان يحب ان يوجه نحو الكعبة فانزل
الله قد نرى تقلب وجهك في السما فلنولينك قبلة ترضاها فول وجهك شطر المسجد الحرام
قال فوجه نحو الكعبة وقال السفها من الناس وهم اليهود ما ولاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها فانزل الله الناس وهم
قل لله المشرق والمغرب يهدي من يشا الى صراط مستقيم وحاصل الامر ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم كان يصلي بمكة الى بيت المقدس والكعبة بين يديه كما رواه الامام احمد عن ابن عباس
رضي الله عنه فلما هاجر الى المدينة لم يمكنه ان يجمع بينهما فصلى الى بيت المقدس اول مقدمه
المدينة واستدبر الكعبة ستة عشر او سبعة عشر شهرا وهذا يقتضي ان يكون ذلك الى رجب
من السنة الثانية والله تعالى اعلم وكان عليه السلام يحب ان تصرف قبلته نحو الكعبة قبلة
ابراهيم فكان يكثر الدعا والتضرع والابتهال الى الله عز وجل فكان مما يرفع يديه وطرفه الى السما
سايلا ذلك فانزل الله عز وجل قد نرى تقلب وجهك في السما فلنولينك قبلة ترضاها فول
وجهك شطر المسجد الحرام الاية فلما نزل الامر بتحويل القبلة خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم
المسلمين واعلمهم بذلك كما رواه النسائي عن ابي سعيد بن المعلى وان ذلك كان وقت الظهر
وقال بعض الناس نزل تحويلها بين الصلاتين قاله مجاهد وغيره ويؤيد ذلك ما ثبت
في الصحيحين عن البرا ان اول صلاة صلاها عليه السلام الى الكعبة العصر والعجب ان اهل بالمدينة
قبا لم يبلغهم ذلك الى صلاة الصبح من اليوم الثاني كما ثبت في الصحيحين عن ابن عمر قال بينما
الناس بقبا في صلاة الصبح اذ جاءهم ات فقال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد انزل
عليه الليلة قران وقد امر ان يستقبل القبلة فاستقبلوها وكانت وجوههم الى الشام فاستداروا
الى الكعبة وفي صحيح مسلم عن انس بن مالك نحو ذلك والمقصود انه لما نزل تحويل القبلة الى
الكعبة ونسخ الله تعالى حكم الصلاة الى بيت المقدس طعن طاعنون من السفها والجهلة الاغبيا
وقالوا ما ولاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها هذا والكفرة من اهل الكتاب يعلمون ان ذلك من الله
لما يجدونه في صفة محمد صلى الله عليه وسلم في كتبهم من ان المدينة مهاجره وانه سيؤمر بالاستقبال

الى الكعبة

الى الكعبة كما قال وان الذين اوتوا الكتاب ليعلمون انه الحق من ربهم الاية وقد اجابهم الله
تعالى مع هذا كله عن سؤالهم وتعنتهم فقال سيقول السفها من الناس ما ولاهم عن قبلتهم
التي كانوا عليها قل لله المشرق والمغرب يهدي من يشا الى صراط مستقيم ويضل من يشا
عن الطريق القويم وله في ذلك الحكمة التي يجب لها الرضى والتسليم ثم قال تعالى وكذلك
جعلناكم امة وسطا اي خيارا لتكونوا شهدا على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا اي وكما
اخترنا لكم افضل الجهات في صلاتكم وهديناكم الى قبلة ابيكم ابراهيم والد الانبيا بعده التي
كان يصلي اليها موسى فمن قبله من المرسلين كذلك جعلناكم خيار الامم وخلاصة العالم واشرف
الطوايف واكرم التالد والطارف لتكونوا يوم القيمة شهدا على الناس لاجماعهم عليكم واشارتهم
يومئذ بالفضيلة عليكم كما ثبت في صحيح البخاري عن ابي سعيد مرفوعا من استشهاد نوح
بهذه الامة يوم القيمة واذا استشهد بهم نوح مع تقدم زمانه فمن بعده بطريق الاولى والاحرى
ثم قال تعالى مبينا حكمته في حلول نقمته بمن شك وارتاب بهذه الواقعة وحلول نعمته على
من صدق وتابع في هذه الكاينة فقال وما جعلنا القبلة التي كنت عليها الا لنعلم من يتبع
الرسول ممن ينقلب على عقبيه قال ابن عباس الا لنرى من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه
وان كانت لكبيرة اي وان كانت هذه الكاينة لعظيمة الموقع كبيرة المحل شديدة الامر الا
على الذين هدى الله اي فهم مؤمنون بها مصدقون لها لا يشكون ولا يرتابون بل يرضون ويسلمون
ويؤمنون ويعلمون لانهم عبيد للحاكم العظيم القادر المقتدر الحكيم الخبير اللطيف العليم
وقوله وما كان الله ليضيع ايمانكم اي بشرعة استقبال بيت المقدس والصلاة اليه
ان الله بالناس لرؤوف رحيم والاحاديث والاثار في هذا كثيرة جدا يطول استقصاوها وذلك
مبسوط في التفسير وسنزيد ذلك بيانا في كتابنا الاحكام الكبير وقد روى الامام احمد حدثنا
علي بن عاصم ثنا حصين بن عبد الرحمن عن عمرو بن قيس عن محمد بن الاشعث عن عايشة قالت
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يعني في اهل الكتاب فانهم لم يحسدونا على شي كما يحسدونا
على يوم الجمعة التي هدانا الله لها وضلوا عنها وعلى القبلة التي هدانا الله لها وضلوا عنها
وعلى قولنا خلف الامام امين

اى هو الاله المتصرف الحاكم الذى لا معقب لحكمه الذى يفعل ما يشاء فى خلقه ويحكم ما يريد فى شرعه وهو الذى يهدى من يشاء الى الصراط المستقيم

فصل في فرضية صوم شهر رمضان

سنة ثنتين قبل وقعة بدر قال ابن جرير وفي هذه السنة فرض صيام شهر رمضان وقد قيل
انه فرض في شعبان منها ثم حكى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قدم المدينة وجد اليهود
يصومون يوم عاشورا فسالهم عنه فقالوا هذا يوم نجى الله فيه موسى فقال نحن احق بموسى
منكم فصامه وامر الناس بصيامه وهذا الحديث ثابت في الصحيحين عن ابن عباس وقد قال
الله تعالى يا ايها الذين امنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون اياما
معدودات فمن كان منكم مريضا او على سفر فعدة من ايام اخر وعلى الذين يطيقونه فدية طعام
مسكين فمن تطوع خيرا فهو خير له وان تصوموا خير لكم ان كنتم تعلمون شهر رمضان الذي انزل
فيه القران هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان فمن شهد منكم الشهر فليصمه ومن كان
مريضا او على سفر فعدة من ايام اخر يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر ولتكملوا العدة
ولتكبروا الله على ما هداكم ولعلكم تشكرون وقد تكلمنا على ذلك في التفسير بما فيه كفاية
من ايراد الاحاديث المتعلقة بذلك والاثار المروية في ذلك والاحكام المستفادة منه ولله الحمد

وقد روى الامام احمد ثنا ابو النضر ثنا المسعودي ثنا عمرو بن مرة عن عبد الرحمن بن ابي ليلى عن معاذ بن جبل قال احيلت الصلاة ثلثة احوال واحيل الصيام ثلاثة احوال فذكر احوال الصلاة قال واما احوال الصيام فان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما قدم المدينة فجعل يصوم من كل شهر ثلاثة ايام وصام عاشورا ثم ان الله فرض عليه الصيام وانزل يا ايها الذين امنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم الى قوله وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين فكان من شاء صام ومن شاء اطعم مسكينا فاجزا ذلك عنه ثم ان الله انزل الاية الاخرى شهر رمضان الذي انزل فيه القران هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان فمن شهد منكم الشهر فليصمه فاثبت الله صيامه على المقيم الصحيح ورخص فيه للمريض والمسافر وثبت الاطعام للكبير الذي لا يستطيع الصيام فهذا حولان قال وكانوا ياكلون ويشربون ويأتون النساء ما لم يناموا فاذا ناموا امتنعوا ثم ان رجلا من الانصار يقال له صرمة كان يعمل صائما حتى امسى فجاء الى اهله فصلى العشا ثم نام فلم ياكل ولم يشرب حتى اصبح فاصبح صائما فراه رسول الله وقد جهد جهدا شديدا فقال ما لي اراك قد جهدت جهدا شديدا فاخبره قال وكان عمر قد اصاب من النسا بعد ما نام فاتى النبي صلى الله عليه وسلم فذكر ذلك له فانزل الله احل لكم ليلة الصيام الرفث الى نسائكم الى قوله ثم اتموا الصيام الى الليل ورواه ابو داود في سننه والحاكم في مستدركه من حديث المسعودي نحوه وفي الصحيحين من حديث الزهري عن عروة عن عايشة انها قالت كان عاشورا يصام فلما نزل رمضان كان من شا صام ومن شا افطر وللبخاري عن ابن مسعود وابن عمر مثله ولتحرير هذا موضع اخر من التفسير ومن الاحكام الكبير وبالله المستعان قال ابن جرير وفي هذه السنة امر الناس بزكوة الفطر وقد قيل ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خطب الناس قبل الفطر بيوم او يومين وامرهم بذلك قال وفيها صلى النبي صلى الله عليه وسلم صلاة العيد وخرج بالناس الى المصلى فكان اول صلاة عيد صلاها وخرجوا بين يديه بالحربة وكانت للزبير وهبها له النجاشي فكانت تحمل بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم في الاعياد قلت وفي هذه السنة فيما ذكره غير واحد من المتاخرين فرضت الزكاة ذات النصب كما سياتي تفصيل ذلك كله بعد وتعين بدر ان شا الله وبه الثقة وعليه التكلان

بسم الله الرحمن الرحيم

غزوة بدر العظمى يوم الفرقان يوم التقى الجمعان

قال الله تعالى ولقد نصركم الله ببدر وانتم اذلة فاتقوا الله لعلكم تشكرون وقال تعالى كما اخرجك ربك من بيتك بالحق وان فريقا من المؤمنين لكارهون يجادلونك في الحق بعد ما تبين كانما يساقون الى الموت وهم ينظرون واذ يعدكم الله احدى الطايفتين انها لكم وتودون ان غير ذات الشوكة تكون لكم ويريد الله ان يحق الحق بكلماته ويقطع دابر الكافرين ليحق الحق ويبطل الباطل ولو كره المجرمون وما بعدها الى تمام القصة من سورة الانفال وقد تكلمنا عليها هنالك وسنورد هاهنا في كل موضع ما يناسبه قال ابن اسحاق رح بعد ذكره سرية عبد الله بن جحش ثم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سمع بابي سفيان صخر بن حرب مقبلا من الشام في عير لقريش عظيمة فيها اموال وتجارة وفيها ثلاثون رجلا او اربعون منهم مخرمة بن نوفل وعمرو بن العاص قال موسى بن عقبة عن الزهري كان ذلك بعد مقتل ابن الحضرمي بشهرين قال وكان في العير الف بعير تحمل اموال قريش بأسرها الا حويطب بن عبد العزى فلهذا تخلف عن بدر قال

ابن اسحاق

ابن اسحاق فحدثني محمد بن مسلم بن شهاب وعاصم بن عمر بن قتادة وعبد الله بن ابي بكر ويزيد بن رومان عن عروة بن الزبير وغيرهم من علمائنا عن ابن عباس كل قد حدثني بعض الحديث فاجتمع حديثهم فيما سقت من حديث بدر قالوا لما سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بابي سفيان مقبلا من الشام ندب المسلمين اليهم وقال هذه عير قريش فيها اموالهم فاخرجوا اليها لعل الله ينفلكموها فانتدب الناس فخف بعضهم وثقل بعضهم وذلك انهم لم يظنوا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يلقى حربا وكان ابو سفيان حين دنا من الحجاز يتجسس الاخبار ويسال من لقي من الركبان تخوفا على اموال الناس حتى اصاب خبرا من بعض الركبان ان محمدا قد استنفر اصحابه لك ولعيرك فحذر عند ذلك فاستاجر ضمضم بن عمرو الغفاري فبعثه الى مكة وامره ان ياتي قريشا فيستنفرهم الى اموالهم ويخبرهم ان محمدا قد عرض لها في اصحابه فخرج ضمضم بن عمرو سريعا الى مكة قال ابن اسحاق فحدثني من لا اتهم عن عكرمة عن ابن عباس ويزيد بن رومان عن عروة بن الزبير قالا وقد رات عاتكة بنت عبد المطلب قبل قدوم ضمضم مكة بثلاث ليال رويا افزعتها فبعثت الى اخيها العباس بن عبد المطلب فقالت له يا اخي والله لقد رايت الليلة رويا لقد افظعتني وتخوفت ان يدخل على قومك منها شر ومصيبة فاكتم علي ما احدثك فقال لها وما رايت قالت رايت راكبا اقبل على بعير له حتى وقف بالابطح ثم صرخ باعلا صوته الا انفروا يا لغدر لمصارعكم في ثلاث فارى الناس اجتمعوا اليه ثم دخل المسجد والناس يتبعونه فبينما هم حوله مثل به بعيره على ظهر الكعبة ثم صرخ بمثلها الا انفروا يا لغدر لمصارعكم في ثلاث ثم مثل به بعيره على راس ابي قبيس فصرخ بمثلها ثم اخذ صخرة فارسلها فاقبلت تهوي حتى اذا كانت باسفل الجبل ارفضت فما بقي بيت من بيوت مكة ولا دار الا دخلتها منها فلقة قال العباس والله ان هذه لرويا رايت فاكتميها لا تذكريها لاحد ثم خرج العباس فلقي الوليد بن عتبة وكان له صديقا فذكرها له واستكتمه اياها فذكرها الوليد لابيه عتبة ففشا الحديث حتى تحدثت به قريش قال العباس فغدوت لاطوف بالبيت وابو جهل بن هشام في رهط من قريش قعود يتحدثون برويا عاتكة فلما راني ابو جهل قال يا ابا الفضل اذا فرغت من طوافك فاقبل الينا فلما فرغت اقبلت حتى جلست معهم فقال ابو جهل يا بني عبد المطلب متى حدثت فيكم هذه النبية قال قلت وما ذاك قال تلك الرويا التي رات عاتكة قال قلت وما رات قال يا بني عبد المطلب اما رضيتم ان تتنبا رجالكم حتى تتنبا نساؤكم فقد زعمت عاتكة في رؤياها انه قال انفروا في ثلاث فسنتربص بكم هذه الثلاث فان يك حقا ما تقول فسيكون وان تمض الثلاث ولم يكن من ذلك شي نكتب عليكم كتابا انكم اكذب اهل بيت في العرب قال العباس فوالله ما كان مني اليه كبير شي الا اني جحدت ذلك وانكرت ان تكون رات شيا قال ثم تفرقنا فلما امسيت لم تبق امراة من بني عبد المطلب الا اتتني فقالت اقررتم لهذا الفاسق الخبيث ان يقع في رجالكم ثم قد تناول النساء وانت تسمع ثم لم يكن عندك غير لشي مما سمعت قال قلت قد والله ما فعلت ما كان مني اليه من كبير ثمه ايم الله لاتعرضن له فان عاد لاكفينكنه قال فغدوت في اليوم الثالث من رويا عاتكة وانا حديد مغضب ارى اني قد فاتني منه امر احب ان ادركه منه قال فدخلت المسجد فرايته فوالله اني لامشي نحوه اتعرضه ليعود لبعض ما قال فاقع به وكان رجلا خفيفا حديد الوجه حديد اللسان حديد النظر قال اذ خرج نحو باب المسجد يشتد قال قلت في نفسي ما له لعنه الله اكل هذا فرق مني ان اشاتمه قال واذا هو قد سمع ما لم اسمع صوت ضمضم بن عمرو

الغفاري وهو يصرخ ببطن الوادي واقفا على بعيره قد جدع بعيره وحول رحله وشق قميصه وهو يقول يا معشر قريش اللطيمة اللطيمة اموالكم مع ابي سفيان قد عرض لها محمد في اصحابه لا ارى ان تدركوها الغوث الغوث قال فشغلني عنه وشغلهم عني ما جاء من الامر فتجهز الناس سراعا وقالوا ايظن محمد واصحابه ان يكون كعير ابن الحضرمي والله ليعلمن غير ذلك وذكر موسى ابن عقبة رؤيا عاتكة كنحو من سياق ابن اسحاق قال فلما جاء ضمضم بن عمرو على تلك الصفة خافوا من رؤيا عاتكة فخرجوا على الصعب والذلول قال ابن اسحاق فكانوا بين رجلين اما خارج واما باعث مكانه رجلا واوعبت قريش فلم يتخلف من اشرافها احد الا ان ابا لهب بن عبد المطلب بعث مكانه العاص بن هشام بن المغيرة استأجره باربعة آلاف درهم كانت له عليه قد افلس بها قال ابن اسحاق وحدثني ابن ابي نجيح ان امية بن خلف كان قد اجمع القعود وكان شيخا جليلا جسيما ثقيلا فأتاه عقبة بن ابي معيط وهو جالس في المسجد بين ظهري قومه بمجمرة يحملها فيها نار ومجمر حتى وضعها بين يديه ثم قال يا ابا علي استجمر فانما انت من النساء قال قبحك الله وقبح ما جئت به قال ثم تجهز وخرج مع الناس هكذا قال ابن اسحاق في هذه القصة وقد رواه البخاري على نحو آخر فقال حدثنا احمد بن عثمان ثنا شريح بن مسلمة حدثنا ابراهيم بن يوسف عن ابيه عن ابي اسحاق حدثني عمرو بن ميمون انه سمع عبد الله بن مسعود حدث عن سعد بن معاذ انه كان صديقا لامية بن خلف وكان امية اذا مر بالمدينة نزل على سعد ابن معاذ وكان سعد اذا مر بمكة نزل على امية فلما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة انطلق سعد بن معاذ معتمرا فنزل على امية بمكة فقال لامية انظر لي ساعة خلوة لعلي اطوف بالبيت فخرج به قريبا من نصف النهار فلقيهما ابو جهل فقال يا ابا صفوان من هذا معك فقال هذا سعد فقال له ابو جهل الا اراك تطوف بمكة آمنا وقد آويتم الصباة وزعمتم انكم تنصرونهم وتعينونهم اما والله لولا انك مع ابي صفوان ما رجعت الى اهلك سالما فقال له سعد ورفع صوته عليه اما والله لئن منعتني هذا لامنعنك ما هو اشد عليك منه طريقك على المدينة فقال له امية لا ترفع صوتك يا سعد على ابي الحكم فانه سيد اهل الوادي فقال سعد دعنا عنك يا امية فوالله لقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول انهم قاتلوك قال بمكة قال لا ادري ففزع لذلك امية فزعا شديدا فلما رجع الى اهله قال يا ام صفوان الم تري الى ما قال لي سعد قالت وما قال لك قال زعم ان محمدا اخبرهم انهم قاتلي فقلت له بمكة قال لا ادري قال امية والله لا اخرج من مكة فلما كان يوم بدر استنفر ابو جهل الناس فقال ادركوا عيركم فكره امية ان يخرج فأتاه ابو جهل فقال يا ابا صفوان انك متى يراك الناس قد تخلفت وانت سيد اهل الوادي تخلفوا معك فلم يزل به ابو جهل حتى قال اما اذ قد غلبتني فوالله لاشترين اجود بعير بمكة ثم قال امية يا ام صفوان جهزيني فقالت له يا ابا صفوان وقد نسيت ما قال لك اخوك اليثربي قال لا ما اريد ان اجوز معهم الا قريبا فلما خرج امية اخذ لا ينزل منزلا الا عقل بعيره فلم يزل كذلك حتى قتله الله ببدر وقد رواه البخاري في موضع آخر عن احمد بن اسحاق عن عبيد الله بن موسى عن اسرائيل عن ابي اسحاق به نحوه تفرد به البخاري وقد رواه الامام احمد عن خلف بن الوليد وعن ابي سعيد كلاهما عن اسرائيل به وفي رواية اسرائيل فقالت له امرأته والله ان محمدا لا يكذب قال ابن اسحاق ولما فرغوا من جهازهم واجمعوا المسير ذكروا ما كان بينهم وبين بني بكر بن عبد مناة بن كنانة بن الحرث فقالوا انا نخشى ان يأتونا من خلفنا وكانت

الحرب التي كانت بين قريش وبني بكر في ابن لحفص بن الاخيف من بني عامر بن لؤي قتله رجل من بني بكر باشارة عامر بن يزيد بن عامر بن الملوح ثم اخذ بثاره اخوه مكرز بن حفص فقتل عامرا وخاض بسيفه في بطنه ثم جاء فعلقه من الليل في استار الكعبة فخافوهم بسبب ذلك الذي وقع بينهم قال ابن اسحاق فحدثني يزيد بن رومان عن عروة بن الزبير قال لما اجمعت قريش المسير ذكرت الذي كان بينها وبين بني بكر فكاد ذلك ان يثنيهم فتبدى لهم ابليس في صورة سراقة بن مالك ابن جعشم المدلجي وكان من اشراف بني كنانة فقال انا لكم جار من ان تأتيكم كنانة من خلفكم بشيء تكرهونه فخرجوا سراعا قلت وهذا معنى قوله تعالى ولا تكونوا كالذين خرجوا من ديارهم بطرا ورئاء الناس ويصدون عن سبيل الله والله بما يعملون محيط واذ زين لهم الشيطان اعمالهم وقال لا غالب لكم اليوم من الناس واني جار لكم فلما تراءت الفئتان نكص على عقبيه وقال اني بريء منكم اني ارى ما لا ترون اني اخاف الله والله شديد العقاب غرهم لعنه الله حتى ساروا وسار معهم منزلة منزلة ومعه جنوده ورايته كما قاله غير واحد منهم فاسلمهم لمصارعهم فلما رأى الجد والملائكة تنزل للنصر وعاين جبريل نكص على عقبيه وقال اني بريء منكم اني ارى ما لا ترون اني اخاف الله وهذا كقوله تعالى كمثل الشيطان اذ قال للانسان اكفر فلما كفر قال اني بريء منك اني اخاف الله رب العالمين وقد قال تعالى وقل جاء الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقا فابليس لعنه الله لما عاين الملائكة يومئذ تنزل للنصر فر ذاهبا فكان اول من هرب يومئذ بعد ان كان هو المشجع لهم المجير لهم كما غرهم ووعدهم ومناهم وما يعدهم الشيطان الا غرورا وقال يونس عن ابن اسحاق خرجت قريش على الصعب والذلول في تسعمائة وخمسين مقاتلا معهم مائتا فرس يقودونها ومعهم القيان يضربن بالدفوف ويغنين بهجاء المسلمين وذكر المطعمين لقريش يوما يوما وذكر الاموي ان اول من نحر لهم حين خرجوا من مكة ابو جهل نحر لهم عشرا ثم نحر لهم امية بن خلف بعسفان تسعا ونحر لهم سهيل بن عمرو بقديد عشرا ومالوا من قديد الى مياه نحو البحر فظلوا فيها واقاموا بها يوما فنحر لهم شيبة بن ربيعة تسعا ثم اصبحوا بالجحفة فنحر لهم يومئذ عتبة بن ربيعة عشرا ثم اصبحوا بالابواء فنحر لهم نبيه ومنبه ابنا الحجاج عشرا ونحر لهم العباس بن عبد المطلب عشرا ونحر لهم على ماء بدر ابو البختري عشرا ثم اكلوا من ازوادهم قال الاموي ثنا ابي ثنا ابو بكر الهذلي قال كان مع المشركين ستون فرسا وستمائة درع وكان مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فرسان وستون درعا هذا ما كان من امر هؤلاء في نفيرهم من مكة ومسيرهم الى بدر واما رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ابن اسحاق وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في ليال مضت من شهر رمضان في اصحابه واستعمل ابن ام مكتوم على الصلاة بالناس ورد ابا لبابة من الروحاء واستعمله على المدينة ودفع اللواء الى مصعب بن عمير وكان ابيض وبين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم رايتان سوداوان احداهما مع علي بن ابي طالب يقال لها العقاب والاخرى مع بعض الانصار قال ابن هشام كانت راية الانصار مع سعد بن معاذ وقال الاموي كانت مع الحباب بن المنذر قال ابن اسحاق وجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم على الساقة قيس بن ابي صعصعة اخا بني مازن بن النجار وقال الاموي وكان معهم فرسان على احدهما مصعب بن عمير وعلى الاخرى الزبير بن العوام ومرة سعد بن خيثمة ومرة المقداد بن الاسود وقد روى الامام احمد من حديث ابي اسحاق عن حارثة بن مضرب عن علي قال ما كان فينا فارس يوم بدر غير المقداد وروى البيهقي من طريق ابن وهب عن ابي صخر عن ابي معاوية البجلي عن سعيد بن جبير عن ابن عباس انه قال

قال لم ما كان معنا الا فرسان فرس للزبير وفرس للمقداد بن الاسود يعني يوم بدر وقال الاموي
ثنا ابي ثنا اسماعيل بن ابي خالد عن البهي قال كان مع رسول الله يوم بدر فارسان الزبير بن العوام
على الميمنة والمقداد بن الاسود على الميسرة قال ابن اسحاق وكان معهم سبعون بعيرا يعتقبونها
فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلي ومرثد بن ابي مرثد يعتقبون بعيرا وكان حمزة وزيد
ابن حارثة وابو كبشة وانيسة يعتقبون بعيرا كذا قال ابن اسحاق رح وقد قال الامام احمد حدثنا
عفان ثنا حماد بن سلمة ثنا عاصم بن بهدلة عن زر بن حبيش عن عبد الله بن مسعود قال
كنا يوم بدر كل ثلاثة على بعير كان ابو لبابة وعلي زميلي رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
فكانت عقبة رسول الله فقالا نحن نمشي عنك فقال ما انتما باقوى مني ولا انا باغنى عن الاجر
منكما وقد رواه النسائي عن الفلاس عن ابن مهدي عن حماد بن سلمة به قلت ولعل هذا كان قبل ان
يرد ابا لبابة من الروحاء ثم كان زميلاه علي ومرثد بدل ابي لبابة والله اعلم وقال الامام
احمد ثنا جعفر ثنا سعيد عن قتادة عن زرارة بن اوفى عن سعد بن هشام عن عائشة ان رسول محمد بن
الله صلى الله عليه وسلم امر بالاجراس ان تقطع من اعناق الابل يوم بدر وهذا على شرط الصحيحين
واما رواه النسائي عن ابي الاشعث عن خالد بن الحرث عن سعيد بن ابي عروبة عن قتادة به
قال شيخنا الحافظ المزي في الاطراف وتابعه سعيد بن بشير عن قتادة عن زرارة عن ابي
هريرة فالله اعلم وقال البخاري حدثنا يحيى بن بكير ثنا الليث عن عقيل عن ابن شهاب
عن عبد الرحمن بن عبد الله بن كعب بن مالك ان عبد الله بن كعب قال سمعت كعب بن مالك
يقول لم اتخلف عن رسول الله في غزوة غزاها الا في غزوة تبوك غير اني تخلفت عن غزوة
بدر ولم يعاتب الله احدا تخلف عنها انما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم يريد عير قريش
حتى جمع الله بينهم وبين عدوهم تفرد به قال ابن اسحاق فسلك رسول الله صلى الله عليه على غير ميعاد
وسلم طريقه من المدينة الى مكة على نقب المدينة ثم على العقيق ثم على ذي الحليفة ثم على
اولات الجيش ثم على تربان ثم على ملل ثم على غميس الحمام ثم على صخيرات اليمام ثم على السيالة
ثم على فج الروحاء ثم على شنوكة وهي الطريق المعتدلة حتى اذا كان بعرق الظبية لقوا رجلا
من الاعراب فسألوه عن الناس فلم يجدوا عنده خبرا فقال له الناس سلم على رسول الله صلى
الله عليه وسلم قال اوفيكم رسول الله قالوا نعم فسلم عليه ثم قال ان كنت رسول الله فاخبرني
عما في بطن ناقتي هذه قال له سلمة بن سلامة بن وقش لا تسأل رسول الله واقبل علي فانا اخبرك
عن ذلك نزوت عليها ففي بطنها منك سخلة فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم
مه افحشت على الرجل ثم اعرض عن سلمة ونزل رسول الله صلى الله عليه وسلم سجسج وهي بير
الروحاء ثم ارتحل منها حتى اذا كان منها بالمنصرف ترك طريق مكة بيسار وسلك ذات اليمين
على النازية يريد بدرا فسلك في ناحية منها حتى جزع واديا يقال له رحقان بين النازية
وبين مضيق الصفراء ثم على المضيق ثم انصب منه حتى اذا كان قريبا من الصفراء بعث بسبس
ابن عمرو الجهني حليف بني ساعدة وعدي بن ابي الزغباء حليف بني النجار الى بدر يتحسسان له
الاخبار عن ابي سفيان بن حرب وغيره وقال موسى بن عقبة بعثهما قبل ان يخرج من المدينة
فلما رجعا اخبراه بخبر العير فاستنفر الناس اليها فان كان ما ذكره موسى بن عقبة وابن اسحاق محفوظا
فقد بعثهما مرتين والله اعلم قال ابن اسحاق رح ثم ارتحل رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد
قدمهما فلما استقبل الصفراء وهي قرية بين جبلين سأل عن جبليها ما اسماهما فقالوا يقال

لاحدهما

370

لاحدهما مسلح وللآخر مخرئ وسأل عن اهلهما فقيل بنو النار وبنو حراق بطنان من بني غفار فكرههما
رسول الله والمرور بينهما وتفاءل باسمائهما واسماء اهلهما فتركهما والصفراء بيسار وسلك ذات
اليمين على واد يقال له ذفران فجزع فيه ثم نزل واتاه الخبر عن قريش ومسيرهم ليمنعوا عيرهم
فاستشار الناس واخبرهم عن قريش فقام ابو بكر الصديق فقال واحسن ثم قام عمر بن الخطاب
فقال واحسن ثم قام المقداد بن عمرو فقال يا رسول الله امض لما اراك الله فنحن معك
والله لا نقول لك كما قالت بنو اسرائيل لموسى اذهب انت وربك فقاتلا انا هاهنا قاعدون
ولكن اذهب انت وربك فقاتلا انا معكما مقاتلون فوالذي بعثك بالحق لو سرت بنا الى برك
الغماد لجالدنا معك من دونه حتى تبلغه فقال له رسول الله خيرا ودعا له ثم قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم خيرا ودعا له اشيروا علي ايها الناس وانما يريد الانصار وذلك انهم كانوا
عدد الناس وانهم حين بايعوه بالعقبة قالوا يا رسول الله انا براء من ذمامك حتى تصل
الى ديارنا فاذا وصلت الينا فانت في ذمتنا نمنعك مما نمنع منه ابناءنا ونساءنا فكان رسول
الله صلى الله عليه وسلم يتخوف ان لا يكون الانصار ترى عليها نصره الا ممن دهمه بالمدينة
من عدوه وان ليس عليهم ان يسير بهم الى عدو من بلادهم فلما قال ذلك رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال له سعد بن معاذ والله لكأنك تريدنا يا رسول الله قال اجل قال فقد امنا بك
وصدقناك وشهدنا ان ما جئت به هو الحق واعطيناك على ذلك عهودنا ومواثيقنا على السمع
والطاعة لك فامض يا رسول الله لما اردت فنحن معك فوالذي بعثك بالحق لو استعرضت
بنا البحر فخضته لخضناه معك ما تخلف منا رجل واحد وما نكره ان يلقى بنا عدونا غدا انا
لصبر في الحرب صدق عند اللقاء لعل الله يريك منا ما تقر به عينك فسر على بركة الله قال
فسر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقول سعد ونشطه ثم قال سيروا وابشروا فان الله
قد وعدني احدى الطائفتين والله لكأني الآن انظر الى مصارع القوم هكذا ذكر ابن اسحاق
رح وله شواهد من وجوه كثيرة فمن ذلك ما رواه البخاري في صحيحه حدثنا ابو نعيم ثنا
اسرائيل عن مخارق عن طارق بن شهاب قال سمعت ابن مسعود يقول شهدت من المقداد بن
الاسود مشهدا لان اكون صاحبه احب الي مما عدل به اتى النبي صلى الله عليه وسلم وهو يدعو
على المشركين فقال لا نقول كما قال قوم موسى اذهب انت وربك فقاتلا انا هاهنا قاعدون
ولكن نقاتل عن يمينك وعن شمالك وبين يديك وخلفك فرأيت النبي صلى الله عليه وسلم
اشرق وجهه وسره انفرد به البخاري دون مسلم فرواه في مواضع من صحيحه من حديث مخارق به
ورواه النسائي من حديثه وعنده جاء المقداد يوم بدر على فرس فذكره وقال الامام احمد ثنا
عبيدة هو ابن حميد عن حميد الطويل عن انس قال استشار النبي صلى الله عليه وسلم مخرجه
الى بدر فاشار عليه ابو بكر ثم استشارهم فاشار عليه عمر ثم استشارهم فقال بعض
الانصار اياكم يريد رسول الله صلى الله عليه وسلم يا معشر الانصار فقال بعض الانصار يا نبي
الله اذا لا نقول كما قالت بنو اسرائيل اذهب انت وربك فقاتلا انا هاهنا قاعدون ولكن
والذي بعثك بالحق لو ضربت اكبادها الى برك الغماد لاتبعناك وهذا الاسناد ثلاثي على
شرط الصحيح وقال احمد ايضا ثنا عفان ثنا حماد عن ثابت عن انس بن مالك ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم شاور حيث بلغه اقبال ابي سفيان قال فتكلم ابو بكر فاعرض عنه ثم تكلم عمر
فاعرض عنه فقال سعد بن عبادة ايانا يريد رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي نفسي

بيده لو امرتنا ان نخيضها البحار لاخضناها ولو امرتنا ان نضرب اكبادها الى برك الغماد
لفعلنا فندب رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس قال فانطلقوا حتى نزلوا بدرا ووردت
عليهم روايا قريش وفيهم غلام اسود لبني الحجاج فاخذوه وكان اصحاب رسول الله يسالونه عن
ابي سفيان واصحابه فيقول ما لي علم بابي سفيان ولكن هذا ابو جهل بن هشام وعتبة بن ربيعة
وامية بن خلف فاذا قال ذلك ضربوه فاذا ضربوه قال نعم انا اخبركم هذا ابو سفيان
فاذا تركوه فسالوه قال ما لي بابي سفيان علم ولكن هذا ابو جهل وعتبة وشيبة وامية فاذا
قال هذا ايضا ضربوه ورسول الله صلى الله عليه وسلم قائم يصلي فلما راى ذلك انصرف
فقال والذي نفسي بيده انكم لتضربونه اذا صدقكم وتتركونه اذا كذبكم قال وقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم هذا مصرع فلان يضع يده على الارض ههنا وههنا فما اماط احدهم عن
موضع يد رسول الله صلى الله عليه وسلم ورواه مسلم عن ابي بكر عن عفان به نحوه وقد روى
ابن ابي حاتم في تفسيره وابن مردويه واللفظ له من طريق عبد الله بن لهيعة عن يزيد بن
ابي حبيب عن اسلم ابي عمران انه سمع ابا ايوب الانصاري يقول قال لنا رسول الله صلى الله عليه
وسلم ونحن بالمدينة اني اخبرت عن عير ابي سفيان انها مقبلة فهل لكم ان نخرج قبل هذه
العير لعل الله يغنمناها فقلنا نعم فخرج وخرجنا فلما سرنا يوما او يومين قال لنا
ما ترون في القوم فانهم قد اخبروا بمخرجكم فقلنا لا والله ما لنا طاقة بقتال العدو ولكنا
اردنا العير ثم قال ما ترون في قتال القوم فقلنا مثل ذلك فقال المقداد بن عمرو اذًا لا نقول
لك يا رسول الله كما قال قوم موسى لموسى اذهب انت وربك فقاتلا انا ههنا قاعدون قال فتمنينا
معشر الانصار لو انا قلنا كما قال المقداد احب لنا من ان يكون لنا مال عظيم قال فانزل الله على
رسوله كما اخرجك ربك من بيتك بالحق وان فريقا من المؤمنين لكارهون وذكر تمام الحديث وروى
ابن مردويه ايضا من طريق محمد بن عمرو بن علقمة بن وقاص الليثي عن ابيه عن جده قال خرج
رسول الله صلى الله عليه وسلم الى بدر حتى اذا كان بالروحاء خطب الناس فقال كيف ترون
فقال ابو بكر يا رسول الله بلغنا انهم بكذا وكذا قال ثم خطب الناس فقال كيف ترون فقال
عمر مثل قول ابي بكر ثم خطب الناس فقال كيف ترون فقال سعد بن معاذ ايانا تريد فوالذي اكرمك
وانزل عليك الكتاب ما سلكتها قط ولا لي بها علم ولئن سرت حتى تاتي برك الغماد من ذي يمن لنسيرن
معك ولا نكون كالذين قالوا لموسى اذهب انت وربك فقاتلا انا ههنا قاعدون ولكن اذهب
انت وربك فقاتلا انا معكم متبعون ولعلك ان تكون خرجت لامر واحدث الله اليك
غيره فانظر الذي احدث الله اليك فامض له فصل حبال من شئت واقطع حبال من شئت
وعاد من شئت وسالم من شئت وخذ من اموالنا ما شئت فنزل القران على قول سعد كما اخرجك
ربك من بيتك بالحق وان فريقا من المؤمنين لكارهون الايات وذكره الاموي في مغازيه وزاد
بعد قوله وخذ من اموالنا ما شئت واعطنا ما شئت وما اخذت منا كان احب الينا مما
تركت وما امرت به من امر فامرنا تبع لامرك فوالله لئن سرت حتى تبلغ البرك من غمدان لنسيرن
معك قال ابن اسحاق ثم ارتحل رسول الله صلى الله عليه وسلم من ذفران فسلك على ثنايا
يقال لها الاصافر ثم انحط منها الى بلد يقال له الدبة وترك الحنان بيمين وهو كثيب عظيم
كالجبل العظيم ثم نزل قريبا من بدر فركب هو ورجل من اصحابه قال ابن هشام هو ابو بكر قال
ابن اسحاق كما حدثني محمد بن يحيى بن حبان حتى وقف على شيخ من العرب فسأله عن قريش وعن محمد

واصحابه

واصحابه وما بلغه عنهم فقال الشيخ لا اخبركما حتى تخبراني ممن انتما فقال له رسول الله اذا
اخبرتنا اخبرناك فقال اوذاك بذاك قال نعم قال الشيخ فانه بلغني ان محمدا واصحابه خرجوا
يوم كذا وكذا فان كان صدق الذي اخبرني فهو اليوم بمكان كذا وكذا للمكان الذي به رسول
الله صلى الله عليه وسلم وبلغني ان قريشا خرجوا يوم كذا وكذا فان كان الذي اخبرني صدقني
فهم اليوم بمكان كذا وكذا للمكان الذي به قريش فلما فرغ من خبره قال ممن انتما فقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم نحن من ماء ثم انصرف عنه قال يقول الشيخ من ماء امن ماء العراق
قال ابن هشام يقال لهذا الشيخ سفيان الضمري قال ابن اسحاق ثم رجع رسول الله صلى
الله عليه وسلم الى اصحابه فلما امسى بعث علي بن ابي طالب والزبير بن العوام وسعد
بن ابي وقاص في نفر من اصحابه الى ماء بدر يلتمسون الخبر له كما حدثني يزيد بن رومان عن عروة
بن الزبير فاصابوا راوية لقريش فيها اسلم غلام بني الحجاج وعريض ابو يسار غلام بني
العاص بن سعيد فاتوا بهما فسالوهما ورسول الله قائم يصلي فقالا نحن سقاة قريش بعثونا
نسقيهم من الماء فكره القوم خبرهما ورجوا ان يكونا لابي سفيان فضربوهما فلما اذلقوهما قالا
نحن لابي سفيان فتركوهما وركع رسول الله صلى الله عليه وسلم وسجد سجدتيه وسلم وقال
اذا صدقاكم ضربتموهما واذا كذباكم تركتموهما صدقا والله انهما لقريش اخبراني عن قريش
قالا هم وراء هذا الكثيب الذي ترى بالعدوة القصوى والكثيب العقنقل فقال لهما
رسول الله صلى الله عليه وسلم كم القوم قالا كثير قال ما عدتهم قالا لا ندري قال كم ينحرون
كل يوم قالا يوما تسعا ويوما عشرا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم القوم ما بين
التسعمائة الى الالف ثم قال لهما فمن فيهم من اشراف قريش قالا عتبة بن ربيعة وشيبة
بن ربيعة وابو البختري بن هشام وحكيم بن حزام ونوفل بن خويلد والحرث بن عامر بن نوفل
وطعيمة بن عدي بن نوفل والنضر بن الحرث وزمعة بن الاسود وابو جهل بن هشام وامية بن
خلف ونبيه ومنبه ابنا الحجاج وسهيل بن عمرو وعمرو بن عبد ود فاقبل رسول الله صلى
الله عليه وسلم على الناس فقال هذه مكة قد القت اليكم افلاذ كبدها قال ابن اسحاق
وكان بسبس بن عمرو وعدي بن ابي الزغباء قد مضيا حتى نزلا بدرا فاناخا الى تل قريب
من الماء ثم اخذا شنا لهما يستقيان فيه ومجدي بن عمرو الجهني على الماء فسمع عدي وبسبس
جاريتين من جواري الحاضر وهما يتلازمان على الماء والملزومة تقول لصاحبتها انما تاتي
العير غدا او بعد غد فاعمل لهم ثم اقضيك الذي لك قال مجدي صدقت ثم خلص بينهما
وسمع ذلك عدي وبسبس فجلسا على بعيريهما ثم انطلقا حتى اتيا رسول الله صلى الله
عليه وسلم واخبراه بما سمعا واقبل ابو سفيان حتى تقدم العير حذرا حتى ورد الماء فقال
لمجدي بن عمرو هل احسست احدا قال ما رايت احدا انكره الا اني قد رايت راكبين قد اناخا
الى هذا التل ثم استقيا في شن لهما ثم انطلقا فاتى ابو سفيان مناخهما فاخذ من
ابعار بعيريهما ففته فاذا فيه النوى فقال هذه والله علائف يثرب فرجع الى اصحابه
سريعا فضرب وجه عيره عن الطريق فساحل بها وترك بدرا بيسار وانطلق حتى اسرع
واقبلت قريش فلما نزلوا الجحفة راى جهيم بن الصلت بن مخرمة بن المطلب بن عبد مناف
رؤيا فقال اني فيما يرى النائم واني لبين النائم واليقظان اذ نظرت الى رجل قد اقبل
على فرس حتى وقف ومعه بعير له ثم قال قتل عتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة وابو الحكم

بن هشام وامية بن خلف وفلان وفلان فعدد رجالا ممن قتل يوم بدر من اشراف قريش ثم
رايته ضرب في لبة بعيره ثم ارسله في العسكر فما بقي خباء من اخبية العسكر الا اصابه نضح
من دمه فبلغنا ابا جهل لعنه الله فقال وهذا ايضا نبي آخر من بني عبد المطلب سيعلم غدا من المقتول
ان نحن التقينا قال ابن اسحاق ولما راى ابو سفيان انه قد احرز عيره ارسل الى قريش انكم
انما خرجتم لتمنعوا عيركم ورجالكم واموالكم فقد نجاها الله فارجعوا فقال ابو جهل بن هشام
والله لا نرجع حتى نرد بدرا وكان بدر موسما من مواسم العرب يجتمع لهم به سوق كل عام فنقيم
عليه ثلاثا فننحر الجزور ونطعم الطعام ونسقي الخمر وتعزف علينا القيان وتسمع بنا العرب
وبمسيرنا وجمعنا فلا يزالون يهابوننا ابدا فامضوا وقال الاخنس بن شريق بن عمرو بن وهب
الثقفي وكان حليفا لبني زهرة وهم بالجحفة يا بني زهرة قد نجى الله لكم اموالكم وخلص
لكم صاحبكم مخرمة بن نوفل وانما نفرتم لتمنعوه وماله فاجعلوا بي جبنها وارجعوا فانه
لا حاجة لكم بان تخرجوا في غير ضيعة لا ما يقول هذا قال فرجعوا فلم يشهدها زهري واحد
اطاعوه وكان فيهم مطاعا ولم يكن بقي بطن من قريش الا وقد نفر منهم ناس الا بني عدي لم يخرج
منهم رجل واحد فرجعت بنو زهرة مع الاخنس فلم يشهد بدرا من هاتين القبيلتين احد قال
ومضى القوم وكان بين طالب بن ابي طالب وكان في القوم وبين بعض قريش محاورة فقالوا
والله لقد عرفنا يا بني هاشم وان خرجتم معنا ان هواكم مع محمد فرجع طالب الى مكة مع من
رجع وقال في ذلك

لاهم اما يغزون طالب * في عصبة مخالف محارب *
في مقنب من هذه المقانب * فليكن المسلوب غير السالب *
وليكن المغلوب غير الغالب * قال ابن اسحاق ومضت قريش حتى نزلوا بالعدوة
القصوى من الوادي خلف العقنقل وبطن الوادي وهو يليل بين بدر وبين العقنقل الكثيب
الذي خلفه والقليب ببدر في العدوة الدنيا من بطن يليل الى المدينة قلت وفي هذا
قال الله تعالى اذ انتم بالعدوة الدنيا وهم بالعدوة القصوى والركب اسفل منكم ولو تواعدتم — اي من ناحية الساحل
لاختلفتم في الميعاد ولكن ليقضي الله امرا كان مفعولا الايات وبعث الله السماء وكان الوادي
دهسا فاصاب رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه منها ما لبد لهم الارض ولم يمنعهم
من المسير واصاب قريشا منها ما لم يقدروا على ان يرتحلوا معه قلت وفي هذا قوله تعالى
وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به ويذهب عنكم رجز الشيطان وليربط على قلوبكم ويثبت
به الاقدام فذكر انه طهرهم ظاهرا وباطنا وانه ثبت اقدامهم وشجع قلوبهم واذهب عنهم
تخذيل الشيطان وتخويفه للنفوس ووسوسته للخواطر وهذا تثبيت الباطن والظاهر
وانزل النصر عليهم من فوقهم في قوله اذ يوحي ربك الى الملائكة اني معكم فثبتوا الذين امنوا سالقي
في قلوب الذين كفروا الرعب فاضربوا فوق الاعناق واضربوا منهم كل بنان ذلك بانهم شاقوا — اي على الرؤوس م
الله ورسوله ومن يشاقق الله ورسوله فان الله شديد العقاب ذلكم فذوقوه وان للكافرين
عذاب النار قال ابن جرير حدثني هارون بن اسحاق ثنا مصعب بن المقدام ثنا اسرائيل
ثنا ابو اسحاق عن حارثة عن علي بن ابي طالب قال اصابنا من الليل طش من المطر يعني الليلة
التي كانت صبيحتها وقعة بدر فانطلقنا تحت الشجر والحجف نستظل تحتها من المطر وبات
رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو ربه يصلي ويحرض على القتال وقال الامام احمد

ثنا عبد الرحمن

ثنا عبد الرحمن بن مهدي عن شعبة عن ابي اسحاق عن حارثة بن مضرب عن علي قال ما كان
فينا فارس يوم بدر غير المقداد ولقد رايتنا وما فينا الا نائم الا رسول الله تحت شجرة يصلي
ويبكي حتى اصبح وسياتي هذا الحديث مطولا ورواه النسائي عن بندار عن غندر عن
شعبة به وقال مجاهد انزل عليهم المطر فاطفا به الغبار وتلبدت به الارض وطابت به
انفسهم وثبتت به اقدامهم قلت وكانت ليلة بدر ليلة الجمعة السابعة عشرة من
شهر رمضان سنة اثنتين من الهجرة وقد بات رسول الله صلى الله عليه وسلم تلك الليلة
يصلي الى جذم شجرة هناك ويكثر في سجوده ان يقول يا حي يا قيوم يكرر ذلك ويلظ بها عليه
السلام قال ابن اسحاق فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم يبادرهم الى الماء حتى اذا جاء
ادنى ماء من بدر نزل به فقال ابن اسحاق فحدثت عن رجال من بني سلمة انهم ذكروا ان الحباب
ابن المنذر بن الجموح قال يا رسول الله ارايت هذا المنزل امنزلا انزلكه الله ليس لنا ان
نتقدمه ولا نتاخر عنه ام هو الراي والحرب والمكيدة قال بل هو الراي والحرب والمكيدة قال — الراي صح
يا رسول الله فان هذا ليس بمنزل فانهض بالناس حتى ناتي ادنى ماء من القوم فننزله ثم نغور
ما وراءه من القلب ثم نبني عليه حوضا فنملاه ماء ثم نقاتل القوم فنشرب ولا يشربون
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد اشرت بالراي قال الاموي ثنا ابي قال وزعم
الكلبي عن ابي صالح عن ابن عباس قال بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم يجمع الاقباض
وجبريل عن يمينه اذ اتاه ملك من الملائكة فقال يا محمد ان الله يقرا عليك السلام
فقال رسول الله هو السلام ومنه السلام فقال الملك ان الله يقول لك ان الامر الذي — واليه السلام صح
امرك به الحباب بن المنذر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا جبريل هل تعرف هذا
قال ما كل اهل السماء اعرف وانه لصادق وما هو بشيطان فنهض رسول الله صلى
الله عليه وسلم ومن معه من الناس فسار حتى اتى ادنى ماء الى القوم نزل عليه ثم امر بالقلب
فغورت وبنى حوضا على الذي نزل عليه فملئ ماء ثم قذفوا فيه الانية وذكر بعضهم ان — القليب صح
الحباب بن المنذر لما اشار بما اشار به على رسول الله صلى الله عليه وسلم نزل ملك من
السماء وجبريل عند النبي صلى الله عليه وسلم فقال الملك يا محمد ربك يقرا عليك السلام
ويقول لك ان الراي ما اشار به الحباب فنظر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى جبريل
فقال ليس كل الملائكة اعرفهم وانه ملك وليس بشيطان وذكر الاموي انهم نزلوا على القليب
الذي يلي المشركين نصف الليل وانهم نزلوا فيه فاستقوا منه وملاوا الحياض حتى اصبحت
ملاء وليس للمشركين ماء قال ابن اسحاق فحدثني عبد الله بن ابي بكر انه حدث ان سعد بن معاذ
قال يا نبي الله الا نبني لك عريشا تكون فيه ونعد عندك ركائبك ثم نلقى عدونا فان اعزنا
الله واظهرنا على عدونا كان ذلك ما احببنا وان كانت الاخرى جلست على ركائبك فلحقت
بمن وراءنا من قومك فقد تخلف عنك اقوام ما نحن باشد حبا لك منهم ولو ظنوا انك تلقى
حربا ما تخلفوا عنك يمنعك الله بهم يناصحونك ويجاهدون معك فاثنى عليه رسول الله
صلى الله عليه وسلم خيرا ودعا له بخير ثم بني لرسول الله صلى الله عليه وسلم عريش فكان
فيه قال ابن اسحاق وقد ارتحلت قريش حين اصبحت فاقبلت فلما رآها رسول الله صلى الله عليه
وسلم تصوب من العقنقل وهو الكثيب الذي جاءوا منه الى الوادي قال اللهم هذه قريش قد
اقبلت بخيلائها وفخرها تحادك وتكذب رسولك اللهم فنصرك الذي وعدتني اللهم احنهم

الغداة وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد رأى عتبة بن ربيعة في القوم وهو
على جمل له احمر ان يكن في احد من القوم خير فعند صاحب الجمل الاحمر ان يطيعوه يرشدوا قال
وقد كان خفاف بن ايماء بن رحضة او ابوه ايماء بن رحضة الغفاري بعث الى قريش ابنا له
بجزائر اهداها لهم وقال ان احببتم ان نمدكم بسلاح ورجال فعلنا قال فارسلوا اليه مع ابنه
ان وصلتك رحم وقد قضيت الذي عليك فلعمري ان كنا انما نقاتل الناس ما بنا ضعف عنهم
وان كنا انما نقاتل الله كما يزعم محمد فما لاحد بالله من طاقة قال فلما نزل الناس اقبل نفر من قريش
حتى وردوا حوض رسول الله صلى الله عليه وسلم فيهم حكيم بن حزام فانه لم يقتل ثم اسلم بعد ذلك

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم دعوهم فما شرب منه رجل يومئذ الا قتل الا ما كان من حكيم بن حزام

فحسن اسلامه فكان اذا اجتهد في يمينه قال لا والذي نجاني يوم بدر قلت وقد كان اصحاب رسول
الله صلى الله عليه وسلم يومئذ ثلثماية وثلاثة عشر رجلا كما سياتي بيان ذلك في فصل
نعقده بعد الوقعة ونذكر اسماءهم على حروف المعجم ان شاء الله ففي صحيح البخاري عن البراء قال
كنا نتحدث ان اصحاب بدر ثلثماية وبضعة عشر بعدة اصحاب طالوت الذين جاوزوا معه
النهر وما جاوز معه الا مؤمن وللبخاري ايضا عنه قال استصغرت انا وابن عمر يوم بدر وكان
المهاجرون يوم بدر نيفا على ستين والانصار نيف واربعون ومايتان وروى الامام احمد عن نصر
بن رئاب عن حجاج عن الحكم عن مقسم عن ابن عباس انه قال كان اهل بدر ثلثماية وثلاثة عشر رجلا
وكان المهاجرون ستة وسبعين وكان هزيمة اهل بدر لسبع عشرة مضين يوم الجمعة في شهر رمضان
وقال تعالى اذ يريكهم الله في منامك قليلا ولو اراكهم كثيرا لفشلتم ولتنازعتم
في الامر الاية وكان ذلك في منامه تلك الليلة وقيل انه نام في العريش وامر الناس ان لا يقاتلوا
حتى ياذن لهم فدنا القوم منهم فجعل الصديق يوقظه ويقول يا رسول الله دنوا منا فاستيقظ
وقد اراه الله اياهم في منامه قليلا ذكره الاموي وهو غريب جدا وقال تعالى واذ يريكموهم اذ التقيتم
في اعينكم قليلا ويقللكم في اعينهم ليقضي الله امرا كان مفعولا فعندما تقابل الفريقان قلل
الله كلا منهما في اعين الاخرى ليجترئ هؤلاء على هؤلاء وهؤلاء على هؤلاء لما له في ذلك من الحكمة البالغة
وليس هذا معارض لقوله تعالى في سورة ال عمران قد كان لكم اية في فئتين التقتا فئة تقاتل
في سبيل الله واخرى كافرة يرونهم مثليهم راي العين فان المعنى في ذلك على اصح القولين ان الفرقة
الكافرة ترى الفرقة المؤمنة مثل عددها الكافرة على الصحيح ايضا وذلك عند التحام الحرب
والمسابقة اوقع الله الوهن والرعب في قلوب الذين كفروا فاستدرجهم اولا بان اراهم اياهم عند المواجهة
قليلا ثم ايد المؤمنين بنصره فجعلهم في اعين الكافرين على الضعف منهم حتى وهنوا وضعفوا وغلبوا
ولهذا قال والله يؤيد بنصره من يشاء ان في ذلك لعبرة لاولي الابصار قال اسرائيل عن ابي اسحاق
عن ابي عبيدة عن عبد الله قال لقد قللوا في اعيننا يوم بدر حتى قلت لرجل الى جنبي اتراهم
سبعين فقال اراهم ماية قال ابن اسحاق وحدثني اسحاق بن يسار وغيره من اهل العلم عن اشياخ
من الانصار قالوا لما اطمان القوم بعثوا عمير بن وهب الجمحي فقالوا احزر لنا القوم اصحاب محمد قال
فاستجال بفرسه حول العسكر ثم رجع اليهم فقال ثلثماية رجل يزيدون قليلا او ينقصونه
ولكن امهلوني حتى انظر اللقوم كمين او مدد قال فضرب في الوادي حتى ابعد فلم ير شيئا
فرجع اليهم فقال ما رايت شيئا ولكن قد رايت يا معشر قريش البلايا تحمل المنايا نواضح يثرب
تحمل الموت الناقع قوم ليس لهم منعة ولا ملجا الا سيوفهم والله ما ارى ان يقتل رجل منهم
حتى يقتل رجلا منكم فاذا اصابوا منكم اعدادهم فما خير العيش بعد ذلك فروا رايكم فلما سمع

حكيم

حكيم بن حزام ذلك مشى في الناس فاتى عتبة بن ربيعة فقال يا ابا الوليد انك كبير قريش وسيدها
والمطاع فيها هل لك الى ان لا تزال تذكر فيها بخير الى اخر الدهر قال وما ذاك يا حكيم قال ترجع
بالناس وتحمل امر حليفك عمرو بن الحضرمي قال قد فعلت انت علي بذلك انما هو حليفي فعلي عقله
وما اصيب من ماله فات ابن الحنظلية يعني ابا جهل فاني لا اخشى ان يشجر امر الناس غيره
ثم قام عتبة خطيبا فقال يا معشر قريش انكم والله ما تصنعون بان تلقوا محمدا واصحابه
شيئا والله لئن اصبتموه لا يزال الرجل ينظر الى وجه رجل يكره النظر اليه قتل ابن عمه او ابن
خاله او رجلا من عشيرته فارجعوا وخلوا بين محمد وسائر العرب فان اصابوه فذاك الذي
اردتم وان كان غير ذلك الفاكم ولم تعرضوا منه ما تريدون قال حكيم فانطلقت حتى جئت
ابا جهل فوجدته قد نثل درعا له فهو يهيئها فقلت له يا ابا الحكم ان عتبة ارسلني اليك
بكذا وكذا فقال انتفخ والله سحره حين راى محمدا واصحابه كلا والله لا نرجع حتى يحكم الله بيننا
وبين محمد وما بعتبة ما قال ولكنه قد راى محمدا واصحابه اكلة جزور وفيهم ابنه فقد تخوفكم
عليه ثم بعث الى عامر بن الحضرمي فقال هذا حليفك يريد ان يرجع بالناس وقد رايت ثارك
بعينك فقم فانشد خفرتك ومقتل اخيك فقام عامر بن الحضرمي فاكتشف ثم صرخ واعمراه
واعمراه قال فحميت الحرب وحقب امر الناس واستوسقوا على ما هم عليه من الشر وافسد على الناس
الراي الذي دعاهم اليه عتبة فلما بلغ عتبة قول ابي جهل انتفخ والله سحره قال سيعلم مصفر

اي تنتفخ رئته من الرعب

استه من انتفخ سحره انا ام هو ثم التمس عتبة بيضة ليدخلها في راسه فما وجد في الجيش
بيضة تسعه من عظم راسه فلما راى ذلك اعتجر على راسه ببرد له وقد روى ابن جرير من
طريق مسعود بن عبد الملك اليربوعي عن ابيه عن سعيد بن المسيب قال بينما نحن
عند مروان بن الحكم اذ دخل حاجبه فقال حكيم بن حزام يستاذن فقال ائذن له فلما دخل
قال مرحبا يا ابا خالد ادن فحال له عن صدر المجلس حتى جلس بينه وبين الوسادة ثم
استقبله فقال حدثنا حديث بدر فقال خرجنا حتى اذا كنا بالجحفة رجعت قبيلة
من قبائل قريش باسرها فلم يشهد احد من مشركيهم بدرا ثم خرجنا حتى نزلنا العدوة التي
قال الله تعالى فجئت عتبة بن ربيعة فقلت يا ابا الوليد هل لك في ان تذهب بشرف
هذا اليوم ما بقيت قال افعل ماذا قلت انكم لا تطلبون من محمد الا دم ابن الحضرمي وهو
حليفك فتحمل بديته وترجع بالناس فقال انت علي بذلك واذهب الى ابن الحنظلية يعني ابا جهل
فقل له هل لك ان ترجع اليوم بمن معك عن ابن عمك فجئته فاذا هو في جماعة من بين يديه
ومن خلفه واذا ابن الحضرمي واقف على راسه وهو يقول فسخت عقدي من عبد شمس وعقدي
الى بني مخزوم فقلت له يقول لك عتبة بن ربيعة هل لك ان ترجع اليوم بمن معك قال
اما وجد رسولا غيرك قلت لا ولم اكن لاكون رسولا لغيره قال حكيم فخرجت مبادرا الى عتبة
لئلا يفوتني من الخبر شيء وعتبة متكئ على ايماء بن رحضة الغفاري وقد اهدى الى المشركين
عشر جزائر فطلع ابو جهل الشر في وجهه فقال لعتبة انتفخ سحرك فقال له عتبة ستعلم
فسل ابو جهل سيفه فضرب به متن فرسه فقال ايماء بن رحضة بئس الفال هذا فعند
ذلك قامت الحرب وقد صف رسول الله صلى الله عليه وسلم وعبا اصحابه احسن تعبية فروى

واصحابه م

الترمذي عن عبد الرحمن بن عوف قال صفنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر ليلا
وروى الامام احمد من حديث ابن لهيعة حدثني يزيد بن ابي حبيب ان اسلم ابا عمران حدثه انه

سمع ابا ايوب يقول صففنا يوم بدر فبدرت منا بادرة امام الصف فنظر اليهم النبي
صلى الله عليه وسلم فقال معي معي تفرد به احمد وهذا اسناد حسن وقال ابن اسحاق وحدثني واسع م
ابن حبان عن اشياخ من قومه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم عدل صفوف اصحابه
يوم بدر وفي يده قدح يعدل به القوم فمر بسواد بن غزية حليف بني عدي بن النجار وهو
مستنتل من الصف فطعن في بطنه بالقدح وقال استو يا سواد فقال يا رسول الله اوجعتني
وقد بعثك الله بالحق والعدل فاقدني فكشف رسول الله صلى الله عليه وسلم عن بطنه
فقال استقد قال فاعتنقه فقبل بطنه فقال ما حملك على هذا يا سواد قال يا رسول الله
حضر ما ترى فاردت ان يكون اخر العهد بك ان يمس جلدي جلدك فدعا له رسول الله صلى
الله عليه وسلم بخير وقال له قال ابن اسحاق وحدثني عاصم بن عمر بن قتادة ان عوف بن الحرث
وهو ابن عفرا قال يا رسول الله ما يضحك الرب من عبده قال غمسه يده في العدو حاسرا
فنزع درعا كانت عليه فقذفها ثم اخذ سيفه فقاتل حتى قتل رضي الله عنه قال
ابن اسحاق ثم عدل رسول الله صلى الله عليه وسلم الصفوف ورجع الى العريش فدخله
ومعه فيه ابو بكر ليس معه فيه غيره وقال ابن اسحاق وغيره وكان سعد بن معاذ رضي الله عنه
واقفا على باب العريش متقلدا السيف ومعه رجال من الانصار يحرسون النبي صلى الله عليه
وسلم خوفا عليه من ان يدهمه العدو من المشركين والجنايب النجايب مهياة لرسول الله صلى
الله عليه وسلم ان احتاج اليها ركبها ورجع الى المدينة كما اشار به سعد بن معاذ وقد روى
البزار في مسنده من حديث محمد بن عقيل عن علي انه خطبهم فقال ايها الناس
من اشجع الناس فقالوا انت يا امير المومنين فقال اما اني ما بارزني احد الا انتصفت
منه ولكن هو ابو بكر الصديق انا جعلنا لرسول الله عريشا فقلنا من يكون مع رسول الله
لئلا يهوي اليه احد من المشركين فوالله ما دنا منا احد الا ابو بكر شاهرا بالسيف على راس رسول
الله لا يهوي اليه احد الا اهوى اليه فهذا اشجع الناس قال ولقد رايت رسول الله واخذته
قريش فهذا يجاه وهذا يتلتله ويقولون انت جعلت الالهة الها واحدا فوالله ما دنا
منا احد الا ابو بكر يضرب هذا ويجا هذا ويتلتل هذا ويقول ويلكم اتقتلون رجلا ان يقول
ربي الله ثم رفع علي بردة كانت عليه فبكى حتى اخضلت لحيته ثم قال انشدكم الله امومن
ال فرعون خير ام هو فسكت القوم فقال علي والله لساعة من ابي بكر خير من ملء الارض من
مومن ال فرعون ذاك رجل يكتم ايمانه وهذا رجل اعلن ايمانه ثم قال البزار لا نعلمه يروى
الا من هذا الوجه فهذه خصوصية للصديق حيث هو مع الرسول في العريش كما كان معه
في الغار رضي الله عنه وارضاه ورسول الله صلى الله عليه وسلم يكثر الابتهال والتضرع
والدعا ويقول فيما يدعو به اللهم ان تهلك هذه العصابة لا تعبد بعدها في الارض وجعل
يهتف بربه عز وجل ويقول اللهم انجز لي ما وعدتني اللهم نصرك ويرفع يديه الى السما حتى
سقط الردا عن منكبيه وجعل ابو بكر رضي الله عنه يلتزمه من ورايه ويسوي عليه رداه
ويقول مشفقا عليه من كثرة الابتهال يا رسول الله بعض مناشدتك ربك فانه سينجز
لك ما وعدك هكذا حكى السهيلي عن قاسم بن ثابت ان الصديق انما قال بعض
مناشدتك ربك من باب الاشفاق لما راى من نصبه في الدعا والتضرع حتى سقط الردا
عن منكبيه فقال بعض هذا يا رسول الله اي لم تتعب نفسك هذا التعب والله قد وعدك

بالنصر

بالنصر وكان رضي الله عنه رقيق القلب شديد الاشفاق على رسول الله صلى الله عليه وسلم
وحكى السهيلي عن شيخه ابي بكر بن العربي انه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم في مقام
الخوف والصديق في مقام الرجا وكان مقام الخوف في هذا الوقت يعني اكمل قال لان الله
يفعل ما يشا فخاف ان لا يعبد في الارض بعدها فخوفه ذلك عبادة قلت واما قول بعض
المتصوفة ان هذا المقام في مقابلة ما كان يوم الغار فهو قول مردود وعلى قايله اذ لم يتدبر
هذا القايل عور ما قال لما يلزم عليه ولا ما يترتب عليه والله اعلم بهذا وتدانوا جوا الفيتان
وتقابل الفريقان وحضر الخصمان بين يدي الرحمن واستغاث بربه سيد الانبيا وضج الصحابة
بصنوف الدعا الى رب الارض والسما سامع الدعا وكاشف البلا وكان اول من قتل من المشركين
الاسود بن عبد الاسد المخزومي قال ابن اسحاق وكان رجلا شرسا سيي الخلق فقال اعاهد
الله لاشربن من حوضهم او لاهدمنه او لاموتن دونه فلما خرج خرج اليه حمزة بن عبد المطلب
فلما التقيا ضربه حمزة فاطن قدمه بنصف ساقه وهو دون الحوض فوقع على ظهره تشخب
رجله دما نحو اصحابه ثم حبا الى الحوض حتى اقتحم فيه يريد بزعمه ان يبر يمينه واتبعه حمزة
يضربه حتى قتله في الحوض قال الاموي فحمي عند ذلك عتبة بن ربيعة واراد ان يظهر شجاعته
فبرز بين اخيه شيبة وابنه الوليد فلما توسطوا بين الصفين دعوا الى البراز فخرج
اليهم فتية من الانصار ثلاثة وهم عوف ومعوذ ابنا الحرث وامهما عفرا والثالث
عبد الله بن رواحة فيما قيل فقالوا لهم من انتم فقالوا من الانصار فقالوا ما لنا بكم من حاجة
وفي رواية فقالوا اكفا كرام ولكن اخرجوا الينا من بني عمنا ونادى مناديهم يا محمد اخرج
الينا اكفانا من قومنا فقال النبي صلى الله عليه وسلم قم يا عبيدة بن الحرث وقم
يا حمزة وقم يا علي وعند الاموي ان النفر من الانصار لما خرجوا كره ذلك رسول الله صلى الله
عليه وسلم لانه اول موقف واجه فيه رسول الله اعداه فاحب ان يكون ذلك من عشيرته
فامرهم بالرجوع وامر اوليك الثلاثة بالخروج قال ابن اسحاق فلما دنوا منهم قالوا من انتم
وفي هذا دليل انهم كانوا ملبسين لا يعرفون من السلاح فقال عبيدة عبيدة وقال حمزة
حمزة وقال علي علي قالوا نعم اكفا كرام فبارز عبيدة وكان اسن القوم عتبة وبارز
حمزة شيبة وبارز علي الوليد بن عتبة فاما حمزة فلم يمهل شيبة ان قتله واما علي
فلم يمهل الوليد ان قتله واختلف عبيدة وعتبة بينهما بضربتين كلاهما صاحبه اثبت
وكر حمزة وعلي باسيافهما على عتبة فذففا عليه واحتملا صاحبهما فحازاه الى اصحابه
رضي الله عنه وقد ثبت في الصحيحين من حديث ابي مجلز عن قيس بن عباد عن ابي ذر انه
كان يقسم قسما ان هذه الاية هذان خصمان اختصموا في ربهم نزلت في حمزة وصاحبيه وعتبة وصاحبيه م
يوم برزوا في بدر هذا لفظ البخاري عند تفسيرها وقال البخاري ثنا حجاج بن منهال
ثنا المعتمر بن سليمان سمعت ابي ثنا ابو مجلز عن قيس بن عباد عن علي بن ابي طالب
انه قال انا اول من يجثو بين يدي الرحمن عز وجل للخصومة يوم القيمة قال
قيس وفيهم نزلت هذان خصمان اختصموا في ربهم قال هم الذين بارزوا يوم بدر علي
وحمزة وعبيدة وشيبة بن ربيعة وعتبة بن ربيعة والوليد بن عتبة تفرد به البخاري
وقد اوسعنا الكلام عليها في التفسير بما فيه كفاية ولله الحمد وقال الاموي ثنا معاوية بن عمرو
عن ابي اسحاق عن ابن المبارك عن اسماعيل بن ابي خلد عن عبد الله البهي قال برز عتبة وشيبة

والوليد فبرز اليهم حمزة وعبيدة وعلي فقالوا تكلموا نعرفكم فقال حمزة انا اسد الله واسد
رسوله انا حمزة بن عبد المطلب فقالوا كفو كريم وقال علي انا عبد الله واخو رسوله وقال
عبيدة انا الذي في الحلفاء فقام كل رجل الى رجل فقاتلوهم فقتلهم الله فقالت هند
في ذلك

اعيني جودا بدمع سرب * على خير خندف لم ينقلب
تداعا له رهطه غدوة * بنو هاشم وبنو المطلب
يذيقونه حد اسيافهم * يعلونه بعدما قد عطب

ولهذا نذرت هند ان تاكل من كبد حمزة قلت وعبيدة هذا هو ابن الحارث بن [عبد المطلب بن] عبد مناف
ولما جاؤا به الى رسول الله صلى الله عليه وسلم اضجعوه الى جانب موقف رسول الله صلى
الله عليه وسلم فافرشه رسول الله قدمه فوضع خده على قدمه الشريفة وقال يا رسول
الله لو راى ابو طالب لعلم اني احق بقوله ونسلمه حتى نصرع حوله ونذهل عن ابنائنا
والحلائل ثم مات رضي الله عنه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اشهد انك شهيد
رواه الشافعي وكان اول قتيل من المسلمين في المعركة مهجع مولى عمر بن الخطاب رمي بسهم
فقتله قال ابن اسحاق فكان اول من قتل ثم رمي بعده حارثة بن سراقة احد بني عدي بن
النجار وهو يشرب من الحوض بسهم فاصاب نحره فمات وثبت في الصحيحين عن انس ان
حارثة بن سراقة قتل يوم بدر وكان في النظارة اصابه سهم غرب فقتله فجاءت امه
فقالت يا رسول الله اخبرني عن حارثة فان كان في الجنة صبرت والا فليرين الله ما اصنع
يعني من النياحة وكانت لم تحرم بعد فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم ويحك
اهبلت انها جنان ثمان وان ابنك اصاب الفردوس الاعلى قال ابن اسحاق ثم تزاحف القوم
ودنا بعضهم من بعض وقال امر رسول الله صلى الله عليه وسلم اصحابه ان لا يحملوا حتى يامرهم
وقال ان اكتنفوكم فانضحوهم عنكم بالنبل وفي صحيح البخاري عن ابي اسيد قال قال لنا رسول
الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر اذا اكثبوكم يعني المشركين فارموهم واستبقوا نبلكم
وقال البيهقي انا الحاكم انا الاصم ثنا احمد بن عبد الجبار عن يونس بن بكير عن ابن اسحاق
حدثني عبد الله بن عروة عن عروة بن الزبير قال جعل رسول الله صلى الله عليه وسلم شعار
المهاجرين يوم بدر يا بني عبد الرحمن وشعار الخزرج يا بني عبد الله وشعار الاوس يا بني
عبيد الله وسمى خيله خيل الله وقال عبد الملك بن هشام كان شعار الصحابة يوم بدر احد
احد قال ابن اسحاق ثم عدل رسول الله الى العريش معه ابو بكر رضي الله عنه يعني وهو يستغيث
الله عز وجل كما قال تعالى اذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم اني ممدكم بالف من الملائكة
مردفين وما جعله الله الا بشرى ولتطمئن به قلوبكم وما النصر الا من عند الله ان الله عزيز
حكيم قال الامام احمد حدثنا ابو نوح قراد ثنا عكرمة بن عمار ثنا سماك الحنفي ابو زميل
حدثني ابن عباس حدثني عمر بن الخطاب قال لما كان يوم بدر نظر رسول الله صلى الله عليه
وسلم الى اصحابه وهم ثلثمائة ونيف ونظر الى المشركين فاذا هم الف وزيادة فاستقبل
النبي صلى الله عليه وسلم القبلة وعليه رداؤه وازاره ثم قال اللهم انجز لي ما وعدتني
اللهم انجز لي ما وعدتني اللهم ان تهلك هذه العصابة من اهل الاسلام فلا تعبد في الارض
ابدا قال فما زال يستغيث ربه ويدعوه حتى سقط رداؤه فاتاه ابو بكر فاخذ رداءه فرداه

ثم التزمه

ثم التزمه من ورائه ثم قال يا رسول الله كذاك مناشدتك ربك فانه سينجز لك ما وعدك
فانزل الله اذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم اني ممدكم بالف من الملائكة مردفين وذكر
تمام الحديث كما سياتي وقد رواه مسلم وابو داود والترمذي وابن جرير وغيرهم من حديث
عكرمة بن عمار اليمامي وصححه علي بن المديني والترمذي هكذا قال غير واحد عن ابن عباس
والسدي وابن جريج وغيرهم ان هذه الاية نزلت في دعاء النبي صلى الله عليه وسلم يوم بدر
وقد ذكر الاموي وغيره ان المسلمين عجوا الى الله عز وجل في الاستغاثة بجنابه والاستعانة
به وقوله تعالى بالف من الملائكة مردفين اي ردفا لكم ومددا لفئتكم رواه العوفي عن ابن
عباس وقاله مجاهد وابن كثير وعبد الرحمن بن زيد وغيرهم وقال ابو كدينة عن قابوس عن
ابن عباس مردفين وراء كل ملك ملك وفي رواية عنه بهذا الاسناد مردفين بعضهم على
اثر بعض وكذا قال ابو ظبيان والضحاك وقتادة وقد روى علي بن ابي طلحة الوالبي
عن ابن عباس قال وامد الله نبيه والمومنين بالف من الملائكة فكان جبريل في خمسمائة
مجنبة وميكائيل في خمسمائة مجنبة وهذا هو المشهور ولكن قال ابن جرير حدثني المثنى ثنا
اسحاق ثنا يعقوب بن محمد الزهري حدثني عبد العزيز بن عمران عن الربعي عن ابي الحويرث
عن محمد بن جبير عن علي قال نزل جبريل في الف من الملائكة عن ميمنة النبي صلى الله عليه
وسلم وفيها ابو بكر ونزل ميكائيل في الف من الملائكة عن ميسرة النبي صلى الله عليه وسلم وانا
في الميسرة وقد رواه البيهقي في الدلائل من حديث محمد بن جبير عن علي وزاد ونزل اسرافيل
في الف من الملائكة وذكر انه طعن يومئذ بالحربة حتى اختضبت ابطه من الدماء فذكر انه
نزلت ثلاثة الاف من الملائكة وهذا غريب وفي اسناده ضعف ولو صح لكان فيه تقوية
لما تقدم من الاقوال ويويدها قراءة من قرا بالف من الملائكة مردفين بفتح الدال
والله تعالى اعلم وقال البيهقي انا الحاكم انا الاصم انا محمد بن سنان القزاز ثنا عبيد الله
بن عبد المجيد ابو علي الحنفي ثنا عبيد الله بن عبد الرحمن بن موهب اخبرني اسماعيل
بن عون بن عبيد الله بن ابي رافع عن عبد الله بن محمد بن عمر بن علي بن ابي طالب عن ابيه
عن جده علي قال لما كان يوم بدر قاتلت شيئا من قتال ثم جئت مسرعا لانظر الى
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فجئت فاذا هو ساجد يقول يا حي يا قيوم يا حي يا قيوم
لا يزيد عليها فرجعت الى القتال ثم جئت وهو ساجد يقول ذلك ايضا فذهبت الى القتال
ثم جئت وهو ساجد يقول كذلك حتى فتح الله على يديه وقد رواه النسائي في اليوم
والليلة عن بندار عن عبيد الله بن عبد المجيد ابي علي الحنفي به وقال الاعمش عن ابي
اسحاق عن ابي عبيدة عن عبد الله بن مسعود قال ما سمعت مناشدا ينشد اشد
من مناشدة محمد صلى الله عليه وسلم يوم بدر جعل يقول اللهم اني انشدك عهدك
ووعدك اللهم ان تهلك هذه العصابة لا تعبد ثم التفت وكان شق وجهه القمر
وقال لكاني انظر الى مصارع القوم عشية رواه النسائي من حديث الاعمش به وقال
لما التقينا يوم بدر قام رسول الله صلى الله عليه وسلم فما رايت مناشدا ينشد حقا
له اشد مناشدة من رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكره وقد ثبتت الاحاديث عنه عليه السلام
بمواضع مصارع رؤس المشركين يوم بدر في صحيح مسلم عن انس بن مالك كما تقدم وسياتي
في صحيح مسلم ايضا عن عمر بن الخطاب ومن حديث ابن مسعود انه اخبر بذلك يوم الوقعة

ما نعل م

وهو مناسب وفي الحديثين الصحيحين الاخيرين عن انس وعمر ما يدل على انه اخبر بذلك قبل ذلك
بيوم بدر ولا مانع من الجمع بين ذلك بان يخبر به قبل يوم واكثر وان يخبر به قبل ذلك بساعة
يوم الوقعة والله اعلم وقد روى البخاري من طرق عن خالد الحذاء عن عكرمة عن ابن عباس ان النبي
صلى الله عليه وسلم قال وهو في قبة له يوم بدر انشدك عهدك ووعدك اللهم ان شئت لم
تعبد بعد اليوم ابدا فاخذ ابو بكر بيده وقال حسبك يا رسول الله الححت على ربك فخرج وهو
يثب في الدرع وهو يقول سيهزم الجمع ويولون الدبر بل الساعة موعدهم والساعة ادهى وامر
وعنده الا بن سكينة وقد جاء تصديقها يوم بدر كما رواه ابن ابي حاتم حدثنا ابي ثنا ابو الربيع الزهراني
ثنا حماد عن ايوب عن عكرمة قال لما نزلت سيهزم الجمع ويولون الدبر قال عمر اي جمع يهزم
اي جمع يغلب قال عمر فلما كان يوم بدر رايت رسول الله يثب في الدرع وهو يقول سيهزم الجمع
ويولون الدبر بل الساعة موعدهم والساعة ادهى وامر وقال ابن اسحاق وجعل رسول الله يناشد
ربه ما وعده من النصر ويقول فيما يقول اللهم ان تهلك هذه العصابة اليوم لا تعبد وابو بكر
يقول يا نبي الله بعض مناشدتك ربك فان الله منجز لك ما وعدك وقد خفق النبي صلى الله عليه
وسلم في العريش ثم انتبه فقال ابشر يا ابا بكر اتاك نصر الله هذا جبريل آخذ بعنان فرسه
يقوده على ثناياه النقع يعني الغبار قال ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الناس
فحرضهم وقال والذي نفس محمد بيده لا يقاتلهم اليوم رجل فيقتل صابرا محتسبا مقبلا
غير مدبر الا ادخله الله الجنة فقال عمير بن الحمام اخو بني سلمة وفي يده تمرات ياكلهن بخ بخ افما
بيني وبين ان ادخل الجنة الا ان يقتلني هؤلاء قال ثم قذف التمرات من يده واخذ سيفه فقاتل
القوم حتى قتل رح وقال الامام احمد ثنا هاشم ثنا سليمان يعني عن ثابت عن انس قال بعث رسول
الله صلى الله عليه وسلم بسبسة عينا ينظر ما صنعت عير ابي سفيان فجاء وما في البيت
احد غيري وغير النبي صلى الله عليه وسلم قال لا ادري ما استثنى بعض نسائه قال فحدثه
الحديث قال فخرج رسول الله فتكلم فقال ان لنا طلبة فمن كان ظهره حاضرا فليركب معنا فجعل
رجال يستاذنونه في ظهرهم في علو المدينة قال لا الا من كان ظهره حاضرا فانطلق رسول الله واصحابه
حتى سبقوا المشركين الى بدر وجاء المشركون فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يتقدمن احد
منكم الى شيء حتى اكون انا اؤذنه فدنا المشركون فقال رسول الله قوموا الى جنة عرضها السموات
والارض قال يقول عمير بن الحمام الانصاري يا رسول الله جنة عرضها السموات والارض قال نعم
قال بخ بخ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يحملك على قولك بخ بخ قال لا والله يا رسول
الله الا رجاء ان اكون من اهلها قال فانك من اهلها قال فاخرج تمرات من قرنه فجعل ياكل منهن
ثم قال لئن انا حييت حتى آكل تمراتي هذه انها لحياة طويلة قال فرمى بما كان معه من التمر ثم قاتلهم
حتى قتل رح ورواه مسلم عن ابي بكر بن ابي النضر وجماعة عن ابي النضر هاشم بن القاسم عن سليمان بن
المغيرة وقد ذكر ابن جرير ان عميرا قاتل وهو يقول رضي الله عنه ركضا الى الله بغير زاد الا التقى
وعمل المعاد والصبر في الله على الجهاد وكل زاد عرضة النفاد غير التقى والبر والرشاد وقال الامام
احمد ثنا حجاج عن اسرائيل عن ابي اسحاق عن حارثة بن مضرب عن علي قال لما قدمنا المدينة
اصبنا من ثمارها فاجتويناها واصابنا بها وعك وكان رسول الله يتخبر عن بدر فلما بلغنا ان
المشركين قد اقبلوا سار رسول الله الى بدر وبدر بئر فسبقنا المشركين اليها فوجدنا فيها رجلين
رجلا من قريش ومولى لعقبة بن ابي معيط فاما القرشي فانفلت واما المولى فوجدناه فجعلنا نقول

وروى البخاري من طريق ابن جريج عن يوسف بن ماهك سمع عائشة تقول نزل على محمد بمكة واني لجارية العب م

[illegible]

والله بصير بالعباد م

لهم كم القوم

لهم كم القوم فيقول هم والله كثير عددهم شديد باسهم فجعل المسلمون اذا قال ذلك ضربوه حتى
انتهوا به الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال له كم القوم قال هم والله كثير عددهم شديد باسهم
فجهد النبي صلى الله عليه وسلم ان يخبره كم هم فابى ثم ان النبي صلى الله عليه وسلم سأله كم تنحرون
من الجزر فقال عشرا كل يوم فقال رسول الله القوم الف كل جزور لمائة وتبعها ثم انه اصابنا
من الليل طش من مطر فانطلقنا تحت الشجر والحجف نستظل تحتها من المطر وبات رسول الله صلى
الله عليه وسلم يدعو ربه ويقول اللهم ان تهلك هذه الفئة لا تعبد فلما طلع الفجر نادى
الصلاة عباد الله فجاء الناس من تحت الشجر والحجف فصلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم
وحرض على القتال ثم قال ان جمع قريش تحت هذه الضلع الحمراء من الجبل فلما دنا القوم منا
وصاففناهم اذا رجل منهم على جمل له احمر يسير في القوم فقال رسول الله يا علي ناد حمزة وكان
اقربهم من المشركين من صاحب الجمل الاحمر فجاء حمزة فقال هو عتبة بن ربيعة وهو ينهى عن
القتال ويقول لهم يا قوم اعصبوها براسي وقولوا جبن عتبة بن ربيعة وقد علمتم اني لست
باجبنكم فسمع ذلك ابو جهل فقال انت تقول هذا والله لو غيرك يقوله لاعضضته قد ملأت
رئتك جوفك رعبا فقال لا ابا لك تعيرني يا مصفر استه ستعلم اليوم اينا الجبان قال فبرز
عتبة واخوه شيبة وابنه الوليد حمية فقالوا من يبارز فخرج فتية من الانصار فقال عتبة
لا نريد هؤلاء ولكن يبارزنا من بني عمنا من بني عبد المطلب فقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم قم يا علي وقم يا حمزة وقم يا عبيدة بن الحرث بن المطلب فقتل الله عتبة وشيبة ابني
ربيعة والوليد بن عتبة وجرح عبيدة فقتلنا منهم سبعين واسرنا سبعين وجاء رجل من
الانصار بالعباس بن عبد المطلب اسيرا فقال العباس يا رسول الله والله ان هذا ما اسرني
لقد اسرني رجل اجلح من احسن الناس وجها على فرس ابلق ما اراه في القوم فقال الانصاري انا
اسرته يا رسول الله فقال اسكت فقد ايدك الله بملك كريم قال علي فاسرنا من بني عبد المطلب
العباس وعقيلا ونوفل بن الحرث هذا سياق حسن وفيه شواهد لما تقدم ولما سياتي وقد
تفرد بطوله الامام احمد وروى ابو داود بعضه من حديث اسرائيل به ولما نزل رسول الله صلى
الله عليه وسلم من العريش وحض الناس على القتال والناس على مصافهم صابرين ذاكرين
الله كثيرا كما قال تعالى آمرا لهم يا ايها الذين آمنوا اذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيرا
الاية وقال الاموي ثنا معاوية بن عمرو عن ابي اسحاق قال قال الاوزاعي كان يقال قل ما ثبت
قوم قياما فمن استطاع عند ذلك ان يجلس او يغض طرفه ويذكر الله رجوت ان يسلم من
الرياء وقال عتبة بن ربيعة يوم بدر لاصحابه الا ترونهم يعني اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم
جثيا على الركب كانهم خرس يتلمظون تلمظ الحيات او قال الافاعي قال الاموي في مغازيه وقد
كان النبي صلى الله عليه وسلم حين حرض المسلمين على القتال قد نفل كل امرئ ما اصاب وقال
والذي نفسي بيده لا يقاتلهم اليوم رجل صابرا محتسبا مقبلا غير مدبر الا ادخله الجنة وذكر قصة
عمير بن الحمام كما تقدم وقد قاتل بنفسه الكريمة قتالا شديدا ببدنه وكذلك ابو بكر الصديق
كما كانا في العريش يجاهدان بالدعاء والتضرع ثم نزلا فحرضا وحثا على الجهاد وقاتلا بالابدان
جمعا بين المقامين الشريفين قال الامام احمد ثنا وكيع ثنا اسرائيل عن ابي اسحاق عن حارثة بن
مضرب عن علي قال لقد رايتنا يوم بدر ونحن نلوذ برسول الله صلى الله عليه وسلم وهو اقربنا
الى العدو وكان من اشد الناس يومئذ باسا رواه النسائي من حديث ابي اسحاق عن حارثة عن علي

شيبة م

قال وكنا اذا احمي البأس ولقي القوم القوم اتقينا برسول الله صلى الله عليه وسلم وقال الامام احمد ثنا ابو نعيم ثنا مسعر عن ابي عون عن ابي صالح الحنفي عن علي قال قيل لعلي ولابي بكر رضي الله عنهما يوم بدر مع احدكما جبريل ومع الآخر ميكائيل واسرافيل ملك عظيم يشهد القتال ولا يقاتل او قال يشهد الصف وهذا يشبه ما تقدم من الحديث ان ابا بكر كان في الميمنة ولما تنزلت الملائكة يوم بدر تنزيلا كان جبريل على احدى المجنبتين في خمسمائة من الملائكة فكان في الميمنة من ناحية ابي بكر الصديق وكان ميكائيل على المجنبة الاخرى في خمسمائة من الملائكة فوقفوا في الميسرة وكان علي بن ابي طالب فيها وقد ذكر صاحب العقد وغيره ان الخبيث قال الله العرب قول حسان بن ثابت

وببدر اذ يكف مطيهم   جبريل تحت لوائنا ومحمد

وقد قال البخاري ثنا اسحاق بن ابراهيم ثنا جرير عن يحيى بن سعيد عن معاذ بن رفاعة بن رافع الزرقي عن ابيه وكان ابوه من اهل بدر قال جاء جبريل الى رسول الله فقال ما تعدون اهل بدر فيكم قال من افضل المسلمين او كلمة نحوها قال وكذلك من شهد بدرا من الملائكة انفرد به البخاري وقد قال تعالى اذ يوحي ربك الى الملائكة اني معكم فثبتوا الذين امنوا سالقي في قلوب الذين كفروا الرعب فاضربوا فوق الاعناق يعني الرؤوس واضربوا منهم كل بنان وفي صحيح مسلم من طريق عكرمة بن عمار عن ابي زميل حدثني ابن عباس قال بينما رجل من المسلمين يشتد في اثر رجل من المشركين امامه اذ سمع ضربة بالسوط فوقه وصوت الفارس اقدم حيزوم اذ نظر الى المشرك امامه قد خر مستلقيا فنظر اليه فاذا هو قد خطم وشق وجهه لضربة السوط واخضر ذلك اجمع فجاء الانصاري يحدث ذلك رسول الله فقال صدقت ذلك من مدد السماء الثالثة فقتلوا يومئذ سبعين واسروا سبعين وقال ابن اسحاق حدثني عبد الله بن ابي بكر بن حزم عمن حدثه عن ابن عباس عن رجل من بني غفار قال حضرت انا وابن عم لي بدرا ونحن على شركنا فانا لفي جبل ننتظر الوقعة على من تكون الدبرة فننتهب فاقبلت سحابة فلما دنت من الجبل سمعنا منها حمحمة الخيل وسمعنا فارسا يقول اقدم حيزوم فاما صاحبي فانكشف قناع قلبه فمات مكانه واما انا فكدت ان اهلك ثم انتعشت بعد ذلك وقال ابن اسحاق وحدثني قال م
عبد الله بن ابي بكر عن بعض بني ساعدة سمعت ابا اسيد مالك بن ربيعة بعدما اصيب بصره يقول لو كنت معكم ببدر الآن ومعي بصري لاخبرتكم بالشعب الذي نزلت منه الملائكة لا اشك ولا امتري فلما نزلت الملائكة ورآها ابليس واوحى الله اليهم اني معكم فثبتوا الذين امنوا وتثبيتهم ان الملائكة كانت تاتي الرجل في صورة الرجل يعرفه فيقول له ابشر فانهم ليسوا بشيء والله معكم كروا عليهم وقال الواقدي حدثني ابن ابي حبيبة عن داود بن الحصين عن عكرمة عن ابن عباس قال كان الملك يتصور في صورة من يعرفون فيقول اني قد دنوت منهم وسمعتهم يقولون لو حملوا علينا ما ثبتنا ليسوا بشيء الى غير ذلك من القول فذلك قوله اذ يوحي ربك الى الملائكة اني معكم فثبتوا الذين امنوا الاية ولما راى ابليس الملائكة نكص على عقبيه وقال اني بريء منكم اني ارى ما لا ترون وهو في صورة سراقة واقبل ابو جهل يحضض اصحابه ويقول لا يهولنكم خذلان سراقة اياكم فانه كان على موعد من محمد واصحابه ثم قال واللات والعزى لا نرجع حتى نقرن محمدا واصحابه في الحبال فلا تقتلوهم وخذوهم اخذا وروى البيهقي من طريق سلامة عن عقيل عن ابن شهاب عن ابي حازم عن سهل بن سعد قال قال ابو اسيد بعد

وكان علي بن ابي طالب فيها وفي حديث رواه ابو يعلى من طريق محمد بن جبير بن مطعم عن علي قال كنت اسبح على القليب يوم بدر فجاءت ريح شديدة ثم اخرى ثم نزل ميكائيل في الف من الملائكة فوقف عن يمين رسول الله صلى الله عليه وسلم وهناك ابو بكر واسرافيل في الف في الميسرة وانا فيها وجبريل في الف قال ولقد طعنت يومئذ حتى بلغ ابطي م

قال ابن اسحاق حدثني من لا اتهم عن مقسم عن ابن عباس قال كانت سيما الملائكة يوم بدر عمائم بيض قد ارخوها على ظهورهم الا جبريل فانه كانت عليه عمامة صفراء وقد قال ابن عباس لم تقاتل الملائكة في يوم سوى يوم بدر من الايام وكانوا يكونون فيما سواه من الايام عددا ومددا لا يضربون وقال الواقدي ثني عبد الله بن موسى بن ابي امية عن مصعب بن عبد الله عن مولى لسهيل بن عمرو سمعت سهيل بن عمرو يقول لقد رايت يوم بدر رجالا بيضا على خيل بلق بين السماء والارض معلمين يقتلون ويأسرون وكان ابو اسيد يحدث بعد ان ذهب بصره قال لو كنت معكم الان ببدر ومعي بصري لاريتكم الشعب الذي خرجت منه الملائكة لا اشك ولا امتري [...] قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لجبريل من القائل يوم بدر من الملائكة اقدم حيزوم فقال جبريل يا محمد ما كل اهل السماء اعرف قلت وهذا الاثر مرسل وهو يرد قول من زعم ان حيزوم اسم فرس جبريل [...] ثلاثة ارؤس فوضعتهن بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت اما رأسان فقتلتهما واما الثالث فاني رايت رجلا [...] طويلا فاخذت رأسه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ذاك فلان من الملائكة [...] عن ابيه قال كان السائب بن ابي حبيش يحدث في زمن عمر يقول والله ما اسرني احد من الناس فيقال فمن يقول لما انهزمت قريش انهزمت معها فادركني رجل [...] على فرس ابيض فاوثقني وجاء عبد الرحمن بن عوف فوجدني مربوطا فنادى في العسكر من اسر هذا حتى انتهى بي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال من اسرك قلت لا اعرفه وكرهت ان اخبره بالذي رايت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اسرك ملك من الملائكة اذهب يا ابن عوف باسيرك وقال الواقدي ثني عائذ بن يحيى ثنا ابو الحويرث عن عمارة بن اكيمة عن حكيم بن حزام قال لقد رايتنا يوم بدر وقد وقع بجاد من السماء قد سد الافق قال واذا الوادي يسيل نملا فوقع في نفسي ان هذا الشيء من السماء ايد به محمد فما كانت الا الهزيمة وهي الملائكة وقال ابن اسحاق بن راهويه ثنا وهب بن جرير بن حازم ثنى ابي عن محمد بن اسحاق ثنى ابي عن جبير بن مطعم قال رايت قبل هزيمة القوم والناس يقتتلون مثل البجاد الاسود قد نزل من السماء مثل النمل الاسود فلم اشك انها الملائكة فلم يكن الا هزيمة القوم صح

٢٧٧

بعدما ذهب بصره يا ابن اخي والله لو كنت انا وانت ببدر ثم اطلق الله بصري لاريتك الشعب الذي خرجت علينا منه الملائكة من غير شك ولا تمار وروى البخاري عن ابراهيم بن موسى عن عبد الوهاب عن خالد عن عكرمة عن ابن عباس قال ان رسول الله قال يوم بدر هذا جبريل اخذ براس فرسه وعليه اداة الحرب وقال الواقدي ثنا ابن ابي حبيبة عن داود بن الحصين عن عكرمة عن ابن عباس واخبرني موسى بن محمد بن ابراهيم عن ابيه وحدثني عابد بن يحيى عن ابي الحويرث عن عمارة بن اكيمة الليثي عن حكيم بن حزام قالوا لما حضر القتال ورسول الله رافع يديه يسال الله النصر وما وعده يقول اللهم ان ظهروا على هذه العصابة ظهر الشرك ولا يقوم لك دين وابو بكر يقول والله لينصرنك الله وليبيضن وجهك فانزل الله الفا من الملائكة مردفين عند اكتاف العدو قال رسول الله ابشر يا ابا بكر هذا جبريل معتجر بعمامة صفراء اخذ بعنان فرسه بين السماء والارض فلما نزل الى الارض تغيب عني ساعة ثم طلع وعلى ثناياه النقع يقول اتاك نصر الله اذ دعوته وروى البيهقي عن ابي امامة بن سهل عن ابيه قال يا بني لقد رايتنا يوم بدر وان احدنا يشير الى راس المشرك فيقع راسه عن جسده قبل ان يصل اليه السيف وقال ابن اسحاق حدثني والدي حدثني رجال من بني مازن عن ابي داود المازني قال اني لاتبع يوم بدر رجلا من المشركين لاضربه فوقع راسه قبل ان يصل اليه سيفي فعرفت ان غيري قد قتله وقال يونس بن بكير عن عيسى بن عبد الله التميمي عن الربيع بن انس قال كان الناس يعرفون قتلى الملائكة ممن قتلوهم بضرب فوق الاعناق وعلى البنان مثل سمة النار قد احترق به ولما نزلت الملائكة للنصر ورآهم رسول الله صلى الله عليه وسلم اغفى اغفاءة ثم استيقظ وبشر بذلك ابا بكر وقال ابشر يا ابا بكر هذا جبريل يقود فرسه على ثناياه النقع يعني من المعركة ثم خرج رسول الله من العريش في الدرع فجعل يحرض على القتال ويبشر الناس بالجنة ويشجعهم بنزول الملائكة والناس بعد على مصافهم لم يحملوا على عدوهم حصل لهم السكينة والطمانينة وقد حصل النعاس الذي هو دليل على الطمانينة والثبات والايمان كما قال اذ يغشاكم النعاس امنة منه وهذا كما حصل لهم بعد ذلك يوم احد بنص القران العظيم قال ابن مسعود النعاس في المصاف من الايمان والنعاس في الصلاة من النفاق وقال الله تعالى ان تستفتحوا فقد جاءكم الفتح وان تنتهوا فهو خير لكم وان تعودوا نعد ولن تغني عنكم فئتكم شيئا ولو كثرت وان الله مع المؤمنين قال الامام احمد ثنا يزيد بن هارون انا محمد ابن اسحاق حدثني الزهري عن عبد الله بن ثعلبة ان ابا جهل قال حين التقى القوم اللهم اقطعنا للرحم واتانا بما لا نعرف فاحنه الغداة فكان المستفتح وكذا ذكره ابن اسحاق في السيرة ورواه النسائي من طريق صالح بن كيسان عن الزهري ورواه الحاكم من حديث الزهري ايضا ثم قال صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه وقال الاموي ثنا اسباط بن محمد القرشي عن مطرف عن عطية في قوله ان تستفتحوا فقد جاءكم الفتح قال قال ابو جهل اللهم انصر اعز الفئتين واكرم القبيلتين واكثر الفريقين فنزلت ان تستفتحوا فقد جاءكم الفتح وقال علي بن ابي طلحة عن ابن عباس في قوله واذ يعدكم الله احدى الطائفتين انها لكم قال اقبلت عير اهل مكة تريد الشام فبلغ ذلك اهل المدينة فخرجوا ومعهم رسول الله يريدون العير فبلغ ذلك اهل مكة فاسرعوا السير اليها لكي لا يغلب عليها النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه فسبقت العير رسول الله وكان الله قد وعدهم احدى الطائفتين وكانوا يحبون ان يلقوا العير وسار رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمسلمين يريد القوم وكره القوم مسيرهم لشوكة القوم فنزل النبي صلى الله عليه وسلم والمسلمون وبينهم وبين

الماء ونحن ذو عصمه فاصاب المسلمين ضعف شديد والقى الشيطان في قلوبهم الغيظ يوسوسهم تزعمون انكم اولياء الله وفيكم رسوله وقد غلبكم المشركون على الماء وانتم كذا فامطر الله عليهم مطرا شديدا فشرب المسلمون وتطهروا فاذهب الله عنهم رجز الشيطان فصار الرمل لبدا ومشى الناس عليه والدواب فساروا الى القوم وامد الله نبيه والمومنين بالف من الملائكة فكان جبريل في خمسمائة من الملائكة مجنبة وميكائيل في خمسمائة من الملائكة مجنبة وجاء ابليس في جند من الشياطين ومعه راية في صورة رجال بني مدلج والشيطان في صورة سراقة بن مالك بن جعشم وقال الشيطان للمشركين لا غالب لكم اليوم من الناس واني جار لكم فلما اصطف الناس قال ابو جهل اللهم اولانا بالحق فانصره ورفع رسول الله صلى الله عليه وسلم يديه فقال يا رب ان تهلك هذه العصابة فلن تعبد في الارض ابدا فقال له جبريل خذ قبضة من التراب فاخذ قبضة من التراب ورمى بها في وجوههم فما من المشركين من احد الا اصاب عينيه ومنخريه وفمه تراب من تلك القبضة فولوا مدبرين واقبل جبريل الى ابليس فلما راه وكانت يده في يد رجل من المشركين انتزع ابليس يده ثم ولى مدبرا وشيعته فقال الرجل يا سراقة اما زعمت انك لنا جار قال اني بريء منكم اني ارى ما لا ترون اني اخاف الله والله شديد العقاب وذلك حين راى الملائكة رواه البيهقي في الدلائل وروى الواقدي عن موسى بن يعقوب الزمعي عن ابي بكر بن ابي سليمان بن ابي حثمة سمعت مروان بن الحكم يسال حكيم بن حزام عن يوم بدر فجعل الشيخ يكره ذلك فالح عليه فقال حكيم التقينا فاقتتلنا فسمعت صوتا وقع من السماء الى الارض مثل وقع الحصاة في الطست وقبض النبي صلى الله عليه وسلم القبضة التراب فرمى بها فانهزمنا قال الواقدي وحدثنا اسحاق بن محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله عن عبد الله بن ثعلبة بن صعير سمعت نوفل بن معاوية الديلي يقول انهزمنا يوم بدر ونحن نسمع صوتا كوقع الحصى في الطساس في افئدتنا ومن خلفنا وكان ذلك من اشد الرعب علينا وقال الاموي حدثنا ابي ثنا ابن اسحاق وحدثني الزهري عن عبد الله بن ثعلبة بن صعير ان ابا جهل حين التقى القوم قال اللهم اقطعنا للرحم واتانا بما لا نعرف فاحنه الغداة فكان هو المستفتح فبينما هم على تلك الحال وقد شجع الله المسلمين على لقاء عدوهم وقللهم في اعينهم حتى طمعوا فيهم خفق رسول الله خفقة في العريش ثم انتبه فقال ابشر يا ابا بكر هذا جبريل معتجر بعمامته اخذ بعنان فرسه يقوده على ثناياه النقع اتاك نصر الله اذ دعوته فامر رسول الله فاخذ كفا من الحصباء بيده ثم خرج فاستقبل القوم فقال شاهت الوجوه ثم نفحهم بها ثم قال لاصحابه احملوا فلم تكن الا الهزيمة فقتل الله من قتل من صناديدهم واسر من اسر منهم وقال زياد عن ابن اسحاق ثم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اخذ حفنة من الحصباء فاستقبل بها قريشا ثم قال شاهت الوجوه ثم نفحهم بها وامر اصحابه فقال شدوا فكانت الهزيمة فقتل الله من قتل من صناديد قريش واسر من اسر من اشرافهم وقال السدي الكبير قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلي يوم بدر اعطني حصبا من الارض فناوله حصبا عليه تراب فرمى به في وجوه القوم فلم يبق مشرك الا دخل في عينيه من ذلك التراب شيء ثم ردفهم المسلمون يقتلونهم ويأسرونهم وانزل الله في ذلك فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى وهكذا قال عروة وعكرمة ومجاهد ومحمد بن كعب ومحمد بن قيس وقتادة وابن زيد وغيرهم ان هذه الاية نزلت في ذلك يوم بدر وقد فعل عليه السلام مثل ذلك في غزوة حنين كما سياتي في موضعه اذا انتهينا اليه ان شاء الله وبه الثقة وذكر ابن اسحاق ان رسول الله

وسوله

كذا وجدته

وقال الطبراني ثنا مسعدة بن سعد العطار ثنا ابراهيم بن المنذر الحزامي ثنا عبد العزيز بن عمران ثنا هشام بن سعد عن عبد ربه بن سعيد بن قيس الانصاري عن رفاعة بن رافع قال لما راى ابليس ما تفعل الملائكة بالمشركين يوم بدر اشفق ان يخلص اليه فتشبث به الحرث بن هشام وهو يظن انه سراقة بن مالك فوكز في صدر الحرث ثم خرج هاربا حتى القى نفسه في البحر ورفع يديه فقال اللهم اني اسالك نظرتك اياي وخاف ان يخلص القتل اليه واقبل ابو جهل فقال يا معشر الناس لا يهولنكم خذلان سراقة بن مالك فانه كان على ميعاد من محمد ولا يهولنكم قتل شيبة وعتبة والوليد فانهم قد عجلوا فواللات والعزى لا نرجع حتى نقرنهم بالحبال فلا القين رجلا منكم قتل رجلا ولكن خذوهم اخذا حتى نعرفهم سوء صنيعهم من مفارقتهم اياكم ورغبتهم عن اللات والعزى ثم قال ابو جهل متمثلا ما تنقم الحرب العوان مني • بازل عامين حديث سني • لمثل هذا ولدتني امي
صح

مطالعه

صلى الله عليه وسلم لما خرج من اصحابه على القتال ورمى المشركين بما رماهم به من التراب وهزمهم الله تعالى صعد الى العريش ايضا ومعه ابو بكر ووقف سعد بن معاذ ومن معه من الانصار على باب العريش ومعهم السيوف خيفة ان تكر راجعة من المشركين الى النبي صلى الله عليه قال ابن اسحاق ولما وضع القوم ايديهم يأسرون وراى رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما ذكر لي في وجه سعد بن معاذ الكراهة لما يصنع الناس فقال له لكانك يا سعد تكره ما يصنع القوم قال اجل والله يا رسول الله كانت اول وقعة اوقعها الله باهل الشرك فكان الاثخان في القتل احب الي من استبقاء الرجال قال ابن اسحاق وحدثني العباس بن عبد الله بن معبد عن بعض اهله عن عبد الله ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لاصحابه يومئذ اني قد عرفت ان رجالا من بني هاشم وغيرهم قد اخرجوا كرها لا حاجة لهم بقتالنا فمن لقي منكم احدا من بني هاشم فلا يقتله ومن لقي ابا البختري بن هشام بن الحرث بن اسد فلا يقتله ومن لقي العباس بن عبد المطلب عم رسول الله فلا يقتله فانه انما اخرج مستكرها فقال ابو حذيفة بن عتبة بن ربيعة انقتل اباءنا وابناءنا واخواننا ونترك العباس والله لئن لقيته لالحمنه السيف فبلغت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لعمر يا ابا حفص قال عمر والله انه لاول يوم كناني فيه رسول الله بابي حفص ايضرب وجه عم رسول الله بالسيف فقال عمر يا رسول الله دعني فلاضرب عنقه بالسيف فوالله لقد نافق فقال ابو حذيفة ما انا بامن من تلك الكلمة التي قلت يومئذ ولا ازال منها خايفا الا ان يكفرها عني الشهادة فقتل يوم اليمامة شهيدا رضي الله عنه

مقتل ابي البختري بن هشام

ابن اسحق

قال وانما نهى رسول الله عن قتل ابي البختري انه كان اكف القوم عن رسول الله صلى الله عليه وهو بمكة كان لا يؤذيه ولا يبلغه عنه شيء يكرهه وكان فيمن قام في نقض الصحيفة فلقيه المجذر بن زياد البلوي حليف الانصار فقال له ان رسول الله صلى الله عليه وسلم نهانا عن قتلك ومع ابي البختري زميل له خرج معه من مكة وهو جنادة بن مليحة وهو من بني ليث قال وزميلي فقال له المجذر لا والله ما نحن بتاركي زميلك ما امرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم الا بك وحدك قال لا والله اذا لاموتن انا وهو جميعا لا يتحدث عني نساء قريش بمكة اني تركت زميلي حرصا على الحيوة وقال ابو البختري وهو ينازل المجذر

لن يترك ابن حرة زميله • حتى يموت او يرى سبيله

قال فاقتتلا فقتله المجذر بن زياد وقال في ذلك

اما جهلت او نسيت نسبي • فاثبت النسبة اني من بلي
الطاعنين برماح اليزني • والطاعنين الكبش حتى ينحني
بشر بيتيم من ابيه البختري • او بشرن بمثلها مني بني
انا الذي يقال اصلي من بلي • اطعن بالصعدة حتى تنثني
واعبط القرن بعضب مشرفي • ارزم للموت كارزام المرى
فلا ترى مجذرا يفري فري •

قال ثم اتى المجذر رسول الله فقال والذي بعثك بالحق لقد جهدت عليه ان يستاسر فآتيك به فابى الا ان يقاتلني فقاتلته فقتلته

مقتل امية بن خلف

قال ابن اسحاق وحدثني يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير عن ابيه وحدثنيه ايضا عبد الله بن

حاشية
قال ابن هشام المري في الناقة
التي يستنزل لبنها على عسر

الى بكر وغيرهما عن عبد الرحمن بن عوف قال كان امية بن خلف لي صديقا بمكة وكان اسمي عبد عمرو
فتسميت حين اسلمت عبد الرحمن فكان يلقاني ونحن بمكة فيقول يا عبد عمرو ارغبت عن اسم سماكه
ابوك قال فاقول نعم فقال اني لا اعرف الرحمن فاجعل بيني وبينك شيئا ادعوك به اما انت
فلا تجيبني باسمك الاول واما انا فلا ادعوك بما لا اعرف قال فكان اذا دعاني يا عبد عمرو لم اجبه
قال فقلت له يا ابا علي اجعل ما شئت قال فانت عبد الاله قال فقلت نعم قال فكنت اذا مررت
به قال يا عبد الاله فاجيبه فاتحدث معه حتى اذا كان يوم بدر مررت به وهو واقف مع ابنه
علي وهو آخذ بيده قال ومعي ادراع لي قد استلبتها فانا احملها فلما رآني قال يا عبد عمرو فلم
اجبه فقال يا عبد الاله فقلت نعم قال هل لك في فانا خير لك من هذه الادراع التي معك
قال قلت نعم ها الله قال فطرحت الادراع من يدي واخذت بيده وبيد ابنه وهو يقول ما رايت
كاليوم قط اما لكم حاجة في اللبن ثم خرجت امشي بهما قال ابن اسحاق فحدثني عبد الواحد بن ابي
عون عن سعد بن ابراهيم عن ابيه عن عبد الرحمن بن عوف قال قال لي امية بن خلف وانا بينه
وبين ابنه آخذ بايديهما يا عبد الاله من الرجل منكم المعلم بريشة نعامة في صدره قال قلت حمزة قال
ذاك الذي فعل بنا الافاعيل قال عبد الرحمن فوالله اني لاقودهما اذ رآه بلال معي وكان هو الذي
يعذب بلالا بمكة على الاسلام فلما رآه قال راس الكفر امية بن خلف لا نجوت ان نجا قال قلت اي
بلال اباسيري قال لا نجوت ان نجا قال ثم صرخ باعلى صوته يا انصار الله راس الكفر امية بن
خلف لا نجوت ان نجا فاحاطوا بنا حتى جعلونا في مثل المسكة فانا اذب عنه قال فاخلف رجل
قال ابن هشام / او مثل السوار / قوية المادة
السيف فضرب رجل ابنه فوقع وصاح امية صيحة ما سمعت بمثلها قط قال فقلت انج بنفسك
ولا نجا فوالله ما اغني عنك شيئا قال فهبروهما باسيافهم حتى فرغوا منهما قال فكان عبد الرحمن
يقول يرحم الله بلالا فجعني بادراعي وباسيري وقد روى البخاري في صحيحه قريبا من هذا السياق فقال
في الوكالة ثنا عبد العزيز هو ابن عبد الله ثنا يوسف بن الماجشون عن صالح بن ابراهيم بن عبد
الرحمن بن عوف عن ابيه عن جده عبد الرحمن بن عوف قال كاتبت امية بن خلف كتابا بان يحفظني
في صاغيتي بمكة واحفظه في صاغيته بالمدينة فلما ذكرت الرحمن قال لا اعرف الرحمن كاتبني باسمك
الذي كان في الجاهلية فكاتبته عبد عمرو فلما كان يوم بدر خرجت الى جبل لاحرزه حين نام الناس
فابصره بلال فخرج حتى وقف على مجلس الانصار فقال امية بن خلف لا نجوت ان نجا امية فخرج معه فريق
من الانصار في آثارنا فلما خشيت ان يلحقونا خلفت لهم ابنه لاشغلهم فقتلوه ثم ابوا حتى
يتبعونا وكان رجلا ثقيلا فلما ادركونا قلت له ابرك فبرك فالقيت عليه نفسي لامنعه فتخللوه
بالسيوف من تحتي حتى قتلوه واصاب احدهم رجلي بسيفه فكان عبد الرحمن يرينا ذلك الاثر في ظهر
قدمه سمع يوسف صالحا وابراهيم اباه تفرد به البخاري من بينهم كلهم
وفي مسند رفاعة بن رافع انه هو الذي قتل امية بن خلف م

مقتل ابي جهل لعنه الله

قال ابن هشام واقبل ابو جهل يومئذ يرتجز ويقول • ما تنقم الحرب العوان مني •
• بازل عامين حديث سني • لمثل هذا ولدتني امي •

قال ابن اسحاق فلما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من عدوه امر بابي جهل ان يلتمس في
القتلى وكان اول من لقي ابا جهل كما حدثني ثور بن زيد عن عكرمة عن ابن عباس وعبد الله بن ابي
بكر ايضا قد حدثني ذلك قالا قال معاذ بن عمرو بن الجموح اخو بني سلمة سمعت القوم وابو جهل في مثل
الحرجة وهم يقولون ابو الحكم لا يخلص اليه قال فلما سمعتها جعلته من شاني فصمدت نحوه فلما امكنني

حملت

حملت عليه فضربته ضربة اطنت قدمه بنصف ساقه فوالله ما شبهتها حين طاحت الا بالنواة
تطيح من تحت مرضخة النوى حين يضرب بها قال وضربني ابنه عكرمة على عاتقي فطرح يدي
فتعلقت بجلدة من جنبي واجهضني القتال عنه فلقد قاتلت عامة يومي واني لاسحبها خلفي
فلما اذتني وضعت عليها قدمي ثم تمطيت بها عليها حتى طرحتها قال ابن اسحاق ثم عاش بعد ذلك
حتى كان زمن عثمان ثم مر بابي جهل وهو عقير معوذ بن عفراء فضربه حتى اثبته وتركه وبه رمق وقاتل
معوذ حتى قتل فمر عبد الله بن مسعود بابي جهل حين امر رسول الله ان يلتمس في القتلى وقد قال
لهم رسول الله فيما بلغني انظروا ان خفي عليكم في القتلى الى اثر جرح في ركبته فاني ازدحمت انا وهو
يوما على مادبة لعبد الله بن جدعان ونحن غلامان وكنت اشف منه بيسير فدفعته فوقع
على ركبتيه فجحش في احداهما جحشا لم يزل اثره به قال ابن مسعود فوجدته باخر رمق فعرفته
فوضعت رجلي على عنقه قال وقد كان ضبث بي مرة بمكة فاذاني ولكزني ثم قلت له هل اخزاك
الله قال وبماذا اخزاني اعمد من رجل قتلتموه اخبرني لمن الدائرة اليوم قال قلت لله
ولرسوله قال ابن اسحاق وزعم رجال من بني مخزوم ان ابن مسعود كان يقول قال لي لقد
ارتقيت مرتقى صعبا يا رويعي الغنم قال ثم احتززت راسه ثم جئت به رسول الله فقلت
يا رسول الله هذا راس عدو الله فقال الله الذي لا اله غيره وكانت يمين رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقلت نعم والله الذي لا اله غيره ثم القيت راسه بين يدي رسول الله فحمد
الله هكذا ذكره ابن اسحاق رح وقد ثبت في الصحيحين من طريق يوسف بن يعقوب بن
الماجشون عن صالح بن ابراهيم بن عبد الرحمن بن عوف عن ابيه عن عبد الرحمن بن عوف
قال اني لواقف يوم بدر في الصف فنظرت عن يميني وشمالي فاذا انا بين غلامين من
الانصار حديثة اسنانهما فتمنيت ان اكون بين اضلع منهما فغمزني احدهما فقال يا عم
اتعرف ابا جهل فقلت نعم وما حاجتك اليه قال اخبرت انه يسب رسول الله صلى الله عليه
وسلم والذي نفسي بيده لئن رايته لا يفارق سوادي سواده حتى يموت الاعجل منا فتعجبت
لذلك فغمزني الاخر فقال لي ايضا مثلها فلم انشب ان نظرت الى ابي جهل وهو يجول في الناس
فقلت الا تريان هذا صاحبكما الذي تسالان عنه فابتدراه بسيفيهما فضرباه حتى قتلاه
ثم انصرفا الى النبي صلى الله عليه وسلم فاخبراه فقال ايكما قتله قال كل منهما انا قتلته
قال هل مسحتما سيفيكما قالا لا قال فنظر النبي صلى الله عليه وسلم في السيفين فقال
كلاكما قتله وقضى بسلبه لمعاذ بن عمرو بن الجموح والاخر معاذ بن عفراء وقال البخاري ثنا
يعقوب بن ابراهيم ثنا ابراهيم بن سعد عن ابيه عن جده قال قال عبد الرحمن اني لفي
الصف يوم بدر اذ التفت فاذا عن يميني وعن يساري فتيان حديثا السن فكاني
لم آمن بمكانهما اذ قال لي احدهما سرا من صاحبه يا عم ارني ابا جهل فقلت يا ابن اخي وما
تصنع به قال عاهدت الله ان رايته ان اقتله او اموت دونه فقال لي الاخر سرا من صاحبه
مثله قال فما سرني اني بين رجلين مكانهما فاشرت لهما اليه فشدا عليه مثل الصقرين
حتى ضرباه وهما ابنا عفراء وفي الصحيحين ايضا من حديث ابي سليمان التيمي عن انس
بن مالك قال قال رسول الله من ينظر ما صنع ابو جهل قال ابن مسعود انا يا رسول الله
فانطلق فوجده قد ضربه ابنا عفراء حتى برد قال فاخذ بلحيته قال فقلت انت ابو جهل
فقال وهل فوق رجل قتلتموه او قال قتله قومه وعند البخاري عن ابي اسامة عن اسماعيل

بن قيس عن ابن مسعود انه اتى ابا جهل فقال قد اخزاك الله فقال هل اعمد من رجل قتلتموه وقال الاعمش عن ابي اسحاق عن ابي عبيدة عن عبد الله قال انتهيت الى ابي جهل وهو صريع وعليه بيضة ومعه سيف جيد ومعي سيف ردي فجعلت انقف راسه بسيفي واذكر نقفا كان ينقف راسي بمكة حتى ضعفت يده فاخذت سيفه فرفع راسه فقال على من كانت الدبرة لنا او علينا الست رويعينا بمكة قال فقتلته ثم اتيت النبي صلى الله عليه وسلم فقلت قتلت ابا جهل فقال الله الذي لا اله الا هو فاستحلفني ثلاث مرات ثم قام معي اليهم فدعا عليهم وقال الامام احمد ثنا وكيع ثنا اسرائيل عن ابي اسحاق عن ابي عبيدة قال قال عبد الله انتهيت الى ابي جهل يوم بدر وقد ضربت رجله وهو يذب الناس عنه بسيف له فقلت الحمد لله الذي اخزاك الله يا عدو الله قال هل هو الا رجل قتله قومه قال فجعلت اتناوله بسيف لي غير طائل فاصبت يده فندر سيفه فاخذته فضربته حتى قتلته قال ثم خرجت حتى اتيت النبي صلى الله عليه وسلم كانما اقل من الارض فاخبرته فقال آلله الذي لا اله الا هو فرددها ثلاثا قال قلت آلله الذي لا اله الا هو قال فخرج يمشي معي حتى قام عليه فقال الحمد لله الذي اخزاك الله يا عدو الله هذا كان فرعون هذه الامة وفي رواية اخرى قال ابن مسعود فنفلني سيفه وقال ابو اسحاق الفزاري عن الثوري عن ابي اسحاق عن ابي عبيدة عن ابن مسعود قال اتيت رسول الله يوم بدر فقلت قد قتلت ابا جهل فقال آلله الذي لا اله الا هو فقلت الله الذي لا اله الا هو مرتين او ثلاثا قال فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الله اكبر الحمد لله الذي صدق وعده ونصر عبده وهزم الاحزاب وحده ثم قال انطلق فارنيه فانطلقت فاريته فقال هذا فرعون هذه الامة ورواه ابو داود والنسائي من حديث ابي اسحاق السبيعي به وقال الواقدي ووقف رسول الله صلى الله عليه وسلم على مصرع ابني عفراء فقال رحم الله ابني عفراء فانهما شركا في قتل فرعون هذه الامة وراس ائمة الكفر فقيل يا رسول الله ومن قتله معهما قال الملائكة وابن مسعود قد شرك في قتله رواه البيهقي ثم روى البيهقي من طريق ابي نعيم عن سلمة بن رجاء عن الشعثاء امراة من بني اسد عن عبد الله بن ابي اوفى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى ركعتين حين بشر بالفتح وحين جيء براس ابي جهل وقال ابن ماجه ثنا ابو بشر بكر بن خلف ثنا سلمة بن رجاء قال حدثتني شعثاء عن عبد الله بن ابي اوفى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى يوم بشر براس ابي جهل ركعتين وقال ابن ابي الدنيا حدثنا ابي ثنا هشيم ثنا مجالد عن الشعبي ان رجلا قال لرسول الله اني مررت ببدر فرايت رجلا يخرج من الارض فيضربه رجل بمقمعة معه حتى يغيب في الارض ثم يخرج فيفعل به ذلك مرارا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ذاك ابو جهل بن هشام يعذب الى يوم القيامة وقال الاموي في مغازيه سمعت ابي ثنا المجالد بن سعيد عن عامر قال جاء رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اني رايت رجلا جالسا في بدر ورجل يضرب راسه بعمود من حديد حتى يغيب في الارض فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ذاك ابو جهل وكل به ملك يفعل به كلما خرج فهو يتجلجل في الارض الى يوم القيامة قال البخاري ثنا عبيد بن اسماعيل ثنا ابو اسامة عن هشام عن ابيه قال قال الزبير لقيت يوم بدر عبيدة بن سعيد بن العاص وهو مدجج لا يرى منه الا عيناه وهو يكنى ابا ذات الكرش فقال انا ابو ذات الكرش فحملت عليه بالعنزة فطعنته في عينه فمات قال هشام

وقال البيهقي اخبرنا الحاكم اخبرنا الاصم ثنا احمد بن عبد الجبار ثنا يونس بن بكير عن عنبسة بن الازهر عن ابي اسحق قال لما جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم البشير يوم بدر بقتل ابي جهل استحلفه ثلاثة ايمان بالله الذي لا اله الا هو لقد رايته قتيلا فحلف له فخر رسول الله صلى الله عليه وسلم ساجدا م

فاخبرت

فاخبرت ان الزبير قال لقد وضعت رجلي عليه ثم تمطيت فكان الجهد ان نزعتها وقد انثنى طرفاها قال عروة فسأله اياها رسول الله فاعطاه فلما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم اخذها ثم طلبها ابو بكر فاعطاه فلما قبض ابو بكر سألها اياه عمر فاعطاه اياها فلما قتل عثمان وقعت عند آل علي فطلبها عبد الله بن الزبير فكانت عنده حتى قتل وقال ابن هشام حدثني ابو عبيدة وغيره من اهل العلم بالمغازي ان عمر بن الخطاب قال لسعيد بن العاص ومر به اني اراك كان في نفسك شيئا اراك تظن اني قتلت اباك اني لو قتلته لم اعتذر اليك من قتله ولكني قتلت خالي العاص بن هشام بن المغيرة فاما ابوك فاني مررت به وهو يبحث بحث الثور بروقه فحدت عنه وقصد له ابن عمه علي فقتله قال ابن اسحاق وقاتل عكاشة بن محصن بن حرثان الاسدي حليف بني عبد شمس يوم بدر بسيفه حتى انقطع في يده فاتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاعطاه جذلا من حطب فقال قاتل بهذا يا عكاشة فلما اخذه من يد رسول الله صلى الله عليه وسلم هزه فعاد سيفا في يده طويل القامة شديد المتن ابيض الحديدة فقاتل به حتى فتح الله على المسلمين وكان ذلك السيف يسمى العون ثم لم يزل عنده يشهد به المشاهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى قتله طليحة الاسدي ايام الردة وانشد طليحة في ذلك قصيدة منها قوله

عشية غادرت ابن اقرم ثاويا • وعكاشة الغنمي عند مجال •

وقد اسلم طليحة بعد ذلك كما سنبينه قال ابن اسحاق وعكاشة هو الذي قال حين بشر رسول الله امته بسبعين الفا يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب ادع الله ان يجعلني منهم فقال اللهم اجعله منهم وهذا الحديث مخرج في الصحاح والحسان وغيرها قال ابن اسحاق وقال رسول الله فيما بلغني منا خير فارس في العرب قالوا ومن هو يا رسول الله قال عكاشة بن محصن فقال ضرار بن الازور الاسدي ذاك رجل منا يا رسول الله قال ليس منكم ولكنه منا للحلف وقد روى البيهقي عن الحاكم من طريق محمد بن عمر الواقدي حدثني عمر بن عثمان الجحشي عن ابيه عن عمته قالت قال عكاشة بن محصن انقطع سيفي يوم بدر فاعطاني رسول الله صلى الله عليه وسلم عودا فاذا هو سيف ابيض طويل فقاتلت به حتى هزم الله المشركين ولم يزل عنده حتى هلك وقال الواقدي وحدثني اسامة بن زيد عن داود ابن الحصين عن رجال من بني عبد الاشهل عدة قالوا انكسر سيف سلمة بن حريش يوم بدر فبقي اعزل لا سلاح له فاعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم قضيبا كان في يده من عراجين ابن طاب فقال اضرب به فاذا هو سيف جيد فلم يزل عنده حتى قتل يوم جسر ابي عبيد

فقبض عمر اخذها ثم طلبها عثمان منه فاعطاه اياها فلما م

ردّه عليه السلام عين قتادة

قال البيهقي في الدلائل انا ابو سعد الماليني ثنا ابو احمد بن عدي ثنا ابو يعلى ثنا يحيى الحماني ثنا عبد العزيز بن سليمان بن الغسيل عن عاصم بن عمر بن قتادة عن ابيه عن جده قتادة ابن النعمان انه اصيبت عينه يوم بدر فسالت حدقته على وجنته فارادوا ان يقطعوها فسالوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لا فدعا فغمز حدقته براحته فكان لا يدري اي عينيه اصيبت وفي رواية فكانت احسن عينيه وقد روينا عن امير المؤمنين عمر بن عبد العزيز انه لما اخبره بهذا الخبر عاصم بن عمر بن قتادة وانشد مع ذلك

• انا ابن الذي سالت على الخد عينه • فردت بكف المصطفى ايما رد •

فقال عمر بن عبد العزيز عند ذلك متمثلا قول امية بن ابي الصلت في سيف بن ذي يزن فانشده عمر في موضعه حقا

تلك المكارم لا قعبان من لبن * شيبا بماء فعادا بعد ابوالا

قصة اخرى شبيهة بها

قال البيهقي انا ابو عبد الله الحافظ انا محمد بن صالح انا الفضل بن محمد الشعراني ثنا ابراهيم بن المنذر ثنا عبد العزيز بن عمران حدثني رفاعة بن يحيى عن معاذ بن رفاعة بن رافع بن مالك قال لما كان يوم بدر تجمع الناس على ابي بن خلف فاقبلت اليه فنظرت الى قطعة من درعه قد انقطعت من تحت ابطه قال فاطعنته بالسيف فيها طعنة فطعنته ورميت بسهم يوم بدر ففقئت عيني فبصق فيها رسول الله ودعا لي فما اذاني منها شيء وهذا غريب من هذا الوجه واسناده جيد ولم يخرجوه قال ابن هشام ونادى ابو بكر ابنه عبد الرحمن وهو يومئذ مع المشركين لم يسلم بعد فقال اين مالي يا خبيث فقال عبد الرحمن

لم يبق الا شكة ويعبوب * وصارم يقتل ضلال الشيب

يعني لم يبق الا عدة الحرب وحصان وهو اليعبوب يقاتل عليه شيوخ الضلالة هذا يقوله في حال كفره وقد روينا في مغازي الاموي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم جعل يمشي يوم بدر هو وابو بكر الصديق بين القتلى ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول نفلق هاما فيقول الصديق من رجال اعزة علينا وهم كانوا اعق واظلما

(في الهامش: عن ابيه رفاعة بن رافع صح — ورواه الطبراني من حديث ابرهيم بن المنذر صح)

ذكر طرح رؤس الكفر في بئر يوم بدر

قال ابن اسحاق وحدثني يزيد بن رومان عن عروة عن عائشة قالت لما امر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالقتلى ان يطرحوا في القليب طرحوا فيه الا ما كان من امية بن خلف فانه انتفخ في درعه فملأها فذهبوا ليحركوه فتزايل فاقروه والقوا عليه ما غيبه من التراب والحجارة فلما القاهم في القليب وقف عليهم فقال يا اهل القليب هل وجدتم ما وعد ربكم حقا فاني قد وجدت ما وعدني ربي حقا قالت فقال له اصحابه يا رسول الله اتكلم قوما موتى فقال لهم لقد علموا ان ما وعدتهم ربهم حق قالت عائشة والناس يقولون لقد سمعوا ما قلت لهم وانما قال رسول الله لقد علموا قال ابن اسحاق وحدثني حميد الطويل عن انس بن مالك قال سمع اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم رسول الله من جوف الليل وهو يقول يا اهل القليب يا عتبة بن ربيعة ويا شيبة بن ربيعة ويا امية بن خلف ويا ابا جهل بن هشام فعدد من كان منهم في القليب هل وجدتم ما وعد ربكم حقا فاني قد وجدت ما وعدني ربي حقا فقال المسلمون يا رسول الله اتنادي قوما قد جيفوا فقال ما انتم باسمع لما اقول منهم ولكنهم لا يستطيعون ان يجيبوني وقد رواه الامام احمد عن ابن ابي عدي عن حميد عن انس فذكر نحوه وهذا على شرط الصحيحين قال ابن اسحاق وحدثني بعض اهل العلم ان رسول الله قال يا اهل القليب بئس عشيرة النبي كنتم لنبيكم كذبتموني وصدقني الناس واخرجتموني وآواني الناس وقاتلتموني ونصرني الناس هل وجدتم ما وعد ربكم حقا فاني قد وجدت ما وعدني ربي حقا قلت وهذا مما كانت عائشة ام المؤمنين رضي الله عنها تتأوله من الاحاديث كما قد جمع ما كانت تتأوله من الاحاديث في جزء وتعتقد انه معارض لبعض الآيات وهذا المقام مما كانت تعارض فيه قوله تعالى وما انت بمسمع من في القبور وليس هو بمعارض له والصواب قول الجمهور من الصحابة ومن بعدهم للاحاديث الدالة نصا على خلاف ما ذهبت اليه رضي

الله عنها وارضاها قال البخاري ثنا عبيد بن اسماعيل ثنا ابو اسامة عن هشام بن عروة عن ابيه قال ذكر عند عائشة ان ابن عمر رفع الى النبي صلى الله عليه وسلم ان الميت يعذب في قبره ببكاء اهله فقالت وهل رحمه الله انما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انه ليعذب بخطيئته وذنبه وان اهله ليبكون عليه الآن قالت وذلك مثل قوله ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قام على القليب وفيه قتلى بدر من المشركين فقال لهم ما قال انهم ليسمعون ما اقول وانما قال انهم الآن ليعلمون ان ما كنت اقول لهم حق ثم قرأت انك لا تسمع الموتى وما انت بمسمع من في القبور تقول حين تبوؤا مقاعدهم من النار وقد رواه مسلم عن ابي كريب عن ابي اسامة به وقد جاء التصريح بسماع الميت بعد دفنه في غير ما حديث كما سنقرر ذلك في كتاب الجنائز من الاحكام الكبير ان شاء الله تعالى ثم قال البخاري ثنا عثمان ثنا عبدة عن هشام عن ابيه عن ابن عمر قال وقف النبي صلى الله عليه وسلم على قليب بدر فقال هل وجدتم ما وعد ربكم حقا ثم قال انهم الآن يسمعون ما اقول لهم وذكرت لعائشة فقالت انما قال النبي صلى الله عليه وسلم انهم الآن ليعلمون ان الذي كنت اقول لهم هو الحق ثم قرأت انك لا تسمع الموتى حتى قرأت الآية وقد رواه مسلم عن ابي كريب عن ابي اسامة وعن ابي بكر بن ابي شيبة عن وكيع كلاهما عن هشام بن عروة به وقال البخاري ثنا عبد الله بن محمد سمع روح بن عبادة ثنا سعيد بن ابي عروبة عن قتادة قال ذكر لنا انس بن مالك عن ابي طلحة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم امر يوم بدر باربعة وعشرين رجلا من صناديد قريش فقذفوا في طوي من اطواء بدر خبيث مخبث وكان اذا ظهر على قوم اقام بالعرصة ثلاث ليال فلما كان ببدر اليوم الثالث امر براحلته فشد عليها رحلها ثم مشى واتبعه اصحابه قالوا ما نرى ينطلق الا لبعض حاجته حتى قام على شفة الركي فجعل يناديهم باسمائهم واسماء آبائهم يا فلان بن فلان ايسركم انكم اطعتم الله ورسوله فانا قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا فقال عمر يا رسول الله ما تكلم من اجساد لا ارواح لها فقال النبي صلى الله عليه وسلم والذي نفس محمد بيده ما انتم باسمع لما اقول منهم قال قتادة احياهم الله حتى اسمعهم قوله توبيخا وتصغيرا ونقمة وحسرة وندما وقد اخرجه بقية الجماعة الا ابن ماجة من طرق عن سعيد بن ابي عروبة ورواه الامام احمد عن يونس بن محمد المؤدب عن شيبان بن عبد الرحمن عن قتادة قال حدث انس بن مالك فذكر مثله ولم يذكر ابا طلحة وهذا اسناد صحيح ولكن الاول اصح واظهر والله اعلم وقال الامام احمد ثنا عفان ثنا حماد عن ثابت عن انس ان رسول الله ترك قتلى بدر ثلاثة ايام حتى جيفوا ثم اتاهم فقام عليهم فقال يا امية بن خلف يا ابا جهل بن هشام يا عتبة بن ربيعة يا شيبة بن ربيعة هل وجدتم ما وعد ربكم حقا فاني قد وجدت ما وعدني ربي حقا قال فسمع عمر صوته فقال يا رسول الله اتناديهم بعد ثلاث وهل يسمعون يقول الله تعالى انك لا تسمع الموتى فقال والذي نفسي بيده ما انتم باسمع لما اقول منهم ولكن لا يستطيعون ان يجيبوا ورواه مسلم عن هدبة بن خالد عن حماد بن سلمة به قال ابن اسحاق وقال حسان بن ثابت

عرفت ديار زينب بالكثيب * كخط الوحي في الورق القشيب

تداولها الرياح وكل جون * من الوسمي منهمر سكوب

فامسى رسمها خلقا وامست * يبابا بعد ساكنها الحبيب

(في الهامش: ان رسول الله صلى — ولم يذكر ابا طلحة صح)

تدع عنك التذكر كل يوم • ورد حرارة القلب الكئيب
وخبر بالذي لا عيب فيه • بصدق غير اخبار الكذوب
بما صنع المليك غداة بدر • لنا في المشركين من النصيب
غداة كأن جمعهم حراء • بدت اركانه جنح الغروب
فلاقيناهم منا بجمع • كاسد الغاب مردان وشيب
امام محمد قد وازروه • على الاعداء في لفح الحروب
بايديهم صوارم مرهفات • وكل مجرب خاظي الكعوب
بنو الاوس الغطارف وازرتها • بنو النجار في الدين الصليب
فغادرنا ابا جهل صريعا • وعتبة قد تركنا بالجبوب
وشيبة قد تركنا في رجال • ذوي حسب اذا نسبوا حسيب
يناديهم رسول الله لما • قذفناهم كباكب في القليب
الم تجدوا كلامي كان حقا • وامر الله ياخذ بالقلوب
فما نطقوا ولو نطقوا لقالوا • صدقت وكنت ذا رأي مصيب

قال ابن اسحاق ولما امر رسول الله صلى الله عليه وسلم بهم ان يلقوا في القليب اخذ عتبة بن ربيعة فسحب في القليب فنظر رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما بلغني في وجه ابي حذيفة بن عتبة فاذا هو كئيب قد تغير لونه فقال يا ابا حذيفة لعلك قد دخلك من شان ابيك شيء او كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لا والله يا رسول الله ما شككت في ابي ولا في مصرعه ولكني كنت اعرف من ابي رايا وحلما وفضلا فكنت ارجو ان يهديه ذلك للاسلام فلما رايت ما اصابه وذكرت ما مات عليه من الكفر بعد الذي كنت ارجو له احزنني ذلك فدعا له رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال له خيرا وقال البخاري ثنا الحميدي ثنا سفيان ثنا عمرو عن عطا عن ابن عباس الذين بدلوا نعمة الله كفرا قال هم والله كفار قريش قال عمرو هم قريش ومحمد نعمة الله واحلوا قومهم دار البوار قال النار يوم بدر قال ابن اسحاق وقال حسان بن ثابت

قومي الذين هم آووا نبيهم • وصدقوه واهل الارض كفار
الا خصائص اقوام هم سلف • للصالحين مع الانصار انصار
مستبشرين بقسم الله قولهم • لما اتاهم كريم الاصل مختار
اهلا وسهلا ففي امن وفي سعة • نعم النبي ونعم القسم والجار
وقاسموه بها الاموال اذ قدموا • مهاجرين وقسم الجاحد النار
سرنا وساروا الى بدر لحينهم • لو يعلمون يقين العلم ما ساروا
دلاهم بغرور ثم اسلمهم • ان الخبيث لمن والاه غرار
وقال اني لكم جار فاوردهم • شر الموارد فيه الخزي والعار
ثم التقينا فولوا عن سراتهم • من منجدين ومنهم فرقة غاروا

وقال الامام احمد ثنا يحيى بن ابي بكير وعبد الرزاق قالا ثنا اسرائيل عن سماك عن عكرمة عن ابن عباس قال لما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من القتلى قيل له عليك العير ليس دونها شيء فناداه العباس وهو في الوثاق انه لا يصلح لك قال لم قال لان الله وعدك احدى الطائفتين وقد انجز لك

ما وعدك

ما وعدك وقد كان جملة من قتل من سراة الكفار يوم بدر سبعين مع حضور الف من الملائكة وكان قدر الله السابق فيهم لما في علمه من ان سيسلم منهم بشر كثير ولو شاء الله لسلط عليهم ملكا واحدا فاهلكهم عن آخرهم ولكن قتلوا من لا خير فيه بالكلية وقد كان في الملائكة جبريل الذي امره الله تعالى فاقتلع مداين قوم لوط وكن سبع مداين من الامم والدواب والاراضي والمزروعات ما لا يعلمه الا الله فرفعهن حتى بلغ بهن عنان السما على طرف جناحه ثم قلبهن منكسات واتبعهن بالحجارة التي سومت لهم كما ذكرنا في قصة قوم لوط فيما تقدم وقد شرع الله جهاد المومنين للكافرين وقد بين حكمته تعالى في ذلك فقال فاذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب حتى اذا اثخنتموهم فشدوا الوثاق فاما منا بعد واما فدا حتى تضع الحرب اوزارها ذلك ولو يشا الله لانتصر منهم ولكن ليبلو بعضكم ببعض والذين قتلوا في سبيل الله فلن يضل اعمالهم سيهديهم ويصلح بالهم ويدخلهم الجنة عرفها لهم وقال قاتلوهم يعذبهم الله بايديكم ويخزهم وينصركم عليهم ويشف صدور قوم مومنين ويذهب غيظ قلوبهم ويتوب الله على من يشا والله عليم حكيم فكان قتل ابي جهل على يدي شاب من الانصار ثم بعد ذلك يقف عليه عبد الله بن مسعود ويمسك بلحيته ويصعد على صدره حتى قال له لقد ارتقيت مرتقى صعبا يا رويعي الغنم ثم بعد هذا حز راسه حتى وضعه بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم فشفى الله به قلوب المومنين كان هذا ابلغ من ان تاتيه صاعقة او ان يسقط عليه سقف منزله او ان يموت حتف انفه والله اعلم واحكم وقد ذكر ابن اسحاق فيمن قتل يوم بدر مع المشركين ممن كان مسلما ولكنه خرج معهم تقية منهم لانه كان فيهم مضطهدا قد فتنوه عن اسلامه جماعة منهم الحارث بن زمعة بن الاسود وابو قيس بن الفاكه وعلي بن امية بن خلف والعاص بن منبه بن الحجاج قال وفيهم نزل قوله تعالى ان الذين توفاهم الملائكة ظالمي انفسهم قالوا فيم كنتم قالوا كنا مستضعفين في الارض قالوا الم تكن ارض الله واسعة فتهاجروا فيها فاولئك ماواهم جهنم وساءت مصيرا وكان جملة الاسارى يومئذ سبعين اسيرا كما سياتي الكلام عليهم فيما بعد ان شا الله منهم من اقربا رسول الله صلى الله عليه وسلم عمه العباس بن عبد المطلب وابن عمه عقيل بن ابي طالب ونوفل بن الحارث بن عبد المطلب وقد استدل بهذا الشافعي والبخاري وغيرهما بذلك على انه ليس كل من ملك ذا رحم محرم يعتق عليه وعارضوا بحديث الحسن عن ابن سمرة في ذلك فالله اعلم وكان فيهم ابو العاص بن الربيع بن عبد شمس بن امية زوج زينب بنت النبي عليه السلام

فصل

وقد اختلف الصحابة في الاسارى ايقتلون او يفادون على قولين كما قال الامام احمد ثنا علي بن عاصم عن حميد عن انس وذكر رجل عن الحسن قال استشار رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس في الاسارى يوم بدر فقال ان الله قد امكنكم منهم قال فقام عمر فقال يا رسول الله اضرب اعناقهم قال فاعرض عنه النبي صلى الله عليه وسلم ثم عاد النبي صلى الله عليه وسلم فقال للناس مثل ذلك فقام ابو بكر الصديق فقال يا رسول الله نرى ان تعفو عنهم وان تقبل منهم الفدا قال فذهب عن وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ما كان فيه من الغم فعفا عنهم وقبل منهم الفدا قال وانزل الله لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما اخذتم الى آخر الآية تفرد به احمد وقد روى الامام احمد واللفظ له ومسلم وابو داود والترمذي وصححه وكذا علي بن المديني وصححه من حديث عكرمة بن عمار ثنا سماك الحنفي ابو زميل حدثني ابن عباس حدثني عمر بن الخطاب قال نظر رسول الله صلى

واحتمله م

فقال ايها الناس ان الله قد امكنكم وانما هم اخوانكم بالامس فقام فقال يا رسول الله اضرب اعناقهم فاعرض عنه النبي صلى الله عليه وسلم ثم عاد م

الله عليه وسلم الى اصحابه يوم بدر وهم ثلثمائة ونيف ونظر الى المشركين واذا هم الف وزيادة
فذكر الحديث كما تقدم الى قوله فقتل منهم سبعون رجلا واسر سبعون رجلا واستشار رسول
الله ابا بكر وعليا وعمر فقال ابو بكر يا رسول الله هولاء بنو العم والعشيرة والاخوان واني ارى ان
تاخذ منهم الفدية فيكون ما اخذنا منهم قوة لنا على الكفار وعسى ان يهديهم الله فيكونوا لنا عضدا
فقال رسول الله ما ترى يا ابن الخطاب قال قلت والله ما ارى ما راى ابو بكر ولكن ارى ان
تمكنني من فلان قريب لعمر فاضرب عنقه وتمكن عليا من عقيل فيضرب عنقه وتمكن حمزة من
فلان اخيه فيضرب عنقه حتى يعلم الله انه ليست في قلوبنا موادة للمشركين هولاء صناديدهم
وائمتهم وقادتهم فهوى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما قال ابو بكر ولم يهو ما قلت وقال عمر
فغدوت الى النبي صلى الله عليه وسلم وابو بكر وهما يبكيان فقلت يا رسول الله اخبرني ماذا
يبكيك انت وصاحبك فان وجدت بكاء بكيت وان لم اجد بكاء تباكيت لبكائكما قال
النبي صلى الله عليه وسلم للذي عرض علي اصحابك من اخذهم الفدا قد عرض علي عذابكم ادنى من
هذه الشجرة لشجرة قريبة وانزل الله ما كان لنبي ان يكون له اسرى حتى يثخن في الارض الى قوله لولا
كتاب من الله سبق لمسكم فيما اخذتم من الفدا ثم احل لهم الغنائم وذكر تمام الحديث وقال
الامام احمد ثنا ابو معاوية ثنا الاعمش عن عمرو بن مرة عن ابي عبيدة عن عبد الله قال لما كان
يوم بدر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما تقولون في هولاء الاسرى قال فقال ابو بكر
يا رسول الله قومك واهلك استبقهم واستان بهم لعل الله ان يتوب عليهم قال وقال عمر
يا رسول الله اخرجوك وكذبوك قدمهم فاضرب اعناقهم قال وقال عبد الله بن رواحة يا رسول الله قدمهم م
انظر واديا كثير الحطب فادخلهم فيه ثم اضرمه عليهم نارا قال فدخل رسول الله صلى الله عليه
وسلم ولم يرد عليهم شيئا فقال ناس ياخذ بقول ابي بكر وقال ناس ياخذ بقول عمر وقال ناس
ياخذ بقول عبد الله بن رواحة قال فخرج عليهم فقال ان الله ليلين قلوب رجال فيه حتى
يكون الين من اللبن وان الله ليشدد قلوب رجال فيه حتى تكون اشد من الحجارة وان مثلك يا ابا
بكر كمثل ابراهيم قال فمن تبعني فانه مني ومن عصاني فانك غفور رحيم ومثلك يا ابا بكر
كمثل عيسى قال ان تعذبهم فانهم عبادك وان تغفر لهم فانك انت العزيز الحكيم وان مثلك
يا عمر كمثل نوح قال رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا وان مثلك يا عمر كمثل موسى قال
ربنا اطمس على اموالهم واشدد على قلوبهم فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الاليم انتم عالة
فلا ينفلتن احد الا بفدا او ضربة عنق قال عبد الله فقلت يا رسول الله الا سهيل بن بيضاء
فاني قد سمعته يذكر الاسلام قال فسكت قال فما رايتني في يوم اخوف ان تقع علي حجارة
من السماء من ذلك اليوم حتى قال الا سهيل بن بيضاء قال فانزل الله ما كان لنبي ان يكون له اسرى
حتى يثخن في الارض تريدون عرض الدنيا والله يريد الاخرة والله عزيز حكيم لولا كتاب من الله سبق
لمسكم فيما اخذتم عذاب عظيم فكلوا مما غنمتم حلالا طيبا الى اخر الاية وهكذا رواه الترمذي والحاكم
من حديث ابي معاوية وقال الحاكم صحيح الاسناد ولم يخرجاه ورواه ابن مردويه من طريق عبد الله
بن عمر وابي هريرة بنحو ذلك وقد روي عن ابي ايوب الانصاري بنحوه وقد روى ابن مردويه والحاكم
في المستدرك من حديث عبيد الله بن موسى ثنا اسرائيل عن ابراهيم بن مهاجر عن مجاهد عن ابن عمر
قال لما اسر الاسارى يوم بدر اسر العباس فيمن اسر اسره رجل من الانصار قال وقد اوعدته
الانصار انهم قاتلوه قال افاتيهم قال نعم فاتى عمر الانصار فقال لهم ارسلوا العباس فقالوا

ان يقتلوه فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فقال اني لم انم الليلة من اجل عمي العباس وقد زعمت الانصار م

لا والله

لا والله لا نرسله فقال لهم عمر فان كان لرسول الله رضى قالوا فان كان له رضى فخذه فاخذه عمر
فلما صار في يده قال له عمر يا عباس اسلم فوالله لان تسلم احب الي من ان يسلم الخطاب وما
ذاك الا لما رايت رسول الله يعجبه اسلامك قال واستشار رسول الله ابا بكر فقال ابو بكر
عشيرتك فارسلهم واستشار عمر فقال اقتلهم ففاداهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فانزل
الله ما كان لنبي ان يكون له اسرى حتى يثخن في الارض الاية ثم قال الحاكم هذا حديث صحيح الاسناد
ولم يخرجاه وروى الترمذي والنسائي وابن حبان في صحيحه من حديث سفيان الثوري عن هشام
بن حسان عن محمد بن سيرين عن عبيدة عن علي قال جاء جبريل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال
منهم م خير اصحابك في الاسارى ان شاوا الفدا وان شاوا القتل على ان يقتل عاما قابلا مثلهم قالوا
الفدا ويقتل منا وهذا حديث غريب جدا ومنهم من رواه مرسلا عن عبيدة والله اعلم وقد قال
محمد بن اسحاق عن ابن ابي نجيح عن عطا عن ابن عباس في قوله لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما
اخذتم عذاب عظيم يقول لولا اني لا اعذب من عصاني حتى اتقدم اليه لمسكم فيما اخذتم عذاب
عظيم وهكذا روى ابن ابي نجيح عن مجاهد ايضا واختاره ابن اسحاق وغيره وقال الاعمش سبق منه
ان لا يعذب احدا شهد بدرا وهكذا روي عن سعد بن ابي وقاص وسعيد بن جبير وعطا بن
ابي رباح وقال مجاهد والثوري لولا كتاب من الله سبق اي لهم بالمغفرة وقال الوالبي
عن ابن عباس سبق في ام الكتاب الاول ان المغانم وفدا الاسارى حلال لكم ولهذا قال بعده
فكلوا مما غنمتم حلالا طيبا وهكذا روي عن ابي هريرة وابن مسعود وسعيد بن جبير وعطا
والحسن وقتادة والاعمش ايضا واختاره ابن جرير وقد يرجح هذا القول بما ثبت في الصحيحين
عن جابر بن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اعطيت خمسا لم يعطهن
احد من الانبيا قبلي نصرت بالرعب مسيرة شهر وجعلت لي الارض مسجدا وطهورا واحلت لي
الغنائم ولم تحل لاحد قبلي واعطيت الشفاعة وكان النبي يبعث الى قومه وبعثت الى
قال م الناس عامة وروى الاعمش عن ابي صالح عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم لم تحل الغنائم
لسود الروس غيرنا ولهذا قال تعالى فكلوا مما غنمتم حلالا طيبا فاذن تعالى لهم في اكل
الغنائم وفدا الاسارى وقد قال ابو داود ثنا عبد الرحمن بن المبارك العيشي ثنا سفيان
بن حبيب ثنا شعبة عن ابي العنبس عن ابي الشعثا عن ابن عباس ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم جعل فدا اهل الجاهلية يوم بدر اربعماية وهذا كان اقل ما فودي به احد منهم من
المال واكثر ما فودي به الرجل منهم اربعة الاف درهم وقد وعد الله من امن منهم بالخلف عما
اخذ منه في الدنيا والاخرة فقال تعالى يا ايها النبي قل لمن في ايديكم من الاسرى ان يعلم الله في
قلوبكم خيرا يؤتكم خيرا مما اخذ منكم ويغفر لكم والله غفور رحيم قال الوالبي عن ابن عباس
نزلت في العباس ففادى نفسه بالاربعين اوقية من ذهب فقال العباس فاتاني الله اربعين عبدا
يعني كلهم يتجر قال واني ارجو المغفرة التي وعدنا الله جل ثناؤه وقال ابن اسحاق حدثني
العباس بن عبد الله بن معقل عن بعض اهله عن ابن عباس قال لما امسى رسول الله يوم بدر
والاسارى محبوسون بالوثاق بات النبي صلى الله عليه وسلم ساهرا اول الليل فقال له اصحابه
ما لك لا تنام يا رسول الله فقال سمعت انين عمي العباس في وثاقه فاطلقوه فسكت فنام
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ابن اسحاق وكان رجلا موسرا ففادى نفسه بماية اوقية
من ذهب قلت وهذه المائة كانت عن نفسه وعن ابني اخويه عقيل ونوفل وعن حليفه عتبة

بن عمرو احد بني الحرث بن فهر كما امره بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم حين ادعى انه كان
قد اسلم فقال له رسول الله اما ظاهرك فكان علينا والله اعلم باسلامك وسيجزيك فادعى
انه لا مال عنده قال فاين المال الذي دفنته انت وام الفضل وقلت لها ان اصبت في سفري
هذا فللبني الفضل وعبد الله وقثم فقال والله اني لاعلم انك رسول الله ان هذا شي ما علمه
الا انا وام الفضل رواه ابن اسحاق عن ابن ابي نجيح عن عطا عن ابن عباس وثبت في صحيح البخاري
من طريق موسى بن عقبة قال الزهري حدثني انس بن مالك ان رجالا من الانصار استاذنوا رسول
الله فقالوا ائذن لنا فلنترك لابن اختنا العباس فداه فقال لا والله لا تذرون منه درهما
قال البخاري وقال ابراهيم بن طهمان عن عبد العزيز بن صهيب عن انس اتى النبي صلى الله عليه
وسلم بمال من البحرين فكان اكثر مال اتي به رسول الله اذ جاءه العباس فقال يا رسول الله
اعطني اني فاديت نفسي وفاديت عقيلا فقال خذ فحثى في ثوبه ثم ذهب يقله فلم يستطع
فقال امر بعضهم يرفعه الي قال لا قال فارفعه انت علي قال لا فنثر منه ثم ذهب يقله
فلم يستطع فقال امر بعضهم يرفعه الي قال لا قال فارفعه انت علي قال لا فنثر منه ثم احتمله
على كاهله ثم انطلق فما زال يتبعه بصره حتى خفي علينا عجبا من حرصه فما قام رسول الله
صلى الله عليه وسلم وثم منها درهم وقال البيهقي انا الحاكم انا الاصم عن احمد بن عبد الجبار
عن يونس عن اسباط بن نصر عن اسماعيل بن عبد الرحمن السدي قال كان فدا العباس وابني اخويه
عقيل بن ابي طالب ونوفل بن الحرث بن عبد المطلب كل رجل اربعماية دينار ثم توعد تعالى الاعدا
فقال وان يريدوا خيانتك فقد خانوا الله من قبل فامكن منهم والله عليم حكيم

فصل والمشهور ان الاسارى يوم بدر كانوا سبعين والقتلى من المشركين
سبعين كما ورد في غير ما حديث مما تقدم وسياتي ان شا الله وكما في حديث البرا بن عازب
في صحيح البخاري انهم قتلوا يوم بدر سبعين واسروا سبعين وقال موسى بن عقبة قتل يوم
بدر من المسلمين من قريش ستة ومن الانصار ثمانية وقتل من المشركين تسعة واربعون
واسر منهم تسعة وثلاثون هكذا رواه البيهقي عنه قال وهكذا ذكر ابن لهيعة عن ابي الاسود
عن عروة في عدد من استشهد من المسلمين وقتل من المشركين ثم قال انا الحاكم انا الاصم
انا احمد بن عبد الجبار عن يونس بن بكير عن محمد بن اسحاق قال واستشهد من المسلمين يوم
بدر احد عشر رجلا اربعة من قريش وسبعة من الانصار وقتل من المشركين بضعة وعشرون رجلا
وقال في موضع اخر وكان مع رسول الله صلى الله عليه وسلم اربعون اسيرا وكانت القتلى مثل ذلك
ثم روى البيهقي من طريق ابي صالح كاتب الليث عن الليث عن عقيل عن الزهري قال وكان اول
قتيل من المسلمين مهجع مولى عمر ورجل من الانصار وقتل يومئذ من المشركين زيادة على سبعين
واسر منهم مثل ذلك قال ورواه ابن وهب عن يونس بن يزيد عن الزهري عن عروة بن الزبير
قال البيهقي وهو الاصح فيما رويناه في عدد من قتل من المشركين واسر منهم ثم استدل على ذلك
بما قدمنا رواه البخاري ايضا من طريق ابي اسحاق عن البرا بن عازب قال امر رسول الله على الرماة
يوم احد عبد الله بن جبير فاصابوا منا سبعين وكان النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه قد
اصابوا من المشركين اربعين وماية سبعين اسيرا وسبعين قتيلا قلت والصحيح ان جملة يوم بدر
المشركين كانوا ما بين التسعماية الى الالف وقد صرح قتادة بانهم كانوا تسعماية وخمسين رجلا
وكانه اخذه من هذا الذي ذكرناه وفي حديث عمر المتقدم انهم كانوا زيادة على الالف والصحيح

وقد ذكر الحافظ ابن عساكر في ترجمة قباث بن اشيم الليثي من طريق الواقدي وغيره باسنادهم اليه انه شهد يوم بدر مع المشركين فذكر هزيمتهم مع قلة اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قال وجعلت اقول في نفسي ما رايت مثل هذا الامر فر منه الا النسا والله لو خرجت نسا قريش باكمها ردت محمدا واصحابه فلما كان بعد الخندق قلت لو قدمت المدينة فنظرت الى ما يقول محمد وقد وقع في نفسي الاسلام قال فقدمتها فسالت عنه فقالوا هو ذاك في ظل المسجد في ملا من اصحابه فاتيته وانا لا اعرفه من بين اصحابه فسلمت فقال يا قباث بن اشيم انت القايل يوم بدر ما رايت مثل هذا الامر فر منه الا النسا فقلت اشهد انك رسول الله فان هذا الامر ما خرج مني الى احد قط ولا ترمرمت به الا شيا حدثت به نفسي فلولا انك نبي ما اطلعك الله عليه هلم ابايعك على الاسلام فاسلمت صح

الاول لقوله عليه السلام القوم ما بين التسعماية الى الالف واما الصحابة فكانوا يومئذ ثلثماية
وبضعة عشر رجلا كما سياتي التنصيص على ذلك وعلى اسمايهم ايضا ان شا الله وتقدم في حديث
الحكم عن مقسم عن ابن عباس ان وقعة بدر كانت يوم الجمعة السابع عشر من رمضان وقاله ايضا
عروة بن الزبير وقتادة واسماعيل السدي الكبير وابو جعفر الباقر وروى البيهقي من طريق قتيبة
عن جرير عن الاعمش عن ابراهيم عن الاسود عن عبد الله بن مسعود في ليلة القدر قال
تحروها لاحدى عشرة بقين فان صبيحتها يوم بدر قال البيهقي وروي عن زيد بن ارقم انه سيل
عن ليلة القدر فقال ليلة تسع عشرة ما نشك وقال يوم الفرقان يوم التقى الجمعان قال
البيهقي والمشهور عن اهل المغازي ان ذلك لسبع عشرة ليلة مضت من شهر رمضان ثم
قال البيهقي انا ابو الحسين بن بشران ثنا ابو عمرو بن السماك ثنا حنبل بن اسحاق ثنا ابو
نعيم ثنا عمرو بن عثمان سمعت موسى بن طلحة يقول سيل ابو ايوب الانصاري عن يوم بدر فقال
اما لسبع عشرة خلت او ثلاث عشرة خلت او لاحدى عشرة بقيت واما لسبع عشرة بقيت
وهذا غريب جدا

فصل ولما اختلف الصحابة رضي الله عنهم يوم بدر في المغانم
من المشركين يومئذ لمن تكون منهم وكانوا ثلاثة اصناف حين ولى المشركون ففرقة احدقت
برسول الله صلى الله عليه وسلم تحرسه خوفا من ان يرجع احد من المشركين اليه وفرقة ساقت
وراء المشركين يقتلون منهم ويأسرون وفرقة جمعت المغانم من متفرقات الاماكن فادعى
كل فريق منهم انه احق بالمغنم من الاخرين لما صنع من الامر المهم قال ابن اسحاق فحدثني عبد
الرحمن بن الحرث وغيره عن سليمان عن مكحول عن ابي امامة الباهلي قال سالت عبادة بن الصامت بن موسى صح
عن الانفال فقال فينا اصحاب بدر نزلت حين اختلفنا في النفل وساءت فيه اخلاقنا
فنزعه الله من ايدينا فجعله الى رسوله صلى الله عليه وسلم فقسمه من المسلمين عن بواء يقول
عن سواء وهكذا رواه احمد عن محمد بن سلمة عن محمد بن اسحاق به ومعنى قوله على السواء اي ساوى
فيها بين الذين جمعوها وبين الذين اتبعوا العدو وبين الذين ثبتوا تحت الرايات لم يخص
بها فريق منهم ممن ادعى التخصيص بها ولا ينفي هذا تخميسها وصرف الخمس في مواضعه كما قد
يتوهمه بعض العلما منهم ابو عبيد وغيره والله اعلم بل قد تنفل رسول الله صلى الله عليه وسلم
سيفه ذا الفقار من مغانم بدر قال ابن جرير وكذا اصطفى جملا لابي جهل كان في انفه برة
من فضة وهذا قبل اخراج الخمس ايضا وقال الامام احمد ثنا معاوية بن عمرو ثنا ابو اسحاق
عن عبد الرحمن بن الحرث بن عبد الله بن عياش بن ابي ربيعة عن سليمان بن موسى عن ابي سلام
عن ابي امامة عن عبادة بن الصامت قال خرجنا مع النبي صلى الله عليه وسلم فشهدت
معه بدرا فالتقى الناس فهزم الله العدو فانطلقت طايفة في اثارهم يهزمون ويقتلون
واكبت طايفة على الغنم يحوونه ويجمعونه واحدقت طايفة برسول الله صلى الله عليه وسلم
لا يصيب العدو منه غرة حتى اذا كان الليل وفاء الناس بعضهم الى بعض قال الذين جمعوا
الغنايم نحن حويناها فليس لاحد فيها نصيب وقال الذين خرجوا في طلب العدو لستم
باحق بها منا نحن نفينا عنها العدو وهزمناهم وقال الذين احدقوا برسول الله صلى الله
عليه وسلم خفنا ان يصيب العدو منه غرة فاشتغلنا به فنزلت يسالونك عن الانفال
قل الانفال لله والرسول فاتقوا الله واصلحوا ذات بينكم واطيعوا الله ورسوله ان كنتم
مومنين فقسمها رسول الله صلى الله عليه وسلم بين المسلمين وكان رسول الله اذا اغار

في ارض العدو ونفل الربع فاذا اقبل راجعا نفل الثلث وكان يكره الانفال وقد روى الترمذي وابن ماجة من حديث الثوري عن عبد الرحمن بن الحرث اخره وقال الترمذي هذا حديث حسن ورواه ابن حبان في صحيحه والحاكم في مستدركه من حديث عبد الرحمن وقال الحاكم صحيح على شرط مسلم ولم يخرجه وقد روى ابو داود والنسائي وابن حبان والحاكم من طرق عن داود بن ابي هند عن عكرمة عن ابن عباس قال لما كان يوم بدر قال رسول الله من صنع كذا وكذا فله كذا وكذا فتسارع في ذلك شبان الرجال وبقي الشيوخ تحت الرايات فلما كانت الغنايم جاوا يطلبون الذي جعل لهم فقال الشيوخ لا تستاثروا علينا فانا كنا ردا لكم لو انكشفتم لفئتم الينا فتنازعوا فانزل الله تعالى يسئلونك عن الانفال قل الانفال لله والرسول فاتقوا الله واصلحوا ذات بينكم واطيعوا الله ورسوله ان كنتم مومنين وقد ذكرنا في سبب نزول هذه الاية اثارا اخر يطول بسطها هاهنا ومعنى الكلام ان الانفال مرجعها الى حكم الله ورسوله يحكمان فيها بما فيه المصلحة للعباد في المعاش والمعاد ولهذا قال الله تعالى قل الانفال لله والرسول فاتقوا الله واصلحوا ذات بينكم واطيعوا الله ورسوله ان كنتم مؤمنين ثم ذكر ما وقع في قصة بدر وما كان من الامر حتى انتهى الى قوله واعلموا انما غنمتم من شيء فان لله خمسه وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل الاية فالظاهر ان هذه الاية مبينة لحكم الله في الانفال الذي جعل مرده اليه والى رسوله صلى الله عليه وسلم فبينه تعالى وحكم فيه بما اراد وهو قول ابن زيد وقد زعم ابو عبيد القسم بن سلام رح ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قسم غنايم بدر على السوا بين الناس ولم يخمسها ثم نزل بيان الخمس بعد ذلك ناسخا لما تقدم وهكذا روى الوالبي عن ابن عباس وبه قال مجاهد وعكرمة والسدي وفي هذا نظر والله اعلم فان في سياق الايات قبل اية الخمس وبعدها كلها في غزوة بدر فيقتضي ان ذلك نزل في وقت واحد غير متفاصل بتاخر يقتضي نسخ بعضه بعضا ثم في الصحيحين عن علي رضي الله عنه انه قال في قصة شارفيه اللذين اجتب اسنمتهما حمزة ان احدهما كانت من الخمس يوم بدر ما يرد صريحا على ابي عبيد ان غنايم بدر لم يخمس والله اعلم بل قد خمست كما هو قول البخاري وابن جرير وغيرهما وهو الصحيح الراجح والله اعلم

فصل في رجوعه عليه السلام من بدر الى المدينة وما كان من الامور في مسيره اليها وهو مؤيد منصور عليه من ربه افضل الصلاة والسلام

تقدم ان الوقعة كانت يوم الجمعة السابع عشر من رمضان سنة ثنتين وثبت في الصحيح انه كان اذا ظهر على قوم اقام بالعرصة ثلاثة ايام ولهذا اقام عليه السلام بعرصة بدر ثلاثة ايام كما تقدم وكان رحيله منها ليلة الاثنين فركب ناقته ووقف على قليب بدر فقرع اوليك الذين سحبوا اليه كما تقدم ذكره ثم سار عليه السلام ومعه الاسارى والمغانم وقد بعث عليه السلام بين يديه الى المدينة بالفتح والنصر والظفر على من اشرك بالله وجحده وبه كفر احدهما عبد الله بن رواحة الى العالية من المدينة والثاني زيد بن حارثة الى السافلة قال اسامة بن زيد فاتانا الخبر حين سوينا على رقية بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان زوجها عثمان بن عفان رضي الله عنه قد احتبس عندها يمرضها بامر رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد ضرب له رسول الله بسهمه واجره في بدر قال اسامة فلما قدم ابي زيد بن حارثة جئته وهو واقف بالمصلى قد غشيه

بشير من

الناس

الناس وهو يقول قتل عتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة وابو جهل بن هشام وزمعة بن الاسود وابو البختري العاص بن هشام وامية بن خلف ونبيه ومنبه ابنا الحجاج قال قلت يا ابة احق هذا قال اي والله يا بني وروى البيهقي من طريق حماد بن سلمة عن هشام بن عروة عن ابيه عن اسامة بن زيد ان النبي صلى الله عليه وسلم خلف عثمان واسامة بن زيد على بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم فجا زيد بن حارثة على العضبا ناقة رسول الله بالبشارة قال اسامة فسمعت الهيعة فخرجت فاذا زيد قد جا بالبشارة فوالله ما صدقت حتى راينا الاسرى وضرب رسول الله لعثمان بسهمه وقال الواقدي صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم رجعه من بدر العصر بالاثيل فلما صلى ركعة تبسم فسيل عن تبسمه فقال مر بي ميكاييل وعلى جناحه النقع فتبسم الي وقال اني كنت في طلب القوم واتاه جبريل حين فرغ من قتال اهل بدر على فرس انثى معقود الناصية قد عصم ثنيته الغبار فقال يا محمد ان ربي بعثني اليك وامرني ان لا افارقك حتى ترضى افرضيت قال نعم قال الواقدي وقالوا قدم رسول الله زيد بن حارثة وعبد الله بن رواحة من الاثيل فجاا يوم الاحد حين اشتد الضحا وفارق عبد الله بن رواحة زيد بن حارثة من العقيق فجعل عبد الله بن رواحة ينادي على راحلته يا معشر الانصار ابشروا بسلامة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقتل المشركين واسرهم قتل ابنا ربيعة وابنا الحجاج وابو جهل وقتل زمعة بن الاسود وامية بن خلف واسر سهيل بن عمرو قال عاصم بن عدي فقمت اليه فنجوته فقلت احقا ما تقول يا ابن رواحة فقال اي والله وغدا يقدم رسول الله بالاسرى مقرنين ثم تتبع دور الانصار بالعالية يبشرهم دارا دارا والصبيان يشتدون معه يقولون قتل ابو جهل الفاسق حتى انتهى الى دار بني امية وقدم زيد بن حارثة على ناقة رسول الله القصوا يبشر اهل المدينة فلما انجا المصلى صاح على راحلته قتل عتبة وشيبة ابنا ربيعة وابنا الحجاج وقتل امية بن خلف وابو جهل وابو البختري وزمعة بن الاسود واسر سهيل بن عمرو ذو الانياب في اسرى كثير فجعل بعض الناس يصدقون زيدا ويقولون ما جاء زيد بن حارثة الا فلا حتى غاظ المسلمين ذلك وخافوا وقدم زيد حين سوينا على رقية بنت رسول الله بالبقيع وقال رجل من المنافقين لاسامة قتل صاحبكم ومن معه وقال اخر لابي لبابة تفرق اصحابكم تفرقا لا يجتمعون منه ابدا وقد قتل عليه اصحابه وقتل محمد وهذه ناقته نعرفها وهذا زيد لا يدري ما ذا يقول من الرعب وجا فلا فقال ابو لبابة يكذب الله قولك وقالت اليهود ما جا زيد الا فلا قال اسامة فجيت حتى خلوت بابي فقلت احق ما تقول قال اي والله حق ما اقول يا بني فقويت نفسي ورجعت الى ذلك المنافق فقلت انت المرجف برسول الله وبالمسلمين لنقدمنك الى رسول الله اذا قدم فليضربن عنقك فقال انما هو شيء سمعته من الناس يقولونه قال فجي بالاسرى وعليهم شقران مولى رسول الله وكان قد شهد معهم بدرا وهم تسعة واربعون رجلا الذين احصوا قال الواقدي وهم سبعون في الاصل مجتمع عليه لا شك فيه قال ولقي رسول الله بالروحا روس الناس يهنونه بما فتح الله عليه فقال له اسيد بن الحضير يا رسول الله الحمد لله الذي اظفرك واقر عينك والله يا رسول الله ما كان تخلفي عن بدر وانا اظن انك تلقى عدوا ولكن ظننت انها عير ولو ظننت انه عدو ما تخلفت فقال له رسول الله صدقت قال ابن اسحاق ثم اقبل رسول الله قافلا الى المدينة ومعه الاسارى وفيهم عقبة بن ابي معيط والنضر بن الحرث وقد جعل على النفل عبد الله بن كعب بن عمرو بن عوف بن مبذول بن عمرو بن غنم بن مازن بن النجار فقال راجز

من المسلمين قال ابن هشام هو عدي بن ابي الرغباء

اقم لها صدورها يا بسبس ... ليس بذي الطلح لها معرس

ولا بصحراء عمير محبس ... ان مطايا القوم لا تحبس

فحملها على الطريق اكيس ... قد نصر الله وفر الاخنس

قال ثم اقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى اذا خرج من مضيق الصفراء نزل على كثيب بين المضيق وبين النازية يقال له سير الى سرحة به فقسم هنالك النفل الذي افاء الله على المسلمين من المشركين على السواء ثم ارتحل حتى اذا كان بالروحاء لقيه المسلمون يهنئونه بما فتح الله عليه ومن معه من المسلمين فقال لهم سلمة بن سلامة بن وقش كما حدثني عاصم بن عمر ويزيد بن رومان ما الذي تهنئوننا به والله ان لقينا الا عجائز صلعا كالبدن المعقلة فنحرناها فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال يا ابن اخي اولئك الملا قال ابن هشام يعني الاشراف والرؤساء قال ابن اسحاق حتى اذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم بالصفراء قتل النضر بن الحرث قتله علي بن ابي طالب كما اخبرني بعض اهل العلم من مكة ثم خرج حتى اذا كان بعرق الظبية قتل عقبة بن ابي معيط قال ابن اسحاق فقال عقبة حين امر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقتله فمن للصبية يا محمد قال النار وكان الذي قتله عاصم بن ثابت بن ابي الاقلح اخو بني عمرو بن عوف كما حدثني ابو عبيدة بن محمد بن عمار بن ياسر وكذا قال موسى بن عقبة في مغازيه وزعم ان رسول الله لم يقتل من الاسارى صبرا غيره قال ولما اقبل اليه عاصم بن ثابت قال يا معشر قريش علام اقتل من بين من هاهنا قال على عداوتك الله ورسوله وقال حماد بن سلمة عن عطاء بن السائب عن الشعبي قال لما امر النبي صلى الله عليه وسلم بقتل عقبة قال اتقتلني يا محمد من بين قريش قال نعم اتدرون ما صنع هذا بي جاء وانا ساجد خلف المقام فوضع رجله على عنقي وغمزها فما رفعها حتى ظننت ان عيني ستندران وجاء مرة اخرى بسلا شاة فالقاه على راسي وانا ساجد فجاءت فاطمة فغسلته عن راسي قال ابن هشام ويقال بل قتله علي بن ابي طالب فيما ذكره الزهري وغيره من اهل العلم قلت كان هذان الرجلان من شر عباد الله واكثرهم كفرا وعنادا وبغيا وحسدا وهجاء للاسلام واهله لعنهما الله وقد فعل

مقتل النضر بن الحارث وعقبة بن ابي معيط لعنهما الله

قال ابن هشام فقالت قتيلة بنت الحرث اخت النضر بن الحرث في مقتل اخيها

يا راكبا ان الاثيل مظنة ... من صبح خامسة وانت موفق

ابلغ بها ميتا بان تحية ... ما ان تزال بها النجائب تخفق

مني اليك وعبرة مسفوحة ... جادت بواكفها واخرى تخنق

هل يسمعن النضر ان ناديته ... ام كيف يسمع ميت لا ينطق

امحمد يا خير ضنء كريمة ... من قومها والفحل فحل معرق

ما كان ضرك لو مننت وربما ... من الفتى وهو المغيظ المحنق

او كنت قابل فدية فلينفقن ... باعز ما يغلو به ما ينفق

فالنضر اقرب من اسرت قرابة ... واحقهم ان كان عتق يعتق

ظلت سيوف بني ابيه تنوشه ... لله ارحام هناك تشقق

صبرا يقاد الى المنية متعبا ... رسف المقيد وهو عان موثق

قال ابن هشام فيقال والله اعلم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما بلغه هذا الشعر

قال لو بلغني هذا قبل قتله لمننت عليه قال ابن اسحاق وقد لقي رسول الله صلى الله عليه وسلم بهذا الموضع ابو هند فروة بن عمرو البياضي حجام رسول الله عليه السلام ومعه زق مملو حيسا وهو التمر والسويق بالسمن هدية لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقبله منه ووصى به الانصار قال ابن اسحاق ثم مضى رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى قدم المدينة قبل الاسارى بيوم قال ابن اسحاق وحدثني نبيه بن وهب اخو بني عبد الدار ان رسول الله صلى الله عليه وسلم حين اقبل بالاسارى فرقهم بين اصحابه وقال استوصوا بهم خيرا قال وكان ابو عزيز بن عمير بن هاشم اخو مصعب بن عمير لابيه وامه في الاسارى قال ابو عزيز مر بي اخي مصعب بن عمير ورجل من الانصار ياسرني فقال شد يديك به فان امه ذات متاع لعلها تفديه منك قال ابو عزيز فكنت في رهط من الانصار حين اقبلوا بي من بدر فكانوا اذا قدموا غداءهم وعشاءهم خصوني بالخبز واكلوا التمر لوصية رسول الله صلى الله عليه وسلم اياهم بنا ما تقع في يد رجل منهم كسرة خبز الا نفحني بها فاستحيي فاردها على احدهما فيردها علي ما يمسها قال ابن هشام وكان ابو عزيز هذا صاحب لواء المشركين ببدر بعد النضر بن الحرث ولما قال اخوه مصعب لابي اليسر وهو الذي اسره ما قال قال له ابو عزيز يا اخي هذه وصاتك بي فقال له مصعب انه اخي دونك فسالت امه عن اغلى ما فدي به قرشي فقيل لها اربعة الاف درهم فبعثت باربعة الاف ففدته بها قلت وابو عزيز هذا اسمه زرارة فيما قاله ابن الاثير في غابة الصحابة وعده خليفة بن خياط في اسماء الصحابة وكان اخا مصعب بن عمير لابويه وكان لهما اخ اخر لابويهما وهو ابو الروم بن عمير وقد غلط من جعله قتل يوم احد كافرا ذاك ابو عزة كما سياتي في موضعه والله اعلم قال ابن اسحاق حدثني عبد الله بن ابي بكر عن يحيى بن عبد الله بن عبد الرحمن بن سعد بن زرارة قال قدم بالاسارى حين قدم بهم وسودة بنت زمعة زوج النبي صلى الله عليه وسلم عند ال عفراء في مناحتهم على عوف ومعوذ ابني عفراء قال وذلك قبل ان يضرب عليهن الحجاب قال تقول سودة والله اني لعندهم اذ اتينا فقيل هؤلاء الاسارى قد اتي بهم قالت فرجعت الى بيتي ورسول الله صلى الله عليه وسلم فيهم واذا ابو يزيد سهيل بن عمرو في ناحية الحجرة مجموعة يداه الى عنقه بحبل قالت فلا والله ما ملكت نفسي حين رايت ابا يزيد كذلك ان قلت اي ابا يزيد اعطيتم بايديكم الا متم كراما فوالله ما انبهني الا قول رسول الله صلى الله عليه وسلم من البيت يا سودة اعلى الله وعلى رسوله تحرضين قالت قلت يا رسول الله والذي بعثك بالحق ما ملكت نفسي حين رايت ابا يزيد مجموعة يده الى عنقه ان قلت ما قلت ثم كان من قصة الاسارى بالمدينة ما سياتي بيانه وتفصيله فيما بعد من كيفية فدائهم وكميته ان شاء الله تعالى

ذكر فرح النجاشي بوقعة بدر رضي الله عنه

قال الحافظ البيهقي انا ابو القسم عبد الرحمن بن عبيد الله الحرفي ببغداد ثنا احمد بن سلمان النجاد ثنا عبد الله بن ابي الدنيا حدثني حمزة بن العباس ثنا عبدان بن عثمان ثنا عبد الله بن المبارك انا عبد الرحمن بن يزيد بن جابر عن عبد الرحمن رجل من اهل صنعاء قال ارسل النجاشي ذات يوم الى جعفر بن ابي طالب واصحابه فدخلوا عليه وهو في بيت عليه خلقان ثياب جالس على التراب قال جعفر فاشفقنا منه حين رايناه على تلك الحال فلما ان راى ما في وجوهنا قال اني ابشركم بما يسركم انه جاءني من نحو ارضكم عين لي فاخبرني ان

الله قد نصر نبيه وامكن من عدوه واسر فلانا وفلانا وقتل فلانا وفلانا لنفوا ابوا دينا له
بدر كثيرا فكاني انظر اليه كئيبا دعي به لسيدي رجل من بني ضمرة ابله فقال له جعفر ما باك
جالسا على التراب بين يديك بساطا عليك هذه الاخلاق قال انا نجد فيما انزل الله على موسى
عيسى ان حقا على عباد الله ان يحدثوا لله تواضعا عند ما يحدث لهم من نعمه فلما احدث
الله لي نصر نبيه صلى الله عليه وسلم احدثت له هذا التواضع

فصل في وصول خبر مصاب اهل بدر الى اهاليهم بمكة

قال ابن اسحاق وكان اول من قدم مكة بمصاب قريش الحيسمان بن عبد الله الخزاعي فقالوا
له ما وراءك قال قتل عتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة وابو الحكم بن هشام وامية بن خلف
وزمعة بن الاسود ونبيه ومنبه وابو البختري بن هشام فلما جعل يعدد اشراف قريش قال
صفوان بن امية والله ان يعقل هذا فسلوه عني فقالوا ما فعل صفوان بن امية قال
هو ذاك جالسا في الحجر قد والله رايت اباه واخاه حين قتلا قال موسى بن عقبة ولما وصل
الخبر الى اهل مكة وتحققوه قطعت النساء شعورهن وعقرت خيول كثيرة ورواحل وذكر
السهيلي عن كتاب الدلايل لقاسم بن ثابت انه قال لما كانت وقعة بدر سمع اهل مكة هاتفا
من الجن يقول

- ازار الحنيفيون بدرا وقيعة • سينقض منها ركن كسرى وقيصرا
- ابادت رجالا من لوي وابرزت • خرايد يضربن الترايب حسرا
- فيا ويح من امسى عدو محمد • لقد جار عن قصد الهدى وتحيرا

قال ابن اسحاق وحدثني حسين بن عبد الله بن عباس عن عكرمة مولى ابن عباس قال
قال لي ابو رافع مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم كنت غلاما للعباس بن عبد المطلب
وكان الاسلام قد دخلنا اهل البيت فاسلم العباس واسلمت ام الفضل واسلمت وكان
العباس يهاب قومه ويكره خلافهم وكان يكتم اسلامه وكان ذا مال كثير متفرق في قومه وكان
ابو لهب قد تخلف عن بدر فبعث مكانه العاص بن هشام بن المغيرة وكذلك كانوا صنعوا لم
يتخلف رجل الا بعث مكانه رجلا فلما جاءه الخبر عن مصاب اصحاب بدر من قريش كبته الله واخزاه
ووجدنا في انفسنا قوة وعزا قال وكنت رجلا ضعيفا وكنت اعمل الاقداح انحتها في حجرة
زمزم فوالله اني لجالس فيها انحت اقداحي وعندي ام الفضل جالسة وقد سرنا ما جاءنا من
الخبر اذ اقبل ابو لهب يجر رجليه فجلس حتى جلس على طنب الحجرة فكان ظهره الى ظهري فبينا هو
جالس اذ قال الناس هذا ابو سفيان بن الحرث بن عبد المطلب قد قدم قال فقال له
ابو لهب هلم الي فعندك لعمري الخبر قال فجلس اليه والناس قيام عليه فقال يا ابن اخي
اخبرني كيف كان امر الناس قال لا والله ما هو الا ان لقينا القوم فمنحناهم اكتافنا يقتلوننا
كيف شاؤوا وياسروننا كيف شاؤوا وايم الله مع ذلك ما لمت الناس لقينا رجالا بيضا على
خيل بلق بين السماء والارض والله ما تليق شيا ولا يقوم لها شي قال ابو رافع فرفعت طنب
الحجرة بيدي ثم قلت تلك والله الملايكة قال فرفع ابو لهب يده فضرب وجهي ضربة
شديدة قال وثاورته فاحتملني فضرب بي الارض ثم برك علي يضربني وكنت رجلا ضعيفا
فقامت ام الفضل الى عمود من عمد الحجرة فاخذته فضربته به ضربة فلعت في راسه شجة منكرة
وقالت استضعفته ان غاب عنه سيده فقام موليا ذليلا فوالله ما عاش الا سبع ليال

حتى رماه

حتى رماه الله بالعدسة فقتلته زاد يونس عن ابن اسحاق فلقد تركه ابناه بعد موته ثلاثا
ما دفناه حتى انتن وكانت قريش تتقي هذه العدسة كما يتقى الطاعون حتى قال لهما
رجل من قريش ويحكما الا تستحيان ان اباكما قد انتن في بيته لا تدفنانه فقالا انا نخشى
عدوى هذه القرحة فقال انطلقا فانا اعينكما عليه فوالله ما غسلوه الا قذفا بالماء
عليه من بعيد ما يدنون منه ثم انهم احتملوه الى اعلا مكة فاسندوه الى جدار ثم رضموا عليه
الحجارة قال يونس عن ابن اسحاق وحدثني يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير عن ابيه عن
عايشة ام المومنين رضي الله عنها انها كانت لا تمر على مكان ابي لهب هذا الا استترت بثوبها
حتى تجوزه قال ابن اسحاق وحدثني يحيى بن عباد قال ناحت قريش على قتلاهم ثم قالوا
لا تفعلوا فيبلغ محمدا واصحابه فيشمتوا بكم ولا تبعثوا في اسراكم حتى تستانوا بهم لا يارب
عليكم محمد واصحابه في الفدا قلت وكان هذا من تمام ما عذب الله به احياهم في ذلك
الوقت وهو تركهم النوح على قتلاهم فان البكاء على الميت مما يبل فواد الحزين قال
ابن اسحاق وكان الاسود بن المطلب قد اصيب له ثلاثة من ولده زمعة وعقيل والحرث وكان
يحب ان يبكي على بنيه فانه بينما هو كذلك اذ سمع نايحة من الليل فقال لغلام له وكان
قد ذهب بصره انظر هل احل النحب هل بكت قريش على قتلاها لعلي ابكي على ابي حكيمة يعني
ولده زمعة فان جوفي قد احترق قال فلما رجع اليه الغلام قال انما هي امراة تبكي على بعير لها
اضلته قال فذاك حين يقول الاسود

- اتبكي ان اضل لها بعير • ويمنعها من النوم السهود
- فلا تبكي على بكر ولكن • على بدر تقاصرت الجدود
- على بدر سراة بني هصيص • ومخزوم ورهط ابي الوليد
- وبكي ان بكيت ابا عقيل • وبكي حارثا اسد الاسود
- وبكيهم ولا تسمي جميعا • وما لابي حكيمة من نديد
- الا قد ساد بعدهم رجال • ولولا يوم بدر لم يسودوا

فصل في بعث قريش الى رسول الله صلى الله عليه وسلم في فداء اسراهم

قال ابن اسحاق وكان في الاسرى ابو وداعة بن ضبيرة السهمي فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم ان له بمكة ابنا كيسا تاجرا ذا مال وكانكم به قد جاء في طلب فداء ابيه فلما قالت ابناءه
قريش لا تعجلوا بفداء اسراكم لا يارب عليكم محمد واصحابه قال المطلب بن ابي وداعة وهو الذي
كان رسول الله صلى الله عليه وسلم عناه صدقتم لا تعجلوا وانسل من الليل وقدم المدينة
فاخذ اباه باربعة الاف درهم فانطلق به قلت فكان هذا اول اسير فدي ثم بعثت قريش في فداء اسراهم
فقدم مكرز بن حفص بن الاخيف في فداء سهيل بن عمرو وكان الذي اسره مالك بن الدخشم اخو
بني سالم بن عوف فقال في ذلك

- اسرت سهيلا فلا ابتغي • اسيرا به من جميع الامم
- وخندف تعلم ان الفتى • فتاها سهيل اذا يظلم
- ضربت بذي الشفر حتى انثنى • واكرمت نفسي على ذي العلم

قال ابن اسحاق وكان رجلا سهيل اعلم من شفته السفلى قال ابن اسحاق وحدثني محمد بن عمرو بن عطا
اخو بني عامر بن لوي ان عمر بن الخطاب قال لرسول الله دعني انزع ثنيتي سهيل بن عمرو ويدلع

لسانه فلا يقوم عليك خطيبا في موطن ابدا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا امثل به فيمثل الله بي وان كنت نبيا قلت وهذا حديث مرسل بل معضل قال ابن اسحاق وقد بلغني ان رسول الله قال لعمر انه عسى ان يقوم مقاما لا تذمه قلت وهذا هو المقام الذي قامه سهيل بمكة حين مات رسول الله صلى الله عليه وسلم وارتد من ارتد من العرب ونجم النفاق بالمدينة وغيرها فقام بمكة فخطب الناس وثبتهم على الدين الحنيف كما سياتي في موضعه قال ابن اسحاق فلما قاولهم فيه مكرز وانتهى الى رضاهم قالوا هات الذي لنا قال اجعلوا رجلي مكان رجله وخلوا سبيله حتى يبعث اليكم بفدائه فخلوا سبيل سهيل وحبسوا مكرزا عندهم وانشد له ابن اسحاق في ذلك شعرا انكره ابن هشام فالله اعلم قال ابن اسحاق وحدثني عبد الله بن ابي بكر قال وكان في الاسارى عمرو بن ابي سفيان صخر بن حرب قال ابن اسحاق وكانت امه بنت عقبة بن ابي معيط قال ابن هشام بل كانت امه اخت ابي معيط قال ابن هشام وكان الذي اسره علي بن ابي طالب قال ابن اسحاق فحدثني عبد الله بن ابي بكر فقيل لابي سفيان افد عمرا ابنك قال ايجمع علي دمي ومالي قتلوا حنظلة وافدي عمرا دعوه في ايديهم يمسكوه ما بدا لهم قال فبينما هو كذلك محبوس بالمدينة اذ خرج سعد بن النعمان بن اكال اخو بني عمرو بن عوف ثم احد بني معاوية معتمرا ومعه مرية له وكان شيخا مسلما في غنم له بالبقيع فخرج من هنالك معتمرا ولم يظن انه يحبس بمكة انما جاء معتمرا وقد كان عهد قريشا لا يعرضون لاحد جاء حاجا او معتمرا الا بخير فعدا عليه ابو سفيان بن حرب بمكة فحبسه بابنه عمرو وقال في ذلك

ارهط ابن اكال اجيبوا دعاءه • تفاقدتم لا تسلموا السيد الكهلا •
فان بني عمرو لئام اذلة • لئن لم يفكوا عن اسيرهم الكبلا •

قال فاجابه حسان بن ثابت •

لو كان سعد يوم مكة مطلقا • لاكثر فيكم قبل ان يوسر القتلا •
بعضب حسام او بصفراء نبعة • تحن اذا ما انبضت تحفز النبلا •

قال ومشى بنو عمرو بن عوف الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبروه خبره وسالوه ان يعطيهم عمرو بن ابي سفيان فيفكوا به صاحبهم فاعطاهم النبي صلى الله عليه وسلم فبعثوا به الى ابي سفيان فخلى سبيل سعد قال ابن اسحاق وقد كان في الاسارى ابو العاص بن الربيع بن عبد العزى بن عبد شمس بن امية ختن رسول الله صلى الله عليه وسلم زوج ابنته زينب قال ابن هشام وكان الذي اسره خراش بن الصمة احد بني حرام قال ابن اسحاق وكان ابو العاص من رجال مكة المعدودين مالا وامانة وتجارة وكانت امه هالة بنت خويلد اخت خديجة بنت خويلد وكانت خديجة هي التي سالت رسول الله ان يزوجه بابنتها زينب وكان لا يخالفها وذلك قبل الوحي وقد كان قد زوج عليه السلام ابنته رقية او ام كلثوم من عتبة بن ابي لهب فلما جاء الوحي قال ابو لهب اشغلوا محمدا بنفسه وامر ابنه عتبة فطلق ابنة رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل الدخول فتزوجها عثمان بن عفان رضي الله عنه ومشوا الى ابي العاص فقالوا له فارق صاحبتك ونحن نزوجك اي امراة من قريش شئت قال لا والله اذا لا افارق صاحبتي وما احب ان لي بامراتي امراة من قريش وكان رسول الله يثني عليه في صهره فيما بلغني قلت الحديث بذلك في الثناء عليه في صهره ثابت في الصحيح كما سياتي قال ابن اسحاق وكان رسول الله لا يحل بمكة ولا يحرم مغلوبا على امره وكان الاسلام قد فرق بين زينب وبين ابي العاص فكان لا يقدر على ان يفرق بينهما قلت

انما حرم الله المسلمات على المشركين عام الحديبية سنة ست من الهجرة كما سياتي بيانه ان شاء الله قال ابن اسحاق حدثني يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير عن ابيه عن عائشة قالت لما بعث اهل مكة في فداء اسرائهم بعثت زينب بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم في فداء ابي العاص بمال وبعثت فيه بقلادة كانت خديجة ادخلتها بها على ابي العاص حين بنى عليها قالت فلما راها رسول الله صلى الله عليه وسلم رق لها رقة شديدة وقال ان رايتم ان تطلقوا لها اسيرها وتردوا عليها الذي لها فافعلوا قالوا نعم يا رسول الله فاطلقوه وردوا عليها الذي لها قال ابن اسحاق وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد اخذ عليه ان يخلي سبيل زينب يعني ان تهاجر الى المدينة فوفى ابو العاص بذلك وقد ذكر ذلك ابن اسحاق هاهنا فاخرناه لانه انسب والله اعلم وتقدم ذكر فداء العباس بن عبد المطلب عم الرسول صلى الله عليه وسلم نفسه وعقيلا ونوفلا ابني اخويه بمائة اوقية من ذهب قال ابن اسحاق وكان ممن سمي لنا ممن من الله عليه وسلم من الاسارى بغير فداء من بني امية ابو العاص بن الربيع ومن بني مخزوم المطلب بن حنطب بن الحرث بن عبيد بن عمرو بن مخزوم اسره بعض بني الحرث بن الخزرج فترك في ايديهم حتى خلوا سبيله فلحق بقومه قال ابن هشام كان الذي اسره ابو ايوب خالد بن زيد قال ابن اسحاق وصيفي بن ابي رفاعة بن عابد بن عبد الله بن عمر بن مخزوم ترك في ايدي اصحابه فاخذوا عليه ليبعثن لهم بفدائه فخلوا سبيله ولم يف لهم فقال حسان بن ثابت في ذلك

كما سياتي

ما كان صيفي ليوفي امانة • قفا ثعلب اعيا ببعض الموارد

قال ابن اسحاق وابو عزة عمرو بن عبد الله بن عثمان بن اهيب بن حذافة بن جمح كان محتاجا ذا بنات قال يا رسول الله لقد عرفت ما لي من مال واني لذو حاجة وعيال فامنن علي فمن عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم واخذ عليه ان لا يظاهر عليه احدا فقال ابو عزة يمدح رسول الله صلى الله عليه وسلم على ذلك •

من مبلغ عني الرسول محمدا • بانك حق والمليك حميد •
وانت امرؤ تدعو الى الحق والهدى • عليك من الله العظيم شهيد •
وانت امرؤ بوئت فينا مباءة • لها درجات سهلة وصعود •
فانك من حاربته لمحارب • شقي ومن سالمته لسعيد •
ولكن اذا ذكرت بدرا واهله • تاوب ما بي حسرة وقعود •

عاهد

قلت ثم ان ابا عزة هذا نقض ما كان عاهد عليه الرسول ولعب المشركون بعقله فرجع اليهم فلما كان يوم احد اسر ايضا فسال من النبي صلى الله عليه وسلم ان يمن عليه ايضا فقال النبي صلى الله عليه وسلم لا ادعك تمسح عارضيك وتقول خدعت محمدا مرتين ثم امر به فضربت عنقه كما سياتي في غزوة احد ويقال ان فيه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين وهذا من الامثال التي لم تسمع الا منه عليه الصلاة والسلام قال ابن اسحاق وحدثني محمد بن جعفر بن الزبير عن عروة بن الزبير قال جلس عمير بن وهب الجمحي مع صفوان بن امية بعد مصاب اهل بدر في الحجر بيسير وكان عمير بن وهب شيطانا من شياطين قريش وممن كان يؤذي رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه ويلقون منه عناء وهو بمكة وكان ابنه وهيب بن عمير في اسارى بدر قال ابن هشام وكان الذي اسره رفاعة بن رافع احد بني زريق قال ابن اسحاق فحدثني محمد بن جعفر عن عروة فذكر اصحاب القليب ومصابهم فقال صفوان والله ان في العيش

رايس م

بعدهم خير فقال له عمير صدقت والله اما والله لولا دين علي عندي قضاءه وعيال اخشى
عليهم الضيعة بعدي لركبت الى محمد حتى اقتله فان لي فيهم علة ابني اسير في ايديهم قال فاغتنمها
صفوان بن امية فقال علي دينك انا اقضيه عنك وعيالك مع عيالي اواسيهم ما بقوا لا يسعني
شيء ويعجز عنهم فقال له عمير فاكتم عني شاني وشانك قال سافعل قال ثم امر عمير بسيفه
فشحذ له وسم ثم انطلق حتى قدم المدينة فبينا عمر بن الخطاب في نفر من المسلمين يتحدثون
عن يوم بدر ويذكرون ما اكرمهم الله به وما اراهم من عدوهم اذ نظر عمر الى عمير بن وهب حين
اناخ على باب المسجد متوشحا السيف فقال هذا الكلب عدو الله عمير بن وهب ما جاء الا
لشر وهو الذي حرش بيننا وحزرنا للقوم يوم بدر ثم دخل عمر على رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال يا نبي الله هذا عدو الله عمير بن وهب قد جاء متوشحا سيفه قال فادخله علي قال فاقبل
عمر حتى اخذ بحمالة سيفه في عنقه فلببه بها وقال لرجال ممن كان معه من الانصار ادخلوا على رسول
الله صلى الله عليه وسلم فلما رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم وعمر آخذ بحمالة سيفه في عنقه

فاجلسوا عنده واحذروا عليه من هذا الخبيث فانه غير مامون ثم دخل به على رسول الله صلى الله عليه وسلم م

قال ارسله يا عمر ادن يا عمير فدنا ثم قال انعموا صباحا وكانت تحية اهل الجاهلية بينهم
فقال رسول الله قد اكرمنا الله بتحية خير من تحيتك يا عمير بالسلام تحية اهل الجنة قال
اما والله يا محمد ان كنت بها لحديث عهد قال فما جاء بك يا عمير قال جئت لهذا الاسير الذي
في ايديكم فاحسنوا فيه قال فما بال السيف في عنقك قال قبحها الله من سيوف وهل اغنت
شيئا قال اصدقني ما الذي جئت له قال ما جئت الا لذلك قال بل قعدت انت وصفوان بن
امية في الحجر فذكرتما اصحاب القليب من قريش ثم قلت لولا دين علي وعيال عندي لخرجت
حتى اقتل محمدا فتحمل لك صفوان بن امية بدينك وعيالك على ان تقتلني له والله حائل
بينك وبين ذلك فقال عمير اشهد انك رسول الله قد كنا يا رسول الله نكذبك بما كنت

عمير م

تاتينا به من خبر السماء وما ينزل عليك من الوحي وهذا امر لم يحضره الا انا وصفوان فوالله
اني لاعلم ما اتاك به الا الله فالحمد لله الذي هداني للاسلام وساقني هذا المساق ثم شهد
شهادة الحق فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فقهوا اخاكم في دينه وعلموه القرآن
واطلقوا اسيره ففعلوا ثم قال يا رسول الله اني كنت جاهدا على اطفاء نور الله شديد
الاذى لمن كان على دين الله وانا احب ان تاذن لي فاقدم مكة فادعوهم الى الله والى رسوله
والى الاسلام لعل الله يهديهم والا آذيتهم في دينهم كما كنت اوذي اصحابك في دينهم قال
فاذن له رسول الله فلحق بمكة وكان صفوان حين خرج عمير بن وهب يقول ابشروا بوقعة
تاتيكم الآن في ايام تنسيكم يوم بدر وكان صفوان يسال عنه الركبان حتى قدم راكب فاخبره
عن اسلامه فحلف ان لا يكلمه ابدا ولا ينفعه بنفع ابدا قال ابن اسحاق فلما قدم عمير مكة اقام
بها يدعو الى الاسلام ويؤذي من خالفه اذى شديدا فاسلم على يديه ناس كثير قال ابن اسحاق
وعمير بن وهب او الحرث بن هشام هو الذي راى عدو الله ابليس حين نكص على عقبيه يوم
بدر ففر هاربا وقال اني بريء منكم اني ارى ما لا ترون وكان ابليس يومئذ في صورة سراقة
بن مالك بن جعشم المدلجي **فصل** ثم ان الامام ابن اسحاق رح تكلم على ما نزل من
القرآن في قصة بدر وهو من اول سورة الانفال الى آخرها اجاد وافاد وقد تقصينا الكلام
على ذلك في كتابنا التفسير فمن اراد الاطلاع على ذلك فلينظره ثم لله الحمد والمنة
فصل ثم شرع ابن اسحاق في تسمية من شهد بدرا من المسلمين فسرد اسماء من شهدها من

المهاجرين

من الانصار او سهما وخرجها الاربعة الجميع من شهد بدرا من المسلمين المهاجرين والانصار من شهدها م

المهاجرين ولا ثم اسماء من شهدها ومن ضرب له بسهمه واجره ثلثمائة رجل واربعة عشر
رجلا من المهاجرين ثلاثة وثمانون ومن الاوس احد وستون رجلا ومن الخزرج مائة وسبعون
رجلا وقد سردهم البخاري في صحيحه مرتبين على حروف المعجم فبدا بالبداءة برسول الله صلى
الله عليه وسلم ثم بابي بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم

وهذه تسمية من شهد بدرا من المسلمين مرتبين على حروف المعجم

وذلك من كتاب الاحكام الكبير للحافظ ضياء الدين محمد بن عبد الواحد المقدسي وغيره بعد البداءة
باسم نبيهم ومخدومهم وسيد ولد آدم محمد صلى الله عليه وسلم

حرف الالف

ابي بن كعب البخاري سيد القراء الارقم بن ابي الارقم عبد مناف بن اسد بن عبد الله بن
عمر بن مخزوم المخزومي اسعد بن يزيد بن الفاكه بن زيد بن خلده بن عامر بن العجلان اسود
بن زيد بن ثعلبة بن عبيد بن غنم كذا قال موسى بن عقبة وقال الاموي سواد بن رزام
بن ثعلبة بن عبيد بن عدي شك فيه وقال سلمة بن الفضل عن ابن اسحاق سواد بن
رزيق بن ثعلبة وقال ابن عائذ سواد بن زيد اسير بن عمرو الانصاري ابو سليط وقيل
اسير بن عمرو اسيد بن لوذان بن سالم بن ثابت الخزرجي ولم يذكره موسى بن عقبة انس بن

في انيس

قتادة بن ربيعة بن خالد بن الحرث الاوسي كذا سماه موسى بن عقبة والاموي في السيرة انيس
قلت وانس بن مالك خادم النبي صلى الله عليه وسلم لما روى عمر بن شبة النميري ثنا محمد
بن عبد الله الانصاري عن ابيه عن ثمامة بن انس قال قيل لانس بن مالك اشهدت
بدرا قال واين اغيب عن بدر لا ام لك وقال محمد بن سعد انا محمد بن عبد الله الانصاري ثنا
ابي عن مولى لانس بن مالك انه قال لانس شهدت بدرا قال لا ام لك واين اغيب عن بدر
قال محمد بن عبد الله الانصاري خرج انس بن مالك مع رسول الله الى بدر وهو غلام يخدمه
لكن قال شيخنا الحافظ ابو الحجاج المزي في تهذيبه هكذا قال الانصاري ولم يذكره
احد من اصحاب المغازي انس بن معاذ بن انس بن قيس بن عبيد بن زيد بن معاوية بن عمرو
بن مالك بن النجار انسة الحبشي مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم اوس بن ثابت
بن المنذر البخاري اوس بن خولي بن عبد الله بن الحرث بن عبيد اصعد بن مالك بن سالم بن غنم
بن عوف بن الخزرج الخزرجي وقال موسى بن عقبة اوس بن عبد الله بن الحرث بن خولي اوس
ابن الصامت الخزرجي اخو عبادة بن الصامت اياس بن البكير بن عبد يا ليل بن ناشب بن غيرة
بن سعد بن ليث بن بكر حليف بني عدي بن كعب

حرف الباء

بحير بن ابي بحير حليف بني النجار بحاث بن ثعلبة بن خزمة بن اصرم بن عمرو بن عمارة البلوي حليف الانصار بسبس

خ بحاث بحاث

بن عمرو بن ثعلبة بن خرشة بن زيد بن عمرو بن سعيد بن ذبيان بن رشدان بن قيس بن جهينة
الجهني حليف بني ساعدة وهو احد العينين هو وعدي بن ابي الزغباء كما تقدم بشر بن البرا
بن معرور الخزرجي الذي مات بخيبر من الشاة المسمومة بشير بن سعد الخزرجي والد النعمان
بن بشير ويقال انه اول من بايع الصديق بشير بن عبد المنذر ابو لبابة الاوسي رده عليه السلام
من الروحاء واستعمله على المدينة وضرب له بسهمه واجره

حرف التاء

تميم بن يعار
بن قيس بن عدي بن امية بن خدارة بن عوف بن الحرث بن الخزرج تميم مولى خراش بن الصمة
تميم مولى بني غنم بن السلم وقال ابن هشام هو مولى سعد بن خيثمة

حرف الثاء

ثابت بن
اقرم بن ثعلبة ويقال لثعلبة هذا الجذع بن زيد بن الحرث بن حرام بن كعب بن غنم بن كعب

ابن عدي بن العجلان ثابت بن ثعلبة م

بن سلمة ثابت بن خالد بن النعمان بن خنسا بن عشيرة بن عبد عوف بن غنم بن مالك بن النجار
البخاري ثابت بن خنسا بن عمرو بن مالك بن عدي بن عامر بن غنم بن عدي بن النجار البخاري
ثابت بن عمرو بن زيد بن عدي بن مالك بن سواد بن غنم بن ملك بن النجار البخاري ثابت بن
هزال الخزرجي ثعلبة بن حاطب بن عمرو بن عبيد بن امية بن زيد بن ملك بن الاوس ثعلبة بن
عمرو بن عبد بن ملك البخاري ثعلبة بن عمرو بن محصن الخزرجي ثعلبة بن عنمة بن عدي
بن نابي السلمي ثقف بن عمرو من بني حجر اليمن سليم وهو من حلفاء بني كثير بن غنم بن دودان بن
اسد **حرف الجيم** جابر بن خالد بن عبد الاشهل بن حارثة بن دينار بن النجار البخاري
جابر بن عبد الله بن رباب بن النعمان بن سنان بن عبيد بن عدي بن غنم بن كعب بن سلمة
السلمي احد الذين شهدوا العقبة فكانا جابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام السلمي ايضا
ذكره البخاري فيهم في مسنده عن سعيد بن منصور عن ابي معاوية عن الاعمش عن ابي سفيان
عن جابر قال كنت امتح لاصحابي الما يوم بدر وهذا الاسناد على شرط مسلم لكن قال محمد بن سعد
ذكرت لمحمد بن عمر يعني الواقدي هذا الحديث فقال هذا وهم من اهل العراق وانكر ان يكون جابر شهد
بدرا وقال الامام احمد بن حنبل ثنا روح بن عبادة ثنا زكريا ابن اسحاق ثنا ابو الزبير انه سمع
جابر بن عبد الله يقول غزوت مع رسول الله تسع عشرة غزوة ولم اشهد بدرا ولا احدا منعني
ابي فلما قتل ابي يوم احد لم اتخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم عن غزاة رواه مسلم
عن ابي خيثمة عن روح به جبار بن صخر السلمي جبر بن عتيك الانصاري جبير بن اياس الخزرجي
حرف الحاء الحرث بن انس بن رافع الخزرجي الحرث بن اوس بن معاذ بن اخي سعد بن معاذ
الاوسي الحرث بن حاطب بن عمرو بن عبيد بن امية بن زيد بن ملك بن الاوس رده عليه
السلام من الطريق وضرب له بسهمه واجره الحرث بن خزمة بن عدي بن ابي غنم بن سالم بن عوف
بن عمرو بن عوف بن الخزرج حليف لبني زعور بن عبد الاشهل الحرث بن الصمة الخزرجي رده عليه
السلام لانه كسر من الطريق وضرب له بسهمه واجره الحرث بن عرفجة الاوسي الحرث بن قيس بن خالد
ابو خالد الخزرجي الحرث بن النعمان بن امية الانصاري حارثة بن سراقة البخاري اصابه سهم
غرب وهو في النظارة فرفع الى الفردوس حارثة بن النعمان بن رافع الانصاري حاطب بن ابي
بلتعة اللخمي حليف بني اسد بن عبد العزى بن قصي حاطب بن عمرو بن عبيد بن امية الاشجعي
بني دهما هكذا ذكره ابن هشام عن غير ابن اسحاق وقال الواقدي حاطب بن عمرو بن عبد شمس
بن عبدود وكذا ذكره ابن عائذ في مغازيه وقال ابن ابي حاتم حاطب بن عمرو بن عبد شمس سمعته
من ابي وقال هو رجل مجهول الحباب بن المنذر الخزرجي ويقال كان لواء الخزرج معه يومئذ
حبيب بن اسود مولى بني حرام من بني سلمة وقال موسى بن عقبة حبيب بن سعد بدل اسود
وقال ابن ابي حاتم حبيب بن اسلم مولى الجشم بن الخزرج انصاري بدري حريث بن زيد
بن ثعلبة بن عبد ربه الانصاري اخو عبد الله بن زيد الذي اري النداء الحصين بن الحرث
بن المطلب بن عبد مناف حمزة بن عبد المطلب بن هاشم عم رسول الله صلى الله عليه وسلم
حرف الخاء خالد بن بكير اخا اياس المتقدم خالد بن زيد ابو ايوب البخاري خالد بن
قيس بن مالك بن العجلان الانصاري خارجة بن الحمير حليف بني خنسا من الخزرج وقيل
اسمه حمزة بن الحمير وسماه ابن عائذ خارجة فالله اعلم خارجة بن زيد الخزرجي صهر الصديق
خباب بن الارت حليف بني زهرة وهو من المهاجرين الاولين واصله من بني تميم ويقال من

خزاعة خباب مولى عتبة بن غزوان من المهاجرين الاولين خراش بن الصمة السلمي خبيب بن
اساف الخزرجي خزيمة بن ثابت ذكره البخاري فيهم خليفة بن عدي الخزرجي خليدة بن قيس
بن النعمان بن سنان بن عبيد مولى لبني خنساء خنيس بن حذافة بن قيس بن سعد بن سهم
بن عمرو بن هصيص بن كعب بن لوي السهمي قتل يومئذ فتأيمت منه حفصة بنت عمر بن
الخطاب خوات بن جبير الانصاري ضرب له بسهمه واجره ولم يشهدها بنفسه خولي بن
ابي خولي العجلي حليف بني عدي من المهاجرين الاولين خلاد بن رافع وخلاد بن سويد وخلاد بن
عمرو بن الجموح الخزرجيون **حرف الذال** ذكوان بن عبد قيس الخزرجي ذو الشمالين
بن عبد بن عمرو بن نضلة بن غبشان بن سليم بن ملكان بن افصى بن حارثة بن عمرو بن عامر من خزاعة
حليف لبني زهرة قتل يومئذ شهيدا قال ابن هشام واسمه عمير وانما قيل له ذو الشمالين
لانه كان اعسر **حرف الراء** رافع بن الحرث الاوسي رافع بن عنجدة قال ابن هشام هي امه
رافع بن المعلى بن لوذان الخزرجي قتل يومئذ ربعي بن رافع بن الحرث بن زيد بن حارثة بن الجد بن
عجلان بن ضبيعة وقال موسى بن عقبة ربعي بن ابي رافع ربيع بن اياس الخزرجي ربيعة بن
اكثم بن سخبرة بن عمرو بن لكيز بن عامر بن غنم بن دودان بن اسد بن خزيمة حليف لبني عبد شمس
بن عبد مناف وهو من المهاجرين الاولين رخيلة بن ثعلبة بن خالد بن ثعلبة بن عامر بن
بياضة الخزرجي رفاعة بن رافع الزرقي اخو خلاد بن رافع رفاعة بن عبد المنذر بن زنبر الاوسي اخو
ابي لبابة رفاعة بن عمرو بن زيد الخزرجي **حرف الزاي** الزبير بن العوام بن خويلد بن اسد
بن عبد العزى بن قصي بن عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم وحواريه زياد بن عمرو وقال
موسى بن عقبة زياد بن الاخرس بن عمرو الجهني وقال الواقدي زياد بن كعب بن عمرو بن
عدي بن رفاعة بن كليب بن مردعة بن عدي بن عمرو بن الزبعري بن رشدان بن قيس بن جهينة
زياد بن لبيد الزرقي زياد بن المزين بن قيس الخزرجي زيد بن اسلم بن ثعلبة بن عدي بن
عجلان بن ضبيعة زيد بن حارثة بن شراحيل مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم ورضي الله
زيد بن الخطاب بن نفيل اخو عمر بن الخطاب رضي الله عنهما زيد بن سهل بن الاسود بن حرام البخاري
ابو طلحة رضي الله عنه **حرف السين** سالم بن عمير الاوسي سالم بن عوف الخزرجي سالم
بن معقل مولى ابي حذيفة السائب بن عثمان بن مظعون الجمحي شهدها مع ابيه سبيع بن
قيس بن عيشة الخزرجي سبرة بن فاتك ذكره البخاري سراقة بن عمرو البخاري ايضا سعد
بن خولة مولى بني عامر بن لوي من المهاجرين الاولين سعد بن خيثمة الاوسي قتل يومئذ شهيدا
سعد بن الربيع الخزرجي الذي قتل يوم احد شهيدا سعد بن زيد بن مالك الاوسي وقال
الواقدي اسعد بن زيد بن الفاكه الخزرجي سعد بن سهيل بن عبد الاشهل البخاري سعد
بن عبيد الانصاري سعد بن عثمان بن خلدة الخزرجي ابو عبادة وقال ابن عائذ ابو عبيدة
سعد بن معاذ الاوسي كان لواء الاوس معه سعد بن عبادة بن دليم الخزرجي ذكره غير واحد منهم
عروة والبخاري وابن ابي حاتم والطبراني فيمن شهد بدرا ووقع في صحيح مسلم ما يشهد
لذلك حين شاور النبي صلى الله عليه وسلم في ملتقى النفير من قريش فقال سعد بن عبادة
كانك تريدنا يا رسول الله الحديث والصحيح ان ذلك سعد بن معاذ والمشهور ان سعد بن
عبادة رده من الطريق وقيل لا بل نهشته حية على المدينة وقيل لدغته حية فلم يتمكن من الخروج
الى بدر حكاه السهيلي عن ابن قتيبة فالله اعلم سعد بن ابي وقاص مالك بن اهيب الزهري

خليدة

المزني

شرحبيل

عائذ

سواد

احد العشرة سعد بن مالك ابو سهيل قال الواقدي تجهز ليخرج فمرض فمات قبل الخروج
سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل العدوي ابن عم عمر بن الخطاب يقال قدم من الشام بعد رجوعهم
من بدر وضرب له رسول الله بسهمه واجره سفيان بن بشر بن عمرو الخزرجي سلمة بن اسلم
بن حريش الاوسي سلمة بن ثابت بن وقش بن زغبة سلمة بن سلامة بن وقش بن زغبة
سليم بن الحرث البخاري سليم بن عمرو السلمي سليم بن قيس بن فهد الخزرجي سليم بن ملحان اخو
حرام بن ملحان البخاري سماك بن اوس بن خرشة ابو دجانة ويقال سماك بن خرشة سماك
بن سعد بن ثعلبة الخزرجي وهو اخو بشير بن سعد المتقدم سهل بن حنيف الاوسي سهل بن
عتيك البخاري سهل بن قيس السلمي سهيل بن رافع البخاري الذي كان له ولاخيه موضع المسجد
النبوي كما تقدم سهيل بن وهب الفهري وهو ابن بيضاء وامه سنان بن ابي سنان بن محصن
بن حرثان من المهاجرين حليف بني عبد شمس بن عبد مناف سنان بن صيفي السلمي سواد بن
رزيق بن زيد الانصاري وقال الاموي سواد بن رزام سواد بن غزية بن اهيب البلوي سويبط
بن سعد بن حرملة العبدري سويد بن مخشي ابو مخشي الطائي حليف بني عبد شمس وقيل
اسمه ازيد بن حميرة **حرف الشين** شجاع بن وهب بن ربيعة الاسدي اسد خزيمة
حليف بني عبد شمس من المهاجرين الاولين شماس بن عثمان المخزومي قال ابن هشام واسمه
عثمان بن عثمان وانما سمي شماسا لحسنه وشبهه بشماس كان في الجاهلية شقران مولى رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال الواقدي لم يسهم له وكان على الاسرى فاعطاه كل رجل ممن له
في الاسرى شيئا فحصل له اكثر من سهم **حرف الصاد** صهيب بن سنان الرومي من المهاجرين
الاولين صفوان بن وهب بن ربيعة الفهري اخو سهيل بن بيضاء قتل شهيدا يومئذ
صخر بن امية بن خنساء السلمي **حرف الضاد** ضحاك بن حارثة بن زيد السلمي ضحاك
بن عبد عمرو البخاري ضمرة بن عمرو الجهني وقال موسى بن عقبة ضمرة بن كعب بن عمرو حليف
الانصار وهو اخو زياد بن عمرو **حرف الطاء** طلحة بن عبيد الله احد العشرة قدم من
الشام بعد رجوعهم من بدر فضرب له رسول الله بسهمه واجره طفيل بن الحرث بن المطلب
بن عبد مناف من المهاجرين وهو اخو حصين وعبيدة طفيل بن مالك بن خنساء السلمي طفيل
ابن النعمان بن خنساء السلمي ابن عم الذي قبله طليب بن عمير بن وهب بن كثير بن عبد قصي
ذكره الواقدي **حرف الظاء** ظهير بن رافع الاوسي ذكره البخاري **حرف العين**
عاصم بن ثابت بن ابي الافلح الانصاري الذي حمته الدبر حين قتل بالرجيع عاصم بن عدي بن
عجلان رده عليه السلام من الروحاء وضرب له بسهمه واجره عاصم بن قيس بن ثابت الخزرجي
عاقل بن البكير اخو اياس وخالد وعامر عامر بن امية بن زيد بن الحسحاس البخاري عامر بن الحرث
الفهري كذا ذكره سلمة عن ابن اسحاق وابن عائذ وقال موسى بن عقبة ورواية عن ابن اسحاق عمرو
بن الحرث عامر بن ربيعة بن مالك العنزي حليف بني عدي من المهاجرين عامر بن سلمة بن عامر
بن عبد الله البلوي القضاعي حليف بني سالم بن مالك بن سالم بن غنم قال ابن هشام ويقال
عمرو بن سلمة عامر بن عبد الله بن الجراح بن هلال بن اهيب بن ضبة بن الحرث بن
فهر ابو عبيدة بن الجراح احد العشرة من المهاجرين الاولين عامر بن فهيرة مولى ابي بكر عامر
بن مخلد البخاري عائذ بن ماعص بن قيس الخزرجي عباد بن بشر بن وقش الاوسي عباد
بن قيس بن عامر الخزرجي عباد بن قيس بن عيشة الخزرجي اخو سبيع المتقدم عبادة بن

بن عقيل

الحسحاس القضاعي عبادة بن الصامت الخزرجي عبادة بن قيس بن كعب بن قيس عبد الله
بن امية بن عرفطة عبد الله بن ثعلبة بن خزمة اخو بحاث المتقدم عبد الله بن جحش
بن رئاب الاسدي عبد الله بن جبير بن النعمان الاوسي عبد الله بن الجد بن قيس السلمي
عبد الله بن حق ابن اوس الساعدي وقال موسى بن عقبة والواقدي وابن عائذ عبد رب
بن حق وقال ابن هشام عبد ربه بن حق عبد الله بن الحمير حليف لبني حرام وهو اخو خارجة
بن الحمير حليف لبني حرام من اشجع عبد الله بن الربيع بن قيس الخزرجي عبد الله بن رواحة الخزرجي
عبد الله بن زيد بن عبد ربه بن ثعلبة الخزرجي البخاري النداء عبد الله بن سراقة العدوي
لم يذكره موسى بن عقبة ولا الواقدي ولا ابن عائذ وذكره ابن اسحاق وغيره عبد الله بن سلمة
بن مالك العجلاني حليف الانصار عبد الله بن سهل بن رافع اخو بني زعورا عبد الله بن سهيل
بن عمرو خرج مع ابيه والمشركين ثم فر من المشركين الى المسلمين فشهدها معهم عبد الله بن
طارق بن مالك القضاعي حليف الاوس عبد الله بن عامر من بني بلي ذكره ابن اسحاق عبد الله
بن عبد الله بن ابي الخزرجي وكان ابوه راس المنافقين عبد الله بن عبد الاسد بن هلال بن
عبد الله بن عمر بن مخزوم وهو ابو سلمة زوج ام سلمة قتل يومئذ عبد الله بن عبد مناف بن
النعمان السلمي عبد الله بن عبس عبد الله بن عثمان بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن
تيم بن مرة بن كعب ابو بكر الصديق رضي الله عنه عبد الله بن عرفطة بن عدي الخزرجي
عبد الله بن عمرو بن حرام السلمي ابو جابر عبد الله بن عمير بن عدي الخزرجي عبد الله بن قيس
بن خالد البخاري عبد الله بن قيس بن صخر بن حرام السلمي عبد الله بن كعب بن عمرو بن عوف
بن مبذول بن عمرو بن غنم بن مازن بن النجار جعله النبي صلى الله عليه وسلم على غنائم
الزعباء على النفل يوم بدر عبد الله بن مخرمة بن عبد العزى من المهاجرين الاولين عبد الله بن مسعود الهذلي حليف بني زهرة من المهاجرين الاولين م
عبد الله
بن مظعون الجمحي من المهاجرين الاولين عبد الله بن النعمان بن بلدمة السلمي عبد الله بن
عبس عبد الله بن النعمان السلمي عبد الرحمن بن جبير بن عمرو ابو عبس الخزرجي عبد الرحمن بن عبد
الله بن ثعلبة ابو عقيل القضاعي البلوي عبد الرحمن بن عوف بن عبد الحرث بن زهرة
بن كلاب الزهري احد العشرة رضي الله عنه عبس بن عامر عبس بن عامر بن عدي السلمي عبيد
بن التيهان اخو ابي الهيثم بن التيهان ويقال عتيك بدل عبيد عبيد بن ثعلبة من بني
غنم بن مالك عبيد بن زيد بن عامر بن العجلان بن عمرو بن عامر عبيد بن ابي عبيد عبيدة
ابن الحرث بن المطلب بن عبد مناف اخو الحصين والطفيل وكان احد الثلاثة الذين
بارزوا يوم بدر فقطعت يده ثم مات بعد المعركة رضي الله عنه عتبان بن مالك بن عمرو
الخزرجي عتبة بن ربيعة بن خلد بن معاوية البهراني حليف بني امية بن لوذان عتبة بن
عبد الله بن صخر السلمي عتبة بن غزوان بن جابر من المهاجرين الاولين عثمان بن عفان
بن ابي العاص بن امية بن عبد شمس بن عبد مناف الاموي احد الخلفاء الاربعة واحد العشرة
تخلف على زوجته رقية بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم يمرضها حتى ماتت فضرب له
بسهمه واجره عثمان بن مظعون الجمحي ابو السائب اخو عبد الله وقدامة من المهاجرين الاولين
عدي بن ابي الزغباء الجهني وهو الذي ارسله رسول الله وبسبس بن عمرو بين يديه عينا عصمة
بن الحصين بن وبرة بن خالد بن العجلان عصيمة حليف لبني الحرث بن سواد من اشجع وقيل
من بني اسد بن خزيمة عطية بن نويرة بن عامر بن عطية الخزرجي عقبة بن عامر بن نابي السلمي

الحسحاس

عقبة بن عثمان بن خلدة الخزرجي اخو سعد بن عثمان عقبة بن عمرو ابو مسعود البدري وقع
في صحيح البخاري انه شهد بدرا وفيه نظر عند كثير من اصحاب المغازي ولهذا لم يذكروه عقبة
بن وهب بن ربيعة الاسدي اسد خزيمة حليف لبني عبد شمس وهو اخو شجاع بن وهب
من المهاجرين الاولين عقبة بن وهب بن كلدة حليف بني غطفان عكاشة بن محصن الغنمي
من المهاجرين الاولين وممن لا حساب عليه علي بن ابي طالب الهاشمي امير المومنين احد الخلفا
الاربعة واحد الثلاثة الذين بارزوا يومئذ رضي الله عنه عمار بن ياسر العبسي المذحجي
من المهاجرين الاولين عمارة بن حزم بن زيد البخاري عمر بن الخطاب امير المومنين احد الخلفاء
الاربعة واحد الشيخين المقتدى بهما رضي الله عنهما عمرو بن اياس من اهل اليمن حليف
لبني لوذان بن عمرو بن سالم وقيل هو اخو ربيع وودفه عمرو بن ثعلبة بن وهب بن عدي
بن سلك بن عدي بن عامر ابو حكيم عمرو بن الحرث بن زهير بن ابي شداد بن ربيعة بن هلال بن
اهيب بن ضبة بن الحرث بن فهر الفهري عمرو بن سراقة العدوي من المهاجرين عمرو بن ابي
سرح الفهري من المهاجرين وقال الواقدي وابن عايذ معمر بدل عمرو بن طلق بن زيد بن امية عمرو ه
بن سنان بن كعب بن غنم وهو من بني حرام عمرو بن الجموح بن حرام الانصاري عمرو بن قيس بن زيد
بن سواد بن مالك بن غنم ذكره الواقدي والاموي عمرو بن قيس بن مالك بن عدي بن الخنسا
بن عمرو بن مالك بن عدي بن عامر ابو خارجة ولم يذكره موسى بن عقبة عمرو بن عامر بن الحرث
الفهري ذكره موسى بن عقبة عمرو بن معبد بن الازعر الاوسي عمرو بن معاذ الاوسي اخو سعد
بن معاذ عمير بن الحرث بن ثعلبة ويقال عمير بن الحرث بن كنده بن ثعلبة السلمي عمير بن حرام
بن الجموح السلمي ذكره ابن عايذ والواقدي عمير بن الحمام بن الجموح ابن عم الذي قبله قتل يومئذ
شهيدا عمير بن عامر بن مالك بن الخنسا بن مبذول بن عمرو بن غنم بن مازن ابو داود المازني
عمير بن عوف مولى سهيل بن عمرو وسماه الاموي وغيره عمرو بن عوف وكذا وقع في الصحيحين
في حديث بعث ابي عبيدة الى البحرين عمير بن مالك بن اهيب الزهري اخو سعد بن ابي وقاص
قتل يومئذ شهيدا عنترة مولى بني سليم وقيل انه منهم فالله اعلم عوف بن الحرث بن رفاعة
بن الحرث البخاري وهو ابن عفرا بنت عبيد بن ثعلبة البخارية قتل يومئذ شهيدا عويم بن
ساعدة الانصاري من بني امية بن زيد عياض بن غنم الفهري من المهاجرين الاولين رضي الله
عنهم اجمعين **حرف الغين** غنام بن اوس الخزرجي ذكره الواقدي وليس بمجمع عليه
حرف الفا الفاكه بن بشر بن الفاكه الخزرجي فروة بن عمرو بن ودفة الخزرجي **حرف
القاف** قتادة بن النعمان الاوسي قدامة بن مظعون الجمحي من المهاجرين اخو عثمان
وعبد الله قطبة بن عامر بن حديدة السلمي قيس بن السكن البخاري قيس بن ابي صعصعة
عمرو بن زيد المازني كان على الساقة يوم بدر قيس بن محصن بن خلدة الخزرجي قيس بن مخلد
بن ثعلبة البخاري **حرف الكاف** كعب بن جماز ويقال جمار ويقال حماز قال ابن هشام كعب
بن غبشان ويقال كعب بن مالك بن ثعلبة بن جماز وقال الاموي كعب بن ثعلبة بن حبالة
بن غنم الغساني من حلفاء بني الخزرج بن ساعدة كعب بن زيد بن قيس البخاري كعب بن عمرو
ابو اليسر السلمي كلفة بن ثعلبة احد البكائين ذكره موسى بن عقبة كناز بن حصين بن يربوع
ابو مرثد الغنوي من المهاجرين الاولين **حرف الميم** مالك بن الدخشم ويقال ابن الدخشن
الخزرجي مالك بن ابي خولي الجعفي حليف بني عدي مالك بن ربيعة ابو اسيد الساعدي مالك

بن ثعلبة

بن قدامة الاوسي مالك بن عمرو اخو ثقف بن عمرو كلاهما مهاجري وهما من حلفا بني تميم بن
دودان بن اسد مالك بن قدامة الاوسي مالك بن مسعود الخزرجي مالك بن نميلة وقال
الواقدي مالك بن ثابت بن نميلة المزني حليف لبني عمرو بن عوف مبشر بن عبد المنذر
بن زنبر الاوسي اخو ابي لبابة ورفاعة قتل يومئذ شهيدا المجذر بن ذياد البلوي مهاجري
محرز بن عامر البخاري محرز بن نضلة الاسدي حليف بني عبد شمس مهاجري محمد بن مسلمة
حليف بني عبد الاشهل مدلج ويقال مدلاج بن عمرو اخو ثقف بن عمرو مهاجري مرثد بن ابي
مرثد الغنوي مسطح بن اثاثة بن عباد بن المطلب بن عبد مناف من المهاجرين الاولين وقيل
اسمه عوف مسعود بن اوس الانصاري البخاري مسعود بن خلدة الخزرجي مسعود بن
ربيعة القاري حليف بني زهرة مهاجري مسعود بن سعد ويقال ابو سعد سعد بن عامر
بن عدي بن جشم بن مجدعة بن حارثة بن الحرث مسعود بن سعد بن قيس الخزرجي مصعب
بن عمير العبدري مهاجري كان معه اللوا يومئذ معاذ بن جبل الخزرجي معاذ بن الحرث البخاري
وهو ابن عفرا اخو عوف ومعوذ معاذ بن عمرو بن الجموح الخزرجي معاذ بن ماعص الخزرجي
في القدم اخو عايذ معبد بن عباد بن قشير بن المقدم بن سالم بن غنم ويقال معبد بن عبادة بن
قيس وقال الواقدي نشعر بدل قشير وقال ابن هشام نشغر ابو خميصة معبد بن
قيس بن صخر السلمي اخو عبد الله بن قيس معتب بن عبيد بن اياس البلوي القضاعي معتب
بن عوف الخزاعي حليف بني مخزوم من المهاجرين معتب بن قشير الاوسي معقل بن المنذر السلمي
معمر بن الحرث الجمحي من المهاجرين معن بن عدي الاوسي معوذ بن الحرث الجمحي وهو ابن عفراء
اخو معاذ وعوف معوذ بن عمرو بن الجموح السلمي لعله اخو معاذ بن عمرو المقداد بن عمرو
البهراني وهو المقداد بن الاسود من المهاجرين الاولين وهو ذو المقال المحمود الذي تقدم
ذكره وكان احد الفرسان يومئذ مليل بن وبرة الخزرجي يومئذ المنذر بن عمرو بن
خنيس الساعدي المنذر بن قدامة بن عرفجة الخزرجي المنذر بن محمد بن عقبة الانصاري
من بني جحجبا مهجع مولى عمر بن الخطاب اصله من اليمن وكان اول قتيل من المسلمين يومئذ
حرف النون نصر بن الحرث بن عبد رزاح بن ظفر بن كعب نعمان بن عبد عمرو البخاري
وهو اخو الضحاك نعمان بن عمرو بن رفاعة البخاري نعمان بن عصر بن الحرث حليف لبني
الاوس نعمان بن مالك بن ثعلبة الخزرجي ويقال له قوقل نعمان بن يسار مولى لبني نعمان
بن سنان بن عبيد وقيل نعمان بن سنان نوفل بن عبد الله بن نضلة الخزرجي **حرف
الها** هاني بن نيار ابو بردة البلوي خال البرا بن عازب هلال بن امية الواقفي وقع ذكره
في اهل بدر في الصحيحين في قصة كعب بن مالك ولم يذكره احد من اصحاب المغازي هلال
بن المعلى الخزرجي اخو رافع بن المعلى **حرف الواو** واقد بن عبد الله التميمي حليف بني عدي
من المهاجرين وديعة بن عمرو بن جراد الجهني ذكره الواقدي وابن عايذ ورقة بن اياس بن
عمرو الخزرجي اخو ربيع بن اياس وهب بن سعد بن ابي سرح ذكره موسى بن عقبة وابن عايذ
والواقدي في بني عامر بن لوي ولم يذكره ابن اسحاق **حرف اليا** يزيد بن الاخنس
بن حنان بن حبيب بن جرة السلمي قال السهيلي شهد هو وابوه وابنه يعني بدرا ولا يعرف
لهم نظير في الصحابة قال ولم يذكرهم ابن اسحاق ولا الاكثرون ولكن شهدوا بيعة الرضوان
يزيد بن الحرث بن قيس الخزرجي وهو الذي يقال له ابن فسحم وهي امه قتل يومئذ شهيدا

بدر يزيد بن عامر بن حديدة ابو المنذر بن يسرح السلمي وهو اخو معقل بن المنذر

باب الكنى

ابو اسيد مالك بن ربيعة تقدم ابو الاعور بن الحرث بن ظالم البخاري وقال ابن هشام
ابو الاعور الحرث بن ظالم وقال الواقدي ابو الاعور كعب بن الحرث بن جندب بن ظالم
ابو بكر الصديق عبد الله بن عثمان تقدم ابو حبة بن عمرو بن ثابت احد بني ثعلبة بن
عمرو بن عوف الانصاري ابو حذيفة بن عتبة بن ربيعة من المهاجرين وقيل اسمه
مهشم ابو الحمراء مولى الحرث بن رفاعة بن عفراء ابو خزيمة بن اوس بن اصرم البخاري
ابو سبرة مولى ابي رهم بن عبد العزى من المهاجرين ابو سنان بن محصن بن حرثان اخو عكاشة
وهو ابنه سنان من المهاجرين ابو الضياح النعمان وقيل عمير بن ثابت بن النعمان
بن امية بن امرئ القيس بن ثعلبة رجع من الطريق وقتل يوم خيبر رجع لجرح اصابه من حجر
فضرب له بسهم ابو عرفجة من حلفاء بني جحجبا ابو كبشة مولى رسول الله صلى الله
عليه وسلم ابو لبابة بشير بن عبد المنذر تقدم ابو مرثد الغنوي كناز بن حصن تقدم
ابو مسعود البدري عقبة بن عمرو تقدم ابو مليل بن الازعر بن زيد الاوسي

فصل

فكان جملة من شهد بدرا من المسلمين ثلثمائة واربعة عشر رجلا منهم رسول الله صلى الله
عليه وسلم كما قال البخاري حدثنا عمرو بن خالد ثنا زهير ثنا ابو اسحاق سمعت البراء بن
عازب يقول حدثني اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ورضي عنهم ممن شهد بدرا انهم
كانوا عدة اصحاب طالوت الذين جازوا معه النهر بضعة عشر وثلثمائة قال البراء والله
ما جاز معه النهر الا مؤمن ثم رواه البخاري من طريق اسرائيل وسفيان بن الثوري عن ابي
اسحاق عن البراء نحوه قال ابن جرير وهذا قول عامة السلف انهم كانوا ثلثمائة وبضعة عشر
رجلا وقال البخاري ايضا ثنا محمود ثنا وهب عن شعبة عن ابي اسحاق عن البراء قال
استصغرت انا وابن عمر يوم بدر وكان المهاجرون يوم بدر نيفا على ستين والانصار
نيفا واربعين ومائتين هكذا وقع في هذه الرواية وقال ابن جرير حدثني محمد بن عبيد
المحاربي ثنا ابو مالك الجنبي عن الحجاج هو ابن ارطاة عن الحكم عن مقسم عن ابن عباس
قال كان المهاجرون يوم بدر سبعين رجلا وكان الانصار مائتين وستة وثلاثين رجلا
وكان حامل راية النبي صلى الله عليه وسلم علي بن ابي طالب وحامل راية الانصار سعد بن
عبادة وهذا يقتضي انهم كانوا ثلثمائة وستة رجال قال ابن جرير وقيل كانوا ثلثمائة
وسبعة رجال قلت وقد يكون هذا عدتهم بالنبي صلى الله عليه وسلم والاول عدتهم بدونه
فالله اعلم وقد تقدم عن ابن اسحاق ان المهاجرين كانوا ثلاثة وثمانين رجلا وان الاوس
احد وستون رجلا والخزرج مائة وسبعون رجلا وسردهم وهذا مخالف لما ذكره البخاري
ومما ذكر عن ابن عباس فالله اعلم وفي الصحيح عن انس انه قيل له شهدت بدرا فقال واين
اغيب وفي سنن ابي داود عن ابي سعيد بن منصور عن ابي معاوية عن الاعمش عن ابي
سفيان طلحة بن نافع عن جابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام انه قال كنت امتح لاصحابي الماء
يوم بدر وهذان لم يذكرهما البخاري ولا الضياء فالله اعلم قلت وفي الذين عدهم ابن
اسحاق في اهل بدر من ضرب له بسهم في مغنمها مع انه لم يحضرها تخلف عنها لعذر اذن
له في التخلف بسببها وكانوا ثمانية او تسعة وهم عثمان بن عفان رضي الله عنه تخلف

على رقية

على رقية بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم يمرضها حتى ماتت فضرب له بسهمه واجره
وطلحة بن عبيد الله كان بالشام فضرب له بسهمه واجره وسعيد بن زيد بن عمرو بن
نفيل كان بالشام ايضا فضرب له بسهمه واجره وابو لبابة بشير بن عبد المنذر رده على
رسول الله صلى الله عليه وسلم من الروحاء حين بلغه خروج النفير من مكة فاستعمله على
المدينة وضرب له بسهمه واجره والحارث بن حاطب بن عبيد بن امية رده رسول الله صلى
الله عليه وسلم ايضا من الطريق وضرب له بسهمه واجره والحرث بن الصمة كسر بالروحاء
فرجع وضرب له بسهمه زاده الواقدي واجره وخوات بن جبير لم يحضر الوقعة وضرب
له بسهمه واجره وابو الصياح بن ثابت خرج مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فاصاب
ساقه فصيل حجر فرجع وضرب له بسهمه واجره قال الواقدي وسعد بن مالك تجهز ابو سهيل م
ليخرج فمات وقيل انه مات بالروحاء فضرب له بسهمه واجره وكان الذين استشهدوا من
المسلمين يومئذ اربعة عشر رجلا من المهاجرين ستة وهم عبيدة بن الحرث بن المطلب
قطعت رجله فمات بالصفراء رحمه الله وعمير بن ابي وقاص اخو سعد بن ابي وقاص الزهري
قتله العاص بن سعيد وهو ابن ست عشرة سنة ويقال انه كان قد رده رسول الله
بالرجوع لصغره فبكى فاذن له في الذهاب فقتل رضي الله عنه وحليفهم ذو الشمالين
بن عبد عمرو الخزاعي وصفوان بن بيضاء وعاقل بن البكير الليثي حليف بني عدي ومهجع
مولى عمر بن الخطاب وكان اول قتيل من المسلمين يومئذ ومن الانصار ثمانية وهم
حارثة بن سراقة رماه حبان بن العرقة بسهم فاصاب حنجرته فمات ومعوذ وعوف
ابناء عفراء ويزيد بن الحرث ويقال ابن سحم وعمير بن الحمام ورافع بن المعلى بن لوذان وسعد
بن خيثمة ومبشر بن عبد المنذر رضي الله عن جميعهم وكان مع المسلمين سبعون بعيرا
كما تقدم قال ابن اسحاق وكان معهم فرسان على احدهما المقداد بن الاسود واسمها بعزجة
ويقال سبحة وعلى الاخرى الزبير بن العوام واسمها اليعسوب وكان معهم لواء يحمله مصعب
بن عمير ورايتان يحمل احداهما للمهاجرين علي بن ابي طالب والتي للانصار يحملها سعد بن
عبادة وكان رأس مشورة المهاجرين ابو بكر الصديق ورأس مشورة الانصار سعد بن معاذ
واما جمع المشركين فاحسن ما يقال فيهم انهم كانوا ما بين التسعمائة الى الالف وقد نص عروة
وقتادة انهم كانوا تسعمائة وخمسين رجلا وقال الواقدي كانوا تسعمائة وثلاثين رجلا
وهذا التحديد يحتاج الى دليل وقد تقدم في بعض الاحاديث انهم كانوا ازيد من الف فلعله
عدد اتباعهم معهم والله اعلم وتقدم في الحديث الصحيح عند البخاري عن البراء انه قتل
منهم سبعون واسر سبعون وهذا قول الجمهور ولهذا قال كعب بن مالك في قصيدة له

فاقام بالعطن المعطن منهم سبعون عتبة منهم والاسود

وقد حكى الواقدي الاجماع على ذلك ولكن فيما قاله نظر فان موسى بن عقبة وعروة بن الزبير
قالا خلاف ذلك وهما من ائمة هذا الشان فلا يمكن حكاية الاتفاق بدون قولهما وان كان قولهما
مرجوحا بالنسبة الى الحديث الصحيح والله اعلم وقد سرد اسماء القتلى والاسارى ابن اسحاق
وغيره وحرر ذلك الحافظ الضياء في احكامه جيدا وقد تقدم في غضون سياقات القصة
ذكر اول من قتل منهم وهو الاسود بن عبد الاسد المخزومي واول من فر وهو خالد بن الاعلم الخزاعي
او العقيلي حليف بني مخزوم وما افاده ذلك وهو القائل شعر

فانه اسر

ولسنا على الاعقاب تدمى كلومنا   ولسنا على اعقابنا تقطر الدم   فاصدق في ذلك
واول من اسر وان عقبة بن ابي معيط والنضر بن الحرث قتلا صبرا بين يدي رسول الله صلى
الله عليه وسلم من بين الاسارى وقد اختلف في ايهما قتل اولا على قولين وانه عليه
السلام اطلق جماعة من الاسارى مجانا بلا فداء منهم ابو العاص بن الربيع الاموي والمطلب
بن حنطب بن الحرث المخزومي وصيفي بن رفاعة كما تقدم وابو عزة الشاعر ووهب بن عمير
بن وهب الجمحي كما تقدم وفادى بقيتهم حتى عمه العباس اخذ منه اكثر مما اخذ من سائر الاسارى
لئلا يحابيه لكونه عمه مع انه قد سأله الذين اسروه من الانصار ان يتركوا له فداءه فابى
عليهم ذلك وقال لا تتركون منه درهما وقد كان فداؤهم متفاوتا فاقل ما اخذ اربعمائة ومنهم يذكوا م
من اخذ منه اربعون اوقية من ذهب قال موسى بن عقبة واخذ من العباس مائة اوقية من
ذهب ومنهم من استؤجر على عمل بقدر فدائه كما قال الامام احمد ثنا علي بن عاصم قال
قال داود ثنا عكرمة عن ابن عباس قال كان ناس من الاسرى يوم بدر لم يكن لهم فداء فجعل
رسول الله فداءهم ان يعلموا اولاد الانصار الكتابة قال فجاء غلام يبكي الى ابيه فقال يوما م
ما شانك فقال ضربني معلمي فقال الخبيث يطلب بذحل بدر والله لا تأتيه ابدا انفرد به
احمد وهو على شرط السنن وتقدم بسط ذلك كله ولله الحمد

فصل في فضل من شهد بدرا من المسلمين

قال البخاري في هذا الباب حدثنا عبد الله بن محمد ثنا معاوية بن عمرو ثنا ابو اسحاق عن
حميد سمعت انسا يقول اصيب حارثة يوم بدر فجاءت امه الى رسول الله فقالت يا رسول الله
قد عرفت منزلة حارثة مني فان يك في الجنة اصبر واحتسب وان تكن الاخرى ترى ما اصنع
فقال ويحك اوهبلت اوجنة واحدة انها جنان كثيرة وانه في جنة الفردوس تفرد به البخاري
من هذا الوجه وقد روي من غير هذا الوجه من حديث ثابت وقتادة عن انس وان حارثة
كان في النظارة وفيه وان ابنك اصاب الفردوس الاعلى وفي هذا تنبيه عظيم على فضل اهل بدر
فان هذا الذي لم يكن في بحبحة القتال ولا في حومة الوغى بل كان من النظارة من بعيد
وانما اصابه سهم غرب وهو يشرب من الحوض ومع هذا اصاب بهذا الموقف الفردوس التي هي
اعلى الجنة واوسط الجنة ومنه تفجر انهار الجنة التي امر الشارع امته اذا سالوا الله الجنة
ان يسألوه اياها فاذا كان هذا حال هذا فما ظنك بمن كان واقفا في نحر العدو وعدوهم
على ثلاثة اضعافهم عددا وعددا ثم روى البخاري ومسلم جميعا عن اسحاق بن راهويه
عن عبد الله بن ادريس عن حصين بن عبد الرحمن عن سعد بن عبيدة عن ابي عبد الرحمن السلمي
عن علي بن ابي طالب في قصة حاطب بن ابي بلتعة وبعثه الكتاب الى اهل مكة عام الفتح وان عمر
استاذن رسول الله صلى الله عليه وسلم في ضرب عنقه فانه قد خان الله ورسوله والمؤمنين
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قد شهد بدرا وما يدريك لعل الله اطلع على اهل بدر
فقال اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم ولفظ البخاري فقال اليس من اهل بدر ولعل الله قد اطلع
على اهل بدر فقال اعملوا ما شئتم فقد وجبت لكم الجنة او فقد غفرت لكم فدمعت عينا عمر
فقال الله ورسوله اعلم وروى مسلم عن قتيبة عن الليث عن ابي الزبير عن جابر ان عبدا لحاطب
جاء رسول الله يشكو حاطبا فقال يا رسول الله ليدخلن حاطب النار فقال رسول الله كذبت
لا يدخلها انه شهد بدرا والحديبية وقال الامام احمد ثنا سليمان بن داود ثنا ابو بكر بن عياش

حدثني الاعمش عن ابي سفيان عن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لن يدخل
النار رجل شهد بدرا والحديبية تفرد به احمد وهو على شرط مسلم وقال الامام احمد ثنا يزيد
ابا حماد بن سلمة عن عاصم بن ابي النجود عن ابي صالح عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم
قال ان الله اطلع على اهل بدر فقال اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم ورواه ابو داود عن
احمد بن سنان وموسى بن اسماعيل كلاهما عن يزيد بن هارون به وروى البزار في مسنده ثنا
محمد بن مرزوق ثنا ابو حذيفة ثنا عكرمة عن يحيى بن ابي كثير عن ابي سلمة عن ابي هريرة قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اني لارجو ان لا يدخل النار من شهد بدرا ان شاء الله
ثم قال لا نعلمه يروى عن ابي هريرة الا من هذا الوجه قلت وقد تفرد البزار بهذا الحديث
ولم يخرجوه وهو على شرط الصحيح والله اعلم وقال البخاري في باب شهود الملائكة بدرا حدثنا
اسحاق بن ابراهيم ثنا جرير عن يحيى بن سعيد عن معاذ بن رفاعة بن رافع الزرقي عن ابيه
وكان ابوه من اهل بدر قال جاء جبريل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال ما تعدون اهل بدر فيكم
قال من افضل المسلمين او كلمة نحوها قال وكذلك من شهد بدرا من الملائكة انفرد به البخاري

فصل في قدوم زينب بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم مهاجرة من مكة الى
المدينة بعد وقعة بدر بشهر منفصلة ما كان شرط زوجها ابو العاص للنبي صلى الله عليه وسلم
كما تقدم قال ابن اسحاق ولما رجع ابو العاص الى مكة وقد خلي سبيله يعني كما تقدم بعث
رسول الله صلى الله عليه وسلم زيد بن حارثة ورجلا من الانصار مكانه فقال كونا ببطن
ياجج حتى تمر بكما زينب فتصحباها فتأتياني بها فخرجا مكانهما وذلك بعد بدر بشهر او شيعه
فلما قدم ابو العاص مكة امرها باللحوق بابيها فخرجت تجهز قال ابن اسحاق فحدثني عبد الله بن
ابي بكر قال حدثت عن زينب انها قالت بينا انا اتجهز لقيتني هند بنت عتبة فقالت يا ابنة محمد
الم يبلغني انك تريدين اللحوق بابيك قالت فقلت ما اردت ذلك فقالت اي ابنة عم لا تفعلي
ان كانت لك حاجة بمتاع مما يرفق بك في سفرك او بمال تتبلغين به الى ابيك فان عندي حاجتك
فلا تضطني مني فانه لا يدخل بين النساء ما بين الرجال قالت والله ما اراها قالت ذلك الا لتفعل
قالت ولكني خفتها فانكرت ان اكون اريد ذلك قال ابن اسحاق فتجهزت فلما فرغت من جهازها
قدم اليها اخو زوجها كنانة بن الربيع بعيرا فركبته واخذ قوسه وكنانته ثم خرج بها نهارا يقود بها
وهي في هودج لها وتحدث بذلك رجال من قريش فخرجوا في طلبها حتى ادركوها بذي طوى فكان اول
من سبق اليها هبار بن الاسود بن المطلب بن اسد بن عبد العزى الفهري فروعها هبار بالرمح
وهي في الهودج وكانت حاملا فيما يزعمون فطرحت وبرك حموها كنانة ونثر كنانته ثم قال
والله لا يدنو مني رجل الا وضعت فيه سهما فتكركر الناس عنه واتى ابو سفيان في جلة من قريش نكف م
فقال ايها الرجل كف عنا نبلك حتى نكلمك فكف فاقبل ابو سفيان حتى وقف عليه فقال انك لم تصب
خرجت بالمرأة على رؤس الناس علانية وقد عرفت مصيبتنا ونكبتنا وما دخل علينا من محمد
فيظن الناس اذا اخرجت بابنته اليه علانية على رؤس الناس من بين اظهرنا ان ذلك على ذل اصابنا
وان ذلك منا ضعف ووهن ولعمري ما لنا بحبسها عن ابيها من حاجة وما لنا في ذلك من ثورة ولكن ارجع
بالمرأة حتى اذا هدأت الاصوات وتحدث الناس ان قد رددناها فسلها سرا والحقها بابيها قال
ففعل وقد ذكر ابن اسحاق ان اولئك النفر الذين ردوا زينب لما رجعوا الى مكة قالت هند تذمهم على ذلك
افي السلم اعيارا جفاء وغلظة   وفي الحرب اشباه النساء العوارك

وقد قيل انها قالت ذلك للذين رجعوا بها بعد ما قتل منهم الذين قتلوا قال ابن اسحاق
فاقامت ليالي حتى اذا هدات الاصوات خرج بها ليلا حتى اسلمها الى زيد بن حارثة وصاحبه فقدما
بها ليلا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد روى البيهقي في الدلايل من طريق عمر بن عبد الله بن
عروة بن الزبير عن عروة عن عايشة فذكر قصة خروجها ورد هبار اياها ووضعها ما في بطنها وان رسول
الله بعث زيد بن حارثة واعطاه خاتمه لتجيء معه فتلطف زيد فاعطاه راعيا من مكة فاعطى
الخاتم لزينب فلما راته عرفته فقالت لمن هذا قال لرجل في ظاهر مكة فخرجت
زينب ليلا فركبت وراءه حتى قدم بها المدينة قال فكان رسول الله يقول هي افضل بناتي
اصيبت في قال فبلغ ذلك علي بن الحسين بن زين العابدين فاتى عروة فقال ما حديث بلغني
انك تحدثه تنقص فيه فاطمة فقال عروة والله ما احب ان لي ما بين المشرق والمغرب واني انتقص فاطمة حقا هو
لها واما بعد ذلك فلك ان لا احدث به ابدا قال ابن اسحاق فقال في ذلك عبد الله بن رواحة
او ابو خيثمة اخو بني سالم بن عوف قال ابن هشام هي لابي خيثمة

اتاني الذي لا يقدر الناس قدره • لزينب فيهم من عقوق ومأثم
واخراجها لم يخز فيها محمد • على مأقط وبيننا عطر منشم
وامسى ابو سفيان من حلف ضمضم • ومن حربنا في رغم انف ومندم
قرنا ابنه عمرا ومولى يمينه • بذي حلق جلد الصلاصل محكم
فاقسمت منا كتايب سراة • خميس في لهام مسوم
نزوع قريش الكفر حتى نعلها • بخاطمة فوق الانوف بميسم
ننزلهم اكناف نجد ونخلة • وان يتهموا بالخيل والرجل نتهم
مدى الدهر حتى لا يعوج سربنا • ونلحقهم آثار عاد وجرهم
ويندم قوم لم يطيعوا محمدا • على امرهم واي حين تندم
فابلغ ابا سفيان اما لقيته • لين انت لم تخلص سجودا وتسلم
فابشر بخزي في الحيوة معجل • وسربال قار خالدا في جهنم

قال ابن اسحاق ومولى يمين ابي سفيان الذي عناه الشاعر هو عامر بن الحضرمي وقال ابن هشام
انما هو عقبة بن الحرث بن الحضرمي فاما عامر بن الحضرمي فانه قتل يوم بدر قال ابن اسحاق وقد حدثني
يزيد بن ابي حبيب عن بكير بن عبد الله بن الاشج عن سليمان بن يسار عن ابي اسحاق الدوسي عن ابي
هريرة قال بعث النبي صلى الله عليه وسلم سرية انا فيها فقال ان ظفرتم بهبار بن الاسود
والرجل الذي سبق معه الى زينب فحرقوهما بالنار فلما كان الغد بعث الينا فقال اني قد كنت
امرتكم بتحريق هذين الرجلين ان اخذتموهما ثم رايت انه لا ينبغي لاحد ان يحرق بالنار الا الله عز وجل
فان ظفرتم بهما فاقتلوهما تفرد به ابن اسحاق وهو على شرط السنن ولم يخرجوه وقال البخاري
ثنا قتيبة ثنا الليث عن بكير عن سليمان بن يسار عن ابي هريرة انه قال بعثنا رسول الله
صلى الله عليه وسلم في بعث فقال ان وجدتم فلانا وفلانا فاحرقوهما بالنار ثم قال حين
اردنا الخروج اني كنت امرتكم ان تحرقوا فلانا وفلانا وان النار لا يعذب بها الا الله فان وجدتموهما
فاقتلوهما وقد ذكر ابن اسحاق ان ابا العاص اقام بمكة على كفره واستمرت زينب عند ابيها بالمدينة
حتى اذا كان قبيل الفتح خرج ابو العاص في تجارة لقريش فلما قفل من الشام لقيته سرية
فاخذوا ما معه واعجزهم هاربا وجاء تحت الليل الى زينب فاستجار بها فاجارته فلما خرج

المانظم عنزل القتال ومنشم امراة كانت تبيع عطر الموتى

تاريخ

رسول

رسول الله صلى الله عليه وسلم لصلاة الصبح وكبر وكبر الناس صرخت من صفة النسا ايها الناس
اني قد اجرت ابا العاص بن الربيع فلما سلم رسول الله اقبل على الناس فقال ايها الناس هل
سمعتم الذي سمعت قالوا نعم قال اما والذي نفس محمد بيده ما علمت بشيء حتى سمعت ما سمعتم
وانه يجير على المسلمين ادناهم ثم انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم فدخل على ابنته
زينب فقال اي بنية اكرمي مثواه ولا يخلصن اليك فانك لا تحلين له قال وبعث رسول
الله صلى الله عليه وسلم فحثهم على رد ما كان معه فردوه باسره لا يفقد منه شيا فاخذه ابو
العاص فرجع به الى مكة فاعطى كل انسان ما كان له ثم قال يا معشر قريش هل بقي لاحد منكم عنده
مال لم ياخذه قالوا لا فجزاك الله خيرا فقد وجدناك وفيا كريما قال فاني اشهد ان لا اله الا الله
وان محمدا عبده ورسوله والله ما منعني عن الاسلام عنده الا تخوف ان تظنوا اني انما اردت اكل ان م
اموالكم فلما اداها الله اليكم وفرغت منها اسلمت ثم خرج حتى قدم على رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال ابن اسحاق فحدثني داود بن الحصين عن عكرمة عن ابن عباس قال رد عليه رسول الله صلى
الله عليه وسلم زينب على النكاح الاول لم يحدث شيا وهذا الحديث قد رواه الامام احمد وابو داود م
والترمذي وابن ماجة من حديث محمد بن اسحاق وقال الترمذي ليس باسناده باس ولكن لا نعرف
وجه هذا الحديث ولعله قد جاء من قبل حفظ داود بن الحصين وقال السهيلي لم يقل به احد
من الفقها فيما علمت وفي لفظ رده عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ست سنين
وفي رواية بعد سنتين بالنكاح الاول رواه ابن جرير وفي رواية ولم يحدث نكاحا وهذا الحديث
قد اشكل على كثير من العلما فان القاعدة عندهم ان المراة اذا اسلمت وزوجها كافر فان كان
قبل الدخول تعجلت الفرقة وان كان بعده انتظر الى انقضاء العدة فان اسلم فيها استمر
على نكاحها وان انقضت ولم يسلم انفسخ نكاحها وزينب رضي الله عنها اسلمت حين بعث
رسول الله صلى الله عليه وسلم وهاجرت بعد بدر بشهر وحرم المسلمات على المشركين عام الحديبية
سنة ست واسلم ابو العاص قبل الفتح سنة ثمان فمن قال رده عليه بعد ست سنين
اي من حين هجرتها وهو صحيح ومن قال بعد سنتين اي من حين حرمت المسلمات على المشركين
وهو صحيح وعلى كل تقدير فالظاهر انقضا عدتها في هذه المدة التي اقلها سنتان من
حين التحريم او قريب منها فكيف رده عليه بالنكاح الاول فقال قايلون يحتمل ان عدتها
لم تنقض وهذه قصة عين يتطرق اليها الاحتمال وعارض اخرون هذا الحديث بالحديث
الاول الذي رواه احمد والترمذي وابن ماجة من حديث الحجاج بن ارطاة عن عمرو بن شعيب
عن ابيه عن جده ان رسول الله صلى الله عليه وسلم رد زينب على ابي العاص بن الربيع بمهر
جديد ونكاح جديد قال الامام احمد هذا حديث ضعيف ولم يسمعه ~~الامام احمد~~ من عمرو بن الحجاج م
شعيب انما سمعه من محمد بن عبيد الله العرزمي والعرزمي لا يساوي حديثه شيا والحديث
الصحيح الذي روي ان النبي صلى الله عليه وسلم اقرهما على النكاح الاول وهكذا قال
الدارقطني لا يثبت هذا الحديث والصواب حديث ابن عباس ان رسول الله ردها
بالنكاح الاول وقال الترمذي هذا حديث في اسناده مقال والعمل عليه عند اهل العلم
ان المراة اذا اسلمت قبل زوجها ثم اسلم زوجها انه احق بها ما كانت في العدة وهو قول مالك
والاوزاعي والشافعي واحمد واسحاق وقال اخرون بل الظاهر انقضا عدتها ومن روى انه جدد
لها نكاحا فضعيف ففي قضية زينب والحالة هذه دليل على ان المراة اذا اسلمت وتاخر اسلام

زوجها حتى انقضت عدتها فنكاحها لا ينفسخ بمجرد ذلك بل تبقى بالخيار ان شاءت تزوجت غيره وان شاءت تربصت وانتظرت اسلام زوجها اي وقت كان دعوى انه ما لم تتزوج وهذا القول فيه قوة وله حظ من جهة الفقه والله تعالى اعلم ويستشهد لذلك بما ذكره البخاري حيث قال نكاح من اسلم من المشركات وعدتهن حدثنا ابراهيم بن موسى ثنا هشام عن ابن جريج قال قال عطاء عن ابن عباس كان المشركون على منزلتين من رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين كانوا مشركي اهل حرب يقاتلهم ويقاتلونه ومشركي اهل عهد لا يقاتلهم ولا يقاتلونه فكان اذا هاجرت امراة من اهل الحرب لم تخطب حتى تحيض وتطهر فاذا طهرت حل لها النكاح فان هاجر زوجها قبل ان تنكح ردت اليه وان هاجر عبد منهم وامة فهما حران ولهما ما للمهاجرين ثم ذكر من اهل العهد حديث مجاهد هذا لفظ بحروفه فقوله فكان اذا هاجرت امراة من اهل الحرب لم تخطب حتى تحيض وتطهر يقتضي انها كانت تستبرئ بحيضة لا تعتد بثلاثة قروء وقد ذهب قوم الى هذا وقوله فان هاجر زوجها قبل ان تنكح ردت اليه يقتضي انه وان هاجر بعد انقضاء مدة الاستبراء او العدة انها ترد الى زوجها الاول ما لم تنكح غيره كما هو الظاهر من قصة زينب بنت النبي صلى الله عليه وسلم وكما ذهب اليه من ذهب اليه من العلماء والله اعلم

فصل فيما قيل من الاشعار في غزوة بدر العظمى فمن ذلك

ما ذكره ابن اسحاق عن حمزة بن عبد المطلب وانكرها ابن هشام •

• الم تر امرا كان من عجب الدهر • وللحين اسباب مبينة الامر •
• وما ذاك الا ان قوما افادهم • فحانوا تواص بالعقوق وبالكفر •
• عشية راحوا نحو بدر بجمعهم • فكانوا رهونا للركية من بدر •
• وكنا طلبنا العير لم نبغ غيرها • فساروا الينا فالتقينا على قدر •
• فلما التقينا لم تكن مثنوية • لنا غير طعن بالمثقفة السمر •
• وضرب ببيض يختلي الهام حدها • مشهرة الالوان بينة الاثر •
• ونحن تركنا عتبة الغي ثاويا • وشيبة في القتلى تجرجم في الجفر •
• وعمرو ثوى فيمن ثوى من حماتهم • فشقت جيوب النائحات على عمرو •
• جيوب نساء من لوي بن غالب • كرام تفرعن الذوائب من فهر •
• اولئك قوم قتلوا في ضلالهم • وخلوا لواء غير محتضر النصر •
• لواء ضلال قاد ابليس اهله • فخاس بهم ان الخبيث الى غدر •
• وقال لهم اذ عاين الامر واضحا • برئت اليكم ما بي اليوم من صبر •
• فاني ارى ما لا ترون واني • اخاف عقاب الله والله ذو قسر •
• فقدمهم للحين حتى تورطوا • وكان بما لم يخبر القوم ذا خبر •
• فكانوا غداة البئر الفا وجمعنا • ثلاث مئين كالمسدمة الزهر •
• وفينا جنود الله حين يمدنا • بهم في مقام ثم مستوضح الذكر •
• فشد بهم جبريل تحت لوائنا • لدى مازق فيه مناياهم تجري •

وقد ذكر ابن اسحاق جوابها من الحارث بن هشام اخي ابي جهل عمرو بن هشام تركناها عمدا وقال علي بن ابي طالب وانكرها ابن هشام •

• الم تر ان الله ابلى رسوله • بلاء عزيز ذي اقتدار وذي فضل •

المستهدمة الابل [illegible]

• بما انزل الكفار دار مذلة • فلاقوا هوانا من اسار ومن قتل •
• فامسى رسول الله قد عز نصره • وكان رسول الله ارسل بالعدل •
• فجاء بفرقان من الله منزل • مبينة اياته لذوي العقل •
• فامن اقوام بذاك وايقنوا • فامسوا بحمد الله مجتمعي الشمل •
• وانكر اقوام فزاغت قلوبهم • فزادهم ذو العرش خبلا على خبل •
• فامكن منهم يوم بدر رسوله • وقوما غضابا فعلهم احسن الفعل •
• بايديهم بيض خفاف عصوا بها • وقد حادثوها بالجلاء وبالصقل •
• فكم تركوا من ناشئ ذي حمية • صريعا ومن ذي نجدة منهم كهل •
• تبيت عيون النائحات عليهم • تجود باسبال الرشاش وبالوبل •
• نوائح تنعى عتبة الغي وابنه • وشيبة تنعاه وتنعى ابا جهل •
• وذا الرجل تنعى وابن جدعان فيهم • مسلبة حرى مبينة الثكل •
• ثوى منهم في بئر بدر عصابة • ذوو نجدات في الحروب وفي المحل •
• دعا الغي منهم من دعا فاجابه • وللغي اسباب مرمقة الوصل •
• فاضحوا لدى دار الجحيم بمعزل • عن الشغب والعدوان في اشغل الشغل •

وقد ذكر ابن اسحاق نقيضتها من الحارث بن هشام تركناها قصدا وقال كعب بن مالك •

• عجبت لامر الله والله قادر • على ما اراد ليس لله قاهر •
• قضى يوم بدر ان نلاقي معشرا • بغوا وسبيل البغي بالناس جائر •
• وقد حشدوا واستنفروا من يليهم • من الناس حتى جمعهم متكاثر •
• وسارت الينا لا تحاول غيرنا • باجمعها كعب جميعا وعامر •
• وفينا رسول الله والاوس حوله • له معقل منهم عزيز وناصر •
• وجمع بني النجار تحت لوائه • يمشون في الماذي والنقع ثائر •
• فلما لقيناهم وكل مجاهد • لاصحابه مستبسل النفس صابر •
• شهدنا بان الله لا رب غيره • وان رسول الله بالحق ظاهر •
• وقد عريت بيض خفاف كانها • مقابيس يزهيها لعينيك شاهر •
• بهن ابدنا جمعهم فتبددوا • وكان يلاقي الحين من هو فاجر •
• فكب ابو جهل صريعا لوجهه • وعتبة قد غادرنه وهو عاثر •
• وشيبة والتيمي غادرن في الوغى • وما منهما الا بذي العرش كافر •
• فامسوا وقود النار في مستقرها • وكل كفور في جهنم صائر •
• تلظى عليهم وهي قد شب حميها • بزبر الحديد والحجارة ساجر •
• وكان رسول الله قد قال اقبلوا • فولوا وقالوا انما انت ساحر •
• لامر اراد الله ان يهلكوا به • وليس لامر حمه الله زاجر •

وقال كعب في يوم بدر •

• الا هل اتى غسان في ناي دارها • واخبر شيء بالامور عليمها •
• بان قد رمتنا عن قسي عداوة • معد معا جهالها وحليمها •
• لانا عبدنا الله لم نرج غيره • رجاء الجنان اذ اتانا زعيمها •

بما انزل

بنجله في قومه ارثعيره • واعراق صدق هذبتها ارومها
فسار وسرنا فالتقينا كاننا • اسود لقاء لا يرجى كليمها
ضربناهم حتى هوى في مكرنا • لمنخر سوء من لؤي عظيمها اي جريحها
فولوا ودسناهم ببيض صوارم • سواء علينا حلفها وصميمها

وقال كعب ايضا

لعمر ابيكما يا ابني لؤي • على زهو لديكم وانتخاء
لما حامت فوارسكم ببدر • ولا صبروا به عند اللقاء
وردناه بنور الله يجلو • دجى الظلماء عنا والغطاء
رسول الله يقدمنا بامر • من امر الله احكم بالقضاء
فما ظفرت فوارسكم ببدر • وما رجعوا اليكم بالسواء
فلا تعجل ابا سفيان وارقب • جياد الخيل تطلع من كداء
بنصر الله روح القدس فيها • وميكال فيا طيب الملاء

وقال حسان بن ثابت قال ابن هشام ويقال هي لعبد الله بن الحرث السهمي

مستشعري حلق الماذي يقدمهم • جلد النحيزة ماض غير رعديد
اعني رسول اله الخلق فضله • على البرية بالتقوى وبالجود
وقد زعمتم بان تحموا ذماركم • وماء بدر زعمتم غير مورود
مستعصمين بحبل غير منجذم • مستحكم من حبال الله ممدود
فينا الرسول وفينا الحق نتبعه • حتى الممات ونصر غير محدود
الا ليت شعري هل اتى مكة • ابارتنا الكفار في ساعة العسر
واف وماض شهاب يستضاء به • بدرا انار على كل الاماجيد

وقال حسان بن ثابت ايضا

الا ليت شعري هل اتى مكة • ابارتنا الكفار في ساعة العسر
قتلنا سراة القوم عند مجالنا • فلم يرجعوا الا بقاصمة الظهر
قتلنا ابا جهل وعتبة قبله • وشيبة يكبوا لليدين وللنحر
قتلنا سويدا ثم عتبة بعده • وطعمة ايضا عند ثايره القبر
فكم قد قتلنا من كريم مرزا • له حسب في قومه نابه الذكر
تركناهم للعاديات ينبنهم • ويصلون نارا بعد حامية القعر
لعمرك ما حامت فوارس مالك • واشياعهم يوم التقينا على بدر

وقال عبيدة بن الحرث بن المطلب في يوم بدر في قطع رجله في مبارزته وحمزة وعلي مع عتبة وشيبة والوليد بن عتبة وانكرها ابن هشام

ستبلغ عنا اهل مكة وقعة • يهب لها من كان عن ذاك نائيا
بعتبة اذ ولى وشيبة بعده • وما كان فيها بكر عتبة راضيا
فان تقطعوا رجلي فاني مسلم • ارجي بها عيشا من الله دانيا
مع الحور امثال التماثيل اخلصت • من الجنة العليا لمن كان عاليا
وبعت بها عيشا تعرقت صفوه • وعالجته حتى فقدت الادانيا

فاكرمنو

فاكرمني الرحمن من فضل منه • بثوب من الاسلام غطى المساويا
وما كان مكروها الي قتالهم • غداة دعا الاكفاء من كان داعيا
ولم نبغ اذ سالوا النبي سواءنا • ثلاثتنا حتى حضرنا المناديا
لقيناهم كالاسد تخطر بالقنا • نقاتل في الرحمن من كان عاصيا
فما برحت اقدامنا من مقامنا • ثلاثتنا حتى ازيروا المنائيا

وقال ابن اسحاق وقال حسان بن ثابت ايضا يذم الحرث بن هشام على فراره يوم بدر وتركه قومه لا يقاتل دونهم

تبلت فؤادك في المنام خريدة • تشفي الضجيع ببارد بسام
كالمسك تخلطه بماء سحابة • او عاتق كدم الذبيح مدام
نفج الحقيبة بوصها متنضد • بلهاء غير وشيكة الاقسام
بنيت على قطن اجم كانه • فضلا اذا قعدت مداك رخام
وتكاد تكسل ان تجي فراشها • في جسم خرعبة وحسن قوام
اما النهار فلا افتر ذكرها • حتى تغيب في الضريح عظامي
بل من لعاذلة تلوم سفاهة • ولقد عصيت على الهوى لوامي
بكرت علي بسحرة بعد الكرى • وتقارب من حادث الايام
زعمت بان المرء يكرب عمره • عدم لمعتكر من الاصرام
ان كنت كاذبة الذي حدثتني • فنجوت منجى الحرث بن هشام
ترك الاحبة ان يقاتل دونهم • ونجا براس طمرة ولجام
تذر العناجيج الجياد بقفرة • مر الدموك بمحصد ورجام
ملات به الفرجين فارمدت • به وثوى احبته بشر مقام
طحنتهم والله ينفذ امره • حرب يشب سعيرها بضرام
لولا الاله وجريها لتركنه • جزر السباع ودسنه بحوامي
من بين ماسور يشد وثاقه • صقر اذا لاقى الاسنة حامي
ومجدل لا يستجيب لدعوة • حتى تزول شوامخ الاعلام
بالعار والذل المبين اذا راى • بيض السيوف تسوق كل همام
بيدي اغر اذا انتمى لم يخزه • نسب القصار سميدع مقدام
بيض اذا لاقت حديدا صممت • كالبرق تحت ظلال كل غمام

فقال ابن هشام تركنا من اخرها ثلاثة ابيات اقذع فيها قال ابن هشام فاجابه الحرث بن هشام اخو ابي جهل عمرو بن هشام فقال

القوم اعلم ما تركت قتالهم • حتى حبوا مهري باشقر مزبد
وعرفت اني ان اقاتل واحدا • اقتل ولا ينكي عدوي مشهدي
فصددت عنهم والاحبة فيهم • طمعا لهم بعقاب يوم مفسد

وقال حسان ايضا

يا حار قد عولت غير معول • عند الهياج وساعة الاحساب
اذ تمتطي سرح اليدين نجيبة • مرطى الجراء طويلة الاقراب

والقوم خلفك قد تركت قتالهم • ترجو النجاء وليس حين ذهاب
الا عطفت على ابن امك اذ ثوى • قعص الاسنة ضائع الاسلاب
عجل المليك له فاهلك جمعه • بشنار مخزية وسوء عذاب

وقال حسان ايضا

لقد علمت قريش يوم بدر • غداة الاسر والقتل الشديد
بانا حين تشتجر العوالي • حماة الحرب يوم ابي الوليد
قتلنا ابني ربيعة يوم ساروا • الينا في مضاعفة الحديد
وفر بها حكيم يوم جالت • بنو النجار تخطر كالاسود
وولت عند ذاك جموع فهر • واسلمها الحويرث من بعيد
لقد لاقيتم ذلا وقتلا • جهيزا نافذا تحت الوريد
وكل القوم قد ولوا جميعا • ولم يلووا على الحسب التليد

وقالت هند بنت اثاثة بن عباد بن المطلب ترثي عبيدة بن الحرث بن المطلب

لقد ضمن الصفراء مجدا وسوددا • وحلما اصيلا وافر اللب والعقل
عبيدة فابكيه لاضياف غربة • وارملة تهوي لاشعث كالجذل
وبكيه للاقوام في كل شتوة • اذا احمر افاق السماء من المحل
وبكيه للايتام والريح زفزف • وتشبيب قدر طالما ازبدت تغلي
فان تصبح النيران قد مات ضوءها • فقد كان يذكيهن بالحطب الجزل
لطارق ليل او لملتمس القرى • ومستنبح اضحى لديه على رسل

وقال الاموي في مغازيه حدثني سعيد بن قطن قال قالت عاتكة بنت عبد المطلب في رؤياها التي رأت وتذكر بدرا

الما تكن رؤياي حقا وياتكم • بتاويلها فل من القوم هارب
رأى فاتاكم باليقين الذي رأى • بعينيه ما تفري السيوف القواضب
فقلتم ولم اكذب كذبت وانما • يكذبني بالصدق من هو كاذب
وما جاء الا رهبة الموت هاربا • حكيم وقد اعيت عليه المذاهب
اقامت سيوف الهند دون رؤوسكم • وخطية فيها الشبا والتعالب
كان حريق النار لمع ظباتها • اذا ما تعاطتها الليوث المشاغب
الا بابي يوم اللقاء محمدا • اذا عض من عون الحروب الغوارب
مرى بالسيوف المرهفات نفوسكم • كفاحا كما تمري السحاب الجنائب
فكم بردت اسيافه من مليكة • وزعزع ورد بعد ذلك صالب
فما بال قتلى في القليب ومثلهم • لدى ابن اخي اسرى له ما يقارب
فكانوا نساء ام اتى لنفوسهم • من الله حين ساق والحين جالب
فكيف راى عند اللقاء محمدا • بنو عمه والحرب فيها التجارب
الم يغشكم ضربا يحار لوقعه • الجبان وتبدو بالنهار الكواكب
حلفت لئن عادوا لنصطلينهم • بجار تردى حجرتيها المقانب
كان ضياء الشمس لمع ظباتها • لها من شعاع الشمس نور وحاجب

وقالت عاتكة ايضا فيما نقله الاموي

هلا صبرتم

هلا صبرتم للنبي محمد • ببدر ومن يغشى الوغى حق صابر
ولم ترجعوا عن مرهفات كانها • حريق بايدي المؤمنين بواتر
ولم تصبروا للبيض حين لقيتم • قليلا بايدي المؤمنين المشاعر
ووليتم نفرا وما البطل الذي • يقاتل من وقع السلاح بنافر
اتاكم بما جاء النبيون قبله • وما ابن اخي البر الصدوق بشاعر
سيكفي الذي ضيعتم من نبيكم • وينصره الحيان عمرو وعامر

وقال طالب بن ابي طالب يمدح رسول الله صلى الله عليه وسلم ويبكي اصحاب القليب من قريش الذين قتلوا يوم بدر من قومه وهو بعد على دين قومه اذ ذاك

الا ان عيني انفدت دمعها سكبا • تبكي على كعب وما ان ترى كعبا
الا ان كعبا في الحروب تخاذلوا • وارداهم ذا الدهر واجترحوا ذنبا
وعامر تبكي للملمات غدوة • فيا ليت شعري هل ارى لهم قربا
فيا اخوينا عبد شمس ونوفلا • فدى لكما لا تبعثوا بيننا حربا
ولا تصبحوا من بعد ود والفة • احاديث فيها كلكم يشتكي النكبا
الم تعلموا ما كان في حرب داحس • وحرب ابي يكسوم اذ ملاوا الشعبا
فلولا دفاع الله لا شيء غيره • لاصبحتم لا تمنعون لكم سربا
فما ان جنينا في قريش عظيمة • سوى ان حمينا خير من وطئ التربا
اخا ثقة في النائبات مرزا • كريما ثناه لا بخيلا ولا ذربا
يطيف به العافون يغشون بابه • ياتون نهرا لا نزورا ولا صربا
فوالله لا تنفك نفسي حزينة • تململ حتى تصدقوا الخزرج الضربا

فصل وقد ذكر ابن اسحاق اشعارا من جهة المشركين قوية الصنعة يرثون بها قتلاهم يوم بدر فمن ذلك قول ضرار بن الخطاب بن مرداس اخي بني محارب بن فهر وقد اسلم بعد ذلك والسهيلي في الروض يتكلم على اشعار من اسلم منهم بعد ذلك قال

عجبت لفخر الاوس والحين دائر • عليهم غدا والدهر فيه بصائر
وفخر بني النجار ان كان معشر • اصيبوا ببدر كلهم ثم صابر
فان يك قتلى غودرت من رجالنا • فانا رجالا بعدهم سنغادر
وتردي بنا الجرد العناجيج وسطكم • بني الاوس حتى يشفي النفس ثائر
ووسط بني النجار سوف نكرها • لها بالقنا والدارعين زوافر
فنترك صرعى تعصب الطير حولهم • وليس لهم الا الاماني ناصر
وتبكيهم من اهل يثرب نسوة • لهن بها ليل عن النوم ساهر
وذلك انا لا تزال سيوفنا • بهن دم ممن يحاربن مائر
فان تظفروا في يوم بدر فانما • باحمد امسى جدكم وهو ظاهر
وبالنفر الاخيار هم اولياؤه • يحامون في اللاواء والموت حاضر
يعد ابو بكر وحمزة فيهم • ويدعى علي وسط من انت ذاكر
اولئك لا من نتجت في ديارها • بنو الاوس والنجار حين تفاخر
ولكن ابوهم من لؤي بن غالب • اذا عدت الانساب كعب وعامر

هم الطاعنون الخيل في كل معرك • غداة الهياج الاطيبون الاكاثر

فاجابه كعب بن مالك بقصيدته التي اسلفناها وهي قوله

عجبت لامر الله والله قادر • على ما اراد ليس لله قاهر

قال ابن اسحاق وقال ابو بكر واسمه شداد بن الاسود بن شعوب ويقال ذكر البخاري انه حلف على امراة ابي بكر الصديق حين طلقها وذلك لما حرم الله المشركات على المسلمين وقد اسمها ام بكر

تحيي بالسلامة ام بكر • وهل لي بعد قومي من سلام

فماذا بالقليب قليب بدر • من الشيزى تكلل بالسنام

وكم لك بالطوي طوي بدر • من الحومات والنعم المسام

وكم لك بالطوي طوي بدر • من الغايات والدسع العظام

واصحاب الكريم ابي علي • اخي الكاس الكريمة والندام

وانك لو رايت ابا عقيل • واصحاب الثنية من نعام

اذا لظللت من وجد عليهم • كام السقب جائلة المرام

يخبرنا الرسول لسوف نحيى • وكيف حياة اصداء وهام

قلت وقد اورد البخاري بعضها في صحيحه ليعرف بها حال قائلها قال ابن اسحاق وقال امية بن ابي الصلت يرثي من قتل من قريش يوم بدر

الا بكيت على الكرام • بني الكرام اولي الممادح

كبكا الحمام على فروع • الايك في الغصن الجوانح

يبكين حرى مستكينات • يرحن مع الروايح

ماذا ببدر فالعقنقل • من مرازبة جحاجح

فمدافع البرقين فالحنان • من طرف الاواشح

شمط وشبان بهاليل • مغاوير وحاوح

الا ترون لما ارى • ولقد ابان لكل لامح

ان قد تغير بطن مكة • فهي موحشة الاباطح

من كل بطريق لبطريق • نقي اللون واضح

دعموص ابواب الملوك • وجائب للخرق فاتح

ومن السراطمة الخلاجمة • الملاوثة المناجح

القائلين الفاعلين • الامرين بكل صالح

المطعمين الشحم فوق الخبز • شحما كالانافح

نقل الجفان مع الجفان • الى جفان كالمناضح

ليست باصفار لمن يعفو • ولا رح رحارح

للضيف ثم الضيف بعد • الضيف والبسط السلاطح

وهب المئين من المئين • الى المئين من اللواقح

سوق المؤبل للمؤبل • صادرات عن بلادح

لكرامهم فوق الكرام • مزية وزن الرواجح

كنثائل

كنثائل الارطال بالقسطاس بالايدي المواتح

خذلتهم فئة وهم يحمون عورات الفضائح

الضاربين التقدمية بالمهندة الصفائح

ولقد عناني صوتهم من بين مستسق وصايح

لله در بني علي ايم منهم وناكح

ان لم يغيروا غارة شعواء تحجر كل نابح

بالمقربات المبعدات الطامحات مع الطوامح

مردا على جرد الى اسد مكالبة كوالح

ويلاق قرن قرنه مشي المصافح للمصافح

بزهاء الف ثم الف بين ذي بدن ورامح

قال ابن هشام تركنا منها بيتين نال فيهما من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم

قلت هذا شعر المخذول المعكوس المنكوس الذي حمله كثرة جهله وقلة عقله على ان مدح المشركين وذم المؤمنين واستوحش بمكة من ابي جهل بن هشام واضرابه من الكفرة اللئام والجهلة الطغام ولم يستوحش بها من عبد الله ورسوله وحبيبه وخليله فخر البشر ومن وجهه انور من القمر ذي العلم الاكمل والعقل الاشمل ومن صاحبه الصديق المبادر الى التصديق والمسابق الى الخيرات وفعل المكرمات وبذل الالوف والميات في طاعة رب الارض والسموات وكذلك بقية اصحابه الغر الكرام الذين هاجروا من دار الكفر الى دار العلم والاسلام رضي الله عن جميعهم ما اختلط الضياء والظلام وما تعاقبت الليالي والايام وقد تركنا اشعارا كثيرة اوردها ابن اسحاق رحمه الله خوف الاطالة وخشية الملالة وفيما اوردناه كفاية ولله الحمد والمنة وقد قال الاموي في مغازيه سمعت ابي حدثنا سليمان بن ارقم عن ابن سيرين عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم عفا عن شعر الجاهلية قال سليمان فذكرت ذلك للزهري فقال عفا عنه الا قصيدتين كلمة امية التي ذكر فيها اهل بدر وكلمة الاعشى التي يذكر فيها الاحوص وهذا حديث غريب وسليمان بن ارقم هذا متروك والله اعلم

فصل في ذكر غزوة بني سليم سنة ثنتين من الهجرة النبوية

قال ابن اسحاق وكان فراغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من بدر في عقب شهر رمضان او في شوال فلما قدم المدينة لم يقم بها الا سبع ليال حتى غزا بنفسه يريد بني سليم قال ابن هشام واستعمل على المدينة سباع بن عرفطة الغفاري او ابن ام مكتوم الاعمى قال ابن اسحاق فبلغ ماء من مياههم يقال له الكدر فاقام عليه ثلاث ليال ثم رجع الى المدينة ولم يلق كيدا فاقام بها بقية شوال وذا القعدة وافدى في اقامته تلك جل الاسارى من قريش

غزوة السويق في ذي الحجة منها

وهي غزوة قرقرة الكدر قال السهيلي القرقرة الارض الملساء والكدر طير في الوانها كدرة قال ابن اسحاق وكان ابو سفيان كما حدثني محمد بن جعفر بن الزبير ويزيد بن رومان ومن لا اتهم عن عبد الله بن كعب بن مالك وكان من اعلم الانصار حين رجع الى مكة ورجع فل قريش من بدر نذر ان لا يمس راسه ماء من جنابة حتى يغزو محمدا فخرج في مايتي راكب من قريش ليبر يمينه

فسلك النجدية حتى سلك بصدر قناة الى جبل يقال له تيب من المدينة على بريد او نحوه
ثم خرج من الليل حتى اتى بنى النضير تحت الليل فاتى حيى بن اخطب فضرب عليه بابه فابى
ان يفتح له وخافه فانصرف عنه الى سلام بن مشكم وكان سيد بنى النضير فى زمانه ذلك وصاحب
كنزهم فاستاذن عليه فاذن له فقراه وسقاه وبطن له من خبر الناس ثم خرج فى عقب ليلته
حتى اتى اصحابه فبعث رجالا من قريش فاتوا ناحية منها يقال لها العريض فحرقوا فى اصوار
من نخل بها ووجدوا رجلا من الانصار وحليفا له فى حرث لهما فقتلوهما وانصرفوا راجعين
فنذر بهم الناس فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فى طلبهم قال ابن هشام واستعمل على
المدينة ابا لبابة بشير بن المنذر قال ابن اسحاق فبلغ قرقرة الكدر ثم انصرف راجعا
وقد فاته ابو سفيان واصحابه ووجدوا اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ازوادا كثيرة
قد القاها المشركون يتخففون بها وعامتها سويق فسميت غزوة السويق لذلك وقال
المسلمون يا رسول الله انطمع ان تكون هذه لنا غزوة قال نعم قال ابن اسحاق وقال
ابو سفيان فيما كان من امره هذا يمدح سلام بن مشكم اليهودى واى تخيرت المدينة واحدا
تخلف فلم اندم ولم اتلوم •

سقانى فروانى كميتا مدامة • على عجل منى سلام بن مشكم •
ولما تولى الجيش قلت ولم اكن • لافرحه ابشر بعز ومغنم •
تامل فان القوم سر وانهم • صريح لؤى لا شماطيط جرهم •
وما كان الا بعض ليلة راكب • اتى ساعيا من غير خلة معدم •

فصل فى دخول على بن ابى طالب رضى الله عنه على زوجته

فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك فى سنة اثنتين بعد وقعة بدر لما رواه
البخارى ومسلم من طريق الزهرى عن على بن الحسين عن ابيه الحسين بن على عن على بن ابى طالب
قال كانت لى شارف من نصيبى من المغنم يوم بدر وكان النبى صلى الله عليه وسلم اعطانى
شارفا مما افاء الله من الخمس يومئذ فلما اردت ان ابتنى بفاطمة بنت النبى صلى الله عليه وسلم
واعدت رجلا صواغا من بنى قينقاع ان يرتحل معى فنأتى باذخر فاردت ان ابيعه من الصواغين
فاستعين به فى وليمة عرسى فبينا انا اجمع لشارفى من الاقتاب والغرائر والحبال وشارفاى
مناختان الى جنب حجرة رجل من الانصار حتى جمعت ما جمعت فاذا انا بشارفى قد اجتبت
اسنمتهما وبقرت خواصرهما واخذ من اكبادهما فلم املك عينى حين رايت المنظر فقلت من فعل
هذا فقالوا حمزة بن عبد المطلب وهو فى هذا البيت وهو فى شرب من الانصار وعنده
قينة واصحابه فقالت فى غنائها •

الا يا حمز للشرف النواء • وهن متركات بالفناء •

فى موضع اخر من البخارى فوثب حمزة الى السيف فاجتب اسنمتهما وبقر خواصرهما واخذ
من اكبادهما قال على فانطلقت حتى ادخل على النبى صلى الله عليه وسلم وعنده زيد بن حارثة
فعرف النبى صلى الله عليه وسلم الذى لقيت فقال ما لك فقلت يا رسول الله ما رايت كاليوم
عدا حمزة على ناقتى فاجتب اسنمتهما وبقر خواصرهما وها هو ذا فى بيت معه شرب فدعا
النبى صلى الله عليه وسلم بردائه ثم انطلق يمشى واتبعته انا وزيد بن حارثة حتى جاء البيت
الذى فيه حمزة فاستاذن عليه فاذن له فطفق النبى صلى الله عليه وسلم يلوم حمزة فيما

فعل

فعل فاذا حمزة ثمل محمرة عيناه فنظر حمزة الى النبى صلى الله عليه وسلم ثم صعد النظر فنظر
الى ركبتيه ثم صعد النظر فنظر الى وجهه ثم قال حمزة وهل انتم الا عبيد لابى فعرف النبى صلى الله
عليه وسلم انه ثمل فنكص رسول الله صلى الله عليه وسلم على عقبيه القهقرى فخرج وخرجنا معه
هذا لفظ البخارى فى كتاب المغازى وقد رواه فى اماكن اخر من صحيحه بالفاظ كثيرة وفى هذا دليل
على ما قدمناه من ان غنائم بدر خمست لا كما زعمه ابو عبيد القسم بن سلام فى كتاب الاموال من ان الخمس
انما نزل بعد قسمتها وقد خالفه فى ذلك جماعة منهم البخارى وابن جرير وبينا غلطه فى ذلك
فى التفسير وفيما تقدم والله اعلم وكان هذا الصنيع من حمزة واصحابه رضى الله عنهم قبل ان تحرم
الخمر بل قد قتل حمزة يوم احد كما سيأتى وذلك قبل تحريم الخمر والله اعلم وقد يستدل بهذا الحديث
من يرى ان عبادة السكران مسلوبة لا تأثير لها لا فى طلاق ولا اقرار ولا غير ذلك كما ذهب اليه من
ذهب من العلماء كما هو مقرر فى كتاب الاحكام وقال الامام احمد حدثنا سفيان عن ابن ابى نجيح
عن ابيه عن رجل سمع عليا يقول اردت ان اخطب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ابنته فقلت
ما لى من شىء ثم ذكرت عائدته وصلته فخطبتها اليه فقال هل لك من شىء قلت لا قال فاين
درعك الحطمية التى اعطيتك يوم كذا وكذا قال هى عندى قال فاعطنيها قال فاعطيتها اياه
هكذا رواه احمد فى مسنده وفيه رجل مبهم وقد قال ابو داود حدثنا اسحاق بن اسماعيل الطالقانى
حدثنا عبدة حدثنا سعيد عن ايوب عن عكرمة عن ابن عباس قال لما تزوج على فاطمة رضى الله عنهما
قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم اعطها شيئا قال ما عندى شىء قال اين درعك الحطمية
ورواه النسائى عن هرون بن اسحاق عن عبدة بن سليمان عن سعيد بن ابى عروبة عن ايوب السختيانى
وقال ابو داود حدثنا كثير بن عبيد الحمصى حدثنا ابو حيوة عن شعيب بن ابى حمزة حدثنى
غيلان بن انس من اهل حمص حدثنى محمد بن عبد الرحمن بن ثوبان عن رجل من اصحاب النبى صلى الله
عليه وسلم ان عليا لما تزوج فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم اراد ان يدخل بها فمنعه
رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى يعطيها شيئا فقال يا رسول الله ليس لى شىء فقال له النبى صلى
الله عليه وسلم اعطها درعك فاعطاها درعه ثم دخل بها وقال البيهقى فى الدلائل اخبرنا
ابو عبد الله الحافظ حدثنا ابو العباس محمد بن يعقوب الاصم حدثنا احمد بن عبد الجبار حدثنا يونس
بن بكير عن ابن اسحاق حدثنى عبد الله بن ابى نجيح عن مجاهد عن على قال خطبت فاطمة الى رسول
الله صلى الله عليه وسلم فقالت مولاة لى هل علمت ان فاطمة قد خطبت الى رسول الله قلت لا
قالت فقد خطبت فما يمنعك ان تاتى رسول الله فيزوجك فقلت وعندى شىء اتزوج به فقالت
انك ان جئت رسول الله زوجك قال فوالله ما زالت ترجينى حتى دخلت على رسول الله صلى
الله عليه وسلم فلما ان قعدت بين يديه افحمت فوالله ما استطعت ان اتكلم جلالة
وهيبة فقال لى رسول الله ما جاء بك الك حاجة فسكت فقال لعلك جئت تخطب فاطمة
فقلت نعم فقال وهل عندك من شىء تستحلها به فقلت لا والله يا رسول الله فقال
ما فعلت درع سلحتكها فوالذى نفس على بيده انها لحطمية ما ثمنها اربعة دراهم فقلت
عندى فقال قد زوجتكها فابعث اليها بها فاستحلها بها فان كانت لصداق فاطمة بنت
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ابن اسحاق فولدت فاطمة لعلى حسنا وحسينا ومحسنا مات صغيرا
وام كلثوم وزينب ثم روى البيهقى من طريق عطاء بن السائب عن ابيه عن على قال جهز رسول الله
صلى الله عليه وسلم فاطمة فى خميل وقربة ووسادة من ادم حشوها اذخر وقال البيهقى عن كتاب

المعرفة لابي عبد الله بن منده ان عليا تزوج فاطمة بعد سنة من الهجرة وابتنى بها بعد ذلك بسنة اخرى فعلى هذا يكون دخوله بها في اوائل السنة الثالثة من الهجرة وظاهر سياق حديث الشارفين يقتضي ان ذلك عقيب وقعة بدر بيسير فيكون كما ذكرناه في اواخر السنة الثانية والله اعلم

فصل في ذكر جمل من الحوادث الواقعة في سنة ثنتين من الهجرة

تقدم ما ذكرناه من تزويجه عليه السلام بعائشة ام المؤمنين رضي الله عنها وذكرنا ما سلف من الغزوات المشهورة وقد تضمن ذلك وفيات اعيان من المشاهير من المؤمنين والمشركين فكان ممن توفي فيها الشهداء يوم بدر وهم اربعة عشر ما بين مهاجري وانصاري تقدم تسميتهم والرؤساء من مشركي قريش وقد كانوا سبعين رجلا على المشهور وتوفي بعد الوقعة بيسير ابو لهب بن عبد العزى بن عبد المطلب لعنه الله كما تقدم ولما جاءت البشارة الى اهل المؤمنين من اهل المدينة مع زيد بن حارثة وعبد الله بن رواحة بما احل الله بالمشركين وبما فتح على المؤمنين وجدوا رقية بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم قد توفيت وسووا عليها التراب وكان زوجها عثمان بن عفان قد اقام عندها يمرضها بامر النبي صلى الله عليه وسلم له بذلك ولهذا ضرب له بسهمه في مغانم بدر واجره عند الله يوم القيامة ثم زوجه باختها الاخرى ام كلثوم بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ولهذا كان يقال لعثمان بن عفان ذو النورين ويقال انه لم يغلق احد على ابنتي نبي واحدة بعد الاخرى غيره رضي الله عنه وارضاه وفيها حولت القبلة كما تقدم وزيد في صلاة الحضر على ما سلف وفيها فرض الصيام صيام رمضان كما تقدم وفيها فرضت الزكوة ذات النصب وفرضت زكاة الفطر وفيها خضع المشركون من اهل المدينة واليهود الذين هم بها من بني قينقاع وبني النضير وبني قريظة ويهود بني حارثة وصانعوا المسلمين واظهر الاسلام طائفة كثيرة من المشركين واليهود وهم في الباطن منافقون منهم من هو على ما كان عليه ومنهم من انحل بالكلية فبقي مذبذبا لا الى هؤلاء ولا الى هؤلاء كما وصفهم الله في كتابه قال ابن جرير وفيها كتب رسول الله صلى الله عليه وسلم المعاقل فكانت معلقة بسيفه قال ابن جرير وقيل ان الحسن بن علي ولد فيها قال واما الواقدي فانه زعم ان ابن ابي سبرة حدثه عن اسحاق بن عبد الله عن ابي جعفر ان علي بن ابي طالب بنى بفاطمة في ذي الحجة منها قال فان كانت هذه الرواية صحيحة فالقول الاول باطل

بسم الله الرحمن الرحيم

سنة ثلاث من الهجرة

فيها كانت غزوة نجد ويقال لها غزوة ذي امر قال ابن اسحاق فلما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم من غزوة السويق اقام بالمدينة بقية ذي الحجة او قريبا منها ثم غزا نجدا يريد غطفان وهي غزوة ذي امر قال ابن هشام واستعمل على المدينة عثمان بن عفان قال ابن اسحاق فاقام بنجد صفرا كله او قريبا من ذلك ثم رجع ولم يلق كيدا وقال الواقدي بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم ان جمعا من غطفان من بني ثعلبة بن محارب تجمعوا بذي امر يريدون حربه فخرج اليهم من المدينة يوم الخميس لثنتي عشرة خلت من ربيع الاول من سنة ثلاث واستعمل على المدينة عثمان بن عفان فغاب احد عشر يوما وكان معه اربعمائة وخمسون رجلا فهربت منه الاعراب في رؤس الجبال حتى بلغ ماء يقال له ذا امر فعسكر به واصابهم مطر كثير فابتلت ثياب رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزل تحت شجرة هناك ونشر ثيابه لتجف وذلك بمرأى من المشركين واشتغل المشركون في شؤونهم فبعث المشركون رجلا شجاعا منهم يقال له غورث بن

الحارث او دعثور بن الحارث فقالوا قد امكنك الله من قتل محمد فذهب ذلك الرجل ومعه سيف صقيل حتى قام على رسول الله بالسيف مشهورا فقال يا محمد من يمنعك مني اليوم قال الله ودفع جبريل في صدره فوقع السيف من يده فاخذه رسول الله فقال من يمنعك مني قال لا احد وانا اشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله والله لا اكثر عليك جمعا ابدا فاعطاه رسول الله سيفه فلما رجع الى اصحابه قالوا ويلك ما لك فقال نظرت الى رجل طويل فدفع في صدري فوقعت لظهري فعرفت انه ملك وشهدت بان محمدا رسول الله والله لا اكثر عليك جمعا وجعل يدعو قومه الى الاسلام قال ونزل في ذلك قوله تعالى يا ايها الذين امنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذ هم قوم ان يبسطوا اليكم ايديهم فكف ايديهم عنكم الاية قال البيهقي وسياتي في غزوة ذات الرقاع قصة تشبه هذه فلعلهما قصتان قلت ان كانت هذه محفوظة فهي غيرها قطعا لان ذلك الرجل واسمه غورث بن الحارث ايضا لم يسلم بل استمر على دينه ولكن عاهد النبي صلى الله عليه وسلم ان لا يقاتله والله اعلم

غزوة الفرع من بحران

قال ابن اسحاق فاقام بالمدينة ربيعا الاول كله او الا قليلا منه ثم غزا يريد قريشا قال ابن هشام واستعمل على المدينة ابن ام مكتوم قال ابن اسحاق حتى بلغ بحران وهو معدن بالحجاز من ناحية الفرع وقال الواقدي انما كانت غيبته عليه السلام عن المدينة عشرة ايام فالله اعلم

فاقام به شهر ربيع الاخر وجمادى الاولى ثم رجع الى المدينة ولم يلق كيدا

خبر يهود بني قينقاع من اهل المدينة

وقد زعم الواقدي انها كانت في يوم السبت للنصف من شوال سنة ثنتين من الهجرة فالله اعلم وهم المرادون بقوله تعالى كمثل الذين من قبلهم قريبا ذاقوا وبال امرهم ولهم عذاب اليم قال ابن اسحاق وقد كان فيما بين ذلك من غزو رسول الله صلى الله عليه وسلم امر بني قينقاع قال وكان من حديثهم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم جمعهم في سوقهم ثم قال يا معشر يهود احذروا من الله مثل ما نزل بقريش من النقمة واسلموا فانكم قد عرفتم اني نبي مرسل تجدون ذلك في كتابكم وعهد الله اليكم فقالوا يا محمد انك ترى انا قومك لا يغرنك انك لقيت قوما لا علم لهم بالحرب فاصبت منهم فرصة انا والله لئن حاربناك لتعلمن انا نحن الناس قال ابن اسحاق فحدثني مولى لآل زيد بن ثابت عن سعيد بن جبير او عن عكرمة عن ابن عباس قال ما نزلت هؤلاء الايات الا فيهم قل للذين كفروا ستغلبون وتحشرون الى جهنم وبئس المهاد قد كان لكم اية في فئتين التقتا يعني اصحاب بدر من اصحاب رسول الله وقريش فئة تقاتل في سبيل الله واخرى كافرة يرونهم مثليهم راي العين والله يؤيد بنصره من يشاء ان في ذلك لعبرة لاولي الابصار قال ابن اسحاق وحدثني عاصم بن عمر بن قتادة ان بني قينقاع كانوا اول يهود نقضوا العهد وحاربوا فيما بين بدر واحد قال ابن هشام فذكر عبد الله بن جعفر بن المسور بن مخرمة عن ابي عون قال كان من امر بني قينقاع ان امراة من العرب قدمت بجلب لها فباعته بسوق بني قينقاع وجلست الى صائغ هناك منهم فجعلوا يريدونها على كشف وجهها فابت فعمد الصائغ الى طرف ثوبها فعقده الى ظهرها فلما قامت انكشفت سوءتها فضحكوا بها فصاحت فوثب رجل من المسلمين على الصائغ فقتله وكان يهوديا فشدت اليهود على المسلم فقتلوه فاستصرخ اهل المسلم المسلمين على اليهود فغضب المسلمون فوقع الشر بينهم وبين بني قينقاع قال ابن اسحاق فحدثني عاصم بن عمر بن قتادة قال فحاصرهم

رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى نزلوا على حكمه فقام إليه عبد الله بن أبي بن سلول حين أمكنه الله منهم فقال يا محمد أحسن في موالي وكانوا حلفاء الخزرج قال فأبطأ عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا محمد أحسن في موالي قال فأعرض عنه قال فأدخل يده في جيب درع النبي صلى الله عليه وسلم قال ابن هشام وكان يقال لها ذات الفضول فقال له رسول الله أرسلني وغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى رأوا لوجهه ظللا ثم قال ويحك أرسلني قال لا والله لا أرسلك حتى تحسن في موالي أربعمائة حاسر وثلاثمائة دارع قد منعوني من الأحمر والأسود تحصدهم في غداة واحدة إني والله امرؤ أخشى الدوائر قال فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم هم لك قال ابن هشام واستعمل رسول الله صلى الله عليه وسلم في محاصرته إياهم أبا لبابة بشير بن عبد المنذر وكانت محاصرته إياهم خمس عشرة ليلة قال ابن إسحاق وحدثني أبي عن عبادة بن الوليد بن عبادة بن الصامت قال لما حاربت بنو قينقاع رسول الله صلى الله عليه وسلم تشبث بأمرهم عبد الله بن أبي وقام دونهم ومشى عبادة بن الصامت إلى رسول الله وكان من بني عوف لهم من حلفه مثل الذي لهم من عبد الله بن أبي فخلعهم إلى رسول الله وتبرأ إلى الله وإلى رسوله من حلفهم وقال يا رسول الله أتولى الله ورسوله والمؤمنين وأبرأ من حلف هؤلاء الكفار وولايتهم قال ففيه وفي عبد الله بن أبي نزلت القصة من المائدة يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض الآية حتى قوله فترى الذين في قلوبهم مرض يسارعون فيهم يقولون نخشى أن تصيبنا دائرة فعسى الله أن يأتي بالفتح يعني عبد الله بن أبي إلى قوله ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا فإن حزب الله هم الغالبون يعني عبادة بن الصامت وقد تكلمنا على ذلك في التفسير

على المدينة

سرية زيد بن حارثة

العير قريش صحبة أبي سفيان أيضا وقيل صحبة صفوان قال يونس بن بكير عن ابن إسحاق وكانت بعد وقعة بدر بستة أشهر قال ابن إسحاق وكان من حديثها أن قريشا خافوا طريقهم التي كانوا يسلكون إلى الشام حين كان من وقعة بدر ما كان فسلكوا طريق العراق فخرج منهم تجار فيهم أبو سفيان ومعه فضة كثيرة وهي عظم تجاراتهم واستأجروا رجلا من بكر بن وائل يقال له فرات بن حيان يعني العجلي حليف بني سهم ليدلهم على تلك الطريق قال ابن إسحاق فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم زيد بن حارثة فلقيهم على ماء يقال له القردة من مياه نجد فأصاب تلك العير وما فيها وأعجزه الرجال فقدم بها على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال في ذلك حسان بن ثابت

دعوا فلجات الشام قد حال دونها ... جلاد كأفواه المخاض الأوارك
بأيدي رجال هاجروا نحو ربهم ... وأنصاره حقا وأيدي الملائك
إذا سلكت للغور من بطن عالج ... فقولا لها ليس الطريق هنالك

قال ابن هشام وهذه الأبيات في قصيدة لحسان وقد أجابه فيها أبو سفيان بن الحارث وقال الواقدي كان خروج زيد بن حارثة في هذه السرية مستهل جمادى الأولى على رأس ثمانية وعشرين شهرا من الهجرة وكان رئيس هذه العير صفوان بن أمية وكان سبب بعث زيد بن حارثة أن نعيم بن مسعود قدم المدينة ومعه خبر هذه العير وهو على دين قومه فاجتمع بكنانة بن أبي الحقيق في بني النضير ومعهم سليط بن النعمان من أسلم فشربوا وكان ذلك قبل أن تحرم الخمر فتحدث بقضية

العير

العير نعيم بن مسعود وخروج صفوان بن أمية فيها وما معه من الأموال فخرج سليط من ساعته فأعلم رسول الله صلى الله عليه وسلم فبعث من وقته زيد بن حارثة فلقوهم فأخذوا الأموال وأعجزهم الرجال وإنما أسروا رجلا أو رجلين وقدموا بالعير فخمسها رسول الله صلى الله عليه وسلم فبلغ خمسها عشرين ألفا وقسم أربعة أخماسها على أهل السرية وكان فيمن أسر الدليل فرات بن حيان فأسلم رضي الله عنه قال ابن جرير وزعم الواقدي أن في ربيع من هذه السنة تزوج عثمان بن عفان أم كلثوم بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وأدخلت عليه في جمادى الآخرة منها

مقتل كعب بن الأشرف اليهودي

وكان من بني طي ثم أحد بني نبهان ولكن أمه من بني النضير هكذا ذكره ابن إسحاق قبل إجلاء بني النضير وذكره البخاري والبيهقي بعد قصة بني النضير والصحيح ما ذكره ابن إسحاق لما سيأتي فإن بني النضير إنما كان أمرهم بعد وقعة أحد وفي محاصرتهم حرمت الخمر كما سنبينه بطريقه إن شاء الله قال البخاري في صحيحه قتل كعب بن الأشرف حدثنا علي بن عبد الله ثنا سفيان ثنا عمرو سمعت جابر بن عبد الله يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من لكعب بن الأشرف فإنه قد آذى الله ورسوله فقال محمد بن مسلمة فقال يا رسول الله أتحب أن أقتله قال نعم قال فأذن لي أن أقول شيئا قال قل فأتاه محمد بن مسلمة فقال إن هذا الرجل قد سألنا صدقة وإنه قد عنانا وإني قد أتيتك أستسلفك قال وأيضا والله لتملنه قال إنا قد اتبعناه فلا نحب أن ندعه حتى ننظر إلى أي شيء يصير شأنه وقد أردنا أن تسلفنا قال نعم ارهنوني قلت أي شيء تريد قال ارهنوني نساءكم فقالوا كيف نرهنك نساءنا وأنت أجمل العرب قال فارهنوني أبناءكم قالوا كيف نرهنك أبناءنا فيسب أحدهم فيقال رهن بوسق أو وسقين هذا عار علينا ولكن نرهنك اللأمة قال سفيان يعني السلاح فواعده أن يأتيه فجاءه ليلا ومعه أبو نائلة وهو أخو كعب من الرضاعة فدعاهم إلى الحصن فنزل إليهم فقالت له امرأته أين تخرج هذه الساعة وقال غير عمرو قالت أسمع صوتا كأنه يقطر منه الدم قال إنما هو أخي محمد بن مسلمة ورضيعي أبو نائلة إن الكريم لو دعي إلى طعنة بليل لأجاب قال ويدخل محمد بن مسلمة معه رجلين وقال غير عمرو أبو عبس بن جبر والحارث بن أوس وعباد بن بشر وقال عمرو جاء معه برجلين فقال إذا ما جاء فإني مائل بشعره فأشمه فإذا رأيتموني استمكنت من رأسه فدونكم فاضربوه وقال مرة ثم أشمكم فنزل إليهم متوشحا وهو ينفح منه ريح الطيب فقال ما رأيت كاليوم ريحا أي أطيب وقال غير عمرو فقال عندي أعطر نساء العرب وأجمل العرب قال عمرو فقال أتأذن لي أن أشم رأسك قال نعم فشمه ثم أشم أصحابه ثم قال أتأذن لي قال نعم فلما استمكن منه قال دونكم فقتلوه ثم أتوا النبي صلى الله عليه وسلم فأخبروه وقال محمد بن إسحاق وكان من حديث كعب بن الأشرف وكان رجلا من طي ثم أحد بني نبهان وأمه من بني النضير أنه لما بلغه الخبر عن مقتل أهل بدر حين قدم زيد بن حارثة وعبد الله بن رواحة قال والله لئن كان محمد أصاب هؤلاء القوم لبطن الأرض خير من ظهرها فلما تيقن عدو الله الخبر خرج إلى مكة فنزل على المطلب بن أبي وداعة بن ضبيرة السهمي وعنده عاتكة بنت أبي العيص بن عبد شمس بن عبد مناف فأنزلته وأكرمته وجعل يحرض على قتال رسول الله صلى الله عليه وسلم وينشد الأشعار ويندب من قتل من المشركين يوم بدر فذكر ابن إسحاق قصيدته التي أولها

طحنت رحى بدر لمهلك أهله ... ولمثل بدر تستهل وتدمع

بنت م

وذكر جوابها من حسان بن ثابت رضي الله عنه ومن غيره ثم عاد الى المدينة فجعل يشبب بنساء
المسلمين ويهجو النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه وقال موسى بن عقبة كان كعب بن
الاشرف احد بني النضير او فيهم قد آذى رسول الله بالهجاء وركب الى قريش فاستغواهم وقال له
ابو سفيان وهو بمكة اناشدك اديننا احب الى الله ام دين محمد واصحابه واينا اهدى في رأيك
واقرب الى الحق انا نطعم الجزور الكوماء ونسقي اللبن على الماء ونطعم ما هبت الشمال فقال له
كعب بن الاشرف انتم اهدى منهم سبيلا قال فانزل الله على رسوله صلى الله عليه وسلم الم تر الى
الذين اوتوا نصيبا من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت ويقولون للذين كفروا
هؤلاء اهدى من الذين آمنوا سبيلا اولئك الذين لعنهم الله ومن يلعن الله فلن تجد له نصيرا
وما بعدها قال موسى ومحمد بن اسحاق وقدم المدينة فجعل يعلن بالعداوة ويحرض الناس
على الحرب ولم يخرج من مكة حتى اجمع امرهم على قتال رسول الله صلى الله عليه وسلم وجعل
يشبب بام الفضل بنت الحرث وبغيرها من نساء المسلمين قال ابن اسحاق فقال
حوادثهم م
رسول الله صلى الله عليه وسلم كما حدثني عبد الله بن المغيث بن ابي بردة من لي من ابن الاشرف
فقال له محمد بن مسلمة اخو بني عبد الاشهل انا لك به يا رسول الله انا اقتله قال فافعل ان قدرت
على ذلك قال فرجع محمد بن مسلمة فمكث ثلاثا لا يأكل ولا يشرب الا ما يعلق نفسه فذكر ذلك
لرسول الله صلى الله عليه وسلم فدعاه فقال له لم تركت الطعام والشراب فقال يا رسول الله
قلت لك قولا لا ادري هل افي لك به ام لا قال انما عليك الجهد قال يا رسول الله انه لا بد
لنا من ان نقول قال قولوا ما بدا لكم فانتم في حل من ذلك قال فاجتمع في قتله محمد بن مسلمة
وسلكان بن سلامة بن وقش وهو ابو نائلة احد بني عبد الاشهل وكان اخا كعب بن الاشرف
من الرضاعة وعباد بن بشر بن وقش احد بني عبد الاشهل والحرث بن اوس بن معاذ احد بني عبد
الاشهل وابو عبس بن جبر اخو بني حارثة قال فقدموا بين ايديهم الى عدو الله كعب سلكان بن سلامة
ابا نائلة فجاءه فتحدث معه ساعة وتناشدا شعرا وكان ابو نائلة يقول الشعر ثم قال
ويحك يا ابن الاشرف اني قد جئتك لحاجة اريد ذكرها لك فاكتم عني قال افعل قال كان
قدوم هذا الرجل علينا بلاء من البلاء عادتنا العرب ورمتنا عن قوس واحدة وقطعت
عنا السبل حتى ضاع العيال وجهدت الانفس واصبحنا قد جهدنا وجهد عيالنا فقال كعب
بن الاشرف انا والله لقد كنت اخبرتك يا ابن سلامة ان الامر سيصير الى ما اقول فقال له سلكان
اني قد اردت ان تبيعنا طعاما ونرهنك ونوثق لك وتحسن في ذلك قال ترهنوني ابناءكم قال
لقد اردت ان تفضحنا ان معي اصحابا لي على مثل رأيي وقد اردت ان آتيك بهم فتبيعهم وتحسن
في ذلك ونرهنك من الحلقة ما فيه وفاء واراد سلكان ان لا ينكر السلاح ثم ينطلقوا فيجتمعوا
اذا جاؤوا بها قال ان في الحلقة لوفاء قال فرجع سلكان الى اصحابه فاخبرهم خبره وامرهم ان يأخذوا السلاح م
اليه فاجتمعوا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ابن اسحاق فحدثني ثور بن زيد عن عكرمة
عن ابن عباس قال مشى معهم رسول الله صلى الله عليه وسلم الى بقيع الغرقد ثم وجههم وقال
انطلقوا على اسم الله اللهم اعنهم ثم رجع رسول الله الى بيته وهو في ليلة مقمرة فانطلقوا حتى
انتهوا الى حصنه فهتف به ابو نائلة وكان حديث عهد بعرس فوثب في ملحفته فاخذت امرأته
بناحيتها فقالت انك امرؤ محارب وان اصحاب الحرب لا ينزلون في هذه الساعة قال انه ابو نائلة
لو وجدني نائما ما ايقظني فقالت والله اني لاعرف في صوته الشر قال يقول لها كعب لو يدعى
الفتى لطعنة لاجاب فنزل فتحدث معهم ساعة وتحدثوا معه ثم قالوا هل لك يا ابن الاشرف ان تتماشى

الى شعب

الى شعب العجوز فنتحدث به بقية ليلتنا هذه قال ان شئتم فخرجوا يتماشون فمشوا ساعة
ثم ان ابا نائلة شام يده في فود رأسه ثم شم يده فقال ما رأيت كالليلة طيبا اعطر
قط ثم مشى ساعة ثم عاد لمثلها حتى اطمأن ثم مشى ساعة ثم عاد لمثلها فاخذ بفود رأسه
ثم قال اضربوا عدو الله فاختلفت عليه اسيافهم فلم تغن شيئا قال محمد بن مسلمة فذكرت
معولا في سيفي فاخذته وقد صاح عدو الله صيحة لم يبق حولنا حصن الا اوقدت عليه نار قال
فوضعته في ثنته ثم تحاملت عليه حتى بلغت عانته فوقع عدو الله وقد اصيب الحرث بن اوس
بجرح في رجله او في رأسه اصابه بعض سيوفنا قال فخرجنا حتى سلكنا على بني امية بن زيد ثم على
بني قريظة ثم على بعاث حتى اسندنا في حرة العريض وقد ابطأ علينا صاحبنا الحرث بن اوس
ونزفه الدم فوقفنا له ساعة ثم اتانا يتبع آثارنا فاحتملناه فجئنا به رسول الله آخر الليل
وهو قائم يصلي فسلمنا عليه فخرج الينا فاخبرناه بقتل عدو الله وتفل رسول الله صلى الله
عليه وسلم على جرح صاحبنا ورجعنا الى اهلنا فاصبحنا وقد خافت يهود لوقعتنا بعدو الله
فليس بها يهودي الا وهو خائف على نفسه قال ابن جرير وزعم الواقدي انهم جاؤوا برأس كعب
بن الاشرف الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ابن اسحاق وفي ذلك يقول كعب بن مالك

فغودر منهم كعب صريعا • فذلت بعد مصرعه النضير •
على الكفين ثم وقد علته • بايدينا مشهرة ذكور •
بامر محمد اذ دس ليلا • الى كعب اخا كعب يسير •
فماكره فانزله بمكر • ومحمود اخو ثقة جسور •

الابيات م
قال ابن هشام وهذه الابيات في قصيدة له في بني النضير ستأتي فلنثبت كان قتل كعب بن الاشرف
على يدي الاوس بعد وقعة بدر ثم ان الخزرج قتلوا ابا رافع بن ابي الحقيق بعد وقعة احد كما سيأتي
بيانه ان شاء الله وبه الثقة وقد اورد ابن اسحاق شعر حسان بن ثابت •

لله در عصابة لاقيتهم • يا ابن الحقيق وانت يا ابن الاشرف •
يسرون بالبيض الخفاف اليكم • مرحا كاسد في عرين مغرف •
حتى اتوكم في محل بلادكم • فسقوكم حتفا ببيض ذفف •
مستنصرين لنصر دين نبيهم • مستصغرين لكل امر مجحف •

قال ابن هشام وسنوردها كاملة بعد قتل ابن ابي الحقيق م

قال محمد بن اسحاق وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من ظفرتم به من رجال يهود فاقتلوه
فوثب عند ذلك محيصة بن مسعود الاوسي على ابن سنينة رجل من تجار يهود وكان يلابسهم
ويبايعهم فقتله وكان اخوه حويصة بن مسعود اسن منه ولم يسلم بعد فلما قتله جعل
حويصة يضربه ويقول اي عدو الله اقتلته اما والله لرب شحم في بطنك من ماله قال
محيصة فقلت والله لقد امرني بقتله من لو امرني بقتلك لضربت عنقك قال فوالله
ان كان لاول اسلام حويصة قال والله لو امرك محمد بقتلي لقتلتني قال نعم والله لو امرني
بضرب عنقك لضربتها قال فوالله ان دينا بلغ بك هذا لعجب فاسلم حويصة قال
ابن اسحاق فحدثني بهذا الحديث مولى لبني حارثة عن ابنة محيصة عن ابيها وقال في ذلك محيصة

يلوم ابن امي لو امرت بقتله • لطبقت ذفراه بابيض قاضب •
حسام كلون الملح اخلص صقله • متى ما اصوبه فليس بكاذب •
وما سرني اني قتلتك طائعا • وان لنا ما بين بصرى ومأرب •

وحكى ابن هشام عن ابي عبيدة عن ابي عمرو المدني ان هذه القصة كانت بعد مقتل بني قريظة
وان المقتول كان كعب بن يهوذا فلما قتله محيصة عن امر رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم
بني قريظة قال له اخوه حويصة ما قال فرد عليه محيصة ما تقدم فاسلم حويصة يومئذ
فالله اعلم **تنبيه** ذكر البيهقي والبخاري قبله خبر بني النضير قبل وقعة احد والصواب
ايراده بعد ذلك كما ذكر ذلك محمد بن اسحاق وغيره من ائمة المغازي وبرهانه ان الخمر حرمت
ليالي حصار بني النضير وثبت في الصحيح انه اصطبح الخمر جماعة ممن قتل يوم احد شهيدا فدل
على ان الخمر كانت اذ ذاك حلالا وانما حرمت بعد ذلك فتبين بما قلناه ان قصة بني النضير
بعد وقعة احد والله اعلم **تنبيه آخر** خبر يهود بني قينقاع بعد بدر كما تقدم
وكذلك قتل كعب بن الاشرف اليهودي على يدي الاوس وخبر بني النضير بعد وقعة احد كما سيأتي
وكذلك مقتل ابي رافع اليهودي تاجر اهل الحجاز على ايدي الخزرج وخبر يهود بني قريظة بعد على المشهور م
يوم الاحزاب وقصة الخندق كما سيأتي

غزوة احد في شوال سنة ثلاث فائدة ذكر المؤلف في تسمية احد

قال سمي احد احدا لتوحده من بين تلك الجبال وفي الصحيح احد جبل يحبنا ونحبه فقيل
معناه اهله وقيل لانه كان يبشره بقرب اهله اذا رجع من سفره كما يفعل المحب وقيل على ظاهره
كقوله وان منها لما يهبط من خشية الله وفي الحديث عن ابي عبس بن جبر احد يحبنا ونحبه
وهو على باب الجنة وعير يبغضنا ونبغضه وهو على باب من ابواب النار قال السهيلي مقويا
لهذا الحديث وقد ثبت انه عليه السلام قال المرء مع من احب وهذا من غريب صنع السهيلي
فان هذا الحديث انما يراد به الناس ولا يسمى الجبل امرءا وكانت هذه الغزوة في شوال سنة
ثلاث قاله الزهري وقتادة وموسى بن عقبة ومحمد بن اسحاق ومالك قال ابن اسحاق للنصف من
شوال وقال قتادة يوم السبت الحادي عشر منه قال مالك وكانت الوقعة في اول النهار وهي
على المشهور التي انزل الله فيها قوله تعالى واذ غدوت من اهلك تبوئ المؤمنين مقاعد للقتال
والله سميع عليم اذ همت طائفتان منكم ان تفشلا والله وليهما وعلى الله فليتوكل المؤمنون
اذ تقول للمؤمنين الن يكفيكم ان يمدكم ربكم بثلاثة آلاف من الملائكة مسومين الآيات وما
بعدها الى قوله ما كان الله ليذر المؤمنين على ما انتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب وما كان
الله ليطلعكم على الغيب الآية وقد تكلمنا على تفاصيل ذلك كله في كتابنا التفسير بما فيه كفاية
ولله الحمد ولنذكر هاهنا ملخص الوقعة مما ساقه محمد بن اسحاق وغيره من علماء هذا الشأن قال
ابن اسحاق رح وكان من حديث احد كما حدثني محمد بن مسلم الزهري ومحمد بن يحيى بن حبان وعاصم
بن عمر بن قتادة والحصين بن عبد الرحمن بن عمرو بن سعد بن معاذ وغيرهم من علمائنا كلهم قد حدث
الحديث عن يوم احد وقد اجتمع حديثهم كله فيما سقت قالوا او من قال منهم لما اصيب يوم بدر من م
كفار قريش ورجع فلهم الى مكة ورجع ابو سفيان بعيره مشى عبد الله بن ابي ربيعة وعكرمة
بن ابي جهل وصفوان بن امية في رجال من قريش ممن اصيب اباؤهم واخوانهم وابناؤهم يوم بدر
فكلموا ابا سفيان ومن كانت له في تلك العير من قريش تجارة فقالوا يا معشر قريش ان محمدا قد
وتركم وقتل خياركم فاعينونا بهذا المال على حربه لعلنا ندرك منه ثارا ففعلوا قال
ابن اسحاق ففيهم كما ذكر لي بعض اهل العلم انزل الله ان الذين كفروا ينفقون اموالهم ليصدوا
عن سبيل الله فسينفقونها ثم تكون عليهم حسرة ثم يغلبون والذين كفروا الى جهنم يحشرون

قالوا اجمعت قريش لحرب رسول الله حين فعل ذلك ابو سفيان واصحاب العير باحابيشها ومن
اطاعها من قبائل كنانة واهل تهامة وكان ابو عزة عمرو بن عبد الله الجمحي قد من عليه رسول الله
يوم بدر وكان فقيرا ذا عيال وحاجة فقال له صفوان بن امية يا ابا عزة انك امرؤ شاعر فاعنا
بلسانك واخرج معنا فقال ان محمدا قد من علي فلا اريد ان اظاهر عليه قال بلى فاعنا بنفسك
فلك الله ان رجعت ان اغنيك وان قتلت ان اجعل بناتك مع بناتي يصيبهن ما اصابهن من عسر
ويسر فخرج ابو عزة يسير في تهامة ويدعو بني كنانة ويقول

ايا بني عبد مناة الرزام • انتم حماة وابوكم حام •
لا يعدوني نصركم بعد العام • لا تسلموني لا يحل اسلام •

قال وخرج مسافع بن عبد مناف بن وهب بن حذافة بن جمح الى بني مالك بن كنانة يحرضهم ويقول

يا مال مال الحسب المقدم • انشد ذا القربى وذا التذمم •
من كان ذا رحم ومن لم يرحم • الحلف وسط البلد المحرم •
عند حطيم الكعبة المعظم •

قال ودعا جبير بن مطعم غلاما له حبشيا يقال له وحشي
يقذف بحربة له قذف الحبشة قلما يخطئ بها فقال له اخرج مع الناس فان انت قتلت
حمزة عم محمد بعمي طعيمة بن عدي فانت عتيق قال فخرجت قريش بحدها وحديدها وجدها
واحابيشها ومن تابعها من بني كنانة واهل تهامة وخرجوا معهم بالظعن التماس الحفيظة
وان لا يفروا وخرج ابو سفيان صخر بن حرب وهو قائد الناس ومعه زوجته هند بنت عتبة بن
ربيعة وخرج عكرمة بن ابي جهل بزوجته ابنة عمه ام حكيم بنت الحارث بن هشام بن المغيرة وخرج
عمه الحارث بن هشام بزوجته فاطمة بنت الوليد بن المغيرة وخرج صفوان بن امية ببرزة بنت في برقية
مسعود بن عمرو بن عمير الثقفية وخرج عمرو بن العاص بريطة بنت منبه بن الحجاج وهي ام ابنه عبد
الله بن عمرو وذكر غيرهم ممن خرج بامرأته قال وكان وحشي كلما مر بهند بنت عتبة او مرت به تقول
ويها ابا دسمة اشف واشتف يعني تحرضه على قتل حمزة بن عبد المطلب قال فاقبلوا حتى نزلوا
بعينين بجبل ببطن السبخة من قناة على شفير الوادي مقابل المدينة فلما سمع بهم رسول الله
والمسلمون قال لهم اني قد رايت والله خيرا رايت بقرا ورايت في ذباب سيفي ثلما ورايت اني ادخلت
يدي في درع حصينة فاولتها المدينة وهذا الحديث رواه البخاري ومسلم جميعا عن ابي
كريب عن ابي اسامة عن بريد بن عبد الله بن ابي بردة عن ابي بردة عن ابي موسى الاشعري عن النبي
صلى الله عليه وسلم قال رايت في المنام اني اهاجر من مكة الى ارض بها نخل فذهب وهلي الى
انها اليمامة او هجر فاذا هي المدينة يثرب ورايت في رؤياي هذه اني هززت سيفا فانقطع صدره
فاذا هو ما اصيب من المؤمنين يوم احد ثم هززته اخرى فعاد احسن ما كان فاذا هو ما جاء الله به
من الفتح واجتماع المؤمنين ورايت فيها ايضا بقرا والله خير فاذا هم النفر من المؤمنين
يوم احد واذا الخير ما جاء الله به من الخير وثواب الصدق الذي اتانا بعد يوم بدر وقال البيهقي
انا ابو عبد الله الحافظ انا الاصم انا محمد بن عبد الله بن عبد الحكم انا ابن وهب اخبرني ابن ابي الزناد
عن ابيه عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة عن ابن عباس قال تنفل رسول الله صلى الله عليه وسلم
سيفه ذا الفقار يوم بدر قال ابن عباس وهو الذي راى فيه الرؤيا يوم احد وذلك ان رسول
الله لما جاءه المشركون يوم احد كان رايه ان يقيم بالمدينة فيقاتلهم فيها فقال له ناس لم
يكونوا شهدوا بدرا تخرج بنا يا رسول الله اليهم نقاتلهم باحد ورجوا ان يصيبهم من الفضيلة

ما اصاب اهل بدر قالوا يا رسول الله حتى تلبس اداته ثم ندموا وقالوا يا رسول الله اقم فالرأى
رأيك فقال لهم ما ينبغى لنبى ان يضع اداته بعد ما لبسها حتى يحكم الله بينه وبين عدوه قال
وكان قال لهم يومئذ قبل ان يلبس الاداة انى رأيت انى فى درع حصينة فأولتها المدينة
وانى مردف كبشا فأولته كبش الكتيبة ورأيت ان سيفى ذا الفقار فل فأولته فلا فيكم
ورأيت بقرا يذبح فبقر والله خير رواه الترمذى وابن ماجه من حديث عبد الرحمن بن ابى الزناد
عن ابيه به وروى البيهقى من طريق حماد بن سلمة عن على بن زيد عن انس مرفوعا قال رأيت فيما يرى
النائم كانى مردف كبشا وكان ضبة سيفى انكسرت فأولت انى اقتل كبش القوم واولت كسر
ضبة سيفى قتل رجل من عترتى فقتل حمزة وقتل رسول الله صلى الله عليه وسلم طلحة وكان
صاحب اللواء وقال موسى بن عقبة ورجعت قريش فاستجلبوا من اطاعهم من مشركى
العرب وسار ابو سفيان بن حرب فى جمع من قريش وذلك فى شوال من السنة المقبلة من وقعة
بدر حتى نزلوا ببطن الوادى الذى قبلى احد وكان رجال من المسلمين لم يشهدوا بدرا قد ندموا
على ما فاتهم من السابقة وتمنوا لقاء العدو ليبلوا ما ابلى اخوانهم يوم بدر فلما نزل ابو سفيان
والمشركون باصل احد فرح المسلمون الذين لم يشهدوا بدرا بقدوم العدو عليهم وقالوا قد ساق
الله علينا امنيتنا ثم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ارى ليلة الجمعة رؤيا فاصبح
فجاءه نفر من اصحابه فقال لهم رأيت البارحة فى منامى بقرا تذبح والله خير ورأيت سيفى
ذا الفقار انقصم من عند ضبته او قال به فلول فكرهته وهما مصيبتان ورأيت انى فى درع
حصينة وانى مردف كبشا فلما اخبرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم برؤياه قالوا يا رسول
الله ماذا اولت رؤياك قال اولت البقر الذى رأيت بقرا فينا وفى القوم وكرهت ما رأيت
بسيفى ويقول رجال كان الذى رأى بسيفه الذى اصاب وجهه فان العدو اصاب وجهه يومئذ
وقصموا رباعيته وخرقوا شفته يزعمون ان الذى رماه عتبة بن ابى وقاص وكان البقر من
قتل من المسلمين يومئذ وقال اولت الكبش انه كبش كتيبة العدو يقتله الله واولت الدرع
الحصينة المدينة فامكثوا واجعلوا الذرارى فى الآطام فان دخل علينا القوم فى الازقة
قاتلناهم ورموا من فوق البيوت وكانوا قد سكوا ازقة المدينة بالبنيان حتى كانت كالحصن
فقال الذين لم يشهدوا بدرا كنا نتمنى هذا اليوم وندعو الله فقد ساقه الله الينا وقرب
المسير وقال رجال من الانصار متى نقاتلهم يا رسول الله ان لم نقاتلهم عند شعبنا وقال
رجال ماذا نمنع اذا لم نمنع الحرب بروع وقال رجال القول ما صدقوا به ومضوا عليه منهم حمزة
بن عبد المطلب قال والذى انزل عليك الكتاب لنجالدنهم وقال نعيم بن مالك بن ثعلبة
وهو احد بنى سالم يا نبى الله لا تحرمنا الجنة فوالذى نفسى بيده لادخلنها فقال له رسول
الله صلى الله عليه وسلم بم قال بانى احب الله ورسوله ولا افر يوم الزحف فقال
له رسول الله صلى الله عليه وسلم صدقت فاستشهد يومئذ وابى كثير من الناس الا
الخروج الى العدو ولم يتناهوا الى قول رسول الله صلى الله عليه وسلم ورأيه ولو رضوا بالذى
امرهم كان ذلك ولكن غلب القضاء والقدر وعامة من اشار عليه بالخروج رجال لم يشهدوا
بدرا قد علموا الذى سبق لاصحاب بدر من الفضيلة فلما صلى رسول الله الجمعة وعظ الناس
وذكرهم وامرهم بالجد والجهاد ثم انصرف من خطبته وصلاته فدعا بلامته فلبسها ثم
اذن فى الناس بالخروج فلما رأى ذلك رجال من ذوى الرأى قالوا امرنا رسول الله صلى الله

عليه

عليه وسلم ان نمكث بالمدينة وهو اعلم بالله وما يريد ويأتيه الوحى من السماء فقالوا يا رسول
الله امكث كما امرتنا فقال ما ينبغى لنبى اذا اخذ لامة الحرب واذن بالخروج الى العدو ان يرجع حتى
يقاتل وقد دعوتكم الى هذا الحديث فابيتم الا الخروج فعليكم بتقوى الله والصبر عند البأس
اذا لقيتم العدو وانظروا ماذا امركم الله به فافعلوا قال فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم
والمسلمون فسلكوا على البدائع وهم الف رجل والمشركون ثلاثة آلاف فمضى رسول الله حتى نزل
باحد ورجع عنه عبد الله بن ابى بن سلول فى ثلثمائة فبقى رسول الله صلى الله عليه وسلم
فى سبعمائة قال البيهقى هذا هو المشهور عند اهل المغازى انهم بقوا فى سبعمائة مقاتل قال
والمشهور عن الزهرى انهم بقوا فى اربعمائة مقاتل كذلك رواه يعقوب بن سفيان عن اصبغ
عن ابن وهب عن يونس عن الزهرى وقيل عنه بهذا الاسناد سبعمائة فالله اعلم قال
موسى بن عقبة وكان على خيل المشركين خالد بن الوليد وكان معهم مائة فرس وكان لواؤهم مع عثمان
بن طلحة بن ابى طلحة قال ولم يكن مع المسلمين فرس واحدة ثم ذكر الوقعة كما سيأتى تفصيلها
ان شاء الله تعالى وقال محمد بن اسحاق لما قص رسول الله صلى الله عليه وسلم رؤياه على
اصحابه قال لهم ان رأيتم ان تقيموا بالمدينة وتدعوهم حيث نزلوا فان اقاموا اقاموا
بشر مقام وان هم دخلوا علينا قاتلناهم فيها وكان رأى عبد الله بن ابى بن سلول مع رأى
رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ان لا يخرج اليهم فقال رجال من المسلمين ممن اكرم الله
بالشهادة يوم احد وغيره ممن كان فاته بدر يا رسول الله اخرج بنا الى اعدائنا لا يرون
انا جبنا عنهم وضعفنا فقال عبد الله بن ابى يا رسول الله لا تخرج اليهم فوالله ما خرجنا
منها الى عدو لنا قط الا اصاب منا ولا دخلها علينا الا اصبنا منه فلم يزل الناس برسول
الله حتى دخل فلبس لامته وذلك يوم الجمعة حين فرغ من الصلاة وقد مات فى ذلك اليوم
رجل من بنى النجار يقال له مالك بن عمرو فصلى عليه ثم خرج عليهم وقد ندم الناس وقالوا
استكرهنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يكن لنا ذلك فخرج عليهم قالوا يا رسول
الله ان شئت فاقعد فقال ما ينبغى لنبى اذا لبس لامته ان يضعها حتى يقاتل فخرج
رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الف من اصحابه قال ابن هشام واستعمل على المدينة
ابن ام مكتوم قال ابن اسحاق حتى اذا كان بالشوط بين المدينة واحد انخزل عنه عبد الله
بن ابى بثلث الناس وقال اطاعهم وعصانى ما ندرى علام نقتل انفسنا ههنا ايها
الناس فرجع بمن اتبعه من قومه من اهل النفاق والريب واتبعهم عبد الله بن عمرو بن حرام
السلمى والد جابر بن عبد الله فقال يا قوم اذكركم الله ان لا تخذلوا قومكم ونبيكم عند
ما حضر من عدوهم قالوا لو نعلم انكم تقاتلون ما اسلمناكم ولكنا لا نرى انه يكون قتال
فلما استعصوا عليه وابوا الا الانصراف قال ابعدكم الله اعداء الله فسيغنى الله عنكم
نبيه صلى الله عليه وسلم قلت وهؤلاء هم المرادون بقوله تعالى وليعلم الذين نافقوا
وقيل لهم تعالوا قاتلوا فى سبيل الله او ادفعوا قالوا لو نعلم قتالا لاتبعناكم قال
الله تعالى هم للكفر يومئذ اقرب منهم للايمان يقولون بافواههم ما ليس فى قلوبهم والله اعلم
بما يكتمون يعنى انهم كاذبون فى قولهم لو نعلم قتالا لاتبعناكم وذلك لان وقوع القتال
امر ظاهر بين واضح لا خفاء ولا شك فيه وهم الذين انزل الله فيهم فما لكم فى المنافقين فئتين
والله اركسهم بما كسبوا الآية وذلك ان طائفة قالت نقاتلهم وقالت اخرون لا نقاتلهم

كما ثبت ويثبت في الصحيح وذكر الزهري ان الانصار استاذنوا حينئذ رسول الله صلى الله
عليه وسلم في الاستعانة بحلفائهم من يهود المدينة فقال لا حاجة لنا فيهم وذكر عروة و
موسى بن عقبة ان بني سلمة وبني حارثة لما رجع عبد الله بن ابي واصحابه همتا ان تفشلا فثبتهما
الله تعالى ولهذا قال اذ همت طائفتان منكم ان تفشلا والله وليهما وعلى الله فليتوكل
المؤمنون قال جابر بن عبد الله ما احب انها لم تنزل والله يقول والله وليهما كما ثبت في الصحيح
عنه قال ابن اسحاق ومضى رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى سلك في حرة بني حارثة فذب
فرس بذنبه فاصاب كلاب سيف فاستله فقال رسول الله لصاحب السيف شم سيفك اي اغمده
فاني ارى السيوف ستسل اليوم ثم قال النبي صلى الله عليه وسلم لاصحابه من رجل يخرج
بنا على القوم من كثب اي من قريب من طريق لا يمر بنا عليهم فقال ابو خيثمة اخو بني حارثة بن الحارث
انا يا رسول الله فنفذ به في حرة بني حارثة وبين اموالهم حتى سلك به في مال المربع بن قيظي وكان رجلا
منافقا ضرير البصر فلما سمع حس رسول الله ومن معه من المسلمين قام يحثو في وجوههم التراب
ويقول ان كنت رسول الله فاني لا احل لك ان تدخل حائطي قال ابن اسحاق وقد ذكر لي انه اخذ
حفنة من تراب في يده ثم قال والله لو اني اعلم اني لا اصيب بها غيرك يا محمد لضربت بها وجهك
فابتدره القوم ليقتلوه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تقتلوه فهذا الاعمى اعمى القلب
اعمى البصر وقد بدر اليه سعد بن زيد اخو بني عبد الاشهل قبل نهي رسول الله صلى الله عليه وسلم
فضربه بالقوس في راسه فشجه ومضى رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى نزل الشعب من احد
في عدوة الوادي الى الجبل فجعل ظهره وعسكره الى احد وقال لا يقاتلن احد حتى امره بالقتال
وقد سرحت قريش الظهر والكراع في زروع كانت بالصمغة من قناة للمسلمين فقال رجل من الانصار
حين نهى رسول الله عن القتال اترعى زروع بني قيلة ولما نضارب وتعبى رسول الله صلى الله عليه
وسلم للقتال وهو في سبعمائة رجل وامر على الرماة يومئذ عبد الله بن جبير اخا بني عمرو بن عوف وهو معلم
يومئذ بثياب بيض والرماة خمسون رجلا فقال انضح الخيل عنا بالنبل لا ياتونا من خلفنا ان
كانت لنا او علينا فاثبت مكانك لا نؤتين من قبلك وشواهد هذا في الصحيحين ان شاء الله
تعالى قال ابن اسحاق وظاهر رسول الله صلى الله عليه وسلم بين درعين يعني لبس درعا فوق
درع ودفع اللواء الى مصعب بن عمير اخي بني عبد الدار **فصل** وقد رد رسول الله صلى الله عليه
وسلم جماعة من الغلمان يوم احد فلم يمكنهم من حضور الحرب لصغرهم منهم عبد الله بن عمر كما ثبت عنه
في الصحيحين قال عرضت على النبي صلى الله عليه وسلم فلم يجزني وعرضت عليه يوم الخندق وانا — يوم احد
ابن خمس عشرة فاجازني وكذلك رد يومئذ اسامة بن زيد وزيد بن ثابت والبراء بن عازب
واسيد بن ظهير وعرابة بن اوس بن قيظي ذكره ابن قتيبة (في المعارف) واورده السهيلي قال وهو الذي يقول
فيه الشماخ

• اذا ما راية رفعت لمجد • تلقاها عرابة باليمين •

ومنهم سعيد بن حبتة ذكره السهيلي ايضا واجازهم كلهم يوم الخندق وكان قد رد يومئذ
سمرة بن جندب ورافع بن خديج وهما ابنا خمس عشرة سنة فقيل يا رسول الله ان رافعا رام فاجازه
فقيل يا رسول الله فان سمرة يصرع رافعا فاجازه قال ابن اسحاق وتعبات قريش وهم
ثلاثة الاف ومعهم مائتا فرس قد جنبوها فجعلوا على ميمنة الخيل خالد بن الوليد وعلى ميسرتها
عكرمة بن ابي جهل بن هشام وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من ياخذ هذا السيف بحقه

فقام اليه

فقام اليه رجال فامسكه عنهم حتى قام اليه ابو دجانة سماك بن خرشة اخو بني ساعدة فقال
وما حقه يا رسول الله قال ان تضرب به في العدو حتى ينحني قال انا اخذه يا رسول الله بحقه
فاعطاه اياه هكذا ذكره ابن اسحاق منقطعا وقد قال الامام احمد حدثنا يزيد وعفان
قالا ثنا حماد هو ابن سلمة ثنا ثابت عن انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اخذ سيفا يوم احد
فقال من ياخذ هذا السيف فاخذه قوم فجعلوا ينظرون اليه فقال من ياخذه بحقه فاحجم القوم
فقال ابو دجانة سماك انا اخذه بحقه فاخذه ففلق به هام المشركين ورواه مسلم عن ابي بكر عن
عفان به قال ابن اسحاق وكان ابو دجانة رجلا شجاعا يختال عند الحرب وكان له عصابة حمراء
يعلم بها عند الحرب يعتصب بها فيعلم الناس انه سيقاتل قال فلما اخذ السيف من يد رسول الله
اخرج عصابته تلك فاعتصب بها ثم جعل يتبختر بين الصفين قال فحدثني جعفر بن عبد الله
بن اسلم مولى عمر بن الخطاب عن رجل من الانصار من بني سلمة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
حين راى ابا دجانة يتبختر انها لمشية يبغضها الله الا في مثل هذا الموطن قال ابن اسحاق
وقد قال ابو سفيان لاصحاب اللواء من بني عبد الدار يحرضهم على القتال يا بني عبد الدار قد وليتم
لواءنا يوم بدر فاصابنا ما قد رايتم وانما يؤتى الناس من قبل راياتهم اذا زالت زالوا فاما ان
تكفونا لواءنا واما ان تخلوا بيننا وبينه فنكفيكموه فهموا به وتواعدوه وقالوا نحن نسلم
اليك لواءنا ستعلم غدا اذا التقينا كيف نصنع وذلك اراد ابو سفيان قال فلما
التقى الناس ودنا بعضهم من بعض قامت هند بنت عتبة في النسوة اللاتي معها
واخذن الدفوف يضربن بها خلف الرجال ويحرضن على القتال فقالت هند فيما تقول

• ويها بني عبد الدار • ويها حماة الادبار • ضربا بكل بتار • وتقول ايضا
• ان تقبلوا نعانق • ونفرش النمارق •
• او تدبروا نفارق • فراق غير وامق •

قال ابن اسحاق وحدثني عاصم بن عمر بن قتادة ان ابا عامر عبد عمرو بن صيفي بن مالك بن النعمان
صعصعة خ — احد بني ضبيعة وكان قد خرج الى مكة مباعدا لرسول الله صلى الله عليه وسلم معه خمسون
غلاما من الاوس وبعض الناس يقول كانوا خمسة عشر وكان يعد قريشا ان لو قد لقي قومه لم
يختلف عليه منهم رجلان فلما التقى الناس كان اول من لقيهم ابو عامر في الاحابيش وعبدان اهل
مكة فنادى يا معشر الاوس انا ابو عامر قالوا فلا انعم الله بك عينا يا فاسق وكان يسمى في الجاهلية
الراهب فسماه رسول الله الفاسق فلما سمع ردهم عليه قال لقد اصاب قومي بعدي شر ثم
قاتلهم قتالا شديدا ثم راضخهم بالحجارة فقال ابن اسحاق فاقتتل الناس حتى حميت الحرب وقاتل
ابو دجانة حتى امعن في الناس قال ابن هشام وحدثني غير واحد من اهل العلم ان الزبير بن العوام
قال وجدت في نفسي حين سالت رسول الله صلى الله عليه وسلم السيف فمنعنيه واعطاه ابا
دجانة وقلت انا ابن صفية عمته ومن قريش وقد قمت اليه فسالته اياه قبله فاعطاه ابا
دجانة وتركني والله لانظرن ما يصنع فاتبعته فاخرج عصابة له حمراء فعصب بها راسه فقالت
الانصار اخرج ابو دجانة عصابة الموت وهكذا كانت تقول له اذا تعصب فخرج وهو يقول

• انا الذي عاهدني خليلي • ونحن بالسفح لدى النخيل •
• ان لا اقوم الدهر في الكيول • اضرب بسيف الله والرسول •

وقال الاموي حدثني ابو عبيد في حديث النبي صلى الله عليه وسلم ان رجلا اتاه وهو يقاتل به

الكيول هو آخر الصفوف قاله اهل اللغة

فقال لعلك ان اعطيتك تقاتل به في الكيول قال لا فاعطاه سيفا قال فجعل يرتجز ويقول

• انا الذي عاهدني خليلي • ان لا اقوم الدهر في الكيول •

وهذا حديث يروى عن شعبة ورواه اسرائيل كلاهما عن ابي اسحاق عن هنيدة بن خالد او غيره بن فحة الكيول يعني مؤخر الصفوف سمعته من عدة من اهل العلم ولم اسمع هذا الحرف الا في هذا الحديث قال ابن هشام فجعل لا يلقى احدا الا قتله وكان في المشركين رجل لا يدع جريحا الا ذفف عليه فجعل كل منهما يدنو من صاحبه فدعوت الله ان يجمع بينهما فالتقيا فاختلفا ضربتين فضرب المشرك ابا دجانة فاتقاه بدرقته فعضت بسيفه وضربه ابو دجانة فقتله ثم رايته قد حمل السيف على مفرق راس هند بنت عتبة ثم عدل السيف عنها فقلت الله ورسوله اعلم وقد رواه البيهقي في الدلايل من طريق هشام بن عروة عن ابيه عن الزبير بن العوام بذلك قال ابن اسحاق قال ابو دجانة رايت انسانا يحمش الناس حمشا شديدا فصمدت له فلما حملت عليه السيف ولول فاذا امراة فاكرمت سيف رسول الله صلى الله عليه وسلم ان اضرب به امراة وذكر موسى بن عقبة ان رسول الله لما عرضه طلبه منه عمر فاعرض عنه ثم طلبه الزبير فاعرض عنه فوجدا في انفسهما من ذلك ثم عرضه الثالثة فطلبه ابو دجانة فدفعه اليه فاعطى السيف حقه قال فزعموا ان كعب بن مالك قال كنت فيمن خرج من المسلمين فلما رايت مثل المشركين بقتلى المسلمين قمت فتجاوزت فاذا رجل من المشركين جمع اللامة يجوز المسلمين وهو يقول استوسقوا كما استوسقت جزر الغنم قال واذا رجل من المسلمين قايم ينتظره وعليه لامته فمضيت حتى كنت من ورايه ثم قمت اقدر المسلم والكافر ببصري فاذا الكافر افضلهما عدة وهيبة قال فلم ازل انتظرهما حتى التقيا فضرب المسلم الكافر على حبل عاتقه ضربة بالسيف فبلغت وركه وتفرق فرقتين ثم كشف المسلم عن وجهه وقال كيف ترى يا كعب انا ابو دجانة

مقتل حمزة رضي الله عنه

قال ابن اسحاق وقاتل حمزة بن عبد المطلب حتى قتل ارطاة بن عبد شرحبيل بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار وكان احد النفر الذين يحملون اللوا وكذلك قتل عثمان بن ابي طلحة وهو حامل اللوا وهو يقول

• ان على اهل اللوا حقا • ان يخضبوا الصعدة او تندقا •

فحمل عليه حمزة فقتله ثم مر به سباع بن عبد العزى الغبشاني وكان يكنى بابي نيار فقال حمزة هلم الي يا ابن مقطعة البظور وكانت امه ام انمار مولاة شريق بن عمرو بن وهب الثقفي وكانت ختانة بمكة فلما التقيا ضربه حمزة فقتله فقال وحشي غلام جبير بن مطعم والله اني لانظر الى حمزة يهد الناس بسيفه ما يليق شيا مثل الجمل الاورق اذ تقدمني اليه سباع فقال له حمزة هلم الي يا ابن مقطعة البظور فضربه ضربة فكانما اخطا راسه وهززت حربتي حتى رضيت منها دفعتها عليه فوقعت في ثنته حتى خرجت من بين رجليه فاقبل نحوي فغلب فوقع وامهلته حتى اذا مات جيت فاخذت حربتي ثم تنحيت الى العسكر ولم يكن لي بشي حاجة غيره قال ابن اسحاق وحدثني عبد الله بن الفضل بن عياش بن ربيعة بن الحرث عن سليمان بن يسار عن جعفر بن عمرو بن امية الضمري قال خرجت انا وعبيد الله بن عدي بن الخيار اخو بني نوفل بن عبد مناف في زمان معاوية فادربنا مع الناس فلما مررنا بحمص وكان وحشي مولى جبير قد سكنها واقام بها فلما قدمناها قال لي عبيد الله بن عدي هل لك في ان تاتي

قال الزبير

قال ابو بكر بن ابي عاصم حدثنا عبد الوهاب بن نجدة ثنا بقية عن بحير عن خالد بن معدان عن ابي بلول عن عبد الله بن الشاب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يوم الشعب اخر اصحابه ولم يكن بينه وبين العدو غير حمزة يقاتل العدو فرصده وحشي فقتله وقد كان الله بيد حمزة من الكفار احدا وثلاثين وكان يدعى اسد الله

وحشيا فنسأله عن قتل حمزة كيف قتله قال قلت له ان شيت فخرجنا نسال عنه بحمص فقال لنا رجل ونحن نسال عنه انكما ستجدانه بفنا داره وهو رجل قد غلبت عليه الخمر فان تجداه صاحيا تجدا رجلا عربيا وتجدا عنده بعض ما تريدان وتصيبا عنده ما شيتما من حديث تسالانه عنه وان تجداه وبه بعض ما يكون به فانصرفا عنه ودعاه قال فخرجنا نمشي حتى جيناه فاذا هو بفنا داره على طنفسة له واذا شيخ كبير مثل البغاث واذا هو صاح لا باس به فلما انتهينا اليه سلمنا عليه فرفع راسه الى عبيد الله بن عدي فقال ابن لعدي بن الخيار انت قال نعم قال اما والله ما رايتك منذ ناولتك امك السعدية التي ارضعتك بذي طوى فاني ناولتكها وهي على بعيرها فاخذتك بعرضيك فلمعت لي قدماك حين رفعتك اليها فوالله ما هو الا ان وقفت علي فعرفتهما قال فجلسنا اليه فقلنا جيناك لتحدثنا عن قتل حمزة كيف قتلته فقال اما اني ساحدثكما كما حدثت رسول الله صلى الله عليه وسلم حين سالني عن ذلك كنت غلاما لجبير بن مطعم وكان عمه طعيمة بن عدي قد اصيب يوم بدر فلما سارت قريش الى احد قال لي جبير ان قتلت حمزة عم محمد بعمي فانت عتيق قال فخرجت مع الناس وكنت رجلا حبشيا اقذف بالحربة قذف الحبشة قلما اخطي بها شيا فلما التقى الناس خرجت انظر حمزة واتبصره حتى رايته في عرض الناس كانه الجمل الاورق يهد الناس بسيفه هدا ما يقوم له شي فوالله اني لاتهيا له اريده واستتر منه بشجرة او بحجر ليدنو مني اذ تقدمني اليه سباع بن عبد العزى فلما راه حمزة قال هلم الي يا ابن مقطعة البظور قال فضربه ضربة كانما اخطا راسه قال وهززت حربتي حتى اذا رضيت منها دفعتها عليه فوقعت في ثنته حتى خرجت من بين رجليه وذهب لينوء نحوي فغلب وتركته واياها حتى مات ثم اتيته فاخذت حربتي ثم رجعت الى العسكر فقعدت فيه ولم يكن لي بغيره حاجة انما قتلته لاعتق فلما قدمت مكة عتقت ثم اقمت حتى اذا افتتح رسول الله مكة هربت الى الطايف فكنت بها فلما خرج وفد الطايف الى رسول الله ليسلموا تعيت علي المذاهب فقلت الحق بالشام او باليمن او ببعض البلاد فوالله اني لفي ذلك من همي اذ قال لي رجل ويحك انه والله ما يقتل احدا من الناس دخل في دينه وشهد شهادة الحق قال فلما قال لي ذلك خرجت حتى قدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة فلم يرعه الا بي قايما على راسه اشهد شهادة الحق فلما راني قال اوحشي قلت نعم يا رسول الله قال اقعد فحدثني كيف قتلت حمزة قال فحدثته كما حدثتكما فلما فرغت من حديثي قال ويحك غيب عني وجهك فلا اريتك قال فكنت اتنكب رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث كان لئلا يراني حتى قبضه الله عز وجل فلما خرج المسلمون الى مسيلمة الكذاب صاحب اليمامة خرجت معهم واخذت حربتي التي قتلت بها حمزة فلما التقى الناس رايت مسيلمة قايما وفي يده السيف وما اعرفه فتهيات له وتهيا له رجل من الانصار من الناحية الاخرى كلانا يريده فهززت حربتي حتى اذا رضيت منها دفعتها عليه فوقعت فيه وشد عليه الانصاري بالسيف فربك اعلم اينا قتله فان كنت قتلته فقد قتلت خير الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم وقتلت شر الناس قلت الانصاري هو ابو دجانة سماك بن خرشة كما سياتي في مقتل اهل اليمامة وقال الواقدي في الردة هو عبد الله بن زيد بن عاصم المازني وقال سيف بن عمر هو عدي بن سهل وهو القايل

المرء والى ذو وحشيهم • قتلت مسيلمة للعس •
ويسال الناس عن قتله • فقلت ضربت وهذا طعن •

والمشهور ان وحشيا هو الذي بدره بالضربة وذفف عليه ابو دجانة لما روى ابن اسحاق عن عبد الله بن الفضل عن سليمان بن يسار عن ابن عمر قال سمعت صارخا يقول يوم اليمامة قتله العبد الاسود وقد روى البخاري قصة مقتل حمزة من طريق عبد العزيز بن عبد الله بن ابي سلمة الماجشون عن عبد الله بن الفضل عن سليمان بن يسار عن جعفر بن عمرو بن امية الضمري قال خرجت مع عبيد الله بن عدي بن الخيار فذكر القصة كما تقدم وذكر ان عبيد الله بن عدي كان معتجرا بعمامة لا يرى منه وحشي الا عينيه ورجليه فذكر من معرفته له ما تقدم وهذه قيافة عظيمة كما عرف مجزز المدلجي اقدام زيد وابنه اسامة مع اختلاف الوانهما وقال في سياقته فلما ان صف الناس للقتال خرج سباع فقال هل من مبارز فخرج اليه حمزة بن عبد المطلب فقال يا سباع يا ابن ام انمار مقطعة البظور اتحاد الله ورسوله ثم شد عليه فكان كامس الذاهب قال وكمنت لحمزة تحت صخرة فلما دنا مني رميته بحربتي فاضعها في ثنته حتى خرجت من بين وركيه قال فكان ذلك اخر العهد به الحديث قال فلما قبض رسول الله وخرج مسيلمة الكذاب قلت لاخرجن الى مسيلمة لعلي اقتله فاكافي به حمزة قال فخرجت مع الناس فكان من امره ما كان قال فاذا رجل قائم في ثلمة جدار كانه جمل اورق ثائر الراس قال فرميته بحربتي فاضعها بين ثدييه حتى خرجت من بين كتفيه قال ووثب اليه رجل من الانصار فضربه بالسيف على هامته قال عبد الله بن الفضل فاخبرني سليمان بن يسار انه سمع عبد الله بن عمر يقول فقالت جارية على ظهر البيت وا اميراه قتله العبد الاسود قال ابن هشام فبلغني ان وحشيا لم يزل يحد في الخمر حتى خلع من الديوان فكان عمر بن الخطاب يقول قد علمت ان الله لم يكن ليدع قاتل حمزة قلت وتوفي وحشي بن حرب ابو دسمة ويقال ابو حرب بحمص وكان اول من لبس الثياب المدلوكة قال ابن اسحاق وقاتل مصعب بن عمير دون رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى قتل وكان الذي قتله ابن قميئة وهو يظن انه رسول الله فرجع الى قريش فقال قتلت محمدا قلت وذكر موسى بن عقبة في مغازيه عن سعيد بن المسيب ان الذي قتل مصعبا هو ابي بن خلف فالله اعلم قال محمد بن اسحاق فلما قتل مصعب بن عمير اعطى رسول الله اللواء علي بن ابي طالب وقال يونس بن بكير عن ابن اسحاق كان اللواء اولا مع علي بن ابي طالب فلما راى رسول الله صلى الله عليه وسلم لواء المشركين مع بني عبد الدار قال نحن احق بالوفاء منهم اخذ اللواء من علي بن ابي طالب فدفعه الى مصعب بن عمير فلما قتل مصعب اعطى اللواء علي بن ابي طالب قال ابن اسحاق وقاتل علي بن ابي طالب ورجال من المسلمين قال ابن هشام وحدثني مسلمة بن علقمة المازني قال لما اشتد القتال يوم احد جلس رسول الله تحت لواء الانصار وارسل الى علي ان قدم الراية فتقدم علي وهو يقول انا ابو القصم فناداه ابو سعد بن ابي طلحة وهو صاحب لواء المشركين ان هل لك يا ابا القصم في البراز من حاجة قال نعم فبرزا بين الصفين فاختلفا ضربتين فضربه علي فصرعه ثم انصرف ولم يجهز عليه فقال له بعض اصحابه افلا اجهزت عليه فقال انه استقبلني بعورته فعطفتني عليه الرحم وعرفت ان الله قد قتله وقد فعل ذلك علي رضي الله عنه يوم صفين مع بسر بن ابي ارطاة لما حمل عليه ليقتله ابدى له عن عورته فرجع عنه ايضا وكذلك فعل عمرو بن العاص حين حمل عليه علي في بعض ايام صفين

ابدى

ابدى عن عورته فرجع علي ايضا ففي ذلك يقول الحرث بن النضر •

افي كل يوم فارس غير منته • وعورته وسط العجاجة باديه •
يكف لها عنه علي سنانه • ويضحك منها في الخلاء معاويه •

وذكر يونس عن ابن اسحاق ان طلحة بن ابي طلحة العبدري حامل لواء المشركين يومئذ دعا الى البراز فاحجم عنه الناس فبرز اليه الزبير بن العوام فوثب حتى صار معه على جمله ثم اقتحم به الارض فالقاه عنه وذبحه بسيفه فاثنى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال ان لكل نبي حواريا وحواري الزبير وقال لو لم يبرز اليه لبرزت انا اليه لما رايت من احجام الناس عنه وقال ابن اسحاق وقتل ابا سعد بن ابي طلحة سعد بن ابي وقاص وقاتل عاصم بن ثابت بن ابي الافلح فقتل نافع بن ابي طلحة واخاه الجلاس كلاهما يشعره سهما فياتي امه سلافة فيضع راسه في حجرها فتقول يا بني من اصابك فيقول سمعت رجلا حين رماني وهو يقول خذها وانا ابن ابي الافلح فنذرت ان امكنها الله من راس عاصم ان تشرب فيه الخمر وكان عاصم قد عاهد الله لا يمس مشركا ابدا ولا يمسه ولهذا حماه الله منه يوم الرجيع كما سياتي قال ابن اسحاق والتقى حنظلة بن ابي عامر واسمه عمرو ويقال عبد عمرو بن صيفي وكان يقال لابي عامر في الجاهلية الراهب لكثرة عبادته فسماه رسول الله الفاسق لما خالف الحق واهله وخرج من المدينة هربا من الاسلام ومخالفة للرسول عليه السلام وحنظلة الذي يعرف بحنظلة الغسيل لانه غسلته الملائكة كما سياتي هو وابو سفيان صخر بن حرب فلما علاه حنظلة راه شداد بن الاوس وهو الذي يقال له ابن شعوب فضربه شداد فقتله فقال رسول الله ان صاحبكم لتغسله الملائكة فاسالوا اهله ما شانه فسئلت صاحبته قال الواقدي هي جميلة بنت ابي بن سلول وكانت عروسا عليه تلك الليلة فقالت خرج وهو جنب حين سمع الهاتفة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لذلك غسلته الملائكة وقد ذكر موسى بن عقبة ان اباه ضرب برجله في صدره وقال ذنبان اصبتهما ولقد نهيتك عن مصرعك هذا ولقد والله كنت وصولا للرحم برا بالوالد قال ابن اسحاق وقال ابن شعوب في ذلك

لاحمين صاحبي ونفسي • بطعنة مثل شعاع الشمس •

وقال ابن شعوب

ولولا دفاعي يا ابن حرب ومشهدي • لالفيت يوم النعف غير مجيب •
ولولا مكري المهر بالنعف قرقرت • عليه ضباع او ضراء كليب •

وقال ابو سفيان

ولو شئت نجتني كميت طمرة • ولم احمل النعماء لابن شعوب •
وما زال مهري مزجر الكلب منهم • لدن غدوة حتى دنت لغروب •
اقاتلهم وادعي يا لغالب • وادفعهم عني بركن صليب •
فبكي ولا ترعي مقالة عاذل • ولا تساي من عبرة ونحيب •
اباك واخوانا له قد تتابعوا • وحق لهم من عبرة بنصيب •
وسلى الذي قد كان في النفس انني • قتلت من النجار كل نجيب •
ومن هاشم قرما كريما ومصعبا • وكان لدى الهيجاء غير هيوب •
فلو انني لم اشف نفسي منهم • لكانت شجا في القلب ذات ندوب •
فآبوا وقد اودى الجلابيب منهم • بهم خدب من معبط وكئيب •

علي م

الغسيل الراهب م

أصابهم من لم يكن لدمائهم • كفوا ولا في خطة بضريب •

فأجابه حسان بن ثابت •

ذكرت القروم الصيد من آل هاشم • ولست لزور قلته بمصيب •

أتعجب أن أقصدت حمزة منهم • نجيبا وقد سميته بنجيب •

ألم يقتلوا عمرا وعتبة وابنه • وشيبة والحجاج وابن حبيب •

غداة دعا العاصي عليا فراعه • بضربة عضب بله بخضيب •

فصل قال ابن إسحاق ثم أنزل الله نصره على المسلمين وصدقهم وعده فحسوهم بالسيوف حتى كشفوهم عن العسكر وكانت الهزيمة لا شك فيها وحدثني يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير عن أبيه عن عبد الله بن الزبير عن أبيه الزبير قال والله لقد رأيتني أنظر إلى خدم هند بنت عتبة وصواحبها مشمرات هوارب ما دون أخذهن قليل ولا كثير إذ مالت الرماة على العسكر حين كشفنا القوم عنه وخلوا ظهورنا للخيل فأتينا من خلفنا وصرخ صارخ ألا إن محمدا قد قتل فانكفأنا وانكفأ القوم علينا بعد أن أصبنا أصحاب اللواء حتى ما يدنو منه أحد منهم قال وحدثني بعض أهل العلم أن اللواء لم يزل صريعا حتى أخذته عمرة بنت علقمة الحارثية فرفعته لقريش فلاثوا به وكان اللواء مع صواب غلام لبني أبي طلحة حبشي وكان آخر من أخذه منهم فقاتل عليه به حتى قطعت يداه ثم برك عليه فأخذ اللواء بصدره وعنقه حتى قتل عليه وهو يقول اللهم هل أعذرت يعني اللهم هل أعذرت فقال حسان بن ثابت في ذلك •

فخرتم باللواء وشر فخر • لواء حين رد إلى صواب •

جعلتم فخركم فيه لعبد • وألأم من يطا عفر التراب •

ظننتم والسفيه له ظنون • وما إن ذاك من أمر الصواب •

بأن جلادنا يوم التقينا • بمكة بيعكم حمر العياب •

أقر العين أن عصبت يداه • وما إن يعصبان على خضاب • وقال حسان أيضا

في رفع عمرة بنت علقمة اللواء لهم •

إذا عضل سيقت إلينا كأنها • جداية شرك معلمات الحواجب •

أقمنا لهم طعنا مبيرا منكلا • وحزناهم بالضرب من كل جانب •

فلولا لواء الحارثية أصبحوا • يباعون في الأسواق بيع الجلائب •

قال ابن إسحاق فانكشف المسلمون فأصاب منهم العدو وكان يوم بلاء وتمحيص أكرم الله فيه من أكرم بالشهادة حتى خلص العدو إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فدث بالحجارة حتى وقع لشقه فأصيبت رباعيته وشج في وجهه وكلمت شفته وكان الذي أصابه عتبة بن أبي وقاص فحدثني حميد الطويل عن أنس بن مالك قال كسرت رباعية النبي صلى الله عليه وسلم يوم أحد وشج في وجهه فجعل الدم يسيل في وجهه فجعل يمسح الدم ويقول كيف يفلح قوم خضبوا وجه نبيهم وهو يدعوهم إلى الله فأنزل الله ليس لك من الأمر شيء أو يتوب عليهم أو يعذبهم فإنهم ظالمون قال ابن جرير في تاريخه ثنا محمد بن الحسين ثنا أحمد بن المفضل ثنا أسباط عن السدي قال أتى ابن قميئة الحارثي فرمى رسول الله صلى الله عليه وسلم بحجر فكسر أنفه ورباعيته وشجه في وجهه فأثقله وتفرق عنه أصحابه ودخل بعضهم المدينة وانطلق طائفة منهم فوق الجبل إلى الصخرة

وجعل رسول الله يدعو الناس إلى عباد الله إلي عباد الله فاجتمع إليه ثلاثون رجلا فجعلوا يسيرون بين يديه فلم يقف أحد إلا طلحة وسهل بن حنيف فحماه طلحة فرمي بسهم في يده فيبست يده وأقبل أبي بن خلف الجمحي وقد حلف ليقتلن النبي صلى الله عليه وسلم فقال بل أنا أقتله فقال يا كذاب أين تفر فحمل عليه فطعنه النبي صلى الله عليه وسلم في جيب الدرع فجرح جرحا خفيفا فوقع يخور خوار الثور فاحتملوه وقالوا ليس بك جراحة فما يجزعك قال أليس قال لأقتلنك لو كانت تجتمع ربيعة ومضر لقتلتهم فلم يلبث إلا يوما أو بعض يوم حتى مات من ذلك الجرح وفشى في الناس أن رسول الله قد قتل فقال بعض أصحاب الصخرة ليت لنا رسولا إلى عبد الله بن أبي فيأخذ لنا أمنة من أبي سفيان يا قوم إن محمدا قد قتل فارجعوا إلى قومكم قبل أن يأتوكم فيقتلوكم فقال أنس بن النضر يا قوم إن كان محمد قد قتل فإن رب محمد لم يقتل فقاتلوا على ما قاتل عليه محمد صلى الله عليه وسلم اللهم إني أعتذر إليك مما يقول هؤلاء وأبرأ إليك مما جاء به هؤلاء ثم شد بسيفه فقاتل حتى قتل وانطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو الناس حتى انتهى إلى أصحاب الصخرة فلما رأوه وضع رجل سهما في قوسه فأراد أن يرميه فقال أنا رسول الله ففرحوا بذلك حين وجدوا رسول الله وفرح رسول الله صلى الله عليه وسلم حين رأى أن في أصحابه من يمتنع فلما اجتمعوا وفيهم رسول الله ذهب عنهم الحزن فأقبلوا يذكرون الفتح وما فاتهم منه ويذكرون أصحابهم الذين قتلوا فقال الله عز وجل في الذين قالوا إن محمدا قد قتل فارجعوا إلى قومكم وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل الآية فأقبل أبو سفيان حتى أشرف عليهم فلما نظروا إليه نسوا ذلك الذي كانوا عليه وهمهم أبو سفيان فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم ليس لهم أن يعلونا اللهم إن تقتل هذه العصابة لا تعبد في الأرض ثم ندب أصحابه فرموهم بالحجارة حتى أنزلوهم فقال أبو سفيان يومئذ اعل هبل حنظلة بحنظلة ويوم أحد بيوم بدر وذكر تمام القصة وهذا غريب جدا وفيه نكارة قال ابن هشام وزعم ربيح بن عبد الرحمن بن أبي سعيد أن عتبة بن أبي وقاص رمى رسول الله فكسر رباعيته اليمنى السفلى وجرح شفته السفلى وأن عبد الله بن شهاب الزهري شجه في جبهته وأن عبد الله بن قميئة جرح وجنته فدخلت حلقتان من حلق المغفر في وجنته ووقع رسول الله صلى الله عليه وسلم في حفرة من تلك الحفر التي عملها أبو عامر ليقع فيها المسلمون فأخذ علي بن أبي طالب بيده ورفعه طلحة بن عبيد الله حتى استوى قائما ومص مالك أبو سنان أبو أبي سعيد الدم من وجه رسول الله ثم ازدرده فقال لن تمسه النار **قلت** وذكر قتادة أن رسول الله لما وقع لشقه أغمي عليه فمر به سالم مولى أبي حذيفة فأجلسه ومسح الدم عن وجهه فأفاق وهو يقول كيف يفلح قوم فعلوا هذا بنبيهم وهو يدعوهم إلى الله فأنزل الله ليس لك من الأمر شيء الآية رواه ابن جرير وهو مرسل وسيأتي بسط هذا في فصل وحده قلت كان أول النهار للمسلمين على الكفار كما قال الله تعالى ولقد صدقكم الله وعده إذ تحسونهم بإذنه حتى إذا فشلتم وتنازعتم في الأمر وعصيتم من بعد ما أراكم ما تحبون منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الآخرة ثم صرفكم عنهم ليبتليكم ولقد عفا عنكم والله ذو فضل على المؤمنين إذ تصعدون ولا تلوون على أحد والرسول يدعوكم في أخراكم فأثابكم غما بغم الآية قال الإمام أحمد ثنا سليمان بن داود ثنا عبد الرحمن بن أبي الزناد عن أبيه عن عبيد الله عن ابن عباس أنه قال ما نصر الله في موطن

وهم لا يعلمون

أي تفرّ أخراكم وأنتم لا تلوون عليه ويدعوكم في أن تلووا على أعدائكم مرة أخرى فلم تفعلوا

كما نصر يوم احد قال فانكرنا ذلك فقال ابن عباس بيني وبين من انكر ذلك كتاب الله ان الله يقول في يوم
احد ولقد صدقكم الله وعده اذ تحسونهم باذنه يقول ابن عباس والحس القتل حتى اذا
فشلتم الى قوله ولقد عفا عنكم والله ذو فضل على المؤمنين وانما عنى بهذا الرماة وذلك ان
النبي صلى الله عليه وسلم اقامهم في موضع ثم قال احموا ظهورنا فان رايتمونا نقتل فلا تنصرونا
وان رايتمونا نغنم فلا تشركونا فلما غنم النبي صلى النبي صلى الله عليه وسلم واباحوا عسكر المشركين
اكب الرماة جميعا في العسكر ينهبون وقد التقت صفوف اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
فهم هكذا وشبك بين يديه والتبسوا فلما اخل الرماة تلك الخلة التي كانوا فيها دخلت
الخيل من ذلك الموضع على اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فضرب بعضهم بعضا والتبسوا
وقتل من المسلمين ناس كثير وقد كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه اول النهار حتى
قتل من اصحاب لواء المشركين سبعة او تسعة وجال المسلمون جولة نحو الجبل ولم يبلغوا حيث
يقول الناس الغار انما كانوا تحت المهراس وصاح الشيطان قتل محمد فلم يشك فيه انه حق فما
زلنا كذلك ما نشك انه حق حتى طلع رسول الله صلى الله عليه وسلم بين السعدين نعرفه
بتكفيه اذا مشى قال ففرحنا حتى كانه لم يصبنا ما اصابنا قال فرقي نحونا وهو يقول اشتد
غضب الله على قوم دموا وجه رسول الله ويقول مرة اخرى اللهم انه ليس لهم ان يعلونا حتى
انتهى الينا فمكث ساعة فاذا ابو سفيان يصيح في اسفل الجبل اعل هبل اعل هبل مرتين
يعني الهته اين ابن ابي كبشة اين ابن ابي قحافة اين ابن الخطاب فقال عمر بن الخطاب الا
اجيبه قال بلى قال فلما قال اعل هبل قال الله اعلى واجل فقال ابو سفيان قد انعمت
فعال عنها فقال اين ابن ابي كبشة اين ابن ابي قحافة اين ابن الخطاب فقال عمر هذا رسول
الله وهذا ابو بكر وها انا ذا عمر قال فقال ابو سفيان يوم بيوم بدر الايام دول وان الحرب
سجال قال فقال عمر لا سواء قتلانا في الجنة وقتلاكم في النار قال انكم لتزعمون ذلك
لقد خبنا اذا وخسرنا ثم قال ابو سفيان انكم ستجدون في قتلاكم مثلا ولم يكن ذلك
عن راي سراتنا قال ثم ادركته حمية الجاهلية فقال اما انه ان كان ذلك لم نكرهه وقد
رواه ابن ابي حاتم والحاكم في مستدركه والبيهقي في الدلايل من حديث سليمان بن داود الهاشمي
به وهذا حديث غريب وهو من مرسلات ابن عباس وله شواهد من وجوه كثيرة سنذكر منها
ما تيسر ان شا الله وبه الثقة وعليه التكلان وهو المستعان قال البخاري ثنا عبيد الله
بن موسى عن اسرائيل عن ابي اسحاق عن البراء قال لقينا المشركين يومئذ واجلس النبي صلى الله
عليه وسلم جيشا من الرماة وامر عليهم عبد الله بن جبير وقال لا تبرحوا ان رايتمونا ظهرنا
عليهم فلا تبرحوا وان رايتموهم ظهروا علينا فلا تعينونا فلما لقيناهم هربوا حتى رايت النسا
يشتددن في الجبل رفعن عن سوقهن قد بدت خلاخلهن فاخذوا يقولون الغنيمة الغنيمة فقال
عبد الله عهد الي النبي صلى الله عليه وسلم ان لا تبرحوا فابوا فلما ابوا صرف وجوههم فاصيب
سبعون قتيلا واشرف ابو سفيان فقال افي القوم محمد فقال لا تجيبوه فقال افي القوم
ابن ابي قحافة فقال لا تجيبوه فقال افي القوم ابن الخطاب فقال ان هولاء قد قتلوا فلو كانوا
احيا لاجابوا فلم يملك عمر نفسه فقال كذبت يا عدو الله قد ابقى الله لك ما يخزيك فقال
ابو سفيان لنا العزى ولا عزى لكم فقال النبي صلى الله عليه وسلم اجيبوه قالوا ما نقول قال
قولوا الله اعلى واجل مولانا ولا مولى لكم قال ابو سفيان يوم بيوم بدر والحرب سجال وتجدون

اعل هبل فقال النبي صلى الله عليه وسلم اجيبوه قالوا ما نقول قال قولوا الله اعلى واجل قال ابو سفيان صح

في القوم

في القوم مثلة لم آمر بها ولم تسؤني وهذا من افراد البخاري دون مسلم وقال الامام احمد
ثنا موسى ثنا زهير ثنا ابو اسحاق انا البراء بن عازب قال جعل رسول الله صلى الله عليه وسلم
على الرماة يوم احد وكانوا خمسين رجلا عبد الله بن جبير قال ووضعهم موضعا وقال
ان رايتمونا تخطفنا الطير فلا تبرحوا حتى ارسل اليكم قال فهزموهم قال فانا والله رايت
النسا يشتددن على الجبل وقد بدت اسوقهن وخلاخيلهن رافعات ثيابهن فقال
اصحاب عبد الله الغنيمة اي قوم الغنيمة ظهر اصحابكم فما تنتظرون قال عبد الله بن جبير
انسيتم ما قال لكم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا انا والله لنأتين الناس فلنصيبن
من الغنيمة فلما اتوهم صرفت وجوههم فاقبلوا منهزمين فذلك الذي يدعوهم الرسول في
اخراهم فلم يبق مع رسول الله صلى الله عليه وسلم غير اثني عشر رجلا فاصابوا منا سبعين
وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه اصابوا من المشركين يوم بدر اربعين ومائة
سبعين اسيرا وسبعين قتيلا قال ابو سفيان افي القوم محمد افي القوم محمد افي القوم محمد
ثلاثا قال فنهاهم رسول الله ان يجيبوه ثم قال افي القوم ابن ابي قحافة افي القوم ابن
ابي قحافة افي القوم ابن ابي قحافة افي القوم ابن ابي الخطاب افي القوم ابن ابي الخطاب افي القوم
ابن ابي الخطاب ثم اقبل على اصحابه فقال اما هولاء فقد قتلوا وقد كفيتموهم فما ملك عمر
نفسه ان قال كذبت والله يا عدو الله ان الذين عددت لاحيا كلهم وقد ابقى الله لك ما يسوءك
قال يوم بيوم بدر والحرب سجال انكم ستجدون في القوم مثلة لم آمر بها ولم تسؤني ثم اخذ
يرتجز اعل هبل اعل هبل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الا تجيبونه قالوا يا رسول
الله ما نقول قال قولوا الله اعلى واجل قال ان العزى لنا ولا عزى لكم قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم الا تجيبونه قالوا يا رسول الله وما نقول قال قولوا الله مولانا ولا مولى لكم
ورواه البخاري من حديث زهير وهو ابن معاوية مختصرا وقد تقدم روايته مطولة من
طريق اسرائيل عن ابي اسحاق وقال الامام احمد ثنا عفان ثنا حماد بن سلمة انا ثابت وعلي بن
زيد عن انس بن مالك ان المشركين لما رهقوا النبي صلى الله عليه وسلم وهو في سبعة من الانصار
ورجل من قريش قال من يردهم عنا وهو رفيقي في الجنة فجاء رجل من الانصار فقاتل حتى قتل
فلما رهقوه ايضا قال من يردهم عنا وهو رفيقي في الجنة حتى قتل السبعة فقال رسول الله صلى
الله عليه وسلم ما انصفنا اصحابنا ورواه مسلم عن هدبة بن خالد عن حماد بن سلمة به
وقال البيهقي في الدلايل باسناده عن عمارة بن غزية عن ابي الزبير عن جابر قال انهزم الناس
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم احد وبقي معه احد عشر رجلا من الانصار وطلحة بن
عبيد الله وهو يصعد في الجبل فلحقهم المشركون فقال الا احد لهولاء فقال طلحة انا يا رسول
الله فقال كما انت يا طلحة فقال رجل من الانصار فانا يا رسول الله فقاتل عنه وصعد رسول
الله صلى الله عليه وسلم ومن بقي معه ثم قتل الانصاري فلحقوه فقال الا رجل لهولاء فقال
طلحة مثل قوله فقال رسول الله مثل قوله فقال رجل من الانصار فانا يا رسول الله فقاتل واصحابه
يصعدون ثم قتل فلحقوه فلم يزل يقول مثل قوله الاول ويقول طلحة انا يا رسول الله فيحبسه
فيستاذنه رجل من الانصار للقتال فياذن له فيقاتل مثل من كان قبله حتى لم يبق معه الا
طلحة فغشوهما فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من لهولاء فقال طلحة انا فقاتل
مثل قتال جميع من كان قبله واصيبت انامله فقال حس فقال لو قلت بسم الله لرفعتك

خمسين

الملائكة والناس ينظرون إليه حتى يلج به في جو السماء ثم صعد رسول الله صلى الله عليه وسلم
إلى أصحابه وهم مجتمعون وروى البخاري عن أبي بكر بن أبي شيبة عن وكيع عن إسماعيل عن قيس بن
أبي حازم قال رأيت يد طلحة شلاء وقى بها النبي صلى الله عليه وسلم يعني يوم أحد وفي الصحيحين
من حديث معتمر بن سليمان عن أبيه عن أبي عثمان النهدي قال لم يبق مع النبي صلى الله عليه وسلم
في بعض تلك الأيام التي قاتل فيهن غير طلحة وسعد عن حديثهما وقال الحسن بن عرفة ثنا
مروان بن معاوية عن هاشم بن هاشم عن الزهري سمعت سعيد بن المسيب سمعت سعد
بن أبي وقاص يقول نثل لي رسول الله صلى الله عليه وسلم كنانته يوم أحد وقال ارم فداك
أبي وأمي وأخرجه البخاري عن عبد الله بن محمد عن مروان به وفي صحيح البخاري من حديث عبد الله
بن شداد عن علي بن أبي طالب قال ما سمعت النبي صلى الله عليه وسلم جمع أبويه لأحد إلا لسعد بن
مالك فإني سمعته يقول يوم أحد يا سعد ارم فداك أبي وأمي وقال محمد بن إسحاق وحدثني
صالح بن كيسان عن بعض آل سعد عن سعد بن أبي وقاص أنه رمى يوم أحد دون رسول الله صلى
الله عليه وسلم قال سعد فلقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يناولني النبل ويقول
ارم فداك أبي وأمي حتى إنه ليناولني السهم ليس له نصل فأرمي به وثبت في الصحيحين من حديث
إبراهيم بن سعد بن أبي وقاص عن أبيه قال رأيت يوم أحد عن يمين النبي صلى الله عليه وسلم
وعن يساره رجلين عليهما ثياب بيض يقاتلان عنه أشد القتال ما رأيتهما قبل ذلك ولا بعد ساجد م
يعني جبريل وميكائيل عليهما السلام وقال أحمد ثنا عفان ثنا ثابت عن أنس أن أبا طلحة
كان يرمي بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم يوم أحد والنبي صلى الله عليه وسلم خلفه
يترس به وكان راميا وكان إذا رمى رفع رسول الله صلى الله عليه وسلم شخصه ينظر أين يقع
سهمه ويرفع أبو طلحة صدره ويقول هكذا بأبي أنت وأمي يا رسول الله لا يصيبك سهم نحري
دون نحرك وكان أبو طلحة يسور نفسه بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقول
إني جلد يا رسول الله فوجهني في حوائجك ومرني بما شئت وقال البخاري ثنا أبو معمر ثنا
عبد الوارث ثنا عبد العزيز عن أنس قال لما كان يوم أحد انهزم الناس عن النبي صلى الله
عليه وسلم وأبو طلحة بين يدي رسول الله مجوب عليه بحجفة له وكان أبو طلحة راميا شديد
النزع كسر يومئذ قوسين أو ثلاثا وكان الرجل يمر معه بجعبة من النبل فيقول انثرها لأبي
طلحة قال ويشرف النبي صلى الله عليه وسلم ينظر إلى القوم فيقول أبو طلحة بأبي أنت
وأمي لا تشرف يصيبك سهم من سهام القوم نحري دون نحرك ولقد رأيت عائشة بنت أبي بكر
وأم سليم وإنهما لمشمرتان أرى خدم سوقهما تنقزان القرب على متونهما تفرغانه في أفواه عن سوقهما م
القوم ثم ترجعان فتملآنها ثم تجيئان فتفرغانه في أفواه القوم ولقد وقع السيف من يدي أبي
طلحة مرتين أو ثلاثا قال البخاري وقال لي خليفة ثنا يزيد بن زريع ثنا سعيد عن قتادة
عن أنس عن أبي طلحة قال كنت فيمن تغشاه النعاس يوم أحد حتى سقط سيفي من يدي مرارا
يسقط وآخذه ويسقط وآخذه هكذا ذكره البخاري معلقا بصيغة الجزم ويشهد له
قوله تعالى ثم أنزل عليكم من بعد الغم أمنة نعاسا يغشى طائفة منكم وطائفة قد أهمتهم
أنفسهم يظنون بالله غير الحق ظن الجاهلية يقولون هل لنا من الأمر من شيء قل إن الأمر كله لله
يخفون في أنفسهم ما لا يبدون لك يقولون لو كان لنا من الأمر شيء ما قتلنا هاهنا قل لو كنتم
في بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتل إلى مضاجعهم وليبتلي الله ما في صدوركم وليمحص

ما في قلوبكم

ما في قلوبكم والله عليم بذات الصدور إن الذين تولوا منكم يوم التقى الجمعان إنما استزلهم
الشيطان ببعض ما كسبوا ولقد عفا الله عنهم إن الله غفور حليم قال البخاري ثنا
عبدان ثنا أبو حمزة عن عثمان بن موهب قال جاء رجل حج البيت فرأى قوما جلوسا فقال
من هؤلاء القعود قالوا هؤلاء قريش قال من الشيخ قالوا ابن عمر فأتاه فقال إني سائلك
عن شيء فحدثني قال أنشدك بحرمة هذا البيت أتعلم أن عثمان بن عفان فر يوم أحد قال نعم
قال فتعلمه تغيب عن بدر فلم يشهدها قال نعم قال فتعلم أنه تخلف عن بيعة الرضوان
فلم يشهدها قال نعم فكبر قال ابن عمر تعال لأخبرك ولأبين لك عما سألتني عنه أما فراره
يوم أحد فأشهد أن الله عفا عنه وأما تغيبه عن بدر فإنه كان تحته بنت النبي صلى الله عليه
وسلم وكانت مريضة فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم إن لك أجر رجل ممن شهد بدرا
وسهمه وأما تغيبه عن بيعة الرضوان فلو كان أحد أعز ببطن مكة من عثمان بن عفان لبعثه
مكانه فبعث عثمان فكانت بيعة الرضوان بعد ما ذهب عثمان إلى مكة فقال النبي صلى
الله عليه وسلم بيده اليمنى هذه يد عثمان فضرب بها على يده فقال هذه لعثمان اذهب
بها الآن معك وقد رواه البخاري أيضا في موضع آخر والترمذي من حديث أبي عوانة عن
عثمان بن عبد الله بن موهب به وقال الأموي في مغازيه عن ابن إسحاق حدثني يحيى بن عباد
عن أبيه عن جده سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول وقد كان الناس انهزموا عنه
حتى بلغ بعضهم إلى المنقى دون الأعوص وفر عثمان بن عفان وسعد بن عثمان رجل من الأنصار
حتى بلغوا الجلعب جبل بناحية المدينة مما يلي الأعوص فأقاموا ثلاثا ثم رجعوا فزعموا أن
رسول الله قال لهم لقد ذهبتم فيها عريضة والمقصود أن أحدا وقع فيها أشياء مما وقع
في بدر منها حصول النعاس حال التحام الحرب وهذا دليل على طمأنينة القلوب بنصر الله
وتأييده وتمام توكلها على خالقها وبارئها وقد تقدم الكلام على قوله تعالى في غزوة بدر
إذ يغشيكم النعاس أمنة منه الآية وقال هاهنا ثم أنزل عليكم من بعد الغم أمنة نعاسا يغشى
طائفة منكم يعني المؤمنين الكمل كما قال ابن مسعود وغيره النعاس في الحرب
من الإيمان والنعاس في الصلاة من النفاق ولهذا قال بعد هذا وطائفة قد أهمتهم أنفسهم
الآية ومن ذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم استنصر يوم أحد كما استنصر يوم بدر بقوله
إن تشأ لا تعبد في الأرض كما قال الإمام أحمد ثنا عبد الصمد وعفان قالا ثنا حماد عن ثابت
عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول يوم أحد اللهم إنك إن تشأ لا تعبد في
الأرض ورواه مسلم عن حجاج بن الشاعر عن عبد الصمد عن حماد بن سلمة به وقال البخاري
ثنا عبد الله بن محمد ثنا سفيان عن عمرو سمع جابر بن عبد الله قال قال رجل للنبي صلى الله
عليه وسلم يوم أحد أرأيت إن قتلت فأين أنا قال في الجنة فألقى تمرات في يده ثم قاتل حتى
قتل ورواه مسلم والنسائي من حديث سفيان بن عيينة به وهذا شبيه بقصة عمير بن
الحمام التي تقدمت في غزوة بدر رضي الله عنهما وأرضاهما

فصل فيما لقي النبي صلى الله عليه وسلم يومئذ من المشركين قبحهم الله

قال البخاري ما أصاب النبي صلى الله عليه وسلم من الجراح يوم أحد حدثنا إسحاق بن نصر
ثنا عبد الرزاق عن معمر عن همام بن منبه سمع أبا هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
اشتد غضب الله على قوم فعلوا بنبيه يشير إلى رباعيته اشتد غضب الله على رجل يقتله

رسول الله في سبيل الله ورواه مسلم ورواه مسلم من طريق عبد الرزاق حدثنا مخلد بن مالك
ثنا يحيى بن سعيد الاموي ثنا ابن جريج عن عمرو بن دينار عن عكرمة عن ابن عباس قال اشتد
غضب الله على من قتله النبي صلى الله عليه وسلم في سبيل الله اشتد غضب الله على قوم
دموا وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال احمد ثنا عفان ثنا حماد انا ثابت عن انس
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يوم احد وهو يسلت الدم عن وجهه وهو يقول
كيف يفلح قوم شجوا نبيهم وكسروا رباعيته وهو يدعوهم الى الله فانزل الله ليس لك من الامر شيء
او يتوب عليهم او يعذبهم فانهم ظالمون ورواه مسلم عن القعنبي عن حماد بن سلمة به ورواه
الامام احمد عن هشيم ويزيد بن هارون عن حميد عن انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
كسرت رباعيته وشج في وجهه حتى سال الدم على وجهه فقال كيف يفلح قوم فعلوا هذا بنبيهم
وهو يدعوهم الى ربهم فانزل الله ليس لك من الامر شيء وقال البخاري ثنا قتيبة ثنا يعقوب
عن ابي حازم انه سمع سهل بن سعد وهو يسال عن جرح النبي صلى الله عليه وسلم ومن كان يسكب
الماء وبماذا دووي قال كانت فاطمة بنت رسول الله تغسله وعلي يسكب الماء بالمجن فلما رات
فاطمة ان الماء لا يزيد الدم الا كثرة اخذت قطعة من حصير فاحرقتها فالصقتها فاستمسك
الدم وكسرت رباعيته يومئذ وجرح وجهه وكسرت البيضة على راسه وقال ابو داود الطيالسي
في مسنده ثنا ابن المبارك عن اسحاق بن يحيى بن طلحة بن عبيد الله اخبرني عيسى بن طلحة
عن ام المؤمنين عايشة قالت كان ابو بكر اذا ذكر يوم احد قال ذاك يوم كله لطلحة ثم
انشا يحدث قال كنت اول من فاء يوم احد فرايت رجلا يقاتل مع رسول الله دونه واراه
قال يحميه قال فقلت كن طلحة حيث فاتني ما فاتني فقلت يكون رجلا من قومي احب الي وبيني
وبين المشركين رجل لا اعرفه وانا اقرب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم منه وهو يخطف
المشي خطفا لا اخطفه فاذا هو ابو عبيدة بن الجراح فانتهينا الى رسول الله صلى الله عليه
وسلم وقد كسرت رباعيته وشج في وجهه وقد دخل في وجنته حلقتان من حلق المغفر قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم عليكما صاحبكما يريد طلحة وقد نزف فلم يلتفت الى قوله قال وذهبت
لانزع ذاك من وجهه فقال اقسمت عليك بحقي لما تركتني فتركته فكره تناولها بيده
فيؤذي رسول الله صلى الله عليه وسلم فازم عليها بفيه فاستخرج احدى الحلقتين
ووقعت ثنيته مع الحلقة وذهبت لاصنع ما صنع فقال اقسمت عليك بحقي لما تركتني
قال ففعل مثل ما فعل في المرة الاولى فوقعت ثنيته الاخرى مع الحلقة فكان ابو عبيدة
رضي الله عنه من احسن الناس هتما فاصلحنا من شان رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم اتينا
طلحة في بعض تلك الجفار فاذا به بضع وسبعون من طعنة ورمية وضربة واذا قد قطعت
اصبعه فاصلحنا من شانه وذكر الواقدي عن ابن ابي سبرة عن اسحاق بن عبد الله بن ابي فروة
عن ابي الحويرث عن نافع بن جبير قال سمعت رجلا من المهاجرين يقول شهدت احدا فنظرت
الى النبل ياتي من كل ناحية ورسول الله صلى الله عليه وسلم وسطها كل ذلك يصرف عنه
ولقد رايت عبد الله بن شهاب الزهري يقول يومئذ دلوني على محمد لا نجوت ان نجا ورسول
الله الى جنبه ما معه احد ثم جاوزه فعاتبه في ذلك صفوان بن امية فقال والله
ما رايته احلف بالله انه منا ممنوع خرجنا اربعة فتعاهدنا وتعاقدنا على قتله فلم
نخلص اليه قال الواقدي والثبت عندنا ان الذي رمى في وجنتي رسول الله صلى الله

قال عبد الرزاق انا معمر عن الزهري عن عثمان الجزري عن مقسم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا على عتبة بن ابي وقاص حين كسر رباعيته ودمى وجهه فقال
اللهم لا يحول عليه الحول حتى يموت كافرا فما حال عليه الحول حتى مات كافرا الى النار وقال ابو سليمان الجوزجاني ثنا محمد بن الحسن ثني ابراهيم بن محمد ثني ابن عبد الله بن محمد
ابن ابي بكر بن حزم عن ابيه عن ابي امامة بن سهل بن حنيف ان رسول الله صلى الله عليه وسلم داوى وجهه يوم احد بعظم بال هذا حديث غريب رايته في اثناء
كتاب المغازي للاموي في وقعة احد صح

عليه وسلم ابن قمية والذي رجح شفته واصاب رباعيته عتبة بن ابي وقاص وقد تقدم عن
ابن اسحاق نحو هذا وان الرباعية التي كسرت له عليه السلام هي اليمنى السفلى قال ابن اسحاق وحدثني
صالح بن كيسان عمن حدثه عن سعد بن ابي وقاص قال ما حرصت على قتل احد قط ما حرصت
على قتل عتبة بن ابي وقاص وان كان ما علمته لسيئ الخلق مبغضا في قومه ولقد كفاني
فيه قول رسول الله صلى الله عليه وسلم اشتد غضب الله على من دمى وجه رسول الله ولما
نال عبد الله بن قمية من رسول الله صلى الله عليه وسلم ما نال رجع وهو يقول قتلت محمدا
وصرخ الشيطان ازب العقبة يومئذ بابعد صوت الا ان محمدا قد قتل فحصل بهتة
عظيمة في المسلمين واعتقد كثير من الناس ذلك وصمموا على القتال عن حوزة الاسلام
حتى يموتوا على ما مات عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم منهم انس بن النضر وغيره ممن سياتي
ذكره وقد انزل الله تعالى التسلية في ذلك على تقدير وقوعه فقال تعالى وما محمد الا رسول
قد خلت من قبله الرسل افان مات او قتل انقلبتم على اعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن
يضر الله شيا وسيجزي الله الشاكرين وما كان لنفس ان تموت الا باذن الله كتابا مؤجلا ومن يرد
ثواب الدنيا نؤته منها ومن يرد ثواب الاخرة نؤته منها وسنجزي الشاكرين وكاين من نبي
قتل معه ربيون كثير فما وهنوا لما اصابهم في سبيل الله وما ضعفوا وما استكانوا والله
يحب الصابرين وما كان قولهم الا ان قالوا ربنا اغفر لنا ذنوبنا واسرافنا في امرنا
وثبت اقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين فاتاهم الله ثواب الدنيا وحسن ثواب الاخرة
والله يحب المحسنين يا ايها الذين امنوا ان تطيعوا الذين كفروا يردوكم على اعقابكم فتنقلبوا
خاسرين بل الله مولاكم وهو خير الناصرين سنلقي في قلوب الذين كفروا الرعب بما اشركوا
بالله ما لم ينزل به سلطانا وماواهم النار وبيس مثوى الظالمين ولقد صدقكم الله
وعده وقد تكلمنا على ذلك مستقصى في كتاب التفسير ولله الحمد وقد خطب الصديق
رضي الله عنه في اول مقام قامه بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ايها الناس
من كان يعبد محمدا فان محمدا قد مات ومن كان يعبد الله فان الله حي لا يموت ثم تلا هذه الاية
وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل افان مات او قتل انقلبتم على اعقابكم الاية
قال فكان الناس لم يسمعوها قبل ذلك فما من الناس احد الا يتلوها وروى البيهقي في دلايل
النبوة من طريق ابن ابي نجيح عن ابيه قال مر رجل من المهاجرين يوم احد على رجل من الانصار وهو
يتشحط في دمه فقال له يا فلان اشعرت ان محمدا قد قتل فقال الانصاري ان كان محمد صلى
الله عليه وسلم قد قتل فقد بلغ الرسالة فقاتلوا عن دينكم فنزل وما محمد الا رسول قد
خلت من قبله الرسل الاية ولعل هذا الانصاري هو انس بن النضر رضي الله عنه وهو عم انس
بن مالك قال الامام احمد ثنا يزيد ثنا حميد عن انس قال عمي غاب عن قتال بدر فقال
غبت عن اول قتال قاتله النبي صلى الله عليه وسلم المشركين لين الله اشهدني قتالا للمشركين
ليرين الله ما اصنع فلما كان يوم احد انكشف المسلمون فقال اللهم اني اعتذر اليك مما صنع
هولاء يعني اصحابه وابرا اليك مما جاء به هولاء يعني المشركين ثم تقدم فلقيه سعد بن معاذ
دون احد فقال انا معك قال سعد فلم استطع اصنع ما صنع فوجد فيه بضع وثمانين
من بين ضربة بسيف وطعنة برمح ورمية بسهم قال فكنا نقول فيه وفي اصحابه نزلت فمنهم
من قضى نحبه ومنهم من ينتظر ورواه الترمذي عن عبد بن حميد والنسائي عن اسحاق بن راهويه

كلاهما عن يزيد بن هارون به وقال الترمذي حسن قلت بل على شرط الصحيحين من هذا الوجه
وقال احمد حدثني بهز وثنا هاشم ثنا سليمان بن المغيرة عن ثابت قال قال انس قال
عمي قال هاشم انس بن النضر سميت به ولم يشهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر
قال فشق عليه قال اول مشهد شهده رسول الله صلى الله عليه وسلم غبت عنه ولئن اراني
الله مشهدا فيما بعد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليرين الله ما اصنع قال وهاب ان
يقول غيرها فشهد مع رسول الله يوم احد قال فاستقبل سعد بن معاذ فقال له انس يا ابا
عمرو واها لريح الجنة اجده دون احد قال فقاتلهم حتى قتل فوجد في جسده بضع وثمانون
من ضربة وطعنة ورمية قال فقالت اخته عمتي الربيع بنت النضر
فما عرفت اخي الا ببنانه ونزلت هذه الاية من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه
فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا قال وكانوا يرون انها نزلت فيه
وفي اصحابه ورواه مسلم عن محمد بن حاتم عن بهز بن اسد ورواه الترمذي والنسائي
من حديث عبد الله بن المبارك زاد النسائي وابو داود وحماد بن سلمة اربعتهم عن سليمان
بن المغيرة به وقال الترمذي حسن صحيح وقال ابو الاسود عن عروة بن الزبير قال كان ابي
ابن خلف اخو بني جمح قد حلف وهو بمكة ليقتلن رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما بلغت
رسول الله حلفته قال بل انا اقتله ان شاء الله فلما كان يوم احد اقبل ابي في الحديد مقنعا
وهو يقول لا نجوت ان نجا محمد فحمل على رسول الله صلى الله عليه وسلم يريد قتله فاستقبله
مصعب بن عمير اخو بني عبد الدار يقي رسول الله صلى الله عليه وسلم بنفسه فقتل مصعب
بن عمير وابصر رسول الله صلى الله عليه وسلم ترقوة ابي بن خلف من فرجة بين سابغة الدرع
والبيضة فطعنه بالحربة فوقع الى الارض عن فرسه ولم يخرج من طعنته دم فاتاه اصحابه
فاحتملوه وهو يخور خوار الثور فقالوا له ما اجزعك انما هو خدش فذكر لهم قول رسول الله
صلى الله عليه وسلم انا اقتل ابيا ثم قال والذي نفسي بيده لو كان هذا الذي بي باهل
ذي المجاز لماتوا اجمعون فمات الى النار فسحقا لاصحاب السعير وقد رواه موسى بن
عقبة في مغازيه عن سعيد بن المسيب نحوه وقال ابن اسحاق لما اسند رسول الله صلى عن الزهري
الله عليه وسلم في الشعب ادركه ابي بن خلف وهو يقول لا نجوت ان نجوت فقال القوم
يا رسول الله يعطف عليه رجل منا فقال رسول الله دعوه فلما دنا تناول رسول الله صلى
الله عليه وسلم الحربة من الحارث بن الصمة قال بعض القوم كما ذكر لي فلما اخذها رسول
الله منه انتفض بها انتفاضة تطايرنا عنه تطاير الشعر عن ظهر البعير اذا انتفض
ثم استقبله رسول الله صلى الله عليه وسلم فطعنه في عنقه طعنة تدأدأ منها عن فرسه
مرارا ذكر الواقدي عن يونس بن بكير عن محمد بن اسحاق عن عاصم بن عمر بن قتادة عن عبد الله
بن كعب بن مالك عن ابيه نحو ذلك قال الواقدي وكان ابن عمر يقول مات ابي بن خلف
ببطن رابغ بعد هوي من الليل اذا انا بنار تاجج لي فهبتها واذا برجل يخرج منها في سلسلة فاني لاسير ببطن رابغ
يجتذبها يهيجه العطش واذا رجل يقول لا تسقه فان هذا قتيل رسول الله صلى الله عليه
وسلم هذا ابي بن خلف وقد ثبت في الصحيحين كما تقدم من طريق عبد الرزاق عن معمر عن همام
عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اشتد غضب الله على رجل يقتله
رسول الله في سبيل الله ورواه البخاري من طريق ابن جريج عن عمرو بن دينار عن عكرمة عن

ابن عباس

ابن عباس واشتد غضب الله على من قتله رسول الله في سبيل الله بيده وقال البخاري وقال
ابو الوليد عن شعبة عن ابن المنكدر سمعت جابرا قال لما قتل ابي جعلت ابكي واكشف الثوب عن
وجهه فجعل اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ينهوني والنبي صلى الله عليه وسلم لم ينه وقال
النبي صلى الله عليه وسلم لا تبكه او ما تبكيه ما زالت الملائكة تظله باجنحتها حتى رفع هكذا
ذكر هذا الحديث ههنا معلقا وقد اسنده في الجنائز عن بندار عن غندر عن شعبة ورواه
مسلم والنسائي من طرق عن شعبة به وقال البخاري ثنا عبدان انا عبد الله انا شعبة عن
سعد بن ابراهيم عن ابيه ابراهيم ان عبد الرحمن بن عوف اتي بطعام وكان صائما فقال قتل
مصعب بن عمير وهو خير مني كفن في بردة ان غطي راسه بدت رجلاه وان غطي رجلاه بدا راسه واراه قال
وقتل حمزة وهو خير مني ثم بسط لنا من الدنيا ما بسط او قال اعطينا من الدنيا ما اعطينا
وقد خشينا ان تكون حسناتنا عجلت لنا ثم جعل يبكي حتى ترك الطعام انفرد به البخاري
وقال البخاري ثنا احمد بن يونس ثنا زهير ثنا الاعمش عن شقيق عن خباب قال
هاجرنا مع النبي صلى الله عليه وسلم ونحن نبتغي وجه الله فوجب اجرنا على الله فمنا من مضى
او ذهب لم ياكل من اجره شيئا كان منهم مصعب بن عمير قتل يوم احد فلم يترك الا نمرة كنا اذا غطينا
بها راسه خرجت رجلاه واذا غطي بها رجلاه خرج راسه فقال لنا النبي صلى الله عليه وسلم
غطوا بها راسه واجعلوا على رجليه من الاذخر ومنا من اينعت له ثمرته فهو يهدبها واخرجه
بقية الجماعة الا ابن ماجه من طرق عن الاعمش به وقال البخاري ثنا عبيد الله بن سعيد
ثنا ابو اسامة عن هشام بن عروة عن ابيه عن عائشة قالت لما كان يوم احد هزم المشركون فصرخ
ابليس اي عباد الله اخراكم فرجعت اولاهم فاجتلدت هي واخراهم فبصر حذيفة فاذا هو بابيه
اليمان فقال اي عباد الله ابي ابي قالت فوالله ما احتجزوا حتى قتلوه فقال حذيفة يغفر
الله لكم قال عروة فوالله ما زالت في حذيفة بقية خير حتى لحق بالله عز وجل **قلت**
كان سبب ذلك ان اليمان وثابت بن وقش كانا في الاطام مع النساء لكبرهما وضعفهما فقالا
انه لم يبق من آجالنا الا ظمء حمار فنزلا ليحضرا الحرب فجاء من طريقهما ناحية المشركين فاما ثابت
لعله يمان فقتله المشركون واما اليمان فقتله المسلمون خطاء وتصدق حذيفة بديته على المسلمين
ولم يعاتب احدا منهم لظهور العذر لهم في ذلك **فصل** قال ابن اسحاق واصيبت يومئذ
عين قتادة بن النعمان حتى سقطت على وجنته فردها رسول الله بيده فكانت احسن عينيه
واحدهما وفي الحديث عن جابر بن عبد الله ان قتادة بن النعمان اصيبت عينه يوم احد حتى
سالت على خده فردها رسول الله صلى الله عليه وسلم مكانها فكانت احسن عينيه واحدهما وكانت
لا ترمد اذا رمدت الاخرى وروى الدارقطني باسناد غريب عن مالك عن محمد بن عبد الله بن
ابي صعصعة عن ابيه عن ابي سعيد عن اخيه قتادة بن النعمان قال اصيبت عيناي يوم احد
فسقطتا على وجنتي فاتيت بهما رسول الله فاعادهما مكانهما وبصق فيهما فعادتا تبرقان
والمشهور الاول انه انما اصيبت عينه الواحدة ولهذا لما وفد بعض ولده على عمر بن عبد العزيز
قال له من انت فقال له مرتجلا

انا ابن الذي سالت على الخد عينه • فردت بكف المصطفى احسن الرد •
فعادت كما كانت لاول امرها • فيا حسن ما عين ويا حسن ما خد •

فقال عمر بن عبد العزيز عند ذلك •

تلك المكارم لا قعبان من لبن • شيبا بماء فعادا بعد ابوالا •

ثم وصله فاحسن جابر رضي الله عنه **فصل** قال ابن هشام وقالت
ام عمارة نسيبة بنت كعب المازنية يوم احد فذكر سعيد بن ابي زيد الانصاري ان ام سعيد
بنت سعد بن الربيع كانت تقول دخلت على ام عمارة فقلت يا خالة اخبريني خبرك فقالت
خرجت اول النهار وانا انظر ما يصنع الناس ومعي سقاء فيه ماء فانتهيت الى رسول الله وهو
في اصحابه والدولة والريح للمسلمين فلما انهزم المسلمون انحزت الى رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقمت اباشر القتال واذب عنه بالسيف وارمي عن القوس حتى خلصت الجراح
الي قالت فرايت على عاتقها جرحا اجوف له غور فقلت لها من اصابك بهذا قالت ابن
قمئة اقماه الله لما ولى الناس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم اقبل يقول دلوني على
محمد فلا نجوت ان نجا فاعترضت له انا ومصعب بن عمير واناس ممن ثبت مع رسول الله صلى
الله عليه وسلم فضربني هذه الضربة ولقد على ذلك ضربته ضربات ولكن عدو الله كان عليه
درعان قال ابن اسحاق وترس ابو دجانة دون رسول الله صلى الله عليه وسلم بنفسه يقع النبل
في ظهره وهو منحن عليه حتى كثر فيه النبل قال ابن اسحاق وحدثني عاصم بن عمر بن قتادة ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم رمى عن قوسه حتى اندقت سيتها فاخذها قتادة بن النعمان فكانت عنده
قال ابن اسحاق وحدثني القسم بن عبد الرحمن اخو بني عدي بن النجار قال انتهى انس بن النضر
عم انس بن مالك الى عمر بن الخطاب وطلحة بن عبيد الله في رجال من المهاجرين والانصار وقد
القوا بايديهم فقال ما يجلسكم قالوا قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فما تصنعون
بالحياة بعده قوموا فموتوا على ما مات عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم استقبل القوم
فقاتل حتى قتل وبه سمي انس بن مالك فحدثني حميد الطويل عن انس بن مالك قال لقد وجدنا
بانس بن النضر يومئذ سبعين ضربة فما عرفته الا اخته عرفته ببنانه قال ابن هشام وحدثني
بعض اهل العلم ان عبد الرحمن بن عوف اصيب فوه يومئذ فهتم وجرح عشرين جراحة
او اكثر اصابه بعضها في رجله فعرج **فصل** قال ابن اسحاق وكان اول من عرف رسول
الله صلى الله عليه وسلم بعد الهزيمة وقول الناس قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم كما
ذكر لي الزهري كعب بن مالك قال رايت عينيه تزهران من تحت المغفر فناديت باعلى
صوتي يا معشر المسلمين ابشروا هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم فاشار الي رسول الله
صلى الله عليه وسلم ان انصت قال ابن اسحاق فلما عرف المسلمون رسول الله صلى الله
عليه وسلم نهضوا به ونهض معهم نحو الشعب معه ابو بكر الصديق وعمر بن الخطاب وعلي بن
ابي طالب وطلحة بن عبيد الله والزبير بن العوام والحرث بن الصمة ورهط من المسلمين فلما
اسند رسول الله صلى الله عليه وسلم في الشعب ادركه ابي بن خلف فذكر قتله عليه
السلام ابيا كما تقدم قال ابن اسحاق وكان ابي بن خلف كما حدثني صالح بن ابراهيم بن عبد
الرحمن بن عوف يلقى رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة فيقول يا محمد ان عندي العود
فرسا اعلفه كل يوم فرقا من ذرة اقتلك عليها فيقول له رسول الله صلى الله عليه وسلم
بل انا اقتلك ان شاء الله فلما رجع الى قريش وقد خدشه في عنقه خدشا غير كبير فاحتقن
الدم فقال قتلني والله محمد فقالوا له ذهب والله فؤادك والله ان بك باس قال انه قد
كان قال لي بمكة انا اقتلك فوالله لو بصق علي لقتلني فمات عدو الله بسرف وهم قافلون

به الى مكة قال ابن اسحاق فقال حسان بن ثابت في ذلك •

• لقد ورث الضلالة عن ابيه • ابي يوم بارزه الرسول •
• اتيت اليه تحمل رم عظم • وتوعده وانت به جهول •
• وقد قتلت بنو النجار منكم • امية اذ يغوث يا عقيل •
• وتب ابنا ربيعة اذ اطاعا • ابا جهل لامهما الهبول •
• وافلت حارث لما شغلنا • باسر القوم اسرته فليل •

وقال حسان بن ثابت ايضا •

• الا من مبلغ عني ابيا • لقد القيت في سحق السعير •
• تمنى بالضلالة من بعيد • وتقسم ان قدرت مع النذور •
• تمنيك الاماني من بعيد • وقول الكفر يرجع في غرور •
• فقد لاقتك طعنة ذي حفاظ • كريم البيت ليس بذي فجور •
• له فضل على الاحياء طرا • اذا نابت ملمات الامور •

قال ابن اسحاق فلما انتهى رسول الله صلى الله عليه وسلم الى فم الشعب خرج علي بن ابي
طالب حتى ملا درقته من المهراس فجاء بها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليشرب منه
فوجد له ريحا فعافه ولم يشرب منه وغسل عن وجهه الدم وصب على راسه وهو يقول
اشتد غضب الله على من دمى وجه نبيه وقد تقدم شواهد ذلك من الاحاديث الصحيحة
بما فيه كفاية قال ابن اسحاق فبينا رسول الله صلى الله عليه وسلم في الشعب معه اولئك
النفر من اصحابه اذ علت عالية من قريش الجبل قال ابن هشام فيهم خالد بن الوليد قال
ابن اسحاق فقال رسول الله اللهم انه لا ينبغي لهم ان يعلونا فقاتل عمر بن الخطاب ورهط معه
من المهاجرين حتى اهبطوهم من الجبل ونهض النبي صلى الله عليه وسلم الى صخرة من الجبل
ليعلوها وقد كان بدن وظاهر بين درعين فلما ذهب لينهض لم يستطع فجلس تحته
طلحة بن عبيد الله فنهض به حتى استوى عليها فحدثني يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير
عن ابيه عن عبد الله بن الزبير عن الزبير قال سمعت رسول الله يقول يومئذ اوجب طلحة
لما صنع برسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ ما صنع قال ابن هشام وذكر عمر مولى غفرة
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى الظهر يوم احد قاعدا من الجراح التي اصابته وصلى
المسلمون خلفه قعودا قال ابن اسحاق وحدثني عاصم بن عمر بن قتادة قال كان فينا رجل
اتي لا يدرى ممن هو يقال له قزمان وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اذا ذكر
انه من اهل النار قال فلما كان يوم احد قاتل قتالا شديدا فقتل وحده ثمانية او سبعة
من المشركين وكان ذا باس فاثبتته الجراحة فاحتمل الى دار بني ظفر قال فجعل رجال من المسلمين
يقولون له والله لقد ابليت اليوم يا قزمان فابشر قال بماذا ابشر فوالله ان قاتلت الا عن
احساب قومي ولولا ذلك ما قاتلت قال فلما اشتدت عليه جراحته اخذ سهما من كنانته
فقتل به نفسه وقد ورد مثل قصته هذا في غزوة خيبر كما سياتي ان شاء الله قال الامام احمد
حدثنا عبد الرزاق ثنا معمر عن الزهري عن ابن المسيب عن ابي هريرة قال شهدنا مع رسول الله
صلى الله عليه وسلم خيبر فقال لرجل ممن يدعى بالاسلام هذا من اهل النار فلما حضر القتال
قاتل الرجل قتالا شديدا فاصابته جراحة فقيل يا رسول الله الرجل الذي قلت انه من اهل النار

قاتل اليوم قتالا شديدا وقد مات فقال النبي صلى الله عليه وسلم الى النار فكاد بعض القوم
ان يرتاب فبينما هم على ذلك اذ قيل فانه لم يمت ولكن به جراح شديد فلما كان من الليل لم يصبر
على الجراح فقتل نفسه فاخبر النبي صلى الله عليه وسلم بذلك فقال الله اكبر اشهد اني عبد الله
ورسوله ثم امر بلالا فنادى في الناس انه لا يدخل الجنة الا نفس مسلمة وان الله يؤيد هذا
الدين بالرجل الفاجر واخرجاه في الصحيحين من حديث عبد الرزاق به قال ابن اسحاق
وكان ممن قتل يوم احد مخيريق وكان احد بني ثعلبة بن الفطيون فلما كان يوم احد قال يا معشر
يهود والله لقد علمتم ان نصر محمد عليكم لحق قالوا ان اليوم يوم السبت قال لا سبت لكم فاخذ
سيفه وعدته وقال ان اصبت فمالي لمحمد يصنع فيه ما شاء ثم غدا الى رسول الله فقاتل حتى
قتل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما بلغنا مخيريق خير يهود قال السهيلي فجعل
رسول الله صلى الله عليه وسلم اموال مخيريق وكانت سبع حوائط اوقافا بالمدينة قال
محمد بن كعب القرظي فكانت اول وقف بالمدينة وقال ابن اسحاق وحدثني الحصين بن عبد الرحمن
بن عمرو بن سعد بن معاذ عن ابي سفيان مولى ابن ابي احمد عن ابي هريرة انه كان يقول حدثوني
عن رجل دخل الجنة لم يصل قط فاذا لم يعرفه الناس سالوه من هو فيقول اصيرم بني عبد الاشهل
عمرو بن ثابت بن وقش قال الحصين فقلت لمحمود بن لبيد كيف كان شان الاصيرم قال
كان يابى الاسلام على قومه فلما كان يوم احد بدا له فاسلم ثم اخذ سيفه فغدا حتى دخل في
عرض الناس فقاتل حتى اثبتته الجراحة قال فبينما رجال من بني عبد الاشهل يلتمسون قتلاهم
في المعركة اذا هم به فقالوا والله ان هذا للاصيرم ما جاء به لقد تركناه وانه لمنكر لهذا الحديث
فسالوه فقالوا ما جاء بك احدب على قومك ام رغبة في الاسلام قال بل رغبة في الاسلام امنت
بالله ورسوله واسلمت ثم اخذت سيفي فغدوت مع رسول الله فقاتلت حتى اصابني ما اصابني
فلم يلبث ان مات في ايديهم فذكروه لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال انه لمن اهل الجنة
قال ابن اسحاق وحدثني ابي عن اشياخ من بني سلمة قال كان عمرو بن الجموح رجلا اعرج شديد العرج
وكان له بنون اربعة مثل الاسد يشهدون مع رسول الله المشاهد فلما كان يوم احد ارادوا
حبسه وقالوا ان الله قد عذرك فاتى رسول الله فقال ان بني يريدون ان يحبسوني عن هذا
الوجه والخروج معك فوالله اني لارجو ان اطأ بعرجتي هذه في الجنة فقال رسول الله اما
انت فقد عذرك الله فلا جهاد عليك وقال لبنيه ما عليكم ان لا تمنعوه لعل الله ان
يرزقه شهادة فخرج معه فقتل يوم احد رضي الله عنه قال ابن اسحاق ووقعت هند
بنت عتبة كما حدثني صالح بن كيسان معها يمثلن بالقتلى من اصحاب رسول الله صلى الله عليه والنسوة اللاتي م
وسلم يجدعن الاذان والانوف حتى اتخذت هند من اذان الرجال وانفهم خدما وقلايد واعطت
خدمها وقلايدها وقرطها وحشيا وبقرت عن كبد حمزة فلاكتها فلم تستطع ان تسيغها فلفظتها
وذكر موسى بن عقبة ان الذي بقر عن كبد حمزة وحشي فحملها الى هند فلاكتها فلم تستطع ان
تسيغها فالله اعلم قال ابن اسحاق ثم علت على صخرة مشرفة فصرخت باعلا صوتها فقالت

نحن جزيناكم بيوم بدر • والحرب بعد الحرب ذات سعر
ما كان عن عتبة لي من صبر • ولا اخي وعمه وبكري
شفيت نفسي وقضيت نذري • شفيت وحشي غليل صدري
فشكر وحشي علي عمري • حتى ترم اعظمي في قبري

قال فاجابتها هند بنت اثاثة بن عباد بن المطلب فقالت

خزيت في بدر وبعد بدر • يا بنت وقاع عظيم الكفر
صبحك الله غداة الفجر • بالهاشميين الطوال الزهر
بكل قطاع حسام يفري • حمزة ليثي وعلي صقري
اذ رام شيب وابوك غدري • فخضبا منه ضواحي النحر
ونذرك السوء فشر نذر •

قال ابن اسحاق وكان الحليس بن زبان اخو بني الحارث بن عبد
مناة وهو يومئذ سيد الاحابيش قد مر بابي سفيان وهو يضرب في شدق حمزة بن عبد
المطلب بزج الرمح ويقول ذق عقق فقال الحليس يا بني كنانة هذا سيد قريش يصنع بابن
عمه ما ترون لحما فقال ويحك اكتمها علي فانها كانت زلة قال ابن اسحاق ثم ان ابا سفيان حين
اراد الانصراف اشرف على الجبل ثم صرخ باعلى صوته انعمت فعال ان الحرب سجال يوم بيوم
بدر اعل هبل اي اظهر دينك فقال رسول الله لعمر قم يا عمر فاجبه فقل الله اعلى واجل لا سواء
قتلانا في الجنة وقتلاكم في النار فقال له ابو سفيان هلم الي يا عمر فقال رسول الله لعمر
ائته فانظر ما شانه فجاءه فقال له ابو سفيان انشدك الله يا عمر اقتلنا محمدا فقال
عمر اللهم لا وانه ليسمع كلامك الان قال انت عندي اصدق من ابن قمئة وابر قال
ابن اسحاق ثم نادى ابو سفيان انه قد كان في قتلاكم مثل والله ما رضيت وما سخطت
وما نهيت ولا امرت قال ولما انصرف ابو سفيان نادى ان موعدكم بدر العام القابل فقال
رسول الله لرجل من اصحابه قل نعم هو بيننا وبينك موعد قال ابن اسحاق ثم بعث رسول
الله صلى الله عليه وسلم علي بن ابي طالب فقال اخرج في اثار القوم فانظر ماذا يصنعون
وما ذا يريدون فان كانوا قد جنبوا الخيل وامتطوا الابل فانهم يريدون مكة وان ركبوا
الخيل وساقوا الابل فانهم يريدون المدينة والذي نفسي بيده لئن ارادوها لاسيرن اليهم
فيها ثم لاناجزنهم قال علي فخرجت في اثارهم انظر ماذا يصنعون فجنبوا الخيل وامتطوا
الابل ووجهوا الى مكة

ذكر دعاء النبي صلى الله عليه وسلم يوم الوقعة يوم احد

قال الامام احمد ثنا مروان بن معاوية الفزاري ثنا عبد الواحد بن ايمن المكي عن ابن رفاعة
الزرقي عن ابيه قال لما كان يوم احد وانكفا المشركون قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
استووا حتى اثني على ربي عز وجل فصاروا خلفه صفوفا فقال اللهم لك الحمد كله لا قابض
لما بسطت ولا باسط لما قبضت ولا هادي لمن اضللت ولا مضل لمن هديت ولا معطي لما
منعت ولا مقرب لما باعدت ولا مباعد لما قربت اللهم ابسط علينا من بركاتك ورحمتك ولا مانع لما اعطيت م
وفضلك ورزقك اللهم اني اسالك النعيم المقيم الذي لا يحول ولا يزول اللهم اني اسالك
النعيم يوم العيلة والامن يوم الخوف اللهم عائذ بك من شر ما اعطيتنا وشر ما منعتنا اللهم
حبب الينا الايمان وزينه في قلوبنا وكره الينا الكفر والفسوق والعصيان واجعلنا من
الراشدين اللهم توفنا مسلمين واحينا مسلمين والحقنا بالصالحين غير خزايا ولا
مفتونين اللهم قاتل الكفرة الذين يكذبون رسلك ويصدون عن سبيلك واجعل عليهم
رجزك وعذابك اللهم قاتل الكفرة الذين اوتوا الكتاب اله الحق ورواه النسائي في اليوم والليلة
عن زياد بن ايوب عن مروان بن معاوية عن عبد الواحد بن ايمن عن عبيد بن رفاعة عن ابيه

فصل قال ابن اسحاق وفرغ الناس لقتلاهم فحدثني محمد بن عبد الله بن عبد
الرحمن بن ابي صعصعة المازني اخو بني النجار ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
من رجل ينظر لي ما فعل سعد بن الربيع افي الاحيا هو ام في الاموات فقال رجل من الانصار
انا فنظر فوجده جريحا في القتلى وبه رمق قال فقلت له ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
امرني ان انظر في الاحيا انت ام في الاموات فقال انا في الاموات فابلغ رسول الله صلى الله
عليه وسلم عني السلام وقل له ان سعد بن الربيع يقول لك جزاك الله عنا خير ما جزى نبيا
عن امته وابلغ قومك عني السلام وقل لهم ان سعد بن الربيع يقول
لكم انه لا عذر لكم عند الله ان خلص الى نبيكم ومنكم عين تطرف قال ثم لم ابرح حتى مات قال
فجئت النبي صلى الله عليه وسلم فاخبرته خبره **قلت** كان الرجل الذي التمس سعدا
في القتلى محمد بن مسلمة فيما ذكره محمد بن عمر الواقدي وذكر انه ناداه مرتين فلم يجبه فلما قال
ان رسول الله امرني ان انظر خبرك اجابه بصوت ضعيف وذكره وقال الشيخ ابو عمر
في الاستيعاب كان الرجل الذي التمس سعدا ابي بن كعب فالله اعلم وكان سعد بن الربيع من
النقباء ليلة العقبة رضي الله عنه وهو الذي آخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بينه
وبين عبد الرحمن بن عوف قال ابن اسحاق وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما
بلغني يلتمس حمزة بن عبد المطلب فوجده ببطن الوادي قد بقر بطنه عن كبده ومثل
به فجدع انفه واذناه فحدثني محمد بن جعفر بن الزبير ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
حين راى ما راى لولا ان تحزن صفية وتكون سنة من بعدي لتركته حتى يكون في بطون السباع
وحواصل الطير ولئن اظهرني الله على قريش في موطن من المواطن لامثلن بثلاثين رجلا منهم
فلما راى المسلمون جزع رسول الله صلى الله عليه وسلم وغيظه على من فعل بعمه ما فعل قالوا
والله لئن اظفرنا الله بهم يوما من الدهر لنمثلن بهم مثلة لم يمثلها احد من العرب قال
ابن اسحاق فحدثني بريدة بن سفيان بن فروة الاسلمي عن محمد بن كعب وحدثني من لا اتهم عن ابن عباس
ان الله انزل في ذلك وان عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ولئن صبرتم لهو خير للصابرين
واصبر وما صبرك الا بالله الاية قال فعفا رسول الله وصبر ونهى عن المثلة قلت هذه
الاية مكية وقصة احد بعد الهجرة بثلاث سنين فكيف يلتئم هذا فالله اعلم
قال وحدثني حميد الطويل عن الحسن عن سمرة قال ما قام رسول الله في مقام قط ففارقه
حتى يامر بالصدقة وينهى عن المثلة وقال ابن هشام ولما وقف النبي صلى الله عليه وسلم
على حمزة قال لن اصاب بمثلك ابدا ما وقفت موقفا قط اغيظ الي من هذا ثم قال
جاءني جبريل فاخبرني ان حمزة مكتوب في السموات السبع حمزة بن عبد المطلب اسد الله واسد
رسوله قال ابن هشام وكان حمزة وابو سلمة بن عبد الاسد اخوي رسول الله صلى الله عليه
وسلم من الرضاعة ارضعتهم ثلاثتهم ثويبة مولاة ابي لهب

ذكر الصلاة على حمزة وقتلى احد

قال ابن اسحاق وحدثني من لا اتهم عن مقسم عن ابن عباس قال امر رسول الله صلى الله عليه وسلم
بحمزة فسجي ببردة ثم صلى عليه فكبر سبع تكبيرات ثم اتي بالقتلى يوضعون الى حمزة فصلى عليهم
وعليه معهم حتى صلى عليه ثنتين وسبعين صلاة وهذا غريب وسنده ضعيف قال السهيلي ولم
يقل به احد من علماء الامصار وقد قال الامام احمد ثنا عفان ثنا حماد ثنا عطا بن السائب عن

الشعبي عن ابن مسعود قال ان النساء كن يوم احد خلف المسلمين يجهزن على جرحى المشركين
فلو حلفت يومئذ رجوت ان ابر انه ليس احد منا يريد الدنيا حتى انزل الله منكم من يريد الدنيا
ومنكم من يريد الاخرة ثم صرفكم عنهم ليبتليكم فلما خالف اصحاب رسول الله صلى الله
عليه وسلم وعصوا ما امروا به افرد رسول الله في تسعة سبعة من الانصار ورجلين من
قريش وهو عاشرهم فلما رهقوه قال رحم الله رجلا ردهم عنا فلم يزل يقول ذا حتى قتل
السبعة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لصاحبيه ما انصفنا اصحابنا
فجاء ابو سفيان فقال اعل هبل فقال رسول الله قولوا الله اعلى واجل فقالوا الله اعلى
واجل فقال ابو سفيان لنا العزى ولا عزى لكم فقال رسول الله قولوا الله مولانا ولا مولى
لكم ثم قال ابو سفيان يوم بيوم بدر يوم لنا ويوم علينا يوم نساء ويوم نسر حنظلة
بحنظلة وفلان بفلان فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا سواء اما قتلانا فاحياء
يرزقون وقتلاكم في النار يعذبون قال ابو سفيان قد كانت في القوم مثلة وان كانت
لعن غير ملا منا ما امرت ولا نهيت ولا احببت ولا كرهت ولا ساءني ولا سرني قال فنظروا
فاذا حمزة قد بقر بطنه واخذت هند كبده فلاكتها فلم تستطع ان تاكلها فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم اكلت شيئا قالوا لا قال ما كان الله ليدخل شيئا من حمزة في النار قال
فوضع رسول الله صلى الله عليه وسلم حمزة فصلى عليه وجيء برجل من الانصار فوضع الى جنبه
فصلى عليه فرفع الانصاري وترك حمزة ثم جيء باخر فوضعه الى جنب حمزة فصلى عليه ثم رفع وترك
حمزة حتى صلى عليه يومئذ سبعين صلاة تفرد به احمد وهذا اسناد فيه ضعف ايضا من جهة
عطا بن السائب والله اعلم والذي رواه البخاري اثبت حيث قال ثنا قتيبة ثنا الليث
عن ابن شهاب عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك ان جابر بن عبد الله اخبره ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم كان يجمع بين الرجلين من قتلى احد في ثوب واحد ثم يقول ايهم اكثر اخذا للقران
فاذا اشير له الى احدهما قدمه في اللحد وقال انا شهيد على هولاء يوم القيامة وامر بدفنهم
بدمائهم ولم يصل عليهم ولم يغسلوا تفرد به البخاري دون مسلم ورواه اهل السنن من
حديث الليث بن سعد به وقال احمد ثنا محمد يعني ابن جعفر ثنا شعبة سمعت عبد ربه يحدث
عن الزهري عن ابن جابر عن جابر بن عبد الله عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال في قتلى احد
ان كل جرح او كل كلم او كل دم يفوح مسكا يوم القيامة ولم يصل عليهم وثبت انه صلى عليهم بعد
ذلك سنين عديدة قبل وفاته بيسير كما قال البخاري بيسير كما قال البخاري حدثنا
محمد بن عبد الرحيم ثنا زكريا بن عدي انا ابن المبارك عن حيوة عن يزيد بن ابي حبيب عن ابي الخير
عن عقبة بن عامر قال صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم على قتلى احد بعد ثماني سنين
كالمودع للاحياء والاموات ثم طلع المنبر فقال اني بين ايديكم فرط وانا عليكم شهيد وان
موعدكم الحوض واني لانظر اليه من مقامي هذا واني لست اخشى عليكم ان تشركوا ولكن اخشى
عليكم الدنيا ان تنافسوها قال فكانت اخر نظرة نظرتها الى رسول الله صلى الله عليه
وسلم ورواه البخاري في مواضع اخر ومسلم وابو داود والنسائي من حديث يزيد بن ابي
حبيب بنحوه وقال الاموي حدثني ابي حدثنا الحسن بن عمارة عن حبيب بن ابي ثابت قال قالت
عائشة خرجنا من السحر فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم الى احد نستطلع الخبر حتى اذا
طلع الفجر اذا رجل محتجز يشتد ويقول لبث قليلا يشهد الهيجا حمل قال فنظرنا فاذا

قال فقام رجل من الانصار فقاتل ساعة حتى قتل فلم يزل هكذا
ايضا قال رحم الله رجلا ردهم عنا

رفع حم

اسيد بن حضير ثم مكثنا بعد ذلك فاذا بعير قد اقبل عليه امراة بين وسقين قالت فدنونا منها فاذا هي امراة عمرو بن الجموح فقلنا لها ما الخبر قالت دفع الله عن رسول الله صلى الله عليه وسلم واتخذ الله من المؤمنين شهداء ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيرا وكفى الله المؤمنين القتال وكان الله قويا عزيزا ثم قالت لبعيرها حل ثم نزلت فقلنا لها ما هذا قالت اخي وزوجي وقال ابن اسحاق وقد اقبلت صفية بنت عبد المطلب لتنظر اليه وكان اخاها لابيها وامها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لابنها الزبير بن العوام القها فارجعها لا ترى ما باخيها فقال لها يا امه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يامرك ان ترجعي قالت ولم وقد بلغني انه مثل باخي وذلك في الله فما ارضانا بما كان من ذلك لاحتسبن ولاصبرن ان شاء الله فلما جاء الزبير الى رسول الله واخبره بذلك قال خل سبيلها فاتته فنظرت اليه فصلت عليه واسترجعت واستغفرت قال ابن اسحاق ثم امر به رسول الله صلى الله عليه وسلم فدفن ودفن معه ابن اخته عبد الله بن جحش وامه اميمة بنت عبد المطلب وكان قد مثل به غير انه لم يبقر عن كبده رضي الله عنهما قال السهيلي وكان يقال له المجدع في الله قال وذكر سعد انه هو وعبد الله بن جحش دعيا بدعوة في اول النهار فاستجيب لهما ثم دعا سعد ان يلقى فارسا من المشركين فيقتله ويستلبه فكان ذلك ودعا عبد الله بن جحش ان يلقاه فارس فيقتله ويجدع انفه في الله فكان ذلك وذكر الزبير بن بكار ان سيفه يومئذ انقطع فاعطاه رسول الله عرجونا فصار في يد عبد الله بن جحش سيفا فقاتل به ثم بيع في تركة بعض ولده بمائتي دينار وهذا كما تقدم لعكاشة في يوم بدر وقد تقدم في صحيح البخاري ايضا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يجمع بين الرجلين والثلاثة في القبر الواحد بل في الكفن الواحد وانما رخص لهم في ذلك لما بالمسلمين من الجراح التي تشق معها ان يحفروا لكل واحد واحد ويقدم في اللحد اكثرهما اخذا للقرآن وكان يجمع بين الرجلين المتصاحبين في اللحد الواحد كما جمع بين عبد الله بن عمرو بن حرام والد جابر وبين عمرو بن الجموح لانهما كانا متصافيين ولم يغسلوا بل تركهم بجراحهم ودمائهم كما روى ابن اسحاق عن الزهري عن عبد الله بن ثعلبة بن صعير ان رسول الله لما اشرف على القتلى يوم احد قال انا شهيد على هؤلاء انه ما من جريح يجرح في سبيل الله الا والله يبعثه يوم القيامة يدمى جرحه اللون لون الدم والريح ريح مسك قال وحدثني عمي موسى بن يسار انه سمع ابا هريرة يقول قال ابو القاسم صلى الله عليه وسلم ما من جريح يجرح في الله الا والله يبعثه يوم القيامة وجرحه يدمى اللون لون الدم والريح ريح مسك وهذا الحديث ثابت في الصحيحين من غير هذا الوجه وقال الامام احمد ثنا علي بن عاصم عن عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال امر رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم احد بالشهداء ان ينزع عنهم الحديد والجلود وقال ادفنوهم بدمائهم وثيابهم ورواه ابو داود وابن ماجه من حديث علي بن عاصم به وقال ابو داود في سننه ثنا القعنبي ان سليمان بن المغيرة حدثهم عن حميد بن هلال عن هشام بن عامر انه قال جاءت الانصار الى رسول الله يوم احد فقالوا قد اصابنا قرح وجهد فكيف تامر قال احفروا واوسعوا واجعلوا الرجلين والثلاثة في القبر الواحد قيل يا رسول الله فايهم يقدم قال اكثرهم قرآنا ثم رواه من حديث الثوري عن ايوب عن حميد بن هلال عن هشام بن عامر فذكره وزاد واعمقوا قال ابن اسحاق وقد احتمل ناس من المسلمين قتلاهم الى المدينة فدفنوهم بها

ثم نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك وقال ادفنوهم حيث صرعوا وقد قال الامام احمد ثنا علي بن اسحاق ثنا عبد الله وعتاب انا عبد الله انا عمر بن سلمة بن ابي يزيد المدني حدثني ابي سمعت جابر بن عبد الله يقول استشهد ابي باحد فارسلني اخواتي اليه بناضح لهن فقلن اذهب فاحتمل اباك على هذا الجمل فادفنه في مقبرة بني سلمة قال فجئته واعوان لي فبلغ ذلك نبي الله وهو جالس باحد فدعاني فقال والذي نفسي بيده لا يدفن الا مع اخوته فدفن مع اصحابه باحد تفرد به احمد وقال احمد ثنا محمد بن جعفر ثنا شعبة عن الاسود بن قيس عن نبيح عن جابر بن عبد الله ان قتلى احد حملوا من مكانهم فنادى منادي النبي صلى الله عليه وسلم ان ردوا القتلى الى مضاجعهم وقد رواه ابو داود والنسائي من حديث الثوري والترمذي من حديث شعبة والنسائي ايضا وابن ماجه من حديث سفيان بن عيينة كلهم عن الاسود بن قيس به وذكر الواقدي ان معاوية لما اراد ان يجري الكظامة نادى مناديه من كان له قتيل باحد فليشهد قال جابر فحفرنا عنهم فوجدت ابي في قبره كانما هو نائم على هيئته ووجدنا جاره في قبره عمرو بن الجموح ويده على جرحه فازيلت عنه فانبعث جرحه دما ويقال انه فاح من قبورهم مثل ريح المسك رضي الله عنهم اجمعين وذلك بعد ست واربعين سنة من يوم دفنوا وقد قال البخاري حدثنا مسدد ثنا بشر بن المفضل ثنا حسين المعلم عن عطاء عن جابر قال لما حضر احد دعاني ابي من الليل فقال لي ما اراني الا مقتولا في اول من يقتل من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم واني لا اترك بعدي اعز علي منك غير نفس رسول الله وان علي دينا فاقض واستوص باخواتك خيرا فاصبحنا فكان اول قتيل ودفنت معه آخر في قبر ثم لم تطب نفسي ان اتركه مع آخر فاستخرجته بعد ستة اشهر فاذا هو كيوم وضعته هنية غير اذنه وثبت في الصحيحين من حديث شعبة عن محمد بن المنكدر عن جابر انه لما قتل ابوه جعل يكشف عنه الثوب ويبكي فنهاه الناس فقال رسول الله تبكيه او لا تبكيه لم تزل الملائكة تظله باجنحتها حتى رفعتموه وفي رواية ان عمته هي الباكية وقال البيهقي انا ابو عبد الله الحافظ وابو بكر احمد بن الحسن القاضي قالا ثنا ابو العباس محمد بن يعقوب ثنا محمد بن اسحاق ثنا مسعر بن دينار البصري ثنا ابو عبادة الانصاري عن الزهري عن عروة عن عائشة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لجابر يا جابر الا ابشرك قال بلى بشرك الله بالخير فقال اشعرت ان الله احيا اباك فقال تمن علي عبدي ما شئت اعطكه قال يا رب ما عبدتك حق عبادتك اتمنى عليك ان تردني الى الدنيا فاقاتل مع نبيك واقتل فيك مرة اخرى قال انه سلف مني انه اليها لا يرجع وقال البيهقي انا ابو الحسين محمد بن ابي المعروف الاسفرائيني ثنا ابو سهل بشر بن احمد انا احمد بن الحسين بن نصر ثنا علي بن المديني ثنا موسى بن ابراهيم بن بشير بن الفاكه الانصاري سمعت طلحة بن خراش بن عبد الرحمن بن الصمة الانصاري ثم السلمي قال سمعت جابر بن عبد الله قال نظر الي رسول الله فقال ما لي اراك مهتما قال قلت يا رسول الله قتل ابي وترك دينا وعيالا فقال الا اخبرك ما كلم الله احدا قط الا من وراء حجاب وانه كلم اباك كفاحا وقال له يا عبدي سلني اعطك قال اسالك ان تردني الى الدنيا فاقتل فيك ثانيا فقال انه قد سبق مني انهم اليها لا يرجعون قال يا رب فابلغ من ورائي فانزل الله ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله امواتا بل احياء عند ربهم يرزقون الاية وقال ابن اسحاق وحدثني بعض اصحابنا عن عبد الله بن محمد بن عقيل سمعت جابرا يقول قال لي رسول

الله الا ابشرك يا جابر قال قلت بلى قال ان اباك حيث اصيب باحد احياه الله ثم قال
له ما تحب يا عبد الله بن عمرو ان افعل بك قال اي رب احب ان ترد بي الى الدنيا فاقاتلك
فيك فاقتل فيك مرة اخرى وقد رواه الامام احمد عن علي بن المديني عن سفيان بن عيينة
عن محمد بن علي عن ابن عقيل عن جابر فذكره قال الله اني قضيت انهم اليها لا يرجعون وقال
احمد ثنا عفان ثنا ابو عوانة ثنا الاسود بن قيس عن نبيح العنزي عن جابر بن عبد الله
قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من المدينة الى المشركين ليقاتلهم وقال لي ابي
عبد الله يا جابر لا عليك ان تكون في نظارة اهل المدينة حتى تعلم الى ما يصير امرنا فاني والله
لولا اني اترك بنات لي بعدي لاحببت ان تقتل بين يدي قال فبينا انا في النظارين
اذ جاءت عمتي بابي وخالي عادلتهما على ناضح فدخلت بهما المدينة لتدفنهما في مقابرنا اذ لحق رجل
ينادي الا ان النبي صلى الله عليه وسلم يامركم ان ترجعوا بالقتلى فتدفنوها في مصارعها حيث
قتلت فرجعنا بهما فدفناهما حيث قتلا فبينا انا في خلافة معاوية بن ابي سفيان اذ جاءني
رجل فقال يا جابر بن عبد الله والله لقد اثار اباك عمال معاوية فبدا فخرج طائفة منه فاتيته
فوجدته على النحو الذي دفنته لم يتغير الا ما لم يدع القتل او القتيل فواريته ثم ساق الامام احمد
قصة وفاء دين ابيه كما هو ثابت في الصحيحين وقال احمد ثنا يعقوب ثنا ابي عن ابن
اسحاق حدثني عاصم بن عمر بن قتادة عن عبد الرحمن بن جابر بن عبد الله عن جابر بن عبد الله
قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اذا ذكر اصحاب احد اما والله لوددت
اني غودرت مع اصحاب بحضن الجبل يعني سفح الجبل وقد قال ابن ماجة ثنا محمد بن يحيى ثنا
اسحاق بن محمد الفروي ثنا عبد الله بن عمر عن ابراهيم بن محمد بن عبد الله بن جحش عن ابيه
عن حمنة بنت جحش انه قيل لها قتل اخوك فقالت رحمه الله وانا لله وانا اليه راجعون
فقالوا قتل زوجك فقالت واحزناه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان للزوج من
المراة لشعبة ما هي لشيء

فصل في عدد الشهداء

قال موسى بن عقبة جميع من استشهد من الشهداء يوم احد من المهاجرين والانصار تسعة واربعون رجلا
وقد ثبت في الحديث الصحيح عند البخاري عن البراء انهم قتلوا من المسلمين سبعين رجلا فالله
اعلم وقال قتادة عن انس قتل من الانصار يوم احد سبعون ويوم بير معونة سبعون
ويوم اليمامة سبعون وقال حماد بن سلمة عن ثابت عن انس انه كان يقول يا رب السبعين
يوم احد ويوم بير معونة ويوم مؤتة ويوم اليمامة وقال مالك عن يحيى بن سعيد الانصاري
عن سعيد بن المسيب قتل من الانصار يوم احد ويوم اليمامة سبعون ويوم جسر ابي عبيد سبعون
سبعون وهكذا قال عكرمة وعروة والزهري ومحمد بن اسحاق في قتلى احد ويشهد له قوله تعالى
اولما اصابتكم مصيبة قد اصبتم مثليها يعني انهم قتلوا يوم بدر سبعين واسروا سبعين
وعد ابن اسحاق من قتل من الانصار يوم احد خمسة وستون وكلامه في السيرة يدل على انه قتل
من المسلمين يومئذ خمسة وستون اربعة من المهاجرين حمزة وعبد الله بن جحش ومصعب
بن عمير وشماس بن عثمان والباقون من الانصار وسرد اسماءهم على قبائلهم وقد استدرك عليه
ابن هشام على ذلك زيادة خمسة اخرين فصاروا سبعين على قول ابن هشام وسرد ابن
اسحاق اسماء الذين قتلوا من المشركين وهم اثنان وعشرون رجلا وقال عروة بن الزبير كان
الشهداء يوم احد اربعة او قال سبعة واربعون وقال موسى بن عقبة تسعة واربعون وقال

موسى وقتل من المشركين يومئذ ستة عشر رجلا وقال عروة تسعة عشر وقال ابن اسحاق
اثنان وعشرون وقال الربيع عن الشافعي ولم يؤسر من المشركين سوى ابي عزة الجمحي وقد كان
في الاسارى يوم بدر فمن عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم بلا فدية واشترط عليه ان
لا يقاتله فلما اسر يوم احد قال يا محمد امنن علي لبناتي واعاهد ان لا اقاتلك فقال له
رسول الله صلى الله عليه وسلم لا ادعك تمسح عارضيك بمكة وتقول خدعت محمدا مرتين
ثم امر به فضربت عنقه وذكر بعضهم انه يومئذ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يلدغ
المؤمن من جحر مرتين وقد روى البيهقي من حديث عبد الاعلى بن عبد الله بن ابي فروة عن قطن بن
وهب عن عبيد بن عمير عن ابي هريرة ان رسول الله حين انصرف من احد مر على مصعب بن
عمير وهو مقتول على طريقه فوقف عليه ودعا له ثم تلا من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا
الله عليه الاية ثم قال اشهد ان هؤلاء شهداء عند الله يوم القيامة فاتوهم وزوروهم والذي
نفسي بيده لا يسلم عليهم احد الى يوم القيامة الا ردوا عليه وهذا حديث غريب وروي عن
عبيد بن عمير عن ابي ذر وروي عن عبيد بن عمير مرسلا وروى البيهقي من حديث موسى بن
يعقوب عن عباد بن ابي صالح عن ابيه عن ابي هريرة قال كان النبي صلى الله عليه وسلم ياتي
قبور الشهداء فاذا اتى فرضة الشعب قال السلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار ثم
كان ابو بكر بعد النبي صلى الله عليه وسلم يفعله وكان عمر بعد ابي بكر يفعله وكان عثمان بعد
عمر يفعله وقال الواقدي كان النبي صلى الله عليه وسلم يزورهم كل حول فاذا تعره الشعب
يقول السلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار ثم كان ابو بكر يفعل ذلك كل حول ثم عمر ثم عثمان
وكانت فاطمة بنت رسول الله تاتيهم فتبكي عندهم وتدعو لهم وكان سعد يسلم ثم يقبل على
اصحابه فيقول الا تسلمون على قوم يردون عليكم السلام ثم حكى زيارتهم عن ابي سعيد وابي
هريرة وعبد الله بن عمر وام سلمة رضي الله عنهم وقال ابن ابي الدنيا حدثني ابراهيم حدثني الحكم
بن نافع ثنا العطاف بن خالد حدثتني خالتي قالت ركبت يوما الى قبور الشهداء وكانت
لا تزال تاتيهم قالت فنزلت عند قبر حمزة فصليت ما شاء الله ان اصلي وما في الوادي داع
ولا مجيب يتحرك الا غلاما قائما اخذ براس دابتي فلما فرغت من صلاتي قلت هكذا بيدي
السلام عليكم قالت فسمعت رد السلام علي يخرج من تحت الارض اعرفه كما اعرف ان الله عز وجل
خلقني وكما اعرف الليل والنهار فاقشعرت كل شعرة مني وقال محمد بن اسحاق عن اسماعيل
بن امية عن ابي الزبير عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال قال النبي صلى الله عليه وسلم لما
اصيب اخوانكم باحد جعل ارواحهم في اجواف طير خضر ترد انهار الجنة وتاكل من ثمارها
وتاوي الى قناديل من ذهب معلقة في ظل العرش فلما وجدوا طيب ماكلهم ومشربهم ومقيلهم
قالوا ليت من يبلغ اخواننا عنا انا احياء في الجنة نرزق لئلا ينكلوا عند الحرب ولا يزهدوا
في الجهاد قال الله عز وجل انا ابلغهم عنكم فانزل الله في الكتاب قوله تعالى ولا تحسبن الذين
قتلوا في سبيل الله امواتا بل احياء عند ربهم يرزقون وروى مسلم والبيهقي من حديث
ابي معاوية عن الاعمش عن عبد الله بن مرة عن مسروق قال سالنا عبد الله بن مسعود عن
هذه الاية ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله امواتا بل احياء عند ربهم يرزقون قال اما
انا قد سالنا عن ذلك ارواحهم كطير خضر تسرح في ايها شاءت ثم تاوي الى قناديل معلقة بالعرش
قال فبينما هم كذلك اذ اطلع عليهم ربك اطلاعة فقال سلوني ما شئتم فقالوا ربنا ما نسالك

ونحن نسرح في الجنة في ايها شئنا فلما راوا ان لا يتركوا من ان يسالوا قالوا نسالك ان
ترد ارواحنا الى اجسادنا في الدنيا نقتل في سبيلك فلما راى انهم لا يسالون الا ذلك
تركوا **فصل** قال ابن اسحاق ثم انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم
الى المدينة فلقيته حمنة ابنة جحش كما ذكر لي فلما لقيت الناس نعي اليها اخوها عبد الله بن جحش
فاسترجعت واستغفرت له ثم نعي اليها خالها حمزة بن عبد المطلب فاسترجعت واستغفرت
له ثم نعي اليها زوجها مصعب بن عمير فصاحت وولولت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان زوج المراة منها لبمكان لما راى من تثبتها عند اخيها وخالها وصياحها على زوجها وقد
قال ابن ماجه حدثنا محمد بن يحيى ثنا اسحاق بن محمد الفروي ثنا عبد الله بن عمر عن ابراهيم
ابن محمد بن عبد الله بن جحش عن ابيه عن حمنة بنت جحش انه قيل لها قتل اخوك فقالت
رحمه الله وانا لله وانا اليه راجعون قالوا قتل زوجك قالت واحرباه فقال رسول الله صلى
الله عليه وسلم ان للزوج من المراة لشعبة ما هي لشيء قال ابن اسحاق وحدثني عبد الواحد
بن ابي عون عن اسماعيل بن محمد بن سعد بن ابي وقاص قال مر رسول الله صلى الله عليه وسلم بامراة
من بني دينار وقد اصيب زوجها واخوها وابوها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم باحد
فلما نعوا لها قالت فما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا خيرا يا ام فلان هو بحمد الله كما
تحبين قالت ارونيه حتى انظر اليه قال فاشير لها اليه حتى اذا راته قالت كل مصيبة
بعدك جلل قال ابن هشام الجلل من القليل ومن الكثير وهو هنا القليل قال امرؤ القيس

كقتل بني اسد ربهم • الا كل شيء سواه جلل •

اي صغير وقليل قال ابن اسحاق فلما انتهى رسول الله صلى الله عليه وسلم الى اهله ناول
سيفه ابنته فاطمة فقال اغسلي عن هذا دمه يا بنية فوالله لقد صدقني اليوم وناولها
علي بن ابي طالب سيفه فقال وهذا فاغسلي عنه دمه فوالله لقد صدقني اليوم فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم لئن كنت صدقت القتال لقد صدق معك سهل بن حنيف
وابو دجانة وقال موسى بن عقبة في موضع اخر ولما راى رسول الله سيف علي مخضبا بالدم
قال ان كنت احسنت القتال فقد احسن عاصم بن ثابت بن ابي الافلح والحرث بن الصمة وسهل
بن حنيف وروى البيهقي عن سفيان بن عيينة عن عمرو بن دينار عن عكرمة عن ابن عباس
قال جاء علي بن ابي طالب بسيفه يوم احد وقد انحنى فقال لفاطمة هاك السيف
حميدا فانها قد شفتني فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم لئن كنت اجدت الضرب
بسيفك لقد اجاده سهل بن حنيف وابو دجانة وعاصم بن ثابت والحرث بن الصمة قال
ابن هشام وسيف رسول الله صلى الله عليه وسلم هو ذو الفقار قال وقد حدثني بعض
اهل العلم عن ابن ابي نجيح قال نادى مناد يوم احد لا سيف الا ذو الفقار ولا فتى الا علي
قال وحدثني بعض اهل العلم ان رسول الله قال لعلي لا يصيب المشركون منا مثلها حتى يفتح
الله علينا قال ابن اسحاق ومر رسول الله صلى الله عليه وسلم بدار بني عبد الاشهل فسمع البكا
والنوائح على قتلاهم فذرفت عينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فبكى ثم قال لكن حمزة لا بواكي
له فلما رجع سعد بن معاذ واسيد بن حضير الى دار بني عبد الاشهل امرا نساءهم ان يتحزمن ثم
يذهبن فيبكين على عم رسول الله صلى الله عليه وسلم فحدثني حكيم بن حكيم بن عباد بن حنيف
عن بعض رجال بني عبد الاشهل قال لما سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بكاءهن على حمزة

خرج عليهن وهن على باب مسجده يبكين عليه فقال ارجعن يرحمكن الله فقد اسيتن بانفسكن
قال ونهى رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ عن النوح فيما قال ابن هشام وهذا الذي
ذكره ابن اسحاق منقطع ومنه مرسل وقد اسنده الامام احمد فقال ثنا زيد بن الحباب حدثني
اسامة بن زيد حدثني نافع عن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما رجع من احد فجعل
نساء الانصار يبكين على من قتل من ازواجهن قال فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكن
حمزة لا بواكي له قال ثم نام فاستنبه وهن يبكين قال فهن اليوم اذا يبكين يندبن
حمزة وقال موسى بن عقبة ولما دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم ازقة المدينة اذا النوح
والبكا في الدور فقال ما هذا قالوا هذه نساء الانصار يبكين قتلاهم فقال لكن حمزة لا بواكي
له واستغفر له فسمع ذلك سعد بن معاذ وسعد بن عبادة ومعاذ بن جبل وعبد الله بن رواحة
فمشوا الى دورهم فجمعوا كل نائحة باكية كانت بالمدينة فقالوا والله لا يبكين
قتلى الانصار حتى يبكين عم النبي صلى الله عليه وسلم فانه قد ذكر انه لا بواكي له بالمدينة وزعموا
ان الذي جاء بالنوائح عبد الله بن رواحة فلما سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بالبكا قال
ما هذا فاخبر بما فعلت الانصار بنسائهم فاستغفر لهم وقال لهم خيرا وقال ما هذا اردت
وما احب البكا ونهى عنه وهكذا ذكر ابن لهيعة عن ابي الاسود عن عروة بن الزبير سوا قال
موسى بن عقبة واخذ المنافقون عند بكاء المسلمين في المكر والتفريق عن رسول الله وتحزين
المومنين وظهر غش اليهود وفارت المدينة بالنفاق فور المرجل وقالت اليهود لو كان
نبيا ما ظهروا عليه ولا اصيب منه ما اصيب ولكنه طالب ملك يكون له الدولة مرة
وعليه اخرى وقال المنافقون مثل قولهم وقالوا للمسلمين لو كنتم اطعتمونا ما اصابوا الذي
اصابوا منكم قال فانزل الله القران في طاعة من اطاع ونفاق من نافق وتعزية المسلمين
يعني فيمن قتل منهم فقال واذ غدوت من اهلك تبوئ المومنين مقاعد للقتال والله
سميع عليم الايات كلها كما تكلمنا على ذلك في التفسير ولله الحمد والمنة

ذكر خروج النبي صلى الله عليه وسلم باصحابه على ما بهم من القرح والجراح في اثر ابي سفيان

ارهابا له ولاصحابه حتى بلغ حمراء الاسد وهي على ثمانية اميال من المدينة قال موسى بن عقبة بعد
اقتصاصه وقعة احد وذكره رجوعه عليه السلام الى المدينة وقدم رجل من اهل مكة على رسول
الله صلى الله عليه وسلم فسال عن ابي سفيان واصحابه فقال نازلتهم فسمعتهم يتلاومون
ويقول بعضهم لبعض لم تصنعوا شيا اصبتم شوكة القوم وحدهم ثم تركتموهم ولم تبيدوهم
فقد بقي منهم رؤس يجمعون لكم فامر رسول الله صلى الله عليه وسلم اصحابه وبهم اشد
القرح بطلب العدو وليسمعوا بذلك وقال لا ينطلقن معي الا من شهد القتال فقال
عبد الله بن ابي انا راكب معك فقال لا فاستجابوا لله ولرسوله على الذي بهم من البلاء فانطلقوا
فقال الله في كتابه الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما اصابهم القرح للذين احسنوا
منهم واتقوا اجر عظيم قال واذن رسول الله لجابر بن عبد الله حين ذكر ان اباه امره بالمقام
في المدينة على اخواته قال وطلب رسول الله العدو حتى بلغ حمراء الاسد وهكذا روى ابن لهيعة
عن ابي الاسود عن عروة بن الزبير سوا وقال محمد بن اسحاق في مغازيه وكان يوم احد يوم السبت
للنصف من شوال فلما كان الغد من يوم الاحد لست عشرة ليلة مضت من شوال اذن مؤذن
رسول الله صلى الله عليه وسلم في الناس بطلب العدو واذن مؤذنه ان لا يخرجن احد الا من حضر

وقد رواه ابن ماجه عن هارون بن سعيد عن ابن وهب عن اسامة بن زيد
الليثي عن نافع عن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم مر بنساء عبد الاشهل
يبكين هلكاهن يوم احد فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لكن حمزة لا بواكي له
فجاء نساء الانصار يبكين حمزة فاستيقظ رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال
ويحهن ما انقلبن بعد مروهن فلينقلبن ولا يبكين على هالك بعد اليوم
صح

يومئذ بالامس فكلمه جابر بن عبد الله فاذن له قال ابن اسحاق وانما خرج رسول الله مرهبا للعدو
وليبلغهم انه خرج في طلبهم ليظنوا به قوة وان الذي اصابهم لم يوهنهم عن عدوهم قال
ابن اسحاق رح فحدثني عبد الله بن خارجة بن زيد بن ثابت عن ابي السائب مولى عائشة
بنت عثمان ان رجلا من بني عبد الاشهل قال شهدت احدا انا واخ لي فرجعنا جريحين فلما اذن
مؤذن رسول الله بالخروج في طلب العدو قلت لاخي وقال لي أتفوتنا غزوة مع رسول الله
صلى الله عليه وسلم والله ما لنا من دابة نركبها وما منا الا جريح ثقيل فخرجنا مع رسول الله
صلى الله عليه وسلم وكنت ايسر جرحا منه فكان اذا غلب حملته عقبة ومشى عقبة حتى انتهينا الى ها انتهى م
الى ما انتهى اليه المسلمون قال ابن اسحاق فخرج رسول الله حتى انتهى الى حمراء الاسد وهي من المدينة على
ثمانية اميال فاقام بها الاثنين والثلاثاء والاربعاء ثم رجع الى المدينة قال ابن هشام وقد
كان استعمل على المدينة ابن ام مكتوم قال ابن اسحاق حدثني عبد الله بن ابي بكر ان معبد بن
ابي معبد الخزاعي وكانت خزاعة عيبة نصح لرسول الله مسلمهم وكافرهم بتهامة صفقتهم
معه لا يخفون عنه شيئا كان بها ومعبد يومئذ مشرك مر برسول الله صلى الله عليه وسلم وهو
مقيم بحمراء الاسد فقال يا محمد اما والله لقد عز علينا ما اصابك في اصحابك ولوددنا
ان الله عافاك فيهم ثم خرج ورسول الله صلى الله عليه وسلم بحمراء الاسد حتى لقي ابا سفيان
بن حرب ومن معه بالروحاء وقد اجمعوا الرجعة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
واصحابه وقالوا اصبنا جل اصحابه وقادتهم واشرافهم ثم نرجع قبل ان نستأصلهم لنكرن
على بقيتهم فلنفرغن منهم فلما رأى ابو سفيان معبدا قال ما وراءك يا معبد قال محمد
قد خرج في اصحابه في طلبكم في جمع لم ار مثله قط يتحرقون عليكم تحرقا قد اجتمع معه من
كان تخلف عنه في يومكم وندموا على ما صنعوا فيهم من الحنق عليكم شيء لم ار مثله قط قال
ويلك ما تقول قال والله ما ارى ان ترتحل حتى ترى نواصي الخيل قال فوالله لقد اجمعنا
الكرة عليهم لنستأصل شأفتهم قال فاني انهاك عن ذلك والله لقد حملني ما رأيت على ان
قلت فيه ابياتا من شعر قال وما قلت قال قلت •

كادت تهد من الاصوات راحلتي • اذ سالت الارض بالجرد الابابيل •
تردى باسد كرام لا تنابلة • عند اللقاء ولا ميل معازيل •
فظلت عدوا اظن الارض مائلة • لما سموا برئيس غير مخذول •
فقلت ويل ابن حرب من لقائكم • اذا تغطمطت البطحاء بالخيل •
اني نذير لاهل البسل ضاحية • لكل ذي اربة منهم ومعقول •
من جيش احمد لا وخش تنابلة • وليس يوصف ما انذرت بالقيل •

الغطمطة صوت غليان القدر

التنابلة القصار والبسل هنا الحق

قال فثنى ذلك ابا سفيان ومن معه ومر به ركب من عبد القيس فقال اين
تريدون قالوا المدينة قال ولم قالوا نريد الميرة قال فهل انتم مبلغون عني محمدا رسالة
ارسلكم بها اليه واحمل لكم هذه غدا زبيبا بعكاظ اذا قدمتموها قالوا نعم قال فاذا وافيتموه
فاخبروه انا قد اجمعنا المسير اليه والى اصحابه لنستأصل بقيتهم فمر الركب برسول الله صلى
الله عليه وسلم وهو بحمراء الاسد فاخبروه بالذي قال ابو سفيان فقال حسبنا الله ونعم الوكيل
وكذا قال الحسن البصري وقد قال البخاري ثنا احمد بن يونس ثنا ابو بكر عن ابي حصين عن
ابي الضحى عن ابن عباس حسبنا الله ونعم الوكيل قالها ابراهيم حين القي في النار وقالها محمد صلى

الله عليه وسلم حين قالوا ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم ايمانا وقالوا حسبنا الله
ونعم الوكيل تفرد بروايته البخاري وقد قال البخاري ثنا محمد بن سلام ثنا ابو معاوية عن
هشام عن ابيه عن عائشة رضي الله عنها الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما اصابهم
القرح للذين احسنوا منهم واتقوا اجر عظيم قالت لعروة يا ابن اختي كان ابواك منهم الزبير وابو
بكر رضي الله عنهما لما اصاب نبي الله صلى الله عليه وسلم ما اصاب يوم احد انصرف عنه
المشركون فخاف ان يرجعوا فقال من يرجع في اثرهم فانتدب منهم سبعون رجلا فيهم ابو بكر
وعمر هكذا رواه البخاري وقد رواه مسلم مختصرا من اوجه عن هشام وهكذا رواه سعيد
بن منصور وابو بكر الحميدي جميعا عن سفيان بن عيينة واخرجه ابن ماجه من طريقه عن
هشام بن عروة به ورواه الحاكم في مستدركه من طريق ابي سعيد المؤدب عن هشام بن عروة
به ورواه من حديث البهي عن عروة به وقال في كل منهما صحيح ولم يخرجاه كذا قال وهذا
السياق غريب جدا فان المشهور عند اصحاب المغازي ان الذين خرجوا مع رسول الله صلى
الله عليه وسلم الى حمراء الاسد كل من شهد احدا وكانوا سبعماية كما تقدم قتل منهم سبعون وبقي
الباقون وقد روى ابن جرير من طريق العوفي عن ابن عباس قال ان الله قذف في قلب ابي
سفيان الرعب يوم احد بعد الذي كان منه فرجع الى مكة وكانت وقعة احد في شوال وكان
التجار يقدمون في ذي القعدة المدينة فينزلون ببدر الصغرى في كل سنة مرة وانهم قدموا
بعد وقعة احد وكان اصاب المسلمين القرح واشتكوا ذلك الى رسول الله واشتد عليهم
الذي اصابهم وان رسول الله ندب الناس لينطلقوا معه ويتبعوا ما كانوا متبعين
وقال انما يرتحلون الآن فيأتون الحج ولا يقدرون على مثلها حتى عام قابل فجاء الشيطان
يخوف اولياءه فقال ان الناس قد جمعوا لكم فابى عليه الناس ان يتبعوه فقال اني ذاهب
وان لم يتبعني احد فانتدب معه ابو بكر وعمر وعثمان وعلي وطلحة والزبير وسعد وعبد الرحمن
بن عوف وابو عبيدة وابن مسعود وحذيفة في سبعين رجلا فساروا في طلب ابي سفيان
حتى بلغوا الصفراء فانزل الله الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما اصابهم القرح للذين
احسنوا منهم واتقوا اجر عظيم وهذا غريب ايضا وقال ابن هشام ثنا ابو عبيدة ان ابا
سفيان بن حرب لما انصرف يوم احد اراد الرجوع الى المدينة فقال لهم صفوان بن امية
لا تفعلوا فان القوم قد حربوا وقد خشينا ان يكون لهم قتال غير الذي كان فارجعوا فرجعوا
فقال النبي صلى الله عليه وسلم وهو بحمراء الاسد حين بلغه انهم هموا بالرجعة والذي نفسي بيده
لقد سومت لهم حجارة لو صبحوا بها لكانوا كامس الذاهب قال واخذ رسول الله صلى الله
عليه وسلم في وجهه ذلك قبل رجوعه الى المدينة معاوية بن المغيرة بن ابي العاص بن امية
بن عبد شمس جد عبد الملك بن مروان لامه عائشة بنت معاوية وابا عزة الجمحي وكان رسول الله
قد اسره ببدر ثم من عليه فقال يا رسول الله اقلني فقال لا والله لا تمسح عارضيك
بمكة تقول خدعت محمدا مرتين اضرب عنقه يا زبير فضرب عنقه قال ابن هشام وبلغني
عن ابن المسيب انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان المؤمن لا يلدغ من جحر مرتين
اضرب عنقه يا عاصم بن ثابت فضرب عنقه وذكر ابن هشام ان معاوية بن مغيرة بن ابي
العاص استامن له عثمان على ان لا يقيم بعد ثلاث فبعث اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم
بعدها زيد بن حارثة وعمار بن ياسر وقال ستجدانه في مكان كذا وكذا فاقتلاه ففعلا رضي

الله عنهما قال ابن إسحاق ولما رجع رسول الله إلى المدينة وكان عبد الله بن أبي كما حدثني الزهري
له مقام يقومه كل جمعة لا ينكر شرفا له في نفسه وفي قومه وكان فيهم شريفا إذا جلس رسول الله يوم
الجمعة وهو يخطب الناس قام فقال أيها الناس هذا رسول الله بين أظهركم أكرمكم الله به وأعزكم به
فانصروه وعزروه واسمعوا له وأطيعوا ثم يجلس حتى إذا صنع يوم أحد ما صنع ورجع الناس
قام يفعل ذلك كما كان يفعله فأخذ المسلمون بثيابه من نواحيه وقالوا اجلس أي عدو الله
لست لذلك بأهل وقد صنعت ما صنعت فخرج يتخطى رقاب الناس وهو يقول والله لكأنما قلت
هجرا أن قمت أشدد أمره فلقيه رجال من الأنصار بباب المسجد فقالوا ويلك ما لك قال قمت
أشدد أمره فوثب إلي رجال من أصحابه يجذبونني ويعنفونني لكأنما قلت هجرا أن قمت أشدد أمره
قالوا ويلك ارجع يستغفر لك رسول الله صلى الله عليه وسلم قال والله ما أبتغي أن يستغفر
لي ثم ذكر ابن إسحاق ما نزل من القرآن في قصة أحد من سورة آل عمران من عند قوله وإذ غدوت
من أهلك تبوئ المؤمنين مقاعد للقتال والله سميع عليم إلى تمام ستين آية منها وتكلم ايه
عليها وقد بسطنا الكلام على ذلك في كتابنا التفسير بما فيه كفاية ثم شرع ابن إسحاق في ذكر
شهداء أحد وتعدادهم بأسمائهم وأسماء آبائهم على قبائلهم كما جرت عادته فذكر من المهاجرين أربعة
حمزة ومصعب بن عمير وعبد الله بن جحش وشماس بن عثمان رضي الله عنهم ومن الأنصار إلى تمام
خمسة وستين رجلا واستدرك عليه ابن هشام خمسة آخرين فصاروا سبعين على قول ابن
هشام ثم سمى ابن إسحاق من قتل من المشركين وهم اثنان وعشرون رجلا على قبائلهم أيضا قلت
ولم يؤسر يومئذ من المشركين سوى أبي عزة الجمحي كما ذكره الشافعي وغيره وقتله رسول الله صلى
الله عليه وسلم صبرا بين يديه أمر الزبير ويقال عاصم بن ثابت بن أبي الأقلح فضرب عنقه

فصل فيما تقاول به المؤمنون والكفار في وقعة أحد من الأشعار

وإنما نورد شعر الكفار لنذكر جوابها من شعراء الإسلام ليكون أبلغ في دفعها من الأسماع والأفهام
وأقطع لشبهة الكفرة الطغام قال الإمام محمد بن إسحاق رح وكان مما قيل من الشعر في يوم أحد
قول هبيرة بن أبي وهب المخزومي وهو على دين قومه من قريش

ما بال هم عميد بات يطرقني • بالود من هند إذ تعدو عواديها
باتت تعاتبني هند وتعذلني • والحرب قد شغلت عني مواليها
مهلا فلا تعذليني إن من خلقي • ما قد علمت وما إن لست أخفيها
مساعف لبني كعب بما كلفوا • حمال عبء وأثقال أعانيها
وقد حملت سلاحي فوق مشترف • ساط سبوح إذا تجري يباريها
كأنه إذ جرى عير بفدفدة • مكدم لاحق بالعون يحميها
من آل أعوج يرتاح الندي له • كجذع شعراء مستعل مراقيها
أعددته ورقاق الحد منتخلا • ومارنا لخطوب قد ألاقيها
هذا وبيضاء مثل النهي محكمة • لطت علي فما تبدو مساويها
سقنا كنانة من أطراف ذي يمن • عرض البلاد على ما كان يزجيها
قالت كنانة أنى تذهبون بنا • قلنا النخيل فأموها ومن فيها
نحن الفوارس يوم الجر من أحد • هابت معد فقلنا نحن نأتيها
هابوا ضرابا وطعنا صادقا خذما • مما يرون وقد ضمت قواصيها
ثمت رحنا كأنا عارض برد • وقام هام بني النجار يبكيها
كأن هامهم عند الوغى فلق • من قيض ربد نفته عن أداحيها
أو حنظل ذعذعته الريح في غصن • بال تعاوره منها سوافيها
قد نبذل المال سحا لا حساب له • ونطعن الخيل شزرا في مآقيها
وليلة من جمادى ذات أندية • جربا جمادية قد بت أسريها
وليلة يصطلي بالفرث جازرها • يختص بالنقرى المثرين داعيها
لا ينبح الكلب فيها غير واحدة • من القريس ولا تسري أفاعيها
أوقدت فيها لذي الضراء جاحمة • كالبرق ذاكية الأركان أحميها
أورثني ذلكم عمرو ووالده • من قبله كان بالمثنى يغاليها
كانوا يبارون أنواء النجوم فما • دنت عن السورة العليا مساعيها

قال ابن إسحاق فأجابه حسان بن ثابت رضي الله عنه فقال قال ابن هشام ويروى لكعب
بن مالك ولغيره قلت وقول ابن إسحاق أكثر وأشهر والله أعلم

سقتم كنانة جهلا من سفاهتكم • إلى الرسول فجند الله مخزيها
أوردتموها حياض الموت ضاحية • فالنار موعدها والقتل لاقيها
جمعتموها أحابيشا بلا حسب • أئمة الكفر غرتكم طواغيها
ألا اعتبرتم بخيل الله إذ قتلت • أهل القليب ومن ألقينه فيها
كم من أسير فككناه بلا ثمن • وجز ناصية كنا مواليها

قال ابن إسحاق وقال كعب بن مالك يجيب هبيرة بن أبي وهب المخزومي أيضا

ألا هل أتى غسان عنا ودونهم • من الأرض خرق سيره متنعنع
صحار وأعلام كأن قتامها • من البعد نقع هامد متقطع
تظل به البزل العراميس رزحا • ويخلو به غيث السنين فيمرع
به جيف الحسرى يلوح صليبها • كما لاح كتان التجار الموضع
به العين والآرام يمشين خلفة • وبيض نعام قيضه يتقلع
مجالدنا عن ديننا كل فخمة • مذربة فيها القوانس تلمع
وكل صموت في الصوان كأنها • إذا لبست نهي من الماء مترع
ولكن ببدر سائلوا من لقيتم • من الناس والأنباء بالغيب تنفع
وإنا بأرض الخوف لو كان أهلها • سوانا لقد أجلوا بليل فأقشعوا
إذا جاء منا راكب كان قوله • أعدوا لما يزجي ابن حرب ويجمع
فمهما يهم الناس مما يكيدنا • فنحن له من سائر الناس أوسع
فلو غيرنا كانت جميعا تكيده • البرية قد أعطوا يدا وتوزعوا
نجالد لا تبقى علينا قبيلة • من الناس إلا أن يهابوا ويفظعوا
ولما ابتنوا بالعرض قال سراتنا • علام إذا لم نمنع العرض نزرع
وفينا رسول الله نتبع أمره • إذا قال فينا القول لا نتطلع
تدلى عليه الروح من عند ربه • ينزل من جو السماء ويرفع
نشاوره فيما نريد وقصرنا • إذا ما اشتهى أنا نطيع ونسمع

حاشية
كان الأنصار يقال لهم غسان
لأنهم نزلوا على ماء حين خرجوا من اليمن

النهي الغدير فلذلك
نهيا لأنه ينهى الماء عن الجريان

وقال رسول الله لما بدوا لنا • ذروا عنكم هول المنيات واطمعوا
وكونوا كمن يشري الحيوة تقربا • الى ملك يحيى لديه ويرجع
ولكن خذوا اسيافكم وتوكلوا • على الله ان الامر لله اجمع
فسرنا اليهم جهرة في رحالهم • ضحيا علينا البيض لا نتخشع
بملمومة فيها السنور والقنا • اذا ضربوا اقدامها لا تورع
فجئنا الى موج من البحر وسطه • احابيش منهم حاسر ومقنع
ثلاثة آلاف ونحن نصية • ثلاث مئين ان كثرنا واربع
نغاورهم تجري المنية بيننا • نشارعهم حوض المنايا ونشرع
تهادى قسي النبع فينا وفيهم • وما هو الا اليثربي المقطع
ومنجوفة حرمية صاعدية • يذر عليها السم ساعة تصنع
تصوب بابدان الرجال وتارة • تمر باعراض البصار تقعقع
وخيل تراها بالفضاء كأنها • جراد صبا في قرة يتريع
(تشق)

جمع بصيرة وهي الدروع

فلما تلاقينا ودارت بنا الرحى • وليس لامر حمه الله مدفع
ضربناهم حتى تركنا سراتهم • كأنهم بالقاع خشب مصرع
لدن غدوة حتى استفقنا عشية • كأن ذكانا حر نار تلفع
وراحوا سراعا موجفين كأنهم • جهام هراقت ماءه الريح مقلع
ورحنا واخرانا بطاء كأننا • اسود على لحم ببيشة ظلع
فنلنا ونال القوم منا وربما • فعلنا ولكن ما لدى الله اوسع
ودارت رحانا واستدارت رحاهم • وقد جعلوا كل من الشر يشبع
ونحن اناس لا نرى القتل سبة • على كل من يحمي الذمار ويمنع
جلاد على ريب الحوادث لا نرى • على هالك عينا لنا الدهر تدمع
بنو الحرب لا نعيى بشيء نقوله • ولا نحن مما جرت الحرب نجزع
بنو الحرب ان نظفر فلسنا بفحش • ولا نحن من اظفارها نتوجع
وكنا شهابا يتقي الناس حره • ونفرج عنه من يليه ويسفع
فخرت علي ابن الزبعرى وقد سرى • لكم طلب من آخر الليل متبع
فسل عنك في عليا معد وغيرها • من الناس من اخزى مقاما واشنع
ومن هو لم تترك له الحرب مفخرا • ومن خده يوم الكريهة اضرع
شددنا بحول الله والنصر شدة • عليكم واطراف الاسنة شرع
تكر القنا فيكم كأن فروعها • عزالي مزاد ماؤها يتهزع
عمدنا الى اهل اللواء ومن يطر • بذكر اللواء فهو في الحمد اسرع
فخانوا وقد اعطوا يدا وتخاذلوا • ابى الله الا امره وهو اصنع

قال ابن اسحاق وقال عبد الله بن الزبعرى في يوم احد وهو يومئذ مشرك بعد

يا غراب البين اسمعت فقل • انما تنطق شيئا قد فعل
ان للخير وللشر مدى • وكلا ذلك وجه وقبل
والعطيات خساس بينها • وسواء قبر مثر ومقل

كل عيش ونعيم زائل • وبنات الدهر يلعبن بكل
ابلغا حسان عني آية • فقريض الشعر يشفي ذا الغلل
كم ترى بالجر من جمجمة • واكف قد اترت ورجل
وسرابيل حسان سريت • عن كماة اهلكوا في المنتزل
كم قتلنا من كريم سيد • ماجد الجدين مقدام بطل
صادق النجدة قرم بارع • غير ملتاث لدى وقع الاسل
فسل المهراس من ساكنه • بين اقحاف وهام كالحجل
ليت اشياخي ببدر شهدوا • جزع الخزرج من وقع الاسل
حين حكت بقباء بركها • واستحر القتل في عبد الاشل
ثم خفوا عند ذاكم رقصا • رقص الحفان يعلو في الجبل
فقتلنا الضعف من اشرافهم • وعدلنا ميل بدر فاعتدل
لا الوم النفس الا اننا • لو كررنا لفعلنا المفتعل
بسيوف الهند تعلو هامهم • عللا تعلوهم بعد نهل

هذا البيت ينحله الرفضة الى يزيد بن معاوية يعنون انه قاله في وقعة قصيدة افتعلوها واختلقوها عليه ويزيدون فيها ابياتا لعنهم الله مما يعزونه الى شعره
لعبت هاشم بالملك فلا
ملك جاء ولا وحي نزل
لعن الله من يقول هذا كائنا من كان فانه لا يقوله مسلم

قال ابن اسحاق فاجابه حسان بن ثابت رضي الله عنه فقال

ذهبت بابن الزبعرى وقعة • كان منا الفضل فيها لو عدل
ولقد نلتم ونلنا منكم • وكذاك الحرب احيانا دول
نضع الاسياف في اكتافكم • حيث نهوي عللا بعد نهل
نخرج الاصبح من استاهكم • كسلاح النيب ياكلن العصل
اذ تولون على اعقابكم • هربا في الشعب اشباه الرسل
(الغنم)

نبات يشبه الدفلى ما لم يرتفع من الارض

اذ شددنا شدة صادقة • فاجاناكم الى سفح الجبل
بخناطيل كامذاق الملا • من يلاقوه من الناس يهل
ضاق عنا الشعب اذ نجزعه • وملانا الفرط منه والرجل

الفرط الاكمة والرجل جمع رجلة وهي المكان المنخفض من الارض

وقتلنا كل راس منهم • وقتلنا كل جحجاح رفل
وتركنا في قريش عورة • يوم بدر واحاديث المثل
ورسول الله حقا شاهد • يوم بدر والتنابيل الهبل
في قريش من جموع جمعوا • مثل ما يجمع في الخصب الهمل
نحن لا امثالكم ولد استها • نحضر الباس اذا الباس نزل

كلمة تقولها العرب عند السب

قال ابن اسحاق وقال كعب بن مالك يبكي حمزة ومن قتل من المسلمين يوم احد رضي الله عنهم اجمعين

نشجت وهل لك من منشج • وكنت متى تذكر تلجج
تذكر قوم اتاني لهم • احاديث في الزمن الاعوج
فقلبك من ذكرهم خافق • من الشوق والحزن المنضج
وقتلاهم في جنان النعيم • كرام المداخل والمخرج
بما صبروا تحت ظل اللواء • لواء الرسول بذي الاضوج
غداة اجابت باسيافها • جميعا بنو الاوس والخزرج
واشياع احمد اذ شايعوا • على الحق ذي النور والمنهج

فما برحوا يضربون الكماة ... ويمضون في القسطل المرهج
كذلك حتى دعاهم مليك ... الى جنة دوحة المولج
فكلهم مات حر البلاء ... على ملة الله لم يحرج
لحمزة لما وفى صادقا ... بذي هبة صارم سلجج
فلاقاه عبد بني نوفل ... يبربر كالجمل الادعج
فاوجره حربة كالشهاب ... تلهب في اللهب الموهج
ونعمان اوفى بميثاقه ... وحنظلة الخير لم يحنج
عن الحق حتى غدت روحه ... الى منزل فاخر الزبرج
اولئك لا من ثوى منكم ... من النار في الدرك المرتج

اذ يميل غير الحق

قال ابن اسحاق وقال حسان بن ثابت يبكي حمزة ومن اصيب من المسلمين يوم احد على روي قصيدة امية بن ابي الصلت من قتل المشركين يوم بدر قال ابن هشام ومن ينكر هذه لحسان فالله اعلم

يا ام تومي فاندبين ... بسحره شجو النوايح
كالحاملات الوقر بالثقل ... الملحات الدوالح
المعولات الخامشات ... وجوه حرات صحايح
وكان سيل دموعها ... الانصاب تخضب بالذبايح
ينقضن اشعار لهن ... هناك بادية المسايح
وكانها اذناب خيل ... بالضحى شمس روامح
من بين مشزور ومجزوز ... يذعذع بالبوارح
يبكين شجوا مسلبات ... كدحتهن الكوادح
ولقد اصاب قلوبها ... مجل له جلب قوارح
اذ اقصد الحدثان من ... كنا نرجي اذ نشايح
اصحاب احد غالهم ... دهر الم له جوارح
من كان فارسنا وحامينا ... اذا بعث المسالح
يا حمز لا والله لا انساك ... ما صر اللقايح
لمناخ ايتام واضياف ... وارملة تلامح
ولما ينوب الدهر ... في حرب لحرب وهي لاقح
يا فارسا يا مدرها ... يا حمز قد كنت المصامح
عنا شديدات الامور ... اذا ينوب لهن فادح
ذكرتني اسد الرسول ... وذاك مدرهنا المنافح
عنا وكان يعد اذ ... عد الشريفون الجحاجح
يعلو القماقم جهرة ... سبط اليدين اغر واضح
لا طايش رعش ولا ... ذو علة بالحمل آنح
بحر فليس يغب جارا ... منه سيب او منادح
اودى شباب اولي الحفايظ ... والثقيلون المراجح
المطعمون اذا المشاتي ... ما يصفقهن ناضح
لحم الجلاد وفوقه ... من شحمه شطب شرايح
ليدافعوا عن جارهم ... ما رام ذو الضغن المكاشح
لهفي لشبان رزيناهم ... كانهم المصابيح
شم بطارقة غطارفة ... خضارمة مسامح
المشترون الحمد بالاموال ... ان الحمد رابح
والجامزون بلجمهم يوما ... اذا ما صاح صايح
من كان يرمى بالنواقر ... من زمان غير صالح
ما ان تزال ركابه ... يرسمن في غبر صحاصح
راحت تبارى وهو في ركب ... صدورهم رواشح
حتى تووب له المعالي ... ليس من فوز السفايح
يا حمز قد اوحدتني ... كالعود شذبه الكوافح
اشكو اليك وفوقك ... الترب المكور والصفايح
من جندل نلقيه فوقك ... اذ اجاد الضرح ضارح
في واسع يحشونه ... بالترب سوته الماسح
فعزاونا انا نقول ... وقولنا برح بوارح
من كان امسى وهو عما ... اوقع الحدثان جانح
فلياتنا فلتبك عيناه ... لهلكانا النوافح
القايلين الفاعلين ... ذوي السماحة والممادح
من لا يزال ندى يديه ... له طوال الدهر مايح

قال ابن هشام واكثر اهل العلم بالشعر ينكرها لحسان قال ابن اسحاق وقال كعب بن مالك يبكي حمزة واصحابه

طرقت همومك فالرقاد مسهد ... وجزعت ان سلخ الشباب الاغيد
ودعت فوادك للهوى ضمرية ... فهواك غوري وصحبك منجد
فدع التمادي في الغواية سادرا ... قد كنت في طلب الغواية تفند
ولقد انى لك ان تناهى طايعا ... او تستفيق اذا نهاك المرشد
ولقد هددت لفقد حمزة هدة ... ظلت بنات الجوف منها ترعد
ولو انه فجعت حراء بمثله ... لرايت راسي صخرها يتبدد
قرم تمكن في ذوابة هاشم ... حيث النبوة والندى والسودد
والعاقر الكوم الجلاد اذا غدت ... ريح يكاد الماء منها يجمد
والتارك القرن الكمي مجدلا ... يوم الكريهة والقنا يتقصد
وتراه يرفل في الحديد كانه ... ذو لبدة شثن البراثن اربد
عم النبي محمد وصفيه ... ورد الحمام فطاب ذاك المورد
واتى المنية معلما في اسرة ... نصروا النبي ومنهم المستشهد
ولقد اخال بذاك هندا بشرت ... لتميت داخل غصة لا تبرد

المطعمون

فما صبحنا بالعقنقل قومها ... يوما تغيب فيه عنها الاسعد

وببئر بدر اذ يرد وجوههم ... جبريل تحت لوائنا ومحمد

حتى رأيت لدى النبي سراتهم ... قسمين يقتل من يشاء ويطرد

فاقام بالعطن المعطن منهم ... سبعون عتبة منهم والاسود

وابن المغيرة قد ضربنا ضربة ... فوق الوريد لها رشاش مزبد

وامية الجمحي قوم ميله ... عضب بايدي المومنين مهند

فاتاك فل المشركين كانهم ... والخيل تثفنهم نعام شرد

شتان من هو في جهنم ثاويا ... ابدا ومن هو في الجنان مخلد

قال ابن اسحاق وقال عبد الله بن رواحة يبكي حمزة واصحابه يوم احد قال ابن هشام وانشدنيها ابو زيد لكعب بن مالك

بكت عيني وحق لها بكاها ... وما يغني البكاء ولا العويل

على اسد الاله غداة قالوا ... احمزة ذاكم الرجل القتيل

اصيب المسلمون به جميعا ... هناك وقد اصيب به الرسول

ابا يعلى لك الاركان هدت ... وانت الماجد البر الوصول

عليك سلام ربك في جنان ... مخالطها نعيم لا يزول

الا يا هاشم الاخيار صبرا ... فكل فعالكم حسن جميل

رسول الله مصطبر كريم ... بامر الله ينطق اذ يقول

الا من مبلغ عني لؤيا ... فبعد اليوم دائلة تدول

وقبل اليوم ما عرفوا وذاقوا ... وقائعنا بها يشفى الغليل

نسيتم ضربنا بقليب بدر ... غداة اتاكم الموت العجيل

غداة ثوى ابو جهل صريعا ... عليه الطير حائمة تجول

ومتركنا امية مجلعبا ... وفي حيزومه لدن نبيل

وعتبة وابنه خرا جميعا ... وشيبة عضه السيف الصقيل

ومتركنا ربيعة سائلوها ... ففي اسيافنا منها فلول

الا يا هند لا تبدي شماتا ... بحمزة ان عزكم ذليل

الا يا هند فابكي لا تملي ... فانت الواله العبرى الهبول

قال ابن اسحاق وقالت صفية بنت عبد المطلب تبكي اخاها حمزة بن عبد المطلب وهي ام الزبير عمة النبي صلى الله عليه وسلم ورضي عنهم

اسائلة اصحاب احد مخافة ... بنات ابي من اعجم وخبير

فقال الخبير ان حمزة قد ثوى ... وزير رسول الله خير وزير

دعاه اله الحق ذو العرش دعوة ... الى جنة يحيى بها وسرور

فذلك ما كنا نرجي ونرتجي ... لحمزة يوم الحشر خير مصير

فوالله لا انساك ما هبت الصبا ... بكاء وحزنا محضري ومسيري

على اسد الله الذي كان مدرها ... يذود عن الاسلام كل كفور

فيا ليت شلوي عند ذاك واعظمي ... لدى اضبع تعتادني ونسور

اقول وقد اعلى النعي عشيرتي ... جزى الله خيرا من اخ ونصير

قال ابن اسحاق وقالت نعم امرأة شماس بن عثمان تبكي زوجها

يا عين جودي بفيض غير ابساس ... على كريم من الفتيان لباس

صعب البديهة ميمون نقيبته ... حمال الوية ركاب افراس

اقول لما اتى الناعي له جزعا ... اودى الجواد واودى المطعم الكاسي

وقلت لما خلت منه مجالسه ... لا يبعد الله منا قرب شماس

قال فاجابها اخوها الحكم بن سعيد بن يربوع يعزيها فقال

اقني حياءك في ستر وفي كرم ... فانما كان شماس من الناس

لا تقتلي النفس اذ حانت منيته ... في طاعة الله يوم الروع والباس

قد كان حمزة ليث الله فاصطبري ... فذاق يومئذ من كاس شماس

وقالت هند بنت عتبة امرأة ابي سفيان حين رجعوا عن احد

رجعت وفي نفسي بلابل جمة ... وقد فاتني بعض الذي كان مطلبي

من اصحاب بدر من قريش وغيرهم ... بني هاشم منهم ومن اهل يثرب

ولكنني قد نلت شيئا ولم يكن ... كما كنت ارجو في مسيري ومركبي

وقد اورد ابن اسحاق اشعارا في هذا كثيرة تركنا كثيرا منها خشية الاطالة وخوف الملال لمن ذكرنا كفاية ولله الحمد والمنة وقد اورد الاموي في مغازيه من الاشعار اكثر مما ذكره ابن اسحاق كما جرت عادته ولا سيما ههنا فمن ذلك ما ذكره عن حسان بن ثابت انه قال في غزوة احد

طاوعوا الشيطان اذ اخزاهم ... فاستبان الخزي فيهم والفشل

حين صاحوا صيحة واحدة ... مع ابي سفيان قالوا اعل هبل

فاجبناهم جميعا كلنا ... ربنا الرحمن اعلى واجل

اثبتوا تستعملوها مرة ... من حياض الموت والموت نهل

واعلموا انا اذا ما نضحت ... عن خيال الموت قدر تشتعل

وكان هذه الابيات قطعة من جوابه لعبد الله بن الزبعرى والله اعلم اخر الكلام في وقعة احد

فصل فيما تقدمها ووقع في هذه السنة الثالثة من الحروب والغزوات والسرايا ومن اشهرها وقعة احد وكانت في النصف من شوال منها وقد تقدم بسطها ولله الحمد

وفيها يوم احد توفي شهيدا ابو يعلى ويقال ابو عمارة ايضا حمزة بن عبد المطلب عم رسول الله الملقب باسد الله واسد رسوله وكان رضيع رسول الله صلى الله عليه وسلم هو وابو سلمة بن عبد الاسد ارضعتهم كلهم ثويبة مولاة ابي لهب كما ثبت ذلك في الحديث المتفق عليه فعلى هذا يكون قد جاوز الخمسين من السنين يوم قتل رضي الله عنه فانه كان من الشجعان الابطال ومن الصديقين الكبار وقتل معه يومئذ تمام السبعين رضي الله عنهم جميعهم قال مصعب بن الزبير ولد لحمزة خمسة بنين كلهم انقرضوا وكانت له بنت يقال لها امامة قلت وهي التي تنازع فيها علي وجعفر وزيد بن حارثة فقال لفاطمة دونك ابنة عمك واختصم في حضانتها علي وزيد بن حارثة وجعفر فقضى بها النبي صلى الله عليه وسلم لخالتها امرأة جعفر وقال الخالة بمنزلة الام وفيها عقد عثمان بن عفان عقده على ام كلثوم بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد وفاة اختها رقية وكان عقده عليها في ربيع الاول منها وبنى بها في جمادى الاخرة منها كما تقدم فيما ذكره الواقدي وفيها قال ابن جرير ولد لفاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم الحسن بن علي بن ابي طالب

قال وفيها علقت بالحسين رضوان الله عنهم أجمعين

سنة أربع من الهجرة النبوية

في المحرم منها كانت سرية أبي سلمة بن عبد الأسد إلى طليحة الأسدي فانتهى إلى ماء يقال له قطن قال الواقدي ثنا عمر بن عثمان بن عبد الرحمن بن سعيد اليربوعي عن سلمة بن عبد الله بن عمر بن أبي سلمة وغيره قالوا شهد أبو سلمة أحدا فجرح جرحا على عضده فأقام شهرا يداوي فلما كان هلال المحرم على رأس خمسة وثلاثين شهرا من الهجرة دعاه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اخرج في هذه السرية فقد استعملتك عليها وعقد له لواء وقال سر حتى تأتي أرض بني أسد فأغر عليهم وأوصاه بتقوى الله وبمن معه من المسلمين خيرا وخرج معه في تلك السرية خمسون ومائة فانتهوا إلى أدنى قطن وهو ماء لبني أسد وكان هناك طليحة الأسدي وأخوه سلمة ابنا خويلد وقد جمعا حلفاء من بني أسد ليقصدوا حرب النبي صلى الله عليه وسلم فجاء رجل منهم إلى النبي صلى الله عليه وسلم فأخبره بما تمالؤوا عليه فبعث معه أبا سلمة في سريته هذه فلما انتهوا إلى أرضهم تفرقوا وتركوا نعما كثيرة لهم من الإبل والغنم فأخذ ذلك كله أبو سلمة وأسر منهم ثلاثة مماليك وأقبل راجعا إلى المدينة فأعطى ذلك الرجل الأسدي الذي دلهم نصيبا وافرا من المغنم وأخرج صفي النبي صلى الله عليه وسلم عبدا وخمس الغنيمة وقسمها بين أصحابه ثم قدم المدينة قال عمر بن عثمان فحدثني عبد الملك بن عبيد عن عبد الرحمن بن سعيد بن يربوع عن عمر بن أبي سلمة قال كان الذي جرح أبي أبو أسامة الجشمي فمكث شهرا يداويه فبرأ فلما برئ بعثه رسول الله في المحرم يعني من سنة أربع إلى قطن فغاب بضع عشرة ليلة فلما دخل المدينة انتقض به جرحه فمات لثلاث بقين من جمادى الأولى قال عمر واعتدت أمي حتى حلت وبقيت أربعة أشهر وعشرا ثم تزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم ودخل بها في ليال بقين من شوال فكانت أمي تقول ما بأس بالنكاح في شوال والدخول فيه قد تزوجني رسول الله صلى الله عليه وسلم في شوال وأعرس بي فيه قال وماتت أم سلمة في ذي القعدة سنة تسع وخمسين رواه البيهقي قلت سنذكر في أواخر هذه السنة في شوالها تزويج النبي صلى الله عليه وسلم بأم سلمة وما يتعلق بذلك من ولاية الابن لأمه في النكاح ومذاهب العلماء في ذلك إن شاء الله وبه الثقة

غزوة الرجيع قال الواقدي

وكانت في صفر سنة أربع بعثهم رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أهل مكة ليخبروه قال والرجيع على ثمانية أميال من عسفان قال البخاري ثنا إبراهيم بن موسى ثنا هشام بن يوسف عن معمر عن الزهري عن عمرو بن أبي سفيان الثقفي عن أبي هريرة قال بعث النبي صلى الله عليه وسلم سرية عينا وأمر عليهم عاصم بن ثابت وهو جد عاصم بن عمر بن الخطاب فانطلقوا حتى إذا كانوا بين عسفان ومكة ذكروا لحي من هذيل يقال لهم بنو لحيان فتبعوهم بقريب من مائة رام فاقتصوا آثارهم حتى أتوا منزلا نزلوه فوجدوا فيه نوى تمر تزودوه من المدينة فقالوا هذا تمر يثرب فتبعوا آثارهم حتى لحقوهم فلما انتهى عاصم وأصحابه لجؤوا إلى فدفد وجاء القوم فأحاطوا بهم فقالوا لكم العهد والميثاق إن نزلتم إلينا أن لا نقتل منكم أحدا فقال عاصم أما أنا فلا أنزل في ذمة كافر اللهم أخبر عنا رسولك فقاتلوهم حتى قتلوا عاصما في سبعة نفر بالنبل وبقي خبيب وزيد ورجل آخر فأعطوهم العهد

والميثاق فلما أعطوهم العهد والميثاق نزلوا إليهم فلما استمكنوا منهم حلوا أوتار قسيهم فربطوهم بها فقال الرجل الثالث الذي معهما هذا أول الغدر فأبى أن يصحبهم فجرروه وعالجوه على أن يصحبهم فلم يفعل فقتلوه وانطلقوا بخبيب وزيد حتى باعوهما بمكة فاشترى خبيبا بنو الحارث بن عامر بن نوفل وكان خبيب هو الذي قتل الحارث يوم بدر فمكث عندهم أسيرا حتى إذا أجمعوا قتله استعار موسى من بعض بنات الحارث اسمها زينب بنت الحارث وقيل مارية بنت الحارث ويقال مارية مولاة حجير بن أبي إهاب ليستحد بها فأعارته قالت فغفلت عن صبي لي فدرج إليه حتى أتاه فوضعه على فخذه فلما رأيته فزعت فزعة عرف ذلك مني وفي يده الموسى فقال أتخشين أن أقتله ما كنت لأفعل ذلك إن شاء الله وكانت تقول ما رأيت أسيرا قط خيرا من خبيب لقد رأيته يأكل من قطف عنب وما بمكة يومئذ ثمرة وإنه لموثق في الحديد وما كان إلا رزقا رزقه الله فخرجوا به من الحرم ليقتلوه فقال دعوني أصلي ركعتين ثم انصرف إليهم فقال لولا أن تروا أن ما بي جزع من الموت لزدت فكان أول من سن الركعتين عند القتل هو ثم قال اللهم أحصهم عددا واقتلهم بددا ثم قال

لست أبالي حين أقتل مسلما • على أي شق كان لله مصرعي •
وذلك في ذات الإله وإن يشأ • يبارك على أوصال شلو ممزع •

قال ثم قام إليه عقبة بن الحارث فقتله وبعثت قريش إلى عاصم ليؤتوا بشيء من جسده يعرفونه وكان قتل عظيما من عظمائهم فبعث الله عليه مثل الظلة من الدبر فحمته من رسلهم فلم يقدروا منه على شيء ثم قال البخاري ثنا عبد الله بن محمد ثنا سفيان عن عمرو سمع جابر بن عبد الله يقول الذي قتل خبيبا هو أبو سروعة قلت واسمه عقبة بن الحارث وقد أسلم بعد ذلك وله حديث في الرضاع وقد قيل إن أبا سروعة وعقبة أخوان فالله أعلم هكذا ساقه البخاري في كتاب المغازي من صحيحه قصة أصحاب الرجيع ورواه أيضا في التوحيد وفي الرضاع والجهاد من طرق عن الزهري عن عمرو بن أبي سفيان بن أسيد بن جارية الثقفي حليف بني زهرة ومنهم من يقول عمر بن أبي سفيان والمشهور عمرو وفي لفظ للبخاري بعث رسول الله عشرة رهط عينا وأمر عليهم عاصم بن ثابت بن أبي الأقلح وساق نحوه وقد خالفه محمد بن إسحاق وموسى بن عقبة وعروة بن الزبير في بعض ذلك ولنذكر كلام ابن إسحاق ليعرف ما بينهما من التفاوت والاختلاف على أن ابن إسحاق إمام في هذا الشأن غير مدافع كما قال الشافعي من أراد المغازي فهو عيال على ابن إسحاق قال محمد بن إسحاق حدثني عاصم بن عمر بن قتادة قال قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد أحد رهط من عضل والقارة فقالوا يا رسول الله إن فينا إسلاما فابعث معنا نفرا من أصحابك يفقهوننا في الدين ويقرئوننا القرآن ويعلموننا شرائع الإسلام فبعث معهم رسول الله نفرا ستة من أصحابه وهم مرثد بن أبي مرثد الغنوي حليف حمزة بن عبد المطلب قال ابن إسحاق وهو أمير القوم وخالد بن البكير الليثي حليف بني عدي وعاصم بن ثابت بن أبي الأقلح أخو بني عمرو بن عوف وخبيب بن عدي أخو بني جحجبا بن كلفة بن عمرو بن عوف وزيد بن الدثنة أخو بني بياضة بن عامر وعبد الله بن طارق حليف بني ظفر رضي الله عنهم هكذا قال ابن إسحاق إنهم ستة وكذا ذكر موسى بن عقبة وسماهم كما قال ابن إسحاق وعند البخاري أنهم كانوا عشرة وعنده أن أميرهم عاصم بن ثابت بن أبي الأقلح فالله أعلم قال ابن إسحاق فخرجوا مع القوم حتى إذا كانوا على الرجيع ماء لهذيل

بلحية الحجاز من هذيل الهدة غدروا بهم فاستصرخوا عليهم هذيلا فلم يرع القوم وهم
في رحالهم الا الرجال بايديهم السيوف قد غشوهم فاخذوا اسيافهم ليقاتلوا القوم فقالوا
لهم انا والله ما نريد قتلكم ولكنا نريد ان نصيب بكم شيئا من اهل مكة ولكم عهد الله وميثاقه
ان لا نقتلكم فاما مرثد وخالد بن البكير وعاصم بن ثابت فقالوا انا والله لا نقبل من مشرك
عهدا ولا عقدا ابدا وقال عاصم بن ثابت

ما علتي وانا جلد نابل ... والقوس فيها وتر عنابل
تزل عن صفحتها المعابل ... الموت حق والحياة باطل
وكل ما حم الاله نازل ... بالمرء والمرء اليه آيل
ان لم اقاتلكم فامي هابل ... وقال عاصم ايضا
ابو سليمان وريش المقعد ... وضالة مثل الجحيم الموقد
اذا النواجي افترشت لم ارعد ... ومجنأ من جلد ثور اجرد
ومؤمن بما على محمد ... وقال ايضا
ابو سليمان ومثلي رامى ... وكان قومي معشرا كراما

قال ثم قاتل حتى قتل وقتل صاحباه فلما قتل عاصم ارادت هذيل اخذ راسه ليبيعوه
من سلافة بنت سعد بن شهيد وكانت قد نذرت حين اصاب ابنيها يوم احد لئن قدرت
عليه لتشربن في قحفه الخمر فمنعته الدبر وهذا ذكره البخاري بعد وصول خبيب
وزيد بن الدثنة الى مكة وهذا الذي ذكره ابن اسحاق انسب قال فلما حالت الدبر بينهم
وبينه قالوا دعوه حتى يمسي فتذهب عنه فناخذه فبعث الله الوادي فاحتمل عاصما فذهب به وقد
كان عاصم اعطى الله عهدا ان لا يمسه مشرك ولا يمس مشركا ابدا تنجسا فكان عمر بن الخطاب
يقول حين بلغه ان الدبر منعته يحفظ الله العبد المؤمن كان عاصم نذر ان لا يمسه مشرك
ولا يمس مشركا ابدا في حياته فمنعه الله بعد وفاته كما امتنع منه في حياته قال ابن اسحاق
واما خبيب وزيد بن الدثنة وعبد الله بن طارق فلانوا ورقوا ورغبوا في الحياة واعطوا
بايديهم فاسروهم ثم خرجوا بهم الى مكة ليبيعوهم بها حتى اذا كانوا بالظهران انتزع عبد الله
بن طارق يده من القران ثم اخذ سيفه واستاخر عنه القوم فرموه بالحجارة حتى قتلوه
فقبره بالظهران فقدموا بهما مكة قال ابن هشام فباعوهما من قريش باسيرين من هذيل
كانا بمكة قال ابن اسحاق فابتاع خبيبا حجير بن ابي اهاب التميمي حليف بني نوفل لعقبة
بن الحرث بن عامر بن نوفل وكان ابو اهاب اخا الحرث بن عامر لامه ليقتله بابيه قال
واما زيد بن الدثنة فابتاعه صفوان بن امية ليقتله بابيه فبعث به صفوان بن امية مع مولى له يقال له نسطاس الى التنعيم واخرجه من الحرم ليقتله
واجتمع رهط من قريش فيهم ابو سفيان بن حرب فقال له ابو سفيان حين قدم ليقتل
انشدك الله يا زيد اتحب ان محمدا الآن عندنا مكانك نضرب عنقه وانك في اهلك
قال والله ما احب ان محمدا الآن في مكانه الذي هو فيه تصيبه شوكة تؤذيه واني جالس
في اهلي قال يقول ابو سفيان ما رايت من الناس احدا يحب احدا كحب اصحاب محمد محمدا
قال ثم قتله نسطاس قال واما خبيب بن عدي فحدثني عبد الله بن ابي نجيح انه
حدث عن ماوية مولاة حجير بن ابي اهاب وكانت قد اسلمت قالت كان خبيب حبس في بيتي
فلقد اطلعت عليه يوما وان في يده لقطفا من عنب مثل راس الرجل ياكل منه وما اعلم

فيذهب عنه

واما خبيب بن عدي وزيد بن الدثنة

فابتاعه صفوان بن امية ليقتله بابيه

في ارض الله عنبا يوكل قال ابن اسحاق وحدثني عاصم بن عمر بن قتادة وعبد الله بن ابي نجيح
انهما قالا قالت قال لي حين حضره القتل ابعثي الي بحديدة اتطهر بها للقتل قالت
فاعطيت غلاما من الحي الموسى فقلت له ادخل بها على هذا الرجل البيت قالت فوالله ان
هو الا ان ولى الغلام بها اليه فقلت ماذا صنعت اصاب والله الرجل ثاره بقتل هذا الغلام
فيكون رجل برجل فلما ناوله الحديدة اخذها من يده ثم قال لعمرك ما خافت امك غدري
حين بعثتك بهذه الحديدة الي ثم خلى سبيله قال ابن هشام ويقال ان الغلام ابنها قال
ابن اسحاق قال عاصم ثم خرجوا بخبيب حتى جاءوا به التنعيم ليصلبوه قال لهم ان رايتم
ان تدعوني حتى اركع ركعتين فافعلوا قالوا دونك فاركع فركع ركعتين اتمهما واحسنهما ثم
اقبل على القوم فقال اما والله لولا ان تظنوا اني انما طولت جزعا من القتل لاستكثرت
من الصلاة قال فكان خبيب اول من سن هاتين الركعتين عند القتل للمسلمين قال
ثم رفعوه على خشبة فلما اوثقوه قال اللهم انا قد بلغنا رسالة رسولك فبلغه الغداة
ما يصنع بنا ثم قال اللهم احصهم عددا واقتلهم بددا ولا تغادر منهم احدا ثم قتلوه
وكان معاوية بن ابي سفيان يقول حضرته يومئذ فيمن حضره مع ابي سفيان فلقد رايته
يلقيني الى الارض فرقا من دعوة خبيب وكانوا يقولون ان الرجل اذا دعي عليه فاضطجع
لجنبه زلت عنه **فائدة** قال السهيلي وانما صارت الركعتان سنة يعني عند
القتل لانهما فعلت في زمان النبي صلى الله عليه وسلم فاقرها واستحسنت من صنعه
قال وقد صلاهما زيد بن حارثة في حياة النبي صلى الله عليه وسلم ثم ساق باسناده
من طريق ابي بكر بن ابي خيثمة عن يحيى بن معين عن يحيى بن عبد الله بن بكير عن الليث
بن سعد قال بلغني ان زيد بن حارثة استاجر من رجل بغلا من الطايف واشترط عليه
المكري ان ينزله حيث شاء فمال به الى خربة فقال له انزل فنزل فاذا بها قتلى كثيرة فلما هم بقتله
قال له زيد دعني حتى اصلي ركعتين فقال صل ركعتين فطالما صلى هؤلاء فلم تنفعهم
صلاتهم شيئا قال فلما صليت ثم جاء ليقتلني فقلت يا ارحم الراحمين فاذا صارخ يقول
لا تقتله فهاب ذلك فذهب لينظر فلم ير شيئا ثم جاء ليقتلني فقلت يا ارحم الراحمين
فسمع ايضا الصوت يقول لا تقتله فذهب لينظر ثم جاء فقلت يا ارحم الراحمين
فاذا انا بفارس على فرس في يده حربة في راسها شعلة من نار فطعنه بها حتى انفذه
فوقع ميتا ثم قال لما دعوت الله في المرة الاولى كنت في السماء السابعة ولما دعوته
في المرة الثانية كنت في السماء الدنيا ولما دعوته في الثالثة اتيتك قال السهيلي
وقد صلاهما حجر بن عدي بن الادبر حين حمل الى معاوية من العراق ومعه كتاب زياد بن ابيه
وفيه انه خرج عليه واراد خلعه وفي الكتاب شهادة جماعة من التابعين منهم الحسن
وابن سيرين فلما دخل على معاوية قال السلام عليك يا امير المؤمنين ثم قال او انا امير
المؤمنين ثم امر بقتله فصلى ركعتين قبل قتله ثم قتل رحمه الله قال وقد عاتبت معاوية
عائشة في قتله فقال انما قتله من شهد عليه ثم قال دعيني وحجرا فاني ساالقاه
على الجادة يوم القيامة قالت فاين ذهب عنك حلم ابي سفيان قال حين غاب عني مثلك
من قومي وفي مغازي موسى بن عقبة ان خبيبا وزيد بن الدثنة قتلا في يوم واحد وان رسول
الله صلى الله عليه وسلم سمع يوم قتلا وهو يقول وعليكما او وعليك السلام خبيب

فقتله قريش وذكر انهم لما صلبوا زيد بن الدثنة رموه بالنبل ليفتنوه عن دينه فما زاده الا ايمانا وتسليما وذكر عروة وموسى بن عقبة انهم لما رفعوا خبيبا على الخشبة نادوه يناشدونه اتحب ان محمدا مكانك قال لا والله العظيم ما احب ان تفديني بشوكة يشاكها في قدمه فضحكوا منه وهذا انما ذكره ابن اسحاق في قصة زيد بن الدثنة فالله اعلم قال موسى بن عقبة وزعموا ان عمرو بن امية دفن خبيبا قال ابن اسحاق وحدثني يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير عن ابيه عن عقبة بن الحرث قال سمعته يقول والله ما انا قتلت خبيبا لانا كنت اصغر من ذلك ولكن ابا ميسرة اخا بني عبد الدار اخذ الحربة فجعلها في يدي ثم اخذ بيدي وبالحربة ثم طعنه بها حتى قتله قال ابن اسحاق وحدثني بعض اصحابنا قال كان عمر بن الخطاب استعمل سعيد بن عامر بن حذيم الجمحي على بعض الشام فكان تصيبه غشية وهو بين ظهري القوم فذكر ذلك لعمر وقالوا ان الرجل مصاب فسأله عمر في قدمة قدمها عليه فقال يا سعيد ما هذا الذي يصيبك فقال والله يا امير المؤمنين ما بي من باس ولكني كنت فيمن حضر خبيب بن عدي حين قتل وسمعت دعوته فوالله ما خطرت على قلبي وانا في مجلس قط الا غشي علي فزادته عند عمر خيرا وقال الاموي حدثني ابي قال قال ابن اسحاق وبلغنا ان عمر قال من سره ان ينظر الى رجل نسيج وحده فلينظر الى سعيد بن عامر قال ابن هشام اقام خبيب في ايديهم حتى انسلخت الاشهر الحرم ثم قتلوه وقد روى البيهقي من طريق ابراهيم بن اسماعيل حدثني جعفر بن عمرو بن امية عن ابيه عن جده عمرو بن امية ان رسول الله كان بعثه عينا وحده قال جئت الى خشبة خبيب فرقيت فيها وانا اتخوف العيون فاطلقته فوقع الى الارض ثم اقتحمت فانتبذت قليلا ثم التفت فلم ار شيئا فكانما ابتلعته الارض فلم يذكر لخبيب رمة حتى الساعة ثم روى ابن اسحاق عن محمد بن ابي محمد عن سعيد او عكرمة عن ابن عباس قال لما قتل اصحاب الرجيع قال ناس من المنافقين يا ويح هولاء المقتولين الذين هلكوا هكذا لا هم قعدوا في اهليهم ولا هم ادوا رسالة صاحبهم فانزل الله تعالى فيهم ومن الناس من يعجبك قوله في الحيوة الدنيا ويشهد الله على ما في قلبه وهو الد الخصام وما بعدها وانزل في اصحاب السرية ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضات الله والله رؤف بالعباد قال ابن اسحاق وكان مما قيل من الشعر في هذه الغزوة قول خبيب حين اجمعوا على قتله قال ابن هشام ومن الناس من ينكرها له

لقد جمع الاحزاب حولي والبوا • قبائلهم واستجمعوا كل مجمع •
وكلهم مبدي العداوة جاهد • علي لاني في وثاق مضيع •
وقد جمعوا ابناءهم ونساءهم • وقربت من جذع طويل ممنع •
الى الله اشكو غربتي ثم كربتي • وما ارصد الاحزاب لي عند مصرعي •
فذا العرش صبرني على ما يراد بي • فقد بضعوا لحمي وقد ياس مطمعي •
وذلك في ذات الاله وان يشأ • يبارك في اوصال شلو ممزع •
وقد خيروني الكفر والموت دونه • وقد هملت عيناي من غير مجزع •
وما بي حذار الموت اني لميت • ولكن حذاري جحم نار ملفع •
فوالله ما ارجو اذا مت مسلما • على اي جنب كان في الله مضجعي •
فلست بمبد للعدو تخشعا • ولا جزعا اني الى الله مرجعي •

وقد تقدم في صحيح البخاري بيتان من هذه القصيدة وهما قوله

فلست ابالي حين اقتل مسلما • على اي شق كان لله مصرعي •
وذلك في ذات الاله وان يشأ • يبارك على اوصال شلو ممزع •

وقال حسان بن ثابت يبكي خبيبا فيما ذكره ابن اسحاق •

ما بال عينك لا ترقا مدامعها • سحا على الصدر مثل اللؤلؤ القلق •
على خبيب فتى الفتيان قد علموا • لا فشل حين تلقاه ولا نزق •
فاذهب خبيب جزاك الله طيبة • وجنة الخلد عند الحور في الرفق •
ماذا تقولون ان قال النبي لكم • حين الملائكة الابرار في الافق •
فيم قتلتم شهيد الله في رجل • طاغ قد اوعث في البلدان والرفق •

قال ابن هشام تركنا بعضها لانه اقذع فيها وقال حسان يهجو الذين غدروا باصحاب الرجيع من بني لحيان فيما ذكره ابن اسحاق •

ان سرك الغدر صرفا لا مزاج له • فأت الرجيع فسل عن دار لحيان •
قوم تواصوا باكل الجار بينهم • فالكلب والقرد والانسان مثلان •
لو ينطق التيس يوما قام يخطبهم • وكان ذا شرف فيهم وذا شان •

وقال حسان بن ثابت ايضا رضي الله عنه يهجو هذيلا وبني لحيان على غدرهم باصحاب الرجيع رضي الله عنهم •

لعمري لقد شانت هذيل بن مدرك • احاديث كانت في خبيب وعاصم •
احاديث لحيان صلوا بقبيحها • ولحيان جرامون شر الجرائم •
اناس هم من قومهم في صميمهم • بمنزلة الزمعان دبر القوادم •
هم غدروا يوم الرجيع واسلمت • امانتهم ذا عفة ومكارم •
رسول رسول الله غدرا ولم تكن • هذيل توقى منكرات المحارم •
فسوف يرون النصر يوما عليهم • بقتل الذي تحميه دون الحرائم •
ابابيل دبر شمس دون لحمه • حمت لحم شهاد عظام الملاحم •
لعل هذيلا ان يروا بمصابه • مصارع قتلى او مقاما لماتم •
ونوقع فيها وقعة ذات صولة • يوافي بها الركبان اهل المواسم •
بامر رسول الله ان رسوله • راى راي ذي حزم بلحيان عالم •
قبيلة ليس الوفاء يهمهم • وان ظلموا لم يدفعوا كف ظالم •
اذا الناس حلوا بالفضاء رايتهم • بمجرى مسيل الماء بين المخارم •
محلهم دار البوار ورايهم • اذا نابهم امر كراي البهائم •

وقال حسان ايضا يمدح اصحاب الرجيع ويسميهم في شعره كما ذكره ابن اسحاق رحمه الله ورضي عن حسان •

صلى الاله على الذين تتابعوا • يوم الرجيع فاكرموا واثيبوا •
راس السرية مرثد واميرهم • وابن البكير امامهم وخبيب •
وابن لطارق وابن دثنة منهم • وافاه ثم حمامه المكتوب •
والعاصم المقتول عند رجيعهم • كسب المعالي انه لكسوب •

منع المغارة ان ينالوا ظهره   حتى يجالد انه لنجيب

قال ابن هشام واكثر اهل العلم بالشعر ينكرها لحسان

سرية عمرو بن امية الضمري على اثر مقتل خبيب

قال الواقدي حدثني ابراهيم بن جعفر عن ابيه وعبد الله بن ابي عبيدة عن جعفر بن عمرو بن امية الضمري وعبد الله بن جعفر عن عبد الواحد بن ابي عون وزاد بعضهم على بعض قالوا كان ابو سفيان بن حرب قد قال لنفر من قريش بمكة ما احد يغتال محمدا فانه يمشي في الاسواق فيدرك ثارنا فاتاه رجل من العرب فدخل عليه منزله وقال له ان انت قويتني خرجت اليه حتى اغتاله فاني هاد بالطريق خريت ومعي خنجر مثل خافية النسر قال انت صاحبنا واعطاه بعيرا ونفقة وقال اطو امرك فاني لا آمن ان يسمع هذا احد فينميه الى محمد قال قال العربي لا يعلم به احد فخرج ليلا على راحلته فسار خمسا وصبح ظهر الحرة صبح يوم سادسه ثم اقبل يسال عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى اتى المصلى فقال له قائل قد توجه الى بني عبد الاشهل فخرج الاعرابي يقود راحلته حتى انتهى الى بني عبد الاشهل فعقل راحلته ثم اقبل يؤم رسول الله صلى الله عليه وسلم فوجده في جماعة من اصحابه يحدث في مسجده فدخل فلما رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لاصحابه ان هذا الرجل يريد غدرا والله حائل بينه وبين ما يريده فوقف وقال ايكم ابن عبد المطلب فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم انا ابن عبد المطلب انا ابن عبد المطلب فذهب ينحني على رسول الله كانه يساره فجبذه اسيد بن حضير وقال تنح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وجذب بداخلة ازاره فاذا الخنجر فقال يا رسول الله هذا غادر فاسقط في يد الاعرابي وقال دمي دمي يا محمد واخذه اسيد يلببه فقال له النبي صلى الله عليه وسلم اصدقني ما انت وما اقدمك فان صدقتني نفعك الصدق وان كذبتني فقد اطلعت على ما هممت به قال العربي فانا آمن قال فانت آمن فاخبره بخبر ابي سفيان وما جعل له فامر به فحبس عند اسيد ثم دعا به من الغد فقال قد امنتك فاذهب حيث شئت او خير لك من ذلك قال وما هو فقال ان تشهد ان لا اله الا الله واني رسول الله والله يا محمد ما كنت افرق الرجال فما هو الا ان رايتك فذهب عقلي وضعفت نفسي ثم اطلعت على ما هممت به فما سبقت به الركبان ولم يطلع عليه احد فعرفت انك ممنوع وانك على حق وان حزب ابي سفيان حزب الشيطان فجعل النبي صلى الله عليه وسلم يتبسم واقام اياما ثم استاذن النبي صلى الله عليه وسلم فخرج من عنده ولم يسمع له بذكر وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمرو بن امية الضمري ولسلمة بن اسلم بن حريش اخرجا حتى تاتيا ابا سفيان بن حرب فان اصبتما منه غرة فاقتلاه قال عمرو فخرجت انا وصاحبي حتى اتينا بطن ياجج فقيدنا بعيرنا وقال لي صاحبي يا عمرو هل لك في ان ناتي مكة فنطوف بالبيت سبوعا ونصلي ركعتين فقلت اني اعرف بمكة من الفرس الابلق فابى علي فانطلقنا فاتينا مكة فطفنا اسبوعا وصلينا ركعتين فلما خرجت لقيني معاوية بن ابي سفيان فعرفني وقال عمرو بن امية واخبر اباه فنذر بنا اهل مكة فقالوا ما جاء عمرو في خير وكان عمرو فاتكا في الجاهلية فحشد اهل مكة وتجمعوا وهرب عمرو وسلمة وخرجوا في طلبهما واشتدوا في الجبل قال عمرو فدخلت غارا فتغيبت عنهم حتى اصبحت وباتوا يطلبون في الجبل وعمى الله عليهم طريق المدينة ان يهتدوا له فلما كان الغد ضحوة اقبل عثمان بن عبد الله بن مالك

فقال اشهد ان لا اله الا الله وانك انت رسول الله

بن عبيد الله التيمي يختلي لفرسه حشيشا فقلت لسلمة بن اسلم ان ابصرنا اشعر بنا اهل مكة وقد انصرفوا عنا فلم يزل يدنو من باب الغار حتى اشرف علينا قال فخرجت اليه فطعنته طعنة تحت الثدي بخنجري فسقط وصاح فاسمع اهل مكة فاقبلوا بعد تفرقهم وقلت لصاحبي لا تتحرك فاقبلوا حتى اتوا عثمان بن عبيد الله فقالوا من قتلك قال عمرو بن امية فقال ابو سفيان قد علمنا انه لم يات لخير ولم يستطع ان يخبرهم بمكاننا فانه كان باخر رمق ومات وشغلوا عن طلبنا بصاحبهم فحملوه فمكثنا ليلتين في مكاننا حتى خرجنا فقال صاحبي يا عمرو بن امية هل لك في خبيب بن عدي تنزله فقلت له اين هو قال هو ذاك مصلوب حوله الحرس فقلت امهلني وتنح عني فان خشيت شيئا فانح الى بعيرك فاقعد عليه فات رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبره الخبر ودعني فاني عالم بالمدينة ثم اشتددت عليه حتى وجدته فحملته على ظهري فما مشيت به الا عشرين ذراعا حتى استيقظوا فخرجوا في اثري فطرحت الخشبة فما انسى وقعها دب يعني صوتها ثم اهلت عليه التراب برجلي فاخذت بهم طريق الصفراء فاعيوا ورجعوا وكنت لا ادرك مع بقاء نفس فانطلق صاحبي الى البعير فركبه واتى النبي صلى الله عليه وسلم فاخبره واقبلت حتى اشرفت على الغميم غميم ضجنان فدخلت في غار فيه معي قوسي واسهمي وخنجري فبينا انا فيه اذ اقبل رجل من بني بكر بن الدئل اعور طويل يسوق غنما معزى فدخل علي الغار وقال من الرجل فقلت من بني بكر فقال وانا من بني بكر ثم اتكا ورفع عقيرته يتغنى يقول

فلست بمسلم ما دمت حيا • ولست ادين دين المسلمينا •

فقلت في نفسي والله اني لارجو ان اقتلك فلما نام قمت اليه فقتلته شر قتلة قتلها احد قط ثم خرجت حتى هبطت فلما اسهلت في الطريق اذا رجلان بعثتهما قريش يتحسسان الاخبار فقلت استاسرا فابى احدهما فرميته فقتلته فلما راى ذلك الاخر استاسر فشددته وثاقا ثم اقبلت به الى النبي صلى الله عليه وسلم فلما قدمت المدينة اتى صبيان وهم يلعبون فسمعوا اشياخهم يقولون هذا عمرو فاشتد الصبيان الى النبي صلى الله عليه وسلم فاخبروه واتيت بالرجل قد ربطت ابهامه بوتر قوسي فلقد رايت النبي صلى الله عليه وسلم وهو يضحك ثم دعا لي بخير وكان قدوم سلمة قبل قدوم عمرو بثلاثة ايام رواه البيهقي وقد تقدم ان عمرا لما سقط خبيب لم ير له رمة ولا جسدا فلعله دفن مكان سقوطه والله تعالى اعلم وهذه السرية مما استدركها ابن هشام على ابن اسحاق وساقها بنحو من سياق الزهري لها لكن عنده ان رفيق عمرو بن امية في هذه السرية جبار بن صخر فالله اعلم

سرية بئر معونة وقد كانت في صفر منها

واغرب مكحول حيث قال انها كانت بعد الخندق قال البخاري ثنا ابو معمر ثنا عبد الوارث ثنا عبد العزيز عن انس بن مالك قال بعث النبي صلى الله عليه وسلم سبعين رجلا لحاجة يقال لهم القراء فعرض لهم حيان من بني سليم رعل وذكوان عند بير يقال لها بير معونة فقال القوم والله ما اياكم اردنا انما نحن مجتازون في حاجة للنبي صلى الله عليه وسلم فقتلوهم فدعا النبي صلى الله عليه وسلم عليهم شهرا في صلاة الغداة وذلك بدء القنوت وما كنا نقنت ورواه مسلم من حديث حماد بن سلمة عن ثابت عن انس بنحوه ثم قال البخاري ثنا عبد الاعلى بن حماد ثنا يزيد بن زريع ثنا سعيد عن قتادة عن انس بن مالك

اذ رعلا وذكوان وعصية وبني لحيان استمدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم على عدو فامدهم بسبعين من الانصار كنا نسميهم القراء في زمانهم كانوا يحتطبون بالنهار ويصلون بالليل حتى كانوا ببئر معونة قتلوهم وغدروا بهم فبلغ النبي صلى الله عليه وسلم فقنت شهرا يدعو في الصبح على احياء من احياء العرب على رعل وذكوان وعصية وبني لحيان قال انس فقرأنا فيهم قرانا ثم ان ذلك رفع بلغوا عنا قومنا بانا قد لقينا ربنا فرضي عنا وارضانا ثم قال البخاري ثنا موسى بن اسماعيل ثنا همام عن اسحاق بن عبد الله بن ابي طلحة حدثني انس بن مالك ان النبي صلى الله عليه وسلم بعث خاله اخا لام سليم في سبعين راكبا وكان رئيس المشركين عامر بن الطفيل خير رسول الله بين ثلاث خصال فقال يكون لك اهل السهل ولي اهل المدر او اكون خليفتك او اغزوك باهل غطفان بالف الف فطعن عامر في بيت ام فلان فقال غدة كغدة البكر في بيت امرأة من آل فلان ائتوني بفرسي فمات على ظهر فرسه فانطلق حرام اخو ام سليم وهو رجل اعرج ورجل من بني فلان فقال كونا قريبا حتى اتيهم فان امنوني كنتم قريبا وان قتلوني اتيتم اصحابكم فقال اتؤمنوني حتى ابلغ رسالة رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعل يحدثهم واومأوا الى رجل فاتاه من خلفه فطعنه قال همام احسبه قال حتى انفذه بالرمح فقال الله اكبر فزت ورب الكعبة فلحق الرجل فقتلوا كلهم غير الاعرج كان في راس جبل فانزل الله علينا ثم كان من المنسوخ انا قد لقينا ربنا فرضي عنا وارضانا فدعا النبي صلى الله عليه وسلم عليهم ثلاثين صباحا على رعل وذكوان وبني لحيان وعصية الذين عصوا الله ورسوله قال البخاري ثنا حبان ثنا عبد الله اخبرني معمر حدثني ثمامة بن عبد الله بن انس انه سمع انس بن مالك يقول لما طعن حرام بن ملحان وكان خاله يوم بئر معونة قال بالدم هكذا فنضحه على وجهه وراسه وقال فزت ورب الكعبة وروى البخاري عن عبيد بن اسماعيل عن ابي اسامة عن هشام بن عروة اخبرني ابي قال لما قتل الذين ببئر معونة واسر عمرو بن امية الضمري قال له عامر بن الطفيل من هذا واشار الى قتيل فقال له عمرو بن امية هذا عامر بن فهيرة قال لقد رأيته بعدما قتل رفع الى السماء حتى اني لانظر الى السماء بينه وبين الارض ثم وضع فاتى النبي صلى الله عليه وسلم خبرهم فنعاهم فقال ان اصحابكم قد اصيبوا وانهم قد سألوا ربهم فقالوا ربنا اخبر عنا اخواننا بما رضينا عنك ورضيت عنا فاخبرهم عنهم واصيب يومئذ فيهم عروة بن اسماء بن الصلت فسمي عروة به ومنذر بن عمرو وسمي به منذر هكذا وقع في رواية البخاري مرسلا عن عروة وقد رواه البيهقي من حديث يحيى بن سعيد عن ابي اسامة عن هشام بن عروة عن ابيه عن عائشة فساق حديث الهجرة وادرج في اخره ما ذكره البخاري هاهنا والله اعلم وروى الواقدي عن مصعب بن ثابت عن ابي الاسود عن عروة فذكر القصة وشان عامر بن فهيرة واخبار عامر بن الطفيل انه رفع الى السماء وذكر ان الذي قتله جبار بن سلمى الكلابي قال ولما طعنه بالرمح قال فزت ورب الكعبة ثم سأل جبار بعد ذلك ما معنى قوله فزت قالوا يعني بالجنة فقال صدق والله ثم اسلم جبار بعد ذلك لذلك وفي مغازي موسى بن عقبة عن عروة انه قال لم يوجد جسد عامر بن فهيرة يرون ان الملائكة وارته وقال يونس عن ابن اسحاق فاقام رسول الله صلى الله عليه وسلم يعني بعد احد بقية شوال وذا القعدة وذا الحجة والمحرم ثم بعث اصحاب بئر معونة في صفر على راس اربعة

اشهر من احد فحدثني ابي اسحاق بن يسار عن المغيرة بن عبد الرحمن عن الحرث بن هشام وعبد الله بن ابي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم وغيرهما من اهل العلم قالوا قدم ابو براء عامر بن مالك بن جعفر بن ملاعب الاسنة على رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة فعرض عليه الاسلام ودعاه اليه فلم يسلم ولم يبعد فقال يا محمد لو بعثت رجالا من اصحابك على اهل نجد يدعونهم الى امرك رجوت ان يستجيبوا لك فقال اني اخشى عليهم اهل نجد فقال ابو براء انا لهم جار فبعث رسول الله المنذر بن عمرو المعنق ليموت في اربعين رجلا وفي صحيح روايات البخاري سبعون رجلا من اصحابه من خيار المسلمين فيهم الحرث بن الصمة وحرام بن ملحان اخو بني عدي بن النجار وعروة بن اسماء بن الصلت السلمي ونافع بن ورقاء الخزاعي وعامر بن فهيرة مولى ابي بكر في رجال من خيار المسلمين فساروا حتى نزلوا بئر معونة وهي بين ارض بني عامر وحرة بني سليم فلما نزلوها بعثوا حرام بن ملحان بكتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الى عدو الله عامر بن الطفيل فلما اتاه لم ينظر في الكتاب حتى عدا على الرجل فقتله ثم استصرخ عليهم بني عامر فابوا ان يجيبوا الى ما دعاهم اليه وقالوا لن نخفر ابا براء قد عقد لهم عقدا وجوارا فاستصرخ عليهم قبائل من بني سليم عصية ورعلا وذكوان والقارة فاجابوه الى ذلك فخرجوا حتى غشوا القوم فاحاطوا بهم في رحالهم فلما راوهم اخذوا اسيافهم ثم قاتلوا القوم حتى قتلوا عن اخرهم الا كعب بن زيد اخا بني دينار بن النجار فانهم تركوه وبه رمق فارتث من بين القتلى فعاش حتى قتل يوم الخندق وكان في سرح القوم عمرو بن امية الضمري ورجل من الانصار من بني عمرو بن عوف فلم ينبئهما بمصاب القوم الا الطير تحوم حول العسكر فقالا والله ان لهذه الطير لشأنا فاقبلا لينظرا فاذا القوم في دمائهم واذا الخيل التي اصابتهم واقفة فقال الانصاري لعمرو بن امية ماذا ترى فقال ارى ان نلحق برسول الله صلى الله عليه وسلم فنخبره الخبر فقال الانصاري لكني لا ارغب بنفسي عن موطن قتل فيه المنذر بن عمرو وما كنت لاخبر عنه الرجال فقاتل القوم حتى قتل واخذ عمرو اسيرا فلما اخبرهم انه من مضر اطلقه عامر بن الطفيل وجز ناصيته واعتقه عن رقبة كانت على امه فيما زعم قال وخرج عمرو بن امية حتى اذا كان بالقرقرة من صدر قناة اقبل رجلان من بني عامر حتى نزلا في ظل هو فيه وكان مع العامريين عقد من رسول الله صلى الله عليه وسلم وجوار لم يعلم به عمرو بن امية وقد سألهما حين نزلا ممن انتما فقالا من بني عامر فامهلهما حتى اذا ناما عدا عليهما فقتلهما وهو يرى انه قد اصاب بهما ثأرا من بني عامر بما اصابوا من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما قدم عمرو بن امية على رسول الله صلى الله عليه وسلم اخبره الخبر فقال رسول الله لقد قتلت قتيلين لادينهما ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا عمل ابي براء قد كنت لهذا كارها متخوفا فبلغ ذلك ابا براء فشق عليه اخفار عامر اياه وما اصيب بسببه وجواره فقال حسان بن ثابت في اخفار عامر ابا براء ويحرض بني ابي براء على عامر

• بني ام البنين الم يرعكم • وانتم من ذوائب اهل نجد •
• تهكم عامر بابي براء • ليخفره وما خطأ كعمد •
• الا ابلغ ربيعة ذا المساعي • فما احدثت في الحدثان بعدي •
• ابوك ابو الحروب ابو براء • وخالك ماجد حكم بن سعد •

قال ابن هشام ام البنين ام ابي براء وهي بنت عمرو بن عامر بن ربيعة بن عامر بن صعصعة قال

فحمل ربيعة بن عامر بن مالك على عامر بن الطفيل فطعنه في فخذه فأشواه ووقع عن فرسه وقال هذا عمل أبي براء إن أمت فدمي لعمي فلا يتبعن به وإن أعش فسأرى رأيي وذكر موسى بن عقبة عن الزهري نحو سياق محمد بن إسحاق قال موسى وكان أمير القوم المنذر بن عمرو وقيل مرثد بن أبي مرثد وقال حسان بن ثابت يبكي على قتلى بئر معونة فيما ذكره ابن إسحاق

على قتلى معونة فاستهلي • بدمع العين سحا غير نزر •
على خيل الرسول غداة لاقوا • ولاقتهم مناياهم بقدر •
أصابهم الفناء بعقد قوم • تخون عقد حبلهم بغدر •
فيا لهفي لمنذر إذ تولى • وأعنق في منيته بصبر •
وكائن قد أصيب غداة ذاكم • من ابيض ماجد من سر عمرو •

غزوة بني النضير

وهي التي أنزل الله تعالى فيها سورة الحشر وفي صحيح البخاري عن ابن عباس أنه كان يسميها سورة بني النضير وحكى البخاري عن الزهري عن عروة أنه قال كانت بنو النضير بعد بدر بستة أشهر قبل أحد وقد أسنده ابن أبي حاتم في تفسيره عن أبيه عن عبد الله بن صالح عن الليث عن عقيل عن الزهري به وهكذا روى حنبل بن إسحاق عن هلال بن العلاء عن عبد الله بن جعفر الرقي عن مطرف بن مازن اليماني عن معمر عن الزهري فذكر غزوة بدر في سابع عشر رمضان سنة ثنتين ثم قال غزا بني النضير ثم غزا أحدا في شوال سنة ثلاث ثم قاتل يوم الخندق في شوال سنة أربع وقال البيهقي وقد كان الزهري يقول هي قبل أحد قال وذهب آخرون إلى أنها بعدها وبعد بئر معونة أيضا قلت هكذا ذكره ابن إسحاق كما تقدم فإنه بعد ذكره بئر معونة ورجوع عمرو بن أمية وقتله ذينك الرجلين من بني عامر ولم يشعر بعهدهما الذي معهما من رسول الله صلى الله عليه وسلم ولهذا قال له رسول الله لقد قتلت رجلين لأدينهما قال ابن إسحاق ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بني النضير يستعينهم في دية ذينك الرجلين اللذين قتلهما عمرو بن أمية للعهد الذي كان أعطاهما وكان بين بني النضير وبين بني عامر عهد وحلف فلما أتاهم قالوا نعم يا أبا القاسم نعينك على ما أحببت ثم خلا بعضهم ببعض فقالوا إنكم لن تجدوا الرجل على مثل حاله هذه ورسول الله صلى الله عليه وسلم إلى جنب جدار من بيوتهم قاعد فمن رجل يعلو على هذا البيت فيلقي عليه صخرة فيريحنا منه فانتدب لذلك عمرو بن جحاش بن كعب فقال أنا لذلك فصعد ليلقي عليه صخرة كما قال ورسول الله صلى الله عليه وسلم في نفر من أصحابه فيهم أبو بكر وعمر وعلي فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم الخبر من السماء بما أراد القوم فقام وخرج راجعا إلى المدينة فلما استلبث النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه قاموا في طلبه فلقوا رجلا مقبلا من المدينة فسألوه عنه فقال رأيته داخلا المدينة فأقبل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى انتهوا إليه فأخبرهم الخبر بما كانت يهود أرادت من الغدر به قال الواقدي فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم إليهم محمد بن مسلمة يأمرهم بالخروج من جواره وبلده فبعث إليهم أهل النفاق يثبتونهم ويحرضونهم على المقام ويعدونهم النصر فقويت عند ذلك نفوسهم وحمي حيي بن أخطب وبعثوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أنهم لا يخرجون ونابذوه بنقض العهود فعند ذلك أمر الناس بالخروج إليهم قال الواقدي فحاصرهم خمس

عشرة ليلة وقال ابن إسحاق وأمر النبي صلى الله عليه وسلم بالتهيؤ لحربهم والمسير إليهم قال ابن هشام واستعمل على المدينة ابن أم مكتوم وذلك في شهر ربيع الأول قال ابن إسحاق فسار حتى نزل بهم فحاصرهم ست ليال ونزل تحريم الخمر حينئذ قال وتحصنوا منه في الحصون فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقطع النخل والتحريق فيها فنادوه أن يا محمد قد كنت تنهى عن الفساد وتعيبه على من صنعه فما بال قطع النخل وتحريقها قال وقد كان رهط من بني عوف بن الخزرج منهم عبد الله بن أبي ووديعة ومالك وسويد وداعس قد بعثوا إلى بني النضير أن اثبتوا وتمنعوا فإنا لن نسلمكم إن قوتلتم قاتلنا معكم وإن أخرجتم خرجنا معكم فتربصوا ذلك من نصرهم فلم يفعلوا وقذف الله في قلوبهم الرعب فسألوا رسول الله أن يجليهم ويكف عن دمائهم على أن لهم ما حملت الإبل من أموالهم إلا الحلقة ففعل وقال العوفي عن ابن عباس أعطى كل ثلاثة منهم بعيرا يعتقبونه وسقاء رواه البيهقي وروى من طريق يعقوب بن محمد الزهري عن إبراهيم بن جعفر بن محمود بن محمد بن مسلمة عن أبيه عن جده عن محمد بن مسلمة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثه إلى بني النضير وأمره أن يؤجلهم في الجلاء ثلاث ليال وروى البيهقي وغيره أنه كانت لهم ديون مؤجلة فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ضعوا وتعجلوا وفي صحته نظر والله أعلم قال ابن إسحاق فاحتملوا من أموالهم ما استقلت به الإبل فكان الرجل يهدم بيته عن نجاف بابه فيضعه على ظهر بعيره فينطلق به فخرجوا إلى خيبر ومنهم من ذهب إلى الشام فكان من أشراف من ذهب منهم إلى خيبر سلام بن أبي الحقيق وكنانة بن الربيع بن أبي الحقيق وحيي بن أخطب فلما أن نزلوها دان لهم أهلها فحدثني عبد الله بن أبي بكر أنه حدث أنهم استقلوا بالنساء والأبناء والأموال معهم الدفوف والمزامير والقيان يعزفن خلفهم بزهاء وفخر ما رئي مثله لحي من الناس في زمانهم قال وخلوا الأموال لرسول الله صلى الله عليه وسلم يعني النخيل والمزارع فكانت له خاصة يضعها حيث يشاء فقسمها على المهاجرين الأولين دون الأنصار إلا أن سهل بن حنيف وأبا دجانة ذكرا فقرا فأعطاهما وأضاف بعضهم إليهما الحارث بن الصمة حكاه السهيلي قال ابن إسحاق ولم يسلم من بني النضير إلا رجلان وهما يامين بن عمير بن كعب ابن عم عمرو بن جحاش وأبو سعد بن وهب فأحرزا أموالهما قال ابن إسحاق وقد حدثني بعض آل يامين أن رسول الله قال ليامين ألم تر ما لقيت من ابن عمك وما هم به من شأني فجعل يامين لرجل جعلا على أن يقتل عمرو بن جحاش فقتله لعنه الله قال ابن إسحاق وأنزل الله فيهم سورة الحشر بكمالها يذكر فيها ما أصابهم من نقمته وما سلط عليهم به رسوله وما عمل به فيهم ثم شرع ابن إسحاق يفسرها وقد تكلمنا عليها بطولها مبسوطة في كتابنا التفسير ولله الحمد قال الله تعالى سبح لله ما في السموات وما في الأرض وهو العزيز الحكيم هو الذي أخرج الذين كفروا من أهل الكتاب من ديارهم لأول الحشر ما ظننتم أن يخرجوا وظنوا أنهم مانعتهم حصونهم من الله فأتاهم الله من حيث لم يحتسبوا وقذف في قلوبهم الرعب يخربون بيوتهم بأيديهم وأيدي المؤمنين فاعتبروا يا أولي الأبصار ولولا أن كتب الله عليهم الجلاء لعذبهم في الدنيا ولهم في الآخرة عذاب النار ذلك بأنهم شاقوا الله ورسوله ومن يشاق الله فإن الله شديد العقاب ما قطعتم من لينة أو تركتموها قائمة على أصولها فبإذن الله وليخزي الفاسقين سبح تعالى نفسه الكريمة وأخبر أنه

سبح له جميع مخلوقاته العلوية والسفلية وانه العزيز وهو منيع الجناب فلا ترام عظمته
وكبرياؤه وانه الحكيم في جميع ما خلق وجميع ما قدره وشرع فمن ذلك تقديره وتدبيره وتيسيره
لرسوله وعباده المؤمنين في ظفرهم باعدائهم من اليهود الذين شاقوا الله ورسوله وجانبوا
رسوله وشرعه وما كان من السبب المفضي لقتالهم كما تقدم حتى حاصرهم المؤيد بالرعب
مسيرة شهر ومع هذا فاسرهم بالمحاصرة بجنوده ونفسه الشريفة ست ليال فذهب بهم
الرعب كل مذهب حتى صالحوا ونزلوا على حقن دمائهم وان يأخذوا من اموالهم ما استقلت
به ركابهم على انهم لا يستصحبون شيئا من السلاح اهانة لهم واحتقارا فجعلوا يخربون
بيوتهم وايدي المؤمنين فاعتبروا يا اولي الابصار ثم ذكر تعالى انه لو لم يصبهم هذا الجلاء بايديهم
وهو التسيير والنفي من جوار الرسول من المدينة لاصابهم ما هو اشد منه من العذاب الدنيوي
وهو القتل مع ما ادخر لهم في الآخرة من العذاب الاليم المعد لهم ثم ذكر تعالى حكمة ما وقع من
تحريق نخيلهم وترك ما بقي منه وان ذلك كله سائغ فقال ما قطعتم من لينة وهو جيد
التمر او تركتموها قائمة على اصولها فباذن الله اي الجميع قد اذن فيه شرعا وقدرا فلا حرج
عليكم فيه ولنعم ما رأيتم من ذلك وليس هو بفساد كما قاله شرار العباد انما هو اظهار
للقوة واخزاء للفجرة الكفرة وقد روى البخاري ومسلم جميعا عن قتيبة عن الليث عن
نافع عن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم حرق نخل بني النضير وقطع وهي البويرة
فانزل الله ما قطعتم من لينة او تركتموها قائمة على اصولها فباذن الله وليخزي الفاسقين
وعند البخاري من طريق جويرية بن اسماء عن نافع عن ابن عمر ان رسول الله حرق نخل بني النضير
وقطع وهي البويرة ولها يقول حسان بن ثابت

وهان على سراة بني لؤي * حريق بالبويرة مستطير

فاجابه ابو سفيان بن الحرث فقال

ادام الله ذلك من صنيع * وحرق في نواحيها السعير
ستعلم اينا منها بنزه * وتعلم اي ارضينا تضير

قال ابن اسحاق وقال كعب بن مالك يذكر اجلاء بني النضير وقتل كعب بن مالك

لقد خزيت بغدرتها الحبور * كذاك الدهر ذو صرف يدور
وذلك انهم كفروا برب * عظيم امره امر كبير
وقد اوتوا معا فهما وعلما * وجاءهم من الله النذير
نذير صادق ادى كتابا * وآيات مبينة تنير
فقالوا ما اتيت بامر صدق * وانت بمنكر منا جدير
فقال بلى لقد اديت حقا * يصدقني به الفهم الخبير
فمن يتبعه يهد لكل رشد * ومن يكفر به يجز الكفور
فلما اشربوا غدرا وكفرا * وجد بهم عن الحق النفور
ارى الله النبي براي صدق * وكان الله يحكم لا يجور
فايده وسلطه عليهم * وكان نصيره نعم النصير
فغودر منهم كعب صريعا * فذلت عند مصرعه النضير
على الكفين ثم وقد علته * بايدينا مشهرة ذكور

بامر محمد

بامر محمد اذ دس ليلا * الى كعب اخا كعب يسير
فماكره فانزله بمكر * ومحمود اخو ثقة جسور
فتلك بنو النضير بدار سوء * ابادهم بما اجترموا المبير
غداة اتاهم في الزحف رهوا * رسول الله وهو بهم بصير
وغسان الحماة موازروه * على الاعداء وهو لهم وزير
فقال السلم ويحكم فصدوا * وحالف امرهم كذب وزور
فذاقوا غب امرهم وبالا * لكل ثلاثة منهم بعير
واجلوا عامدين لقينقاع * وغودر منهم نخل ودور

وقد ذكر ابن اسحاق جوابها لسمال اليهودي فتركناها قصدا قال ابن اسحاق وكان مما قيل
في بني النضير قول ابن لقيم العبسي ويقال قالها قيس بن بحر بن طريف الاشجعي

اهلي فداء لامرئ غير هالك * احل اليهود بالحسي المزنم
يقيلون في جمر الغضاة وبدلوا * اهيضب عودى بالودي المكمم
فان يك ظني صادقا بمحمد * تروا خيله بين الصلا ويرمرم
يؤم بها عمرو بن بهثة انهم * عدو وما حي صديق كمجرم
عليهن ابطال مساعير في الوغى * يهزون اطراف الوشيج المقوم
وكل رقيق الشفرتين مهند * تورثن من ازمان عاد وجرهم
فمن مبلغ عني قريشا رسالة * فهل بعدهم في المجد من متكرم
بان اخاكم فاعلمن محمدا * تليد الندى بين الحجون وزمزم
فدينوا له بالحق تجسم اموركم * وتسموا من الدنيا الى كل معظم
نبي تلاقته من الله رحمة * ولا تسالوه امر غيب مرجم
فقد كان في بدر لعمري عبرة * لكم يا قريشا والقليب الملمم
غداة اتى في الخزرجية عامدا * اليكم مطيعا للعظيم المكرم
معانا بروح القدس ينكي عدوه * رسولا من الرحمن حقا بعلم
رسولا من الرحمن يتلو كتابه * فلما انار الحق لم يتلعثم
ارى امره يزداد في كل موطن * علوا لامر حمه الله محكم

قال ابن اسحاق وقال علي بن ابي طالب قال ابن هشام قالها رجل من المسلمين ولم ار
احدا يعرفها لعلي

عرفت ومن يعتدل يعرف * وايقنت حقا ولم اصدف
عن الكلم المحكم اللاء من * لدى الله ذي الرافة الارأف
رسائل يدرسن في المؤمنين * بهن اصطفى احمد المصطفى
فاصبح احمد فينا عزيزا * عزيز المقامة والموقف
فيا ايها الموعدوه سفاها * ولم يات جورا ولم يعنف
الستم تخافون ادنى العذاب * وما آمن الله كالاخوف
وان تصرعوا تحت اسيافه * كمصرع كعب ابي الاشرف
غداة راى الله طغيانه * واعرض كالجمل الاجنف

فأنزل جبريل في تنزله • بوحي إلى عبده ملطف
فدس الرسول رسولا له • بأبيض ذي هبة مرهف
فباتت عيون له معولات • متى ينع كعب لها تذرف
وقلن لأحمد ذرنا قليلا • فإنا من النوح لم نشتف
فخلاهم ثم قال اظعنوا • دحورا على رغم الآنف
وأجلى النضير إلى غربة • وكانوا بدار ذوي زخرف
إلى أذرعات ردافى وهم • على كل ذي دبر أعجف

وتركنا جوابهما أيضا من شعر اليهودي قصدا ثم ذكر تعالى حكم الفيء وأنه حكم بأموال بني النضير لرسوله صلى الله عليه وسلم وملكها له فوضعها الرسول صلى الله عليه وسلم حيث أراه الله تعالى كما ثبت في الصحيحين عن عمر بن الخطاب أنه قال كانت أموال بني النضير مما أفاء الله على رسوله مما لم يوجف المسلمون عليه بخيل ولا ركاب وكانت لرسول الله صلى الله عليه وسلم خاصة فكان يعزل نفقة أهله سنة ثم يجعل ما بقي في الكراع والسلاح عدة في سبيل الله عز وجل ثم بين تعالى حكم الفيء وأنه للمهاجرين والأنصار والتابعين لهم بإحسان على منوالهم وطريقتهم ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل كي لا يكون دولة بين الأغنياء منكم وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا واتقوا الله إن الله شديد العقاب قال الإمام أحمد ثنا عارم وعفان قالا ثنا معتمر سمعت أبي يقول حدثنا أنس بن مالك عن نبي الله صلى الله عليه وسلم أن الرجل كان يجعل له من ماله النخلات أو كما شاء الله حتى فتحت عليه قريظة والنضير قال فجعل يرد بعد ذلك قال وإن أهلي أمروني أن آتي النبي صلى الله عليه وسلم فأسأله الذي كان أهله أعطوه أو بعضه وكان نبي الله صلى الله عليه وسلم أعطاه أم أيمن أو كما شاء الله قالت فسألت النبي صلى الله عليه وسلم فأعطانيهن فجاءت أم أيمن فجعلت الثوب في عنقي وجعلت تقول كلا والله الذي لا إله إلا هو لا يعطيكهن وقد أعطانيهن أو كما قالت فقال نبي الله صلى الله عليه وسلم لك كذا وكذا وتقول كلا والله قال ويقول لك كذا وكذا وتقول كلا والله قال ويقول لك كذا وكذا حتى أعطاها ما حسبت أنه قال عشرة أمثاله أو قال قريبا من عشرة أمثاله أو كما قال أخرجاه بنحوه من طرق عن معتمر به ثم قال تعالى ذامًّا للمنافقين الذين مالوا إلى بني النضير في الباطن كما تقدم ووعدوهم النصر فلم يكن من ذلك شيء بل خذلوهم أحوج ما كانوا إليهم وغروهم من أنفسهم فقال ألم تر إلى الذين نافقوا يقولون لإخوانهم الذين كفروا من أهل الكتاب لئن أخرجتم لنخرجن معكم ولا نطيع فيكم أحدا أبدا وإن قوتلتم لننصرنكم والله يشهد إنهم لكاذبون لئن أخرجوا لا يخرجون معهم ولئن قوتلوا لا ينصرونهم ولئن نصروهم ليولن الأدبار ثم لا ينصرون ثم ذمهم تعالى على جبنهم وقلة علمهم وخفة عقلهم النافع ثم ضرب لهم مثلا قبيحا شنيعا بالشيطان حين قال للإنسان اكفر فلما كفر قال إني بريء منك إني أخاف الله رب العالمين فكان عاقبتهما أنهما في النار خالدين فيها وذلك جزاء الظالمين

قصة عمرو بن سعدى القرظي حين مر على ديار بني النضير وقد صارت يبابا ليس بها داع ولا مجيب

وقد كانت بنو النضير أشرف من بني قريظة حتى حداه ذلك على الإسلام وأظهر صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم من التوراة قال الواقدي حدثنا إبراهيم بن جعفر عن أبيه قال لما خرجت بنو النضير من المدينة أقبل عمرو بن سعدى فأطاف بمنازلهم فرأى خرابها وفكر ثم رجع إلى بني قريظة فوجدهم في الكنيسة فنفخ في بوقهم فاجتمعوا فقال الزبير بن باطا يا أبا سعيد أين كنت منذ اليوم لم نرك وكان لا يفارق الكنيسة وكان يتأله في اليهودية قال رأيت اليوم عبرا قد عبرنا بها رأيت منازل إخواننا خالية بعد ذلك العز والجلد والشرف الفاضل والعقل البارع قد تركوا أموالهم وملكها غيرهم وخرجوا خروج ذل ولا والتوراة ما سلط هذا على قوم قط لله بهم حاجة وقد أوقع قبل ذلك بابن الأشرف ذي عزهم ثم بيته في بيته آمنا وأوقع بابن سنينة سيدهم وأوقع ببني قينقاع فأجلاهم وهم أهل جد يهود وكانوا أهل عدة وسلاح ونجدة فحصرهم فلم يخرج إنسان منهم رأسه حتى سباهم فكلم فيهم فتركهم على أن أجلاهم من يثرب يا قوم قد رأيتم ما رأيتم فأطيعوني وتعالوا نتبع محمدا فوالله إنكم لتعلمون أنه نبي قد بشرنا به وبأمره ابن الهيبان أبو عمير وابن حواش وهما أعلم يهود جاءانا يتوكفان قدومه أمرانا باتباعه جاءانا من بيت المقدس وأمرانا أن نقرئه منهما السلام ثم ماتا على دينهما ودفناهما بحرتنا هذه فأسكت القوم فلم يتكلم منهم متكلم ثم أعاد هذا الكلام ونحوه وخوفهم بالحرب والسباء والجلاء فقال الزبير بن باطا قد والتوراة قرأت صفته في كتاب باطا التوراة التي نزلت على موسى ليس في المثاني التي أحدثنا قال فقال له كعب بن أسد ما يمنعك يا أبا عبد الرحمن من اتباعه قال أنت قال كعب فلم والتوراة ما حلت بينك وبينه قط قال الزبير بل أنت صاحب عهدنا وعقدنا فإن اتبعته اتبعناه وإن أبيت أبينا فأقبل عمرو بن سعدى على كعب فذكر ما تقاولا في ذلك إلى أن قال كعب ما عندي في أمره إلا ما قلت ما تطيب نفسي أن أصير تابعا رواه البيهقي

غزوة بني لحيان التي صلى فيها صلاة الخوف بعسفان

هاهنا ذكرها البيهقي في الدلائل وإنما ذكرها ابن إسحاق فيما رأيته من طريق هشام عن زياد عنه في جمادى الأولى من سنة ست من الهجرة بعد الخندق وبني قريظة وهو أشبه مما ذكره البيهقي والله أعلم قال الحافظ البيهقي أنا أبو عبد الله الحافظ ثنا أبو العباس الأصم ثنا أحمد بن عبد الجبار وغيره قالوا لما أصيب خبيب وأصحابه خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم طالبا بدمائهم ليصيب من بني لحيان غرة فسلك طريق الشام ليري أنه لا يريد بني لحيان حتى نزل بأرضهم فوجدهم قد حذروا وتمنعوا في رؤوس الجبال فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو أنا هبطنا عسفان لرأت قريش أنا قد جئنا مكة فخرج في مائتي راكب حتى نزل عسفان ثم بعث فارسين حتى جاءا كراع الغميم ثم انصرفا فذكر أبو عياش الزرقي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى بعسفان صلاة الخوف وقد قال الإمام أحمد حدثنا عبد الرزاق ثنا الثوري عن منصور عن مجاهد عن أبي عياش قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بعسفان فاستقبلنا المشركون عليهم خالد بن الوليد وهم بيننا وبين القبلة فصلى بنا النبي صلى الله عليه وسلم الظهر فقالوا قد كانوا على حال لو أصبنا غرتهم ثم قالوا تأتي عليهم الآن صلاة هي أحب إليهم من أبنائهم وأنفسهم قال فنزل جبريل بهذه الآيات بين الظهر والعصر وإذا كنت فيهم فأقمت لهم الصلاة قال فحضرت فأمرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخذوا السلاح فصففنا خلفه صفين ثم ركع فركعنا جميعا ثم رفع فرفعنا جميعا ثم سجد بالصف الذي يليه والآخرون قيام يحرسونهم فلما سجدوا وقاموا

جلس الاخرون فسجدوا في مكانهم ثم تقدم هولاء الى مصاف هولاء وجاء هولاء الى مصاف هولاء قال ثم ركع فركعوا جميعا ثم رفع فرفعوا جميعا ثم سجد الصف الذي يليه والاخرون قيام يحرسونهم فلما جلسوا جلس الاخرون فسجدوا ثم سلم عليهم ثم انصرف قال فصلاها رسول الله صلى الله عليه وسلم مرتين مرة بعسفان ومرة بارض بني سليم ثم رواه احمد عن غندر عن شعبة عن منصور به نحوه وقد رواه ابو داود عن سعيد عن منصور وعن جرير بن عبد الحميد والنسائي عن الفلاس عن عبد العزيز بن عبد الصمد وعن محمد بن المثنى وبندار عن غندر عن شعبة ثلاثتهم عن منصور به وهذا اسناد على شرط الصحيحين ولم يخرجه واحد منهما لكن روى مسلم من طريق ابي خيثمة زهير بن معاوية عن ابي الزبير عن جابر قال غزونا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم قوما من جهينة فقاتلونا قتالا شديدا فلما ان صلى الظهر قال المشركون لو ملنا عليهم ميلة لاقتطعناهم فاخبر جبريل رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك وذكر لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم قال وقالوا انه ستاتيهم صلاة هي احب اليهم من الاولاد فذكر الحديث كنحو ما تقدم وقال ابو داود الطيالسي ثنا هشام عن ابي الزبير عن جابر بن عبد الله قال صلى بنا رسول الله بأصحابه الظهر بنخل فهم بهم المشركون ثم قالوا دعوهم فان لهم صلاة بعد هذه الصلاة هي احب اليهم من ابنائهم قال فنزل جبريل على رسول الله فاخبره فصلى باصحابه العصر فصفهم صفين ورسول الله بين ايديهم والعدو بين يدي رسول الله فكبر وكبروا جميعا وركعوا جميعا ثم سجد الذين يلونهم والاخرون قيام فلما رفعوا رؤوسهم سجد الاخرون ثم تقدم هولاء وتاخر هولاء فكبروا جميعا وركعوا جميعا ثم سجد الذين يلونه والاخرون قيام فلما رفعوا رؤوسهم سجد الاخرون وقد استشهد البخاري في صحيحه برواية هشام هذه عن ابي الزبير عن جابر وقال الامام احمد ثنا عبد الصمد ثنا سعيد بن عبيد الهنائي ثنا عبد الله بن شقيق ثنا ابو هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم نزل بين ضجنان وعسفان فقال المشركون ان لهولاء صلاة هي احب اليهم من ابنائهم وابكارهم وهي العصر فاجمعوا امركم فميلوا عليهم ميلة واحدة وان جبريل اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فامره ان يقسم اصحابه شطرين فيصلي ببعضهم ويقوم الطائفة الاخرى وراءهم وليأخذوا حذرهم واسلحتهم ثم تاتي الاخرى فيصلون معه ويأخذ هولاء حذرهم واسلحتهم لتكون لهم ركعة ركعة مع رسول الله ولرسول الله صلى الله عليه وسلم ركعتان ورواه الترمذي والنسائي من حديث عبد الصمد به قال الترمذي حسن صحيح قلت ان كان ابو هريرة شهد هذا فهو بعد خيبر والا فهو من مرسلات الصحابي ولا يضر ذلك عند الجمهور والله اعلم ولم يذكر سياق في حديث جابر عند مسلم ولا عند ابي داود الطيالسي امر عسفان ولا خالد بن الوليد لكن الظاهر انها واحدة بقي الشان في ان غزوة عسفان قبل الخندق او بعدها فان من العلماء منهم الشافعي من يزعم ان صلاة الخوف انما شرعت بعد يوم الخندق فانهم اخروا الصلاة يومئذ عن ميقاتها لعذر القتال ولو كانت صلاة الخوف مشروعة اذ ذاك لفعلوها ولم يؤخروها ولهذا قال اهل المغازي ان غزوة بني لحيان التي صلى فيها صلاة الخوف بعسفان كانت بعد بني قريظة وقد ذكر الواقدي باسناده عن خالد بن الوليد قال لما خرج رسول الله الى الحديبية لقيته بعسفان فوقفت بازائه وتعرضت له فصلى باصحابه الظهر

اما منا

اما منا فهممنا ان نغير عليهم ثم لم يعزم لنا فاطلع الله نبيه على ما في انفسنا من الهم به فصلى باصحابه صلاة العصر صلاة الخوف قلت وعمرة الحديبية كانت في ذي القعدة سنة ست بعد الخندق وبني قريظة كما سياتي وفي سياق حديث ابي عياش الزرقي ما يقتضي ان اية صلاة الخوف نزلت في هذه الغزوة يوم عسفان فاقتضى ذلك انها اول صلاة خوف صلاها والله اعلم وسنذكر ان شاء الله تعالى كيفية صلاة الخوف واختلاف الروايات فيها في كتاب الاحكام الكبير ان شاء الله وبه الثقة وعليه التكلان

غزوة ذات الرقاع

قال ابن اسحاق ثم اقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة بعد غزوة بني النضير شهري ربيع وبعض جمادى ثم غزا نجدا يريد بني محارب وبني ثعلبة من غطفان واستعمل على المدينة ابا ذر قال ابن هشام ويقال عثمان بن عفان قال ابن اسحاق فسار حتى نزل نجدا وهي غزوة ذات الرقاع قال ابن هشام لانهم رقعوا فيها راياتهم ويقال لشجرة هنالك اسمها ذات الرقاع وقال الواقدي بجبل فيه بقع حمر وسود وبيض وفي حديث ابي موسى انها سميت بذلك لما كانوا يربطون على ارجلهم من الخرق من شدة الحر قال ابن اسحاق فلقي بها جمعا من غطفان فتقارب الناس ولم يكن بينهم حرب وقد خاف الناس بعضهم بعضا حتى صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالناس صلاة الخوف وقد اسند ابن هشام حديث صلاة الخوف ها هنا عن عبد الوارث بن سعيد التنوري عن يونس بن عبيد عن الحسن عن جابر بن عبد الله وعن عبد الوارث عن ايوب عن ابي الزبير عن جابر وعن عبد الوارث عن ايوب عن نافع عن ابن عمر ولكن لم يذكر في هذه الطرق غزوة نجد ولا ذات الرقاع ولم يتعرض لزمان ولا مكان وفي كون غزوة ذات الرقاع التي كانت بنجد لقتال بني محارب وبني ثعلبة بن غطفان قبل الخندق نظر وقد ذهب البخاري الى ان ذلك كان بعد خيبر واستدل على ذلك بان ابا موسى الاشعري شهدها كما سياتي وقدومه انما كان ليالي خيبر صحبة جعفر واصحابه وكذلك ابو هريرة وقد قال صلينا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة نجد صلاة الخوف ومما يدل على انها بعد الخندق وقد ثبت عنه في الصحيح انه قال غزونا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل نجد فذكر صلاة الخوف وقول الواقدي انه عليه السلام خرج الى ذات الرقاع في اربعمائة ويقال سبعمائة من اصحابه ليلة السبت لعشر خلون من المحرم سنة خمس فيه نظر ثم لا يحصل به نجاة من ان صلاة الخوف انما شرعت بعد الخندق لان الخندق كان في شوال سنة خمس على المشهور وقيل في شوال سنة اربع فيحصل على هذا القول مخلص من حديث ابن عمر فاما حديثا ابي موسى وابي هريرة فلا

ان ابن عمر انما اجازه رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل نجد في القتال اول ما اجازه يوم الخندق

قصة غورث بن الحارث

قال ابن اسحاق في هذه الغزوة حدثني عمرو بن عبيد عن الحسن عن جابر بن عبد الله ان رجلا من بني محارب يقال له غورث بن الحارث قال لقومه من غطفان ومحارب الا اقتل لكم محمدا قالوا بلى وكيف تقتله قال افتك به فاقبل الى رسول الله وهو جالس وسيف رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجره فقال يا محمد انظر الى سيفك هذا قال نعم فاخذه فاستله ثم جعل يهزه ويهم به فيكبته الله ثم قال يا محمد اما تخافني قال لا وما اخاف منك قال اما تخافني وفي يدي السيف قال لا يمنعني الله منك ثم عمد الى السيف

النبي صلى الله عليه وسلم يده عليه قال فانزل الله عز وجل يا ايها الذين امنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذ هم قوم ان يبسطوا اليكم ايديهم فكف ايديهم عنكم واتقوا الله وعلى الله فليتوكل المومنون قال ابن اسحاق وحدثني يزيد بن رومان انها نزلت في عمرو بن جحاش اخي بني النضير وما هم به فهكذا ذكر ابن اسحاق قصة غورث هذا عن عمرو بن عبيد القدري راس الفرقة الضالة وهو وان كان لا يتهم بتعمد الكذب في الحديث الا انه ممن لا ينبغي ان يروى عنه لبدعته ودعايه اليها وهذا الحديث ثابت في الصحيحين من غير هذا الوجه ولله الحمد فقد اورد الحافظ البيهقي ههنا طرقا لهذا الحديث في عدة اماكن وهي ثابتة في الصحيحين من حديث الزهري عن سنان بن ابي سنان وابي سلمة عن جابر انه غزا مع رسول الله غزوة نجد فلما قفل رسول الله ادركتهم القايلة في واد كثير العضاه فتفرق الناس يستظلون بالشجر وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم تحت ظل سمرة فعلق بها سيفه قال جابر فنمنا نومة فاذا رسول الله يدعونا فاجبناه واذا عنده اعرابي جالس فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان هذا اخترط سيفي وانا نايم فاستيقظت وهو في يده صلتا فقال من يمنعك مني قلت الله فقال من يمنعك مني قلت الله فشام السيف وجلس ولم يعاقبه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد فعل ذلك وقد رواه مسلم ايضا عن ابي بكر بن ابي شيبة عن عفان عن ابان عن يحيى بن ابي كثير عن ابي سلمة عن جابر قال اقبلنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى اذا كنا بذات الرقاع وكنا اذا اتينا على شجرة ظليلة تركناها لرسول الله صلى الله عليه وسلم فجاء رجل من المشركين وسيف رسول الله معلق بشجرة فاخذ سيف رسول الله فاخترطه وقال لرسول الله تخافني قال لا قال فمن يمنعك مني قال الله يمنعني منك قال فتهدده اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فاغمد السيف وعلقه قال ونودي بالصلاة فصلى بطايفة ركعتين ثم تاخروا وصلى بالطايفة الاخرى ركعتين قال فكانت لرسول الله صلى الله عليه وسلم اربع ركعات وللقوم ركعتان وقد علقه البخاري بصيغة الجزم عن ابان به قال البخاري وقال مسدد عن ابي عوانة عن ابي بشر اسم الرجل غورث بن الحرث واسند البيهقي من طريق ابي عوانة عن ابي بشر عن سليمان بن قيس عن جابر قال قاتل رسول الله صلى الله عليه وسلم محارب بخصفة بنخل فراوا من المسلمين غرة فجاء رجل منهم يقال له غورث بن الحرث حتى قام على راس رسول الله صلى الله عليه وسلم بالسيف وقال من يمنعك مني قال الله قال فسقط السيف من يده فاخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم السيف وقال من يمنعك مني فقال كن خير اخذ قال تشهد ان لا اله الا الله قال لا ولكن اعاهدك على ان لا اقاتلك ولا اكون مع قوم يقاتلونك فخلى سبيله فاتى اصحابه فقال جيتكم من عند خير الناس ثم ذكر صلاة الخوف وانه صلى اربع ركعات بكل طايفة ركعتين وقد اورد البيهقي ههنا طرق صلاة الخوف بذات الرقاع عن صالح بن خوات بن جبير عن سهل بن ابي حثمة وحديث الزهري عن سالم عن ابيه في صلاة الخوف بنجد وموضع ذلك كتاب الاحكام والله تعالى اعلم

قصة الذي اصيبت امراته في هذه الغزوة

قال محمد بن اسحاق حدثني عمي صدقة بن يسار عن عقيل عن جابر بن عبد الله الانصاري قال خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة ذات الرقاع من نخل فاصاب امراة رجل

من المشركين

من المشركين فلما انصرف رسول الله قافلا اتى زوجها وكان غايبا فلما اخبر الخبر حلف لا ينتهي حتى يهريق في اصحاب محمد دما فخرج يتبع اثر رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزل رسول الله منزلا فقال من رجل يكلانا ليلتنا فانتدب رجل من المهاجرين ورجل من الانصار فقالا نحن يا رسول الله قال فكونا بفم الشعب من الوادي وهما عمار بن ياسر وعباد بن بشر فلما خرجا الى فم الشعب قال الانصاري للمهاجري اي الليل تحب ان اكفيكه اوله او اخره قال بل اكفني اوله فاضطجع المهاجري فنام وقام الانصاري يصلي قال واتى الرجل فلما راى شخص الرجل عرف انه ربيئة القوم فرمى بسهم فوضعه فيه فانتزعه فوضعه وثبت قايما قال ثم رمى بسهم اخر فوضعه فيه قال فانتزعه فوضعه وثبت قايما قال ثم رمى بسهم فوضعه فيه فنزعه فوضعه وثبت قايما قال ثم عاد له بالثالث فوضعه فيه ثم ركع وسجد ثم اهب صاحبه فقال اجلس فقد اثبت قال فوثب الرجل فلما راهما الرجل عرف انه قد نذرا به فهرب قال ولما راى المهاجري ما بالانصاري من الدماء قال سبحان الله افلا اهببتني اول ما رماك قال كنت في سورة اقروها فلم احب ان اقطعها حتى انفذها فلما تابع علي الرمي ركعت فاذنتك وايم الله لولا ان اضيع ثغرا امرني رسول الله صلى الله عليه وسلم بحفظه لقطع نفسي قبل ان اقطعها او انفذها هكذا ذكره ابن اسحاق في المغازي وقد رواه ابو داود عن ابي توبة عن عبد الله بن المبارك عن ابن اسحاق به وقد ذكر الواقدي عن عبد الله العمري عن اخيه عبيد الله عن القسم بن محمد عن صالح بن خوات عن ابيه حديث صلاة الخوف بطوله قال وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد اصاب في محالهم نسوة وكان في السبي جارية وضيئة وكان زوجها يحبها فحلف ليطلبن محمدا ولا يرجع حتى يصيب دما او يخلص صاحبته ثم ذكر من السياق نحو ما اورده محمد بن اسحاق قال الواقدي وكان جابر بن عبد الله يقول بينا انا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ جاءه رجل من اصحابه بفرخ طاير ورسول الله صلى الله عليه وسلم ينظر اليه فاقبل ابواه او احدهما حتى طرح نفسه في يدي الذي اخذ فرخه فرايت ان الناس عجبوا من ذلك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اتعجبون من هذا الطاير اخذتم فرخه فطرح نفسه رحمة لفرخه والله لربكم ارحم بكم من هذا الطاير بفرخه

قصة جمل جابر في هذه الغزوة

قال محمد بن اسحاق حدثني وهب بن كيسان عن جابر بن عبد الله قال خرجت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى غزوة ذات الرقاع من نخل على جمل لي ضعيف فلما قفل رسول الله صلى الله عليه وسلم جعلت الرفاق تمضي وجعلت اتخلف حتى ادركني رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما لك يا جابر قلت يا رسول الله ابطا بي جملي هذا قال انخه قال فانخته واناخ رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال اعطني هذه العصا من يدك او اقطع عصا من شجرة ففعلت فاخذها رسول الله صلى الله عليه وسلم فنخسه بها نخسات ثم قال اركب فركبت فخرج والذي بعثه بالحق يواهق ناقته مواهقة قال وتحدثت مع رسول الله فقال لي اتبيعني جملك هذا يا جابر قال قلت بل اهبه لك قال لا ولكن بعنيه قال قلت فسمنيه قال قد اخذته بدرهم قال قلت لا اذا تغبنني يا رسول الله قال فبدرهمين قال قلت لا قال فلم يزل

يرجع لي حتى بلغ الاوقية قال فقلت افقد رضيت يا رسول الله قال نعم قلت فهو
لك قال قد اخذته ثم قال يا جابر هل تزوجت بعد قلت نعم قال اثيبا ام بكرا قال
قلت بل ثيبا قال افلا جارية تلاعبها وتلاعبك قال قلت يا رسول الله ان ابي اصيب
يوم احد وترك بنات له سبعا فنكحت امراة جامعة تجمع روسهن فتقوم عليهن قال
اصبت ان شا الله اما انا لو قد جينا صرارا امرنا بجزور فنحرت واقمنا عليها يومنا
ذلك وسمعت بنا فنفضت نمارقها قال قلت والله يا رسول الله ما لنا من نمارق
قال انها ستكون فاذا انت قدمت فاعمل عملا كيسا قال فلما جينا صرارا امر رسول
الله صلى الله عليه وسلم بجزور فنحرت فاقمنا عليها ذلك اليوم فلما امسى دخل ودخلنا
قال فحدثت المراة الحديث وما قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت فدونك فسمع وطاعة
فلما اصبحت اخذت براس الجمل فاقبلت به حتى انخته على باب رسول الله ثم جلست في المسجد
قريبا منه قال وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فراى الجمل فقال ما هذا قالوا يا رسول الله
هذا جمل جا به جابر قال فاين جابر فدعيت له قال فقال يا ابن اخي خذ براس جملك فهو لك ودعا
بلالا فقال اذهب بجابر فاعطه اوقية قال فذهبت معه فاعطاني اوقية وزادني شيا يسيرا
قال فوالله ما زال ينمي عندي ويرى مكانه من بيتنا حتى اصيب امس فيما اصيب لنا يعني
يوم الحرة وقد اخرجه صاحبا الصحيح من حديث عبيد الله بن عمر العمري عن وهب بن كيسان عن
جابر بنحوه قال السهيلي في هذا الحديث اشارة الى ما كان اخبر به رسول الله صلى الله عليه وسلم
جابر بن عبد الله ان الله احيا والده وكلمه فقال له تمن علي وذلك انه شهيد وقد قال
الله تعالى ان الله اشترى من المومنين انفسهم واموالهم وزادهم على ذلك في قوله للذين
احسنوا الحسنى وزيادة ثم جمع لهم بين العوض والمعوض فرد عليهم ارواحهم التي اشتراها
منهم فقال ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله امواتا بل احياء عند ربهم يرزقون والروح
للانسان بمنزلة المطية كما قال ذلك عمر بن عبد العزيز قال فلذلك اشترى رسول الله صلى
الله عليه وسلم من جابر جمله وهو مطيته فاعطاه ثمنه ورده عليه وزاده مع ذلك قال ففيه
تحقيق لما كان اخبره به عن ابيه وهذا الذي سلكه السهيلي ههنا اشارة غريبة وتخيل
بديع والله سبحانه وتعالى اعلم وقد ترجم الحافظ البيهقي في كتابه دلايل النبوة على هذا
الحديث في هذه الغزوة فقال باب ما ظهر في غزاته هذه من بركته في جمل جابر بن عبد الله
رضي الله عنه وهذا الحديث له طرق عن جابر والفاظ كثيرة وفيها اختلاف كثير في كمية ثمن الجمل
وكيفية ما اشترط في البيع وتحرير ذلك واستقصاوه لايق بكتاب البيع من الاحكام
والله اعلم وقد جا تقييده بهذه الغزوة وجا تقييده بغيرها كما سياتي ومستبعد
تعداد ذلك والله تعالى اعلم

غزوة بدر الاخيرة وهي بدر الموعد التي تواعدوا اليها من احد كما تقدم

قال ابن اسحاق ولما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة من غزوة ذات الرقاع اقام
بها بقية جمادى الاولى والاخرة ورجبا ثم خرج في شعبان الى بدر لميعاد ابي سفيان قال
ابن هشام واستعمل على المدينة عبد الله بن عبد الله بن ابي بن سلول قال ابن اسحاق فنزل
رسول الله بدرا فاقام عليه ثمانيا ينتظر ابا سفيان وخرج ابو سفيان في اهل مكة حتى
نزل مجنة من ناحية الظهران وبعض الناس يقول قد بلغ عسفان ثم بدا له في الرجوع فقال

يا معشر قريش انه لا يصلحكم الا عام خصب ترعون فيه الشجر وتشربون فيه اللبن وان عامكم
هذا عام جدب واني راجع فارجعوا فرجع الناس فسماهم اهل مكة جيش السويق يقولون انما
خرجتم تشربون السويق قال واتى مخشي بن عمرو الضمري وقد كان وادع رسول الله في غزوة
ودان على بني ضمرة فقال يا محمد اجيت للقاء قريش على هذا الما قال نعم يا اخا بني ضمرة
وان شيت رددنا اليك ما كان بيننا وبينك وجالدناك حتى يحكم الله بيننا وبينك
قال لا والله يا محمد ما لنا بذلك من حاجة ثم رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة
ولم يلق كيدا قال ابن اسحاق وقد قال عبد الله بن رواحة يعني في انتظارهم ابا سفيان
ورجوعه بقريش عامئذ ذلك قال ابن هشام وقد انشدنيها ابو زيد لكعب بن مالك

وعدنا ابا سفيان بدرا فلم نجد ... لميعاده صدقا وما كان وافيا
فاقسم لو لاقيتنا فلقيتنا ... لابت ذميما وافتقدت المواليا
تركنا به اوصال عتبة وابنه ... وعمرا ابا جهل تركناه ثاويا
عصيتم رسول الله اف لدينكم ... وامركم السيي الذي كان غاويا
فاني وان عنفتموني لقايل ... فدى لرسول الله اهلي وماليا
اطعناه لم نعدله فينا بغيره ... شهابا لنا في ظلمة الليل هاديا

قال ابن اسحاق وقال حسان بن ثابت في ذلك

دعوا فلجات الشام قد حال دونها ... جلاد كافواه المخاض الاوارك
بايدي رجال هاجروا نحو ربهم ... وانصاره حقا وايدي الملايك
اذا سلكت للغور من بطن عالج ... فقولا لها ليس الطريق هنالك
اقمنا على الرس النزوع ثمانيا ... بارعن جرار عريض المبارك
بكل كميت جوزه نصف خلقه ... وقب طوال مشرفات الحوارك
ترى العرفج العامي تذري اصوله ... مناسم اخفاف المطي الرواتك
فان نلق في تطوافنا والتماسنا ... فرات بن حيان يكن رهن هالك
وان تلق قيس بن امري القيس بعده ... يزد في سواد لونه لون حالك
فابلغ ابا سفيان عني رسالة ... فانك من غر الرجال الصعالك

قال فاجابه ابو سفيان بن الحرث بن عبد المطلب وقد اسلم فيما بعد ذلك

احسان انا يا ابن اكلة الفغا ... وجدك نغتال الخروق كذلك
خرجنا وما تنجو اليعافير بيننا ... ولو وألت منا بشد مدارك
اذا ما انبعثنا من مناخ حسبته ... مدمن اهل الموسم المتعارك
اقمت على الرس النزوع تريدنا ... وتتركنا في النخل عند المدارك
على الزرع تمشي خيلنا وركابنا ... فما وطيت الصقنه بالدكادك
اقمنا ثلاثا بين سلع وفارع ... بجرد الجياد والمطي الرواتك
حسبتم جلاد القوم عند قبابكم ... كماخذكم بالعين ارطال انك
فلا تبعث الخيل الجياد وقل لها ... على نحو قول المعصم المتماسك
سعدتم بها وغيركم كان اهلها ... فوارس من ابنا فهر بن مالك
فانك لا في هجرة ان ذكرتها ... ولا حرمات دينها انت ناسك

الاوتيان الرصاص المذاب

قال ابن هشام تركناها ابياتا لاختلاف قوافيها وقد ذكر موسى بن عقبة عن الزهري وابن لهيعة عن ابي الاسود عن عروة بن الزبير ان رسول الله صلى الله عليه وسلم استنفر الناس لموعد ابي سفيان وانبعث المنافقون في الناس يثبطونهم فسلم الله اولياءه وخرج المسلمون صحبة رسول الله صلى الله عليه وسلم الى بدر واخذوا معهم بضائع وقالوا ان وجدنا ابا سفيان والا اشترينا من بضائع موسم بدر ثم ذكر نحو سياق محمد بن اسحاق في خروج ابي سفيان الى مجنة ورجوعه وفي مقاولة الضمري وعرض النبي صلى الله عليه وسلم عليه المنابذة فابى ذلك قال الواقدي خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم اليها في الف وخمسمائة من اصحابه واستخلف على المدينة عبد الله بن رواحة قال وكان خروجه اليها في مستهل ذي القعدة يعني سنة اربع والصحيح قول ابن اسحاق ان ذلك في شعبان من هذه السنة الرابعة ووافق موسى بن عقبة انها في شعبان لكن قال في سنة ثلاث وهذا وهم فان هذه تواعدوا اليها من احد وقد كانت احد في شوال سنة ثلاث كما تقدم والله تعالى اعلم قال الواقدي فاقاموا ببدر مدة الموسم الذي كان يعقد فيها ثمانية ايام فرجعوا وقد ربحوا من الدرهم درهمين وقال غيره كما قال الله عز وجل فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء واتبعوا رضوان الله والله ذو فضل عظيم

فصل في جمل من الحوادث الواقعة في سنة اربع من الهجرة

قال ابن جرير في جمادى الاولى من هذه السنة مات عبد الله بن عثمان بن عفان يعني من رقية بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ابن ست سنين فصلى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ونزل في حفرته والده عثمان بن عفان رضي الله عنه قلت وفيها توفي ابو سلمة بن عبد الله بن عبد الاسد بن هلال بن عبد الله بن عمر بن مخزوم القرشي المخزومي وامه برة بنت عبد المطلب عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان رضيع رسول الله صلى الله عليه وسلم ارتضعا من ثويبة مولاة ابي لهب وكان اسلام ابي سلمة وابي عبيدة وعثمان بن عفان والارقم بن ابي الارقم قديما في يوم واحد وقد هاجر هو وزوجته ام سلمة الى ارض الحبشة ثم عاد الى مكة وقد ولد لهما بالحبشة اولاد ثم هاجر من مكة الى المدينة وتبعته ام سلمة الى المدينة كما تقدم وشهد بدرا واحدا ومات من اثار جرح جرحه باحد رضي الله عنه وارضاه له حديث واحد في الاسترجاع عند المصيبة سيأتي في سياق تزويج رسول الله صلى الله عليه وسلم بام سلمة قال ابن جرير وفي ليال خلون من شعبان ولد الحسين بن علي من فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ورضي عنهم قال وفي شهر رمضان من هذه السنة تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم زينب بنت خزيمة بن الحرث بن عبد الله بن عمرو بن عبد مناف بن هلال بن عامر بن صعصعة الهلالية ودخل بها في رمضان التي يقال لها ام المساكين لكثرة صدقتها عليهم وبرها لهم واحسانها اليهم واصدقها ثنتي عشرة اوقية ونشا وقد حكى ابو عمر بن عبد البر عن علي بن عبد العزيز الجرجاني انه قال كانت اخت ميمونة بنت الحرث ثم استغربه وقال لم اره لغيره وهي كانت قبله عند الطفيل بن الحرث فطلقها قال ابو عمر بن عبد البر عن علي بن عبد العزيز الجرجاني ثم خلف عليها اخوه عبيدة بن الحرث بن عبد المطلب بن عبد مناف وقال ابن الاثير في الغابة وقيل كانت تحت عبد الله بن جحش فقتل عنها يوم احد قال ابو عمر لا خلاف انها ماتت في حياة النبي صلى الله عليه وسلم وقيل لم تلبث عنده الا شهرين او ثلاثة حتى توفيت رضي الله عنها وقال الواقدي

وفي شوال من هذه السنة تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم ام سلمة بنت ابي امية قلت وكانت قبله عند زوجها ابي اولادها ابي سلمة بن عبد الاسد وقد كان شهد بدرا واحدا كما تقدم وجرح يوم احد فداوى جرحه شهرا حتى برئ ثم خرج في سرية فغنم منها نعما ومغنما جيدا ثم اقام بعد ذلك سبعة عشر يوما ثم انتقض عليه جرحه فمات لثلاث بقين من جمادى الاخرة من هذه السنة فلما حلت في شوال خطبها رسول الله صلى الله عليه وسلم الى نفسها بنفسه الكريمة وبعث اليها عمر بن الخطاب في ذلك مرارا فتذكر انها امرأة غيرى وانها مصبية اي لها صبيان يشغلونها عنه ويحتاجون الى مؤنة تحتاج معها ان تعمل لهم في قوتهم فقال اما الصبية فالى الله والى رسوله اي نفقتهم ليس اليك واما الغيرة فادعوا الله فيذهبها فاذنت في ذلك وقالت لعمر اخر ما قالت له قم فزوج النبي صلى الله عليه وسلم يعني قد رضيت واذنت فتوهم بعض العلماء انها تقول لابنها عمر بن ابي سلمة وقد كان اذ ذاك صغيرا لا يلي مثله العقد وقد جمعت في ذلك جزءا مفردا بينت فيه الصواب في ذلك ولله الحمد والمنة وان الذي ولي عقدها عليه ابنها سلمة بن ابي سلمة وهو اكبر ولدها وساغ هذا لان اباه ابن عمها فللابن ولاية امه اذا كان سببا لها من غير جهة البنوة بالاجماع وكذا اذا كان معتقا او حاكما فاما محض البنوة فلا يلي بها عقد النكاح عند الشافعي وحده وخالفه الثلاثة ابو حنيفة ومالك واحمد بن حنبل رحمهم الله ولبسط هذا موضع اخر نذكره فيه وهو كتاب النكاح من الاحكام الكبير ان شاء الله قال الامام احمد ثنا يونس ثنا ليث يعني ابن سعد عن يزيد بن عبد الله بن اسامة بن الهاد عن عمرو بن ابي عمرو عن المطلب عن ام سلمة قالت اتاني ابو سلمة يوما من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لقد سمعت من رسول الله قولا سررت به قال لا يصيب احدا من المسلمين مصيبة فيسترجع عند مصيبته ثم يقول اللهم اجرني في مصيبتي واخلف لي خيرا منها الا فعل به قالت ام سلمة فحفظت ذلك منه فلما توفي ابو سلمة استرجعت وقلت اللهم اجرني في مصيبتي واخلف لي خيرا منها ثم رجعت الى نفسي وقلت من اين لي خير من ابي سلمة فلما انقضت عدتي استاذن علي رسول الله صلى الله عليه وسلم وانا ادبغ اهابا لي فغسلت يدي من القرظ واذنت له فوضعت له وسادة ادم حشوها ليف فقعد عليها فخطبني الى نفسي فلما فرغ من مقالته قلت يا رسول الله ما بي ان لا تكون بك الرغبة ولكني امرأة بي غيرة شديدة فاخاف ان ترى مني شيئا يعذبني الله به وانا امرأة قد دخلت في السن وانا ذات عيال فقال اما ما ذكرت من الغيرة فسيذهبها الله عنك واما ما ذكرت من السن فقد اصابني مثل الذي اصابك واما ما ذكرت من العيال فانما عيالك عيالي فقالت فقد سلمت لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت ام سلمة فقد ابدلني الله بابي سلمة خيرا منه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد رواه الترمذي والنسائي من حديث حماد بن سلمة عن ثابت عن عمر بن ابي سلمة عن امه ام سلمة وقال الترمذي حسن غريب وفي رواية للنسائي عن ثابت عن ابن عمر بن ابي سلمة عن ابيه ورواه ابن ماجه عن ابي بكر بن ابي شيبة عن يزيد بن هارون عن عبد الملك بن قدامة الجمحي عن ابيه عن عمر بن ابي سلمة به وقال ابن اسحاق ثم انصرف رسول الله يعني من بدر الموعد راجعا الى المدينة فاقام بها حتى مضى ذو الحجة وولي تلك الحجة المشركون وهي سنة اربع وقال الواقدي وفي هذه السنة يعني سنة اربع امر رسول الله صلى الله عليه وسلم

زيد بن ثابت ان يتعلم بكتاب اليهود قلت وثبت عندنا في الصحيح انه قال تعلمته في خمسة عشر يوما

سنة خمس من الهجرة النبوية غزوة دومة الجندل في ربيع الاول منها

قال ابن اسحاق ثم غزا رسول الله صلى الله عليه وسلم دومة الجندل قال ابن هشام في ربيع الاول يعني من سنة خمس واستعمل على المدينة سباع بن عرفطة الغفاري قال ابن اسحاق ثم رجع الى المدينة قبل ان يصل اليها ولم يلق كيدا فاقام بالمدينة بقية سنته هكذا قال ابن اسحاق وقد قال محمد بن عمر الواقدي باسناده عن شيوخه عن السلف قالوا اراد رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يدنو الى ادانى الشام وقيل له ان ذلك مما يفزع قيصر وذكر له ان بدومة الجندل جمعا كبيرا وانهم يظلمون من مر بهم وكان لها سوق عظيم وهم يريدون ان يدنوا من المدينة فندب رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس فخرج في الف من المسلمين فكان يسير الليل ويكمن النهار ومعه دليل له من بني عذرة يقال له مذكور هاد خريت فلما دنا من دومة الجندل اخبره دليله بسوائم بني تميم فسار حتى هجم على ماشيتهم ورعاتهم فاصاب من اصاب وهرب من هرب في كل وجه وجاء الخبر اهل دومة الجندل فتفرقوا فنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم بساحتهم فلم يجد بها احدا فاقام بها اياما وبث السرايا ثم رجعوا واخذ محمد بن مسلمة رجلا منهم فاتى به رسول الله صلى الله عليه وسلم فساله عن اصحابه فقال هربوا امس فعرض عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم الاسلام فاسلم ورجع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة قال الواقدي وكان خروجه عليه السلام الى دومة الجندل في ربيع الاول سنة خمس قال وفيه توفيت ام سعد بن عبادة وابنها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذه الغزوة وقد قال ابو عيسى الترمذي في جامعه ثنا محمد بن بشار ثنا يحيى بن سعيد عن سعيد بن ابي عروبة عن قتادة عن سعيد بن المسيب ان ام سعد ماتت والنبي صلى الله عليه وسلم غائب فلما قدم صلى عليها وقد مضى لذلك شهر وهذا مرسل وهو يقتضي انه عليه السلام غاب في هذه الغزوة شهرا فما فوقه على ما ذكره الواقدي رح

عن جماعة

غزوة الخندق وهي غزوة الاحزاب وقد انزل الله تعالى فيها صدر سورة الاحزاب

فقال تعالى يا ايها الذين امنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذ جاءتكم جنود فارسلنا عليهم ريحا وجنودا لم تروها وكان الله بما تعملون بصيرا اذ جاؤكم من فوقكم ومن اسفل منكم واذ زاغت الابصار وبلغت القلوب الحناجر وتظنون بالله الظنونا هنالك ابتلي المؤمنون وزلزلوا زلزالا شديدا واذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض ما وعدنا الله ورسوله الا غرورا واذ قالت طائفة منهم يا اهل يثرب لا مقام لكم فارجعوا ويستاذن فريق منهم النبي يقولون ان بيوتنا عورة وما هي بعورة ان يريدون الا فرارا ولو دخلت عليهم من اقطارها ثم سئلوا الفتنة لآتوها وما تلبثوا بها الا يسيرا ولقد كانوا عاهدوا الله من قبل لا يولون الادبار وكان عهد الله مسئولا قل لن ينفعكم الفرار ان فررتم من الموت او القتل واذا لا تمتعون الا قليلا قل من ذا الذي يعصمكم من الله ان اراد بكم سوءا او اراد بكم رحمة ولا يجدون لهم من دون الله وليا ولا نصيرا قد يعلم الله المعوقين منكم والقائلين لاخوانهم هلم الينا ولا ياتون البأس الا قليلا اشحة عليكم فاذا جاء الخوف رايتهم ينظرون اليك تدور اعينهم كالذي يغشى عليه من الموت فاذا ذهب الخوف سلقوكم بالسنة حداد اشحة على الخير اولئك لم يؤمنوا فاحبط

الله اعمالهم وكان ذلك على الله يسيرا يحسبون الاحزاب لم يذهبوا وان يات الاحزاب يودوا لو انهم بادون في الاعراب يسالون عن انبائكم ولو كانوا فيكم ما قاتلوا الا قليلا لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الاخر وذكر الله كثيرا ولما راى المؤمنون الاحزاب قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله وما زادهم الا ايمانا وتسليما من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا ليجزي الله الصادقين بصدقهم ويعذب المنافقين ان شاء او يتوب عليهم ان الله كان غفورا رحيما ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيرا وكفى الله المؤمنين القتال وكان الله قويا عزيزا وانزل الذين ظاهروهم من اهل الكتاب من صياصيهم وقذف في قلوبهم الرعب فريقا تقتلون وتاسرون فريقا واورثكم ارضهم وديارهم واموالهم وارضا لم تطؤوها وكان الله على كل شيء قديرا وقد تكلمنا على كل من هذه الايات الكريمات في التفسير ولله الحمد ولنذكر ها هنا ما يتعلق بالقصة ان شاء الله وبه الثقة وعليه التكلان وقد كانت غزوة الخندق في شوال سنة خمس من الهجرة نص على ذلك ابن اسحاق وعروة بن الزبير وقتادة والبيهقي وغير واحد من العلماء سلفا وخلفا وقد روى موسى بن عقبة عن الزهري انه قال ثم كانت وقعة الاحزاب في شوال سنة اربع وكذا قال الامام مالك بن انس فيما رواه احمد بن حنبل عن موسى بن داود عنه قال البيهقي ولا اختلاف بينهم في الحقيقة لان مرادهم ان ذلك بعد مضي اربع سنين وقبل استكمال خمس ولا شك ان المشركين لما انصرفوا عن احد واعدوا المسلمين الى بدر العام القابل فذهب النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه كما تقدم في شعبان من سنة اربع ورجع ابو سفيان بقريش لجدب ذلك العام فلم يكونوا ليأتوا الى المدينة بعد شهرين فتعين ان الخندق في شوال من سنة خمس والله اعلم وقد صرح الزهري بان الخندق كانت بعد احد بسنتين ولا خلاف ان احدا في شوال سنة ثلاث الا على قول من ذهب الى ان اول التاريخ من محرم السنة الثانية لسنة الهجرة ولم يعدوا الشهور الباقية من سنة الهجرة من ربيع الاول الى اخرها كما حكاه البيهقي وبه قال يعقوب بن سفيان الفسوي وقد صرح بان بدرا في الاولى واحدا في سنة ثنتين وبدر الموعد في شعبان سنة ثلاث والخندق في شوال سنة اربع وهذا مخالف لقول الجمهور فان المشهور ان امير المؤمنين عمر جعل اول التاريخ من محرم سنة الهجرة وعن مالك من ربيع الاول سنة الهجرة فصارت الاقوال ثلاثة والله اعلم والصحيح قول الجمهور ان احدا في شوال سنة ثلاث وان الخندق في شوال سنة خمس من الهجرة والله اعلم فاما الحديث المتفق عليه في الصحيحين من طريق عبيد الله عن نافع عن ابن عمر انه قال عرضت على رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم احد وانا ابن اربع عشرة فلم يجزني وعرضت عليه يوم الخندق وانا ابن خمس عشرة فاجازني فقد اجاب عنه جماعة من العلماء منهم البيهقي بانه عرض يوم احد في اول الرابعة عشرة ويوم الاحزاب في اواخر الخامسة عشرة قلت ويحتمل انه اراد انه لما عرض عليه يوم الاحزاب كان قد استكمل خمس عشرة سنة التي يجاز لمثلها الغلمان فلا يبقى على هذا زيادة عليها ولهذا لما بلغ نافع عمر بن عبد العزيز هذا الحديث قال ان هذا الفرق بين الصغير والكبير ثم كتب به الى الافاق واعتمد على ذلك جمهور العلماء والله اعلم

وهذا سياق القصة مما ذكره ابن اسحاق وغيره

قال ابن اسحاق ثم كانت غزوة الخندق في شوال سنة خمس فحدثني يزيد بن رومان عن عروة ومن لا اتهم عن عبد الله بن كعب بن مالك ومحمد بن كعب القرظي والزهري وعاصم بن عمر بن قتادة وعبد الله بن ابي بكر وغيرهم من علمائنا وبعضهم يحدث ما لا يحدث بعض قالوا انه كان من حديث الخندق ان نفرا من اليهود منهم سلام بن ابي الحقيق النضري وحيي بن اخطب النضري وكنانة بن ابي الحقيق وهوذة بن قيس الوائلي وابو عمار الوائلي في نفر من بني النضير [بن الربيع م] ونفر من بني وائل وهم الذين حزبوا الاحزاب على رسول الله صلى الله عليه وسلم خرجوا حتى قدموا على قريش مكة فدعوهم الى حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا انا سنكون معكم عليه [عليه م] حتى نستاصله فقالت لهم قريش يا معشر يهود انكم اهل الكتاب الاول والعلم بما اصبحنا نختلف فيه نحن ومحمد افديننا خير ام دينه قالوا بل دينكم خير من دينه وانتم اولى بالحق منه فهم الذين انزل الله فيهم الم تر الى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت ويقولون للذين كفروا هولاء اهدى من الذين امنوا سبيلا اولئك الذين لعنهم الله ومن يلعن الله فلن تجد له نصيرا الايات فلما قالوا ذلك لقريش سرهم ونشطوا لما دعوهم اليه من حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم فاجتمعوا لذلك واتعدوا له ثم خرج اولئك النفر من يهود حتى جاوا غطفان من قيس عيلان فدعوهم الى حرب النبي صلى الله عليه وسلم واخبروهم انهم يكونون معهم عليه وان قريشا قد تابعوهم على ذلك واجتمعوا معهم فيه فخرجت قريش وقايدها ابو سفيان وخرجت غطفان وقايدها عيينة بن حصن بن حذيفة بن بدر في بني فزارة والحرث بن عوف بن ابي حارثة المري في بني مرة ومسعر بن رخيلة بن نويرة بن طريف بن سحمة بن عبد الله بن هلال بن خلاوة بن اشجع بن ريث بن غطفان فيمن تابعه من قومه من اشجع فلما سمع بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وما اجمعوا له من الامر ضرب الخندق على المدينة قال ابن هشام يقال ان الذي اشار به سلمان قال السهيلي والطبري اول من حفر الخنادق منوشهر بن ايرج بن افريدون والى زمن موسى عليه السلام قال ابن اسحاق فعمل فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم ترغيبا للمسلمين في الاجر وعمل معه المسلمون وتخلف طايفة من المنافقين يعتذرون بالضعف ومنهم من يتسلل خفية بغير اذنه ولا علمه عليه السلام وقد انزل الله في ذلك قوله تعالى انما المؤمنون الذين امنوا بالله ورسوله واذا كانوا معه على امر جامع لم يذهبوا حتى يستاذنوه ان الذين يستاذنونك اولئك الذين يؤمنون بالله ورسوله فاذا استاذنوك لبعض شانهم فاذن لمن شيت منهم واستغفر لهم الله ان الله غفور رحيم لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا قد يعلم الله الذين يتسللون منكم لواذا فليحذر الذين يخالفون عن امره ان تصيبهم فتنة او يصيبهم عذاب اليم الا ان لله ما في السموات والارض قد يعلم ما انتم عليه ويوم يرجعون اليه فينبيهم بما عملوا والله بكل شي عليم قال ابن اسحاق فعمل فيه المسلمون حتى احكموه وارتجزوا فيه برجل من المسلمين يقال له جعيل سماه رسول الله صلى الله عليه وسلم عمرا فقالوا فيما يقولون

سماه من بعد جعيل عمرا • وكان للبايس يوما ظهرا •

فكانوا اذا قالوا عمرا قال معهم رسول الله عمرا واذا قالوا ظهرا قال معهم ظهرا وقد قال البخاري ثنا عبد الله بن محمد ثنا معاوية بن عمرو ثنا ابو اسحاق عن حميد سمعت انسا قال خرج رسول الله الى الخندق فاذا المهاجرون والانصار يحفرون في غداة باردة ولم يكن لهم عبيد يعملون ذلك لهم فلما راى ما بهم من النصب والجوع قال اللهم ان العيش عيش الاخرة فاغفر للانصار والمهاجرة فقالوا مجيبين له

• نحن الذين بايعوا محمدا • على الجهاد ما بقينا ابدا •

وفي الصحيحين من حديث شعبة عن معاوية بن قرة عن انس نحوه وقد رواه مسلم من حديث حماد بن سلمة عن ثابت وحميد عن انس نحوه وقال البخاري ثنا ابو معمر ثنا عبد الوارث عن عبد العزيز عن انس قال جعل المهاجرون والانصار يحفرون الخندق حول المدينة وينقلون التراب على متونهم ويقولون •

• نحن الذين بايعوا محمدا • على الجهاد ما بقينا ابدا • [الاسلام م]

قال يقول النبي صلى الله عليه وسلم يجيبهم اللهم لا خير الا خير الاخرة فبارك في الانصار والمهاجرة قال ويؤتون بملء كفي من الشعير فيصنع باهالة سنخة توضع بين يدي القوم والقوم جياع وهي بشعة في الحلق ولها ريح منتن وقال البخاري ثنا قتيبة بن سعيد ثنا عبد العزيز بن ابي حازم عن سهل بن سعد قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في الخندق وهم يحفرون ونحن ننقل التراب على اكتافنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم لا عيش الا عيش الاخرة فاغفر للمهاجرين والانصار ورواه مسلم عن القعنبي عن عبد العزيز به وقال البخاري ثنا مسلم بن ابراهيم ثنا شعبة عن ابي اسحاق عن البراء بن عازب قال كان النبي صلى الله عليه وسلم ينقل التراب يوم الخندق حتى اغمر بطنه او اغبر بطنه يقول

• والله لولا الله ما اهتدينا • ولا تصدقنا ولا صلينا •
• فانزلن سكينة علينا • وثبت الاقدام ان لاقينا •
• ان الاولى قد بغوا علينا • اذا ارادوا فتنة ابينا •

ورفع بها صوته ابينا ابينا ورواه مسلم من حديث شعبة به ثم قال البخاري حدثنا احمد بن عثمان ثنا شريح بن مسلمة حدثني ابراهيم بن يوسف حدثني ابي عن ابي اسحاق عن البراء يحدث قال لما كان يوم الاحزاب وخندق رسول الله رايته ينقل من تراب الخندق حتى وارى عني الغبار بطنه وكان كثير الشعر فسمعته يرتجز بكلمات عبد الله بن رواحة وهو ينقل من التراب يقول

• اللهم لولا انت ما اهتدينا • ولا تصدقنا ولا صلينا •
• فانزلن سكينة علينا • وثبت الاقدام ان لاقينا •
• ان الاولى رغبوا علينا • وان ارادونا على فتنة ابينا •

يمد صوته باخرها وقال البيهقي في الدلايل انا علي بن احمد بن عبدان ثنا احمد بن عبيد الصفار ثنا اسماعيل بن الفضل البلخي ثنا ابراهيم بن يوسف البلخي ثنا المسيب بن شريك عن زياد بن ابي زياد عن ابي عثمان عن سلمان ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ضرب في الخندق وقال

• بسم الله [الا له] وبه هدينا • ولو عبدنا غيره شقينا • يا حبذا ربا وحب دينا •

وهذا غريب من هذا الوجه وقال الامام احمد ثنا سليمان ثنا شعبة عن معاوية بن قرة عن انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال وهم يحفرون الخندق اللهم لا خير الا خير الاخرة فاصلح الانصار والمهاجرة واخرجاه في الصحيحين من حديث غندر عن شعبة قال ابن اسحاق

وقد كان في حفر الخندق احاديث بلغني فيها عبره في تصديق رسول الله صلى الله عليه وسلم وتحقيق نبوته عاين ذلك المسلمون من ذلك ان جابر بن عبد الله كان يحدث انه اشتد عليهم في حفر الخندق كدية فشكوها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فدعا باناء من ماء فتفل فيه ثم دعا بما شاء الله ان يدعو به ثم نضح الماء على تلك الكدية فيقول من حضرها فوالذي بعثه بالحق لانهالت حتى عادت كالكثيب ما ترد فاسا ولا مسحاة هكذا ذكره ابن اسحاق منقطعا عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه وقد قال البخاري رح ثنا خلاد بن يحيى ثنا عبد الواحد بن ايمن عن ابيه قال اتيت جابرا فقال انا يوم الخندق نحفر فعرضت كدية شديدة فجاؤا النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا هذه كدية عرضت في الخندق فقال انا نازل ثم قام وبطنه معصوب بحجر ولبثنا ثلاثة ايام لا نذوق ذواقا فاخذ النبي صلى الله عليه وسلم المعول فضرب فعاد كثيبا اهيل او اهيم فقلت يا رسول الله ائذن لي الى البيت فقلت لامرأتي رأيت من النبي صلى الله عليه وسلم شيئا ما في ذلك صبر فعندك شيء قالت عندي شعير وعناق فذبحنا العناق وطحنا الشعير حتى جعلنا اللحم في البرمة ثم جئنا النبي صلى الله عليه وسلم والعجين قد انكسر والبرمة بين الاثافي قد كادت ان تنضج فقلت طعيم لي فقم انت يا رسول الله ورجل او رجلان قال كم هو فذكرت له قال كثير طيب قل لها لا تنزع البرمة والخبز من التنور حتى اتي فقال قوموا فقام المهاجرون والانصار فلما دخل على امرأته قال ويحك جاء النبي صلى الله عليه وسلم بالمهاجرين والانصار ومن معهم قالت هل سألك قلت نعم فقال ادخلوا ولا تضاغطوا فجعل يكسر الخبز ويجعل عليه اللحم ويخمر البرمة والتنور اذا اخذ منه ويقرب الى اصحابه ثم ينزع فلم يزل يكسر ويغرف حتى شبعوا وبقيت بقية قال كلي هذا واهدي فان الناس اصابتهم مجاعة تفرد به البخاري وقد رواه الامام احمد عن وكيع عن عبد الواحد بن ايمن عن ابيه ايمن الحبشي مولى بني مخزوم عن جابر بقصة الكدية وربط الحجر على بطنه الكريم ورواه البيهقي في الدلائل عن الحاكم عن الاصم عن احمد بن عبد الجبار عن يونس بن بكير عن عبد الواحد بن ايمن عن ابيه عن جابر بقصة الكدية والطعام بطوله اتم من رواية البخاري قال فيه لما علم النبي صلى الله عليه وسلم بمقدار الطعام قال للمسلمين جميعا قوموا الى جابر فقاموا قال فلقيت من الحياء ما لا يعلمه الا الله وقلت جاء بالخلق على صاع من شعير وعناق ودخلت على امرأتي اقول افتضحت جاءك رسول الله بالجند اجمعين فقالت هل كان سألك كم طعامك فقلت نعم فقالت الله ورسوله اعلم قال فكشفت عني غما شديدا قال فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال خذي ودعيني من اللحم فجعل رسول الله يثرد ويغرف اللحم ثم يخمر هذا ويخمر هذا فما زال يقرب الى الناس حتى شبعوا اجمعين ويعود التنور والقدر املأ ما كانا ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كلي واهدي فلم نزل ناكل ونهدي يومنا اجمع وقد رواه كذلك ابو بكر بن ابي شيبة عن عبد الرحمن بن محمد المحاربي عن عبد الواحد بن ايمن عن ابيه عن جابر وابسط ايضا وقال في اخره انهم كانوا ثمانمائة او قال ثلثمائة وقال يونس بن بكير عن هشام بن سعد عن ابي الزبير عن جابر فذكر القصة بطولها في الطعام فقط وقال كانوا ثلثمائة ثم قال البخاري ثنا عمرو بن علي ثنا ابو عاصم ثنا حنظلة بن ابي سفيان انا سعيد بن ميناء سمعت جابر بن عبد الله قال لما حفر الخندق رايت بالنبي صلى الله عليه

من ابي الزبير م

وسلم خمصا فانكفأت الى امرأتي فقلت هل عندك شيء فاني رأيت برسول الله صلى الله عليه وسلم خمصا شديدا فاخرجت الي جرابا فيه صاع من شعير ولنا بهيمة داجن فذبحتها وطحنت ففرغت الى فراغي وقطعتها في برمتها ثم وليت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت لا تفضحني برسول الله صلى الله عليه وسلم وبمن معه فجئته فساررته فقلت يا رسول الله ذبحنا بهيمة لنا وطحنت صاعا من شعير كان عندنا فتعال انت ونفر معك فصاح رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا اهل الخندق ان جابرا قد صنع سورا فحيهلا بكم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تنزلن برمتكم ولا تخبزن عجينكم حتى اجيء وجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم يقدم الناس حتى جئت امرأتي فقالت بك وبك فقلت قد فعلت الذي قلت فاخرجت له عجينا فبسق فيه وبارك ثم عمد الى برمتنا فبسق وبارك ثم قال ادع خابزة فلتخبز معك واقدحي من برمتك ولا تنزلوها وهم الف فاقسم بالله لاكلوا حتى تركوه وانحرفوا وان برمتنا لتغط كما هي وان عجيننا ليخبز كما هو ورواه مسلم عن حجاج بن الشاعر عن ابي عاصم بنحوه وقد روى محمد بن اسحاق هذا الحديث وفي سياقه غرابة من بعض الوجوه فقال حدثني سعيد بن ميناء عن جابر بن عبد الله قال عملنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في الخندق وكانت عندي شويهة غير جد سمينة قال فقلت والله لو صنعناها لرسول الله قال وامرت امرأتي فطحنت لنا شيئا من شعير فصنعت لنا منه خبزا وذبحت تلك الشاة فشويناها لرسول الله فلما امسينا واراد رسول الله الانصراف عن الخندق قال وكنا نعمل فيه نهارا فاذا امسينا رجعنا الى اهالينا قال فقلت يا رسول الله اني قد صنعت لك شويهة كانت عندنا وصنعنا معها شيئا من خبز هذا الشعير فانا احب ان تنصرف معي الى منزلي قال وانما اريد ان ينصرف معي رسول الله وحده قال فلما ان قلت ذلك قال نعم ثم امر صارخا فصرخ ان انصرفوا مع رسول الله الى بيت جابر بن عبد الله قال قلت انا لله وانا اليه راجعون قال فاقبل رسول الله واقبل الناس معه فجلس واخرجناها اليه قال فبرك وسمى الله ثم اكل وتواردها الناس كلما فرغ قوم قاموا وجاء ناس حتى صدر اهل الخندق عنها والعجب ان الامام احمد انما رواه من طريق سعيد بن ميناء عن يعقوب بن ابراهيم بن سعد عن ابيه عن ابن اسحاق عنه عن جابر مثله سواء قال محمد بن اسحاق وحدثني سعيد بن ميناء انه قد حدث ان ابنة لبشير بن سعد اخت النعمان بن بشير قالت دعتني امي عمرة بنت رواحة فاعطتني حفنة من تمر في ثوبي ثم قالت اي بنية اذهبي الى ابيك وخالك عبد الله بن رواحة بغدائهما قالت فاخذتها فانطلقت بها فمررت برسول الله صلى الله عليه وسلم وانا التمس ابي وخالي فقال تعالي يا بنية ما هذا معك قالت قلت يا رسول الله هذا تمر بعثتني به امي الى بشير بن سعد وخالي عبد الله بن رواحة يتغديانه فقال هاتيه قالت فصببته في كفي رسول الله صلى الله عليه وسلم فما ملأتهما ثم امر بثوب فبسط له ثم دحا بالتمر عليه فتبدد فوق الثوب ثم قال لانسان عنده اصرخ في اهل الخندق ان هلم الى الغداء فاجتمع اهل الخندق عليه فجعلوا ياكلون منه وجعل يزيد حتى صدر اهل الخندق عنه وانه ليسقط من اطراف الثوب هكذا رواه ابن اسحاق وفيه انقطاع وهكذا اورده الحافظ البيهقي من طريقه ولم يزد قال ابن اسحاق وحدثت عن سلمان الفارسي انه قال ضربت في ناحية من الخندق فغلظت علي

فجئت م

ورسول الله صلى الله عليه وسلم قريب مني فلما رآني أضرب ورأى شدة المكان علي نزل فأخذ
المعول من يدي فضرب به ضربة لمعت تحت المعول برقة ثم ضرب به ضربة أخرى فلمعت تحته
برقة أخرى قال ثم ضرب به الثالثة فلمعت برقة أخرى قال قلت بأبي أنت وأمي يا رسول
الله ما هذا الذي رأيت يلمع تحت المعول قال أوقد رأيت ذلك يا سلمان قال قلت نعم
قال أما الأولى فإن الله فتح علي بها اليمن وأما الثانية فإن الله تعالى فتح علي بها الشام
والمغرب وأما الثالثة فإن الله فتح علي بها المشرق قال البيهقي وهذا الذي ذكره ابن
إسحاق قد ذكره موسى بن عقبة في مغازيه وذكره أبو الأسود عن عروة ثم روى البيهقي
من طريق محمد بن يونس الكديمي وفي حديثه نظر لكن رواه ابن جرير في تاريخه عن محمد بن
بشار وبندار كلاهما عن محمد بن خالد بن عثمة عن كثير بن عبد الله بن عمرو بن عوف المزني
عن أبيه عن جده فذكر حديثا فيه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خط الخندق وبين
كل عشرة أربعين ذراعا قال واحتج المهاجرون والأنصار فقال رسول الله صلى الله في سلمان
عليه وسلم سلمان منا أهل البيت قال عمرو بن عوف فكنت أنا وسلمان وحذيفة والنعمان
بن مقرن وستة من الأنصار في أربعين ذراعا فحفرنا حتى إذا بلغنا الثرى ظهرت لنا صخرة
بيضاء مدورة فكسرت حديدنا وشقت علينا فذهب سلمان إلى رسول الله صلى الله عليه
وسلم وهو في قبة تركية فأخبره عنها فجاء فأخذ المعول من سلمان فضرب الصخرة ضربة
صدعها وبرقت منها برقة أضاءت ما بين لابتيها يعني المدينة حتى كأنها مصباح في جوف
ليل مظلم فكبر رسول الله تكبيرة فتح وكبر المسلمون ثم ضربها الثانية فكذلك ثم الثالثة
فكذلك فذكر ذلك سلمان والمسلمون لرسول الله صلى الله عليه وسلم وسألوه عن
ذلك النور فقال لقد أضاء لي منها قصور الحيرة ومدائن كسرى كأنها أنياب الكلاب
وأخبرني جبريل أن أمتي ظاهرة عليها فأبشروا فاستبشر المسلمون وقالوا الحمد لله موعود
صادق قال ولما طلعت الأحزاب قال المؤمنون هذا ما وعدنا الله ورسوله وصدق الله
ورسوله وما زادهم إلا إيمانا وتسليما وقال المنافقون يخبركم أنه يبصر من يثرب قصور
الحيرة ومدائن كسرى وأنها تفتح لكم وأنتم تحفرون الخندق ولا تستطيعون أن تبرزوا
فنزل فيهم وإذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض ما وعدنا الله ورسوله إلا غرورا
وهو حديث غريب وقال الحافظ أبو القاسم الطبراني ثنا هارون بن ملول ثنا أبو
عبد الرحمن ثنا عبد الرحمن بن زياد عن عبد الله بن يزيد عن عبد الله بن عمرو قال لما أمر
النبي صلى الله عليه وسلم بالخندق فخندق على المدينة قالوا يا رسول الله إنا وجدنا صفاة
لا نستطيع حفرها فقام النبي صلى الله عليه وسلم وقمنا معه فلما أتاها أخذ المعول
فضرب به ضربة وكبر فسمعت هدة لم أسمع مثلها قط فقال فتحت فارس ثم ضرب أخرى
وكبر فسمعت هدة لم أسمع مثلها قط فقال فتحت الروم ثم ضرب أخرى وكبر فسمعت
هدة لم أسمع مثلها قط فقال جاء الله بحمير أعوانا وأنصارا وهذا أيضا غريب من
هذا الوجه وعبد الرحمن بن زياد بن أنعم الإفريقي فيه ضعف والله أعلم وقال الطبراني
أيضا حدثنا عبد الله بن أحمد بن حنبل حدثني سعيد بن محمد الجرمي ثنا أبو تميلة ثنا
نعيم بن سعيد الغري أن عكرمة حدث عن ابن عباس قال احتفر رسول الله صلى الله عليه
وسلم الخندق وأصحابه قد شدوا الحجارة على بطونهم من الجوع فلما رأى ذلك رسول الله

ومن الثانية أضاءت لي القصور الحمر من أرض الروم كأنها أنياب الكلاب وأخبرني جبريل أن أمتي ظاهرة عليها ومن الثالثة أضاءت قصور صنعاء كأنها أنياب الكلاب وأخبرني جبريل أن أمتي ظاهرة عليها

قال هل

وقال النسائي ثنا عيسى بن يونس ثنا ضمرة عن أبي زرعة الشيباني عن أبي سكينة رجل من المحررين عن رجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قال لما أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بحفر الخندق عرضت لهم صخرة حالت بينهم وبين الحفر فقام النبي صلى الله عليه وسلم وأخذ المعول ووضع رداءه ناحية الخندق وقال وتمت كلمات ربك صدقا وعدلا لا مبدل لكلماته وهو السميع العليم فندر ثلث الحجر وسلمان الفارسي قائم ينظر فبرق مع ضربة رسول الله صلى الله عليه وسلم برقة ثم ضرب الثانية وقال وتمت كلمات ربك صدقا وعدلا لا مبدل لكلماته وهو السميع العليم فندر الثلث الآخر وبرقت برقة فرآها سلمان ثم ضرب الثالثة وقال وتمت كلمات ربك صدقا وعدلا لا مبدل لكلماته وهو السميع العليم فندر الثلث الباقي وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخذ رداءه وجلس فقال سلمان يا رسول الله رأيتك حين ضربت لا تضرب ضربة إلا كانت معها برقة قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم يا سلمان أرأيت ذلك قال إي والذي بعثك بالحق يا رسول الله قال فإني حين ضربت الضربة الأولى رفعت لي مدائن كسرى وما حولها ومدائن كثيرة حتى رأيتها بعيني فقال له من حضر من أصحابه يا رسول الله ادع الله أن يفتحها علينا ويغنمنا ذراريهم ويخرب بأيدينا بلادهم فدعا بذلك قال ثم ضربت الثانية فرفعت لي مدائن قيصر وما حولها حتى رأيتها بعيني قالوا يا رسول الله ادع الله أن يفتحها علينا ويغنمنا ذراريهم ويخرب بأيدينا بلادهم فدعا قال ثم ضربت الثالثة فرفعت لي مدائن الحبشة وما حولها من القرى حتى رأيتها بعيني ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم دعوا الحبشة ما ودعوكم واتركوا الترك ما تركوكم هكذا رواه النسائي مطولا وإنما روى منه أبو داود دعوا الحبشة ما ودعوكم واتركوا الترك ما تركوكم عن عيسى بن محمد الرملي عن ضمرة بن ربيعة عن أبي زرعة يحيى بن أبي عمرو الشيباني به

قال هل دللتم على رجل يطعمنا أكلة قال رجل نعم قال أما لا فتقدم فدلنا عليه فانطلقوا
إلى الرجل فإذا هو في الخندق يعالج نصيبه منه فأرسلت امرأته أن جئ فإن رسول الله قد
أتانا فجاء الرجل يسعى قال بأبي وأمي وله معزة ومعها جديها فوثب إليها فقال النبي صلى
الله عليه وسلم الجدي من ورائها فذبح الجدي وعمدت المرأة إلى طحينة لها فعجنتها وخبزت
فأدركت القدر فثردت قصعتها فقربتها إلى رسول الله وأصحابه فوضع رسول الله إصبعه
فيها وقال بسم الله اللهم بارك فيها اطعموا فأكلوا منها حتى صدروا ولم يأكلوا
منها إلا ثلثها وبقي ثلثاها فسرح أولئك العشرة الذين كانوا معه أن اذهبوا وسرحوا
إلينا بعدتكم فذهبوا وجاء أولئك العشرة فأكلوا منها حتى شبعوا ثم قام ودعا لربة البيت
وسمت عليها وعلى أهل بيتها ثم مشوا إلى الخندق فقال اذهبوا بنا إلى سلمان وإذا
صخرة بين يديه قد ضعف عنها فقال رسول الله لأصحابه دعوني فأكون أول من ضربها
فقال بسم الله فضربها فوقعت فلقة ثلثها فقال الله أكبر قصور الروم ورب الكعبة ثم
ضرب أخرى فوقعت فلقة فقال الله أكبر قصور فارس ورب الكعبة فقال عندها المنافقون
نحن نخندق على أنفسنا وهو يعدنا قصور فارس والروم ثم قال الحافظ البيهقي أنا علي
بن أحمد بن عبدان أنا أحمد بن عبيد الصفار ثنا محمد بن غالب بن حرب ثنا هوذة ثنا عوف
عن ميمون بن أستاذ الزهري حدثني البراء بن عازب الأنصاري قال لما كان حين أمر رسول
الله بحفر الخندق عرض لنا في بعض الخندق صخرة عظيمة شديدة لا يأخذ فيها المعاول
فشكوا ذلك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما رآها أخذ المعول وقال بسم الله وضربها
ضربة فكسر ثلثها وقال الله أكبر أعطيت مفاتيح الشام والله إني لأبصر قصورها الحمر
إن شاء الله ثم ضرب الثانية فقطع ثلثا آخر فقال الله أكبر أعطيت مفاتيح فارس
والله إني لأبصر قصر المدائن الأبيض ثم ضرب الثالثة فقال بسم الله فقطع بقية الحجر
فقال الله أكبر أعطيت مفاتيح اليمن والله إني لأبصر أبواب صنعاء من مكاني الساعة وهذا
حديث غريب أيضا تفرد به ميمون بن أستاذ هذا وهو بصري روى عن البراء وعبد الله بن
عمرو وعنه حميد الطويل والجريري وعوف الأعرابي قال أبو حاتم عن إسحاق بن منصور
عن ابن معين كان ثقة وقال علي بن المديني كان يحيى بن سعيد القطان لا يحدث عنه
ثم قال ابن إسحاق وحدثني من لا أتهم عن أبي هريرة أنه كان يقول حين فتحت هذه الأمصار
في زمان عمر وزمان عثمان وما بعده افتتحوا ما بدا لكم فوالذي نفس أبي هريرة بيده
ما افتتحتم من مدينة ولا تفتحونها إلى يوم القيامة إلا وقد أعطى الله محمدا صلى الله
عليه وسلم مفاتيحها قبل ذلك وهذا من هذا الوجه منقطع أيضا وقد وصل من غير
وجه ولله الحمد فقال الإمام أحمد حدثنا حجاج ثنا ليث حدثني عقيل بن خالد عن ابن
شهاب عن سعيد بن المسيب أن أبا هريرة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول بعثت بجوامع الكلم ونصرت بالرعب وبينا أنا نائم أتيت بمفاتيح خزائن الأرض
فوضعت في يدي وقد رواه البخاري منفردا به عن يحيى بن بكير وسعيد بن عفير كلاهما
عن الليث به وعنده قال أبو هريرة فقد ذهب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنتم
تنتثلونها وقال الإمام أحمد حدثنا يزيد ثنا محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم نصرت بالرعب وأوتيت جوامع الكلم وجعلت

لي الارض مسجدا وطهورا وبينا انا نايم اتيت بمفاتيح خزاين الارض فتلت في يدي وهذا
اسناد جيد قوي على شرط مسلم ولم يخرجوه وفي الصحيحين اذا هلك قيصر فلا قيصر بعده
(في الهامش: واذا هلك كسرى فلا كسرى بعده)
والذي نفسي بيده لتنفقن كنوزهما في سبيل الله وفي الحديث الصحيح ان الله زوى لي
مشارق الارض ومغاربها وسيبلغ ملك امتي ما زوى لي منها **فصل** قال ابن اسحاق
ولما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من الخندق اقبلت قريش حتى نزلت بمجتمع الاسيال
من رومة بين الجرف وزغابة في عشرة الاف من احابيشهم ومن تبعهم من بني كنانة
واهل تهامة واقبلت غطفان ومن تبعهم من اهل نجد حتى نزلوا بذنب نقمى الى جانب احد
وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون حتى جعلوا ظهورهم الى سلع في ثلاثة
الاف من المسلمين فضرب هنالك عسكره والخندق بينه وبين القوم وامر بالذراري
والنساء فجعلوا فوق الاطام قال ابن هشام واستعمل على المدينة ابن ام مكتوم قلت
وهذا معنى قوله تعالى اذ جاؤكم من فوقكم ومن اسفل منكم قال البخاري حدثنا عثمان بن
ابي شيبة ثنا عبدة عن هشام بن عروة عن ابيه عن عايشة اذ جاؤكم من فوقكم ومن اسفل
منكم واذ زاغت الابصار قالت ذلك يوم الخندق قال موسى بن عقبة ولما نزل الاحزاب حول
المدينة اغلق بنو قريظة حصنهم دونهم قال ابن اسحاق وخرج حيي بن اخطب النضري حتى
اتى كعب بن اسد القرظي صاحب عقدهم وعهدهم فلما سمع به كعب اغلق باب حصنه دون
حيي فاستاذن عليه فابى ان يفتح له فناداه ويحك يا كعب افتح لي قال ويحك يا حيي
انك امرؤ مشؤوم واني قد عاهدت محمدا فلست بناقض ما بيني وبينه ولم ار منه الا وفاء
وصدقا قال ويحك افتح لي اكلمك قال ما انا بفاعل قال والله ان اغلقت دوني الا عن
جشيشتك ان اكل معك منها فاحفظ الرجل ففتح له فقال ويحك يا كعب جيتك
(في الهامش: وما ذاك قال ام)
بعز الدهر وببحر طام قال جيتك بقريش على قادتها وسادتها حتى انزلتهم بمجتمع الاسيال
من رومة وبغطفان على قادتها وسادتها حتى انزلتهم بذنب نقمى الى جانب احد قد عاهدوني
وعاقدوني على ان لا يبرحوا حتى نستاصل محمدا ومن معه فقال كعب جيتني والله بذل الدهر
وبجهام قد هراق ماؤه يرعد ويبرق ليس فيه شي ويحك يا حيي فدعني وما انا عليه فاني
لم ار من محمد الا صدقا ووفاء وقد تكلم عمرو بن سعد القرظي فيما ذكره موسى بن عقبة فاحسن
ذكرهم ميثاق رسول الله وعهده ومعاقدتهم اياه على نصره وقال اذا لم تنصروه فاتركوه
وعدوه قال ابن اسحاق فلم يزل حيي بكعب يفتل في الذروة والغارب حتى سمح له يعني
في نقض عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي محاربته مع الاحزاب على ان اعطاه حيي
عهد الله وميثاقه لين رجعت قريش وغطفان ولم يصيبوا محمدا ان ادخل معك في حصنك
حتى يصيبني ما اصابك فنقض كعب بن اسد عهده وبري مما كان بينه وبين رسول الله صلى
الله عليه وسلم قال موسى بن عقبة وامر كعب بن اسد وبنو قريظة حيي بن اخطب ان ياخذ
لهم من قريش وغطفان رهاين تكون عندهم يعني ليلا ينالهم ضيم ان هم رجعوا ولم يناجزوا
محمدا قالوا وتكون الرهاين تسعين رجلا من اشرافهم فنازلهم حيي على ذلك فعند ذلك
نقضوا العهد ومزقوا الصحيفة التي كان فيها العقد الا بني سعية اسد واسيد وثعلبة
فانهم خرجوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ابن اسحاق فلما انتهى الخبر الى رسول
الله صلى الله عليه وسلم والى المسلمين بعث سعد بن معاذ [illegible] رسول الله صلى الله عليه

وهو يومئذ

وهو يومئذ سيد الاوس وسعد بن عبادة وهو يومئذ سيد الخزرج ومعهما عبد الله بن
رواحة وخوات بن جبير فقال انطلقوا حتى تاتوا هولاء القوم فتنظروا احق ما بلغنا عنهم
فان كان حقا فالحنوا لي لحنا اعرفه ولا تفتوا في اعضاد المسلمين وان كانوا على الوفاء فاجهروا
به للناس قال فخرجوا حتى اتوهم قال موسى بن عقبة فدخلوا معهم حصنهم فدعوهم الى
الموادعة وتجديد الحلف فقالوا الان وقد كسر جناحنا واخرجهم يريد بني النضير ونالوا
من رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعل سعد بن عبادة يشاتمهم فاغضبوه فقال له
سعد بن معاذ انا والله ما جينا لهذا ولما بيننا اكبر من المشاتمة ثم ناداهم سعد بن
معاذ فقال انكم قد علمتم الذي بيننا وبينكم يا بني قريظة وانا خايف عليكم مثل يوم بني
النضير او امر منه فقالوا اكلت اير ابيك فقال غير هذا القول كان اجمل بكم واحسن وقال
ابن اسحاق نالوا من رسول الله وقالوا من رسول الله لا عهد بيننا وبين محمد ولا عقد فشاتمهم
سعد بن معاذ وشاتموه وكان رجلا فيه حدة فقال له سعد بن عبادة دع عنك مشاتمتهم
لما بيننا وبينهم اربى من المشاتمة ثم اقبل السعدان ومن معهما الى رسول الله فسلموا عليه
ثم قالوا عضل والقارة اي كغدرهم باصحاب الرجيع خبيب واصحابه فقال رسول الله صلى
الله عليه وسلم الله اكبر ابشروا يا معشر المسلمين قال موسى بن عقبة ثم تقنع رسول الله
صلى الله عليه وسلم بثوبه حين جاءه الخبر عن بني قريظة فاضطجع ومكث طويلا فاشتد
على الناس البلاء والخوف حين راوه اضطجع وعرفوا انه لم ياته عن بني قريظة خير ثم انه
رفع راسه فقال ابشروا بفتح الله ونصره فلما ان اصبحوا دنا القوم بعضهم من بعض وكان
بينهم رمي بالنبل والحجارة قال سعيد بن المسيب اللهم اني اسالك عهدك ووعدك اللهم ان تشا
(في الهامش: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم)
لا تعبد قال ابن اسحاق وعظم عند ذلك البلاء واشتد الخوف واتاهم عدوهم من فوقهم
ومن اسفل منهم حتى ظن المؤمنون كل ظن ونجم النفاق حتى قال معتب بن قشير اخو بني عمرو بن
عوف كان محمد يعدنا ان ناكل كنوز كسرى وقيصر واحدنا اليوم لا يامن على نفسه ان يذهب
الى الغايط وحتى قال اوس بن قيظي يا رسول الله ان بيوتنا عورة من العدو وذلك عن ملا
من رجال قومه فاذن لنا ان نرجع الى دارنا فانها خارج من المدينة قلت وهولاء وامثالهم
المرادون بقوله تعالى واذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض ما وعدنا الله ورسوله
الا غرورا واذ قالت طايفة منهم يا اهل يثرب لا مقام لكم فارجعوا ويستاذن فريق منهم
النبي يقولون ان بيوتنا عورة وما هي بعورة ان يريدون الا فرارا قال ابن اسحاق فاقام
رسول الله يعني مرابطا واقام المشركون يحاصرونه بضعا وعشرين ليلة قريبا من شهر
ولم يكن بينهم حرب الا الرمي بالنبل فلما اشتد على الناس البلا بعث رسول الله صلى الله عليه
وسلم كما حدثني عاصم بن عمر بن قتادة ومن لا اتهم عن الزهري الى عيينة بن حصن والحرث بن
عوف المري وهما قايدا غطفان فاعطاهما ثلث ثمار المدينة على ان يرجعا بمن معهما عنه
وعن اصحابه فجرى بينه وبينهم الصلح حتى كتبوا الكتاب ولم تقع الشهادة ولا عزيمة
الصلح الا المراوضة فلما اراد رسول الله ان يفعل ذلك بعث الى السعدين فذكر لهما ذلك
واستشارهما فيه فقالا يا رسول الله امرا تحبه فنصنعه ام شيا امرك الله به لا بد لنا من
العمل به ام شيا تصنعه لنا فقال بل شي اصنعه لكم والله ما اصنع ذلك الا اني رايت العرب
قد رمتكم عن قوس واحدة وكالبوكم من كل جانب فاردت ان اكسر عنكم من شوكتهم الى امر ما

فقال له سعد بن معاذ يا رسول الله قد كنا نحن وهؤلاء القوم على الشرك بالله وعبادة
الاوثان لا نعبد الله ولا نعرفه وهم لا يطمعون ان ياكلوا منها تمرة واحدة الا قرى
او بيعا افحين اكرمنا الله بالاسلام وهدانا له واعزنا بك وبه نعطيهم اموالنا ما لنا بهذا
من حاجة والله لا نعطيهم الا السيف حتى يحكم الله بيننا وبينهم فقال النبي صلى الله عليه
وسلم انت وذاك فتناول سعد بن معاذ الصحيفة فمحى ما فيها من الكتاب ثم قال
ليجهدوا علينا قال ابن اسحاق فاقام النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه محاصرين ولم
يكن بينهم وبين عدوهم قتال الا ان فوارس من قريش منهم عمرو بن عبد ود بن ابي قيس احد
بني عامر بن لوي وعكرمة بن ابي جهل وهبيرة بن ابي وهب المخزوميان وضرار بن الخطاب
بن مرداس احد بني محارب بن فهر تلبسوا للقتال ثم خرجوا على خيلهم حتى مروا بمنازل
بني كنانة فقالوا تهيئوا يا بني كنانة للحرب فستعلمون من الفرسان اليوم ثم اقبلوا
تعنق بهم خيلهم حتى وقفوا على الخندق فلما راوه قالوا والله ان هذه لمكيدة ما كانت
العرب تكيدها ثم تيمموا مكانا من الخندق ضيقا فضربوا خيلهم فاقتحمت فجالت بهم في
السبخة بين الخندق وسلع وخرج علي بن ابي طالب في نفر معه من المسلمين حتى اخذوا عليهم
الثغرة التي اقتحموا منها خيلهم واقبلت الفرسان تعنق نحوهم وكان عمرو بن عبد ود قاتل يوم
بدر حتى اثبتته الجراحة فلم يشهد يوم احد فلما كان يوم الخندق خرج معلما ليرى مكانه فلما
وقف هو وخيله قال من يبارز فبرز له علي بن ابي طالب فقال له يا عمرو انك كنت عاهدت
الله لا يدعوك رجل من قريش الى احدى خلتين الا اخذتها منه قال اجل قال له علي فاني ادعوك
الى الله والى رسوله والى الاسلام قال لا حاجة لي بذلك قال فاني ادعوك الى النزال فقال له لم
يا ابن اخي فوالله ما احب ان اقتلك قال له علي لكني والله احب ان اقتلك فحمي عمرو عند ذلك
فاقتحم عن فرسه فعقره وضرب وجهه ثم اقبل على علي فتنازلا وتجاولا فقتله علي وخرجت
خيلهم منهزمة حتى اقتحمت من الخندق هاربة قال وقال علي بن ابي طالب في ذلك

نصر الحجارة من سفاهة رايه • ونصرت رب محمد بصواب •
فصددت حين تركته متجدلا • كالجذع بين دكادك وروابي •
وعففت عن اثوابه ولو انني • كنت المقطر بزني اثوابي •
لا تحسبن الله خاذل دينه • ونبيه يا معشر الاحزاب •

قال ابن هشام واكثر اهل العلم بالشعر يشك فيها لعلي قال ابن هشام والقى عكرمة رمحه
يومئذ وهو منهزم عن عمرو فقال في ذلك حسان بن ثابت •

فر والقى لنا رمحه • لعلك عكرم لم تفعل •
ووليت تعدو كعدو الظليم • ما ان يجوز عن المعدل •
ولم تلق ظهرك مستانسا • كان قفاك قفا فرعل •

قال ابن هشام الفرعل صغار الضباع وذكر الحافظ البيهقي في دلائل النبوة عن ابن اسحاق
في موضع اخر غير السيرة قال خرج عمرو بن عبد ود وهو مقنع بالحديد فنادى من يبارز فقام
علي بن ابي طالب فقال انا لها يا نبي الله فقال انه عمرو اجلس ثم نادى عمرو الا رجل يبرز فجعل
يؤنبهم ويقول اين جنتكم التي تزعمون انه من قتل منكم دخلها افلا تبرزون لي رجلا فقام علي
فقال انا يا رسول الله فقال اجلس ثم نادى الثالثة فقال ولقد بححت من الندا بجمعهم

هل من مبارز فقال النبي صلى الله عليه وسلم

هل من مبارز ووقفت اذ جبن المشجع موقف القرن المناجز •

ولذاك اني لم ازل • متسرعا قبل الهزاهز •
ان الشجاعة في الفتى • والجود من خير الغرائز •

قال فقام علي فقال يا رسول الله انا فقال انه عمرو فقال وان كان عمرا فاذن له رسول
الله صلى الله عليه وسلم فمشى اليه حتى اتاه وهو يقول •

لا تعجلن فقد اتاك • مجيب صوتك غير عاجز •
في نية وبصيرة • والصدق منجا كل فائز •
اني لارجو ان اقيم • عليك نائحة الجنائز •
من ضربة نجلاء • يبقى ذكرها عند الهزاهز •

فقال له عمرو من انت قال انا علي قال ابن عبد مناف قال انا علي بن ابي طالب فقال يا ابن
اخي من اعمامك من هو اسن منك فاني اكره ان اهريق دمك فقال له علي لكني والله لا اكره ان اهريق
دمك فغضب فنزل فسل سيفه كانه شعلة نار ثم اقبل نحو علي مغضبا واستقبله علي بدرقته
فضربه عمرو في الدرقة فقدها واثبت فيها السيف واصاب راسه فشجه وضربه
علي على حبل العاتق فسقط وثار العجاج وسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم التكبير فعرفنا
ان عليا قد قتله فثم يقول علي •

اعلي تقتحم الفوارس هكذا • عني وعنهم اخروا اصحابي •
اليوم يمنعني الفرار حفيظتي • ومصمم في الراس ليس بنابي •

الى ان قال

عبد الحجارة من سفاهة رايه • وعبدت رب محمد بصواب •

الى اخرها قال ثم اقبل علي بن ابي طالب نحو رسول الله صلى الله عليه وسلم ووجهه يتهلل فقال
له عمر بن الخطاب هلا استلبته درعه فانه ليس للعرب درع خير منها فقال ضربته فاتقاني
بسوءته فاستحييت ابن عمي ان استلبه قال وخرجت خيوله منهزمة حتى اقتحمت من الخندق
وذكر ابن اسحاق في سياقه كره حكاه عنه البيهقي ان عليا طعنه في ترقوته حتى اخرجها من مراقه
فمات في الخندق وبعث المشركون الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يشترون جيفته بعشرة
الاف فقال هو لكم لا ناكل ثمن الموتى وقد قال الامام احمد حدثنا نصر بن باب ثنا حجاج
عن الحكم عن مقسم عن ابن عباس انه قال قتل المسلمون يوم الخندق رجلا من المشركين فاعطوا
بجيفته مالا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ادفعوا اليهم جيفتهم فانه خبيث
الجيفة خبيث الدية فلم يقبل منهم شيا وقد رواه البيهقي من حديث حماد بن سلمة عن حجاج
هو ابن ارطاة عن الحكم عن مقسم عن ابن عباس ان رجلا من المشركين قتل يوم الاحزاب فبعثوا
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ابعث الينا بجسده ونعطيهم اثني عشر الفا فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم لا خير في جسده ولا في ثمنه وقد رواه الترمذي من حديث
سفيان الثوري عن ابن ابي ليلى عن الحكم عن مقسم عن ابن عباس وقال غريب وقد ذكر موسى بن
عقبة ان المشركين انما بعثوا يطلبون جسد نوفل بن عبد الله المخزومي حين قتل وعرضوا
عليه الدية فقال انه خبيث خبيث الدية فلعنه الله ولعن ديته فلا ارب لنا في ديته
ولسنا نمنعكم ان تدفنوه وذكر يونس بن بكير عن ابن اسحاق قال وخرج نوفل بن عبد الله
بن المغيرة المخزومي يسال المبارزة فخرج اليه الزبير بن العوام فضربه فشقه باثنين حتى

فلأنه سيفه فلا وانصرف وهو يقول

إني امرؤ أحمي وأحتمي • عن النبي المصطفى الأمي •

وقد ذكر ابن جرير أن نوفل لما تورط في الخندق رماه الناس بالحجارة فجعل يقول قتلة أحسن من هذه يا معشر العرب فنزل اليه علي فقتله وطلب المشركون رمته من رسول الله صلى الله عليه وسلم بالثمن فأبى عليهم أن يأخذ منهم شيا ومكنهم من أخذه اليهم وهذا غريب من وجهين وقد روى البيهقي من طريق حماد بن زيد عن هشام بن عروة عن أبيه عن عبد الله بن الزبير قال جعلت يوم الخندق مع النسا والصبيان في الأطم ومعي عمر بن أبي سلمة فجعل يطاطي لي فأصعد على ظهره فأنظر فنظرت الى أبي وهو يحمل مرة هاهنا ومرة هاهنا فما يرتفع له شي الا أتاه فلما أمسى جانا الى الأطم قلت يا أبت رأيتك اليوم وما تصنع قال ورأيتني يا بني قلت نعم قال فدى لك أبي وأمي قال ابن اسحاق وحدثني أبو ليلى عبد الله بن سهل بن عبد الرحمن بن سهل الأنصاري أخو بني حارثة أن عايشة أم المؤمنين كانت في حصن بني حارثة يوم الخندق وكان من أحرز حصون المدينة قال وكانت أم سعد بن معاذ معها في الحصن قالت عايشة وذلك قبل أن يضرب علينا الحجاب قالت فمر سعد وعليه درع مقلصة قد خرجت منها ذراعه كلها وفي يده حربته يرقد بها ويقول

لبث قليلا يشهد الهيجا جمل • لا بأس بالموت اذا حان الأجل •

فقالت له أمه الحق يا بني فقد والله أخرت قالت عايشة فقلت لها يا أم سعد والله لوددت أن درع سعد كانت أسبغ مما هي قالت وخفت عليه حيث أصاب السهم منه فرمي سعد بن معاذ بسهم فقطع منه الأكحل قال ابن اسحاق وحدثني عاصم بن عمر بن قتادة قال رماه حبان بن قيس بن العرقة أحد بني عامر بن لؤي فلما أصابه قال خذها مني وأنا ابن العرقة فقال له سعد عرق الله وجهك في النار اللهم ان كنت أبقيت من حرب قريش شيا فأبقني لها فانه لا قوم أحب الي أن أجاهد من قوم آذوا رسولك وكذبوه وأخرجوه اللهم وان كنت وضعت الحرب بيننا وبينهم فاجعلها لي شهادة ولا تمتني حتى تقر عيني من بني قريظة قال ابن اسحاق وحدثني من لا أتهم عن عبد الله بن كعب بن مالك أنه كان يقول ما أصاب سعدا يوميذ الا أبو أسامة الجشمي حليف بني مخزوم وقد قال أبو أسامة في ذلك شعرا قاله لعكرمة بن أبي جهل

ألست الذي ألزمت سعدا مرشة • لها بين أثناء المرافق عاند •
أعكرم هلا لمتني اذ تقول لي • فداك بآطام المدينة خالد •
قضى نحبه منها سعيد فأعولت • عليه مع الشمط العذارى النواهد •
وأنت الذي دافعت عنه وقد دعا • عبيدة جمعا منهم اذ يكايد •
على حين ما هم جاير عن طريقه • وآخر مرعوب عن القصد قاصد •

قال ابن اسحاق فالله أعلم أي ذلك كان قال ابن هشام ويقال ان الذي رمى سعدا خفاجة بن عاصم بن حبان وقد استجاب الله دعوة وليه سعد بن معاذ في بني قريظة أقر الله عينه فحكم فيهم بقدرته وتيسيره وجعلهم هم الذين يطلبون ذلك كما سيأتي بيانه فحكم بقتل مقاتلتهم وسبي ذراريهم حتى قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد حكمت فيهم بحكم الله من فوق سبعة أرقعة قال ابن اسحاق وحدثني يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير عن أبيه عباد

قال كانت صفية بنت عبد المطلب في فارع حصن حسان بن ثابت قالت وكان حسان فيه معنا مع النسا والصبيان فمر بنا رجل من يهود فجعل يطيف بالحصن وقد حاربت بنو قريظة وقطعت ما بينها وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم وليس بيننا وبينهم أحد يدفع عنا ورسول الله والمسلمون في نحور عدوهم لا يستطيعون أن ينصرفوا عنهم الينا اذ أتانا آت فقلت يا حسان ان هذا اليهودي كما ترى يطيف بالحصن واني والله ما آمنه أن يدل على عورتنا من وراينا من يهود وقد شغل رسول الله وأصحابه فانزل اليه فاقتله قال يغفر الله لك يا بنت عبد المطلب والله لقد عرفت ما أنا بصاحب هذا قالت فلما قال لي ذلك ولم أر عنده شيا احتجزت ثم أخذت عمودا ثم نزلت من الحصن اليه فضربته بالعمود حتى قتلته فلما فرغت منه رجعت الى الحصن فقلت يا حسان انزل فاسلبه فانه لم يمنعني من سلبه الا أنه رجل قال ما لي بسلبه من حاجة يا بنت عبد المطلب

حكى السهيلي عن بعضهم أنه قال كان حسان جبانا شديد الجبن قال وأنكر آخرون ذلك وطعنوا في هذا الخبر فقالوا انه منقطع قالوا وقد كان يهاجي المشركين من الشعرا كابن الزبعرى وضرار بن الخطاب وغيرهما فلم يعيره واحد منهم بالجبن قال وممن أنكر ذلك الشيخ أبو عمر النمري قالوا وبتقدير صحة هذا الخبر لعله كان منقطعا في الآطام لعلة عارضة ومال الى هذا السهيلي والله أعلم قال موسى بن عقبة وأحاط المشركون بالمسلمين حتى جعلوهم في مثل الحصن من كتايبهم فحاصروهم قريبا من عشرين ليلة وأخذوا بكل ناحية حتى لا يدري الرجل أتم أم لا قال ووجهوا نحو منزل رسول الله صلى الله عليه وسلم كتيبة غليظة فقاتلوهم يوما الى الليل فلما حضرت صلاة العصر دنت الكتيبة فلم يقدر النبي صلى الله عليه وسلم ولا أحد من أصحابه أن يصلوا الصلاة على نحو ما أراد وانكفأت الكتيبة مع الليل فزعموا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال شغلونا عن صلاة العصر ملأ الله بطونهم وقلوبهم نارا وفي رواية وقبورهم نارا قال فلما اشتد البلا نافق ناس كثير وتكلموا بكلام قبيح فلما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما بالناس من البلا والكرب جعل يبشرهم ويقول والذي نفسي بيده ليفرجن عنكم ما ترون من الشدة واني لأرجو أن أطوف بالبيت العتيق آمنا وأن يدفع الله الي مفاتيح الكعبة وليهلكن الله كسرى وقيصر ولتنفقن كنوزهما في سبيل الله وقد قال البخاري ثنا اسحاق ثنا روح ثنا هشام عن محمد عن عبيدة عن علي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال يوم الخندق ملأ الله عليهم بيوتهم وقبورهم نارا كما شغلونا عن صلاة الوسطى حتى غابت الشمس وهكذا رواه بقية الجماعة الا ابن ماجه من طرق عن هشام بن حسان عن محمد بن سيرين عن عبيدة عن علي به ورواه مسلم والترمذي من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة عن أبي حسان الأعرج عن عبيدة عن علي به وقال الترمذي حسن صحيح ثم قال البخاري ثنا مكي بن ابراهيم ثنا هشام عن يحيى عن أبي سلمة عن جابر بن عبد الله أن عمر بن الخطاب جا يوم الخندق بعد ما غربت الشمس فجعل يسب كفار قريش وقال يا رسول الله ما كدت أصلي حتى كادت الشمس تغرب قال النبي صلى الله عليه وسلم والله ما صليتها فنزلنا مع رسول الله بطحان فتوضأ للصلاة وتوضأنا لها فصلى العصر بعد ما غربت الشمس ثم صلى بعدها المغرب وقد رواه البخاري أيضا ومسلم والترمذي والنسائي من طرق عن يحيى بن أبي كثير عن أبي سلمة به وقال الامام أحمد

ثنا عبد الصمد ثنا ثابت ثنا هلال عن عكرمة عن ابن عباس قال قاتل النبي صلى الله عليه
وسلم عدوا فلم يفرغ منهم حتى اخر العصر عن وقتها فلما راى ذلك قال اللهم من حبسنا
عن الصلاة الوسطى فاملا بيوتهم نارا او املا قبورهم نارا او نحو ذلك تفرد به احمد وهو
من رواية هلال بن خباب العبدي الكوفي وهو ثقة يصحح له الترمذي وغيره وقد استدل
طايفة من العلما بهذه الاحاديث على كون الصلاة الوسطى هي صلاة العصر كما هو منصوص
عليه في هذه الاحاديث والزم القاضي الماوردي مذهب الشافعي بهذا لصحة الحديث
وقد حررنا ذلك نقلا واستدلالا عند قوله تعالى حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى
وقوموا لله قانتين وقد استدل طايفة بهذا الصنيع على جواز تاخير الصلاة لعذر القتال
كما هو مذهب مكحول والاوزاعي وقد بوب البخاري على ذلك واستدل بهذا الحديث وبقوله
عليه السلام يوم امرهم بالذهاب الى بني قريظة كما سياتي لا يصلين احد العصر الا في بني
قريظة فكان من الناس من صلى في الوقت في الطريق ومنهم من لم يصل الا في بني قريظة بعد
الغروب ثم لم يعنف واحدا من الفريقين واستدل بما ذكره عن الصحابة ومن معهم في حصار
تستر سنة عشرين في زمن عمر حيث صلوا الصبح بعد طلوع الشمس لعذر القتال
واقتراب فتح الحصن وقال اخرون من العلما وهم الجمهور ومنهم الشافعي هذا الصنيع
يوم الخندق منسوخ بشرعية صلاة الخوف بعد ذلك فانها لم تكن مشروعة اذ ذاك
فلهذا اخرها يومئذ وهو مشكل فان ابن اسحاق وجماعة ذهبوا الى ان النبي صلى الله عليه
وسلم صلى صلاة الخوف بعسفان وقد ذكرها ابن اسحاق وهو امام في المغازي قبل
الخندق وكذلك ذات الرقاع ذكرها قبل الخندق فالله اعلم واما الذين قالوا ان تاخير
الصلاة يوم الخندق وقع نسيانا كما حكاه شراح مسلم عن بعض الناس فهو مشكل
اذ يبعد ان يقع هذا من جمع كثير مع شدة حرصهم على محافظة الصلاة كيف وقد روي انهم
تركوا يومئذ الظهر والعصر والمغرب حتى صلوا الجميع في وقت العشا قال الامام احمد ثنا   من رواية ابي هريرة وابي سعيد ص
يزيد وحجاج قالا ثنا ابن ابي ذيب عن المقبري عن عبد الرحمن بن ابي سعيد الخدري عن ابيه
قال حبسنا يوم الخندق حتى ذهب هوي من الليل حتى كفينا وذلك قوله وكفى الله المومنين
القتال وكان الله قويا عزيزا قال فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بلالا فامره فاقام
فصلى الظهر كما كان يصليها في وقتها ثم اقام العصر فصلاها كذلك ثم اقام المغرب
فصلاها كذلك ثم اقام العشا فصلاها كذلك وذلك قبل ان ينزل في صلاة
الخوف فان خفتم فرجالا او ركبانا وقد رواه النسايي عن الفلاس عن يحيى القطان عن ابن
ابي ذيب به قال شغلنا المشركون يوم الخندق عن صلاة الظهر حتى غربت الشمس وذكره
وقال احمد ثنا هشيم ثنا ابو الزبير عن نافع بن جبير عن ابي عبيدة بن عبد الله بن مسعود
عن ابيه ان المشركين شغلوا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الخندق عن اربع صلوات
حتى ذهب من الليل ما شا الله قال فامر بلالا فاذن ثم اقام فصلى الظهر ثم اقام فصلى
العصر ثم اقام فصلى المغرب ثم اقام فصلى العشا وقال الحافظ ابو بكر البزار ثنا محمد بن
معمر ثنا مومل يعني ابن اسماعيل ثنا حماد يعني ابن سلمة عن عبد الكريم يعني ابن ابي المخارق
عن مجاهد عن جابر بن عبد الله ان النبي صلى الله عليه وسلم شغل يوم الخندق عن صلاة الظهر
والعصر والمغرب والعشا فامر بلالا فاذن واقام فصلى الظهر ثم امره فاذن واقام فصلى

العصر

العصر ثم امره فاذن واقام فصلى المغرب ثم امره فاذن واقام فصلى العشا ثم قال
ما على وجه الارض قوم يذكرون الله في هذه الساعة غيركم تفرد به البزار وقال لا نعرفه
الا من هذا الوجه وقد رواه بعضهم عن عبد الكريم عن مجاهد عن ابي عبيدة عن عبد الله

فصل في دعايه عليه السلام على الاحزاب

وكيف هزمهم الله بحوله وقوته استجابة لرسوله عليه السلام وصبا تتحوز نسته الشريفة
فزلزل قلوبهم ثم ارسل عليهم الريح الشديدة فزلزل ابدانهم قال الامام احمد ثنا ابو عامر
ثنا الزبير يعني ابن عبد الله ثنا ربيح يعني ابن ابي سعيد عن ابيه قال قلنا يا رسول الله
هل من شي نقوله فقد بلغت القلوب الحناجر قال نعم اللهم استر عوراتنا وامن روعاتنا
قال فضرب الله وجوه اعدايه بالريح فهزم الله اعداه بالريح وقد رواه ابن ابي حاتم في
تفسيره عن ابيه عن ابي عامر العقدي عن الزبير بن عبد الله مولى عثمان بن عفان عن ربيح
بن عبد الرحمن بن ابي سعيد عن ابيه عن ابي سعيد فذكره وهذا هو الصواب وقال
الامام احمد ثنا حسين ثنا ابن ابي ذيب عن رجل من بني سلمة عن جابر بن عبد الله ان
النبي صلى الله عليه وسلم اتى مسجد الاحزاب فوضع رداه وقام ورفع يديه مدا يدعو
عليهم ولم يصل قال ثم جا ودعا عليهم وصلى وثبت في الصحيحين من حديث
اسماعيل بن ابي خالد عن عبد الله بن ابي اوفى قال دعا رسول الله على الاحزاب فقال
اللهم منزل الكتاب سريع الحساب اهزم الاحزاب اللهم اهزمهم وزلزلهم وفي رواية اللهم
اهزمهم وانصرنا عليهم وروى البخاري عن قتيبة عن الليث عن سعيد المقبري عن ابيه
عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول لا اله الا الله وحده اعز جنده
ونصر عبده وغلب الاحزاب وحده فلا شي بعده وقال ابن اسحاق واقام رسول الله صلى
الله عليه وسلم واصحابه فيما وصف الله من الخوف والشدة لتظاهر عدوهم عليهم
واتيانهم اياهم من فوقهم ومن اسفل منهم قال ثم ان نعيم بن مسعود بن عامر بن انيف
بن ثعلبة بن قنفذ بن هلال بن خلاوة بن اشجع بن ريث بن غطفان اتى رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقال يا رسول الله اني قد اسلمت وان قومي لم يعلموا باسلامي فمرني بما شيت فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم انما انت فينا رجل واحد فخذل عنا ان استطعت فان الحرب
خدعة فخرج نعيم بن مسعود حتى اتى بني قريظة وكان لهم نديما في الجاهلية فقال لهم يا بني
قريظة قد عرفتم ودي اياكم وخاصة ما بيني وبينكم قالوا صدقت لست عندنا بمتهم فقال لهم
ان قريشا وغطفان ليسوا كانتم البلد بلدكم به اموالكم ونساوكم وابناوكم لا تقدرون على
ان تحولوا منه الى غيره وان قريشا وغطفان قد جاوا لحرب محمد واصحابه وقد ظاهرتموهم
عليه وبلدهم واموالهم ونساوهم بغيره فليسوا كانتم فان راوا نهزة اصابوها وان كان غير ذلك
لحقوا ببلادهم وخلوا بينكم وبين الرجل ببلدكم ولا طاقة لكم به ان خلا بكم فلا تقاتلوا مع القوم
حتى تاخذوا منهم رهنا من اشرافهم يكونون بايديكم ثقة لكم على ان تقاتلوا معهم محمدا حتى
تناجزوه قالوا لقد اشرت بالراي ثم خرج حتى اتى قريشا فقال لابي سفيان بن حرب ومن
معه من رجال قريش قد عرفتم ودي لكم وفراقي محمدا وانه قد بلغني امر قد رايت علي حقا ان ابلغكموه
نصحا لكم فاكتموا عني قالوا نفعل قال تعلموا ان معشر يهود قد ندموا على ما صنعوا فيما
بينهم وبين محمد وقد ارسلوا اليه انا قد ندمنا على ما فعلنا فهل يرضيك ان ناخذ لك من

القبيلتين من قريش وغطفان رجالا من اشرافهم فنضرب اعناقهم ثم نكون معك على من بقي
منهم حتى نستاصلهم فارسل اليهم ان نعم فان بعثت اليكم يهود يلتمسون منكم رهنا من رجالكم
فلا تدفعوا اليهم منكم رجلا واحدا ثم خرج حتى اتى غطفان فقال يا معشر غطفان انكم
اصلي وعشيرتي واحب الناس الي ولا اراكم تتهموني قالوا صدقت ما انت عندنا بمتهم قال
فاكتموا عني قالوا نفعل قال ثم قال لهم مثل ما قال لقريش وحذرهم ما حذرهم فلما كانت
ليلة السبت من شوال سنة خمس وكان من صنع الله تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم ارسل
ابو سفيان بن حرب ورؤوس غطفان الى بني قريظة عكرمة بن ابي جهل في نفر من قريش وغطفان
فقالوا لهم انا لسنا بدار مقام قد هلك الخف والحافر فاغدوا للقتال حتى نناجز محمدا ونفرغ
مما بيننا وبينه فارسلوا اليهم ان اليوم يوم السبت وهو يوم لا نعمل فيه شيئا وقد كان احدث
فيه بعضنا حدثا فاصابهم ما لم يخف عليكم ولسنا مع ذلك بالذين نقاتل معكم محمدا حتى
تعطونا رهنا من رجالكم يكونون بايدينا ثقة لنا حتى نناجز محمدا فانا نخشى ان ضرستكم الحرب
واشتد عليكم القتال ان تنشمروا الى بلادكم وتتركونا والرجل في بلادنا ولا طاقة لنا بذلك
منه فلما رجعت اليهم الرسل بما قالت بنو قريظة قالت قريش وغطفان والله ان الذي حدثكم
نعيم بن مسعود لحق فارسلوا الى بني قريظة انا والله ما ندفع اليكم رجلا واحدا من رجالنا فان
كنتم تريدون القتال فاخرجوا فقاتلوا فقالت بنو قريظة حين انتهت اليهم الرسل بهذا
ان الذي ذكر لكم نعيم بن مسعود لحق ما يريد القوم الا ان يقاتلوا فان راوا فرصة انتهزوها وان
كان غير ذلك انشمروا الى بلادهم وخلوا بينكم وبين الرجل في بلدكم فارسلوا الى قريش وغطفان
انا والله ما نقاتل معكم حتى تعطونا رهنا فابوا عليهم وخذل الله بينهم وبعث الله الريح في ليلة
شاتية شديدة البرد فجعلت تكفا قدورهم وتطرح انيتهم وهذا الذي ذكره ابن اسحاق
من قصة نعيم بن مسعود احسن مما ذكره موسى بن عقبة وقد اورده عنه البيهقي في الدلايل
فانه ذكر ما حاصله ان نعيم بن مسعود كان يذيع ما يسمعه من الحديث فاتفق انه مر برسول الله
صلى الله عليه وسلم ذات يوم عشاء فاشار اليه ان تعال فجاء فقال ما وراءك فقال انه
قد بعثت قريش وغطفان الى بني قريظة ان يخرجوا اليهم ليناجزوك فقالت قريظة نعم
فارسلوا الينا بالرهن وقد ذكر كما تقدم انهم انما نقضوا العهد على يدي حيي بن اخطب
بشرط ان ياتيهم برهائن تكون عندهم توثقة قال فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم
اني مسر اليك شيئا فلا تذكره قال نعم قال انهم قد ارسلوا الي يدعونني الى الصلح وارد بني
النضير الى دورهم واموالهم فخرج نعيم بن مسعود عامدا الى غطفان وقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم الحرب خدعة وعسى الله ان يصنع لنا فاتى نعيم غطفان وقريشا فاعلمهم بذلك
فبادر القوم وارسلوا الى بني قريظة عكرمة وجماعة معه واتفق ذلك ليلة السبت يطلبون
منهم ان يخرجوا للقتال معهم فاعتلت اليهود بالسبت ثم ايضا طلبوا الرهن توثقة فاوقع
الله بينهم واختلفوا قلت وقد يحتمل ان تكون قريظة لما يئسوا من انتظام امرهم مع قريش
وغطفان بعثوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يطلبون منه الصلح على ان يرد بني النضير
الى المدينة والله اعلم قال ابن اسحاق فلما انتهى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما اختلف
من امرهم وما فرق الله من جماعتهم دعا حذيفة بن اليمان فبعثه اليهم لينظر ما فعل القوم ليلا
قال ابن اسحاق فحدثني يزيد بن زياد عن محمد بن كعب القرظي قال قال رجل من اهل الكوفة

لحذيفة

لحذيفة بن اليمان يا ابا عبد الله ارايتم رسول الله وصحبتموه قال نعم يا ابن اخي قال
فكيف كنتم تصنعون قال والله لقد كنا نجتهد قال فقال والله لو ادركناه
ما تركناه يمشي على الارض ولحملناه على اعناقنا قال فقال حذيفة يا ابن اخي والله لقد رايتنا مع رسول
الله صلى الله عليه وسلم بالخندق وصلى رسول الله هويا من الليل ثم التفت الينا فقال من رجل
يقوم فينظر لنا ما فعل القوم ثم يرجع فشرط له رسول الله صلى الله عليه وسلم الرجعة
اسال الله ان يكون رفيقي في الجنة فما قام رجل من القوم من شدة الخوف وشدة الجوع وشدة
البرد فلما لم يقم احد دعاني فلم يكن لي بد من القيام حين دعاني فقال يا حذيفة اذهب
فادخل في القوم فانظر ما يفعلون ولا تحدثن شيئا حتى تاتينا قال فذهبت فدخلت في القوم
والريح وجنود الله تفعل بهم ما تفعل لا تقر لهم قدرا ولا نارا ولا بناء فقام ابو سفيان فقال
يا معشر قريش لينظر امرؤ جليسه قال حذيفة فاخذت بيد الرجل الذي كان الى جنبي فقلت
من انت فقال فلان بن فلان ثم قال ابو سفيان يا معشر قريش انكم والله ما اصبحتم
بدار مقام لقد هلك الكراع والخف واخلفتنا بنو قريظة وبلغنا عنهم الذي نكره ولقينا
من شدة الريح ما ترون ما تطمئن لنا قدر ولا تقوم لنا نار ولا يستمسك لنا
بناء فارتحلوا فاني مرتحل ثم قام الى جمله وهو معقول فجلس عليه ثم ضربه فوثب به على
ثلاث فما اطلق عقاله الا وهو قائم ولولا عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم الي ان لا تحدث شيئا حتى
تاتيني ثم شئت لقتلته بسهم قال حذيفة فرجعت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
وهو قائم يصلي في مرط لبعض نسائه مرحل فلما راني ادخلني الى رحله وطرح علي طرف المرط
ثم ركع وسجد واني لفيه فلما سلم اخبرته الخبر وسمعت غطفان بما فعلت قريش فانشمروا
راجعين الى بلادهم وهذا منقطع من هذا الوجه وقد روى هذا الحديث مسلم بن الحجاج في
صحيحه من حديث الاعمش عن ابراهيم بن يزيد التيمي عن ابيه قال كنا عند حذيفة فقال
له رجل لو ادركت رسول الله صلى الله عليه وسلم قاتلت معه وابليت فقال حذيفة
انت كنت تفعل ذلك لقد رايتنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة الاحزاب في ليلة
ذات ريح شديدة وقر فقال رسول الله الا رجل ياتي بخبر القوم يكون معي يوم القيامة فلم يجبه
منا احد ثم الثانية ثم الثالثة مثله ثم قال يا حذيفة قم فاتنا بخبر القوم فلم اجد
بدا اذ دعاني باسمي ان اقوم فقال ائتني بخبر القوم ولا تذعرهم علي قال فمضيت
كانما امشي في حمام حتى اتيتهم فاذا ابو سفيان يصلي ظهره بالنار فوضعت سهما في كبد قوسي
واردت ان ارميه ثم ذكرت قول رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تذعرهم علي ولو رميته
لاصبته قال فرجعت كانما امشي في حمام فاتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم اصابني
البرد حين رجعت وقررت فاخبرت رسول الله صلى الله عليه وسلم والبسني من فضل عباءة
كانت عليه يصلي فيها فلم ازل نائما حتى الصبح فلما ان اصبحت قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم قم يا نومان وقد روى الحاكم والحافظ البيهقي في الدلايل هذا الحديث مبسوطا
من حديث عكرمة بن عمار عن محمد بن عبيد الله الدؤلي عن عبد العزيز ابن اخي حذيفة قال
ذكر حذيفة مشاهدهم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال جلساؤه اما والله لو كنا شهدنا
ذلك لكنا فعلنا وفعلنا فقال حذيفة لا تمنوا ذلك لقد رايتنا ليلة الاحزاب ونحن صافون
قعود ابو سفيان ومن معه من الاحزاب فوقنا وقريظة اليهود اسفل منا نخافهم على ذرارينا

وما اتت علينا قط اشد ظلمة ولا اشد ريحا في اصوات ريحها امثال الصواعق وهي ظلمة ما يرى احدنا اصبعه فجعل المنافقون يستاذنون النبي ويقولون ان بيوتنا عورة وما هي بعورة فما يستاذنه احد منهم الا اذن له ويأذن لهم ويتسللون ونحن ثلثمائة ونحو ذلك اذ استقبلنا رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا رجلا حتى اتى علي وما علي جنة من العدو ولا من البرد الا مرط لامرأتي ما يجاوز ركبتي قال فاتاني وانا جاث على ركبتي فقال من هذا فقلت حذيفة فقال حذيفة فتقاصرت للارض فقلت بلى يا رسول الله كراهية ان اقوم فقمت فقال انه كائن في القوم خبر فاتني بخبر القوم قال وانا من اشد الناس فزعا واشدهم قرا قال فخرجت فقال رسول الله اللهم احفظه من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله ومن فوقه ومن تحته قال فوالله ما خلق الله فزعا ولا قرا في جوفي الا خرج من جوفي فما اجد فيه شيئا قال فلما وليت قال يا حذيفة لا تحدثن في القوم شيئا حتى تاتيني قال فخرجت حتى اذا دنوت من عسكر القوم نظرت في ضوء نار لهم توقد واذا رجل ادهم ضخم يقول بيده على النار ويمسح خاصرته ويقول الرحيل الرحيل ولم اكن اعرف ابا سفيان قبل ذلك فانتزعت سهما من كنانتي ابيض الريش فاضعه في كبد قوسي لارميه به في ضوء النار فذكرت قول رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تحدثن فيهم شيئا حتى تاتيني قال فامسكت ورددت سهمي الى كنانتي ثم اني شجعت نفسي حتى دخلت العسكر فاذا ادنى الناس مني بنو عامر يقولون يا آل عامر الرحيل الرحيل لا مقام لكم واذا الريح في عسكرهم ما تجاوز عسكرهم شبرا فوالله اني لاسمع صوت الحجارة في رحالهم وفرشهم الريح يضربهم بها ثم خرجت نحو رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما انتصفت في الطريق او نحوا من ذلك اذا انا بنحو من عشرين فارسا او نحو ذلك معتمين فقالوا اخبر صاحبك ان الله قد كفاه قال فرجعت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو مشتمل في شملة يصلي فوالله ما عدا ان رجعت راجعني القر وجعلت اقرقف فاومأ الي رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده وهو يصلي فدنوت منه فاسبل علي شملته وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا حزبه امر صلى فاخبرته خبر القوم اخبرته اني تركتهم يترحلون قال وانزل الله تعالى يا ايها الذين امنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذ جاءتكم جنود فارسلنا عليهم ريحا وجنودا لم تروها وكان الله بما يعملون بصيرا يعني الايات كلها الى قوله ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيرا وكفى الله المؤمنين القتال وكان الله قويا عزيزا اي صرف الله عنهم عدوهم بالريح التي ارسلها عليهم والجنود من الملائكة وغيرهم التي بعثها اليهم وكفى الله المؤمنين القتال ولم يحتاجوا الى منازلتهم ومبارزتهم بل صرفهم القوي العزيز بحوله وقوته ولهذا ثبت في الصحيحين عن ابي هريرة قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا اله الا الله وحده صدق وعده ونصر عبده واعز جنده وهزم الاحزاب وحده فلا شيء بعده وفي قوله وكفى الله المؤمنين القتال اشارة الى وضع الحرب بينهم وبينهم وهكذا وقع فلم ترجع قريش بعدها الى حرب المسلمين كما قال محمد بن اسحاق رح فلما انصرف اهل الخندق عن الخندق قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما بلغنا لن تغزوكم قريش بعد عامكم هذا ولكنكم تغزونهم قال فلم تغز قريش بعد ذلك وكان يغزوهم بعد ذلك حتى فتح الله عليه مكة وهذا البلاغ من ابن اسحاق وقد قال الامام احمد حدثنا يحيى عن سفيان حدثني ابو اسحاق سمعت سليمان بن صرد رضي الله عنه يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الآن نغزوهم ولا يغزونا وهكذا رواه البخاري من حديث اسرائيل وسفيان الثوري كلاهما عن

ابي اسحاق

ابي اسحاق السبيعي عن سليمان بن صرد به قال ابن اسحاق واستشهد من المسلمين يوم الخندق ستة ثلاثة من بني عبد الاشهل وهم سعد بن معاذ رمي في وفاته مبسوطة وانس بن اوس بن عتيك بن عمرو وعبد الله بن سهل والطفيل بن النعمان وثعلبة بن غنمة الجشميان ثم السلميان وكعب بن زيد النجاري اصابه سهم غرب فقتله قال وقتل من المشركين ثلاثة وهم منبه بن عثمان بن عبيد بن السباق بن عبد الدار اصابه سهم فمات منه بمكة ونوفل بن عبد الله بن المغيرة اقتحم الخندق في فرسه فتورط فيه فقتل هنالك وطلبوا جسده بثمن كثير كما تقدم وعمرو بن عبد ود العامري قتله علي بن ابي طالب قال ابن هشام وحدثني الثقة انه حدث عن الزهري انه قال قتل علي يومئذ عمرو بن عبد ود وابنه حسل بن عمرو قال ابن هشام ويقال عمرو بن عبد ود ويقال عمرو بن عبد

فصل في غزوة بني قريظة وما احل الله بهم من البأس الشديد مع ما اعد الله لهم من العذاب الاليم العتيد

وذلك لكفرهم ونقضهم العهود التي كانت بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم وممالاتهم الاحزاب عليه فما اجدى ذلك عنهم شيئا وباؤوا بغضب من الله ورسوله والصفقة الخاسرة في الدنيا والاخرة وقد قال الله تعالى ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيرا وكفى الله المؤمنين القتال وكان الله قويا عزيزا وانزل الذين ظاهروهم من اهل الكتاب من صياصيهم وقذف في قلوبهم الرعب فريقا تقتلون وتاسرون فريقا واورثكم ارضهم وديارهم واموالهم وارضا لم تطؤها وكان الله على كل شيء قديرا قال البخاري ثنا محمد بن مقاتل ثنا عبد الله ثنا موسى بن عقبة عن سالم ونافع عن عبد الله ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا قفل من الغزو او الحج او العمرة يبدأ فيكبر ثم يقول لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير آيبون تائبون عابدون ساجدون لربنا حامدون صدق الله وعده ونصر عبده وهزم الاحزاب وحده وقال محمد بن اسحاق رح ولما اصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم انصرف عن الخندق راجعا الى المدينة والمسلمون ووضعوا السلاح فلما كانت الظهر اتى جبريل رسول الله صلى الله عليه وسلم كما حدثني الزهري معتجرا بعمامة من استبرق على بغلة عليها رحالة عليها قطيفة من ديباج فقال قد وضعت السلاح يا رسول الله قال نعم فقال جبريل ما وضعت الملائكة السلاح بعد وما رجعت الان الا من طلب القوم ان الله يامرك يا محمد بالسير الى بني قريظة فاني عامد اليهم فمزلزل بهم فامر رسول الله صلى الله عليه وسلم مؤذنا فاذن في الناس من كان سامعا مطيعا فلا يصلين العصر الا ببني قريظة قال ابن هشام واستعمل على المدينة ابن ام مكتوم وقال البخاري ثنا عبد الله بن ابي شيبة ثنا ابن نمير عن هشام عن ابيه عن عائشة قالت لما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم ووضع السلاح واغتسل اتاه جبريل فقال قد وضعت السلاح والله ما وضعناه اخرج اليهم قال الى اين قال ها هنا واشار بيده الى بني قريظة فخرج النبي صلى الله عليه وسلم وقال احمد ثنا حسن ثنا حماد بن سلمة عن هشام بن عروة عن ابيه عن عائشة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما فرغ من الاحزاب دخل المغتسل يغتسل وجاءه جبريل فرأيته من خلل الباب قد عصب راسه الغبار فقال يا محمد اوضعتم اسلحتكم فقال ما وضعنا اسلحتنا بعد انهد الى بني قريظة ثم قال البخاري ثنا موسى ثنا جرير بن حازم عن حميد بن هلال عن انس بن مالك قال كاني انظر الى الغبار ساطعا في زقاق بني غنم موكب جبريل حين سار رسول الله صلى الله عليه وسلم الى بني قريظة ثم قال البخاري ثنا عبد الله

اليهم م

بن محمد بن اسماء ثنا جويرية بن اسماء عن نافع عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
يوم الاحزاب لا يصلين احد العصر الا في بني قريظة فادرك بعضهم العصر في الطريق فقال
بعضهم لا نصلي حتى نأتيها وقال بعضهم بل نصلي لم يرد منا ذلك فذكر ذلك للنبي صلى الله عليه
وسلم فلم يعنف واحدا منهم وهكذا رواه مسلم عن عبد الله بن محمد بن اسماء به وقال الحافظ
البيهقي انا ابو عبد الله الحافظ وابو بكر احمد بن الحسن القاضي قالا ثنا ابو العباس محمد بن يعقوب
ثنا محمد بن خالد بن خلي ثنا بشر بن حرب عن ابيه حدثنا الزهري اخبرني عبد الرحمن بن عبد الله
بن كعب بن مالك ان عمه عبيد الله اخبره ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما رجع من طلب الاحزاب
وضع عنه اللامة واغتسل واستجمر فتبدى له جبريل عليه السلام فقال عذيرك من محارب الا اراك
قد وضعت اللامة وما وضعناها بعد قال فوثب النبي صلى الله عليه وسلم فزعا فعزم على الناس ان نعم
لا يصلوا صلاة العصر حتى يأتوا بني قريظة قال فلبس الناس السلاح فلم يأتوا بني قريظة حتى
غربت الشمس فاختصم الناس عند غروب الشمس فقال بعضهم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
عزم علينا ان لا نصلي حتى نأتي بني قريظة فانما نحن في عزيمة رسول الله فليس علينا اثم وصلى
طائفة من الناس احتسابا وتركت طائفة منهم الصلاة حتى غربت الشمس فصلوها حين جاؤوا
بني قريظة احتسابا فلم يعنف رسول الله صلى الله عليه وسلم واحدا من الفريقين ثم روى
البيهقي من طريق عبد الله العمري عن اخيه عبيد الله عن القاسم بن محمد عن عائشة ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم كان عندنا فسلم علينا رجل ونحن في البيت فقام رسول الله فزعا وقمت
في اثره فاذا بدحية الكلبي فقال هذا جبريل امرني ان اذهب الى بني قريظة وقال قد وضعتم
السلاح لكنا لم نضع طلبنا المشركين حتى بلغنا حمراء الاسد وذلك حين رجع رسول الله من الخندق
فقام رسول الله فزعا وقال لاصحابه عزمت عليكم ان لا تصلوا صلاة العصر حتى تأتوا بني
قريظة فغربت الشمس قبل ان يأتوهم فقالت طائفة من المسلمين ان رسول الله لم يرد ان
تدعوا الصلاة فصلوا وقالت طائفة والله انا لفي عزيمة رسول الله وما علينا من اثم فصلت
طائفة ايمانا واحتسابا وتركت طائفة ايمانا واحتسابا ولم يعنف رسول الله صلى الله عليه وسلم
واحدا من الفريقين وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فمر بمجالس بينه وبين بني قريظة
فقال هل مر بكم احد قالوا مر علينا دحية الكلبي على بغلة شهباء تحته قطيفة ديباج فقال
ذلك جبريل ارسل الى بني قريظة ليزلزلهم ويقذف في قلوبهم الرعب فحاصرهم النبي صلى الله
عليه وسلم وامر اصحابه ان يستروه بالحجف حتى يسمع كلامهم فناداهم يا اخوة القردة والخنازير
فقالوا يا ابا القاسم لم تكن فحاشا فحاصرهم النبي صلى الله عليه وسلم حتى نزلوا على حكم سعد بن
معاذ وكانوا حلفاءه فحكم فيهم ان يقتل مقاتلتهم وتسبى ذراريهم ونساؤهم ولهذا الحديث
طرق جيدة عن عائشة وغيرها **قوله في الحديث دحية** قال السهيلي الدحية
الرئيس قال وفي الحديث رواه ابن سنجر من طريق حماد بن سلمة عن ابي التياح عن عبد الله بن الهذيل
ان رسول الله قال رأيت البيت المعمور يدخله كل يوم سبعون الف دحية تحت كل دحية سبعون الف
ملك وذكره القتيبي وقد اختلف العلماء في المصيب من الصحابة يومئذ من هو بل الاجماع على
ان كلا من الفريقين مأجور ومعذور غير معنف فقالت طائفة من العلماء الذين اخروا الصلاة
يومئذ عن وقتها المقدر لها حتى صلوها في بني قريظة هم المصيبون لان امرهم يومئذ بتأخير
الصلاة خاص فيقدم على عموم الامر بها في وقتها المقدر لها شرعا قال ابو محمد بن حزم الظاهري

في كتابه

في كتاب السيرة وعلم الله انا لو كنا هناك لم نصل العصر الا في بني قريظة ولو بعد ايام وهذا
القول منه ماش على قاعدته الاصلية في الاخذ بالظاهر وقالت طائفة من العلماء بل الذين
صلوا الصلاة في وقتها لما ادركتهم وهم في مسيرهم هم المصيبون لانهم فهموا ان المراد انما
هو تعجيل السير الى بني قريظة لا تأخير الصلاة فعملوا بمقتضى الادلة الدالة على افضلية الصلاة
في اول وقتها مع فهمهم عن الشارع ما اراد ولهذا لم يعنفهم ولم يأمرهم باعادة الصلاة
في وقتها الذي حولت اليه يومئذ كما يدعيه اولئك واما اولئك الذين اخروا فعذروا بحسب
ما فهموا واكثر ما كانوا يؤمرون بالقضاء وقد فعلوه واما على قول من يجوز تأخير الصلاة لعذر
القتال كما فهمه البخاري حيث احتج على ذلك بحديث ابن عمر المتقدم في هذا فلا اشكال على من
اخر ولا على من قدم ايضا والله اعلم ثم قال ابن اسحاق وقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم
علي بن ابي طالب برايته وابتدرها الناس وقال موسى بن عقبة في مغازيه عن الزهري
فبينما رسول الله في مغتسله كما يزعمون قد رجل احد شقيه اتاه جبريل على فرس عليه لامته
حتى وقف بباب المسجد عند موضع الجنائز فخرج اليه رسول الله فقال له جبريل غفر الله لك
اقد وضعت السلاح قال نعم فقال جبريل لكنا لم نضعه منذ نزل بك العدو وما زلت
في طلبهم حتى هزمهم الله ويقولون ان على وجه جبريل لاثر الغبار فقال له جبريل ان الله قد
امرك بقتال بني قريظة فانا عامد اليهم بمن معي من الملائكة لازلزل بهم الحصون فاخرج
بالناس فخرج رسول الله في اثر جبريل فمر على مجلس بني غنم وهم ينتظرون رسول الله فسألهم
فقال مر عليكم فارس آنفا قالوا مر علينا دحية الكلبي على فرس ابيض تحته نمط او قطيفة
من ديباج عليه اللامة فذكروا ان رسول الله قال ذاك جبريل وكان رسول الله يشبه
دحية الكلبي بجبريل فقال الحقوا بي بني قريظة فصلوا فيهم العصر فقاموا ومن شاء الله من
المسلمين فانطلقوا الى بني قريظة فحانت صلاة العصر وهم بالطريق فذكروا الصلاة
فقال بعضهم لبعض الم تعلموا ان رسول الله امركم ان تصلوا العصر في بني قريظة وقال
اخرون هي الصلاة فصلى منهم قوم واخرت طائفة الصلاة حتى صلوها في بني قريظة بعد
ان غابت الشمس فذكروا لرسول الله صلى الله عليه وسلم من عجل منهم الصلاة ومن اخرها
فذكروا ان رسول الله لم يعنف واحدا من الفريقين قال فلما رأى علي بن ابي طالب رسول
الله مقبلا تلقاه وقال ارجع يا رسول الله فان الله كافيك اليهود وكان علي قد سمع منهم
قولا سيئا لرسول الله وازواجه رضي الله عنهن فكره علي ان يسمع ذلك رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقال له رسول الله لم تأمرني بالرجوع فكتمه ما سمع منهم فقال اظنك سمعت
لي منهم اذى فامض فان اعداء الله لو قد رأوني لم يقولوا شيئا مما سمعت فلما نزل رسول الله
بحصنهم وكانوا في اعلاه نادى باعلى صوته نفرا من اشرافهم حتى اسمعهم فقال اجيبوا يا معشر
اليهود يا اخوة القردة قد نزل بكم خزي الله عز وجل فحاصرهم رسول الله بكتائب المسلمين
بضع عشرة ليلة ورد الله حيي بن اخطب حتى دخل حصن بني قريظة وقذف الله في قلوبهم
الرعب واشتد عليهم الحصار فصرخوا بابي لبابة بن عبد المنذر وكانوا حلفاء الانصار فقال
ابو لبابة لا آتيهم حتى يأذن لي رسول الله فقال له رسول الله قد اذنت لك فاتاهم ابو لبابة
فبكوا اليه وقالوا يا ابا لبابة ماذا ترى وماذا تأمرنا فانه لا طاقة لنا بالقتال فاشار ابو
لبابة بيده الى حلقه وامر عليه اصابعه يريهم انما يراد بكم القتل فلما انصرف ابو لبابة

فسقط في يده ورأى انه قد اصابته فتنة عظيمة فقال والله لا انظر في وجه رسول الله صلى
الله عليه وسلم حتى احدث لله توبة نصوحا يعلمها الله من نفسي فرجع الى المدينة فربط
يديه الى جذع من جذوع المسجد وزعموا انه ارتبط قريبا من عشرين ليلة فقال رسول الله
كما ذكر حين راث عليه ابو لبابة اما فرغ ابو لبابة من حلفائه فذكر له ما فعل فقال لقد
اصابته بعدي فتنة ولو جاءني لاستغفرت له واذ قد فعل هذا فلن احركه من مكانه حتى يقضي
الله فيه ما يشاء وهكذا روى ابن لهيعة عن ابي الاسود عن عروة وهكذا ذكر محمد بن اسحاق في مغازيه
مثل سياق موسى بن عقبة عن الزهري ومثل رواية ابي الاسود عن عروة قال ابن اسحاق
رسول الله صلى الله عليه وسلم على بير من ابار بني قريظة من ناحية اموالهم يقال لها بير انا
فحاصرهم خمسا وعشرين ليلة حتى جهدهم الحصار وقذف الله في قلوبهم الرعب وقد كان حيي
بن اخطب دخل معهم حصنهم حين رجعت عنهم قريش وغطفان وفاء لكعب بن اسد بما كان عاهده
عليه فلما ايقنوا بان رسول الله غير منصرف عنهم حتى يناجزهم قال كعب بن اسد يا معشر
يهود قد نزل بكم من الامر ما ترون واني عارض عليكم خلالا ثلاثا فخذوا ايها شئتم منها قالوا وما
هي قال نتابع هذا الرجل ونصدقه فوالله لقد تبين لكم انه لنبي مرسل وانه للذي تجدونه
في كتابكم فتامنون به على دمائكم واموالكم وابنائكم ونسائكم قالوا لا نفارق حكم التوراة ابدا ولا
نستبدل به غيره قال فاذا ابيتم على هذه فهلم فلنقتل ابناءنا ونساءنا ثم نخرج الى محمد واصحابه
رجالا مصلتين بالسيوف لم نترك وراءنا ثقلا حتى يحكم الله بيننا وبين محمد فان نهلك نهلك
ولم نترك وراءنا نسلا نخشى عليه وان نظهر فلعمري لنجدن النساء والابناء قالوا انقتل
هولاء المساكين فما خير العيش بعدهم قال فان ابيتم على هذه فان الليلة ليلة السبت
وانه عسى ان يكون محمد واصحابه قد امنونا فيها فانزلوا لعلنا نصيب من محمد واصحابه
غرة قالوا نفسد سبتنا ونحدث فيه ما لم يحدث فيه من كان قبلنا الا من قد علمت فاصابه
ما لم يخف عنك من المسخ فقال ما بات رجل منكم منذ ولدته امه ليلة واحدة من الدهر حازما
ثم انهم بعثوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ابعث الينا ابا لبابة بن عبد المنذر
اخا بني عمرو بن عوف وكانوا حلفاء الاوس نستشيره في امرنا فارسله رسول الله اليهم فلما راوه
قام اليه الرجال وجهش اليه النساء والصبيان يبكون في وجهه فرق لهم وقالوا يا ابا لبابة
اترى ان ننزل على حكم محمد قال نعم واشار بيده الى حلقه انه الذبح قال ابو لبابة فوالله
ما زالت قدماي من مكانهما حتى عرفت اني قد خنت الله ورسوله ثم انطلق ابو لبابة على وجهه
ولم يات رسول الله حتى ارتبط في المسجد الى عمود من عمده وقال لا ابرح من مكاني حتى يتوب الله
علي مما صنعت وعاهد الله ان لا اطا بني قريظة ابدا ولا ارى في بلد خنت الله ورسوله فيه
ابدا قال ابن هشام وانزل الله فيه فيما قال سفيان بن عيينة عن اسماعيل بن ابي خالد عن عبد
الله بن ابي قتادة يا ايها الذين امنوا لا تخونوا الله والرسول وتخونوا اماناتكم وانتم تعلمون
واعلموا انما اموالكم واولادكم فتنة وان الله عنده اجر عظيم قال ابن هشام اقام مرتبطا ست
ليال تاتيه امراته في وقت كل صلاة فتحله حتى يتوضا ويصلي ثم يرتبط حتى نزلت توبته
في قوله واخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملا صالحا واخر سيئا عسى الله ان يتوب عليهم ان
الله غفور رحيم وقول موسى بن عقبة انه مكث مرتبطا عشرين ليلة اشبه والله اعلم وذكر ابن
اسحاق ان الله انزل توبته على رسوله من اخر الليل وهو في بيت ام سلمة فجعل يتبسم فسالته ام

سلمة

سلمة فاخبرها بتوبة الله على ابي لبابة فاستاذنته ان تبشره فاذن لها فخرجت فبشرته
فثار الناس اليه يبشرونه وارادوا ان يحلوه من رباطه فقال والله لا يحلني منه الا رسول الله صلى
الله عليه وسلم فلما خرج رسول الله الى الصلاة الصبح حله من رباطه رضي الله عنه وارضاه قال
ابن اسحاق ثم ان ثعلبة بن سعية واسيد بن سعية واسد بن عبيد وهم نفر من هدل ليسوا
من بني قريظة ولا النضير نسبهم فوق ذلك هم بنو عم القوم اسلموا في تلك الليلة التي نزلت
فيها قريظة على حكم رسول الله وخرج في تلك الليلة عمرو بن سعدى القرظي فمر بحرس رسول الله
صلى الله عليه وسلم وعليه محمد بن مسلمة تلك الليلة فلما راه قال من هذا قال انا عمرو بن سعدى
فقال محمد بن مسلمة حين عرفه اللهم لا تحرمني عثرات الكرام ثم خلى سبيله فخرج على وجهه حتى
بات في مسجد رسول الله بالمدينة تلك الليلة ثم ذهب فلم يدر اين توجه من الارض الى يومه
هذا فذكر شانه لرسول الله فقال ذاك رجل نجاه الله بوفائه وبعض الناس يزعم انه كان
اوثق برمة فيمن اوثق من بني قريظة فاصبحت رمته ملقاة ولم يدر اين ذهب فقال
رسول الله فيه تلك المقالة فالله اعلم اي ذلك كان قال ابن اسحاق فلما اصبحوا نزلوا
على حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم فتواثبت الاوس فقالوا يا رسول الله انهم موالينا
دون الخزرج وقد فعلت في موالي اخواننا بالامس ما قد علمت يعنون عفوه عن بني
قينقاع حين سالهم فيهم عبد الله بن ابي كما تقدم قال ابن اسحاق فلما كلمته الاوس قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم يا معشر الاوس الا ترضون ان يحكم الله فيهم رجل منكم قالوا
بلى قال فذلك الى سعد بن معاذ وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد جعل سعد بن معاذ
في خيمة لامراة من اسلم يقال لها رفيدة في مسجده وكانت تداوي الجرحى فلما حكمه في بني قريظة
اتاه قومه فحملوه على حمار قد وطاوا له بوسادة من ادم وكان رجلا جسيما جميلا ثم اقبلوا معه الى
رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم يقولون يا ابا عمرو احسن في مواليك فان رسول الله انما
ولاك ذلك لتحسن فيهم فلما اكثروا قال لقد ان لسعد ان لا ياخذه في الله لومة لائم فرجع بعض
من كان معه من قومه الى دار بني عبد الاشهل فنعى لهم رجال بني قريظة قبل ان يصل اليهم
سعد عن كلمته التي سمع منه فلما انتهى سعد الى رسول الله والمسلمين قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم قوموا الى سيدكم فاما المهاجرون من قريش فيقولون انما اراد الانصار
واما الانصار فيقولون قد عم رسول الله المسلمين فقاموا اليه فقالوا يا ابا عمرو ان رسول الله
قد ولاك امر مواليك لتحكم فيهم فقال سعد عليكم بذلك عهد الله وميثاقه ان الحكم فيها ما حكمت
قالوا نعم قال وعلى من هاهنا في الناحية التي فيها رسول الله وهو معرض عن رسول الله صلى
الله عليه وسلم اجلالا له فقال رسول الله نعم قال سعد فاني احكم فيهم ان يقتل الرجال
وتقسم الاموال وتسبى الذراري والنساء قال ابن اسحاق فحدثني عاصم بن عمر بن قتادة عن
عبد الرحمن بن عمرو بن سعد بن معاذ عن علقمة بن وقاص الليثي قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم لسعد لقد حكمت فيهم بحكم الله من فوق سبعة ارقعة قال ابن هشام حدثني
من اثق به من اهل العلم ان علي بن ابي طالب صاح وهم محاصرو بني قريظة يا كتيبة الايمان وتقدم
هو والزبير بن العوام وقال والله لاذوقن ما ذاق حمزة او لافتحن حصنهم فقالوا يا محمد
ننزل على حكم سعد بن معاذ وقد قال الامام احمد ثنا محمد بن جعفر ثنا شعبة عن سعد بن ابراهيم
سمعت ابا امامة بن سهل سمعت ابا سعيد الخدري قال نزل اهل قريظة على حكم سعد بن معاذ

قال فارسل رسول الله الى سعد فاتاه على حمار فلما دنا قريبا من المسجد قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم قوموا الى سيدكم او خيركم ثم قال ان هؤلاء قد نزلوا على حكمك قال تقتل
مقاتلتهم وتسبى ذريتهم قال فقال رسول الله قضيت بحكم الله وربما قال قضيت بحكم
الملك وفي رواية الملك اخرجاه في الصحيحين من طرق عن شعبة وقال الامام احمد ثنا
حجين ويونس قالا ثنا الليث بن سعد عن ابي الزبير عن جابر بن عبد الله انه قال رمي يوم
الاحزاب سعد بن معاذ فقطعوا اكحله فحسمه رسول الله صلى الله عليه وسلم بالنار
فانتفخت يده فتركه فحسمه اخرى فانتفخت يده فتركه فلما راى ذلك قال اللهم لا تخرج
نفسي حتى تقر عيني من بني قريظة فاستمسك عرقه فما قطر قطرة حتى نزلوا على حكم سعد
فارسل اليهم فحكم ان تقتل رجالهم وتسبى نساؤهم وذراريهم يستعين بهم المسلمون فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم اصبت حكم الله فيهم وكانوا اربعمائة فلما فرغ من قتلهم
انفتق عرقه فمات وقد رواه الترمذي والنسائي جميعا عن قتيبة عن الليث به وقال
الترمذي حسن صحيح وقال الامام احمد ثنا ابن نمير عن هشام اخبرني ابي عن عايشة قالت
لما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم من الخندق ووضع السلاح واغتسل فاتاه جبريل وعلى
راسه الغبار فقال قد وضعت السلاح فوالله ما وضعتها اخرج اليهم قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم فاين قال هاهنا واشار الى بني قريظة فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم
اليهم قال هشام فاخبرني ابي انهم نزلوا على حكم النبي صلى الله عليه وسلم فرد الحكم فيهم الى سعد
قال فاني احكم ان تقتل المقاتلة وتسبى النساء والذرية وتقسم اموالهم قال هشام
قال ابي فاخبرت ان رسول الله قال لقد حكمت فيهم بحكم الله وقال البخاري ثنا زكريا بن
يحيى ثنا عبد الله بن نمير ثنا هشام عن ابيه عن عايشة قالت اصيب سعد يوم الخندق
رماه رجل من قريش يقال له حبان بن العرقة رماه في الاكحل فضرب النبي صلى الله عليه وسلم عليه
خيمة في المسجد ليعوده من قريب فلما رجع رسول الله من الخندق ووضع السلاح فاغتسل
اتاه جبريل وهو ينفض راسه من الغبار فقال قد وضعت السلاح والله ما وضعته اخرج
اليهم قال النبي صلى الله عليه وسلم فاين فاشار الى بني قريظة فاتاهم رسول الله صلى الله عليه
وسلم فنزلوا على حكمه فرد الحكم الى سعد قال فاني احكم ان تقتل المقاتلة وان تسبى النساء
والذرية وان تقسم اموالهم قال هشام فاخبرني ابي عن عايشة ان سعدا قال اللهم
انك تعلم انه ليس احد احب الي ان اجاهدك فيهم من قوم كذبوا رسولك واخرجوه اللهم
فاني اظن انك قد وضعت الحرب بيننا وبينهم فان كان بقي من حرب قريش شيء فابقني له حتى
اجاهدهم فيك وان كنت وضعت الحرب فافجرها واجعل موتي فيها فانفجرت من لبته فلم يرعهم
وفي المسجد خيمة من بني غفار الا الدم يسيل اليهم فقالوا يا اهل الخيمة ما هذا الذي ياتينا من
قبلكم فاذا سعد يغذو جرحه دما فمات منها وهكذا رواه مسلم من حديث عبد الله بن نمير
به قلت كان دعا اولا بهذا الدعاء قبل ان يحكم في بني قريظة ولهذا قال فيه ولا تمتني حتى
تقر عيني من بني قريظة فاستجاب الله له فلما حكم فيهم واقر الله عينه اتم قرار دعا ثانيا
بهذا الدعاء فجعلها الله له شهادة رضي الله عنه وارضاه وسياتي ذكر وفاته قريبا ان
شا الله وقد رواه الامام احمد من وجه اخر عن عايشة مطولا جدا وفيه فوايد فقال حدثنا
يزيد ثنا محمد بن عمرو عن ابيه عن جده علقمة بن وقاص قال اخبرتني عايشة قالت خرجت

يوم الخندق

يوم الخندق اقفو الناس فسمعت وئيد الارض ورائي فاذا انا بسعد بن معاذ ومعه ابن
اخيه الحرث بن اوس يحمل مجنته قالت فجلست الى الارض فمر سعد وعليه درع من حديد قد خرجت
منه اطرافه فانا اتخوف على اطراف سعد قالت وكان سعد من اعظم الناس واطولهم فمر وهو
يرتجز ويقول

لبث قليلا يشهد الهيجا جمل ما احسن الموت اذا حان الاجل

قالت فقمت فاقتحمت حديقة فاذا فيها نفر من المسلمين واذا فيهم عمر بن الخطاب وفيهم
رجل عليه سبغة له تعني المغفر فقال عمر ما جا بك لعمري والله انك لجريئة وما يؤمنك
ان يكون بلاء او يكون تحوز فما زال يلومني حتى تمنيت ان الارض انشقت لي ساعتيذ فدخلت
فيها فرفع الرجل السبغة عن وجهه فاذا هو طلحة بن عبيد الله فقال يا عمر ويحك انك
قد اكثرت منذ اليوم واين التحوز او الفرار الا الى الله عز وجل قالت ويرمي سعدا رجل من
قريش يقال له ابن العرقة فاصاب اكحله فقطعه فدعى الله سعد فقال اللهم لا تمتني حتى تقر
عيني من قريظة قالت وكانوا حلفاءه ومواليه في الجاهلية قالت فرقا كلمه وبعث الله
الريح على المشركين وكفى الله المؤمنين القتال وكان الله قويا عزيزا فلحق ابو سفيان ومن
معه بتهامة ولحق عيينة بن بدر ومن معه بنجد ورجعت بنو قريظة فتحصنوا في صياصيهم
ورجع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة وامر بقبة من ادم فضربت على سعد في المسجد
قالت فجاءه جبريل وان على ثناياه لنقع الغبار فقال اوقد وضعت السلاح لا والله ما وضعت
الملايكة بعد السلاح اخرج الى بني قريظة فقاتلهم قالت فلبس رسول الله صلى الله عليه
وسلم لامته واذن في الناس بالرحيل ان يخرجوا فمر على بني غنم وهم جيران المسجد حوله فقال
من مر بكم قالوا مر بنا دحية الكلبي وكان دحية الكلبي تشبه لحيته وسنه ووجهه جبريل عليه
السلام فاتاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فحاصرهم خمسا وعشرين ليلة فلما اشتد
حصرهم واشتد البلاء قيل لهم انزلوا على حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستشاروا ابا
لبابة بن عبد المنذر فاشار اليهم انه الذبح قالوا ننزل على حكم سعد بن معاذ فقال رسول الله
انزلوا على حكم سعد بن معاذ فاتي به على حمار عليه اكاف من ليف قد حمل عليه وحف به قومه
فقالوا يا ابا عمرو حلفاؤك ومواليك اهل النكاية ومن قد علمت قالت ولا يرجع اليهم شيا ولا
يلتفت اليهم حتى اذا دنا من دورهم التفت الى قومه فقال قد آن لي ان لا ابالي في الله
لومة لايم قال قال ابو سعيد فلما طلع قال رسول الله قوموا الى سيدكم فانزلوه فقال
عمر سيدنا الله قال انزلوه فانزلوه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم احكم فيهم قال سعد
فاني احكم فيهم ان تقتل مقاتلتهم وتسبى ذراريهم وتقسم اموالهم فقال رسول الله صلى
الله عليه وسلم لقد حكمت فيهم بحكم الله وحكم رسوله ثم دعا سعد فقال اللهم ان كنت
ابقيت على نبيك من حرب قريش شيا فابقني لها وان كنت قطعت الحرب بينه وبينهم فاقبضني
اليك قالت فانفجر كلمه وكان قد برا منه الا مثل الخرص ورجع الى قبته التي ضرب عليه رسول
الله صلى الله عليه وسلم قالت عايشة فحضره رسول الله وابو بكر وعمر قالت فوالذي
نفس محمد بيده اني لاعرف بكا عمر من بكا ابي بكر وانا في حجرتي وكانوا كما قال الله تعالى رحما
بينهم قال علقمة فقلت يا امه كيف كان رسول الله يصنع قالت كانت عينه لا تدمع
على احد ولكنه كان اذا وجد فانما هو آخذ بلحيته وهذا الحديث اسناده جيد وله شواهد

وقال خذها وانا ابن العرقة
اعجزه

من وجوه كثيرة وهذا التصريح بدعا سعد من سرد فبل حكمه في بني قريظة وبمرة بعد ذلك
كما قلناه اولا ولله الحمد والمنة وسنذكر كيفية وفاته ودفنه وفضله في ذلك رضي الله عنه
وارضاه بعد فراغنا من القصة قال ابن اسحاق ثم استنزلوا فحبسهم رسول الله بالمدينة
في دار بنت الحرث امراة من بني النجار قلت هي نسيبة بنت الحرث بن كرز بن حبيب بن عبد
شمس وكانت تحت مسيلمة الكذاب ثم خلف عليها عبد الله بن عامر بن كريز ثم خرج الى سوق
المدينة فخندق بها خنادق ثم بعث اليهم فضرب اعناقهم في تلك الخنادق فخرج بهم
اليه ارسالا وفيهم عدو الله حيي بن اخطب وكعب بن اسد راس القوم وهم ستمائة او سبعمائة
والمكثر لهم يقول كانوا ما بين الثمانماية والتسعماية فالله اعلم قال ابن اسحاق وقد قلت وقد تقدم فيما رواه الليث عن ابي الزبير عن جابر انهم كانوا اربعمائة
قالوا لكعب بن اسد وهو يذهب بهم الى رسول الله ارسالا يا كعب ما تراه يصنع بنا قال
افي كل موطن لا تعقلون الا ترون الداعي لا ينزع وانه من ذهب به منكم لا يرجع هو والله
القتل فلم يزل ذلك الداب حتى فرغ منهم واتي بحيي بن اخطب وعليه حلة له فقاحية
قد شقها عليه من كل ناحية قدر انملة لئلا يسلبها مجموعة يداه الى عنقه بحبل فلما نظر
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اما والله ما لمت نفسي في عداوتك ولكنه من
يخذل الله يخذل ثم اقبل على الناس فقال ايها الناس انه لا باس بامر الله كتاب وقدر
وملحمة كتبت على بني اسرائيل ثم جلس فضربت عنقه فقال جبل بن جوال الثعلبي

لعمرك ما لام ابن اخطب نفسه ۝ ولكنه من يخذل الله يخذل ۝
لجاهد حتى ابلغ النفس عذرها ۝ وقلقل يبغي العز كل مقلقل ۝

وقد ذكر ابن اسحاق قصة الزبير بن باطا وكان شيخا كبيرا قد عمي وكان قد من يوم بعاث
على ثابت بن قيس بن شماس وجز ناصيته فلما كان هذا اليوم اراد ان يكافيه فجاءه
فقال هل تعرفني يا ابا عبد الرحمن فقال وهل يجهل مثلي مثلك فقال له ثابت اني اريد
ان اكافيك فقال ان الكريم يجزي الكريم فذهب ثابت الى رسول الله فاستطلقه منه فاطلقه
الله له ثم جاءه فاخبره فقال له شيخ كبير لا اهل له ولا ولد فما يصنع بالحياة فذهب الى رسول
الله فاستطلق له امراته وولده فاطلقهم له ثم جاء فاخبره فقال اهل بيت بالحجاز
لا مال لهم فما بقاؤهم على ذلك فاتى ثابت رسول الله صلى الله عليه وسلم فسأله
فاستطلق له مال الزبير بن باطا فاطلقه له ثم جاءه فاخبره فقال له الزبير يا ثابت ما فعل
الذي كان وجهه مراة صينية يتراى فيها عذارى الحي يعني كعب بن اسد قال قتل قال
فما فعل سيد الحاضر والبادي حيي بن اخطب قال قتل قال فما فعل مقدمتنا اذا شددنا
وحاميتنا اذا فررنا عزال بن شموال قال قتل قال فما فعل المجلسان يعني بني كعب بن
قريظة وبني عمرو بن قريظة قال ذهبوا قتلوا قال فاني اسالك يا ثابت بيدي عندك
الا الحقتني بالقوم فوالله ما في العيش بعد هولاء من خير فما انا بصابر به فتلة دلو ناضح
حتى القى الاحبة فقدمه ثابت فضربت عنقه فلما بلغ الصديق قوله القى الاحبة قال
يلقاهم والله في نار جهنم خالدا مخلدا فيها قال ابن اسحاق فتلة بالفاء والياء المثناة
من اسفل وقال ابن هشام بالقاف والباء الموحدة وقال ابن هشام الناضح البعير
الذي يستقى عليه الماء لسقي النخل قال ابو عبيدة معناه افراغة دلو قال ابن اسحاق وكان
رسول الله قد امر بقتل كل من انبت منهم فحدثني شعبة بن الحجاج عن عبد الملك بن عمير عن

عطية القرظي قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد امر ان يقتل كل من انبت وكنت
غلاما فوجدوني لم انبت فخلوا سبيلي ورواه اهل السنن الاربعة من حديث عبد الملك بن
عمير عن عطية القرظي نحوه وقد استدل به من ذهب من العلماء الى ان انبات الشعر الخشن
حول الفرج دليل على البلوغ بل هو بلوغ في اصح قولي الشافعي ومن العلماء من يفرق بين صبيان
اهل الذمة فيكون بلوغا في حقهم دون غيرهم لان المسلم قد يتادى بذلك لمقصد وقد ذكر
ابن اسحاق عن ايوب بن عبد الرحمن ان سلمى بنت قيس ام المنذر استطلقت من رسول الله
صلى الله عليه وسلم رفاعة بن شموال وكان قد بلغ فلاذ بها وكان يعرفهم قبل ذلك فاطلقه
لها وكانت قالت يا رسول الله ان رفاعة يزعم انه سيصلي وياكل لحم الجمل فاجابها الى ذلك
واطلقه قال ابن اسحاق وحدثني محمد بن جعفر بن الزبير عن عروة عن عايشة قالت لم يقتل من
نسايهم الا امراة واحدة قالت والله انها لعندي تحدث معي تضحك ظهرا وبطنا ورسول
الله صلى الله عليه وسلم يقتل رجالها في السوق اذ هتف هاتف باسمها اين فلانة قالت
انا والله قالت قلت لها ويلك ما لك قالت اقتل قلت ولم قالت لحدث احدثته قالت
فانطلق بها فضربت عنقها فكانت عايشة تقول والله ما انسى عجبا منها طيب نفسها
وكثرة ضحكها وقد عرفت انها تقتل وهكذا رواه الامام احمد عن يعقوب بن ابراهيم
عن ابيه عن محمد بن اسحاق به قال ابن اسحاق هي التي طرحت الرحى على خلاد بن سويد فقتلته
يعني فقتلها رسول الله صلى الله عليه وسلم به وقال ابن اسحاق في موضع اخر وسماها بنانة
امراة الحكم القرظي قال ابن اسحاق ثم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قسم اموال بني
النضير ونساءهم وابناءهم على المسلمين بعدما اخرج الخمس وقسم للفارس ثلاثة اسهم
سهمين للفرس وسهما لفارسه وسهم للراجل وكانت الخيل يومئذ ستا وثلاثين قال
فكان اول فيء وقعت فيه السهمان وخمس قال ابن اسحاق وحين بعث رسول الله صلى
الله عليه وسلم سعد بن زيد بسبايا من بني قريظة الى نجد فابتاع منها خيلا وسلاحا
قال وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد اصطفى منهم ريحانة بنت عمرو بن خنافة
احدى نساء بني عمرو بن قريظة وكان عرض عليها الاسلام فامتنعت ثم اسلمت بعد ذلك
فسر رسول الله صلى الله عليه وسلم باسلامها وقد عرض عليها ان يعتقها ويتزوجها فاختارت
ان تستمر على الرق ليكون اسهل لها عليها فلم تزل عنده عليه السلام حتى توفي عليه الصلاة
والسلام ثم تكلم ابن اسحاق على ما نزل من الايات في قصة الخندق من اول سورة الاحزاب وقد
ذكرنا ذلك مستقصى في تفسيرها ولله الحمد والمنة وقد قال ابن اسحاق واستشهد من
المسلمين يوم بني قريظة خلاد بن سويد بن ثعلبة بن عمرو الخزرجي طرحت عليه رحى فشدخته
شدخا شديدا فزعموا ان رسول الله قال ان له لاجر شهيدين كان الذي القى عليه الرحى
تلك المراة التي قتل من بني قريظة غيرها كما تقدم والله تعالى اعلم قال ابن اسحاق
ومات ابو سنان بن محصن بن حرثان من بني اسد بن خزيمة ورسول الله صلى الله عليه وسلم
محاصر بني قريظة فدفن في مقبرتهم اليوم

وفاة سعد بن معاذ رضي الله عنه

قد تقدم ان حبان بن العرقة لعنه الله رماه بسهم فاصاب اكحله فحسمه رسول الله صلى الله
عليه وسلم كيا بالنار فاستمسك الجرح وكان سعد قد دعا الله تعالى ان لا يميته حتى يقر

عيينة من بني قريظة وذلك حين نقضوا ما كان بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم
من العهود والمواثيق والذمام ومالؤا عليه مع الاحزاب فلما ذهب الاحزاب وانقشعوا
عن المدينة وباءت قريظة بسواد الوجوه والصفقة الخاسرة في الدنيا والآخرة وسار
اليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ليحاصرهم كما تقدم فلما ضيق عليهم واخذهم من كل جانب
انابوا الى ان ينزلوا على حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم فيحكم فيهم بما اراه الله فرد الحكم فيهم
الى رئيس الاوس وكانوا حلفاءهم في الجاهلية وهو سعد بن معاذ فرضوا بذلك ويقال
بل نزلوا ابتداء على حكم سعد لما يرجون من حنوه عليهم واحسانه وميله اليهم ولم يعلموا بانهم
ابغض اليه من اعدائهم من القردة والخنازير لشدة ايمانه وصدقه رضي الله عنه وارضاه
فبعثوا اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان في خيمة من المسجد النبوي فجيء به على حمار تحته
اكاف وقد وطئ تحته لمرضه ولما قارب خيمة الرسول صلى الله عليه وسلم امر عليه السلام من
هناك بالقيام له قيل لينزل من شدة مرضه وقيل توقيرا له بحضرة المحكوم عليهم ليكون
ابلغ في نفوذ حكمه والله اعلم فلما حكم فيهم بالقتل والسبي واقر الله عينه وشفى صدره منهم
وعاد الى خيمته من المسجد النبوي صحبة رسول الله دعا عز وجل ان تكون له شهادة واختار
الله له ما عنده فانفجر جرحه من الليل فلم يزل يخرج منه الدم حتى مات رضي الله عنه كما تقدم في الاحاديث
الصحيحة والحسان قال ابن اسحاق فلما انقضى شان بني قريظة انفجر بسعد بن معاذ جرحه
فمات منه شهيدا حدثني معاذ بن رفاعة الزرقي قال حدثني من شئت من رجال قومي ان جبريل
اتى النبي صلى الله عليه وسلم حين قبض سعد بن معاذ من جوف الليل معتجرا بعمامة من
استبرق فقال يا محمد من هذا الميت الذي فتحت له ابواب السماء واهتز له العرش قال
فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم سريعا يجر ثوبه الى سعد فوجده قد مات رضي الله عنه
هكذا ذكره ابن اسحاق رحمه الله وقد قال الحافظ البيهقي في الدلايل انا ابو عبد الله الحافظ ثنا
ابو العباس محمد بن يعقوب ثنا محمد بن عبد الله بن عبد الحكم ثنا ابي وشعيب بن الليث
قالا ثنا الليث بن سعد عن يزيد بن الهاد عن معاذ بن رفاعة عن جابر بن عبد الله قال
جاء جبريل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال من هذا العبد الصالح الذي مات فتحت له
ابواب السماء وتحرك له العرش قال فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا سعد بن معاذ
قال فجلس رسول الله على قبره وهو يدفن فبينما هو جالس اذ قال سبحان الله مرتين فسبح
القوم ثم قال الله اكبر الله اكبر فكبر القوم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم عجبت
لهذا العبد الصالح شدد عليه في قبره حتى كان هذا حين فرج له وقد روى الامام احمد والنسائي
من طريق يزيد بن عبد الله بن اسامة بن الهاد ويحيى بن سعيد عن معاذ بن رفاعة عن جابر قال
قال رسول الله لسعد يوم مات وهو يدفن سبحان الله لهذا العبد الصالح الذي تحرك
له عرش الرحمن وفتحت له ابواب السماء شدد عليه ثم فرج عنه وقال محمد بن اسحاق وحدثني
معاذ بن رفاعة عن محمود بن عبد الرحمن بن عمرو بن الجموح عن جابر بن عبد الله قال لما دفن
سعد ونحن مع رسول الله سبح رسول الله صلى الله عليه وسلم فسبح الناس معه ثم كبر
فكبر الناس معه فقالوا يا رسول الله مم سبحت قال لقد تضايق على هذا العبد الصالح قبره
حتى فرجه الله عنه وهكذا رواه الامام احمد عن يعقوب بن ابراهيم بن سعد عن ابيه عن ابن
اسحاق قال ابن هشام ومخرج هذا الحديث قول عايشة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

ان للقبر ضمة لو كان احد منها ناجيا لكان سعد بن معاذ قلت وهذا الحديث قد رواه
الامام احمد ثنا يحيى عن شعبة عن سعد بن ابراهيم عن نافع عن عايشة عن النبي صلى
الله عليه وسلم قال ان للقبر ضغطة ولو كان احد ناجيا منها لنجا سعد بن معاذ وهذا
الحديث سنده على شرط الصحيحين الا ان الامام احمد رواه عن غندر عن شعبة عن سعد
بن ابراهيم عن انسان عن عايشة به وقد رواه الحافظ البزار عن نافع عن ابن عمر فقال
ثنا عبد الاعلى بن حماد ثنا داود بن عبد الرحمن ثنا عبيد الله بن عمر عن نافع عن ابن عمر
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد هبط يوم مات سعد بن معاذ سبعون
الف ملك الى الارض لم يهبطوا قبل ذلك ولقد ضمه القبر ضمة قال ثم بكى نافع وهذا
اسناد جيد لكن قال البزار رواه غيره عن عبيد الله عن نافع مرسلا ثم رواه البزار عن
سليم بن شبيب عن ابي حباب عن سكين بن عبد الله بن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب عن
نافع عن ابن عمر قال قال رسول الله لقد نزل لموت سعد بن معاذ سبعون الف ملك ما وطئوا
الارض قبلها وقال حين دفن سبحان الله لو انفلت احد من ضغطة القبر لانفلت
منها سعد وقال البزار ثنا اسماعيل بن حفص ثنا محمد بن فضيل ثنا عطا بن السايب
عن مجاهد عن ابن عمر قال اهتز العرش لحب لقاء الله سعد بن معاذ قال فقيل انما يعني
السرير ورفع ابويه على العرش قال تفسخت اعواده قال دخل رسول الله قبره فاحتبس
فلما خرج قيل يا رسول الله ما حبسك قال ضم سعد في القبر ضمة فدعوت الله ان يكشف
عنه قال البزار تفرد به عطا بن السايب قلت وهو متكلم فيه فالله اعلم وقد ذكر البيهقي
رحمه الله بعد هذا ضمة سعد بن معاذ رضي الله عنه في القبر اثرا غريبا فقال انا ابو عبد الله
الحافظ انا ابو عبد الله الصفار ثنا احمد بن عبد الجبار ثنا يونس عن ابن اسحاق حدثني
امية بن عبد الله انه سال بعض اهل سعد ما بلغكم من قول رسول الله صلى الله عليه وسلم
في هذا فقالوا ذكر لنا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سيل عن ذلك فقال كان يقصر
في بعض الطهور من البول وقال البخاري ثنا محمد بن المثنى ثنا الفضل بن مساور ثنا ابو
عوانة عن الاعمش عن ابي سفيان عن جابر قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول
اهتز العرش لموت سعد بن معاذ وعن الاعمش ثنا ابو صالح عن جابر عن النبي صلى الله عليه
وسلم مثله فقال رجل لجابر فان البرا بن عازب يقول اهتز السرير فقال انه كان بين
هذين الحيين ضغاين سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول اهتز عرش الرحمن لموت سعد
بن معاذ ورواه مسلم عن عمرو الناقد عن عبد الله بن ادريس وابن ماجة عن علي بن محمد
عن ابي معاوية كلاهما عن الاعمش به وليس عندهما زيادة قول الاعمش عن ابي صالح عن جابر
وقال احمد ثنا عبد الرزاق انا ابن جريج اخبرني ابو الزبير انه سمع جابر بن عبد الله يقول
سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول وجنازة سعد بن معاذ بين ايديهم اهتز لها عرش
الرحمن ورواه مسلم عن عبد بن حميد والترمذي عن محمود بن غيلان كلاهما عن عبد الرزاق
به وقال الامام احمد ثنا يحيى بن سعيد ثنا عوف ثنا ابو نضرة سمعت ابا سعيد عن النبي
صلى الله عليه وسلم اهتز العرش لموت سعد بن معاذ ورواه النسائي عن يعقوب بن
ابراهيم عن يحيى به وقال احمد ثنا عبد الوهاب عن سعيد قال قتادة ثنا انس بن
مالك ان رسول الله قال وجنازته موضوعة اهتز لها عرش الرحمن ورواه مسلم عن محمد

بن عبد الملك الازدى عن عبد الوهاب به وقد روى البيهقى من حديث المعتمر بن سليمان عن
ابيه عن الحسن البصرى قال اهتز عرش الرحمن فرحا بروحه وقال الحافظ ابو بكر البزار ثنا
زهير بن محمد انا عبد الرزاق انا معمر عن قتادة عن انس قال لما حملت جنازة سعد قال
المنافقون ما اخف جنازته وذلك لحكمه فى بنى قريظة فقيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال لا ولكن الملايكة كانت تحمله اسناده جيد **فايدة** قال الشيخ ابو عمر بن عبد البر حديث
اهتزاز العرش ثابت متواتر وقال السهيلى رواه جماعة من الصحابة منهم جابر وابو سعيد واسيد
بن حضير ورميثة بنت عمرو قال وهو محمول على الحقيقة لان العرش لا يمتنع عليه الحركة
والاهتزاز قال وما روى عن مالك من تضعيفه لهذا الحديث ونهيه عن التحدث به
فلعله لم يصح عنه ذلك والله اعلم وقال البخارى ثنا محمد بن بشار ثنا غندر ثنا شعبة
عن ابى اسحاق سمعت البرا بن عازب يقول اهديت للنبى صلى الله عليه وسلم حلة حرير فجعل
اصحابه يمسونها ويعجبون من لينها فقال اتعجبون من لين هذه لمناديل سعد بن معاذ خير
منها او الين ثم قال رواه قتادة والزهرى سمعا انسا عن النبى صلى الله عليه وسلم
وقال احمد ثنا عبد الوهاب عن سعيد هو ابن ابى عروبة عن قتادة عن انس بن مالك
ان اكيدر دومة اهدى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم جبة وذلك قبل ان ينهى عن الحرير فلبسها
فتعجب الناس منها فقال والذى نفس محمد بيده لمناديل سعد فى الجنة احسن من هذه
وهذا اسناد على شرط الشيخين ولم يخرجوه وانما ذكره البخارى تعليقا وقال احمد ثنا يزيد
ثنا محمد بن عمرو حدثنى واقد بن عمرو بن سعد بن معاذ قال محمد وكان واقد من احسن الناس
واعظمهم واطولهم قال دخلت على انس بن مالك فقال لى من انت قلت انا واقد بن عمرو بن
سعد بن معاذ قال انك لشبيه بسعد ثم بكى واكثر البكا وقال رحمة الله على سعد كان
من اعظم الناس واطولهم ثم قال بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم جيشا الى اكيدر دومة
فارسل الى رسول الله بجبة من ديباج منسوج فيها الذهب فلبسها رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقام على المنبر او جلس فلم يتكلم ثم نزل فجعل الناس يلمسون الجبة وينظرون اليها
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اتعجبون منها لمناديل سعد بن معاذ فى الجنة
احسن مما ترون وهكذا رواه الترمذى والنسائى من حديث محمد بن عمرو وقال الترمذى
حسن صحيح قال ابن اسحاق بعد ذكره اهتزاز العرش لموت سعد بن معاذ وفى ذلك يقول
رجل من الانصار

ما اهتز عرش الله من موت هالك — سمعنا به الا لسعد ابى عمرو

قال وقالت ام سعد كبيشة بنت رافع بن معاوية بن عبيد بن ثعلبة الخدرية
الخزرجية حين احتمل سعد على نعشه تندبه

ويل ام سعد سعدا — صرامة وحدا
وسوددا ومجدا — وفارسا معدا — سد به مسدا

قال يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم كل نايحة تكذب الا نايحة سعد بن معاذ قلت
كانت وفاته بعد انصراف الاحزاب بنحو من خمس وعشرين ليلة وكان قدوم الاحزاب فى شوال
من سنة خمس كما تقدم فاقاموا قريبا من شهر ثم خرج رسول الله لحصار بنى قريظة فاقام
عليهم خمسا وعشرين ليلة ثم نزلوا على حكم سعد فمات بعد حكمه عليهم بقليل فيكون ذلك
فى اواخر ذى القعدة او اوايل ذى الحجة من سنة خمس والله اعلم وهكذا قال محمد بن اسحاق

ان فتح بنى قريظة كان فى ذى القعدة وصدر ذى الحجة قال وولى تلك الحجة المشركون قال
ابن اسحاق وقال حسان بن ثابت يرثى سعد بن معاذ رضى الله عنه

لقد سجمت من دمع عينى عبرة — وحق لعينى ان تفيض على سعد
قتيل ثوى فى معرك فجعت به — عيون ذوارى الدمع دايمة الوجد
على ملة الرحمن وارث جنة — مع الشهداء وفدها اكرم الوفد
فان كنت قد ودعتنا وتركتنا — واسيت فى غبرا مظلمة اللحد
فانت الذى يا سعد ابت بمشهد — كريم واثواب المكارم والحمد
لحكمك فى حيى قريظة بالذى — قضى الله فيهم ما قضيت على عمد
فوافق حكم الله حكمك فيهم — ولم تعف اذ ذكرت ما كان من عهد
فان كان ريب الدهر امضاك فى الاولى — شروا هذه الدنيا بجناتها الخلد
فنعم مصير الصادقين اذا دعوا — الى الله يوما للوجاهة والقصد

فصل فيما قيل من الاشعار فى الخندق وبنى قريظة

قال البخارى ثنا حجاج بن منهال ثنا شعبة ثنا عدى بن ثابت انه سمع البرا بن عازب قال
قال النبى صلى الله عليه وسلم لحسان اهجهم او هاجهم وجبريل معك قال البخارى وزاد ابراهيم
بن طهمان عن الشيبانى عن عدى بن ثابت عن البرا بن عازب قال قال النبى صلى الله عليه وسلم
يوم قريظة لحسان بن ثابت اهج المشركين فان جبريل معك وقد رواه البخارى ايضا ومسلم
والنسائى من طرق عن شعبة بدون الزيادة التى ذكرها البخارى يوم بنى قريظة قال محمد
ابن اسحاق رح وقال ضرار بن الخطاب بن مرداس اخو بنى محارب بن فهر فى يوم الخندق قلت
وذلك قبل اسلامه

ومشفقة تظن بنا الظنونا — وقد قدنا عرندسة طحونا
كان زهاءها احد اذا ما — بدت اركانه للناظرينا
ترى الابدان فيها مسبغات — على الابطال واليلب الحصينا
وجردا كالقداح مسومات — نؤم بها الغواة الخاطيينا
كانهم اذا صالوا وصلنا — بباب الخندقين مصافحونا
اناس لا نرى فيهم رشيدا — وقد قالوا السنا راشدينا
فاحجرناهم شهرا كريتا — وكنا فوقهم كالقاهرينا
نراوحهم ونغدو كل يوم — عليهم بالسلاح مدججينا
بايدينا صوارم مرهفات — نقد بها المفارق والشوونا
كان وميضهن معريات — اذا لاحت بايدى مصلتينا
وميض عقيقة لمعت بليل — ترى فيها العقايق مستبينا
فلولا خندق كانوا لديه — لدمرنا عليهم اجمعينا
ولكن حال دونهم وكانوا — به من خوفنا متعوذينا
فان نرحل فانا قد تركنا — لدى ابياتكم سعدا رهينا
اذا جن الظلام سمعت نوحا — على سعد يرجعن الحنينا
وسوف نزوركم عما قريب — كما زرناكم متوازرينا

بجمع من كنانة غير عزل * كاسد الغابة اذ حمت العرينا ٧

قال فاجابه كعب بن مالك اخو بني سلمة رضي الله عنه فقال

وسايلة تسايل ما لقينا * ولو شهدت راتنا صابرينا

صبرنا لا نرى لله عدلا * على ما نابنا متوكلينا

وكان لنا النبي وزير صدق * به نعلو البرية اجمعينا

نقاتل معشرا ظلموا وعقوا * وكانوا بالعداوة مرصدينا

نعاجلهم اذا نهضوا الينا * بضرب يعجل المتسرعينا

ترانا في فضافض سابغات * كغدران الملا متسربلينا

وفي ايماننا بيض خفاف * بها نشفي مراح الشاغبينا

بباب الخندقين كان اسدا * شوابكهن يحمين العرينا

فوارسنا اذا بكروا وراحوا * على الاعدا شوسا معلمينا

لننصر احمدا والله حتى * نكون عباد صدق مخلصينا

ويعلم اهل مكة حين ساروا * واحزاب اتوا متحزبينا

بان الله ليس له شريك * وان الله مولى المومنينا

فاما تقتلوا سعدا سفاها * فان الله خير القادرينا

سيدخله جنانا طيبات * تكون مقامة للصالحينا

كما قد ردكم فلا شريدا * بغيظكم خزايا خايبينا

خزايا لم تنالوا ثم خيرا * وكدتم ان تكونوا دامرينا

بريح عاصف هبت عليكم * فكنتم تحتها متكمهينا[٣]

قال ابن اسحاق وقال عبد الله بن الزبعرى السهمي في يوم الخندق وقلت وذلك قبل ان يسلم

حي الديار محا معارف رسمها * طول البلى وتراوح الاحقاب

فكانما كتب اليهود رسومها * الا الكنيف ومعقد الاطناب

قفرا كانك لم تكن تلهو بها * في نعمة باوانس اتراب

فاترك تذكر ما مضى من عيشة * ومحلة خلق المقام يباب

واذكر بلا معاشر واشكرهم * ساروا باجمعهم الى الانصاب

انصاب مكة عامدين ليثرب * في ذي غياطل جحفل جبجاب

يدع الحزون مناهجا معلومة * في كل نشز ظاهر وشعاب

فيها الجياد شوازب مجنوبة * قب البطون لواحق الاقراب

من كل سلهبة واجرد سلهب * كالسيد بادر غفلة الرقاب

جيش عيينة قاصد بلوايه * فيه وصخر قايد الاحزاب

قرمان كالبدرين اصبح فيهما * غيث الفقير ومعقل الهراب

حتى اذا وردوا المدينة وارتدوا * للموت كل مجرب قضاب

شهرا وعشرا قاهرين محمدا * وصحابه في الحرب خير صحاب

نادوا برحلتهم صبيحة قلتم * كدنا نكون بها مع الخياب

لولا الخنادق غادروا من جمعهم * قتلى لطير سغب وذياب

[٣] من الكمه العمى وقيل الاكمه الذي لا يبصر بالليل شيا

قال

قال فاجابه حسان بن ثابت رضي الله عنه فقال

هل رسم دارسة المقام يباب * متكلم لمحاور بجواب

قفر عفا رهم السحاب رسومه * وهبوب كل مطلة مرباب

ولقد رايت بها الحلول يزينهم * بيض الوجوه ثواقب الاحساب

فدع الديار وذكر كل خريدة * بيضا انسة الحديث كعاب

واشك الهموم الى الاله وما ترى * من معشر ظلموا الرسول غضاب

ساروا بجمعهم اليه والبوا * اهل القرى وبوادي الاعراب

جيش عيينة وابن حرب فيهم * متخمطون بحلبة الاحزاب

حتى اذا وردوا المدينة وارتجوا * قتل الرسول ومغنم الاسلاب

وغدوا علينا قادرين بايدهم * ردوا بغيظهم على الاعقاب

بهبوب معصفة تفرق جمعهم * وجنود ربك سيد الارباب

فكفى الاله المومنين قتالهم * واثابهم في الاجر خير ثواب

من بعد ما قنطوا ففرق جمعهم * تنزيل نصر مليكنا الوهاب

واقر عين محمد وصحابه * واذل كل مكذب مرتاب

عاتي الفواد موقع ذي ريبة * في الكفر ليس بطاهر الاثواب

علق الشقا بقلبه ففواده * في الكفر اخر هذه الاحقاب

قال واجابه كعب بن مالك ايضا رضي الله عنه فقال

ابقى لنا حدث الحروب بقية * من خير نحلة ربنا الوهاب

بيضا مشرفة الذرى ومعاطنا * حم الجذوع غزيرة الاحلاب

كاللوب يبذل جمها وحفيلها * للجار وابن العم والمنتاب

ونزايعا مثل السراح نمى بها * علف الشعير وجزة المقضاب

عري الشوى منها واردف نحضها * جرد المتون وسائر الاراب

قودا تراح الى الصياح اذا غدت * فعل الضراء تراح للكلاب

وتحوط سايمة الديار وتارة * تردي العدى وتوب بالاسلاب

حوش الوحوش مطارة عند الوغى * عبس اللقاء مبينة الانجاب

علفت على دعة فصارت بدنا * دخس البضيع خفيفة الاقصاب

يغدون بالزغف المضاعف شكه * وبمترصات في الثقاف صياب

وصوارم نزع الصياقل غلبها * وبكل اروع ماجد الانساب

يصل اليمين بمارن متقارب * وكلت وقيعته الى خباب

واغر ازرق في القناة كانه * في طخية الظلماء ضوء شهاب

وكتيبة ينفي القران قتيرها * وترد حد قواحز النشاب

جاوا ململمة كان رماحها * في كل مجمعة ضريمة غاب

تاوي الى ظل اللوا كانه * في صعدة الخطي فيء عقاب

اعيت ابا كرب واعيت تبعا * وابت بسالتها على الاعراب

ومواعظ من ربنا نهدى بها * بلسان ازهر طيب الاثواب

عرضت علينا فاشتهينا ذكرها ۰ من بعد ما عرضت على الاحزاب
حكما يرانا المجربون بزعمهم ۰ حرجا ويفهمها ذووا الالباب
جات سخينة كي تغالب ربها ۰ فليغلبن مغالب الغلاب

قال ابن هشام حدثني من اثق به حدثني عبد الملك بن يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له لما سمع منه هذا البيت لقد شكرك الله يا كعب على قولك هذا قلت ومراده بسخينة قريش وانما كانت العرب تسميهم بذلك لكثرة اكلهم الطعام السخن الذي لا ينهيا لغيرهم غالبا من اهل البوادي قال ابن اسحاق وقال كعب بن مالك ايضا

من سره ضرب يمعمع بعضه ۰ بعضا كمعمعة الاباء المحرق
فليات ماسدة تسن سيوفها ۰ بين المذار وبين جزع الخندق
ضربوا بضرب المعلمين واسلموا ۰ مهجات انفسهم لرب المشرق
في عصبة نصر الاله نبيه ۰ بهم وكان بعبده ذا مرفق
في كل سابغة يخط فضولها ۰ كالنهي هبت ريحه المترقرق
بيضاء محكمة كان قتيرها ۰ حدق الجنادب ذات شك موثق
جدلاء يحفزها نجاد مهند ۰ صافي الحديدة صارم ذي رونق
تلكم مع التقوى تكون لباسنا ۰ يوم الهياج وكل ساعة مصدق
نصل السيوف اذا قصرن بخطونا ۰ قدما ونلحقها اذا لم تلحق
فترى الجماجم ضاحيا هاماتها ۰ بله الاكف كانها لم تخلق
نلقى العدو بفخمة ملمومة ۰ تنفي الجموع كقصد راس المشرق
ونعد للاعدا كل مقلص ۰ ورد ومحجول القوايم ابلق
تردي بفرسان كان كماتهم ۰ عند الهياج اسود طل ملثق
صدق يعاطون الكماة حتوفهم ۰ تحت العماية بالوشيج المزهق
امر الاله بربطها لعدوه ۰ في الحرب ان الله خير موفق
لتكون غيظا للعدو وحيطا ۰ للدار ان دلفت خيول النزق
ويعيننا الله العزيز بقوة ۰ منه وصدق الصبر ساعة نلتقي
ونطيع امر نبينا ونجيبه ۰ واذا دعا لكريهة لم نسبق
ومتى ينادي للشدايد ناتها ۰ ومتى نرى الحومات فيها نعنق
من يتبع قول النبي فانه ۰ مطاع الامر حق مصدق
فبذلك ينصرنا ويظهر عزنا ۰ ويصيبنا من نيل ذاك بمرفق
ان الذين يكذبون محمدا ۰ كفروا وضلوا عن سبيل المتقي

قال ابن اسحاق وقال كعب بن مالك ايضا

لقد علم الاحزاب حين تالبوا ۰ علينا وراموا ديننا ما نوادع
اضاميم من قيس بن عيلان اصفقت ۰ وخندف لم يدروا بما هو واقع
يذودوننا عن ديننا ونذودهم ۰ عن الكفر والرحمن راء وسامع
اذا غايظونا في مقام اعاننا ۰ على غيظهم نصر من الله واسع

وذلك حفظ الله فينا وفضله ۰ علينا ومن لم يحفظ الله ضايع
هدانا لدين الحق واختاره لنا ۰ ولله فوق الصانعين صنايع

قال ابن هشام وهذه الابيات في قصيدة له يعني طويلة قال ابن اسحاق وقال حسان بن ثابت في مقتل بني قريظة

لقد لقيت قريظة ما ساءها ۰ وما وجدت لذل من نصير
اصابهم بلاء كان فيه ۰ سوى ما قد اصاب بني النضير
غداة اتاهم يهوي اليهم ۰ رسول الله كالقمر المنير
له خيل مجنبة تعادى ۰ بفرسان عليها كالصقور
تركناهم وما ظفروا بشي ۰ دماؤهم عليهم كالعبير
فهم صرعى تحوم الطير فيهم ۰ كذاك يدان ذو العند الفجور
فانذر مثلها نصحا قريشا ۰ من الرحمن ان قبلت نذيري

قال وقال حسان بن ثابت ايضا في بني قريظة

تفاقد معشر نصروا قريشا ۰ وليس لهم ببلدتهم نصير
هم اوتوا الكتاب فضيعوه ۰ وهم عمي من التوراة بور
كفرتم بالقران وقد اتيتم ۰ بتصديق الذي قال النذير
فهان على سراة بني لوي ۰ حريق بالبويرة مستطير

قال فاجابه ابو سفيان بن الحرث بن عبد المطلب فقال

ادام الله ذلك من صنيع ۰ وحرق في طوايفها السعير
ستعلم اينا منها بنزه ۰ وتعلم اي ارضينا تضير
فلو كان النخيل بها ركابا ۰ لقالوا لا مقام لكم فسيروا

قلت وهذا قاله ابو سفيان بن الحرث قبل ان يسلم وقد تقدم في صحيح البخاري بعض هذه الابيات وذكر ابن اسحاق جواب حسان في ذلك لجبل بن جوال الثعلبي تركناه قصدا قال ابن اسحاق وقال حسان بن ثابت ايضا يبكي سعدا وجماعة ممن استشهد يوم بني قريظة

الا يا لقومي هل لما حم دافع ۰ وهل ما مضى من صالح العيش راجع
تذكرت عصرا قد مضى فتهافتت ۰ بنات الحشا وانهل منها المدامع
صبابة وجد ذكرتني اخوة ۰ وقتلى مضى فيها طفيل ورافع
وسعد فاضحوا في الجنان واوحشت ۰ منازلهم فالارض منهم بلاقع
وفوا يوم بدر للرسول وفوقهم ۰ ظلال المنايا والسيوف اللوامع
دعا فاجابوه بحق وكلهم ۰ مطيع له في كل امر وسامع
فما نكلوا حتى توالوا جماعة ۰ ولا يقطع الاجال الا المصارع
لانهم يرجون منه شفاعة ۰ اذا لم يكن الا النبيون شافع
فذلك يا خير العباد بلاؤنا ۰ اجابتنا لله والموت ناقع
لنا القدم الاولى اليك وخلفنا ۰ لاولنا في ملة الله تابع
ونعلم ان الملك لله وحده ۰ وان قضاء الله لا بد واقع

مقتل أبي رافع عبد الله ويقال سلام بن أبي الحقيق اليهودي لعنه الله

وكان في قصر له في أرض خيبر وكان تاجرًا مشهورًا بأرض الحجاز قال ابن إسحاق ولما انقضى
شأن الخندق وأمر بني قريظة وكان سلام بن أبي الحقيق وهو أبو رافع فيمن حزّب الأحزاب
على رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانت الأوس قبل أحد قد قتلت كعب بن الأشرف
فاستأذنت الخزرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في قتل سلام بن أبي الحقيق وهو بخيبر
فأذن لهم قال ابن إسحاق [فحدثني] محمد بن مسلم الزهري عن عبد الله بن كعب بن مالك قال
وكان مما صنع الله لرسوله صلى الله عليه وسلم أن هذين الحيين من الأنصار الأوس
والخزرج كانا يتصاولان مع رسول الله صلى الله عليه وسلم تصاول الفحلين لا يصنع
الأوس شيئًا فيه غناء عن رسول الله إلا قالت الخزرج والله لا تذهبون بهذه فضلا
علينا عند رسول الله وفي الإسلام قال فلا ينتهون حتى يوقعوا مثلها وإذا فعلت
الخزرج شيئًا قالت الأوس مثل ذلك قال ولما أصابت الأوس كعب بن الأشرف في عداوته
لرسول الله قالت الخزرج والله لا يذهبون بها فضلا علينا أبدًا قال فتذاكروا من
رجل لرسول الله في العداوة كابن الأشرف فذكروا ابن أبي الحقيق وهو بخيبر فاستأذنوا
رسول الله في قتله فأذن لهم فخرج إليه من الخزرج من بني سلمة خمسة نفر عبد الله
بن عتيك ومسعود بن سنان وعبد الله بن أنيس وأبو قتادة الحارث بن ربعي وخزاعي
بن أسود حليف لهم من أسلم فخرجوا وأمّر عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله
بن عتيك ونهاهم أن يقتلوا وليدًا أو امرأة فخرجوا حتى إذا قدموا خيبر أتوا دار ابن
أبي الحقيق ليلا فلم يدعوا بيتًا في الدار إلا أغلقوه على أهله قال وكان في علية له
إليها عجلة قال فأسندوا إليها حتى قاموا على بابه فاستأذنوا فخرجت إليهم امرأته
فقالت من أنتم فقالوا أناس من العرب نلتمس الميرة قالت ذاكم صاحبكم فادخلوا عليه
قال فلما دخلنا أغلقنا علينا وعليها الحجرة تخوفًا أن يكون بيننا وبينه مجاولة تحول
بيننا وبينه قال فصاحت امرأته فنوهت بنا فابتدرناه وهو على فراشه بأسيافنا فوالله
ما يدلنا عليه في سواد الليل إلا بياضه كأنه قبطية ملقاة قال فلما صاحت بنا
امرأته جعل الرجل منا يرفع عليها سيفه ثم يذكر نهي رسول الله فيكف عنها ولولا ذلك لفرغنا
منها بليل قال فلما ضربناه بأسيافنا تحامل عليه عبد الله بن أنيس بسيفه في بطنه
حتى أنفذه وهو يقول قطني قطني أي حسبي حسبي قال وخرجنا وكان عبد الله بن عتيك
رجلا سيئ البصر قال فوقع من الدرجة فوثئت يده وثئًا شديدًا وحملناه حتى نأتي به
منهرًا من عيونهم فندخل فيه قال وأوقدوا النيران واشتدوا في كل وجه يطلبون حتى إذا
يئسوا رجعوا إلى صاحبهم فاكتنفوه وهو يقضي قال فقلنا كيف لنا بأن نعلم بأن
عدو الله قد مات قال فقال رجل منا أنا أذهب فأنظر لكم فانطلق حتى دخل في الناس
قال فوجدتها يعني امرأته ورجال يهود حوله وفي يدها المصباح تنظر في وجهه
وتحدثهم وتقول أما والله لقد سمعت صوت ابن عتيك ثم أكذبت وقلت أنى ابن عتيك
بهذه البلاد ثم أكبت عليه تنظر في وجهه وتحدثهم وتقول فقالت فاظ وإله يهود قال
فما سمعت كلمة كانت ألذ على نفسي منها قال ثم جاءنا فأخبرنا الخبر فاحتملنا صاحبنا
وقدمنا على رسول الله فأخبرناه بقتل عدو الله واختلفنا عنده في قتله كلنا يدعيه

قال فقال

قال فقال هاتوا أسيافكم فجئناه بها فنظر إليها فقال لسيف عبد الله بن أنيس هذا
قتله أرى فيها أثر الطعام قال ابن إسحاق فقال حسان بن ثابت في ذلك

لله در عصابة لاقيتهم • يا ابن الحقيق وأنت يا ابن الأشرف •
يسرون بالبيض الخفاف إليكم • مرحًا كأسد في عرين مغرف •
حتى أتوكم في محل بلادكم • فسقوكم حتفًا ببيض ذفف •
مستبصرين لنصر دين نبيهم • مستصغرين لكل أمر مجحف •

هكذا أورد هذه القصة الإمام محمد بن إسحاق رحمه الله تعالى وقد قال أبو عبد الله
البخاري حدثنا إسحاق بن نصر ثنا يحيى بن آدم ثنا ابن أبي زائدة عن أبيه عن أبي إسحاق
عن البراء بن عازب قال بعث النبي صلى الله عليه وسلم رهطًا إلى أبي رافع فدخل عليه
عبد الله بن عتيك بيته ليلا وهو نائم فقتله ثم قال البخاري حدثنا يوسف
بن موسى ثنا عبيد الله بن موسى عن إسرائيل عن أبي إسحاق عن البراء قال بعث رسول
الله صلى الله عليه وسلم إلى أبي رافع اليهودي رجالا من الأنصار وأمّر عليهم عبد الله
بن عتيك وكان أبو رافع يؤذي رسول الله صلى الله عليه وسلم ويعين عليه وكان في حصن
له بأرض الحجاز فلما دنوا منه وقد غربت الشمس وراح الناس بسرحهم قال عبد الله
لأصحابه اجلسوا مكانكم فإني منطلق متلطف للبواب لعلي أن أدخل فأقبل حتى دنا
من الباب ثم تقنع بثوبه كأنه يقضي حاجة وقد دخل الناس فهتف به البواب يا عبد الله
إن كنت تريد أن تدخل فادخل فإني أريد أن أغلق الباب فدخلت فكمنت فلما دخل الناس
أغلق الباب ثم علق الأغاليق على وتد قال فقمت إلى الأقاليد فأخذتها ففتحت
الباب وكان أبو رافع يسمر عنده وكان في علالي له فلما ذهب عنه أهل سمره صعدت
إليه فجعلت كلما فتحت بابًا أغلقت علي من داخل فقلت إن القوم نذروا بي لم يخلصوا
إلي حتى أقتله فانتهيت إليه فإذا هو في بيت مظلم وسط عياله لا أدري أين هو
من البيت فقلت أبا رافع قال من هذا فأهويت نحو الصوت فأضربه ضربة بالسيف
وأنا دهش فما أغنيت شيئًا وصاح فخرجت من البيت فأمكث غير بعيد ثم دخلت
إليه فقلت ما هذا الصوت يا أبا رافع فقال لأمك الويل إن رجلا في البيت
ضربني قبل بالسيف قال فأضربه ضربة أثخنته ولم أقتله ثم وضعت ضبيب
السيف في بطنه حتى أخذ في ظهره فعرفت أني قتلته فجعلت أفتح الأبواب بابًا بابًا
حتى انتهيت إلى درجة له فوضعت رجلي وأنا أرى أني قد انتهيت إلى الأرض فوقعت
في ليلة مقمرة فانكسرت ساقي فعصبتها بعمامة ثم انطلقت حتى جلست على الباب
فقلت لا أخرج الليلة حتى أعلم أقتلته فلما صاح الديك قام الناعي على السور
فقال أنعى أبا رافع تاجر أهل الحجاز فانطلقت إلى أصحابي فقلت النجاء فقد قتل
الله أبا رافع فانتهيت إلى النبي صلى الله عليه وسلم فحدثته فقال ابسط رجلك
فبسطت رجلي فمسحها فكأنما لم أشتكها قط ثم قال البخاري حدثنا أحمد بن عثمان
بن حكيم الأودي ثنا شريح ثنا إبراهيم بن يوسف عن أبيه عن أبي إسحاق سمعت البراء قال
بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أبي رافع عبد الله بن عتيك وعبد الله بن عتبة
في ناس معهم فانطلقوا حتى دنوا من الحصن فقال لهم عبد الله بن عتيك امكثوا أنتم

حتى نطلق إن أنا نظر، قال: فتلطفت حتى أدخل الحصن، ففقدوا حمارًا لهم فخرجوا بقبس يطلبونه
قال: فخشيت أن أعرف، قال: فغطيت رأسي وجلست كأني أقضي حاجة، فنادى البواب من أراد
أن يدخل فليدخل قبل أن أغلقه، فدخلت ثم اختبأت في مربط حمار عند باب الحصن، فتعشوا
عند أبي رافع وتحدثوا حتى ذهبت ساعة من الليل، ثم رجعوا إلى بيوتهم، فلما هدأت الأصوات
ولا أسمع حركة خرجت، قال: ورأيت صاحب الباب حيث وضع مفتاح الحصن في كوة، فأخذته
ففتحت به باب الحصن، قال: قلت إن نذر بي القوم انطلقت على مهل، ثم عمدت إلى أبواب بيوتهم
فغلقتها عليهم من ظاهر، ثم صعدت إلى أبي رافع في سلم، فإذا البيت مظلم قد طفئ سراجه
فلم أدر أين الرجل، فقلت: يا أبا رافع، قال: من هذا؟ قال: فعمدت نحو الصوت فأضربه وصاح،
فلم يغن شيئا، قال: ثم جئت كأني أغيثه فقلت: ما لك يا أبا رافع، وغيرت صوتي، فقال:
ألا أعجبك لأمك الويل، دخل علي رجل فضربني بالسيف، قال: فعمدت له أيضا فأضربه
أخرى فلم تغن شيئا، فصاح وقام أهله، ثم جئت وغيرت صوتي كهيئة المغيث، فإذا هو
مستلق على ظهره، فأضع السيف في بطنه، ثم أنكفئ عليه حتى سمعت صوت العظم، ثم خرجت
دهشا حتى أتيت السلم أريد أن أنزل، فأسقط منه، فانخلعت رجلي فعصبتها، ثم أتيت
أصحابي أحجل، فقلت: انطلقوا فبشروا رسول الله صلى الله عليه وسلم، فإني لا أبرح حتى
أسمع الناعية، فلما كان في وجه الصبح صعد الناعية فقال: أنعى أبا رافع، قال: فقمت
أمشي ما بي قلبة، فأدركت أصحابي قبل أن يأتوا النبي صلى الله عليه وسلم فبشرته. تفرد البخاري
بهذه السياقات من بين أصحاب الكتب الستة. قلت يحتمل أن عبد الله بن عتيك لما
سقط من تلك الدرجة انفكت قدمه وانكسرت ساقه ووثئت رجله، فلما
عصبها استكن ما به لما هو فيه من الأمر الباهر، ولما أراد المشي أعين على ذلك لما هو فيه من
الجهاد النافع، ثم لما وصل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم واستقرت نفسه ثاوره الوجع
في رجله، فلما بسط رجله ومسح رسول الله صلى الله عليه وسلم عليها ذهب ما كان بها من
بأس في الماضي، ولم يبق بها وجع يتوقع حصوله في المستقبل، جمعا بين هذه الرواية والتي
تقدمت، والله تعالى أعلم. هذا وقد ذكر موسى بن عقبة في مغازيه مثل سياق محمد بن إسحاق
وسمى الجماعة الذين ذهبوا إليه كما ذكر ابن إسحاق وأميرهم ابن عتيك، ثم قال الزهري
قال ابن كعب: فقدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على المنبر فقال: أفلحت
الوجوه، قالوا: أفلح وجهك يا رسول الله، قال: أقتلتموه؟ قالوا: نعم، قال: ناولني السيف، فسله
فقال: أجل هذا طعامه في ذباب السيف

مقتل خالد بن سفيان بن نبيح الهذلي

ذكره الحافظ البيهقي في الدلائل بعد مقتل أبي رافع، قال الإمام أحمد: ثنا يعقوب، ثنا أبي،
ثنا ابن إسحاق، حدثني محمد بن جعفر بن الزبير، عن ابن عبد الله بن أنيس، عن أبيه قال:
دعاني رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: إنه قد بلغني أن خالد بن سفيان بن نبيح الهذلي
يجمع لي الناس ليغزوني وهو بنخلة أو بعرنة فأته فاقتله، قال: قلت: يا رسول الله انعته لي حتى أعرفه،
قال: إذا رأيته وجدت له قشعريرة، قال: فخرجت متوشحا سيفي حتى وقعت إليه وهو بعرنة
مع ظعن يرتاد لهن منزلا، وحين كان وقت العصر فلما رأيته وجدت ما وصف لي رسول الله
صلى الله عليه وسلم من القشعريرة، فأقبلت نحوه وخشيت أن يكون بيني وبينه مجادلة

تشغلني

تشغلني عن الصلاة، فصليت وأنا أمشي نحوه أومي برأسي للركوع والسجود، فلما انتهيت
إليه قال: من الرجل؟ قلت: رجل من العرب سمع بك وبجمعك لهذا الرجل فجاءك لذلك، قال:
أجل أنا في ذلك، قال: فمشيت معه شيئا حتى إذا أمكنني حملت عليه السيف حتى قتلته
ثم خرجت وتركت ظعائنه مكبات عليه، فلما قدمت على رسول الله فرآني قال: أفلح الوجه،
قال: قلت: قتلته يا رسول الله، قال: صدقت، قال: ثم قام معي رسول الله فدخل في بيته فأعطاني
عصى فقال: أمسك هذه عندك يا عبد الله بن أنيس، قال: فخرجت بها على الناس فقالوا:
ما هذه العصى؟ قال: قلت: أعطانيها رسول الله وأمرني أن أمسكها، قالوا: أولا ترجع إلى
رسول الله فتسأله عن ذلك، قال: فرجعت فقلت: يا رسول الله لم أعطيتني هذه العصا؟
قال: آية بيني وبينك يوم القيامة، إن أقل الناس المتخصرون يومئذ، قال: فقرنها عبد الله
بسيفه فلم تزل معه حتى إذا مات أمر بها فضمت في كفنه ثم دفنا جميعا. ثم رواه الإمام
أحمد عن يحيى بن آدم عن عبد الله بن إدريس عن محمد بن إسحاق فذكر نحوه، ورواه الحافظ
البيهقي من طريق محمد بن سلمة عن محمد بن إسحاق عن محمد بن جعفر بن الزبير عن عبد الله
بن عبد الله بن أنيس فذكره، وقد ذكر قصته عروة بن الزبير وموسى بن عقبة في مغازيهما
مرسلة، فالله أعلم. قال ابن هشام: وقال عبد الله بن أنيس في قتله خالد بن سفيان:

تركت ابن ثور كالحوار وحوله • نوائح تفري كل جيب معدد •
تناولته والظعن خلفي وخلفه • بأبيض من ماء الحديد مهند •
عجوم لهام الدارعين كأنه • شهاب غضى من ملهب متوقد •
أقول له والسيف يعجم رأسه • أنا ابن أنيس فارسا غير قعدد •
أنا ابن الذي لم ينزل الدهر قدره • رحيب فناء الدار غير مزند •
وقلت له خذها بضربة ماجد • حنيف على دين النبي محمد •
وكنت إذا هم النبي بكافر • سبقت إليه باللسان وباليد •

قلت: عبد الله بن أنيس بن أسعد بن حرام أبو يحيى الجهني صحابي مشهور كبير القدر، كان
ممن شهد العقبة وشهد أحدا والخندق وما بعد ذلك، وتأخرت وفاته بالشام إلى سنة
ثمانين على المشهور، وقيل توفي سنة أربع وخمسين، فالله أعلم، وقد فرق علي بن الزبير
وخليفة بن خياط بينه وبين عبد الله بن أنيس أبي عيسى الأنصاري الذي روى عن النبي
صلى الله عليه وسلم أنه دعا يوم أحد بإداوة من ماء فخنث فمها ثم شرب منها، كما رواه
أبو داود والترمذي من طريق عبد الله العمري عن عيسى بن عبد الله بن أنيس عن أبيه، ثم
قال الترمذي: وليس إسناده بصحيح، وعبد الله العمري ضعيف من قبل حفظه

قصة عمرو بن العاص مع النجاشي بعد وقعة الخندق وإسلامه على يديه

قال محمد بن إسحاق بعد مقتل أبي رافع: وحدثني يزيد بن أبي حبيب عن راشد مولى حبيب
بن أبي أوس الثقفي عن حبيب بن أبي أوس حدثني عمرو بن العاص من فيه قال: لما انصرفنا
يوم الأحزاب عن الخندق جمعت رجالا من قريش كانوا يرون رأيي ويسمعون مني فقلت لهم:
تعلموا والله إني أرى أمر محمد يعلو الأمور علوا منكرا، وإني قد رأيت أمرا فما ترون فيه؟ قالوا:
وما رأيت؟ قال: رأيت أن نلحق بالنجاشي فنكون عنده، فإن ظهر محمد على قومنا كنا عند
النجاشي، فإنا أن نكون تحت يديه أحب إلينا من أن نكون تحت يدي محمد، وإن ظهر قومنا

فنحن من قد عرفتم وانا لنرى امره منه الاخير قالوا ان هذا الراي قلت فاجمعوا ما نهدي له وكان احب ما يهدى اليه من ارضنا الادم فجمعنا له ادما كثيرا ثم خرجنا حتى قدمنا عليه فوالله انا لعنده اذ جاءه عمرو بن امية الضمري وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد بعثه اليه في شان جعفر واصحابه قال فدخل عليه ثم خرج من عنده قال فقلت لاصحابي هذا عمرو بن امية لو قد دخلت على النجاشي فسالته اياه فاعطانيه فضربت عنقه فاذا فعلت ذلك رات قريش اني قد اجزات عنها حين قتلت رسول محمد قال فدخلت عليه فسجدت له كما كنت اصنع فقال مرحبا بصديقي هل اهديت لي من بلادك شيئا قال قلت نعم ايها الملك

قد اهديت لك ادما كثيرا قال ثم قربته اليه فاعجبه واشتهاه ثم قلت له ايها الملك

اني قد رايت رجلا خرج من عندك وهو رسول رجل عدو لنا فاعطنيه لاقتله فانه قد اصاب من اشرافنا وخيارنا قال فغضب ثم مد يده فضرب بها انفه ضربة ظننت انه قد كسره فلو انشقت لي الارض لدخلت فيها فرقا ثم قلت ايها الملك والله لو ظننت انك تكره هذا ما سالتكه قال اتسالني ان اعطيك رسول رجل ياتيه الناموس الاكبر الذي كان ياتي موسى لتقتله قال قلت ايها الملك اكذاك هو قال ويحك يا عمرو اطعني واتبعه فانه والله لعلى الحق وليظهرن على من خالفه كما ظهر موسى بن عمران على فرعون وجنوده قال قلت افتبايعني له على الاسلام قال نعم فبسط يده فبايعته على الاسلام ثم خرجت على اصحابي وقد حال رايي عما كان عليه وكتمت اصحابي اسلامي ثم خرجت عامدا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم لاسلم فلقيت خالد بن الوليد وذلك قبيل

الفتح

وهو مقبل من مكة فقلت اين يا ابا سليمان قال والله لقد استقام الميسم وان الرجل لنبي اذهب والله اسلم فحتى متى قال قلت والله ما جئت الا لاسلم قال فقدمنا المدينة على رسول الله صلى الله عليه وسلم فتقدم خالد بن الوليد فاسلم وبايع ثم دنوت فقلت يا رسول الله اني ابايعك على ان تغفر لي ما تقدم من ذنبي ولا اذكر ما تاخر قال فقال رسول الله يا عمرو بايع فان الاسلام يجب ما كان قبله وان الهجرة تجب ما كان قبلها قال فبايعته ثم انصرفت قال ابن اسحاق وقد حدثني من لا اتهم ان عثمان بن طلحة بن ابي طلحة كان معهما اسلم حين اسلما فقال عبد الله بن الزبعرى السهمي انشد عثمان بن طلحة

حلفنا وملقى نعال القوم عند المقبل
وما عقد الاباء من كل حلفة • وما خالد من مثلها بمحلل
امفتاح بيت غير بيتك تبتغي • وما تبتغي من بيت مجد مؤثل
فلا تامنن خالدا بعد هذه • وعثمان جاءا بالدهيم المعضل

قلت كان اسلامهم بعد الحديبية وذلك ان خالد بن الوليد كان يومئذ في خيل المشركين كما سياتي بيانه فكان ذكر هذا الفصل في اسلامهم بعد ذلك انسب ولكن ذكرنا ذلك تبعا للامام محمد بن اسحاق رحمه الله لان اول ذهاب عمرو بن العاص الى النجاشي كان بعد وقعة الخندق والظاهر انه ذهب في بقية سنة خمس والله اعلم

فصل في تزويج النبي صلى الله عليه وسلم بام حبيبة رملة بنت ابي سفيان

ذكر البيهقي بعد وقعة الخندق من طريق الكلبي عن ابي صالح عن ابن عباس في قوله تعالى عسى الله ان يجعل بينكم وبين الذين عاديتم منهم مودة قال هو تزويج النبي صلى الله عليه وسلم بام حبيبة

بنت ابي سفيان فصارت ام المؤمنين وصار معاوية خال المؤمنين ثم قال البيهقي انا ابو عبد الله الحافظ ثنا علي بن عيسى ثنا احمد بن نجدة ثنا يحيى بن عبد الحميد انا ابن المبارك عن معمر عن الزهري عن عروة عن ام حبيبة انها كانت عند عبيد الله بن جحش وكان رحل الى النجاشي فمات وان رسول الله تزوج بام حبيبة وهي بارض الحبشة زوجها اياه النجاشي ومهرها اربعة الاف درهم وبعث بها مع شرحبيل بن حسنة وجهزها من عنده وما بعث اليها النبي صلى الله عليه وسلم بشيء قال وكان مهور ازواج النبي صلى الله عليه وسلم اربعمائة قلت والصحيح ان مهور ازواج النبي صلى الله عليه وسلم كانت ثنتي عشرة اوقية ونشا والاوقية اربعون درهما والنش النصف وذلك يعدل خمسمائة درهم ثم روى البيهقي من طريق ابن لهيعة عن ابي الاسود عن عروة ان عبيد الله بن جحش مات بالحبشة نصرانيا فخلف على زوجته ام حبيبة رسول الله صلى الله عليه وسلم زوجها منه عثمان بن عفان رضي الله عنه قلت اما تنصر عبيد الله بن جحش فقد تقدم بيانه وذلك على اثر ما هاجر مع المسلمين الى ارض الحبشة استزله الشيطان فزين له دين النصارى فصار اليه حتى مات عليه لعنه الله وكان يعير المسلمين فيقول لهم ابصرنا وصاصاتم وقد تقدم شرح ذلك في هجرة الحبشة واما قول عروة ان عثمان زوجها منه فغريب لان عثمان كان قد رجع الى مكة قبل ذلك ثم هاجر الى المدينة وصحبته زوجته رقية كما تقدم والله اعلم والمعروف ما ذكره يونس عن محمد بن اسحاق قال بلغني ان الذي ولي نكاحها ابن عمها خالد بن سعيد بن العاص قلت وكان وكيل رسول الله صلى الله عليه وسلم في قبول العقد اصحمة النجاشي ملك الحبشة كما قال يونس عن محمد بن اسحاق حدثني ابو جعفر محمد بن علي بن الحسين قال بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عمرو بن امية الضمري الى النجاشي فزوجه ام حبيبة بنت ابي سفيان وساق عنه اربعمائة دينار وقال الزبير بن بكار حدثني محمد بن الحسن عن ابيه عن عبد الله بن عمرو بن زهير عن اسماعيل بن عمرو ان ام حبيبة بنت ابي سفيان قالت ما شعرت وانا بارض الحبشة الا برسول النجاشي جارية يقال لها ابرهة كانت تقوم على ثيابه ودهنه فاستاذنت علي فاذنت لها فقالت ان الملك يقول لك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كتب الي ان ازوجكه فقلت بشرك الله بالخير وقالت يقول لك الملك وكلي من يزوجك قالت فارسلت الى خالد بن سعيد فوكلته واعطيت ابرهة سوارين من فضة وخدمتين من فضة كانتا علي وخواتيم من فضة كانت في كل اصابع رجلي سرورا بما بشرتني به فلما ان كان من العشي امر النجاشي جعفر بن ابي طالب ومن هناك من المسلمين ان يحضروا وخطب النجاشي فقال الحمد لله الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار اشهد ان لا اله الا الله وان محمدا عبده ورسوله وانه الذي بشر به عيسى بن مريم اما بعد فان رسول الله صلى الله عليه وسلم كتب الي ان ازوجه ام حبيبة بنت ابي سفيان فاجبت الى ما دعا اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد اصدقتها اربعمائة دينار ثم سكب الدنانير بين يدي القوم فتكلم خالد بن سعيد فقال الحمد لله احمده واستغفره واشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمدا عبده ورسوله ارسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون اما بعد فقد اجبت الى ما دعا اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وزوجته ام حبيبة بنت ابي سفيان فبارك الله لرسول الله صلى الله عليه وسلم

وَدَفَعَها النجاشي الدنانير الى خالد بن سعيد فقبضها ثم ارادوا ان يقوموا فقال اجلسوا
فان من سنة الانبيا اذا تزوجوا ان يوكل الطعام على التزويج فدعا بطعام فاكلوا ثم تفرقوا
قلت فلعل عمرو بن العاص لما راى عمرو بن امية خارجاً من عند النجاشي بعد الخندق انما كان
فى قضية ام حبيبة والله اعلم لكن قال الحافظ البيهقي ذكر ابو عبد الله بن منده ان
تزويجه عليه السلام بام حبيبة كان فى سنة ست وان تزويجه بام سلمة كان فى سنة
اربع قلت وكذا قال خليفة وابو عبيدة معمر بن المثنى وابن البرقي ان تزويج ام حبيبة
كان فى سنة ست وقال بعض الناس سنة سبع قال البيهقي وذهب ابن اسحاق الى انه
عليه السلام تزوج بام حبيبة قبل ام سلمة قال البيهقي وهو اشبه قلت قد تقدم تزويجه
عليه السلام بام سلمة فى اواخر سنة اربع واما ام حبيبة فيحتمل ان يكون قبل ذلك ويحتمل
ان يكون بعده وكونه بعد الخندق اشبه لما تقدم من ذكر عمرو بن العاص انه راى عمرو بن امية
عند النجاشي فهو فى قضيتها والله اعلم وقد حكى الحافظ ابن الاثير فى الغابة عن قتادة ان ام
حبيبة لما هاجرت من الحبشة الى المدينة خطبها رسول الله صلى الله عليه وسلم وتزوجها
وحكى عن بعضهم انه تزوجها بعد اسلام ابيها بعد الفتح واحتج هذا القايل بما رواه مسلم
من طريق عكرمة بن عمار اليمانى عن ابى زميل سماك بن الوليد عن ابن عباس ان ابا سفيان قال
يا رسول الله ثلاث اعطنيهن قال نعم قال تومرنى حتى اقاتل الكفار كما كنت اقاتل المسلمين
قال نعم قال ومعوية تجعله كاتبا بين يديك قال نعم قال وعندى احسن العرب واجمله
ام حبيبة بنت ابى سفيان ازوجكها الحديث بتمامه قال ابن الاثير وهذا الحديث مما انكر على
مسلم لان ابا سفيان لما جاء يجدد العقد قبل الفتح دخل على ابنته ام حبيبة فثنت عنه فراش
النبي صلى الله عليه وسلم فقال والله ما ادرى ارغبتنى عنه او رغبت به عنى قالت بل هذا فراش
رسول الله وانت رجل مشرك فقال والله لقد اصابك بعدى شر قال
ابن حزم هذا الحديث وضعه عكرمة بن عمار وهذا القول مما لا يتابع عليه وقال الاخرون
اراد ان يجدد العقد لما فيه بغير اذنه من الغضاضة عليه وقال بعضهم لانه اعتقد
انفساخ نكاح ابنته باسلامه وهذه كلها ضعيفة والاحسن ان هذا انما اراد ان يزوجه
ابنته الاخرى عزة لما راى فى ذلك من الشرف له واستعان باختها ام حبيبة كما فى الصحيحين
وانما وهم الراوى فى هذا بتسمية ام حبيبة وقد افردنا لذلك جزءاً مفرداً ولله الحمد [7]

تزويجه عليه السلام بزينب بنت جحش

بن رئاب بن يعمر بن صبرة بن مرة بن كثير بن غنم بن دودان بن اسد بن خزيمة الاسدية ام المومنين
وهى بنت اميمة بنت عبد المطلب عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانت قبله عند
مولاه زيد بن حارثة رضى الله عنه قال قتادة والواقدى وبعض اهل المدينة تزوجها
عليه السلام سنة خمس زاد بعضهم فى ذى القعدة قال الحافظ البيهقي تزوجها بعد بنى
قريظة وقال خليفة بن خياط وابو عبيدة معمر بن المثنى وابن منده تزوجها سنة ثلاث
والاول اشهر وهو الذى سلكه ابن جرير وغير واحد من اهل التاريخ وقد ذكر غير واحد من المفسرين
والفقهاء واهل التاريخ فى سبب تزويجها اياها عليه السلام حديثا ذكره احمد بن حنبل فى مسنده
تركنا ايراده قصدا اليلا يضعه بعض من لا يفهم على غير موضعه وقد قال الله تعالى فى كتابه
العزيز واذ تقول للذى انعم الله عليه وانعمت عليه امسك عليك زوجك واتق الله وتخفى

[7] قال ابو عبيد القاسم بن سلام توفيت ام حبيبة سنة اربع واربعين
وقال ابو بكر بن ابى خيثمة توفيت قبل معوية بسنة وكانت وفاة
معوية فى رجب سنة ستين

فى نفسك ما الله مبديه وتخشى الناس والله احق ان تخشاه فلما قضى زيد منها وطرا
زوجناكها لكى لا يكون على المومنين حرج فى ازواج ادعيائهم اذا قضوا منهن وطرا وكان امر
الله مفعولا وقد تكلمنا على ذلك فى التفسير بما فيه كفاية فالمراد بالذى انعم الله عليه زيد
بن حارثة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم انعم الله عليه بالاسلام وانعم عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم بالعتق وزوجه ابنة عمته زينب بنت
جحش قال مقاتل بن حيان وكان صداقه لها عشرة دنانير وستين درهما وخمارا وملحفة
ودرعا وخمسين مدا من طعام وعشرة امداد من تمر فمكثت عنده قريبا من سنة او فوقها
ثم وقع بينهما فجاء زوجها زيد يشكوها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعل يقول له
اتق الله وامسك عليك زوجك قال الله وتخفى فى نفسك ما الله مبديه قال على بن
الحسين زين العابدين والسدى كان الله قد اعلمه انها ستكون من ازواجه فهو الذى كان
فى نفسه عليه السلام وقد تكلم كثير من السلف هاهنا اثارا غريبة وبعضها فيه نظر
تركناها قال الله تعالى فلما قضى زيد منها وطرا زوجناكها وذلك ان زيدا طلقها
فلما انقضت عدتها بعث اليها رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطبها الى نفسها ثم
تزوجها وكان الذى زوجها منه رب العالمين تبارك وتعالى كما ثبت فى صحيح البخارى
عن انس بن مالك ان زينب بنت جحش كانت تفخر على ازواج النبي صلى الله عليه وسلم فتقول
زوجكن اهاليكن وزوجنى الله من فوق سبع سموات وفى رواية من طريق عيسى بن طهمان عن
انس قال كانت زينب تفخر على نساء النبي صلى الله عليه وسلم وتقول انكحنى الله من السما
وفيها انزلت اية الحجاب يا ايها الذين امنوا لا تدخلوا بيوت النبي الا ان يوذن لكم الاية وروى
البيهقي من حديث حماد بن زيد عن ثابت عن انس قال جا زيد يشكو زينب فجعل رسول
الله يقول اتق الله وامسك عليك زوجك قال انس فلو كان رسول الله كاتما شيا لكتم
هذه فكانت تفخر على ازواج النبي صلى الله عليه وسلم تقول زوجكن اهاليكن وزوجنى
الله من فوق سبع سموات ثم قال رواه البخارى عن احمد عن محمد بن ابى بكر المقدمى عن حماد
بن زيد عن ثابت عن انس قال جا زيد يشكو الى رسول الله صلى الله عليه وسلم من زينب
بنت جحش فقال النبي صلى الله عليه وسلم امسك عليك اهلك فنزلت وتخفى فى نفسك
ما الله مبديه ثم قال رواه البخارى عن محمد بن عبد الرحيم عن معلى بن منصور عن
حماد مختصرا وقال ابن جرير ثنا ابن حميد ثنا جرير عن مغيرة عن الشعبى قال كانت زينب
تقول للنبي صلى الله عليه وسلم انى لادل عليك بثلاث ما من نسايك امراة تدل بهن
ان جدى وجدك واحد تعنى عبد المطلب فانه ابو ابى النبي صلى الله عليه وسلم وابو امها
اميمة بنت عبد المطلب وانى انكحنيك الله عز وجل من السماء وان السفير جبريل عليه السلام
وقال الامام احمد ثنا هاشم يعنى ابن القاسم وابا النضر ثنا سليمان بن المغيرة عن
ثابت عن انس قال لما انقضت عدة زينب قال النبي صلى الله عليه وسلم لزيد اذهب
فاذكرها على فانطلق حتى اتاها وهى تخمر عجينها قال فلما رايتها عظمت فى صدرى حتى
ما استطيع ان انظر اليها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكرها فوليتها ظهرى ونكصت
على عقبى وقلت يا زينب ابشرى ارسلنى رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكرك فقالت
ما انا بصانعة شيا حتى او امر ربى عز وجل فقامت الى مسجدها وجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم
فدخل عليها بغير اذن قال انس لقد رايتنا حين دخل عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم

ثم روى البيهقي من طريق عفان عن حماد بن زيد

ونزلت القرآن

اطعمنا عليها الخبز واللحم فخرج الناس وبقي رجال يتحدثون في البيت بعد الطعام فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم واتبعته فجعل يتتبع حجر نسائه يسلم عليهن ويقلن يا رسول الله كيف وجدت اهلك فما ادري انا اخبرته ان القوم قد خرجوا او اخبرنا قال فانطلق حتى دخل البيت فذهبت ادخل معه فالقى الستر بيني وبينه ونزل الحجاب ووعظ القوم بما وعظوا به لا تدخلوا بيوت النبي الا ان يؤذن لكم الاية رواه مسلم والنسائي من طرق عن سليمان بن المغيرة

ذكر نزول الحجاب صبيحة عرسها الذي ولي الله عقد نكاحه

فناسب نزول الحجاب في هذا العرس صيانة لها ولاخواتها من امهات المؤمنين وذلك وفق الراي العمري قال البخاري ثنا محمد بن عبد الله الرقاشي ثنا معتمر بن سليمان سمعت ابي ثنا ابو مجلز عن انس بن مالك قال لما تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم زينب بنت جحش دعا القوم فطعموا ثم جلسوا يتحدثون فاذا هو يتهيا للقيام فلم يقوموا فلما راى ذلك قام فلما قام قام من قام وقعد ثلاثة نفر فجاء النبي صلى الله عليه وسلم ليدخل فاذا القوم جلوس ثم انهم قاموا فانطلقوا فجئت فاخبرت النبي صلى الله عليه وسلم انهم قد انطلقوا فجاء حتى دخل فذهبت ادخل فالقى الحجاب بيني وبينه فانزل الله تعالى يا ايها الذين امنوا لا تدخلوا بيوت النبي الاية وقد رواه البخاري في مواضع اخر ومسلم والنسائي من طرق عن معتمر ثم رواه البخاري منفردا به من حديث ايوب عن ابي قلابة عن انس بنحوه وقال البخاري ثنا ابو معمر ثنا عبد الوارث ثنا عبد العزيز بن صهيب عن انس بن مالك قال بني على النبي صلى الله عليه وسلم بزينب بنت جحش بخبز ولحم فارسلت على الطعام داعيا فيجي قوم فياكلون ويخرجون ثم يجي قوم فياكلون ويخرجون فدعوت حتى ما اجد احدا ادعوه قال ارفعوا طعامكم وبقي ثلاثة رهط يتحدثون في البيت فخرج النبي صلى الله عليه وسلم فانطلق الى حجرة عايشة فقال السلام عليكم اهل البيت ورحمة الله وبركاته قالت وعليك السلام ورحمة الله وبركاته كيف وجدت اهلك بارك الله لك فتقرى حجر نسائه كلهن ويقول لهن كما يقول لعايشة ويقلن له كما قالت عايشة ثم رجع النبي صلى الله عليه وسلم فاذا رهط ثلاثة في البيت يتحدثون وكان النبي صلى الله عليه وسلم شديد الحيا فخرج منطلقا نحو حجرة عايشة فما ادري اخبرته ام اخبر ان القوم قد خرجوا فرجع حتى اذا وضع رجله في اسكفة الباب داخله واخرى خارجه ارخى الستر بيني وبينه وانزلت اية الحجاب تفرد به البخاري من هذا الوجه ثم رواه منفردا به ايضا عن اسحاق هو ابن نصر عن عبد الله بن بكر السهمي عن حميد عن انس بنحو ذلك وقال رجلان بدل ثلاثة فالله اعلم قال البخاري وقال ابراهيم بن طهمان عن الجعد ابي عثمان عن انس فذكر نحوه وقد قال ابن ابي حاتم ثنا ابي ثنا ابو المظفر ثنا جعفر بن سليمان عن الجعد ابي عثمان اليشكري عن انس بن مالك قال اعرس رسول الله صلى الله عليه وسلم ببعض نسائه فصنعت ام سليم حيسا ثم جعلته في تور فقالت اذهب بهذا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم واخبره ان هذا منا له قليل قال انس والناس يومئذ في جهد فجئت به فقلت يا رسول الله بعثت بهذا ام سليم اليك وهي تقريك السلام وتقول ان هذا منا له قليل فنظر اليه ثم قال ضعه فوضعته في ناحية البيت ثم قال اذهب فادع لي فلانا وفلانا فسمى رجالا كثيرا قال ومن لقيت من المسلمين فدعوت من قال لي ومن لقيت من المسلمين فجيت والبيت والصفة والحجرة ملاء من الناس فقلت يا ابا عثمان كم كانوا قال كانوا زهاء ثلثمائة قال انس فقال لي

رسول الله

رسول الله صلى الله عليه وسلم جي به فجيت به اليه فوضع يده عليه ودعا وقال ما شا الله ثم قال ليتحلق عشرة عشرة وليسموا وليأكل كل انسان مما يليه فجعلوا يسمون ويأكلون حتى اكلوا كلهم فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم ارفعه قال فجيت فاخذت التور فنظرت فيه فما ادري اهو حين وضعته اكثر ام حين رفعته قال وتخلف رجال يتحدثون في بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم التي دخل بها معهم مولية وجهها الى الحايط فاطالوا الحديث فشقوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان اشد الناس حياء ولو علموا كان ذلك عليهم عزيزا فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرج فسلم على حجره وعلى نسائه فلما راوه قد جا ظنوا انهم قد ثقلوا عليه ابتدروا الباب فخرجوا وجا رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى ارخى الستر ودخل البيت وانا في الحجرة فمكث رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيته يسيرا وانزل الله القران فخرج وهو يقرا هذه الاية يا ايها الذين امنوا لا تدخلوا بيوت النبي الا ان يؤذن لكم الى طعام غير ناظرين اناه ولكن اذا دعيتم فادخلوا فاذا طعمتم فانتشروا ولا مستانسين لحديث ان ذلكم كان يؤذي النبي فيستحيي منكم والله لا يستحيي من الحق واذا سالتموهن متاعا فاسالوهن من وراء حجاب ذلكم اطهر لقلوبكم وقلوبهن وما كان لكم ان تؤذوا رسول الله ولا ان تنكحوا ازواجه من بعده ابدا ان ذلكم كان عند الله عظيما قال انس فقراهن علي قبل الناس فانا احدث الناس بهن عهدا وقد رواه مسلم والترمذي والنسائي جميعا عن قتيبة عن جعفر بن سليمان عن الجعد ابي عثمان به وقال الترمذي حسن صحيح ورواه مسلم ايضا عن محمد بن رافع عن عبد الرزاق عن معمر عن الجعد ابي عثمان به وقد روى هذا الحديث البخاري والترمذي والنسائي من طرق عن بيان ابي بشر الاحمسي الكوفي عن انس به ورواه ابن ابي حاتم من حديث ابي نضرة العبدي عن انس بنحوه ولم يخرجوه ورواه ابن جرير من حديث عمرو بن سعيد ومن حديث الزهري عن انس بنحو ذلك قلت كانت زينب بنت جحش رضي الله عنها من المهاجرات الاول وكانت كثيرة الخير والصدقة وكان اسمها اولا برة فسماها النبي صلى الله عليه وسلم زينب وكانت تكنى بام الحكم قالت عايشة رضي الله عنها ما رايت امراة قط خيرا في الدين من زينب واتقى لله واصدق حديثا واوصل للرحم واعظم امانة وصدقة وثبت في الصحيحين كما سياتي في حديث الافك عن عايشة انها قالت وسال رسول الله صلى الله عليه وسلم اعني زينب بنت جحش وهي التي كانت تساميني من نساء النبي صلى الله عليه وسلم فعصمها الله بالورع فقالت يا رسول الله احمي سمعي وبصري ما علمت الا خيرا وقال مسلم بن الحجاج في صحيحه حدثنا محمود بن غيلان ثنا الفضل بن موسى السيناني ثنا طلحة بن يحيى بن طلحة عن عايشة ام المؤمنين قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اسرعكن لحوقا بي اطولكن يدا قالت فكن يتطاولن ايهن اطول يدا قالت فكانت زينب اطولنا يدا لانها كانت تعمل بيدها وتتصدق انفرد به مسلم وقال الواقدي وغيره من اهل السير والمغازي والتواريخ توفيت سنة عشرين من الهجرة وصلى عليها عمر بن الخطاب رضي الله عنه ودفنت بالبقيع وهي اول امراة صنع لها النعش

سنة ست من الهجرة النبوية

قال السهيلي يقال في المحرم منها كانت سرية محمد بن مسلمة قبل نجد واسروا فيها ثمامة بن اثال اليمامي قلت لكن في سياق ابن اسحاق عن سعيد المقبري عن ابي هريرة انه شهد ذلك وهو انما هاجر بعد خيبر فيوخر الى ما بعد

والله اعلم وهما السنة التي اولها كانت غزوة بني لحيان على الصحيح قال ابن اسحاق وكان
فتح بني قريظة في ذي القعدة وصدر من ذي الحجة وولي تلك الحجة المشركون يعني سنة
خمس كما تقدم قال ثم اقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة ذا الحجة والمحرم وصفر
وشهري ربيع وخرج في جمادى الاولى على راس ستة اشهر من فتح بني قريظة الى بني لحيان يطلب باصحاب
الرجيع خبيب واصحابه واظهر انه يريد الشام ليصيب من القوم غرة قال ابن هشام
واستعمل على المدينة ابن ام مكتوم والمقصود انه عليه السلام لما انتهى الى منازلهم هربوا
من بين يديه ثم تحصنوا في رؤوس الجبال فمال الى عسفان فلقي بها جمعا من المشركين وصلى بها
صلاة الخوف وقد تقدم ذكر هذه الغزوة في سنة اربع وهناك ذكرها البيهقي والاشبه ما ذكره
ابن اسحاق انها كانت بعد الخندق فان صلاة الخوف انما فعلت بعد يوم الخندق وقد ثبت
انه صلى بعسفان يوم بني لحيان والله اعلم فلنكتبها هنا ونحول من هناك تبعا لامام اصحاب
المغازي في زمانه وبعده كما قال الشافعي رح وقد قال كعب بن مالك في غزوة بني لحيان

من اراد المغازي فهو عيال على محمد بن اسحق

لو ان بني لحيان كانوا تناظروا • لقوا عصبا في دارهم ذات مصدق •
لقوا سرعانا يملأ السرب روعه • امام طحون كالمجرة فيلق •
ولكنهم كانوا وبارا تتبعت • شعاب حجاز غير ذي متنفق •

غزوة ذي قرد

قال ابن اسحاق ثم قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة فلم يقم بها الا ليالي
قلايل حتى اغار عيينة بن حصن بن حذيفة بن بدر الفزاري في خيل من غطفان على لقاح النبي
صلى الله عليه وسلم بالغابة وفيها رجل من بني غفار ومعه امراته فقتلوا الرجل واحتملوا المراة
في اللقاح قال ابن اسحاق فحدثني عاصم بن عمر بن قتادة وعبد الله بن ابي بكر ومن لا اتهم
عن عبد الله بن كعب بن مالك كل قد حدث في غزوة ذي قرد بعض الحديث انه كان اول
من نذر بهم سلمة بن عمرو بن الاكوع الاسلمي غدا يريد الغابة متوشحا قوسه ونبله ومعه غلام
لطلحة بن عبيد الله معه فرس له يقوده حتى اذا علا ثنية الوداع نظر الى بعض خيولهم
واشرف في ناحية سلع ثم صرخ واصباحاه ثم خرج يشتد في آثار القوم وكان مثل السبع حتى
لحق بالقوم فجعل يردهم بالنبل ويقول اذا رمى خذها انا ابن الاكوع اليوم يوم الرضع
فاذا وجهت الخيل نحوه انطلق هاربا ثم عارضهم فاذا امكنه الرمي رمى ثم قال
خذها انا ابن الاكوع اليوم يوم الرضع قال فيقول قائلهم اكيعنا اول النهار قال
وبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم صياح ابن الاكوع فصرخ بالمدينة الفزع الفزع
فترامت الخيول الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فكان اول من انتهى اليه من الفرسان المقداد
بن الاسود واسم فرسه بزجة ويقال سبحة ثم عباد بن بشر واسم فرسه لماع وسعد بن زيد
واسم فرسه لاحق واسيد بن ظهير يشك فيه واسم فرسه مسنون وعكاشة بن محصن واسم
فرسه ذو اللمة ومحرز بن نضلة اخو بني اسد بن خزيمة وابو قتادة الحارث بن ربعي اخو بني سلمة
واسم فرسه حزوة وابو عياش وابو عياش عبيد بن زيد بن صامت اخو بني زريق واسم فرسه
حلوة قال فلما اجتمعوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم امر عليهم سعيد بن زيد ثم قال
اخرج في طلب القوم حتى الحقك في الناس وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لابي عياش فيما
بلغني عن رجال من بني زريق يا ابا عياش لو اعطيت هذا الفرس رجلا هو افرس منك فلحق

بالقوم قال ابو عياش فقلت يا رسول الله انا افرس الناس ثم ضربت الفرس فوالله ما جرى بي
خمسين ذراعا حتى طرحني فعجبت من ذلك فزعم رجال من بني زريق ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
اعطى فرس ابي عياش معاذ بن ماعص او عائذ بن ماعص بن قيس فكان ثامنا قال وبعض
الناس يعد سلمة بن الاكوع ثامنا ويطرح اسيد بن ظهير فالله اعلم اي ذلك كان قال ولم يكن سلمة
بن الاكوع يومئذ فارسا قد كان اول من لحق بالقوم على رجليه قال فخرج الفرسان حتى تلاحقوا
فحدثني عاصم بن عمر بن قتادة ان اول فارس لحق بالقوم محرز بن نضلة وكان يقال
له الاخرم وكان يقال للفرس ذو اللمة ويقال له قمير وكانت الفرس التي تحته لمحمود بن مسلمة
فلما انتهى الى العدو قال لهم قفوا معشر بني اللكيعة حتى يلحق بكم من وراءكم من ادباركم من
المهاجرين والانصار قال وحمل عليه رجل منهم فقتله وجال الفرس فلم يقدر عليه حتى وقف
على آريه في بني عبد الاشهل اي رجع الى مربطه الذي كان بالمدينة قال ابن اسحاق ولم يقتل
من المسلمين يومئذ غيره قال ابن هشام وقد ذكر غير واحد من اهل العلم انه قد قتل معه ايضا
وقاص بن محرز المدلجي قال ابن اسحاق وحدثني بعض من لا اتهم عن عبد الله بن كعب بن مالك
ان محرزا كان على فرس لعكاشة بن محصن يقال لها الجناح فقتل محرز واستلبت جناح فالله
اعلم قال ولما تلاحقت الخيل قتل ابو قتادة حبيب بن عيينة وغشاه برده ثم لحق بالناس
واقبل رسول الله في المسلمين قال ابن هشام واستعمل على المدينة ابن ام مكتوم فاذا حبيب
مسجى ببرد ابي قتادة فاسترجع الناس وقالوا قتل ابو قتادة فقال رسول الله ليس بابي قتادة
ولكنه قتيل لابي قتادة وضع عليه برده ليعرفوا انه صاحبه قال وادرك عكاشة بن محصن
اوبارا وابنه عمرو بن وبار وهما على بعير واحد فانتظمهما بالرمح فقتلهما جميعا واستنقذوا
بعض اللقاح قال وسار رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى نزل بالجبل من ذي قرد وتلاحق
به الناس فاقام عليه يوما وليلة وقال له سلمة بن الاكوع يا رسول الله لو سرحتني في مائة رجل
لاستنقذت بقية السرح واخذت باعناق القوم فقال رسول الله فيما بلغني انهم الآن ليغبقون
في غطفان فقسم رسول الله صلى الله عليه وسلم في اصحابه في كل مائة رجل جزورا واقاموا
عليها ثم رجع قافلا حتى قدم المدينة قال واقبلت امراة الغفاري على ناقة من ابل النبي
صلى الله عليه وسلم حتى قدمت عليه المدينة فاخبرته الخبر فلما فرغت قالت يا رسول
الله اني قد نذرت ان انحرها ان نجاني الله عليها قال فتبسم رسول الله صلى الله عليه
وسلم ثم قال بئس ما جزيتها ان حملك الله عليها ونجاك بها ثم تنحرينها انه لا نذر في معصية
ولا فيما لا تملكين انما هي ناقة من ابلي ارجعي الى اهلك على بركة الله قال ابن اسحاق والحديث
في ذلك عن ابي الزبير عن الحسن البصري هكذا اورد ابن اسحاق رح هذه القصة بما ذكره من
الاسناد والسياق وقد قال البخاري رح بعد قصة الحديبية وقبل خيبر غزوة ذي قرد
وهي الغزوة التي اغاروا على لقاح النبي صلى الله عليه وسلم قبل خيبر بثلاث حدثنا قتيبة
بن سعيد ثنا حاتم عن يزيد بن ابي عبيد سمعت سلمة بن الاكوع يقول خرجت قبل ان يؤذن
بالاولى وكانت لقاح النبي صلى الله عليه وسلم ترعى بذي قرد قال فلقيني غلام لعبد
الرحمن بن عوف فقال اخذت لقاح النبي صلى الله عليه وسلم فقلت من اخذها قال
غطفان قال فصرخت ثلاث صرخات يا صباحاه قال فاسمعت ما بين لابتي المدينة ثم
اندفعت على وجهي حتى ادركتهم وقد اخذوا يستقون من الماء فجعلت ارميهم بنبلي وكنت

راميا واقول انا ابن الاكوع واليوم يوم الرضع وارتجز حتى استنقذت اللقاح منهم واستلبت
منهم ثلاثين بردة قال وجاء النبي صلى الله عليه وسلم والناس فقلت يا رسول الله قد حميت
القوم الماء وهم عطاش فابعث اليهم الساعة فقال يا ابن الاكوع ملكت فاسجح ثم رجعنا
ويردفني رسول الله على ناقته حتى دخلنا المدينة وهكذا رواه مسلم عن قتيبة بنحوه ورواه
البخاري عن عاصم النبيل عن يزيد بن ابي عبيد عن مولاه سلمة بنحوه وقال الامام احمد
حدثنا هاشم بن القاسم ثنا عكرمة بن عمار حدثني اياس بن سلمة بن الاكوع عن ابيه قال
قدمنا المدينة زمن الحديبية مع رسول الله فخرجت انا ورباح غلام النبي صلى الله عليه وسلم
بظهر رسول الله وخرجت بفرس لطلحة بن عبيد الله كنت اريد ان انديه مع الابل فلما كان بغلس
اغار عبد الرحمن بن عيينة على ابل رسول الله فقتل راعيها وخرج يطردها هو واناس معه
في خيل فقلت يا رباح اقعد على هذا الفرس فالحقه بطلحة واخبر رسول الله انه قد اغير على سرحه
قال وقمت على تل فجعلت وجهي من قبل المدينة ثم ناديت ثلاث مرات يا صباحاه قال
ثم اتبعت القوم معي سيفي ونبلي فجعلت ارميهم واعقر بهم وذلك حين يكثر الشجر فاذا رجع الي
فارس جلست له في اصل شجرة ثم رميت فلا يقبل علي فارس الا عقرت به فجعلت ارميهم وانا اقول
انا ابن الاكوع واليوم يوم الرضع فاذا كنت في الشجر احرقتهم بالنبل واذا تضايقت الثنايا
علوت الجبل فرديتهم بالحجارة فما زال ذلك شاني وشانهم اتبعهم وارتجز حتى ما خلق الله
شيئا من ظهر رسول الله الا خلفته وراء ظهري فاستنقذته من ايديهم ثم لم ازل ارميهم حتى
القوا اكثر من ثلاثين رمحا واكثر من ثلاثين بردة يستخفون منها ولا يلقون من ذلك
شيئا الا جعلت عليه حجارة وجمعت على طريق رسول الله حتى اذا امتد الضحى اتاهم
عيينة بن بدر الفزاري مددا لهم وهم في ثنية ضيقة ثم علوت الجبل فانا فوقهم فقال
عيينة ما هذا الذي ارى قالوا لقينا من هذا البرح ما فارقنا بسحر حتى الآن واخذ كل شيء في ايدينا
وجعله وراء ظهره فقال عيينة لولا ان هذا يرى ان وراءه طلبا لقد ترككم ليقم اليه
نفر منكم فقام اليه نفر منهم اربعة فصعدوا في الجبل فلما اسمعتهم الصوت قلت اتعرفوني
قالوا ومن انت قلت انا ابن الاكوع والذي كرم وجه محمد لا يطلبني رجل منكم فيدركني ولا اطلبه
فيفوتني فقال رجل منهم اني اظن قال فما برحت مقعدي ذلك حتى نظرت الى فوارس رسول
الله صلى الله عليه وسلم يتخللون الشجر واذا اولهم الاخرم الاسدي وعلى اثره ابو قتادة
فارس رسول الله وعلى اثر ابي قتادة المقداد الكندي فولى المشركون مدبرين وانزل
من الجبل فاخذ عنان فرسه فقلت يا اخرم انذر القوم يعني احذرهم فاني لا آمن ان يقتطعوك
فاتئد حتى يلحق رسول الله واصحابه قال يا سلمة ان كنت تؤمن بالله واليوم الآخر وتعلم
ان الجنة حق والنار حق فلا تحل بيني وبين الشهادة قال فخليت عنان فرسه فلحق بعبد
الرحمن وطعنه عبد الرحمن فقتله فتحول عبد الرحمن على فرس الاخرم فلحق ابو قتادة
بعبد الرحمن فاختلفا طعنتين فعقر بابي قتادة وقتله ابو قتادة وتحول ابو قتادة
على فرس الاخرم ثم اني خرجت اعدو في اثر القوم حتى ما ارى من غبار صحابة النبي صلى الله في اثرهم
عليه وسلم شيئا ويعرضون قبل غيبوبة الشمس الى شعب فيه ماء يقال له ذو قرد فارادوا
ان يشربوا منه فابصروني اعدو وراءهم فعطفوا عنه واسندوا في الثنية ثنية ذي
بئر وغربت الشمس فالحق رجلا فارميه فقلت خذها وانا ابن الاكوع واليوم يوم الرضع

قال

قال فقال يا ثكل امي اكوعي بكرة فقلت نعم اي عدو نفسه وكان الذي رميته بكرة واتبعته
سهما آخر فعلق به سهمان ويخلفون فرسين فجئت بهما اسوقهما الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
وهو على الماء الذي حلاتهم عنه ذو قرد واذا نبي الله صلى الله عليه وسلم في خمسمائة واذا بلال
قد نحر جزورا مما خلفت فهو يشوي لرسول الله من كبدها وسنامها فاتيت رسول الله فقلت
يا رسول الله خلني فانتخب من اصحابك مائة فآخذ على الكفار بالعشوة فلا يبقى منهم مخبر
الا قتلته قال اكنت فاعلا ذلك يا سلمة قال قلت نعم والذي اكرمك فضحك رسول الله حتى
رايت نواجذه في ضوء النهار ثم قال انهم يقرون الآن بارض غطفان فجاء رجل من غطفان
فقال نحروا على فلان الغطفاني جزورا فلما اخذوا يكشطون جلدها راوا غبرة
فتركوها وخرجوا هرابا فلما اصبحنا قال رسول الله خير فرساننا اليوم ابو قتادة وخير رجالتنا
سلمة فاعطاني رسول الله سهم الراجل والفارس جميعا ثم اردفني وراءه على العضباء راجعين
الى المدينة فلما كان بيننا وبينها قريب من ضحوة وفي القوم رجل من الانصار كان لا يسبق
جعل ينادي هل من مسابق الا رجل يسابق الى المدينة فاعاد ذلك مرارا وانا وراء رسول
الله صلى الله عليه وسلم مردفي فقلت له اما تكرم كريما ولا تهاب شريفا قال لا الا رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال قلت يا رسول الله بابي انت وامي خلني فلاسابق الرجل قال
ان شئت قلت اذهب اليك فطفر عن راحلته وثنيت رجلي فطفرت عن الناقة ثم اني
ربطت عليه شرفا او شرفين يعني استبقيت نفسي ثم اني عدوت حتى الحقه فاصك بين
كتفيه بيدي قلت سبقتك والله او كلمة نحوها قال فضحك وقال اني اظن حتى قدمنا
المدينة وهكذا رواه مسلم من طرق عن عكرمة بن عمار بنحوه وعنده فسبقته الى المدينة
فلم نلبث الا ثلاثا حتى خرجنا الى خيبر ولاجل هذا السياق ذكر البخاري والبيهقي هذه
الغزوة بعد الحديبية وقبل خيبر وهو اشبه مما ذكره ابن اسحاق والله اعلم فينبغي تاخيرها
الى سنة سبع من الهجرة لان خيبر كانت في صفر منها واما قصة المراة التي نجت على ناقة
النبي صلى الله عليه وسلم ونذرت نحرها لنجاتها عليها فقد اوردها ابن اسحاق برواية
عن ابي الزبير عن الحسن البصري مرسلا وقد جاءت متصلة من وجوه اخر قال الامام احمد
حدثنا عفان ثنا حماد بن زيد ثنا ايوب عن ابي قلابة عن ابي المهلب عن عمران بن حصين
قال كانت العضباء لرجل من بني عقيل وكانت من سوابق الحاج فاخذت العضباء معه قال
فمر به رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في وثاق ورسول الله على حمار عليه قطيفة
فقال يا محمد علام تاخذني وتاخذ سابقة الحاج فقال رسول الله ناخذك بجريرة
حلفائك ثقيف قال وكانت ثقيف قد اسروا رجلين من اصحاب النبي صلى الله عليه
وسلم قال وفيما قال اني مسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو قلتها وانت
تملك امرك افلحت كل الفلاح قال ومضى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا محمد
اني جائع فاطعمني واني ظمآن فاسقني قال فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
هذه حاجتك ثم فدي بالرجلين وحبس رسول الله صلى الله عليه وسلم العضباء
لرحله قال ثم ان المشركين اغاروا على سرح المدينة فذهبوا بها وكانت العضباء فيه قال
واسروا امراة من المسلمين قال وكانوا اذا نزلوا اراحوا ابلهم بافنيتهم قال فقامت
المراة ذات ليلة بعدما نوموا فجعلت كلما اتت على بعير رغا حتى اتت على العضباء فاتت

على ناقة ذلول مجرّسة فركبتها ثم وجّهتها قِبَل المدينة قال ونذرت ان الله انجاها عليها لتنحرنّها فلما قدمت المدينة عُرِفت الناقة فقيل ناقة رسول الله قال واخبر رسول الله بنذرها او اتته فاخبرته فقال بئسما جزيتها او بئسما جزيتها ان الله نجّاها عليها لتنحرنها قال ثم قال رسول الله لا وفاء لنذر في معصية الله ولا فيما لا يملك ابن آدم رواه مسلم عن ابي الربيع الزهراني عن حماد بن زيد به قال ابن اسحاق وكان مما قيل من الاشعار في غزوة ذي قرد قول حسان بن ثابت رضي الله عنه

لولا الذي لاقت ومسّ نسورها … بجنوب ساية امس في التقواد
للقينكم يحملن كل مدجج … حامي الحقيقة ماجد الاجداد
ولسرّ اولاد اللقيطة اننا … سلم غداة فوارس المقداد
كنا ثمانية وكانوا جحفلا … لجبا فشُكّوا بالرماح بداد
كنا من القوم الذين يلونهم … ويقدّمون عنان كل جواد
كلا ورب الراقصات الى منى … يقطعن عرض مخارم الاطواد
حتى نبيل الخيل في عرصاتكم … ونؤوب بالملكات والاولاد
رهوا بكل مقلّص وطمرّة … في كل معترك عطفن وواد
افنى دوابرها ولاح متونها … يوم تقاد به ويوم طراد
فكذاك ان جيادنا ملبونة … والحرب مشعلة بريح غواد
وسيوفنا بيض الحدائد تجتلي … جنن الحديد وهامة المرتاد
اخذ الاله عليهم لحرامه … ولعزة الرحمن بالاسداد
كانوا بدار ناعمين فبدّلوا … ايام ذي قرد وجوه عباد

قال ابن اسحاق فغضب سعد بن زيد امير سرية الفوارس المقدمين امام رسول الله على حسان وحلف لا يكلمه ابدا وقال انطلق الى خيلي فجعلها للمقداد فاعتذر اليه حسان بانه وافق الروي اسم المقداد ثم قال ابياتا يمتدح بها سعد بن زيد

اذا اردتم الاشدّ الجلدا … او ذا غناء فعليكم سعدا
سعد بن زيد لا يُهدّ هدّا … قال فلم يقع منه موقعا

وقال حسان بن ثابت في يوم ذي قرد

اظن عيينة اذ زارها … بان سوف يهدم فيها قصورا
فاكذبت ما كنت صدّقته … وقلتم سنغنم امرا كبيرا
فعفت المدينة اذ زرتها … وآنست للاسد فيها زئيرا
وولوا سراعا كشدّ النعام … ولم يكشفوا عن ملطّ حصيرا
امير علينا رسول المليك … احبب بذاك الينا اميرا
رسول نصدّق ما جاءه … ويتلو كتابا مضيئا منيرا

وقال كعب بن مالك في يوم ذي قرد يمدح الفرسان من المسلمين يومئذ

اتحسب اولاد اللقيطة اننا … على الخيل لسنا مثلهم في الفوارس
وانا اناس لا نرى القتل سبّة … ولا ننثني عند الرماح المداعس
وانا لنقري الضيف من قمع الذرى … ونضرب راس الابلج المتشاوس

نردّ كماة المعلمين اذا انتخوا … بضرب يسلّي نخوة المتقاعس
بكل فتى حامي الحقيقة ماجد … كريم كسرحان الغضاة مخالس
يذودون عن احسابهم وبلادهم … ببيض تقدّ الهام تحت القوانس
فسائل بني بدر اذا ما لقيتهم … بما فعل الاخوان يوم التمارس
اذا ما خرجتم فاصدقوا من لقيتم … ولا تكتموا اخباركم في المجالس
وقولوا زللنا عن مخالب خادر … به وحر في الصدر ما لم يمارس

غزوة بني المصطلق من خزاعة

قال البخاري وهي غزوة المريسيع قال ابن اسحاق وذلك في سنة ست وقال موسى بن عقبة سنة اربع وقال النعمان بن راشد عن الزهري كان حديث الافك في غزوة المريسيع هكذا حكاه البخاري عن مغازي موسى بن عقبة انها كانت في سنة اربع والذي حكاه البيهقي عنه وعن عروة انها كانت في شعبان سنة خمس وقال الواقدي كانت لليلتين من شعبان سنة خمس في سبعمائة من اصحابه وقال محمد بن اسحاق بن يسار بعد ما اورد قصة ذي قرد فاقام رسول الله بالمدينة بعض جمادى الآخرة ورجبا ثم غزا بني المصطلق من خزاعة في شعبان سنة ست قال ابن هشام واستعمل على المدينة ابا ذر الغفاري ويقال نميلة بن عبد الله الليثي قال ابن اسحاق فحدثني عاصم بن عمر بن قتادة وعبد الله بن ابي بكر ومحمد بن يحيى بن حبان كل قد حدثني بعض حديث بني المصطلق قالوا بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم ان بني المصطلق يجمعون له وقائدهم الحرث بن ابي ضرار ابو جويرية بنت الحرث التي تزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد هذا فلما سمع بهم خرج اليهم حتى لقيهم على ماء من مياههم يقال له المريسيع من ناحية قديد الى الساحل فتزاحف الناس واقتتلوا فهزم الله بني المصطلق وقتل من قتل منهم ونفّل رسول الله ابناءهم ونساءهم واموالهم فافاءها عليه وقال الواقدي خرج رسول الله لليلتين خلتا من شعبان سنة خمس من الهجرة في سبعمائة من اصحابه الى بني المصطلق وكانوا حلفاء بني مدلج فلما انتهى اليهم دفع راية المهاجرين الى ابي بكر الصديق ويقال الى عمار بن ياسر وراية الانصار الى سعد بن عبادة ثم امر عمر بن الخطاب فنادى في الناس ان قولوا لا اله الا الله تمنعوا بها انفسكم واموالكم فابوا فتراموا بالنبل ثم امر رسول الله المسلمين فحملوا حملة رجل واحد فما افلت منهم رجل واحد وقتل منهم عشرة واسر سائرهم ولم يقتل من المسلمين الا رجل واحد وثبت في الصحيحين من حديث عبد الله بن عون قال كتبت الى نافع اسأله عن الدعاء قبل القتال فقال قد اغار رسول الله على بني المصطلق وهم غارّون وانعامهم تسقى على الماء فقتل مقاتلتهم وسبى سبيهم قال فاصاب يومئذ احسبه قال جويرية بنت الحرث واخبرني عبد الله بن عمر بذلك وكان في ذلك الجيش قال ابن اسحاق وقد اصيب رجل من المسلمين يقال له هشام بن صبابة الليثي اصابه رجل من الانصار وهو يرى انه من العدو فقتله خطأ وذكر ابن اسحاق ان اخاه مقيس بن صبابة قدم من مكة مظهرا الاسلام فطلب دية اخيه هشام من رسول الله لانه قتل خطأ فاعطاه ديته ثم مكث يسيرا ثم عدا على قاتل اخيه فقتله ورجع الى مكة وقال في ذلك

شفى النفس ان قد بات بالقاع … مسندا تضرّج ثوبيه دماء الاخادع

وكانت هموم النفس من قبل قتله • تلم فتحميني وطاء المضاجع •
حللت به وتري وادركت ثورتي • وكنت الى الاوثان اول راجع •
ثأرت به فهرا وحملت عقله • سراة بني النجار ارباب فارع •

ولهذا كان مقيس هذا من الاربعة الذين اهدر رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الفتح دماءهم وان وجدوا متعلقين باستار الكعبة قال ابن اسحاق فبينا الناس على ذلك الماء وردت واردة الناس ومع عمر بن الخطاب اجير له من بني غفار يقال له جهجاه بن مسعود يقود فرسه فازدحم جهجاه وسنان بن وبر الجهني حليف بني عوف بالخزرج على الماء فاقتتلا فصرخ الجهني يا معشر الانصار وصرخ جهجاه يا معشر المهاجرين فغضب عبد الله بن ابي بن سلول وعنده رهط من قومه فيهم زيد بن ارقم غلام حدث فقال اوقد فعلوها قد نافرونا وكاثرونا في بلادنا والله ما اعدنا وجلابيب قريش هذه الا كما قال الاول سمن كلبك ياكلك اما والله لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل ثم اقبل على من حضره من قومه فقال هذا ما فعلتم بانفسكم احللتموهم بلادكم وقاسمتموهم اموالكم اما والله لو امسكتم عنهم ما بايديكم لتحولوا الى غير داركم فسمع ذلك زيد بن ارقم فمشى به الى رسول الله من عدوه فاخبره الخبر وعنده عمر بن الخطاب فقال مر به عباد بن بشر فليقتله فقال رسول الله فكيف يا عمر اذا تحدث الناس ان محمدا يقتل اصحابه لا ولكن اذن بالرحيل وذلك في ساعة لم يكن رسول الله يرتحل فيها فارتحل الناس وقد مشى عبد الله بن ابي بن سلول الى رسول الله حين بلغه ان زيد بن ارقم قد بلغه ما سمع منه فحلف بالله ما قلت ما قال ولا تكلمت به وكان في قومه شريفا عظيما فقال من حضر رسول الله من الانصار من اصحابه يا رسول الله عسى ان يكون الغلام اوهم في حديثه ولم يحفظ ما قال الرجل حدبا على ابن ابي ودفعا عنه فلما استقل رسول الله وسار لقيه اسيد بن حضير فحياه بتحية النبوة وسلم عليه فقال يا رسول الله والله لقد رحت في ساعة منكرة ما كنت تروح في مثلها فقال له رسول الله او ما بلغك ما قال صاحبكم قال اي صاحب يا رسول الله قال عبد الله بن ابي قال وما قال قال يعني زعم انه ان رجع الى المدينة اخرج الاعز منها الاذل قال فانت والله يا رسول الله تخرجه ان شئت هو والله الذليل وانت العزيز ثم قال يا رسول الله ارفق به فوالله لقد جاء الله بك وان قومه لينظمون له الخرز ليتوجوه فانه ليرى انك قد استلبته ملكا ثم مشى رسول الله بالناس يومهم حتى امسى وليلتهم حتى اصبح وصدر يومهم ذلك حتى آذتهم الشمس ثم نزل بالناس فلم يلبثوا ان وجدوا مس الارض فوقعوا نياما وانما فعل ذلك ليشغل الناس عن الحديث الذي كان بالامس من حديث عبد الله بن ابي ثم راح رسول الله بالناس وسلك الحجاز حتى نزل على ماء بالحجاز فويق النقيع يقال له بقعاء فلما راح رسول الله عليه هبت على الناس ريح شديدة فآذتهم وتخوفوها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تخوفوها فانما هبت لموت عظيم من عظماء الكفار فلما قدموا وجدوا رفاعة بن زيد بن التابوت احد بني قينقاع قد اظهر الاسلام وكان من عظماء يهود وكهفا للمنافقين مات ذلك اليوم وهكذا ذكر موسى بن عقبة والواقدي وعن مسلم من طريق الاعمش عن ابي سفيان عن جابر نحو هذه القصة الا انه لم يسم الذي مات من المنافقين قال هبت ريح شديدة والنبي صلى الله عليه وسلم في بعض اسفاره فقال هذه لموت منافق فلما قدمنا المدينة اذا هو مات عظيم من عظماء

المنافقين قال ابن اسحاق ونزلت السورة التي فيها ذكر المنافقين فاخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم باذن زيد بن ارقم وقال هذا الذي اوفى لله باذنه قلت وقد تكلمنا على تفسيرها بتمامها في كتابنا التفسير بما فيه كفاية عن اعادته ههنا وسردنا طرق هذا الحديث عن زيد بن ارقم فمن اراد الوقوف عليه او احب ان يكتبه ههنا فليطلبه من هناك وبالله التوفيق قال ابن اسحاق حدثني عاصم بن عمر بن قتادة ان عبد الله بن عبد الله بن ابي اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله انه بلغني انك تريد قتل عبد الله بن ابي فيما بلغك عنه فان كنت فاعلا فمر لي به فانا احمل اليك راسه فوالله لقد علمت الخزرج ما كان بها من رجل ابر بوالده مني اني اخشى ان تامر غيري فيقتله فلا تدعني نفسي انظر الى قاتل عبد الله بن ابي يمشي في الناس فاقتله فاقتل مؤمنا بكافر فادخل النار فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بل نترفق به ونحسن صحبته ما بقي معنا وجعل بعد ذلك اذا احدث الحدث كان قومه هم الذين يعاتبونه وياخذونه فقال رسول الله لعمر بن الخطاب حين بلغه ذلك من شانهم كيف ترى يا عمر اما والله لو قتلته يوم قلت لي اقتله لارعدت له آنف لو امرتها اليوم بقتله لقتلته فقال عمر قد والله علمت لامر رسول الله اعظم بركة من امري وقد ذكر عكرمة وابن زيد وغيرهما ان ابنه عبد الله رضي الله عنه وقف لابيه عبد الله بن ابي بن سلول عند مضيق المدينة فقال قف فوالله لا تدخلها حتى ياذن رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك فلما جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم استاذنه في ذلك فاذن له فارسله حتى دخل المدينة قال ابن اسحاق واصيب يومئذ من بني المصطلق ناس وقتل علي بن ابي طالب منهم رجلين مالكا وابنه قال ابن هشام وكان شعار المسلمين يومئذ يا منصور امت امت قال ابن اسحاق وكان رسول الله اصاب منهم سبيا كثيرا وشاء فقسمه في المسلمين وقال البخاري ثنا قتيبة بن سعيد اخبرني اسماعيل بن جعفر عن ربيعة بن ابي عبد الرحمن عن محمد بن يحيى بن حبان عن ابن محيريز انه قال دخلت المسجد فرايت ابا سعيد الخدري فجلست اليه فسالته عن العزل فقال ابو سعيد خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة بني المصطلق فاصبنا سبيا من سبي العرب فاشتهينا النساء واشتدت علينا العزبة واحببنا العزل فقلنا نعزل ورسول الله بين اظهرنا قبل ان نساله فسالناه عن ذلك فقال ما عليكم ان لا تفعلوا ما من نسمة كائنة الى يوم القيامة الا وهي كائنة هكذا رواه قال ابن اسحاق وكان فيمن اصيب يومئذ من السبايا جويرية بنت الحارث بن ابي ضرار فحدثني محمد بن جعفر بن الزبير عن عروة عن عائشة قالت لما قسم رسول الله سبايا بني المصطلق وقعت جويرية بنت الحارث في السهم لثابت بن قيس بن الشماس او لابن عم له فكاتبته على نفسها وكانت امراة حلوة ملاحة لا يراها احد الا اخذت بنفسه فاتت رسول الله صلى الله عليه وسلم تستعينه في كتابتها قالت فوالله ما هو الا ان رايتها على باب حجرتي فكرهتها وعرفت انه سيرى منها ما رايت فدخلت عليه فقالت يا رسول الله انا جويرية بنت الحارث بن ابي ضرار سيد قومه وقد اصابني من البلاء ما لم يخف عليك فوقعت في السهم لثابت بن قيس بن شماس او لابن عم له فكاتبته على نفسي فجئتك استعينك على كتابتي قال فهل لك في خير من ذلك قالت وما هو يا رسول الله قال اقضي كتابتك واتزوجك قالت نعم يا رسول الله قد فعلت قالت وخرج الخبر الى الناس ان رسول الله قد تزوج جويرية

بنت الحارث فقال الناس اصهار رسول الله صلى الله عليه وسلم فارسلوا ما بايديهم قالت
فلقد اعتق بتزويجه اياها مائة اهل بيت من بني المصطلق فما اعلم امراة كانت اعظم
بركة على قومها منها ثم ذكر ابن اسحاق قصة الافك بتمامها في هذه الغزوة وكذلك البخاري
وغير واحد من اهل العلم وقد حررت طرق ذلك كله في تفسير سورة النور فليحول بكماله الى ههنا منا
وبالله المستعان وقال الواقدي ثنا حرام عن هشام بن عروة عن ابيه قال قالت جويرية
بنت الحارث رايت قبل قدوم النبي صلى الله عليه وسلم بثلاث ليال كان القمر يسير من يثرب
حتى وقع في حجري فكرهت ان اخبر بها احدا من الناس حتى قدم رسول الله فلما سبينا رجوت
الرؤيا قالت فاعتقني رسول الله وتزوجني والله ما كلمته في قومي حتى كان المسلمون هم الذين
ارسلوهم وما شعرت الا بجارية من بنات عمي تخبرني الخبر فحمدت الله تعالى وقال الواقدي
ويقال ان رسول الله جعل صداقها عتق كل اسير من بني المصطلق ويقال جعل صداقها عتق
اربعين من بني المصطلق وذكر موسى بن عقبة عن بعض بني المصطلق ان اباها طلبها وافتداها
ثم خطبها منه رسول الله صلى الله عليه وسلم فزوجه اياها

وهذا سياق محمد بن اسحاق لحديث الافك

قال ابن اسحاق حدثني الزهري عن علقمة بن وقاص وسعيد بن المسيب وعروة بن الزبير
وعبيد الله بن عبد الله بن عتبة قال الزهري كل قد حدثني بعض الحديث وبعض القوم
كان اوعى له من بعض وقد جمعت لك الذي حدثني القوم قال ابن اسحاق وحدثني يحيى بن عباد
بن عبد الله بن الزبير عن ابيه عن عائشة وعبد الله بن ابي بكر عن عمرة عن عائشة عن نفسها
حين قال فيها اهل الافك ما قالوا فكل قد دخل في حديثها عن هؤلاء جميعا يحدث بعضهم
ما لم يحدث صاحبه وكل كان عنها ثقة فكلهم حدث عنها بما سمع قالت كان رسول الله
صلى الله عليه وسلم اذا اراد سفرا اقرع بين نسائه فايتهن خرج سهمها خرج بها معه
فلما كان غزوة بني المصطلق اقرع بين نسائه كما كان يصنع فخرج سهمي عليهن معه فخرج بي
رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت وكان النساء اذ ذاك انما ياكلن العلق لم يهيجهن
اللحم فيثقلن وكنت اذا رحل لي بعيري جلست في هودجي ثم ياتي القوم الذين يرحلون لي
ويحملونني فياخذون باسفل الهودج فيرفعونه فيضعونه على ظهر البعير فيشدونه بحباله
ثم ياخذون براس البعير فينطلقون به قالت فلما فرغ رسول الله من سفره ذلك وجه قافلا
حتى اذا كان قريبا من المدينة نزل منزلا فبات فيه بعض الليل ثم اذن في الناس بالرحيل فارتحل
الناس وخرجت لبعض حاجتي وفي عنقي عقد لي فيه جزع ظفار فلما فرغت انسل من عنقي ولا
ادري فلما رجعت الى الرحل ذهبت التمسه في عنقي فلم اجده وقد اخذ الناس في الرحيل فرجعت
الى مكاني الذي ذهبت اليه فالتمسته حتى وجدته وجاء القوم خلافي الذين كانوا يرحلون لي
البعير وقد كانوا فرغوا من رحلته فاخذوا الهودج وهم يظنون اني فيه كما كنت اصنع فاحتملوه
فشدوه على البعير ولم يشكوا اني فيه ثم اخذوا براس البعير فانطلقوا به فرجعت الى العسكر
فما فيه داع ولا مجيب وعرفت ان لو افتقدت لرجع الي قالت فوالله اني لمضطجعة اذ مر
بي صفوان بن المعطل بن رحضة بن خزاعي بن محارب بن مرة بن فالج بن ذكوان بن ثعلبة
بن بهثة بن سليم السلمي ثم الذكواني قال السهيلي وكان يكون على الساقة يلتقط ما يسقط
من متاع المسلمين حتى ياتيهم به فلهذا تاخر بعد الجيش قال وقد قيل انما كان تاخره بسبب

هذه حاشية من هنا ادخلناها لعنا بوبتها

ثقل نومه قلت ويشهد لصحة هذا الحديث الذي رواه ابو داود ان امراته اشتكته الى رسول
الله فقالت يا رسول الله انه ينام عن صلوة الصبح ويضربني اذا صليت ويفطرني اذا
صمت فذكر انه ثقيل النوم وانهم اهل بيت لهم معروف ذلك فقال له رسول الله اذا
استيقظت فصل وذكرت امراته تطويل الصلاة ويقرا فيها بما يقرا به في صلاته وانها
تكثر الصيام وهو شاب فنهى رسول الله ان تصوم المراة وزوجها شاهد الا باذنه الحديث
قال السهيلي وقتل صفوان شهيدا في خلافة معاوية وقد اندقت رجله يوم قتل
فجعل يضرب بها الاقران حتى قتل رضي الله عنه ودفن بالجزيرة بموضع يقال له شمشاط
وقد كان تخلف عن العسكر لبعض حاجته فلم يبت مع الناس فراى سوادي فاقبل حتى وقف علي
وقد كان يراني قبل ان يضرب علينا الحجاب فلما راني قال انا لله وانا اليه راجعون ظعينة
رسول الله صلى الله عليه وسلم وانا متلففة في ثيابي قال ما خلفك يرحمك الله قالت
فما كلمته ثم قرب البعير فقال اركبي واستاخر عني قالت فركبت واخذ براس البعير فانطلق
سريعا يطلب الناس فوالله ما ادركنا الناس وما افتقدت حتى اصبحت ونزل الناس
فلما اطمانوا طلع الرجل يقود بي فقال اهل الافك ما قالوا وارتج العسكر ووالله ما اعلم
بشيء من ذلك ثم قدمنا المدينة فلم البث ان اشتكيت شكوى شديدة لا يبلغني من ذلك
شيء وقد انتهى الحديث الى رسول الله صلى الله عليه وسلم والى ابوي لا يذكرون لي منه قليلا
ولا كثيرا الا اني قد انكرت من رسول الله بعض لطفه بي كنت اذا اشتكيت رحمني ولطف بي فلم
يفعل ذلك في شكوي ذلك فانكرت ذلك منه كان اذا دخل علي وعندي امي تمرضني قال
كيف تيكم لا يزيد على ذلك قالت حتى وجدت في نفسي فقلت يا رسول الله حين رايت ما رايت
من جفائه لي لو اذنت لي فانتقلت الى امي تمرضني قال لا عليك قالت فانتقلت الى
امي ولا علم لي بشيء مما كان حتى نقهت من وجعي بعد بضع وعشرين ليلة وكنا قوما عربا
لا نتخذ في بيوتنا هذه الكنف التي تتخذها الاعاجم نعافها ونكرهها انما كنا نخرج
في فسيح المدينة وانما كانت النساء يخرجن في كل ليلة في حوائجهن فخرجت ليلة لبعض
حاجتي ومعي ام مسطح ابنة ابي رهم بن المطلب بن عبد مناف وكانت امها ابنة صخر بن عامر
بن كعب بن سعد بن تيم خالة ابي بكر الصديق قالت فوالله انها لتمشي معي اذ عثرت
في مرطها فقالت تعس مسطح ومسطح لقب واسمه عوف قالت قلت بئس لعمر الله
ما قلت لرجل من المهاجرين وقد شهد بدرا قالت وما بلغك الخبر يا ابنة ابي بكر قالت
قلت وما الخبر فاخبرتني بالذي كان من قول اهل الافك قالت قلت او قد كان هذا
قالت نعم والله لقد كان قالت فوالله ما قدرت على ان اقضي حاجتي ورجعت
فوالله ما زلت ابكي حتى ظننت ان البكاء سيصدع كبدي قالت وقلت لامي يغفر الله
لك تحدث الناس بما تحدثوا به ولا تذكرين لي من ذلك شيئا قالت اي بنية خففي
عليك الشان فوالله لقل ما كانت امراة حسناء عند رجل يحبها لها ضرائر الا كثرن
وكثر الناس عليها قالت وقد قام رسول الله صلى الله عليه وسلم في الناس يخطبهم
ولا اعلم بذلك فحمد الله واثنى عليه ثم قال ايها الناس ما بال رجال يؤذونني في اهلي
ويقولون عليهم غير الحق والله ما علمت عليهم الا خيرا ويقولون ذلك لرجل والله ما علمت
منه الا خيرا وما يدخل بيتا من بيوتي الا وهو معي قالت وكان كبر ذلك عند عبد الله بن ابي بن

هذا اخر الحاشية ثم يتلوه سياق ابن اسحاق

قال ابو هشام هي ام رومان بنت عبد دهمان احد بني فراس بن غنم بن مالك بن كنانة

سلول في رجال من الخزرج يعني الذي قال ومسطح وحمنة بنت جحش وذلك ان اختها زينب بنت جحش كانت عند رسول الله ولم تكن امراة من نسائه تناصيني في المنزلة عنده غيرها فاما زينب فعصمها الله بدينها فلم تقل الا خيرا واما حمنة فاشاعت من ذلك ما اشاعت تضادني لاختها فشقيت بذلك فلما قال رسول الله تلك المقالة قال اسيد بن الحضير يا رسول الله ان يكونوا من الاوس نكفيكهم وان يكونوا من الخزرج فمرنا امرك فوالله انهم لاهل ان تضرب اعناقهم قالت فقام سعد بن عبادة وكان قبل ذلك يرى رجلا صالحا فقال كذبت لعمر الله لا تضرب اعناقهم اما والله ما قلت هذه المقالة الا انك قد عرفت انهم من الخزرج ولو كانوا من قومك ما قلت هذا فقال اسيد كذبت لعمر الله ولكنك منافق تجادل عن المنافقين قالت وتساور الناس حتى كاد يكون بين هذين الحيين من الاوس والخزرج شر ونزل رسول الله فدخل علي قالت فدعا علي بن ابي طالب واسامة بن زيد فاستشارهما فاما اسامة فاثنى خيرا وقاله ثم قال يا رسول الله اهلك ولا نعلم منهم الا خيرا وهذا الكذب والباطل واما علي فانه قال يا رسول الله ان النساء لكثيرة وانك لقادر على ان تستخلف وسل الجارية فانها ستصدقك فدعا رسول الله بريرة ليسالها قالت فقام اليها علي فضربها ضربا شديدا ويقول اصدقي رسول الله قالت فتقول والله ما اعلم الا خيرا وما كنت اعيب على عايشة الا اني كنت اعجن عجيني وامرها ان تحفظه فتنام عنه فتاتي الشاة فتاكله قالت ثم دخل علي رسول الله وعندي ابواي وعندي امراة من الانصار وانا ابكي وهي تبكي معي فجلس فحمد الله واثنى عليه ثم قال يا عايشة انه قد كان ما قد بلغك من قول الناس فاتقي الله وان كنت قد قارفت سوا مما يقول الناس فتوبي الى الله فان الله يقبل التوبة عن عباده قالت فوالله ان هو الا ان قال لي ذلك فقلص دمعي حتى ما احس منه شيا وانتظرت ابواي ان يجيبا عني رسول الله فلم يتكلما قالت وايم الله لانا كنت احقر في نفسي واصغر من ان ينزل الله في قرانا يقرا به ويصلى به ولكني كنت ارجو ان يرى رسول الله في نومه شيا يكذب به الله عني لما يعلم من براءتي او يخبر خبرا واما قرانا ينزل في فوالله لنفسي كانت احقر عندي من ذلك قالت فلما رايت ابواي يتكلمان قلت لهما الا تجيبان رسول الله فقالا والله ما ندري بما نجيبه قالت والله ما اعلم اهل بيت دخل عليهم ما دخل على ال ابي بكر في تلك الايام قالت فلما ان استعجما علي استعبرت فبكيت ثم قلت والله لا اتوب الى الله مما ذكرت ابدا والله اني لاعلم لين اقررت بما يقول الناس والله يعلم اني منه بريية لاقولن ما لم يكن ولين انكرت ما يقولون لا تصدقوني قالت ثم التمست اسم يعقوب فما اذكره فقلت ولكن ساقول كما قال ابو يوسف فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون قالت فوالله ما برح رسول الله حتى تغشاه من الله ما كان يتغشاه فسجي بثوبه ووضعت وسادة من ادم تحت راسه فاما انا حين رايت من ذلك ما رايت فوالله ما فزعت ولا باليت قد عرفت اني بريية وان الله غير ظالمي واما ابواي فوالذي نفس عايشة بيده ما سري عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى ظننت ليخرجن انفسهما فرقا من ان ياتي من الله تحقيق ما قال الناس قالت ثم سري عن رسول الله فجلس وانه ليتحدر منه مثل الجمان في يوم شات فجعل يمسح العرق عن جبينه ويقول ابشري يا عايشة فقد انزل الله براءتك قلت

بحمد الله

بحمد الله ثم خرج الى الناس فخطبهم وتلا عليهم ما انزل الله عز وجل من القران في ذلك ثم امر بمسطح بن اثاثة وحسان بن ثابت وحمنة بنت جحش وكانوا ممن افصح بالفاحشة فضربوا حدهم وهذا الحديث مخرج في الصحيحين عن الزهري وهذا السياق فيه فوايد جمة وذكر حد القذف لحسان ومن معه رواه ابو داود في سننه قال ابن اسحاق وقد قال قايل من المسلمين في ضرب حسان وصاحبيه قال ابن هشام في ضرب حسان واصحابه

لقد ذاق حسان الذي كان اهله • وحمنة اذ قالوا هجيرا ومسطح •
تعاطوا برجم الغيب زوج نبيهم • وسخطة ذي العرش الكريم فابرحوا •
وآذوا رسول الله فيها فجللوا • مخازي تبقى عمموها وفضحوا •
وصبت عليهم محصدات كانها • شآبيب قطر من ذرى المزن تسفح •

وقد ذكر ابن اسحاق ان حسان بن ثابت قال شعرا يهجو فيه صفوان بن المعطل وجماعة من قريش ممن تخاصم على الماء من اصحاب جهجاه كما تقدم اوله

•
امسى الجلابيب قد عزوا وقد كثروا • وابن الفريعة امسى بيضة البلد •
قد ثكلت امه من كنت صاحبه • او كان منتشبا في برثن الاسد •
ما للقتيل الذي اعدو فاخذه • من دية فيه يعطاها ولا قود •
ما البحر حين تهب الريح شامية • فيغطئل ويرمي العبر بالزبد •
يوما باغلب مني حين تبصرني • ملغيظ افري كفري العارض البرد •
اما قريش فاني لا اسالمهم • حتى ينيبوا من الغيات للرشد •
ويتركوا اللات والعزى بمعزلة • ويسجدوا كلهم للواحد الصمد •
ويشهدوا ان ما قال الرسول لهم • حق فيوفوا بحق الله والوكد •

قال فاعترضه صفوان بن المعطل بالسيف وهو يقول •

تلق ذباب السيف عني فانني • غلام اذا هوجيت لست بشاعر •

وذكر ان ثابت بن قيس بن شماس اخذ صفوان حين ضرب حسان فشده وثاقا فلقيه عبد الله بن رواحة فقال ما هذا فقال ضرب حسان بالسيف فقال عبد الله هل علم رسول الله بشيء مما صنعت قال لا قال فاطلقه ثم اتوا كلهم رسول الله فقال ابن المعطل يا رسول الله آذاني وهجاني فاحتملني الغضب فضربته فقال رسول الله يا حسان استوهبت على قومي ان هداهم الله ثم قال احسن يا حسان فيما اصابك فقال هي لك يا رسول الله فعوضه منها بيرحا التي تصدق بها ابو طلحة وجارية قبطية يقال لها سيرين جاء منها ابنه عبد الرحمن قال وكانت عايشة تقول سيل عن ابن المعطل فوجد رجلا حصورا ما ياتي النسا ثم قتل بعد ذلك شهيدا رضي الله عنه قال ابن اسحاق وقال حسان يعتذر من الذي كان قال في شان عايشة

• •
حصان رزان ما تزن بريبة • وتصبح غرثى من لحوم الغوافل •
عقيلة حي من لوي بن غالب • كرام المساعي مجدهم غير زايل •
مهذبة قد طيب الله خيمها • وطهرها من كل سوء وباطل •
فان كنت قد قلت الذي زعمتم • فلا رفعت سوطي الي انامل •
وكيف وودي ما حييت ونصرتي • لال رسول الله زين المحافل •

له رتب عال على الناس كلهم • تقاصر عنه سورة المتطاول •

فان الذي قد قيل ليس بلائط • ولكنه قول امرئ بي ماحل •

اي ليس بلائق

وقد زاد يونس بن بكير في روايته عن ابن اسحاق قبل البيت الاول •

رأيتك وليغفر لك الله حرة • من المحصنات غير ذات غوائل •

حصان رزان ما تزن بريبة • وتصبح غرثى من لحوم الغوافل •

وان الذي قد قيل ليس بلائق • بك الدهر بل قيل امرئ متماحل •

فان كنت اهجوكم كما قد بلغتكم • فلا رفعت سوطي الي اناملي •

فكيف وودي ما حييت ونصرتي • لآل رسول الله زين المحافل •

وان لهم عزا يرى الناس دونه • قصارا وطال العز كل التطاول •

وليكتب هاهنا الآيات من سورة النور وهي من قوله تعالى ان الذين جاءوا بالافك عصبة منكم الى قوله لهم مغفرة ورزق كريم وما اوردناه هناك من الاحاديث والطرق والآثار عن السلف والخلف وبالله التوفيق

غزوة الحديبية وقد كانت في ذي القعدة سنة ست بلا خلاف

وممن نص على ذلك الزهري ونافع مولى ابن عمر وقتادة وموسى بن عقبة ومحمد بن اسحاق بن يسار وغيرهم وهو الذي رواه ابن لهيعة عن ابي الاسود عن عروة انها كانت في ذي القعدة سنة ست وقال يعقوب بن سفيان ثنا اسماعيل بن الخليل عن علي بن مسهر اخبرني هشام بن عروة عن ابيه قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الحديبية في رمضان وكانت الحديبية في شوال وهذا غريب جدا عن عروة وقد روى البخاري ومسلم جميعا عن هدبة عن همام عن قتادة ان انس بن مالك اخبره ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اعتمر اربع عمر كلهن في ذي القعدة الا العمرة التي مع حجته عمرة من الحديبية في ذي القعدة وعمرة من العام المقبل في ذي القعدة وعمرة من الجعرانة في ذي القعدة حيث قسم غنائم حنين وعمرة مع حجته وهذا لفظ البخاري وقال ابن اسحاق ثم اقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة رمضان وشوالا وخرج في ذي القعدة معتمرا لا يريد حربا قال ابن هشام واستعمل على المدينة نميلة بن عبد الله الليثي قال ابن اسحاق واستنفر العرب ومن حوله من اهل البوادي من الاعراب ليخرجوا معه وهو يخشى من قريش الذي صنعوا ان يعرضوا له بحرب او يصدوه عن البيت فابطأ عليه كثير من الاعراب وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم بمن معه من المهاجرين والانصار ومن لحق به من العرب وساق معه الهدي واحرم بالعمرة ليأمن الناس من حربه وليعلم الناس انما خرج زائرا لهذا البيت ومعظما له قال ابن اسحاق وحدثني محمد بن مسلم بن شهاب الزهري عن عروة بن الزبير عن المسور بن مخرمة ومروان بن الحكم انهما حدثاه قالا خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الحديبية يريد زيارة البيت لا يريد قتالا وساق معه الهدي سبعين بدنة وكان الناس سبعمائة رجل فكانت كل بدنة عن عشرة نفر وكان جابر بن عبد الله فيما بلغني يقول كنا اصحاب الحديبية اربع عشرة مائة قال الزهري وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى اذا كان بعسفان لقيه بشر بن سفيان الكعبي فقال يا رسول الله هذه قريش قد سمعت بمسيرك فخرجوا معهم العوذ المطافيل قد لبسوا جلود النمور وقد نزلوا بذي طوى يعاهدون الله لا يدخلها عليهم ابدا وهذا

خالد بن الوليد في خيلهم قد قدموها الى كراع الغميم قال فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا ويح قريش لقد اكلتهم الحرب ماذا عليهم لو خلوا بيني وبين سائر العرب فان هم اصابوني كان ذلك الذي ارادوا وان اظهرني الله عليهم دخلوا في الاسلام وافرين وان لم يفعلوا قاتلوا وبهم قوة فما تظن قريش فوالله لا ازال اجاهد على الذي بعثني الله به حتى يظهره الله او تنفرد هذه السالفة ثم قال من رجل يخرج بنا على طريق غير طريقهم التي هم بها قال ابن اسحاق فحدثني عبد الله بن ابي بكر ان رجلا من اسلم قال انا يا رسول الله قال فسلك بهم طريقا وعرا اجرل بين شعاب فلما خرجوا منه وقد شق ذلك على المسلمين فافضوا الى ارض سهلة عند منقطع الوادي قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قولوا نستغفر الله ونتوب اليه فقالوا ذلك فقال والله انها للحطة التي عرضت على بني اسرائيل فلم يقولوها قال ابن شهاب فامر رسول الله صلى الله عليه وسلم يعني الناس فقال اسلكوا ذات اليمين بين ظهري الحمض في طريق تخرجه على ثنية المرار مهبط الحديبية من اسفل مكة قال فسلك الجيش ذلك الطريق فلما رأت خيل قريش قترة الجيش قد خالفوا عن طريقهم ركضوا راجعين الى قريش وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى اذا سلك في ثنية المرار بركت ناقته فقالت الناس خلأت فقال ما خلأت وما هو لها بخلق ولكن حبسها حابس الفيل عن مكة لا تدعوني قريش اليوم الى خطة يسألوني فيها صلة الرحم الا اعطيتهم اياها ثم قال للناس انزلوا قيل له يا رسول الله ما بالوادي ماء ننزل عليه فاخرج سهما من كنانته فاعطاه رجلا من اصحابه فنزل في قليب من تلك القلب فغرزه في جوفه فجاش بالرواء حتى ضرب الناس عنه بعطن قال ابن اسحاق فحدثني بعض اهل العلم عن رجال من اسلم ان الذي نزل في القليب بسهم رسول الله ناجية بن جندب سائق بدن رسول الله فالله اعلم اي ذلك كان ثم استشهد ابن اسحاق للاول بان جارية جاءت البئر وناجية في اسفله يميح فقالت

يا ايها المائح دلوي دونكا • اني رأيت الناس يحمدونكا •

يثنون خيرا ويمجدونكا • فاجابها فقال •

قد علمت جارية يمانية • اني انا المائح واسمي ناجية •

وطعنة ذات رشاش واهية • طعنتها عند صدور العادية •

قال الزهري في حديثه فلما اطمأن رسول الله صلى الله عليه وسلم اتاه بديل بن ورقاء في رجال من خزاعة فكلموه وسألوه ما الذي جاء به فاخبرهم انه لم يأت يريد حربا وانما جاء زائرا للبيت ومعظما لحرمته ثم قال لهم نحوا مما قال لبشر بن سفيان فرجعوا الى قريش فقالوا يا معشر قريش انكم تعجلون على محمد ان محمدا لم يأت لقتال انما جاء زائرا لهذا البيت فاتهموهم وجبهوهم وقالوا وان كان جاء لا يريد قتالا فوالله لا يدخلها علينا عنوة ابدا ولا تحدث بذلك عنا العرب قال الزهري وكانت خزاعة عيبة نصح رسول الله صلى الله عليه وسلم مسلمها ومشركها لا يخفون عليه شيئا كان بمكة قال ثم بعثوا اليه مكرز بن حفص بن الاخيف اخا بني عامر بن لؤي فلما رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم مقبلا قال هذا رجل غادر فلما انتهى الى رسول الله وكلمه قال له رسول الله نحوا مما قال لبديل واصحابه فرجع الى قريش بما قال له رسول الله ثم بعثوا اليه الحليس بن علقمة او ابن زبان وكان يومئذ

سيد الاحابيش وهو احد بني الحرث بن عبد مناة بن كنانة فلما راه رسول الله قال ان هذا
من قوم يتالهون فابعثوا الهدي في وجهه حتى يراه فلما راى الهدي يسيل عليه من عرض الوادي
في قلائده قد اكل اوباره من طول الحبس عن محله رجع الى قريش ولم يصل الى رسول الله اعظاما لما
راى فقال لهم ذلك قال فقالوا له اجلس فانما انت اعرابي لا علم لك قال ابن اسحاق
فحدثني عبد الله بن ابي بكر ان الحليس غضب عند ذلك وقال يا معشر قريش والله ما على
هذا حالفناكم ولا على هذا عاقدناكم ايصد عن بيت الله من جاءه معظما له والذي نفس
الحليس بيده لتخلن بين محمد وبين ما جاء له او لانفرن بالاحابيش نفرة رجل واحد قال فقالوا
له مه كف عنا يا حليس حتى ناخذ لانفسنا ما نرضى به قال الزهري في حديثه ثم بعثوا
الى رسول الله عروة بن مسعود الثقفي فقال يا معشر قريش اني قد رايت ما يلقى منكم من
بعثتموه الى محمد اذا جاءكم من التعنيف وسوء اللفظ وقد عرفتم انكم والد واني ولد وكان
عروة لسبيعة بنت عبد شمس وقد سمعت بالذي نابكم فجمعت من اطاعني من قومي ثم جئتكم
حتى اسيتكم بنفسي قالوا صدقت ما انت عندنا بمتهم فخرج حتى اتى رسول الله فجلس
بين يديه ثم قال يا محمد اجمعت اوشاب الناس ثم جئت بهم الى بيضتك لتفضها بهم
انها قريش قد خرجت معها العوذ المطافيل قد لبسوا جلود النمور يعاهدون الله لا تدخلها
عليهم عنوة ابدا وايم الله لكاني بهؤلاء قد انكشفوا عنك غدا قال وابو بكر الصديق خلف رسول
الله فقال امصص بظر اللات انحن ننكشف عنه قال من هذا يا محمد قال هذا ابن ابي قحافة
قال اما والله لولا يد كانت لك عندي لكافيتك بها ولكن هذه بها قال ثم جعل يتناول
لحية رسول الله وهو يكلمه قال والمغيرة بن شعبة واقف على راس رسول الله صلى الله عليه وسلم
في الحديد قال فجعل يقرع يده اذا تناول لحية رسول الله ويقول اكفف يدك عن وجه
رسول الله قبل ان لا تصل اليك قال فيقول عروة ويحك ما افظك واغلظك قال
فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له عروة من هذا يا محمد قال هذا ابن اخيك
المغيرة بن شعبة قال اي غدر وهل غسلت سوءتك الا بالامس قال ابن هشام اراد عروة
بقوله هذا ان المغيرة قبل اسلامه قتل ثلاثة عشر رجلا من بني مالك من ثقيف فتهايج
الحيان من ثقيف بنو مالك رهط المقتولين والاحلاف رهط المغيرة فودى عروة
المقتولين ثلاث عشرة دية واصلح ذلك الامر قال الزهري فكلمه رسول الله بنحو مما
كلم به اصحابه واخبره انه لم يات يريد حربا فقام من عند رسول الله وقد راى ما يصنع به اصحابه
لا يتوضا الا ابتدروا وضوءه ولا يبصق بصاقا الا ابتدروه ولا يسقط من شعره الا اخذوه
فرجع الى قريش فقال يا معشر قريش اني جئت كسرى في ملكه وقيصر في ملكه والنجاشي في ملكه
واني والله ما رايت ملكا في قوم قط مثل محمد في اصحابه ولقد رايت قوما لا يسلمونه لشيء
ابدا فروا رايكم قال ابن اسحاق وحدثني بعض اهل العلم ان رسول الله دعا خراش بن امية
الخزاعي فبعثه الى قريش بمكة وحمله على بعير له يقال له الثعلب ليبلغ اشرافهم عنه ما جاء له
فعقروا به جمل رسول الله وارادوا قتله فمنعته الاحابيش فخلوا سبيله حتى اتى رسول الله قال
ابن اسحاق وقد حدثني بعض من لا اتهم عن عكرمة ان قريشا كانوا بعثوا اربعين رجلا منهم او خمسين
وامروهم ان يطيفوا بعسكر رسول الله ليصيبوا لهم من اصحابه احدا فاخذوا اخذا فاتي
بهم رسول الله فعفا عنهم وخلى سبيلهم وقد كانوا رموا في عسكر رسول الله بالحجارة والنبل

ثم دعا عمر

ثم دعا عمر بن الخطاب ليبعثه الى مكة فيبلغ عنه اشراف قريش ما جاء له فقال يا رسول الله اني
اخاف قريشا على نفسي وليس بمكة من بني عدي بن كعب من يمنعني وقد عرفت قريش عداوتي
اياها وغلظتي عليها ولكني ادلك على رجل اعز بها مني عثمان بن عفان فدعا رسول الله عثمان بن عفان
فبعثه الى ابي سفيان واشراف قريش يخبرهم انه لم يات لحرب وانما جاء زائرا لهذا البيت ومعظما
لحرمته فخرج عثمان الى مكة فلقيه ابان بن سعيد بن العاص حين دخل مكة او قبل ان يدخلها فحمله
بين يديه ثم اجاره حتى بلغ رسالة رسول الله صلى الله عليه وسلم فانطلق عثمان حتى
اتى ابا سفيان وعظماء قريش فبلغهم عن رسول الله ما ارسله به فقالوا لعثمان حين فرغ من
رسالة رسول الله اليهم ان شئت ان تطوف بالبيت فطف قال ما كنت لافعل حتى يطوف
به رسول الله صلى الله عليه وسلم واحتبسته قريش عندها فبلغ رسول الله صلى الله عليه
وسلم والمسلمين ان عثمان قد قتل قال ابن اسحاق فحدثني عبد الله بن ابي بكر ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم قال حين بلغه ان عثمان قد قتل لا نبرح حتى نناجز القوم ودعا رسول الله
صلى الله عليه وسلم الى البيعة فكانت بيعة الرضوان تحت الشجرة فكان الناس يقولون
بايعهم رسول الله على الموت وكان جابر بن عبد الله يقول ان رسول الله لم يبايعنا على الموت
ولكن بايعنا على ان لا نفر فبايع رسول الله الناس ولم يتخلف عنه احد من المسلمين حضرها
الا الجد بن قيس اخو بني سلمة وكان جابر بن عبد الله يقول والله لكاني انظر اليه لاصقا بابط
ناقته قد صبا اليها يستتر من الناس ثم اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الذي كان
من امر عثمان باطل قال ابن هشام فذكر وكيع عن اسماعيل بن ابي خالد عن الشعبي ان اول من
بايع بيعة الرضوان ابو سنان الاسدي قال ابن هشام وحدثني من اثق به عمن حدثه باسناد
له عن ابن ابي مليكة عن ابن عمر ان رسول الله بايع لعثمان فضرب باحدى يديه على الاخرى
وهذا الحديث الذي ذكره ابن هشام بهذا الاسناد الضعيف ثابت في الصحيحين قال
ابن اسحاق قال الزهري ثم بعثت قريش سهيل بن عمرو اخا بني عامر بن لؤي الى رسول الله وقالوا
ائت محمدا فصالحه ولا يكن في صلحه الا ان يرجع عنا عامه هذا فوالله لا تحدث العرب انه
دخلها علينا عنوة ابدا فاتاه سهيل بن عمرو فلما راه رسول الله مقبلا قال قد اراد القوم
الصلح حين بعثوا هذا الرجل فلما انتهى سهيل الى رسول الله تكلم فاطال الكلام وتراجعا
ثم جرى بينهما الصلح فلما التام الامر ولم يبق الا الكتاب وثب عمر فاتى ابا بكر فقال يا ابا
بكر اليس برسول الله قال بلى قال اولسنا بالمسلمين قال بلى قال اوليسوا بالمشركين
قال بلى قال فعلام نعطي الدنية في ديننا قال ابو بكر يا عمر الزم غرزه فاني اشهد انه رسول
الله قال عمر وانا اشهد انه رسول الله ثم اتى رسول الله فقال يا رسول الله الست برسول
الله قال بلى قال اولسنا بالمسلمين قال بلى قال اوليسوا بالمشركين قال بلى قال فعلام
نعطي الدنية في ديننا فقال انا عبد الله ورسوله لن اخالف امره ولن يضيعني فكان
عمر بن الخطاب يقول ما زلت اصوم واتصدق واصلي واعتق من الذي صنعت يومئذ
مخافة كلامي الذي تكلمت به يومئذ حتى رجوت ان يكون خيرا قال ثم دعا رسول الله علي بن
ابي طالب فقال اكتب بسم الله الرحمن الرحيم قال فقال سهيل لا اعرف هذا ولكن اكتب
باسمك اللهم قال فقال رسول الله اكتب باسمك اللهم فكتبها ثم قال اكتب هذا ما صالح
عليه محمد رسول الله سهيل بن عمرو قال فقال سهيل لو شهدت انك رسول الله

لم اقاتلك ولكن اكتب باسمك واسم ابيك قال فقال رسول الله اكتب هذا ما اصالح عليه
محمد بن عبد الله سهيل بن عمرو واصطلحا على وضع الحرب عن الناس عشر سنين يامن فيهن
الناس ويكف بعضهم عن بعض على انه من اتى محمدا من قريش بغير اذن وليه رده عليهم
ومن جاء قريشا ممن مع محمد لم يردوه عليه وان بيننا عيبة مكفوفة وانه لا اسلال ولا
اغلال وانه من احب ان يدخل في عقد محمد وعهده دخل فيه ومن احب ان يدخل في عقد قريش
وعهدهم دخل فيه فتواثبت خزاعة فقالوا نحن في عقد محمد وعهده وتواثبت بنو بكر
فقالوا نحن في عقد قريش وعهدهم وانك ترجع عنا عامك هذا فلا تدخل علينا مكة وانه
اذا كان عام قابل خرجنا عنك فدخلتها باصحابك فاقمت بها ثلاثا معك سلاح الراكب
السيوف في القرب لا تدخلها بغيرها قال فبينا رسول الله يكتب الكتاب هو وسهيل
بن عمرو اذ جاء ابو جندل بن سهيل بن عمرو يرسف في الحديد قد انفلت الى رسول الله وقد
كان اصحاب رسول الله خرجوا وهم لا يشكون في الفتح لرؤيا راها رسول الله صلى الله عليه وسلم
فلما راوا ما راوا من الصلح والرجوع وما تحمل عليه رسول الله في نفسه دخل الناس من ذلك
امر عظيم حتى كادوا يهلكون فلما راى سهيل ابا جندل قام اليه فضرب وجهه واخذ بتلبيبه
وقال يا محمد قد لجت القضية بيني وبينك قبل ان ياتيك هذا قال صدقت فجعل ينتره
بتلبيبه ويجره ليرده الى قريش وجعل ابو جندل يصرخ باعلى صوته يا معشر المسلمين
اارد الى المشركين يفتنوني في ديني فزاد الناس ذلك الى ما بهم فقال رسول الله يا ابا
جندل اصبر واحتسب فان الله جاعل لك ولمن معك من المستضعفين فرجا ومخرجا
انا قد عقدنا بيننا وبين القوم صلحا واعطيناهم على ذلك واعطونا عهد الله وانا
لا نغدر بهم قال فوثب عمر بن الخطاب مع ابي جندل يمشي الى جنبه ويقول اصبر ابا جندل
فانما هم المشركون وانما دم احدهم دم كلب قال ويدني قائم السيف منه قال يقول عمر رجوت
ان ياخذ السيف فيضرب اباه قال فضن الرجل بابيه ونفذت القضية فلما فرغ رسول
الله من الكتاب اشهد على الصلح رجالا من المسلمين ورجالا من المشركين ابو بكر الصديق
وعمر بن الخطاب وعبد الرحمن بن عوف وعبد الله بن سهيل بن عمرو وسعد بن ابي وقاص
ومحمود بن مسلمة ومكرز بن حفص وهو مشرك وعلي بن ابي طالب وكتب وكان هو كاتب
الصحيفة وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم مضطربا في الحل وكان يصلي في الحرم فلما
فرغ من الصلح قام الى هديه فنحره ثم جلس فحلق راسه وكان الذي حلقه ذلك اليوم خراش
بن امية بن الفضل الخزاعي فلما راى الناس رسول الله قد نحر وحلق تواثبوا ينحرون ويحلقون
قال ابن اسحاق فحدثني عبد الله بن ابي نجيح عن مجاهد عن ابن عباس قال حلق رجال يوم
الحديبية وقصر اخرون فقال رسول الله يرحم الله المحلقين قالوا والمقصرين يا رسول الله
قال يرحم الله المحلقين قالوا والمقصرين يا رسول الله قال يرحم الله المحلقين قالوا والمقصرين
يا رسول الله قال والمقصرين قالوا يا رسول الله فلم ظاهرت الترحيم للمحلقين دون
المقصرين قال لم يشكوا وقال عبد الله بن ابي نجيح حدثني مجاهد عن ابن عباس ان رسول
الله اهدى عام الحديبية في هداياه جملا لابي جهل في راسه برة من فضة ليغيظ بذلك
المشركين هذا سياق محمد بن اسحاق رح لهذه القصة وفي سياق البخاري كما سياتي مخالفة
في بعض الاماكن لهذا السياق كما ستراه ان شا الله وبه الثقة ولنورد ما بتمامها ونذكر ما في

الحديبية

الاحاديث الصحاح والحسان ما فيه شاهد في كل موطن بحسبه ان شا الله تعالى وعليه
التكلان وهو المستعان قال البخاري ثنا خالد بن مخلد ثنا سليمان بن بلال ثنا
صالح بن كيسان عن عبيد الله بن عبد الله عن زيد بن خالد قال خرجنا مع رسول الله
عام الحديبية فاصابنا مطر ذات ليلة فصلى بنا رسول الله الصبح ثم اقبل علينا فقال
اتدرون ماذا قال ربكم فقلنا الله ورسوله اعلم فقال قال الله تعالى اصبح من عبادي
مؤمن بي وكافر بي فاما من قال مطرنا برحمة الله وبرزق الله وبفضل الله فهو مؤمن بي
كافر بالكوكب واما من قال مطرنا بنجم كذا وكذا فهو مؤمن بالكوكب كافر بي وهكذا رواه
في غير موضع من صحيحه ومسلم من طرق عن الزهري وقد روي عن الزهري عن عبيد الله بن عبد
الله عن ابي هريرة وقال البخاري ثنا عبيد الله بن موسى عن اسرائيل عن ابي اسحاق عن
البراء قال تعدون انتم الفتح فتح مكة وقد كان فتح مكة فتحا ونحن نعد الفتح بيعة
الرضوان يوم الحديبية كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم اربع عشرة مية والحديبية
بير فنزحناها فلم نترك فيها قطرة فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فاتاها فجلس على
شفيرها ثم دعا باناء من ماء فتوضا ثم مضمض ودعا ثم صبه فيها فتركناها غير بعيد ثم
انها اصدرتنا ما شينا نحن وركابنا انفرد به البخاري وقال ابن اسحاق في قوله فجعل
من دون ذلك فتحا قريبا صلح الحديبية قال الزهري فما فتح في الاسلام فتح قبله
كان اعظم منه انما كان القتال حيث التقى الناس فلما كانت الهدنة ووضعت الحرب واوزارها
امن الناس كلهم بعضهم بعضا والتقوا فتفاوضوا في الحديث والمنازعة ولم يكلم احد
في الاسلام يعقل شيا الا دخل فيه فلقد دخل في تينك السنتين مثل من كان في الاسلام قبل
ذلك او اكثر قال ابن هشام والدليل على ما قال الزهري ان رسول الله خرج الى الحديبية
في الف واربعماية رجل في قول جابر ثم خرج بعد ذلك بسنتين في عشرة الاف وقال
البخاري حدثنا يوسف بن عيسى ثنا ابن فضيل ثنا حصين عن سالم عن جابر قال
عطش الناس يوم الحديبية ورسول الله بين يديه ركوة فتوضا منها ثم اقبل الناس نحوه
فقال رسول الله ما لكم قالوا يا رسول الله ليس عندنا ما نتوضا به ولا نشرب الا ما في ركوتك
قال فوضع النبي صلى الله عليه وسلم يده في الركوة فجعل الما يفور من بين اصابعه
كامثال العيون قال فشربنا وتوضانا فقلنا لجابر كم كنتم يومئذ قال لو كنا ماية
الف لكفانا كنا خمس عشرة مية وقد رواه البخاري ايضا ومسلم من طرق عن سالم بن
ابي الجعد عن جابر به وقال البخاري ثنا الصلت بن محمد ثنا يزيد بن زريع عن سعيد
عن قتادة قال قلت لسعيد بن المسيب بلغني ان جابر بن عبد الله كان يقول كانوا اربع
عشرة مية فقال لي سعيد حدثني جابر قال كانوا خمس عشرة مية الذين بايعوا رسول
الله يوم الحديبية تابعه ابو داود وحدثنا قرة عن قتادة تفرد به البخاري ثم قال
البخاري ثنا علي بن عبد الله ثنا سفيان ثنا عمرو سمعت جابرا قال قال لنا رسول
الله يوم الحديبية انتم خير اهل الارض وكنا الفا واربعماية ولو كنت ابصر اليوم لاريتكم
مكان الشجرة ورواه البخاري ايضا ومسلم من طرق عن سفيان بن عيينة به وهكذا
رواه الليث بن سعد عن ابي الزبير عن جابر ان عبدا لحاطب جاء يشكوه فقال
يا رسول الله ليدخلن حاطب النار فقال رسول الله كذبت لا يدخلها فانه قد شهد

بن راد الحديبية رواه مسلم وعند مسلم ايضا من طريق ابن جريج اخبرني ابو الزبير انه
سمع جابرا يقول اخبرتني ام بشر انها سمعت رسول الله يقول عند حفصة لا يدخل احد
النار ان شاء الله من اصحاب الشجرة الذين بايعوا تحتها فقالت حفصة بلى يا رسول الله
فانتهرها فقالت حفصة وان منكم الا واردها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم
ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا قال البخاري وقال عبيد الله بن معاذ ثنا ابي
ثنا شعبة عن عمرو بن مرة حدثني عبد الله بن ابي اوفى قال كان اصحاب الشجرة الف وثلثمائة
وكانت اسلم ثمن المهاجرين تابعه محمد بن بشار ثنا ابو داود ثنا شعبة هكذا رواه
البخاري معلقا عن عبيد الله وقد رواه مسلم عن عبيد الله بن معاذ عن ابيه عن
شعبة به وعن محمد بن المثنى عن ابي داود وعن اسحاق بن ابراهيم عن النضر بن شميل كلاهما عن
شعبة به ثم قال البخاري ثنا عبد الله ثنا سفيان عن الزهري عن عروة عن مروان والمسور
بن مخرمة قالا خرج النبي صلى الله عليه وسلم عام الحديبية في بضع عشرة مائة من اصحابه
فلما كان بذي الحليفة قلد الهدي واشعر واحرم منها تفرد به البخاري وسياتي هذا
السياق بتمامه والمقصود ان هذه الروايات كلها تخالف ما ذهب اليه ابن اسحاق من
ان اصحاب الحديبية كانوا سبعمائة وهو والله اعلم انما قال ذلك تفقها من تلقاء نفسه
من حيث ان البدن كن سبعين بدنة وكل منها عن عشرة على اختياره فيكون المهلون
سبعمائة ولا يلزم ان يهدي كلهم ولا ان يحرم كلهم ايضا فقد ثبت ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم بعث طائفة منهم فيهم ابو قتادة ولم يحرم ابو قتادة حتى قتل ذلك الحمار
الوحشي فاكل منه هو واصحابه وحملوا منه الى النبي صلى الله عليه وسلم في اثناء الطريق فقال
منكم احد امره ان يحمل عليها او اشار اليها قالوا لا قال فكلوا ما بقي من لحمها وقد قال
البخاري ثنا سعيد بن الربيع ثنا علي بن المبارك عن يحيى عن عبد الله بن ابي قتادة ان
اباه حدثه قال انطلقنا مع النبي صلى الله عليه وسلم عام الحديبية فاحرم اصحابه
ولم احرم وقال البخاري ثنا محمد بن رافع ثنا شبابة ثنا شعبة عن قتادة عن سعيد
بن المسيب عن ابيه قال لقد رايت الشجرة ثم اتيتها بعد فلم اعرفها احد ثنا موسى ثنا
ابو عوانة ثنا طارق عن سعيد بن المسيب عن ابيه انه كان ممن بايع تحت الشجرة فرجعنا
اليها العام المقبل فعميت علينا وقال البخاري ايضا ثنا محمود ثنا عبيد الله عن اسرائيل
عن طارق بن عبد الرحمن قال انطلقت حاجا فمررت بقوم يصلون قلت ما هذا المسجد
قالوا هذه الشجرة حيث بايع رسول الله بيعة الرضوان فاتيت سعيد بن المسيب فاخبرته
فقال سعيد حدثني ابي انه كان فيمن بايع رسول الله تحت الشجرة قال فلما كان من العام
المقبل نسيناها فلم نقدر عليها ثم قال سعيد ان اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم
لم يعلموها وعلمتموها انتم فانتم اعلم وقد رواه البخاري ومسلم وابي عوانة من سنة عن طارق
وقال البخاري ثنا اسماعيل حدثني اخي عن سليمان عن عمرو بن يحيى عن عباد بن تميم قال
لما كان يوم الحرة والناس يبايعون لعبد الله بن حنظلة فقال ابن زيد على ما يبايع ابن
حنظلة الناس قيل له على الموت قال لا ابايع على ذلك احدا بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم
وكان شهد معه الحديبية وقد رواه البخاري ايضا ومسلم من طرق عن عمرو بن يحيى به
وقال البخاري ثنا قتيبة ثنا حاتم عن يزيد بن ابي عبيد قلت لسلمة بن الاكوع على اي

شيء بايعتم رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الحديبية قال على الموت ورواه مسلم من حديث
يزيد بن ابي عبيد وفي صحيح مسلم عن سلمة انه بايع ثلاث مرات في اول الناس ووسطهم واواخرهم
وفي صحيح مسلم عن معقل بن يسار انه كان اخذا باغصان الشجرة عن وجه رسول الله صلى
الله عليه وسلم وهو يبايع الناس وكان اول من بايع رسول الله يومئذ ابو سنان وهو وهب
بن محصن اخو عكاشة بن محصن وقيل سنان بن ابي سنان وقال البخاري ثنا شجاع بن
الوليد سمع النضر بن محمد ثنا صخر بن الربيع عن نافع قال ان الناس يتحدثون ان ابن
عمر اسلم قبل عمر وليس كذلك ولكن عمر يوم الحديبية ارسل عبد الله الى فرس له عند رجل من
الانصار ان ياتي به ليقاتل عليه ورسول الله صلى الله عليه وسلم يبايع تحت الشجرة فانطلق
به عبد الله حتى بايع رسول الله صلى الله عليه وسلم وهي التي يتحدث الناس ان ابن عمر اسلم
قبل عمر وقال هشام بن عمار ثنا الوليد بن مسلم ثنا عمر بن محمد العمري اخبرني نافع عن ابن
عمر ان الناس كانوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الحديبية تفرقوا في ظلال
الشجر فاذا الناس محدقون بالنبي صلى الله عليه وسلم فقال يا عبد الله انظر ما شان
الناس قد احدقوا برسول الله فوجدهم يبايعون فبايع ثم رجع الى عمر فخرج فبايع تفرد به البخاري
من هذين الوجهين

ذكر سياق البخاري لعمرة الحديبية

قال في كتاب المغازي ثنا عبد الله بن محمد ثنا سفيان سمعت الزهري حين حدث هذا الحديث
حفظت بعضه وثبتني معمر عن عروة بن الزبير عن المسور بن مخرمة ومروان بن الحكم يزيد احدهما
على صاحبه قالا خرج النبي صلى الله عليه وسلم عام الحديبية في بضع عشرة مائة من اصحابه
فلما اتى ذا الحليفة قلد الهدي واشعره واحرم منها بعمرة وبعث عينا له من خزاعة
وسار النبي صلى الله عليه وسلم حتى اذا كان بغدير الاشطاط اتاه عينه قال ان قريشا
جمعوا لك جموعا وقد جمعوا لك الاحابيش وهم مقاتلوك وصادوك عن البيت ومانعوك
فقال اشيروا ايها الناس علي اترون ان اميل الى عيالهم وذراري هؤلاء الذين يريدون
ان يصدونا عن البيت فان ياتونا كان الله قد قطع عينا من المشركين والا تركناهم
محروبين قال ابو بكر يا رسول الله خرجت عامدا لهذا البيت لا تريد قتل احد ولا
حرب احد فتوجه له فمن صدنا عنه قاتلناه قال امضوا على اسم الله هكذا اورده هاهنا
ووقف ولم يزد شيئا على هذا وقال في كتاب الشهادات حدثنا عبد الله بن محمد ثنا
عبد الرزاق انا معمر اخبرني الزهري اخبرني عروة بن الزبير عن المسور بن مخرمة ومروان
الحكم يصدق كل واحد منهما حديث صاحبه قالا خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم زمن
الحديبية حتى اذا كانوا ببعض الطريق قال النبي صلى الله عليه وسلم ان خالد بن الوليد
بالغميم في خيل لقريش طليعة فخذوا ذات اليمين فوالله ما شعر بهم خالد حتى اذا هم بقترة
الجيش فانطلق يركض نذيرا لقريش وسار النبي صلى الله عليه وسلم حتى اذا كان بالثنية
التي يهبط عليهم منها بركت به راحلته فقال الناس حل حل فالحت فقالوا خلات القصواء
فقال النبي صلى الله عليه وسلم وما ذاك لها بخلق ولكن حبسها حابس الفيل ثم قال
والذي نفسي بيده لا يسالوني خطة يعظمون فيها حرمات الله الا اعطيتهم اياها ثم
زجرها فوثبت فعدل عنهم حتى نزل باقصى الحديبية على ثمد قليل الماء يتبرضه الناس

ثبرضا فلم يلبثه الناس حتى نزحوه وشكي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم العطش
فانتزع سهما من كنانته ثم امرهم ان يجعلوه فيه فوالله ما زال يجيش لهم بالري حتى
صدروا عنه فبينما هم كذلك اذ جاء بديل بن ورقاء الخزاعي في نفر من قومه من خزاعة
وكانوا عيبة نصح رسول الله صلى الله عليه وسلم من اهل تهامة فقال اني تركت كعب بن
لوي وعامر بن لوي نزلوا اعداد مياه الحديبية معهم العوذ المطافيل وهم مقاتلوك وصادوك
عن البيت فقال النبي صلى الله عليه وسلم انا لم نجئ لقتال احد ولكنا جئنا معتمرين وان
قريشا قد نهكتهم الحرب واضرت بهم فان شاؤوا ماددتهم مدة ويخلوا بيني وبين الناس فعلوا
والا فقد جموا وان هم ابوا فوالذي نفسي بيده لاقاتلنهم على امري هذا حتى تنفرد سالفتي
او لينفذن الله امره قال بديل سابلغهم ما تقول فانطلق حتى اتى قريشا فقال انا قد
جئناكم من عند هذا الرجل وسمعناه يقول قولا فان شئتم ان نعرضه عليكم فعلنا فقال
سفهاؤهم لا حاجة لنا ان تخبرنا عنه بشيء وقال ذووا الراي منهم هات ما سمعته
يقول قال سمعته يقول كذا وكذا فحدثهم بما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فقام
عروة بن مسعود فقال اي قوم الستم بالوالد قالوا بلى قال او لست بالولد قالوا
قالوا بلى قال فهل تتهموني قالوا لا قال الستم تعلمون اني استنفرت اهل عكاظ فلما
بلحوا علي اي قصروا وتاخروا عن حيثكم باهلي وولدي ومن اطاعني قالوا بلى قال
فان هذا قد عرض لكم خطة رشد اقبلوها ودعوني آتيه فقالوا ائته فاتاه فجعل
يكلم النبي صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم نحوا من قوله
لبديل فقال عروة عند ذلك اي محمد ارايت ان استاصلت امر قومك هل سمعت باحد
من العرب اجتاح اصله قبلك وان تكن الاخرى فاني والله لارى وجوها واني لارى اشوابا
من الناس خليقا ان يفروا ويدعوك فقال له ابو بكر امصص بظر
اللات انحن نفر عنه وندعه قال من ذا قال ابو بكر قال اما والذي نفسي بيده لولا يد
كانت لك عندي لم اجزك بها لاجبتك قال وجعل يكلم النبي صلى الله عليه وسلم
فكلما كلمه اخذ بلحيته والمغيرة بن شعبة قائم على راس رسول الله ومعه السيف وعليه
المغفر فكلما اهوى عروة بيده الى لحية رسول الله ضرب يده بنعل السيف وقال اخر
يدك عن لحية النبي صلى الله عليه وسلم فرفع عروة راسه وقال من هذا فقالوا المغيرة
بن شعبة فقال اي غدر الست اسعى في غدرتك وكان المغيرة بن شعبة صحب قوما في الجاهلية
فقتلهم واخذ اموالهم ثم جاء فاسلم فقال له النبي صلى الله عليه وسلم بعينيه قال
فوالله ما تنخم رسول الله نخامة الا وقعت في كف رجل منهم فدلك بها وجهه وجلده
واذا امرهم ابتدروا امره واذا توضا كادوا يقتتلون على وضوئه واذا تكلم خفضوا
اصواتهم عنده وما يحدون النظر اليه تعظيما له فرجع عروة الى اصحابه فقال
اي قوم والله لقد وفدت على الملوك ووفدت على كسرى وقيصر والنجاشي والله ان رايت
ملكا قط يعظمه اصحابه ما يعظم اصحاب محمد محمدا والله ان تنخم نخامة الا وقعت في كف
رجل منهم فدلك بها وجهه وجلده واذا امرهم ابتدروا امره واذا توضا كادوا يقتتلون
على وضوئه واذا تكلم خفضوا اصواتهم عنده وما يحدون النظر اليه تعظيما له وانه
قد عرض عليكم خطة رشد فاقبلوها فقال رجل من بني كنانة دعوني آتيه فقالوا ائته

حاشيه
اى النوق المرضعات ليتقووا بالبانها

حاشيه
هو حليس بن علقمة

فلما اشرف على النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا
فلان وهو من قوم يعظمون البدن فابعثوها له فبعثت له واستقبله الناس يلبون فلما
راى ذلك قال سبحان الله ما ينبغي لهؤلاء ان يصدوا عن البيت فلما رجع الى اصحابه قال
قد رايت البدن قد قلدت واشعرت فما ارى ان يصدوا عن البيت فقام رجل منهم يقال
له مكرز بن حفص فقال دعوني آتيه فقالوا ائته فلما اشرف عليهم قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم هذا مكرز وهو رجل فاجر فجعل يكلم النبي صلى الله عليه وسلم اذ جاء سهيل
بن عمرو وقال معمر اخبرني ايوب عن عكرمة انه قال لما جاء سهيل بن عمرو قال رسول الله سهل
لكم من امركم قال معمر قال الزهري في حديثه فجاء سهيل فقال هات اكتب بيننا وبينكم
كتابا فدعا النبي صلى الله عليه وسلم الكاتب هو علي بن ابي طالب كما هو مصرح به في الصحيح
فقال النبي صلى الله عليه وسلم اكتب بسم الله الرحمن الرحيم قال سهيل اما الرحمن
فوالله ما ادري ما هو ولكن اكتب باسمك اللهم كما كنت تكتب فقال المسلمون والله لا نكتبها
الا بسم الله الرحمن الرحيم فقال النبي صلى الله عليه وسلم اكتب باسمك اللهم ثم قال
هذا ما قاضى عليه محمد رسول الله فقال سهيل والله لو نعلم انك رسول الله ما صددناك
عن البيت ولا قاتلناك ولكن اكتب محمد بن عبد الله فقال رسول الله والله اني رسول الله
والله اني لرسول الله وان كذبتموني اكتب محمد بن عبد الله وقد وقع في الصحيح ان عليا قال
والله لا امحوك ابدا فاخذ الكتاب فكتب هذا ما قاضى عليه محمد بن عبد الله وقد تكلم الناس
على هذا بكلام طويل وقد ذكرنا طرفا منه عند قوله تعالى وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا
تخطه بيمينك اذا لارتاب المبطلون قال الزهري وذلك لقوله عليه السلام لا يسالوني
خطة يعظمون فيها حرمات الله الا اعطيتهم اياها فقال له النبي صلى الله عليه وسلم على ان
تخلوا بيننا وبين البيت فنطوف به قال سهيل والله لا تتحدث العرب انا اخذنا ضغطة
ولكن ذلك من العام المقبل فكتب فقال سهيل وعلى انه لا ياتيك منا رجل وان كان على دينك الا رددته
الينا فقال المسلمون سبحان الله كيف يرد الى المشركين وقد جاء مسلما وفي بعض السياقات
فقال رسول الله اما من ذهب منا اليهم فابعده الله وبينما هم كذلك اذ جاء ابو جندل
بن سهيل يرسف في قيوده قد خرج من اسفل مكة حتى رمى بنفسه بين اظهر المسلمين فقال سهيل
يا محمد هذا اول ما اقاضيك عليه ان ترده الي فقال النبي صلى الله عليه وسلم انا لم نقض
الكتاب بعد قال فوالله اذا لا اصالحك على شيء ابدا فقال النبي صلى الله عليه وسلم
فاجزه لي قال ما انا بمجيزه لك قال بلى فافعل قال ما انا بفاعل قال مكرز بل قد اجزناه
لك قال ابو جندل اي معشر المسلمين ارد الى المشركين وقد جئت مسلما الا ترون ما قد لقيت
وكان قد عذب عذابا شديدا في الله قال فقال عمر رضي الله عنه فاتيت رسول الله صلى
الله عليه وسلم فقلت الست نبي الله حقا قال بلى قلت السنا على الحق وعدونا على الباطل
قال بلى قلت فلم نعطي الدنية في ديننا اذا قال اني رسول الله ولست اعصيه وهو ناصري
قلت اولست كنت تحدثنا انا سناتي البيت فنطوف به قال بلى فاخبرتك انا ناتيه العام
قلت لا قال فانك آتيه ومطوف به قال فاتيت ابا بكر فقلت يا ابا بكر اليس هذا نبي الله حقا
قال بلى قلت السنا على الحق وعدونا على الباطل قال بلى قلت فلم نعطي الدنية في ديننا اذا
قال ايها الرجل انه رسول الله وليس يعصي ربه وهو ناصره فاستمسك بغرزه فوالله انه على

الحق قلت أوليس كان يحدثنا أنا سنأتي البيت ونطوف به قال بلى فأخبرك أنك تأتيه
العام قلت لا قال فإنك آتيه ومطوف به قال الزهري قال عمر فعملت لذلك أعمالا وهكذا
وقع في رواية البخاري عن سهل بن حنيف أن عمر سأل رسول الله أولا ثم سأل أبا بكر الصديق
وعند ابن إسحاق كما تقدم أنه سأل الصديق أولا ثم ترقى منه إلى رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال شيخنا أبو الحجاج المزي وهو أنسب من هذه الحيثية وفيه فضيلة عظيمة للصديق
على كل تقدير إذ طابق كلامه لكلام رسول الله وجوابه لجوابه قال عمر قال الزهري فلما
فرغ من قضية الكتاب قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأصحابه قوموا فانحروا ثم
احلقوا قال فوالله ما قام منهم رجل حتى قال ذلك ثلاث مرات فلما لم يقم منهم أحد
دخل على أم سلمة فذكر لها ما لقي من الناس قالت أم سلمة يا نبي الله أتحب ذلك اخرج ثم لا
تكلم أحدا منهم كلمة حتى تنحر بدنك وتدعو حالقك فيحلقك فخرج فلم يكلم أحدا منهم
حتى فعل ذلك نحر بدنه ودعا حالقه فحلقه فلما رأوا ذلك قاموا فنحروا وجعل بعضهم
يحلق بعضا حتى كاد بعضهم يقتل بعضا غما ثم جاء نسوة مؤمنات فأنزل الله يا أيها الذين
آمنوا إذا جاءكم المؤمنات مهاجرات حتى بلغ بعصم الكوافر فطلق عمر يومئذ امرأتين كانتا
له في الشرك فتزوج إحداهما معاوية بن أبي سفيان والأخرى صفوان بن أمية وفي رواية
عقيل عن الزهري وهو عند البخاري تعليقا أنهما قريبة بنت أبي أمية تزوجها معاوية
والأخرى بنت جرول تزوجها أبو الجهم وهكذا قال ابن إسحاق قريبة بنت أبي أمية بن المغيرة
تزوجها معاوية والأخرى أم كلثوم بنت جرول الخزاعية وهي أم عبيد الله بن عمر تزوجها
بعده أبو جهم بن حذيفة بن غانم قال ثم رجع النبي صلى الله عليه وسلم إلى المدينة فجاءه
أبو بصير قال ابن إسحاق واسمه عتبة بن أسيد بن جارية الثقفي وهو مسلم فأرسلوا في طلبه
رجلين قال ابن إسحاق أرسل في طلبه الأزهر بن عبد عوف الزهري والأخنس بن شريق
الثقفي بعثا رجلا من بني عامر بن لؤي ومعه مولى لهم ثم ذكر أن الذي قتله أبو بصير هو العامري
وأن المولى هو الذي انفلت فقالوا العهد الذي جعلت لنا فدفعه إلى الرجلين فخرجا به حتى
بلغا ذا الحليفة فنزلوا يأكلون من تمر لهم فقال أبو بصير لأحد الرجلين والله إني لأرى سيفك
هذا يا فلان جيدا فاستله الآخر فقال أجل والله إنه لجيد لقد جربت به ثم جربت فقال
أبو بصير أرني أنظر إليه فأمكنه منه فضربه به حتى برد وفر الآخر حتى أتى المدينة فدخل
المسجد يعدو فقال رسول الله حين رآه لقد لقي هذا ذعرا فلما انتهى إلى النبي صلى الله عليه
وسلم قال قتل والله صاحبي وإني لمقتول فجاء أبو بصير فقال يا نبي الله قد والله أوفى
الله ذمتك قد رددتني إليهم ثم نجاني الله منهم فقال النبي صلى الله عليه وسلم ويل امه مسعر
حرب لو كان له أحد فلما سمع ذلك عرف أنه سيرده إليهم فخرج حتى أتى سيف البحر قال
وتفلت منهم أبو جندل بن سهيل فلحق بأبي بصير فجعل لا يخرج من قريش رجل قد أسلم إلا لحق
بأبي بصير حتى اجتمعت منهم عصابة قال ابن إسحاق قريب من سبعين رجلا فوالله ما يسمعون
بعير خرجت لقريش إلى الشام إلا اعترضوا لها فقتلوهم وأخذوا أموالهم فأرسلت قريش
إلى النبي صلى الله عليه وسلم تناشده الله والرحم لما أرسل إليهم فمن أتاه فهو آمن فأرسل
النبي صلى الله عليه وسلم إليهم فأنزل الله وهو الذي كف أيديهم عنكم وأيديكم عنهم ببطن
مكة حتى بلغ حمية الجاهلية وكانت حميتهم أنهم لم يقروا أنه نبي الله ولم يقروا

ببسم

ببسم الله الرحمن الرحيم وحالوا بينهم وبين البيت فهذا السياق فيه زيادات
وفوائد ليست في رواية ابن إسحاق عن الزهري فقد رواه عن الزهري جماعة منهم سفيان
بن عيينة ومعمر ومحمد بن إسحاق كلهم عن الزهري عن عروة عن مروان ومسور فذكر
القصة وقد رواه البخاري في أول كتاب الشروط عن يحيى بن بكير عن الليث بن سعد عن
عقيل عن الزهري عن عروة عن مروان بن الحكم والمسور بن مخرمة عن أصحاب رسول الله
صلى الله عليه وسلم فذكر القصة وهذا هو الأشبه والظاهر أنهما أخذاه عن الصحابة رضي
الله عنهم أجمعين وقال موسى بن عقبة عن الزهري لما رجع بأبي بصير الرجلان اللذان بعثا
في طلبه وهما جحش بن جابر المنقذي وكان ذا رأي وجلد في المشركين والآخر مولى لهم
فلما كانوا بذي الحليفة سل جحش سيفه ثم هزه فقال لأضربن بسيفي هذا في الأوس
والخزرج يوما إلى الليل فقال له أبو بصير أوصارم سيفك هذا فقال له نعم قال ناولنيه
أنظر إليه فناوله فلما قبض عليه ضربه به حتى برد ويقال بل تناول أبو بصير سيف المنقذي
منه وهو قائم فقطع إساره ثم ضربه به حتى برد قال ابن لهيعة عن أبي الأسود عن عروة
قال موسى عن الزهري وطلب الآخر فجمز مذعورا وذكر أن أبا بصير جاء بسلب ذلك المنقذي
إلى رسول الله فأبى أن يخمسه وقال شأنك به واذهب حيث شئت قال فخرج أبو بصير ومعه
خمسة نفر كانوا قد جاؤا معه مسلمين من مكة ولم يكن طلبهم أحد حتى إذا كانوا بين العيص وذي
المروة من أرض جهينة على طريق عيرات قريش مما يلي سيف البحر لا تمر بهم عير لقريش إلا أخذوها
وقتلوا أصحابها قال وكان أبو بصير يكثر أن يقول ربي العلي الأكبر من ينصر الله فسوف
ينصر ويقع الأمر على ما يقدر قال وانفلت أبو جندل في سبعين رجلا أسلم إلى أبي بصير
واجتمع إليهم ناس من بني غفار وأسلم وجهينة وطوائف من الناس حتى بلغوا ثلثمائة مقاتل
وهم مسلمون وكان الذي يؤمهم في الصلاة أبو جندل بن سهيل قال فبعثت قريش إلى رسول
الله أبا سفيان بن حرب يسألونه أن يمسك من خرج إليهم منه غير حرج ولحق أبو جندل
وأبو بصير وأصحابهما فيما أخذوا من العيرات عير أبي العاص بن الربيع فلما كتب إليهم
رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يردوا ما أخذوا منه ردوه لم يفقدوا منه عقالا ولما
سألت قريش رسول الله أن يردهم إليه كتب إليهم أن يقدموا عليه فقدم الكتاب وأبو
بصير في الموت فلحق كتاب رسول الله فجعله على صدره ومات وهو كذلك فلما مات
دفنه أبو جندل مكانه وبنى عند قبره مسجدا ثم قدم بمن معه إلى رسول الله صلى الله عليه
وسلم فلم يزل أبو جندل يشهد المشاهد حتى توفي رسول الله ثم خرج هو وأبوه إلى
الشام فقتلا في بعض الفتوحات رضي الله عنهما وأرضاهما قال البخاري وكان قد
تأول في الخمر قول الله تعالى ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا إذا
ما اتقوا وآمنوا الآية فكتب فيه أبو عبيدة إلى عمر فأمره بحده وحد صاحبه ضرار بن الخطاب
ثم إنه رجع وأقلع وكاد أن يقنط من التوبة فكتب إليه عمر بأول سورة حم المؤمن فسكنت بذلك
نفسه وكان قد شرب معهما أبو الأزور ولكنه قتل شهيدا قبل أن يحد رضي الله عنهم وقال
البخاري ثنا الحسن بن إسحاق ثنا محمد بن سابق ثنا مالك بن مغول سمعت أبا حصين
قال قال أبو وائل لما قدم سهل بن حنيف من صفين أتيناه نستخبره فقال اتهموا
الرأي فلقد رأيتني يوم أبي جندل ولو أستطيع أن أرد على رسول الله صلى الله عليه وسلم

اره لو رددت والله ورسوله اعلم وما وضعنا اسيافنا على عواتقنا لامر يفظعنا
الا اسهلن بنا الى امر نعرفه قبل هذا الامر ما نسد منها خصما الا انفجر علينا خصم ما ندري
كيف ناتي له وقال البخاري ثنا عبد الله بن يوسف ثنا مالك عن زيد بن اسلم عن ابيه
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يسير في بعض اسفاره وعمر بن الخطاب يسير معه
ليلا فساله عمر بن الخطاب عن شي فلم يجبه رسول الله ثم ساله فلم يجبه ثم ساله فلم يجبه
فقال عمر بن الخطاب ثكلتك امك عمر نزرت رسول الله ثلاث مرات كل ذلك لا يجيبك قال فحركت
بعيري ثم تقدمت امام المسلمين وخشيت ان ينزل في قران فما نشبت ان سمعت
صارخا يصرخ بي قال فقلت لقد خشيت ان يكون نزل في قران فجئت رسول الله فسلمت عليه
فقال لقد انزلت علي الليلة سورة لهي احب الي مما طلعت عليه الشمس ثم قرا انا
فتحنا لك فتحا مبينا قلت وقد تكلمنا على سورة الفتح بكمالها في كتابنا التفسير
بما فيه كفاية ولله الحمد والمنة ومن احب ان يكتب ذلك هاهنا فليفعل

فصل في ذكر السرايا والبعوث التي كانت في سنة ست من الهجرة

وتلخيص ذلك مما اورده الحافظ البيهقي عن الواقدي قال في ربيع الاول منها او الاخر
بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عكاشة بن محصن في اربعين رجلا الى [كذا] فهربوا
منه ونزل على مياههم وبعث في اثارهم واخذ منهم مايتي بعير فاستاقها الى المدينة وفيها
كان بعث ابو عبيدة بن الجراح الى ذي القصة في اربعين رجلا ايضا فساروا ليلتهم مشاة
حتى اتوها في عماية الصبح فهربوا منه في رؤوس الجبال واسر منهم رجلا فقدم به على رسول
الله صلى الله عليه وسلم فاسلم وبعث محمد بن مسلمة في عشرة نفر فكمن القوم لهم حتى ناموا
فقتل اصحاب محمد بن مسلمة كلهم وافلت هو جريحا وفيها كان بعث زيد بن حارثة بالجموم فاصاب
امراة من مزينة يقال لها حليمة فدلتهم على محلة من محال بني سليم فاصابوا فيها نعما وشاء
واسرى فكان فيهم زوج حليمة هذه فوهبها رسول الله صلى الله عليه وسلم لزوجها واطلقهما
وفيها كان بعث زيد بن حارثة ايضا في جمادى الاولى الى بني ثعلبة في خمسة عشر رجلا فهربت
منه الاعراب فاصاب من نعمهم عشرين بعيرا ثم رجع بعد اربع ليال وفيها خرج زيد بن حارثة
في جمادى الاولى الى العيص قال وفيها اخذت الاموال التي كانت مع ابي العاص بن الربيع
فاستجار بزينب بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم فاجارته وقد ذكر ابن اسحاق كما تقدم
قصته حين اخذت العير التي كانت معه وقتل اصحابه وفر من بينهم حتى قدم المدينة
وكانت امراته زينب بنت رسول الله قد هاجرت بعد بدر فلما جاء المدينة استجار بها
فاجارته بعد صلاة الصبح فاجاره لها رسول الله وامر الناس برد ما اخذوا من عيره فردوا كل
شي كانوا اخذوا منه حتى لم يفقد منه شي فلما رجع بها الى مكة وادى الى اهلها ما كان لهم
معه من الودايع اسلم وخرج من مكة راجعا الى المدينة فرد عليه رسول الله صلى الله عليه
وسلم زوجته زينب بالنكاح الاول ولم يحدث نكاحا ولا عقدا كما تقدم بيان ذلك وكان
بين اسلامه وهجرتها ست سنين ويروى سنتين وقد بينا انه لا منافاة بين الروايتين
لان اسلامه تاخر عن وقت تحريم المومنات على الكفار بسنتين وكان اسلامه في سنة
ثمان قبل الفتح لا كما يفهم من كلام الواقدي من انه في سنة ست والله اعلم وذكر الواقدي
في هذه السنة ان دحية بن خليفة اقبل من عند قيصر وقد اجازه باموال وخلع فلما كان

عسى

عسى لقيه ناس من جذام فقطعوا عليه الطريق فلم يتركوا معه شيا فبعث اليهم رسول الله
صلى الله عليه وسلم زيد بن حارثة ايضا رضي الله عنه قال الواقدي حدثني عبد الله
بن جعفر عن يعقوب بن عتبة قال خرج علي في مائة رجل الى فدك الى حي من بني سعد بن بكر وذلك
انه بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لهم جمعا يريدون ان يمدوا يهود خيبر فسار
اليهم بالليل وكمن بالنهار واصاب عينا لهم فاقر له انه بعث الى خيبر يعرض عليهم
نصرهم على ان يجعلوا لهم ثمر خيبر قال الواقدي رحمه الله تعالى وفي سنة ست في شعبان
منها كانت سرية عبد الرحمن بن عوف الى دومة الجندل وقال له رسول الله صلى الله
عليه وسلم ان اطاعوا فتزوج بنت ملكهم فاسلم القوم وتزوج عبد الرحمن بنت
ملكهم تماضر بنت الاصبغ الكلبية وهي ام ابي سلمة بن عبد الرحمن بن عوف قال الواقدي
وفي شوال من سنة ست كانت سرية كرز بن جابر الفهري الى العرنيين الذين قتلوا راعي رسول
الله صلى الله عليه وسلم واستاقوا النعم فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم في اثارهم
كرز بن جابر في عشرين فارسا فردوهم وكان من امرهم ما اخرجه البخاري ومسلم من طريق
سعيد بن ابي عروبة عن قتادة عن انس بن مالك ان رهطا من عكل او عرينة وفي رواية
من عكل وعرينة اتوا رسول الله فقالوا يا رسول الله انا اناس اهل ضرع ولم نكن من اهل ريف
فاستوخموا المدينة فامر لهم رسول الله بذود وراع وامرهم ان يخرجوا فيها فيشربوا من
ابوالها والبانها فانطلقوا حتى اذا كانوا في ناحية الحرة قتلوا راعي رسول الله واستاقوا
الذود وكفروا بعد اسلامهم فبعث النبي صلى الله عليه وسلم في طلبهم فامر بهم فقطع
ايديهم وارجلهم وسمر اعينهم وتركهم في ناحية الحرة حتى ماتوا وهم كذلك قال قتادة
فبلغنا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا خطب بعد ذلك حض على الصدقة
ونهى عن المثلة وهذا الحديث قد رواه جماعة عن قتادة ورواه جماعة عن انس بن مالك
وفي رواية مسلم عن معاوية بن قرة عن انس ان نفرا من عرينة اتوا رسول الله فاسلموا
وبايعوه وقد وقع في المدينة الموم وهو البرسام فقالوا هذا الوجع قد وقع يا رسول الله
فلو اذنت لنا فرجعنا الى الابل قال نعم فاخرجوا فكونوا فيها فخرجوا فقتلوا الراعيين
وذهبوا بالابل وعنده شباب من الانصار قريب من عشرين فارسلهم اليهم وبعث معهم
قائفا يقتص اثرهم فاتي بهم فقطع ايديهم وارجلهم وسمر اعينهم وفي صحيح البخاري
من طريق ايوب عن ابي قلابة عن انس انه قال قدم رهط من عكل فاسلموا واجتووا الارض
فاتوا رسول الله فذكروا له ذلك فقال الحقوا بالابل واشربوا من ابوالها والبانها
قال فذهبوا فكانوا فيها ما شاء الله فقتلوا الراعي واستاقوا الابل فجاء الصريخ الى رسول
الله صلى الله عليه وسلم فارسل في طلبهم فلم ترتفع الشمس حتى اتي بهم فامر بمسامير فاحميت
فكواهم بها وقطع ايديهم وارجلهم والقاهم في الحرة يستسقون فلا يسقون حتى ماتوا
ولم يحسمهم وفي رواية عن انس قال فلقد رايت احدهم يكدم الارض بفيه من العطش
قال ابو قلابة فهولاء قتلوا وسرقوا وكفروا بعد ايمانهم وحاربوا الله ورسوله صلى
الله عليه وسلم وقد روى البيهقي من طريق عثمان بن ابي شيبة عن عبد الرحمن بن سليمان
عن محمد بن عبيد الله عن ابي الزبير عن جابر ان رسول الله لما بعث في اثارهم قال
اللهم عم عليهم الطريق واجعلها عليهم اضيق من مسك جمل قال فعمى الله عليهم السبيل

فادركوا فاتى بهم فقطع ايديهم وارجلهم وسمل اعينهم وفي صحيح مسلم انما سملهم لانهم سملوا اعين الرعاء

فصل فيما وقع من الحوادث في هذه السنة اعني سنة ست من الهجرة فيها

نزل فرض الحج كما قرره الشافعي رح زمن الحديبية في قوله تعالى واتموا الحج والعمرة لله ولهذا ذهب الى ان الحج على التراخي لا على الفور لانه عليه السلام لم يحج الا في سنة عشر وخالفه الثلاثة مالك وابو حنيفة واحمد فعندهم ان الحج يجب على من استطاعه على الفور ومنعوا ان يكون الوجوب مستفادا من قوله واتموا الحج والعمرة لله وانما في هذه الاية الامر بالاتمام بعد الشروع فقط واستدلوا بادلة قد اوردنا كثيرا منها عند تفسير هذه الاية من كتابنا التفسير ولله الحمد والمنة بما فيه كفاية وفي هذه السنة حرمت المسلمات على المشركين تخصيصا لعموم ما وقع به الصلح عام الحديبية على انه لا ياتيك منا احد وان كان على دينك الا رددته علينا فنزل قوله تعالى يا ايها الذين امنوا اذا جاءكم المؤمنات مهاجرات فامتحنوهن الله اعلم بايمانهن فان علمتموهن مؤمنات فلا ترجعوهن الى الكفار لا هن حل لهم ولا هم يحلون لهن الاية وفي هذه السنة كانت غزوة المريسيع التي كان فيها قصة الافك ونزول براءة ام المؤمنين عائشة كما تقدم وفيها كانت عمرة الحديبية وما كان من صد المشركين رسول الله صلى الله عليه وسلم وكيف وقع الصلح بينهم على وضع الحرب عشر سنين يامن فيهن الناس بعضهم بعضا وعلى انه لا اسلال ولا اغلال وقد تقدم كل ذلك مبسوطا في اماكنه ولله الحمد والمنة وولي الحج في هذه السنة المشركون قال الواقدي وفيها في ذي الحجة منها بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم ستة نفر مصطحبين حاطب بن ابي بلتعة الى المقوقس صاحب الاسكندرية وشجاع بن وهب بن اسد بن خزيمة شهد بدرا الى الحارث بن ابي شمر الغساني يعني ملك عرب النصارى بالشام ودحية بن خليفة الكلبي الى قيصر وهو هرقل ملك الروم وعبد الله بن حذافة السهمي الى كسرى ملك الفرس وسليط بن عمرو العامري الى هوذة بن علي الحنفي وعمرو بن امية الضمري الى النجاشي ملك النصارى بالحبشة وهو اصحمة بن ابجر

سنة سبع من الهجرة النبوية غزوة خيبر في اولها

قال شعبة عن الحكم عن عبد الرحمن بن ابي ليلى في قوله واثابهم فتحا قريبا قال خيبر وقال موسى بن عقبة لما رجع رسول الله من الحديبية مكث بالمدينة عشرين يوما او قريبا من عشرين يوما ثم خرج الى خيبر وهي التي وعده الله اياها وحكى موسى عن الزهري ان افتتاح خيبر في سنة ست والصحيح ان ذلك في اول سنة سبع كما قدمنا قال ابن اسحاق ثم اقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة حين رجع من الحديبية ذا الحجة وبعض المحرم ثم خرج في بقية المحرم الى خيبر وقال يونس بن بكير عن محمد بن اسحاق عن الزهري عن عروة عن عائشة والمسور قالا انصرف رسول الله عام الحديبية فنزلت عليه سورة الفتح بين مكة والمدينة فقدم المدينة في ذي الحجة فاقام بها حتى سار الى خيبر في المحرم فنزل بالرجيع واد بين خيبر وغطفان فتخوف ان يمدهم غطفان فبات به حتى اصبح فغدا اليهم قال البيهقي وبمعناه رواه الواقدي عن شيوخه في خروجه في اول سنة سبع من الهجرة وقال عبد الله بن ادريس عن ابن اسحاق حدثني عبد الله بن ابي بكر قال كان افتتاح خيبر

في عقب المحرم وقدم النبي صلى الله عليه وسلم في اخر صفر قال ابن هشام واستعمل على المدينة نميلة بن عبد الله الليثي وقد قال الامام احمد ثنا عفان ثنا وهيب ثنا خثيم يعني ابن عراك عن ابيه ان ابا هريرة قدم المدينة في رهط من قومه والنبي صلى الله عليه وسلم بخيبر وقد استخلف سباع بن عرفطة يعني الغفاري على المدينة قال فانتهيت اليه وهو يقرا في صلاة الصبح في الركعة الاولى بكهيعص وفي الثانية ويل للمطففين قال فقلت في نفسي ويل لفلان اذا اكتال اكتال بالوافي واذا كال كال بالناقص قال فلما صلى زودنا شيئا حتى اتينا خيبر وقد افتتح النبي صلى الله عليه وسلم خيبر قال فكلم المسلمين فاشركونا في سهامهم وقد رواه البيهقي من حديث سليمان بن حرب عن وهيب عن خثيم بن عراك عن ابيه عن نفر من بني غفار قالوا ان ابا هريرة قدم المدينة فذكره قال ابن اسحاق وكان رسول الله حين خرج من المدينة الى خيبر سلك على عصر فبني له فيها مسجد ثم على الصهباء ثم اقبل بجيشه حتى نزل بواد يقال له الرجيع فنزل بينهم وبين غطفان ليحول بينهم وبين ان يمدوا اهل خيبر وكانوا لهم مظاهرين فبلغني ان غطفان لما سمعوا بذلك جمعوا ثم خرجوا ليظاهروا يهود عليه حتى اذا ساروا منقلة سمعوا خلفهم في اموالهم واهاليهم فخلوا بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين خيبر وقال البخاري حدثنا عبد الله بن مسلمة عن مالك عن يحيى بن سعيد عن بشير بن يسار ان سويد بن النعمان اخبره انه خرج مع رسول الله صلى الله عليه وسلم عام خيبر حتى اذا كانوا بالصهباء وهي من ادنى خيبر صلى العصر ثم دعا بالازواد فلم يؤت الا بالسويق فامر به فثري فاكل واكلنا ثم قام الى المغرب فمضمض ثم صلى ولم يتوضا وقال البخاري ثنا عبد الله بن مسلمة ثنا حاتم بن اسماعيل عن يزيد بن ابي عبيد عن سلمة بن الاكوع قال خرجنا مع رسول الله الى خيبر فسرنا ليلا فقال رجل من القوم لعامر يا عامر الا تسمعنا من هنيهاتك وكان عامر رجلا شاعرا فنزل يحدو بالقوم يقول

اللهم لولا انت ما اهتدينا * ولا تصدقنا ولا صلينا
فاغفر فداء لك ما ابقينا * وثبت الاقدام ان لاقينا
والقين سكينة علينا * انا اذا صيح بنا اتينا
وبالصياح عولوا علينا *

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من هذا السائق قالوا عامر بن الاكوع قال يرحمه الله فقال رجل من القوم وجبت يا نبي الله لولا امتعتنا به فاتينا خيبر فحاصرناهم حتى اصابتنا مخمصة شديدة ثم ان الله فتحها عليهم فلما امسى مساء اليوم التي فتحت عليهم اوقدوا نيرانا كثيرة فقال رسول الله ما هذه النيران على اي شيء توقدون قالوا على لحم قال على اي لحم قالوا لحم الحمر الانسية قال النبي صلى الله عليه وسلم اهريقوها واكسروها فقال رجل يا رسول الله او نهريقها ونغسلها فقال او ذاك فلما تصاف القوم كان سيف عامر قصيرا فتناول به ساق يهودي ليضربه ويرجع ذباب سيفه فاصاب عين ركبة عامر فمات منه فلما قفلوا قال سلمة راني رسول الله وهو اخذ بيدي قال ما لك قلت فداك ابي وامي زعموا ان عامرا حبط عمله قال النبي صلى الله عليه وسلم كذب من قاله ان له لاجرين وجمع بين اصبعيه انه لجاهد مجاهد قل عربي مشى بها مثله ورواه مسلم من حديث حاتم بن اسماعيل وغيره عن يزيد بن ابي عبيد

عن سلمة به نحوه وبردي لنشابها شلة قال السهيلي ويروى فغل عن لي شيء بما مثله يكون منصوبا على الحال بنية من نكرة قال وهو سائغ اذا دلت على تصحيح معنى فصلى ورواه رجال فيا ثما وقد روى ابن اسحاق قصة عامر بن الاكوع من وجه اخر فقال حدثني محمد بن ابراهيم بن الحرث التيمي عن ابي الهيثم بن نصر بن دهر الاسلمي ان اباه حدثه انه سمع رسول الله يقول في مسيره الى خيبر لعامر بن الاكوع وهو عم سلمة بن عمرو بن الاكوع انزل يا ابن الاكوع فخذ لنا من هناتك قال فنزل يرتجز برسول الله صلى الله عليه وسلم فقال

والله لولا الله ما اهتدينا ... ولا تصدقنا ولا صلينا
انا اذا قوم بغوا علينا ... وان ارادوا فتنة ابينا
فانزلن سكينة علينا ... وثبت الاقدام ان لاقينا

فقال رسول الله يرحمك ربك فقال عمر بن الخطاب وجبت يا رسول الله لو امتعتنا به فقتل يوم خيبر شهيدا ثم ذكر صفة قتله كنحو ما ذكره البخاري قال ابن اسحاق وحدثني من لا اتهم عن عطاء بن ابي مروان الاسلمي عن ابيه عن ابي معتب بن عمرو ان رسول الله لما اشرف على خيبر قال لاصحابه وانا فيهم قفوا ثم قال اللهم رب السموات السبع وما اظللن ورب الارضين السبع وما اقللن ورب الشياطين وما اضللن ورب الرياح وما اذرين فانا نسألك خير هذه القرية وخير اهلها وخير ما فيها ونعوذ بك من شرها وشر اهلها وشر ما فيها اقدموا بسم الله وهذا حديث غريب جدا من هذا الوجه وقد رواه الحافظ البيهقي عن الحاكم عن الاصم عن العطاردي عن يونس بن بكير عن ابراهيم بن اسماعيل بن مجمع عن صلح بن كيسان عن ابي مروان الاسلمي عن ابيه عن جده قال خرجنا مع رسول الله الى خيبر حتى اذا كنا قريبا واشرفنا عليها قال رسول الله للناس قفوا فوقف الناس فقال اللهم رب السموات السبع وما اظللن ورب الارضين السبع وما اقللن ورب الشياطين وما اضللن فانا نسألك خير هذه القرية وخير اهلها وخير ما فيها ونعوذ بك من شر هذه القرية وشر اهلها وشر ما فيها اقدموا بسم الله الرحمن الرحيم قال ابن اسحاق وحدثني من لا اتهم عن انس بن مالك قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا غزا قوما لم يغر عليهم حتى يصبح فان سمع اذانا امسك وان لم يسمع اذانا اغار فنزلنا خيبر ليلا فبات رسول الله حتى اصبح لم يسمع اذانا فركب وركبنا معه وركبت خلف ابي طلحة وان قدمي لتمس قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم واستقبلنا عمال خيبر غادين قد خرجوا بمساحيهم ومكاتلهم فلما راوا رسول الله والجيش قالوا محمد والخميس معه فادبروا هرابا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الله اكبر خربت خيبر انا اذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين قال ابن اسحاق ثنا هرون عن حميد عن انس بمثله **فائدة** قال السهيلي فيها اخذ التفاؤل لانه لما راى بايديهم المساحي والمكاتل وهي من آلات الهدم والحفر قال ذلك قال والعرب تسمي الجيش الكثيف خميسا لان له ساقة ومقدمة وجناحين وقلبا قال وليس من تخميس الغنيمة لان هذا حكم شرعي قال البخاري حدثنا عبد الله بن يوسف ثنا مالك عن حميد الطويل عن انس بن مالك ان رسول الله اتى خيبر ليلا وكان اذا اتى قوما بليل لم يقربهم حتى يصبح فلما اصبح خرجت اليهود بمساحيهم ومكاتلهم فلما راوه قالوا محمد والخميس فقال النبي صلى الله عليه

وسلم

وسلم خربت خيبر انا اذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين تفرد به دون مسلم وقال البخاري ثنا صدقة بن الفضل ثنا ابن عيينة ثنا ايوب عن محمد بن سيرين عن انس بن مالك قال صبحنا خيبر بكرة فخرج اهلها بالمساحي فلما بصروا بالنبي صلى الله عليه وسلم قالوا محمد والخميس فقال رسول الله الله اكبر خربت خيبر انا اذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين تفرد به دون مسلم وقال البخاري ثنا صدقة بن الفضل ثنا ابن عيينة ثنا ايوب عن محمد بن سيرين عن انس بن مالك قال صبحنا خيبر بكرة فخرج اهلها بالمساحي قال فاصبنا من لحوم الحمر فنادى منادي النبي صلى الله عليه وسلم ان الله ورسوله ينهيانكم عن لحوم الحمر فانها رجس تفرد به البخاري دون مسلم وقال الامام احمد حدثنا عبد الرزاق ثنا معمر عن قتادة عن انس قال لما اتى النبي صلى الله عليه وسلم خيبر فوجدهم حين خرجوا الى زرعهم ومعهم مساحيهم فلما راوه ومعه الجيش نكصوا فرجعوا الى حصنهم فقال النبي صلى الله عليه وسلم الله اكبر خربت خيبر انا اذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين تفرد به احمد وهو على شرط الصحيحين وقال البخاري حدثنا سليمان بن حرب ثنا حماد بن زيد عن ثابت عن انس بن مالك قال صلى النبي صلى الله عليه وسلم الصبح قريبا من خيبر بغلس ثم قال الله اكبر خربت خيبر انا اذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين فخرجوا يسعون في السكك فقتل النبي صلى الله عليه وسلم المقاتلة وسبى الذرية وكان في السبي صفية فصارت الى دحية الكلبي ثم صارت الى النبي صلى الله عليه وسلم فجعل عتقها صداقها فقال عبد العزيز بن صهيب لثابت يا ابا محمد انت قلت لانس ما اصدقها فحرك ثابت راسه تصديقا له تفرد به دون مسلم وقد اورد البخاري ومسلم النهي عن تحريم الحمر الاهلية من طرق نذكرها في كتاب الاحكام وقد قال الحافظ البيهقي انا ابو طاهر الفقيه انا حاجب بن احمد الطوسي ثنا محمد بن حماد الابيوردي ثنا محمد بن الفضيل عن مسلم الاعور الملائي عن انس بن مالك قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعود المريض ويتبع الجنائز ويجيب دعوة المملوك ويركب الحمار وكان يوم قريظة والنضير على حمار ويوم خيبر على حمار مخطوم برسن ليف وتحته اكاف من ليف وقد روى هذا الحديث بتمامه الترمذي عن علي بن حجر عن علي بن مسهر وابن ماجه عن محمد بن الصباح عن سفيان وعن عمرو بن رافع عن جرير كلهم عن مسلم وهو ابن كيسان الملائي الاعور الكوفي عن انس به وقال الترمذي لا نعرفه الا من حديثه وهو يضعف قلت والذي ثبت في الصحيح عند البخاري عن انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اجرى في زقاق خيبر حتى انحسر الازار عن فخذه فالظاهر انه كان يومئذ على فرس لا على حمار ولعل هذا الحديث ان كان صحيحا محمول على انه ركبه في بعض الايام وهو محاصرها والله اعلم وقال البخاري ثنا محمد بن سعيد الخزاعي ثنا زياد بن الربيع عن ابي عمران الجوني قال نظر انس الى الناس يوم الجمعة فراى طيالسة فقال كانهم الساعة يهود خيبر وقال البخاري ثنا عبد الله بن مسلمة ثنا حاتم عن يزيد بن ابي عبيد عن سلمة بن الاكوع قال كان علي بن ابي طالب تخلف عن رسول الله في خيبر وكان رمدا فقال انا اتخلف عن النبي صلى الله عليه وسلم فلحق فلما بتنا الليلة التي فتحت خيبر قال لاعطين الراية غدا او لياخذن الراية غدا رجل يحبه الله ورسوله يفتح الله على يديه فنحن نرجوها فقيل هذا علي فاعطاه ففتح عليه ورواه البخاري ايضا ومسلم عن

قتيبة عن حاتم به ثم قال البخاري ثنا قتيبة ثنا يعقوب بن عبد الرحمن عن ابي حازم
قال اخبرني سهل بن سعد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يوم خيبر لاعطين هذه
الراية غدا رجلا يفتح الله على يديه يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله قال فبات
الناس يدوكون ليلتهم ايهم يعطاها فلما اصبح الناس غدوا على رسول الله صلى
الله عليه وسلم كلهم يرجوا ان يعطاها فقال اين علي بن ابي طالب فقالوا هو يا رسول
الله يشتكي عينيه قال فارسلوا اليه فاتي به فبصق رسول الله صلى الله عليه وسلم
في عينيه ودعا له فبرا حتى كان لم يكن به وجع فاعطاه الراية فقال علي يا رسول الله اقاتلهم
حتى يكونوا مثلنا فقال انفذ على رسلك حتى تنزل بساحتهم ثم ادعهم الى الاسلام واخبرهم
بما يجب عليهم من حق الله تعالى فيه فوالله لان يهدي الله بك رجلا واحدا خير لك
من حمر النعم وقد رواه مسلم والنسائي جميعا عن قتيبة به وفي صحيح مسلم
والبيهقي من حديث سهيل بن ابي صالح عن ابيه عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم لاعطين الراية غدا رجلا يحب الله ورسوله يفتح الله عليه قال عمر
فما احببت الامارة قط الا يومئذ فدعا عليا فبعثه ثم قال اذهب فقاتل حتى يفتح الله
عليك ولا تلتفت قال علي على ما اقاتل الناس قال قاتلهم حتى يشهدوا ان لا اله الا الله
وان محمدا عبده ورسوله فاذا فعلوا ذلك فقد منعوا منك دماءهم واموالهم الا بحقها وحسابهم
على الله لفظ البيهقي وقال الامام احمد حدثنا مصعب بن المقدام وحجين بن المثنى
قالا ثنا اسرائيل ثنا عبد الله بن عصمة العجلي سمعت ابا سعيد الخدري يقول ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم اخذ الراية فهزها ثم قال من ياخذها بحقها فجاء فلان فقال انا
قال امط ثم جاء رجل اخر فقال امط ثم قال النبي صلى الله عليه وسلم والذي كرم وجه محمد
لاعطينها رجلا لا يفر بها هاك يا علي فانطلق حتى فتح الله عليه خيبر وفدك وجاء بعجوتهما
وقديدهما تفرد به احمد واسناده لا باس به وفيه غرابة وعبد الله بن عصمة ويقال ابن عصم
هذا يكنى بابي علوان العجلي واصله من اليمامة سكن الكوفة وقد وثقه ابن معين وقال
ابو زرعة لا باس به وقال ابو حاتم شيخ وذكره ابن حبان في الثقات وقال يخطئ كثيرا وذكره
في الضعفاء وقال يحدث عن الاثبات بما لا يشبه حديث الثقات حتى يسبق الى القلب انها
موهومة او موضوعة وقال يونس بن بكير عن محمد بن اسحاق حدثني بريدة بن سفيان بن
فروة الاسلمي عن ابيه عن سلمة بن عمرو بن الاكوع قال بعث النبي صلى الله عليه وسلم ابا بكر الى
بعض حصون خيبر فقاتل ثم رجع ولم يكن فتح وقد جهد ثم بعث عمر فقاتل ثم رجع ولم يكن فتح
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاعطين الراية غدا رجلا يحبه الله ورسوله ويحب
الله ورسوله يفتح الله على يديه فخرج بها والله يانح يهرولها هرولة وانا لخلفه نتبع
اثره حتى ركز رايته في رضم من حجارة تحت الحصن فاطلع يهودي من راس الحصن فقال من
انت قال علي بن ابي طالب فقال اليهودي غلبتم وما انزل على موسى فما رجع حتى فتح الله على
يديه وقال البيهقي انا الحاكم انا الاصم انا العطاردي عن يونس بن بكير عن الحسين بن واقد
عن عبد الله بن بريدة اخبرني ابي قال لما كان يوم خيبر اخذ اللواء ابو بكر فرجع ولم يفتح
له وقتل محمود بن مسلمة فرجع الناس فقال رسول الله لادفعن لوائي غدا الى رجل يحب الله
ورسوله ويحبه الله ورسوله لن يرجع حتى يفتح الله له فبتنا طيبة نفوسنا ان الفتح غدا

فصلى

فصلى رسول الله صلاة الغداة ثم دعا باللواء وقام قائما فما منا من رجل له منزلة من رسول
الله صلى الله عليه وسلم الا وهو يرجو ان يكون ذلك الرجل حتى تطاولت انا لها ورفعت
راسي لمنزلة كانت لي منه فدعا علي بن ابي طالب وهو يشتكي عينيه قال فمسحها ثم دفع
اليه اللواء ففتح له فسمعت عبد الله بن بريدة يقول حدثني ابي انه كان صاحب مرحب قال
يونس قال ابن اسحاق كان اول حصون خيبر فتحا حصن ناعم وعنده قتل محمود بن مسلمة
القيت عليه رحى منه فقتلته ثم روى البيهقي عن يونس بن بكير عن المسيب بن مسلمة
الازدي ثنا عبد الله بن بريدة عن ابيه قال كان رسول الله ربما اخذته الشقيقة
فيلبث اليوم واليومين لا يخرج فلما نزل خيبر اخذته الشقيقة فلم يخرج الى الناس وان
ابا بكر اخذ راية رسول الله ثم نهض فقاتل قتالا شديدا ثم رجع واخذها عمر فقاتل
قتالا شديدا هو اشد من القتال الاول ثم رجع فاخبر بذلك رسول الله فقال لاعطينها
غدا رجلا يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله ياخذها عنوة وليس ثم علي فتطاولت لها قريش
ورجا كل رجل منهم ان يكون صاحب ذلك فاصبح وجاء علي بن ابي طالب على بعير له حتى
اناخ قريبا وهو ارمد قد عصب عينه بشقة برد قطري فقال رسول الله ما لك
قال رمدت بعدك قال ادن مني فتفل في عينه فما وجعها حتى مضى لسبيله ثم اعطاه
الراية فنهض بها وعليه حلة ارجوان حمراء قد اخرج خملها فاتى مدينة خيبر وخرج
مرحب صاحب الحصن وعليه مغفر يماني وحجر قد ثقبه مثل البيضة على راسه وهو
يرتجز ويقول

قد علمت خيبر اني مرحب • شاكي السلاح بطل مجرب •
اذا الليوث اقبلت تلهب • واحجمت عن صولة المغلب •

فقال علي رضي الله عنه • انا الذي سمتني امي حيدره •
كليث غابات شديد القسوره • اكيلكم بالصاع كيل السندره •

قال فاختلفا ضربتين فبدره علي بضربة فقد الحجر والمغفر وراسه ووقع في الاضراس
واخذ المدينة وقد روى الحافظ البزار عن عباد بن يعقوب عن عبد الله بن ابي بكر عن
حكيم بن جبير عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قصة بعث ابي بكر ثم عمر يوم خيبر ثم بعث
علي وكان الفتح على يديه وفي سياقه غرابة ونكارة وفي اسناده من هو متهم بالتشيع
والله تعالى اعلم وقد روى مسلم والبيهقي واللفظ له من طريق عكرمة بن عمار عن اياس بن
سلمة بن الاكوع عن ابيه فذكر حديثا طويلا وذكر فيه رجوعهم من غزوة بني فزارة قال فلم
نمكث الا ثلاثا حتى خرجنا الى خيبر قال وخرج عامر فجعل يقول •

والله لولا انت ما اهتدينا • ولا تصدقنا ولا صلينا •
ونحن من فضلك ما استغنينا • فانزلن سكينة علينا •
وثبت الاقدام ان لاقينا • قال فقال رسول الله من هذا القائل فقالوا عامر
فقال غفر لك ربك قال وما خص رسول الله قط احدا به الا استشهد فقال
عمر وهو على جمل له لولا متعتنا بعامر قال فقدمنا خيبر فخرج مرحب وهو يخطر بسيفه
ويقول قد علمت خيبر اني مرحب شاكي السلاح بطل مجرب اذا الحروب اقبلت تلهب
قال فبرز له عامر رضي الله عنه وهو يقول قد علمت خيبر اني عامر شاكي السلاح بطل مغامر

قيل كان اسمه في الكتب المتقدمة حيدرة وقيل كان لقبا
له لضخمه وقيل سمته فاطمة بنت اسد بذلك باسم ابيها وكان
ابو طالب غائبا فلما قدم حوله الى علي والحيدرة في اللغة
من الرجال الممتلئ العظيم البطن

قال فاختلفا ضربتين فوقع سيف مرحب في ترس عامر فذهب يسفل له فرجع على نفسه فقطع اكحله فكانت فيها نفسه قال سلمة فخرجت فاذا نفر من اصحاب رسول الله يقولون بطل عمل عامر قتل نفسه قال فاتيت رسول الله وانا ابكي فقال ما لك فقلت قالوا ان عامرا بطل عمله فقال من قال ذلك فقلت نفر من اصحابك فقال كذب اولئك بل له الاجر مرتين قال وارسل رسول الله الى علي يدعوه وهو ارمد وقال لاعطين الراية اليوم رجلا يحب الله ورسوله قال فجئت به اقوده قال فبصق رسول الله في عينيه فبرا فاعطاه الراية فبرز مرحب وهو يقول

قد علمت خيبر اني مرحب * شاكي السلاح بطل مجرب *
اذا الحروب اقبلت تلهب * قال فبرز له علي وهو يقول *
انا الذي سمتني امي حيدره * كليث غابات كريه المنظره *
اوفيهم بالصاع كيل السندره * قال فضرب مرحبا ففلق راسه فقتله وكان الفتح

هكذا وقع في هذا السياق ان عليا هو الذي قتل مرحبا اليهودي وقال احمد ثنا حسين بن حسن الاشقر حدثني ابن قابوس بن ابي ظبيان عن ابيه عن جده عن علي قال لما قتلت مرحبا جئت براسه الى رسول الله وقد روى موسى بن عقبة عن الزهري ان الذي قتل مرحبا هو محمد بن مسلمة وكذلك قال محمد بن اسحاق حدثني عبد الله بن سهل احد بني حارثة عن جابر بن عبد الله قال خرج مرحب اليهودي من حصن خيبر وهو يرتجز ويقول

قد علمت خيبر اني مرحب * شاكي السلاح بطل مجرب *
اطعن احيانا وحينا اضرب * اذا الليوث اقبلت تحرب *
ان حماي للحمى لا يقرب * قال فاجابه كعب بن مالك *
قد علمت خيبر اني كعب * مفرج الغما جري صلب *
اذ شبت الحرب وثار الحرب * معي حسام كالعقيق عضب *
يطاكموا حتى يذل الصعب * نعطي الجزا او يفي النهب *
بكف ماض ليس فيه عتب * قال وجعل مرحب وهو يرتجز بهذا ويقول

هل من مبارز فقال رسول الله من لهذا فقال محمد بن مسلمة انا له يا رسول الله انا والله الموتور الثائر قتلوا اخي بالامس فقال قم اليه اللهم اعنه عليه قال فلما دنا احدهما من صاحبه دخلت بينهما شجرة عمرية من شجر العشر فجعل كل واحد منهما يلوذ من صاحبه كلما لاذ بها احدهما اقتطع بسيفه ما دونه منها حتى برز كل واحد منهما لصاحبه وصارت بينهما كالرجل القائم ما فيها فنن ثم حمل على محمد بن مسلمة فضربه فاتقاه بالدرقة فوقع سيفه فيها فعضت به فامسكته وضربه محمد بن مسلمة حتى قتله وقد رواه الامام احمد عن يعقوب بن ابراهيم عن ابيه عن ابن اسحاق قال ابن اسحاق وزعم بعض الناس ان محمدا ارتجز حين ضربه وقال

قد علمت خيبر اني ماضي * حلو اذا شئت وسم قاضي

وهكذا روى الواقدي عن جابر وغيره من السلف ان محمد بن مسلمة هو الذي قتل مرحبا ثم ذكر الواقدي ان محمدا قطع رجلي مرحب فقال له اجهز علي فقال لا ذق الموت كما ذاقه محمود بن مسلمة سيفه ورمحه ومغفره وبيضته قال وكان مكتوبا على سيفه هذا

سيف

سيف مرحب من يلقه يعطب ثم ذكر ابن اسحاق ان اخا مرحب وهو ياسر خرج بعده وهو يقول هل من مبارز فزعم هشام بن عروة ان الزبير خرج اليه فقالت له امه صفية بنت عبد المطلب تقتل ابني يا رسول الله فقال رسول الله بل ابنك يقتله ان شاء الله فالتقيا فقتله الزبير قال فكان الزبير اذا قيل له والله ان كان سيفك يومئذ لصارما يقول والله ما كان بصارم ولكني اكرهته وقال يونس عن ابن اسحاق عن بعض اهله عن ابي رافع مولى رسول الله قال خرجنا مع علي حين بعثه رسول الله برايته فلما دنا من الحصن خرج اليه اهله فقاتلهم فضربه رجل منهم من يهود فطرح ترسه من يده فتناول علي بابا عند الحصن فترس به عن نفسه فلم يزل في يده وهو يقاتل حتى فتح الله عليه ثم القاه من يده فلقد رايتني في نفر معي سبعة انا ثامنهم نجهد على ان نقلب ذلك الباب فما استطعنا ان نقلبه وفي هذا الخبر جهالة وانقطاع ظاهر ولكن روى الحافظ البيهقي والحاكم من طريق مطلب بن زياد عن ليث بن ابي سليم عن ابي جعفر الباقر عن جابر ان عليا حمل الباب يوم خيبر حتى صعد المسلمون عليه فافتتحوها وانه جرب بعد ذلك فلم يحمله اربعون رجلا وفيه ضعف ايضا وفي رواية ضعيفة عن جابر ثم اجتمع عليه سبعون رجلا فكان جهدهم ان اعادوا الباب وقال البخاري ثنا مكي بن ابراهيم ثنا يزيد بن ابي عبيد قال رايت اثر ضربة في ساق سلمة فقلت يا ابا مسلم ما هذه الضربة قال هذه ضربة اصابتها يوم خيبر فقال الناس اصيب سلمة فاتيت النبي صلى الله عليه وسلم فنفث فيه ثلاث نفثات فما اشتكيتها حتى الساعة ثم قال البخاري ثنا عبد الله بن مسلمة ثنا ابن ابي حازم عن ابيه عن سهل قال التقى النبي صلى الله عليه وسلم والمشركون في بعض مغازيه فاقتتلوا فمال كل قوم الى عسكرهم وفي المسلمين رجل لا يدع من المشركين شاذة ولا فاذة الا اتبعها يضربها بسيفه فقيل يا رسول الله ما اجزا احد ما اجزا فلان قال انه من اهل النار فقالوا اينا من اهل الجنة ان كان هذا من اهل النار فقال رجل من القوم لاتبعنه فاذا اسرع وابطا كنت معه حتى جرح فاستعجل الموت فوضع نصاب سيفه بالارض وذبابه بين ثدييه ثم تحامل عليه فقتل نفسه فجاء الرجل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال ان الرجل ليعمل بعمل اهل الجنة فيما يبدو للناس وانه من اهل النار ويعمل بعمل اهل النار فيما يبدو للناس وانه من اهل الجنة ورواه ايضا عن قتيبة عن يعقوب عن ابي حازم عن سهل فذكر مثله او نحوه ثم قال ثنا ابو اليمان ثنا شعيب عن الزهري اخبرني سعيد بن المسيب ان ابا هريرة قال شهدنا خيبر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لرجل ممن معه يدعي الاسلام هذا من اهل النار فلما حضر القتال قاتل الرجل اشد القتال حتى كثرت به الجراحة حتى كاد بعض الناس يرتاب فوجد الرجل الم الجراحة فاهوى بيده الى كنانته فاستخرج منها سهما فنحر بها نفسه فاشتد رجال من المسلمين فقالوا يا رسول الله صدق الله حديثك انتحر فلان فقتل نفسه فقال قم يا فلان فاذن انه لا يدخل الجنة الا مؤمن وان الله يؤيد الدين بالرجل الفاجر وقد روى موسى بن عقبة قصة العبد الاسود الذي رزقه الله الايمان والشهادة في ساعة واحدة وكذلك رواها ابن لهيعة عن ابي الاسود عن عروة قالا كان عبد حبشي اسود من اهل خيبر كان في غنم لسيده فلما راى اهل خيبر قد اخذوا السلاح

سألهم ما يريدون قالوا نقاتل هذا الرجل الذي يزعم انه نبي فوقع في نفسه ذكر النبي
فاقبل بغنمه حتى عمد لرسول الله صلى الله عليه وسلم الى ما تدعوا قال ادعوك الى الاسلام
ان تشهد ان لا اله الا الله واني رسول الله ولا تعبد الا الله قال العبد فما ذا
يكون لي ان شهدت بذلك وآمنت بالله قال رسول الله الجنة ان مت على ذلك
فاسلم العبد فقال يا نبي الله ان هذه الغنم عندي امانة فقال له رسول الله صلى
الله عليه وسلم اخرجها من عسكرنا وارمها بالحصا فان الله سيؤدي عنك امانتك
ففعل فرجعت الغنم الى سيدها فعرف اليهودي ان غلامه قد اسلم فقام رسول الله صلى
الله عليه وسلم فوعظ الناس فذكر الحديث في اعطائه الراية عليا ودنوه من حصن
اليهود وقتله مرحبا وقتل مع علي ذلك العبد الاسود فاحتمله المسلمون الى عسكرهم
فادخل في الفسطاط فزعموا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اطلع في الفسطاط
ثم اطلع على اصحابه فقال لقد اكرم الله هذا العبد وساقه الى خير قد كان الاسلام
من نفسه حقا وقد رايت عند راسه اثنتين من الحور العين وقد روى الحافظ البيهقي
من طريق ابن وهب عن حيوة بن شريح عن ابن الهاد عن شرحبيل بن سعد عن جابر
بن عبد الله قال كنا مع رسول الله في غزوة خيبر فخرجت سرية فاخذوا انسانا معه
غنم يرعاها فذكر نحو قصة هذا العبد الاسود وقال فيه فقتل شهيدا وما سجد لله
سجدة ثم قال البيهقي انا محمد بن محمد بن الفقيه انا ابو بكر القطان ثنا
ابو الازهر ثنا موسى بن اسماعيل ثنا حماد ثنا ثابت عن انس ان رجلا اتى رسول الله فقال
يا رسول الله اني رجل اسود اللون قبيح الوجه لا مال لي فان قاتلت هؤلاء حتى اقتل
ادخل الجنة قال نعم فتقدم فقاتل حتى قتل فاتى عليه رسول الله وهو مقتول فقال
لقد حسن الله وجهك وطيب ريحك وكثر مالك وقال لقد رايت زوجتيه من الحور
العين يتنازعان جبته عنه يدخلان فيما بين جلده وجبته ثم روى البيهقي من طريق
ابن جريج اخبرني عكرمة بن خالد عن ابن ابي عمار عن شداد بن الهاد ان رجلا من الاعراب
جاء رسول الله فآمن به واتبعه فقال اهاجر معك فاوصى به النبي صلى الله عليه وسلم
بعض اصحابه فلما كانت غزوة خيبر غنم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقسمه وقسم
له فاعطى اصحابه ما قسم له وكان يرعى ظهرهم فلما جاء دفعوه اليه قال ما هذا قالوا
قسم قسمه لك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما على هذا اتبعتك ولكن اتبعتك
على ان ارمى ههنا واشار الى حلقه بسهم فاموت فادخل الجنة فقال ان تصدق الله
يصدقك ثم نهضوا الى قتال العدو فاتي به رسول الله صلى الله عليه وسلم يحمل
وقد اصابه سهم حيث اشار فقال النبي صلى الله عليه وسلم اهو هو قالوا نعم قال
صدق الله فصدقه فكفنه النبي صلى الله عليه وسلم في جبة النبي صلى الله عليه وسلم
ثم قدمه فصلى عليه فكان مما ظهر من صلاته اللهم هذا عبدك خرج مهاجرا في سبيلك
فقتل شهيدا وانا عليه شهيد وقد رواه النسائي عن سويد بن نصر عن عبد الله بن المبارك
عن ابن جريج به نحوه **فصل** قال ابن اسحاق وتدنى رسول الله صلى الله عليه
وسلم الاموال يأخذها مالا مالا ويفتتحها حصنا حصنا فكان اول حصونهم فتح حصن
ناعم وعنده قتل محمود بن مسلمة القيت عليه رحى فقتلته ثم القموص حصن بني ابي

الحقيق واصاب رسول الله صلى الله عليه وسلم منهم سبايا منهن صفية بنت حيي
بن اخطب وكانت عند كنانة بن الربيع بن ابي الحقيق وبنتي عم لها فاصطفى رسول
الله صفية لنفسه وكان دحية بن خليفة قد سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم صفية
فلما اصطفاها لنفسه اعطاه ابنتي عمها قال وفشت السبايا من خيبر في المسلمين
واكل الناس لحوم الحمر فذكر نهي رسول الله صلى الله عليه وسلم اياهم عن اكلها وقد
اعتنى البخاري بهذا الفصل فاورد النهي عنها من طرق جيدة وتحريمها مذهب جمهور العلماء
سلفا وخلفا وهو مذهب الائمة الاربعة وقد ذهب بعض السلف منهم ابن عباس
الى اباحتها وتنوعت اجوبتهم على الاحاديث الواردة في النهي عنها فقيل لانها كانت
ظهرا يستعينون بها في الحمولة وقيل لانها لم تكن خمست بعد وقيل لانها كانت تاكل
العذرة يعني جلالة والصحيح انه نهي عنها لذاتها فان في الصحيح انه نادى منادي
رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله ورسوله ينهيانكم عن لحوم الحمر فانها رجس فاكفئوها
والقدور تفور بها وموضع تقرير ذلك في كتاب الاحكام قال ابن اسحاق وحدثني
سلام بن كركرة عن عمرو بن دينار عن جابر بن عبد الله ولم يشهده جابر ان رسول الله حين
نهى الناس عن اكل لحوم الحمر ورخص اذن لهم في لحوم الخيل وهذا الحديث اصله ثابت
في الصحيحين من حديث حماد بن زيد عن عمرو بن دينار عن محمد بن علي عن جابر رضي الله عنه
قال نهى رسول الله يوم خيبر عن لحوم الحمر ورخص في الخيل لفظ البخاري قال ابن اسحاق
وحدثنا عبد الله بن ابي نجيح عن مكحول ان النبي صلى الله عليه وسلم نهاهم يومئذ
عن اربع عن اتيان الحبالى من النساء وعن اكل الحمار الاهلي وعن اكل كل ذي ناب من السباع
وعن بيع المغانم حتى تقسم وهذا مرسل قال ابن اسحاق وحدثني يزيد بن ابي حبيب
عن ابي مرزوق مولى تجيب عن حنش الصنعاني قال غزونا مع رويفع بن ثابت الانصاري
المغرب فافتتح قرية من قرى المغرب يقال لها جربة فقام فينا خطيبا فقال ايها الناس
اني لا اقول فيكم الا ما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول فينا يوم خيبر قام فينا
رسول الله فقال لا يحل لامرئ يؤمن بالله واليوم الآخر ان يسقي ماءه زرع غيره يعني
اتيان الحبالى من السبي ولا يحل لامرئ يؤمن بالله واليوم الآخر ان يصيب امراة من السبي
حتى يستبرئها ولا يحل لامرئ يؤمن بالله واليوم الآخر ان يبيع مغنما حتى يقسم ولا يحل
لامرئ يؤمن بالله واليوم الآخر ان يركب دابة من فيء المسلمين حتى اذا اعجفها ردها فيه
ولا يحل لامرئ يؤمن بالله واليوم الآخر ان يلبس ثوبا من فيء المسلمين حتى اذا اخلقه
رده فيه وهكذا روى هذا الحديث ابو داود من طريق محمد بن اسحاق به ورواه الترمذي
عن حفص بن عمر الشيباني عن ابن وهب عن يحيى بن ايوب عن ربيعة بن سليم عن
بسر بن عبيد الله عن رويفع بن ثابت مختصرا وقال حسن وفي صحيح البخاري عن
نافع عن ابن عمر ان رسول الله نهى يوم خيبر عن لحوم الحمر الاهلية وعن اكل الثوم وقد
حكى ابن حزم عن علي وشريك بن الحنبل انهما ذهبا الى تحريم البصل والثوم النيء
والذي نقله الترمذي عنهما الكراهة فالله اعلم وقد تكلم الناس على الحديث الوارد في
الصحيحين من طريق الزهري عن عبد الله والحسن ابني محمد بن الحنفية عن ابيهما عن
ابيه علي بن ابي طالب رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن نكاح

المتعة يوم خيبر وعن لحوم الحمر الاهلية هذا لفظ الصحيحين من طريق مالك وغيره عن
الزهري وهو يقتضي تقييد تحريم نكاح المتعة بيوم خيبر وهو مشكل من وجهين احدهما
ان يوم خيبر لم يكن ثم نسا يتمتعون بهن اذ قد حصل لهم الاستغنا بالسبا عن نكاح
المتعة الثاني انه قد ثبت في صحيح مسلم عن الربيع بن سبرة بن معبد عن ابيه ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم اذن لهم في المتعة زمن الفتح ثم لم يخرج من مكة حتى نهى عنها وقال
ان الله قد حرمها الى يوم القيمة فعلى هذا يكون قد نهى عنها ثم اذن فيها ثم حرمت فيلزم
النسخ مرتين وهو بعيد ومع هذا فقد نص الشافعي على انه لا يعلم شيا ابيح ثم حرم ثم ابيح
غير نكاح المتعة وما حداه على هذا رحمه الله الا اعتماده على هذين الحديثين كما قدمناه وقد
حكى السهيلي وغيره عن بعضهم انه ادعا انها ابيحت ثلاث مرات وحرمت ثلاث مرات
وقال اخرون اربع مرات وهذا بعيد جدا والله اعلم واختلفوا اي وقت اول ما حرمت فقيل
في خيبر وقيل في عمرة القضا وقيل في عام الفتح وهو الذي يظهر وقيل في اوطاس وهو قريب
من الذي قبله وقيل في تبوك وقيل في حجة الوداع رواه ابو داود وقد حاول بعض العلما
ان يجيب عن حديث علي رضي الله عنه بانه وقع فيه تقديم وتاخير وانما المحفوظ فيه
ما رواه الامام احمد حدثنا سفيان عن الزهري عن الحسن وعبد الله ابني محمد عن ابيهما
وكان حسن ارضاهما في انفسهما ان عليا قال لابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم نهى عن نكاح المتعة وعن لحوم الحمر الاهلية زمن خيبر قالوا فاعتقد الراوي ان قوله
خيبر ظرف للنهي عنهما وليس كذلك انما هو ظرف للنهي عن لحوم الحمر فاما نكاح المتعة
فلم يذكر له ظرفا وانما جمعه معه لان عليا رضي الله عنه بلغه ان ابن عباس اباح نكاح
المتعة ولحوم الحمر الاهلية كما هو المشهور عنه فقال له امير المومنين علي انك امرو تايه
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن نكاح المتعة وعن لحوم الحمر الاهلية
يوم خيبر فجمع له النهي عنهما ليرجع عما كان يعتقده في ذلك من الاباحة والى هذا
التقرير كان يميل شيخنا الحافظ ابو الحجاج المزي تغمده الله برحمته امين ومع هذا ما رجع
ابن عباس عما كان يعتقده ويذهب اليه في الحمر والمتعة اما النهي عن الحمر فتاوله
بانها كانت حمولتهم واما المتعة فانما كان يبيحها عند الضرورة في الاسفار وحمل النهي
عن ذلك على حال الرفاهية والوجدان وقد تابعه على ذلك طايفة من اصحابه واتباعهم
ولم يزل ذلك مشهورا عن علما الحجاز الى زمن ابن جريج وبعده وقد حكي عن الامام احمد
بن حنبل رواية كمذهب ابن عباس وهي ضعيفة وحاول بعض من صنف في الخلاف نقل
رواية عن الامام مالك بمثل ذلك ولا يصح ذلك والله اعلم وموضع تحرير هذا كله
في كتاب الاحكام وبالله المستعان قال ابن اسحاق ثم جعل رسول الله صلى الله عليه
وسلم يتدنى الحصون والاموال فحدثني عبد الله بن ابي بكر انه حدثه بعض اسلم ان بني
سهم من اسلم اتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا والله يا رسول الله لقد جهدنا
وما بايدينا من شي فلم يجدوا عند رسول الله شيا يعطيهم اياه فافتح عليهم
اعظم حصونها عنهم غنى واكثرها طعاما وودكا فغدا الناس ففتح الله عليهم حصن
الصعب بن معاذ وما بخيبر حصن كان اكثر طعاما وودكا منه قال ابن اسحاق ولما
افتتح رسول الله صلى الله عليه وسلم من حصونهم ما افتتح وحاز من الاموال ما حاز

انتهوا

انتهوا الى حصنيهم الوطيح والسلالم وكانا اخر حصون خيبر افتتاحا فحاصرهم رسول
الله صلى الله عليه وسلم بضع عشرة ليلة قال ابن هشام وكان شعارهم يوم خيبر
يا منصور امت امت قال ابن اسحاق وحدثني بريدة بن سفيان الاسلمي عن بعض رجال بني
سلمة عن ابي اليسر كعب بن عمرو قال انا لمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بخيبر ذات
عشية اذ اقبلت غنم لرجل من يهود تريد حصنهم ونحن محاصروهم فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم من رجل يطعمنا من هذه الغنم قال ابو اليسر فقلت انا يا رسول
الله قال فافعل قال فخرجت اشتد مثل الظليم فلما نظر الي رسول الله موليا قال
اللهم امتعنا به قال فادركت الغنم وقد دخلت اولاها الحصن فاخذت شاتين من اخراها	يعني ولد النعامة في الشرعة و
فاحتضنتهما تحت يدي ثم جيت بهما اشتد كانه ليس معي شي حتى القيتهما عند رسول
الله صلى الله عليه وسلم فذبحوهما فاكلوهما فكان ابو اليسر من اخر اصحاب رسول الله موتا
فكان اذا حدث هذا الحديث بكى ثم قال امتعوا بي لعمري حتى كنت من اخرهم وقال الحافظ
البيهقي في الدلايل انا ابو محمد عبد الله بن يوسف الاصبهاني ثنا ابو سعيد بن الاعرابي
ثنا سعدان بن نصر ثنا ابو معوية عن عاصم الاحول عن ابي عثمان النهدي او عن ابي قلابة
قال لما قدم النبي صلى الله عليه وسلم خيبر قدم والثمرة خضرة قال فاسرع الناس فيها
فحموا فشكوا ذلك اليه فامرهم ان يقرسوا الما في الشنان ثم يحدرونه عليهم بين اذاني الفجر
ويذكرون اسم الله عليه ففعلوا ذلك فكانما نشطوا من عقل قال البيهقي وقد رويناه
عن عبد الرحمن بن المرقع موصولا وعنه بين صلاتي المغرب والعشا وقال الامام احمد
ثنا يحيى وبهز قالا ثنا سليمان بن المغيرة ثنا حميد بن هلال ثنا عبد الله بن مغفل
قال دلي جراب من شحم يوم خيبر قال فاتيته فالتزمته فقلت لا اعطي احدا منه شيا قال فالتفت
فاذا رسول الله صلى الله عليه وسلم يتبسم الي وقال احمد ثنا عفان ثنا شعبة عن حميد
بن هلال عن عبد الله بن مغفل قال كنا محاصرين قصر خيبر فالقي الينا جراب فيه شحم
فذهبت اخذه فرايت النبي صلى الله عليه وسلم فاستحييت وقد اخرجه صاحبا الصحيح
من حديث شعبة ورواه مسلم ايضا عن شيبان بن فروخ عن سليمان بن المغيرة به نحوه
وقال ابن اسحاق وحدثني من لا اتهم عن عبد الله بن مغفل المزني قال اصبت من في خيبر
جراب شحم قال فاحتملته على عنقي الى رحلي واصحابي قال فلقيني صاحب المغانم الذي
جعل عليها فاخذ بناحيته وقال هلم هذا حتى نقسمه بين المسلمين قال قلت لا والله
لا اعطيكه قال فجعل يجابذني الجراب قال فرانا رسول الله ونحن نصنع ذلك فتبسم
ضاحكا ثم قال لصاحب المغانم لا ابا لك خل بينه وبينه قال فارسله فانطلقت
به الى رحلي واصحابي فاكلناه وقد استدل الجمهور بهذا الحديث على الامام مالك في تحريمه
شحوم ذبايح اليهود مما كان محرما عليهم على غيرهم من المسلمين لان الله تعالى يقول وطعام الذين
اوتوا الكتاب حل لكم قال وهذا ليس من طعامهم فاستدلوا عليه بهذا الحديث وفيه نظر
اذ قد يكون هذا الشحم مما كان حلالا لهم والله اعلم وقد استدلوا بهذا الحديث على ان الطعام
لا يخمس ويعضد ذلك ما رواه ابو داود حدثنا محمد بن العلا ثنا ابو معاوية ثنا ابو اسحاق
الشيباني عن محمد بن ابي مجالد عن عبد الله بن ابي اوفى قال قلت كنتم تخمسون الطعام
في عهد رسول الله فقال اصبنا طعاما يوم خيبر فكان الرجل يجي فياخذ منه مقدار ما يكفيه

ثم ينصرف تفرد به ابو داود وهو حسن

ذكر قصة صفية بنت حيي بن اخطب النضرية رضي الله عنها

كان من شانها انه لما اجلا رسول الله صلى الله عليه وسلم يهود بني النضير كما تقدم فذهب عامتهم الى خيبر وفيهم حيي بن اخطب وبنوا ابي الحقيق وكانوا ذوي اموال وشرف في قومهم وكانت صفية اذ ذاك طفلة دون البلوغ ثم لما تاهلت للتزويج تزوجها بعض بني عمها فلما زفت اليه وادخلت عليه وبنى بها ومضى على ذلك ليال رات في منامها كان قمر السما قد سقط في حجرها فقصت رويا ما على ابن عمها فلطم وجهها وقال اتتمنين ملك يثرب ان يصير بعلك فما كان الا مجي رسول الله صلى الله عليه وسلم وحصاره ايام وكانت صفية في جملة السبي وكان زوجها في جملة القتلى ولما اصطفاها رسول الله صلى الله عليه وسلم وصارت في حوزه وملكه كما سياتي وبنى بها بعد استبرايها وحلها وجد اثر تلك اللطمة في خدها فسالها ما شانها فذكرت له ما كان وان من تلك الرويا الصالحة رضي الله عنها وارضاها قال البخاري ثنا سليمان بن حرب ثنا حماد بن زيد عن ثابت عن انس بن مالك قال صلى النبي صلى الله عليه وسلم الصبح قريبا من خيبر بغلس ثم قال الله اكبر خربت خيبر انا اذا نزلنا بساحة قوم فسا صباح المنذرين فخرجوا يسعون في السكك فقتل النبي صلى الله عليه وسلم المقاتلة وسبى الذرية وكان في السبي صفية فصارت الى دحية وقال البخاري ثنا ادم ثنا شعبة عن عبد العزيز بن صهيب سمعت انس بن مالك يقول سبى النبي صلى الله عليه وسلم صفية فاعتقها وتزوجها قال ثابت لانس ما اصدقها قال اصدقها نفسها فاعتقها تفرد به البخاري من هذا الوجه وقال البخاري ثنا عبد الغفار بن داود ثنا يعقوب بن عبد الرحمن وحدثنا احمد ثنا ابن وهب اخبرني يعقوب بن عبد الرحمن الزهري عن عمرو مولى المطلب عن انس بن مالك قال قدمنا خيبر فلما فتح الله الحصن ذكر له جمال صفية بنت حيي بن اخطب وقد قتل زوجها وكانت عروسا فاصطفاها النبي صلى الله عليه وسلم لنفسه فخرج بها حتى بلغنا سد الروحا حلت فبنى بها رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم صنع حيسا في نطع صغير ثم قال اذن من حولك فكانت تلك وليمته على صفية ثم خرجنا الى المدينة فرايت النبي صلى الله عليه وسلم يحوي لها بعباءة ثم يجلس عند بعيره فيضع ركبته وتضع صفية رجلها على ركبته حتى تركب انفرد به دون مسلم وقال البخاري ثنا سعيد بن ابي مريم ثنا محمد بن جعفر بن ابي كثير اخبرني حميد انه سمع انسا يقول اقام النبي صلى الله عليه وسلم بين خيبر والمدينة ثلاثة ايام يبني عليه بصفية فدعوت المسلمين الى وليمته وما كان فيها من خبز ولا لحم وما كان فيها الا ان امر بلالا بالانطاع فبسطت فالقى عليها التمر والاقط والسمن فقال المسلمون احدى امهات المومنين او مما ملكت يمينه فقالوا ان حجبها فهي احدى امهات المومنين وان لم يحجبها فهي مما ملكت يمينه فلما ارتحل وطا لها خلفه ومد الحجاب انفرد به البخاري وقال ابو داود ثنا مسدد ثنا حماد بن زيد عن عبد العزيز بن صهيب عن انس بن مالك قال صارت صفية لدحية الكلبي ثم صارت لرسول الله صلى الله عليه وسلم وقال ابو داود وحدثنا يعقوب بن ابراهيم قال ثنا ابن علية عن عبد العزيز بن صهيب عن انس قال جمع السبي يعني بخيبر فجا دحية فقال يا رسول الله اعطني جارية

من السبي فقال اذهب فخذ جارية فاخذ صفية بنت حيي فجا رجل الى رسول الله فقال يا نبي الله اعطيت دحية قال يعقوب صفية بنت حيي سيدة قريظة والنضير ما تصلح الا لك قال ادعوه بها فلما نظر اليها النبي صلى الله عليه وسلم قال خذ جارية من السبي غيرها وان رسول الله اعتقها وتزوجها واخرجاه من حديث ابن علية وقال ابو داود ثنا محمد بن خلاد الباهلي ثنا بهز بن اسد ثنا حماد بن سلمة عن ثابت عن انس قال وقع في سهم دحية جارية جميلة فاشتراها رسول الله صلى الله عليه وسلم بسبعة ارووس ثم دفعها الى ام سليم تصنعها وتهيئها قال حماد واحسبه قال وتعتد في بيتها صفية بنت حيي تفرد به ابو داود

قال ابن اسحاق ولما افتتح رسول الله صلى الله عليه وسلم القموص حصن بني ابي الحقيق اتي بصفية بنت حيي بن اخطب وباخرى معها فمر بهما بلال وهو الذي جا بهما على قتلى من قتلى يهود فلما راتهم التي مع صفية صاحت وصكت وجهها وحثت التراب على راسها فلما راها رسول الله قال اعزبوا عني هذه الشيطانة وامر بصفية فحيزت خلفه والقى عليها رداه فعرف المسلمون ان رسول الله قد اصطفاها لنفسه وقال رسول الله لبلال فيما بلغني انزعت منك الرحمة يا بلال حتى تمر بامراتين على قتلى رجالهما وكانت صفية قد رات في المنام وهي عروس بكنانة بن الربيع بن ابي الحقيق ان قمرا وقع في حجرها فعرضت رويا ما على زوجها فلطم وجهها لطمة خضر عينها منها فاتي بها رسول الله وبها اثر منه فسالها ما هذا فاخبرته الخبر قال ابن اسحاق واتي رسول الله صلى الله عليه وسلم بكنانة بن الربيع وكان عنده كنز بني النضير فساله عنه فجحد ان يكون يعلم مكانه فاتي رسول الله رجل من اليهود فقال لرسول الله اني رايت كنانة يطيف بهذه الخربة كل غداة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لكنانة ارايت ان وجدناه عندك اقتلك قال نعم فامر رسول الله بالخربة فحفرت فاخرج منها بعض كنزهم ثم ساله عما بقي فابى ان يوديه فامر رسول الله الزبير بن العوام فقال عذبه حتى تستاصل ما عنده فكان الزبير يقدح بزند في صدره حتى اشرف على نفسه ثم دفعه رسول الله الى محمد بن مسلمة فضرب عنقه باخيه محمود بن مسلمة

فصل

قال ابن اسحاق وحاصر رسول الله صلى الله عليه وسلم اهل خيبر في حصنيهم الوطيح والسلالم حتى اذا ايقنوا بالهلكة سالوه ان يسيرهم وان يحقن دماءهم ففعل وكان رسول الله قد حاز الاموال كلها الا الشق والنطاة والكتيبة وجميع حصونهم الا ما كان من ذينك الحصنين فلما سمع اهل فدك بعثوا الى رسول الله يسالونه ان يسيرهم وان يحقن دماءهم ويخلوا له الاموال ففعل فلما نزل اهل خيبر سالوا رسول الله ان يعاملهم على النصف فصالحهم على النصف فصالحهم على انا اذا شينا ان نخرجكم اخرجناكم وعامل اهل فدك بمثل ذلك

فصل في فتح حصونها وقسمة ارضها

قال الواقدي لما تحولت اليهود من حصن ناعم وحصن الصعب بن معاذ الى قلعة الزبير حاصرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة ايام فجا رجل من اليهود يقال له غزال فقال يا ابا القاسم تومنني على ان ادلك على ما تستريح به من اهل النطاة وتخرج الى اهل الشق فان اهل الشق قد هلكوا رعبا منك قال فامنه رسول الله صلى الله عليه وسلم على اهله وماله فقال له اليهودي انك لو اقمت شهرا تحاصرهم ما بالوا لك ان لهم تحت

الارض ويدخلون بالليل فيبيتون بها ثم يرجعون الى قلعتهم فامر رسول الله بقطع
نخلهم فخرجوا فقاتلوا اشد القتال وقتل من المسلمين يومئذ نفر واصيب من اليهود
عشرة وافتتحه رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان اخر حصون النطاة وتحول الى اهل
الشق وكان به حصون ذوات عدد فكان اول حصن بدا به منها حصن ابي فقام رسول الله
صلى الله عليه وسلم على قلعة يقال لها سموان فقاتل اشد القتال فخرج منهم رجل يقال
له عزول فدعا الى البراز فبرز اليه الحباب بن المنذر فقطع يده اليمنى من نصف ذراعه
ووقع السيف من يده وفر اليهودي راجعا فاتبعه الحباب فقطع عرقوبه وبرز منهم اخر
فقام اليه رجل من المسلمين فقتله اليهودي فنهض اليه ابو دجانة فقتله واخذ سلبه
واحجموا عن البراز فكبر المسلمون ثم تحاملوا على الحصن فدخلوه وامامهم ابو دجانة فوجدوا
فيه اثاثا ومتاعا وغنما وطعاما وهرب من كان فيه من المقاتلة وتقحموا الجدر كانهم الظباء
حتى صاروا الى حصن البزاز بالشق ومنعوا اهله اشد الامتناع فزحف اليهم رسول الله واصحابه
فتراموا ورماهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده الكريمة حتى اصاب نبلهم ثيابه
عليه السلام فاخذ عليه السلام كفا من الحصباء فرمى حصنهم بها فرجف بهم حتى ساخ في
الارض واخذهم المسلمون اخذا باليد قال الواقدي ثم تحول رسول الله الى اهل الكتيبة
والوطيح والسلالم حصن بني ابي الحقيق وتحصنوا اشد التحصن وجاءهم كل فل كان
انهزم من النطاة الى الشق فتحصنوا معهم في القموص وهو في الكتيبة وكان حصنا منيعا
وفي الوطيح والسلالم وجعلوا لا يطلعون من حصونهم حتى هم رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان ينصب المنجنيق عليهم فلما ايقنوا بالهلكة وقد حصرهم رسول الله اربعة عشر يوما
نزل اليه ابن ابي الحقيق فصالحه على حقن دماءهم ويسيرهم ويخلون بين رسول الله وبين
ما كان لهم من الارض والاموال والصفراء والبيضاء والكراع والحلقة وعلى البز الا ما كان على
ظهر انسان يعني لباسهم فقال رسول الله وبرئت منكم ذمة الله وذمة رسوله ان كتمتم شيا
فصالحوه على ذلك قلت فلهذا لما كتموا وكذبوا واخفوا ذلك المسك الذي كان فيه اموال
جزيلة تبين انه لا عهد لهم فقتل ابن ابي الحقيق وطائفة من اهله بسبب نقض العهود
منهم والمواثيق قال الحافظ البيهقي انا ابو الحسن علي بن محمد المقري الاسفرائيني انا
الحسن بن محمد بن اسحاق ثنا يوسف بن يعقوب ثنا عبد الواحد بن عماد ثنا حماد بن
سلمة انا عبيد الله بن عمر فيما يحسب ابو سلمة عن نافع عن ابن عمر ان رسول الله قاتل اهل خيبر
حتى الجاهم الى قصرهم فغلب على الارض والزرع والنخل فصالحوه على ان يجلوا منها ولهم
ما حملت ركابهم ولرسول الله صلى الله عليه وسلم الصفراء والبيضاء ويخرجون منها
واشترط عليهم ان لا يكتموا ولا يغيبوا شيا فان فعلوا فلا ذمة لهم ولا عهد فغيبوا مسكا
فيه مال وحلي لحيي بن اخطب وكان احتمله معه الى خيبر حين اجليت النضير فقال رسول
الله لعم حيي ما فعل مسك حيي الذي جاء به من النضير فقال اذهبته النفقات
والحروب فقال العهد قريب والمال اكثر من ذلك فدفعه رسول الله الى الزبير فمسه
بعذاب وقد كان حيي قبل ذلك دخل خربة فقال قد رايت حييا يطوف في خربة ههنا
فذهبوا فطافوا فوجدوا المسك في الخربة فقتل رسول الله صلى الله عليه وسلم
ابني ابي الحقيق واحدهما زوج صفية بنت حيي بن اخطب وسبى رسول الله صلى الله عليه

وسلم نساءهم وذراريهم وقسم اموالهم بالنكث الذي نكثوا واراد ان يجليهم منها فقالوا
يا محمد دعنا نكون في هذه الارض نصلحها ونقوم عليها ولم يكن لرسول الله ولا لاصحابه غلمان
يقومون عليها وكانوا لا يفرغون ان يقوموا عليها فاعطاهم خيبر على ان لهم الشطر من كل
زرع ونخل وشيء ما بدا لرسول الله صلى الله عليه وسلم وكان عبد الله بن رواحة ياتيهم كل
عام فيخرصها عليهم ثم يضمنهم الشطر فشكوا الى رسول الله شدة خرصه وارادوا ان يرشوه
فقال يا اعداء الله تطعموني السحت والله لقد جئتكم من عند احب الناس الي ولانتم ابغض
الي من عدتكم من القردة والخنازير ولا يحملني بغضي اياكم وحبي اياه على ان لا اعدل عليكم فقالوا
بهذا قامت السموات والارض قال وراى رسول الله بعين صفية خضرة فقال يا صفية
ما هذه الخضرة فقالت كان راسي في حجر ابن ابي الحقيق وانا نائمة فرايت كان قمرا وقع في حجري
فاخبرته بذلك فلطمني وقال تمنين ملك يثرب قالت وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم
من ابغض الناس الي قتل زوجي واخي فما زال يعتذر الي ويقول ان اباك الب علي العرب
وفعل وفعل حتى ذهب ذلك من نفسي وكان رسول الله يعطي كل امراة من نسائه ثمانين
وسقا من تمر كل عام وعشرين وسقا من شعير فلما كان في زمان عمر غشوا المسلمين والقوا
ابن عمر من فوق بيت ففدعوا يديه فقال عمر من كان له سهم بخيبر فليحضر حتى نقسمها
بينهم فقال رئيسهم لا تخرجنا دعنا نكون فيها كما اقرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وابو
بكر فقال عمر لرئيسهم اتراني سقط علي قول رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف بك اذا
رقصت بك راحلتك نحو الشام يوما ثم يوما وقسمها عمر بين من كان شهد خيبر من اهل
الحديبية وقد رواه ابو داود مختصرا من حديث حماد بن سلمة قال البيهقي وعلقه البخاري
في كتابه فقال ورواه حماد بن سلمة قلت ولم اره في الاطراف والله اعلم وقال ابو داود
ثنا سليمان بن داود المهري انا ابن وهب اخبرني اسامة بن زيد الليثي عن نافع عن عبد الله
بن عمر قال لما افتتحت خيبر سالت يهود رسول الله ان يقرهم على ان يعملوا على النصف مما خرج
منها فقال رسول الله اقركم فيها على ذلك ما شئنا فكانوا على ذلك وكان التمر يقسم
على السهمان من نصف خيبر ويأخذ رسول الله الخمس وكان اطعم كل امراة من ازواجه من الخمس
مائة وسق تمرا وعشرين وسقا من شعير فلما اراد عمر اخراج اليهود ارسل الى ازواج النبي صلى
الله عليه وسلم فقال لهن من احب منكن ان اقسم لها نخلا بخرصها مائة وسق فيكون لها اصلها
وارضها وماؤها ومن الزرع مزرعة خرص عشرين وسقا فعلنا ومن احب ان يعزل الذي لها في
الخمس كما هو فعلنا وقد روى ابو داود من حديث محمد بن اسحاق حدثني نافع عن عبد الله بن
عمر ان عمر قال ايها الناس ان رسول الله كان عامل يهود خيبر على ان يخرجهم اذا شاء فمن كان
له مال فليلحق به فاني مخرج يهود فاخرجهم وقال البخاري ثنا يحيى بن بكير ثنا الليث
عن يونس عن ابن شهاب عن سعيد بن المسيب ان جبير بن مطعم اخبره قال مشيت انا
وعثمان بن عفان الى رسول الله فقلنا اعطيت بني المطلب من خمس خيبر وتركتنا ونحن
بمنزلة منك فقال انما بنو هاشم وبنو المطلب شيء واحد قال جبير بن مطعم ولم يقسم
النبي صلى الله عليه وسلم لبني عبد شمس وبني نوفل شيئا تفرد به دون مسلم وفي لفظ
ان رسول الله قال انما بنو المطلب وبنو هاشم شيء واحد انهم لم يفارقونا في جاهلية
ولا اسلام قلت وقد ذم ابو طالب بني عبد شمس وبني نوفل حيث يقول

جزى الله عنا عبد شمس ونوفلا عقوبة شر عاجلا غير آجل

وقال البخاري ثنا الحسن بن اسحاق ثنا محمد بن سابق ثنا زائدة عن عبيد الله بن عمر عن نافع
عن ابن عمر قال قسم رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم خيبر للفرس سهمين وللراجل سهما
قال فسره نافع فقال اذا كان مع الرجل فرس فله ثلاثة اسهم وان لم يكن معه فرس فله سهم
وقال البخاري ثنا سعيد بن ابي مريم ثنا محمد بن جعفر اخبرني زيد عن ابيه انه سمع عمر بن الخطاب
يقول اما والذي نفسي بيده لولا ان اترك اخر الناس ببانا ليس لهم شيء ما فتحت علي قرية
الا قسمتها كما قسم النبي صلى الله عليه وسلم خيبر ولكني اتركها خزانة لهم يقتسمونها
وقد رواه البخاري ايضا من حديث مالك وابو داود عن احمد بن حنبل عن ابن مهدي عن مالك
عن زيد بن اسلم عن ابيه عن عمر به وهذا السياق يقتضي ان خيبر بكمالها قسمت بين الغانمين
وقد قال ابو داود ثنا ابن السرح ثنا ابن وهب اخبرني يونس عن ابن شهاب قال بلغني ان
رسول الله افتتح خيبر عنوة بعد القتال ونزل من نزل من اهلها على الجلا بعد القتال
وبه قال الزهري خمس رسول الله صلى الله عليه وسلم خيبر ثم قسم سايرها على من شهدها
وفيما قاله الزهري نظر فان الصحيح ان خيبر جميعها لم تقسم وانما قسم نصفها بين الغانمين
كما سياتي بيانه وقد يحتج بهذا مالك ومن تابعه على ان الامام مخير في الاراضي المغنومة ان
شا قسمها وان شا ارصدها لمصالح المسلمين وان شا قسم بعضها وارصد بعضها كما
فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم في خيبر فانه خمسها ثم قسم نصفها في الغانمين وارصد
نصفها لما ينوبه من الحاجات والمصالح قال ابو داود حدثنا الربيع بن سليمان المؤذن
ثنا اسد بن موسى ثنا يحيى بن زكريا حدثني سفيان عن يحيى بن سعيد عن بشير بن يسار
عن سهل بن ابي حثمة قال قسم رسول الله صلى الله عليه وسلم خيبر نصفين نصفا لنوائبه ونصفا
بين المسلمين قسمها بينهم على ثمانية عشر سهما تفرد به ابو داود ثم رواه ابو داود من حديث
بشير بن يسار مرسلا فعين نصف النوائب الوطيحة والكتيبة والسلالم وما اخيز معهما
ونصف المسلمين الشق والنطاة وما اخيز معهما وسهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما اخيز
معهما وقال احمد ثنا حسين بن علي ثنا محمد بن فضيل عن يحيى بن سعيد عن بشير بن
يسار مولى الانصار عن رجال من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ان رسول الله لما ظهر
على خيبر قسمها على ستة وثلثين سهما جمع كل سهم ماية سهم فكان لرسول الله صلى الله عليه
وسلم وللمسلمين النصف من ذلك وعزل النصف الباقي لمن نزل به من الوفود والامور ونوايب
الناس تفرد به ابو داود وقال ابو داود ثنا محمد بن عيسى ثنا مجمع بن يعقوب بن مجمع بن
يزيد الانصاري سمعت ابي يعقوب بن مجمع يذكر عن عمه عبد الرحمن بن يزيد الانصاري عن
عمه مجمع بن جارية الانصاري وكان احد القرا الذين قروا القران قال قسمت خيبر على اهل
الحديبية فقسمها رسول الله على ثمانية عشر سهما وكان الجيش الفا وخمسماية فيهم
ثلثماية فارس فاعطى الفارس سهمين واعطى الراجل سهما تفرد به ابو داود وقال مالك عن
الزهري ان سعيد بن المسيب اخبره ان النبي صلى الله عليه وسلم افتتح بعض خيبر عنوة رواه
ابو داود ثم قال ابو داود وقرى على الحرث بن مسكين وانا شاهد اخبركم ابن وهب حدثني مالك
بن انس عن ابن شهاب ان خيبر بعضها كان عنوة وبعضها صلحا والكتيبة اكثرها عنوة
وفيها صلح قلت لمالك وما الكتيبة قال ارض خيبر وهي اربعون الف عذق قال ابو داود

العذق النخلة والعِذق العرجون ولهذا قال البخاري حدثني محمد بن بشار ثنا حرمي ثنا
شعبة عن عمارة عن عكرمة عن عايشة قالت لما فتحت خيبر قلنا الآن نشبع من التمر حدثنا
الحسن ثنا قرة بن حبيب ثنا عبد الرحمن بن عبد الله بن دينار عن ابيه عن ابن عمر قال
ما شبعنا يعني من التمر حتى فتحنا خيبر وقال محمد بن اسحاق كانت الشق والنطاة في سهمان
المسلمين الشق ثلاثة عشر ونطاة خمسة اسهم قسم الجميع على الف وثمانماية سهم ودفع
ذلك الى من شهد الحديبية من حضر خيبر ومن غاب عنها ولم يغب عن خيبر من شهد الحديبية
الا جابر بن عبد الله فضرب له بسهمه قال وكان اهل الحديبية الفا واربعماية وكان معهم
مايتا فرس لكل فرس سهمان فصرف الى كل ماية رجل سهم من ثمانية عشر سهما وزيد المايتا فارس
اربعماية سهم لخيولهم وهكذا روى البيهقي من طريق سفيان بن عيينة عن يحيى بن سعيد عن
صالح بن كيسان انهم كانوا الفا واربعماية وكان معهم مايتا فرس لكل فرس سهمان وضرب
رسول الله منهم معهم بسهم قال ابن اسحاق وكان في اول سهم من سهام الشق مع عاصم بن عدي
وكانت الكتيبة خمس الله تعالى وسهم النبي صلى الله عليه وسلم وسهم ذوي القربى واليتامى
والمساكين وابن السبيل وطعمة ازواج النبي صلى الله عليه وسلم وطعمة اقوام مشوا في
صلح اهل فدك منهم محيصة بن مسعود اقطعه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلثين
وسقا من تمر وثلثين وسقا من شعير قال وكان واديها اللذان قسمت عليه يقال
لهما وادي السرير ووادي خاص ثم ذكر ابن اسحاق تفاصيل الاقطاعات منها فاجاد وافاد
رح قال وكان الذي ولي قسمتها وحسابها جبار بن صخر بن امية بن خنسا اخو بني سلمة
وزيد بن ثابت رضي الله عنهما قلت وكان الامير على خرص نخيل خيبر عبد الله بن رواحة
ثم لما قتل رضي الله عنه كما سياتي في يوم موتة ولي بعده جبار بن صخر رضي الله عنه
وقد قال البخاري ثنا اسماعيل ثنا مالك عن عبد المجيد بن سهيل عن سعيد بن المسيب
عن ابي سعيد وابي هريرة ان رسول الله استعمل رجلا على خيبر فجاءه بتمر جنيب فقال
رسول الله اكل تمر خيبر هكذا قال لا والله يا رسول الله انا لناخذ الصاع من هذا
بالصاعين والصاعين بالثلاثة فقال لا تفعل بع الجميع بالدراهم ثم ابتع بالدراهم
جنيبا قال البخاري وقال الدراوردي عن عبد المجيد عن سعيد بن المسيب ان ابا سعيد
وابا هريرة حدثاه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث اخا بني عدي من الانصار الى خيبر
فامره عليها وعن عبد المجيد عن ابي صالح السمان عن ابي سعيد وابي هريرة مثله قلت
كان سهم النبي صلى الله عليه وسلم الذي اصاب مع المسلمين مما قسم بخيبر وفدك بكمالها وهي
طايفة كبيرة من ارض خيبر نزلوا من شدة رعبهم منه صلوات الله وسلامه عليه فصالحوه
واموال بني النضير المتقدم ذكرها مما لم يوجف المسلمون عليه بخيل ولا ركاب فكانت هذه
الاموال لرسول الله صلى الله عليه وسلم خاصة فكان يعزل منها نفقة اهله سنة ثم
يجعل ما بقي مجعل مال الله يصرفه في الكراع والسلاح ومصالح المسلمين فلما مات صلوات
الله وسلامه عليه اعتقدت فاطمة وازواج النبي صلى الله عليه وسلم او اكثرهن ان هذه
الاراضي تكون موروثة عنه ولم يبلغهن ما ثبت عنه من قوله صلى الله عليه وسلم نحن معشر
الانبيا لا نورث ما تركنا فهو صدقة ولما طلبت فاطمة وازواج النبي صلى الله عليه وسلم
وطلب العباس نصيبه من ذلك وسالوا الصديق ان يسلمه اليهم ذكر لهم قول النبي صلى الله

عليه وسلم لا نورث ما تركنا فهو صدقة وقال أنا أعول من كان يعول رسول الله صلى الله عليه وسلم والله لقرابة رسول الله صلى الله عليه وسلم أحب إلي أن أصل من قرابتي وصدق رضي الله عنه وأرضاه فإنه البار الراشد في ذلك التابع للحق فطلب العباس وعلي على لسان فاطمة إذ قد فاتهم الميراث أن ينظرا في أمر هذه الصدقة وأن يصرفا ذلك في المصارف التي كان النبي صلى الله عليه وسلم يصرفها فيها فأبى عليهم الصديق ذلك ورأى أن حقا عليه أن يقوم فيما كان يقوم فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأن لا يخرج من مسلكه ولا عن سننه فتغضبت فاطمة رضي الله عنها عليه في ذلك ووجدت في نفسها بعض الموجدة ولم يكن لها ذلك والصديق من قد عرفت هو والمسلمون محله ومنزلته من رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيامه في نصرة الرسول صلى الله عليه وسلم في حياته وبعد وفاته فجزاه الله عن نبيه وعن الإسلام خيرا وتوفيت فاطمة رضي الله عنها بعد ستة أشهر ثم جدد علي البيعة بعد ذلك فلما كان أيام عمر بن الخطاب سألوه أن يفوض أمر هذه الصدقة إلى علي والعباس وثقلوا عليه بجماعة من سادات الصحابة ففعل عمر رضي الله عنه ذلك وذلك لكثرة أشغاله واتساع مملكته وامتداد رعيته فتغلب علي على عمه العباس فيها ثم تساوقا يختصمان إلى عمر وقدما بين أيديهما جماعة من الصحابة وسألا منه أن يقسمها بينهما فينظر كل منهما فيما لا ينظر فيه الآخر فامتنع عمر من ذلك أشد الامتناع وخشي أن تكون هذه القسمة تشبه قسمة الميراث وقال انظرا فيها وأنتما جميع فإن عجزتما عنها فادفعاها إلي والذي تقوم السماء والأرض بأمره لا أقضي فيها قضاء غير هذا فاستمرا فيها ومن بعدهما من ذريتهما إلى أيام بني العباس تصرف في المصارف التي كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصرفها فيها أموال بني النضير وفدك وسهم رسول الله صلى الله عليه وسلم من خيبر

فصل وأما من شهد خيبر من العبيد والنساء فرضخ لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يقسم لهم قال أبو داود ثنا أحمد بن حنبل ثنا بشر بن المفضل عن محمد بن زيد حدثني عمير مولى آبي اللحم قال شهدت خيبر مع سادتي فكلموا في رسول الله صلى الله عليه وسلم فأمر بي فقلدت سيفا فإذا أنا أجره فأخبر أني مملوك فأمر لي بشيء من خرثي المتاع ورواه الترمذي والنسائي جميعا عن قتيبة عن بشر بن المفضل به وقال الترمذي حسن صحيح ورواه ابن ماجه عن علي بن محمد عن وكيع عن هشام بن سعد عن محمد بن زيد بن المهاجر بن قنفذ عن عمير به وقال محمد بن إسحاق وشهد خيبر مع النبي صلى الله عليه وسلم نساء فرضخ لهن ولم يضرب لهن بسهم حدثني سليمان بن سحيم عن أمية بنت أبي الصلت عن امرأة من بني غفار وقد سماها لي قالت أتيت رسول الله في نسوة من بني غفار فقلنا يا رسول الله قد أردنا أن نخرج معك إلى وجهك هذا وهو يسير إلى خيبر فنداوي الجرحى ونعين المسلمين بما استطعنا فقال على بركة الله قالت فخرجنا معه قالت وكنت جارية حديثة السن فأردفني رسول الله على حقيبة رحله قالت فوالله لنزل رسول الله إلى الصبح وأناخ ونزلت عن حقيبة رحله وإذا بها دم مني وكانت أول حيضة حضتها فتقبضت إلى الناقة واستحييت فلما رأى رسول الله ما بي ورأى الدم قال ما لك لعلك نفست قالت قلت نعم قال فأصلحي من نفسك ثم خذي إناء من ماء فاطرحي فيه ملحا ثم اغسلي به ما أصاب الحقيبة من الدم ثم عودي لمركبك قالت فلما فتح الله خيبر رضخ لنا من الفيء وأخذ هذه القلادة التي ترين

في عنقي

في عنقي فأعطانيها وعلقها بيده في عنقي فوالله لا تفارقني أبدا قالت فكانت في عنقها حتى ماتت ثم أوصت أن تدفن معها قالت وكانت لا تطهر من حيضة إلا جعلت في طهورها ملحا وأوصت به أن يجعل في غسلها حين ماتت وهكذا رواه الإمام أحمد وأبو داود من حديث محمد بن إسحاق به قال شيخنا أبو الحجاج المزي في أطرافه ورواه الواقدي عن أبي بكر بن أبي سبرة عن سليمان بن سحيم عن أم علي بنت أبي الحكم عن أمية بنت أبي الصلت عن النبي صلى الله عليه وسلم به وقال الإمام أحمد ثنا حسن بن موسى ثنا رافع بن سلمة الأشجعي حدثني حشرج بن زياد عن جدته أم أبيه قالت خرجنا مع رسول الله في غزاة خيبر وأنا سادسة ست نسوة قالت فبلغ النبي صلى الله عليه وسلم أن معه نساء قالت فأرسل إلينا فدعانا قالت فرأينا في وجهه الغضب فقال ما أخرجكن وبأمر من خرجتن قلنا خرجنا نناول السهام ونسقي السويق ومعنا دواء للجرحى ونغزل الشعر فنعين به في سبيل الله قال قمن فانصرفن قالت فلما فتح الله عليه خيبر أخرج لنا سهاما كسهام الرجال فقلت لها يا جدة وما الذي أخرج لكن قالت تمرا قلت إنما أعطاهن من الحاصل فأما أن أسهم لهن في الأراضي كسهام الرجال فلا والله تعالى أعلم وقال الحافظ البيهقي في كتابه أنا أبو عبد الله الحافظ أنا أبو عبد الله الأصبهاني أخبره ثنا الحسين بن الجهم ثنا الحسين بن الفرج ثنا الواقدي حدثني عبد السلام عن موسى بن جبير عن أبيه عن جده عن عبد الله بن أنيس قال خرجت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعي زوجتي وهي حبلى فنفست في الطريق فأخبرت رسول الله فقال لي انقع لها تمرا فإذا انغمر فأمرها لتشربه ففعلت فما رأت شيئا تكرهه فلما فتحنا خيبر أحذى النساء ولم يسهم لهن فأحذى زوجتي وولدي الذي ولد قال عبد السلام لست أدري غلاما أو جارية

ذكر قدوم جعفر بن أبي طالب ومن كان بقي بالحبشة ممن هاجر إليها من المسلمين ومن انضم إليهم من أهل اليمن على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو مخيم بخيبر

قال البخاري ثنا محمد بن العلاء ثنا أبو أسامة ثنا بريد بن عبد الله بن أبي بردة عن أبي بردة عن أبي موسى قال بلغنا مخرج النبي صلى الله عليه وسلم ونحن باليمن فخرجنا مهاجرين إليه أنا وأخوان لي أنا أصغرهم أحدهما أبو بردة والآخر أبو رهم إما قال في بضع وإما قال في ثلاثة وخمسين أو اثنين وخمسين رجلا من قومي فركبنا سفينة فألقتنا سفينتنا إلى النجاشي بالحبشة فوافقنا جعفر بن أبي طالب فأقمنا معه حتى قدمنا جميعا فوافقنا النبي صلى الله عليه وسلم حين افتتح خيبر فكان أناس من الناس يقولون لنا يعني لأهل السفينة سبقناكم بالهجرة ودخلت أسماء بنت عميس وهي ممن قدم معنا على حفصة زوج النبي صلى الله عليه وسلم زائرة وقد كانت هاجرت إلى النجاشي فيمن هاجر فدخل عمر على حفصة وأسماء عندها فقال عمر حين رأى أسماء من هذه قالت أسماء بنت عميس قال عمر الحبشية هذه البحرية هذه قالت أسماء نعم قال سبقناكم بالهجرة فنحن أحق برسول الله منكم فغضبت وقالت كلا والله كنتم مع رسول الله يطعم جائعكم ويعظ جاهلكم وكنا في دار أو في أرض البعداء البغضاء بالحبشة وذلك في الله وفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وايم الله لا أطعم طعاما ولا أشرب شرابا حتى أذكر ما قلت للنبي صلى الله عليه وسلم وأسأله ووالله لا أكذب ولا أزيغ ولا أزيد عليه فلما جاء النبي صلى الله عليه وسلم قالت يا نبي الله إن عمر قال كذا وكذا قال فما قلت له قالت قلت

كذا وكذا قال ليس بأحق بي منكم وله ولأصحابه هجرة واحدة ولكم أنتم أهل السفينة هجرتان
قالت فلقد رأيت أبا موسى وأصحاب السفينة يأتوني أرسالا يسألوني عن هذا الحديث ما من
الدنيا شيء هم به أفرح ولا أعظم في أنفسهم مما قال لهم النبي صلى الله عليه وسلم قال
أبو بردة قالت أسماء فلقد رأيت أبا موسى وإنه ليستعيد هذا الحديث مني وقال أبو بردة
عن أبي موسى قال النبي صلى الله عليه وسلم إني لأعرف أصوات رفقة الأشعريين بالقرآن
حين يدخلون بالليل وأعرف منازلهم من أصواتهم بالقرآن بالليل وإن كنت لم أر منازلهم
حين نزلوا بالنهار ومنهم حكيم إذا لقي العدو أو قال الخيل قال لهم إن أصحابي يأمرونكم أن تنظروهم
وهكذا رواه مسلم عن أبي كريب وعبد الله بن براد عن أبي أسامة به ثم قال البخاري ثنا
إسحاق بن إبراهيم ثنا حفص بن غياث ثنا بريد عن أبي بردة عن أبي موسى قال قدمنا على
النبي صلى الله عليه وسلم بعد أن افتتح خيبر فقسم لنا ولم يقسم لأحد لم يشهد الفتح غيرنا
تفرد به البخاري دون مسلم ورواه أبو داود والترمذي وصححه من حديث بريد به وقد ذكر ابن
إسحاق أن رسول الله بعث عمرو بن أمية الضمري إلى النجاشي يطلب منه من بقي من أصحابه
بالحبشة فقدموا وأصحبه جعفر وقد فتح النبي صلى الله عليه وسلم خيبر قال وذكر سفيان
بن عيينة عن الأجلح عن الشعبي أن جعفر بن أبي طالب قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم
يوم فتح خيبر فقبل رسول الله بين عينيه والتزمه وقال ما أدري بأيهما أنا أسر بفتح خيبر
أم بقدوم جعفر وهكذا رواه سفيان الثوري عن الأجلح عن الشعبي مرسلا وأسنده البيهقي
من طريق حسن بن حسين العرني عن الأجلح عن الشعبي عن جابر قال لما قدم رسول الله من خيبر
قدم جعفر من الحبشة فتلقاه وقبل جبهته وقال والله ما أدري بأيهما أفرح بفتح خيبر
أم بقدوم جعفر ثم قال البيهقي أنا أبو عبد الله الحافظ ثنا أبو الحسين بن أبي إسماعيل
العلوي ثنا أحمد بن محمد البيروتي ثنا أحمد بن محمد بن أبي طيبة حدثني مكي بن إبراهيم الرعيني
ثنا سفيان الثوري عن أبي الزبير عن جابر قال لما قدم جعفر بن أبي طالب من أرض الحبشة
تلقاه رسول الله فلما نظر جعفر إليه حجل قال مكي يعني مشى على رجل واحدة إعظاما لرسول
الله صلى الله عليه وسلم فقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم بين عينيه ثم قال
البيهقي في إسناده من لا يعرف إلى الثوري قال ابن إسحاق وكان الذين تأخروا مع جعفر من
أهل مكة إلى أن قدموا معه خيبر ستة عشر رجلا وسرد أسماءهم وأسماء نسائهم وهم جعفر بن أبي
طالب الهاشمي وامرأته أسماء بنت عميس وابنه عبد الله ولد بالحبشة وخالد بن سعيد بن
العاص بن أمية بن عبد شمس وامرأته أمينة بنت خلف بن أسعد وولداه سعيد وأمة
بنت خالد ولدا بأرض الحبشة وأخوه عمرو بن سعيد بن العاص ومعيقيب بن أبي فاطمة وكان
إلى آل سعيد بن العاص قال وأبو موسى الأشعري عبد الله بن قيس حليف آل عتبة بن ربيعة
والأسود بن نوفل بن خويلد بن أسد الأسدي وجهم بن قيس بن عبد شرحبيل العبدري وقد
ماتت امرأته أم حرملة بنت عبد الأسود بأرض الحبشة وابنه عمرو وابنته خزيمة ماتت بها
رحمهم الله وعامر بن أبي وقاص الزهري وعتبة بن مسعود حليف لهم من هذيل والحارث بن خالد
بن صخر التيمي وقد هلكت بها امرأته ريطة بنت الحارث رحمها الله وعثمان بن ربيعة بن وهبان
الجمحي ومحمية بن جزء الزبيدي حليف بني سهم ومعمر بن عبد الله بن نضلة العدوي وأبو حاطب
بن عمرو بن عبد شمس ومالك بن ربيعة بن قيس بن عبد شمس العامريان ومع مالك هذا امرأته

عمرة

عمرة بنت السعدي والحارث بن قيس بن لقيط الفهري قلت ولم يذكر ابن إسحاق أسماء الأشعريين
الذين كانوا مع أبي موسى وأخويه أبي عامر وأبي رهم بل لم يذكر من الأشعريين غير أبي موسى ولم يتعرض
لذكر أخويه وهما أسن منه كما تقدم في صحيح البخاري وكأن ابن إسحاق رحمه الله لم يطلع على حديث
أبي موسى في ذلك والله أعلم قال وكان معهم نساء من نساء من هلك من المسلمين هنالك
وقد خرجنا منها شيئا كثيرا حسنا وقال البخاري ثنا علي بن عبد الله ثنا سفيان سمعت الزهري
وسأله إسماعيل بن أمية قال أخبرني عنبسة بن سعيد أن أبا هريرة أتى رسول الله صلى الله
عليه وسلم فسأله فقال بعض بني سعيد بن العاص لا تعطه فقال أبو هريرة هذا قاتل
ابن قوقل فقال واعجبا لوبر تدلى من قدوم الضأن تفرد به دون مسلم قال البخاري ويذكر
عن الزبيدي عن الزهري أخبرني عنبسة بن سعيد أنه سمع أبا هريرة يخبر سعيد بن العاص قال
بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم أبانا على سرية من المدينة قبل نجد قال أبو هريرة فقدم
أبان وأصحابه على النبي صلى الله عليه وسلم بخيبر بعد ما افتتحها وإن حزم خيلهم الليف
قال أبو هريرة فقلت يا رسول الله لا تقسم لهم فقال أبان وأنت بهذا يا وبر تحدر من رأس ضال
وقال النبي صلى الله عليه وسلم يا أبان اجلس ولم يقسم لهم وقد أسند أبو داود هذا الحديث
عن سعيد بن منصور عن إسماعيل بن عياش عن محمد بن الوليد الزبيدي به نحوه ثم قال
البخاري ثنا موسى بن إسماعيل ثنا عمرو بن يحيى بن سعيد أخبرني جدي وهو سعيد بن عمرو بن
سعيد بن العاص أن أبان بن سعيد أقبل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فسلم عليه فقال
أبو هريرة يا رسول الله هذا قاتل ابن قوقل فقال أبان لأبي هريرة واعجبا لك وبر تدأدأ
من قدوم ضأن ينعى علي امرأ أكرمه الله بيدي ومنعه أن يهينني بيده هكذا رواه منفردا به
ههنا وقال في الجهاد بعد حديث الحميدي عن سفيان عن الزهري عن عنبسة بن سعيد
عن أبي هريرة قال أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بخيبر بعد ما افتتحها فقلت
يا رسول الله أسهم لي فقال بعض آل سعيد بن العاص لا تقسم له فقلت يا رسول الله هذا
قاتل ابن قوقل الحديث قال سفيان وحدثنيه السعيدي يعني عمرو بن يحيى بن سعيد
عن جده عن أبي هريرة بهذا ففي هذا الحديث التصريح من أبي هريرة بأنه لم يشهد خيبر وتقدم
في أول هذه الغزوة رواه الإمام أحمد من طريق عراك بن مالك عن أبي هريرة أنه قدم على رسول
الله بعد ما افتتح خيبر فكلم المسلمين فأشركونا في سهامهم وقال أحمد ثنا روح ثنا حماد بن
سلمة عن علي بن زيد عن عمار بن أبي عمار قال قال ما شهدت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
مغنما قط إلا قسم لي إلا خيبر فإنها كانت لأهل الحديبية خاصة وكان أبو هريرة وأبو موسى جاءا بعد
الحديبية وخيبر وقال البخاري ثنا عبد الله بن محمد ثنا معاوية بن عمرو ثنا أبو إسحاق عن
مالك بن أنس حدثني ثور حدثني سالم مولى ابن مطيع أنه سمع أبا هريرة يقول افتتحنا خيبر
فلم نغنم ذهبا ولا فضة إنما غنمنا الإبل والبقر والمتاع والحوائط ثم انصرفنا مع رسول
الله صلى الله عليه وسلم إلى وادي القرى ومعه عبد له يقال له مدعم أهداه له أحد بني
الضباب فبينما هو يحط رحل رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ جاءه سهم عائر حتى أصاب
ذلك العبد فقال الناس هنيئا له الشهادة فقال رسول الله بل كلا والذي نفسي بيده
إن الشملة التي أصابها يوم خيبر لم تصبها المقاسم لتشتعل عليه نارا فجاء رجل حين سمع ذلك
من رسول الله بشراك أو شراكين فقال هذا شيء كنت أصبته فقال رسول الله شراك أو شراكان

من نار

ذكر قصة الشاة المسمومة وما كان من البرهان الذي ظهر عندها والحجة البالغة فيها

قال البخاري رواه عروة عن عائشة عن النبي صلى الله عليه وسلم ثم قال حدثنا عبد الله بن يوسف ثنا الليث حدثني سعيد عن ابي هريرة قال لما فتحت خيبر اهديت لرسول الله صلى الله عليه وسلم شاة فيها سم هكذا اورده هاهنا مختصرا وقد قال الامام احمد ثنا حجاج ثنا ليث عن سعيد بن ابي سعيد عن ابي هريرة قال لما فتحت خيبر اهديت للنبي صلى الله عليه وسلم شاة فيها سم فقال رسول الله اجمعوا من كان هاهنا من اليهود فجمعوا له فقال لهم رسول الله اني سائلكم عن شيء فهل انتم صادقي عنه قالوا نعم يا ابا القاسم فقال لهم رسول الله من ابوكم فقالوا ابونا فلان فقال رسول الله كذبتم بل ابوكم فلان قالوا صدقت وبررت فقال لهم هل انتم صادقي عن شيء ان سالتكم عنه قالوا نعم يا ابا القاسم وان كذبنا عرفت كذبنا كما عرفته في ابينا فقال رسول الله لهم من اهل النار فقالوا نكون فيها يسيرا ثم تخلفونا فيها فقال لهم رسول الله والله لا نخلفكم فيها ثم قال لهم هل انتم صادقي عن شيء ان سالتكم عنه فقالوا نعم يا ابا القاسم فقال هل جعلتم في هذه الشاة سما فقالوا نعم قال ما حملكم على ذلك قالوا اردنا ان كنت كاذبا ان نستريح منك وان كنت نبيا لم يضرك. وقد رواه البخاري في الجزية عن عبد الله بن يوسف وفي المغازي ايضا عن قتيبة كلاهما عن الليث به وقال البيهقي انا ابو عبد الله الحافظ انا ابو العباس الاصم ثنا سعيد بن سليمان ثنا عباد بن العوام عن سفيان بن حسين عن الزهري عن سعيد بن المسيب وابي سلمة بن عبد الرحمن عن ابي هريرة ان امراة من اليهود اهدت لرسول الله شاة مسمومة فقال لاصحابه امسكوا فانها مسمومة وقال لها ما حملك على ما صنعت قالت اردت ان اعلم ان كنت نبيا فسيطلعك الله عليه وان كنت كاذبا اريح الناس منك قال فما عرض لها رسول الله صلى الله عليه وسلم ورواه ابو داود عن هرون بن عبد الله عن سعيد بن سليمان به ثم روى البيهقي من طريق عبد الملك بن ابي نضرة عن ابيه عن جابر بن عبد الله نحو ذلك وقال الامام احمد ثنا شريح ثنا عباد عن هلال هو ابن خباب عن عكرمة ان امراة من اليهود اهدت لرسول الله صلى الله عليه وسلم شاة مسمومة فارسل اليها فقال لها ما حملك على ما صنعت قالت احببت او اردت ان كنت نبيا فان الله سيطلعك عليه وان لم تكن نبيا اريح الناس منك قال فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا وجد من ذلك شيئا احتجم قال فسافر مرة فلما احرم وجد من ذلك شيئا فاحتجم وفي الصحيحين من حديث شعبة عن هشام بن زيد عن انس بن مالك ان امراة يهودية اتت رسول الله صلى الله عليه وسلم بشاة مسمومة فاكل منها فجيء بها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسالها عن ذلك فقالت اردت لاقتلك فقال ما كان الله ليسلطك علي او قال علي ذلك قالوا الا نقتلها قال لا قال انس فما زلت اعرفها في لهوات رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال ابو داود ثنا سليمان بن داود المهري ثنا ابن وهب اخبرني يونس عن ابن شهاب قال كان جابر بن عبد الله يحدث

ان يهودية من اهل خيبر سمت شاة مصلية ثم اهدتها لرسول الله صلى الله عليه وسلم فاخذ رسول الله الذراع فاكل منها واكل رهط من اصحابه معه ثم قال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ارفعوا ايديكم وارسل رسول الله الى المراة فدعاها فقال لها اسممت هذه الشاة فقالت اليهودية من اخبرك قال اخبرتني هذه التي في يدي الذراع قالت نعم قال فما اردت بذلك قالت قلت ان كنت نبيا فلن يضره وان لم تكن نبيا استرحنا منه فعفى عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يعاقبها وتوفي بعض اصحابه الذين اكلوا من الشاة واحتجم النبي صلى الله عليه وسلم على كاهله من اجل الشاة حجمه ابو هند بالقرن والشفرة وهو مولى لبني بياضة من الانصار ثم قال ابو داود ثنا وهب بن بقية ثنا خالد عن محمد بن عمرو عن ابي سلمة ان رسول الله اهدت له يهودية بخيبر شاة مصلية نحو حديث جابر قال فمات بشر بن البراء بن معرور فارسل اليها رسول الله فقال ما حملك على الذي صنعت فذكر نحو حديث جابر فامر بها رسول الله فقتلت ولم يذكر امر الحجامة قال البيهقي ورويناه من حديث حماد بن سلمة عن محمد بن عمرو عن ابي سلمة عن ابي هريرة قال ويحتمل انه لم يقتلها في الابتداء ثم لما مات بشر بن البراء امر بقتلها وروى البيهقي من حديث عبد الرزاق عن معمر عن الزهري عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك ان امراة يهودية اهدت الى رسول الله شاة مصلية بخيبر فقال ما هذه قالت هدية وحذرت ان تقول صدقة فلا ياكل قال فاكل واكل اصحابه ثم قال امسكوا ثم قال للمراة هل سممت قالت من اخبرك بهذا قال هذا العظم لساقها وهو في يده قالت نعم قال لم قالت اردت ان كنت كاذبا ان يستريح منك وان كنت نبيا لم يضرك قال فاحتجم رسول الله على الكاهل وامر اصحابه فاحتجموا ومات بعضهم قال الزهري فاسلمت فتركها النبي صلى الله عليه وسلم قال معمر واما الناس فيقولون قتلها رسول الله صلى الله عليه وسلم قال البيهقي هذا مرسل ولعله قد يكون عبد الرحمن حمله عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه وذكر ابن لهيعة عن ابي الاسود عن عروة وكذلك موسى بن عقبة عن الزهري قالوا لما فتح رسول الله خيبر وقتل منهم من قتل اهدت زينب بنت الحرث اليهودية وهي ابنة اخي مرحب لصفية شاة مصلية وسمتها واكثرت في الكتف والذراع لانه بلغها انه احب اعضاء الشاة الى رسول الله فدخل رسول الله على صفية ومعه بشر بن البراء بن معرور وهو احد بني سلمة فقدمت اليهم الشاة المصلية فتناول رسول الله الكتف وانتهش منها وتناول بشر عظما فانتهش منه فلما استرط رسول الله لقمته استرط بشر بن البراء ما في فيه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ارفعوا ايديكم فان كتف هذه الشاة يخبرني اني قد بغيت فيها فقال بشر بن البراء والذي اكرمك لقد وجدت ذلك في اكلتي التي اكلت فما منعني ان الفظها الا اني اعظمتك ان ابغضك طعامك فلما اسغت ما في فيك لم اكن لارغب بنفسي عن نفسك ورجوت ان لا تكون استرطتها وفيها بغي فلم يقم بشر من مكانه حتى عاد لونه كالطيلسان وماطله وجعه حتى كان لا يتحول حتى يحول قال الزهري قال جابر واحتجم رسول الله يومئذ حجمه مولى لبني بياضة بالقرن والشفرة وبقي رسول الله صلى الله عليه وسلم بعده ثلاث سنين حتى كان وجعه الذي توفي فيه فقال ما زلت اجد من الاكلة التي اكلت من الشاة يوم خيبر عددا حتى كان هذا اوان انقطاع ابهري فتوفي رسول الله صلى الله عليه وسلم شهيدا وقال محمد بن اسحاق فلما اطمان رسول الله صلى الله عليه وسلم اهدت له زينب بنت الحرث امراة سلام بن مشكم شاة مصلية وقد سالت اي عضو من الشاة احب

الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقيل لها الذراع فاكثرت فيها من السم ثم سمت سائر
الشاة ثم جاءت بها فلما وضعتها بين يديه تناول الذراع فلاك منها مضغة فلم يسغها
ومعه بشر بن البراء بن معرور قد اخذ منها كما اخذ رسول الله فاما بشر فاساغها واما رسول الله
فلفظها ثم قال ان هذا العظم ليخبرني انه مسموم ثم دعا بها فاعترفت فقال ما حملك
على ذلك قالت بلغت من قومي ما لم يخف عليك فقلت ان كان ملكا استرحت منه وان كان
نبيا فسيخبر قال فتجاوز عنها رسول الله ومات بشر من اكلته التي اكل قال ابن اسحاق
وحدثني مروان بن عثمان بن ابي سعيد بن المعلى قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قد قال في مرضه الذي توفي فيه ودخلت عليه ام بشر بنت البراء بن معرور يا ام بشر ان هذا
لاوان وجدت انقطاع ابهري من الاكلة التي اكلت مع اخيك بخيبر قال ابن هشام الابهر
العرق المعلق بالقلب قال فان كان المسلمون ليرون ان النبي صلى الله عليه وسلم مات
شهيدا مع ما اكرمه الله به من النبوة وقد قال الحافظ ابو بكر البزار ثنا هلال بن بشر
وسليمان بن سيف الحراني قالا ثنا ابو عتاب سهل بن حماد ثنا عبد الملك بن ابي نضرة عن ابيه
عن ابي سعيد الخدري ان يهودية اهدت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم شاة سميطا فلما
بسط القوم ايديهم قال رسول الله امسكوا فان عضوا من اعضائها يخبرني انها مسمومة
فارسل الى صاحبتها اسممت طعامك قالت نعم قال ما حملك على ذلك قالت احببت
ان كنت كذابا ان اريح الناس منك وان كنت صادقا علمت ان الله سيطلعك عليه فبسط
يده وقال كلوا بسم الله قال فاكلنا وذكرنا اسم الله فلم تضر احدا منا ثم قال
لا يروى عن عبد الملك بن ابي نضرة الا من هذا الوجه قلت وفيه غرابة ونكارة شديدة والله
اعلم وذكر الواقدي ان عيينة بن حصن قبل ان يسلم راى في منامه رؤيا ورسول الله محاصر
خيبر فطمع من رؤياه ان يقاتل رسول الله فيظفر به فلما قدم على رسول الله صلى الله عليه
وسلم خيبر وجده قد افتتحها فقال يا محمد اعطني ما غنمت من حلفائي يعني اهل خيبر
فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم كذبت رؤياك واخبره بما راى فرجع عيينة
فلقيه الحارث بن عوف فقال الم اقل انك توضع في غير شيء والله ليظهرن محمد على ما بين المشرق
والمغرب وان يهود كانوا يخبروننا بهذا اشهد لسمعنا ابا رافع سلام بن ابي الحقيق يقول
انا نحسد محمدا على النبوة حيث خرجت من بني هارون وانه لمرسل ويهود لا تطاوعني على هذا
ولنا منه ذبحان واحد بيثرب واخر بخيبر قال الحارث قلت لسلام يملك الارض قال نعم
والتوراة التي انزلت على موسى وما احب ان تعلم يهود بقولي فيه

فصل

قال ابن اسحاق
فلما فرغ رسول الله من خيبر انصرف الى وادي القرى فحاصر اهلها ليالي ثم انصرف راجعا
الى المدينة ثم ذكر من قصة مدعم وكيف جاءه سهم غرب فقتله وقال الناس هنيئا له
الشهادة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كلا والذي نفسي بيده ان الشملة التي
اخذها يوم خيبر لم تصبها المقاسم لتشتعل عليه نارا وقد تقدم في صحيح البخاري نحو
ما ذكره ابن اسحاق والله اعلم وسيأتي ذكر قتاله عليه السلام بوادي القرى وقال الامام
احمد ثنا يحيى بن سعيد عن يحيى بن سعيد الانصاري عن محمد بن يحيى بن حبان عن ابي عمرة
عن زيد بن خالد الجهني ان رجلا من اشجع من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم توفي
يوم خيبر فذكر ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فقال صلوا على صاحبكم فتغيرت وجوه الناس

من ذلك فقال ان صاحبكم غل في سبيل الله ففتشنا متاعه فوجدنا خرزا من خرز يهود ما يساوي
درهمين وهكذا رواه ابو داود والنسائي من حديث يحيى بن سعيد القطان زاد ابو داود
وبشر بن المفضل وابن ماجه من حديث الليث بن سعد عن يحيى بن سعيد الانصاري به
وقد ذكر البيهقي ان بني فزارة ارادوا ان يقاتلوا رسول الله صلى الله عليه وسلم مرجعه
من خيبر وتجمعوا لذلك فبعث اليهم يواعدهم موضعا معينا فلما تحققوا ذلك هربوا كل
مهرب وذهبوا من طريقه كل مذهب وقد تقدم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما حلت
صفية من استبرائها دخل بها في مكان يقال له سد الصهباء في اثناء طريقه الى المدينة
واولم عليها بحيس واقام ثلاثة ايام يبني عليه بها واسلمت فاعتقها وتزوجها وجعل
عتقها صداقها وكانت احدى امهات المؤمنين كما فهمه الصحابة لما مد عليها الحجاب دونها
وراءه رضي الله عنها وذكر محمد بن اسحاق في السيرة قال لما اعرس رسول الله بصفية
بخيبر او ببعض الطريق وكانت التي جملتها لرسول الله ومشطتها واصلحت من امرها ام
سليم بنت ملحان ام انس بن مالك وبات بها رسول الله في قبة له وبات ابو ايوب متوشحا
سيفه يحرس رسول الله صلى الله عليه وسلم ويطيف بالقبة حتى اصبح فلما اصبح راى رسول
الله مكانه قال ما لك يا ابا ايوب قال خفت عليك من هذه المراة وكانت امراة قد قتلت
اباها وزوجها وقومها وكانت حديثة عهد بكفر فخفتها عليك فزعموا ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم قال اللهم احفظ ابا ايوب كما بات يحفظني ثم قال حدثني الزهري عن سعيد
بن المسيب فذكر نومهم عن صلاة الصبح مرجعهم من خيبر وان رسول الله كان اولهم استيقاظا
فقال ماذا صنعت بنا يا بلال قال يا رسول الله اخذ بنفسي الذي اخذ بنفسك قال صدقت
ثم اقتاد ناقته غير كثير ثم نزل فتوضأ وصلى كما كان يصليها قبل ذلك وهكذا رواه مالك عن
الزهري عن سعيد مرسلا وهذا مرسل من هذا الوجه وقد قال ابو داود ثنا احمد بن صالح ثنا
ابن وهب اخبرني يونس عن ابن شهاب عن سعيد بن المسيب عن ابي هريرة ان رسول الله حين
قفل من غزوة خيبر فسار ليلة حتى اذا ادركنا الكرى عرس وقال لبلال اكلأ لنا الليل
قال فغلبت بلالا عيناه وهو مستند الى راحلته فلم يستيقظ النبي صلى الله عليه وسلم ولا بلال
ولا احد من اصحابه حتى ضربتهم الشمس فكان رسول الله اولهم استيقاظا ثم توضأ رسول الله
فامر بلالا فاقام لهم الصلاة وصلى لهم الصبح فلما ان قضى الصلاة قال من نسي صلاة فليصلها
اذا ذكرها فان الله تعالى يقول اقم الصلاة للذكرى قال يونس وكان ابن شهاب يقرؤها كذلك
وهكذا رواه مسلم عن حرملة بن يحيى عن عبد الله بن وهب به وفيه ان ذلك كان مرجعهم من
خيبر وفي حديث شعبة عن جامع بن شداد عن عبد الرحمن بن ابي مليكة عن ابن مسعود ان
ذلك كان مرجعهم من الحديبية ففي رواية عنه ان بلالا هو الذي كان يكلؤهم وفي رواية عنه انه
هو الذي كان يكلؤهم قال الحافظ البيهقي فيحتمل ان ذلك كان مرتين قال وفي حديث
عمران بن حصين وابي قتادة نومهم عن الصلاة وفيه حديث الميضاة فيحتمل ان ذلك كان
مرتين احدهما بين المرتين او مرة ثالثة قال وذكر الواقدي في حديث ابي قتادة ان ذلك كان
مرجعهم من غزوة تبوك قال وروى زافر بن سليمان عن شعبة عن جامع بن شداد عن عبد
الرحمن عن ابن مسعود ان ذلك كان مرجعهم من تبوك فالله اعلم ثم اورد البيهقي ما رواه صاحب
الصحيح من حديث عوف الاعرابي عن ابي رجاء عن عمران بن حصين في قصة نومهم عن الصلاة

وقصة للاة صاحبة الشطيحتين وكيف اخذ واسمهما ما روى الحبشي بكما له ولم ينقص ذلك
منهما شيا ثم ذكر ما رواه مسلم من حديث ثابت البناني عن عبد الله بن رباح عن ابي قتادة
وهو حديث طويل وفيه نومهم عن الصلاة وتكثير الما من تلك الميضاة وقد رواه عبد
الرزاق عن معمر عن قتادة عن عبد الله بن رباح عن ابي قتادة فذكره فالله اعلم وقال
البخاري ثنا موسى بن اسماعيل ثنا عبد الواحد عن عاصم عن ابي عثمان عن ابي موسى الاشعري
قال لما غزا رسول الله خيبرا وقال لما توجه رسول الله الى خيبر اشرف الناس على واد فرفعوا
اصواتهم بالتكبير الله اكبر الله اكبر لا اله الا الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اربعوا
على انفسكم انكم لا تدعون اصم ولا غايبا انكم تدعون سميعا قريبا وهو معكم وانا خلف دابة
رسول الله صلى الله عليه وسلم فسمعني وانا اقول لا حول ولا قوة الا بالله فقال يا عبد
الله بن قيس قلت لبيك يا رسول الله قال الا ادلك على كلمة من كنز الجنة قلت بلى يا رسول
الله فداك ابي وامي قال لا حول ولا قوة الا بالله وقد رواه بقية الجماعة من طرق عن عبد
الرحمن بن ابي عثمان النهدي عن ابي موسى الاشعري والصواب انه كان في مرجعهم من خيبر فان
ابا موسى انما قدم بعد فتح خيبر كما تقدم قال ابن اسحاق وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم
فيما بلغني قد اعطى ابن لقيم العبسي حين افتتح خيبر ما بها من دجاجة او داجن وكان فتح خيبر
في صفر فقال ابن لقيم في فتح خيبر •

• رميت نطاة من الرسول بفيلق • شهبا ذات مناكب وفقار •
• واستيقنت بالذل لما شيعت • ورجال اسلم وسطها وغفار •
• صبحت بني عمرو بن عدو غدوة • والشق اظلم اهله بنهار •
• جرت بابطحها الذيول فلم تدع • الا الدجاج تصيح بالاسحار •
• ولكل حصن شاغل من خيلهم • من عبد الاشهل او بني النجار •
• ومهاجرين قد اعلموا سيماهم • فوق المغافر لم ينو لفرار •
• ولقد علمت ليغلبن محمد • وليثوين بها الى اصفار •
• فرت يهود عند ذلك في الوغى • تحت العجاج غمايم الابصار •

فصل في ذكر من استشهد بخيبر من الصحابة رضي الله عنهم

على ما ذكره محمد بن اسحاق بن يسار رحمه وغيره من اصحاب المغازي فمن خير المهاجرين ربيعة
بن اكثم بن سخبرة الاسدي مولى بني امية وثقف بن عمرو ورفاعة بن مسروح حلفا بني امية وعبد الله
بن الهبيب بن اهيب بن سحيم بن غيرة من بني سعد بن ليث حليف بني اسد وابن اختهم
ومن الانصار بشر بن البرا بن معرور من اكله من الشاة المسمومة مع رسول الله كما تقدم
وفضيل بن النعمان السلمي ومسعود بن سعد بن قيس بن خالدة بن عامر بن زريق الزرقي
ومحمود بن مسلمة الاشهلي وابو ضياح حارثة بن ثابت بن النعمان العمري والحرث بن حاطب وعروة
بن مرة بن سراقة واوس بن القايد وانيف بن حبيب وثابت بن اثلة وطلحة وعمارة بن عقبة
رمي بسهم فقتله وعامر بن الاكوع عم سلمة بن عمرو بن الاكوع اصابه طرف سيفه في ركبته فقتله
رحمه كما تقدم والاسود الراعي وقد افرد ابن اسحاق ههنا قصته وقد اسلفنا ما في اول هذه
الغزوة ولله الحمد والمنة قال ابن اسحاق وممن استشهد بخيبر فيما ذكره ابن شهاب من بني
زهرة مسعود بن ربيعة حليف لهم من القارة ومن الانصار ثم من بني عمرو بن عوف اوس بن قتادة

بصفوان

رضي الله عنهم اجمعين

خبر الحجاج بن علاط البهزي رضي الله عنه

قال ابن اسحاق ولما افتتحت خيبر كلم رسول الله صلى الله عليه وسلم الحجاج بن علاط
السلمي ثم البهزي فقال يا رسول الله ان لي بمكة مالا عند صاحبتي ام شيبة بنت ابي طلحة
وكانت عنده له منها معرض بن الحجاج ومالا متفرقا في تجار اهل مكة فاذن لي يا رسول الله فاذن
له فقال انه لا بد لي يا رسول الله من ان اقول قال قل قال الحجاج فخرجت حتى اذا قدمت مكة وجدت
بثنية البيضا رجالا من قريش يتسمعون الاخبار ويسالون عن امر رسول الله وقد بلغهم انه
قد سار الى خيبر وقد عرفوا انها قرية الحجاز ريفا ومنعة ورجالا فهم يتحسسون الاخبار
من الركبان فلما راوني قالوا الحجاج بن علاط قال ولم يكونوا علموا باسلامي عنده والله الخبر
اخبرنا يا ابا محمد فانه قد بلغنا ان القاطع قد سار الى خيبر وهي بلد يهود وريف الحجاز قال
قلت قد بلغني ذلك وعندي من الخبر ما يسركم قال فالتبطوا بجنبي ناقتي يقولون ايه يا حجاج
قال قلت هزم هزيمة لم تسمعوا بمثلها قط وقتل اصحابه قتلا لم تسمعوا بمثله قط واسر
محمد اسيرا وقالوا لا نقتله حتى نبعث به الى مكة فيقتلوه بين اظهرهم بمن كان اصاب من رجالهم
قال فقاموا وصاحوا بمكة وقالوا قد جاءكم الخبر وهذا محمد انما تنتظرون ان يقدم به عليكم
فيقتل بين اظهركم قال قلت اعينوني على جمع مالي بمكة على غرمائي فاني اريد ان اقدم خيبر
فاصيب من فل محمد واصحابه قبل ان يسبقني التجار الى ما هنالك قال فقاموا فجمعوا لي ما كان
لي كاحث جمع سمعت به قال وجيت صاحبتي فقلت مالي وكان لي عندها مال موضوع لعلي
الحق بخيبر فاصيب من فرص البيع قبل ان يسبقني التجار قال فلما سمع العباس بن عبد المطلب
الخبر وجاءه عني اقبل حتى وقف الى جنبي وانا في خيمة من خيام التجار فقال يا حجاج ما هذا الذي
جيت به قال قلت وهل عندك حفظ لما وضعت عندك قال نعم قال قلت فاستاخر عني حتى
القاك على خلاء فاني في جمع مالي كما ترى فانصرف عني حتى افرغ قال حتى اذا فرغت من جمع كل
شي كان لي بمكة واجمعت الخروج لقيت العباس فقلت احفظ علي حديثي يا ابا الفضل فاني
اخشى الطلب ثلاثا ثم قل ما شيت قال افعل قال قلت فاني والله لقد تركت ابن اخيك
عروسا على بنت ملكهم يعني صفية بنت حيي وقد افتتح خيبر وانتثل ما فيها وصارت له ولاصحابه
قال ما تقول يا حجاج قال قلت اي والله فاكتم عني ولقد اسلمت وما جيت الا لاخذ مالي فرقا
من ان اغلب عليه فاذا مضت ثلاث فاظهر امرك فهو والله على ما تحب حتى اذا كان اليوم الثالث
لبس العباس حلة له وتخلق واخذ عصاه ثم خرج حتى اتى الكعبة فطاف بها فلما راوه قالوا
يا ابا الفضل هذا والله التجلد لحر المصيبة قال كلا والذي حلفتم به لقد افتتح محمد خيبر
وترك عروسا على ابنة ملكهم واحرزوا اموالهم وما فيها فاصبحت له ولاصحابه قالوا من جاءك بهذا
الخبر قال الذي جاءكم بما جاءكم به ولقد دخل عليكم مسلما واخذ ماله فانطلق ليلحق بمحمد واصحابه
فيكون معه فقالوا يا لعباد الله انفلت عدو الله اما والله لو علمنا لكان لنا وله شان قال
ولم ينشبوا ان جاءهم الخبر بذلك هكذا ذكر ابن اسحاق هذه القصة منقطعة وقد اسند ذلك
الامام احمد بن حنبل فقال حدثنا عبد الرزاق ثنا معمر سمعت ثابتا يحدث عن انس قال لما
افتتح رسول الله صلى الله عليه وسلم خيبر قال الحجاج بن علاط يا رسول الله ان لي بمكة مالا وان
لي بها اهلا واني اريد ان اتيهم انا في حل ان انا نلت منك او قلت شيا فاذن له رسول

الله صلى الله عليه وسلم ان يقول ما شاء فاتى امراته حين قدم فقال اجمعي لي ما كان عندك
فاني اريد ان اشتري من غنائم محمد واصحابه فانهم قد استبيحوا واصيبت اموالهم قال
وفشى ذلك بمكة فانقمع المسلمون واظهر المشركون فرحا وسرورا قال وبلغ الخبر العباس
فعقر وجعل لا يستطيع ان يقوم قال معمر فاخبرني عثمان الجزري عن مقسم قال فاخذ ابنا له
يقال له قثم واستلقى ووضعه على صدره وهو يقول

حِبّي قثم شبيه ذي الانف الاشم • بني ذي النعم برغم من رغم

قال ثابت عن انس ثم ارسل غلاما له الى الحجاج بن علاط ويلك ما جئت به وماذا تقول فما
وعد الله خير مما جئت به فقال الحجاج بن علاط لغلامه اقرا على ابي الفضل السلام وقل
له فليخل لي بعض بيوته لآتيه فان الخبر على ما يسره فجاء غلامه فلما بلغ باب الدار قال ابشر
يا ابا الفضل قال فوثب العباس فرحا حتى قبل بين عينيه فاخبره ما قال الحجاج فاعتقه
قال ثم جاءه الحجاج فاخبره ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد افتتح خيبر وغنم اموالهم
وجرت سهام الله في اموالهم واصطفى رسول الله صلى الله عليه وسلم صفية بنت حيي واتخذها
لنفسه وخيرها ان يعتقها وتكون زوجته او تلحق باهلها فاختارت ان يعتقها وتكون
زوجته قال ولكني جئت لمال لي كان هاهنا اردت ان اجمعه فاذهب به فاستاذنت
رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذن لي ان اقول ما شئت فاخف علي ثلاثا ثم اذكر ما بدا
لك قال فجمعت امراته ما كان عندها من حلي او متاع فدفعته اليه ثم انشمر به فلما كان بعد
ثلاث اتى العباس امراة الحجاج فقال ما فعل زوجك فاخبرته انه ذهب يوم كذا وكذا وقالت
لا يخزيك الله يا ابا الفضل لقد شق علينا الذي بلغك قال اجل لا يخزني الله ولم يكن بحمد
الله الا ما احببنا فتح الله خيبر على رسوله وجرت فيها سهام الله واصطفى رسول الله صلى
الله عليه وسلم صفية لنفسه فان كانت لك حاجة في زوجك فالحقي به قالت اظنك والله
صادقا قال فاني صادق الامر على ما اخبرتك ثم ذهب حتى اتى مجالس قريش وهم يقولون
اذا مر بهم لا يصيبك الا خير يا ابا الفضل قال لم يصبني الا خير بحمد الله اخبرني الحجاج بن
علاط ان خيبر فتحها الله على رسوله وجرت فيها سهام الله واصطفى صفية لنفسه وقد
سالني ان اخفي عليه ثلاثا وانما جاء لياخذ ما له وما كان من شيء هاهنا ثم يذهب قال فرد
الله الكآبة التي كانت بالمسلمين على المشركين وخرج المسلمون من كان دخل بيته مكتئبا
حتى اتوا العباس فاخبرهم الخبر فسر المسلمون ورد ما كان من كآبة او غيظ او حزن على المشركين
وهذا الاسناد على شرط الصحيحين ولم يخرجه احد من اصحاب الكتب الستة سوى النسائي عن اسحاق
بن ابراهيم عن عبد الرزاق به نحوه ورواه الحافظ البيهقي من طريق محمود بن غيلان عن عبد
الرزاق ورواه ايضا من طريق يعقوب بن سفيان عن زيد بن المبارك عن محمد بن ثور عن معمر
نحوه وكذلك ذكر موسى بن عقبة في مغازيه ان قريشا كان بينهم تراهن عظيم وتبايع منهم
من يقول يظهر محمد واصحابه ومنهم من يقول يظهر الحليفان ويهود خيبر وكان الحجاج بن
علاط السلمي ثم البهزي قد اسلم وشهد مع رسول الله فتح خيبر وكانت تحته ام شيبة اخت
عبد الدار بن قصي وكان الحجاج مكثرا من المال وكانت له معادن ارض بني سليم فلما ظهر رسول
الله صلى الله عليه وسلم على خيبر استاذن الحجاج رسول الله صلى الله عليه وسلم في الذهاب
الى مكة يجمع امواله فاذن له فذكر نحو ما تقدم قال السهيلي وروينا في شان اسلام الحجاج

هذا

من احسن عجيب ما سمع الجن قال وهو والد النضر بن حجاج الذي نفاه عمر بن الخطاب من المدينة بسبب
انه سمع بعض جواري المدينة تنشد به وتنسبه تقول الفريعة بنت همام ام الحجاج بن يوسف الثقفي

الا سبيل الى خمر فاشربها • ولا سبيل الى النضر بن حجاج •

قال فلما نفاه ذهب الى الشام فهوي امراة ابي الاعور السلمي واحبته فكان يقال له
المضني ومات بذلك قال ابن اسحاق ومما قيل من الشعر في غزوة خيبر قول حسان

بئسما قاتلت خيابر عما • جمعوا من مزارع ونخيل •
كرهوا الموت فاستبيح حماهم • واقروا فعل اللئيم الذليل •
امن الموت يهربون فان المو • ت موت الهزال غير جميل •

وقال كعب بن مالك فيما ذكره ابن هشام عن ابي زيد الانصاري

ونحن وردنا خيبرا وفروضه • بكل فتى عاري الاشاجع مذود •
جواد لدى الغايات لا واهن القوى • جريء على الاعداء في كل مشهد •
عظيم رماد القدر في كل شتوة • ضروب بنصل المشرفي المهند •
يرى القتل مدحا ان اصاب شهادة • من الله يرجوها وفوزا باحمد •
يذود ويحمي عن ذمار محمد • ويدفع عنه باللسان وباليد •
وينصره من كل امر يريبه • يجود بنفس دون نفس محمد •
يصدق بالانباء بالغيب مخلصا • يريد بذاك العز والفوز في غد •

فصل في مروره عليه السلام بوادي القرى ومحاصرته قوما من اليهود ومصالحته يهود تيماء

على ما ذكره الواقدي وغيره قال الواقدي حدثني عبد الرحمن بن عبد العزيز عن الزهري عن ابي
سلمة عن ابي هريرة قال خرجنا مع رسول الله من خيبر الى وادي القرى وكان رفاعة بن زيد
بن وهب الجذامي قد وهب لرسول الله صلى الله عليه وسلم عبدا اسود يقال له مدعم
وكان يرحل لرسول الله فلما نزلنا بوادي القرى انتهينا الى يهود وقد ثوى اليها ناس من
العرب فبينما مدعم يحط رحل رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد استقبلتنا يهود بالرمي رحل صح
حين نزلنا ولم نكن على تعبية وهم يصيحون في آطامهم فيقبل سهم عائر فاصاب مدعما
فقتله فقال الناس هنيئا له الجنة فقال النبي صلى الله عليه وسلم كلا والذي نفسي بيده
ان الشملة التي اخذها يوم خيبر من المغانم لم تصبها المقاسم لتشتعل عليه نارا فلما سمع
بذلك الناس جاء رجل الى رسول الله بشراك او شراكين فقال النبي صلى الله عليه وسلم
شراك من نار او شراكان من نار وهذا الحديث في الصحيحين من حديث مالك عن ثور بن
يزيد عن ابي الغيث عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم بنحوه قال الواقدي وعبى
رسول الله صلى الله عليه وسلم اصحابه للقتال وصفهم ودفع لواءه الى سعد بن عبادة
وراية الى الحباب بن المنذر وراية الى سهل بن حنيف وراية الى عباد بن بشر ثم دعاهم الى
الاسلام واخبرهم انهم ان اسلموا احرزوا اموالهم وحقنوا دماءهم وحسابهم على الله قال
فبرز رجل منهم فبرز اليه الزبير بن العوام فقتله ثم برز اخر فبرز اليه علي فقتله ثم برز
اخر فبرز اليه ابو دجانة فقتله حتى قتل منهم احد عشر رجلا كلما قتل منهم رجل دعي من بقي
الى الاسلام ولقد كانت الصلاة تحضر ذلك اليوم فيصلي باصحابه ثم يعود فيدعوهم
الى الاسلام والى الله عز وجل فقاتلهم حتى امسوا وغدا عليهم فلم ترتفع الشمس قيد رمح حتى اعطوا

بايديهم وفتحها عنوة وغنمهم ادتماموا لهم واصابوا اثاثا ومتاعا كثيرا واقام رسول الله
بوادي القرى اربعة ايام يقسم ما اصاب على اصحابه وترك الارض والنخيل بايدي اليهود
وعاملهم عليها فلما بلغ يهود تيماء ما وطئ به رسول الله صلى الله عليه وسلم خيبر وفدك
ووادي القرى صالحوا رسول الله على الجزية واقاموا بايديهم اموالهم فلما كان عمر اخرج
يهود خيبر وفدك ولم يخرج اهل تيماء ووادي القرى لانهما داخلتان في ارض الشام ويرى
ان ما دون وادي القرى الى المدينة حجاز وما وراء ذلك من الشام قال ثم انصرف رسول
الله صلى الله عليه وسلم راجعا الى المدينة بعد ان فرغ من خيبر ووادي القرى وغنمه
الله عز وجل قال الواقدي حدثني يعقوب بن محمد عن عبد الرحمن بن عبد الله بن ابي
صعصعة عن الحرث بن عبد الله بن كعب عن ام عمارة قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه
وسلم بالجرف وهو يقول لا تطرقوا النسا بعد صلاة العشا قالت فذهب رجل من الحي
فطرق اهله فوجد ما يكره فخلى سبيلها ولم يهجر وضن بزوجته ان يفارقها وكان له منها اولاد
وكان يحبها فعصى رسول الله صلى الله عليه وسلم فراي ما يكره **فصل** ثبت في
الصحيحين ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما افتتح خيبر عامل يهودها على شطر
ما يخرج منها من ثمر او زرع وقد ورد في بعض الفاظ هذا الحديث على ان يعملوها من اموالهم
وفي بعضها وقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم نقركم فيها ما شئنا وفي السنن انه كان يبعث
عليهم عبد الله بن رواحة يخرصها عليهم عند استوائه ثمارها ثم يضمنهم اياه فلما قتل عبد
الله بموته بعث بعده جبار بن صخر كما تقدم وهو موضع تحرير الفاظه وبيان طرقه كتاب
المزارعة من كتاب الاحكام الكبير ان شا الله وبه الثقة وقال محمد بن اسحاق سالت ابن شهاب
كيف كان اعطاء رسول الله يهود خيبر نخلهم فاخبرني ان رسول الله افتتح خيبر عنوة بعد
القتال وكانت خيبر مما افاء الله عليه خمسها وقسمها بين المسلمين ونزل من نزل
من اهلها على الجلاء بعد القتال فدعاهم رسول الله فقال ان شئتم دفعت اليكم هذه
الاموال على ان تعملوها وتكون ثمارها بيننا وبينكم فاقركم ما اقركم الله فقبلوا فكانوا
على ذلك يعملونها وكان رسول الله يبعث عبد الله بن رواحة فيقسم ثمرها ويعدل
عليهم في الخرص فلما توفى الله نبيه صلى الله عليه وسلم اقرها ابو بكر بايديهم على المعاملة
التي عاملهم عليها رسول الله حتى توفي ثم اقرهم عمر بن الخطاب صدرا من امارته ثم بلغ عمر ان
رسول الله قال في وجعه الذي قبضه الله فيه لا يجتمعن بجزيرة العرب دينان ففحص عمر
عن ذلك حتى بلغه الثبت فارسل الى يهود فقال ان الله قد اذن في اجلائكم قد بلغني
ان رسول الله قال لا يجتمعن في جزيرة العرب دينان فمن كان عنده عهد من رسول الله
فليأتني به انفذه له ومن لم يكن عنده عهد فليتجهز للجلاء فاجلى عمر من لم يكن عنده عهد
من رسول الله قلت وقد ادعى يهود خيبر في الازمان المتاخرة بعد الثلثماية ان بايديهم
كتابا من رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه انه وضع الجزية عنهم وقد اغتر بهذا الكتاب
بعض العلماء حتى قال باسقاط الجزية عنهم من الشافعية الشيخ ابو علي بن خيرون وهو
كتاب مزور مكذوب مفتعل لا اصل له وقد بينت بطلانه من وجوه عديدة في كتاب مفرد
وقد تعرض لذكره وابطاله جماعة من الاصحاب في كتبهم كابن الصباغ في شامله والشيخ ابي
حامد في تعليقته وصنف فيه ابن المسلمة جزا منفردا للرد عليه وقد تحركوا به بعد السبعماية

واظهروا

واظهروا كتابا فيه نسخته ما ذكره الاصحاب في كتبهم وقد وقفت عليه فاذا هو مكذوب
فان فيه شهادة سعد بن معاذ وقد كان مات زمن خيبر وفيه شهادة معاوية بن ابي سفيان
ولم يكن اسلم يومئذ وفي اخره وكتبه علي بن ابي طالب وهذا لحن وخطا وفيه وضع الجزية
ولم تكن شرعت بعد فانها انما شرعت اولا شرعت واخذت من اهل نجران وذكروا انهم وفدوا
في حدود سنة تسع والله اعلم ثم قال ابن اسحاق وحدثني نافع مولى عبد الله بن عمر عن ابن
عمر قال خرجت انا والزبير بن العوام والمقداد بن الاسود الى اموالنا بخيبر نتعاهدها فلما
قدمنا تفرقنا في اموالنا قال فعدي علي تحت الليل وانا نائم على فراشي ففدعت يداي
من مرفقي فلما استصرخ علي صاحباي فاتياني فسالاني من صنع هذا بك فقلت لا ادري
قال فاصلحا من يدي ثم قدما بي على عمر فقال هذا عمل يهود ثم قام في الناس فقال ايها الناس
ان رسول الله كان عامل يهود خيبر على انا نخرجهم اذا شئنا وقد عدوا على عبد الله بن
عمر ففدعوا يديه كما بلغكم مع عدوتهم على الانصاري قبله لا نشك انهم اصحابه ليس لنا
هناك عدو غيرهم فمن كان له مال بخيبر فليلحق به فاني مخرج يهود فاخرجهم قلت
كان لعمر بن الخطاب سهمه الذي بخيبر وقد كان وقفه في سبيل الله وشرط فيه الوقف
ما اشار به رسول الله صلى الله عليه وسلم كما هو ثابت في الصحيحين وشرط ان يكون
النظر فيه للارشد من بنيه ثم ذريته واما قول عمر مع عدوتهم على الانصاري فيشير به
الى ما ثبت في الصحيحين من رواية كنا قال الحافظ ابو بكر البيهقي في كتاب
الدلائل **جماع ابواب السرايا التي تذكر بعد فتح خيبر وقبل عمرة القضية**
وان كان تاريخ بعضها ليس بالواضح عند اهل المغازي

سرية ابي بكر الصديق الى بني فزارة

قال الامام احمد حدثنا بهز ثنا عكرمة بن عمار ثنا اياس بن سلمة حدثني ابي قال
خرجنا مع ابي بكر بن ابي قحافة وامره رسول الله صلى الله عليه وسلم علينا قال فغزونا
بني فزارة فلما دنونا من الماء امرنا ابو بكر فعرسنا فلما صلينا الصبح امرنا ابو بكر
فشننا الغارة فوردنا الماء فقتلنا قال سلمة ثم نظرت الى عنق من الناس فيه
الذرية والنسا نحو الجبل وانا اعدو في اثارهم فخشيت ان يسبقوني الى الجبل فرميت
بسهم فوقع بينهم وبين الجبل قال فجئت بهم اسوقهم الى ابي بكر حتى اتيت على الماء وفيهم امراة
من فزارة عليها قشع من ادم ومعها ابنة لها من احسن العرب قال فنفلني ابو بكر ابنتها
قال فما كشفت لها ثوبا حتى قدمت المدينة ثم بت فلم اكشف لها ثوبا قال فلقيني رسول
الله صلى الله عليه وسلم في السوق فقال لي يا سلمة هب لي المراة قال فقلت يا رسول
الله والله لقد اعجبتني وما كشفت لها ثوبا وهي لك يا رسول الله قال فبعث بها رسول
الله الى اهل مكة وفي ايديهم اسارى من المسلمين ففداهم رسول الله بتلك المراة وقد رواه
مسلم والبيهقي من حديث عكرمة بن عمار به

سرية عمر بن الخطاب الى تربة من ارض هوازن وراء مكة باربعة اميال

ثم اورد البيهقي من طريق الواقدي باسانيده ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث عمر بن
الخطاب في ثلاثين راكبا ومعه دليل من بني هلال فكانوا يسيرون الليل ويكمنون النهار فلما
انتهوا الى بلادهم هربوا منهم وكر عمر راجعا الى المدينة فقيل له هل لك في قتال الخثعم فقال

ان رسول الله لم يأمرني الا بقتال هوازن في ارضهم

سرية عبد الله بن رواحة الى يسير بن رزام اليهودي

ثم اورد من طريق ابن لهيعة عن ابي الاسود عن عروة ومن طريق موسى بن عقبة عن الزهري ان رسول
الله بعث عبد الله بن رواحة في ثلاثين راكبا فيهم عبد الله بن انيس الى يسير بن رزام اليهودي
حتى اتوه بخيبر وبلغ رسول الله انه يجمع غطفان ليغزوه بهم فاتوه فقالوا ارسلنا اليك رسول
الله ليستعملك على خيبر فلم يزالوا به حتى تبعهم في ثلاثين رجلا مع كل رجل منهم رديف من
المسلمين فلما بلغوا قرقرة ثبار وهي من خيبر على ستة اميال ندم اليسير بن رزام فاهوى بيده
الى سيف عبد الله بن انيس ففطن له عبد الله بن انيس فزجر بعيره ثم اقتحم يسوق بالقوم حتى اذا
استمكن من اليسير ضرب رجله فقطعها واقتحم اليسير وفي يده مخرش من شوحط فضرب
به وجه عبد الله بن انيس فشجه مأمومة وانكفأ كل رجل من المسلمين على رديفه فقتله غير
رجل واحد من اليهود اعجزهم شدا ولم يصب من المسلمين احد وبصق رسول الله صلى الله عليه
وسلم في شجة عبد الله بن انيس فلم تقح ولم تؤذه حتى مات

سرية اخرى مع بشير بن سعد

روى من طريق الواقدي باسناده ان رسول الله بعث بشير بن سعد في ثلاثين راكبا الى بني مرة
في ارض فدك فاستاق نعمهم فلحقوه فقاتلوه وقتلوا عامة من معه وصبر هو يومئذ صبرا
عظيما وقاتل قتالا شديدا ثم لجأ الى فدك فبات بها عند رجل من اليهود ثم كر راجعا الى
المدينة قال الواقدي ثم بعث اليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم غالب بن عبد الله ومعه
جماعة من كبار الصحابة فذكر منهم اسامة بن زيد وابا مسعود البدري وكعب بن عجرة ثم ذكر
مقتل اسامة بن زيد لمرداس بن نهيك حليف بني مرة وقوله حين علاه بالسيف لا اله الا الله
وان الصحابة لاموه على ذلك حتى سقط في يده وندم على ما فعل وقد ذكر هذه القصة يونس
بن بكير عن ابن اسحاق عن شيخ من بني سلمة عن رجال من قومه ان رسول الله بعث غالب بن عبد الله
الكلبي الى ارض بني مرة فاصاب مرداس بن نهيك حليفا لهم من الحرقة قال فقتله اسامة قال
ابن اسحاق فحدثني محمد بن اسامة بن محمد بن اسامة عن ابيه عن جده اسامة بن زيد قال
ادركته انا ورجل من الانصار يعني مرداس بن نهيك فلما شهرنا عليه السلاح قال اشهد ان لا اله
الا الله فلم ننزع عنه حتى قتلناه فلما قدمنا على رسول الله اخبرناه فقال يا اسامة من لك
بلا اله الا الله فقلت يا رسول الله انما قالها تعوذا من القتل قال فمن لك يا اسامة بلا
اله الا الله فوالذي بعثه بالحق ما زال يرددها علي حتى تمنيت ان ما مضى من اسلامي لم يكن واني
اسلمت يومئذ ولم اقتله فقلت اني اعطي الله عهدا ان لا اقتل رجلا يقول لا اله الا الله
ابدا فقال بعدي يا اسامة فقلت بعدك وقال الامام احمد حدثنا هشيم بن بشير
انا حصين عن ابي ظبيان قال سمعت اسامة بن زيد يحدث قال بعثنا رسول الله صلى الله
عليه وسلم الى الحرقة من جهينة قال فصبحناهم وكان منهم رجل اذا اقبل القوم كان من اشدهم
علينا واذا ادبروا كان حاميتهم قال فغشيته انا ورجل من الانصار فلما تغشيناه قال
لا اله الا الله فكف عنه الانصاري وقتلته فبلغ ذلك رسول الله فقال يا اسامة اقتلته بعد
ما قال لا اله الا الله قال قلت يا رسول الله انما كان متعوذا من القتل قال فكررها علي حتى
تمنيت اني لم اكن اسلمت الا يومئذ واخرجه البخاري ومسلم من حديث هشيم به نحوه وقال

ابن اسحاق

ابن اسحاق حدثني يعقوب بن عتبة عن مسلم بن عبد الله الجهني عن جندب بن مكيث الجهني
قال بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم غالب بن عبد الله الكلبي كلب ليث الى بني الملوح
بالكديد وامره ان يغير عليهم وكنت في سريته فمضينا حتى اذا كنا بالكديد لقينا به الحارث بن
مالك بن البرصاء الليثي فاخذناه فقال اني انما جئت لاسلم فقال له غالب بن عبد الله ان
كنت انما جئت لتسلم فلا يضرك رباط يوم وليلة وان كنت على غير ذلك استوثقنا منك قال
فاوثقه رباطا وخلف عليه رويجلا اسود معنا وقال امكث معه حتى نمر عليك فان نازعك
فاحتز راسه ومضينا حتى اتينا بطن الكديد فنزلنا عشية بعد العصر فبعثني اصحابي
الى ربيئة فعمدت الى تل يطلعني على الحاضر فانبطحت عليه وذلك قبل غروب الشمس فخرج رجل منهم
فنظر فرآني منبطحا على التل فقال لامرأته اني لارى سوادا على هذا التل ما رايته في اول النهار
فانظري لا تكون الكلاب اجترت بعض اوعيتك فنظرت فقالت والله ما افقد منها شيئا قال فناوليني
قوسي وسهمين من نبلي فناولته فرماني بسهم فوضعه في جبيني او قال في جنبي فنزعته
فوضعته ولم اتحرك ثم رماني بالاخر فوضعه في راس منكبي فنزعته فوضعته ولم اتحرك فقال
لامرأته اما والله لقد خالطه سهماي ولو كان ربيئة لتحرك فاذا اصبحت فابتغي سهمي فخذيهما
لا تمضغهما علي الكلاب قال فامهلنا حتى اذا راحت روائحهم وحتى احتلبوا وعطنوا وسكنوا
وذهبت عتمة من الليل شننا عليهم الغارة فقتلنا واستقنا النعم ووجهنا قافلين به
وخرج صريخ القوم الى قومهم مغوثا قال وخرجنا سراعا حتى نمر بالحارث بن مالك بن البرصاء وصاحبه
فانطلقنا به معنا واتانا صريخ الناس فجاءنا ما لا قبل لنا به حتى اذا لم يكن بيننا وبينهم الا بطن
الوادي من قديد بعث الله من حيث شاء سحابا ما راينا قبل ذلك مطرا ولا حالا وجاء بما لا يقدر احد
ان يقدم عليه فلقد رايتهم وقوفا ينظرون الينا ما يقدر احد منهم ان يقدم عليه ونحن نحدوها
او نحدرها شك النفيلي فذهبنا سراعا حتى اسندناها في المشلل ثم حدرناها عنه فاعجزنا القوم
بما في ايدينا وقد رواه ابو داود من حديث محمد بن اسحاق فقال في روايته عبد الله بن غالب
والصواب غالب بن عبد الله كما تقدم وذكر الواقدي هذه القصة باسناد اخر وقال فيه
وكان معه من الصحابة مائة وثلاثون رجلا ثم ذكر البيهقي من طريق الواقدي سرية بشير بن سعد
ايضا الى ناحية خيبر فلقوا جمعا من العرب وغنموا نعما كثيرا وكان بعثه في هذه السرية باشارة
ابي بكر وعمر رضي الله عنهما وكان معه من المسلمين ثلثمائة رجل ودليله حسيل بن نويرة وهو الذي
كان دليل النبي صلى الله عليه وسلم الى خيبر قاله الواقدي

سرية ابي حدرد الى الغابة

قال يونس عن محمد بن اسحاق كان من حديث ابي حدرد وغزوته الى الغابة ما حدثني جعفر بن
عبد الله بن اسلم عن ابي حدرد قال تزوجت امرأة من قومي فاصدقتها مائتي درهم قال فاتيت
رسول الله صلى الله عليه وسلم استعينه على نكاحي فقال كم اصدقت فقلت مائتي درهم
فقال سبحان الله والله لو كنتم تاخذونها من واد ما زدتم والله ما عندي ما اعينك به فلبثت
اياما فاقبل رجل من جشم بن معاوية يقال له رفاعة بن قيس او قيس بن رفاعة في بطن عظيم
من جشم حتى نزل بقومه ومن معه بالغابة يريد ان يجمع قيسا على حرب رسول الله وكان ذا
اسم وشرف في جشم قال فدعاني رسول الله ورجلين من المسلمين فقال اخرجوا الى هذا الرجل
حتى تاتوا منه بخبر وعلم وقدم لنا شارفا عجفا فحمل عليها احدنا فوالله ما قامت به ضعفا حتى

فدعمها الرجل من خلفها بأيديهم حتى استقلت وما كادت وقال تبلغوا على هذه فخرجنا ومعنا سلاحنا من النبل والسيوف حتى إذا جئنا قريبا من الحاضر مع غروب الشمس كمنت في ناحية وأمرت صاحبي فكمنا في ناحية أخرى من حاضر القوم وقلت لهما إذا سمعتماني قد كبرت وشددت في العسكر فكبرا وشدا معي فوالله إنا لكذلك ننتظر أن نرى غرة أو نرى شيئا وقد غشينا الليل حتى ذهبت فحمة العشاء وقد كان لهم راع قد سرح في ذلك البلد فأبطأ عليهم وتخوفوا عليه فقام صاحبهم رفاعة بن قيس فأخذ سيفه فجعله في عنقه وقال والله لأقفون أثر راعينا هذا ولقد أصابه شر فقال نفر ممن معه والله لا تذهب نحن نكفيك فقال لا إلا أنا قالوا نحن معك فقال والله لا يتبعني منكم أحد وخرج حتى مر بي فلما أمكنني نفحته بسهم فوضعته في فؤاده فوالله ما تكلم ووثبت إليه فاحتززت رأسه ثم شددت ناحية العسكر وكبرت وشد صاحباي وكبرا فوالله ما كان إلا النجاء ممن كان فيه عندك بكل ما قدروا عليه من نسائهم وأبنائهم وما خف معهم من أموالهم واستقنا إبلا عظيمة وغنما كثيرة فجئنا بها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وجئت برأسه أحمله معي فأعطاني من تلك الإبل ثلاثة عشر بعيرا في صداقي فجمعت إلي أهلي

السرية التي قتل فيها محلم بن جثامة عامر بن الأضبط

قال ابن إسحاق حدثني يزيد بن عبد الله بن قسيط عن ابن عبد الله بن أبي حدرد عن أبيه قال بعثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى إضم في نفر من المسلمين منهم أبو قتادة الحارث بن ربعي ومحلم بن جثامة بن قيس فخرجنا حتى إذا كنا ببطن إضم مر بنا عامر بن الأضبط الأشجعي على قعود له معه متيع له ووطب من لبن فسلم علينا بتحية الإسلام فأمسكنا عنه وحمل عليه محلم بن جثامة فقتله لشيء كان بينه وبينه وأخذ بعيره ومتيعه فلما قدمنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم أخبرناه الخبر فنزل فينا القرآن يا أيها الذين آمنوا إذا ضربتم في سبيل الله فتبينوا ولا تقولوا لمن ألقى إليكم السلام لست مؤمنا تبتغون عرض الحياة الدنيا فعند الله مغانم كثيرة كذلك كنتم من قبل فمن الله عليكم فتبينوا إن الله كان بما تعملون خبيرا وهكذا رواه الإمام أحمد عن يعقوب عن أبيه عن محمد بن إسحاق عن يزيد بن عبد الله بن قسيط عن القعقاع بن عبد الله بن أبي حدرد عن أبيه فذكره قال ابن إسحاق وحدثني محمد بن جعفر سمعت زياد بن ضميرة بن سعد الضمري يحدث عروة بن الزبير عن أبيه وجده قالا وكانا شهدا حنينا قالا فصلى رسول الله صلاة الظهر ثم قام إلى ظل شجرة فقعد تحته فقام إليه عيينة بن بدر يطلب بدم عامر بن الأضبط الأشجعي وهو سيد قيس وجاء الأقرع بن حابس يرد عن محلم بن جثامة وهو سيد خندف فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لقوم عامر هل لكم أن تأخذوا منا الآن خمسين بعيرا وخمسين بعيرا إذا رجعنا إلى المدينة فقال عيينة بن بدر والله لا أدعه حتى أذيق نساءه من الحرب مثل ما أذاق نسائي فقام رجل من بني ليث يقال له ابن مكيتل وهو قصير من الرجال فقال يا رسول الله ما أجد لهذا القتيل مثلا في غرة الإسلام إلا كغنم وردت فرميت أولاها فنفرت أخراها اسنن اليوم وغير غدا فقال رسول الله هل لكم أن تأخذوا خمسين بعيرا الآن وخمسين إذا رجعنا إلى المدينة فلم يزل بهم حتى رضوا بالدية فقال قوم محلم بن جثامة ائتوا به حتى يستغفر له رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فجاء رجل طوال ضرب اللحم في حلة قد تهيأ فيها للقتل فقام بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم فقال له النبي صلى الله عليه وسلم اللهم لا تغفر

لمحلم قالها ثلاثا فقام وإنه ليتلقى دموعه بطرف ثوبه قال محمد بن إسحاق فزعم قومه أنه استغفر له بعد ذلك وهكذا رواه أبو داود من طريق حماد بن سلمة عن ابن إسحاق ورواه ابن ماجه عن أبي بكر بن أبي شيبة عن أبي خالد الأحمر عن ابن إسحاق عن محمد بن جعفر عن زيد بن ضمرة عن أبيه وعمه فذكر بعضه والصواب كما رواه ابن إسحاق عن محمد بن جعفر عن زياد بن سعد بن ضميرة عن أبيه وجده وهكذا رواه أبو داود من طريق ابن وهب عن عبد الرحمن بن أبي الزناد عن عبد الرحمن بن الحارث عن محمد بن جعفر عن زياد بن سعد بن ضميرة عن أبيه وجده كما تقدم وقال ابن إسحاق حدثني سالم أبو النضر أنه قال لم يقبلوا الدية حتى قام الأقرع بن حابس فخلا بهم وقال يا معشر قيس سألكم رسول الله قتيلا تتركونه ليصلح به بين الناس فمنعتموه إياه أفأمنتم أن يغضب عليكم رسول الله صلى الله عليه وسلم فيغضب الله لغضبه أو يلعنكم رسول الله فيلعنكم الله بلعنته لكم لتسلمنه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أو لآتين بخمسين من بني تميم كلهم يشهدون أن القتيل كافر ما صلى قط فلأطلن دمه فلما قال ذلك لهم أخذوا الدية وهذا منقطع معضل وقد روى ابن إسحاق عمن لا يتهم عن الحسن البصري أن محلما لما جلس بين يديه عليه السلام قال له أمنته بالله ثم قتلته ثم دعا عليه قال الحسن فوالله ما مكث محلم إلا سبعا حتى مات فلفظته الأرض ثم دفنوه فلفظته الأرض ثم دفنوه فلفظته الأرض فرضموا عليه من الحجارة حتى واروه فبلغ رسول الله فقال إن الأرض لتطابق على من هو شر منه ولكن الله أراد أن يعظكم في حرم ما بينكم لما أراكم منه وقال ابن جرير حدثنا ابن وكيع ثنا جرير عن ابن إسحاق عن نافع عن ابن عمر بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى محلم بن جثامة مبعثا فلقيهم عامر بن الأضبط فحياهم بتحية الإسلام وكانت بينهم حنة في الجاهلية فرماه محلم بسهم فقتله فجاء الخبر إلى رسول الله فتكلم فيه عيينة والأقرع فقال الأقرع يا رسول الله سن اليوم وغير غدا فقال عيينة لا والله حتى تذوق نساؤه من الثكل ما ذاق نسائي فجاء محلم في بردين فجلس بين يدي رسول الله ليستغفر له فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا غفر الله لك فقام وهو يتلقى دموعه ببرديه فما مضت له سابعة حتى مات ودفنوه فلفظته الأرض فجاؤوا النبي صلى الله عليه وسلم فذكروا ذلك له فقال إن الأرض تقبل من هو شر من صاحبكم ولكن الله أراد أن يعظكم من حرمتكم ثم طرحوه في جبل فألقوا عليه من الحجارة ونزلت يا أيها الذين آمنوا إذا ضربتم في سبيل الله فتبينوا الآية وقد ذكر موسى بن عقبة عن الزهري ورواه شعيب عن الزهري عن عبد الله بن وهب عن قبيصة بن ذؤيب نحو هذه القصة إلا أنه لم يسم محلم بن جثامة ولا عامر بن الأضبط وكذلك رواه البيهقي عن الحسن البصري بنحو هذه القصة وقال فيه ونزل قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا إذا ضربتم في سبيل الله فتبينوا الآية قلت وقد تكلمنا على سبب نزول هذه الآية وعلى معناها في التفسير بما فيه كفاية ولله الحمد والمنة

سرية عبد الله بن حذافة السهمي

ثبت في الصحيحين من طريق الأعمش عن سعد بن عبيدة عن أبي عبد الرحمن الحبلي عن علي بن أبي طالب قال استعمل النبي صلى الله عليه وسلم رجلا من الأنصار على سرية بعثهم وأمرهم أن يسمعوا له ويطيعوا قال فأغضبوه في شيء فقال اجمعوا لي حطبا فجمعوا فقال أوقدوا نارا فأوقدوا ثم قال ألم يأمركم رسول الله أن تسمعوا لي وتطيعوا قالوا بلى قال فادخلوها

قال فنظر بعضهم الى بعض قالوا انما فررنا الى رسول الله من النار فما زالوا كذلك حتى سكن غضبه وطفئت
فلما قدموا على النبي صلى الله عليه وسلم ذكروا ذلك له فقال لو دخلوها ما خرجوا منها
انما الطاعة في المعروف وهذا الحديث ثابت ايضا في الصحيحين من طريق يعلى بن مسلم
عن سعيد بن جبير عن ابن عباس وقد تكلمنا على هذه الاية بما فيه كفاية في كتابنا التفسير
ولله الحمد والمنة

عمرة القضاء ويقال القصاص

ويقال لها عمرة القضية فالاولى قضاء عما كان احصر عام الحديبية
والثاني من قوله تعالى والحرمات قصاص والثالث من المقاضاة التي كان قاضاهم
عليها على ان يرجع عنهم عامه هذا ثم ياتي في العام القابل ولا يدخل مكة الا في جلبان السلاح
وان لا يقيم اكثر من ثلاثة ايام وهذه العمرة هي المذكورة في سورة الفتح في قوله تعالى لقد صدق
الله رسوله الرؤيا بالحق لتدخلن المسجد الحرام ان شاء الله امنين محلقين رؤسكم ومقصرين
لا تخافون الاية وقد تكلمنا عليها مستقصى في التفسير بما فيه كفاية ولله الحمد وهي الموعود
بها في قوله عليه السلام لعمر بن الخطاب حين قال له الم تكن تحدثنا انا سناتي البيت ونطوف
به قال بلى فاخبرتك انك اتيه عامك هذا قال لا قال فانك اتيه ومطوف به وهي المشار
اليه في قول عبد الله بن رواحة حين دخل بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم الى مكة يوم
عمرة القضاء وهو يقول خلوا بني الكفار عن سبيله اليوم نضربكم على تاويله
كما ضربناكم على تنزيله اي هذا تاويل الرؤيا التي كان راها رسول الله صلى الله عليه وسلم
جاءت مثل فلق الصبح قال ابن اسحاق فلما رجع رسول الله من خيبر الى المدينة اقام بها شهري
ربيع وجمادين ورجبا وشعبان وشهر رمضان وشوالا يبعث فيما بين ذلك سراياه ثم
خرج في ذي القعدة في الشهر الذي صده فيه المشركون معتمرا عمرة القضاء مكان عمرته التي صدوه
عنها قال ابن هشام واستعمل على المدينة عويف بن الاضبط الديلي ويقال لها عمرة
القصاص لانهم صدوا رسول الله في ذي القعدة في الشهر الحرام في سنة ست فاقتص رسول
الله صلى الله عليه وسلم منهم فدخل مكة في ذي القعدة في الشهر الحرام الذي صدوه فيه من
سنة سبع بلغنا عن ابن عباس انه قال فانزل الله تعالى في ذلك والحرمات قصاص وقال
معتمر بن سليمان عن ابيه في مغازيه لما رجع رسول الله من خيبر اقام بالمدينة وبعث سراياه
حتى استهل ذو الحجة فنادى في الناس ان يتجهزوا للعمرة فتجهزوا وخرجوا الى مكة قال
ابن اسحاق وخرج معه المسلمون ممن كان صد معه في عمرته تلك وهي سنة سبع فلما سمع به اهل
مكة خرجوا عنه وتحدثت قريش بينها ان محمدا في عسرة وجهد وشدة قال ابن اسحاق
فحدثني من لا اتهم عن عبد الله بن عباس قال صفوا له عند دار الندوة لينظروا اليه والى
اصحابه فلما دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم المسجد اضطبع بردائه واخرج عضده
اليمنى ثم قال رحم الله امرا اراهم اليوم من نفسه قوة ثم استلم الركن وخرج يهرول ويهرول
اصحابه معه حتى اذا واراه البيت منهم واستلم الركن اليماني مشى حتى يستلم الركن الاسود ثم هرول
كذلك ثلاثة اطواف ومشى سائرها فكان ابن عباس يقول كان الناس يظنون انها ليست
عليهم وذلك ان رسول الله انما صنعها لهذا الحي من قريش للذي بلغه عنهم حتى حج حجة الوداع
فلزمها فمضت السنة بها وقال البخاري ثنا سليمان بن حرب ثنا حماد هو ابن زيد عن ايوب

عن سعيد

عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال قدم رسول الله واصحابه فقال المشركون انه يقدم عليكم
وفد قد وهنتهم حمى يثرب فامرهم النبي صلى الله عليه وسلم ان يرملوا الاشواط الثلاثة وان
يمشوا ما بين الركنين ولم يمنعه ان يامرهم ان يرملوا الاشواط كلها الا الابقاء عليهم قال
ابو عبد الله وزاد ابن سلمة يعني حماد بن سلمة عن ايوب عن سعيد عن ابن عباس قال لما قدم
النبي صلى الله عليه وسلم لعامه الذي استامن قال ارملوا ليرى المشركين قوتهم والمشركون
من قبل قعيقعان ورواه مسلم عن ابي الربيع الزهراني عن حماد بن زيد واسنده البيهقي
من طريق حماد بن سلمة وقال البخاري حدثنا علي بن عبد الله ثنا سفيان ثنا اسماعيل بن ابي
خالد سمع ابن ابي اوفى يقول لما اعتمر رسول الله سترناه من غلمان المشركين ومنهم ان يؤذوا
رسول الله صلى الله عليه وسلم وسياتي تتمة الكلام على هذا المقام قال ابن اسحاق وحدثني
عبد الله بن ابي بكر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم حين دخل مكة في تلك العمرة دخلها وعبد
الله بن رواحة اخذ بخطام ناقته يقول

- خلوا بني الكفار عن سبيله • خلوا فكل الخير في رسوله
- يا رب اني مؤمن بقيله • اعرف حق الله في قبوله
- نحن قتلناكم على تاويله • كما قتلناكم على تنزيله
- ضربا يزيل الهام عن مقيله • ويذهل الخليل عن خليله

قال ابن هشام نحن قتلناكم على تاويله الى اخر الابيات لعمار بن ياسر في غير هذا اليوم يعني
يوم صفين قاله السهيلي قال ابن هشام والدليل على ذلك ان ابن رواحة انما اراد المشركين
والمشركون لم يقروا بالتنزيل وانما يقاتل على التاويل من اقر بالتنزيل وفيما قاله ابن هشام نظر
فان الحافظ البيهقي روى من غير وجه عن عبد الرزاق عن معمر عن الزهري عن انس قال لما
دخل النبي صلى الله عليه وسلم مكة في عمرة القضاء مشى عبد الله بن رواحة بين يديه وفي
رواية وهو اخذ بغرزه وهو يقول

- خلوا بني الكفار عن سبيله • قد نزل الرحمن في تنزيله
- بان خير القتل في سبيله • نحن قتلناكم على تاويله

وفي رواية بهذا الاسناد بعينه

- خلوا بني الكفار عن سبيله • اليوم نضربكم على تنزيله
- ضربا يزيل الهام عن مقيله • ويذهل الخليل عن خليله
- يا رب اني مؤمن بقيله •

وقال يونس بن بكير عن هشام بن سعد عن
زيد بن اسلم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل عام القضية مكة فطاف بالبيت
على ناقته واستلم الركن بمحجنه قال ابن هشام من غير علة والمسلمون يشتدون حوله وعبد
الله بن رواحة يقول

- بسم الذي لا دين الا دينه • بسم الذي محمد رسوله
- خلوا بني الكفار عن سبيله •

وذكر وقال موسى بن عقبة عن الزهري ثم خرج رسول
الله صلى الله عليه وسلم من العام القابل من عام الحديبية معتمرا في ذي القعدة سنة
سبع وهو الشهر الذي صده المشركون عن المسجد الحرام حتى اذا بلغ ياجج وضع الاداة كلها
الحجف والمجان والرماح والنبل ودخلوا بسلاح الراكب السيوف وبعث رسول الله بين يديه

اي بركابه

جعفر بن ابي طالب لميمونة بنت الحرث العامرية فخطبها عليه فجعلت امرها الى العباس
وكان تحته اختها ام الفضل بنت الحرث فزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما قدم
رسول الله صلى الله عليه وسلم امر اصحابه فقال اكشفوا عن المناكب واسعوا في الطواف
ليرى المشركون جلدهم وقوتهم وكان يكايدهم بكل ما استطاع فاستكف اهل مكة الرجال
والنساء والصبيان ينظرون الى رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه وهم يطوفون
وعبد الله بن رواحة يرتجز بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم متوشحا بالسيف
وهو يقول

خلوا بني الكفار عن سبيله   انا الشهيد انه رسوله
قد انزل الرحمن في تنزيله   في صحف تتلى على رسوله
فاليوم نضربكم على تاويله   كما ضربناكم على تنزيله
ضربا يزيل الهام عن مقيله   ويذهل الخليل عن خليله

قال وتغيب رجال من اشراف المشركين ان ينظروا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
غيظا وحنقا ونفاسة وحسدا وخرجوا الى الخندمة فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم
بمكة واقام ثلاث ليال وكان ذلك اخر القضية فلما ان اصبح من اليوم الرابع اتاه سهيل
بن عمرو وحويطب بن عبد العزى ورسول الله في مجلس الانصار يتحدث مع سعد بن عبادة
فصاح حويطب بن عبد العزى نناشدك الله والعقد لما خرجت من ارضنا فقد مضت
الثلاث فقال سعد بن عبادة كذبت لا ام لك ليس بارضك ولا بارض ابائك والله
لا يخرج ثم نادى رسول الله صلى الله عليه وسلم سهيلا وحويطبا فقال اني قد نكحت
فيكم امراة فما يضركم ان امكث حتى ادخل بها ونصنع الطعام فناكل وتاكلون معنا فقالوا
نناشدك الله والعقد الا خرجت عنا فامر رسول الله صلى الله عليه وسلم ابا رافع فاذن
بالرحيل وركب رسول الله حتى نزل ببطن سرف واقام المسلمون وخلف رسول الله ابا رافع ليحمل
ميمونة واقام بسرف حتى قدمت عليه ميمونة وقد لقيت ميمونة ومن معها عناء واذى من
سفهاء المشركين ومن صبيانهم فقدمت على رسول الله بسرف فبنى بها ثم ادلج فسار حتى
قدم المدينة وقدر الله ان يكون موت ميمونة بسرف بعد ذلك بحين فماتت حيث بنى بها
رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم ذكر قصة حمزة الى ان قال وانزل الله عز وجل في تلك العمرة
الشهر الحرام بالشهر الحرام والحرمات قصاص فاعتمر رسول الله في الشهر الحرام الذي صد فيه وقد روى
ابن لهيعة عن ابي الاسود عن عروة بن الزبير نحوا من هذا السياق ولهذا السياق شواهد كثيرة
من احاديث متعددة ففي صحيح البخاري من طريق فليح بن سليمان عن نافع عن ابن عمر ان رسول
الله خرج معتمرا فحال كفار قريش بينه وبين البيت فنحر هديه وحلق راسه بالحديبية وقاضاهم
على ان يعتمر العام المقبل فدخلها كما كان صالحهم فلما ان اقام بها ثلاثا امروه ان يخرج فخرج
وقال الواقدي حدثني عبد الله بن نافع عن ابيه عن ابن عمر قال لم تكن هذه عمرة قضاء وانما
كانت شرطا على المسلمين ان يعتمروا من قابل في الشهر الذي صدهم فيه المشركون وقال
ابو داود ثنا النفيلي ثنا محمد بن سلمة عن محمد بن اسحاق عن عمرو بن ميمون سمعت ابا حاضر
الحميري يحدث ابي ميمون بن مهران قال خرجت معتمرا عام حاصر اهل الشام ابن الزبير بمكة
وبعث معي رجال من قومي بهدي قال فلما انتهينا الى اهل الشام منعونا ان ندخل الحرم قال

فنحرت الهدي مكاني ثم احللت ثم رجعت فلما كان من العام المقبل خرجت لاقضي عمرتي
فاتيت ابن عباس فسالته فقال ابدل الهدي فان رسول الله امر اصحابه ان يبدلوا الهدي
الذي نحروا عام الحديبية في عمرة القضاء تفرد به ابو داود من حديث ابي حاضر عثمان بن
حاضر الحميري عن ابن عباس فذكره وقال الحافظ البيهقي انا الحاكم انا الاصم ثنا احمد بن عبد
الجبار ثنا يونس بن بكير عن ابن اسحاق حدثني عمرو بن ميمون قال كان ابي يسال الكثير اهل كان رسول
الله ابدل هديه الذي نحر حين صده المشركون عن البيت ولا يجد في ذلك شيا حتى سمعته
يسال ابا حاضر الحميري عن ذلك فقال له على الخبير سقطت حججت عام ابن الزبير في الحصر
الاول فاهديت هديا فحالوا بيننا وبين البيت فنحرت في الحرم ورجعت الى اليمن وقلت
لي برسول الله اسوة فلما كان العام المقبل حججت فلقيت ابن عباس فسالته عما نحرت
علي بدله ام لا قال نعم فابدل فان رسول الله واصحابه قد ابدلوا الهدي الذي نحروا عام
صدهم المشركون فابدلوا ذلك في عمرة القضا فعزت الابل عليهم فرخص لهم رسول الله
صلى الله عليه وسلم في البقر وقال الواقدي حدثني غانم بن ابي غانم عن عبد الله بن
دينار عن ابن عمر قال جعل رسول الله ناجية بن جندب الاسلمي على هديه يسير بالهدي امامه
يطلب الرعي في الشجر معه اربعة فتيان من اسلم وقد ساق رسول الله صلى الله عليه وسلم
في عمرة القضية ستين بدنة فحدثني محمد بن نعيم المجمر عن ابيه عن ابي هريرة قال كنت مع صاحب
البدن اسوقها قال وقال الواقدي وسار رسول الله صلى الله عليه وسلم يلبي والمسلمون
معه يلبون ومضى محمد بن مسلمة بالخيل الى مر الظهران فيجد بها نفرا من قريش فسالوا
محمد بن مسلمة فقال هذا رسول الله يصبح هذا المنزل غدا ان شاء الله وراوا سلاحا كثيرا مع
بشير بن سعد فخرجوا سراعا حتى اتوا قريشا فاخبروهم بالذي راوا من السلاح والخيل ففزعت
قريش وقالوا والله ما احدثنا حدثا وانا على كتابنا وهدنتنا ففيم يغزونا محمد في اصحابه
ونزل رسول الله مر الظهران وقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم السلاح الى بطن ياجج حيث
ينظر الى انصاب الحرم وبعثت قريش مكرز بن حفص بن الاخيف في نفر من قريش حتى لقوه ببطن
ياجج ورسول الله صلى الله عليه وسلم في اصحابه والهدي والسلاح قد تلاحقوا فقالوا
يا محمد ما عرفت صغيرا ولا كبيرا بالغدر تدخل السلاح في الحرم على قومك وقد شرطت لهم
لا يدخل الا بسلاح المسافر السيوف في القرب فقال النبي صلى الله عليه وسلم اني لا ادخل
عليهم السلاح فقال مكرز بن حفص هذا الذي تعرف به البر والوفاء ثم رجع سريعا باصحابه
الى مكة فلما ان جاء مكرز بخبر النبي صلى الله عليه وسلم خرجت قريش من مكة الى رؤوس الجبال
وخلوا مكة وقالوا لا ننظر اليه ولا الى اصحابه فامر رسول الله بالهدي امامه حتى حبس بذي
طوى وخرج رسول الله واصحابه وهو على ناقته القصوى وهم محدقون به يلبون وهم متوشحون
السيوف فلما انتهى الى ذي طوى وقف على ناقته القصوا وابن رواحة آخذ بزمامها وهو يرتجز
بشعره ويقول خلوا بني الكفار عن سبيله الى اخره وفي الصحيحين من حديث ابن عباس قال
قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه صبيحة رابعة يعني من ذي القعدة سنة سبع
فقال المشركون انه يقدم عليكم وفد قد وهنتهم حمى يثرب فامر رسول الله صلى الله عليه
وسلم ان يرملوا الاشواط الثلاثة وان يمشوا ما بين الركنين ولم يمنعه ان يرملوا الاشواط
كلها الا الابقاء عليهم وقال الامام احمد حدثنا محمد بن الصباح ثنا اسماعيل يعني ابن زكريا

عن عبد الله بن عثمان عن ابي الطفيل عن ابن عباس ان رسول الله لما نزل مر الظهران في عمرته
بلغ اصحابه ان قريشا تقول ما يتباعثون من العجف فقال اصحابه لو انتحرنا
من ظهرنا فاكلنا من لحمه وحسونا من مرقه اصبحنا غدا حين ندخل على القوم وبنا جمامة فقال
لا تفعلوا ولكن اجمعوا الي من ازوادكم فجمعوا له وبسطوا الانطاع فاكلوا حتى تركوا وحشى كل
واحد منهم في جرابه ثم اقبل رسول الله حتى دخل المسجد وقعدت قريش نحو الحجر فاضطبع بردائه
ثم قال لا يرى القوم فيكم غميزة فاستلم الركن ثم رمل حتى اذا تغيب بالركن اليماني مشى الى
الركن الاسود فقالت قريش ما يرضون بالمشي انهم لينقزون نقز الظباء ففعل ذلك ثلاثة
اطواف فكانت سنة قال ابو الطفيل واخبرني ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
فعل ذلك في حجة الوداع تفرد به احمد من هذا الوجه وقال ابو داود ثنا ابو سلمة موسى
ثنا حماد يعني ابن سلمة انا ابو عاصم الغنوي عن ابي الطفيل قال قلت لابن عباس يزعم قومك
ان رسول الله قد رمل بالبيت وان ذلك سنة فقال صدقوا وكذبوا قلت ما صدقوا
وما كذبوا قال صدقوا رمل رسول الله وكذبوا ليس بسنة ان قريشا قالت زمن الحديبية دعوا
محمدا واصحابه حتى يموتوا موت النغف فلما صالحوه على ان يحجوا من العام القابل فيقيموا
بمكة ثلاثة ايام فقدم رسول الله والمشركون من قبل قعيقعان فقال رسول الله لاصحابه ارملوا
بالبيت ثلاثا قال وليس بسنة وقد رواه مسلم من حديث سعيد الجريري وعبد الله
بن عبد الرحمن بن ابي حسين وعبد الملك بن سعيد بن ابجر ثلاثتهم عن ابي الطفيل عامر بن
واثلة عن ابن عباس به نحوه وكون الرمل في الطواف سنة مذهب الجمهور فان رسول
الله صلى الله عليه وسلم رمل في عمرة القضاء وفي عمرة الجعرانة ايضا كما رواه ابو داود
وابن ماجة من حديث عبد الله بن عثمان بن خثيم عن ابي الطفيل عن ابن عباس فذكره وثبت
في حديث جابر عند مسلم وغيره انه عليه السلام رمل في حجة الوداع في الطواف ولهذا قال
عمر بن الخطاب فيما الرملان وقد اطا الله الاسلام ومع هذا لا نترك شيئا فعلناه مع رسول الله
صلى الله عليه وسلم وموضع تقرير هذا كتاب الاحكام وكان ابن عباس في المشهور عنه لا يرى
ذلك سنة كما ثبت في الصحيحين من حديث سفيان بن عيينة عن عمرو بن دينار عن عطاء
عن ابن عباس قال انما سعى النبي صلى الله عليه وسلم بالبيت وبالصفا والمروة ليري
المشركين قوته لفظ البخاري وقال الواقدي لما قضى رسول الله نسكه في القضاء دخل
البيت فلم يزل فيه حتى اذن بلال الظهر فوق ظهر الكعبة وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم
امره بذلك فقال عكرمة بن ابي جهل لقد اكرم الله ابا الحكم حيث لم يسمع هذا العبد يقول
ما يقول وقال صفوان بن امية الحمد لله الذي اذهب ابي قبل ان يرى هذا وقال خالد بن اسيد
الحمد لله الذي اماتَ ابي ولم يشهد هذا اليوم حين يقوم بلال بن ام بلال ينهق فوق الكعبة
واما سهيل بن عمرو ورجال معه لما سمعوا بذلك غطوا وجوههم قال الحافظ البيهقي قد
اكرم الله اكثرهم بالاسلام قلت كذا ذكره البيهقي من طريق الواقدي ان هذا كان في عمرة القضا
والمشهور ان ذلك كان في عام الفتح والله اعلم

واما قصة تزويجه عليه السلام بميمونة

فقال ابن اسحاق حدثني ابان بن صالح وعبد الله بن ابي نجيح عن عطاء ومجاهد عن ابن عباس
ان رسول الله تزوج ميمونة بنت الحارث في سفره ذلك وهو حرام وكان الذي زوجه اياها

العباس بن عبد المطلب قال ابن هشام كانت جعلت امرها الى اختها ام الفضل فجعلت ام
الفضل امرها الى زوجها العباس فزوجها رسول الله واصدقها عنه اربعمائة درهم وذكر
السهيلي انه لما انتهت اليها خطبة النبي صلى الله عليه وسلم لها وهي راكبة بعيرا قالت
الجمل وما عليه لرسول الله صلى الله عليه وسلم قال وفيها نزلت الاية وامرأة مؤمنة ان وهبت
نفسها للنبي ان اراد النبي ان يستنكحها خالصة لك من دون المؤمنين وقد روى البخاري
من طريق ايوب عن عكرمة عن ابن عباس ان رسول الله تزوج ميمونة وهو محرم وبنى بها وهو
حلال وماتت بسرف قال السهيلي وروى الدارقطني من طريق ابي الاسود يتيم عروة ومن
طريق مطر الوراق عن عكرمة عن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم تزوج ميمونة
وهو حلال قال وهم يتأولون رواية ابن عباس الا على انه كان محرما اي في شهر حرام كما قال الشاعر

قتلوا ابن عفان الخليفة محرما ۞ ودعا فلم ار مثله مخذولا

اي في شهر حرام قلت وفي هذا التاويل نظر لان الروايات متظافرة عن ابن عباس بخلاف
ذلك ولا سيما من قوله تزوجها وهو محرم وبنى بها وهو حلال وقد كان في شهر ذي القعدة
ايضا وهو شهر حرام وقال محمد بن يحيى الذهلي ثنا عبد الرزاق قال قال لي الثوري لا تلتفت
الى قول اهل المدينة اخبرني عمرو عن ابي الشعثاء عن ابن عباس ان رسول الله تزوج وهو محرم
قال ابو عبد الله قلت لعبد الرزاق روى سفيان الحديثين جميعا عن عمرو عن ابي الشعثاء
عن ابن عباس وابن خثيم عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال نعم اما حديث ابن خثيم فحدثنا
ههنا يعني باليمن واما حديث ابن عمرو فحدثنا ثم يعني بمكة اخرجاه في الصحيحين من حديث
عمرو بن دينار به وفي صحيح البخاري من طريق الاوزاعي ثنا عطاء عن ابن عباس ان رسول الله
تزوج ميمونة وهو محرم فقال سعيد بن المسيب وهل ابن عباس وان كانت خالته ما تزوجها
الا بعدما احل وقال يونس عن ابن اسحاق حدثني ثقة عن سعيد بن المسيب انه
قال هذا عبد الله بن عباس يزعم ان رسول الله نكح ميمونة وهو محرم فذكر كلمة انما قدم
رسول الله مكة فكان الحل والنكاح جميعا فشبه ذلك على الناس وروى مسلم واهل السنن
من طرق عن يزيد بن الاصم العامري عن خالته ميمونة بنت الحارث قالت تزوجني رسول الله
صلى الله عليه وسلم ونحن حلالان بسرف لكن قال الترمذي روى غير واحد هذا الحديث
عن يزيد بن الاصم مرسلا ان رسول الله تزوج ميمونة وقال الحافظ البيهقي انا ابو عبد الله
الحافظ انا ابو عبد الله محمد بن عبد الله الاصبهاني الزاهد ثنا اسماعيل بن اسحاق القاضي
ثنا سليمان بن حرب ثنا حماد بن زيد ثنا مطر الوراق عن ربيعة بن ابي عبد الرحمن عن سليمان
بن يسار عن ابي رافع قال تزوج رسول الله ميمونة وهو حلال وبنى بها وهو حلال وكنت
الرسول بينهما وهكذا رواه الترمذي والنسائي جميعا عن قتيبة عن حماد بن زيد به
ثم قال الترمذي حسن ولا نعلم احدا اسنده غير حماد عن مطر ورواه مالك عن ربيعة عن
سليمان مرسلا

ذكر خروجه عليه السلام من مكة بعد قضاء عمرته

قد تقدم ما ذكره موسى بن عقبة ان قريشا بعثوا حويطب بن عبد العزى بعد مضي اربعة
ايام ليرحل عنهم كما وقع به الشرط فعرض عليهم ان يعمل وليمة عرسه بميمونة عندهم وانما اراد
تاليفهم بذلك فابوا عليه وقالوا بل اخرج عنا فخرج وكذلك ذكره ابن اسحاق وقال البخاري

ثنا عبيد الله بن موسى عن اسرائيل عن ابي اسحاق عن البرا قال اعتمر النبي صلى الله عليه وسلم
في ذي القعدة فابى اهل مكة ان يدعوه يدخل مكة حتى قاضاهم على ان يقيموا بها ثلاثة ايام
فلما كتبوا الكتاب كتبوا هذا ما قاضى عليه محمد رسول الله قالوا لا نقر بهذا ولو نعلم انك
رسول الله ما منعناك شيا ولكن انت محمد بن عبد الله قال انا رسول الله وانا محمد بن عبد
الله ثم قال لعلي بن ابي طالب امح رسول الله قال لا والله لا امحوك ابدا فاخذ رسول الله
الكتاب وليس يحسن يكتب فكتب هذا ما قاضى عليه محمد بن عبد الله لا يدخل مكة الا السيف
في القراب وان لا يخرج من اهلها باحد اراد ان يتبعه وان لا يمنع من اصحابه احدا اراد ان يقيم
بها فلما دخلها ومضى الاجل اتوا عليا فقالوا قل لصاحبك اخرج عنا فقد مضى الاجل فخرج
النبي صلى الله عليه وسلم فتبعته ابنة حمزة تنادي يا عم يا عم فتناولها علي فاخذ
بيدها وقال لفاطمة دونك ابنة عمك فحملتها فاختصم فيها علي وزيد وجعفر فقال
علي انا اخذتها وهي ابنة عمي وقال جعفر ابنة عمي وخالتها تحتي وقال زيد ابنة اخي فقضى
بها النبي صلى الله عليه وسلم لخالتها وقال الخالة بمنزلة الام وقال لعلي انت مني وانا
منك وقال لجعفر اشبهت خلقي وخلقي وقال لزيد انت اخونا ومولانا قال علي الا تتزوج
ابنة حمزة قال انها ابنة اخي من الرضاعة تفرد به البخاري من هذا الوجه وقد روى الواقدي
قصة ابنة حمزة فقال حدثني ابن ابي حبيبة عن داود بن الحصين عن عكرمة عن ابن عباس ان
عمارة ابنة حمزة بن عبد المطلب وامها سلمى بنت عميس كانت بمكة فلما قدم رسول الله كلم
علي بن ابي طالب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال علام نترك ابنة عمنا يتيمة بين
ظهراني المشركين فلم ينه النبي صلى الله عليه وسلم عن اخراجها فخرج بها فتكلم زيد بن حارثة
وكان وصي حمزة وكان النبي صلى الله عليه وسلم قد اخى بينهما حين اخى بين المهاجرين فقال
انا احق بها ابنة اخي فلما سمع بذلك جعفر قال الخالة والدة وانا احق بها لمكان خالتها
عندي اسما بنت عميس وقال علي الا اراكم تختصمون في ابنة عمي وانا اخرجتها من
بين اظهر المشركين وليس لكم اليها نسب دوني وانا احق بها منكم فقال النبي صلى الله عليه
وسلم انا احكم بينكم اما انت يا زيد فمولى الله ومولى رسول الله واما انت يا جعفر فتشبه
خلقي وخلقي وانت يا جعفر اولى بها تحتك خالتها ولا تنكح المراة على خالتها ولا على عمتها
فقضى بها لجعفر قال الواقدي فلما قضى بها لجعفر قام فحجل حول رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال ما هذا يا جعفر فقال يا رسول الله كان النجاشي اذا ارضى احدا قام يحجل حوله فقال
للنبي صلى الله عليه وسلم تزوجها قال انها ابنة اخي من الرضاعة فزوجها رسول الله
صلى الله عليه وسلم سلمة بن ابي سلمة فكان النبي صلى الله عليه وسلم يقول هل جزيت ابا
سلمة قلت لانه ذكر الواقدي وغيره انه هو الذي زوج رسول الله صلى الله عليه وسلم
بامه ام سلمة لانه كان اكبر من اخيه عمر بن ابي سلمة والله اعلم قال ابن اسحاق ورجع رسول الله
صلى الله عليه وسلم الى المدينة في ذي الحجة وولي المشركون تلك الحجة قال ابن هشام وانزل
الله في هذه العمرة فيما حدثني ابو عبيدة قوله تعالى لتدخلن المسجد الحرام ان شاء الله
امنين محلقين رؤوسكم ومقصرين لا تخافون فعلم ما لم تعلموا فجعل من دون ذلك فتحا قريبا

فصل ذكر البيهقي ها هنا سرية ابن ابي العوجا السلمي الى بني سليم ثم ساق
بسنده عن الواقدي حدثني محمد بن عبد الله بن مسلم عن الزهري قال لما رجع رسول الله
من عمرة القضية رجع في ذي الحجة من سنة سبع فبعث ابن ابي العوجا السلمي في خمسين رجلا
فخرج العين الى قومه فحذرهم واخبرهم فجمعوا جمعا كثيرا وجاءهم ابن ابي العوجا والقوم معدون
فلما ان راهم اصحاب رسول الله وراوا جمعهم دعوهم الى الاسلام فرشقوهم بالنبل ولم يسمعوا قولهم
وقالوا لا حاجة لنا الى ما دعوتم اليه فراموهم ساعة وجعلت الامداد تاتي حتى احدقوا بهم من
كل جانب فقاتل القوم قتالا شديدا حتى قتل عامتهم واصيب ابن ابي العوجا جراحات كثيرة
فتحامل حتى رجع الى المدينة بمن بقي معه من اصحابه في اول يوم من صفر سنة ثمان

فصل

قال الواقدي في المحرم من هذه السنة يعني سنة سبع رد رسول الله صلى الله عليه وسلم ابنته
زينب على زوجها ابي العاص بن الربيع وقد قدمنا الكلام على ذلك قال وفيها قدم حاطب
بن ابي بلتعة من عند المقوقس ومعه مارية وشيرين وقد اسلمتا في الطريق وغلام خصي قال
الواقدي وفيها اتخذ النبي صلى الله عليه وسلم منبره درجتين ومقعده قال والثبت عندنا
انه عمل في سنة ثمان

بسم الله الرحمن الرحيم

سنة ثمان من الهجرة النبوية فصل في اسلام عمرو بن العاص وخالد

بن الوليد وطلحة بن ابي طلحة رضي الله عنهم وكان قدومهم اول سنة ثمان على ما سياتي وقد
تقدم طرف من ذلك فيما قاله ابن اسحاق بعد مقتل ابي رافع اليهودي وذلك في سنة خمس
من الهجرة وانما ذكره الحافظ البيهقي ها هنا بعد عمرة القضا فروى من طريق الواقدي حدثنا
عبد الحميد بن ابي جعفر عن ابيه قال قال عمرو بن العاص كنت للاسلام مجانبا معاندا حضرت
بدرا مع المشركين فنجوت ثم حضرت احدا فنجوت ثم حضرت الخندق فنجوت قال فقلت في نفسي
كم اوضع والله ليظهرن محمد على قريش فلحقت بمالي بالرهط واقللت من الناس اي من لقائهم
فلما حضر الحديبية وانصرف رسول الله في الصلح ورجعت قريش الى مكة جعلت اقول يدخل محمد
قابل مكة باصحابه ما مكة بمنزل ولا الطائف ولا شي خير من الخروج وانا بعد نائي عن الاسلام
وارى لو اسلمت قريش كلها لم اسلم فقدمت مكة وجمعت رجالا من قومي وكانوا يرون رايي
ويسمعون مني ويقدموني فيما نابهم فقلت لهم كيف انا فيكم قالوا ذو راينا ومدرهنا في يمن
نقيبة وبركة امر قال قلت تعلمون اني والله لارى امر محمد امرا يعلو الامور علوا منكرا واني
قد رايت رايا قالوا وما هو قلت نلحق بالنجاشي فنكون معه فان يظهر محمد كنا عند النجاشي نكون
تحت يد النجاشي احب الينا من ان نكون تحت يد محمد وان تظهر قريش فنحن من قد عرفوا قالوا
هذا الراي قال فقلت فاجمعوا ادما نهديه له وكان احب ما يهدى اليه من ارضنا الادم فجمعنا
له ادما كثيرا ثم خرجنا حتى قدمنا على النجاشي فوالله انا لعنده اذ جاء عمرو بن امية الضمري
وكان رسول الله قد بعثه بكتاب كتبه يزوجه ام حبيبة بنت ابي سفيان فدخل عليه ثم خرج
من عنده فقلت لاصحابي هذا عمرو بن امية الضمري لو قد دخلت على النجاشي فسالته اياه
فاعطانيه فضربت عنقه فاذا فعلت ذلك سررت قريشا وكنت قد اجزات عنها حين
قتلت رسول محمد فدخلت على النجاشي فسجدت له كما كنت اصنع فقال مرحبا بصديقي
اهديت الي من بلادك شيئا قال قلت نعم ايها الملك اهديت لك ادما كثيرا ثم قدمته
فاعجبه وفرق منه شيئا بين بطارقته وامر بسائره فادخل في موضع وامر ان يكتب ويحتفظ
به فلما رايت طيب نفسه قلت له ايها الملك اني قد رايت رجلا خرج من عندك وهو رسول
عدو لنا قد وترنا وقتل اشرافنا وخيارنا فاعطنيه فاقتله فغضب من ذلك ورفع يده فضرب

بها انى ضربته ظننت انه كسره فابتدر منخراى فجعلت اتلقى الدم بثيابى فاصابنى من الذل ما لو انشقت بى الارض دخلت فيها فرقا منه ثم قلت ايها الملك لو ظننت انك تكره ما قلت ما سالتك قال فاستحيى وقال يا عمرو تسالنى ان اعطيك رسول من ياتيه الناموس الاكبر الذى كان ياتى موسى والذى كان ياتى عيسى لتقتله قال عمرو فغير الله قلبى عما كنت عليه وقلت فى نفسى عرف هذا الحق العرب والعجم وتخالف انت ثم قلت اتشهد ايها الملك بهذا قال نعم اشهد به عند الله يا عمرو فاطعنى واتبعه فوالله انه لعلى الحق وليظهرن على من خالفه كما ظهر موسى على فرعون وجنوده قلت افتبايعنى له على الاسلام قال نعم فبسط يده فبايعنى على الاسلام ثم دعا بطست فغسل عنى الدم وكسانى ثيابا وكانت ثيابى قد امتلات بالدم فالقيتها ثم خرجت على اصحابى فلما راوا كسوة النجاشى سروا بذلك وقالوا هل ادركت من صاحبك ما اردت فقلت لهم كرهت ان اكلمه فى اول مرة وقلت اعود اليه فقالوا الراى ما رايت قال ففارقتهم وكانى اعمد لحاجة فعمدت الى موضع السفن فاجد سفينة قد شحنت تدفع قال فركبت معهم ودفعوها حتى انتهوا الى الشعيبة وخرجت من السفينة ومعى نفقة فابتعت بعيرا وخرجت اريد المدينة حتى مررت على مر الظهران ثم مضيت حتى اذا كنت بالهدة فاذا رجلان قد سبقانى بغير كثير يريدان منزلا واحدهما داخل فى الخيمة والاخر يمسك الراحلتين قال فنظرت فاذا خالد بن الوليد قال فقلت اين تريد قال محمدا دخل الناس فى الاسلام فلم يبق احد به طعم والله لو اقمت لاخذ برقابنا كما يوخذ برقبة الضبع فى مغارتها قلت وانا والله قد اردت محمدا واردت الاسلام فخرج عثمان بن طلحة فرحب بى فنزلنا جميعا فى المنزل ثم اتفقنا حتى اتينا المدينة فما انسى قول رجل لقيناه ببئر ابى عنبة يصيح يا رباح يا رباح يا رباح فتفاءلنا بقوله وسرنا ثم نظر الينا فاسمعه يقول قد اعطت مكة المقادة بعد هذين فظننت انه يعنينى ويعنى خالد بن الوليد وولى مدبرا الى المسجد سريعا فظننت انه بشر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقدومنا فكان كما ظننت وانخنا بالحرة فلبسنا من صالح ثيابنا ثم نودى بالعصر فانطلقنا حتى اطلعنا عليه وان لوجهه تهللا والمسلمون حوله قد سروا باسلامنا فتقدم خالد بن الوليد فبايع ثم تقدم عثمان بن طلحة فبايع ثم تقدمت فوالله ما هو الا ان جلست بين يديه فما استطعت ان ارفع طرفى حياء منه قال فبايعته على ان يغفر لى ما تقدم من ذنبى ولم يحضرنى ما تاخر فقال ان الاسلام يجب ما كان قبله والهجرة تجب ما كان قبلها قال فوالله ما عدل بى رسول الله صلى الله عليه وسلم وبخالد بن الوليد احدا من اصحابه فى امر حزبه منذ اسلمنا ولقد كنا عند ابى بكر بتلك المنزلة ولقد كنت عند عمر بتلك المنزلة وكان عمر على خالد كالعاتب قال عبد الحميد بن جعفر شيخ الواقدى فذكرت هذا الحديث ليزيد بن ابى حبيب فقال اخبرنى راشد مولى حبيب بن ابى اوس الثقفى عن مولاه حبيب عن عمرو بن العاص نحو ذلك قلت كذلك رواه محمد بن اسحاق عن يزيد بن ابى حبيب عن راشد مولى حبيب حدثنى عمرو بن العاص من فيه فذكر ما تقدم فى سنة خمس بعد مقتل ابى رافع وسياقه قد كان ابسط واحسن قال الواقدى عن شيخه عبد الحميد فقلت ليزيد بن ابى حبيب وقت لك متى قدم عمرو وخالد قال لا الا انه قال قبل الفتح قلت فان ابى اخبرنى ان عمرا وخالدا وعثمان بن طلحة قدموا لهلال صفر سنة ثمان وسياتى عند وفاة عمرو فى سنة   من صحيح مسلم ما يشهد لسياق ابن اسحاق

كذا باصله

وكيفية حسن صحبته لرسول الله صلى الله عليه وسلم مدة حياته وكيف مات وهو مشفق على ما كان منه فى مدة مباشرته الامارة بعده عليه السلام وصفة موته رضى الله عنه

طريق اسلام خالد بن الوليد

قال الواقدى حدثنى يحيى بن المغيرة بن عبد الرحمن بن الحرث بن هشام قال سمعت ابى يحدث عن خالد بن الوليد قال لما اراد الله بى ما اراد من الخير قذف فى قلبى الاسلام وحضرنى رشدى فقلت قد شهدت هذه المواطن كلها على محمد صلى الله عليه وسلم فليس موطن اشهده الا انصرف وانا ارى فى نفسى انى موضع فى غير شىء وان محمدا سيظهر فلما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الحديبية خرجت فى خيل المشركين فلقيت رسول الله فى اصحابه بعسفان فقمت بازائه وتعرضت له فصلى باصحابه الظهر امامنا فهممنا ان نغير عليهم ثم لم يعزم لنا وكانت فيه خيرة فاطلع على ما فى انفسنا من الهم به فصلى باصحابه صلاة العصر صلوة الخوف فوقع ذلك منا موقعا وقلت الرجل ممنوع فاعتزلنا وعدل عن سنن خيلنا واخذ ذات اليمين فلما صالح قريشا بالحديبية ودافعته قريش بالراح قلت فى نفسى اى شىء بقى اين المذهب الى النجاشى فقد اتبع محمدا واصحابه عنده امنون فاخرج الى هرقل فاخرج من دينى الى نصرانية فاقيم مع عجم فاقيم فى دارى بمن بقى فانا على ذلك اذ دخل رسول الله مكة فى عمرة القضية فتغيبت ولم اشهد دخوله وكان اخى الوليد بن الوليد قد دخل مع النبى صلى الله عليه وسلم فى عمرة القضية فطلبنى فلم يجدنى فكتب الى كتابا فاذا فيه بسم الله الرحمن الرحيم اما بعد فانى لم ار اعجب من ذهاب رايك عن الاسلام وعقلك عقلك ومثل الاسلام جهله احد وقد سالنى رسول الله صلى الله عليه وسلم عنك فقال اين خالد فقلت ياتى الله به فقال مثله جهل الاسلام ولو كان جعل نكايته وحده مع المسلمين كان خيرا له ولقدمناه على غيره فاستدرك يا اخى ما قد فاتك فقد فاتتك مواطن صالحة قال فلما جاءنى كتابه نشطت للخروج وزادنى رغبة فى الاسلام وسرنى سؤال رسول الله صلى الله عليه وسلم عنى وارى فى النوم كانى فى بلاد ضيقة جدبة فخرجت الى بلاد خضراء واسعة فقلت ان هذه لرؤيا فلما ان قدمت المدينة قلت لاذكرنها لابى بكر فقال مخرجك الذى هداك الله للاسلام والضيق الذى كنت فيه من الشرك قال فلما اجمعت الخروج الى رسول الله قلت من اصاحب الى محمد فلقيت صفوان بن امية فقلت يا ابا وهب اما ترى ما نحن فيه انما نحن كاضراس وقد ظهر محمد على العرب والعجم فلو قدمنا على محمد فاتبعناه فان شرف محمد لنا شرف فابى اشد الاباء وقال لو لم يبق غيرى ما اتبعته ابدا فافترقنا وقلت هذا رجل قتل اخوه وابوه ببدر فلقيت عكرمة بن ابى جهل فقلت له مثل ما قلت لصفوان بن امية قلت فاكتم على قال لا اذكره فخرجت الى منزلى فامرت براحلتى فخرج بها الى ان لقيت عثمان بن طلحة فقلت ان هذا لى صديق فلو ذكرت له ما ارجو ثم ذكرت من قتل من ابائه فكرهت اذكره ثم قلت وما على وانا راحل من ساعتى فذكرت ما صار الامر اليه فقلت انما نحن بمنزلة ثعلب فى جحر لو صب فيه ذنوب من ماء لخرج وقلت له نحوا مما قلت لصاحبى فاسرع الاجابة وقلت انى غدوت اليوم وانا اريد ان اغدو وهذه راحلتى بفخ مناخة قال فتواعدت انا وهو بياجج ان سبقنى اقام وان سبقته اقمت عليه قال فادلجنا سحرا فلم يطلع الفجر حتى التقينا بياجج فغدونا حتى انتهينا الى الهدة فنجد عمرو بن العاص بها فقال مرحبا بالقوم فقلنا وبك فقال الى اين مسيركم فقلنا وما اخرجك فقال وما اخرجكم قلنا الدخول فى الاسلام واتباع محمد

صلى الله عليه وسلم قال وذلك الذي قدمني فاصطحبنا جميعاً حتى دخلنا المدينة فانخنا بظهر الحرة ركابنا فاخبرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فسر بنا فلبست من صالح ثيابي ثم عمدت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلقيني اخي فقال اسرع فان رسول الله قد اخبر بك فسر بقدومك وهو ينتظركم فاسرعنا المشي فاطلعت عليه فما زال يتبسم الي حتى وقفت عليه فسلمت عليه بالنبوة فرد علي السلام بوجه طلق فقلت اني اشهد ان لا اله الا الله وانك رسول الله فقال تعال ثم قال رسول الله الحمد لله الذي هداك قد كنت ارى لك عقلا رجوت ان لا يسلمك الا الى خير قلت يا رسول الله اني قد رايت ما كنت اشهد من تلك المواطن عليك معاندا للحق فادع الله يغفرها فقال رسول الله الاسلام يجب ما كان قبله قلت يا رسول الله على ذلك قال اللهم اغفر لخالد بن الوليد كل ما اوضع فيه من صد عن سبيل الله قال خالد وتقدم عثمان وعمرو فبايعا رسول الله صلى الله عليه وسلم قال وكان قدومنا في صفر سنة ثمان قال فوالله ما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعدل بي احدا من اصحابه فيما حزبه

سرية شجاع بن وهب الاسدي الى نفر من هوازن

قال الواقدي حدثني ابن ابي سبرة عن اسحاق بن عبد الله بن ابي فروة عن عمر بن الحكم قال بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم شجاع بن وهب في اربعة وعشرين رجلا الى جمع من هوازن وامره ان يغير عليهم فخرج فكان يسير الليل ويكمن النهار حتى صبحهم غارين وقد اوعز الى اصحابه ان لا يمعنوا في الطلب فاصابوا نعما كثيرا وشاء فاستاقوا ذلك حتى قدموا المدينة فكانت سهمانهم خمسة عشر بعيرا لكل رجل وزعم غيره انهم اصابوا سبيا ايضا وان الامير اصطفى منه جارية وضيئة ثم قدم اهلوهم مسلمين فشاوروا النبي صلى الله عليه وسلم اميرهم في ردهن اليهم فقال نعم فردوهن وخيرا التي عنده فاختارت المقام عنده وقد تكون هذه السرية هي المذكورة فيما رواه الشافعي عن مالك عن نافع عن ابن عمر ان رسول الله بعث سرية فكان فيهم عبد الله بن عمر قال فاصبنا ابلا كثيرا فبلغت سهماننا اثني عشر بعيرا ونفلنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بعيرا بعيرا اخرجاه في الصحيحين من حديث مالك ورواه مسلم ايضا من حديث الليث ومن حديث عبيد الله كلهم عن نافع عن ابن عمر بنحوه وقال ابو داود ثنا هناد ثنا عبدة عن محمد بن اسحاق عن نافع عن ابن عمر قال بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم سرية الى نجد فخرجت فيها فاصبنا نعما كثيرا فنفلنا اميرنا بعيرا بعيرا لكل انسان ثم قدمنا على رسول الله فقسم بيننا غنيمتنا فاصاب كل رجل منا اثني عشر بعيرا بعد الخمس وما حاسبنا رسول الله بالذي اعطانا صاحبنا ولا عاب عليه ما صنع فكان لكل رجل منا ثلاثة عشر بعيرا بنفله

سرية كعب بن عمير الى بني قضاعة من ارض الشام

قال الواقدي حدثنا محمد بن عبد الله عن الزهري قال بعث رسول الله كعب بن عمير الغفاري في خمسة عشر رجلا حتى انتهوا الى ذات اطلاح من ارض الشام فوجدوا جمعا من جمعهم كثيرا فدعوهم الى الاسلام فلم يستجيبوا لهم ورشقوهم بالنبل فلما راى ذلك اصحاب رسول الله قاتلوهم اشد القتال حتى قتلوا فارتث منهم رجل جريح في القتلى فلما ان برد عليه الليل تحامل حتى اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فهم بالبعثة اليهم فبلغه انهم قد ساروا الى موضع اخر

غزوة مؤتة

وهي سرية زيد بن حارثة في نحو من ثلاثة الاف الى ارض البلقاء من اطراف الشام قال محمد بن اسحاق بعد قصة عمرة القضية فاقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة بقية ذي الحجة وولي تلك الحجة المشركون والمحرم وصفرا وشهري ربيع وبعث في جمادى الاولى بعثه الى الشام الذين اصيبوا بمؤتة فحدثني محمد بن جعفر بن الزبير عن عروة بن الزبير قال بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثه الى مؤتة في جمادى الاولى من سنة ثمان واستعمل عليهم زيد بن حارثة وقال ان اصيب زيد فجعفر بن ابي طالب على الناس فان اصيب جعفر فعبد الله بن رواحة على الناس فتجهز الناس ثم تهيؤوا للخروج وهم ثلاثة الاف وقال الواقدي حدثني ربيعة بن عثمان عن عمر بن الحكم عن ابيه قال جاء النعمان بن فنحص اليهودي فوقف على رسول الله صلى الله عليه وسلم مع الناس فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم زيد بن حارثة امير الناس فان قتل زيد فجعفر بن ابي طالب فان قتل جعفر فعبد الله بن رواحة فان قتل عبد الله بن رواحة فليرتض المسلمون بينهم رجلا فليجعلوه عليهم فقال النعمان ابا القاسم ان كنت نبيا فلو سميت من سميت قليلا او كثيرا اصيبوا جميعا ان الانبياء من بني اسرائيل كانوا اذا سموا الرجل على القوم فقالوا ان اصيب فلان ففلان فلو سموا مائة اصيبوا جميعا ثم جعل اليهودي يقول لزيد اعهد فانك لا ترجع ابدا ان كان محمد نبيا فقال زيد فاشهد انه نبي صادق بار صلى الله عليه وسلم رواه البيهقي قال ابن اسحاق فلما حضر خروجهم ودعى الناس امراء رسول الله صلى الله عليه وسلم وسلموا عليهم فلما ودع عبد الله بن رواحة من ودع بكى فقالوا ما يبكيك يا ابن رواحة فقال اما والله ما بي حب الدنيا ولا صبابة بكم ولكني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ اية من كتاب الله يذكر فيها النار وان منكم الا واردها كان على ربك حتما مقضيا فلست ادري كيف لي بالصدر بعد الورود فقال المسلمون صحبكم الله ودفع عنكم وردكم الينا صالحين فقال عبد الله بن رواحة

لكنني اسأل الرحمن مغفرة • وضربة ذات فرغ تقذف الزبدا
او طعنة بيدي حران مجهزة • بحربة تنفذ الاحشاء والكبدا
حتى يقال اذا مروا على جدثي • ارشده الله من غاز وقد رشدا

قال ابن اسحاق ثم ان القوم تهيؤوا للخروج فاتى عبد الله بن رواحة رسول الله صلى الله عليه وسلم فودعه ثم قال

فثبت الله ما اتاك من حسن • تثبيت موسى ونصرا كالذي نصروا
اني تفرست فيك الخير نافلة • والله يعلم اني ثابت البصر
انت رسول الله من يحرم نوافله • والوجه منه فقد ازرى به القدر

قال ابن اسحاق ثم خرج القوم وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم يشيعهم حتى اذا ودعهم وانصرف قال عبد الله بن رواحة

خلف السلام على امرئ ودعته • في النخل خير مشيع وخليل

وقال الامام احمد ثنا ابو معاوية ثنا الحجاج عن الحكم عن مقسم عن ابن عباس قال بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله بن رواحة في سرية فوافق ذلك يوم الجمعة قال فقدم اصحابه وقال اتخلف فاصلي مع النبي صلى الله عليه وسلم الجمعة ثم الحقهم قال فلما صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم رآه فقال ما منعك ان تغدو مع اصحابك قال فقال اردت ان اصلي معك الجمعة ثم الحقهم قال فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو انفقت ما في الارض ما ادركت غدوتهم وهكذا رواه الترمذي عن احمد بن منيع عن ابي معاوية ثم قال

لا نعرفه الا من هذا الوجه وقال شعبة لم يسمع الحكم من مقسم الا خمسة احاديث وعدها شعبة وليس هذا الحديث منها وقال الامام احمد حدثنا عبد الله ثنا ابو خالد الاحمر عن الحجاج عن الحكم عن مقسم عن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث الى مؤتة فاستعمل زيدا فان قتل زيد فجعفر فان قتل جعفر فابن رواحة فتخلف ابن رواحة فجمع مع النبي صلى الله عليه وسلم فرآه فقال ما خلفك قال اجمع معك قال لغدوة او روحة خير من الدنيا وما فيها وقال احمد ثنا ابو معاوية ثنا الحجاج عن الحكم عن مقسم عن ابن عباس قال بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله بن رواحة في سرية فوافق ذلك يوم جمعة قال فتقدم اصحابه وقال اتخلف فاصلي مع رسول الله الجمعة ثم الحقهم قال فلما صلى رسول الله رآه فقال ما منعك ان تغدو مع اصحابك فقال اردت ان اصلي معك الجمعة ثم الحقهم فقال رسول الله لو انفقت ما في الارض جميعا ما ادركت غدوتهم وهذا الحديث قد رواه الترمذي من حديث ابي معاوية عن الحجاج وهو ابن ارطاة ثم علله الترمذي بما حكاه عن شعبة كما تقدم والمقصود من ايراد هذا الحديث انه يقتضي ان خروج الامراء الى مؤتة كان في يوم جمعة والله اعلم قال ابن اسحاق ثم مضوا حتى نزلوا معان من ارض الشام فبلغ الناس ان هرقل قد نزل مآب من ارض البلقاء في مائة الف من الروم وانضم اليهم من لخم وجذام والقين وبهراء وبلي مائة الف منهم عليهم رجل من بلي ثم احد اراشة يقال له مالك بن زافلة وفي رواية يونس عن ابن اسحاق فبلغهم ان هرقل قد نزل بمآب في مائة الف من الروم ومائة الف من المستعربة وقيل كان الروم مائتي الف ومن عداهم خمسون الفا واقل ما قيل ان الروم كانوا مائة الف ومن العرب خمسون الفا حكاه السهيلي فلما بلغ ذلك المسلمين اقاموا على معان ليلتين ينظرون في امرهم وقالوا نكتب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم نخبره بعدد عدونا فاما ان يمدنا بالرجال واما ان يامرنا بامره فنمضي له قال فشجع الناس عبد الله بن رواحة وقال يا قوم ان التي تكرهون للتي خرجتم تطلبون الشهادة وما نقاتل الناس بعدد ولا قوة ولا كثرة وما نقاتلهم الا بهذا الدين الذي اكرمنا الله به فانطلقوا فانما هي احدى الحسنيين اما ظهور واما شهادة قال فقال الناس قد والله صدق ابن رواحة فمضى الناس فقال عبد الله بن رواحة في محبسهم ذلك

جلبنا الخيل من اجام وفرع • تغر من الحشيش لها العكوم •
حذوناها من الصوان سبتا • ازل كان صفحته اديم •
اقامت ليلتين على معان • فاعقب بعد فترتها جموم •
فرحنا والجياد مسومات • تنفس في مناخرها السموم •
فلا وابي مآب لناتينها • وان كانت بها عرب وروم •
فعبانا اعنتها فجاءت • عوابس والغبار لها بريم •
بذي لجب كان البيض فيه • اذا برزت قوانسها النجوم •
فراضية المعيشة طلقتها • اسنتها فتنكح او تئيم •

قال ابن اسحاق فحدثني عبد الله بن ابي بكر انه حدث عن زيد بن ارقم قال كنت يتيما لعبد الله بن رواحة في حجره فخرج بي في سفره ذلك مردفي على حقيبة رحله فوالله انه ليسير ليلة سمعته وهو ينشد ابياته هذه

اذا ادنيتني وحملت رحلي • مسيرة اربع بعد الحساء •
فشانك انعم وخلاك ذم • ولا ارجع الى اهلي ورائي •
وجاء المسلمون وغادروني • بارض الشام مشتهي الثواء •
وردك كل ذي نسب قريب • الى الرحمن منقطع الاخاء •
هنالك لا ابالي طلع بعل • ولا نخل اسافلها رواء •

قال فلما سمعتهن منه بكيت فخفقني بالدرة وقال ما عليك يا لكع ان يرزقني الله الشهادة وترجع بين شعبتي الرحل ثم قال عبد الله بن رواحة في بعض شعره ذلك وهو يرتجز

يا زيد زيد اليعملات الذبل • تطاول الليل هديت فانزل •

قال ابن اسحاق ثم مضى الناس حتى اذا كانوا بتخوم البلقاء لقيتهم جموع هرقل من الروم والعرب بقرية من قرى البلقاء يقال لها مشارف ثم دنا العدو وانحاز المسلمون الى قرية يقال لها مؤتة فالتقى الناس عندها فتعبى لهم المسلمون فجعلوا على ميمنتهم رجلا من بني عذرة يقال له قطبة بن قتادة وعلى ميسرتهم رجلا من الانصار يقال له عباية بن مالك وقال الواقدي حدثني ربيعة بن عثمان عن المقبري عن ابي هريرة قال شهدت مؤتة فلما دنا منا المشركون راينا ما لا قبل لاحد به من العدة والسلاح والكراع والديباج والحرير والذهب فبرق بصري فقال لي ثابت بن اقرم يا ابا هريرة كانك ترى جموعا كثيرة قلت نعم قال انك لم تشهد معنا بدرا انا لم ننصر بالكثرة رواه البيهقي قال ابن اسحاق ثم التقى الناس فاقتتلوا فقاتل زيد بن حارثة براية رسول الله حتى شاط في رماح القوم ثم اخذها جعفر فقاتل بها حتى اذا الحمه القتال اقتحم عن فرس له شقراء فعقرها ثم قاتل القوم حتى قتل فكان جعفر اول رجل من المسلمين عقر في الاسلام قال ابن اسحاق فحدثني يحيى بن عباد حدثني ابي الذي ارضعني وكان احد بني مرة بن عوف وكان في تلك الغزوة غزوة مؤتة قال والله لكاني انظر الى جعفر حين اقتحم عن فرس له شقراء ثم عقرها ثم قاتل القوم حتى قتل وهو يقول

يا حبذا الجنة واقترابها • طيبة وباردا شرابها •
والروم روم قد دنا عذابها • علي ان لاقيتها ضرابها •

وهذا الحديث قد رواه ابو داود من حديث ابن اسحاق ولم يذكر الشعر وقد استدل به من جوز قتل الحيوان خشية ان ينتفع به العدو كما يقول ابو حنيفة في الاغنام اذا لم تتبع في السير ويخشى من لحوق العدو وانتفاعهم بها انها تذبح وتحرق ليحال بينهم وبين ذلك والله اعلم قال السهيلي ولم ينكر على جعفر احد فدل على جوازه الا اذا اخيف من اخذ العدو له ولا يدخل في ذلك النهي عن قتل الحيوان عبثا قال ابن هشام وحدثني من اثق به من اهل العلم ان جعفرا اخذ اللواء بيمينه فقطعت فاخذه بشماله فقطعت فاحتضنه بعضديه حتى قتل وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة فاثابه الله بذلك جناحين في الجنة يطير بهما حيث شاء ويقال ان رجلا من الروم ضربه يومئذ ضربة فقطعه بنصفين قال ابن اسحاق وحدثني يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير عن ابيه عباد قال حدثني ابي الذي ارضعني وكان احد بني مرة بن عوف قال فلما قتل جعفر اخذ الراية عبد الله بن رواحة ثم تقدم بها وهو على فرسه فجعل يستنزل نفسه ويتردد بعض التردد ثم قال

اقسمت يا نفس لتنزلنه • لتنزلن او لتكرهنه •

ان اجلب الناس وشدوا الرنه • مالي اراك تكرهين الجنه
قد طال ما قد كنت مطمئنه • هل انت الا نطفة في شنه

وقال ايضا

يا نفس الا تقتلي تموتي • هذا حمام الموت قد صليت
وما تمنيت فقد اعطيت • ان تفعلي فعلهما هديت

يريد صاحبيه زيدا وجعفرا ثم نزل فلما نزل اتاه ابن عم له بعرق من لحم فقال شد بهذا صلبك فانك قد لقيت في ايامك هذه ما لقيت فاخذه من يده فانتهس منه نهسة ثم سمع الحطمة في ناحية الناس فقال وانت في الدنيا ثم القاه من يده ثم اخذ سيفه ثم تقدم فقاتل حتى قتل رضي الله عنه قال ثم اخذ الراية ثابت بن اقرم اخو بني العجلان فقال يا معشر المسلمين اصطلحوا على رجل منكم قالوا انت قال ما انا بفاعل فاصطلح الناس على خالد بن الوليد فلما اخذ الراية دافع القوم وحاشى بهم ثم انحاز وانحيز عنه حتى انصرف بالناس قال ابن اسحاق ولما اصيب القوم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما بلغني اخذ الراية زيد بن حارثة فقاتل بها حتى قتل شهيدا ثم اخذها جعفر فقاتل بها حتى قتل شهيدا قال ثم صمت رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى تغيرت وجوه الانصار وظنوا انه قد كان في عبد الله بن رواحة بعض ما يكرهون ثم قال ثم اخذها عبد الله بن رواحة فقاتل بها حتى قتل شهيدا ثم قال لقد رفعوا الي في الجنة فيما يرى النائم على سرر من ذهب فرايت في سرير عبد الله بن رواحة ازورارا عن سريري صاحبيه فقلت عم هذا فقيل مضيا وتردد عبد الله بن رواحة بعض التردد ثم مضى هكذا ذكر ابن اسحاق هذا منقطعا وقد قال البخاري حدثنا احمد بن واقد ثنا حماد بن زيد عن ايوب عن حميد بن هلال عن انس بن مالك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم نعى زيدا وجعفرا وابن رواحة للناس قبل ان ياتيهم خبرهم فقال اخذ الراية زيد فاصيب وعيناه تذرفان حتى اخذ الراية سيف من سيوف الله حتى فتح الله عليهم تفرد به البخاري ورواه في موضع وقال فيه وهو على المنبر وقال وما يسرهم انهم عندنا وقال البخاري ثنا احمد بن ابي بكر ثنا مغيرة بن عبد الرحمن المخزومي عن عبد الله بن سعيد عن نافع عن عبد الله بن عمر قال امر رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة مؤتة زيد بن حارثة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان قتل زيد فجعفر وان قتل جعفر فعبد الله بن رواحة قال عبد الله كنت فيهم في تلك الغزوة فالتمسنا جعفر بن ابي طالب فوجدناه في القتلى ووجدنا في جسده بضعا وتسعين من طعنة ورمية تفرد به البخاري ايضا وقال البخاري ايضا حدثنا احمد ثنا ابن وهب عن عمرو عن ابن ابي هلال قال واخبرني نافع ان ابن عمر اخبره انه وقف على جعفر بن ابي طالب يومئذ وهو قتيل فعددت به خمسين بين طعنة وضربة ليس منها شيء في دبره وهذا ايضا من افراد البخاري ووجه الجمع بين هذه الرواية والتي قبلها ان ابن عمر اطلع على هذا العدد وغيره اطلع على اكثر من ذلك او ان هذه في قبله اصيبها قبل ان يقتل فلما صرع الى الارض ضربوه ايضا ضربات في ظهره فعد ابن عمر ما كان في قبله وهو في وجوه الاعداء قبل ان يقتل رضي الله عنه ومما يشهد لما ذكره ابن هشام من قطع يمينه وهي ممسكة اللواء ثم شماله ما رواه البخاري حدثنا محمد بن ابي بكر ثنا عمر بن علي عن اسماعيل بن ابي خالد عن عامر قال كان ابن عمر اذا حيا ابن جعفر قال السلام عليك يا ابن ذي الجناحين ورواه ايضا في المناقب والنسائي من حديث يزيد بن هارون عن اسماعيل بن ابي خالد به فقال

البخاري ثنا ابو نعيم ثنا سفيان عن اسماعيل عن قيس بن ابي حازم قال سمعت خالد بن الوليد يقول لقد انقطعت في يدي يوم مؤتة تسعة اسياف فما بقي في يدي الا صفيحة يمانية ثم رواه عن محمد بن المثنى عن يحيى عن اسماعيل حدثني قيس سمعت خالد بن الوليد يقول لقد دق في يدي يوم مؤتة تسعة اسياف وصبرت في يدي صفيحة يمانية انفرد به البخاري وقال الحافظ ابو بكر البيهقي انا ابو نصر بن قتادة انا ابو عمرو بن مطر انا ابو خليفة الفضل بن الحباب الجمحي ثنا سليمان بن حرب ثنا الاسود بن شيبان عن خالد بن سمير قال قدم علينا عبد الله بن رباح الانصاري وكانت الانصار تفقهه فغشيه الناس فغشيته فيمن غشيه فقال حدثنا ابو قتادة فارس رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بعث رسول الله جيش الامراء وقال عليكم زيد بن حارثة فان اصيب زيد فجعفر فان اصيب جعفر فعبد الله بن رواحة قال فوثب جعفر فقال يا رسول الله ما كنت ارهب ان تستعمل زيدا علي قال امض فانك لا تدري اي ذلك خير فانطلقوا فلبثوا ما شاء الله فصعد رسول الله المنبر فامر فنودي الصلاة جامعة فاجتمع الناس الى رسول الله فقال اخبركم عن جيشكم هذا انهم انطلقوا فلقوا العدو فقتل زيد شهيدا فاستغفر له ثم اخذ اللواء جعفر فشد على القوم حتى قتل شهيدا اشهد له بالشهادة واستغفر له ثم اخذ اللواء عبد الله بن رواحة فاثبت قدميه حتى قتل شهيدا فاستغفر له ثم اخذ اللواء خالد بن الوليد ولم يكن من الامراء هو امر نفسه ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم انه سيف من سيوفك فانت تنصره فمن يومئذ سمي خالد سيف الله ورواه النسائي من حديث عبد الله بن المبارك عن الاسود بن شيبان به نحوه وفيه زيادة حسنة وهي انه عليه السلام لما اجتمع اليه الناس قال باب خير باب خير وذكر الحديث وقال الواقدي حدثني عبد الجبار بن عمارة بن غزية عن عبد الله بن ابي بكر عن عمرو بن حزم قال لما التقى الناس بمؤتة جلس رسول الله صلى الله عليه وسلم على المنبر وكشف الله ما بينه وبين الشام فهو ينظر الى معركتهم فقال اخذ الراية زيد بن حارثة فجاءه الشيطان فحبب اليه الحياة وكره اليه الموت وحبب اليه الدنيا فقال الان حين استحكم الايمان في قلوب المؤمنين تحبب الي الدنيا فمضى قدما حتى استشهد فصلى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال استغفروا له فقد دخل الجنة وهو شهيد قال الواقدي وحدثني محمد بن صالح عن عاصم بن عمر بن قتادة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لما قتل زيد اخذ الراية جعفر بن ابي طالب فجاءه الشيطان فحبب اليه الحياة وكره اليه الموت ومناه الدنيا فقال الان حين استحكم الايمان في قلوب المؤمنين تتمنيني الدنيا ثم مضى قدما حتى استشهد فصلى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال استغفروا لاخيكم فانه شهيد دخل الجنة وهو يطير في الجنة بجناحين من ياقوت حيث يشاء من الجنة قال ثم اخذ الراية عبد الله بن رواحة فاستشهد ثم دخل الجنة معترضا فشق ذلك على الانصار فقيل يا رسول الله ما اعتراضه قال لما اصابته الجراحة نكل فعاتب نفسه فتشجع واستشهد ودخل الجنة فسري عن قومه قال الواقدي وحدثني عبد الله بن الحارث بن الفضيل عن ابيه قال لما اخذ خالد بن الوليد الراية قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الراية قال خالد بن الوليد رسول الله صلى الله عليه وسلم الان حمي الوطيس قال الواقدي فحدثني العطاف بن خالد قال لما قتل ابن رواحة مساء بات خالد بن الوليد فلما اصبح غدا وقد جعل مقدمته ساقته وساقته مقدمته وميمنته ميسرة وميسرته ميمنة قال

فانكروا ما كانوا يعرفون من راياتهم وهيئتهم وقالوا قد جاءهم مدد فرعبوا وانكشفوا منهزمين
قال فقتلوا مقتلة لم يقتلها قوم وهذا يوافق ما ذكره موسى بن عقبة في مغازيه فانه قال
بعد عمرة الحديبية ثم صدر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة فمكث بها ستة اشهر
ثم انه بعث جيشا الى مؤتة وامر عليهم زيد بن حارثة وقال ان اصيب فجعفر بن ابي طالب
اميرهم فان اصيب جعفر فعبد الله بن رواحة اميرهم فانطلقوا حتى اذا لقوا ابن ابي سبرة
الغساني بمؤتة وبها جموع من نصارى العرب والروم بها تنوخ وبهرا فاغلق ابن ابي سبرة
دون المسلمين الحصن ثلاثة ايام ثم خرجوا فالتقوا على زرع احمر فاقتتلوا قتالا شديدا
فاخذ اللواء زيد بن حارثة فقتل ثم اخذه جعفر فقتل ثم اخذه عبد الله بن رواحة فقتل
ثم اصطلح المسلمون بعد امراء رسول الله على خالد بن الوليد المخزومي فهزم الله العدو واظهر
المسلمين قال وبعثهم رسول الله في جمادى الاولى يعني من سنة ثمان قال موسى بن عقبة وزعموا
والله اعلم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال مر علي جعفر في الملائكة يطير كما يطيرون
له جناحان قال وزعموا والله اعلم ان يعلى بن امية قدم على رسول الله بخبر اهل مؤتة فقال
له رسول الله ان شئت فاخبرني وان شئت اخبرتك قال اخبرني يا رسول الله قال فاخبرهم
رسول الله صلى الله عليه وسلم خبرهم كله ووصفهم لهم فقال والذي بعثك بالحق ما تركت
من حديثهم حرفا لم تذكره وان امرهم لكما ذكرت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله
رفع لي الارض حتى رأيت معتركهم فهذا السياق فيه فوائد كثيرة ليست عند ابن اسحاق وفيه
مخالفة لما ذكره ابن اسحاق من ان خالدا انما حاشى بالقوم حتى تخلصوا من الروم وعرب النصارى
فقط وموسى بن عقبة والواقدي مصرحان بانهم هزموا جموع الروم والعرب الذين معهم وهو
ظاهر الحديث المتقدم عن انس مرفوعا ثم اخذ الراية سيف من سيوف الله ففتح الله
على يديه رواه البخاري وهذا هو الذي رجحه ومال اليه البيهقي بعد حكايته القولين لما
ذكرناه من الحديث ولكن قال ابن اسحاق حدثني محمد بن جعفر عن عروة قال لما اقبل اصحاب
مؤتة تلقاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون معه فجعلوا يحثون عليهم التراب
ويقولون يا فرار فررتم في سبيل الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليسوا بالفرار
ولكنهم الكرار ان شاء الله عز وجل وهذا مرسل من هذا الوجه وفيه غرابة وقد قال الامام
احمد حدثنا حسن ثنا زهير ثنا يزيد بن ابي زياد عن عبد الرحمن بن ابي ليلى عن عبد الله
بن عمر قال كنت في سرية من سرايا رسول الله صلى الله عليه وسلم فحاص الناس حيصة
وكنت فيمن حاص فقلنا كيف نصنع وقد فررنا من الزحف وبؤنا بالغضب ثم قلنا لو دخلنا
المدينة فقتلنا ثم قلنا لو عرضنا انفسنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فان كانت
لنا توبة والا ذهبنا فاتيناه قبل صلاة الغداة فخرج فقال من القوم قال فقلنا نحن
الفرارون قال لا بل انتم العكارون انا فئتكم وانا فئة المسلمين قال فاتيناه حتى قبلنا
يده ثم رواه عن غندر عن شعبة عن يزيد بن ابي زياد عن ابن ابي ليلى عن ابن عمر قال كنا في سرية
ففررنا فاردنا ان نركب البحر فاتينا رسول الله فقلنا يا رسول الله نحن الفرارون فقال لا بل
انتم العكارون ورواه ابو داود والترمذي وابن ماجه من حديث يزيد بن ابي زياد وقال
الترمذي حسن لا نعرفه الا من حديثه ثم قال احمد حدثنا اسحاق بن عيسى واسود بن عامر قالا
ثنا شريك عن يزيد بن ابي زياد عن عبد الرحمن بن ابي ليلى عن ابن عمر قال بعثنا رسول الله

صلى الله عليه وسلم في سرية فلما لقينا العدو انهزمنا في اول غادية فقدمنا المدينة في
نفر ليلا فاختفينا ثم قلنا لو خرجنا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم واعتذرنا اليه فخرجنا
اليه فلما لقيناه قلنا نحن الفرارون يا رسول الله قال بل انتم العكارون وانا فئتكم قال
الاسود وانا فئة كل مسلم وقال ابن اسحاق وحدثني عبد الله بن ابي بكر بن عمرو بن حزم عن عامر
بن عبد الله بن الزبير ان ام سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم قالت لامرأة سلمة بن هشام
بن المغيرة ما لي لا ارى سلمة يحضر الصلاة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ومع المسلمين قالت
ما يستطيع ان يخرج كلما خرج صاح به الناس يا فرار فررتم في سبيل الله حتى قعد في بيته
ما يخرج وكان في غزاة مؤتة
لعل طائفة منهم فروا لما عاينوا كثرة جموع الروم
وكانوا على اكثر من اضعاف الاضعاف فانهم كانوا ثلاثة الاف وكان العدو على ما ذكروه مائتي
الف ومثل هذا يسوغ الفرار على ما تقرر فلما فر هؤلاء ثبت باقيهم وفتح الله عليهم وتخلصوا من ايدي
اولئك وقتلوا منهم مقتلة عظيمة كما ذكره الواقدي وموسى بن عقبة من قبله ومما يؤيد ذلك ايضا
ويرشد اليه قوة ويشهد له بالصحة ما رواه الامام احمد حدثنا الوليد بن مسلم حدثني صفوان بن
عمرو عن عبد الرحمن بن جبير بن نفير عن ابيه عن عوف بن مالك الاشجعي قال خرجت مع من خرج
مع زيد بن حارثة من المسلمين في غزوة مؤتة ورافقني مددي من اليمن ليس معه غير سيفه
فنحر رجل من المسلمين جزورا فسأله المددي طائفة من جلده فاعطاه اياه فاتخذه كهيئة
الدرقة ومضينا فلقينا جموع الروم وفيهم رجل على فرس له اشقر عليه سرج مذهب وسلاح
مذهب فجعل الرومي يغري بالمسلمين وقعد له المددي خلف صخرة فمر به الرومي فعرقب فرسه
فخر وعلاه فقتله وحاز فرسه وسلاحه فلما فتح الله للمسلمين بعث اليه خالد بن الوليد فاخذ
من السلب قال عوف فاتيته فقلت يا خالد اما علمت ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قضى بالسلب للقاتل قال بلى ولكني استكثرته فقلت لتردنه اليه او لاعرفنكها عند رسول
الله فابى ان يرد عليه قال عوف فاجتمعنا عند رسول الله فقصصت عليه قصة المددي
وما فعل خالد فقال رسول الله يا خالد رد عليه ما اخذت منه قال عوف فقلت دونك يا خالد
الم اف لك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وما ذاك فاخبرته فغضب رسول الله صلى
الله عليه وسلم وقال يا خالد لا ترد عليه هل انتم تاركو لي امرائي لكم صفوة امرهم وعليهم كدره
قال الوليد سألت ثورا عن هذا الحديث فحدثني عن خالد بن معدان عن جبير بن نفير عن
عوف بنحوه ورواه مسلم وابو داود من حديث جبير بن نفير عن عوف بن مالك به نحوه
وهذا يقتضي انهم غنموا منهم وسلبوا من اشرافهم وقتلوا من امرائهم وقد تقدم فيما رواه البخاري
ان خالدا رضي الله عنه قال اندقت في يدي يوم مؤتة تسعة اسياف وما ثبتت في يدي الا
صفيحة يمانية وهذا يقتضي انهم اثخنوا فيهم قتلا ولو لم يكن كذلك لما قدروا على التخلص
منهم وهذا وحده دليل مستقل والله اعلم وهذا هو اختيار موسى بن عقبة والواقدي والبيهقي
وحكاه ابن هشام عن الزهري قال البيهقي رحمه الله اختلف اهل المغازي في فرارهم وانحيازهم
فمنهم من ذهب الى ذلك ومنهم من زعم ان المسلمين ظهروا على المشركين وان المشركين انهزموا
قال وحديث انس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم ثم اخذها خالد بن الوليد ففتح
الله عليه يدل على ظهورهم عليهم والله تعالى اعلم قلت وقد ذكر ابن اسحاق ان قطبة بن
قتادة العذري وكان راس ميمنة المسلمين حمل على مالك بن زافلة قال ابن هشام

ويقال إن رافلة بالراء وهو أمير أعراب النصارى فقتله وقال يفتخر بذلك

طعنت ابن رافلة بن الإراش • برمح مضى فيه ثم انحطم
ثم ضربت على جيده فمال • كما مال غصن السلم
وسقنا نساء بني عمه • غداة رقوقين سوق النعم

وهذا مما يؤيد ما نحن فيه لأن من عادة أمير الجيش إذا قتل أن يفر أصحابه ثم إنه صرح في شعره بأنهم سبوا من نسائهم وهذا واضح فيما ذكرناه والله أعلم وأما ابن إسحاق فإنه ذهب إلى أنه لم يكن إلا المحاشاة والتخلص من أيدي الروم وسمى هذا فتحا ونصرا أي باعتبار ما كانوا فيه من إحاطة العدو بهم وتراكمهم وتكاثرهم وتكاثفهم عليهم فكان يقتضي العادة أن يصطلموا بالكلية فلما تخلصوا منهم وانحازوا عنهم كان هذا غاية المرام في هذا المقام وهذا محتمل لكنه خلاف الظاهر من قوله عليه السلام حتى فتح الله عليهم والمقصود أن ابن إسحاق أخذ يستدل على ما ذهب إليه فقال وقد قال فيما كان من أمر الناس وأمر خالد بن الوليد ومحاشاته بالناس وانصرافه بهم قيس بن المسحر اليعمري يعتذر مما صنع يومئذ وصنع الناس

والله لا تنفك نفسي تلومني • على موقفي والخيل قابعة قبل
وقفت بها لا مستجيزا فنافذا • ولا مانعا من كان حم له القتل
على أنني آسيت نفسي بخالد • ألا خالد في القوم ليس له مثل
وجاشت إلي النفس من نحو جعفر • بمؤتة إذ لا ينفع النابل النبل
وضم إلينا حجزتيهم كليهما • مهاجرة لا مشركون ولا عزل

قال ابن إسحاق فبين قيس ما اختلف فيه الناس من ذلك في شعره أن القوم حاجزوا وكرهوا الموت وحقق انحياز خالد بمن معه قال ابن هشام وأما الزهري فقال فيما بلغنا عنه أمر المسلمون عليهم خالد بن الوليد ففتح الله عليهم وكان عليهم حتى رجع إلى المدينة

فصل

قال ابن إسحاق وحدثني عبد الله بن أبي بكر عن أم عيسى الخزاعية عن أم جعفر بنت محمد بن جعفر بن أبي طالب عن جدتها أسماء بنت عميس قالت لما أصيب جعفر وأصحابه دخل علي رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد دبغت أربعين منا وعجنت عجيني وغسلت بني ودهنتهم ونظفتهم قالت فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم ائتيني ببني جعفر فأتيته بهم فتشممهم وذرفت عيناه فقلت يا رسول الله بأبي أنت وأمي ما يبكيك أبلغك عن جعفر وأصحابه شيء قال نعم أصيبوا هذا اليوم قالت فقمت أصيح واجتمع إلي النساء وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أهله فقال لا تغفلوا عن آل جعفر أن تصنعوا لهم طعاما فإنهم قد شغلوا بأمر صاحبهم وهكذا رواه الإمام من حديث ابن إسحاق ورواه ابن ماجه من طريق محمد بن إسحاق عن عبد الله بن أبي بكر عن أم عيسى عن أم عون بنت محمد بن جعفر عن أسماء فذكر الأمر بعمل الطعام والصواب أنهما أم جعفر وأم عون وقال الإمام أحمد ثنا سفيان ثنا جعفر بن خالد عن أبيه عن عبد الله بن جعفر قال لما جاء نعي جعفر حين قتل قال النبي صلى الله عليه وسلم اصنعوا لآل جعفر طعاما فقد أتاهم أمر يشغلهم أو أتاهم ما يشغلهم وهكذا رواه أبو داود والترمذي وابن ماجه من حديث سفيان بن عيينة عن جعفر بن خالد بن سارة المخزومي المكي عن أبيه عن عبد الله بن جعفر وقال الترمذي حسن ثم قال ثنا محمد بن إسحاق حدثني عبد الرحمن بن القاسم عن أبيه عن عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم قالت لما جاء نعي جعفر عرفنا في وجه رسول

الله صلى الله عليه وسلم الحزن قالت فدخل عليه رجل فقال يا رسول الله إن النساء عنيننا وفتننا قال فارجع إليهن فأسكتهن قالت فذهب ثم رجع فقال له مثل ذلك قالت وربما ضر التكلف بعض أهله قال فاذهب فأسكتهن فإن أبين فاحث في أفواههن التراب قالت قلت في نفسي أبعدك الله فوالله ما تركت نفسك وما أنت بمطيع رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت وعرفنا أنه لا يقدر على أن يحثي في أفواههن التراب تفرد به ابن إسحاق من هذا الوجه وليس في شيء من الكتب وقال البخاري ثنا قتيبة ثنا عبد الوهاب سمعت يحيى بن سعيد قال أخبرتني عمرة قالت سمعت عائشة تقول لما قتل ابن حارثة وجعفر بن أبي طالب وعبد الله بن رواحة جلس رسول الله صلى الله عليه وسلم يعرف فيه الحزن قالت عائشة وأنا أطلع من صائر الباب شق الباب فأتاه رجل فقال أي رسول الله إن نساء جعفر وذكر بكاءهن فأمره أن ينهاهن قالت فذهب الرجل ثم أتى فقال والله لقد غلبننا فزعمت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فاحث في أفواههن من التراب قالت عائشة رضي الله عنها فقلت أرغم الله أنفك فوالله ما أنت تفعل وما تركت رسول الله صلى الله عليه وسلم من العناء وهكذا رواه مسلم وأبو داود والنسائي من طرق عن يحيى بن سعيد الأنصاري عن عمرة بها وقال الإمام أحمد ثنا وهب بن جرير ثنا أبي سمعت محمد بن أبي يعقوب يحدث عن الحسن بن سعد عن عبد الله بن جعفر قال بعث رسول الله جيشا استعمل عليهم زيد بن حارثة وقال إن قتل زيد أو استشهد فأميركم جعفر فإن قتل أو استشهد فأميركم عبد الله بن رواحة فلقوا العدو فأخذ الراية زيد فقاتل حتى قتل ثم أخذ الراية جعفر فقاتل حتى قتل ثم أخذها عبد الله بن رواحة فقاتل حتى قتل ثم أخذ الراية خالد بن الوليد ففتح الله عليه وأتى خبرهم النبي صلى الله عليه وسلم فخرج إلى الناس فحمد الله وأثنى عليه وقال إن إخوانكم لقوا العدو وإن زيدا أخذ الراية فقاتل حتى قتل أو استشهد ثم أخذ الراية بعده جعفر بن أبي طالب فقاتل حتى قتل أو استشهد ثم أخذ الراية عبد الله بن رواحة فقاتل حتى قتل أو استشهد ثم أخذ الراية سيف من سيوف الله خالد بن الوليد ففتح الله عليه قال ثم أمهل آل جعفر ثلاثا أن يأتيهم ثم أتاهم فقال لا تبكوا على أخي بعد اليوم ادعوا إلي بني أخي فجيء بنا كأنا أفرخ فقال ادعوا إلي الحلاق فحلق رؤوسنا ثم قال أما محمد فشبيه عمنا أبي طالب وأما عبد الله فشبيه خلقي وخلقي ثم أخذ بيدي فأشالها وقال اللهم اخلف جعفرا في أهله وبارك لعبد الله في صفقة يمينه قالها ثلاث مرات قال فجاءت أمنا فذكرت له يتمنا وجعلت تفرح له فقال العيلة تخافين عليهم وأنا وليهم في الدنيا والآخرة ورواه أبو داود ببعضه والنسائي في السير بتمامه من حديث وهب بن جرير به وهذا يقتضي أنه عليه السلام أرخص لهم في البكاء ثلاثة أيام ثم نهاهم عنه بعدها ولعله معنى الحديث الذي رواه الإمام أحمد من حديث الحكم عن عبد الله بن شداد عن أسماء أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لها لما أصيب جعفر تسلبي ثلاثا ثم اصنعي ما شئت تفرد به أحمد فيحتمل أنه أذن لها في التسلب وهو المبالغة في البكاء وشق الثياب ويكون هذا من باب التخصيص لها بهذا لشدة حزنها على جعفر أبي أولادها وقد يحتمل أن يكون أمرا لها بالتسلب وهو المبالغة في الإحداد ثلاثا ثم تصنع بعد ذلك ما شاءت مما تفعله المعتدات عن أزواجهن من الإحداد المعتاد ويروى تسلبي ثلاثا أي تصبري

ثلاثا وهذا بخلاف الرواية الاخرى والله اعلم فاما الحديث الذي قال الامام احمد حدثنا يزيد ثنا محمد بن طلحة عن الحكم بن عتيبة عن عبد الله بن شداد عن اسماء بنت عميس قالت دخل علي رسول الله صلى الله عليه وسلم اليوم الثالث من قتل جعفر فقال لا تحدي بعد يومك هذا فانه من افراد احمد ايضا واسناده لا باس به ولكنه مشكل ان حمل على ظاهره لانه قد ثبت في الصحيحين ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا يحل لامراة تؤمن بالله واليوم الاخر ان تحد على ميت اكثر من ثلاثة ايام الا على زوج اربعة اشهر وعشرا فان كان ما رواه الامام احمد محفوظا فتكون مخصوصة بذلك او هو امر بالمبالغة في الاحداد هذه الثلاثة ايام كما تقدم والله اعلم قلت وقد رثت اسماء بنت عميس زوجها جعفرا بقصيدة تقول فيها

فآليت لا تنفك نفسي حزينة • عليك ولا ينفك جلدي اغبرا •
فلله عينا من راى مثله فتى • اكر واحمى في الهياج واصبرا

ثم لم تنشب ان انقضت عدتها فخطبها ابو بكر الصديق فتزوجها فاولم وجاء الناس للوليمة وكان فيهم علي بن ابي طالب فلما ذهب الناس استاذن علي ابا بكر رضي الله عنهما في ان يكلم اسماء من وراء الستر فاذن له فلما اقترب من الستر نفحه ريح طيبها فقال لها على وجه البسط من القائلة في شعرها

فآليت لا تنفك نفسي حزينة • عليك ولا ينفك جلدي اغبرا

فقالت دعنا منك يا ابا الحسن فانك امرؤ فيك دعابة فولدت للصديق محمد بن ابي بكر ولدته بالشجرة بين مكة والمدينة ورسول الله صلى الله عليه وسلم ذاهب الى حجة الوداع فامرها ان تغتسل وتهل وسيأتي في موضعه ثم لما توفي الصديق تزوجها بعده علي بن ابي طالب وولدت له اولادا رضي الله عنها وعنهم اجمعين

فصل قال ابن اسحاق فحدثني محمد بن جعفر بن الزبير عن عروة بن الزبير قال فلما دنوا من المدينة تلقاهم رسول الله والمسلمون قال ولقيهم الصبيان يشتدون ورسول الله مقبل مع القوم على دابة فقال خذوا الصبيان فاحملوهم واعطوني ابن جعفر فاتي بعبد الله بن جعفر فاخذه فحمله بين يديه قال وجعل الناس يحثون على الجيش التراب ويقولون يا فرار فررتم في سبيل الله قال فيقول رسول الله صلى الله عليه وسلم ليسوا بالفرار ولكنهم الكرار ان شاء الله وهذا مرسل وقال الامام احمد ثنا روح ثنا ابن جريج ثنا جعفر بن خالد بن سارة ان اباه اخبره ان عبد الله بن جعفر قال لو رايتني وقثم وعبيد الله ابني العباس ونحن صبيان نلعب اذ مر النبي صلى الله عليه وسلم على دابة فقال ارفعوا هذا الي فحملني امامه وقال لقثم ارفعوا هذا الي فجعله وراءه وكان عبيد الله احب الى عباس من قثم فما استحيى من عمه ان حمل قثما وتركه قال ثم مسح على راسي ثلاثا وقال كلما مسح اللهم اخلف جعفرا في ولده قال قلت لعبد الله ما فعل قثم قال استشهد قال قلت الله ورسوله اعلم بالخير قال اجل ورواه النسائي في اليوم والليلة من حديث ابن جريج به وهذا كان بعد الفتح فان العباس انما قدم المدينة بعد الفتح وقد قال الامام احمد ثنا عاصم عن مورق العجلي عن عبد الله بن جعفر قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا قدم من سفر تلقى بالصبيان من اهل بيته وانه قدم من سفر فسبق بي اليه فحملني بين يديه قال ثم جيء باحد ابني فاطمة اما حسن

واما حسين فاردفه خلفه فدخلنا المدينة ثلاثة على دابة وقد رواه مسلم وابو داود والنسائي وابن ماجه من حديث عاصم الاحول عن مورق عنه به فاما الحديث الذي رواه الامام احمد حدثنا اسماعيل ثنا حبيب بن الشهيد عن عبد الله بن ابي مليكة قال قال عبد الله بن جعفر لابن الزبير اتذكر اذ تلقينا رسول الله انا وانت وابن عباس قال نعم فحملنا وتركك هكذا رايته في المسند وكانه غلط في النسخة فانه في مسند عبد الله بن جعفر نحوه ابدا قال قال عبد الله بن الزبير لعبد الله بن جعفر اتذكر اذ تلقينا رسول الله صلى الله عليه وسلم انا وانت وابن عباس قال نعم فحملنا وتركك هكذا رايته في المسند وهذا اللفظ اخرجه البخاري ومسلم من حديث حبيب بن الشهيد وهذا يعد من الاجوبة المسكتة ويروى ان عبد الله بن عباس اجاب به ابن الزبير ايضا وهذه القصة قصة اخرى كانت بعد الفتح كما قدمنا بيانه والله اعلم

فصل في فضل هؤلاء الثلاثة زيد وجعفر وعبد الله

اما زيد بن حارثة بن شراحيل بن كعب بن عبد العزى بن امرئ القيس بن عامر بن النعمان بن عامر بن عبد ود بن عوف بن كنانة بن بكر بن عوف بن عذرة بن زيد اللات بن رفيدة بن ثور بن كلب بن وبرة بن تغلب بن حلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة الكلبي القضاعي مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك ان امه ذهبت تزور اهلها فاغار عليهم خيل القين فاشتراه حكيم بن حزام لعمته خديجة بنت خويلد وقيل اشتراه رسول الله صلى الله عليه وسلم لها فوهبته لرسول الله صلى الله عليه وسلم قبل النبوة ثم وجده ابوه فاختار المقام عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فاعتقه وتبناه فكان يقال له زيد بن محمد وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحبه حبا شديدا وكان اول من اسلم من الموالي ونزل فيه ايات من القران منها قوله تعالى وما جعل ادعياءكم ابناءكم وقوله ادعوهم لابائهم هو اقسط عند الله وقوله ما كان محمد ابا احد من رجالكم وقوله واذ تقول للذي انعم الله عليه وانعمت عليه امسك عليك زوجك واتق الله وتخفي في نفسك ما الله مبديه وتخشى الناس والله احق ان تخشاه فلما قضى زيد منها وطرا زوجناكها الاية اجمعوا ان هذه الايات نزلت فيه ومعنى انعم الله عليه بالاسلام وانعمت عليه بالعتق وقد تكلمنا عليها في التفسير والمقصود ان الله تعالى لم يسم احدا من الصحابة في القران غيره وهداه الله الى الاسلام واعتقه رسول الله عليه الصلاة والسلام وزوجه مولاته ام ايمن واسمها بركة فولدت له اسامة بن زيد فكان يقال له الحب بن الحب ثم زوجه بابنة عمته زينب بنت جحش واخى بينه وبين عمه حمزة بن عبد المطلب وقدمه في الامرة على ابن عمه جعفر بن ابي طالب يوم مؤتة كما ذكرنا وقد قال الامام احمد والامام الحافظ ابو بكر بن ابي شيبة ثنا محمد بن عبيد عن وائل بن داود سمعت البهي يحدث ان عائشة كانت تقول ما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم زيد بن حارثة في سرية الا امره عليهم ولو بقي بعده لاستخلفه ورواه النسائي عن احمد بن سليمان عن محمد بن عبيد الطنافسي وهذا اسناد جيد قوي على شرط الصحيح وهو غريب جدا والله اعلم وقال الامام احمد ثنا سليمان ثنا اسماعيل اخبرني ابن دينار عن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث بعثا وامر عليهم اسامة بن زيد فطعن بعض الناس في امرته فقام رسول الله فقال ان تطعنوا في امرته فقد كنتم تطعنون في امارة ابيه من قبل وايم الله ان كان

خليقا للامارة وان كان لمن احب الناس الي وان هذا لمن احب الناس الي بعده واخرجاه في الصحيحين من حديث اسماعيل بن جعفر بن ابي كثير المدني عن عبد الله بن دينار عن ابن عمر فذكره ورواه البخاري من حديث موسى بن عقبة عن سالم عن ابيه ورواه البزار من حديث عاصم بن عمر عن عبيد الله بن عمر العمري عن نافع عن ابن عمر ثم استغربه من هذا الوجه وقال الحافظ ابو بكر البزار ثنا عمر بن اسماعيل بن مجالد ثنا ابي عن مجالد عن الشعبي عن مسروق عن عايشة قالت لما اصيب زيد بن حارثة جيء باسامة بن زيد فاوقف بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم فدمعت عينا رسول الله فاخر ثم عاد من الغد فوقف بين يديه فقال الاقي منك اليوم ما لقيت منك امس وهذا الحديث فيه غرابة والله اعلم وقد تقدم في الصحيحين انه لما ذكر مصابهم وهو عليه السلام فوق المنبر جعل يقول اخذ الراية زيد فاصيب ثم اخذها جعفر فاصيب ثم اخذها ابن رواحة فاصيب ثم اخذها سيف من سيوف الله ففتح الله عليه قال وان عينيه لتذرفان وقال وما يسرهم انهم عندنا وفي الحديث الاخر انه شهد لهم بالشهادة فهم ممن يقطع لهم بالجنة وقد قال حسان بن ثابت في زيد بن حارثة وابن رواحة

عين جودي بدمعك المنزور … واذكري في الرخاء اهل القبور
واذكري مؤتة وما كان فيها … يوم راحوا في وقعة التغرير
حين راحوا وغادروا ثم زيدا … نعم ماوى الضريك والماسور
حب خير الانام طرا جميعا … سيد الناس حبه في الصدور
ذاكم احمد الذي لا سواه … ذاك حزني له معا وسروري
ان زيدا قد كان منا بامر … ليس امر المكذب المغرور
ثم جودي للخزرجي بدمع … سيدا كان ثم غير نزور
قد اتانا من قتلهم ما كفانا … فبحزن نبيت غير سرور

واما جعفر بن ابي طالب

بن عبد المطلب بن هاشم فهو ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان اكبر من اخيه علي بعشر وكان عقيل اسن من جعفر بعشر سنين وكان ابو طالب اسن من عقيل بعشر سنين اسلم جعفر قديما وهاجر الى الحبشة وكانت له هناك مواقف مشهورة ومقامات محمودة واجوبة سديدة واحوال رشيدة وقد قدمنا ذلك في هجرة الحبشة ولله الحمد وقدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم خيبر فقال عليه السلام ما ادري بايهما انا اسر ابقدوم جعفر ام بفتح خيبر وقام اليه واعتنقه وقبل بين عينيه وقال له يوم خرجوا من عمرة القضية اشبهت خلقي وخلقي فيقال انه حجل عند ذلك فرحا كما تقدم ذلك في موضعه ولله الحمد والمنة ولما بعثه الى مؤتة جعله في الامرة مصليا اي نائبا لزيد بن حارثة ولما قتل وجدوا فيه بضعا وتسعين ما بين ضربة بسيف وطعنة برمح ورمية بسهم وهو في ذلك كله مقبل غير مدبر وكانت قد قطعت يداه اليمنى ثم اليسرى وهو ممسك اللوا فلما فقدهما احتضنه حتى قتل وهو كذلك فيقال ان رجلا من الروم ضربه بسيف فقطعه باثنتين رضي الله عن جعفر ولعن قاتله وقد اخبر عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم بانه شهيد فهو ممن يقطع له بالجنة وجاء في الحديث تسميته بذي الجناحين وروى البخاري عن ابن عمر انه كان اذا سلم على ابنه عبد الله بن جعفر يقول السلام عليك يا ابن ذي الجناحين وبعضهم يرويه عن عمر بن الخطاب نفسه والصحيح ما في الصحيح عن ابن عمر قال لولا ان الله عوضه عن يديه بجناحين في الجنة وقد تقدم لبعض ما روي في ذلك وقال الحافظ ابو عيسى الترمذي حدثنا علي بن حجر ثنا عبد الله بن جعفر عن العلا بن عبد الرحمن عن ابيه عن ابي هريرة قال قال رسول الله رايت جعفرا يطير في الجنة مع الملائكة وتقدم من حديث اسامة رضي الله عنه قتل وعمره ثلاث وثلثين وقال ابن الاثير في الغابة كان عمره يوم قتل احدى واربعين سنة قال وقيل غير ذلك قلت وعلى ما قيل انه كان اسن من علي بعشر سنين يقتضي ان عمره يوم قتل تسع وثلثون سنة لان عليا اسلم وهو ابن ثمان سنين على المشهور فاقام بمكة ثلاث عشرة سنة وهاجر وعمره احدى وعشرون سنة ويوم مؤتة كان في سنة ثمان من الهجرة وقد كان يقال لجعفر بعد قتله جعفر الطيار لما ذكرنا وكان كريما جوادا ممدحا وكان لكرمه يقال له في حيوته ابو المساكين لاحسانه اليهم قال الامام احمد ثنا عفان ثنا وهيب ثنا خالد عن عكرمة عن ابي هريرة قال ما احتذى النعال ولا انتعل ولا ركب ولا لبس الثياب من رسول الله بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم افضل من جعفر بن ابي طالب وهذا اسناد جيد الى ابي هريرة وكانه انما يفضله في الكرم فاما في الفضيلة الدينية فمعلوم ان الصديق والفاروق بل وعثمان بن عفان افضل منه واما اخوه علي رضي الله عنهما فالظاهر انهما متكافيان او علي افضل منه وانما اراد ابو هريرة تفضيله في الكرم بدليل ما رواه البخاري حدثنا احمد بن ابي بكر ثنا محمد بن ابراهيم بن دينار ابو عبد الله الجهني عن ابن ابي ذيب عن سعيد المقبري عن ابي هريرة ان الناس كانوا يقولون اكثر ابو هريرة واني كنت الزم رسول الله بشبع بطني حين لا اكل الخمير ولا البس الحرير ولا يخدمني فلان ولا فلانة وكنت الصق بطني بالحصباء من الجوع وان كنت لاستقرئ الرجل الاية هي معي كي ينقلب بي فيطعمني وكان خير الناس للمساكين جعفر بن ابي طالب وكان ينقلب بنا فيطعمنا ما كان في بيته حتى ان كان ليخرج الينا العكة التي ليس فيها شيء فنشقها فنلعق ما فيها تفرد به البخاري وقال حسان يرثي جعفرا

ولقد بكيت وعز مهلك جعفر … حب النبي على البرية كلها
ولقد جزعت وقلت حين نعيت لي … من للجلاد لدى العقاب وظلها
بالبيض حين تسل من اغمادها … ضربا وانهال الرماح وعلها
بعد ابن فاطمة المبارك جعفر … خير البرية كلها واجلها
رزءا واكرمها جميعا محتدا … واعزها متظلما واذلها
للحق حين ينوب غير تنحل … كذبا وانداها يدا واقلها
فحشا واكثرها اذا ما تجتدى … فضلا وانداها يدا وابلها
بالعرف غير محمد لا مثله … حي من احياء البرية كلها

واما ابن رواحة فهو عبد الله

بن رواحة بن ثعلبة بن امرئ القيس بن عمرو بن امرئ القيس الاكبر بن مالك بن الاغر بن ثعلبة بن كعب بن الخزرج بن الحرث بن الخزرج ابو محمد ويقال ابو رواحة ويقال ابو عمرو الانصاري الخزرجي وهو خال النعمان بن بشير اخته عمرة بنت رواحة اسلم قديما وشهد العقبة وكان احد النقباء ليلتئذ لبني الحرث بن الخزرج وشهد بدرا واحدا والخندق والحديبية وخيبر وكان

قال ابن الاثير العقاب
ها هنا اسم الراية النبي

بيعته على حرصها كما قدمنا وشهد عمرة القضاء ودخل يومئذ وهو ممسك بزمام ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل بغرزها يعني الركاب وهو يقول خلوا بني الكفار عن سبيله الابيات كما تقدم وكان احد الامراء الشهداء يوم مؤتة كما تقدم وقد شجع المسلمين للقاء الروم حين اشتوروا في ذلك وشجع نفسه ايضا حتى نزل بعدما قتل صاحباه وقد شهد له رسول الله صلى الله عليه وسلم بالشهادة فهو ممن يقطع له بالجنة ويروى انه لما انشد النبي صلى الله عليه وسلم شعره حين ودعه الذي يقول فيه

• فثبت الله ما آتاك من حسن • تثبيت موسى ونصرا كالذي نصروا •

قال له رسول الله وانت فثبتك الله قال هشام بن عروة فثبته الله حتى قتل شهيدا ودخل الجنة وروى حماد بن زيد عن ثابت عن عبد الرحمن بن ابي ليلى ان عبد الله بن رواحة اتى رسول الله وهو يخطب فسمعه يقول اجلسوا فجلس مكانه خارجا من المسجد حتى فرغ النبي صلى الله عليه وسلم من خطبته فبلغ ذلك رسول الله فقال له زادك الله حرصا على طواعية الله وطواعية رسوله وقال البخاري في صحيحه وقال معاذ اجلس بنا نؤمن ساعة وقد ورد الحديث المرفوع في ذلك عن عبد الله بن رواحة بنحو ذلك فقال الامام احمد حدثنا عبد الصمد عن عمارة عن زياد النميري عن انس قال كان عبد الله بن رواحة اذا لقي الرجل من اصحابه يقول تعال نؤمن بربنا ساعة فقال ذات يوم لرجل فغضب الرجل فجاء فقال يا رسول الله الا ترى الى ابن رواحة يرغب عن ايمانك الى ايمان ساعة فقال النبي صلى الله عليه وسلم يرحم الله ابن رواحة انه يحب المجالس التي تتباهى بها الملائكة وهذا حديث غريب جدا قال البيهقي انا الحاكم انا ابو بكر ثنا محمد بن ايوب انا احمد بن يونس ثنا شيخ من اهل المدينة عن عطاء بن يسار ان عبد الله بن رواحة قال لصاحب له تعال حتى نؤمن ساعة قال او لسنا بمؤمنين قال بلى ولكنا نذكر الله فنزداد ايمانا وقد روى الحافظ ابو القسم اللالكائي من حديث ابي اليمان عن صفوان بن سليم عن شريح بن عبيد ان عبد الله بن رواحة كان ياخذ بيد الرجل من اصحابه فيقول قم بنا نؤمن ساعة فنجلس في مجلس ذكر وهذا مرسل من هذين الوجهين وقد استقصينا الكلام على ذلك في اول شرح البخاري ولله الحمد والمنة وفي صحيح البخاري عن ابي الدرداء قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر في حر شديد وما فينا صائم الا رسول الله صلى الله عليه وسلم وعبد الله بن رواحة وقد كان من شعراء الصحابة المشهورين ومما نقله البخاري من شعره قوله صلى الله عليه وسلم

• وفينا رسول الله يتلو كتابه • اذا انشق معروف من الفجر ساطع •
• يبيت يجافي جنبه عن فراشه • اذا استثقلت بالكافرين المضاجع •
• اتى بالهدى بعد العمى فقلوبنا • به موقنات ان ما قال واقع •

وقال البخاري ثنا عمران بن ميسرة ثنا محمد بن فضيل عن حصين عن عامر عن النعمان بن بشير قال اغمي على عبد الله بن رواحة فجعلت اخته عمرة تبكي واجبلاه واكذا واكذا تعدد عليه فقال حين افاق ما قلت شيئا الا قيل لي انت كذلك حدثنا قتيبة ثنا عبثر عن حصين عن الشعبي عن النعمان بن بشير قال اغمي على عبد الله بن رواحة بهذا فلما مات لم تبك عليه وقد قدمنا ما رثاه به حسان بن ثابت مع غيره وقال شاعر من المسلمين ممن رجع من مؤتة مع من رجع رضي الله عنهم •

• كفى حزنا اني رجعت وجعفر • وزيد وعبد الله في رمس اقبر •
• قضوا نحبهم لما مضوا لسبيلهم • وخلفت للبلوى مع المتغبر •

وسيأتي ان شاء الله تعالى في بقية ما قيل من الشعر في هؤلاء الامراء الثلاثة من شعر حسان بن ثابت وكعب بن مالك رضي الله عنهما وارضاهما

فصل في ذكر من استشهد يوم مؤتة من المسلمين

فمن المهاجرين جعفر بن ابي طالب ومولاهم زيد بن حارثة الكلبي ومسعود بن الاسود بن حارثة بن نضلة العدوي ووهب بن سعد بن ابي سرح فهؤلاء اربعة نفر ومن الانصار عبد الله بن رواحة وعباد بن قيس الخزرجيان والحارث بن النعمان بن اساف بن نضلة النجاري وسراقة بن عمرو بن عطية بن خنساء المازني اربعة نفر فمجموع من قتل من المسلمين يومئذ هؤلاء الثمانية على ما ذكره ابن اسحاق لكن قال ابن هشام وممن استشهد يوم مؤتة فيما ذكره الزهري ابو كليب وجابر ابنا عمرو بن زيد بن عوف بن مبذول المازنيان وهما شقيقان لاب وام وعمرو وعامر ابنا سعد بن الحارث بن عباد بن سعد بن عامر بن ثعلبة بن مالك بن افصى فهؤلاء اربعة من الانصار ايضا فالمجموع على القولين اثنا عشر رجلا وهذا عظيم جدا ان يتقابل جيشان متعاديان في الدين احدهما وهو الفئة التي تقاتل في سبيل الله عدتها ثلاثة الاف مقاتل واخرى كافرة عدتها مائتا الف مقاتل من الروم مائة الف ومن نصارى العرب مائة الف يتبارزون ويتصاولون ثم مع هذا كله لا يقتل من المسلمين سوى اثني عشر رجلا وقد قتل من المشركين خلق كثير هذا خالد وحده يقول لقد اندقت في يدي يومئذ تسعة اسياف وما صبرت في يدي الا صفيحة يمانية فماذا ترى قد قتل بهذه الاسياف كلها دع غيره من الابطال والشجعان من حملة القران وقد تحكموا في عبدة الصلبان عليهم لعائن الرحمن في ذلك الزمان وفي كل اوان وهذا مما يدخل في قوله تعالى قد كان لكم اية في فئتين التقتا فئة تقاتل في سبيل الله واخرى كافرة يرونهم مثليهم راي العين والله يؤيد بنصره من يشاء ان في ذلك لعبرة لاولي الابصار

فصل فيما قيل من الاشعار في غزوة مؤتة

قال ابن اسحاق وكان مما بكي به اصحاب مؤتة قول حسان •

• تاوبني ليل بيثرب اعسر • وهم اذا ما نوم الناس مسهر •
• لذكرى حبيب هيجت لي عبرة • سفوحا واسباب البكاء التذكر •
• بلى ان فقدان الحبيب بلية • وكم من كريم يبتلى ثم يصبر •
• رايت خيار المسلمين تواردوا • شعوب وخلفا بعدهم يتاخر •
• فلا يبعدن الله قتلى تتابعوا • بمؤتة منهم ذو الجناحين جعفر •
• وزيد وعبد الله حين تتابعوا • جميعا واسباب المنية تخطر •
• غداة مضوا بالمؤمنين يقودهم • الى الموت ميمون النقيبة ازهر •
• اغر كضوء البدر من آل هاشم • ابي اذا سيم الظلامة مجسر •
• فطاعن حتى مات غير موسد • بمعترك فيه القنا متكسر •
• فصار مع المستشهدين ثوابه • جنان وملتف الحدائق اخضر •
• وكنا نرى في جعفر من محمد • وفاء وامرا حازما حين يامر •

وما زال في الاسلام من آل هاشم * دعائم عز لا يزلن ومفخر
هم جبل الاسلام والناس حولهم * رضام الى طود يروق ويقهر
بهاليل منهم جعفر وابن امه * علي ومنهم احمد المتخير
وحمزة والعباس منهم ومنهم * عقيل وماء العود من حيث يعصر
بهم تفرج اللاواء في كل مأزق * عماس اذا ما ضاق بالناس مصدر
هم اولياء الله انزل حكمه * عليهم وفيهم ذا الكتاب المطهر

حاشية: المأزق الضيق في الحرب والعماس المظلم

وقال كعب بن مالك رضي الله عنه

نام العيون ودمع عينك يهمل * سحا كما وكف الضباب المخضل
في ليلة وردت علي همومها * طورا احن وتارة اتململ
واعتادني حزن فبت كانني * ببنات نعش والسماك موكل
وكانما بين الجوانح والحشا * مما تاوبني شهاب مدخل
وجدا على النفر الذين تتابعوا * يوما بمؤتة اسندوا لم ينقلوا
صلى الاله عليهم من فتية * وسقى عظامهم الغمام المسبل
صبروا بمؤتة للاله نفوسهم * حذر الردى ومخافة ان ينكلوا
فمضوا امام المسلمين كانهم * فنق عليهن الحديد المرفل
اذ يهتدون بجعفر ولوائه * قدام اولهم فنعم الاول
حتى تفرجت الصفوف وجعفر * حيث التقى وعث الصفوف مجدل
فتغير القمر المنير لفقده * والشمس قد كسفت وكادت تافل
قرم علا بنيانه من هاشم * فرعا اشم وسؤددا ما ينقل
قوم بهم عصم الاله عباده * وعليهم نزل الكتاب المنزل
فضلوا المعاشر عزة وتكرما * وتغمدت احلامهم من يجهل
لا يطلقون الى السفاه حباهم * ويرى خطيبهم بحق يفصل
بيض الوجوه ترى بطون اكفهم * تندى اذا اعتذر الزمان الممحل
وبهديهم رضي الاله لخلقه * وبجدهم نصر النبي المرسل

بسم الله الرحمن الرحيم

كتاب بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم الى ملوك الآفاق وكتبه اليهم يدعوهم الى الله عز وجل والى الدخول في دين الاسلام

ذكر الواقدي ان ذلك كان في سنة ست في ذي الحجة بعد عمرة الحديبية وذكر البيهقي هذا الفصل في هذا الموضع بعد غزوة مؤتة والله اعلم ولا خلاف بينهم ان بدء ذلك كان قبل فتح مكة وبعد الحديبية لقول ابي سفيان لهرقل حين ساله هل يغدر فقال لا ونحن منه في مدة لا ندري ما هو صانع فيها وفي لفظ للبخاري وذلك في المدة التي ماد فيها ابو سفيان رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال محمد بن اسحاق كان ذلك ما بين الحديبية ووفاته عليه السلام ونحن نذكر ذلك كله هنا وان كان قول الواقدي محتملا والله تعالى اعلم وقد روى مسلم عن يوسف بن حماد المعني عن عبد الاعلى عن سعيد بن ابي عروبة عن قتادة عن انس بن مالك

ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كتب قبل مؤتة الى كسرى وقيصر والى النجاشي والى كل جبار يدعوهم الى الله عز وجل وليس بالنجاشي الذي صلى عليه وقال يونس بن بكير عن محمد بن اسحاق حدثني الزهري عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة عن عبد الله بن عباس حدثني ابو سفيان من فيه الى فيه قال كنا قوما تجارا وكانت الحرب قد حصرتنا حتى نهكت اموالنا فلما كانت الهدنة هدنة الحديبية بيننا وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم لم نامن ان وجدنا امنا فخرجت تاجرا الى الشام مع رهط من قريش فوالله ما علمت بمكة امراة ولا رجلا الا وقد حملني بضاعة وكان وجه متجرنا من الشام غزة من ارض فلسطين فخرجنا حتى قدمناها وذلك حين ظهر قيصر صاحب الروم على من كان في بلاده من الفرس فاخرجهم منها ورد عليه صليبه الاعظم وقد كانوا استلبوه اياه فلما ان بلغه ذلك وقد كان منزله بحمص من ارض الشام فخرج منها يمشي متشكرا الى بيت المقدس ليصلي فيه تبسط له البسط وتطرح له عليها الرياحين حتى انتهى الى ايليا فصلى بها فاصبح ذات غداة وهو مهموم يقلب طرفه الى السماء فقالت له بطارقته ايها الملك لقد اصبحت مهموما فقال اجل فقالوا وما ذاك فقال اريت في هذه الليلة ان ملك الختان ظاهر فقالوا والله ما نعلم امة من الامم تختتن الا اليهود وهم تحت يديك وفي سلطانك فان كان قد وقع هذا في نفسك منهم فابعث في مملكتك كلها فلا يبقى يهودي الا ضربت عنقه فتستريح من هذا الهم فانهم في ذلك من رايهم يديرونه بينهم اذ اتاهم رسول صاحب بصرى برجل من العرب قد وقع اليهم فقال ايها الملك ان هذا رجل من العرب من اهل الشاء والابل يحدثك عن حدث كان ببلاده فسله عنه فلما انتهى اليه قال لترجمانه سله ما هذا الخبر الذي كان في بلاده فساله فقال هو رجل من العرب من قريش خرج يزعم انه نبي وقد اتبعه اقوام وخالفه آخرون وقد كانت بينهم ملاحم في مواطن فخرجت من بلادي وهم على ذلك فلما اخبره الخبر قال جردوه فاذا هو مختون فقال هذا والله الذي قد اريت لا ما تقولون اعطه ثوبه انطلق لشانك ثم انه دعا صاحب شرطته فقال له قلب لي الشام ظهرا لبطن حتى تاتي برجل من قوم هذا اساله عن شانه فقال ابو سفيان فوالله اني واصحابي لبغزة اذ هجم علينا فسالنا ممن انتم فاخبرناه فساقنا اليه جميعا فلما انتهينا اليه قال ابو سفيان فوالله ما رايت من رجل قط ازعم انه كان ادهى من ذلك الاغلف يريد هرقل قال فلما انتهينا اليه قال ايكم امس به رحما فقلت انا قال ادنوه مني قال فاجلسني بين يديه ثم امر اصحابي فاجلسهم خلفي وقال ان كذب فردوا عليه قال ابو سفيان فلقد عرفت اني لو كذبت ما ردوا علي ولكني كنت امرا سيدا اتكرم واستحيي من الكذب وعرفت ان ادنى ما يكون في ذلك ان يرووه عني ثم يتحدثوا به عني بمكة فلم اكذبه فقال اخبرني عن هذا الرجل الذي خرج فيكم فزهدت له شانه وصغرت له امره فوالله ما التفت الى ذلك منه وقال لي اخبرني عما اسالك عنه من امره فقلت سلني عما بدا لك فقال كيف نسبه فيكم فقلت محضا من اوسطنا نسبا قال فاخبرني هل كان من بيته احد يقول مثل قوله فهو يتشبه به فقلت لا قال فاخبرني هل كان له ملك فاستلبتموه اياه فجاء بهذا الحديث لتردوه عليه فقلت لا قال فاخبرني عن اتباعه من هم فقلت الاحداث

والضعفاء والمساكين فاما اشراف القوم وذوو الانساب فيهم فلا قال فاخبرني عمن يصحبه
ايحبه ويكرمه ام يقليه ويفارقه قلت ما صحبه رجل ففارقه قال فاخبرني عن الحرب
بينكم وبينه فقلت سجال يدال علينا وندال عليه قال فاخبرني هل يغدر فلم اجد شيئا
اغره به الا هي قلت لا ونحن منه في مدة ولا نامن غدره فيها فوالله ما التفت اليها مني
قال فاعاد علي الحديث فقال زعمت انه من اصحكم نسبا وكذلك ياخذ الله النبي لا ياخذه
الا من اوسط قومه وسالتك هل من اهل بيته احد يقول مثل قوله فهو يتشبه به فقلت
لا وسالتك هل كان له من ملك فاستلبتموه فجاء بهذا الحديث لترد عليه ملكه فقلت
لا وسالتك عن اتباعه فزعمت انهم الاحداث والضعفاء والمساكين وكذلك اتباع
الانبيا في كل زمان وسالتك عمن يتبعه ايحبه ويكرمه ام يقليه ويفارقه فزعمت
انه قل من يصحبه فيفارقه وكذلك حلاوة الايمان لا تدخل قلبا فتخرج منه
وسالتك كيف الحرب بينكم وبينه فزعمت انه سجال يدال عليكم وتدالون عليه وكذلك
يكون حرب الانبيا ولهم تكون العاقبة وسالتك هل يغدر فزعمت انه لا يغدر فلئن
كنت صدقتني ليغلبني على ما تحت قدمي هاتين ولوددت اني عنده فاغسل عن قدميه
ثم قال الحق بشانك قال فقمت وانا اضرب باحدى يدي على الاخرى واقول يا عباد
الله لقد امر امر ابن ابي كبشة اصبح ملوك بني الاصفر يخافونه في سلطانهم قال
ابن اسحاق وحدثني الزهري قال حدثني اسقف من النصارى قد ادرك ذلك الزمان قال
قدم دحية بن خليفة على هرقل بكتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه
بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله الى هرقل عظيم الروم سلام
على من اتبع الهدى اما بعد فاسلم تسلم واسلم يؤتك الله اجرك مرتين فان ابيت
فان اثم الاكارين عليك قال فلما انتهى اليه كتابه وقراه اخذه فجعله بين فخذه وخاصرته
ثم كتب الى رجل من اهل رومية كان يقرا من العبرانية ما يقرا يخبره عما جاء من رسول الله
صلى الله عليه وسلم فكتب اليه انه النبي الذي ينتظر لا شك فيه فاتبعه فامر بعظما الروم
فجمعوا له في دسكرة ملكه ثم امر بها فاشرجت عليهم واطلع عليهم من علية له وهو منهم
خايف فقال يا معشر الروم انه قد جاني كتاب احمد وانه والله النبي الذي ينتظر ونجد
ذكره في كتابنا نعرفه بعلاماته في زمانه فاسلموا واتبعوه تسلم لكم دنياكم واخرتكم فنخروا
نخرة رجل واحد وابتدروا ابواب الدسكرة فوجدوها مغلقة دونهم فخافهم وقال
ردوهم علي فردوهم عليه فقال لهم يا معشر الروم اني انما قلت لكم هذه المقالة لاختبركم
بها لانظر كيف صلابتكم في دينكم فلقد رايت منكم ما سرني فوقعوا له سجدا ثم فتحت لهم
ابواب الدسكرة فخرجوا وقد روى البخاري قصة ابي سفيان مع هرقل بزيادات اخر احببنا
ان نوردها لما بينهما وهما من الصحيح ليعلم ما بين السياقين من التباين ولما
فيهما من الفوايد قال البخاري قبل الايمان من صحيحه حدثنا ابو اليمان الحكم بن نافع
انا شعيب عن الزهري اخبرني عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود ان عبد الله بن
عباس اخبره ان ابا سفيان اخبره ان هرقل ارسل اليه في ركب من قريش وكانوا تجارا بالشام
في المدة التي كان رسول الله ماد فيها ابو سفيان وكفار قريش فاتوه وهم بايليا فدعاهم
في مجلسه وحوله عظما الروم ثم دعاهم ودعا الترجمان فقال ايكم اقرب نسبا بهذا الرجل

الذي يزعم انه نبي قال ابو سفيان فقلت انا اقربهم نسبا قال ادنوه مني وقربوا اصحابه
فاجعلوهم عند ظهره ثم قال لترجمانه قل لهم اني سايل هذا عن هذا الرجل فان كذبني فكذبوه
فوالله لولا ان ياثروا علي كذبا لكذبت عنه ثم كان اول ما سالني عنه ان قال كيف نسبه
فيكم قلت هو فينا ذو نسب قال فهل قال هذا القول منكم احد قط قبله قلت لا قال
فهل كان من ابايه من ملك قلت لا قال فاشراف الناس اتبعوه ام ضعفاوهم قلت
بل ضعفاوهم قال ايزيدون ام ينقصون فقلت بل يزيدون قال فهل يرتد احد منهم
سخطة لدينه بعد ان يدخل فيه قلت لا قال فهل كنتم تتهمونه بالكذب قبل ان يقول
قال قلت لا قال فهل يغدر قلت لا ونحن منه في مدة لا ندري ما هو فاعل فيها قال ولم يمكني
كلمة ادخل فيها شيا غير هذه الكلمة قال فهل قاتلتموه فقلت نعم قال فكيف كان قتالكم اياه
قلت الحرب بيننا وبينه سجال ينال منا وننال منه قال فما ذا يامركم قلت يقول اعبدوا
الله ولا تشركوا به شيا واتركوا ما يقول اباوكم ويامرنا بالصلاة والصدق والعفاف
والصلة فقال للترجمان قل له سالتك عن نسبه فزعمت انه فيكم ذو نسب وكذلك
الرسل تبعث في نسب قومها وسالتك هل قال احد منكم هذا القول قبله فذكرت
ان لا فقلت لو كان احد قال هذا القول قبله لقلت رجل ياتسي بقول قيل قبله
وسالتك هل كان من ابايه من ملك فذكرت ان لا فلو كان من ابايه من ملك قلت رجل
يطلب ملك ابيه وسالتك هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل ان يقول ما قال فذكرت ان لا
فقد اعرف انه لم يكن ليذر الكذب على الناس ويكذب على الله وسالتك اشراف الناس اتبعوه
ام ضعفاوهم فذكرت ان ضعفاهم اتبعوه وهم اتباع الرسل وسالتك ايزيدون ام ينقصون
فذكرت انهم يزيدون وكذلك امر الايمان حتى يتم وسالتك ايرتد احد منهم سخطة لدينه
بعد ان يدخل فيه فذكرت ان لا وكذلك الايمان حين يخالط بشاشته القلوب وسالتك
هل يغدر فذكرت ان لا وكذلك الرسل لا تغدر وسالتك بما يامركم فذكرت انه يامركم ان تعبدوا
الله ولا تشركوا به شيا وينهاكم عن عبادة الاوثان ويامركم بالصلاة والصدق والعفاف
فان كان ما تقول حقا فسيملك موضع قدمي هاتين وقد كنت اعلم انه خارج لم اكن اظن انه
منكم فلو اعلم اني اخلص اليه لتجشمت لقاءه ولو كنت عنده لغسلت عن قدميه ثم دعا
بكتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي بعث به مع دحية الى عظيم بصرى فدفعه الى
هرقل فقراه فاذا فيه بسم الله الرحمن الرحيم من محمد عبد الله ورسوله
الى هرقل عظيم الروم سلام على من اتبع الهدى اما بعد فاني ادعوك بدعاية الاسلام اسلم
تسلم يوتك الله اجرك مرتين فان توليت فان عليك اثم الاريسيين ويا اهل الكتاب
تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم ان لا نعبد الا الله ولا نشرك به شيا ولا يتخذ بعضنا
بعضا اربابا من دون الله فان تولوا فقولوا اشهدوا بانا مسلمون قال ابو سفيان
فلما قال ما قال وفرغ من قراة الكتاب كثر عنده الصخب وارتفعت الاصوات واخرجنا
فقلت لاصحابي حين اخرجنا لقد امر امر ابن ابي كبشة انه يخافه ملك بني الاصفر فما
زلت موقنا انه سيظهر حتى ادخل الله علي الاسلام قال وكان ابن الناطور صاحب ايليا
وهرقل سقفا على نصارى الشام يحدث ان هرقل حين قدم ايليا اصبح يوما خبيث
النفس فقال بعض بطارقته قد استنكرنا هيئتك قال ابن الناطور وكان هرقل حزا

ينظر في النجوم فقال لهم حين سألوه اني رأيت حين نظرت في النجوم ملك الختان قد ظهر فمن يختتن من هذه الامة قالوا ليس يختتن الا اليهود ولا يهمنك شأنهم واكتب الى مداين ملكك فليقتلوا من فيهم من اليهود فبينما هم على امرهم اتي هرقل برجل ارسل به ملك غسان يخبرهم عن خبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما استخبره هرقل قال اذهبوا فانظروا امختتن هو ام لا فنظروا اليه فحدثوه انه مختتن وسأله عن العرب فقال هم يختتنون فقال هرقل هذا ملك هذه الامة قد ظهر ثم كتب هرقل الى صاحب له برومية وكان نظيره في العلم وسار هرقل الى حمص فلم يرم حمص حتى اتاه كتاب من صاحبه يوافق رأي هرقل على خروج النبي صلى الله عليه وسلم وانه نبي فاذن هرقل لعظماء الروم في دسكرة له بحمص ثم امر بابوابها فغلقت ثم اطلع فقال يا معشر الروم هل لكم في الفلاح والرشد وان يثبت لكم ملككم فتتابعوا لهذا النبي فحاصوا حيصة حمر الوحش الى الابواب فوجدوها قد غلقت فلما رأى هرقل نفرتهم وأيس من الايمان قال ردوهم علي وقال اني انما قلت مقالتي انفا اختبر بها شدتكم على دينكم فقد رأيت فسجدوا له ورضوا عنه فكان ذلك آخر شأن هرقل قال البخاري ورواه صالح بن كيسان ويونس ومعمر عن الزهري وقد رواه البخاري في مواضع كثيرة من صحيحه بالفاظ يطول استقصاؤها واخرجه بقية الجماعة الا ابن ماجة من طرق عن الزهري وقد تكلمنا على هذا الحديث مطولا في اول شرحنا لصحيح البخاري بما فيه كفاية وذكرنا ما فيه من الفوائد والنكت المعنوية واللفظية ولله الحمد والمنة وقال ابن لهيعة عن الاسود عن عروة قال خرج ابو سفيان بن حرب الى الشام تاجرا في نفر من قريش وبلغ هرقل شأن رسول الله صلى الله عليه وسلم فاراد ان يعلم ما يعلم من امر رسول الله صلى الله عليه وسلم فارسل الى صاحب العرب الذي بالشام في ملكه فامره ان يبعث اليه برجال من العرب يسألهم عنه فارسل اليه ثلاثين رجلا منهم ابو سفيان بن حرب فدخلوا عليه في كنيسة ايلياء التي في جوفها فقال هرقل ارسلت اليكم لتخبروني عن هذا الذي بمكة ما امره قالوا ساحر كذاب وليس بنبي قال فاخبروني باعلمكم به واقربكم منه رحما قالوا هذا ابو سفيان ابن عمه وقد قاتله فلما اخبروه ذلك امر بهم فاخرجوا عنه ثم اجلس ابا سفيان فاستخبره قال اخبرني يا ابا سفيان فقال هو ساحر كذاب فقال هرقل اني لا اريد شتمه ولكن كيف نسبه فيكم قال هو والله من بيت قريش قال كيف عقله ورأيه قال لم نعب له رأيا قط قال هرقل هل كان حلافا كذابا مخادعا في امره قال لا والله ما كان كذلك قال لعله يطلب ملكا او شرفا كان لاحد من اهل بيته قبله قال ابو سفيان لا ثم قال هل يتبعه منكم من يرجع اليكم منهم احد قال لا قال هرقل هل يغدر اذا عاهد قال لا الا ان يغدر مدته هذه فقال هرقل وما تخاف من مدته هذه قال ان قومي امدوا حلفاءهم على حلفائه وهو بالمدينة قال هرقل ان كنتم انتم بدأتم فانتم اغدر فغضب ابو سفيان وقال لم يغلبنا الا مرة واحدة وانا يومئذ غائب وهو يوم بدر ثم غزوته مرتين في بيوتهم نبقر البطون ونجدع الآذان والفروج فقال هرقل اكاذبا تراه ام صادقا فقال بل هو كاذب فقال ان كان فيكم نبي فلا تقتلوه فان افعل الناس لذلك اليهود ثم رجع ابو سفيان ففي هذا السياق غرابة وفيه فوايد ليست عند ابن اسحاق ولا البخاري وقد اورد موسى بن عقبة في مغازيه قريبا مما ذكره عروة بن الزبير والله اعلم وقال ابن جرير في تاريخه ثنا ابن حميد ثنا سلمة ثنا محمد

ابن اسحاق عن بعض اهل العلم قال ان هرقل قال لدحية بن خليفة الكلبي حين قدم عليه بكتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم والله اني لاعلم ان صاحبك نبي مرسل وانه الذي كنا ننتظر ونجده في كتابنا ولكني اخاف الروم على نفسي ولولا ذلك لاتبعته فاذهب الى ضغاطر الاسقف فاذكر له امر صاحبكم فهو والله في الروم اعظم مني واجوز قولا عندهم مني فانظر ما يقول لك قال فجاء دحية فاخبره بما جاء به من رسول الله صلى الله عليه وسلم الى هرقل وبما يدعوه اليه فقال ضغاطر صاحبك والله نبي مرسل نعرفه بصفته ونجده في كتابنا باسمه ثم دخل والقى ثيابا كانت عليه سودا ولبس بياضا ثم اخذ عصاه فخرج على الروم في الكنيسة فقال يا معشر الروم انه قد جاءنا كتاب من احمد يدعونا فيه الى الله واني اشهد ان لا اله الا الله وان احمد عبده ورسوله قال فوثبوا اليه وثبة رجل واحد فضربوه حتى قتلوه قال فلما رجع دحية الى هرقل فاخبره الخبر قال قد قلت لك انا نخافهم على انفسنا فضغاطر والله كان اعظم عندهم واجوز قولا مني وقال محمد بن اسحاق عن خالد بن يسار عن رجل من قدماء اهل الشام قال لما اراد هرقل الخروج من ارض الشام الى القسطنطينية لما بلغه من امر النبي صلى الله عليه وسلم جمع الروم فقال يا معشر الروم اني عارض عليكم امورا فانظروا فيما اردت بها قالوا ما هي قال تعلمون والله ان هذا الرجل لنبي مرسل نجده نعرفه بصفته التي وصف لنا فهلم فلنتبعه فتسلم لنا دنيانا وآخرتنا فقالوا نحن نكون تحت ايدي العرب ونحن اعظم الناس ملكا واكثره رجالا واقصاه بلدا قال فهلم اعطيه الجزية كل سنة اكسر عني شوكته واستريح من حربه بما اعطيه اياه قالوا نحن نعطي العرب الذل والصغار بخرج يأخذونه منا ونحن اكثر الناس عددا واعظمه ملكا وامنعه بلدا لا والله ما نفعل هذا ابدا قال فهلم فلاصالحه على ان اعطيه ارض سورية ويدعني وارض الشام قال وكانت ارض سورية فلسطين والاردن ودمشق وحمص وما دون الدرب من ارض سورية وما كان وراء الدرب عندهم فهو الشام فقالوا نحن نعطيه ارض سورية وقد عرفت انها سرة الشام لا نفعل هذا ابدا فلما ابوا عليه قال والله لتودن انكم قد ظفرتم اذا امتنعتم منه في مدينتكم قال ثم جلس على بغل له فانطلق حتى اذا اشرف على الدرب استقبل ارض الشام ثم قال السلام عليك يا ارض سورية تسليم الوداع ثم ركض حتى دخل قسطنطينية

ذكر ارساله عليه السلام الى ملك العرب من النصارى الذين بالشام

قال ابن اسحاق ثم بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم شجاع بن وهب اخا بني اسد بن خزيمة الى المنذر بن الحرث بن ابي شمر الغساني صاحب دمشق قال الواقدي وكتب معه سلام على من اتبع الهدى وآمن به اني ادعوك الى ان تؤمن بالله وحده لا شريك له يبقى لك ملكك فقدم شجاع بن وهب فقرأه عليه فقال ومن ينتزع ملكي اني سائر اليه

ذكر بعثه الى كسرى ملك الفرس

روى البخاري من حديث الليث عن يونس عن الزهري عن عبد الله بن عبد الله بن عتبة عن ابن عباس ان رسول الله بعث بكتابه مع رجل الى كسرى وامره ان يدفعه الى عظيم البحرين فدفعه عظيم البحرين الى كسرى فلما قرأه كسرى مزقه قال فحسبت ان ابن المسيب قال فدعا عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يمزقوا كل ممزق وقال عبد الله بن وهب عن يونس عن

الزهري حدثني عبد الرحمن بن عبد القاري ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قام ذات يوم على
المنبر خطيبا فحمد الله واثنى عليه وتشهد ثم قال اما بعد فاني اريد ان ابعث بعضكم الى ملوك
الاعاجم فلا تختلفوا علي كما اختلف بنو اسرائيل على عيسى بن مريم فقال المهاجرون يا رسول
الله انا لا نختلف عليك ابدا في شيء فمرنا وابعثنا فبعث شجاع بن وهب الى كسرى فامر
كسرى بايوانه ان يزين ثم اذن لعظماء فارس ثم اذن لشجاع بن وهب فلما ان دخل
عليه امر كسرى بكتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يقبض منه فقال شجاع لا حتى
ادفعه انا اليك كما امرني رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال كسرى ادنه فدنا
فناوله الكتاب ثم دعا كاتبا له من اهل الحيرة فقراه فاذا فيه من محمد عبد الله ورسوله
الى كسرى عظيم فارس قال فاغضبه حين بدا رسول الله بنفسه وصاح وغضب ومزق
الكتاب قبل ان يعلم ما فيه وامر بشجاع بن وهب فاخرج فلما راى ذلك قعد على راحلته
ثم سار ثم قال والله ما ابالي على اي الطريقين اكون اذ اديت كتاب رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال ولما ذهب عن كسرى سورة غضبه بعث الى شجاع ليدخل عليه فالتمس
فلم يوجد فطلب الى الحيرة فسبق فلما قدم شجاع على النبي صلى الله عليه وسلم اخبره بما كان
من امر كسرى وتمزيقه لكتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم مزق كسرى ملكه وروى محمد بن اسحاق عن عبد الله بن ابي بكر عن ابي سلمة ان رسول الله
بعث عبد الله بن حذافة بكتابه الى كسرى فلما قراه مزقه فلما بلغ رسول الله قال مزق ملكه
وقال ابن جرير ثنا ابن حميد ثنا سلمة ثنا ابن اسحاق عن يزيد بن ابي حبيب قال
وبعث عبد الله بن حذافة بن قيس بن عدي بن سعيد بن سهم الى كسرى بن هرمز ملك فارس
وكتب معه بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله الى كسرى عظيم فارس
سلام على من اتبع الهدى وامن بالله ورسوله واشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له وان محمدا
عبده ورسوله وادعوك بدعاء الله فاني انا رسول الله الى الناس كافة لانذر من كان حيا
ويحق القول على الكافرين فان تسلم تسلم وان ابيت فان اثم المجوس عليك قال فلما قراه
شققه وقال يكتب الي بهذا وهو عبدي قال ثم كتب كسرى الى باذان وهو نائبه على اليمن ان
ابعث الى هذا الرجل بالحجاز رجلين من عندك جلدين فليأتياني به فبعث باذام قهرمانه
وكان كاتبا حاسبا بكتاب فارس وبعث معه رجلا من الفرس يقال له خرخره وكتب معهما
الى رسول الله يامره ان ينصرف معهما الى كسرى وقال لاباذويه ايت بلاد هذا الرجل وائتني
بخبره فخرجا حتى قدما الطائف فوجدا رجلا من قريش في ارض الطائف فسالوه عنه فقال
هو بالمدينة واستبشر اهل الطائف يعني وقريش بهما وفرحوا وقال بعضهم لبعض ابشروا
فقد نصب له كسرى ملك الملوك كفيتم الرجل فخرجا حتى قدما على رسول الله صلى الله عليه
وسلم فكلمه باذويه فقال شاهنشاه ملك الملوك كسرى قد كتب الى الملك باذام يامره
ان يبعث اليك من ياتيه بك وقد بعثني اليك لتنطلق معي فان فعلت كتبت لك الى ملك
الملوك ينفعك ويكف عنك وان ابيت فهو من قد علمت فهو مهلكك ومهلك قومك ومخرب
بلادك ودخلا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد حلقا لحاهما واعفيا شواربهما فكره النظر
اليهما ثم قال ويلكما من امركما بهذا قالا امرنا ربنا يعنيان كسرى فقال رسول الله صلى
الله عليه وسلم ولكن ربي امرني باعفاء لحيتي وقص شاربي ثم قال ارجعا حتى تاتياني غدا

قال واتى رسول الله صلى الله عليه وسلم الخبر من السماء بان الله قد سلط على كسرى ابنه شيرويه
فقتله في شهر كذا وكذا في ليلة كذا وكذا لكذا وكذا من الليل سلط عليه ابنه شيرويه
فقتله قال فدعاهما فاخبرهما فقالا هل تدري ما تقول انا قد نقمنا عليك ما هو ايسر من
هذا فنكتب عنك بهذا ونخبر الملك باذام قال نعم اخبراه ذلك عني وقولا له ان ديني
وسلطاني سيبلغ ما بلغ كسرى وينتهي الى الخف والحافر وقولا له ان اسلمت اعطيتك ما تحت
يديك وملكتك على قومك من الابناء ثم اعطى خرخره منطقة فيها ذهب وفضة كان اهداها
اليه بعض الملوك فخرجا من عنده حتى قدما على باذام فاخبراه الخبر فقال والله ما هذا بكلام
ملك واني لارى الرجل نبيا كما يقول وليكونن ما قد قال فلئن كان هذا حقا فانه نبي مرسل
وان لم يكن فسنرى فيه راينا فلم ينشب باذام ان قدم عليه كتاب شيرويه اما بعد فاني
قد قتلت كسرى ولم اقتله الا غضبا لفارس لما كان استحل من قتل اشرافهم وتجميرهم في
ثغورهم فاذا جاءك كتابي هذا فخذ لي الطاعة ممن قبلك وانطلق الى الرجل الذي كان كسرى
قد كتب فيه فلا تهجه حتى ياتيك امري فيه فلما انتهى كتاب شيرويه الى باذام قال ان
هذا الرجل لرسول فاسلم واسلمت الابناء من فارس من كان منهم باليمن قال وقد قال
باذويه لباذام ما كلمت احدا قط اهيب عندي منه فقال له باذام هل معه شرط قال لا
قال الواقدي رح وكان قتل كسرى على يدي ابنه شيرويه ليلة الثلاثاء لعشر ليال
مضين من جمادى الاخرة من سنة سبع من الهجرة لست ساعات مضين منها قلت
وفي شعر بعضهم ما يرشد ان قتله كان في شهر حرام وهو قول بعض الشعراء

قتلوا كسرى بليل محرما • فتولى لم يمتع بكفن •

وقال بعض شعراء العرب

• •

وكسرى اذ تقاسمه بنوه • باسياف كما اقتسم اللحام •
تمخضت المنون له بيوم • الى ولكل حاملة تمام •

وروى الحافظ البيهقي من حديث حماد بن سلمة عن حميد عن الحسن عن ابي بكرة ان رجلا من اهل
فارس اتى رسول الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ربي قد قتل الليلة ربك
قال وقيل له يعني للنبي صلى الله عليه وسلم انه قد استخلف ابنته فقال لا يفلح قوم
تملكهم امراة قال البيهقي وروي في حديث دحية بن خليفة انه لما رجع من عند قيصر
وجد عند رسول الله صلى الله عليه وسلم رسل كسرى وذلك ان كسرى بعث يتوعد صاحب
صنعاء ويقول له الا تكفيني امر رجل قد ظهر بارضك يدعوني الى دينه لتكفينيه او لافعلن
بك فبعث اليه فقال لرسله اخبروه ان ربي قد قتل ربه الليلة فوجدوه كما قال قال
ورواه داود بن ابي هند عن عامر الشعبي نحو هذا ثم روى البيهقي من طريق ابي بكر بن عياش
عن داود بن ابي هند عن ابيه عن ابي هريرة قال اقبل سعد الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال اني في وجه سعد خبرا فقال يا رسول الله هلك كسرى فقال لعن الله كسرى اول
الناس هلاكا فارس ثم العرب قلت الظاهر انه لما اخبر رسول الله بهلاك كسرى لذينك
الرجلين يعني الامرين اللذين قدما من نائب اليمن باذام فلما جاء الخبر بوفق ما اخبر به
عليه السلام وشاع في البلاد وكان سعد بن ابي وقاص اول من سمع جاء الى رسول الله فاخبره
بوفق اخباره عليه السلام وهكذا بنحو هذا التقرير ذكره البيهقي رح ثم روى البيهقي

من غير وجه عن الزهري اخبرني ابو سلمة بن عبد الرحمن انه بلغه ان كسرى بينما هو في دسكرة
ملكه بعث له او قيض له عارض يعرض عليه الحق فلم يفجأ كسرى الا بالرجل يمشي وفي يده
عصى فقال يا كسرى هل لك في الاسلام قبل ان اكسر هذه العصى فقال كسرى نعم لا تكسرها فولى
الرجل فلما ذهب ارسل كسرى الى حجابه فقال من اذن لهذا الرجل علي فقالوا ما دخل عليك
احد فقال كذبتم قال فغضب عليهم وتهددهم ثم تركهم قال فلما كان راس الحول اتى
ذلك الرجل ومعه العصى فقال يا كسرى هل لك في الاسلام قبل ان اكسر هذه العصى قال نعم
لا تكسرها فلما انصرف عنه دعا حجابه فقال لهم كالمرة الاولى فلما كان العام المستقبل
اتاه ذلك الرجل فقال ولا تكسرها لا تكسرها فكسرها فاهلك الله كسرى عند ذلك وقال
الامام الشافعي انا ابن عيينة عن الزهري عن سعيد بن المسيب عن ابي هريرة ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال اذا هلك كسرى فلا كسرى بعده واذا هلك قيصر فلا قيصر
بعده والذي نفسي بيده لتنفقن كنوزهما في سبيل الله اخرجه مسلم من حديث ابن
عيينة واخرجاه من حديث الزهري به قال الشافعي ولما اتى كسرى بكتاب رسول الله مزقه
فقال رسول الله تمزق ملكه وحفظنا ان قيصر اكرم كتاب رسول الله ووضعه في مسك
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثبت ملكه قال الشافعي وغيره من العلماء ولما كانت
العرب تاتي الشام والعراق للتجارة فاسلم من اسلم منهم شكوا خوفهم من ملكي العراق
والشام الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اذا هلك كسرى فلا كسرى بعده
واذا هلك قيصر فلا قيصر بعده قال فباد ملك الاكاسرة بالكلية وزال ملك قيصر
عن الشام بالكلية وان ثبت لهم ملك في الجملة ببركة دعاء رسول الله لهم حين عظموا
كتابه والله اعلم قلت وفي هذا بشارة عظيمة بان ملك الروم لا يعود ابدا الى ارض الشام
وكانت العرب تسمي قيصر لمن ملك الشام مع الجزيرة من الروم وكسرى لمن ملك الفرس والنجاشي
لمن ملك الحبشة والمقوقس لمن ملك الاسكندرية وفرعون لمن ملك مصر كافرا وبطليموس
لمن ملك الهند ولهم اعلام اجناس غير ذلك قد ذكرناها في غير هذا الموضع والله اعلم وروى
مسلم عن قتيبة وغيره عن ابي عوانة عن سماك عن جابر بن سمرة قال قال رسول الله لتفتحن
عصابة من المسلمين كنوز كسرى التي في القصر الابيض وروى اسباط عن سماك عن جابر بن سمرة
مثل ذلك وزاد وكنت انا وابي فيهم فاصبنا من ذلك الف درهم

بعثه عليه السلام الى المقوقس صاحب مدينة الاسكندرية واسمه جريج بن مينا القبطي

قال يونس بن بكير عن ابن اسحاق وحدثني الزهري عن عبد الرحمن بن عبد القاري ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم بعث حاطب بن ابي بلتعة الى المقوقس صاحب الاسكندرية فمضى بكتاب رسول
الله صلى الله عليه وسلم اليه فقبل الكتاب واكرم حاطبا واحسن نزله وسرحه الى النبي صلى
الله عليه وسلم واهدى له مع حاطب كسوة وبغلة بسرجها وجاريتين احداهما ام ابراهيم واما
الاخرى فوهبها رسول الله صلى الله عليه وسلم لمحمد بن قيس العبدي رواه البيهقي ثم
روى من طريق عبد الرحمن بن زيد بن اسلم عن ابيه ثنا يحيى بن عبد الرحمن بن حاطب عن ابيه عن
جده حاطب بن ابي بلتعة قال بعثني رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المقوقس ملك الاسكندرية
قال فجئته بكتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فانزلني في منزله واقمت عنده ثم بعث الي وقد
جمع بطارقته وقال اني ساكلمك بكلام واحب ان تفهمه مني قال قلت هلم قال اخبرني عن

صاحبك اليس هو نبي قلت بلى هو رسول الله قال فما له حيث كان هكذا لم يدع على قومه حيث
اخرجوه من بلده الى غيرها قلت عيسى بن مريم اليس تشهد انه رسول الله قال بلى قلت
فما له حيث اخذه قومه فارادوا ان يصلبوه الا يكون دعا عليهم بان يهلكهم الله حتى رفعه
الله الى السماء الدنيا فقال لي انت حكيم جاء من عند حكيم هذه هدايا ابعث بها معك الى
محمد وارسل معك ببذرقة يبذرقونك الى مامنك قال فاهدى الى رسول الله صلى الله عليه
وسلم ثلاث جوار منهن ام ابراهيم بن رسول الله صلى الله عليه وسلم وواحدة وهبها لحسان
بن ثابت الانصاري وارسل اليه بطرف من طرفهم وذكر ابن اسحاق انه اهدى الى رسول الله صلى
الله عليه وسلم اربع جوار احداهن مارية ام ابراهيم والاخرى سيرين التي وهبها لحسان
بن ثابت فولدت له عبد الرحمن بن حسان قلت وكان في جملة الهدية غلام اسود خصي
اسمه مابور وخفين ساذجين اسودين وبغلة بيضاء اسمها الدلدل وكان مابور هذا
خصيا ولم يعلموا بامره بادي الامر فصار يدخل على مارية كما كان من عادتهم ببلاد مصر
فجعل بعض الناس يتكلم فيهما بسبب ذلك ولا يعلمون بحقيقة الحال وانه خصي حتى
قال بعضهم انه الذي امر رسول الله صلى الله عليه وسلم علي بن ابي طالب بقتله فوجده
خصيا والحديث في صحيح مسلم من طريق كذا
قال ابن اسحاق وبعث
رسول الله صلى الله عليه وسلم سليط بن عمرو بن عبد ود اخا بني عامر بن لؤي الى هوذة بن علي
صاحب اليمامة وبعث على بن الحضرمي الى جيفر بن الجلندى وعباد بن الجلندى الازديين صاحبي
عمان

غزوة ذات السلاسل

ذكرها الحافظ البيهقي ههنا قبل غزوة الفتح فساق من طريق موسى بن عقبة وعروة بن الزبير
قالا بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عمرو بن العاص الى ذات السلاسل من مشارف الشام
في بلي وعبد الله ومن يليهم من قضاعة قال عروة بن الزبير وبنو بلي اخوال العاص بن وائل فلما
صار الى هناك خاف من كثرة عدوه فبعث الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يستمده
فندب رسول الله صلى الله عليه وسلم المهاجرين الاولين فانتدب ابو بكر وعمر في
جماعة من سراة المهاجرين رضي الله عنهم اجمعين وامر عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم
ابا عبيدة بن الجراح قال موسى فلما قدموا على عمرو قال انا اميركم وانا ارسلت الى رسول
الله استمده بكم فقال المهاجرون بل انت امير اصحابك وابو عبيدة امير المهاجرين
فقال عمرو انما انتم مدد امددته فلما راى ذلك ابو عبيدة وكان رجلا حسن الخلق لين
الشيمة قال تعلم يا عمرو ان آخر ما عهد الي رسول الله ان قال اذا قدمت على صاحبك
فتطاوعا وانك ان عصيتني لاطيعنك فسلم ابو عبيدة الامارة لعمرو بن العاص وقال
محمد بن اسحاق حدثني محمد بن عبد الرحمن بن عبد الله بن الحصين التميمي قال بعث رسول الله صلى
الله عليه وسلم عمرو بن العاص يستنفر العرب الى الاسلام وذلك ان ام العاص كانت من بلي
فبعثه رسول الله اليهم يستالفهم بذلك حتى اذا كان على ماء بارض جذام يقال له السلاسل
وبه سميت تلك الغزوة ذات السلاسل قال فلما كان عليه خاف فبعث الى رسول الله
يستمده فبعث اليه ابا عبيدة بن الجراح في المهاجرين الاولين فيهم ابو بكر وعمر وقال
لابي عبيدة حين وجهه لا تختلفا فخرج ابو عبيدة حتى اذا قدم عليه قال له عمرو انما
جئت مددا لي فقال له ابو عبيدة ولكني على ما انا عليه وانت على ما انت عليه وكان

ابو عبيدة رجلا لينا سهلا هينا عليه امر الدنيا فقال له عمرو انت مددي فقال له ابو عبيدة يا عمرو ان رسول الله قد قال لي لا تختلفا وانك ان عصيتني اطعتك فقال له عمرو فاني امير عليك وانما انت مددي قال فدونك فصلى عمرو بالناس وقال الواقدي حدثني ربيعة بن عثمان عن يزيد بن رومان ان ابا عبيدة لما آب الى عمرو بن العاص فصاروا خمسمائة ساروا الليل والنهار حتى وطئ بلاد بلي ودوخها وكلما انتهى الى موضع بلغه انه قد كان بهذا الموضع جمع فلما سمعوا بذلك تفرقوا حتى انتهى الى اقصى بلاد بلي وعذرة وبلقين ولقي في اخر ذلك جمعا ليس بالكثير فاقتتلوا ساعة وتراموا بالنبل ساعة ورمي يومئذ عامر بن ربيعة واصيب ذراعه وحمل المسلمون عليهم فهزموا واعجزوا هربا في البلاد وتفرقوا ودوخ عمرو ما هنالك واقام اياما لا يسمع لهم بجمع ولا مكان صاروا فيه وكان يبعث اصحاب الخيل فياتون بالشاء والنعم فكانوا ينحرون ويذبحون ولم يكن في ذلك اكثر من ذلك ولم تكن غنائم تقسم وقال ابو داود ثنا ابن المثنى ثنا وهب بن جرير ثنا ابي سمعت يحيى بن ايوب يحدث عن يزيد بن ابي حبيب عن عمران بن ابي انس عن عبد الرحمن بن جبير عن عمرو بن العاص قال احتلمت في ليلة باردة في غزوة ذات السلاسل فاشفقت ان اغتسلت ان اهلك فتيممت ثم صليت باصحابي الصبح فذكروا ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا عمرو صليت باصحابك وانت جنب فاخبرته بالذي منعني من الاغتسال وقلت اني سمعت الله يقول ولا تقتلوا انفسكم ان الله كان بكم رحيما فضحك نبي الله صلى الله عليه وسلم ولم يقل شيئا حدثنا محمد بن سلمة ثنا ابن لهيعة وعمرو بن الحرث عن يزيد بن ابي حبيب عن عمران بن ابي انس عن عبد الرحمن بن جبير عن ابي قيس مولى عمرو بن العاص ان عمرو بن العاص كان على سرية فذكر الحديث بنحوه قال فغسل مغابنه وتوضا وضوءه للصلاة ثم صلى بهم فذكر نحوه ولم يذكر التيمم قال ابو داود وروى هذه القصة عن الاوزاعي عن حسان بن عطية وقال فيه فتيمم وقال الواقدي حدثني افلح بن سعيد عن ابن عبد الرحمن بن رقيش عن ابي بكر بن حزم قال كان عمرو بن العاص حين قفلوا احتلم في ليلة باردة كاشد ما يكون من البرد فقال لاصحابه ما ترون قد والله احتلمت فان اغتسلت مت فدعا بماء فتوضا وغسل فرجه وتيمم ثم قام فصلى بهم وكان اول من بعث عوف بن مالك بريدا قال عوف فقدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم في السحر وهو يصلي في بيته فسلمت عليه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم عوف بن مالك فقلت عوف بن مالك يا رسول الله قال صاحب الجزور فقلت نعم ولم يزد على هذا بعد ذلك شيئا ثم قال اخبرني فاخبرته بما كان من مسيرنا وما كان بين ابي عبيدة وعمرو ومطاوعة ابي عبيدة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يرحم الله ابا عبيدة بن الجراح قال ثم اخبرته ان عمرا صلى بالناس وهو جنب ومعه ماء لم يزد على ان غسل فرجه وتوضا فاسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما قدم عمرو على رسول الله صلى الله عليه وسلم سأله عن صلاته فاخبره فقال والذي بعثك بالحق لو اغتسلت لمت لم اجد بردا قط مثله وقد قال الله تعالى ولا تقتلوا انفسكم ان الله كان بكم رحيما قال فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يبلغنا انه قال له شيئا وقال ابن اسحاق حدثني يزيد بن ابي حبيب عن عوف بن مالك الاشجعي قال كنت في الغزوة التي بعث فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم عمرو بن العاص وهي غزوة ذات السلاسل فصحبت ابا بكر وعمر فمررت

بقوم وهم على جزور قد نحروها وهم لا يقدرون على ان يعضوها وكنت امرأ جازرا فقلت لهم تعطوني منها عشيرا على ان اقسمها بينكم قالوا نعم فاخذت الشفرة فجزأتها مكاني واخذت منها جزءا فحملته الى اصحابي فاطبخناه واكلناه فقال لي ابو بكر وعمر انى لك هذا اللحم يا عوف فاخبرتهما فقالا لا والله ما احسنت حين اطعمتنا هذا ثم قاما يتقيآن ما في بطونهما منه فلما ان قفل الناس من ذلك السفر كنت اول قادم على رسول الله صلى الله عليه وسلم فجئته وهو يصلي في بيته فقلت السلام عليك يا رسول الله ورحمة الله وبركاته فقال اعوف بن مالك فقلت نعم بابي انت وامي فقال اصاحب الجزور ولم يزد على ذلك هكذا رواه محمد بن اسحاق عن يزيد بن ابي حبيب عن عوف بن مالك وهو منقطع بل معضل قال الحافظ البيهقي وقد رواه ابن لهيعة وسعيد بن ابي ايوب عن يزيد بن ابي حبيب عن ربيعة بن لقيط عن مالك بن هدم اظنه عن عوف بن مالك فذكر نحوه الا انه قال فعرضته على عمر فسألني عنه فاخبرته فقال لقد تعجلت اجرك ولم ياكله ثم حكى عن ابي عبيدة مثله ولم يذكر فيه ابا بكر وتمامه كنحو ما تقدم وقال الحافظ البيهقي انا ابو عبد الله الحافظ وابو سعيد بن ابي عمرو قالا ثنا ابو العباس محمد بن الاصم ثنا يحيى بن ابي طالب انا علي بن عاصم انا خالد الحذاء عن ابي عثمان النهدي سمعت عمرو بن العاص يقول بعثني رسول الله صلى الله عليه وسلم على جيش ذي السلاسل وفي القوم ابو بكر وعمر فحدثت نفسي انه لم يبعثني على ابي بكر وعمر الا لمنزلة لي عنده قال فاتيته حتى قعدت بين يديه فقلت يا رسول الله من احب الناس اليك قال عائشة قلت اني لست اسالك عن اهلك قال فابوها قلت ثم من قال عمر قلت ثم من حتى عدد رهطا قال قلت في نفسي لا اعود اسأل عن هذا وهذا الحديث مخرج في الصحيحين من طريق خالد بن مهران الحذاء عن ابي عثمان النهدي واسمه عبد الرحمن بن مل حدثني عمرو بن العاص ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثه على جيش ذات السلاسل فاتيته فقلت اي الناس احب اليك قال عائشة قلت من الرجال قال ابوها قلت ثم من قال ثم عمر بن الخطاب فعد رجالا وهذا لفظ البخاري وفي رواية قال عمرو فسكت مخافة ان يجعلني في اخرهم

سرية ابي عبيدة الى سيف البحر

قال الامام مالك عن وهب بن كيسان عن جابر قال بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثا قبل الساحل وامر عليهم ابا عبيدة بن الجراح وهم ثلثمائة قال جابر وانا فيهم فخرجنا حتى اذا كنا ببعض الطريق فني الزاد فامر ابو عبيدة بازواد ذلك الجيش فجمع كله فكان مزودي تمر فكان يقوتنا قليلا قليلا حتى فني ولم يكن يصيبنا الا تمرة تمرة قال فقلت وما تغني تمرة قال لقد وجدنا فقدها حين فنيت قال ثم انتهينا الى البحر فاذا حوت مثل الظرب قال فاكل منه ذلك الجيش ثماني عشرة ليلة ثم امر ابو عبيدة بضلعين من اضلاعه فنصبا ثم امر براحلة فرحلت ثم مرت تحتهما فلم تصبهما اخرجاه في الصحيحين من حديث مالك بنحوه وهو في الصحيحين ايضا من طريق سفيان بن عيينة عن عمرو بن دينار عن جابر قال بعثنا رسول الله في ثلثمائة راكب واميرنا ابو عبيدة بن الجراح نرصد عيرا لقريش فاصابنا جوع شديد حتى اكلنا الخبط فسمي ذلك الجيش جيش الخبط قال ونحر رجل ثلاث جزائر ثم نحر ثلاثا ثم نحر ثلاثا ثم نهاه ابو عبيدة قال والقى البحر دابة يقال لها العنبر فاكلنا منه نصف شهر وادهنا منه حتى ثابت اجسامنا

وصلحت ثم ذكر قصة الضلع فقوله في الحديث يرصد عيرا لقريش دليل على ان هذه
السرية كانت قبل صلح الحديبية والله اعلم وقال الحافظ البيهقي انا ابو عبد الله الحافظ
ابو بكر بن اسحاق انا اسماعيل بن قتيبة ثنا يحيى بن يحيى ابو خيثمة وهو زهير بن معاوية
عن ابي الزبير عن جابر قال بعثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وامر علينا ابو عبيدة يتلقى
عيرا لقريش وزودنا جرابا من تمر لم يجد لنا غيره فكان ابو عبيدة يعطينا تمرة تمرة
قال فقلت كيف كنتم بها قال كنا نمصها كما يمص الصبي ثم نشرب عليها الماء فتكفينا
يومنا الى الليل وكنا نضرب بعصينا الخبط ثم نبله بالماء وناكله قال فانطلقنا على
ساحل البحر فرفع على ساحل البحر كهيئة الكثيب الضخم فاتيناه فاذا دابة تدعى العنبر
فقال ابو عبيدة ميتة ثم قال لا بل نحن رسل رسول الله وفي سبيل الله وقد اضطررتم
فكلوا قال فاقمنا عليه شهرا ونحن ثلثماية حتى سمنا ولقد كنا نغترف من وقب
عينه بالقلال الدهن ونقتطع منه الفدر كالثور او كقدر الثور ولقد اخذ منا ابو
عبيدة ثلاثة عشر رجلا فاقعدهم في وقب عينه واخذ ضلعا من اضلاعه فاقامها ثم
رحل اعظم بعير منها فمر تحتها وتزودنا من لحمها وشايق فلما قدمنا المدينة اتينا
رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكرنا له ذلك فقال هو رزق اخرجه الله لكم فهل
معكم من لحمه شي تطعمونا قال فارسلنا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم منه فاكله ورواه
مسلم عن يحيى بن يحيى واحمد بن يونس وابو داود عن النفيلي ثلاثتهم عن ابي خيثمة زهير
بن معاوية الجعفي الكوفي عن ابي الزبير محمد بن مسلم بن تدرس المكي عن جابر بن عبد الله الانصاري
به قلت ومقتضى اكثر هذه السياقات ان هذه السرية كانت قبل صلح الحديبية ولكن
اوردناها هاهنا تبعا للحافظ البيهقي رح فانه اوردها بعد مؤتة وقبل غزوة الفتح
والله اعلم وقد ذكر البخاري بعد غزوة مؤتة سرية اسامة بن زيد الى الحرقات من جهينة
فقال ثنا عمرو بن محمد ثنا هشيم انا حصين بن جندب ثنا ابو ظبيان قال سمعت اسامة
بن زيد يقول بعثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الحرقة فصبحنا القوم فهزمناهم
ولحقت انا ورجل من الانصار رجلا منهم فلما غشيناه قال لا اله الا الله فكف الانصاري
وطعنته برمحي حتى قتلته فلما قدمنا بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا اسامة
اقتلته بعدما قال لا اله الا الله قلت كان متعوذا فما زال يكررها حتى تمنيت اني لم اكن
اسلمت قبل ذلك اليوم وقد تقدم هذا الحديث والكلام عليه فيما سلف ثم روى البخاري
من حديث يزيد بن ابي عبيد عن سلمة بن الاكوع قال غزوت مع رسول الله صلى الله عليه
وسلم سبع غزوات وخرجت فيما يبعث من البعوث تسع غزوات علينا مرة ابو بكر ومرة
اسامة بن زيد رضي الله عنهما ثم ذكر الحافظ البيهقي هاهنا موت النجاشي صاحب الحبشة
على الاسلام ونعي رسول الله له الى المسلمين وصلاته عليه فروى من طريق مالك عن الزهري
عن سعيد بن المسيب عن ابي هريرة ان رسول الله نعى الى النجاشي في اليوم الذي مات
فيه وخرج بهم الى المصلى فصف بهم وكبر اربع تكبيرات اخرجاه من حديث مالك واخرجاه ايضا
من حديث الليث عن عقيل عن الزهري عن سعيد وابي سلمة عن ابي هريرة بنحوه واخرجاه
من حديث ابن جريج عن عطا عن جابر قال قال رسول الله مات اليوم رجل صالح فصلوا على اصحمة
وقد تقدمت هذه الاحاديث ايضا والكلام عليها ولله الحمد قلت والظاهر ان موت النجاشي

كان قبل الفتح بكثير فان في صحيح مسلم انه لما كتب الى الافاق كتب الى النجاشي وليس هو بالمسلم
وزعم آخرون كالواقدي انه هو والله اعلم وروى الحافظ البيهقي من طريق مسلم بن خالد الزنجي
عن موسى بن عقبة عن ابيه عن ام كلثوم قالت لما تزوج النبي صلى الله عليه وسلم ام سلمة
قال لها اني قد اهديت الى النجاشي اواقي من مسك وحلة واني لا اراه الا قد مات ولا ارى الهدية
الا سترد علي فان ردت علي اظنه قال قسمتها بينكن او فهي لك قال فكان كما قال رسول
الله مات النجاشي وردت الهدية فلما ردت عليه اعطى كل امراة من نسائه اوقية من
ذلك المسك واعطى سايره ام سلمة واعطاها الحلة وكان الفراغ من نسخه في يوم
الخميس المبارك ثاني شهر ذي القعدة الحرام ختام سنة
احدى عشر وماية والف من الهجرة النبوية على صاحبها
افضل الصلاة واتم السلام على يد افقر العباد
واحوجهم اليه العبد الذليل محمد بن حجازي
بن مصطفى الاطفيحي بلدا المالكي مذهبا
عفى عنه وادخله الجنة والمسلمين
وصلى الله على سيدنا محمد وعلى
اله وصحبه اجمعين وسلام
على المرسلين والحمد
لله رب العا
لمين

تم الجزء الاول من البداية والنهاية للحافظ بن كثير ويليه ان شا الله الجزء الثاني وهو غزوة الفتح